مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

شرح الشفاء (ج٢)

المؤلف

أحمد بن محمد بن عمر (الخفاجي)

الملاحظات

• أصل هذه النسخة في مكتبة ملليت العامة بتركيا.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يا حفيظ

كتـ... الخ... شرح ال...

...ن ولسطه واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر
...ا الامن ارتفعي من سؤل قال ابن عطاء الله في
...الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن
... بصره الذي يبصر به فمن كان الحق بصره
...ارتفعي من سؤل لا ينافي
...النص فان السلطان
... فكذلك الولي
...الله

الجلد الثاني من شرح الشفا الشريف للشهاب الدين

ك: 370

وقف شيخ الإسلام السيد فيض الله أفندي عفي عنه وعن والديه بشرط أن لا يخرج من المدرسة التي أنشأها بقسطنطينية ١١١٢

٣٦٨

MİLLET CE... SI
KISIM : Feyzullah
ESKİ KAYIT 368
YENİ K...
TASNİF No.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر يا كريم

فصل ومن ذلك أي من خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته
الباهرة ما اطلع عليه هو اما مبني للمجهول من الافعال أي اطلعه الله عليه او من الافعال
مبني للفاعل بتشديد الطاء من الغيوب بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس
من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عني كذا ويستعمل في كل غائب عن الحاسة
وما يغيب عن الانسان بمعنى الغائب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه
مثقال ذرة ومنه قوله عالم الغيب والشهادة أي ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله
يؤمنون بالغيب أي بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم
باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يكون في المستقبل وهو من عطف على
الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير
الله او ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات والاحاديث الواردة
في هذا الباب أي في هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيب
الذي اطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول بحر
تشبيه بليغ أي في كثرتها كالبحر لا يدرك لا ينزح بالبناء للمجهول والادراك الوصول وقعره
قراره وارضه أي لا يصل احد الى نهايته ولا ينزف بمعجمة وفا مبني للمفعول او
للفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى أي لا ينفد ولا يفنى غمره بفتح الغين المعجمة
وسكون الميم قبل را مهملة وهو الماء الكثير جدا وهذه المعجزة في اطلاعه صلى الله
عليه وسلم على الغيب من جملة معجزاته اشارة الى كثرتها التي لا يحاط بها عدة والحجج
المعلومة للناس على طريق القطع بتحققها بحيث لا يمكن انكارها او التردد فيها لاحد
من العقلا وقوله المعلومة على طريق القطع بتحققها بحيث لا يمكن انكارها او
التردد فيها . القطع صفة للمعجزات وا القطع بثبوتها ومجموعها وكذا تواترها تواترا
معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه كتواتر
جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار في بعضها كالقرآن والى هذا
اشار بقوله الواصل الينا خبرها جاريا على نهج التواتر المشهور لكثرة رواتها أي
رواة مجموعها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب أي الامور الغيبية وهذا
لا ينافي الايات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت اعلم الغيب

لاستكثرت

لاستكثرت من الخير فان المنفي علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر
محقق لقوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطا الله في
لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذي يبصر به فمن كان الحق بصره
اطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافي
قول المرسي في تفسيرها الا رسول او صديق او ولي ولا زيادة فيه على النص فان السلطان
اذا قال لا يدخل علي اليوم الا الوزير لا ينافي دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولي
اذا اطلعه الله على غيبه لم يره بنوره بعينه وانما راه بنور متبوعه ولو كلفنا الله
الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا باب غيبه والى هذا اشار الغزالي في اماليه على الاحيا
ثم قال ويحتمل ان يكون المراد بالرسول في الاية ملك الوحي الذي بواسطته تنكشف
الغيوب فيوسله للاعلام بمشافهة او القاء في روع او ضرب مثل في يقظة او منام ليطلع
من اراده وفائدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه
بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه احدا من عباده الا على يدي رسول من ملائكته
ارسله لمن فرغ قلبه لانصباب انهار العلوم الغيبية في اوديته حتى يصل لاسرار
الغيب المكنونة في خزائن الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه اشار
القاضي في تفسيره وبقي ثمة اسرار لا تسعها الحروف ثم انه بين ما اجمل بحديث
رواه ابو داود عن حذيفة وعدل عما رواه الشيخان لما في طريقه الذي رواه
منه من الزيادة فقال حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري المعروف
اجازة منه بروايته عنه وقراءته على غيره اشارة الى انه رواه من طرق متعددة
فوقية والقراءة والاجازة طريقان اختلف في ايهما اقوى وقيل انهما متساويان
وهو الظاهر قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري علي بن احمد بن علي الامام المشهور
احد رواة سنن ابي داود وتستر كجندب بلد معروفة وسينه مهملة واعجامها
لحن قال حدثنا ابو عمر الهاشمي وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال حدثنا
اللؤلؤي وهو ابو علي محمد بن احمد بن عمرو السابق ترجمته قال حدثنا ابو داود صاحب
السنن المشهور كما تقدم قال حدثنا عثمان بن ابي شيبة بن محمد بن ابراهيم ابو
الحسن الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين واخرج له اصحاب
السنن وغيرهم وترجمته في الميزان قال حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي صاحب
المصنفات المشهور الثقة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة واخرج له الستة
وترجمته في الميزان وغيره عن الاعمش هو سليمان بن مهران كما تقدم في ترجمته
عن ابي وائل سفيان بن سلمة الاسدي المخضرم توفي سنة اثنين وثمانين وهو من
العلما العاملين ثقة اخرج له الستة عن حذيفة بن اليمان الصحابي المشهور
صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اخبره بالفتن وما سيكون
وروى عنه احاديث كثيرة وكان عمر رضي الله عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة
لا يشهدها فهو لاطلاعه على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك
توفي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروي عنه لا تقوم الساعة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل في الفتن مشهور ثم اليه اشار بقوله
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الضمير للصحابة والمراد انه خطبهم يوما فعبر
بالقيام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قايما اي قام وخطب عندهم فالظرفية مجازية
مقاما بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي نحو مفعول مطلق فما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مقامه هذا شيا مما يكون اي يوجد ويحدث بعده مما يهم
من احوال المسلمين ومن يتولى امورهم بعده وما يكون بعده من الفتن والحروب
فيكون تامة والجملة صفة شيا في مقامه ذلك اي في خطبته التي خطبها وهو من
وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية به الى قيام الساعة اي من اول زمنه
الى تقدير لدلالة المقام عليه الا حدثنا به اي الا حدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفي
نسخة حدثنا به والفعل في تاويل الاسم كقولهم انشدك الله الا فعلت والاستثنا
متصل لدخول المحدث به في الشيء وقيل انه منقطع بمعنى لكن حفظه من حفظه
الضمير للحديث المفهوم من السياق ونسيه من نسيه اي حفظه بعض السامعين له
ونسيه بعضهم قد علمه اصحابي هولا الحاضرون عنده او المراد اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذه الزيادة في رواية ابي داود لم يذكرها البخاري وانه
الضمير للشان ليكون منه الشيء اي يوجد شي مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج
قد نسيته لطول العهد بحديثه فاراه يعني بعد ما وجد فاعرفه فاذكره اي
اتذكره بعد ما نسيته اي تذكرما اخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شبهه
تذكره ايضاحا له بقوله كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه
فيه تقديم وتاخير اي كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه وسيماه
وهو في مخيلته الا انه لم يذكره فاذا راه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بيذكر
بل بمعنى المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا
ثم قال حذيفة فيما رواه ابو داود وزاده على ما رواه الشيخان ما ادري انسي
اصحابي هذا الحديث ام تناسوه اي اظهروا نسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام
به كما قيل بل لانه من الاسرار التي لا ينبغي ان يحدث بها كل احد والله قسم اكد
به ما بعده ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد بالقاف والدال
المهملة ومن زايد والمراد به المتغلبة الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل
والفرس من يقوده ويمشي خلفه فتنة تفانى للمحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين
كالحجاج وغيره من اصحاب البدع من زمنه الى ان تنقضي الدنيا اي الى ان تتم وتنتهي
مدتها وتخرب العالم وتبيد ومقدمات الساعة بخروج الدجال وياجوج وماجوج
يبلغ من معه اي يصل من معه من اتباعه والضمير للقايد ثلاثماية رجل فصاعدا
الا قد سماه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم ابيه وقبيلته بحيث لم
يبق شبهة فيه وهذا الحديث روي من طريق اخر متصلا على كلام فيه ذكره ابن
الجوزي وغيره وقال ابو ذر الصحابي المشهور في حديث رواه احمد والطبراني
وغيرهما باسناد صحيح لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذهب عنا
وانتقل الى الاخرة من بين اظهرنا ولم يدع شيا الا بينه لنا بحيث لا يخفى علينا

شيء

مما اخبرنا

شيء بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا طالا فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة من الظهر
الى قبيل الغروب لم يدع شيا الا بينه لاصحابه وما حرك طاير جناحيه في السما اي في الجو
وهو كناية عن بيان كل شي الا ذكر لنا منه علما وفي نسخة الا ذكر لنا منه علما اي تذكرنا
من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهمنا في الارض وهذا تمثيل لبيان كل شي تفصيلا
تارة واجمالا اخرى وقد خرج اهل الصحيح اي رووا باسانيدهم ما صح عندهم كالشيخين
واصحاب السنن والمسانيد ثم الايمة الحفاظ الثقات كاحمد والشافعي وابي حنيفة ومالك
ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من بيان لما من الظهور على اعدايه
بغلبتهم وقل شوكتهم وفتح مكة الذي اخبر به قبل وقوعه فحققه الله وفتح بيت
المقدس كما رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد اخبر صلى الله عليه
وسلم تميما الداري بفتحه لما اسلم واقطعه ارضا بها ثم فتح في خلافة عمر رضي الله عنه
فاعطى تميما اقطاعه في سنة ستة عشر من الهجرة وفتح الشام وفتح اليمن وفتح العراق
يعني به ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة كما علم
والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بفتح مكة
قبل الهجرة في حديث رواه ابن دحية في كتاب مرج البحرين في اخبار المشرقين والمغربين
واصل معنى العراق شاطي البحر وقيل انه معرب وظهور الامن في الممالك الاسلامية
وهو مجرور اي اعلم اصحابه بظهور الامن حتى تظعن المراة بظا معجمة وعين مهملة
ولو اي تسافر وحدها من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر قال تعالى
يوم ظعنكم وذكر المراة للمبالغة في الامن لانها مع ضعفها وشدة خوفها اذا امنت علم
امن غيرها بالطريق الاولى من الحيرة الى مكة بكسر الحا المهملة وسكون المثناة التحتية
وفتح الرا المهملة والهاء مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة اخرى بقرب نيسابور لا تخاف
الا الله كناية عن الخلا لا تخاف احدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم وان
المدينة يعني طيبة وهو علم بالغلبة عليها واصل معناها كل قرية يجتمع فيه الناس
ستغزى اي يغزى بعض ويري مجتمعين من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة
الحرة التي ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم
وروي يغزي وترا متحملين ومثناة فوقية مفتوحة وهي مضمومة في الرواية
الاولى اي تخرب وتخلو فتصير خرابا ليس فيها احد والخلا الفضا الخالي من الناس
قال تعالى فنبذناه بالعرا وهذا لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه
وقع وهو مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة الحرة ايضا فان الناس ارتحلوا
فيها منها وتركت الصلاة والاذان حتى سمع الاذان من قبره صلى الله عليه وسلم
ثم اتاهم يزيد حتى عادوا اليها واعلمهم صلى الله عليه وسلم بفتح خيبر على يد
علي في غد يومه الذي اخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما
كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان ارمد
فبصق في عينيه فبرا وفتحها الله على يديه على ما فصل في السير وتقدم الكلام على
شيء منه واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفتح الله على امته اي بما يتيسر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله لامته من فتح البلدان وما يوسعه لهم من الدنيا بكثرة المال والعزة ويما يؤتون
بالبنا للمجهول اي يؤتيهم الله من زهرتها اي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب
نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق في صحيحهما وفتحهم كنوز كسرى وقيصر
الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو المال المدفون ويطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا
خزاينهما وما لهما وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم لملك من ملوك الفرس ثم صار
علم جنس لكل من ملكهما ونكره وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم اطلق على ملكهم
كذلك ومعناه المشقوق لان امه ماتت حين ارادة وضعه فشقت بطنها واخرج
منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابي هريرة وغيره من طرق وفيه اذا
هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده
لتنفقن كنوزها في سبيل الله وقد حقق الله ما اخبر به صلى الله عليه وسلم وصدق
الله وعده وكان ذلك على يد خلفايه رضي الله عنهم وما يحدث بينهم اي اعلمهم
صلى الله عليه وسلم بما يحدث بين امته من الفتون بدون دخول مشدد بمعنى
الافتتان كما في اكثر النسخ جمع فتنة كما قاله البرهان والفتنة اصلها الاختبار
ثم قيلت لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع
فتنة كما في بعض النسخ لان الفتون الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشي فانه
ورد بمعنى الفتنة ايضا وهو بطريق المجاز اي مطلق الميل والاختلاف في الاهوية
والارا وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان احسن والاهوا بالمد
وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا اطلق خص بالامور الباطلة وسلوك
سبيل من قبلهم من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا
بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود
والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما احدثوه من الضلال
والبدع والتحريف كما صرح به في الحديث وافتراقهم اي افتراق هذه الامة
على ثلاث وسبعين فرقة اي ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع
عليه الانقسام من النهج المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث
وعلى بنايته كما قال الدواني في حواشي الشمسية في قوله رتبته على مقدمة
الخ فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما
بعلى انه يتضمن معنى البنا فانه يتعدى بعلى الى اسلوبه فيقال بني الدار
على طبقتين او يقال تعدى بها بنا على ان معنى الترتيب جعل الاجزا مترتبة
وهو مقصور على البنا فيتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث
رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم كما في مناهل الصفا للجلال السيوطي
الناجية منها واحدة اي الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم
اهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فانه قال فيه ليأتين على امتي ما اتى
على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وان بني اسرائيل افترقت

على

على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا ملة
واحدة او فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم اي الناجون منهم قال من كان على
ما انا عليه واصحابي فمعنى الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه
وفي قوله ستفترق اشارة الى انه ليس في زمانه صلى الله عليه وسلم اختلاف وانه
انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفا الراشدين وفي قوله ملة اشارة الى ان الخلاف المذكور
في الدين والاعتقاد فلا ينافيه ما وقع بينهم في امور جزئية وقد بينت هذه الفرق
وفصلت في كتاب الملل والنحل وفي علم اصول الدين وهذا من جملة ما اطلعه الله عليه
من المغيبات وفي حديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه وانهم سيكون لهم
انماط جمع نمط كسبب واسباب وهو البساط يعني ان امته صلى الله عليه وسلم تتوسع
في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من
الفقر وضيق المعيشة وقوله يغدو واحدهم في حلة ويروح في اخرى وما بعده
من حديث رواه الترمذي عن علي وحسنه والغدو بغين معجمة ودال مهملة
سير اول النهار ويقابله الرواح والحلة هو الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين
احدهما فوق الاخر كما مر الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ما قلناه والمراد
تعدد لباسهم ونفاسته بعد ما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله وتوضع بين
يديه اي بين يدي احدهم صحفة بزنة قصعة وهي انا الطعام وترفع اخرى
اي صحفة اخرى اشارة الى ان تلون اطعمتهم وتعددها ونفاستها وتستر
بيوتهم بالبنا للمجهول اي يسترون حيطان بيوتهم وابوابها وفي نسخة ويسترون
بيوتهم كما تستر الكعبة وهذا كما يفعله الامرا والعظما الذين اتسعت دنياهم
حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر الاول وهو اسراف وقد ورد النهي
عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه في اخر الحديث الذي رواه الترمذي
وغيره وانتم اليوم المراد به مطلق الزمان الحاضر خير منكم يومئذ اي احسن منكم
حالا من حالكم الاتي الذي يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم فتفضلهم على انفسهم
باعتبارين لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب
والبدن كما نشاهده ممن ابتلي به ومما اعلم به صلى الله عليه وسلم اصحابه انهم
اذا مشوا المطيطا كما ورد في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر الا ان الذهبي قال
في ميزانه انه لم يصح والمطيطا بضم الميم وفتح الطا المهملة ومثناة تحتية
ساكنة والقصر ممدود كما في الصحاح ويقصر ايضا كما في النهاية وهو مبني على
التصغير كالكميت وهي مشية فيها مد اليدين وهو منصوب على المصدرية والمراد
به التبختر وهو كالثريا والريطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى
مد او من مطا يمطو كما بين في كتب اللغة وخدمتهم بنات فارس والروم اي الخدما
الجواري والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كانوا محل
سبيهم لاهل الاسلام كثيرا ولانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة ارقا
لاهل الاسلام وفيه اشارة لعزهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف
ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم ايضا وهو معرب بارس بالبا العجمية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا يدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف ايضا سموا باسم ابيهم رد الله باسهم
بينهم جواب اذا والباس معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة ووقوع
القتال بينهم لان الله كان اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بايقاع الرعب في قلوب
اعدايه الكفرة وبقي من ذلك اثر فيمن اقتدى به من الخلفا فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع
الخوف من قلوب الاعدا وصار بعضهم يعادي بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد
والتباغض وطلب كل منهم ما في يد الاخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار الامر لمن غلب
وتسلط شرارهم على خيارهم الشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى
اخير او مخفف خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما
قبله وكان ابتدا ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي ذرياتهم واستخدامهم
وتنافسهم في الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الآن واخبرهم صلى الله عليه
وسلم بقتالهم الترك كما ورد في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا
الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة وقد
ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التا جيل معروف من الناس
يقال لهم بنو قنطورا وهي امة لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف
في نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم اولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام
وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا ياجوج وماجوج وعلى كل حال فهم قوم
من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقايع مشهورة
كوقعة جنكيز وهلاكه المفصلة في التواريخ والخزر بضم الخا وسكون الزاي
المعجمتين وبرا مهملة وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل انهم
من التاتار لانهم جمع اخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم الاكراد
ووقايعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما اخبر به صلى الله عليه وسلم ويروى
الخزر بفتحتين ايضا وفي بعض نسخ الشفا بخا مضمومة وواو وزاي معجمة ساكنة
وفيه نظر والخزر ضيق العين كما علمت اولا فلا وجه لها والروم اي مما وقع
من اخباره صلى الله عليه وسلم اصحابه اخباره بما سيكون من قتال الروم وهم
قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحاق سموا باسم ابيهم ثم قيل روم
ورومي كزنج وزنجي وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من
غسان واصل مساكنهم جهة الشمال وذهاب كسرى بفتح الكاف وكسرها كما مر
اي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه وفارس من ارض العراق
وغيرها وقد تقدم بيانه حتى لا كسرى ولا فارس اي حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك
الى يوم القيامة ولا انما تدخل على نكرة فاما ان نقول انه نكر كما في هذا الحديث
لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى اي لكل جبار مبطل محق يغلب عليه
ولمحو اثره او فيه مقدر اي لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة بعده
اي لا يكون بعده من جنسه وذهاب قيصر ملك الروم بذهاب ملكه وقومه
حتى لا قيصر بعده وهذا مما رواه الشيخان ايضا بدون فارس الا انه
وقع في رواية من غير ربط بينهما وذكر صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به من

المغيبات

المغيبات التي كانت كما قال ان الروم اي جنسهم المعروف ذات قرون وفي نسخة ذات القرون
بالتعريف جمع قرن وهو الجماعة في عصر واحد اي كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم
منهم وقيل القرن السيد اي كلما هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته رواية كلما هلك قرن
خلفه مكانه قرن وقيل المراد قرون شعورهم التي كانوا يطولونها ويعقدونها للاشارة
الى طول همتهم الى اخر الدهر اي يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس فان الله مزقهم
ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم عليهم لما مزقوا كتابه لهم كما هو مذكور
في السير وقد تقدم ايضا وهو مشاهد الى الآن ليس لغيرهم ملك كملكهم وذلك
انه صلى الله عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك في عصره كتب لكسرى فلما قرا كسرى
كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل

وكسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد ✱ اذاقه الله تمزيقا بتمزيق

واما قيصر فلما اتاه كتابه صلى الله عليه وسلم مع دحية قبله واجله فدعا له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكروا ان مكتوبه صلى الله عليه وسلم
الى الآن عند ملوكهم بخلق نه وهو محفوظ عندهم في صندوق من ذهب واوصى بعضهم
بعضا بحفظه فان ملكهم لا يزال قايما ما دام هذا الكتاب عندهم حتى انهم اخرجوه
لابن الصايغ الحنفي لما ارسله السلطان قلاوون الى ملك الفرنج بالمغرب لامر
مهم وقالوا له هذا كتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به وكان عند ملك طليطلة
وهو الى الآن عندهم ولكن الله يهدي من يشا واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه بذهاب
الامثل فالامثل من الناس الامثل هنا بمعنى الاشرف لانه اكثر مماثلة ومشابهة لاهل الحق
والصدق الاول والفا للترتيب والتفاضل لاثباته للاول ثم للثاني وهكذا الى ان يبقى
حثالة لا عبرة بهم وفي الصحاح فلان امثل بني فلان اي ادناهم للخير وهولا اماثل
القوم اي خيارهم اي اعلمهم صلى الله عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير فالخير
وفي البخاري يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حفالة كحفالة الشعير
او التمر لا يباليهم الله بالة اي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والحثالة
بالفا والثا المثلثة من كل شي رديه وتقارب الزمان في حديث رواه الترمذي
عن انس رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة
كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار
بضاد مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة وهي حشيش يحترق بسرعة والتقارب
تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه من بعض ويقال
للقصير متقارب ومتقارف وهذا يكون اذا قربت الساعة في اخر الزمان كما ورد
التصريح به في بعض الروايات واختلفوا في معناه فقيل المراد انه يوسع عليهم
من الدنيا فيستلذون معيشتهم ويكونون مسرورين وما زال الناس يصفون الايام
الهنية بالقصر وللشعرا فيها مبالغات ومعان لطيفة يعرفها من له المام بالادب
كقول ابي تمام

اعوام وصل كان ينسي طيبها ✱ ذكر النوى فكانها ايام
ثم انبرت ايام هجر اعقبت ✱ نحوي اسى فكانها اعوام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ● فكأنها وكأنهم أحلام ●

وهذا المذكور هو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه الكرماني بأنه لا يناسب قوله بعده وقبض العلم وقال ابن حجر إنما احتاج الخطابي لتأويله بما ذكر لأنه لم يقع ما هذه النقص في زمنه والذي تضمنه الحديث نجده في زماننا هذا فإنا نجد من سرعة الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبله وإن لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل

كفى حزنا أن لا حياة هنيئة ● ولا عمل يرضى به الله صالح ●

فالحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو الذي ارتضاه النووي رحمه الله وقيل المراد بتقاربه وقصر قصر الأعمار فإن كل قرن أهله أقصر أعمارا من أعمار القرن الذي قبله وقال البيضاوي في شرح المصابيح المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها وهنا وجه آخر قريب من الأول وهو أنه لكثرة الظلم والأحزان والاشتغال بأمور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون حتى أوقاتهم ولا يشعرون بها كما قلت

لهذا الزمان معشر ذهبت به ● بركاته إذ زادت الآثام ●
وما ذاك إلا أنه قد فر من ● جور وقد جارت به الحكام ●

وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله وظهور الفتن والهرج وهي جمع فتنة وهي معروفة وهذا أيضا شاهدناه وقبض العلم بمعنى أخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى إلا ناس جهلة إذا استفتوا أفتوا بغير علم ولهذا فسره صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه وموتهم بالكلية إنما يكون إذا قربت الساعة فلا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله فإنه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الراء المهملة وجيم بمعنى القتل وأصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره في الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل إنه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم في هرج ومرج وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها ويل للعرب من شر قد اقترب أي قرب ودنا زمنه وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما نالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر يشير بذلك إلى أمر عثمان وعلي رضي الله عنهما وويل مبتدأ وإن كان نكرة لما فيه من الدعاء مثل سلام عليكم وهي ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل في العربية واللغة والمراد بالشر ما مر لقوله اقترب وقيل إنه إشارة لفتح سد يأجوج ومأجوج لأن الحديث أوله قالت زينب رضي الله عنها استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب الخ فتح اليوم من ردم يأجوج أي السد وعقد تسعين يعني جعل سبابته مضمومة لأصل الإبهام يشير للفرجة اليسيرة بينهما عشيا بهم المشهور ومثله كثير في الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط في شروحه وأعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه أيضا بأنه زويت له الأرض

مبني

مبني للمجهول أي جمعت وضم بعضها إلى بعض حتى يطلع على جميعها فأريت مشارقها ومغاربها أي جميع الأرض وجوانبها كما ينضم البساط الكبير حتى يصير في محل واحد يحيط به الناظر إليه سريعا وأريت بضم الهمزة مبني للمجهول أي أراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع كما في قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وقيل إنه لم يذكر الجنوب والشمال لأن معظم امتداد ملك هذه الأمة في جهتي المشرق والمغرب وهكذا هو في الواقع كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وفي قوله وسيبلغ أي يصل ملك أمته أي سلطانهم وحكمهم إشارة إليه ما زوي له صلى الله عليه وسلم منها أي الأرض أو المشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيلية بيانية أو تبعيضية لما مر وكذلك كان أي وقع ما ذكر من الامتداد امتدت مملكتهم واتسعت أو أمته بمعنى انتشرت في نواحيها في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند بيان للمشارق والمغارب أو بدل أقصى المشرق بيان لأرض الهند أو بدل أيضا إلى بحر طنجة بفتح الطاء المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب حيث لا عمارة وراءه أي انتهت إلى مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين أي ليس بعده بلاد ولا جزائر معمورة وطنجة لفظ بربري وهي مدينة عظيمة فتحت في الإسلام ثم استولى عليها النصارى في سنة سبعين وثمانمائة بعد فساد عظيم ولما رأى المسلمون أن لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم فإنا لله وإنا إليه راجعون ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا أكثر البلاد فعاد الإسلام غريبا كما بدأ ومن أراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الأندلس وذلك الذي امتد لهذه الأمة ما لم يملكه أحد من الأمم السالفة ولم يمتد الممالك الإسلامية في جهة الجنوب ولا في جهة الشمال مثل ذلك أي مثل امتدادها في المشرق والمغرب فما قيل في تفسيره أنه بلغ ملكهم أقصى الجهات الأربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لا يزال أهل المغرب سيأتي تفسيره مفصلا في كلامه ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة غاية لاستمرار ظهورهم بتأييد الله لهم وإعلائه لكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين أصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوي وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا في المشرق والمغرب أيهما أفضل فذهب إلى كل منهما طائفة وهو خلاف لا طائل تحته قال ابن العماد في كتابه كشف الأسرار استدل من قال بتفضيل العرب بهذا الحديث وأجيب بأن الثابت لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم بالشام فإن ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لأنه غربي المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر لأنه ليس المعنى على الظهور على الحق بل إنهم ظاهرون وإنهم على الحق وهو ضد الباطل أو هو متعلق بظاهرين بتضمينه معنى محافظين مثلا أو مبني على إقامة الحق وشعائر الدين ذهب ابن المديني في تفسير هذا الحديث وهو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح أبو الحسن إمام أهل الحديث وأعلمهم به في عصره وقال النسائي كأن الله لم يخلقه إلا لهذا الشأن وقال البخاري ما استصغرت نفسي إلا بين يدي

٧ ق

تلمساني

دلجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

علي بن المديني الخ وكان من احسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون
سنة وروى عنه البخاري وغيره من اصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول على
خلاف القياس والقياس مدني كما بينه النحاة والمشهور ان يقال مديني في النسبة لمدينة
المنصور فاينه وبين المنسوب للمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة
في الميزان وقال ابن الاثير النسبة الى المدينة مديني والاكثر مدني والمديني نسبة
الى مداين سبعة غيرها كما فصله وقال الجوهري المديني نسبة لمدينة الرسول
والمدني نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح في الكلام
على المسلسل بالاولية المديني نسبة الى مدينة اصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة
وفي القاموس النسبة لمدينة الرسول مدني ولمدينة المنصور واصبهان وغيرهما
مديني وقال الكرماني قال الحافظ المقدسي قال البخاري المديني الذي اقام بمدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدني الذي تحول عنها وكان منها
انتهى اي الخصم العرب مطلقا ووجه تسميتهم باهل الغرب بقوله لانهم المخصوصون
بالسقي بالغرب بفتح الغين المعجمة وسكون الرا المهملة والموحدة وهي الدلو
العظيمة المعروفة تذكر وتؤنث سماعا وقيل المراد بالغرب في الحديث الحدة
والشوكة وتقدم تفسيره بالشام ايضا ومنه غرب الشباب لحدته وللغرب
معان كثيرة في كتب اللغة وغيره اي غير ابن المديني من علما الحديث يذهب الى انهم
في الحديث اهل المغرب بميم في اوله وقد ورد المغرب كذا اي بهذا اللفظ في بعض
الروايات وهو مؤيد للتفسير الثاني ولا يعينه لاحتمال انه روي في الحديث
بمعناه بنحو رواية بالمعنى ولولا هذا لم يفسر بغيره وفي حديث اخر من هذا
القبيل رواه الطبراني وعبد الله بن احمد بن حنبل من رواية ابي امامة عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم من الكفرة بالجهاد في سبيل الله حتى ياتيهم امر الله يعني الساعة
واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها او المراد انهم لا يعدم ظهورهم
كقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرماني وغيره
وهم كذلك اي باقون على حالهم والجملة حالية قيل يا رسول الله واين
هم من البلاد ومقرهم قال ببيت المقدس بالاضافة وفيه لغات فمقدس كمرجع
اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر اي المكان الذي يطهر فيه العابد
من الذنوب او يتطهر فيه للعبادة من الاصنام وثانيها ضم الميم وفتح القاف
والدال المشددة اسم مفعول من التقديس اي التطهير وثالثها بكسر الدال المشددة
اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف
والاظهر الاضافة والظاهر ان الطائفة المذكورة الامرا والحكام وولاة الامور
لانهم المعروفون بالقهر والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقها
والمحدثين وكل من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال البخاري هم اهل
العلم ونقل عنه ايضا انهم اهل الحديث وكل محتمل والتعميم اولى كما لا يخفى

وفي

وفي شرح مسلم للنووي بعد ما ذكر رواية اهل الغرب من طرق متعددة وصحتها انه يدل
على ابطال التاويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة الى اقصى بلاد المغرب
فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفي رسالة للطرطوسي
ارسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها ما ادري ارادكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بهذا او الملا انتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفا
اثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله عنهما بملك بني امية وهذا من جملة ما
اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن ابي العاص
ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا من طريق اخر
في سنده ضعف وولاية معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس ولقد
اجاد المصنف رحمه الله اذ عبر في بني امية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر في معاوية
رضي الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما ستبينه من قريب والفرق بين
الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغلب والخلافة ما كان
ببيعة اهل الحق لمن هو فيه جامع لشروط الخلافة المذكورة في الاصول والولاية
اعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفا وغيرهم كما في الحديث الاتي
مع الكلام عليه الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما
تقدم كان اولا اميرا ثم صار ملكا وهو اول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن
رضي الله عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا وليس عثمان
رضي الله عنه من بني امية لانه خليفة بحق قطعا ويقينا وان كان منهم نسبا لان ابا
سفيان كما علمت ابن حرب بن امية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرناه وقيل انه اول
ملوك بني امية ولكل وجهة وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم راى
مناما بني امية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله
عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني امية كان الف شهر لا تزيد
ولا تنقص فاعطى الله امته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من
العجايب الواقعة في تلك الليلة مما لا يعلم مقداره الا الله تعالى يعرف
ذلك من الهمه الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار الخفية
مما لا يخفى على ذي بصيرة ووصاه اي وصى عليه الصلاة والسلام معاوية اذا
تملك بالعدل والرفق لما قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه فما
زلت اطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل في
قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضي الله عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى
البيهقي عن معاوية انه قال ما حملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم
يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا ان له شواهد منها ما روي انه
تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت
امرا فاتق الله واعدل وروي ما يقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة
ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ومنه ايضا قعود له واتخاذ بني امية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مال الله دولا كما ورد في حديث رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله
عنه اذا بلغ بنو ابي العاص اي بعينه ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا
ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح
وهو ما يتداول اي يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه
فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم اول من فعل ذلك في الاسلام
واول ملوكهم بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم ثم ولي ابنه عبد الملك وختمت
دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المؤرخون ومنه ايضا خروج ولد
العباس بعد انقراض الدولة الاموية اي ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد في
حديث رواه احمد والبيهقي بسند فيه ضعف وهو مما اخبر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايضا والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثاني ه
بالرايات السود اشارة الى ما في هذا الحديث تظهر الرايات السود لبني العباس حتى
ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم وفي رواية تخرج
الرايات السود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا اي بيت المقدس وفي
سنده ضعف وكان صلى الله عليه وسلم اخبر العباس ان الخلافة تكون في ولده فكانوا
يتوقعون ذلك وقد روي تبشيره صلى الله عليه وسلم بذلك له ولام الفضل
زوجته من طرق افردها السخاوي بتاليف ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان
شعار بني العباس السواد في لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى الله عليه وسلم
اخبرهم بذلك وقيل سببه ان مروان الحمار اخر بني امية لما بلغت دعوة ابي
مسلم الى محمد بن علي الامام ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان
وسجنه فلما احس بالقتل اوصى اتباعه بالثبات على امرهم واستخلاف اخيه
السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا للحزن عليه وحثا للاخذ بثاره فاستمر ذلك
فيهم ولا منافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المامون بن الرشيد في سنة
احدى ومائتين فامر بترك السواد ولبس الخضرة المحببة للعلويين حتى خلع
اخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضي فمات ولم يتم امره فكلمه العباسيون
في اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا اول لبس العلويين الخضرة
وليس مبداوه كما توهمه المتاخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمرسوم
الملك الاشرف شعبان وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة • ان العلامة شان من لم يشهر •
نور النبوة في كريم وجوههم • يغني الشريف عن الطراز الاخضر •

وقال ابن حبيب

عمائم الاشراف قد تميزت • بخضرة رقت وراقت منظرا •
وهذه اشارة ان لهم • في جنة الخلد لباسا اخضرا •

وقال ابن المنذر

اطراف تيجان اتت من سندس • خضر كاعلام على الاشراف •
والاشرف السلطان خصهم بها • شرفا ليفرقهم من الاطراف •

ولكن

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث
شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم
به فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن
فلا يؤذين وهو كلام حسن وملكهم اي تملك بني العباس الخلفاء اضعاف ما ملكوا اي اضعاف
تملك بني امية واضعاف خلفائهم فاولهم السفاح بويع في ربيع الاخر سنة اثنتين
وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسماية وكانوا نحو ثلاثين ببغداد ثم
انقضت تلك السنون واهلها ولله الامر من قبل ومن بعد • وخروج المهدي في اخر
الزمان كما ورد في حديث رواه اصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة الا انه قيل ان
اسانيده لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتاليف فقيل انه عباسي وقيل
انه علوي وانه يملك سبع سنين وكنيته ابو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفي زمنه
ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذكره
النبي صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه واحواله مبسوطة في تذكرة
القرطبي وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبل مسلمان سليمان عليه الصلاة
والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر وما ينال اهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستتر يعود لما
فاعل منصوب ويجوز رفعه بتقدير اي ما يناله اهل بيته وما قيل انه لا يجوز رفعه
لا وجه له اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات كما في حديث رواه الحاكم
ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي والتشريد
الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال تعالى
فشرد بهم من خلفهم وقتل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اي مما اخبر به صلى الله عليه
وسلم قتل علي كما رواه احمد والطبراني في حديث فيه وان اشقاها اي اشقى الخلائق
او الدنيا او الطائفة الخوارج او اشقى هذه الامة الذي يخضب هذه اشارة الى
لحيته من هذه اشارة لراسه اي يضربه على راسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته
والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما يغير الخضاب ففيه
استعارة وهو عبد الرحمن بن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم على زنة
اسم المفعول كما قاله النووي في تهذيبه وغيره اي لحيته من راسه اي من دمها
وهو تفسير لما قبله وقصته الخوارج والتحكيم وقتل علي مشهورة لا حاجة لنا بها
وكذا قصة قتل اهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا وانه يعني عليا كرم الله
وجهه قسيم النار ظاهر كلامه ان هذا مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم الا انهم
قالوا لم يروه احد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال في النهاية الا ان عليا قال انا
قسيم النار يعني اراد ان الناس فريقان فريق معي فهم على هدى وفريق علي فهم
على ضلال فنصف معي في الجنة ونصف علي في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره
على لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه انا
ومن معي قسيم لاهل النار اي مقابل لهم لانه من اهل الجنة وقيل القسم القاسم
كالجليس والسمير وقيل اراد بهم الخوارج ومن قاتله كما في النهاية بدخل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اوليآؤه الجنة اي من والاه ونصره وكان من حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخا
المعجمة ويجوز ضم اوله وكسر ثالثه فيرفع اولياؤه او بنصب او تدخل بفوقية وذلك باذن
من الله تكريما له على الناجي لان كبار الائمة لهم شفاعة ثمة كما ورد في الحديث ويدخل
اعداؤه النار لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفي الغيلانيات انه ينادي يوم القيامة
اين اصحاب محمد فيؤتى بالخلفاء رضي الله عنهم فيقول الله لهم ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من
شئتم او ما هو بمعناه فكان ممن عاداه اي اظهر العداوة الخوارج وهم الذين خرجوا عليه
عند التحكيم فكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة وصيام وقد اخبر عنهم النبي صلى الله عليه
وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلي رضي الله عنه وقايع مدونة في التواريخ وهم الفرقة
الضالة ولهم اعتقادات فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارجي وخارجي
والناصبة اي الفرقة او الطايفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم يتدينوا
ببغض علي كرم الله وجهه قال ابن السيد من نصبت الشركة والحبالة فاستعير ذلك
لكل من يكيد ويوقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفي الكشاف النصب بغض
علي وعداوته وهو بالصاد المهملة وهم من الخوارج ايضا وطايفة ممن ينتسب
بالياء التحتية او بالمثناة الفوقية وهي ينتسب افتعال من النسبة اليه اي الى علي
لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك الطايفة من
الروافض من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة كفروه اي
نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهي حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون
للتحكيم وقولهم لا حكم الا لله وهي كلمة حق اريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة
ايضا وفي قوله السابق ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس محصورا فيمن ذكر
فان كثيرا من بني امية والعباسيين اظهروا عداوته وسبه وقال صلى الله عليه
وسلم كما رواه الشيخان بقتل عثمان وهو يقرؤ القران في داره في المصحف وروى
الترمذي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما
يعني عثمان رضي الله عنه وحسنه وهو من جملة ما اخبر به من المغيبات فكان كما قال
والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها كما يأتي وان الله عسى ان
يلبسه قميصا اي لعله هنا تادبا لعدم جزمه واستعارها للاستقبال اللازم
للترجي اي سيلبسه واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة بقوله وانهم يريدون
خلعه ان الضمير للقميص ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا لخلعه
فلم يرض لانه صلى الله عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله
بدمه سبعين الفا قتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها
وهو حديث حسن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه اي عثمان اصبح يحدث الناس فقال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صايما وقتل في
يومه وانه سيسقط دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اي ياخذ ثارك
ممن يقتلك وهذا ما رواه الطبري في كتابه الرياض النضرة ورواه الحاكم عن ابن
عباس وقال الذهبي انه موضوع وتبعه السيوطي والظاهر منه ان دمه وقع
على هذه الاية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقرؤها وهو بعيد وفيه اخبار

مغيبات

بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القران يسجح في مصحف فانه لم يكن
في زمنه صلى الله عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان بن سرحان وقيل الاسود
التجيبي وهذه اول فتنة ومصيبة وقعت في الاسلام

ومن لم يغابن الدهر لم يعرف الاسى ◦ وفي غير الايام ما وعد الدهر

ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم ان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا روى البيهقي هذا الحديث
عن ابن عمر رضي الله عنهما والشيخان عن حذيفة ولقي يوما عمر ابا ذر فاخذ بيده وعصرها
فقال دع يدي يا قفل الفتنة فقال له ما هذا يا ابا ذر قال جئت يوما ونحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان تتخطى الناس فجلست في ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة
ما دام هذا فيكم وقال عمر رضي الله عنه يوما ايكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا امير المؤمنين
ان بينك وبينها بابا مغلقا قال ايفتح ام يكسر قال يكسر قال اذا لا يغلق ابدا فقيل
له اكان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغد الليلة اقول في هذا اسرار من كنايات البلاغة
عجيبة فان قوله فيه تموج اشارة الى الغالب فتنة المال والاولاد وقوله يكسر يشير
الى انه يقتل فينحجر الناس على الخلفا والباب اذا انكسر لا يغلق وقوله دون الغد
الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سال ليعلم هل علمه غيره ام لا وخطب خالد
ابن الوليد يوما فقال ان امير المؤمنين قد بعثني الى الشام وهو بهمه فالقى بوانيه
بثنية وعسلا اراد ان يؤثر به غيري فقال له رجل اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت
فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذي بلي او بذي بليان
فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان
تدركني واياكم اولئك الايام وبوانيه جمع بانية اي خيره وسعته والبثنية حنطة
منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هي الزبدة اي كانها عسل وزبد لما يجبي
من اموالها وذي بلي وذي بليان يريد به طوايف بلا امام وكل من بعد حتى لا يدري
موضعه فهو بذي بلي من بلي في الارض اذا ذهب اراد ان امور الناس تضيع بعد
عمر رضي الله عنه واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من طرق وهو
مما اخبر به من المغيبات بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له وكان صلى الله عليه وسلم
راهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن عمتي صفية
وعلى ديني فقال للزبير اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن خالي وعلى ديني فقال اما
انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي الله عنه وقال
ناشدتك الله اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وانت
لي ظالم فقال نعم ولكن انسيته وانصرف عنه فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن
جرموز وهو نايم فقتله واتى براسه كما فصله المؤرخون ومما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات نباح كلاب الحوءب على بعض ازواجه يعني عائشة رضي الله
عنها وهو بحا مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ما او موضع وقع
فيه الماء في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة قال ابن عبد ربه في العقد بعضهم
يقول فيه الحوءب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور الاول قال الشاعر من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخوارج وانا البريء من الزبير وطلحة ومن التي تنبحها كلاب الحوأب
وفي معجم البلدان اصل معناه الوادي الواسع وانما كان المراد عايشة رضي الله عنها لانه صلى
الله عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساؤه يتحدثن معه فقال ايتكن تنبحها كلاب الحوأب
سايرة الى المشرق في كتيبة فكانت عايشة في وقعة الجمل ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه
فسالت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس بالحوأب
والحوأب ايضا اسم مخلاف بالطايف قتلت فيه سلمى المرادية عتيقة عايشة وقيل ايضا
انها المرادة بالحديث ايضا لانها كانت مع نسايه صلى الله عليه وسلم لما حدثهن به كما
في المعجم والصحيح خلافه لما ياتي في بقية الحديث والنباح بضم النون وكسرها صوت
الكلب والتيس وقيل انه اي الحوأب سمي باسم حوأب بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن
ماكولا واختلف في وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث
صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضي الله عنه لان عايشة
ذهبت معه لتصلح بينه وبين علي فاتفق ما اتفق في وقعة الجمل واخبر صلى الله عليه
وسلم في هذا الحديث انه يقتل حولها من كان معها قتلى كثيرة وقيل كانوا نحو ثلاثين الفا
وتنجو اي تسلم هي بعدما كادت اي قاربت عدم النجاة فنبحت كلاب الحواب على
عايشة عند خروجها الى البصرة وهذا الحديث صحيح كما مر وروي من طرق عدة فعن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لنسايه ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الاذبب
تنبحها كلاب الحوأب والاذبب كثير شعر الوجه وفك ادغامه لمشاكلة الحوأب
فكان ما اخبر به لانه لما قتل عثمان رضي الله عنه وكانت هي وامهات المومنين حاجات
في ذلك العام فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشي
الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عايشة رضي الله عنها وحثتهم
على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت
فنحن معك فسارت في هودجها على جمل يقال له عسكر وودعتها امهات المومنين
يبكين فسمي ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحوأب وانا خواحملها
نبحتها الكلاب فقالت ردوني واخبرت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لها الزبير يا ام المومنين اصلحي بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان ومما
اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار بن ياسر الصحابي المشهور تقتله
الفئة الباغية من البغي وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبي
صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وروي وقاتله في النار فقتله
اصحاب معاوية وكان هو مع علي بصفين وهو صريح في ان الخليفة بحق هو علي رضي
الله عنه وان معاوية مخطي في اجتهاده كما في حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية
مع الحق وابن سمية هو عمار رضي الله عنه كان مع علي وهذا هو الذي ندين الله به
وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب في عدم تسليم قتلة عثمان
ومعاوية رضي الله عنه مجتهد مخطي فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال
وقد تاول معاوية حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره فقال انما قتله من اخرجه
ولذا قال علي كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حمزة

رضي الله عنه لما اخرجه لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين
سنة قتله ابن الغادية واحتز راسه ابن جزء ودفنه علي رضي الله عنه وقال صلى الله عليه
عليه وسلم في حديث تقدم لعبد الله بن الزبير لما شرب دما من فصلاته صلى الله عليه وسلم
ويل للناس منك وويل لك من الناس وويل هنا للتحسر والتاسف وتكون للدعا بالهلاك
وكان صلى الله عليه وسلم احتجم واعطاه دمه وقال له اريقه في محل لا يرى فلما رجع
قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة
فضلاته صلى الله عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والجراة
مكتسبة من ذلك الدم والدم فيه من الناس الجنى وويله من الناس لان من كان على الحق
جريا على المقاتلة عليه يكثر اعداوه وحساده وينال من الناس اذى ووقع له ذلك رضي
الله عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما اخبر به صلى الله عليه وسلم فلم يرق ذلك
الدم حتى اراق دمه وقال صلى الله عليه وسلم في اخباره عن المغيبات في حديث صحيح
رواه الشيخان في حق قزمان بقاف مضمومة وزاي معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض
الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قاتل قتالا شديدا يوم احد لمحاربة رضي الله عنهم
كما اشار اليه بقوله وقد ابلى مع المسلمين وابلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام والف
مقصورة فعل ماض من ابلى بمعنى اختبر ويقال ابلى بلا حسنا في الحرب اذا صبر في قتاله
واجاد والجملة حالية اي ابان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد اطلع
الله نبيه صلى الله عليه وسلم على حاله فقال فيه انه من اهل النار فعجب الناس
من ذلك فاظهر الله لهم فقتل نفسه لما كثرت الجراحة فيه واثخنته واختلفت
الرواية في اي موطن قال صلى الله عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته
لرواية الشيخين له عن ابي هريرة فقيل انه كان ذلك باحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان
حنين الواقع في صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمهما لها خطا وقيل ان القصة تعددت
فانه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته راى رجلا فقال انه من اهل النار فلما
قاتلوا قاتل معهم اشد القتال حتى اثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم
انه من اهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه الم جراحاته فقتل
نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل اخرج من
كنانته سهما نحر به نفسه وقيل قطع عروق يديه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
تصديقا لمقالته فقال ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وامر مناديا ينادي في الناس
انه لا يدخل الجنة الا مومن اي مومن كامل او قد علم منه انه منافق او انه ارتد قيل
مؤنة والمنادي قيل انه عمر رضي الله عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف
وجمع بين الروايات بتعدد القصة او بانه وقع كل ذلك من تحامله وغيره وتعدد
من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لظاهر العمل ولا الاتكال عليه وروى
الطبراني والبيهقي من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع
انه صلى الله عليه وسلم قال في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم ابو
هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب اخركم موتا في النار اخركم مبتدا اخبره محذوف
تقديره يموت موتا في النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر

أو بالمقدر أو آخركم فاعل بموت وأما كونه مبتدأ وموتا تمييز والظرف خبره وإن احتمل
فليس بمراد ولذا قيل إن فيه إيهاما وتورية لأن المراد أنه يحترق في الدنيا حتى يموت
به لا أنه يدخل نار جهنم لأن ابن عساكر روى عن ابن سيرين أن سمرة أصابه كزاز
وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفأ منه فكان يوقد له قدر عظيم مملوءة ماء سخن ويجلس
عليه ليدفأ من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل إنه مات في حريق قيل ويحتمل
أنه على ظاهره بأن يدخل النار في الآخرة ثم يخرج لأمر صدر منه والذي صححه البيهقي
وغيره الأول وإليه يشير المص بقوله فكان بعضهم أي بعض من قيل في حقه ذلك
ممن تقدم يسأل عن البعض من رفقائه الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم ما مر
قال ابن حكيم الضبي كنت إذا لقيت أبا هريرة سألني عن سمرة فإذا أخبرته بصحته
فرح فسألته عن ذلك فقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله عليه وسلم آخركم
موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان إذا قيل له مات
سمرة يغشى عليه حتى مات قبله فكان سمرة آخرهم موتا هرم بزنة علم أي كبر سنه
وضعف بدنه وأصابه هزال الشيخوخة وخرف بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة
مكسورة أي فسد عقله وتغير من الكبر فاصطلى أصله اصتلى فأبدلت التاء طاء لمجاورة الصاد
أي تدفى بالنار أي بنار أوقدها له فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه
عن الحركة فعلم صحة ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ولم
يكشف لهم الغطا عن مراده ليجدوا في أعمالهم ويديموا على الخوف والمراقبة
أو لأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في ذلك وهو من الحكم الخفية قيل إن ما
ذكر لم يرو متصلا عن غير المص ولم يذكر أحد أن سمرة حرق بل لم ينقل أن أحدا من
الصحابة حرق إلا بسر بن أرطاة أو ابن أبي أرطاة على القول بأنه صحابي وقد
نفي بسر أو سفينة مولاه صلى الله عليه وسلم كما قاله البرهان وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه قال في
حنظلة بن أبي عامر الأنصاري الصحابي المشهور بالغسيل فعيل بمعنى مفعول
من الغسل سمي بذلك لأن الملائكة غسلته لما استشهد بأحد وكان جنبا
فقتله أبو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن أوس الليثي وهو حنظلة
ابن عامر الراهب الذي لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاسق فرأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة تغسله مع أنه شهيد فقال سلوا
زوجته يعني امرأته ورد زوجته فإنه يقال للمرأة زوج كالرجل في الفصيح وقد
يقال زوجة للفرق عنه أي عن حاله فإنه صلى الله عليه وسلم علم أن تغسيله
لجنابته وهي لا يطلع عليها غيرها كما أشار إليه بقوله فإني رأيت الملائكة
تغسله والشهيد لا يغسل وكان ذلك بأحد فسألوها فقالت إنه خرج
من بيته لأحد جنبا من جماع امرأته أعجله الحال أي عجلة الجهاد والخوف
برسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغسل بضم فسكون عن أن
يغتسل من جنابته لخوفه أن يبطئ عن حضوره معه صلى الله عليه وسلم فيفوته
ذلك الموقف وفي رواية قالت كان جنبا فغسلت إحدى شقي رأسه فلما سمع صوتا

خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته في تلك الليلة وهي جميلة بنت أبي بن سلول المنافق
قال أبو سعيد بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا ووجدنا رأسه أي
رأس حنظلة لما قتل يقطر ماء من أثر تغسيل الملائكة له وهذا من ظهور ما في عالم الغيب
وهذا إنما وقع في بعض النسخ ملحقا بالأم والشهيد في المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا
هل يلزم تغسيله أم لا اختلف فيه فقيل يجب لأنه سبب آخر وهو ظاهر الحديث والكلام
عليه مفصل في كتب الفقه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أحمد والترمذي وهو
مما أخذ فيه إذ فيه مع الحكم إخبار ببعض المغيبات الخلافة في قريش ولو كان هذا مجرد
الحكم لم يكن مما أخذ فيه لأنه صلى الله عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع أم لم يقع وقد
وقع كما أخبر مدة طويلة إلى انقضاء دولة بني العباس وفي حديث آخر رواه البخاري
لن يزال هذا الأمر يعني الخلافة في قريش ما أقاموا الدين بيان لغايته أي ما حموا شوكة
الإسلام وأقاموا شعائر الدين الظاهرة فإذا غيروا غيرهم الله ونزع الملك منهم وقد
وقع كما قال صلى الله عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج لكلام طويل طويناه
خوف السآمة والملل وفي رواية حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة وما ظرفية
مصدرية أي مدة إقامتهم والإجماع منعقد على أن الخلافة مختصة بقريش
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم والبيهقي يكون أي يوجد بعده
صلى الله عليه وسلم في ثقيف قبيلة معروفة كذاب ومبير أي مهلك يكثر القتل
بغير حق من البوار وهو الهلاك قال تعالى وكنتم قوما بورا أي هالكين فأوهما
من الرأي أي رأي العلماء أن المراد في الحديث بهما الحجاج بن يوسف الثقفي وهذا مما
أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ففي حديث أسماء رضي الله عنها من طريق مسلم
أنها قالت للحجاج إن في ثقيف كذابا ومبيرا أما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا
إخالك إلا إياه وقال النووي رحمه الله أجمع العلماء على أن المبير هو الحجاج وقال
هشام بن حسان إنه قتل مائة وعشرين ألفا والكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي
ابن مسعود بن عمرو بن عمير ففي عبارته لف ونشر مشوش وأبوه أسلم في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تره فلم يعد في الصحابة والمختار هذا كان يزعم أن جبريل
عليه الصلاة والسلام يأتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد بن الحنفية واستحوذ على
الكوفة وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الأخذ بثأر الحسين فقتل كثيرا
من قتلته وعظم أمره وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى إليه وله كرسي يضاهي به تابوت
علي بو
بني إسرائيل هو ضال مضل واستمر ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وأمر
الحجاج أشهر من أن يذكر وأن مسيلمة يعقره الله أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن عباس رضي
الله عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب وأن الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير
فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ فيح كما مر وهو رجل من بني
حنيفة كنيته أبو ثمامة ادعى النبوة وزعم أنه يأتيه الوحي نغزان فكان
له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها ولما قدم وفد بني حنيفة المدينة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الامر لي بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله فقال لو سالني هذه
الشطبة ما اعطيتها له ثم رجع معهم ولحق ببعض بلاده فافتتنوا به وزعم ان النبي صلى
الله عليه وسلم اشركه معه في امره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون
فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما
بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب
وكتب كتابا من عنده اظهره لاصحابه زعم انه صدقه فيما قاله فكذبه من بني حنيفة
ثمامة بن مالك رضي الله عنه ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مومنا رضي الله
عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك • فانك في الامر لم تشرك •
كذبت على الله في وحيه • هواك هوى الاحمق الانوك •
فما في السما لك مصعد • وما لك في الارض من مبرك •

وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
جمع جموعا سفها فجهز له ابو بكر رضي الله عنه جيشا اميرهم خالد بن الوليد
رضي الله عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه
وشاركه فيه فاتك والعقر اصله يستعمل في الحيوان كعقر الناقة ونحوها ففيه
اشارة الى انه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية فلم يدرك ولم يزك ومما اخبر
به صلى الله عليه وسلم لحاقا من المغيبات ما رواه الشيخان عن عايشة رضي الله
عنها ان فاطمة الزهرا ابنته صلى الله عليه وسلم ورضي عنها اول اهله لحوقا به اي
اول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من اهل البيت فماتت بعد ستة اشهر
وقيل ثمانية اشهر وقيل مائة يوم وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم واحبهم اليه
وهي اول من غطي نعشه من النسا في الاسلام واول الحديث انه صلى الله عليه وسلم
سارها في مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها ثانيا فضحكت فسيلت عن ذلك بعد
موته صلى الله عليه وسلم فقالت سارني اولا بانه يموت في مرضه هذا فبكيت ثم
سارني باني اول اهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها علي كرم الله وجهه ليلا واختلف
في محل دفنها فقيل في قبة ولدها الحسن قرب محرابها وروى احمد بن حنبل في المناقب
انها اغتسلت ولبست ثيابا لها وكفنا وقالت اني مقبوضة فلا يغسلني ولا يكشفني احد
فامتثل امرها وفيه كلام للفقها وانه هل يكفي غسلها في الحياة عن غسل الميت ام لا
لا انه يعارضه ما روي من انها امرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها وقيل انه من
خصايصها وفي اللالي للسيوطي عن ام سلمة قالت مرضت فاطمة فقالت يا امتاه اسكبي
لي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتي ثيابي الجدد فناولتها فلبستها فقالت
قدمي الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم مقبوضة فلا يكشفني
احد فقبضت مكانها وانى علي فاخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزي انه موضوع
ورد بانه رواه الطبراني الا انه يعارضه ما روي بخلافه كما مر ولعله من
خصوصياتها وانه صلى الله عليه وسلم اخبرها به وانذر بالردة اي اعلم صلى
الله عليه وسلم اصحابه بمن يرتد بعده وما يكون من قتالهم وقد وقع ذلك

وروي

بحر

في

في خلافة ابي بكر رضي الله عنه والانذار اخبار بامر مكروه مخوف ضد التبشير وهو
مما رواه الشيخان ابن اسحاق ابن عمر رضي الله عنهما وكان ذلك بعد ابتدا خلافة الصديق
بسبعة اشهر وستة ايام فانه بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد كثير
من الناس الا اهل الحرمين والبحرين فكفى الله امرهم بابي بكر رضي الله عنهم بعد ان قاسى منه
امورا شديدة ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات في حديث رواه اصحاب الكتب
الستة مسندا وفيه ان الخلافة اي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق وخلافة
النبوة انما تكون لمن يتمسك بالسنة من قريش وهي بعده ثلاثون سنة ثم تكون اي تتحول
الخلافة وتصير ملكا عضوضا اي سلطنة بالقهر والتغلب من غير وجود شروطها
فكانت الخلافة الحقيقية كذلك اي كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وتمت المدة التي
ذكرها بمدة الحسن بن علي بن ابي طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت خلافة الصديق رضي الله عنه سنتين واربعة اشهر وخلافة عمر رضي الله عنه عشر
سنين ونصفا وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة الا اياما وخلافة علي رضي
الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر واياما وفي المعرب خلافة ابي بكر سنتان وثلاثة
اشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال وعثمان اثني عشر سنة الا اثني
عشر ليلة وعلي خمس سنين الا ثلاثة اشهر فتتم المدة بمدة الحسن لما بويع في
عشر رمضان الاخير سنة اربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية في نصف جمادي الاولى
سنة احدى واربعين فمدته كانت سبعة اشهر ونصفا واياما فيهما تتم الثلاثون
كما ذكره المص والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين صيغة مبالغة وروي ثم
يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرس الخبيث والملك
السلطان والخليفة امير المومنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه خلفه في القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغيره اوده صلى الله عليه
وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن ابي عبيدة رضي الله
عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان هذا الامر اراد به دين الاسلام
وامر الشريعة المحمدية بدا نبوة في احد اي ابتدا في اول امره او بالغ مقصوره
بمعنى ظهر وبرز من كمون العدم الى الخارج والظاهر لا اول هنا نبوة ورحمة
بالنصب على الحالية او بنزع الخافض اي بدا بنبوته صلى الله عليه وسلم ورحمته
للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وامور الجاهلية وهذا في حياته صلى
الله عليه وسلم ثم تكون بعده رحمة وخلافة في زمن الخلفا الراشدين واخر
الرحمة اولا لانها نشات من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته
صلى الله عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت ثم يكون بعد الخلافة ملكا عضوضا
بفتح العين وضمها كما تقدم وفي رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية
او مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس يعض
من رآه ثم يكون بالتحتية والضمير للامر عتوا وجبرية العتو بضم العين الخروج
عن طاعة الله تعالى يقال عتا يعتو عتوا وعتيا والجبرية بفتح الجيم والموحدة
وتسكن ايضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار في الاصل حمل الغير

على ان يجبر الامر لكن تعورف في الاكراه المجرد فقيل اجبرته على كذا وسمى الذين يدعون
ان الله يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية
وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذي رواه
البيهقي ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا
وكائنا عتوا وجبرية وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون
على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان وروي بالرفع فكان
تامة وروي جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة ايضا وما قيل انه بمثلثة ومعناه
الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فالحال مؤكدة وقوله في الحديث
عتوا وجبروتا وفسادا في الامة يلزمه عطف الشيء على نفسه وفي الكشاف معناه
اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم انتهى وكونه اشد
الفساد يحتاج الى النقل وفي الصحاح ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه
ان يكون النهي عن التمادي في حال الفساد انتهى ملخصا وفيه بحث وانما تركناه لانه اطال
فيه من غير طائل وانا اقول لا يخلو ما في كلامه من الخبط فان العتو هنا بالمثناة فقط
والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة من قصور نظر فان مثله لا يطلب منه النقل
ومراده ان العثو ان كان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على الفساد
لان الاصل التاسيس وقد قررته في سورة البقرة في امر المؤمنين بالايمان ومثله كثير
ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن المغيبات ما اشار اليه بقوله واخبر صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه مسلم بشان اويس بن عامر المرادي نسبة لمراد قبيلة مشهورة
القرني بفتحتين نسبة لقرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهري في نسبته
لقرن المنازل كما غلط في فتح راء قرن المنازل كما في القاموس وتبعه بعض الشراح هنا
وقال ابن حجر في فتح الباري بالغ النووي في حكاية الاتفاق على تخطيئه في تحريك قرن
المنازل وحكى المص عن تعليق القابسي ان من قال بالاسكان اراد الجبل ومن قال
بالتحريك اراد البلد وقال الكرماني اويس القرني منسوب الى قبيلة بني قرن
ولا منافاة بينه وبين ما قدمناه وفي طبقات الاولياء للسرجي انه خير التابعين
مطلقا بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له وكان ادرك زمن النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتيكم اويس بن عامر مع امداد من
اهل اليمن من مراد من قرن كان به برص فبرا منه الا موضع درهم منه لانه
دعا الله ان يزيله الا لمعة اذكرها نعمه عليه فمن ادركه منكم فاستطاع ان
يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم بانه اشهل ذو صهوبة
بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى
موضع سجوده يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول في الارض معروف في السما
لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضا الا وانه اذا كان يوم القيامة
قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله في ربيعة
ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر سنة

يطلبانه

ابن افنوس

دبجي

يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر قام على ابي قبيس فنادى يا اهل اليمن
هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لا ندري ما اويس ولكن ابن اخ لي اخمل ذكرا واهون من ان
نرفعه اليك وهو في ابلنا يرعاها فخفي عليه عمر رضي الله عنه كانه لا يريده ثم قال اين هو
فقال باراك عرفات فركب عمر وعلي رضي الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلي فسلما عليه
وقالا من الرجل فقال راعي ابل اجير فقالا لسنا نسالك عن ذاك ما اسمك فقال عبد الله
فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذي سمتك امك به قال ما تريدان فاخبراه بما قاله
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما
جزاكما الله عن امة محمد خيرا واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال له عمر رضي الله عنه مكانك يرحمك الله حتى اتيك بنفقة من عطاي
وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة
ثم اقبل على العبادة وتوفي بصفين على ما قيل عام سبع وثلاثين شهيدا مع اصحاب
علي رضي الله عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان في زمن عمر رضي الله عنه
ومعنا اويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما
رجعنا لم نجد له اثرا والاول اصح لقول الجمهور انه اجتماعه بعمر في السنة
التي توفي فيها فكيف يكون غزا في ايامه وقيل دفن بدمشق والله اعلم انتهى
وهذا هو المراد بشانه الذي اشار اليه المص ومما مر علمت ان اويسا لم يرد قرن
باليمن كما توهمه بعض الناس وانه افضل التابعين وقد لقي عليا وعمر وادرك
زمنه صلى الله عليه وسلم لما ورد في الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل
يقال له اويس القرني وقال احمد بن حنبل افضل التابعين سعيد بن المسيب
قال العراقي لعل احمد لم يقف على هذا الحديث او لم يصح عنده وفيه انه
ذكره في مسنده ولم يضعفه وانما وجهه انه رواه ان من خير التابعين بمن
التبعيضية وقال النووي افضلية اويس بشدة زهده وخشيته لله
وافضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه للحديث فلا منافاة بينهما وقيل افضلهم
الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق
لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم
ما رواه مسلم من طرق عن ابي ذر رضي الله عنه بان امراء يؤخرون الصلاة عن
وقتها ولفظ الحديث كيف انت اذا كانت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
قلت فما تامرني قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها لك نافلة
وفي رواية والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تاخيرها
عن وقتها الاختياري لا عن وقتها مطلقا بشهادة امره صلى الله عليه وسلم
باعادتها معهم بعد ادائها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة
ولا جماعة في الصلاة المقضية والقول بان المراد تاخيرها عن جميع وقتها دعوى
بلا بينة وتلك لشهود لم تكن تقبل الرشا والمراد الامراء الخلفاء فيشمل الملوك
وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان او حاكم بلده يؤم
الناس في المكتوبات او يستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمن بني امية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا يقوم اول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا في زمن الحجاج وانكر عليه ذلك كما
اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه احمد والطبراني والبزار انه
قال سيكون في امتي وفي بعض النسخ في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة ادخال
النسوة فيهم بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد
في حديث اخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والذي ذكره المص رواية
اخرى وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم او المراد بالامة امة الدعوة والمراد بالكذب
فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله عليه وسلم
من الرجال لمسيلمة والاسود العنسي بالنون ومن النسا لسجاح التي ظهرت باليمن
وقصتها مشهورة وتعيينهم بما ذكر ورد مصرحا به في الحديث كحديث في امتي دجالون
كذابون وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولو استقصي عددهم لطال ما ذكر والدجال
الكذاب الذي يخلط ويلبس يقال دجل اذا خلطه وموهه ولبس فيه حين يخفى
ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة وفي حديث اخر رواه الشيخان
عن ابي هريرة رضي الله عنه ثلاثون دجالا كذابا عطف بيان على ما قبله اخرهم
الدجال الكذاب الاعور الذي يظهر في اخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه
وفي تذكرة القرطبي فيه اقوال اخر احدها انه ابن صياد يدعي الالوهية ويظهر امورا
خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز
كلهم يكذب على الله ورسوله كذبه على الله قوله انه اوحي اليه وعلى رسوله قوله
انه بشرني واخبر بنبوتي كقول مسيلمة المتقدم انه اشركني في امره ويحتمل ان يكون
الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل علي واوحي الي كذا وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه البزار والطبراني بسند صحيح من حديث طويل فيه يوشك
بضم اوله مضارع اوشك بمعنى قرب ودنا واسرع يقال وشك واوشك ان يكثر فيكم
العجم هم خلاف العرب مطلقا لان السنتهم عجم اي غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل
فارس والاول اقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما في كثير من
الدول كالمغربة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال
ياكلون افياكم جمع فيء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة
والاكل منه مجاز عن الاستيلاء عليه واخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير
وجه واضافة الافياء اليهم باعتبار استحقاقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم
مالهم الذي بايديهم سماه فيئا لانه مما افاء الله لهم بغير مشقة عليهم ويضربون
رقابكم اي يقتلونهم بغير حق والخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين
من العرب فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما في غيره من خطابات الشارع
وانما جعله قريبا منهم لان كل ات قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشارح
الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه اي يملك الناس
ويسخرهم كما يريد من غير مانع ولا كد وتعب وفيه استعارة تمثيلية

لتشبيهه

لتشبيهه براعي الغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى ضعف الناس
وجهلهم فكانهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت عصا
فلان اي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا رجل من قحطان اي من عرب اليمن وقحطان
ابو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقطن او يقطان وكان
تجبر ومنع ارزاق الناس فسمي قحطان لقحط الرزق بسببه وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الشيخان ايضا خيركم المراد امته ولفظ الصحيحين خير امتي
وهو المراد قرني اي عصري وزماني الذي انا فيه والمراد اهله لقوله ثم الذين يلونهم
اي يلحقون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان ثم الذين يلونهم
وهم تبع التابعين والقرن اهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في اعمارهم وجميع
احوالهم وفي تفضيله كلام تقدم والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده فهو
الظاهر فلا كلام فيه وان كان على الاطلاق فلا يلزم منه تفضيل اصحابه على الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد
على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتب كالافضل والافضل ولا شبهة في فضل العصر
وجملة اهله من غير تفضيل فلا ينافيه حديث امتي كالمطر لا يدرى الخير في اوله
ام في اخره فان هذا من واد وذاك من واد اخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة
من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة
وذاك بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم
واهم نظر لعمر بن عبد العزيز وما صدر منه ولعثمان وما كان في عمله
تفضيل لعصره فيضل ويضل ثم ياتي بعد ذلك قوم وروي ثم ان بعدكم قوما
يشهدون ولا يستشهدون اي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله
لا يعقل وهذا لا ينافي ما ورد في الحديث ان خير الشهود من ياتي بالشهادة قبل ان
يسالها فان هذا محمول على من كان عنده علم بامر وشهادة فيه وصاحبها لا يدري
بها عنده فيخبره بما عنده ليستشهده عند حاجته ولكل مقام مقال ويخونون
ولا يؤتمنون هو عطف مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن او المراد ظهور خيانتهم
حتى لا يامنهم احد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن او المراد انهم
يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن سرق او غصب ونحوه وينذرون بضم الذال
المعجمة وكسرها ولا يوفون بما نذروه من غير عذر ومانع لهم ويقال
وفى واوفى بمعنى ويظهر فيهم السمن اي عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة
على كثرة اكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم
في عواقب الامور وروي ياتي في اخر الزمان قوم يتسمنون وفي التوراة ان
الله يبغض الحبر السمين وفي الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان
بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه فمحل هذا الكناية عما ذكر لانه من
لوازمه غالبا فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة
خلقة انشاه الله عليها لقوة طبيعة البدن وقيل المذموم منه ما يكتسب دون
الخلقي لانه ورد في الحديث ويل للمتسمنات يوم القيامة اي اللواتي يتعاطين

الثمرة وهي دوابّ يتمشى بها وروي بخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهي السمن وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن انس رضي الله عنه لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه المستثنى جملة حالية يجوز في مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير بن عدي اتينا انس رضي الله عنه فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وروي اشر على الاصل كاخير والمستعمل منهما خير وشر وسمعا على الاصل نادرا وفي معنى هذا الحديث ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم قال كل عام ترذلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابت في احاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصري لما ذكر يحيى ابن عبد العزيز بعد الحجاج لا بد للناس من تنفس يعني ان الله يخفف عن عباده ويكشف عنهم البلا احيانا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش اغيلمة تصغير اغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو في حكم المفرد وفي القاموس جمع غلام غلمة واغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد فما في النهاية من انه تصغير غلمة على القياس ولم يرد في جمعه اغلمة ومثله اصيبية تصغير صبية كلام لا وجه له فان رد جمع القلة لجمع قلة اخرى في التصغير مما لا يعقل ولا يسمع ولما لم يرد غير هذا دلنا على انه سمع فيه اغلمة فلا حاجة للتعسف في تاويله والمراد هلاكهم ضياع امورهم وهلاك بعضهم قال ابو هريرة راويه اي راوي هذا الحديث لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان اي لو اردت ان اسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه اباح المدينة ثلاثة ايام وقتل من خيار اهلها ناسا فيهم ثلاثة من الصحابة وازيلت بكارة الف عذرا وكبني مروان بن الحكم وغيرهم من بني امية ولم يسمهم خوف الفتنة واخبر صلى الله عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث رواه الترمذي وابو داود والحاكم بظهور القدرية في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وهم لما قالوا بان الامور كلها ليست بقضا الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانها بقدرته سموا قدرية لاثباتهم للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على افعاله وشبههم بالمجوس لانهم اثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور الذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها اهرمن وهؤلا لما نسبوا افعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في الاصول واما معنى القضا والقدر فعند السلف القضا ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشيا خيرها وشرها والقدر ايجاده اياها على ما قضاه اولا وعند الفلاسفة القضا علمه بما عليه الوجود حتى يكون على احسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها على وفقه وهؤلا القدرية هم المعتزلة واما القدرية الذين انكروا القدر وان الامر انف اي مستانف لا يعلمه الله الا بعد وجوده فليسوا المراد بالحديث هم لانهم انقرضوا ولم يبق منهم احد والرافضة الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد

في حديث

في حديث رواه البيهقي من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون في امتي قوم في اخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وروي ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى وفيه بيان لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا حب الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما اخبر به الصادق الامين لما ظهر الفاطميون ومن بالعجم الان منهم وسب اخر هذه الامة اولها اي اخبر صلى الله عليه وسلم بان من تاخر من امته سيظهر سب اولها وهذا من المغيبات ورد في حديث رواه البغوي عن عايشة مرفوعا فقال لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عايشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ووقع من بني امية سب علي كرم الله وجهه على المنابر وادخل بعضهم في هذا من سب بعض الاوليا وعلما السلف وذكرهم بالسو وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفها يسبون العارف بالله تعالى سيدي محي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض ونحوهما من اوليا الله حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم اعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ونخشى على المتصدي لذلك من سو الخاتمة نفعنا الله ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم واخبر صلى الله عليه وسلم بقلة الانصار بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج وسموا انصارا لانهم نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم واووه وهو جمع ناصر او نصير غلب على هذه القبيلة ولذا نسب اليهم انصاري ولم يرد لواحده وهذا اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيئا يضر قوما فيه وينفع فيه اخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي ان اهل الاسلام لا يزالون يدخلون فيه افواجا افواجا وهو لا يقلون ويفني نسلهم فان خيار الاكثر قليل في كل جيل ولم تزل قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح في الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الان في المدينة لم يبق منهم الا اقل من القليل كما اشار اليه بقوله فلم يزد امرهم يتبدد المراد بامرهم ما به بقاوهم وانتظام حالهم من املاكهم فلا موالهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون حتى لم يبق لهم جماعة اي لم يبق من نسلهم قوم يجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه اولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحد منهم لم يقم بعده من يخلفه واشار لسبب ذلك بقوله وانهم سيلقون بعده اي يلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اثرة بفتح الهمزة والمثلثة والرا المهملة فتل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى يعني وهو الاستبداد وقيل الثاني شدة الاستبداد اي يلقون بعده صلى الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه وسلم من يوثر عليهم غيرهم ويقدمه عليهم في العطاء من الديوان فيقل فيهم
من الفيء فتضيق معيشتهم وفي نفسهم شرف وحمية فيتشتتوا ويتبدد امرهم
قال ابن سيد الناس كان ابتداء هذا في زمن معاوية رضي الله عنه ويجوز في اثرة
ان يكون جمع اثر ككاتب وكتبة اي اثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا
حتى تلقوني على الحوض والحديث طويل في الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن
المغيبات ومنه اخباره صلى الله عليه وسلم بشان الخوارج الذين خرجوا على امير
المؤمنين علي كرم الله وجهه بالنهروان وهم نحو اربعة الاف فقاتلهم حتى قتلهم
واستشهد بحربهم بعض اصحابه وقيل كانوا اكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه
الشيخان وصفتهم بالجر عطفا على شان وهم فرقة من اهل الضلال كالمحكمة
الذين انكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق وغيرهم
مما لا حاجة لتفصيل احوالهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم انهم
اهل صلاة وصيام يحقر احدكم صلاته في جنب صلاتهم وصيامه في جنب صيامهم
الا انهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا مرتكب الكبيرة
واكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحي
المغرب واخبر صلى الله عليه وسلم بالمخدج الذي فيهم وهو بضم الميم
وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ويروى بفتح الخاء وتشديد
الدال والمعنى واحد وروي المخدوج وهو الناقص خلقه ومنه الخداج
وهو اشارة لما في حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم في
بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة اعدل يا رسول
الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل لخبت وخسرت فقال عمر رضي الله عنه
ايذن لي اضرب عنقه فقال له دعه ان له اصحابا يحقر احدكم صلاته الى ان
آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة تدردر
ولما كانت وقعتهم وقتال علي لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال
اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى في آوانه فقال شقوا قميصه
فشقوه فلما راى احدى ثدييه مثل ثدي المراة عليه شعرات سجد شكرا
لله تعالى اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على
الباطل وان سيماهم التحليق وهي العلامة التحليق اي يحلقون شعور
رؤوسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤوس الا في النسك وهذه الاحاديث
ظاهرة في تكفيرهم كما قاله الخطابي وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم
حلقا حلقا وليس بشيء وقيل المراد به العلو والارتفاع من حلق
الطائر اذا طار وعلا وبما ذكرناه علم ان حلق جميع الراس ليس بممنوع
وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه بحديث
صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم راى صبيا حلق بعض
راسه فقال احلقوه كله او اتركوه كله قال النووي رحمه الله في شرح
مسلم وهو صريح في اباحته وقال قال العلماء انه جائز على كل حال

تلمساني

فان

فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه ويرى
رعاء الشاء يروى بالتحتية مبني للمجهول ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع
كرعاة ورعيان والشاء بالمد جمع شاة وهي معروفة ورءوس الناس وروس جمع راس
وهو مجاز مشهور يعني الرئيس وروي ترى بالتاء الفوقية والخطاب لغير معين
نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم ويجوز رفعه ونصبه والعراة الحفاة
العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس في رجله نعل وهذا
الحديث في الصحيحين بمعناه وبعض الفاظه فالمصنف رواه من طريق آخر ورواه بالمعنى
يتبارون في البنيان اي يباهي بعضهم بعضا في بنايته ويريد كل منهم ان يزيد على
غيره يقال باراه اذا عارضه فتبارى وانبرى وهذا وما قبله كناية عن توسع من
لا قدرة له في الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير بينا بعد فقره وذله وكثرة
مفاخرة بعضهم لبعض في البناء العالي كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة
وفي مسلم ان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الارض وروي
يتطاولون في البناء يعني ان من اشراط الساعة ان اهل البادية ونحوهم ممن لا بال
له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويترأسون وجهلة الناس واراذلهم
يصيرون حكاما وولاة عظيم الشان ولقد ظهر ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من هذه المغيبات وهو الان عيان رأي العين وكفى بكونهم رعاء انهم
يجهلون الانساب جهلة وانهم مشتغلون عن عبادة الله وروي بتاء ونون
بالميم بمعنى يتنازعون والمعنى واحد وان تلد الامة اي الجارية المملوكة
التي اتخذت سرية ربتها ربتها التانيث وربت ورب بمعنى سيد وسيدة
والرب لغة له معان السيد والملك والمربي والمدبر والقيم والمنعم ويطلق
على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب القرائن والمقامات
والمراد هنا السيد ذكرا كان او انثى وانثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح
مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التي
اخبر بها صلى الله عليه وسلم اصحابه وفي معناه اختلاف كثير فقيل معناه
ان الاماء تلدن الملوك فتكون امه امة من جملة رعيته وقيل هو عبارة
عن فساد احوال الناس في آخر الزمان وكثرة بيع امهات الاولاد حتى يشتري
الرجل امه وهو لا يدري انه ابنها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا
من غير سيدها لوطئها بشبهة فتوبيع او رقيقا بنكاح او زنا ويعتق وتتداول
الايدي امه حتى يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستطيل
الولد على امه استطالة السيد والذي عد من الاشراط على الاول كثرة التسري
فلا ينافي تسري النبي صلى الله عليه وسلم بمارية وغيره وفي الشروح كلام
مبسوط في هذا الحديث وفيه من دلائل النبوة الاعلام بكثرة التسري والسبي
بعد ظهور الاسلام واستيلاء المؤمنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار
بان غايته الانحطاط لايذانه بقيام الساعة وكل شيء بلغ الحد انتهى ومما
اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو ان قريشا

ذلم

والاحزاب لا يغزونه ابدا الاحزاب جمع حزب وهو الطايفة الكثيرة المجتمعة للتعصب
والقتال وتعريفه هنا للعهد اذ المراد احزاب مخصوصون في الغزوة المشهورة
وانه هو الذي يغزو وهو بعد اخباره بذلك في الاحزاب وهي غزوة الخندق وبعد
احد والخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله عليه وسلم غزاهم حتى فتح مكة
واتى بالجملة مؤكدة بالاسمية وان وضمير الفصل للتحقيق وقوعه ونظيره
ولذا قال صلى الله عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعد هذا الى يوم
القيامة اي لا تعود مكة دار كفر ولا تغزى وهي الكفار فلا ينافي ما وقع لبعض
المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذي السويق من قال الواقدي انه صلى الله عليه
وسلم قال هذا السبع بقين من ذي القعدة ومما رواه الشيخان ايضا انه
صلى الله عليه وسلم اخبر بالموتان بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون
الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو لا يصح هنا لانه
اسم يقابل الحيوان وفي القاموس الموتان خلاف الحيوان اي ارض لم تحيى بعد
وبالضم موت يقع في الماشية وتفتح انتهى يعني ان فعلان بفتحتين في المصادر
يختص بما يدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية
اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع فتح ميمه هنا الذي يكون بعد فتح
بيت المقدس وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه بعمواس بفتحتين وهي
قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو اول طاعون وقع في الاسلام
مات فيه سبعون الفا في ثلاثة ايام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وعمواس
هذه هي القرية التي بين الرملة وبيت المقدس مات فيها ابو عبيدة بن الجراح
والحديث اوله عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة
موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين
وصاد مهملتين وامتزت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها
الى اخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر والموتان اخص بالماشية
كما مر فهو هنا مجاز مرسل لمطلق الموت او استعارة ولا ينافيه التصريح باداة
التشبيه لانه من وجه اخر وهو شدة السرعة والمنافي له ذكر التشبيه
في ذلك المجاز بعينه وقد اشار لما قلناه الشريف في حواشي الكشاف في قوله
كان اذ في قلبه خطلا وانه وهو من الفوايد النفيسة وما وعد من سكنى
البصرة بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة او ذات حجارة والفتح اشهر
وافصح وهي بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير ايضا بناها
عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن
شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصري بكسر وفتح ولا يجوز الضم
وهذا الحديث رواه ابو داود عن انس انه قال له صلى الله عليه وسلم
يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال له البصرة
فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاها وسوقها وباب

امرايها

امرايها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها
نواحيها ومنه قريش الضواحي للنازلين ببطحائها وظواهرها وكلاوها بتشديد
اللام مرسى سفنها وفي هذا من اعلام النبوة والاخبار بالغيب ما لا يخفى ويحرم
كسر صادها ولهم بلدة بالمغرب تسمى البصرة ايضا والمراد الاولى وسكنى مصدر
كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها ومن اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيب
ايضا في حديث رواه الشيخان الغزو اي امته عليه الصلاة والسلام يغزون في
البحر بعده صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ذلك في حياته والمراد بالبحر البحر الملح
لانه اذا اطلق ينصرف اليه ولم يعهد في غيره الا نادرا كالملوك على الاسرة وهو
تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للملوك مرتفع يجلسون عليه
ترفعا وتعظيما ومركب المراكب المعدة للغزو والذي يقعد عليه رئيسهم يعمل
على هيئة سرير الملك بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام العجيبة لانه
لم يكن ذلك بديار العرب ولم يره احد منهم فتوصيفه صلى الله عليه وسلم
له كمن عرفه وحلي عليه مما خارق العقول والحديث عن انس رضي
الله عنه عن خالته ام حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نام عندها يوما لانه محرم لها ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يبتسم فقالت له ما اضحكك يا رسول الله قال اناس من امتي عرضوا علي
يركبون البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت ادع الله ان يجعلني منهم
فدعا لها ثم نام فراى ذلك فقالت له مثل ما قال اولا ودعا لها وقال لها انت
من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة في البحر
مع معاوية رضي الله عنه فلما انصرفوا قرب لها دابة تركبها فوقعت وماتت
شهيدة ثمة واختلف في زمنه فقيل في زمن معاوية كما علمت وقيل في
زمن عثمان رضي الله عنه وجمع بينهما بانه في زمن عثمان امر معاوية ان
يغزو البحر فغزاه بامر عثمان ثم لما ولي الخلافة غزاه بنفسه وفي الحديث
معجزات اخباره صلى الله عليه وسلم عن غزو امته في البحر وغلبتهم وظهور
شوكة الملوك فيهم وان ام حرام من اولهم وفيه دليل على جواز ركوب
البحر للرجال والنساء خلافا لمالك في كراهته للنساء في رواية عنه وان
الغزو فيه مشروع مطلوب وورد في الحديث ان غزو البحر يزيد اجره على
البر بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزاة اول غزاة فيه وهي فتح
قبرس وكان عمر رضي الله عنه لم ياذن في ذلك اولا ثم لما ذكر له هذا الحديث
امر به وحجز الاسطول كما هو مفصل في محله وليس المراد بالبحر في الحديث
بحر الشام وتعريفه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وام حرام رضي الله
عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفي نسخ ثبج البحر
بمثلثة وموحدة وجيم وهو وسطه ومعظمه واخبر صلى الله عليه وسلم
ان الدين لو كان منوطا اي معلقا بالثريا لناله اي وصل اليه رجال من ابناء
فارس اي ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهي اي الثريا كواكب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صبيحة اختلف في عدتها كما مر وهي المنازل المشهورة وهي مشهورة بالعلو في السما ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان او الشرع وما يتعلق به وهو كناية عن ان هولا يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم فقط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة ايضا لما ظهر فيهم من الاوليا والعلما وما ظهر منهم من التصانيف التي لا تعد ولم يات الدهر بمثلها وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تجد فنا الا وقد حازوا قصب السبق فيه وانظر الي البخاري هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما ينبزهم من يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو تحقيق لما اخبر به سيد البرية صلى الله عليه وسلم وفارس جيل معروف ويقال لهم الفرس ايضا وهم من اولاد سام بن نوح علي الاشهر وفارس اسم جدهم سموا به ويطلق علي بلادهم ايضا والحديث مروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فانزل عليه سورة الجمعة وقوله فيها وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يا رسول الله وفينا سلمان الفارسي رضي الله عنه فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هولا وفي رواية لو كان العلم وروي ايضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهولا مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان لان المراد به الجنس او هو بتقدير من جنس هولا ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه انه هاجت اي هبت ريح بشدة والنبي صلى الله عليه وسلم في غزاته اي في غزوة من غزواته وهي غزوة تبوك وهو محل من ارض الشام كما قيل وفيه نظر فقال هاجت لموت منافق اي رجل من المنافقين وهو رفاعة بن زيد بن التابوت احد بني قينقاع وكان من عظما اليهود كهفا للمنافقين فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزي انه ابن عم قتادة بن النعمان وذكر عند قتادة رضي الله عنه انه راي منه ما يدل علي صحة اسلامه وقال الذهبي في التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا علي حقيقته وظاهره وروي انه موت عظيم من عظما الكفار وهذا ايضا محمول علي ظاهره او هو باعتبار ما في قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وكان ذلك في رجوعه منها سنة ست او اربع او خمس قبل الخندق علي اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لا انها ذات علي غضب الله كما في ريح عاد التي اهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لانه استدل بها كما يستدل بالنجوم من حوادث الجو عند الحكما والمنجمين ولا حاجة الي ان يقال انها علامة لما صنعه الله وقدره واطلع من اراد عليه والممنوع انما هو اسناده لها وجعلها مؤثرة فيه فلما رجعوا اي النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من تلك الغزاة وجدوا ذلك اي ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور فهلك في وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني عن رافع بن خديج

دجلي

رضي الله عنه بسند صحيح لقوم من جلسايه من الصحابة رضي الله عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرما ضرس احدكم اي واحد منكم ايها الحاضرون في النار اي اذا كان في جهنم مثل احد اي كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان احدهم يكون كافرا لما في حديث اخر ضرس الكافر مثل احد وجسم المعذب كلما زاد زاد عذابه فكان اشد عليه وكونه عبارة عن ثباته علي ابهم وفوق صبرهم عليه كما قيل في غاية البعد قال ابو هريرة رضي الله عنه الذي كان الخطاب له فذهب القوم الذين كانوا جلساه اي ماتوا كلهم كما اشار اليه بقوله يعني ابو هريرة بقوله ذهب القوم ماتوا فان الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان وقد يختص بالموت كقول قس

في الذاهبين الهالكين لنا بصاير

وبقيت انا ورجل منهم ولم يعينه لكراهته والستر علي من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرحال بن عنفوة والرحال براء وحاء مهملتين ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من اهل اليمامة فقتل مرتدا حال من ضمير قتل النايب عن الفاعل والضمير لرجل يوم اليمامة اي في حرب كان باليمامة وهي اسم ارض معروفة شرقي الحجاز ومدينتها العظمى الحجر وتسمى حجر اليمامة ايضا وقتله زيد بن الخطاب في حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بني حنيفة علي النبي صلى الله عليه وسلم وتعلم القران فلما ادعى مسيلمة الشركة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي ارتد وشهد له بذلك واعلم الصحابة رضي الله عنهم بمغيب عنهم وهو ماض مبني للفاعل بوزن اكرم وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني بالذي غل بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كان الايدي غلت عنها او من الغلل وهو الما الجاري تحت النبات وكثر استعماله في السرقة من الغنايم خرزا بخا معجمة ورا مهملة وزاي معجمة واحده خرزة وهي حجارة تنظم ويتزين بها وكل جوهر من خرز ليهود ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطايفة سموا باسم جدهم يهود بن يعقوب اخو يوسف والمراد يهود خيبر لانه توفي بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا علي صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه فوجدنا تلك الخرز التي غلها في رحله اي في منزله وما معه بعد موته وهي لا تساوي درهمين واصل الرحل ما يوضع علي البعير ويجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه وهذا الرجل لا يعرف اسمه واعلم ايضا بما هو من الغيب بالذي غل اي سرق كما مر الشملة وهي المرة من الشمول وكسا صغير يشتمل به الانسان وهذا القصص حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اهدى رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم عاير فقتله فقلنا هنيا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنايم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا او عابر

ابن اقنوح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تلمساني

يعين وترا مهملتين اصابة من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث
المصابيح وهو ان رجلا فقتل علية صلى الله عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين او كسرتين
فمات فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباة
قد غلها واقتصر السيوطي رحمه الله على الاول وانه الذي عناه المص وهو الظاهر
والنووي في المبهمات على الثاني والبرهان تبعه والذي اوجب عدول الحلال عنه لفظ
المهملة وفيه تعظيم الغلول في الغنايم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد
للامام او يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبني على التعزير باخذ المال وهو منسوخ
واذا كان هذا من الكباير فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون وحديث
ناقته اي مما اعلم به صلى الله عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذي رواه البيهقي
عن عروة مرسلا حين ضلت ناقته وغابت عنه حتى لم يروها وكيف تعلقت ناقته
بالشجرة بخطامها بكسر الخا المعجمة وهو زمامها ومفقودها وكان صلى الله عليه
وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم
مكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي فاتاه جبريل واخبره بقول المنافق وبمكان
ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرني
بقول المنافق وبمكان ناقتي وهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا
يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاوا بها وآمن ذلك
المنافق وهو زيد اللصيت او ابن اللصيت بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان
اولا من اليهود وما ذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطي في مناهل
الصفا في تخريج احاديث الشفا ووقع في بعض النسخ وحيث هي ناقته حين ضلت
وفي اخرى ومن ضلت ناقته حيث هي ضلت وكيف الخ فقال بعضهم هو مجرور عطف
على الذي او مبني على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول
لا علم وناقته مبتدا وهي مبتدا ثان خبره محذوف اي موجودة والجملة في محل
جر باضافة حيث وانت في غنى عن مثله ومن المغيبات التي اعلم النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه بها ما رواه الشيخان عن علي كرم الله وجهه حين اعلم بشان
كتاب حاطب بن ابي بلتعة الصحابي البدري المشهور الذي ارسله الى اهل
مكة لما تجهز النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم احدا بتوجهه
ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده
نصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلي ولبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ فيها جارية
معها مكتوب فاتوني به وكان صلى الله عليه وسلم اخفى مسيره فاتوا المحل
فوجدوا الجارية فانكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيئا فهموا بالرجوع
ثم بدا لعلي رضي الله عنه ان خبره صلى الله عليه وسلم صدق فهدد الجارية
فاخرجت الكتاب من عقصتها فلما اتوا به قال عمر رضي الله عنه دعني اضرب
عنق حاطب فقال صلى الله عليه وسلم لا فان الله اطلع على اهل بدر وقال

عربي

اصنعوا ما شئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة اهلا ومالا وخشي ضياعه فاراد ان يصنع فيهم يدا
تقتضي حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة في شروح السير والبخاري ٥
والكتاب كان مع امراة تسمى ام سارة ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات
ما رواه ابن اسحاق والبيهقي والطبراني حين اعلم بقصة عمير بن القصير بن وهب بن
خلف مع صفوان بن امية بن خلف حين ساره اي اخبر عمير صفوان سرا في خفية لم
يسمعه احد وذلك السر انه يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتيه بغتة بحيث لم يسمع
به احد وكان شجاعا فاتكا وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم اي اشترط عليه ما
يعطيه ان فعل ذلك وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان فلما جا عمير الى النبي
صلى الله عليه وسلم قاصدا القتل واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر
والسر الذي كان بينهما لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة اسلم عمير وحسن اسلامه
لما شاهده من المعجزة الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن امية
وهو ابن عمه في الحجر بعد بدر فذكروا اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله
ليس في العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه
وعيال اخشى ضياعهم لكنت اتي محمدا حتى اقتله فان لي فيهم علة اسير عنده فاغتنمها
صفوان فقال علي دينك اقضيه وعيالك مع عيالي اواسيهم ما بقوا فقال اكتم علي
شاني ثم شحذ سيفه اي سنه وسمه وانطلق حتى اتى المدينة واناخ بباب المسجد
متوشحا بسيفه فراه عمر رضي الله عنه فقال هذا الكلب عدو الله ما جا الا لشر
واخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ادخله علي فاقبل عمر رضي
الله عنه حتى اخذ بحمالة سيفه لببه بها ثم ادخله فلما راه صلى الله عليه
وسلم قال ارسله يا عمر ادن يا عمير فدنا فقال ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا
فيه قال فما بال السيف في عنقك قال قبحها الله من سيوف ما اغنت شيئا قال اصدقني ما الذي
جئت له قال ما جئت الا لذاك قال بل قعدت انت وصفوان بالحجر وذكرا اصحاب القليب
وقلت لولا دين علي وعيالي لخرجت الى محمد حتى اقتله فتحمل دينك وعيالك وحيث
لتقتلني فقال اشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا امر لم يحضره
الا انا وصفوان فوالله اني لاعلم انه ما اتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني
للاسلام وتشهد فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا اخاكم دينه واقراوه القران
واطلقوا اسيره وانما صفوان فهرب خايفا يوم الفتح ثم جا مستامنا فاسلم
وحسن اسلامه وكان عمير ابغض الناس لعمر فلما اسلم كان احب الناس اليه وهو
من سادات قريش وفصحايها فتمت سيادته بالاسلام وله احاديث في السنن واخبر
ايضا صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقي عن
عايشة بسند صحيح بالمال الذي تركه عمه العباس بمكة عند ام الفضل لبابة
بنت الحارث بن حزن الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كني العباس
ابو الفضل وهي من اشراف الصحابة رضي الله عنهما يقال انها اول امراة اسلمت
بعد خديجة وكان كتم ماله عندها واخفاه حتى عن اولاده كما اشار اليه
بقوله بعد ان كتمه فلما اسر ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفدا

ركبت لحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقال لا مال لي فقال له صلى الله عليه وسلم ما صنع المال الذي وضعته عند ام الفضل
فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم وقيل له لم لم تسلم قبل الفدا ليبقى لك مالك
الذي افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين ما طمعوا فيه من مالي وقد قيل انه اسلم
قبله ولكن كان يخفي اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعد وفي بعض النسخ
ام الفضيل بالتصغير وهو خطا من الناسخ واصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفدا اسراهم
فقال العباس يا رسول الله اني كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله
اعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا فافد
نفسك وابني اخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن ابي طالب وحليفك عتبة واخي بني
الحارث قال ما عندي ما بقي بالفدا قال ما فعلت بالمال الذي دفنته عند ام الفضل
وقلت ان اصبت في سفري فالمال لولدي فقال والله يا رسول الله هذا شيء ما علمه
غيري وغيرها فاحسب لي ما اصبتم فقال لا ذاك اعطاه الله لنا ففداهم فانزل الله
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى الاية ومقتضى قول المص فاسلم انه ما اسلم
الا حينئذ والذي قالوه انه اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبد البر
قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان العباس يكتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين واحب ان يقدم عليه المدينة فكتب اليه
مقامك بمكة خير ولذا قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله
فانه انما خرج مكرها ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عروة
وسعيد بن المسيب مرسلا انه اعلم انه سيقتل بنفسه ابي بن خلف كما تقدم
فجرحه تعتلفه في احد فمات لجمل يسمى سرفا وكان قبل ذلك اذا لقيه بمكة يقول عندي
فرس اعلفها كل يوم لاقتلك عليها فيقول له صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك
ان شاء الله فلما كان يوم احد اقبل يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فاعترض دونه
جماعة من المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم خلوا سبيله وتناول حربة من دريعه
على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا
له ما بك من باس فقال لو بصق علي محمد لقتلني فقتل قاتله الله في مرجعه
من احد ومما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال في عتيبة بن ابي لهب انه
ياكله كلب من كلاب الله فاكله الاسد وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا
وهو يشهد سورة ولما اضافه لله افادته الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبي
في المضاف والمنسوب وقد تقدم ان ابا لهب كان له اولاد معتب وعتبة وعتيبة
بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر اسلم وكان من كبار الصحابة
فالصواب ان يقول المص عتيبة بالتصغير الا ان من علما الحديث من قال
مثل ما قاله المص فلا اعتراض عليه مسلم كما مر ثم ان المص ذكر هذا في فصل
اجابة دعايه فتكون هذه الجملة ادعائية انشائية وكلامه هنا يقتضي بانها
خبرية اخبر بها عن امر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما
محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له
رفقاؤه لم اشتد خوفك قال ان محمدا قال لي كذا وهو لا يقول الا الصدق فالتف

من

من خواص الخير وقد يقال ان الدعا عنده من تحقق اجابته خبر معنى واخبر صلى الله
عليه وسلم عن مصارع اهل بدر اي محال قتلهم ووقوعهم على الارض ميتين من
قبل قتالهم من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا
مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم اهلها لبقا جثثهم فيها
كما يقال اهل الدار لمن بها فكان ما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن مصارعهم كما قال
لم يتجاوز احد منهم موضعه الذي عينه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه
من الاخبار بالغيب ما لا يخفى واصل هذا الحديث كما في صحيح مسلم وغيره انه صلى
الله عليه وسلم قام بيده قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على
الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا مشيرا
لمصارعهم فلم يتجاوز احدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا
في القليب ثم جا صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان بن فلان يا فلان
ابن فلان يناديهم باسمايهم واحدا بعد واحد هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فقال
الصحابة يا رسول الله اتكلم اجسادا لا ارواح لها فقال والذي نفسي بيده ما انتم
باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما في الحسن بن علي بن ابي طالب ان ابني هذا
سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى
صار حقيقة عرفية سيد اي شريف رئيس مسود في قومه لشرف نسبه
وذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات ويطلق على التقي وعلى غيره
كما تقدم تفصيله وسيصلح الله به اي بسببه سيقع الصلح والاصلاح بين فئتين
عظيمتين من المسلمين والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه
ومن كان مع معاوية رضي الله عنهما وفي صحيح البخاري عن الحسن عن ابي بكرة قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى
الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين
من المسلمين وهو حديث صحيح مروي من طرق وفي رواية فئتين عظيمتين قال
ابن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب لما قتل علي رضي الله عنه بايع الحسن اكثر
من اربعين الفا على الموت وكانوا اطوع واحب له من ابيه فبقي نحو سبعة اشهر
خليفة بالعراق وخراسان وما وراءها ثم سار رضي الله عنه الى معاوية وسار
معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار وعلم الحسن انه سيقع قتال يذهب
فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يصير الامر له بشرط ان لا يطلب
احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في ايام ابيه فاجابه معاوية
لذلك وقد كاد ان يطير فرحا الا انه قال اما عشرة انفس فلا آمنهم منهم قيس بن سعد
فراجعه الحسن وقال لا ابايعك وانت تطلب احدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل
له معاوية رقا ابيض وقال اكتب فيه ما شئت وانا التزمه فاصطلحا على ذلك
وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه كله معاوية وسار بذلك اكثر الناس حتى
كانوا يقولون للحسن يا ذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم الامر له قال له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

احطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وان اعجز
العجز الفجور الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية حق لامرئ كان احق
مني او حق لي تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادري لعله
فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم ما
رواه الشيخان من قوله لسعد بن ابي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف احد العشرة
واصحاب الشورى ولنبادره اذا اطلق لم يقيده بما يخرج سعد بن معاذ وغيره
من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف على قوله في الحسن
اي قال لسعد لعلك تخلف وفي نسخة ان تخلف بان المصدرية في خبرها حملا لها
على عسى لانها اختها في الترجي كما قال لعلك يوما ان تلم ملمة وكان سعد
رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التي هاجر منها فاتاه صلى الله
عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله اوصي بمالي كله فقال لا الى ان قال
الثلث والثلث كثير الى اخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد كان
يخشى ان يموت ثمة وذلك في حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية
وتشديد اللام اي يبقى بعد هذا الزمان وكان كما قال فانه عاش بعد ذلك
نحو خمسين سنة وقوله حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون قال النووي
في هذا الحديث من المعجزات تحقق ما اخبر به فانه عاش بعد ذلك ما ذكرنا تقدم
ونفع الله به المسلمين بما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا اسلموا
على يديه وغنموا معه ونصر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبا
وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان اميرا على الجيش الذي قتلوا الحسين
لانه لم يرض بذلك ولا امر به ولا ازره وزره اخرى وقال ابن حبيب المراد به انه تولى
العراق واتى بقوم ارتدوا وتجمعوا بسجع مسيلمة الكذاب لعنه الله فاستتابهم
فتاب بعضهم وانتفع به وابى بعضهم فقتلهم فتضرر واوبه وهذا تاويله
عند بعضهم وقيل الرواية انما هي يضر بك اخرون والمص اراد باستفعل
فعل وجعل المص الترجي اخبارا لانه بمعناه وهو المراد لكن عبر به تادبا منه وقد
صرحوا بان الترجي في حق الله والرسول والاولياء تحقيق معنى كما قاله ابن الملقن
واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري عن انس بقتل اهل
مؤتة بضم الميم وسكون الواو والهمزة فان فيها لغتين كما في القاموس وهو اسم
موضع بالشام كان فيه غزاة مشهورة واضافة اهل للعهد ولا يجوز ان تكون للاستغراق
كما قيل لانه انما اخبر بقتل ناس منهم قبل مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم بيوم
والذي اتى بالخبر يعلى بن منبه وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال
اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب
وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد
ففتح الله عليهم فلما اتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان شئت اخبرني وان شئت اخبرتك فقال اخبرني فاخبره ووصفهم له
فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله يوم

قتلوا

قتلوا متعلق باخبر وبينه صلى الله عليه وسلم وبينهم اي المقتولين بمؤتة مسيرة شهر
او ان يذكر تخفيفا لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم
في يومه ولذا ورد في هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى
رايت معتركهم وما قيل ان المدينة ليس بينها وبين مؤتة هذا المقدار بل بينهما
نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعد بلاده بقضي انه
قاله من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاخوال السير
ماشيا وكسير الجمال في القافلة باحمالها لاختلاف الاوسان ويختلف ايضا بطول الايام
وقصرها والامر فيه سهل وبموت النجاشي اي اخبر صلى الله عليه وسلم بموته
كما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه يوم مات متعلق باخبر وذلك سنة
سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه
استدل الشافعي على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذي
ارسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم في الهدي النبوي اذ قال ان الذي كاتبه غيره فان
كل من ملك الحبشة يقال له نجاشي بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها
وهو بارضه جملة حالية والضمير للنجاشي والحال ان النجاشي مات بارض الحبشة فهو
اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبي صلى الله عليه وسلم اي والنبي صلى الله عليه
وسلم وقت موت النجاشي كان بارضه اي المدينة فلا يحتمل انه رآه عادة وان امكن ان
يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغائب كما قيل انه من خصائصه
ايضا واخبر ايضا صلى الله عليه وسلم في حديث اخر رواه البيهقي فيروز علم عجمي
ممنوع من الصرف وهو فيروز بن كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر وفاؤه
مفتوحة وقد تكسر وفيروز يزدجرد الديلمي جيل من العجم اذ ورد ايجاء فيروز
وقدم عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك
اليوم بنصبه على الظرفية اي يوم ورد عليه او يوم مات كسرى فلما تحقق فيروز
القصة التي قصها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بموت كسرى
الذي هو رسوله اسلم فامن برسول الله صلى الله عليه وسلم وفاز فوزا عظيما
وقصته رويت من طرق وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع
الهدى وامن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
وادعوك بداعية الله عز وجل فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان
حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم الخ فلما قرا كتابه مزقه فمزق الله
ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين جلدين ياتيانه فبعث
قهرمانه بانونه ومعه اخر من الفرس ومعهما مكتوب يامره فيه بالانصراف معهما
فلما اتياه قال لهما ان الله سلط على كسرى ابنه شهرويه فقتله في وقت كذا
فاخبرا باذان بما قاله صلى الله عليه وسلم فقال لننظر ما قال فان تحقق
فهو نبي مرسل فلم يلبث اذ قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع فاسلم
واسلم معه ابناء فارس باليمن وحسن اسلامهم وقد ابن كسرى هذا اسمه ابرويز

وهذا ما ذكره المؤرخون واصحاب السير واما ما ذكره المص فلم يثبت ولم ينقل احد ان
من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطي نقله عن دلايل النبوة للبيهقي فعيل انه ليس
فيما ذكر وفي الاستيعاب ان فيروز الديلمي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانه الذي قتل الاسود العنسي وكذلك ذكر قضية فيروز على الوجه الذي ذكره
المص الماوردي في اعلام النبوة واطال فيها واخبر صلى الله عليه وسلم اباذر الغفاري
كما رواه احمد في مسنده بتطريده اي بنفيه من المدينة وقد ذكر الجزري في الدرج
الفرق بين طرده واطرده وطرده المشدد وانه انما يقال في النفي الاشد كقول ابي
سفيان وانت الذي طردتني كل مطرد • وطرده واطرده بمعنى نحاه وكثير من اهل
اللغة لم يفرقوه كما كان اي وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم بعينه ووجده
اي وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اباذر في المسجد اي مسجده بالمدينة
نايما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت منه اي من هذا
المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله
عليه وسلم علم ما يجري عليه وانما مراده اخباره بحاله وما يكون له كقوله
تعالى وما تلك بيمينك يا موسى والمعنى كيف ظنك او علمك بك في هذه الحال قال
اسكن المسجد الحرام يعني مكة المشرفة قال فاذا اخرجت منه الحديث اي اقرا الحديث
او اذكر الحديث الذي رواه احمد ومعناه انه كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينام في المسجد وليس له ماوى غيره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
فراه نايما فقال له اراك نايما فقال اين انام وهل لي بيت غيره فقال له صلى
الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالمسجد الحرام فقال له كيف
بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالشام ارض المنشر والمحشر وارض الانبيا فاكون
رجلا من اهلها قال فاذا اخرجوك من الشام قال ارجع اليه فيكون منزلي قال
فكيف بك اذا اخرجوك منه الثانية قال اخذ سيفي واقاتل حتى اموت فوكزه صلى
الله عليه وسلم بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقاني
وانت على ذلك واما تطريده رضي الله عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر
استدلوا فيه لعثمان رضي الله عنه ما لا اصل له والصحيح ما رواه قتادة
من انه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اذا رايت المدينة بلغ بناوها سلعا
فاخرج منها واشار الى جهة الشام فلما زاد بناوها ذهب الى الشام ثم انه رضي
الله عنه انكر على معاوية بعض امور فشكاه لعثمان فكتب اليه اقبل الينا
ارحل لحينك فقدم عليه ثم استاذنه في الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها
الى ان مات وما قيل ان عثمان امر باخراجه بعنف فلما وصل اليه قال له ما
حملك على ما صدر منك قال اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين
الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها
قال اكثرهم لا اصل له ويعيشه وحده اي اخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة ثانيا وحده معتزلا عن الناس

وفي نسخة بعيشته بالتا وموته وحده فكان كما قال لان البيهقي روى ان امراته لما حضرته
الوفاة بكت فقال لها ما يبكيك فقالت ما لي لا ابكي وانت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال
لا تبكي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن احدكم بفلاة
يشهده عصابة من المسلمين وانا ذلك الرجل فابصري الطريق فخرجت فاذا برجال على
رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال انشدكم الله ان يكفنني منكم من لم يكن
نقيبا ولا اميرا فقال غلام منهم انا اكفنك يا عم في ردائي وثوبين في عيبتي من غزل
امي قال فكفني فلما مات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه واخبر صلى الله عليه وسلم فيما
رواه مسلم ان اسرع ازواجه به لحوقا اي اول من يموت من امهات المومنين بعده
اطولهن يدا ولم يقل طولاهن بالتانيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة
وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو
الجود والانعام ولاحتمال المعنيين قيل ان ازواجه صلى الله عليه وسلم بعده كن
يقسن اذرعتهن لينظرن للاطول منها فلما ماتت زينب رضي الله عنها علمن ان المراد
الثاني فان كان من الاول كان استعارة ويدا ترشيح للاستعارة مع ما فيه من التورية
لان اليد بمعنى النعمة فكانت اي اطولهن يدا واسرعهن لحوقا به صلى الله عليه وسلم
فاسمها مرفوعا بدعلى ما ذكره وفي له زينب بالنصب خبرها وهي زينب بنت
جحش ام المؤمنين رضي الله عنها لطول يدها بالصدقة فبان المراد كما تقدم وتوفيت
رضي الله عنها سنة عشرين او احدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت خزيمة
التي كانت تدعى ام المساكين والحديث عن عايشة من طرق قالت قلن ايتنا اسرع لحوقا
بك قال اطولكن يدا فاخذن يتذارعن وفي رواية فاخذن قصبة يذرعن بها اي يقسن
اذرعتهن لظنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمنا المراد لانها كانت اكثرهن
صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق وما في البخاري عن عايشة رضي الله عنها
انه اجتمع زوجاته صلى الله عليه وسلم عنده فقلن له ايتنا اسرع لحوقا بك
قال اطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب الصدقة
مشكل لما تقدم لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذي صححوه وفيه اضطراب ايضا
لان اوله يقتضي ان المراد الطول الحقيقي وما بعده يدل على خلافه ولذا قال
الكرماني ان فيه تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لابهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة
القصة وهو غاية ما يقال فيه وقيل وهو مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة
لليد او سببه الصدقة باليد هو استعارة مصرحة والطول ترشيح والقرينة
ان عظم الابدان لا يقتضي حوز هذه الفضيلة ولا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة
لم يصح المجاز وان كانت كيف يفهمن خلاف المراد حين تذارعن وهن من
اهل اللسان اقول التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان
والتصدق وايصال البر ومزيد الصلة لشخص له طول في يديه يصل به لما
يصل اليه غيره اذا مدهما او هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد في لازمه
وهو ايصال الانعام او اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه

واخبر صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي من طرق بقتل الحسين بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنهما بالطف بفتح الطا المشددة وتشديد الفا وهو مكان بناحية الكوفة واخرج
صلى الله عليه وسلم تربة اي مقدار ملء كف من ترابه اراه لبعض اصحابه واهل
بيته وقال اذا احمرت فيها اي في ارض هذا التراب منها وفيها يموت ويقتل مضجعه
اي مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة وتكسر والاول اقيس وافصح وفي التعبير به
ايما الى انه رضي الله عنه حي شهيد لان اصله محل يضطجع فيه النايم واصل
الحديث عن عايشة رضي الله عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابني فقال ستقتله امتك فان شئت
اخبرتك بالارض التي يقتل فيها واشار جبريل بيده الى الطف من ارض العراق
واخذ تربة حمرا فاراه اياها ولا ينافي ذلك ما جا انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم الموضع
والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله في عاشورا وقتل معه جماعة من اهل البيت
وقيل ان هذه التربة كانت عندهم وانها في يوم قتله يظهر عليها دم واختلف
فيمن باشر قتله قاتله الله واخزاه وجعل سجين مثواه ولابن العربي هنا
مقالة اظنه بري منها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن عدي
والبيهقي مسندا في زيد بن صوحان بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحا
مهملة والف ونون وهو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي اخو صعصعة
وله وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه تابعي وقال الذهبي ومن
خطه نقلت كان زيد بن صوحان مواخيا لسلمان حتى يكثر باسلمان لحبه له وكان
زاهدا عابدا ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة وصوحان بمعناه اليابس
يقال صوح النبت اذا صار هشيما يسبقه عضو من اعضائه الى الجنة اي يدخل
الجنة قبله لانه قطع في سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه حقيقة
ولا مانع من ان يحفظها الله في الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية اعضائه
في الجنة وامور الاخرة لا تقاس على امور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع
في سبيل الله او لا ثم يستشهد بعد ذلك فكني عنه بما ذكر ولفظ الحديث من
سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان
وفي سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف فقطعت يده الشمال كما رواه الذهبي
في الجهاد لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل في قتال الرومين
وقد روي انه صلى الله عليه وسلم شهد له لانه من التابعين بالجنة اوليس
الترمذي وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع علي رضي الله عنه في وقعة
الجمل وعلى هذا فاخباره عن المغيب اقوى وابلغ في اطلاعه على امر قبل خلقه
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره في الذين كانوا معه
اي حاضرين معه وهم على حرا اسم جبل معروف بقرب مكة بنحو ثلاثة
اميال بمد ويقصر ويذكر ويونث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم
فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله عليه وسلم اثبت اي لا تتحرك وترجف
وتتزلزل ولفظه كما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

على حرا هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت بهم فقال اهدا فما عليك
الا نبي او صديق او شهيد وزاد بعضهم سعدا وابن عوف وروى بعضهم مكان علي والمصنف
رواه انما عليك نبي وصديق وشهيد والمعنى واحد والنبي معناه المراد به ظاهر وكذا
الشهيد وتفصيله وقد وقع الترتيب في الحديث على وفق ما في القران والصديق
فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم في تفسيره اقوال فقال ابن
المظفر انه من صدق بامر الله وبرسله بحيث لا يخالجه شك في شي وقال الكلبي رحمه
الله الصديقون افاضل الصحابة واختاره البغوي وقيل من صدق بالانبيا
حين غابتهم واختار الرازي انهم اول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى
الله عليه وسلم ما عرضت الاسلام على احد الا وله كبوة الا ابو بكر فله رضي الله عنه
مزية بانه صار قدوة لغيره ولذا اجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديقية
تلي مرتبة النبوة وقد افرد ذلك بالتاليف الكمال ابن الزملكاني فقتل علي وعمر وعثمان
فقتل عليا كرم الله وجهه عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر
رضي الله عنه ابو لولوة غلام المغيرة بن شعبة وكان عمر رضي الله عنه لا ياذن لحتلم من
المشركين ان يدخل المدينة فاستاذنه المغيرة في غلامه هذا لانه كان نجارا وله صنايع
ينتفع بها الناس فاذن له في دخوله فضرب عليه سيده في كل شهر مائة درهم فشكى
ذلك لعمر فساله عن صنعته فاخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك واضمر قتله
فضربه بخنجر وهو يصلي فاستشهد وعثمان رضي الله عنه استشهد يوم
الدار في فتنته المشهورة وطلحة والزبير اما طلحة بن عبيد الله فقتل يوم الجمل وهو
محارب لعلي وقيل كما مر انه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم اصابه سهم فمات
منه واما الزبير رضي الله عنه فرجع عن قتال علي بعد تذكيره له بما مر فقتله
ابن جرموز بوادي السباع كما تقدم وطعن بالنبال المجهول سعد بن ابي وقاص
سنة خمس او اربع وخمسين وهو اخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات
سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن
بمعنى اصيب بالطاعون وهو من اقسام الشهادة ايضا وان لم يكن مثل غيره من
كل وجه ولذا اخره المصنف وقول بعضهم انه لم تنله الشهادة غير مناسب هنا
الا ان يدخله في الصديق وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي
لسراقة بضم السين وفتح الرا المهملتين مخفف وقاف وهو سراقة بن مالك
ابن جعشم بن مالك بن عمرو ابو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو الذي خرج
في طلب النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة وياتي
في كلام المصنف الاشارة لبعضها ثم اسلم وتوفي في سنة اربع وعشرين وقيل مات
بعد عثمان في الصحابة من اسمه سراقة غيره وفي هذا اخبار عن الغيب
وخص سراقة لانه اعرابي من البادية ولبس مثله لما يلبسه المترفون
من ملوك العجم اية عظيمة من ايات النبوة وعز الدين كيف بك كيف حالك عما
الهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله التي هو عليها لان كل
احد لا ينفك عن حال من الاحوال اذا اطلع عليه ما لم يعهده مثله ونال ما لم

نبلة امثاله فكفى عما ذكر وفيه من البلاغة ما لا يخفى اذا لبست اي وضعت في يديك وساعديك
ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل سواري
مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال اسوار بضم الهمزة وكسرها ايضا وهذا انما كان
يتزين به العجم والملوك وان كان الآن مختصا بالنساء عند العرب وبعد الاسلام حتى
يعاب على غيرهن كسرى تقدم انه لقب من ملك العجم فيختص ببعضهم وهو كسرى الذي
ادرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه
واسع الملك فيما اتى بهما اي بسواري كسرى لعمر مبني للمجهول معدى او وصل
فعدي باللام وفي نسخة عمر بدون لها البسهما اياه اي سراقة تحقيقا لما اخبر به صلى
الله عليه وسلم ويجوز البسه اياهما وقيل وهو الاولى وقال عمر رضي الله عنه
الحمد لله حمدا لله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة اعدائه وما
فتح الله على يديه الذي سلبهما من يدي كسرى والبسهما سراقة وهو بدوي اعرابي
متقشف هو من احاديث امته صلى الله عليه وسلم واصل الحديث كما في دلايل
النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله عنه لما اتي بسواري كسرى بن هرمز وضعهما بين
يديه وفي القوم سراقة وضعهما في يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل
سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك ثم قال له قل الله اكبر الله اكبر
وحمد الله لما من به من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لمالك الملك الذي
يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فتبارك الذي بيده الملك الذي فهم من
نازعه رداء كبريائه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغير من اعزه ولبس في هذا
استعمال للذهب ولبس لرجال له وهو من المحرمات لانه لم يفعله الا تحقيقا
وتصديقا لقول رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان يديمهما ومثله لا يعد
استعمالا فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه
لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة فانه لا محصل له وقال صلى الله عليه وسلم
في جملة اخباره عن المغيبات في حديث رواه ابو نعيم في الدلايل والخطيب
في تاريخه تبنى بالبنا للمجهول والباني ابو جعفر المنصور ثاني خلفا بني
العباس مدينة هي البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والتكثر الكثيرة
ويكون اكبر من البلدة والقرية بين دجلة بدال مهملة مفتوحة او مكسورة
من دجله اذا غطاه ومنه الدجال لحفا امره بتخليطه في اموره وهو علم لنهر
مشهور بالعراق ولا يجوز دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل ودجيل
مصغر علم نهر بالاهواز حفره ازدشير بن بابك اول ملوك بني ساسان بالدال
عليه قرى كثيرة ومخرجه من اصبهان وقيل انه خليج متشعب من دجلة وقطربل
بضم القاف وسكون الطا المهملة وضم الرا المهملتين وضم البا الموحدة
المشددة وقد تخفف وتشدد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر
والصراة بفتح الصاد المشددة والرا المخففة المهملتين ثم الف وها وهو نهر
بالعراق ايضا مشهور وهو الاصح المعروف وفي بعض النسخ والهراة بها بدل
الصاد وهي بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد يجبى

اليها

عرضي

اليها اي يجمع مال غيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن بغداد دار الخلافة العظمى
وكرسي الممالك يقال جبى الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامره خزاين الارض اي ما كان
مخزونا في غيرها من البلاد بيد اهاليها يخسف الله ارضها ودورها باهلها وقد وقع
ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من بنايها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها
وبقي امر الخسف وسيظهر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وقد ذكره الذهبي في
ميزانه في ترجمة عمار بن سيف الضبي الكوفي راوي هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله
اعلم بامره يعني بغداد اسم المدينة المشهورة وتسمى دار السلام وهو اسم اعجمي معرب
وفيه لغات تقدم الكلام عليها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الامام
احمد والبيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة منهما
غلام سموه الوليد فقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا باسما فراعنتكم فسموه عبد
الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون
لقومه قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم راوا انه ابن اخيه الوليد
ابن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان
ما جا سفيها مدمنا للخمر نسب اليه ما يقتضي الكفر وقيل ويجوز ان يراد كلاهما
لخبثهما وعتوهما الا ان الثاني اشقاهما وفي هذا معجز حسن وهو ان فرعون
مصر لكافر كان اسمه الوليد كما اشار اليه في الحديث وقال ابن الجوزي ان هذا
الحديث موضوع وكانه ثبت عند المصنف فان موضوعات ابن الجوزي مدخولة
تكلم في كثير منها وصحح في الشرح الجديد ان المراد انما هو الثاني المعروف
بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك لست خلون من ربيع الاخر
سنة خمس وعشرين ومائة واظهر من فسقه وولعه بالملاهي وتهاونه بالدين امورا
شنيعة لا حاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله عليه وسلم شرا من فرعون موسى
مع الاتفاق على كفره لانه كان في زمان الكفر وهذا كان في الاسلام عفي طري
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة اي لا
تاتي زمانها ويقرب اوانها حتى يقتتل فئتان اي طايفتان وجيشان من هذه
الامة المسلمة دعواهما في اعتقادهما ودينهما واحدة وهي الاسلام والدين
الحق وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله عنهما ثم سرى
ذلك لكثير بعد ذلك فكم وقع بين المسلمين من الحروب والوقايع التي لا تحصى
الا ان الوقعة الاولى اول ما دهم اهل الاسلام من الامور المنكرة التي كانت
ثلمة في الدين وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والحاكم
عن الحسن بن محمد مرسلا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهيل بن عمرو بن عبد
شمس بن عبد ود ابو يزيد العامري القرشي احد خطبا قريش اسلم يوم
الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفي بالشام سنة ثمان عشرة وقال
الواقدي توفي سنة تسع عشرة في طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرض
المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما اسر يوم بدر قال عمر يا رسول
الله انه رجل مفوه فدعني انتزع ثنيتيه السفليين فلا يقوم خطيبا

يخسف بعامر

عرضي

عليك بعد اليوم لانه كان اعلم التشغلي اي مشتق فيها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليين
يبدل لع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا ابن عمر رضي الله عنه امر بديع فقال صلى الله عليه
وسلم لعمر دعه عسى ان يقوم مقاما اي يقوم خطيبا في مقام ينفع بخطبته ويأتي فيها
بمحمود مقامه الاول وقد مراد عسى من الله ومن رسول الله تحقيق بسهيل يا عمر
فكان كذلك اي وقع ما قاله صلى الله عليه وسلم وتحقق ما اخبر به من المغيبات
فسرّ وسر المسلمين مقامه لما قام بمكة مقام ابي بكر الصديق رضي الله عنه اي
مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته يوم بلغهم اي بلغ المسلمين بمكة
موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطبهم في مقامه بمكة بنحو خطبته اي بخطبة مثل
خطبة ابي بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله وثبتهم اي ثبت المسلمين
علي دينهم وقوي بصايرهم باعلامهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر وكل
نفس ذائقة الموت فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حي لا يموت وابو
بكر رضي الله عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
فان الله حي لا يموت فتوارد اعلي معنى واحد في مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة
دهشة من هذه المصيبة العظيمة وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن اسحاق
والبيهقي لخالد بن الوليد حين وجهه اي ارسله صلى الله عليه وسلم متوجها
لاكيدر بضم الهمزة وكاف مفتوحة وياء مثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء
مهملتين كمصغر اكدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح
ويقال لها دومة الجندل ويقال دوما بالمد وهي ايليا وهو موضع بين مكة وبرك
الغماد وبين الحجاز والشام سميت بدوما بن اسماعيل لانه كان بنى لها انك
تجده اي تصادف اكيدر يصيد البقر اي بقر الوحش لانها التي تصاد وكان صلى الله عليه
وسلم بعثه في اربعماية وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن
اعيا بن الحارث بن معاوية الكندي كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر
الشافعي انه من كندة او غسان وكان نصرانيا قد ملك دومة واهلها فاتاه خالد
رضي الله عنه في ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو واخوه حسان فشدوا
عليه فاستاسر اكيدر وقاتل اخوه حتى قتل فقدم به على النبي صلى الله عليه
وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات نصرانيا وقال البلاذري
انه عاد الى دومة فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم نقض العهد فحاصره
خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه اسلم واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم
حلة سيرا فوهبها لعمر وعده ابن منده وابو نعيم في الصحابة وقال ابن الاثير
ان الهدية صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق اهل السير وقيل انه اسلم ثم ارتد
بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يعد في الصحابة ايضا فوجدت بالبناء
للمجهول هذه الامور المذكورة في هذا الفصل كلها في حياته بعد ما اخبر بها
ووجد بعضها بعد موته كما قاله صلى الله عليه وسلم اي مطابقة لخبره
ومماثلة له منتهية او مضمومة الى ما اخبر به جلساءه من الصحابة من
اسرارهم اي ما اسروه واخفوه وبواطنهم اي امورهم المخفية وقلوبهم

وهو

وهو بيان لما اخبر به واطلع عليه عطف على ما اخبر به من اسرار المنافقين اي ما اسروه في
انفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم او ما كانوا يقولونه سرا بينهم
بحيث لا يتفق عليه المؤمنون وكفرهم المضمر في قلوبهم مع اظهارهم الايمان وقولهم فيه
اي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وفي المؤمنين وهو معطوف على اسرار المنافقين
عطف تفسير كقول راسهم ابن ابي لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف ارد هولا
السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثاني
اثنين في الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال له مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله
وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني
فعلت فاثنوا عليه خيرا ان يكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها
ضمير شان مقدر كان بعضهم اي بعض المنافقين يقول وفي نسخة ليقول لصاحبه
اي من هو معه منهم اذا اراد ان يتكلم بشيء في حقه صلى الله عليه وسلم سرا
معه اسكت ولا تنطق بشيء من امره ثم بين وجه امره بالسكوت مقسما عليه ليحقق
ما قاله فقال فوالله لو لم يكن عنده من يخبره بما يقوله في شانه من ملك او جن
يبلغه ما يقال فيه لاخبرته حجارة البطحا وهي ارض مستوية يسيل فيها الماء
والمراد بحجارتها ما فيها من الحصا يعني ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا
اشارة ايضا لما وقع له صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وامر بلالا ان يعلو ظهر
الكعبة ويؤذن عليها وابو سفيان بن حرب وعتاب بن اسيد والحارث بن هشام
جلوس بفنا الكعبة فقال عتاب لقد اكرم الله اسيدا اذ لم ير هذا اليوم وقال
الحارث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال ابو سفيان لا اقول شيا
ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصا فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال
علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله
ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك به واعلامه بالجر معطوف على ما
اخبر به وهو اشارة الى ما في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها وهو مصدر
مضاف لفاعله ومفعوله محذوف اي اعلامه الناس بصفة السحر الذي سحر
به لبيد بن الاعصم وهو يهودي من بني زريق وقصة سحره مشهورة في السير
والتفسير وكونه اي السحر المذكور الذي وضعه في مشط بضم الميم وكسرها
وسكون الشين المعجمة وطاء مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها الشعر ويقال
لها ممشط ايضا ومشاطة بضم الميم وهي ما يسقط من الشعر اذا سرح وفي
نسخة مشاقة بقاف بدل الطاء وهما بمعنى او الاول من الشعر والثاني من
الكتان في جف بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء الطلع الذي يكون عليه
كالغشاء وفي نسخة جبّ بالموحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب البير
وهو مضاف لقوله طلع نخلة ذكر والطلع ما يخرج من النخل في ظرف
ينطبق عليه معروف والنخل منه ذكر وانثى تحمل بزهرها المعروف وانه
بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور القي في بير ذروان اي وضع في هذه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

البير وهي بير بالمدينة لبني زريق وهي بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو
بزنة فعلان فكان ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ووجد السحر على
تلك الصفة التي وصفها نحو من اخباره بالغيب بوحي من الله كما فعلوا وعن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما سحر قال اتاني رجلان فقعد احدهما
عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب
اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة
وجف طلع ذكر قال واين هو قال في بير ذروان فجاها صلى الله عليه وسلم في ناس
من اصحابه فاستخرجه فلما رجع قال يا عائشة كان ماها نقاعة الحنا وكان روس
نخلها روس الشياطين فقالت هلا احرجته يا رسول الله قال قد عافاني الله فكرهت ان
اثير على الناس منه شرا فامر بها فدفنت قال ابو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بير
ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعي هو خطا وصوابه اروان بالهمزة انتهى وفي القاموس
بير ذروان بالمدينة وهي ذو اروان بسكون الرا وقيل بتحريكه انتهى وفي مسلم
بير ذي اروان قال النووي وهو صحيح والاول اجود واصح ويحتمل ان الاول
مخفف منه واعلامه صلى الله عليه وسلم قريشا كما رواه البيهقي عن الزهري
في الدلايل باكل الارضة بفتحات دودة تاكل الورق وتتكون فيه اذا انطبع
زمانا بحيث لا يعتريه الهوى وهي معروفة وعلى انواع ومنها ما ياكل الخشب فمن
ثم هنا بدويبة تاكل الخشب قال تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل
منساته والارض بالتسكين مصدر ارض اذا كان به ارضة اضيفت لها لم يطبق المفصل
وليست هي الدابة المسماة سرفة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب ما في صحيفتهم
الاضافة للعهد اي الصحيفة المشهورة وسياتي بيانها التي تظاهروا بها اي
تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم على عهود كتبوها في تلك الصحيفة كما سياتي على
بني هاشم وهم نخذ من قريش وقطعوا بها رحمهم اي قصدوا بما كتب في
الصحيفة قطع رحمهم اي قرابتهم اي ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين
بني عمهم من بني هاشم واصل الرحم مقر الولد ثم شاع في القرابة حتى صار حقيقة
فيها وانها اي الارضة وهو معطوف على اكل الارضة اي واعلامه صلى الله
عليه وسلم بانها ابقت فيها اي الصحيفة كل اسم لله دون غيره مما عاهدهم
عليه فمحته لانه باطل وابقت اسم الله تبركا وتادبا وهذا على احدى الروايتين
والاخرى ستاتي وتوجيهها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم واخبر
به عن الغيب نحو من معجزاته ومما ذكره المحرمي انها ابقت اسم الله تادبا ومحت
غيره للاشارة الى انه امر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفي رواية
اخرى انها لحست اسم الله وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى
ان الله بري منهم وانه لا يليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة
والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس في سيرته فان صحت الروايتان اشكل
ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان في التوفيق
بينهما ان لم تقل ان رواية انها لحست اسم الله اقوى والمعقول انما هو

عليها

عليها انه كتب نسختان علقت احداهما في الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذ لم يقع
ذلك في رواية اصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور بن عكرمة وقيل
بغيض بن عامر بن هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم امره صلى الله عليه
وسلم واشتد على المسلمين فترهم ارادوا قتله فلم يرض به ابو طالب وبنو هاشم فقالوا
اما ان تسلموه لنا او تعتزلوا عنا جميعا في الشعب بحيث لا يعاملوننا ولا يجتمعوا
معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها في الكعبة فكان كلما جا اهل
البادية بما يباع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال
وندم بعض قريش وارادوا نقض العهد فبينما هم كذلك اذ قال النبي صلى الله
عليه وسلم لابي طالب يا عم ان الله ابطل عهدهم واكلته الارضة فخرج اليهم
فظنوه انه اتاهم ليسلم لهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بالقصة
فاتوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل
في السير وكان ذلك مما اطلعه الله عليه من غيبه وهذا يقتضي صحة ما قاله
المحرمي وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم يجد ما ينفي التعدد
ووصفه لكفار قريش بعد الاسرا كما تقدم تفصيله بيت المقدس مفعول وصف
وقوله حين كذبوه في خبر الاسرا اي في اخباره بانه اسري به لبيت المقدس
ونعته اياه اي بيت المقدس نعت من عرفه بالنصب مفعول نعته والنعت
والوصف متقاربان والمحرمي غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال في غير الله
ولا يقال نعت الله ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها واعلامهم بالجر اي اعلام
الكفار بعيرهم بكسر العين اي قافلتهم من غار بمعنى سار وامتار بالفتح فهو
الحمار وليس بمراد هنا التي مر عليها في طريقه لما رجع من الاسرا وانذارهم
بوقته وسقوطها الهمزة الاندار هنا بمعنى الاعلام مجازا واصله التخويف والاخبار
بما فيه خوف ضد التبشير كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب بعوقوله
صلى الله عليه وسلم انها تقدم وقت كذا يقدمها جمل اورق كما مر فكان ذلك
كله اي وجد ووقع كما قال صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما
اخبر به وقد قدمنا تفصيله ثمة فلا حاجة لاعادته الى ما اخبر به من الحوادث
اي ما تقدم من بيانها وبينهم لغيره مما اخبر به مما سيحدثه الله بعده من
الامور التي تكون في المستقبل ولم يات بعد مبني على الضم اي لم يقع عقب
اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لم يظهر
فاذا جا الا وان يجي فان خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف والى ذلك اشار
بقوله منها ما ظهرت مقدماته بكسر الدال اي علاماته المتقدمة عليه كقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود في سننه عمران بيت المقدس
بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه معمورا باتمام بنائه وكثرة سكانه
وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره وتقدم معنى كونه مقدسا وما فيه وهو
مبتدا خبره خراب يثرب بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة
وجعله عينه مبالغة كقولهم زيد عدل او حرب به السيف وليس المراد التشبيه فالحمل في قوله

عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على طريق المجاز في النسبة الاسنادية
بجعل ما يقرب من ويلاصقه كانه هو بعينه فلا يقال انه غيره فكيف اخبر به عنه
وخراب يثرب الذي يعمر عنده بيت المقدس خروج الملحمة والملحمة بميم مفتوحة
وميم ساكنة وحا مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه
كما في النهاية الاثيرية وفي الصحاح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من النحم
بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض كالتشكل والحمة او من اللحم لكثرة لحوم
القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه احكام النجوم واثار الجو من
السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذي يكون في اخر الزمان
وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفي نسخة قسطنطينية بغير الف ولام وبعد
النون الثانية يا مشددة وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار الكفر
وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين اسم اول ملك بناها وهو اول من اظهر
دين النصرانية ودونه وهي مدينة عظيمة الشكل منها جانبان في البحر وجانب
في البر ولها سبعة اسوار وسمك سورها الكبير احد وعشرون ذراعا وفيه
مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها
منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة
من مارستانها قد البست كلها بالنحاس وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على
فرس وقوايمه محكمة بالرصاص ما عدا يده اليمنى فانها مطلقة في الهوى
كانه سائر والملك على ظهره ويده موقوفة في الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد
الشام ويده اليسرى فيها كرة مكتوب عليها ملكت الدنيا حتى بقيت في كفي
مثل هذه الكرة وخرجت منها كما ترى وفيها لغات ضم القاف وفتح الطا الاولى
ومنها مع تخفيف اليا الاخيرة وتشديدها وحذفها مع سين وقد وقعت في
الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفهما كقول ابي تمام

حتى الثوي من نفع قسطلها على ۝ حيطان قسطنطينية الاعصار

وهي المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه ام لا فقيل فتحت في زمن
الخلفا والاصح انها انما تفتح في اخر الزمان قبل خروج المهدي وهو الذي
صححه المقدسي في كتاب الدرر في اخبار المهدي المنتظر والذي اوقعهم في
اللبس اشتراك الاسم فانه تسمى بها مدن متعددة والمذكور في هذا الحديث
كله يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وكذا ما معه من الاشراط
واليه اشار بقوله ومن اشراط الساعة وايان حلولها معطوف على قوله
من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهي العلامة والمقدمة وهي
والاية بمعنى وقيل هي ما ينكره الناس من صغار امورها وعلامات القيامة
التي تكون في اخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره مما هو مشهور غني
عن البيان وهذا كله مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقد
فصله القرطبي في تذكرته وذكر النشر والحشر الذي هو اخر الاشراط
واخر الدنيا اذا نفخ في الصور والنشر للمنيا اي يحيي فيقوم من قبره من نشر

الثوب

الثوب اذا بسطه قال الشاعر

طوتك خطوب دهرك بعد نشر ۝ كذاك الخطوب طيا ونشرا

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب واخبار الابرار بالجزاء مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من اخباره عن صلحا امته وفجارهم
واخبارهم بما يسرهم وتقر به اعينهم واخبار غيرهم بما يسوءهم ويبكيهم
والخبار بفتح الهمزة جمع خبر او بكسرها مصدر اخبر والابرار جمع بر او بار كرب
وارباب وصاحب واصحاب وهو التقي الصالح والفجار جمع فاجر وهو الفاسق
المجاهر بالمعاصي والمعنى انه صلى الله عليه وسلم اعلم امته بما سيكون فيهم
وهو كثير في الاحاديث والجنة والنار اي ذكر احوالهما واهلهما وما سيكون فيهما
وعرصات القيامة بفتحات جمع عرصة بسكونها وهي كل موضع واسع لابنا فيه
اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من بيان مواقف
القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها وبحسب هذا الفصل البازايدة كما في
قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين المهملة مبتدا خبره ان تكون ديوانا
اي كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه وهذا الفصل اشارة
الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة
في كثرته كما ذكره في اوله وانه لو الف فيه تاليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن
امرا غريبا مفردا عن غيره من المعجزات يشتمل ذلك الديوان المؤلف على اجزا يتميز
انواعه وافراد كل نوع بباب وحده منفردا من بينها ثم اعتذر لعدم افراده
بالتاليف بقوله وفيما اشرنا اليه اي ما ذكره في هذا الفصل منه وهو خبر مقدم
نكت من نكت الاحاديث التي ذكرناها اي لطائف ودقائق نفيسة وقد تقدم بيان
النكت مفصلا وقوله كفاية مبتدا مؤخر ولو حذف قوله نكت كان احسن لانه
اذا كان مبتدا كان قوله كفاية مبتدا اخر او بدل او صفة بتاويله بكافية وكله
تكلف اي المقدار الذي اقتصر عليه المؤلف عن افراده بالتاليف واكثرها
اي النكت المذكورة في هذا الفصل منقول في الصحيح من كتب الحديث المعتمدة
وموجود عند الايمة من علما الاثر ومشايخ الامم وفي تعبيره بالاكثر اشارة
الى ان فيه ما هو ضعيف او لم يثبت كما بيناه لك في اثنا شرحه

فصل

في عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الناس اصل معنى العصمة الامساك
والمنع قال الراغب الاعتصام التمسك بالشي واستعصم استمسك كانه طلب
ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله للانبيا حفظه اياهم بما خصهم
من صفا الجوهر ثم بما اولاهم من الفضايل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة
وتثبيت اقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وحفظ قلوبهم وبالتوفيق
انتهى يعني ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي
وفي الحفظ عن نيل المضرة من اعدايهم والمراد هنا المعنى الاخير كما اشار اليه
بقوله وكفايته من اذاه اي كفاية الله اياه بحفظه ممن قصد اذيته والمراد
بالناس ما يشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه في تفسير

يعني

المعوذتين اوخصهم لانهم الذين عادوه صلى الله عليه وسلم وقصدوا اذيته وقوله من اذاه من ذكر العام بعد الخاص ليشملهم صريحا واستشهاده له بقوله قال الله تعالى والله يعصمك من الناس يقتضي انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه الاية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضري في الخصايص برده ما روي عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج بعث معه ابو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الاية فقال له يا عم ان الله عصمني من الجن والانس فلا حاجة لي بمن تبعثه معي وهذا يدل على انها مكية وفي مسلم عن عايشة ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة اي عند مقدمه المدينة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة فسمعنا صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص جيت لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذي عن عايشة كما ياتي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الاية الخ اي فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها نزلت مرتين بمعنيين فالناس على الاول اهل مكة وعلى الثاني اعم خلاف الظاهر ثم قال اكثر المفسرين ان هذا الذي كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاذى فلا يرد عليه انه اذا عصم لم ليصل اليه ما شج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا للامة لياخذوا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه لحكمة وهي كما مر ان يشارك المومنين في المصيبة تسلية لهم عما نالهم من فقد احبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم انتهى واما العصمة عن الذنوب فسياتي في محلها والى ما قدمناه اشار في الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لا محصل له وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله الاكلة خيبر قطعت ابهري وقالوا حكمته ان ينال اجر الشهادة ويجمع بينها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ما قالوه واجيب بان الله كفاه قتله بالتسميم الاكلة فلم يوثر فيه فلما قضى اجله اثر فيه بقيته لعلو رتبته وليس لاحد صنع فيه والقول بان الشج وغيره كان قبل نزول الاية ينافيه ثبوت انها نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحي غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولا يخفى ما في كلامه كما يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه عن ان يقتله عدو له مجاهر بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا ولم يبطش له انتحال الاكلة ولا يعد ذلك بما يطلع عليه اعداوه واما ان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا امره بالصبر على اعبا الرسالة ومشقة تبليغ ما امر بتبليغه ثم سلاه بان لا يخاف من احد فانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا اظهر مما في الكشاف ومما قيل انه للمبالغة والتاكيد قال الراغب يقال فلان بعيني اي احفظه واراعيه كقولهم

هو مني

هو مني بمرأى ومسمع وقوله واصنع الفلك باعيننا اي بحيث يرى ويحفظ وفيه كلام مفصل ليس هذا محله وقال اليس الله بكاف عبده فيه اثبات لكفاية الله له على ابلغ وجه لانه استفهام انكاري وهو نفي معنى ونفي النفي اثبات بمعنى ان عبادي يحفظون عبيدهم فكيف لا احفظ عبدي ولما كان العبد غير معين هنا اشار بقوله نقلا عن السلف انه قيل ان معناه بكاف محمدا المراد بعبده لان الاضافة عهدية اعداء المشركين وبهذا يكون دالا على المقصود ومطابقا لما قدمه وما قيل من انها نزلت لما قالوا له صلى الله عليه وسلم اما تخاف ان تخبلك الهتنا لكونك تعيبها ليس مطابقا لهذا المقام وقوله اعداء المشركين بيانه وقيل في تفسير هذه الاية غير هذا كالقول بان المراد انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده ويويده انه قرئ بكاف عباده بصيغة الجمع وتمامه يدل على عصمة الله له كقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين الهزو السخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش كانوا يوذونه صلى الله عليه وسلم ويهزون به فاهلكهم الله لما اشتد اذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون في تفسير هذه الاية وهذا نوع من حفظ الله له بتعجيل اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الاية وبيان هولا المستهزيين وذكر هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الايات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه ويذكر بعض افراده المثبت لمراده وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقد تقدمت هذه الاية وبيان معناها وانما اتى بها هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دابه والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازا على طريق المشاكلة وهي اشارة الى ما كان فيهم بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان

واعلم ان الشيخ الاكبر قال في بعض رسايله ان الله كما عصم نبينا في حياته عصم رؤياه في المنام بعده وفاته من دعاية الشيطان التخييلي وتمثله في صورته فطيفه كذا انه معصوم من ان يوذ به الاحلام وعبارته كل من يرى في المنام فيمثله في خيال الرائي الملك او النفس والشيطان الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان الشيطان لا يتمثل به عصمة لهم كما كانوا في حياتهم معصومين في البواطن من القايه فانسحبت عليهم حياة وموتا في المحل الذين كانوا معصومين فيه والرؤية والنوم من عالم الباطن انتهى ثم شرع في ذكر الحديث الذي رواه الترمذي عن عايشة فقال اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي الاندلسي المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد في وقعة بالاندلس وقد تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفي بفتحتين نسبة لصدف بفتح فكسر قرية بغرب فيروان بقراءتي عليه لا بالاجازة والفقيه الحافظ ابو بكر محمد ابن عبد الله المعافري هو القاضي ابو بكر بن العربي ويقال ابن عربي ايضا معرفا ومنكرا وبعضهم يخصه بالتعريف ويقول ابن عربي بدون ال هو الشيخ محي الدين المتوفى نفعنا الله به وهذا المذكور هو محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وابوه من كبار اصحاب ابن حزم الظاهري وابنه

شبكة الألوكة www.alukah.net

ممن اخذ عن الغزالي وغيره ورحل لملاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفي بفاس في
ربيع الاخر سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ونسبته لمغافر بغين معجمة وفا ورا
مهملة وميمه مفتوحة وحكي في اسم الحي الفتح وانكره ابن السكيت حي من همدان
ولا ينصرف واليه تنسب الثياب المغافرية قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي
المبارك بن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما في بعض النسخ الحسن مكبرا خطا من
الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو يعلى بفتح المثناة التحتية واللام
والف البغدادي نسبة للمدينة المعروفة قال حدثنا ابو علي السنجي نسبة لسنج
بسين مهملة مكسورة ونون وجيم وهي قرية بمرو قال حدثنا ابو العباس المروزي
وهو محمد بن احمد بن محبوب راوي الترمذي وقد تقدم قال حدثنا ابو عيسى
الحافظ ابن سورة الترمذي صاحب السنن امام الحديث المشهور شهرته تغني عن ذكره
قال حدثنا عبد بن حميد بلا اضافة لعبد وقد تقدم قال حدثنا مسلم بن ابراهيم
الازدي الفراهيدي ابو عمرو الامام الحافظ الذي احتج له الستة توفي سنة
مائتين واثنين وعشرين قال حدثنا الحارث بن عبيد ابو قدامة الايادي
البصري له ترجمة في الميزان عن سعيد بن الجريري بضم الجيم وفتح الرا كالمصغر
نسب لجرير بن الضبي كما في الكاشف للذهبي عباد وترجمته في الميزان عن عبد الله بن
شقيق التابعي العقيلي من كبار التابعين توفي سنة مائة او ثمان ومائة
عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس بصيغة المجهول
اي يحرسه الصحابة رضي الله عنهم في وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة
اذا كان خارج بيته حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس ونزولها
بالمدينة لان سورة المائدة من اخر ما نزل وتقدم قول اخر بانها مكية لكن الصحيح
خلافه وفي بعض الحواشي عن ابن عرفة انهم اختلفوا في صحة الدعا بالعصمة لغير النبي
صلى الله عليه وسلم والاية تدل على صحته فان العصمة مقولة بالتشكيك وقد
كان صلى الله عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار وهو
عام مخصوص ولا مانع من ابقائه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته
له من غير قصد انتهى قلت قال شيخ والدي الشهاب ابن حجر في شرح الارشاد
اختلف في سؤال العصمة فقيل يجوز لقول مالك والشافعي في الرسالة نسالك
العصمة وكذا قول المشايخ نسالك العصمة في الحركات والسكنات وفي الحديث
اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم
اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان سال التوقي عن جميع المعاصي
والرذايل في جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة فان قصد التحصن
عن افعال السوء فلا باس به انتهى وهذا كله كلام غير مهذب لان العصمة
لها معنيان احدهما الحفظ من اذية الناس والثاني حفظه في نفسه عن
ارتكاب المعاصي وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جائز فيهما
كاللهم اعصمني من الكذب او الزنا او اللهم احفظني من اسر الكفار واعصمني
من كيد الشيطان والفجار ومطلق فيهما ولا مانع منه ايضا اذ لا مانع ان

يقول

(في الهامش: تلمساني)

يقول اللهم اعصمني من جميع الذنوب او من جميع الناس فانه امر مطلوب وقوله انه طلب
مقام النبوة كلام واه والذي اختصت به الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوعه لهم
لا طلبه فقد خلط هؤلا العصمتين ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه فاخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة بالضم وتشديد الموحدة وهي كل
مرتفع من البناء او الخيمة والخبا من قبب اذا علا وليس معناه ما هو مستدير على
شكل كري كما تفهمه العامة فانه عرف طار والمراد به هنا خبا كان فيه صلى الله
عليه وسلم في بعض اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب
ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم البجائي في شرحه ولا يترتب عليه فائدة
هنا فلذا تركناه فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا من حولي واتركوا حراستي فقد
عصمني وحفظني ربي عز وجل فلا حاجة لي ان يحرسني الناس وروي بصيغة المجهول
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اي اقام به مما اختاره له اصحابه
شجرة يقيل تحتها من قال يقيل قيلولة اذا نزل في وقت القايلة وهي الظهيرة
وما قرب منها للاستراحة سوا نام ام لا وان كثر فيها النوم فاتاه اعرابي هكذا
فاصبحه اي فاختاروا له في بعض اسفاره شجرة ليقيل تحتها فنزل تحتها وليس معه
من يحرسه فاتاه الخ والاعرابي رجل من اهل البادية تقدم بيانه فاخترط سيفه
اي سله واخرجه من قرابه ليضرب به وضمير سيفه اما للاعرابي فمعناه سل سيفا
كان معه او للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم
عليه الاعرابي اخذه وسله وهو صريح ما ياتي في لفظ رواية الصحيحين واصل
معنى الاخترط ازالة ما على القضيب من ورق او قشر فنسبه ازالة غمده بذلك او هو
من اخترطه اذا اخرجه من خريطته يجعل الغمد كالخريطة ثم قال الاعرابي بعد
اخترطه له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني الاستفهام انكاري بمعنى
النفي اي لا يمنعك مني احد لاني دخلت على حين غفلة وليس معك احد وعطف
بثم والظاهر الفا اذ لا مهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر ما يصنع او كان اتاه من
خلفه او استعمل ثم بمعنى الفا وهو كثير فقال الله اي يمنعني الله او الله يمنعني
ويحميني فارعدت يد الاعرابي ووقع في بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبني للمجهول
اي اصابته رعدة بكسر الرا وفتحها وهي اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد
لشدة الخوف وقال التلمساني انه الصواب يعني لا رعدت الثلاثي وهو خطا
منه فان الذي صححه البرهان انه رعدت ثلاثي مبني للمفعول وتبعه الشيخ
وغيره وقالوا انه من الافعال التي لم يسمع فيها الا المجهول كحجن وهو
الموافق للرواية واللغة وسقط سيفه من يده لشدة ارتعاده من خوفه وضرب
ذلك الاعرابي براسه الشجرة لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها حتى تكسر
عظم راسه وسال دماغه لما كسر قحفه الذي كان فيه الدماغ فنزلت الاية المذكورة
والله يعصمك الخ وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر راسه سال منه وليس
فيه كما توهم حذف ليذهب النفس كل مذهب ممكن اي سال دما او مخا وهذا
الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد في الكتب المعتبرة عند اهل الاثر ولم

(في الهامش: درجي)

يذكروه في اسباب النزول واليه اشارة بما يقوله وقد روت هذه القصة يعني قصة
الاعرابي في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح البخاري وان غورث بن الحارث
وفي نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة
مفتوحة في المكبر ومثلثة صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه
وهذا يخالف ما قبله في تلك الرواية من انه ضرب براسه الشجرة الخ اذ صريحها انه هلك
بذلك السبب فينافي العفو عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس لما راه
من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن جابر رضي
الله عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا
القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس
يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه ونمنا
نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابي فقال ان هذا
اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني
فقلت الله عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروي انه شام السيف اي اغمده وفي
سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه الا اقتل لكم محمدا
افتك به فاقبل اليه وسيفه في حجره فقال يا محمد اعطني سيفك انظر اليه
فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فمنعه الله فقال يا محمد اما تخافني
وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك فرد السيف فانزل الله يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وروي ان السيف سقط من يده فاخذه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال له كن خير اخذ
واسلم ورجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكي مثل هذه الحكاية
وفي كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التانيث لان المضاف يكتسب التانيث
من المضاف اليه كقوله • كما شرقت صدر القناة من الدم • وهو كثير وجعله
صفة مؤنث مقدر اي حكاية مثل هذه الخ كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفي بعض
النسخ وقد حكيت هذه الحكاية وهي ظاهرة بحسب اللفظ والاولى اظهر بحسب
المعنى والمجاورة له صلى الله عليه وسلم اي وقعت يوم بدر اي في وقعة
بدر يقال جرى لنا كذا اي وقع وهو مجاز من الجري فاستعير لما ذكر لكنه
صار حقيقة عرفية فيه وقوله وقد انفرد من اصحابه جملة حالية من
ضميره اي منفردا عنهم لقضاء حاجته كناية عن البراز مشهورة فتبعه رجل
من المنافقين وذكر مثله بالنصب مفعول ذكر ومماثلته له في سل سيفه وقوله
من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان الحلبي
لم يخرج ايضا وقد روي رواه ابن اسحاق في سيرته عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما انه وقع له صلى الله عليه وسلم مثلها اي مثل هذه الحكاية
والواقعة في غزوة غطفان بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهي
قبيلة مشهورة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم في سرية نحو اربعمائة وخمسين
فارسا في ربيع الاول بعد خمسة اشهر من الهجرة بذي امر بهمزة وميم

مفتوحتين

عص

مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان وتسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذي امر
وانما راسم ذلك المكان ايضا مع رجل متعلق بوقع اسمه دعثور بضم الدال وسكون
العين المهملتين وثاء مثلثة وواو ساكنة وراء مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من
اسم الحوض الصغير ابن الحارث وهو رجل من بني محارب وتقدم ان غورث بن الحارث
وقال ابن سيد الناس في غزوة ذات الرقاع ان الخبرين والرجلين واحد وكان جمع بني
ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربهم
واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فهربوا في رؤوس الجبال وكان قبل ذلك يدعي انه
يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرته ويقتله فكان منه مثل هذه القصة
وروي ان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه به اي حرضوه على الفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمه الله منه وكان ذلك الرجل سيدهم واشجعهم
جملة معترضة بين لما وجوابها بيان لسبب اغرائهم له واقدامه على ذلك قالوا
له جواب لما اين ما كنت تقول انكارا عليه لما هرب وقد كان يقول اني اقتل محمدا
وقد امكنك فاعله ضمير مستتر يرجع لما وامكنه الامر اذا لم يمنعه مانع
فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم لعلمه من السياق
اي تمكنت منه لمصادفته له وحده ومعه سيف مسلول في يده فقال اني
نظرت الى رجل ابيض طويل حال بيني وبينه ودفع في صدري فوقعت لظهري
اي وقعت على ظهري لشدة دفعه وقوته وسقط السيف الذي كان بيدي من يده
فعرفت انه اي الرجل الذي دفعني ملك لانه لم يكن ثمة احد حين هجمت عليه
ولان قوة دفعه ومهابته ليست مما يعهد ته واسلمت لما شاهدته مما يدل على نبوته
قال ابن اسحاق اصابه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره مطر فنزع ثوبه
ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا لدعثور الفرد محمد فعليكم به
فاقبل بسيفه حتى قام على راسه وقال من يمنعك اليوم مني فقال الله فتمثل
له جبريل عليه الصلاة والسلام ودفع في صدره فوقع سيفه فاخذه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال لا احد وانا اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام قيل وفيه
اي في هذا الرجل وقصته نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم الاية وفي سبب نزولها اقوال اخر فقيل نزلت لعسفان لما شرعت
صلاة الخوف وقيل في بني قريظة وقيل في بني النضير كما سياتي وفي رواية
الخطابي وهو حمد او احمد بن محمد بن ابراهيم الامام الجليل في العلوم الشرعية
ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب اخي امير المؤمنين عمر رضي الله عنه
وتاليفه جليلة مشهورة ككتاب الاثار وشرح السنن وغيره ان غورث بن
الحارث المحاربي منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفي نسخة غويرث
بالتصغير كما تقدم وقد مر ان ابن سيد الناس قال في غزوة ذات الرقاع
في دعثور بن الحارث ان المذكور في غزوة ذي امر من الخبر شبيه هذا الخبر
فالظاهر ان الخبرين واحد وقال الذهبي في التجريد دعثور بن الحارث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخطابي الاشبه انه عورث وقال البرهان انه صنيب عليه بنو عنده غلط وفي
هامش نسخته من الشفا عوض دعثور غورث وعليها علامة نسخة وصحح ايضا
انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم
يفتك مثلث التا من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على امر عظيم فيه
مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا وقيل الفتك القتل مجاهرة فلم يشعر به
اي لم يعلمه ويحتبي به في حال من الاحوال الا وهو قايم على راسه المراد بقيامه على
راسه وقوفه خلفه متصلا به منتصبا بضاد معجمة ومثناة تحتية اي مجردا وسالا
سيفه ليضربه به فلما راه قال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه بما شيت المهر
لعورث وبما شيت ما موصولة عايدها مقدر اي بالامر والسبب الذي يشينه
واردته والمراد تفويض امر كفايته الى الله وتسليم امره له كما ورد اللهم اكفنا
السوء بما شيت وكيف شيت وهو اقرب الى الاجابة من تعيين ما يدفعه عنه
فعقب قوله من غير مهلة انكب لوجهه اللام بمعنى على اي سقط على وجهه
يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيه متعد ومزيده لازم على خلاف القياس
وجات اللام بمعنى على كما في قوله • فخر صريعا لليدين وللفم • وقوله من
زلخة متعلق بانكب والزلخة بضم الزاي المعجمة وفتح اللام المشددة وخا
معجمة وتاكيده وروي لبعضهم تخفيف لام زلخة زلخها بضم الزاي وتشديد
اللام المكسورة وخا مفتوحة معجمة وها ضمير للزلخة وقراه بعضهم بالجيم
وهو غلط كما قاله الخطابي وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب اعطي
وفاعله الله والمراد وجدها الله حين سل السيف وقوله بين كتفيه لا ينافي
تفسير الزلخة المذكور فان ما بين كتفيه من اعلى الظهر فهو تابيس واشارة
لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد للكتفين ضعفت اليد عن حمله وندر سيفه
من يده اي من داخل قبضة كفه واصابعه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين
ورا مهملة اي سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف او من بين اشيا والزلخة
وجع ياخذ في الظهر فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلل ويقال
لزحلوقة تلعب بها الصبيان وقيل اي قال غير الخطابي في قصته اي قصة
غورث غير هذا المذكور من ارادته الفتك فانه روي انه جمع ناسا للاغارة
على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم هربوا الى رؤس
الجبال كما مر وان الامر والشان قصته مقدر فيه اي في غورث نزلت اية يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان صلى الله عليه
وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية وهي يا ايها الذين امنوا الخ او قوله والله
يعصمك من الناس استلقى اي نام صلى الله عليه وسلم وامتعاظهم على الارض
لامنه اعداه واطمينان قلبه ثم قال من شا فليخذلني بخا وذال معجمتين مفتوحة
معجمتين والخذلان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشايمعنى
الخبر اي الخبر عن المعين والحرس لان الله حامي ومنجي انه لا يقترب الي احد
يميل الي ولذا استلقى على ظهره واظهر هيئة الامن والتبري من حوله وقوته

اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضي ان هذه الاية مكية لان خوفه من قريش
انما كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وتكرر النزول بعيد كما تقدم
وذكر عبد بن حميد الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير في تفسيره
مرسلا قال كانت حمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن
حرب زوجة ابي لهب وسميت حمالة لانها كانت تضع العضاة بغين وضاد معجمتين
واحدة العضا وهو شجر له شوك اذا وقد كان شديد الاحتراق فلذا قالوا نار
الغضا النار الغوية وقوله وهي جمر يحتمل ان يكون تفسيرا للغضا لانه يطلق على نار
كما يطلق على محله قال فسقى الغضا والساكنيه وان هم شبوه بين جوانحي وضلوعي
وان يكون حالا من العضا وجمر بمعنى متوقدة اي تضعه حالة كونه جمرا على طريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وممره من بيته للحرم وغيره تقصد بذلك ان
يمشي عليه فيؤذيه ويؤثر في قدمه وقد قيل في تسميتها حمالة الحطب وجوه اخر
مذكورة في التفاسير منها انه على ظاهره ومنها انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار
فكان صلى الله عليه وسلم وفي نسخ فكانما بزيادة ما يطوها اي يضع قدمه على
تلك العضاة وهو كاف او يفعل يؤثر مثلها فيه فيجدها كثيبا بالمثلثة ومثناة
تحتية وموحدة وهو ما اجتمع من الرمل اهيل مبني للمجهول يقال هال الرمل
اذا اساله ولم يجمعه كالربوة والمشي عليه حينئذ اسهل واليه اي يجده صلى
الله عليه وسلم سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام قال ابن
نفيل • يمشيه هيل النقا لانت جوانبه • يبنها الحينا ونبهاه الثرى حينا
وذكر ابن اسحاق امام اهل السير وهو محمد بن اسحاق بن يسار الامام الثقة
الصدوق وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة في الميزان وغيره انها
لما بلغها نزول سورة تبت يدا ابي لهب وذكرها مصدر مرفوع معطوف على
نزول بما ذكرها الله به مع زوجها من الذم بيان لما وهو ما في السورة اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه
وفي يدها فهر بكسر الفا وسكون الها وراء مهملة وهو حجر ملؤ الكف او هو الحجر
مطلقا وهو في قوله يعودحر جوا من فهر هو بيت درا سنهم كلمة معربة اصلها
بهر بالبا وقوله من حجارة بيان لفهر فلما وقفت عليهما اي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابي بكر لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها اي قبض وحبس
نظرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم اي عن رويته وهو جالس عندها
فاخفاه الله عصمة له صلى الله عليه وسلم عن اذيتها وهذا يقتضي انه عصمه
صلى الله عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم فقالت يا ابا بكر ان صاحبك
فقد بلغني انه يهجوني اي يذمني على ان الهجو لا يختص بالشعر حقيقة او
مجازا او هو منها لتوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها نزيد به ما نزل في
حقها في سورة تبت والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه حسنة لانه محل
النطق بذمها فرجعت خاسية وهذا رواه البيهقي وغيره عن اسما بنت ابي
بكر الصديق رضي الله عنها كما رواه ابن اسحاق وروى ابو نعيم في الدلايل

بزيادة ما

والطبراني بسند جيد عن الحكم بن ابي العاص والد مروان وهو ممن اسلم عام الفتح
وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه في اسمه واسم ابيه ولكن المشهور
هو هذا اولا ما لم يميزه المص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم اي تواعدنا هو
وبعض الكفرة على قتله صلى الله عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا
في الميعاد فوقفنا نرقبه حتى اذا رايناه اي لما قرب منا وابصرناه بحيث تمكنا منه
سمعنا صوتا اي صيحة عظيمة خلفنا اي من خلفنا ما ظننا انه لم يبق بتهامة احد
ما يحتمل ان تكون زائدة ان كان التقدير بانه لم يبق احد بتهامة الا وقد هلك
بتلك الصيحة وان تكون نافية اذا اريد ان جميع اهل تهامة صاحوا علينا صيحة
واحدة وقد لحقونا ليقتلونا فالمعنى اننا تيقنا وجودهم خلفنا والمعنيان
متقاربان والمال واحد ولهم هنا كلام لم يتضح بالمراد وتهامة بكسر التاء معناها
ارض منخفضة ويقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض او شدة الحر والريح
او لتغير هواها يقال تهم الدهر اذا تغير وهي ارض معينة ورا مكة من المغرب
من ذات عرق الى البحر والمدينة لا تهامية ولا نجدية فوقعنا مغشيا علينا
من هول تلك الصيحة والغشي كالاغماء ذهاب العقل مع سقوط القوى فما
افقنا من ذلك الغشي حتى قضى صلاته اي فرغ منها واتمها ومضى الى اهله
اي رجع صلى الله عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر
منه بشيء اردناه ثم تواعدنا على ما قصدناه وان نعود لذلك ليلة اخرى فجئنا
حتى اذا رايناه يقربنا وهو مار للمسجد ليصلي به كما في المرة الاولى جاء الصفا
والمروة هما ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحجاج معروفتان والمراد بمجيئهما
تحركهما من مكانهما حتى كانا بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم كما بينه بقوله
فحالتا اي الصفا والمروة بيننا وبينه فمنعتنا من الوصول اليه لعصمة الله
له والصفا كالمروة مؤنثة باعتبار البقعة والربوة وافرد ضميرهما وكان
الظاهر فحالتا لتاويله بحالت كل واحدة منهما وفي هذا معجزة له صلى الله عليه
وسلم ظاهرة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تواعدت انا [illegible] لنقطع عليه
قوله وابو جهم بن حذيفة واسمه عامر وعبيد بن حذيفة بن غانم بن
عامر العدوي اسلم عام الفتح وصحبه صلى الله عليه وسلم وكان معظما في قريش
توفي في ايام معاوية وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية ليلة
منصوب على الظرفية منون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منصوب
على انه مفعول له او بنزع الخافض اي على قتله او لقتله او بتقدير اي ورمنا
قتله وجئنا منزله ليلا خفية فسمعنا اليه وفي نسخة له وفي نسخة فسمعنا
اي اطلنا السماع لا نتكلفناه كما قيل وعداه بالحرف لتضمنه معنى اصغينا
لقراءته حتى نسمعها وهو يقرؤ في صلاة الليل فافتتح ابتدا قراءته وقرا
الحاقة ما الحاقة حتى انتهى الى قوله فهل ترى لهم من باقية يعني قوله كذبت
ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح
صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم

فيها

فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد بالحاقة ما حق وقوعه
بهم من الداهية او الساعة التي وقعت فيها من حق بمعنى وجب وثبت وقوله وما ادراك
ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة الحد وهي الصيحة او
الرجفة وعاتية شديدة العتو والطغيان والحسوم ايام نحسة من صبيحة يوم
الاربعاء الى اربعاء اخر الشهر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفي اي
ما ترى لهم بقية او بقاء على انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل في كلامهم او نفسا
باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال لعمر النجا اي فمر لتنج من وقوع الهلاك
بك حذرا من ان يحل بنا ما حل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب اولئك
رسلهم وفرا هاربين اي فاما من محلهما مسرعين جادين في الهرب لخوفهما مما
ذكرا وهو كقوله فتبسم ضاحكا فهاربين حال مؤكدة وعلى الاول هو تجريد نحوي
فكان اي ما ذكر من هذه القضية من مقدمات اسلام عمر لتاثيرها في قلبه فاسلم
بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه في مسند احمد بما
يقرب منه وهو ان عمر رضي الله عنه قال خرجت ليلة اتعرض لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح
الحاقة فجعلت اعجب من تاليف القران وقلت والله ما هو بشاعر كما قالت قريش
فقرا انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت هو
كاهن فقرا ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الخ فوقع الاسلام
في قلبي كل موقع وليس فيه انه صحب ابا جهم وفي التعبير بمن التبعيضية
اشارة الى ان له مقدمات اخر الى ان اسلم لما سمع سورة طه في بيت اخته في
قصته المشهورة ومنه اي مما يشهد لان الله تعالى عصمه صلى الله عليه وسلم
من اعدائه العبرة المشهورة بكسر العين وسكون الموحدة وهو الامر العجيب
الذي يعتبر به ويتعظ من الاعتبار والعبرة هي الحالة التي يتوصل بها من معرفة
الشاهد الى الغائب من العبور ومنه العبارة واشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة
مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين والكفاية التامة
اي كون الله عصمه وصانه صيانة تامة ليس ككفاية غيره كما قال يا ايها النبي
حسبك الله عند ما اخافته قريش تفعل من الخوف وهو توقع المكروه يقال
خوفه واخافه اذا فعل او قال ما يدل على انه يهم بايقاع المكروه به وفسره بقوله
واجتمعت على قتله اي اتفقوا على ذلك الا قليل منهم لقلتهم لم يعتد به
وتبييته اي قصدوا قتله واتباعه ليلا في خفية قال الراغب التبييت قصد
العدو ليلا ويقال لكل فعل دبر بالليل بيت قال تعالى اذ يبيتون ما لا
يرضى من القول وعلى هذا الحديث لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل وباب
موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى ويقال هذا امر بيت
بليل اذ دبر وفعله ليلا لتوقع غيلة على غيره فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم
من بيته وهم لا يشعرون كما رواه ابن اسحاق والبيهقي فقام على رؤوسهم
اي وقف عندهم وهم نيام وقد ضرب الله على ابصارهم اي لم يحسوا به

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه وقد كانوا احاطوا بعتبته ليقتلوه عليه
الصلاة والسلام وذرّ بذال معجمة وراء مهملة مشددة اي نثر التراب على رؤسهم
اهانة لهم وخلص منهم اي نجا منهم اذ بروه وهم تو اته واصل ذلك كما قال ابن عباس
رضي الله عنهما ان قريشا حين اسلم الانصار رضي الله عنهم خافوا ان يتفاقم امره عليه
الصلاة والسلام عليهم فاجتمع كبارهم في دار الندوة واتفقوا على قتله وبيتوه
ليخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل في السير
وذكر فيها هولا الذين اجتمعوا وبينوا باسمايهم وانهم نحو ماية وانه صلى الله عليه
وسلم خرج من ظهر البيت وطاطات له جارية اسمها مارية خادمة حتى تسور الجدار
الذي من ظهر البيت وحمايته اي حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه
بعصمته من اعدايه ومنعهم عن رؤيتهم اياه وابا بكر وهما في الغار اي غار ثور
وثور اسم جبل بيمنة مكة والغار كالمغار نقب في الجبل كالبيت وسمي بثور بن عبد مناة
لنزوله به ويقال له ثور اطحل وهو اسم جبل اخر خلف احد بما هيا الله اي بما اعده
ويسره له والجار متعلق بحمايته والبا للسببية العادية من الايات بيان لما
اي المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته ومن العنكبوت الذي
نسج عليه بنسج بسني في طرفة عين والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث
وتنسجها خيوطا دقيقة تمدها في الهوا لتصيد الذباب وانما يكون ذلك في مكان
خال لا يمر به شي حتى قال امية بن خلف احد صناديد قريش وقد تقدم انه
مات كافرا ببدر وهو اسم موضع معروف حين قالوا اي كفرة قريش لما قصوا اثره
صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار ندخل الغار لنفتشه لاحتمال
انه مختف به ما اربكم بفتح الهمزة والرا المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة
وتسكين الرا وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية او نافية اي ليس لكم مطلوب
وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولا حاجة فيه اي في الغار وعليه اي على فم
الغار ومدخله وروي ما اربكم من الريبة اي ما اوقعكم في الشك فيما لا شك
فيه من نسج العنكبوت ما ارى بضم الهمزة وفتحها اي اظن واعتقد لانه قديم
قبل ان يولد محمد اي قبل وجوده وولادته لان مثله لا يكون الا في مدة طويلة
وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم كما قيل

ألقيني في لظى فان احرقتني ... فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ... ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيري رحمه الله

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الاطم

ووقفت حمامتان ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا في محل خال
من الناس ووقعت بالقا وروي بالعين المهملة من وقوع الطاير وهو
نزوله لمحل على فم الغار اي مدخله فقالت قريش لو كان فيه اي في الغار احد
لما كان هناك الحمام لما عرفته انفا وفي نسخة هنالك باللام وهو اسم اشارة
للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله امر العنكبوت

فنسجت

فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين
عنه وحمام مكة من فراخهما وفي المواهب ان الحمامتين باضتا في اسفل فم الغار ونسج العنكبوت
عليه فقالوا لو دخلاه تكسر البيض وتفسخ النسج وروي ايضا كما تقدم انه نبت في فمه
شجرة صغيرة تسمى شجرة الرا وهي شجرة بمقدار القامة لها زهر وشي كالقطن يحشى به الوسايد
كما امرها الله بان تنبت لتسترهما لما اقبل فتيان قريش باسلحتهم حتى اتوا الغار فلما
راوا ما به من الامور المذكورة رجعوا وقال ابو بكر لو نظر احدهم الى قدمه راءنا فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة
اثرهما فانتهى للغار فلما راهم ابو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان قتلت انا فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال له لا تحزن
ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما
حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامنه لانه احب اليه من نفسه وكل شي ولسع
ابو بكر في هذه الليلة غير مرة فمزق ثوبه وجعله في الشقوق التي في الغار وسد
بعضها بقدمه اتقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقام فيه ثلاثة ايام ثم
خرج منه فلقيه سراقة ولذلك ذكر الناظم قصته عقب ذلك بقوله وقصة صلى
الله عليه وسلم اي ومما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة له مع
سراقة بن مالك بن جعشم بضم الجيم والشين وروي فتح شينه ايضا وفي بعض النسخ
جشعم بتقديم الشين كما في المغني وفيه نظر وقصته في الصحيحين وهي مشهورة
فانهم كما ذكره الناظم جعلوا لكل من دل عليه صلى الله عليه وسلم جعلا عظيما
فلما خرج من الغار راه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة
من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت
قوايم فرسه الى ابطها في الارض لدعايه عليه كما ياتي بقوله اللهم اكفنا سراقة
ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم في مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من حنين فهو صحابي
مدلجي حجازي كناني وهو الذي اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبس
سواري كسرى لما راى ذراعيه دقيقتين اشعرين في حديثه المشهور المتقدم
وقوله حين الهجرة اي في وقت هجرته من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان
سراقة عارضهم يوم الثلاثا بقديد والهجرة ترك الوطن من الهجر وهو بكسر
الها وفتحها وقد تضم وقد جعلت قريش جملة حالية وجعلت من الجعل وهو
ما يعطى في مقابلة عمل ما فيه اي في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاخبار به وفي ابي بكر لانه كان رضي الله عنه معه كما علمت الجعل جمع جعيلة
وهي كالجعالة معنى والجعالة مثلثة الجيم ويقال جعال ككتاب وجعل بوزن
قفل ومعناه تقدم وتلك الجعالة كما قاله السهيلي كانت ماية ناقة اي
جملا كما قاله الماوردي في الاعلام واذن به بالبنا للمجهول اي اعلم سراقة
بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذن بكذا بنون ومعجمة اي اعلمته
ويكون الاذان بمعنى التخويف ايضا وكونه بمعنى الاعلام مشهور في التراكيب ايضا
وحاصلها ان رجلا اتى سراقة وقال له اني رايت اسودة بالساحل اظنهم

وهو ان طلبه اتيه او قتله دينه صح

محمدا واصحابه فقال لهم ما عرفت الجهود هولاء ليسوا هولاء ثم اخرج بعد ذلك فرسه وذهب خلفهم فكان ما ذكره المص بقوله فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم فرسه اي غاصت في الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخا معجمة في آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت الارض وهما بمعنى يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه كلمة اهل اللغة وفي القاموس ساخت قوايمه تاخت والشي رسب والارض بهم سوخا انخسفت وتاخت في تفسيره بتا مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره في فصله وقد تحرف على الناسخ الجديد فتوهم انه تاخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغي هذا والذي ينبغي انه بعينه لغاصت وهو غلط فاحش منه وقوايم الفرس يداها ورجلاها فخر عنها اي سقط من فوق ورمي نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه لما لحقه كما مر وضمير عنه للفرس لانها تذكر وتونث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقد نقل بعض اهل السير ان الصديق رضي الله عنه له قصيدة فيها هذه القصة منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها ... من مدلج قابس في منصب وارى

يردي به مشرف الاقطار معتزم ... كالسيد ذي اللبدة المستاسد الضاري

فقال كروا فقلنا ان كرتنا ... من دونها لك نصر الخالق الباري

ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه ... فانظر الى اربع في الارض عوار

فهيل لما راى ارساخ مهرته ... قد سخن في الارض لم تحفز بحفار

فقال هل لكم ان تطلقوا فرسي ... وتاخذوا موثقي في نصح اسراري

واستقسم بالازلام جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهي قداح اي سهام لا ريش لها ولا نصل كانوا في الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعض لا تفعل ويضعونها في متاعهم اذا اسافروا فاذا عرض لهم مهم اخرجوا منها زلما يتفالون به فيفعلون او يتركون وهو معنى الاستقسام اي طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل اي خال من الكتابة فاذا اخرج غير الغفل عملوا به وان خرج الغفل اعادوا حتى يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام اخر وسهام كانت في الكعبة مكتوب عليها النوازل وهي التي استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده وكذا كان عند كهانتهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التي كانوا يتقامرون بها وقيل الازلام حصى صغار يتفالون بها والصحيح الاول فخرج له اي لسراقة ما يكره اي ما لم يرده لانه اريد رده صلى الله عليه وسلم وابا بكر ويأخذ من قريش الجعل المتقدم فخرج له لا تفعل فلم يلتفت ثم ركب فرسه ثانيا بعد ما سقط عنها وساخت قوايمها ودنا اي قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سائر بعيره حتى اذا سمع قراة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت له لعدم مبالاته به ولاعتماده على ربه وكان ابو بكر يلتفت وراه لخوفه على رسول

الله صلى الله عليه وسلم اولبرى ما يصدره من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له في الغار لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فقد يرى فقال ابو بكر له صلى الله عليه وسلم اتينا بالبنا للمجهول اي اتانا العدو وادركنا من يطلبنا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن وتخف مما اتانا ان الله معنا اي مصاحبا لنا بتاييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعدا فلا تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم لتمكنه وسكونه ثقته وحزن ابي بكر رضي الله عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقرر وليس بمعصية لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه لانه امر طبيعي ولا دنيا فالعول له في الغار فان المحب ظنين ومنين بمحبوبه لا سيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج لجر ذيل البيان فانه تطويل بغير طايل فساخت قوايم فرس سراقة مرة ثانية بعد المرة الاولى الى ركبتيها تثنية ركبة وهي ما بين يديها ورجليها وخر عنها اي وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها وزجرها اي صاح عليها فنهضت اي قامت وخلصت قوايمها من الارض ولقوايمها مثل الدخان اي غبار يرتفع في الجو كانه دخان كما ورد التصريح به في السير قال ابن سيد الناس ولقوايمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة ومثلثة هو الغبار هنا ويكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخا وقد تشدد ويقال دخ ودخن والكل بمعنى وفي رواية ولقوايمها دخان وهو استعارة للغبار فناداهم اي نادى سراقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعامر بن فهيرة رفيقهما بالامان اي رفع صوته قايلا لهم الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تامينهم منه والهمه الله تامينهم منه ضرر وخوف باخباره الاعدا او طلب منهم والمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعايه عليه وقد ورد التصريح بالامانين في سيرة ابن اسحاق والى الثاني اشار بقوله فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا اي امر بكتابته له فالاسناد مجازي لقوله كتبه اي كتاب الامان ابن فهيرة وهو رقعة من ادم وفي رواية ابن اسحاق فكتب لي كتابا في عظم او رقعة او خرقة ثم القاه الي فاخذته ثم جعلته في كنانتي ثم رجعت ابن فهيرة مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله عنه وهو من مولدي الازد مملوك للطفيل فاشتراه ابو بكر منه فاعتقه واسلم وكان يرعى غنما لابي بكر ويجي لهما كل ليلة في الغار باللبن يتغذيانه ثم هاجر معهما وشهد بدرا واحدا وقتل ببير معونة فلم يوجد جسده مع القتلى فيقال ان الملايكة دفنته وقيل رفعته الى السما كما مر وقيل كتبه ابو بكر وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه اولا فلم يرض سراقة بكتابته وطلب كتابة ابي بكر لشرفه وسنه فكتبه له وللنبي صلى الله عليه وسلم كتاب تزيد على الاربعين مذكورة في المفصلات واوردهما ابن الحديد بتاليف مستقل واخبرهم اي اخبر سراقة النبي صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَابابكر وَابن فهيرة بالاخبار اي باخبار قريش وَمَاجرى منهم لتعدهم وجهدهم من مكة
وَجعلهم الجعايل ان لمن اتى بهم او قتلهم ديتهم كما مر وَامره البني صلى الله عليه
وسلم اي امر سراقة ان لا يترك احدا من قريش اي لا يدع احدا ويمكنه باخبارهم
حتى يلحق بهم اي بسيرهم خلفهم ويصل اليهم بان يقول لهم ارهم ونحوه وَلو كذبا
اذ هو يجوز عند الضرورة والحاجة بل قد يجب وفي حديث انس فقال يا نبي الله
مرني بما شئت قال تقعد مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا قال فكان اول النهار
جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اخر النهار مسلحة له فانصرف
اي رجع سراقة عنهم حال كونه يقول للناس جملة حالية مضارعية لا تقترن
بواو في الفصيح اي قايلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب
لطلبهم فقوله كفيتم ما ها هنا معناه ارجعوا كفيتم الطلب فاني لم اجدهم
وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية اي ما ها هنا احد وان كان المراد البني
ورفيقاه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما ها هنا من الخوف والي كلا الوجهين ذهب
الشراح وفي الشرح الجديد خلط هنا عنى عن الرد وذكر ابن سعد انه لما رجع
قال لقريش قد عرفتم بصري بالطريق وبالاثر وقد استبرات لكم فلم ارشيا
فرجعوا وقيل بل قال لهما اي للنبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله
عنهما ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاهما لاعتقاده فيهما اراكما
دعوتما علي فلذا كادت الارض تبتلعني فادعوا لي بالسلامة فدعوا له
فنجا اي ذهب آمنا مما خافه ووقع في نفسه اي خطر باله ووقر في قلبه
واعتقد لما شاهده ظهور البني صلى الله عليه وسلم اي ظهوره على اعدايه
وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن
اسحاق وقال ابوجهل لما بلغه ما لقي سراقة فلامه في تركهم فانشده

ابا حكم واللات لو كنت شاهدا ✱ لامر جوادي اذ تسيخ قوايمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا ✱ نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه

وفي خبر اخر يتعلق بما نحن فيه الاية قيل انه لا يعرف من رواه ان راعيا
من رعاة الغنم في البرية عرف خبرهما اي خبر البني صلى الله عليه وسلم
بوقوفه على مكانهما في الغار فخرج الراعي من محله يشتد اي يسرع في مشيه
قال الراغب اشتد اذا اسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى
وانما اسرع لاجل ان يعلم قريشا خبرهما ومكانهما فلما ورد الى مكة اي
جاها من محله الذي رعى فيه الغنم واصل الورود المجيء للما فاستعير للغريب
القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه ضرب بالبناء
للمجهول اي ضرب الله على قلبه اي منع من الادراك وذهل عما جاله كقوله
تعالى وضربنا على اذانهم وهو مستعار من ضرب الخيمة في الارض لضرب
اوتادها واصله ايقاع شيء على شيء كما قاله الراغب فليس كناية عن الذهول
والغفلة كما قيل فما يدري ويعرف ما يصنع ويقول والثني مجهود ايضا
ما خرج له اي ما جاله من مكانه الذي خرج منه حتى رجع الى موضعه الذي جا

منه

منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية وفي دلايل ابي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم جاءه فيما ذكر ابن اسحاق في سيرته وغيره ابوجهل عمرو بن
هشام فرعون هذه الامة لعنه الله وهو فاعل جاء فقوله بصخرة متعلق به اي
حجر كبير وهو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ساجد وقريش
ينظرون له ما يصنع وكان ذهب ليطرحها اي ليرمي الصخرة عليه وفي نسخة هنا
وقد كان حلف ان راه ساجدا ليدمغنه اي ليضربه بها ضربة تكسر راسه وتبلغ
دماغه وتسمى هذه الدامغة احد الشجاج التي ذكرها الفقها في الجنايات فلزقت
الصخرة بيده ولم تقع عليه صلى الله عليه وسلم ولزق بلام وزاي معجمة لغة
في لصق بالصاد بمعنى التصق ويبست يداه الى عنقه اي تشنجت بحيث لا يمكنه
تحريكها واقبل اي انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه يرجع اي راجعا
القهقري ومعناه الى خلفه موليا عن وجهته وفي العين القهقرى الرجوع
على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع ثم سالة اي
سال ابوجهل لعنه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ففعل
اي دعا له صلى الله عليه وسلم لكرمه وحلمه فانطلقت يداه اي عادتا لما
كانتا عليه ولم ينتفعا ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم وكان ابوجهل
تواعد مع قريش بذلك اي بطرح الصخرة عليه صلى الله عليه وسلم اذا راه
يصلي وحلف لين راه ساجدا ليدمغنه اي ليضربنه بصخرة بكسر راسه وتخرج
دماغه وهي احد الشجاج يقال دمغه اذا اصاب دماغه فقتله وهذا تقدم
في بعض النسخ كما مر ويدمغنه بفتح اليا وجوز بعضهم ضمها والظاهر الاول
فسالوه اي سال قريش اباجهل عن شانه اي امره وما منعه عما قصده
فذكر لهم انه اي الشان او ابوجهل عرض لي اي له كما في نسخة ففيه التفات وقيل على
معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال دونه ظرف اي حال بيني وبينه فحل اي جمل عظيم هايج
وهو مخصوص بالبعير الذكر ما رايت مثله في عظمته وشدته قط اي في جميع الزمان
الماضي وهي ظرف لتوكيد نفي الماضي بفتح القاف وتشديد الطا المهملة وكسرها
وسكونها مخففة هم بي اي عزم على الحملة علي والهجوم وقوله ان ياكلني بدل
اشتمال من ضمير المتكلم اي هم باكلي فقال البني صلى الله عليه وسلم لما سمع مقالته
لهم ذاك جبريل تمثل له بصورة فحل لو دنا اي قرب ابوجهل من رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالصخرة التي اراد طرحها لاخذه واكله واهلكه اخذ عزيز
مقتدر وتفصيله كما في دلايل البيهقي والتيسير ان اباجهل قال يا معشر قريش
ان هذا الرجل قد ابى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم ابائنا والهتنا وتسفيه
احلامنا واني اعاهد الله لاجلسن عند الحجر بحجر ما اطيق حمله فاذا سجد فضخت
به راسه فامنعوني وليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله
لا نسلمك لاحد فامض لما تريد فلما اصبح جلس ينتظره صلى الله عليه وسلم وجلسوا
في انديتهم ينتظرون ما هو فاعل فلما جا صلى الله عليه وسلم وصلى فعل
ما ذكره المص وله وقايع مثل هذه حماه الله منها وعصمه وذكر السمرقندي امام

الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته ان رجلا من بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن
مخزوم وهذا الرجل قال البرهان لا اعرفه وقال غيره انه الوليد بن
المغيرة وقيل انه ابو جهل اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله
بصره اي غطاه وغشاه حتى لم يره لا انه اعماه واذهبه بالكلية كما يدل عليه
قوله فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه باسمه
وعرف مكانهم واتاهم ثم راهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمي وذهب
بصره وذكر التمرقندي انه في هاتين القصتين اي قصة ابي جهل وقصة هذا
الرجل نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الا ايتين يعني فهي الى الاذقان فهم
مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
قال البغوي في تفسيره هذه الاية نزلت في ابي جهل ورفيقه المخزومي حين حلف
ان رآه صلى الله عليه وسلم ليرضخن راسه وذكر ما ذكره المص غير قوله انه
حال بينه وبينه فحل وقال المخزومي انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي
فاعماه الله الخ ما ذكره المص وفي تفسير القرطبي انها نزلت في ابي جهل وصاحبيه
المخزوميين ثم ذكر قصة ابي جهل وان صاحبه الثاني هو الوليد بن المغيرة
وانه الذي اعمى الله بصره ولم ير اصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن
راسه وانه رجع وقال بعد ما خر مغشيا عليه وسئل عن امره فقال حال بيني وبينه
فحل لو دنوت منه اكلني وانه لم ير مثله فنزلت هذه الاية فقيل انه معارض لما
ذكره المص فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبينه الفحل الرجل الثاني لا ابا جهل عوضي
واما كونه من بني المغيرة او مخزومي فلا منافاة فيه لان كلا ينسبه الى احد جديه
كما مر واجيب بان قصة ابي جهل تكررت فعلها مرة وحده وراى الفحل ومرة
مع غيره او اقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والاية على هذا
من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمي
بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين
مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الاية تعريض لتصميم اهل مكة
على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه
وبين ما قبله لصدق هذا على ما قبله ومن هذا اعلم ما في كلام البيضاوي من
سؤال وجواب كما بيناه في حواشيه ومن ذلك اي حفظ الله وعصمته ما ذكره
ابن اسحاق امام اهل السير وسيرته وغيره كالكلبي في تفسيره في قصته
صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بني قريظة بالظا المعجمة وصيغة التصغير
كجهينة قبيلة من يهود خيبر معه وفي اصحابه اي في جماعة منهم ابو بكر
وعمر فجلس مستندا الى جدار لبعض آطامهم بالمد والطا المهملة جمع اطم
بضمتين وهو الحصن هنا وقد يكون بمعنى البيت المربع والقصر فانبعث مطاوع
بعثه فانبعث اي توجه وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه
هنا اسرع وانتدب عمرو بن جحاش بفتح الجيم والحا المهملة المشددة
وآخره شين معجمة وهو من بني قريظة قتل كافرا احدهم اي بني قريظة

ليطرح

ليطرح من فوق الجدار عليه صلى الله عليه وسلم رحى يقتله بها لانه صلى الله عليه وسلم
لما جلس تحت الحائط تخافتوا بينهم وقالوا لن تجدوه على مثل هذه الحالة ابدا فمن
يعلو الجدار ليحبس بما هم متمرنه ويكون هذا سببا لنقض العهد ويرسل عليه حجرا
يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هم متمرنه ويكون هذا سببا
لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك فقام النبي
صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم
واعلمهم بقصتهم اي اخبر بني قريظة في نبذ عهدهم واصحابه بعد انصرافه او قبله
وقد اعترض على المص بان هذه القصة ليست مع بني قريظة كما في السير وسياتي
ايضا في هذا الكتاب وانما هو مع بني النضير وهو سبب غزوة بني النضير واما سبب
غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو
الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير
ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري لحلف بينهم
وبين بني عامر فلما اتاهم قالوا نعينك يا ابا القاسم على ما جئت ثم خلا بعضهم
الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روي ان بني النضير لما توامروا
القوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله عليه وسلم وياتي ما فيه
وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
في هذه القصة نزلت وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع
انه بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم وموته موت لهم
ولذا قيل انها نزلت في الكفرة لما كانوا عازمين على المؤمنين يوصلون اليهم المزيد
والاذية وقيل نزلت في الاعرابي الذي اخترط سيفه اذ وجده صلى الله عليه وسلم
وحده كما مر وقوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة في بني
قريظة وان خالف الصحيح المنقول والواقع وقع في بعض التفاسير فتامله
فان غفلته عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه وحكى السمرقندي انه صلى الله عليه وسلم
كما رواه ابن سيد الناس وغيره من اصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان في
كلام المص رحمه الله اشارة اليه خرج من المدينة الى بني النضير بنون مفتوحة وضاد
معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر يستعين بهم في عقل الكلابيين مثنى
كلابي رجل منسوب لبني كلاب وهي قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير
يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة واصل معنى العقل المنع ومنه
العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما اشار اليه القايل

قد عقلنا والعقل اي وثاق ۝ وصبرنا والصبر مر المذاق

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوه فيعقلها
بفنا اهل القتيل لياخذوها واستعانته صلى الله عليه وسلم المراد بها طلبه
ان يعينوه في الدية لما سياتي اللذين قتلهما عمرو بن امية وفي نسخة الكلابي
بالافراد وقتل مؤمنا ايضا وعمرو بن امية هو الضمري بضاد معجمة مفتوحة وميم
ساكنة ورا مهملة نسبة لبني ضمرة وهم قومه وهو عمرو بن امية بن خويلد بن

الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته ان رجلا من بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن
مخزوم وحده ابي جهل وهذا الرجل قال البرهان لا اعرفه وقال غيره انه الوليد بن
المغيرة وقيل انه ابو جهل اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله
بصره اي غطاه وغشاه حتى لم يره لانه اعماه واذهبه بالكلية كما يدل عليه
قوله فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه باسمه
وعرف مكانهم واتاهم ثم راهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمي وذهب
بصره وذكر الشمر فندي ان في هاتين القصتين اي قصة ابي جهل وقصة هذا
الرجل نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين يعني فهي الى الاذقان فهم
مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
قال البغوي في تفسير هذه الاية نزلت في ابي جهل ورفيقه المخزومي حين حلف
ان راه صلى الله عليه وسلم ليرضخن راسه وذكر ما ذكره المص غير قوله انه
حال بينه وبينه فحل وقال المخزومي انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي
فاعماه الله الخ ما ذكره المص وفي تفسير القرطبي انها نزلت في ابي جهل وصاحبيه
المخزوميين ثم ذكر قصة ابي جهل وان صاحبه الثاني هو الوليد بن المغيرة
وانه الذي اعمى الله بصره ولم ير اصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن
راسه وانه رجع وقال بعد ما خر مغشيا عليه وسئل عن امره فقال حال بيني وبينه
فحل لو دنوت منه اكلني وانه لم ير مثله فنزلت هذه الاية فقيل انه معارض لما
ذكره المص فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبينه الفحل الرجل الثاني لا ابا جهل
واما كونه من بني المغيرة او مخزومي فلا منافاة فيه لان كلا نسبه الى احد جديه عوضي
كما مر واجيب بان قصة ابي جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة
مع غيره او اقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والاية على هذا
من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمي
بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين
مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الاية تعريض لتصميم اهل مكة
على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه
وبين ما قبله لصدق هذا على ما قبله ومن هذا اعلم ما في كلام البيضاوي من
سؤال يجاب كما بيناه في حواشيه ومن ذلك اي حفظ الله وعصمته ما ذكره
ابن اسحاق امام اهل السير وسيرته وغيره كالكلبي في تفسيره في قصته
صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بني قريظة بالظا المعجمة وصيغة التصغير
كجهينة قبيلة من يهود خيبر معه وفد من اصحابه اي في جماعة منهم ابو بكر
وغيره فجلس مستندا الى جدار لبعض اطامهم بالمد والطا المهملة جمع اطم
بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر فانبعث مطاوع
بعثه فانبعث اي توجه وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه
هنا اسرع والذي ضمته عمرو بن جحاش بفتح الجيم والحا المهملة المشددة
واخره شين معجمة وهو من بني قريظة فقال كافرا احدهم اي بني قريظة

ليطرح من فوق الجدار عليه صلى الله عليه وسلم رحى يقتله بها لانه صلى الله عليه وسلم
لما جلس تحت الحايط تخافتوا بينهم وقالوا لن تجدوه على مثل هذه الحالة ابدا فمن
يعلو الجدار ليخبركم بما هم مترتبه ويكون هذا سببا لنقض العهد ويرسل عليه حجرا
يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا
لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك فقام النبي
صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم
واعلمهم بقصتهم اي اخبر بني قريظة في نبذ عهدهم واصحابه بعد انصرافه او قبله
وقد اعترض على المص بان هذه القصة ليست مع بني قريظة كما في السير وسياتي
ايضا في هذا الكتاب وانما هو مع بني النضير وهو سبب غزوة بني النضير واما سبب
غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو
الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير
ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري للحلف بينهم
وبين بني عامر فلما اتاهم قالوا نعينك يا ابا القاسم على ما احببت ثم خلا بعضهم
الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روي ان بني النضير لما تواطؤوا
القوا عليه رحى فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله عليه وسلم وباقي ما فيه
وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
في هذه القصة نزلت وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع
[illegible] يصيبهم ومونته موذلهم
[illegible] بوصلون اليهم المرد
[illegible] اذ وجله صلى الله عليه وسلم
[illegible] الى ان هذه القصة في بني
[illegible] في بعض التفاسير فتامله
[illegible] فندي انه صلى الله عليه وسلم
[illegible] تقدم انه الصحيح وان في
[illegible] النضير بنون مفتوحة وضاد
[illegible] في عقل الكلابيين مني
[illegible] العقل مصدر عقل البعير
[illegible] بمعنى العقل المنع ومنه
[illegible] ابل
[illegible] المذاق
[illegible] وهنا القاتل ونحوه فيعقلا
[illegible] عليه وسلم اذ هاطلبه
[illegible] امية وفي نسخة الكلابي
[illegible] الضمري بضاد معجمة مفتوحة وميم
ساكنة وراء مهملة نسبة لبني ضمرة وهم قومه نهو عمرو بن امية بن خويلد بن

[illegible]

عبد الله بن اياس الصحابي الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في اموره
وهو الذي ذهب للنجاشي بكتابه فاجابه واسلم ومن وجه صلى الله عليه وسلم ام حبيبة
اسلم بعد احد وشهد بير معونة ومات بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه
وهو الذي قتل الكلابي فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هي الموافقة لما في السير
من انه صلى الله عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدي احد نقباء ليلة العقبة
في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل
ببير معونة فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه ونجا عمرو الضمري وحده او وصاحب
له على اختلاف في الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بني سليم وكان بينهم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بني عامر فقتلاهما وكان لم يعرف
ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمت الدية لانه خطا فقدم قومهما على
النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبني النضير هو وابو بكر وعمر وعلي
رضي الله عنهم يستعين بهم في العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة
في الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم اجابوه وقالوا له اجلس حتى نأتي لك
بما سالت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما اشار الى ذلك بقوله فقال له اي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه حيي بضم الحا المهملة ومثناتين
تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة ابن اخطب بزنة افعل بخاء
معجمة وطا مهملة وموحدة وهو من حاجتي الكسر وهو من يهود بني النضير
ومن روسايهم والد صفية ام المؤمنين اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سالتنا من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لان الطعم بالضم في الاصل الماكول
فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له اي عطية فجلس النبي صلى الله عليه
وسلم مع ابي بكر وعمر وزاد ابو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ واسيد بن
حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحاق في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر
وعلي ولا منافاة بين الروايات وتوامروا بفتح التا الفوقية والواو ويقال
بالهمز تفاعل من الامر اي نظر كل امرا لاخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره
وآمره وقيل الواو لغة العامة حيي معهم اي مع بني النضير اي تشاوروا
واتفقوا على قتله صلى الله عليه وسلم بالقا الحجر عليه فاعلم جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك الذي ارادوه قبل وقوعه فقام من تحت الجدار
بسرعة كانه يريد حاجة اي اراهم صلى الله عليه وسلم انه يريد حاجة له وفي
نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضا الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها
عنها كثيرا حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصونهم
فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان

وهان على سراة بني لوي ۞ حريق بالبويرة مستطيرا

فقال صلى الله عليه وسلم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا
ما لهم من الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر واخذ منهم صلى الله عليه وسلم
الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا

فكان

فكان ذلك رصدا لنوائبه ولم يعطهم منها لاحد غير ابي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما
ثم قسمها بين المهاجرين رفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار
لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ما ذكره المص يقتضي ان اليهود هموا بالقا الحجر عليه
ولم يلقوه وذكر ابن الملقن كما مر انهم القوه عليه صلى الله عليه وسلم فاخذه
جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول وذكر اهل
التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة كما رواه مسلم والنسائي اي روى هذا المعنى
وفي بعض النسخ وروى اهل التفسير الحديث عن ابي هريرة وهما احسن مما في بعض
النسخ وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير اي
وذكره اهل الحديث وعلى هذا فقوله عن ابي هريرة خبر عن معنى وهو مبتدا والجملة
معترضة بين ذكر ومفعوله وهو ان ابا جهل وعد قريشا لين رأى محمدا حوله قسم
مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله يصلي جملة حالية ليطان
رقبته اي يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله فلما صلى النبي صلى الله عليه
وسلم بالمسجد الحرام اعلموه اي اعلمه قريش به فاقبل متوجها اليه ليدوسه اهانة
منه لمن اعزه الله فلما قرب منه ولى ورجع عن مقصده حال كونه ناكصا على عقبيه
اي متاخرا راجعا الخلف والعقب مؤخر القدم متقيا بيديه اي مادا يديه كمن
يدفع امرا يتقيه وفي بعض النسخ ولى هاربا ناكصا على عقبيه فهي حال متداخلة
او مترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير او عن شر يخاف عاقبته
كما هنا الا انه قيل ان الثاني نادر وذهب الجوهري وصاحب النهاية الى انه
يختص بالاول وفي القاموس نكص عن الامر نكاعنه واحجم وعلى عقبيه رجع
عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه
او هو في الشر نادر انتهى وفي نفوذ السهم فيما في الجوهري من الوهم كون النكوص
مخصوصا بما ذكر غير ثابت في اللغة وقوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
لا دليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار ببدر ليس
رجوعا عن خير محتمل الاستعارة التهكمية وقد مر الكلام عليه ايضا في اعجاز
القران فتامل فسئل اي سال قريش ابا جهل عن ذلك اي عن رجوعه كذلك
وما سببه فقال مجيبا لهم لما دنوت منه اشرفت اي اطلعت قريبا مني على
خندق حفير مملوء نارا كدت اهوي اي اقع واسقط فيه وابصرت هولا عظيما
اي امرا مخوفا عظيما المراد مثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذي اراد اهلاكه
وخفق اجنحة يضرب بعضها بعضا لها اصوات هائلة قد ملات الارض الذي كان
فيها وهي اجنحة الملائكة التي ارسلت لحمايته ودفعه صلى الله عليه وسلم كما اشار
اليه بقوله فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة لو دنا اي قرب منه لانتزاع
ما قصده لاختطفته الملائكة عضوا عضوا اي مزقته وفرقت اعضاه وهو
منصوب على الحال بتاويل ممزقا كفرقات الجيوش بابا بابا كما فصله
النحاة ثم انزل الله وحيه على النبي صلى الله عليه وسلم في شان ذلك فقال
كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى آخر السورة يعني ان الى ربك الرجعى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الخ ويناسب ما ذكر قوله كلا لين لم ينته لنسفعن بالناصية وقوله سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان ابو جهل وطغيانه تجاوزه حده قيل هذه القصة في صحيح مسلم فالذي ينبغي نقلها منه دون التفاسير وهو امر سهل لا ينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الاية في التفاسير فلا حاجة لذكره وروى الراوي له ابو نعيم في الدلايل ان شيبة بن عثمان الحجبي بفتح الحا المهملة والجيم وموحدة ويا النسبة للحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفي النسبة الى الجمع يرد الى مفرده والقياس حاجبي لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصاري او لانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي الصحابي المشهور خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد اولاده الى الان اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة تسع وخمسين واخرج له البخاري واحمد في مسنده وابو داود وترجمته معروفة وما في بعض النسخ الجمحي بميم غلط من الناسخ ادركه صلى الله عليه وسلم اي لحق به ووصل اليه يوم حنين في غزاتها وهو واد قريب من الطايف معروف وكان قبل ذلك حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد الشهدا قد قتل اباه عثمان بن ابي طلحة وعمه طلحة بن ابي طلحة المشهور وكان قتله لهما باحد وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لوا الكفرة فلما قتل حمل اللوا اخوه عثمان فقتل الا انه قيل ان المروي في السير ان الذي قتل طلحة علي بن ابي طالب فلما اخذ اللوا اخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبي في تجريده ان الذي قتل ابا شيبة علي ايضا وهو مخالف لما قاله المص كما قاله البرهان الحلبي وفي سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب اباه فازال منعته فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بلغ سحره اي ريته فكل من علي وحمزة له دخل في قتله الا ان عليا لما ازال منعته وقوته سبب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام المص وكلام غيره فقال شيبة لما ادركه اليوم المراد به الوقت الحاضر ادرك ثاري بمثلثة وراء مهملة بينهما الف ولهمزه وهي الاصل وهو طلب الدم واخذ حق من قتله من محمد لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفي غيظه وحزازة نفسه لتمكنه منه فلما اختلط الناس في القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اتاه من خلفه حيث لا يراه ورفع سيفه بيده ليصبه عليه اي ليضربه ويقتله وياخذ بثاره ويشفي غليله ممن كان سببا لقتل ابيه وعمه واصل الصب اراقة الما واستعير للضرب بالالة كالسيف قال تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب وبرسحه ان السيف يشبه بالما لرونقه وفرنده قال شيبة فلما دنوت منه اي لما قصدت ذلك ارتفع الي اي علا وصعد الي من جانبه شواظ اي لهب من نار والشواظ اللهب مطلقا او لهب لا دخان له او لا يخالطه غيره او يخالطه شي اخر

وهو

وهو بفتح الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان موكد لان اللهب لا يكون الا من النار اسرع في ارتفاعه من البرق فوليت هاربا خوفا من ان يحرقني فحس لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي علم رجوعي عنه فدعاني فجيته فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي لانه اسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفي قلبه حقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ابيه وعمه فما رفعها اي يده عن صدري الا وهو احب الخلق الي فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد واثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله عليه وسلم احبه وقال لي ادن من العدو ومني وقاتل في سبيل الله خالصا لسرينه مخلصا ببركة مسح يده صلى الله عليه وسلم له فتقدمت امامه بين يديه اضرب بسيفي كل من لقيته من الكفار واقيه بنفسي اي اجعلها وقاية له صلى الله عليه وسلم مانعة عنه ولو لقيت تلك الساعة التي قاتلت فيها ابي لاوقعت به سيفي وقتلته وفي بعض النسخ دونه وانما خص للمبالغة في عموم قتله لمن لقي حتى اعز الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهو قتل ابيه قد زال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروي عن شيبة نفسه وكان صالحا ذا فضل حدث باسلامه وانه انما سار لحنين ليغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزداد في قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم اعذه من الشيطان فاذهب الله ما بقلبه حتى صار احب اليه من نفسه واهله وابيه فلما رجع ودخل خباه فدخلت عليه كغيري حبا لرويته وجهه فقال لي يا شيبة الذي اراد الله بك خيرا مما اردت بنفسك وحدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم اذكره فقلت اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك وعن فضالة بن عمرو عند ابن اسحاق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة واللام وابوه عمرو ويقال عمير بالتصغير ابن الملوح الليثي والتصغير اصح والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها واقتصر على الثاني في القاموس قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح اي فتح مكة وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة الهمزة للندا وفي نسخة فضالة بدون همزة وحرف الندا مقدر فيه قيل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدا محذوف تقديره انت فضالة فقال نعم فضالة والاستفهام حقيقي وكونه للتعجب مما يختلج في صدره او اجابة لندايه او اعلام له بانه فضالة كما قيل تكلف لا يخفى قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب قلت لا شي اي لم يخطر بقلبي شي مما ظننته فضحك واستغفر لي اي دعا لي بان يغفر الله لي ما خطر بقلبي ووضع يده على صدري ليذهب الله ما فيه مني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الضلال وما عزم عليه من الاوهام فسكن قلبي اي اطمان وذهب ما فيه من الوسواس
وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة فوالله
ما رفعها اي رفع يده عن صدره حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه وحديثه كما في
سيرة ابن اسحاق وابن سيد الناس انه اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يطوف عام الفتح وذكرا ما ذكره المص ثم قال فرجعت الى اهلي فمررت بامراة كنت
اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت اقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ۞ يابى عليك الله والاسلام
او ما رايت محمدا وقبيله ۞ بالفتح يوم تكسر الاصنام
رايت دين الله اضحى بينا ۞ والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفضالة الليثي هذا هو ابن وهب بن بحرة بن يحيى بن مالك وليس هو الزهراني
فانه تابعي غيره ومن ظنه هذا فقد اخطا ومن مشهور ذلك اي عصمة الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن اسحاق والبيهقي بالاسناد وابو نعيم في الدلايل
مسندا الى عروة خبر عامر بن الطفيل العامري وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن
مالك سيد بني عامر في الجاهلية مات كافرا بالاتفاق واربد بن قيس بفتح
الهمزة وسكون الرا المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة وهو اخو لبيد بن
ربيعة الصحابي لامه وكان شاعرا مفلقا ومات على الكفر ايضا حين وفدا على
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تبوك واسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام افواجا قدمت عليه وفود
الناس افواجا فوفد عليه اربعة منهم وسايهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس
وغيرهما وكان عامر قال له اي لاربد انا اشغل عنك وجه محمد اي الهيه حتى
تنطلق فاضربه انت وخصه بذلك لما بينهما من الصداقة فامتثل امره وهم بذلك
فانتظر ليفعل ما امره به فلم يره اي لم ير عامر اربد فعل شيئا مما اتفقا عليه
من البطش به وعامر يكلمه صلى الله عليه وسلم ويلهيه فلما كلمه اي كلم عامر
اربد في ذلك اي في الامر الذي اتفقا عليه بان قال له ما لك لم تفعل ما اتفقنا
عليه من البطش برسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر اليه وقال والله
ما هممت ان اضربه اي اضرب النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف الا وجدتك
بيني وبينه اي ارى جسدك حايلا بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
لو ضربته ضربت صاحبه افاضربك انكار له اي كيف اضربك وكان عامر شاعرا
ورئيسا مطاعا في قومه فقالوا له لما جا العرب افواجا للاسلام ان الناس
قد اسلموا فاسلم فقال الي الية لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي افاتبع فتى
من قريش ثم قدم هو واربد على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قصه
الم فخرجوا راجعين لبلادهم وفي الدلايل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
خالني يا محمد فقال لا حتى تؤمن بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه
بذلك فقال والله لاملانها عليك خيلا ورجلا توعدا له بان يغزو المدينة
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع اصابه طاعون

في عنقه

في عنقه فمات في بيت امراة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
يعني احسن موتة في احسن قبيلة فمات كافرا وواروه التراب ورجع اصحابه لقومهم
فقالوا لاربد ما وراءك يا اربد فقال لا شيء لقد دعانا لعبادة شيء ولقد وددت انه
عندي الآن فارميه بالنبل حتى اقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم او يومين
ومعه جمل له فاصابتهما صاعقة احرقتهما فهلك كافرا كما مر وعن ابن عباس ان عامرا
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع اصحابه وكان من اجمل
الناس الا انه كان اعور فجعل الناس ينظرون لجماله واخبروا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان يرد الله به خيرا يهديه فقام وقال يا محمد ما لي ان اسلمت
فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال اتجعل لي الامر من بعدك قال ذاك ليس
الي انما هو لله يجعله حيث يشا قال اتجعلني على الوبر وانت على المدر اي حكم البادية
وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل الغازية في سبيل
الله قال اوليس لي اعنة الخيل اليوم فقم معي اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم
معه وكان عامر اوصى اربد اذا خلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه وروي ان
الغدة كانت في ركبته وروية القصة على وجوه اخر هذا محصلها كما في السير
وكتب التفسير غير ان البغوي والقرطبي في التفسير ذكرا ان اربد دار خلفه صلى
الله عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شيت فوقعت عليه صاعقة
فاهلكته وهو يقتضي انه مات قبل عامر وفي هذين التفسيرين ان اربد بن ربيعة
والمص قال انه ابن قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفي
اربد نزل قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا واجمعوا على ان عامرا
مات كافرا كما مر وفي التجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد
بني عامر في الجاهلية روى عنه ابو امامة كما ذكره المستغفري ونقله البرهان
الحلبي وفيه نظر ومن عصمته اي حفظ الله له ان كثيرا من اليهود والكهنة جمع
كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات وما يقع في المستقبل بما يتلقاه او بمعرفة
بفراسته ويسمى الثاني عرافا انذروا به اي اخبروا واعلموا والانذار اعلام
المخوف قبل وقوعه وعينوه لقريش اي بينوا انه الذي يبعث لهم واخبروهم
بسطوته بهم اي انه يعز ويقهرهم ويقتلهم وحضوهم على قتله اي حثوهم وحرضوهم
على ذلك حتى يسلموا منه فعصمه الله عز وجل بان حفظه ومنعه من كيدهم
مع انه صلى الله عليه وسلم كان بين اظهرهم بمفرده حتى بلغ الله بلطفه وحفظه
له فيه امره باذن نصره واظهر دينه على جميع الاديان ان الله بالغ امره وبلغ
بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتها الى اقصى الامد
والمنتهى مكانا او زمانا او امرا من الامور المقدرة انتهى ومن ذلك اي عصمة الله
له صلى الله عليه وسلم وصيانته ما رواه الشيخان وهو نصره بالرعب اي بالقا
الخوف منه في قلوب اعدايه وممن لم يتبعه منه مسيرة شهر اي من مكان بعيد عنه
اقل ما يقطع مسافته في شهر اي في ثلاثين يوما كما قال صلى الله عليه وسلم
اي انه ثابت بهذا اللفظ في الحديث الصحيح كما تقدم وهو في الصحيحين وفي

مسند احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال عليه الصلاة والسلام بعثت بجوامع
الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص به صلى الله عليه وسلم ولو كان وجد لاقبيله
بالشهر لانه لم يكن بينه وبين اعدائه اكثر منه وتخصيصه باعتبار من قبله فان ابن
حجر رحمه الله قال انه ذلك لامته من بعده ايضا ويؤيده ان في مسند احمد الرعب

فصل

يسعى بين يدي امتي شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر
مما اكرمه صلى الله عليه وسلم من معجزاته اي اموره الخارقة للعادة التي تعجز غيره
عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتا المعجزة للمبالغة كما علامة او للتانيث
لان المراد الاية والعلامة او الخصلة المعجزة الباهرة اي الغالبة او الظاهرة على غيرها
من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى اخفاها وهو تشبيه بليغ او استعارة مصرحة ما جمعه
الله له من العلوم والمعارف جمع معرفة لا معروف كما قيل لانه على تقدير عبر مناسب
والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثاني بالامور الجزئية او بما
يسبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز ان تكون تبعيضية
والاول اظهر وخصه به اي جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا اختص امته بما
لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التاليف والتصنيف الذي لم يكن لامة من الامم
مع قصر اعمارهم وضعف ابدانهم والبا تدخل على المقصور والمقصور عليه وفي
اتيمما الاصل كلام مفصل في حواشي المطول لا حاجة لنا به هنا من الاطلاع اي الوقوف
والعلم وهو بيان لما على جميع مصالح الدنيا والدين متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا
ما يصلح به امر المعاش ومصالح الدين معرفة احكامه المصلحة لهم في الدارين ولا
ينافي هذا اي اطلاعه على مصالحهما قصة بدر في اختياره صلى الله عليه وسلم الفدا
وكان الاولى به ما راه عمر رضي الله عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله عليه وسلم على
ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس من تابير النخل فلم يثمر في ذلك العام
فقال انتم اعلم بامور دنياكم مني اما لانه كما قيل كان له حالات واطوار منها
ما يغلب عليه فيه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لغض نظره على تفويض الامر
لله والتوجه للعلم بالله وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضي الله عنه
مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطر السحاب وما له ... من عليه لانه من مائه

وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم بنى امره في ذلك على الظن دون الجزم
والانبيا قد يظنون في امور الدنيا المجردة عن الاخرة ما الامر على خلافه ليس بشي
وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاهدة ويتبين الامر
حتى يكون شرعا متبعا ولو بقي الامر كما كان فقد يقال انه كما وجد بقي والحكم
بالدليل اقوى منه بالسكوت وفيه نظر وقال السنوسي اراد صلى الله عليه وسلم
ان يحملهم على خرق العوايد في ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا ولو يصبروا
ولو صبروا كان خيرا لهم بان يبتلوا ويصبروا ويستيقنوا فاكثر فلو فعلوا كفوا ذلك
لانه اعلم بمنظر بذلك وغيره قيل وهو في غاية الحسن لمن تامله وسياتي تتمته
ان شاء الله تعالى ومعرفته صلى الله عليه وسلم بامور شرائعه التي شرعها الله

له ولعباده على لسانه جمع شريعة وهي في الاصل طريق مسلوكة ومورده ما يباح نقلته
لوضع الهي موصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة وقوانين دينه جمع قانون
وهي لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية
يستخرج منها احكام جزئياتها تجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب
كما تقرر في محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا
والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده وهو غير ضبطه لامور الشريعة وفوائدها فما قيل
من انه اذا حصل له العلم بجميع مصالح الدنيا والدين فقد خص بما لم يخص به من قبله
فيكون الثاني غير الاول فما موقع قوله ومعرفته الخ لان جملة الدين مبنية على جلب
المصالح ودرء المفاسد خبط لا فائدة فيه كما يعلم مما قررناه وسياسة عباده اي
القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربي من ساسه
يسوسه اذا دبر امره ومن قال انه معرب من سه سا اي ثلاثة قوانين فقد اخطا
ولها معنى اخر عند الفقها وربما تجعل مقابلة للشرع ولا يصح ذلك هنا وفي
القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا امرتها ونهيتها ومصالح امته
المراد امة الاجابة وامة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسؤال عن امورهم
ومصادقتهم والاحسان الى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم ومعرفته ما كان في
الامم قبله مما وقع لهم وجرى بينهم من الاختلاف اي مخالفة بعضهم لبعض وما
جرى لهم من النعم والنقم التي لا يعلمها الا القليل من اهل الكتاب وعلمائهم وهو
صلى الله عليه وسلم امي نشا في امة امية ولم يرحل للبلاد النائية ولم يعاشر
بقايا الامم الخالية مما بينته احسن بيان وقررته احسن تقرير وقصص الانبيا
والرسل من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف
جمع قصة او بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه والجبابرة جمع جبار
وهو المتكبر قال الراغب الجبار في صفة الانسان الذي يجبر نقصه بادعاء منزلة
من التعالي لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله وخاب كل جبار عنيد
ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم
ما فيه الكفاية والقرون الماضية قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقداره
زمانه واصله الزمان ثم اطلق على اهله قيل يجوز ان يراد الامم التي هلكت
ولم يبق منها احد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن نفسه من لدن ادم الى
زمنه لدن ظرف زمان مبني ومعرب في لغة قيس وهو قريب من معنى عند وبينهما
فرق ذكره النحاة اي احاط علمه بذلك واخبر به امته وحفظ شرائعهم وكتبهم
ولم يقرا ولم يكتب ووعى سيرهم الوعي الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر
وهي حالة الانسان غريزة او مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة
قال تعالى سنعيدها سيرتها الاولى اي الى حالتها الاولى اي حفظه وجمعه
في ذهنه لاخبارهم وما كانوا عليه وسرد انبيائهم اي سوق اخبارهم للناس
سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها وايام الله فيهم اي وقائعهم
التي قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقائع والحروب كايام العرب وهو

ابن اقنوم

ابن كمال

دلجي

مرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

معنى مشهور صار حقيقة عرفية وقيل المراد بغيره ولا وجه له وصفات اعيانهم اي
كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذوا الفهم كما وقع في الاشراف من ذكر الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وصفات ذوا الفهم واختلاف ارائهم جمع رأي اي عقائدهم ونحوها
والمعرفة بعددهم جمع مدة وهي مقدار من الزمن اي كم كانت مدة كل امة ومدة
ملكهم وملوكهم وانبيائهم واعمارهم جمع عمر بضم العين وفتحها وهي مدة الحياة
وحكم جمع حكمة وهو القول الصواب المتضمن النصيحة اي موعظة حكمائهم جمع حكيم
وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة في عصره كحكماء الفرس والعرب وغيرهم
ومحاجة كل امة من الكفرة اي ذكر حجته وبرهانه وما حاج به غيره وقيل المراد محاجته
نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم والظاهر ما قدمناه ومعارضة
اي مخالفته ورده كل فرقة وطائفة من الكتابيين اي اهل الكتاب والمراد به التوراة
والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابي نسبة
النسبة بما في كتبهم متعلق بمعارضة وجمعهما لاشتمالهما على ما في غيرهما ولان
الجمع باعتبار المعنى كثير واعلامهم باسرارها اي دقائق معناها التي لم يطلعوا
عليها ومخبآت علومها واخبارهم بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز
فتحها اي ما خفي عليهم منها بما كتموه اي اخفوه كصفته صلى الله عليه وسلم
وقصة رجم الزاني المشهورة من ذلك الاعلام وما معه وغيروه بتحريف
لفظه وتأويله بغير معناه الى الاحتواء اي الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق
بجمع التابع اول الفصل لتضمنه معنى ضم او الى بمعنى مع على لغات العرب
جمعتها من غير قومه وغريب الفاظ فرقها جمع فرقة وهي الطائفة المتفرقة
والاحاطة بضروب فصاحتها تركيبا وافرادا فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب
كل قوم بلغتهم كما تقدم وامثالها جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده
وحكمها اي جوامع كلمها في النصائح فان العرب معروفة بذلك وحكماء العرب وحكمهم
مشهورة ومعاني اشعارها فانه صلى الله عليه وسلم كان يعرفها وان لم ينشدها
موزونة ويتكلم بها والتخصيص اي تخصيص الله اياه بنطقه بجوامع كلام العرب
اي الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعاني الكثيرة في الفاظ قليلة وقد يراد
به القرآن وليس بمراد ومرده جامعه الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة الامثال
المتقدمة امثال صادرة ممن قبله وهذه امثال صادرة ممن قبله ابتدعها صلى
الله عليه وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتي تقدمت والجار
والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر او بدل مما قبله او متعلق به بعد
تقييده والى فيهما بمعنى اللام لان العامل الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد
فاكثر الاعلى هذه الوجوه كما قرره في قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة
رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم اذا طبعه وصاغه وانها
صادرة كثيرا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتقرير المعاني في النفوس
وابرازها بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه في الكشاف والحكم البينة
اي الظاهرة في نفسها المظهرة لامور دقيقة ومعان لطيفة لتقريب التفهيم

للغامض

للغامض اي المعنى الخفي الدقيق وهو في الاصل المكان المنخفض فاستعير لما ذكر وتفسير
ايضاحه والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثاني بالتفهيم وقوله والتبيين
للمشكل اي اظهار ما التبس وان كان غير غامض واصل معنى الاشكال كونه غير متميز
عن اشكاله واشباهه وهو متعلق وراجع للحكم السنية الى تمهيد اي بسطه
بتوطئته له وبيان مقدمات قواعد الشرع اي اساسه وقضاياه واصوله
الكلية المحمدي الذي جاء بوحي من الله الذي لا تناقض فيه اي لا تخالف بين قضاياه
واحكامه لاحكامهما ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا تخاذل
تحاود المعجمتين ولام تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من لا يستحق نصرته
وهو استعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه
متناسبة متعاضدة كما ان القرآن يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد
الشرع مستقلة على انه لا يخذل اخاه اذا ظلم لا تقتضيا قواعد الشرع استوى الرفيع
والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل في جريان احكامه عليه من غير فرق
بين صغير وكبير لم يأت بشيء يعتد به مع اشتمالها شريعته وتضمينها واحتوائها على
محاسن الاخلاق اي على بيانها للناس على التحلي بها وقد ورد في الحديث بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا
وان الخلق يقبل التغير ولذا ورد في الشرع النهي عن الاخلاق الردية والامر بضدها
ولولا ذلك لم يفد ومحامد الاداب جمع محمدة وهي ما يحمد فعله والاداب بالمد
جمع ادب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما قال صلى الله عليه
وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو من اضافة الصفة للموصوف اي الاداب
المحمودة وفسر الادب في القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل
وكل شيء مستحسن عند ارباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على
محاسن الاخلاق مفضل بزنة اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة
كما قاله اي مفضل على غيره او فضله للناس تفضلا لم ينكر منه ملحدا اي
عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل فخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد
ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافي الايمان
ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله انتهى ذو عقل سليم مستقيم مدرك
ادراكا شاملا عما يصنعه ويمنعه من العدول الى الحق شيئا مفعول بنكر الا من
جهة الخذلان تقدم ان الخذلان لغة عدم النصرة والمراد به عدم التوفيق والنو
خلق قدرة الطاعة في العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله بعبده
والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل في علم الكلام يعني لا ينكره الا
من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة احواله ثم ترقى عما ذكره
فاضرب اضرابا انتقاليا او ابطاليا لا انكاره باثبات ضده فقال بل كل جاحد
اي منكر له اي لما ذكر مما قدمه وكافر بما جاء به من الجاهلية اي اهلها به اذا
سمع ما يدعو صلى الله عليه وسلم الخلق اليه من الحق المبين سويا اي اعتقد
انه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة تاباها العقول السليمة والطباع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المستقيمة واستحسنه اي عرف حسنه واعترف به دون طلب اقامة برهان وحجة
عليه اي على ما اتى به لظهور حقيته كنار على علم كعبد الله بن ابي سلول وغيره
مما ذكر في كتب الحديث والسير ثم ما احل لهم من الطيبات اي اشتمال شريعته على
ما جعلته حلالا للناس مما حرمه غيره كبني اسرائيل الذين حرموا كل ذي ظفر من
البقر والغنم لحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا وحرم عليهم من الخبائث كالميتة
والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت
الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر
الشافعي الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة في ذلك بالطباع
السليمة واشتمال شريعته على ما
من الهلاك كحكم بتحريم قتل النفس
بغير حق وقصاص لقاتل واعراضهم بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون
الراء وهو في العرف كل ما يحل تركه بالانسان وهو المراد واختلف في معناه الحقيقي
لغة فقيل هو ما يمدح به المرء او يذم سواء وصف به دون اسلافه ام لا وفي الحديث
كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وفي حديث اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون
وانما هو عرق من اعراضهم فعبر بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعي يقال
هو طيب العرض اي الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير
واموالهم فمن امن به صلى الله عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله
من المعاقبات بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس والحدود كحد الزنا والسرقة
والقذف وشرب الخمر عاجلا اي في الدنيا وهو حال مقيد للمعاقبات والحدود والتخويف
بالنار اجلا في الاخرة لانه مستقبل من الاجل وهو الوقت المحدود وفي بعض النسخ
بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار اي نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب
في الدنيا هل يسقط عنه عذاب الاخرة ام لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط
التوبة ايضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل لا يسقط وانما شرع زجرا ليرتدع الناس
عنه والاصح الاول لما ورد في الحديث من اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له
ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه
وما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري الحدود كفارة لاهلها
ام لا فقيل الاول اصح وقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو
منسوخ وقوله مما لا يعلم بالبناء للمجهول اي لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان
لجميع ما تقدم من اول الفصل الى هنا ولا يقوم به جملة اي بحفظه ويتقنه
كما هو حقه وبه فسر القيوم بل ولا بعضه فضلا عن كله الا من مارس الدرس
اي لازم دراسة الكتب واجتهد فيها والعكوف على الكتب السالفة قال الراغب
العكوف الاقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى
وهذا تاييد لانه منحة الهية خصه الله بها فما قيل انه لا حاجة اليه وهم
من قايله فقوله لا حاجة اليه لا حاجة اليه صح فاعرفه فانه في غاية الظهور ٥
ومنافثة بعض هذا الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى
الاستخراج كما في القاموس معطوف على الدروس والمعنى ظاهر وما في بعض

السنخ

النسخ من انه بالفاء مفاعلة بمعنى من النفث وهو نفخ الريق من الساحر والراقي وتطلق
على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع في الدقة وكأنه المراد اي والدقيق في تعمق
هذه الامور وقوله مما يعلم الى هنا ساقط من اكثر النسخ ولم يتعرض له الشراح
الى الاخير اي مع اشتمالها ومتضمنا الى الاشتمال على ضروب العلم اي انواعه
جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى المثل ايضا وفنون المعارف اي
اقسام المعرفة المتعلقة باحوال الدنيا واهلها كما ان ضروب العلم المراد بها
ما يتعلق بالشرايع والاخرة فهو من عطف المتغايرين لا من غيره على انه فرق والفرق
بين العلم والمعرفة مشهور كالطب اي معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من حيث
الصحة والسقم وكان صلى الله عليه وسلم اعرف الناس به كما في الطب النبوي وهو
من العلوم القديمة المدونة وله معان في اللغة وهو مثلث الطا مشدد الباء
والعبارة بكسر العين المهملة اي تعبير رؤيا المنام وفعله عبر بتخفيف الباء والناس
يشددونها وقد انكره بعض اهل اللغة الا انه سمع في بيت انشده المبرد رحمه الله
في الكامل وهو

رايت رؤيا ثم عبرتها ۞ وكنت للاحلام عبارا

كما في الكشاف ووقع في بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم اقف عليه
والفرايض جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرايض صار علما للعلم بذلك وهو
قسم من علم الفقه افرد بالتاليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرايضي
والحساب هو علم يتعلق بالعدد ولابتناء الفرايض عليه في الاكثر قرنه به والنسب
اي معرفته بانساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان الصديق رضي الله عنه
اعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من العلم وانواعه
مما اتخذ اهل هذه المعارف لو قال اهلها كان اظهر واشمل واخصر كلامه صلى
الله عليه وسلم فيها اي في هذه العلوم والمعارف وقيد الضمير للشريعة اي في
شريعته وهو خلاف الظاهر قدوة واصولا اي ادلة مثبتة لها او قواعد
وضوابط يرجعون اليها في الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم في علمهم اي علومهم
التي دونوها في هذه الفنون كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن
ماجه عن النبي الرؤيا اي ما يرى في المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك
ويقال في غيره رؤية بالتاء ورايا لاول عابر متعلق بمقدر اي مصادفة ٥
وموافقة لاول تفسير يعتبر به والعابر هو الذي يبين الرؤيا ويفسرها
واول الحديث اعتبروها باسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لاول عابر اي فسروها
بما يناسب الفاظها كما قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية
ليس من الكنية المشهورة بل المراد به التمثيل كما في النهاية وهي عند اهل السنة
امر يلقيه الله في قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا
وعند الحكماء ان الروح في النوم تفارق البدن وتتصل بالملا الاعلى فيلقى
اليها ما يعينه على ذهن النائم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يؤول بغيره
ومنها اضغاث احلام ودعابة للشيطان لا تاويل له ومن هذا القبيل

شبكة الألوكة www.alukah.net

ما هو من غلبة الاخلاط كالصفرا اذا غلبت يرى النايم نارا والبلغم يرى ما والسودا يرى شيئا اسود وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه كلام الاطبا وانكارهذا الفنم لا وجه له ايضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها واقسامها مبسوط في محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر كلام اهل هذا الفن خلافه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا راي انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم قال مثل ما قال لك واكد ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال فيها لا مرد وقوله وهي على رجل طاير رواه ابو داود والترمذي عن ابي ذر وصححه يؤيده بل بعينه واول الحديث رؤيا المومن جزء من ستة واربعين جزا من النبوة وهي على رجل طاير ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا يحدث بها الا حبيبا او لبيبا ورجل بكسر الرا وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير وشر قد لصاحبها فكانها بصدد وقرب من ان تقع بادنى حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطاير يكون للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع في بعض الكتب الرؤيا على جناح طاير اذا قصت وقعت ولا ادري هل هي رواية بالمعنى تظرفا او رواية وفيه تورية في القص لانه يكون من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قصص الرؤيا اي ذكرها للعابر فوقع يحتمل المعنيين ايضا من الوقوع والسقوط ونظمه بعض المتاخرين فقال

رؤيا اذا قصصتها ۞ وافت كبدر قد طلع
على جناح طاير ۞ فهو اذا قص وقع

وهذا الحديث روي من طرق اختلف العدد فيها ففي سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين جزا والاخير منه رواية البخاري وجعلها جزا من النبوة لان رؤياهم وحي صادق فقيل حقيقة العدد وقدره غير مقصود والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه احد وعشرين سنة ستة منها منام والباقي وحي يقظة على انواع يبينوها وجات امراة للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت رايت ان جذع السقف من بيتي وقع وعندي ولد اعور فقال تعدم زوجك وتلدين ولدا برا فلم تراها بعد ذلك فقصتها على ابي بكر رضي الله عنه فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا لانها في زمن الرؤيا كان زوجها غايبا وهو عمود البيت فسقوطه بحينه قال

فاسقط علينا كسقوط الندا ۞ بالليل لا نار ولا امر

واول العمود بالبر لغفص بصره عن المحرمات وفي وقت كلامها لابي بكر كان زوجها مقيما او سقوطه موته والاعور يتشام به فالمنام واحد اختلف تاويله بحسب الحال وامثاله كثيرة وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلاث انواع رؤيا حق بالاضافة والتوصيف والظاهر الثاني وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية اي رؤيا هي حق فالمعنى واحد ورؤيا يحدث بها المر نفسه المراد بها ما يخطر بالبال لا امور متخاصة من عالم المثال والملك يشبه

تلمساني

دمجي

ابن عبد الظاهر

بمن

٤٦

بمن يجاوره بغيره في خلوته لما يورده عليها من الاماني والاوهام وهو في معنى التجريد المذكور في علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران يعني انه راى في منامه ما كان في فكره قبله وهو من اضغاث الاحلام ورؤيا من تحزين الشيطان بان يلقي له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد في الحديث انه ينبغي للانسان ان يتحول من شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله من شره ويتفل عن يساره او يصلي ركعتين ان انتبه ولا يحدث به احدا قال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذي في مسلم عن ابن سيرين عن ابي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المومن تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزا من النبوة والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المر نفسه فان راى احدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال واحب القيد واكره الغل والقيد ثبات في الدين فلا ادري اهو في الحديث ام قاله ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد اختلفوا فيما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الخ فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على ابي هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا والحافظ السيوطي اعتمده وكذا المصنف فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال في شرح البخاري ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم واختلف في قايله والصحيح انه ابن سيرين وقول ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها رابعا وهو تهويل الشيطان وخامسا وهو ما يهم به المر في يقظته وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو ما يعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشي لانه راجع لما ذكر او في معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا في تعليقة مستقلة يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شيت وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة مسندا اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المومن تكذب التقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوي وهو زمان تدرك فيه الثمار وتتفتح الازهار ويرق النسيم فتعتدل الطباع البشرية فيه فيقوى قواها على تلقي ما يفاض عليها ولذا قال اهل التعبير اصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به اخر الزمان اذا قربت الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وقصر ايامه لما في الحديث في ايامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا السعتها عليهم او لغير ذلك وذهب كل لترجيح احد الوجهين لورود ما يؤيده وقوله لم تكد الخ نفي للكذب بابلغ وجه برهاني لان ما لا يقرب من الوقوع ابلغ مما لا يقع فليس نفيها اثباتا ولا اثباتها نفيا كما توهم والغر به واجيب عنه كما فصله النحاة وشهرته تغني عن ذكره وخص المومن لان نفسه اقوى وعقله اتم من غيره وقيل انه لبعد العهد بالوحي عوضوا المبشرات

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارقطني وضعفه فلا وجه لما قيل
من انه لا صحة له اصل كل داء اي مرض وتغيير مزاج البردة بموحدة وراء ودال
مهملتين مفتوحات وهي والتخمة الاكثار من الطعام حتى لا يقدر المعدة على هضمه
سميت بها البرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية اخلاطه والمراد بكونه اصلا
لذلك انه منشؤه ومبدؤه في الغالب

فان الداء الاكثر ما تراه ◦ يكون من الطعام او الشراب

وما روي عنه صلى الله عليه وسلم والراوي له الطبراني في الاوسط كما ياتي
بيانه والمص لرئيسته في حديث ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم المعدة
بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان
والحوصلة للطائر حوض من البدن تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء فشبهها به
وشبه البدن بما يستقي منه وقيل شبهها بعروق الشجرة والبدن بفروعها
وورقها وهو مكدر لما في الحوض من الصفاء التشبيه ثم رشح ذلك بقوله والعروق ابن اقبرس
اليها واردة جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان للماء مفردا وجمع وارد
نسبة ايصال خلاصة الغذاء الى الاعضاء بالاخذ من الحوض المورود والعروق
تنقسم الى شريانات واوردة كما ذكره اهل التشريح فان كان هذا حديثا خبر كان
وقوله لا نصححه اي لا نحكم بصحته خبر ما الموصولة فلو روي حديث بالرفع
بدلا من هذا او النصب اولى لضعفه وكونه موضوعا بالحري ترق من ضعفه وجوز
رفعه على انه مبتدا خبره تكلم عليه الامام ابو الحسن الدارقطني نسبة لدار القطن
محلة ببغداد ولا يرد على المص انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله
عليه وسلم وهو ممتنع لان ذلك في ذكره مع عدم بيانه وقد اختلف فيه فقيل
انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط عن الزهري عن ابي هريرة مرفوعا المعدة
حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق
بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهري
الا يزيد بن ابي انيسة تفرد به الرهاوي وقوله تكلم الخ اي بحث في سنده وكونه
مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف فيه عن الزهري فرواه ابو فروة الرهاوي
عنه وقال عن عائشة ولم يقل عن ابي هريرة وكلا الروايتين عن ابي هريرة
لم يصح ولا يعرف من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك
ابن سعيد بن ابجر وقيل انه من كلام الحرث بن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب
منه وذكر ابن ابي الدنيا انه اجمعت الاطباء على ان راس الطب الحمية والحكماء على
ان راس الحكمة الصمت وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت الازم دواء والمعدة
داء وعودوا كل بدن ما اعتاده وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما خير ما تداويتم به السعوط بفتح السين
وضم العين وواو وطاء مهملات وكذا كل ما يداوى به فانه على فعول بالفتح
وهو ما يجعل في الانف ويستنشق به لفتح السدد الدماغية ومنع النزلات
واللدود بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة وهو ما يجعل

في احد

في احد شقي الفم ويتغرغر به لدفع ورم به يعتري الصبيان وهما في الاصل اسمان
للمرض في الراس واعلا الحلق ويسمى الثاني نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف
وكان النساء يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله عليه وسلم عنه وامرهم
بما ذكر وهو العود الهندي يحك في الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو
ماخوذ من اللديد وهو جانب الوادي كما قاله الاصمعي وهذا من معجزاته صلى
الله عليه وسلم فانه مرض خفي لا يعرفه اكثر الاطباء قديما فضلا عن زماننا
وفي الهدي النبوي لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفاء للصداع والحجامة
وهي مص الدم بالة معروفة في الراس وبين الكتفين وهي في مؤخر الدماغ
تورث النسيان وهي دواء للشقيقة في الراس مع انه مرض مزمن وورد فيها
احاديث منها انه صلى الله عليه وسلم ما مر ليلة الاسراء بملا من الملائكة الا
قالوا له مر امتك بالحجامة والمشي بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد
المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا ومشوا سمي به لان صاحبه يكثر
ابن اقبرس المشي للخلاء وفي الحديث لو كان شيء فيه شفاء من الموت لكان في السنا ولبعض الشراح
هنا كلام يحتمل تركه خير منه وخير الحجامة اي انفعها بعد نصف الشهر يوم سبع
عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين في الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه
الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وابو داود عن ابي هريرة مرفوعا
وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المؤنث على المذكر او ذكر لحذف المميز
ونهى عن الحجامة في يوم الاربعاء والسبت والاحد وروي عن ابن حنبل انه كره
الحجامة في هذه الايام وانما كانت الحجامة في النصف الاخير والرابع الثالث
من الشهر انفع لان الاخلاط تهيج في اوله وتسكن بعده لهبوط العرق فالاستفراغ
فيه اقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغي ان يكون في الساعة الثانية او الثالثة
ولا يكون عقب حمام ولا جوع وشبع ولا في الصوم وفي العود الهندي سبعة
اشفية والمراد بالعود الهندي العود المعروف وقيل القسط الابيض
وهو مبين في باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفاء على خلاف القياس
والقسط بضم القاف ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب
وحمى الورد وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث وينفع امراض
الكبد والريح والسبعة علمت بالوحي وما عداها بالتجربة وقوله صلى الله
عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن شبه البطن
بالوعاء الذي فيه الطعام وفي بعض النسخ من بطنه والشرية في البطن محققة
لانه يمرض ويورث الكسل المانع من العبادة وفي المفضل عليه تقديره
فان كان ولا بد اي ان لزم واصل معنى البد المفارقة يقال لا بد من كذا او لا
محالة اي لا مفارقة ولا تحول فاريد به لازمه فثلث من البطن للطعام وثلث
للشراب وثلث يكون خاليا للنفس اي لدخوله وخروجه وهذا ايماء الى انه لا ينبغي
ملؤه بتمامه وان يكون ما فيه اقل من ملء ثلثيه وهذا البعض حديث رواه
ابن ماجه والترمذي وابن خزيمة مرفوعا وحسنوه وهو ما ملا ابن ادم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعاشرا من بطن حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث الخ وجعله
من طبه لانه يبين مبدأ الصحة والمرض ومقدار ما يكفي البدن وربما ينوه هو بقمهم
الله بضعفه وقد قال بعض اهل الكتاب ليس في كتابكم الطب فقال له بعضهم قوله
تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر ما يتعلق
بعلمه صلى الله عليه وسلم بالانساب ولم يراع في اللف والنشر ترتيبا فانه ليس
بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع فقال وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الترمذي عن فروة واحمد عن ابن عباس مسندا وقد سئل عن
سبا بهمزة في اخره يجوز ابدالها الفا وعليه همزه يصرف ولا يصرف فيجوز تنوينه
وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه وفي مسماه اهو رجل ام امراة ام هو اسم ارض
كان يسكنها وينزل بها فقال هو اسم رجل سمي باسمه ارض وهي مدينة بلقيس
باليمن فلا خلاف بين القولين فصرفه ظاهر ومنعه لانه اريد به قبيلته فان
اريد به الارض فباعتبار البقعة ولد عشرة من الاولاد الذكور ولذا قال عشرة
تيامن منهم ستة اي سكن اليمن فبنو الدمنة اكثرهم وينسبوا اليه وهم مذحج
وحمير وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علماء النسب واهل التاريخ ه
واليمن اقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة وتشام اربعة اي سكنوا الشام
بالهمزة وقد تبدل الفا وهو من الغزاة الى العرب وهم لخم وجذام وعاملة
وغسان كما قاله الواحدي في تفسيره وتحت هولا قبايل وبطون وافخاذ ليس
هذا محل تفصيلها الحديث بطوله بالنصب اي اذكر هذا الحديث وفيه اشارة
الى انه اقتصر على بعض منه يكفي فيما اراده وتركه الباقي لطوله والغنى
عنه واختلف في وجه تسمية الشام شاما فقيل لانها في جانب اليسار ويقال
لليد الشامي كسرى وقيل سميت باسم سام بن نوح وعوتب بالاعجام وقيل انه بمعنى
الشامة لشامات حمر وسود فيها وكذلك اي مثل ما تقدم من علمه صلى الله
عليه وسلم بالانساب جوابه صلى الله عليه وسلم لمن ساله وهو عمرو بن مرة
في نسب قضاعة في حديث رواه احمد وابو يعلى والطبراني عن عمرو بن مرة
الجهني انه صلى الله عليه وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال
اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك بن حمير وقضاعة بضم
القاف وضاد معجمة وعين مهملة ابو حي من اليمن لقب به لانفصاله
عن الناس لان القضاعة ما ينفصل عن اصل الحايط وقيل من قضع بمعنى
قهر لقهره لشجاعته من عاداه وقيل القضاعة من اسما الفهد او كلب الما
وغير ذلك المذكور مما اضطرنا لبنا للمفعول وهو لغة القران الفصحى
او الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال تعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه العرب على اي مع شغلها بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها
والاولاد هنا اولى اي اشتغالها وتقيدها بالنسب اي معرفته وحفظه
لاعتنايهم بضبط انسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجاوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم مما اختلفوا فيه لخفايه عليهم من ذلك اي معرفة ذلك

اي

اي مشكل انسابهم ومعرفة ما اشكل عليهم مما جل امرهم ضبطه وهو صلى الله عليه
وسلم لا يعتني به ولا يشتغل بحفظه وذلك يدل على فوق معرفته بالانساب وفي
نسخة مصححة ومن ذلك بالواو وهو خبر مقدم وقوله فقوله مبتداء اي قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار حمير وهم قوم من العرب ينسبون
الى درهم بن سبا بن يشجب راس العرب اي منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة
الراس من الجسد ونابها وهو سن كبير خلف الرباعية اي هم عمدتهم ومرشدهم
وهم من ولد معد بن عدنان ومن ذرية اسمعيل ومذحج بفتح الميم وسكون
الذال المعجمة وكسر الحا المهملة وجيم وهما حيان من العرب مالك وطي سميا
باسم اكمة ولدتهما امهما عندها وميمه زايدة فوزنه مفعل وقال الجوهري
اصلية فوزنه فعلل ووهم فيه مما فصل في كتاب سيبويه وشروحه وليس
هذا محله هامتها اي راسها وغلصمتها بفتح الغين المعجمة وسكون اللام
وفتح الصاد المهملة وميم ورها وهي لحمة بين الراس والعنق او راس الحلقوم
وفيه اشارة الى اشتراكهما في الشرف وتخصيص كل بفضيلة مع التفنن في التعبير
فان الراس والهامة متقاربان والناب والغلصمة يحتاج لكل منهما في اساغة
الطعام الذي هو مادة الحياة وقيل انه تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة
اشد ولك ان تقول انه اشارة الى ان في حمير مع الشرف شدة وفي مذحج
لين ونفع وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه
البليغ او المجاز المرسل بتسمية الكل باسم الجزء وقول ابي بكر رضي الله عنه
في حديثه المشهور امن هامها ام من لهازمها اي اشرافها او اوساطها يدل
على تفضيل حمير والازد بهمزة مفتوحة وزاي معجمة ساكنة ودال مهملة
وهو الازد في الغوث وهو بالسين افصح كما في القاموس ابو حي باليمن
منه الانصار ويقال ازد شنوءة وعمان وسراة وازد بن الغوث يحدث كاهلها
بوزن فاعل وهو ما يلي العنق من اعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الكل
والحمل وقيل ما بين كتفيه او موضع العنق في الصلب وجمجمتها بضم الجيمين
وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهي عظام الراس وتطلق على
الراس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة ايضا اسم قدح ونعل
معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان اشرف كالمهاجرين والخلفا
فهم لهم العضد بمعاونتهم وحمل كدهم لان الانصار منهم وهمدان
بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة غاربها هو
من البعير كالكاهل من الانسان والكتف وذروتها بكسر الذال المعجمة
وضمها وسكون الرا المهملة اي اعلاها وسنامها وفيه من المعرفة
بانساب العرب ومنازلها في الشرف والاحاطة باحوالها ما لا يهتدي
له سواه صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذروة اعلا السنام وان
خالف المتعارف والنكارة لا بحث على هذا الحديث لتكرير ذكر الراس بالفاظ
مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت اما انكاره من جهة الرواية

دجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فسلم وأما من جهة تكرار المذكور فتفنن بديع ونوع من الفصاحة فلا وجه
للاستدلال به وهو علته وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
عن ابي بكرة في خطبة حجة الوداع ولفظ قوله في جميع ما وقع هنا بالجر رواية
عن المتن وان جاز رفع بعضها ان الزمان قد استدار اي عاد لما كان عليه
كالدايرة التي يرجع انتهاؤها الى ابتدائها كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض وتتمة الحديث السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان انتهى
وقيده بذلك دفعا للنسيء وتغيير الشهور الذي كانت الجاهلية تفعله
فانهم كانوا اهل حروب وغارات فربما اتاهم بعض الاشهر الحرم وهم محاربون
فيشق عليهم الترك فيحلونه وينقلونه من شهر الى اخر ويستمر نقله
من شهر لاخر سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك
شهر الحج وكانوا يحجون في كل شهر عامين فوافق حجة ابي بكر العام الثاني من
حجة ذي القعدة فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق حجه
شهر ذي الحجة المشروع فوقف كما هو الان فخطب واعلمهم ان حجه في هذا
الشهر ليس اتفاقيا بموافقته لدور الشهور في الجاهلية وانما هو امر
شرعه الله وقدره في الازل وامره به نسخا لما كانوا يفعلونه وامرهم صلى
الله عليه وسلم بالمحافظة عليه وان لا يبدل ويدور دور الجاهلية الاولى
فقوله استدار بمعنى رجع لما في علم الله وقضائه قديما وهو معنى قوله
يوم خلق الله الخ فنفى النسيء ونسخ وكانوا اذا ارادوا ذلك يقوم رجل من
بني كنانة لانهم اهل غارات على جمل بالموسم وينادي باعلى صوته ان الهتكم
قد احلت لكم المحرم فاحلوه واستدارته بموافقة حجه للمشروع ولذا لم
يحج صلى الله عليه وسلم قبله وارسل ابا بكر رضي الله عنه بالعهد ليطهر
الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع كانت والشمس في الحمل وقد
تساوى الليل والنهار واعتدل بشروق شمس النبوة وقال الصدر القونوي
في شرح الاربعين حديثا له ان في هذا الحديث اسرارا الهية لا يطلع
عليها الا بعض الكمل ثم قال ان النوع الانساني اوجد بالامر الالهي
في اول دور السنبلة ومدته سبعة الاف سنة بعث نبينا صلى الله
عليه وسلم في الالف الاخير منها الجامع بين احكام السنبلة والميزان المختص
بالاخرة والبروج تتمازج بالتركيب فامتزج في زمان بعثته الدنيا بالاخرة
البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس
وكذلك ظهور احكام الاخرة من حين المبعث الى طلوع الشمس من مغربها
ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث
ذكر ما لا مناسبة له ولا ينبغي ذكره وذكر هذا الحديث هنا اثباتا لعلمه
عليه الصلاة والسلام بالحساب فان الزمان وحركاته الدورية
مبنية عليه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان

المحرم فأحلوه

ابن الفرس

عن

عن ابن عمر رضي الله عنهما في الحوض اي في شان حوضه الذي يكون يوم القيامة يشرب منه
العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لا نظمأ
بعدها زواياه سواء جمع زاوية وهو ما يحصل من تلاقي خطين من داخله وسواء
بمعنى متساوية وهذا يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمها فانه
لا تتساوى زواياه الا باستقامة اضلاعه وهذا امر مبني على المسامحة
ودقايق الهندسة وذكر ابن ابي الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصا
وان منه قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب فقال انه ايما الى انه ليس بظل
لان المثلث لا ظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام مقال وهذا لا ينافي
ما ورد فيه من ان مسافته ما بين ايلة وصنعا او مسافة شهر ونحو ذلك كما مر
لا لانه اعلم باحواله شيئا بعد شيء كما قيل بل لان المراد من كل زيادة سعته
فهو كما في المثل لاجابني هرسي البه طريف وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
في حديث الذكر وهو انه صلى الله عليه وسلم قال خصلتان لا يحصيهما رجل
مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله عز وجل دبر
كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبر عشرا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون ومائة باللسان والف وخمسمائة في
الميزان فاذا اوى الى فراشه سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة باللسان والف
في الميزان فايكم يعمل في اليوم الفين وخمسمائة سيئة الى اخر الحديث وان الحسنة
بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان اي اذا جرت على اللسان وذكر
في دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فانها تكون مضروبة في خمسمائة والف
وخمسمائة في الميزان التي توزن بها الاعمال والوزن اما للصحف او لها نفسها
بجعل الاعراض اجساما وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة اجرها فان
الحسنة بعشر امثالها كما ورد به النص وهو اقل مراتبها وقد يزيد على ذلك
وهذا استدلال من المصنف على معرفته صلى الله عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة
لمقامه وحدة ذهنه امر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم يكن له
صلى الله عليه وسلم مسبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم الحفاظ عنه وقد
قال السيوطي في رسالة سماها المنحة في السبحة الفاشية وان لم يباشرها
بنفسه لانه صلى الله عليه وسلم راى عند بعض الصحابيات نوى تعد به
الذكر فاقرها عليه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني
عن ابي رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا وهو في موضع جملة حالية وفي نسخة
ومر بموضع نعم موضع الحمام هذا بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم بيت يعد
للغسل يذكر ويؤنث ولم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم بالمدينة حمام
ولم يدخله وهذا تمثيل لما لم يذكر فان فيه الاخبار بحال البنا ومهاب
الهوا ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل موضع الحمام كقوله نعم دار المتقين
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابي هريرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصححه مابين المشرق والمغرب قبلة القبلة تطلق على المسجد كما في قوله واجعلوا
بيوتكم قبلة في احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا
لانه المراد عند الاطلاق وهو ما بيان لقبلة اهل المدينة لانهم المخاطبون او
على من هي في جنوبه او شماله والتبست عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب
عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال
عين الكعبة او جهتها فمبحث طويل مفصل في التفسير وكتب الفقه لا يسعه
هذا المقام والشاهد في الحديث انه يدل على علمه صلى الله عليه وسلم بعلم
الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث ذكره ابن الاثير في النهاية ولم يخرجه السيوطي لانه لم
يقف عليه لعيينة بن حصن الفزاري ويكنى ابا مالك واسلم يوم الفتح وكان من
المؤلفة وكان من جفاة الاعراب وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم
انه الاحمق المطاع لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين
او الاقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي واسمه
فراس ولقب بالاقرع لقرع في راسه وهو من المؤلفة ايضا وكان شجاعا
فارسا شريفا في قومه في الجاهلية والاسلام اسلم وقدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في وفد بني تميم وهو الذي نزل فيه ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات وقصته مذكورة في السير والشك في المقول له من الراوي
وقال ابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة
فقال انا اعلم بالخيل منك فقال صلى الله عليه وسلم انا افرس بالخيل منك
اي ابصر واعرف ومصدره الفراسة بفتح الفا والفراسة بالكسر من
التفرس وهو بمعنى اخر وهو رد عليه باسلوب حكيم ولم يقل له اسكت
كذلك لما يعلمه من انه اعرابي جافي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الترمذي عن زيد بن ثابت لكاتبه وكان له كتبة عدة كما مر والمقول
له منهم قيل انه معاوية رضي الله عنه وقد عد البرهان في حاشيته هنا
كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة واربعين وعدهم
شيخه الحافظ العراقي وقال ان شيخه الجمال الانصاري افردهم بتاليف
قلت وقد وقفت انا ايضا على تاليف لابن ابي الحديد فيهم وكانه لم يقف
عليه ولم نفصلهم هنا لان له مقاما اخر وكان المداوم على الكتابة له
صلى الله عليه وسلم زيد ومعاوية ضع القلم على اذنك لم يعينها
والمراد اليمنى فانه اي وضعها كذلك اذكر اي اكثر ذكرا بكسر الذال
وضمها وهو ضد النسيان للممل اسم فاعل اصله المملل وجوز فيه
ان يكون اسم مفعول ايضا اي ما يذكر ويملي واملل واملى بمعنى وهو
وهو القا ما يكتب على الكاتب وبهما ورد القران قال تعالى فليملل
الذي عليه الحق وقال تعالى فهي تملى عليه والاصل امللت
فقلبت تخفيفا كما قاله الراغب واما قوله تعالى واملي لهم ان

كيدي

كيدي متين فمعناه امهلهم هذا اي خذ هذا او اذكره وقيل ها اسم فعل بمعنى
خذ من غير تقدير والرسم يخالفه وهي كلمة مستعملة في الانتقال والتخلص من كلام الى
اخر ومما يتممه وهي كذلك في القران وكلام العرب اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالكتابة
واحوالها مع انه صلى الله عليه وسلم امي من امة امية لا يكتب ولا يحسب فهو من
معجزاته لانه كان لا يكتب كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان ذلك في اول امره وانه
كتب بعد ذلك في الحديبية كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله
ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقد تقدم بيانه في غير ما موضع ولكنه
صلى الله عليه وسلم اوتي بالنبا المعقول للعلم بان الموحي له هو الله علم كل شي
حتى قد وردت اثار جمع اثر وهو ما يوثر ويروى مطلقا وقد يخص بما يقابل
الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة او التابعين تجمع فيه حروف الخط اي
كيفية رسمها وحسن تصويرها اي صورها المستحسنة عند اهلها ومن مارسها
كقوله صلى الله عليه وسلم لكاتبه لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم اي لا تجعل
السين مدة طويلة من غير بيان لسنانها فانه يلبس صورتها وفي نسخة لا تمدوا
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس رضي الله عنهما وابن شعبان هو محمد بن
القاسم بن شعبان بن اسحاق المصري المالكي توفي سنة خمس وخمسين ومائة
وضعفه ابن حزم وله ترجمة في الميزان وقال السيوطي حديث ابن عباس لا تمد
بسم الله الرحمن الرحيم لم اجده وللديلمي من حديث انس اذا كتب احدكم
بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله من حديث زيد بن ثابت اذا كتبت فبين
السين في بسم الله الرحمن الرحيم وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر
الذي يروى بالبنا للمجهول ونايب فاعله قوله عن معاوية بن ابي سفيان
احد كتبته صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي نسخة الذي يروي معاوية
اي يرويه عنه صلى الله عليه وسلم ويروي مبني للفاعل على هذا انه
كان يكتب بين يديه اي عنده وفي مجلسه فقال له الق الدواة الق امر
بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لا لتقا الساكنين يقال لاق الدواة يليقها
ليقة وليقا والاقها ولاق يتعدى ولا يتعدى اي اصلح مدادها من قولهم
لاق به اذا الصق ومنه يليق بك كذا ولا يليق اي يناسب واشتهر استعمال
ذلك فيما يجعل في الدواة في حبرا ولبد او نحوه لانه يصلحها لمنعه كثرة
اخذ المداد في القلم الذي قد يفسد الخط وحرف القلم اي اجعل قطه محرفا
فانه اعون على تصوير السان ويكون تحريفه من جهة اليمين واقم الكتابة اي اجعلها
مستقيمة او طولها قليلا لانها عوض عن الف اسم وفرق السين اي اجعل
سنها منفصلا بعضها من بعض ولا تعور الميم اي لا تجعل دايرتها مطموسة
كالعين العورا وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر
الواو المشددة وراء مهملة وحسن الله اي كتابته وصورة لفظه تعظيما
لمسماه ومد الرحمن لم يبينوا معنى المد فيه فهو بمعنى مد ما بين الميم
والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا والمراد باسم الفا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعده ويبعد مخالفة رسم المصحف العثماني وجود الرجيم اي حسن كتابته والتجويد
مطلق التحسين ويختص في العرف بتحسين الخط وفي عرف القرا تحسين التلفظ
بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس
وهذا اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدا خبره قوله الاتي فلا
يبعد والفا زايدة او خبر مقدر اي محقق ونحوه والفا في جواب الشرط وان لم
تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب بيده الشريفة اشارة الى ما قاله
الباجي من انه روي انه صلى الله عليه وسلم كتب بيده في الحديبية كما تقدم
وانه لا يضر في كونه اميا لانه كان في بدء امره لامر انقضى بانقضا سببه فهو
معجزة اخرى له صلى الله عليه وسلم فلا يبعد عقلا ان يرزق علم هذا اي علم
الخط من غير تعليم ويمنع الكتابة والقراءة من المصحف قيل ولا يبعد ان
يقع منه الكتابة والقراءة في وقت معجزة اخرى له بشهادة ما في البخاري
انه صلى الله عليه وسلم اخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول
الله في عمرة القضا وانه قال لعلي كرم الله وجهه امح رسول الله لما اباها
بعض المشركين فقال والله لا امحوها ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله اقول قد علمت ان هذه مقالة
صدرت عن الباجي انكرها عليه اهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد
مجلس له لمحاجة علما عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقران وكونه
عد من معجزاته فاجاب بانه مصرح به في حديث البخاري والنحو بخلاف الاصل
وفي القران ما يشير اليه لان قوله ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك يقتضي كتابته من بعده وهو معجزة لا تنافي كون امينه معجزة
في اول امره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخاري واما علمه صلى
الله عليه وسلم بلغات العرب جميعها قبايل وبطونا وكل احد لا يعرف
ولا ينطق الا بلغته حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق وحفظ معاني اشعارها
وان كان لا يقول الشعر ولا ينشد وان انشده نادرا غيره وزنه في اكثر
احواله الا انه كان ترد عليه شعرا العرب المفلقون بمدايح يمدحونه بها
وتنشد بين يديه فيصغي لها ويعلم منها ما لم يعلمه غيره من فصحايهم
الا ترى كعبا لما انشده قصيدته وقال فيها

فنوا في حرتها للبصير بها • عتق مبين وفي الخدين تسهيل

قال الصحابة رضي الله عنهم الحربان العينان فقال لهم صلى الله
عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب الا ترى قول علقمة

له جربان يعرف العتق فيهما • كسامعتي مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظاير لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة
وفي ذكر الشعر بعد الكتابة مناسبة تامة اذ كل منهما مما عرفه صلى الله
عليه وسلم ان معرفته ولم يلتبس به وهو من مقاصده الحسنة وفيه
دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه امر مشروع تكفير من العلوم

وقد

وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطي في شرح
منظومة المعاني والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط والشعر
عليه هل كان يحسنهما ولا فعل بكل من القولين كما في الروضة والخط يتعلق
بالمعاني والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بانه لو قال معاني اشعارها كان اظهر
فامر مشهور قد نبهنا على تحقيقه في اول الكتاب في فصل فصاحته كما تقدم وكذلك
اي مثل معرفته للغات العرب حفظه لكثير من لغات الامم غير العرب وهذا نوع
في معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية كقوله في الحديث الذي
رواه البخاري عن ام خالد سنه سنه قاله صلى الله عليه وسلم لام خالد وهي
بنت خالد بن سعيد بن العاص وامها اميمة بنت خلف تزوجها الزبير وهي
صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهي صغيرة ولذا انطلق النبي صلى الله عليه
وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم العرب وقاله
لها لانه اتي بثياب فيها خميصة صغيرة سودا فيها اعلام صفر وخضر فدعاها
والبسها اياها وقال لها ذلك كما فصله البخاري وفيها لغات سنه سنه كما ذكر
وسنا سنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها وانكر بعضهم
تخفيفها وروي بكسر مبين سنا فقول الكرماني انها عربية واصلها حسنه
فخففت بحذف الحا كقوله كفا بالسيف شا اي شاهدا تاباه هذه الروايات
وان الحذف من الاسما في غير ترخيم المنادى مع شذوذه لم يعهد من الاول وهي اي
سنه بمعنى حسنه انتهى باعتبار الجنسية ولمناسبة سنه لفظا بالحبشية
اي فلغة الحبشة وهم جيل معروف وقوله صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق في حديث الفتن المتقدم ويكثر الهرج
بفتح الها وسكون الرا المهملة وجيم وهو القتل بها اي بلغة الحبشة
فعربه صلى الله عليه وسلم وقال ابن قرقول في المطالع فسر في الحديث بالقتل
بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والا فهي عربية صحيحة واصل معناه
اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه لن يزال الهرج الى يوم القيامة والعبادة
في الهرج كهجرة الي انتهى وهو رد لما قاله المص ولمن توهم انه تفسيره مروي في
الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل من ان المهرجان اسم يوم
لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه يقتضي انه فارسي ولم يقله احد
وقيل انه من توافق اللغتين وهو اقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه
ومنه المثل هم في هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد
تظرف القايل

اتى زمن الربيع فهاج قوم • الى الصهباء في هرج ومرج

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة الذي رواه ابن ماجة عنه
اشكنب درد وفي بعض الروايات اشكنب درد م بزيادة ميم ساكنة واشكنب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وبا موحدة
ساكنة وفتح الميم وفي الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح وتزاد فيهما
ها فيقال اشكنبه بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند
العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما را مهملة ساكنة والميم عندهم
ضمير المتكلم وسياتي ما فيه وقد علمت ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما
رواه ابن ماجه وضبطت به الرواية عنه فانه فارسي اعلم بلغته ولغته في
الرواية مما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من راويه كرواية الميم لانه
لا يناسب قوله اي وجع البطن فانه لو صح ذلك قال اي وجع بطني وفسره غيره
بوجع بطنك وهو انسب بترك الميم الا ان يقال ترك معناه التعريب والذي
رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو اصح لان شكم بالفارسية
معناه البطن وفي سننه قال ابو هريرة هجر النبي صلى الله عليه وسلم فهجرت وصليت
ثم جلست فالتفت الي وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان
في الصلاة شفا كذا صححه الشارح الحديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطي
وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر والبه انتهى
علم القراات وله تاليف مشهورة رحمه الله وروي اسكنب بكسر الهمزة وان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاله لابي الدردا والمشهور الاول كما قاله التلمساني
ولم يذكروا وجه تكلمه صلى الله عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمي
فلعله اراد سترة ولذا ورد انه قال ثم فسره لي وذكر البرهان بعضا مما تقدم
وقال انه في بعض النسخ اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية فاعتمد
على ما قدمناه وقوله بالفارسية اي باللغة الفارسية نسبة لفارس بن كومرث
وكومرث بن سام او يافث وقيل انه ولد لصلبه وقيل انه ادم عندهم ويقال
لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله عليه وسلم بالفارسية لفظ سور في حديث
جابر وهو الدعوة للطعام وبالفارسية العربي الى غير ذلك اي مضموما ما ذكر من
معرفته باللغات او من معارفه التي لا تحصر مما لا يعلم بعض هذا وفي نسخة
بعضه فضلا عن كله ولا يقوم به اي يوفي حقه كله ولا ببعضه فضلا عنه كله
الا من مارس الدرس اي عالجه واجتهد في حفظه ودراسته وتلقيه من اهله وفي
نسخة الدروس والعكوف على الكتب اي ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر
فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاره لما ذكر وفيما تقدم دليل على
جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وروي فيه
احاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروته وانه يورث النفاق وانه
لسان اهل النار ويدل لعدم الكراهة احاديث كحديث الفارسية الدرية لسان
اهل الجنة في الجنة ومثافنة اهلها مفاعلة من ثفن بمثلثة وفا ونون اي مجالسهم
وملازمتهم وهو ابلغ منه لانه من ثفن البعير اذا برك والثفنات ما غلظ لطول
مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعني جلس بين يديهم للتعلم
كالبعير البارك على الارض وهذه هيئة المتعلم في ادبه وقال التلمساني هي المتعة

من

من ثافنه اعتنقه وروي مثاقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفي بعض
النسخ منافثة بنون وفا ومثلثة اي مباحثة ونظر في الدقايق التي كنفثات السحر وفيه
نظر وفي بعض الشروح ما لا معنى له هنا عمر منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله
اي مثل ذلك مدة عمره كلها ولم يتركه طرفة عين وهو صلى الله عليه وسلم رجل كما
قال الله تعالى امي منسوب الى الام كانه كما خرج من بطن امه لم يتعلم وهو مبرو
من كل عيب والى امة العرب لانهم معروفون بذلك كما مر وقال الشاعر
عمي خالي وابي امي ❀ فقوله لم يكتب ولم يقرا صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما
قال الله تعالى تادبا يعني لم اصفه صلى الله عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما
وصفه الله به بقوله ان اوحينا الى رجل منهم وهو قيد لما بعده وما قبله فلا يقال
انه ترك ادب فان مثله لا يقال له يا رجل كما لا ينادى باسمه فلله در المصنف ما ابعد مرماه
ولا عرف بصحبة من هذه اي الكتابة والقراة صفته حتى يقال انه تعلم منه فقده
الصفة في حقه معجزة وفي حق غيره نقص كما قال ❀ كفاك بالعلم في الامي معجزة ❀
ولا نشا اي لم يكن من اول نشاته وبدء امره الى بعثته بين قوم لهم علم اي معرفة
بشيء من العلوم لانهم من الجاهلية ولا قراه لشيء من هذه الامور اي الكتب وغير
لانهم لم يكونوا اهل كتاب ولا عرف هو صلى الله عليه وسلم قبل مبني على الضم
اي قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر بشيء منها اي مما ذكر من المعارف اللدنية
ثم استدل على ذلك بقوله قال الله تعالى وفي نسخة عز وجل وما كنت تتلو من
قبله اي القران وما علمك الله من كتاب ولا تخطه بيمينك اي بيدك اليمنى التي
يكتب بها وهو تاكيد وتصوير وبين الله علة ذلك بقوله اذا لارتاب المبطلون
اي شكوا وقالوا نقله ممن قراه وكتبه ثم بين حال قومه في عدم ما ذكر بقوله
انما كانت غاية معارف العرب اي ما انتهى اليه علمهم النسب اي معرفة انساب قبايلهم
الى اجدادهم واخبار اوايلها اي ما وقع لابايهم واسلافهم من الحروب والو
والشعر اي حفظ شعر من قبلهم من القصايد والمقطعات والابيات والبيان
ليس المراد به علم البيان المعروف لانه لم يحدث كانوا في غنى عنه بالسليقة ولا
ولا ثمرة علم البلاغة كله كما توهم ايضا وانما المراد به المنطق الفصيح المعرب
في الضماير ويعني به الخطب والرسايل ونحوها من الكلام المشهور الذي كانوا
يذكرونه في محافلهم لمقابلته للشعر وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم
ان من البيان لسحرا وانما حصل ذلك لهم اي معرفة النسب وما بعده بعد
التفرغ لعلم ذلك اي مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الا بمزاولة واكتساب وصرف
زمان لكسبه حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان
راوية ونحوه والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه بالسوال عنه والحفظ له
ولم يعهد منه اعتنا بذلك في اول امره وهذا الفن اي النوع الذي كانت
العرب تعرفه وتعتني به نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم اي اقل قليل
بالنسبة لما ظهر من علمه لهم ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة او تلميح لما
ولا سبيل الى جحد الملحد اي لا يمكن الكفور المايل عن الطريق المستقيم انكاره

ها

قابع

عوضي

وهو اشارة لتفسير قوله اذا لارتاب المبطلون لنفي مماذكرناه من معارفه متعلق بجحد واللام زايدة للتقوية ولاوجد الكفرة حيلة فيه وبها تلبيسًا اي دفع ما فضضناه مما قدمر تفصيله الا قولهم اساطير الاولين استثنا متصل لانه مما اختالوا به على بعض ضعفا العقول او منقطع لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة او جمع اسطار جمع سطر او اسطير او اسطور اي هي احاديث مما سطره من قبله والاحاديث وقالوا انما يعلمه بشر اي هو مما تلقاه من غيره ونقله ورد الله قولهم المذكور وابطله بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اي لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان عجمي فكيف يمكن تعليمه او التعلم منه ومعنى يلحدون يميلون عن الحق بما قالوه لتهمهم هذه ثم قالوا من انه يعلمه رجل اعجمي وفي نسخة قالوه بهذا الضمير مكابرة العيان بكسر العين ولا تفتح فيه كما مر والمكابرة الانكار من غير دليل واصل معناه هجوم السارق نهارًا اي معاندة في المحسوس لا تفيد فان الذي نسبوا تعليمه له صلى الله عليه وسلم بزعمهم الباطل اليه متعلق بنسبوا اي اسندوه له اما سلمان الفارسي الصحابي المشهور رضي الله عنه لانه كان عنده صلى الله عليه وسلم او العبد الرومي وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومي وكان ممن قرا الكتب ثم اسلم وسياتي تفصيل قصته وسلمان انما اسلم وعرفه بالمدينة بعد الهجرة وعلومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه وبعد نزول كثير من القران حتى هذه الاية وبعد ظهور وفي نسخة نزول ما لا يعد لكثرته من الايات القرانية او العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة على ابطال زعمهم واما العبد الرومي فكان اسلم قبل الهجرة ولكنه كان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه واختلف بالبنا للمجهول اي اختلف المحدثون في اسمه كما سياتي في كلامه فقيل انه بلعام او يعيش وجبر او يسار اما بلعام فبموحدة مكسورة وفي قوله البرهان انها مفتوحة لا اصل له ولام ساكنة وعين مهملة والف وميم ويعيش ياتي انه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره الذهبي في الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذي نزل فيه قوله تعالى انما يعلمه بشر وجبر ياتي ايضًا انه بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم اقف عليه في الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسياتي تتمة لهذا في محله وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده اضراب عن اسلامه وقرائته عليه الى انه كان عبدًا روميًا يحترف بصقل السيوف عند المروة مع الناس فكيف قالوا انه تعلم منه وهو لم يخل معه ولم يعرف وقيل المخالفة بينه وبين الاول في انهما كان يجلس عند الاخر فالاضراب انتقالي او ابطالي وكلاهما اي سلمان والغلام الرومي اعجمي اللسان اي لسان كل منهما فيه عجمة وهم اي الطاعنون فيه بما ذكر واسناد التعلم له الفصحا اللد جمع الد وهو الشديد الخصومة ويجمع على لداد ايضًا من اللدد وهو العناد وفي الحديث ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وهم الخطبا جمع خطيب وهو من يقوم على روس القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولا يشترط فيه ان يكون

سجعًا

سجعًا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطبا معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل اللسن بضم اللام وسكون السين جمع لسن ككذب وهو الفصيح اللسان الطلق البيان وقيل جمع السن فلا اسهاب فيه كما قيل وقد عجزوا بفتح الجيم وكسرها عن معارضة ما اتى به اي مقابلته بكلام يحكيه والاتيان بمثله عطف تفسير مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم بل عجزوا وطمعوا عن فهم وصفه ومعرفة كنه بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة والحسن يكذبهم والفصاحة تنادي على فصاحتهم وصورة تاليفه اي عجزوا عن فهم صورة تاليفه ونظمه المعجز فانه لا يشبه كلام البشر والتاليف اخص من التركيب لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفي اكثر النسخ رصفه بالرا المهملة جمع رصف بفتحتين وهو في الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفي بعض النسخ ونظمه وهو وما قبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضة والاول هو اقرب والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التي هي كالجواهر وما بعده كذلك ترقيًا في المعجز ومغايرته لما قبله ظاهرة لا تحتاج لتوجيه الا عند عدم الفهم فكيف هي للاستفهام عن الحال والوصف المبهم ويراد بها التعجب نحو كيف تكفرون بالله وقوله باعجمي متعلق بمقدر اي كيف اللذ باعجمي وهذا التركيب سايغ في كلامهم تقول كيف بك اذا جا الشتا الكن من اللكنة وهي عدم افصاح اللسان وبيان النطق نعم بفتحتين وقد تكسر عينه ويقال نعام ايضًا في لغة وهي كلمة تقع في جواب الكلام الموجب وقد تقع في ابتدا الكلام كما هنا فكانها جواب سوال مقدر وفي غير جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم وعليه حمل قول حجة زنعم وارى الهلال كما تراه كما ياتي وقال بعضهم انها زايدة في مثله وفيه كلام لم تحضرني الان وقد كان سلمان الفارسي رضي الله عنه او بلعام وهو بفتح البا الموحدة على ما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم ايضًا وهو اسم الغلام الرومي او يعيش بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة علم منقول من المضارع او جبر بفتح الجيم وسكون البا الموحدة ورا مهملة وهو عبد للفاكه بن المغيرة وقيل لعباد الحضرمي قيل ان سيده كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدًا فيقول لا والله بل هو يعلمني ويهديني او يسار بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور مبني على اختلافهم في اسمه كما تقدم بين اظهرهم خبر كان اي مقيمًا بينهم يعرفونه ويقال ظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كانه لاستناده اليهم ظهر وراه وظهر قدامه ثم كثر فشاع في الاقامة بين قوم ويخالطهم ويكلمونه مدا اعمارهم اي في جميع مدة اعمارهم يخالطهم ويكلمهم ويكلمونه فكيف لا يعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم واصل معنى المدا الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما في النهاية وذكر الماوردي ان غلامين نصرانيين من عين التمر احدهما يسار والاخر جبر كانوا يسندون لهما ما ذكر وقيل غير ذلك فهل حكي عن واحد منهم اي من الكفرة شي من مثل ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم

عوضي

ابن اقبرس

ن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبه حذف تقديره نقله عن هذين فان كان ضمير منهم لسلمان والغلام ففيه تعبير
عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفي نسخة من مثل ما كان يجيء به صلى الله عليه وسلم
وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الايات الباهرة وهو كالذي قبله وما منع العدو حينئذ اي حين حضورهم
معه على كثرة عدده بفتح العين اي اي مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه
ودؤوب طلبه بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بوزن القعود من
الدأب وهو الجد والتعب يقال ادأبه اذا اتعبه ثم صار بمعنى العادة المسببة
عن ذلك وصار حقيقة فيه وفوق حسده بحا مهملة وهو مما يبعثهم على
الطلب وحثهم ان يجلس الى هذا الذي زعموا انه يعلمه فياخذ عنه اي يتلقف
بتعلمه منه ايضا اي كما تعلم منه النبي صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد
ما يعارض به ما جاء به ويتعلم ما يحتج به اي يجعله حجة ودليلا على شغبه اي
لجاجه في خصومته وعناده وتهييج الشر بفتنته يقال شغب به وعليه وهو
بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه قافية لقوله طلبه وهو لغة فيه كما في القاموس
وغيره وتسكن ايضا وهي اللغة المشهورة فيه ومن انكر الفتح وقال انه لغة عامية
كالحريري لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر
على انه لو صح ما قاله قلنا له انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بشيعته
كفعل النضر بن الحارث وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم
اخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرأ النبي صلى الله عليه وسلم
القران وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس النضر في قريش وقص
عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد اتيتكم باحسن مما جاء به محمد وهو الذي
نزل فيه ومن قال سانزل مثل ما انزل الله الاية ثم انه لم يزل كذلك مصرا على عداوته
صلى الله عليه وسلم حتى اظفره الله عليه فقتله كما ذكر في السير ثم ما كان يخرق
متعلق بفعل ويخرق بمعنى يكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال
الكذب يتلهى به احد وقاموس المخراق وهي خرقة يلعب بها من برقص وهذه
لفظة عربية ميمها زائدة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة ميمها
كما في قولهم تمسكن ويخرق بضم التحتية وفتح الميم وخا معجمة ورا مهملة
وقاف من اخبار كتبه التي كان ياتي بها ويقصها عليهم ولا غاب النبي صلى
الله عليه وسلم عن قومه ولا خرج من بلده الى بلاد بعيدة اقام بها
اقامة يحتمل انه لقي بها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله ولا عرف
الخ ولا يضر طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين ولا كثرت اختلافاته
اي رواحه ومجيئه مرارا عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا اي يسافر
ويذهب اليها لا انها مخالفة لمفهوم المعروف الى بلاد اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة لما ياتي انه صلى الله عليه وسلم
وقع له ذلك مرة او مرتين لا انه فيهما لم يفارق رفقاه من قومه ولم يقم
عند غيرهم حين سافر الى الشام كما ياتي فيقال انه استفاد منهم اي

دبجي

طلب

طلب المدد والاعانة من اهل الكتاب بتعليمه لشيء مما كان يتلوه على قريش بل لم يزل مقيما
عندهم بين اظهرهم في وسطهم مختلطا معهم وتقدم انه يقال بين اظهرهم وظهرانيهم
يرعى ضبطه بعضهم بفتح المثناة التحتية اي يلاحظ ويحفظ بمرأى منهم ومسمع لا يخفى
امره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشي وهو المناسب لقوله في
صغره اي وهو طفل وشابا به اي بعد ما بلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول انف
من جعله صلى الله عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ولم يكن معيبا عندهم وهو اقوى في اثبات مدعاه لان من يرعى يكون
في الغالب معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم ثم لم يخرج من بلادهم بعد ما شب وبلغ
او بعد ما وجد وعرف حاله الا في سفرة واحدة او سفرتين الى بلاد الشام مرة مع ابي
طالب ورده من الطريق باشارة بحيرا الراهب كما مر ومرة في تجارة لام المؤمنين
خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة فلم يبعد عن اهل بلده ابدا سفرا واقامة
ولم يتردد المصنف في السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتين
كما في السير فكان ينبغي ان يقول الا في سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها
عمه ابو طالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر فلا وجه
للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه صلى الله عليه وسلم مع مرضعته حليمة
لبني سعد فلا يعد مثله سفرا لا سيما والمراد سفر خاص لديار اهل الكتاب وسفر
يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطائف الى بني عبد يا ليل
فانه لقربه لا يعد سفرا واهلها جهلة اهل شرك لا علم عندهم يعلمونه له وقوله
لم يطل فيهما اي في جنس السفرة مكثه اي اقامته وهو بفتح الميم وضمها مدة يحتمل
فيها اي في المدة تعليم القليل وتعلمه من علم وغيره فكيف الكثير الذي كانوا يعرفونه
منه وهذا استفهام انكاري بتعنيه بطريق برهاني ثم اكده واثبت مدعاه بقوله
بل كان في سفره في صحبة قومه ملازم لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين ورفاقه
بفتح اوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهي الاجتماع في السير والنزول من الرفق
لان كلا منهما يرفق بصاحبه عشيرته اي قومه وقبيلته من العشرة وهي الاختلاط
قال في القاموس عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون او قبيلته لم يغب عنهم ويفارقهم
مفارقة تحتمل ملاقاة اهل الكتاب وتعلمه منهم ولا خالف حاله التي نشا عليها
وعرف بها مدة مقامه بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة بمكة الى ان هاجر صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله عليه وسلم وحاله
مفعوله وقوله من تعليم بيان لمقدر في قوة المذكور لعلمه مما قبله اي ما خالفه
لامر اخر من تعليم الخ وليست من زائدة في الفاعل ومحله رفع كما قيل واختلاف
اي مجيء وذهاب واصله مجيء القوم بعضهم خلف بعض فاستعمل المقيد في المطلق
ومنه اختلاف الليل والنهار الى حبر بكسر الحا وفتحها وهو العالم من علما اليهود
او منجم اي عالم بالنجوم واحكامها او قس بفتح القاف كما في القاموس وغيره واشتهر
ضمه وذكره ابن السيد في المثلثات رئيس علما النصارى او كاهن وهو من العرب
من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فاستوفى اقسام من يمكن التعلم منه

ابن اقيوس

دبجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من انواع الناس لو من في ابطال ما قالوه فقال بل لو كان هذا اي لو فرض خلاف ما ذكر من
حاله صلى الله عليه وسلم ثابت فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع اهل الكتاب واختلافا
للقسيسين والاحبار بعد مبني على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لا بعد يمكنه
بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تامل كلامه كله دلجي
لكان مجيء ما اتي به صلى الله عليه وسلم من معجز القران الذي لا يشبهه شيا من كلام
البشر قاطعا لكل عذر اعتذروا به عن مخالفتهم له عنادا وبغيا منهم وجعله عذرا
ايما الي انهم معترفون بحجهم بدلالة الحال ومدحضا اي مزيلا ومبطلا من الادحاض
وهو الازلاق ففيه استعارة مكنية لتشبيههم بمن زلت قدمه لشبهه في وحال
الشرك لكل حجة تشبثوا بها وهي اوهى من بيت العنكبوت وفي نسخة لكل شبهة
ومجليا بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم
وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخا المعجمة والظاهر ما قدمناه اي موضحا
وكاشفا او مزيلا ومبعدا لكل امر غيهب تخيلوه وتلبيس اختالوا به

فصل

ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم التي خصه

الله بها عن غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائر الخلق وكرامته
التي اكرمه الله وشرفه بها وباهر اياته اي ظاهر علامات نبوته ومعجزاته واخبار
والجن ورجبر مقدم للحصر والاعتنا وقوله انبا فه بفتح الهمزة جمع نبا وهو الخبر
اي اخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله عليه وسلم مع الملايكة والجن وامداد
الله له بالملايكة بكسر الهمزة مصدر امده امدادا من المد قال الراغب امددت الجيش
بمدد والانسان بطعام واكثر ما جا الامداد في المحبوب والمد في المكروه نحو
وامددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى اي ارسال الله الملايكة عليهم
الصلاة والسلام مددا له صلى الله عليه وسلم واعانته كما سياتي وطاعة الجن
له بانقيادهم واسلامهم لا بامدادهم ولذا خالف في العبارة بينهم وبين الملايكة
ورؤية كثير من اصحابه لهم اي للملايكة والجن كما سياتي ولا وجه لتخصيصه بالجن ابن اتبرى
ثم انه انما بين ما قاله من القران فقال قال الله تعالى وان تظاهرا اي تتعاونا
عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم بما يسوءه فان الله هو مولاه اي ناصره
ومعينه وجبريل وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه
الاية اي والملايكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعايشة امي المؤمنين
والاية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط في محله وقد تقدم في اول الكتاب
بعض منه وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم بنصري وتاييدي
فثبتوا الذين امنوا بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم
على اعدايهم وهذا كان ببدر وقد كثر اعداؤه المشركون وعددهم وقلة
المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشا بنصره وقال في وقعة بدر
اذ تستغيثون ربكم تطلبون غوثه واغاثته فاستجاب لكم اجاب دعاكم
وانجز وعده لكم اني ممدكم الاثنين اي افرادهما الى اخرهما اي اني ممدكم
بالف من الملايكة مردفين اي متتابعين وقال تعالى واذ صرفنا اليك

نفرا

نفرا من الجن يستمعون القران الاية اي املناهم واوصلناهم اليك والنفر ما دون
العشرة وهؤلاء جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة في منصرفه صلى الله عليه وسلم من
الطايف وقد ذكر هؤلاء النفر وعدتهم واسماهم في مفصلات التفاسير واجتماع الجن
به صلى الله عليه وسلم وقع مرتين بل اكثر وهو شاهد على انه صلى الله عليه وسلم
رسول للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به حدثنا سفيان بن العاصي
الفقيه بسماعي عليه تقدم بيانه وبيان السماع وترجمته قال حدثنا ابو الليث
السمرقندي تقدمت ترجمته قال حدثنا عبد الغافر الفارسي تقدم ايضا قال
حدثنا ابو احمد الجلودي تقدم ضبطه وترجمته قال حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم
ابن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة قال حدثنا مسلم
القشيري النيسابوري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبيد الله بن معاذ
ابو عمرو العنبري الحافظ الفصيح الثقة توفي سنة مايتين وسبع وثلاثين واخرج
له اصحاب السنن قال حدثنا ابي معاذ بن معاذ التميمي الحافظ قاضي البصرة واليه
انتهى علم الحديث توفي سنة ماية وستة وتسعين واخرج له اصحاب السنن ايضا
قال حدثنا شعبة تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا سليمان الشيباني ابن ابي سليمان
فيروز او خاقان الشيباني بالمعجمة مولاهم الكوفي الحافظ الثقة توفي سنة ثمان
وثلاثين او احدى او اثنتين واربعين وقول الواقدي وابن كثير سنة تسع وعشرين
غلط واخرج له الايمة الستة سمع زر بكسر الزاي المعجمة وتشديد الرا المهملة
ابن حبيش بالتصغير بحا مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو ابو مريم
الاسدي ادرك وسمع عليا وعمر رضي الله عنهما وعاش ماية وعشرين سنة وتوفي
سنة اثنتين وثمانين واخرج له الستة عن عبد الله بن مسعود الصحابي
المشهور وهذا التفسير الاتي اخرجه مسلم والترمذي والنساي موقوفا
والذي ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذي انه حسن صحيح ولفظه قال
تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره
وهو موقوف له حكم الرفع راى جبريل في صورته الاصلية التي خلق عليها
له ستماية جناح اللام جواب قسم مقدر اي راى الاية الكبرى من ايات ربه
والكبرى اسم تفضيل مؤنث اكبر ومن تبعيضية وفيه ايما الى انه راى
ربه وهو فوق الاكبر فقد راه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه
الاشعري والنووي وما نقل عن عايشة رضي الله عنها من انكاره فقيل انه
الذي قالته كما في مسلم عن مسروق انه قال كنت متكيا عند عايشة فقالت
يا ابا عايشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية قلت
ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فقد اعظم على
الله الفرية قال وكنت متكيا فجلست فقلت يا ام المؤمنين انظريني ولا تعجلي
الم يقل الله عز وجل ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى فقالت
انا اول من سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هو
جبريل لم اره على صورته غير هاتين المرتين رايته منهبطا من السما سادا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عظم خلقه ما بين السما والارض الحديث فليس فيه نفي رويته لربه وانه صلى الله عليه وسلم
ذكر هاذلك وقد تقدم جميع ذلك مع ما فيه وقد ذكر هنا انه راي جبريل وله ستماية
جناح سد ذ ما بين السما والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافي ان تكون اجنحته
تزيد على ذلك فان الملايكة اجسام مجردة قابلة للتشكل والخبر في الحديث
الصحيح المسند في محادثته صلى الله عليه وسلم مع جبريل واسرافيل وغيرهم
من الملايكة اعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة او لتنزيل
ذلك منزلة تعدد الصور الذي يشير اليه ما قبله وبينه بقوله بعده وما شاهده
من كثرتهم وعظم صورهم ليلة الاسرا مشهور وفي نسخة وصورة بعضهم وفي نسخة
وعظم ظهورهن وحديث الاسرا ورويته صلى الله عليه وسلم الملايكة والانبيا
مشهور وتقدم طرف منه ورويته للملايكة كذلك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح
مشهور ايضا ومن اراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطي المسمى بالحبايك في اخبار الملايك
فانه كتاب جليل في بابه وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة اي الفقر وقالوا ما فقده الله من قوله
مال هذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال رب العزة
يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
الخ فبينما جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة
وهي العدسة فقال له صلى الله عليه وسلم ما لك يا جبريل فقال فتح باب من
السما لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل رضوان
وسلم وقال يا محمد رب العزة يقريك السلام ومعه سفط من نور يتلالا ويقول
لك هذه مفاتيح خزاين الارض فنظر لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض
وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا قال اصبت اصاب
الله بك ويرون ان هذه الاية انزلها رضوان تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من
ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا انتهى ومن هذا علم انه
لم ينزل بالقران الا جبريل غير هذه الاية والسر فيما ذكر ان نزول رضوان وهو
ملك الجنان وتخييره دون بث باعطايها علم منه جبريل ان الله اراد له صلى الله
عليه وسلم ما هو اتم من ذلك في الجنة وانه لم يرض بحقير الدنيا الفانية ان
تكون له ولو اراد خلافه اتاه ملايكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل
والا جبريل عليه الصلاة والسلام لا يقول شيا برايه ولا يفعل الا ما يومر به
فافهم وقد راهم اي الملايكة تحضر نداه اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة
مثلثة الحا مصدر حضر يحضر اذا جا وقدم ويجوز فيه يجوز امشهور اعن مكان
الحضور نفسه ويستعمل للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية
نامر بكذا كالمقام كما يكتبه اصحاب الترسل جماعة من اصحابه في مواطن
جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا المطلق المكان مجازا مرسلا مختلفة اي
متعددة واصل معناه المتغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم
بعض من الكلام على روية بعض الصحابة للملايكة عنده صلى الله عليه وسلم

وفي بعض

٥٢

وفي بعض النسخ فراه اصحابه جبريل في صورة رجل يساله عن الاسلام والايمان
والاحسان وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في اول البخاري والكلام عليه
وعلى الفرق بينه وبين الاسلام مفصل في شروحه وراي ابن عباس واسامة بن
زيد وغيرهما من الصحابة كعايشة وام سلمة وغيرهم وحارثة عنده صلى الله عليه وسلم
جبريل في صورة دحية بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة
معاوية وكان من اجمل الناس واجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام
ياتي النبي صلى الله عليه وسلم على صورته رضي الله عنه ودحية بفتح الدال
وكسرها ومعناه الرييس بلغة اليمن وتمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة
صغيرة ليس بافنا بعض اجزايه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم انوار لطيفة
قابلة للتشكل والتضام والانتشار كما نشاهد في اللهب في هبوب الرياح وقول
امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للمعقول ايضا فلا يقلب حقيقته
اذا تمثل رجلا تانيسا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يجعل الله لبعض الانفس القدسية
الملكية بقوة يقتدر بها على التصرف في بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا
لانهم كانوا يرى لهم في بعض الامكنة شبحا يقوم مقامهم لقدرة ارواحهم القدسية
على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام في كتب الاصول والحكمة
وبعض اهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله في صورة دحية بتقدير
مضاف اي في مثل صورة دحية وما قيل انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها
استقرار المظروف في ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للشيء والاحاطة بعد ظرفا
حقيقة في العرف ورويته ابن عباس رضي الله عنهما له مرتين رواها الترمذي
وروية اسامة له رواها الشيخان عنه فقول الشارح الجديد لم اقف عليها
من قصور النظر وراي سعد بن ابي وقاص في حديث رواه الشيخان عن يمينه
ويساره جبريل وميكاييل لف ونشر مرتب في صورة رجلين عليهما ثياب بيض
وقع في الحديث عن غير واحد وهذا كان يوم احد وقد قاتلا معه صلى الله عليه
وسلم قال النووي في شرح مسلم هذا اتما اكرمه الله به وفيه رد لمن قال
ان الملايكة لم تقاتل معه بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه بحنين وهذا
هو الصواب وقال القرطبي في تفسيره لم تقاتل الا ببدر ووعد الله المومنين
باحد ان صبروا وثبتوا ان يمدهم بالملايكة فلم يصبروا ولم يمدهم وكان للنبي صلى
الله عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه دايما وفي الحديث دليل على ان روية الملايكة
لا تختص بالانبيا عليهم الصلاة والسلام فيراهم الصحابة والاوليا ومثله عن
غير واحد اي روي مثل ما في هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة وسمع
بعضهم اي بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين زجر الملايكة زجرها حثها
خيلها على الجري بصوت يوم بدر اي وقعتها حين القتال وهذا رواه ابو نعيم
والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا من غفار قال قدمت انا وابن عم لي
ونحن مشركان ومصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون
الدبرة فبينا نحن كذلك اذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قايلا يقول

دحية

عرض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انه من حيزوم فمات ابن عمي من خوفه وكدت اهلك وحيزوم منادى اسم فرس الملك
بالميم وروي حيزون بالنون والصحيح الاول وبعضهم راى تطاير الروس اي
سرعة وقوعها بخفة كتطاير طائر عن مقره وهذا رواه البيهقي عن سهل بن حنيف
وابي واقد الليثي من الكفار في يوم بدر ولا يرون الضارب لانه ملك خفي عنهم
وبعضهم رآه وعرفه وقد روى كلاهما في احاديث ذكروها ويجوز ان نقول
ان التطاير استعارة شبهت بتطاير وحمام كما من برح بدنه بنفسه كانه ليس جزا
منه بدليل قوله ولا يرون الضارب ولا الضرب قال ابو داود المازني اني لاتبع
رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي وكانوا
يعرفون قتلى الملايكة بان بهم سمة نار ونحوه وراى ابو سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب قبل اسلامه يومئذ اي يوم بدر رجالا بيضا وجوههم واخذ الهم على خيل
بلق اي فيها بياض ولون آخر ما تقوم لها شي اي لا يمكن ان يقاومها وقتالها
شي يغيرهم فلا وكثر لما راه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الرائي لذلك دحي
سهيل بن عمرو كما رواه البيهقي وهو مخالف لما رواه المص هنا وهو هكذا في
تخريج السيوطي لاحاديث هذا الكتاب وفي الشرح الجديد انه رواه ابن اسحاق
في سيرته ونقله في حديث طويل في مهلك ابي لهب والعهدة فيه عليه وقد كانت
الملايكة تصافح عمران بن حصين باكفها والذي رواه مسلم انها كانت تسلم عليه
ولا منافاة بينهما فان المتلاقيين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما
لان السلام امان والمصافحة تسليم بكله له فهو امان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن
حصين هذا هو الصحابي الخزاعي رضي الله عنه وحصين علم منقول من مصغر
حصن وهو كما قالوا افضل من نزل البصرة توفي في خلافة معاوية سنة اثنتين
وخمسين ومصافحة الملايكة له مشهورة في الكتب المعتمدة واما السلام ففي صحيح
مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضي الله عنه قال له كانت الملايكة تسلم علي حتى
اكتويت فتركت الملايكة السلام علي ثم تركت الكي فعادوا وقال له اكتمه ما دمت قاد
حيا قال النووي رحمه الله كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر
والتوكل وفي العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملايكة السلام عليه والا فالكي
ليس محرما وان قيل بكراهته اذا امكن العلاج بغيره كما ورد في المثل آخر الدوا
الكي وروي انه كان يسمع في داره السلام عليه من غير ان يرى اهل الدار المسلم
كما ذكره الترمذي وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية النبي
صلى الله عليه وسلم الملايكة ورؤية الصحابة لهم عنده فهو يعلم منه المعقود
بالطريق الاولى او هو استطراد وارى النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه البيهقي مرسلا عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما وراى بصرية تعدت بالهمزة
لمفعولين اولهما حمزة بن عبد المطلب عمه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
لحمزة باللام وهي زائدة كما في ردف لكم وثانيهما جبريل في الكعبة اي في داخلها
او عندها فخر مغشيا عليه خوفا من مهابته لانه راه على صورته ففي
دلايل البيهقي وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضي الله عنه

قال

قال يا رسول الله ارني جبريل على صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال بلى
فارنيه فقال له اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال له صلى
الله عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فراى قدميه مثل الزبرجد الاخضر
فخر مغشيا عليه واعلم ان راى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب اعطى قال ابن
مالك لا تدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدي فعل بحرفين بمعنى وان تعدى لاحدهما
لزم الترجيح بلا مرجح ما لم يتقدما او احدهما فتعديه هنا باللام لا وجه له وقال
ابن هشام انه شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية

احجاج لا تعطي العصاة مناهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناها

فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه ولعلم الا الحافظ
السخاوي قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله عنه ان العباس
بعث ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام وراءه وعنده رجل فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فراه فقال له متى جيت فقال منذ ساعة قال
هل رايت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الا عمي الا ان يكون نبيا لكن
اسال الله ان يجعل ذلك في آخر عمرك وله طرق من الاسانيد الا انه معارض برؤية
جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع
بينهما وقد عمي ابن عباس في آخر عمره فقال

ان ياخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
عقل صحيح وراي غير ذي زلل ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الامويين ما لكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال وانتم يا بني
امية تصابون في بصايركم افود ما ذكره من حديث عمى الرائي لجبريل اذا ورد
من طرق صار مقويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل معارضه ناسخا فلا بد
من التوفيق فيحمل على من راه وحده في بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت
من غير علم للنبي صلى الله عليه وسلم برؤيته فلا يرد رؤية عايشة وغيرها
له وذلك لانه نور شديد قد يورث ضعف البصر المؤدي للعمى اذا احدق فيه
الناظر واطال نظره في نوره الذي لم يتعوده وهو من الاسرار الالهية فتامله
ثم ان المص قدم الملايكة لشرفهم ثم ذكر امر الجن فقال وراى ابن مسعود
في حديث رواه البيهقي الجن في ليلة الجن اي في ليلة راى فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم الجن وقد امر بانذارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم
وسمع كلامهم قال البرهان في المقتفى الذي في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود
انه لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وقال ابن سيد الناس
في سيرته ان حديث ابن مسعود في كونه كان حاضرا في ليلة الجن روي من طرق
ومنه انه توضا بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما لا محصل له والحق ما قاله
ابو البقا الشبلي الحنفي في كتابه آكام المرجان في احكام الجان من انه روي فيه
احاديث متعددة منها ما رواه ابو داود عن ابن مسعود ان علقمة قال له
هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد قال ما صحبه منا احد

ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا جاء من قبل حراء قال أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وذكر أنهم سألوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجاء بهما. رواه أحمد وهذه الليلة غير الليلة التي حضرها ابن مسعود وهي في دلائل البيهقي مسندة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه بمكة من أحب منكم أن يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلا مكة خط لي برجله خطا أمرني بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته الحديث وسمعتهم يقولون له من يشهد لك أنك رسول الله وثم شجرة فقال أرأيتم إن شهدت هذه الشجرة تؤمنون قالوا نعم فدعاها فأقبلت فشهدت له فآمنوا به وجمع البيهقي بين الروايتين فقال قوله ما صحبه منا أحد أراد به حال ذهابه لقراءة القرآن إلا أن قوله أنه أعلم أصحابه بخروجه بينا في فقدهم له حتى قالوا إنه استطير واغتيل وفيه تصريح بأنه ممن فقده والتمسه وفي هذا الحديث أنه خرج له وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله مشعر ظنهم أنها ليلة واحدة ولا شك أنها تعددت فمنها ما كان بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لأبي نعيم مسندا لابن مسعود وأنه قيل له أكنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أخذ أحد كل رجل رجلا من أهل الصفة يعشيه ولم يأخذني أحد فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما أخذك أحد يعشيك قلت لا قال انطلق معي لعلي أجد لك ما يعشيك فانطلقت معه حجرة أم سلمة فتركني ودخل ثم خرجت جاريته فقالت لي لم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لك عشاء فرجعت إلى المسجد والتففت بثوبي فجاءت الجارية وقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته أرجو العشاء فخرج وفي يده عسيب نخل فعرض به على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ما شاء الله وكررتها ثلاث مرات فانطلقنا حتى أتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه خطا وقال اجلس فيه حتى آتيك ولا تبرح فانطلق وأنا أراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سوداء ففرقت عليه وقلت الحق أو استغيث الناس لظني هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو يقرعهم بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا وأتى لي قد كرت له ما في نفسي فقال هم وفد نصيبين الخ فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود وما سئل عنه أولا كان بمكة وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا أخر ذكرها في باب مستقل بطولها ثم قال وهذه الأحاديث تدل على أن وفادة الجن كانت ست مرات الأولى فقد فيها وقيل اغتيل والثانية بمكة والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت بأعلا مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الغرقد والخامسة كانت خارج المدينة

حضرها

حضرها ابن الزبير والسادسة كانت في بعض أسفاره حضرها بلال انتهى ملخصه ويشبههم أي ابن مسعود لا النبي صلى الله عليه وسلم لقول قتادة أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا سودا الزط فرعوه فقال أخرجوهم ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على أنه رآهم برجال الزط متعلق بقوله يشبههم والزط بضم الزاي المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال وفي القاموس الزط جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد زطي وذكر ابن سعد وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري أن مصعب بن عمير القرشي العبدري الصحابي البدري وهو ممن أسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه لما قتل يوم أحد أي في وقعته قتله ابن قمئة لعنه الله ظانا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن خباب أن مصعبا لما قتل لم يكن له إلا نمرة كنا إذا غطينا رأسه بها بدت رجلاه وإذا غطي رجلاه بدت رأسه فجعلوا على رجليه شيئا من الإذخر أخذ الراية ملك على صورته أي تشكل بشكله وتزيا على صورته حتى لا تقع راية المسلمين فإن وقوع راية العسكر فيه ضعف لهم ولتمام تلك الصورة فيه جعل كأنه عليها راكب لتمكنها فيه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب لنحو الأعداء في القتال فإن الراية يتبعها المقاتلون لأنه صلى الله عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتأمل حامل الراية فقال له الملك لست بمصعب كما ظننته وفيه لطف وتبشير بسهولة الأمر وظهور النصر وأن مع العسر يسرا وهذا بناء على أنه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته وعلى ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه من أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقاله يا رسول الله ألم يقتل مصعب يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه فهو الذي ناديته يكون علم صلى الله عليه وسلم أنه ملك وإنما تسمى باسمه لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية فيحصل فيهما اضطراب وتشمت الأعداء بهم ويتمنون انهزامهم فعلم صلى الله عليه وسلم قتل مصعب وعلى الأول لم يشعر بقتله وكونه علم ونسي أو ظن أن الله أحياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف ناداه باسمه بعد ما علم أنه ملك مع أن هذا السؤال غير وارد رأسا بعد علمه أنه تسمى باسمه لما مر وكان مصعب رضي الله عنه حامل راية المهاجرين بأحد ولواء الخزرج حامله الحباب ابن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الأوس بيد أسيد بن حضير وما روي من أن حامل رايته بأحد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لأن الراية كانت أولا بيد مصعب فلما استشهد أخذها الملك فلما انجلى الأمر وعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل كما شنع به ابن قمئة وصرخ إبليس اللعين أن محمدا قد قتل أخذ علي الراية بعد ما أمسكها الملك لحظة لئلا تسقط ويتخذ المسلمون ويفترق اعتبارا لكفار فقول الملك لست بمصعب يعني لست مصعبا المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعد ما تسمى مصعبا وذكر غير واحد من

عوضي

ل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المضعفين كالبيهقي وابن ماكولا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا نحن جلوس مع
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقبل شيخ بيده عصى كونه بيده عصى تحقيق لشيخوخته
فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزي في قوله

حمل العصا للمبتلي ... بالشيب عنوان البلا
وصف المسافر انه ... القى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من ... حمل العصا ان يرحلا

وهو تلميح لقوله فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم سلامه بان
قال له وعليك السلام وجواب السلام تعالى له رد خفيفه وهو في الاصل مجاز
لتشبيهه بمن اعطى شيا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر وقال صلى الله عليه
وسلم لمن سلم عليه بعد رده جوابه نغمة الجن وفي نسخة نغمة جني اي هذه او نغمتك
نغمة الجن وصوتهم فهو خبر مبتدا مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة جرس الكلام
وحسن الصوت والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه
فله نظاير كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبدعة وبدع من انت من الجن وما اسمك ه
وسهم نكت وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا
كما تقدم قال انا هامة بن الهيم بهما مكسورة فمثناة تحتية فميم ابن لاقس بن ابليس
في ضبط هذه الاسما اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل الاميم بالعين ولام دونها
والصحيح الاول والهيم بوزن العيل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كيف وعلى
وفي الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد اليا بوزن فيعل ولا يعتمد عليه والكلام
على ابليس مشهور وهو ابو الجن كما ان ادم عليه الصلاة والسلام ابو البشر
ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقس بزنة فاعل وفي بعض النسخ
لاقيس بزيادة يا وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان اليا سقطت سهوا من الكاتب
فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن
بعده من الرسل والانبيا في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه
سورا من القران ستاتي والحديث عن عمر رضي الله عنه قال بينا نحن مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذ اقبل شيخ في يده
عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وله نغمة الجن وغمغمتهم فقال من انت
قال هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس قال ليس بينك وبين ابليس الا ابوين قال
نعم قال فكم لك من العمر قال افنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح في مسجده مع من
امن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وابكاني فقال
لا جرم اني على ذلك من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وقلت له
يا نوح اني ممن شارك في دم الشهيد هابيل فهل تجد لي من توبة قال يا هام
هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة اني قرات فيما انزل الله علي انه
ليس من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضا
واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتي ما امرني به فناداني ارفع راسك فقد

نزلت

نزلت توبتك من السما فخررت ساجدا لله وكنت مع هود في مسجده مع من امن به من قومه
فلم ازل اعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وابكاني وكنت مع يوسف بالمكان المكين وكنت
القى الياس في الاودية وانى القاه الان ولقيت موسى بن عمران فعلمني من التورية
وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقره مني السلام وان عيسى قال ان لقيت محمدا فاقره
مني السلام فبكى صلى الله عليه وسلم وقال على عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك
يا هامة لادايك الامانة فقال يا رسول الله افعل بي ما فعله موسى بن عمران فانه
علمني من التورية فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتسالون
عن النبا العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين وقال له ارفع
الينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
ينعه لنا فلست ادري احي هو ام ميت انتهى واعلم انهم اختلفوا في هذا الحديث
فقال ابن الجوزي انه حديث موضوع لا اصل له وذكر له طرقا ذكر من في رواتها
من الكذابين ومن لم تقبل روايته وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل
على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته اكثرها مردودة وقد روى هذا
الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي كما علمت وابن عساكر وغيرهما وذكر الواقدي محمد
ابن عمر بن واقد المدني صاحب التاليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير وطعن فيه
اخرون توفي ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا
حديث صحيح رواه البيهقي والنسائي وغيرهما وهو مذكور في اكثر التفاسير
قتل خالد بن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السودا عند هدمه
العزى وفي نسخة قطعه وهي اظهر لان العزى كانت شجرة او ثلاثة اشجار في مكان
واحد بنوا عليها بنا وكانوا يعبدونها ويسمع منها اصوات فذكر الهدم باعتبار
ما حولها فهو متعلق بمضاف وهو مفعول هدم كقطع اي قطعها او هدم بناها
وكانت لغطفان وهي شجرة السودا مفعول قتل كما مر وفي نسخة للسودا واللام
للتقوية وهي شيطانة في صورة امراة سودا التي خرجت له اي لخالد رضي الله عنه
لما باشر قطعها ناشرة شعرها عريانة واضعة يدها على راسها صايحة بويلها
وناشرة وما بعده منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها اخر لغة
بجيم وزاي معجمة مفتوحتين والزاي مشددة للمبالغة ومخففة اي
جعلها جزلتين او قطعتين وروي جدلها بدال مهملة مشددة وروي عن
خطه بجا وذال معجمتين بمعنى قطعها ومعانيها متقاربة واشهرها اولها ه
والضمير للسودا اي قطعها قطعا بسيفه وهو يقول يا عزى كفرانك لا غفرانك
اني رايت الله قد اهانك والعزى تانيث الاعز واعلم خالد بما فعله النبي صلى
الله عليه وسلم فقال تلك العزى ان كانت الاشارة لما وقع به الفعل من الشجر
فظاهر وان كانت الاشارة للسودا فتسميتها عزى وهي اسم للشجر والبنا
باعتبار انها هي التي عبدوها حقيقة وسمعوا منها ما كانت تخبرهم به من
المغيبات ونحوها كما يقال الحج النحر والحج باطلاق الشي على المقصود منه في
مجاز وكانت بنخلة يعبدها قريش وكنانة وهي من احد اصنامهم وقصته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هيئتها مفصلة في التيسير وكان خروج خالد لها في ثلاثين فارسا والجن قادرة على التشكل
بصور مختلفة كالملائكة الا ان هذه اذا قتلت ما تصور منها هلكت ولما قتلها خالد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك العزى لن تعبد ابدا او قتل سادنها
اي خادمها الموكل بها وهو دبية بضم الدال المهملة وفتح البا الموحدة وتشديد
المثناة التحتية ابن حرمي من بني مرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان شيطانا هو المتمرد من الجن من شطن اذا
بعد او من شاط اذا احترق ونونه زايدة او اصلية تفلت بتشديد اللام تفعل
اي وثب بسرعة بغتة واصله التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذا تخلصت
من مربطها البارحة هي الليلة الماضية قبل وقتك الذي تكلمت فيه يعقب في
ليلة بيومه وقد ترد بمعنى اليوم الذي قبل يومك وفيه كلام في شرحنا الدرة
الغواص ليقطع على بتشديد اليا متعلق بيقطع بمعنى يبطل صلاتي التي كنت
اصليها ويجوز ان يتنازعه هو وتفلت فامكنني الله منه اي اقدرني عليه وعلى
اخذه وحبسه فاخذته اي امسكته وعقته عن نفسه وطردته مني فاردت ان
اربطه بكسر البا وضمها اي اوثقه بوثاق بضمه الى سارية اي عمود واسطوانة
من عمد المسجد ومن سواري جمع سارية المسجد المدني حتى تنظروا اليه كلكم لاجل
ان تروه مربوطا فذكرت دعوة اخي سليمان بن داود نبي الله عليهما الصلاة والسلام
وهي قوله في دعائه رب اغفر لي كل ما صدر مني من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان
كان معصوما وهب لي ملكا اي سلطانا عظيما لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتيسر
لاحد غيري وهو احد معاني الانبغا مطاوع بغى بمعنى طلب وليس هذا حرصا
منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمة بتفرد
بها لتكون خارقة للعادة دالة على نبوته تعد به على تنفيذ اوامر ربه
واظهار دينه وفي تقديم الدعا بالمغفرة على حصول الملك ايما الى ان السلطنة
لا تخلو من امور تحتاج لعفو الله وحياء من الله لطلبه امرا لا يليق بغيره ولتركه
مقام العبودية الذي ارتضاه نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري ان
سليمان عليه الصلاة والسلام نشا في بيت ملك ونبوة فاراد ان يكون ما
وهبه زايدا على غيره خارقا للعادة ليتم به امره ويعلم انه باستحقاق للفيض
الالهي لا بمجرد ميراث كاولاد الملوك ولا يتوهم انه طلب فقد نعم الله عليه
والمؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم لان خصايص
الانبيا وطلبها امر آخر وقد علم ان هذا الشيطان مارد من المردة وياتي الكلام
في تعيينه الذي على النبي صلى الله عليه وسلم شعلة نار وهو يصلي ليقطع
صلاته فاخذه هو بنفسه لا ملك منعه عنه كما قيل ولبعضهم هنا ابحاث
زوايد لا طايل تحتها وقوله رب اغفر لي بدل مفسر لقوله دعوة اخي وتسخير
الجن داخل في هذه الدعوة لقوله بعدها فسخرنا له الريح تجري بامره رخا
حيث اصاب والشياطين الخ ولما استجاب الله دعوته ترك صلى الله عليه
وسلم ذلك تادبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله عليه وسلم قال

ابن

ابن اقبرس

٥٦

ابن عرفة رحمه الله وما نقل عن الحجاج من انه قال في حق نبي الله سليمان انه كان حسودا
من فسقه وجهله بل من كفره وعد فعله نقصا مات الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان للانسان
ان يطلب من الملك شيئا يختص به اذا علم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته فيجوز ان يكون
هو ذلك الواحد وقوله فرده الله اي رد الله ذلك الشيطان باقداري عليه وتمكيني منه
خاسيا اي خايبا حقيرا امطرودا من كلامه صلى الله عليه وسلم كما هو واضح وقول البخاري
قال روح فرده الله خاسيا بيان لانه وقع من رواية لا انه روى فرددته وهي صريحة
في ذلك وهذا الحديث روي من طرق وفيها زيادة واختلاف ففي بعضها عرض لي في
صورة هر واخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وروي انه سمع صلى الله
عليه وسلم يتعوذ في صلاته اعوذ بالله منك والعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده
كانه يتناول شيئا فسالوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جا بشهاب من
نار ليجعله في وجهي وقوله في الرواية المارة فاخذته وخنقته يعلم منه ان قول
المص في شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه له فانه صلى الله عليه وسلم
كان قادرا على ذلك فانه اولى بمثل كل معجزة لغيره كما ياتي وفي بعض طرق هذا الحديث
تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال
ابن عبد البر الجن على مراتب جني وعامر وهو الذي يخالط الناس والارواح وهم الذين
يتعرضون للصبيان واجنتها قيل وقرب الانبيا والعباد يقال له الابيض كما في
تفسير القرطبي وهذا اي ما كان له صلى الله عليه وسلم مع الملايكة والجن باب
واسع اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفي احكام الجان ربطه
الى السارية من التصرف الملكي الذي تركه لسليمان وتصرفه صلى الله عليه وسلم
نبوي بالدعوة للاسلام والامر والنهي فان كان عبدا رسولا وهو افضل من الملك
النبي ثم ان خنقه وفعله به ما فعله في صلاته احتج به على جواز مثله في الصلاة
كدفع المار وقتل الاسودين والمتابعة في صلاة الخوف انتهى وفيه تامل

فصل

ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم والدليل
ما يعلم منه شي آخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاذ والدي الشيخ احمد بن قاسم
في الايات البينات هي جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل ان يكون جمع دلالة
بمعنى دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على
فعايل قياسي والظاهر ان تسمية الدليل دلالة مجاز انتهى وقال الراغب
الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشي كتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية
الشي بمصدره انتهى وفيه دليل لما قاله امام الحرمين وانه سمع فلا وجه
للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الاصولي في قوله دلايل الفقه
صوابه ادلة وقال ابن مالك في شرح الكافية لم يات فعايل جمع اسم جنس
على فعيل فيما اعلم لكنه بمقتضى القياس جايز في علم المونث كسعيد علم
امراة جمع على سعايد وذكر النحاة انه في غاية القلة ورد منه لفظين
لا يقاس عليهما وهما وصايد جمع وصيد وهو الباب وسلايل جمع سليل
وهو واد وزاد الجوهري تبايع جمع تبيع وافايل جمع افيل وهو الصغير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الابل ومقول لبعضهم انه فيده بقلهو فقد يقال انه لا يمتنع سماعًا ولا قياسًا
خبط لا معنى له وعلامات رسالته العلامة الامارة واكثر ما تستعمل في الظنيات وفيما
يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكون ان بمعنى
واضافة الدلايل للنبوة والعلامات للرسالة تفننًا وقيل لان النبوة اصل والرسالة
وصف زايد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير بينهما تفننًا والمراد بالدلايل الدلايل
القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل ما دل على
النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد ثبوت نبوته في قوله اني رسول
الله اليكم وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلاماتها علاماتها
بما ترادفت به الاخبار اي تتابعت فجاء بعضها يتبع بعضًا من غير انفصال
كان بعضها ركب خلف الاخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاحبار جمع
حبر عن الرهبان وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيرا في قصته المشهورة
جمع راهب من الرهبة وهي الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل
للراغب لتركهم الرغبة في الدنيا كما قيل

يهوى غلامًا من نصارى يحاف ❊ فاعجب له من راغب في راهب

والاحبار جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من اهل الكتاب واشتهر
في علماء اليهود وقوله وعلماء اهل الكتاب من عطف العام على الخاص واهل الكتاب
غلب على اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من
الكتب السماوية وفي نسخة الكتب جمعا وهنا بمعنى من صفته صلى الله عليه وسلم
وصفة امته واسمه وعلامته ففي التوراة عن كعب محمد رسول الله عبدي المختار
الخ وامته الحمادون وفي الزبور عن وهب بن منبه سياتي من بعدك نبي يسمى
احمد ومحمدا امته مرحومة اعطيتهم مثل ما اعطيت الانبيا الى غير ذلك مما نقله
الثقات كقوله في علامته في الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد
الراس الصلت الجبين الى اخر ما ذكره من حليته فيه وذكر الخاتم بالفتح والكسر
يعني خاتم النبوة الذي بين كتفيه وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر
الحجلة وبيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان
عند نغض كتفه اليسرى وهو مذكور في كتب الله القديمة وما وجد بالبناء
للمفعول من ذلك اي مما يدل على نبوته ورسالته في اشعار المتقدمين من العرب
المتالهين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم العالمين بما في الكتب السماوية
القديمة من شعر تبع بيان لما وجد وتبع بضم التاء وتشديد الباء الموحدة
اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمي به لكثرة اتباعه المنقادين له واصل
معناه الظل ولا يسمى تبعًا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان
تبع الاكبر الاول والثاني اباكرب وتبع الثاني هو الذي اراد تخريب
المدينة واستيصال اليهود لما شكى له الانصار منهم لانهم من اليمن
نزلوا عندهم فقال له رجل معمر الملك اجل من ان يطير به نزق او
يستخفه غضب وامره اعظم من ان يضيق حلمه او يحرم صفحه وهذه البلدة

سهاج

مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم قال السهيلي وهذا الحبر من اليهود وهو احد الحبرين
اللذين كلما الملك شخيت وسنية او شنيامين ويأتي ان شامول كذلك ايضًا فامن به عليه
الصلاة والسلام وكسى الكعبة وهو اول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على احمد انه ❊ نبي من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره ❊ لكنت وزيرًا له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه ❊ وفرجت عن صدره كل غم
له امة سميت في الزبور ❊ وامته هي خير الامم

وقوله

ويأتي بعدهم رجل عظيم ❊ نبي لا يرخص في الحرام
يسمى احمدا يا ليت اني ❊ اعمر بعد بعثته بعام

والاوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة
الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث
ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان والاوس
في اللغة الذئب والعطية سمي به وله تنتسب الانصار وكان اوس من عدة
ناس في الفترة هداهم الله للتوحيد ولم يعبدوا الاصنام وكانوا يعاشرون
اهل الكتاب فيخبرونهم بما في كتبهم من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيذكرونه
في خطبهم واشعارهم وللاوس شعر فيه لم يذكره احد هنا من الشراح وهو
سيد جواد طائي كان ضيفًا لحاتم الطائي والاوس بالالف واللام للمح ولذا
قال السهيلي انه منقول من اسم العطية لا من اسم الذئب لانه علم جنس كاسامة
لا تدخل عليه الالف واللام وقبل النقل فنعده اولى وقال التلمساني انه
روي هنا بدون الف ولام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلي وكعب بن
لؤي هذا هو الصواب وفي بعض النسخ لؤي بن كعب وهو غلط من الناسخ ولؤي
يهمز ولا يهمز وهو تصغير لاي بمعنى البطء وهو اول من جمع يوم الجمعة
وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة في الجاهلية فكان يخطب فيه الناس ويبشر
بالنبي صلى الله عليه وسلم فمما نقل من كلامه نظمًا ونثرًا انه قال في خطبة
له اما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل ساج ونهار ضاح والارض
مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم اعلام الى قوله الدار امامكم والظن
غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظموه فسياتي له نبا عظيم وسيخرج منه نبي
كريم ثم ينشد

نهار وليل كل يوم بحادث ❊ سواء علينا ليلها ونهارها
يئوبان بالاحداث حتى تأوبا ❊ وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد ❊ فيخبر اخبارًا صدوق خبيرها

الى اخر ما رواه ابن الجوزي مسندًا في كتاب الوفا وسفيان بن مجاشع التميمي
الدارمي المجاشعي جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات
فخرج الى حي من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم
فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه والموفور من

ابن اقبرس
ابن اقبرس
رسول
عظموه ومنتكوابه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَالاهُ وَالموتور من غالاه فقال سفيان من تذكر من لله ابوك فقال صاحب هدي وعلم
ونطيش وحلم وحرب وسلم ورأس رؤس ورائض شموس وماحق بؤس وماهد نفوس
وناعش ومنعوش فقال سفيان لله ابوك من هو قالت نبي مؤيد قد آن حين
يوجد ودنا اوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال
سفيان لله ابوك اعربي هو ام عجمي فقالت الا والسماء ذات العنان والشجر
ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فامسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد
له ولد فسماه محمدا رجاء ان يكون هو النبي المذكور وهو احد من سمي باسمه صلى
الله عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ما ذكره المص من تبشيره به وله شعر
فيه الا ان الشراح قالوا لم نقف عليه وما ذكر يكفي في المقصود وقس بن ساعدة
الايادي قس بضم القاف وتشديد السين وفي الحديث انه قس بن ساعدة يبعث
امة وحده والقس العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة لاياد حي من معد وكان من
الحكماء الزهاد كعمه وخاله منقطعا للعبادة في برية وآمن بالنبي صلى الله عليه
وسلم قبل مبعثه وراه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا
عده ابن شاهين وغيره في الصحابة وعمر حتى قيل انه عاش ستمائة او سبعمائة
سنة وادرك الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وكانت
السباع تدور عنده ولا تؤذيه وربما ضرب بعصاه وهو خطيب مفلق
يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم الجارود على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان سيد قومه قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق
لقد وجدت نعتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا اشهد ان لا اله الا الله
وانك محمد رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من يعرف قسا
قال كلنا نعرفه وكنت اقفو اثره كاني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن
الكتاب اجله ويقول

هاج للقلب من جواه ادكار ... وليال خلالهن نهار

في ابيات اخر فقال له صلى الله عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر
كلاما ما احفظه فقال ابو بكر رضي الله عنه كنت حاضرا وانا احفظه سمعته
يقول في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش
مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات
وآباء وامهات واحياء واموات وجمع واشتات وآيات بعد آيات ان في السماء
لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات ابراج وارض ذات رتاج
وبحار ذات امواج ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام
فاقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه ولا آثما
ان لله دينا هو احسن من دينكم الذي انتم عليه ونبيا قد حان حينه وادرككم
اوانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه تبا لارباب
الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد اين الآباء والاجداد

واين

٢ اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا
٤ ٣ فقولوا واذا قلتم فاصدقوا
٣ على حالهم

واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد واين من زخرف ونجد وغره المال
والولد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم
اموالا واطول منكم آجالا وابعد منكم آمالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله
فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله احد
الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود وانشأ يقول

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر ... لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر ... لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محالة ... حيث صار القوم صائر

انتهى وروي له اشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله عليه وسلم كقوله

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ... ولم يخلنا سدى من بعد عيسى واكترث
ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث ... صلى عليه الله ما حج له ركب وحث

الى آخر ما ذكروه الا ان ابن الجوزي قال حديث قس المذكور موضوع وذكر اسانيده
وبين من فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال انه يجازف في الوضع ولا
يلزم من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه
ابن سيد الناس بسند ليس فيه كذاب ورواه غيره ايضا فالصحيح انه ليس
بموضوع وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهما ابن ذي يزن من ملوك حمير
وتنسب اليه الرماح فيقال رمح يزني وازني ويزاني وفيه وفي اشتقاقه
كلام طويل للصاغاني وقال البرهان انه مصروف والذي في القاموس انه
ممنوع من الصرف لوزن الفعل واصله يزان ورد الصاغاني في الذيل والصلة
منع صرفه واطال فيه وقال مادة ز ن غير معروفة ولا تضاف ذو وهنا الا الى
اسماء الاجناس وفي شرح الدريدية لابن النحاس ان فيه قولين احدهما انه من
وزن نحذف الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم ابدلت الكسرة فتحة تخفيفا
فلا ينصرف على هذا الثاني انه ماض اصله وزن قلبت الواو همزة كما في احد ثم
ابدلت ياء وسمي به فهو منصرف انتهى وهذا لا يرد عليه ما اورده الصاغاني
وقوله لا تضاف ذو الا الى الاسماء الاجناس ممنوع فانه يضاف للاعلام كما هنا
وهي لغة اهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظما لهم وهو من اضافة
المسمى للاسم ويقال لملوك اليمن الاذواء وقصته سيف مشهورة في التواريخ
والسير وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبي صلى
الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فاتاه وفد
قريش وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وخويلد بن اسد وغيرهم
من وجوه قريش واستاذنوا عليه فاذن لهم وهو متعطر بالمسك والعنبر
وحوله ابناء الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك
فتكلم فقال ايها الملك ان الله قد احلك محلا صعبا منيعا شامخا وانبتك
منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه في
اطيب موطن واكرم معدن وانت ابيت اللعن ايها الملك راس العرب

وعزة

وربيعها الذي تخصب به وراسها الذي له ينقاد • وعمودها الذي عليه العماد • ومعقلها
الذي اليه يلجأ العباد • وسلفك لنا خير سلف • وانت لنا منهم خير خلف • ونحن ايها
الملك اهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا اليك الذي ابهجنا بك • لكشفك الكرب الذي قد
فدحنا فنحن وفد التهنية • لا وفد المرزية • فقال له سيف وايهم انت ايها المتكلم فقال
انا عبد المطلب بن هاشم • قال ابن اختنا قال نعم • فادناه • واقبل عليه • وعلى القوم وقال
مرحبا واهلا • وناقة ورحلا • ومستناخا سهلا • وملكا ربحلا • يعطي عطاء جزلا • قد
سمعت مقالتكم • وعرفت قرابتكم • وقبلت وسيلتكم • وانتم اهل الليل والنهار
لكم الكرامة ما اقمتم • والحبا اذا ظعنتم • انهضوا الى دار الضيافة والوفود واجرى
لهم بالانزال فاقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا ياذن لهم في الانصراف ثم ارسل
الى عبد المطلب وقال له بعد ما قرب مجلسه يا عبد المطلب اني مفض اليك بسر
لو يكون غيرك لم ابح به ولكن وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى ياذن
الله فيه فانه بالغ امره اني اجد في الكتاب المكنون • والسر المخزون • الذي اخترناه
لانفسنا دون غيرنا خبرا عظيما • وخطرا جسيما • فيه شرف الحياة • وفضيلة الوفاة
للناس كافة • ولرهطك عامة • ولك خاصة • فقال عبد المطلب مثلك ايها الملك
من سر وبر • فما هو فداك اهل الوبر • والمدر زمرا بعد زمر • فقال له
اذا ولد بتهامة • غلام به علامة • بين كتفيه شامة • كانت له الامامة • ولكم
به الزعامة • الى يوم القيامة • فقال له عبد المطلب ابيت اللعن لولا هيبة
الملك واجلاله سالته عما ازداد به سرورا قال هذا حين زمانه الذي يولد
فيه • او قد ولد واسمه محمد • يموت ابوه وامه • ويكفله جده وعمه • قد ولدناه
مرارا • والله باعثه جهارا • وجاعل له منا انصارا • يعز بهم اولياءه • ويذل
بهم اعداءه • ويضرب بهم الناس عن عرض • ويستبيح بهم كرائم الارض • يعبد
الرحمن • ويدحر الشيطان • ويخمد النيران • ويكسر الاوثان • قوله فصل
وحكمه عدل • يامر بالمعروف ويفعله • وينهى عن المنكر ويبطله • فقال عبد المطلب
ايها الملك عز جارك • وسعد جدك • وعلا كعبك • ونما امرك • وطال
عمرك • هل للملك ان يسرني بافصاح فقد اوضح لي بعض الايضاح • فقال
والبيت ذي الحجب • والعلامات على النصب • انك لجده بلا كذب • فخر عبد
المطلب ساجدا فقال له ارفع راسك • فقد ثلج صدرك • وعلا امرك • فهل
احسست شيئا مما ذكرت فقال نعم ايها الملك انه كان لي ابن كنت به معجبا
فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت
بغلام سميته محمدا • ومات ابوه وامه • وكفلته انا وعمه • بين كتفيه
شامة • وفيه كل ما ذكرت من علامة • فقال الذي ذكرت كما ذكرت فاحتفظ
به واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء • ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا
واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك • فاني لست امن ان تدخلهم
النفاسة فيبغون لك الغوائل • وينصبون له الحبائل • وهم فاعلون
او ابناؤهم • ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل بعثه لسرت بخيلي ورجلي

حتى

حتى اتي يثرب واصيرها دار مملكتي • فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق
ان يثرب استحكام امره • وموضع قبره • واهل نصرته • ولولا اني اقيه الافات • واحذر عليه
العاهات • لاوطات العرب كعبه • واعليت على حداثة سنه ذكره • ثم امر لكل رجل منهم
بمائة من الابل وعشرة اعبد • وعشرة اماء • وعشرة ارطال فضة • وخمسة ذهبا وكرش
مملوء عنبرا • وامر لعبد المطلب باضعافه • وقال له اذا كان راس الحول فاتني
بخبره • وما يكون من امره • فهلك قبل راس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني
احد من قريش بجزيل الملك فانه الى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لي شرفه وذكره
في العقبى فاذا سئل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه
قال لعبد المطلب اشهد ان في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة
والخلافة العباسية كما في كتب السير والتواريخ وبما ذكرناه من انه مات
قبل الحول يعلم انه ليس بصحابي ولا تابعي فذكر الذهبي له في الصحابة لا وجه
له والعجب من بعض الشراح حيث نقل ما ذكرناه وقال انه تابعي فالحق انه
ليس كذلك ولا مخضرم ايضا كما قيل ولعل الذي ذكره الذهبي اشارة الى ان مثله
لا يقال بالراي ايضا وما عرف به من امره وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الرا
مبني للفاعل لا للمفعول وان صح بناء على انه عرفه به اهل الكتاب والفاعل
او نائبه زيد بن عمرو بن نفيل قال الذهبي هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى
ابن رباح العدوي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يبعث
امة وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويترك الشرك واهله ويوحد الله
ويقول لقريش ما منكم على شيء قد اخطاوا دين ابراهيم باوثان لا تضر ولا
تنفع تعبد وكان يخالفهم ولا ياكل ذبائحهم فاجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
قبل نبوته وتوفي قبل مبعثه وقال شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتهما
وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال اراك تريد دين ابراهيم يا اخا
اهل مكة انك لتطلب دينا لا يوجد اليوم وهو دين ابيك ابراهيم فالحق ببلدك
فان الله يبعث لك من ياتي بدين ابراهيم الحنيفية وهو اكرم الخلق على الله انتهى
المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره ايضا انه لقي راهبا بالجزيرة فساله عن دين
ابراهيم فقال له ان كل من تراه من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسال عن دين
الله وقد خرج في ارضك او هو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه
قبل مبعثه ببلد حينئذ فقال يا عم مالي ارى قومك قد ابغضوك فقال اما
والله ان ذلك لغير ثائرة مني اليهم ولكني اراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا
الدين ثم اخبره بما عرفه به الراهب من امره صلى الله عليه وسلم وهذا ما اشار
اليه المص وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد
النبوة ونفيل بتصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهود قتلوه
بلخم وورقة بن نوفل احد النفر الذين كانوا في الفترة على الدين الحق من
قريش وهو ورقة بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو معطوف على زيد اي
وما عرف به ورقة من امره صلى الله عليه وسلم واخبر به خديجة ام المومنين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رضي الله عنها كما ذكره البخاري وامن به بعد رسالته ولذا قيل انه اول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرا الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره بامره ابشر فانك الذي بشر به ابن مريم وراه صلى الله عليه وسلم في الجنة عليه ثياب خضر وقال لا تسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وعثكلان الحميري بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام والف ونون والحميري نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا اي ما عرف به من امره صلى الله عليه وسلم عمن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفي الخصايص ان ابن عساكر اخرج من طريق عبد الرحمن بن عبد ابن عوف بن عبد عبد عوف عن ابيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميري وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسالني عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكاني فشد على عينيه عصابة واستند وقعد وقال لي انتسب يا اخا قريش فقلت انا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا اخا زهرة الا ابشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال انبيك بالمعجبة وابشرك بالمرغبة ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وانزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يامر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثماله ولا من السرو ولا تباله هو من بني هاشم وانتم اخواله يا عبد الرحمن اخف الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

اشهد بالله ذي المعالي ۝ وفالق الليل والصباح
انك في السرو من قريش ۝ يا ابن المفدي من الذباح
ارسلت تدعو الى يقين ۝ ترشد للحق والفلاح
اشهد بالله رب موسى ۝ انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك ۝ يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت ابا بكر رضي الله عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فاته فلما اتيت بيت خديجة رايته صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي اري وجها خليقا ان ارجو له خيرا فما وراك قلت وديعة فقال ارسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته واسلمت فقال اخا حمير مؤمن مصدق بي وما شاهد بي اوليك من اخوانه حقا انتهى وعلما يهود وفي نسخة علما اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه في باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الالف واللام قال الشاعر

اوليك اولى من يهود بمدحة ۝ اذا انت يوما قلتها لم تؤنب
واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا يا النسبة انتهى وفصله شراحه اي ما عرف به من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم علما وهم ما قراوه في كتبهم ورووه عن اسلافهم كابن صوريا وابن اخطب وابن ياسر ووهب يهود وغيرهم ممن لا يحصى ومنهم من اسلم ومنهم من عاند حسدا فانت على كونه ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال وشامول عالمهم بشين معجمة وميم ولام بينهما الف بوزن فاعول وهو من علما اليهود وكان مع تبع وصاحبه وفي كتاب الوفا لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال اني مخرب هذه البلدة حتى لا يقوم لها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودي وهو يوميذ اعلم اليهود ايها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده مكة واسمه محمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذي انت به سيكون به من القتلى من اصحابه ومن عدا امر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال واين قبره قال بهذه البلدة قال فاذا قوتل لمن تكون النصرة قال تكون له مرة وعليه اخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه احد ثم ساله عن صفته واخبر بها كما مر في حديث الحلية الشريفة وقوله صاحب تبع اي الذي كان معه ورهبان اخرين لما قدم المدينة فقالوا له لما قدم عليهم شامول العقيقة المارة انا لم نبرح هاهنا لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم ما لا وجارية فمكثوا فيها وقوله من صفته وخبره صلى الله عليه وسلم كما عرفته انقا بيان لما عرفه به ولما القي من ذلك اي من صفته وخبره في التوراة والانجيل والقي بهمزة مضمومة ولام ساكنة وقاف مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول بمعنى وجد ونصوص التوراة والانجيل كثيرة وسياتي طرف منها واعلم ان التبابعة اربعة وقد اختلفوا في ايهم امن به صلى الله عليه وسلم هل هو الاكبر او غيره كما قاله السهيلي وليس هذا محل تفصيله وتقدم بيانه اجمالا وقوله مما جمعه العلما في تاليفهم بيان لما القي فيهما من صفته صلى الله عليه وسلم وخبره وبينوه اي اظهروه ووضحوه للناس ونقله عنهم ثقات من اسلم منهما اي من اهل الكتابين مثل عالمهم وحبرهم عبد الله بن سلام بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه وبني سعية بتحتية جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين ساكنة ومثناة تحتية وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية وقيل النون اكثر واسمه وهم ثعلبة واسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة لكن الذي في سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحاق ان ثعلبة بن سعية واسد بن عبيد وهم نفر من هذل بنو عم قريظة والنضير اسلموا في الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذي اعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضي راى معهم اسد بن عبيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فطنة اخاهم ويحتمل انه وقف على الحقهم ثلاثة انتهى وسبب اسلامه انه قدم عليهم
رجل من اهل الشام يقال له ابن الهيبان اقام عندهم وكان على التابعين يكون به
ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يا معشر يهود انما اقدمني
هذه البلدة خروج نبي قد اظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت ارجو
ان ادركه فاتبعه فلما بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر وحاصر بني قريظة
قال لهم بنو سعية وهم احداث والله انه هو الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان
فقالوا ليس به قالوا بلى هو هو بصفته فنزلوا واسلموا واحرزوا اهلهم
واموالهم ودماءهم كما في الاكتفا ودلايل البيهقي وابن يامين بن عمير بن عمرو
ابن كعب بن جحاش من بني النضير وقيل انه بليامين باللام وهو احد الحبرين
اللذين قدما من اليمن مع تبع واسم الاخر سخيت كما مر وكانه تصغير سحت كما
قاله التلمساني وقال الشارح الجديد لم اطلع عليه ومخيريق بضم الميم وفتح
الخا المعجمة والياء الساكنة وكسر الرا المهملة والياء الساكنة وقاف بصيغة
المصغر وهو كما مر كان عالما حبرا من احبار اليهود كثير المال والنخيل وكان
يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما
كان يوم احد يوم السبت قال يا معشر يهود انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق عليكم فقالوا
اليوم يوم السبت فقال انكم لا سبت لكم ثم اخذ سلاحه وخرج حتى اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالي
لمحمد يصنع بها ما اراه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان
صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كما مر اسم هذه القبيلة
ولا شك انه منها ومن خيرها فلا يقال كيف امنا وهم لهم بعد اسلامه والامر
فيه سهل وكعب بن ماتع وهو كعب الاحبار كما تقدم التابعي المشهور ادرك
زمنه صلى الله عليه وسلم واسلم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وتوفي في خلافة
عثمان سنة اثنتين وثلاثين ودفن بحمص على ما مر وروي عنه اثار كثيرة في
صفاته صلى الله عليه وسلم في التوراة كما في الوفا وكتاب الشرف لابي سعيد
وفي خير البشر لابن ظفر وساله عمر رضي الله عنه عن صفته صلى الله عليه وسلم
في التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والمصطفى من ولد ادم وخاتم النبيين
يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق
ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وايامه ثم يقبض ويدفن بها الى غير
ذلك مما لا يحصى كثرة وانباههم من علمائهم الذين كانوا يعرفون امره صلى
الله عليه وسلم واخبار من كتبهم ممن اسلم وامن برسول الله صلى الله
عليه وسلم وراه كمخيريق او لم يره ككعب من علما يهود وبحيرا عطفه على
علما يهود لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحا
المهملة ومثناة تحتية ورا مهملة والف مقصورة على المشهور الا ان البرهان
قال ان راه ممدودة بخط العلامة ابن المرحل فلعله وقف على لغة فيه
وقصته صحيحة مشهورة في السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة بصومعة

له عند محل يقال له بصرى في طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت
لاحد منها فلما ذهب ابو طالب للشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
صغير ابن تسع او اثنتي عشرة سنة نزل لهم وقال يا معشر قريش اني صنعت لكم طعاما
فاذهبوا معه وتركوه في رحالهم لصغر سنه فقال لهم هل بقي احد قالوا الا
ولد صغير فدعاه حتى اتى فسالوه عن سبب هذا ولم يكن دابه فقال اني رايت غمامة
تظله ولما ترد عند الشجر مالت لجانبه وان مثله لا يكون الا لنبي وانا نجده في
كتابنا وهذه صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لابي طالب احترس عليه من
اليهود واقسم عليه ان يرده فقيل انه رده وقيل استمر في سفره وعاد به
والقصة مفصلة في السير وبحيرا هذا من اول من امن به وعد من الصحابة
ان قلنا ان من اجتمع به مؤمنا مطلقا يعد من الصحابة ونسطورا الحبشة
احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب ويقرا بالسين والصاد
كما في بعض الشروح ونسطورا الشام قصته مذكورة في السير وهي قريبة من
قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطورا بدون اضافة للحبشة وقد قال الشراح
ان نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علما اهل الكتاب الذين كانوا عند
النجاشي وصاحب بصرى بضم البا الموحدة بلدة بالشام وهي بين المدينة والشام
وقيل الفا حوران وهذا هو المعروف وفي نسخة راهب بصرى وصاحبها ملكها
الذي ارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث بن
ابي شمر الغساني كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم يذكر قصته
واسلامه ومما اخبر به عن امره صلى الله عليه وسلم واسقف الشام وفي نسخة
اساقفة الشام ويعني بهم صاحب ايليا وهو هرقل وابن الناطور وغيرهم واسقف
بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفا ولا نظير له الا اسرع
وحكى ابن سيده تثليث الفا وهو الاسقف للصالح وقال العيني في شرح البخاري
ولا يرد عليه الابرح لانه جمع والكلام في المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال عبد الغافر
الفارسي في كتاب منبع الرغايب والغرايب في الحديث في كتابه صلى الله عليه
وسلم لاهل نجران لا يمنع اسقف من سقيفاه وجمعه اساقفة والسقيفي
مصدر كالخليفي ومعناه لا يمنع اسقف من تسقيفه ولا راهب من ترهبه
والمسقف الطويل مع انحنا وكذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفي
خطبة الحجاج المعروفة اياكم وهؤلاء السقفا قال القتيبي اكثرت السوال
عنه فلم يعرفه احد وقال بعض اهل اللغة انما هو الشفعا الذين
يشفعون عند السلطان في المريب انتهى وفي القاموس وقول الحجاج اياكم
وهذه السقفا تصحيف صوابه الشفعا كانوا يجتمعون عند السلطان
فيشفعون في المريب انتهى وليس كما قال فان الزمخشري اثبته في الفايق
والاسقف عالم النصارى ورئيسهم وضغاطر بضاد وغين معجمتين
مفتوحتين بعدهما الف وطا وراء مهملتان ويقال ضغاطر بنون
وبغاطر بموحدة تحتية مفتوحة وفاء وهو اسقف من كبار الروم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اسلم على يد دحية رضي الله عنه لما ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل
وغير لباسه واظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبي وكان ذلك في سنة ستة من الهجرة
وهو الذي ابهمه البخاري في اوله في قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له
برومية كان نظيره في العلم قال دحية لما خرج عظما الروم من عنده هرقل ادخلني
عليه وارسل الى اسقف كان صاحب امرهم فقال عن امر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له هذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام اما
انا فمصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكي فقال لي الاسقف
خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرا عليه السلام واخبره اني اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد امنت به وصدقته وروي ابن
اسحاق ان هرقل ارسل دحية الى ضغاطر الرومي وقال انه في الروم انفذ قولا
مني فاظهر اسلامه والقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام
وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له اما قلت لك
انا نخافهم على انفسنا فضغاطر كان عندهم اعظم مني وحينئذ فضغاطر
تابعي مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه كان ساكنا
بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق
القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
في كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضي الله عنه وقد على هرقل مرتين
والجارود بن عمرو بن العلا او ابن العلا ويكنى ابا غياث واسمه بشر وكان
سيد عبد القيس على دين النصرانية وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله صـ
سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو واصحابه وحسن
اسلامه وكان متصلبا في دينه وادرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى
الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واكفر
من لم يشهد وله اشعار رويت في السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت • بنات فؤادي بالشهادة والنهض
فابلغ رسول الله عني رسالة • باني حنيف حيث كنت من الارض

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقتل بها وذلك سنة احدى وعشرين وسمي
الجارود لانه غار على بكر بن وايل فجردهم كما قال العبدي

ودسناهم بالخيل من كل جانب • كما جرد الجارود بكر بن وايل

وقيل انه فر بابله وبها داء الى اخواله بني شيبان ففشا الداء في ابلهم
حتى اهلكها فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستيصال وسلمان الفارسي
وقصة اسلامه وملازمته للرهبان وتبشيرهم له ببعث النبي صلى
الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها وتميم الداري نسبة
للدار وهم بطن باليمن من لخم هم ولد هاني بن حبيب بن نمارة بن لخم
ابن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد منهم تميم بن اوس بن خارجة بن سواد
ويقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار ويكنى بابي رقية

واسلم

واسلم بعد سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان
وكان من اهل الكتاب عالما بكتبهم فقرا فيها بعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن به واقطعه
اراضي بالقدس وقصته مشهورة اوردها ابن حجر وكذا السيوطي بالتاليف ٥
والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد اليا وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل
غير ذلك كسليم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفي في السنة التاسعة
من الهجرة في شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الغايب وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة انه قال
للقسيسين اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا انا ما انا فيه
من الملك اتيته وكنت احمل نعليه وكان من اعلم اهل عصره بالانجيل بغير في
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي حتى يبل لحيته وقد تقدم الكلام
في ترجمته ونصارى الحبشة هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله عليه وسلم
في الانجيل واخبروا بها واساقفة نجران وفي نسخة اساقف بدونها جمع اسقف
وقد تقدم الكلام عليه قريبا اي علماهم وهم قوم ونجران بفتح النون
وسكون الجيم وراء مهملة والف ونون وهو موضع باليمن سمي بنجران بن
زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه سمي
اهله وهم نصارى وفد واعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ستون
راكبا من اشرافهم وكان لهم علم بالكتاب واشرفهم ابو حارثة كان ملوك النصارى
يتعلقون لعلمه بالنصرانية فملكوه وتولوه وبنوا له كنايس واخدموه فقدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اخوه كوز بضم الكاف واخره
زاي معجمة على بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد فقال له لم
يا اخي قال لم لم تؤمن بهذا النبي وانه الذي كنا ننتظره فقال بلى والله
فقال له ما يمنعك ما اصنع هولا القوم شرفونا ومولونا وقد ابوا الا خلافه
فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها في نفسه حتى اسلم وكان يحدث به -
فلما دخلوا المسجد النبوي وقت العصر وعليهم الحبرات في جمال لم ير مثله
حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون
الى المشرق فقال دعوهم ثم اتوه صلى الله عليه وسلم فكلمه منهم ابو حارثة
والعاقب والايهم ودينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام
دعاوكم لله ولدا وعبادة الصليب واكل الخنزير فانزل الله فيهم اول سورة
ال عمران فلما اراد صلى الله عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا فقالوا
انه ما لاعن نبي قوما الا استوصلوا ثم نزلوا على امره فاسلم بعضهم
وقبل بعضهم الجزية وارسل معهما ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
يقضي بينهم والقصة مفصلة في كتب التفسير والسير وغيرهم
ممن اسلم من علما النصارى وقد اعترف بذلك اي ببعثته صلى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله عليه وسلم وانه لبشر به في الكتب القديمة هرقل ملك الروم وقصته مذكورة
في اول البخاري وهو بكسر الهاء وفتح الرا وسكون القاف كما مر وحكي اسكان الراء
وكسر القاف وكان يعرف امره صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية ولكن احب الملك
فحكم بشقاوته ما لك الملك وفي الاستيعاب انه آمن به صلى الله عليه وسلم وفيه
نظر لانه قاتل المسلمين بمؤتة وعدهم ان يأتيهم في العام القابل فالاصح
الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب وباحوال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما اخبر به دحية وصاحب رومة بضم الراء وسكون الواو
وميم مخففة مفتوحة يليهما ها في اكثر النسخ وفي بعضها رومية بيا مخففة
عند اهل اللغة كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد بد لحنا لانه ليس بنسبة
عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطاء مهملة
وهو لفظ اعجمي معناه حارس الكروم والعامة تقول ناطر بدون واو
وتجعله بمعنى الحارس مطلقا والجمهور بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي تقدم
واعترض بانه اسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقا على البقا
على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند
طبرية فيها ربانيهم وعلماؤهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب
صاحبه برومة كما ورد في الحديث ولا دليل لما ذكره على ما زعمه علما النصارى
مني عالم روم بيننا هم منى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا
صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية اي حاكمها ومقوقس صاحب مصر
اي ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل علم رومي وقيل معناه عندهم
مطول البنا وهو الذي اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم قدحا من
قوارير وجاريته مارية احدث مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة
كيف وهو لم يلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما زال نصرانيا على الاصح
واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطني ولهم مقوقس آخر عد في الصحابة
قال الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب الاسكندرية وارسل له
النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاجابه بما هو
معلوم في كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام والشيخ
صاحبه اي صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لا اعرفه الا ان
المسعودي ذكره وذكر له قصة في كتاب العجايب احال عليها في مروج الذهب
فان وقفنا عليها الحقناها بما هنا وابن صوريا بضم الصاد المهملة وواو
ساكنة يليهما را مهملة مكسورة ومثناة تحتية والف مقصورة وقيل
الهاء ممالة وهو عبد الله بن صوريا الاعور اليهودي ولم يكن في زمانه
اعلم منه بالتوراة وقال الثعالبي انه اسلم وقيل اسلم ثم ارتد ولم
يذكر ابن اسحاق اسلامه وعد في الاصابة من الصحابة وفي معالم التنزيل
انه الذي نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا لجبريل وكلام المصنف مبني على
عدم اسلامه وابن اخطب بزنة افعل من الخطبة وهو حيي ابو ام المومنين

صفية رضي الله عنها واخوه ابو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا في اسرا
بني قريظة وكانا يعلمان امر النبي صلى الله عليه وسلم وما في التوراة من ذكره
لصفته ومع ذلك كانا اشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة غدا اليه ابي وعمي ثم جا آبا العشي فسمعت عمي يقول لابي
اهو هو قال نعم الحديث وكعب بن اسد من بني قريظة وهو صاحب عقدهم
وقال لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود انكم
ترون ما نزل بكم من الامر فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه
نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على نسائكم واموالكم
واهلكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره الى اخر القصة
وما فيها من نقضهم العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كند بفتحتين وكاف
ومثناة فوقية ودال مهملة والزبير بن باطيا الزبير هنا بفتح الزا المعجمة
وهو من يهود بني قريظة ايضا قتل كافرا في وقعة بني قريظة وهو جد
عبد الرحمن بن الزبير بضم الزا وقيل انه بفتحها كاسم جده فيل والصحيح انه
بالضم كما في تاريخ البخاري وقال ابن مرزوق الزبير بفتح الزاي في اليهود
وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بني قريظة
وكان من اعلم اليهود روي عنه ابنه انه كان يقول الي وجدت سفرا كان
ابي يختمه فيه ذكر احمد نبي يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث
به الزبير بعد ابيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع
بان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه وكتم شانه
صلى الله عليه وسلم وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة والف تليها
طا مهملة ومثناة تحتية والف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون يا
وكتب عليها صح وقال التلمساني الخفا وانه فيه وغيرهم من علما يهود
الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم
واخبارهم ولم يذكر في مفصلا ذا السير ممن حمله الحسد له صلى الله
عليه وسلم كابن سلول والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون
بني اسرائيل والنفاسة بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرها بالحسد
وهي مغايرة لا لخفا المنازعة في الانفسية بان يدعي انه انفس واحق
بما هو فيه ولانه لا يستاهله ويستحقه وحمله بمعنى تعبه ودعاه لما
ذكر حتى كانه حمله حتى اوصله له ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر على البقا
على الشقا اي استمرار على كونه اوازدياده عنادا والشقا ضد السعادة وبين
الشقا والبقا تجنيس والاخبار الواردة في هذا الباب كثيرة لا تنحصر اشارة
الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه منها اذ هي لا يمكن حصرها اي الاحا
طة بها وقد قرع بالبنا للفاعل والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم
بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير

فاذا خفف بها استعارة للمبالغة في الجهر حتى كانه يضرب اسماعهم فاذا اشتد فالمراد
به توبيخهم بما ذكر واسماع اليهود والنصارى خصهم لانهم اهل الكتاب وقدم
اليهود لانهم اشد عداوة له صلى الله عليه وسلم واكثر انكارا وعنادا وفي بعض
النسخ يهود والنصارى وعرف النصارى بال دون يهود لانه علم كما مر وقيل
لان اليهود اشد عداوة للمؤمنين وفيه نظر بما ذكروا انه في كتبهم متعلق بوقع
وفاعله النبي صلى الله عليه وسلم من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه
وفي نسخة وصف امته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب الالهية
ذكرهما خصوصا وعموما ففي التوراة انهم خير امة هم الاخرون السابقون يوم
القيامة اناجيلهم صدورهم يؤمنون بالكتاب الاول والاخر وفيها تلوذ اهل
الضلالة الى عيرد لك مما استوفاه ابن ظفر في كتاب خير البشر بخير البشر واحتج
صلى الله عليه وسلم اي اقام الحجة عليهم بما انطوت عليه صحفهم اي بما
حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفا ما فيها وكتمه لان الصحيفة
اذا طويت لم ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهي
الكتاب والاكثر جمعه على صحائف لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا من ذلك
اي صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته وذمهم بتحريف ذلك المذكور في
كتبهم بتغيير بعض الفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى من الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الآية فبدلوا صفته صلى الله عليه وسلم
حتى اصلوا اجهالهم وقالوا ليس هو الموعود به في كتابنا وكتمانه اي اخفا
صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته كما قال تعالى ولا تلبسوا الحق
بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون ولتيهم السنتهم ببيان امره اي صرفه لغيره
حسدا وبغيا بان يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره واصل اللي فتل الحبل
ونحوه فاستعير لصرفها عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوى لسانه كذا
كناية عن الكذب قال تعالى يلوون السنتهم بالكتاب انتهى ودعوتهم
الى المباهلة على الكاذب اي قرع اسماعهم بدعوته لهم اليها وطلبها منهم كما
وقع له صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة فابوا
وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهي اللعنة بان يقول
كل منهما لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لا تمضي
عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد في الدعا وتعدى بعلى فما
احد منهم اي اليهود والنصارى الا من نفر اي اعرض وهرب عن معارضته
فيما قرع بها اسماعهم وذمهم فيه فترك المعارضة لعدم قدرته عليها
وابدا فاعله ضمير من وافرده نظرا للفظه وجمعه في قوله مما الزمهم نظرا للمعنى
من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من كتبهم بيان لما اي
مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة اظهار مفعول
الزم اي الزمهم اظهاره اذ كتموه ولو وجد واخلاف قوله في كتبهم لكان
اظهاره اسهل كان وقوله اهون عليهم اي اسهل خبر كان من بذل النفوس بوجه

وذال

وذال معجزة اي اعطابها له بالقتل والاموال التي غنمها واخذها منهم قهرا وتخريب الديار
كما وقع ليهود خيبر وبني النضير ونبذ القتال اي تركه وهو اشفى لغليلهم يقال
نبذ النواة اذا طرحها وقد قال لهم جملة حالية اي لليهود لما قرع اسماعهم بقوله
تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر فقالوا لسنا اول من حرمت عليه فقد حرمت على ابراهيم ومن بعده
حتى انتهى الامر الينا فقال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ليظهر انها
لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال لهم ذلك
بهتوا ولم ياتوا ببنت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما في قصة الرجم وكانوا
ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه في التوراة فنحن نحرمها فقال لهم صلى
الله عليه وسلم انها لم تحرم عليه وانما امتنع يعقوب من اكلها لانه كان به عرق النسا
وهي مضر الى ما انذر به الكهان جمع كاهن وهو الذي كان يخبر بالامور قبل وقوعها
ويدعي الاطلاع عليها والانذار الاعلام بما فيه موعظة وتخويفا والى غاية
لما تقدم اي انتهى ما تواتر من الاخبار الى الانذار هو به يقرب من مائة والى بمعنى
مع وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين مثل شافع بن كليب مصغر كلب وهو
كاهن من كهان العرب اخبر قديما بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ولمهاجره الى المدينة
كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا اعرفه وشق وسطيح وهما كاهنان
من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة وهو شق بن مصعب بن يشكر رحله
الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت
العرب تاتيه فيخبرهم بما سياتي وسطيح بفتح السين وكسر الطا المهملتين ومثناة
تحتية ساكنة وحا مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل
ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة راسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ
وقيل انه عاش ثلاثمائة سنة وقصتهما مشهورة وذكرهما للنبي صلى الله عليه
وسلم لما ارسل كسرى عبد المسيح يسالهما عن رؤياه لانه مذكورة في السير مشهورة
ولهما قصص كثيرة في التواريخ وادركا زمانه صلى الله عليه وسلم وسواد
ابن قارب بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد
الدوسي الصحابي وكان كاهنا من كهان العرب له رئي من الجن ياتيه ويخبره
بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة اذا اتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد
ابن قارب فاسمع مقالتي ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب
يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم اتاه ليالي يقول له مثل مقالته
فركب ناقته واتى المدينة واجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن
به واخبره بخبر رئيه وما قاله له من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتفصيله في السير وخنافر بضم الخا المعجمة ونون والف
بعدها فا مكسورة ورا مهملة وهو كاهن من حمير له رئي من الجن اخبره
ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم على يد معاذ رضي الله عنه كما يأتي
ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وهو ابن التوام الحميري وله جنية

ابن اثير

بسالهما

نسمي شصار او شاصر وكان غانيا ذا مال وسعة فاسلم وحسن اسلامه وفي امالي
القالي عن الكلبي قال كان تحتان بن التوام الحميري كاهنا قد اوتي بسطة في الجسم
وسعة المال وكان غانيا فلما وفدت وفود اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم
وظهر الاسلام اغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها التحم فخالف بها جودان وهو
سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئي في الجاهلية لا يكاد يغيب
عنه فلما فشى الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبينما هو بذلك الوادي
هوى عليه هوى العقاب وناداه خنافر فقال شصار قال اقل قال قد اسمع
فقال ع تغنم لكل مدة نهاية وكل ذي امد الى غاية قلت اجل قال كل ذي دولة
الى اجل ثم يتاح له حول انتسخت النحل ورجعت الى حقائقها الملل انك سخر
موصول والنصح لك مبذول اني انست بارض الشام نفرا من ال العرام حكاما
على الحكام يزبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا السجع المتكلف
فاصغيت فزجرت فعاودت فظلفت فقلت بم تهيمنون والى م تعتزون قالوا
خطاب كبار جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار عن اصدق الاخبار واسلك
اوضح الاثار تنج من اوار النار فقلت وما هذا الكلام قالوا فرقان بين الكفر
والايمان رسول من مضر من اهل المدر ابتعث فظهر فجاء بقول قد بهر واوضح
نهجا قد دثر وفيه مواعظ لمن اعتبر ومعاذ لمن ازدجر الف بالاي الكبر قلت
ومن هذا المبعوث من مضر قالوا احمد خير البشر فان امنت اعطيت الشبر
وان خالفت اصليت سقر فامنت يا خنافر واقبلت اليك ابادر فجانب كل
نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والا فهو الفراق عن لا تلاق قلت من
اين ابغي هذا الدين قال من ذات الاحرين والنفر الميامين اهل الماء والطين
قلت اوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهناك اهل الطول
والفضل والمواساة والبذل ثم املس عني مدعو الداعي الصباح فلما
فرق لي النوم امتطيت راحلتي واذنت عبدي واحتملت باهلي حتى وردت
الجوف فرددت الابل على اربابها بحولها واسقابها واقبلت اريد صنعا فاصبت
بها معاذ بن جبل امير رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الاسلام
وعلمني سورا من القران فمن الله علي بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد
الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما في الخبر من اللغة فان اردته فارجع اليه
وفيما ذكرنا كفاية وافعى نجران هو ملك من ملوك نجران كان كاهنا وهو
الافعى بن الافعى الجرهمي عن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من صدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اربعون رجلا يحفون به فقال
يا رسول الله حزفت وذهب رني وشمطت ثم رجع ذلك فاسود شعري
وثاب عقلي ونبتت اسناني وهولا ولدي لصلبي وخلفهم من نسلهم
اضعافهم وقد سمعت افعى نجران يذكر في غابر الزمان انه سيبعث
نبي من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة ومهاجره
الى طيبة فنبا الذي فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الا كشفت لي عن خاتم

بنوتك

نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حفظت على طول العمر
وان فيك لمعتبرا ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعى نجران
هذا هو الذي حكم بين اولاد نزار لما تشاحوا في ميراث ابيهم وهم مضر وربيعة
وانمار واياد وقال يا مضر انت ابو النبي التهامي فانا لنجد في الاثار انه من ولد
نزار بن معد بن عدنان واني لارى للنبوة بين عينيك نورا واجلسه على سرير
ملكه وجلس تحته وهذا ما اشار اليه الناظم والشراح كلهم لم يقفوا عليه
وجذل بن جذل الكندي قال الحافظ الحلبي لا اعرفه وتتبعت غيره من الشراح
وهو كاهن من كهان العرب اخبر بمبعثه صلى الله عليه وسلم قديما ولم ار تفصيل
قصته الا ان التلمساني قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيدانه
بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهي قبيلة معروفة لما ولدته امه النفست
ذكره فلم تجد من شدة البرد فقطنته جارية فطرحته ووجهها في سكرات الموت
فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث رؤيا بشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم ابيه
فقامت وهي تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم ابيه وابن
خلصة الدوسي بخاء معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات وهو كاهن من كهان العرب
بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا له ترجمة ودوس بفتح الدال
المهملة قبيلة معروفة وقال في الخصائص الكبرى نقلا عن الهواتف عن مرداس
ابن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا
فجاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم بي الا خيرا قلنا وما ذاك قالت اني لفي
غنمي اذ غشيتني ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المراة فحبلت فلما دنت الولادة
وضعت غلاما اعصف له اذنان كاذني الكلب فمكث فينا وكان لا يقول شيا فلما
كان مبعثك صار يكذب فقلنا له ما هذا فقال ما ادري كذبني الذي كان
يصدقني استجنوني في بيتي ثلاثا ثم ايتوني ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو
كانه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السما وخرج خير الانبيا فقلنا من اين
قال بمكة وانا ميت فادفنوني براس جبل فاني سأضطرم نارا فاذا رايتم ذلك
فاقذفوني بثلاثة احجار وقولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدى واطفى
ففعلنا ذلك واقنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى
ومنه تعلم ان الشراح لعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كما هنا ذكرا وانما
هي كاهنة فاعرفه فان خلصة امراة والكاهن ابنها وسعدى بنت كريز
بضم الكاف العربية وبالرا المهملة واخره زاي معجمة وفي النسخ هنا
اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان اخت امه كانت في
الجاهلية لها علم وكهانة فاخبرت عثمان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وتزوجه بابنته رقية فقصد بها وكان ذلك سبب اسلامه فلما اسلم كانت
تنشد

هدى الله عثمانا بقولي الى الهدى • وارشده والله يهدي الى الحق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي بعض النسخ سعدى بنت كريز وفاطمة بنت النعمان قال التلمساني هي فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاءها اقتحم عليها فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاها وقعد على حائط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبي يحرم الزنا فكان ذلك اول ما سمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت في الجاهلية عالمة كاهنة وتمام بضم الميم النون هو نعمان بن فزاد وقيل هو علي بن نعمان بن فزاد وروي عن ابن عمر وغيره هو تابعي ونعمان اسم موضع واسم الدم ايضا ومن لا يعد كثرة وفي نسخة سعد مطاوع بعدم اي لا يعد لكثرته لا لعدم اعتباره معلوما او منتهيا الى ما ظهر على السنة الاصنام الظاهر انه استعارة تمثيلية شبههما في ظهور صورة شخص تكلم بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائي الذي يشترط الآلة المخصوصة للنطق ونحن لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام الاصنام او نطق الاصنام الا ان يراد باللسان الكلام وليس بشيء لما علمت من انه استعارة وهذا التعبير في وجوه الحسان وقد ذكر ابن اسحاق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من اجواف اصنامهم يقولون ان امرهم بطل بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ويامرهم باتباعه وان الباطل بطل وقد جا الحق من نبوته صلى الله عليه وسلم وحلول وقت رسالته ومن يمانية لما كمنم كان لمازن الطائي فقرب له يوما قربانا فسمعه يقول يا مازن اقبل الي اقبل تسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل جا بحق منزل آمن به كي تعدل عن حر نار تشتعل الى آخر ما في السير من انه سمعه منه مرارا فكسره ورحل الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم ونظايره كثيرة وكانت الشياطين هي التي تسمعهم الكلام من غيران يروهم وسمع مبني للمفعول معطوف على ظهر من هواتف الجن وفي نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان ابو الجن والجن الجنس كله والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالي مطلقا او خفي بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صرح ولذا اختص بالجن عند العرب وكان عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كثير ذلك وللخرايطي كتاب الهواتف جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض احواله صلى الله عليه وسلم وهذه آية عظيمة من آياته وظهور نبوته كسماع ذباب بن الحارث هاتفا يقول يا ذباب يا ذباب اسمع العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو فلا يجاب وسماع ابن فرة العطفاني هاتفا يقول جا حق فسطع ودمر باطل فانقمع وسماع قريش هاتفا يخبر بنزوله صلى الله عليه وسلم على ام معبد الى غير ذلك فكل الكون السنة تنطق بخبره وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والصوفية يسمون الواردات الالهية هاتفا كما مر ومن ذبايح النصب اي ما سمع منها اذا قربت للذبح والذبايح جمع ذبيحة وهي ما يذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ما ينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ما سمع عمر رضي الله عنه من عجل قربه رجل لينحره قربانا لهم فقال يا ال ذريح

امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله الى آخر ما رووه واجواف الصور اي ما سمع من الاصنام التي كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهي التماثيل والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شيء وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا في الحجارة والقبور اي وعلى القبور بالخط القديم المتقدم عهد كتابته والشهادة له بالرسالة بذكر اسمه وانه نبي مرسل من الله مما اكثره مشهور بين الناس وما الثانية بدل من الاولى او خبر والاولى مبتدا وهما موصولتا وقد نقله ثقات المؤرخين في قصص لا تحصى ومكتوب روي مرفوعا خبر مبتدا محذوف ومنصوبا مفعول ثان لوجد والخبر مقدر اي ثابت وقد تقدم انه وجد بخط عبراني على بعض الحجارة محمد تقي مصلح امين وان في تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وتقدم شرح ذلك كله بما فيه الكفاية واسلام من اسلم بسبب ذلك اي بسبب ما رآه من الكتابة القديمة والمراد انها بغير اللسان العربي وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه معلوم مذكور في السير والتواريخ

فصل

ومن ذلك اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته ما ظهر من الايات اي العلامات او الادلة عند مولده اي ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمي مما حكته امه آمنة بنت وهب وهي اشهر من ان تذكر ومن حضر ولادته من العجايب قيل اخر هذا الفصل وكان ينبغي تقديمه لانه اول احواله لتقدم المعجزات بحسب الشرف وبانه ذكر فيه ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهي متاخرة فهو ناظر لذلك اولانه لا يختص بزمان وهو كالاجمال لما قدمه والعذر لكله تؤخر والعجايب وما معه اشارة الى ما رواه ابو نعيم عن ابن عباس من ان امه صلى الله عليه وسلم لما حملت به اتاها آت في منامها بعد ستة اشهر وقال لها يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك فلما اخذني ما ياخذ النسا لم يعلم بي احد واني لوحيدة في منزلي فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالني فرايت كان جناح طاير ابيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل ما اجد ثم التفت فاذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابني نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طوالا تحدقن بي فعجبت من اين علمن بي وفي رواية انهن قلن نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين فبينا انا كذلك واذا انا بديباج ابيض بين السماء والارض وقايل يقول خذاه عن اعين الناس ورجال في الهوا بايديهم اباريق من فضة وقطعة من الطير منا قيرها من زمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها وعلما بالمشرق وعلما بالمغرب ووضعته صلى الله عليه وسلم وكانت قريش مجدبة فاخصبت الى غير ذلك مما ذكروه قال ابن الجوزي في تلقيح الفهوم اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على اربعة اقوال فقيل

لسنتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشر خلت منه ومات ابوه وهو
ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة اشهر
وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والاصح الاول وكونه رافعا راسه عندما وضعته
اي رفعه نحو السما كما رواه البيهقي شاخصا ببصره الى السما قال الراغب شخص من
بلده ذهب وشخص سمعه وبصره واشخصه صاحبه وقوله شاخصة ابصارهم
اي اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله الى السما تنازعه رافعا وشاخصا وهذا اشارة
الى تعلقه صلى الله عليه وسلم بالملا الاعلى وتوجهه لذلك من اول امره كما
قال الابوصيري

رافعا راسه وفي ذلك الرفع الى كل سودد ايما
رامقا طرفه الى السما ومرمى عين من شانه العلو العلا

وروي انه خرج معه نور اضاءت له المشرق والمغرب وروي انه ولد واضعا اصابعه مقبوضة
مشيرا بالسبابة كالمسبح ومما رأته امه كما رواه احمد والبيهقي من النور الذي
خرج معه عند ولادته وحديث النور الذي خرج معه اضاءت له جميع الارض رواه
جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن اسحاق بن عبد الله ان امه صلى الله عليه وسلم
قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاءت له قصور الشام وتقدم في كلام المص
عن امه ايضا قالت ولدته نظيفا ما به قذر قال ابو شامة كان امر هذا النور
استمر ذكره في قريش واليه اشار العباس كما مر بقوله

وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق

الخ وقال حسان رضي الله عنه نورا اضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدي
قال ابن رجب رحمه الله وهو اشارة الى نور هدايته الذي محى ظلمة الشرك كما
قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله واضاءت له قصور الشام
خصه لانه مشرق انوار النبوة وهي دار ملكه ومما رأته اذ ذاك اي وقت ولادته
ام عثمان بن ابي العاص ابو عبد الله بل بشير الثقفي وامه اسمها فاطمة بنت عبد
الله وعثمان هذا من اكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قمنا البصرة وروى عنها
ابنها انها شهدت مولده صلى الله عليه وسلم ورات مما رأته من تدلي النجوم
التدلي الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو وصار
حقيقة عرفية في القرب وظهور النور الذي خرج معه كما مر ويحتمل انه
نور النجوم لدنوها حتى ما تنظر اي ام عثمان المذكور تبا المضارعة ويجوز ان
يقرا بالنون للحاضرين او الموجودين والاول اولى رواية ودراية الا النور اي
لا ترى شيئا غير النور وهو مبالغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي ٥
والظاهر ان تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله

وتدلت زهر النجوم اليه فاضاءت بضوئها الارجا

وقيل معنى تدليها سقوطها ولا ينبغي مثله ومثل الشفا ام عبد الرحمن
ابن عوف الشفا بشين معجمة مفتوحة وفا مشددة وممدودة كما قاله الدلجي
والمعول عليه ما قاله البرهان الحلبي انه بكسر الشين والقصر وهي كما

قال

تلمساني

قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم ابيه عوف
ابن الحارث وقال السهيلي ان اسمها ثمة ايضا وفي الاستيعاب انها اخت عبد الرحمن
ابن عوف وحكاه عن الزبير قال وقد قيل انها امه لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي
اي وضعته امه فنزل على يديها واستهل اي عطس لا صاح وان كان يقال استهل
الصبي اذا صاح بدليل قولها سمعت قايلا اي ملكا يقول له صلى الله عليه وسلم رحمك
الله او رحمك ربك او يرحمك ربك تسميتا له بنا على ان رحمك بفتح الكاف وقال
التلمساني انه روي بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسره فالخطاب لامه اوله صلى
الله عليه وسلم باعتبار التسمية وتفسيرها استهل بعطس ذكره الدلجي ويشهد
له قول الابوصيري

شمتته الاملاك اذ وضعته وشفتنا بقولها الشفا

اذ القول المذكور لا يقال الا عند العطاس اي الذي التشميت بالشين المعجمة والمهملة
فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم بانه لم يكن في شي من الاحاديث انه صلى
الله عليه وسلم لما ولد عطس وفي الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس
فاستهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس فلذا حمل هنا على
العطاس بقرينة الجواب الذي لا يقال الا عند العطاس وهذا الحديث رواه
ابو نعيم في الدلايل عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه واضا لي ما بين المشرق
والمغرب حتى رايت قصور الروم ولا منافاة بين هذه الرواية وبين رواية قصور
بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم انشب
ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيبت عني فسمعت قايلا يقول اين ذهبت
به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بالي حتى ابتعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكنت اول الناس اسلاما وفي الخوارق امور غريبة من تنكيس اسرة الملوك
وذهاب الحيوانات من المغرب للمشرق للتبشير به صلى الله عليه وسلم وروى كما
تقدم في كلامه انه ولد مختونا مسرورا اي مقطوع السرة كما تقدم في الخبر به
في كلام المص بل قال الحاكم في مستدركه انه تواترت به الاخبار وقال الذهبي
لا اعلم صحته فضلا عن تواتره واجاب بعضهم بانه اراد بالتواتر الاشتهار
فقد جات احاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ من صححها
ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان وتقدم ان هذا الجواب بعيد
وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ما عليه من الكلام وما تعرفت به حليمة
بنت ابي ذويب السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم وخبر مشهور وزوجها
الحارث بن عبد العزى ظيرا له عطف بيان او بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية
ظير وهو المرضعة في الاصل وتطلق على الاب من الرضاعة كما هنا والظير مشترك
معنوي لانه من ظار اذا عطف فلا اشكال في تثنيته فانه ليس نحو عينين
مع انه مسموع ايضا من بركته صلى الله عليه وسلم لما اخذته من امه ودرور
لبنها له اي زيادته من وجه له صلى الله عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد
قلته ولبن شارفها اي ودرور لبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان لبنها لا يدر وخصب غنمها بكسر الخاء اي رعيها في مكان مخصب في سنة مجدبة او هو مجاز
عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم لكونه عندها والمثل
معنى الخصب بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب • واول من ارضعته صلى الله عليه
وسلم ثويبة جارية ابي لهب ثم حليمة رضي الله عنها وقد تقدم ان حليمة وفدت
على النبي صلى الله عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال ابن عبد
البر انها اسلمت وانكره الدمياطي وصنف فيه مغلطاي جزءا وله صلى الله عليه وسلم
اخوة من الرضاعة مفصلة في السير كما فصلت فيها احوال مرضعته وذهابه صلى
الله عليه وسلم الى ارض قومها وسرعة شبابه وحسن نشاته اي سرعة نمو خلقته
وقامته ونشاته ابتدا امره في صغره من نشا ينشا نموا ناشي وان حليمة قالت والله
ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا وما جرى اي وقع وحدث من العجايب في ليلة
مولده اي في ليلة ولادته مما رواه البيهقي وغيره وفي نسخة بميلاده وهما بمعنى
وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذي رواه ابن السكن في حديث تقدم والذي في
مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك
الحصة قد تعد ليلا لقربها منه وبعضهم يرى ان اليوم من طلوع الشمس والحاصل
انه لا ينافي ما تقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن ام عثمان بن ابي العاص
على تقدير صحته من دلالته على انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ه
ويجوز ان تسقط النجوم نهارا اي فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند
الفجر لان ذلك ملحق بالليل كما تقرر من ارتجاج اي تحرك واضطراب ايوان كسرى
وهو قصره ومن الاولى بيان لما والثانية للعجايب وقيل بيان لما ايضا وفيه نظر
وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا هو انوشروان
ابن قباذ وهو غير كسرى الذي كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق
كتابه فهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان وهذا الحديث رواه البيهقي وابن ابي
الدنيا وابن السكن والايوان الصفة العظيمة والبنا العالي العظيم واصله اوان
بتشديد الواو فابدلت الاولى يا وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم
المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل الامور وسقوط شرفاته بضمتين كما في
تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع شرفة بضمتين
او بضم فسكون دون غرفة وفسرت باعاليه وانما هي ما يبنى على الحايط اعلا
منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها
اربعة عشر بعدد من ملك من اولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم
في زمان قليل واطلاق شرفات على ما ذكر لاستواء القلة والكثرة فيه لا منافاته
او لانه لا جمع له سواه او لانه يجوز استعمال كل من الجمعين في معنى الاخر وغيض
بحيرة طبرية غيض بفتح الغين المعجمة وسكون اليا التحتية وضاد معجمة مصدر
غاض يغيض اذا قل او ذهب يقال غاض الما وغاضه الله وانما غاضه فيتعدى
ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحر وهي البركة الكبيرة التي كثر ماؤها ويطلق على
الارض الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة

بينهما

بينها وبين القدس مرحلتين وبحيرة ساوة عظيمة الان البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة
ساوة المهملة الان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان اولهم يمر بها ويجي اخرهم
فيقول كان هاهنا ما انتهى اقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته
صلى الله عليه وسلم من الايات والعجب ممن تابعه على هذا مع ظهوره وساوة بلدة اعجمية
بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها
ستة اميال وكذا عرضها وقد ورد في الحديث البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن كما
نقله السيوطي وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل ما هنا نقص نقصا
لا ينقص مثله في زمان طويل او غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لما فيها من العيون النابعة
التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر • والتا زائدة كما قيل وهي
ممنوعة من الصرف للعلمية والتانيث وليست التاء زائدة فيها بعد العلمية كذي
التذنيه لتاويلها بالبقعة وهو تكلف لا داعي له وخمود نار فارس بمنع الصرف لانه
علم اعجمي وفارس اقليم معروف هو واهله فكان ما غاض من الما فاض على النار
فاطفاها والخمود الانطفا وكان هذا ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كما تقرر وكان
لها اي لتلك النار الف عام لم تخمد لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دايما وكانوا
يعبدونها كما قال ابن هاني

سجدت الى النيران اعصرها ومذ • شعرت به سجدت له نيرانها

وقال اخر

وذاك دليل للنجاة من اللظا • به لانطفا النار من كل موقد

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه
يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل
تؤجج وان لم تمد وقصة النار ورؤيا كسرى وقصها على سطيح مذكورة في السير
مشهورة وانه صلى الله عليه وسلم كان وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره
عن ابن عباس اذا اكل مع عمه ابي طالب واله اي اهل بيته وكان صلى الله عليه وسلم
عنده في حضانته بعد عبد المطلب وهو صغير جبلة خالية شبعوا من الطعام
ورووا اذا شربوا لبنا ونحوه لا ما ولذا جعله ماكولا لانه يغذي ببركته صلى الله
عليه وسلم مما لا يشبع منه مثلهم لقلته واذا غاب عنهم فلم يكن معهم فاكلوا
وحدهم في غيبته عنهم لم يشبعوا وباتوا جياعا وكان سائر ولد ابي طالب اي جميعهم
او بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وانكر بعضهم ورود سائر
بمعنى جميع وقد رددناه في شرح الدرة يصبحون اذا قاموا من نومهم شعثا جمع
اشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم
في مضاجعهم ويصبح صلى الله عليه وسلم اي يدخل في وقت الصباح اذا قام
من نومه صقيلا اي رايق اللون غير متغير البشرة فهو استعارة من المراة الصقيلة
دهينا اي كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق وجوههم
كحيلا اي مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهي منصوبة بيصبح ان
كانت ناقصة او احوال وكانت اولاد ابي طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب

تلمساني

تلمساني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تلمساني

وعلي وام هاني فام طالب وحمامة وكلهم اسلموا الا طالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز او
حقيقة وفسر المدهون بخلاف الاشعث والمعفود بالمسوي الشعر والكحيل بالذي
لا رمص بعينيه ولا قذى وكان ابو طالب يحبه صلى الله عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره
على اولاده فاذا اتى بطعام يقول لا تاكلوا حتى ياتي ابني وروي في بعض النسخ وقالت
ام ايمن هي بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن
النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضنته التي كانت تربيه طفلا سميت
حاضنة لانها تحمل الولد في حضنها وقيل لانها ارضعته وهي حبشية وابنها ايمن
ابن عبيد الحبشي وتزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله ابيه صلى الله عليه
وسلم وروي عنها في الصحيحين وادركت خلافة عثمان كما نقله الذهبي عن الواقدي
وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة او ستة اشهر
وهو الذي صححه النووي وخطا الواقدي فيما قاله وانما حضنته لموت امه آمنة
ما رايته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا الا ان الله تكفل به
فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال ووجدك يتيما فاوى وحاضنته اسم
فاعل مؤنث من الحضن ولم يوصف بها من المفاعلة وانه عدل عن حضنه لحاضنته للاشعار
بالفاعلية من جانبه ببركاته كما توهم وهو خطا فاحش على عادته ومن ذلك اي
دلائل رسالته المشاهدة عند ولادته حراسة السما بالشهب وهي شعل النار
المرئية في نجوم السما جمع شهاب وقطع رصد الشياطين اي ترصدهم وترقبهم لسماع
ما تقوله الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة فهو مصدر ويكون بمعنى راصد وجمعا
له فلذا اطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن ومنعهم اي منع الله لهم من
استراق السمع وهو ان يختفي احد ليسمع كلام من لم يرد سماعه فكانه يسرق الكلام
الذي سمعه واعلم ان رمي الشياطين بالشهب لم يحدث في زمنه صلى الله عليه وسلم
فانه كان قبل ذلك ايضا ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان
كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من
ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحي بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحي فبطلت
الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات ولذا لما رات قريش كثرة القذف
بالنجوم قالوا اقتربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا الى
العيوق ان كان رمي به فقد آن قيام الساعة والا فلا والى هذا يشير قوله تعالى
وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا الاية وقد روي ان ابليس كان
يخترق السموات فلما ولد عيسى حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذي يرمى به قيل انه لا يخطيه
ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمي الشهب لم يحدث
في زمنه صلى الله عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا في
الجاهلية اذا راوا شهابا سقط قالوا يموت او يولد عظيم كما ورد في الحديث ومن
دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ما نشا عليه اي خلقه الله عليه من ابتدا
انشاته وطفوليته من بغض الاصنام وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقي

ابن اقبرس

ان

٦٩

ابن اقبرس

ان زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح به فقال له صلى الله عليه وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب
منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ازر عنها والعفة عن امور الجاهلية
التي كانوا يرتكبونها لخلقه الله متنقلا عنها بالسلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة
حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة والتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب ومما خصه
الله به من ذلك تجعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية فصانه وحماه
قبل بعثته من الصفات الردية حتى في ستره بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية
مصدر اي ستر بدنه حتى لا يرى احد منه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغي رويته كالعورة
فكان لا يتعرى عند احد وكانت الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة احيانا وفي
نسخة حتى ستره بجر ورائحتي وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل انه كان المراد كشف
العورة فهو قبيح عقلا وعادة ولهذا ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من خصوصيته
الدالة على نبوته امر لا طائل تحته في الخبر المشهور الذي رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه
والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند بنا الكعبة اي لما بناها قريش ونقلهم الحجارة
معهم لبنائها وكان صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة معهم اذ اخذ ازاره اي ملحفته
التي كان متزرا بها ليجعله على عاتقه اي اخذ الازار ليجعله على كتفه اي يمنع عليه
الحجارة حتى لا تؤذيه ليحمل عليه اي على عاتقه او ازاره الحجارة وتعرى اي انكشف
اشغله لنزع الازار عنه فسقط الى الارض مغشيا عليه وعيناه شاخصة الى السما
حتى رد ازاره عليه وستر عورته فقال له عمه وهو العباس كما صرح رواته ما بالك
اي ما شانك وحالك الذي عرض لك حتى سقطت قال اني نهيت بالبنا للمجهول
عن التعري وكشف العورة كغيري وكانت قريش بنت الكعبة لسيل اتى من فوق
الردم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس
فكانوا ينقلون دون رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكانوا يجعلون ازرهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها
فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث رافعا بصره
الى السما فقال له ما بالك يا ابن اخي فقال نهيت ان امشي عريانا فكتمتها حتى
بعثه الله مخافة ان يقال انه مجنون وفي رواية ان ملكا مهيبا ناداه اشدد
ازارك وروي انه لكمه لكمة شديدة قيل وهو اول ما نودي به ومن ذلك
اي مما دل على نبوته في اول امره ما رواه الترمذي والبيهقي اظلال الله تعالى له
بالغمام في سفره اي كون غمامة تسير معه صلى الله عليه وسلم اين سار تقيه
حر الشمس دون غيره من الركب كما راه بحيرا لما سافر للشام مع عمه وراه ميسرة
غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل التاثر بالالم من
الشمس وفي رواية لابن سعد ان خديجة ام المومنين ونساها اي النسا التي كن
معها عند الرؤية فالاضافة لادنى ملابسة راينه لما قدم لمكة من سفر الشام
في تجارة لها وملكان يظللانه اي بمد ان اجنحتهما عليه ليكون ظلة له ووقاية
من الشمس فذكرت خديجة ذلك اي ما راته لميسرة غلامها الذي بعثته معه
صلى الله عليه وسلم في سفره وميسرة بفتح الميم وضمها فاخبرها ميسرة انه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

راي ذلك اي كونه مظللا من السما بالملكين فلا ينا في ان خديجة رات تظليل الملايكة وميسرة راي تظليل الغمام او ان الغمام كانت تسوقه ملايكة فجعلت مظللة له كامل الظلة يسمى مظللا منذ خرج معه في سفره الى الشام اي من اوله الى اخره وهذا الحديث رواه الواقدي عن نفيسة بنت منية وهي احدى النسا اللاتي كن مع خديجة في علية لها تنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم قال البرهان لم يذكر ميسرة في الصحابة فكانه مات قبل نبوته صلى الله عليه وسلم وفي رؤية خديجة الملايكة كرامة لها رضي الله عنها وقد روي بالبنا للمجهول ه والذي رواه الواقدي وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس ان حليمة بنت ابي ذويب السعدية التي ارضعته صلى الله عليه وسلم رات غمامة تظله وتغنيه من حر الشمس وهو مقيم عندها لما اخذته صلى الله عليه وسلم لحيتها لترضعه روي ذلك اي تظليل الغمامة له عن اخته من الرضاعة يعني انه راه في صغره ورواه بعد كبره لانه كان معه والظاهر ان مراده انه هو الذي ذكره لامه والها لم تشاهده لان عبارة الواقدي عن ابن عباس ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله عليه وسلم فوجدته مع اخته من الرضاعة وهو ولدها فقالت افي حر الشمس يمكث شفقة عليه صلى الله عليه وسلم منها فقال اخوه يا اماه ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس امرا اتفاقيا وهل كان هذا دايما او احيانا لم ينقل فيه شي وما في المواهب نقلا عن الزركشي في شرح البردة عن بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكانه صلى الله عليه وسلم في ظل غمامة من اعتداله قيل عليه انه ساقط لانه يقتضي ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا وانما هو على طريق التمثيل قلت ان اراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل ان يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله المغني عنه او انه كان غنيا عنه وانما هذا تكريم من الله له لم يرد عليه شي فاعرفه فانه لا يخفى مثله على مثله وقد علمت ان الذي في نسخ الشفا كما قاله البرهان عن اخته مدكر بتا تحتية والذي في سيرة ابن سيد الناس اخته بالمثناة الفوقية فهذا تصحيف او رواية راها ايضا ومن ذلك اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا لم يذكروا من رواه من المحدثين انه نزل اي قعد في محل نزل به في بعض اسفاره قبل مبعثه مصدر ميمي بمعنى بعثته ونبوته تحت شجرة يابسة اي ليست مخضرة وليس لها ورق فاعشوشب ما حولها من الارض اي ظهر به عشب لم يكن واخضر من ساعتها وافعوعل للمبالغة اي كثر عشبه ونباته والعشب الكلا ما دام رطبا وقدمه لما فيه من المبالغة واينعت هي اي الشجرة وابرزت الضمير لئلا يتوهم انه عايد على ما حولها باعتبار انه ارض وهي مؤنثة سماعية ومعنى اينعت ظهر خضرة ورقها وزهرها او ثمرها يقال اينعت الثمر

ينعًا

ينعًا وينعًا وايتعت ايناعًا اذا انضجت قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب فاشرقت اي نمت وعلت اغصانها وتدلت عليه صلى الله عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظلله اغصانها جمع غصن وهي اعلاها وفروعها المخضرة من راه اي ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته لربه ومن ذلك ميل في الشجر الفي هو الظل مطلقا او بعد الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام عليه مفصل في كتب اللغة وميل الفي اما وحده او مع ميل الشجرة نفسها في الخبر الاخر الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام وقصته مع بحيرا الراهب كما تقدم حتى اظلته علة او غاية مقصودة من قبلها وكان رفقاوه صلى الله عليه وسلم سبقوه فجلسوا في الفي فلما جلس في الجانب الاخر مالت الشجرة عليه بفيئها فظللته فراه الراهب في قصته التي تقدمت وكان مع عمه ابي طالب وهو ابن عشر سنين ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ما ذكر بالبنا للمجهول والذي ذكره ابن سبع من انه بيان لما الموصولة لا ظل لشخصه اي لجسده الشريف اللطيف اذا كان في شمس ولا قمر مما نرى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله لانه صلى الله عليه وسلم كان نورا والانوار شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو مشاهد في الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الا غلب ضوءه ضوءها ولا مع سراج الا غلب ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه ه ورباعيتنا فيه وهي

ماجر لظل احد اذ نال • في الارض كرامة كما قالوا
هذا عجب وكم به من عجب • والناس بظله جميعا قالوا

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القران بانه النور المبين وكونه بشرا لا ينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وتفصيله في مشكاة الانوار للغزالي ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ان الذباب كان لا يقع على ما ظهر من جسده ولا يقع على ثيابه وهذا مما قاله ابن سبع ايضا الا انهم قالوا لا يعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة قيل انه سمي به لانه كلما ذب آب اي كلما طرد رجع وهذا مما اكرمه الله به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجي من مستقذر قبيح وقد نقل مثله عن ولي الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلاني ولا بعد فيه لان معجزات الانبيا قد تكون كرامة لاوليا امته وفي رباعية لي

من اكرم مرسل عظيم حلا • لم تدن ذبابة اذا ما حلا
هذا عجب ولم يذق ذو نظر • في الموجود من حلاه احلا

وتظرف بعض علما العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان النقط يشبه الذباب فصين عنه اسمه ونعته كما قلت في مدحه صلى الله عليه وسلم

لقد ذب الذباب فليس يعلو • رسول الله محمود ا محمد

مرضي

ابن ابنوم

ملاجامي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونعظ الحرف بحكيه تشكلا لذاك الحظ عنه قد تجرد

ومن ذلك اي من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم بد امره ومنتهاه كما رواه
الشيخان تحبيب الله بجعله طبيعة له الخلوة اي الوحدة والانفراد عن الناس للعباد
اليه حتى اوحى اليه اي انه كان يفعل قبل بعثته حتى نزل الوحي عليه تكريما له صلى الله
عليه وسلم وفي البخاري ثم حبب اليه الخلا اي العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب
والاعانة على التفكر والانقطاع من مالوفات النفس فكان يخلو بغار حرا فيتحنث
فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب
لاهله وخص حرا كما قاله ابن ابي جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيتقبله
وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلي بالهام
الله له وهو من الارهاصات حتى جاء الوحي وهو قبيه ثم اعلامه صلى الله عليه وسلم
اي اعلام الله له بقرب موته ودنو اجله اي اخر عمره الذي اجل له وقدره وهذا مما
رواه الشيخان وفهمه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد ربك وفي
الصحيحين انه مر على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات
ثم طلع المنبر فقال اني بين يديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض
الخ وقوله في خطبته له ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين
ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال فديناك باباينا
وامهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله خيره بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عنده فكان الصديق اعلمهم
بكلامه صلى الله عليه وسلم واسراره لذلك لفاطمة كما تقدم في الحديث الى غير ذلك
مما لا يخفى واعلامه صلى الله عليه وسلم بان قبره بالمدينة كما رواه ابو نعيم
عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من الارض وان قبره في بيته
فقبر صلى الله عليه وسلم في مسكنه وكذا كان كثير من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
اشارة الى انهم احيا عند ربهم يرزقون وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة
كما سياتي يعني انها تنقل وتجعل روضة في الجنة او ان العمل فيها يوجب لصاحبه
روضة من رياض الجنة وقال ابن ابي جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما
معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لا بد من تاويله باعتبار القرب من
اقرب الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس في رياض الجنة لتنزل الرحمات ه
وتلذذه بالمشاهدات كما يقال اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض الجنة
وتخيير الله له عند موته اي لما قرب موته خيره الله بين البقا في الدنيا والرجوع
للاخرة كما سمعته عنه انفا ورواه البيهقي في دلايله وعن عايشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحته يقول لم يقبض نبي قط حتى يرى
مقعده في الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله عليه وسلم غشي عليه فلما افاق
شخص بصره لسقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت
انه خير وفهمت ما فهم ابوها رضي الله عنهما وهو حديث صحيح رواه احمد في
مسنده وغيره وقد صرح به صلى الله عليه وسلم فقال اوتيت مفاتيح

ابن اقبرس

خزاين

خزاين الارض والخلد فيها ثم الجنة فاخترت الى اخر ما قطول ذكره ومما اشتمل عليه حديث
الوفاة اي وفاته صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعي والبيهقي
في سننه من كراماته التي اكرمه الله بها عند موته كسماع بكا الملايكة وسماع صوت من السما
ينادي واتمم داه الحديث وقول جبريل له صلى الله عليه وسلم ان الله يقرئك السلام
ويقول لك وهو اعلم كيف تجدك الى غير ذلك وتشريفه بما تر وغيره وصلاة الملايكة
على جسده وفي نسخة عليه وكان اقحام الجسد هنا لان الصلاة معناها الدعا وروحه
صلى الله عليه وسلم غير محتاجة لذلك او لنكتة اخرى وقيل هي ان الصلاة على جسده
وروحه مستمرة دايما لقوله ان الله وملايكته يصلون الاية على ما رويناه في بعضها
اي في بعض طرق حديث الوفاة وهو ما روي عن ابن عباس انه لما جهز صلى الله عليه
وسلم يوم الثلاثا ووضع على سريره في بيته فصلت عليه الملايكة فوجا فوجا ثم الناس
فوجا فوجا ثم نساؤه ثم النسا ثم الصبيان ولم يؤمهم احد وكان صلى الله عليه وسلم
اوصى بذلك وذلك لعظيم امره وليلا ينازعوا فيه في الامامة والخلافة لان الخليفة
يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء دون صلاة الجنازة لم يات بشي وكونه
لم يؤمهم احد ذكره الامام الشافعي رضي الله عنه في الام وغيره وصححوه وحكمته ما ذكر
ولم يدع له صلى الله عليه وسلم بدعا الجنازة المشهور كما ذكره السهيلي بل قالوا
انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة الى اخر ما ذكره والحديث بطوله مذكور
في كثير من كتب الحديث تركناه لطوله واستيذان ملك الموت عليه اي طلبه الاذن
منه في قبض روحه الشريف انه اراد او تركه حيا ولم يستاذن على غيره نبيا او غيره
قبله روي ان جبريل قال له صلى الله عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستاذن
عليك ولم يستاذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ايذن له فقال السلام عليك
يا محمد ان ربي امرني ان اطيعك فيما امرتني به ان اقبض نفسك قبضتها وان امرتني تركتها
تركتها فقال اقبض يا ملك الموت كما امرت فقال جبريل السلام عليك يا رسول الله
هذا اخر موطئي من الارض وندايهم اي ندا الملايكة لهم الذي سمعوه ولم يروا من
ينادي ان لا اي بان لا الخ فان مصدرية ولا نافية تنزعوا القميص عنه اي قميصه الذي
عليه لما ارادوا نزعه عند غسله بنعم العين ونحوه فيها اشارة لما في حديث ابي
داود والبيهقي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها انهم لما ارادوا غسله صلى الله عليه
وسلم قالوا لا ندري انجرده من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه
واختلفوا فغشيهم النوم فاذا قايل من ناحية البيت لا يرونه غسلوه في ثيابه
فغسلوه وعليه قميصه يصبون الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو
من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرايه على عادته فانه صلى الله عليه وسلم
كان لا يتجرد عند احد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو
اجرا للسنة وكفن في ثلاث اثواب يمنية سحولية ومما روي من تعزية الخضر
عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي في دلايله يشير الى ما روي عن علي كرم
الله وجهه ورضي عنه انه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا
صوتا ولم نر واشخصنا وهو يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة وان في الله عز وجل لعزا من كل
مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان
المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه
الصلاة والسلام كما رواه البيهقي وابن ابي حاتم وقال في مراة الزمان ان المعزي
هو جبريل لا الخضر ورواه العراقي في تخريج احاديث الاحيا بلفظ ان في الله خلفا
من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا
آخر بعده يقول ان في الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا
وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضي الله عنه هذا الخضر واليسع ولم اجد في رواية
ذكر اليسع واما ذكر الخضر في التعزية فقد انكر النووي وجوده في كتب الحديث
وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم في المستدرك من حديث انس ولم يصححه
ولا يصح ورواه ابن ابي الدنيا في كتاب العزا قال لما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين
في ازار ورداء فتخطى الصحابة بعضادتي الباب وبكى ثم قال ان في الله عزا من كل
مصيبة وعوضا من كل من مات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا ولم ير الله
البلا فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال ابو بكر لعل هذا الخضر اخو نبينا
جاء يعزينا رواه الطبراني في الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن ابي الدنيا عن علي
بسند واه ايضا وذكره الشافعي في الام من غير ذكر الخضر انتهى واما قال الحاكم وغيره
انه غير صحيح لحديث انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها احد على راس مائة
سنة من تلك الليلة واراد به انخرام كل احد فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار
وجوده وسئل عنه ابن حجر رحمه الله فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته
لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه ان صح ما ينقل عن بعض الصالحين
من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا يقتضي انه صاحب موسى عليه الصلاة
والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا في وجوده فالصوفية
يثبتون وجوده وان منهم من رآه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه
كابن حجر ومنهم من شدد النكير على من اثبت حياته كصاحب مراة الزمان
حتى صنف في ابطاله كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر
ولكنا لا ننكر ما قاله المشايخ واختلفوا فيه هل هو نبي او ملك او عبد صالح
من اوليا الله تعالى اطال الله عمره وجعل مرجع الاوليا والاقطاب اليه ومما مر
من انه لم ير شخصه يقتضي انه ملك وقوله والملائكة بالجر عطف على الخضر يشير
لما قلناه اهل بيته مفعول التعزية وهي الارشاد للصبر والتسلية عند
المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلاة
والسلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الان الى ما ظهر على
اصحابه صلى الله عليه وسلم والى هنا متعلقة بمقدر اي مضمومًا ما ذكر
من اول الفصل الى هنا او منتهيا وهو كما يقوله المصنفون الى آخره
اشارة الى انه ترك امورا كثيرة من جنس ما ذكر والمراد بظهور ما عليهم ان

شرف

من شرف صحبته صلى الله عليه وسلم اثر فيهم حتى ظهرت منهم امور تشابه ما ظهر منه ببركته
صلى الله عليه وسلم من كراماته وبركاته اي من مثل ذلك في حياته وموته او بعد موته
كاستسقا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعمه العباس رضي الله عنهما بن عبد المطلب
اي تقديمه في دعا الاستسقا كما رواه البخاري وتقييده بعمه صلى الله عليه وسلم بالعباس
وان كان له اعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله عليه وسلم غير العباس وقد
صرح به في الحديث واعمامه ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والغدم وحجل
واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو اكبرهم وقثم مات صغيرا وابو لهب
واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب ونوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم
غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم اثني عشر
واسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم احد عشر وبعضهم عدهم سبعة
وبعضهم عشرة لاسقاط بعضهم والحاصل ما اشار اليه كما روي عن عمر رضي الله
عنه اذا وقع قحط استسقى بالعباس رضي الله عنه فوقع جدب شديد في خلا
عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا امير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا
اذا اصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبيا فقال عمر هذا عم النبي صلى الله
عليه وسلم صنو ابيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم
انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به اتيناك مستغفرين مستشفعين ثم
اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الى
قوله انهارا ثم قام العباس رضي الله عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم عندك
سحابا وعندك ما فانشر السحاب ثم انزل الما منه علينا فاشدد به الاصل وصل
به الزرع وادر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلا الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة
وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا اللهم الغيث وسقيا في انفسنا واهلينا
وفينا لا ينطق من بهايمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا
سحا عاما اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك
نشكو جوع كل جايع وعري كل عار وخوف كل خايف وضعف كل ضعيف اللهم
انت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير
ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم واغثهم بغياثك
قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم
يتم دعاه حتى نشات سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلامت ومشت
وانتشرت ثم درت وارخت عزاليها كافواه القرب فما برحوا حتى علقوا الحذا
وقلصوا المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيا لك يا ساقي
الحرمين وفي ذلك قال حسان رضي الله عنه

سال الامام وقد تتابع جدبنا • فسقى الغمام بغرة العباس
احيى الاله به البلاد فاصبحت • مخضرة الارجا بعد الياس

في ابان اخر وترك غير واحد اي كثير من الناس بذريته صلى الله عليه وسلم
من السادة الاشراف نفعنا الله بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها

منهم صح

انه كان في زمن عمر رضي الله عنه

فصل

وقد امده السيد السمهودي شكر الله سعيه بتاليف مستقل نافع فيه فذلكة هذا الباب قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله قد اتينا اي ذكرنا وجمعنا في هذا الباب الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله عليه وسلم ودلايل نبوته واصل الاتيان المجي بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال على نكت من معجزاته واضحة الا انه تجوز به عما ذكر من الجمع وعداه بتعديته الاصلية لانه من لوازمه ومن يريد احد شي وجمعه اذ ياتي له حتى يصل اليه ويقال اتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر يقارنه نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد اخطا فلا وجه لما ذكره البرهان هنا وجمل جمع جملة وهي الامر المجمل من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم مقنعة اي كافية عن غيرها مستمدا من القناعة وفي نسخة معنية بالعين المعجمة والنون اي يستغني بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية في واحد منها الكفاية عن غيره كالقران اي في الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل والغنية بالضم والسكون في ثانيه اي الاستغنا عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية وتركنا الكثير منها سوى ما ذكرنا اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه واقتصرنا من الاحاديث الطوال بكسر الطا جمع طويل على عين الغرض عين الشي المختار منه وهو المراد منه لا الحقيقة وان كان احد معانيها والغرض ما يقصد منه وفايدته واصل معناه الهدف كما مر فنقل لما ذكر وفص المقصد والفص مثلث الفا اي الامر المقصود بمعنى الاصل يقال اتى بالامر من فصه اي من اصله قال الشاعر

وربّ امرء تزدريه العيون • ويأتيك بالامر من فصه •

وفص الخاتم ما يزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه وتظرف ابن نباتة رحمه الله تعالى في قوله

حملت خاتم فيه فصا ازرقا • من كثرة اللثم الذي لم احصه •

لولاه ما علم الرقيب فياله • من خاتم نقل الحديث بفصه •

وقول الجوهري العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل الثقاة كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها بعضهم والمراد به المقصود كما صرح به وهو مصدر ميمي تجوز فيه واقتصرنا من كثير الاحاديث وغريبها هو بمعناه اللغوي اي ما يعد مستغربا غير معهود او غير مشهور او المراد به ما اصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح ما انفرد به بعض الرواة سوا انفرد بجمعه او بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر وهو لا ينافي الصحة اذا كان رواية ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف اي الاحاديث الكثيرة على ما صح نقله وروايته واشتهر بين المحدثين الا يسيرا اي قليلا نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير ما تيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى

تلمساني

القليل لسهولته من غريبه اي غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور الصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لا تخفى غالبا ثم اعتذر عن ايراده في كتابه بقوله مما ذكره مشاهير الايمة لانهم يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم ترو لغيرهم وحذفنا اي تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر لما تنزيل ذكر غيره منزلة ذكره او لجعله لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف اخص من الترك الاسناد اراد به السند تسمحا تسامحا وهو رواة الحديث او هو بمعناه الحقيقي في جمهورها اي معظم الاحاديث واكثرها وقد يورد الحديث مسندا طلبا للاختصار وعدم التطويل وهو مفعول لاجله وبحسب هذا الباب المذكور فيه المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كافي او كفاية وهو مبتدا مجرور بالبا الزايدة وخبره ان يكون الاتي اي يكفيه في شرفه والعلم بكثرة ما ورد فيه عن ذكره واستقصايه وهو في المعنى تعليل ثان لاختصاره الا ان العبارة لا تخلو من الخرازة لو تقصى مبنى للمجهول بقاف وصاد مهملة اي استوفي وبلغ اقصاه ولغايته وضبطه بعضهم بفا بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التفصي التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع وخلص من مظانه تكلف لاحتمل ان يكون ديوانا اي كتابا مستقلا مدونا جامعا لما فيه وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها يشتمل على مجلدات عدة اي كتب من شانها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من ساير معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام اي من بقيتها او جميعها بوجهين احدهما كثرتها وشهرتها لان الكثرة تستلزم الشهرة تنبيه قال التلمساني مجلدات جمع مجلدة وهي الكتب الكثيرة وهي عبارة فقهية مولدة ولا وجه له لان المجلد ما عليه جلد كما في القاموس وفي رسالة المجلد لابي العلا المعري المجلد لا يزال فيما غبر من الزمان تقتنيه مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز

هل انت كماسل المعتمل • مجلد ينكشف عن مخض الابل •

انتهى فقد اثبت ذلك وناهيك به من امام في اللغة فان اراد تخصيصها بالكتب الفقهية والكتاب المتردد في كلام العرب فهو مجاز لا يتوقف على السماع والمجلد يكون بمعنى الصبر وتظرف بعض المتاخرين في قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر جلده • وما احد في دهره بمخلد •

اذا عاينت كتبي لفقد بسمه جلده • يقولون لا تهلك اسى وتجلد •

وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها اي من نوعها مساوية لها او مقاربة في الاعجاز او ما هو ابلغ منها ابلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقران العظيم فانه ابلغ معجزة اوتيت فان معناها هنا اعظم واقوى وليس مفيدا بالقران لان بلوغ الشي وصوله لغايته ومنتهاه او هو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما يقولونه بهذا المعنى والمعجزة هنا في سياق النفي فتعم وتفيد الكثرة والخارق للعادة اذا اعظم من شانه الشهرة والظهور فلا يرد عليه انه كان ينبغي ان يقول اظهر وانه لا يلزم

دجي

دجي

هذا التنبيه جميعه مقدم على قوله ومعجزات نبينا الخ

ابن اقبرس

مما ذكره الطهوري الذي ادعاه وقد نبه الناس على ذلك اي تنبيه علما الحديث والاثار وفصلوه
في كتبهم كابن المنير في كتاب المقتفي فان اردته اي اردت معرفته والوقوف على ما بينوه
فتامل فصول هذا الباب اي اعد النظر فيه وتامل وتدبر معانيه ومعجزات من تقدم
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام تقف بحذو مر في حواب الامر على ذلك ان شا الله
تعالى والوقوف في الاصل القيام بحو وابه عن المعرفة وهو مجاز مشهور بقران
لبعض الشراح ذكر هنا امورا شرفه الله بها لغيره من الانبيا لا مساس لها بالمعجزات
تركناها ولم نطول بذكرها واما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز وفي بعض النسخ
وكله معجز بالواو فالتقدير فهذا القران موجود معروف وجميع اجزائه معجزة
فناهيك به كثرة ثم شرع في بيان المقدار الذي يقع به الاعجاز فقال واقل ما يقع
الاعجاز فيه عند بعض ايمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر وهي اقصر سورة
في القران او اية بقدرها اي مساوية لها في الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبر
اقل وفي نسخة بسورة بالجر وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت طويلة
بمقدار سورة ام لا معجزة وزاد بعضهم وفي نسخة اخرون اي ترقى عن هذا المقدار
الى ان كل جملة منتظمة منه اي مفيدة تامة معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين
فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهي كلمة قلت تكون فيها مقدر كمدهامتان
ونحوها فتامل وليس هذا مبنيا على ان الاعجاز بالصرفة كما قيل والحق ما ذكرناه
اولا من ان المعجز اقصر سورة او مقدارها لقوله تعالى فاتوا بسورة اي سورة كائنة
من مثله في الاعجاز والضمير للقران او للنبي صلى الله عليه وسلم كما في الكشاف
وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه ليس فيه
التعرض للدليل على مدعاه هو اي ما ذكر اقل ما تحداهم الله والرسول صلى الله
عليه وسلم به اي طلب منهم معارضته مع ما ينصر هذا القول المذكور اولا اي
يقويه ويؤيده من نظر اي فكر وتدبر وتحقيق يطول بسطه ببيان الحق
بالادلة والبراهين القاطعة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة كل مقام وما احتوى
عليه من الجزالة واللطافة التي تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته فقال
فاتوا بكتاب من عند الله ثم تحداهم ببعض سور فقال فاتوا بعشر سور مثله
ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بتحدٍّ ارخا عنان التكليف والحاصل ان الكلام
اللفظي الذي وقع التحدي به لا النفسي فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح
اختلفوا في مقدار معجز فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القران ويرد بالايتين
المذكورتين وقال القاضي يتعلق بسورة طويلة او قصيرة لظاهر الاية
وقال في موضع بها او بمقدارها قالوا ولم يقل ذلك ليدل على العجز عن اقل من
هذا العدد وقيل لا يحصل العجز الا بايات كثيرة وقيل قليلة وكثيرة
معجز لقوله فلياتوا بحديث مثله فاذا كان هذا اي ثبت ان ما تحداهم به هذا
المقدار الاقل ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف
اي وزيادة على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد
وكلما زاد على عقد حتى يبلغ ما بعده فهو نيف على عدد بعضهم اي هكذا

مقدار

موضي ودلجي

دلجي

ردعلي ابن افرس

مقدار عند بعض دون غيره فانه كما قال الداني رحمه الله سبعة وسبعون بالتا
الفوقية الفا واربعماية وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلاثماية الف وثلاثة وعشرون الفا
وقيل ثلاثماية الف واحد وعشرون الفا وخمسماية وثلاثة وثلاثون حرفا وقيل
انه الصواب لا ما ذكره المص وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه بلفظة غير وارد عند
من انصف ولهم في عدده اختلاف وقيل لان الكلمة والحرف لهما اطلاقات وقول
السخاوي لا فائدة في عدد حروفه لانه لا يقبل زيادة ولا نقصا لا وجه له
غير الكسل وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزي القران بسبعة
المقدر وفي نسخة فتجزى بالمضارع المجهول واخره مهموز ويجوز ابداله الفا
اي بان تعد عشر ايات عشرة اجزا على نسبة انا اعطيناك الكوثر اي على مقدارها
وانما زاد نسبة ليشمل اية واحدة بمقدارها كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار
ومعناها الحقيقي لغة واصطلاحا مشهور ازيد بالرفع خبر تجزي المقدر
وبالنصب ان كان فعلا اي يجزى به ازيدا ويكون ازيد من سبعة الاف جز كل واحد
منها معجز في نفسه اي بقطع النظر عن غيره ففيه ازيد من سبع الف معجزة وهذا
مبني على ما تقدم من العدد ثم اعجازه اي القران كما تقدم من ذكر الاختلاف
في مقداره بوجهين الاول بلاغته اي ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق
اللفظ مقتضى الحال والثاني طريق نظمه اي اسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره
من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله واتيان كل كلمة منه ما استحقه
وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقاربه لا يمله
وان كرره كما لا يخفى على من تامله حق التامل ونظر فيه بعين الايمان فصار
في كل جز من هذا العدد المذكور الفا معجزتان من جهة بلاغته ومن جهة نظمه
فتضاعف العدد اي عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل او مضارع من
المفاعلة من هذا الوجه اي من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كلما انه
معجزة صار فيه من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى قال ابن عطية رحمه الله الصحيح
الذي عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه
لانه عز وجل احاط بكل شي علما وبكل كلام فاتى في كلامه بما لا يحيط به علم غيره
وقدرته ولهذا ابطل القول بالصرفة ثم فيه وجوه اعجاز اخر غير ما ذكر من
الطريقين من الاخبار بعلوم الغيب ببيان لوجوه اي الامور الغيبية مما وقع
او سيقع فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية اي الاجزا المذكورة
المضاعفة من جهتي الاعجاز الخبر اي الاخبار عن اشيا من الغيب اي الامور
المغيبة عن علمنا كل خبر منها بنفسه معجز اي باعتبار اخباره عن الغيب
وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز فتضاعف بصيغة الماضي
والمضارع كما مر العدد المذكور اي العدد المضاعف لقوله كرة اخرى
اي بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد
الفر ومنه الكرار قال امرؤ القيس مكر مفر مقبل مدبر معا ثم وجوه
الاعجاز الاخر التي ذكرناها وهي ذكر المغيبات توجب التضعيف والزيادة

تلمساني

كقصة موسى وهارون وفرعون وهامان وقارون [illegible] علي القاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي مَا لايكاد يحصى كثرة هذا في حق القرآن دون غيره من المعجزات التي تزيد على معجزات
سائر الانبيا فلا يكاد ياخذ العد معجزاته وفي نسخة العدد وهنا بمعنى والمراد بالاخذ
الاحاطة مجازا بليغا كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم اي لا يغلبه ذلك اي لا يحيط
بها العدد لكثرتها او هو مبالغة ولذا قال لا يكاد ولم يقل لا يعد ولا يحوي
الحصر اي الاحاطة براهينه اي براهين الاعجاز لان كل جزء فيه معجزة قاطعة
البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية اراد بيانها بالنقلية
فقال ثم الاحاديث النبوية الواردة في الروايات الصحيحة والاخبار الصادقة
عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب اي ابواب اعجاز القرآن والتحدي
به او ابواب معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يؤيده قوله وعن ما دل
على امره اي نبوته وعلو شانه مما اشرنا فيما سبق من هذا الكتاب الى جملة منه
وفي نسخة الى جمل يبلغ نحوا اي قريبا من هذا المقدار الكثير الوجه الثاني من
وجوه ظهور معجزاته وشهرتها وانها اظهر من معجزات سائر الرسل قبله وضوح
معجزاته اي شهرتها بحيث لا تجهل وهذا عين ظهورها او مستلزم له والمراد به
شدة ايضاحها بحيث لا تخفى على احد غير اعمى البصيرة والنظر وانها لا يرتاب فيها
عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازدياد شهرتها في كل عصر كالشمس في رابعة
النهار وهذا انما يدل على اظهريتها لا لانه ظاهر لا عينها فسقط ما قيل
ان المدعى ان معجزاته اظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة لا
للاستدلال على الشيء بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذي
قبله الا ان بقاء المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيامة فيكون المراد
الزيادة في الوضوح لهذا الاعتبار وان كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه
خلط وخبط لا يخفى وقد اشار الى ما ذكرناه المص بتفسيره بقوله فان معجزات
الرسل كانت بقدر هِمَم اهل زمانهم اي همتهم فيما يهتمون به ويعتنون
وتحسب بفتح الحاء والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى
المقدار والعدد اي النوع الذي سما اي اشتهر وعلا مقداره بينهم لاعتنائهم به
فيه قرنه بفتح القاف وسكون الرا اي عصره والمراد به اهله مجازا او بتقدير
مضاف والقرن الزمن المقترن فيه اعمارهم واحوالهم واختلف في مقداره
هل هو مائة سنة او ثمانون او اقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله فلما كان زمان
موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام اي زمن بعثته ونبوته غاية
علم اهله اي اهمه واعظمه عندهم السحر وهو معروف وتقدم الكلام عليه
بعث اليهم معجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه ولبست منه للفرق بين السحر
والمعجزة فجاءهم موسى عليه الصلاة والسلام منها على يد ما خرق عادتهم
اي خالف ما يعتادونه ويشهد عليهم فعله واصل الخرق ابانة جسم من
اخر فقيل لما ذكر لخرقه الاجماع اي مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية
وذلك كقلب العصا حية واليد البيضاء من غير سوء ولم يكن ما جا به في قدرتهم
اي لا يقدرون عليه فيدخل في جملة مقدوراتهم وقد بطل سحرهم بما غاظهم

به

به وهي حبال سحرية حيث ألقى ما قصه الله في كتابه العزيز وفي نسخة وابطل بدون قد
فهو معطوف على جاءهم وكذلك اي كزمن موسى عليه الصلاة والسلام زمن
عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم اعني ما كان الطب اي اعظم ما كان في عصره وعهد
رسالته علمه والطب في اللغة معناه العادة والسحر وفي العرف علم يعرف به احوال
الانسان من حيث الصحة والسقم واعني افعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغنا
وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية اي اكثر مشقة وتعبا وقيل
انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره في كلامهم
لتفسيره بانهي والطب مثلث الطا مشددا لبا واوفر ما كان اهله اي اهل الطب
وعلماؤه اي اكثر ما كان في زمنهم فجاءهم على يد عيسى عليه الصلاة والسلام امر
لا يقدرون عليه بواسطة علمهم بالطب فانهم لا يقدرون على ازالة الامراض
المزمنة والخلقية وقدرتهم في الاكثر على حفظ الصحة وكم مرض اعيى الطبيب
المداويا واتاهم ما لم يحتسبوه اي ما لم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم وما لم
يترقبوه وجعل امر وما فاعل ولم يقل اتاهم بامر وبما وهو الظاهر اشارة
الى انه من عند الله من غير صنع وحيلة وفي نسخة يحتسبوه اي يظنوه ويقدروه
قيل ويجوز فيه ضم اليا اي ينكرونه وهو بعيد لفظا لا معنى من احيا الميت
بتخفيف اليا وتشديدها وابرا الاكمه اي الذي ولد اعمى مطموس العين اي فتح
عينه حتى يبصر والابرص وهو الذي فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى
بهقا من دون معالجة المعالجة المداواة وعند الاطبا مداواة الامراض بعد
تشخيصها وطب المراد به هنا المعنى المصدري اي اعطا الدوا وانما كان مداوا
عيسى عليه الصلاة والسلام بالدعا والتوجه الى الله وكان يجتمع عنده من
المرضى العدد الكثير ومن لم يقدر على المجي اليه يذهب بنفسه اليه وكان
اطبا عصره لا يقدرون على ما ذكر فلذا كان معجزة له صلى الله عليه وسلم تنبيه
قال البخاري في تفسير الاكمه انه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى
وقال السهيلي انه مفقود فيه فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشى وانما
الاكمه من ولد اعمى وهكذا اي مثل ما ذكر سائر معجزات الانبياء انها كانت
بمقدار علم اهل زمانهم وما يهتمون به من الاحوال والعلوم ثم ان الله
تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب جمع معرفة بمعنى
المعروف عندهم لا جمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل وعلومها اي ما يعلمونه
من الجزئيات والكليات اربعة انواع البلاغة اي الملكة والجبلة التي يعرفون
بها تادية الكلام حقه في كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها
والشعر الكلام الموزون المقفى والخبر عمن سلف وما لهم من الوقائع والايام
والانساب والمنازل والكهانة بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته
وهي معاناة علم المغيبات بتلقيها عن الجن كما مر فانزل عليه القرآن اي
انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ما يناسب قرنه واهل عصره المعنى القرآن
اي كلامه الموحى اليه الخارق اي المخالف لهذه الاربعة وفصوله اي الانواع المذكورة

وجملة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهي البلاغة وما معهما في جمع فصل وهو النوع المشتمل المنفصل المتميز عن غيره من
الفصاحة وهي خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما بيّنته من فتح بمعنى خلص ويشمل
البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارئ في علم المعاني ومعناهما عندهم تغني عن البيان
لشهرته والايجاز اي اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة
ولم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر ونكات الايجاز اكثر واعظم نواهم
عندهم والبلاغة وقيدها بقوله الخارجة عن نمط كلامهم اي كلام العرب بدخولها
في الفصاحة كما مر والنمط بمعنى الجنس والطريقة اي لا بعرفون مثل بلاغته لخروجها
عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه في مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من
الناس امرهم واحد فاستعير لما ذكر اي نوعه وطريقته ومن النظم اي تاليف
الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم
شعرا الغريب اي الذي لم يعهده البلغا في كلامهم والاسلوب اي الطريق العجيب
اي الذي يتعجب منه سامعه ويعجبه ويستحسنه الذي لم يهتدوا اي لم يصلوا
ولم يقدروا في المنظوم اي المؤلف من كلامهم الى طريقه فضلا عن الاهتدا اليه
نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذي هو نسيج وحده ولا علموا في
اساليب كلام مطلقا او المنثور من خطبهم واسجاعهم والاوزان الشعرية
المؤلفة على نحوه منهجه اي طريقه ومن الاخبار بكسر الهمزة ويجوز فتحها
جمع خبر عن الكوائن اي عما سيكون في المستقبل من المغيبات جمع كائن وهو معطوف
على قوله من النظم واعاد من لانه نوع اخر من الاعجاز ولطول الفصل بينهما
كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا والحوادث اي ما يحدث في المستقبل ايضا
والاسرار اي ما استروه في انفسهم كقوله تعالى في قصة ازواجه صلى الله عليه
وسلم واظهره الله عليه والخبيات اي ما اخفوه عنه فاطلعه الله عليه والضما
اي ما اضمروه في انفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله فتوجد تلك
الامور المخبر عنها وما استر واخفي عنه على ما كانت عليه ذاتا وصفة مطابقة
لما قاله ويعترف ويقر المخبر بفتح البا اسم مفعول اي من اخبره الرسول بما
اطلعه الله عليه عنها بصحة ذلك الخبر الذي اخبره به وصدقه بمطابقته
للواقع وان كان المخبر بالفتح اعدا العدو اي اقوى اعدايه واشدهم عداوة
له صلى الله عليه وسلم فاعدا افعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف
القياس والعدو بمعنى الاعدا لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى من
قوم عدو لكم اي مع شدة عداوته لا يمكنه انكاره هربا من وصمة التكذيب لظهور
صدقه فابطل القران او النبي صلى الله عليه وسلم الكهانة بفتح الكاف مصدر
وبكسرها اسم عنه وحرفته كما مر والرواية هنا الكسر لانه الانسب التي تصدق
مرة وتكذب عشرا صفة الكهانة اي التي كذبها اكثر من صدقها كما ورد في الحديث
انه تعالى كان اذا قضى امرا في السما سبحت حملة العرش ثم اهل كل سما حتى
ينتهي الى السما الدنيا فتستخبر اهل كل سما من فوقهم حتى ينتهي الخبر
الى اهل هذه السما فتخطفه منهم الجن ويزيدون فيه من عندهم ما يزيدون

من اكاذيبهم

تلمساني

من اكاذيبهم وبما فسرناه ظهر سقوط ما قيل صوابه مايه بدل قوله عشرا لانه ورد في الحديث
يكذب مايه او اكثر من مايه ثم اجتثها بجيم ومثناه فوقية ومثلثة والضمير للكهانة
اي قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه ابلغ مما قبله والجث نبتة واصل معناه نزع الشي
ونحوه بعروقه واصوله كقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وفيه استعارة
مرشحة بقوله من اصلها وان كان المراد به ازالتها بالكلية برمي الشهب بضم الها وسكونها
جمع شهاب اي رمي الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلقي الكهنة والمراد
زيادة الرمي وكثرته فان كان قبل كما مر وفي نسخة رجم بدل رمي ورصد النجوم
رصد بسكون الصاد المهملة رصده يرصده اذا ترقبه واعد له ما يمنعه ويحجبه
فتحها ويكون واحدا وجمعا للراصد كخدم بمعنى امنا فه الصفة لموصوف وهنا اي النجوم
المرصدة اي المعدة لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم او شعل نار تنفصل منها
وارتضاه كثيرون فرصدها لانها سببا لما يمنعهم وجا في القران من الاخبار عن
القرون والامم السالفة اي الماضية قديما وانبا جمع نبا وهو الخبر الانبيا والامم
البائدة اي الهالكة الفانية في الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلكت وفي الحديث
الجنة لا تبيد ابدا اي لا تهلك ولا تموت اهلها والحوادث اي الامور الواقعة من خير
وشر في الازمان السالفة الماضية قبل ذلك ما يعجز من تفرغ لهذا العلم اي العلم بالانبا
وتواريخ الامم عن بعضه اي عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جا ومن
فاعل يعجز على الوجوه التي بسطناها اي جامعينا على وجوه تقدمت مفصلة وبينا
المعجز فيها اي اوضحنا المعجزات فيها بما اغنى عن اعادته ثم بعثت هذه المعجزة اي
القران وفي نسخة المعجزات باعتبار وجوه الاعجاز الجامعة لهذه الوجوه اي وجوه
الاعجاز المذكورة انفا المضمومة الى الفصول الاخر يعني الاربعة المتقدمة التي
ذكرنا في معجزات القران ثابتة الى يوم القيامة لا تتبدل ولا تتغير ولا تذهب بقاها
الله بينة الحجة اي ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله عليه وسلم لكل امة
تاتي بعد نزول القران جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر لا يخفى وجوه ذلك الاعجاز
الذي ذكرا ولا على من نظر فيه اي من نظر في القران بتلاوته او سماعه وتامل وجوه
اعجازه اي اطال النظر فيها وكرره وهو من الامل تفعل بحوره به ماذكر لترقبا لامل
وامتداده الى ما اخبر به من الغيوب اي مع ما اخبر به من المغيبات على هذا السبيل
والطريق المذكور فلا يمر عصر ولا زمن اي بحيث كالمار على اهله وليس المراد به ينقضي
لنزوله الا ويظهر فيه صدقه اي صدق القران او النبي صلى الله عليه وسلم بظهور
مخبره بفتح البا اي ما اخبر به او خبره على ما اخبر كاينا متحققا على وفق خبره
او باقيا على حاله في وجوه المجاز السابقة اي اخبر به نحو مبني للفاعل فيتجدد
الايمان به كل ما ظهر امر جديد مصدق له بوقوع ما فيه ويتظاهر البرهان اي
بقوي الدليل ويزيد قوة واصل التظاهر المعاونة والمساعدة كانه يستند
لظهيره وليس الخبر كالعيان وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين
وهو مثل وورد في الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب
بقطع النظر عن قايله فاذا شوهد معناه بان المراد واطمان الفؤاد ولذا قال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي كما قيل ● ولكن للعيان لطيف معنى ● له سال المعاينة الكليم
وللمشاهدة تحس النفس زيادة في اليقين الذي كان بالبرهان القاطع والنفس اشد
طمانينة الطمانينة والاطمينان السكون بعد الانزعاج الى عين اليقين اي الى ما
يتيقن بالمعاينة والمشاهدة منها اي من طمانينتها الى علم اليقين اي العلم المتيقن
بالبرهان القاطع فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين وان كان كل
من عين اليقين وعلم اليقين عندها اي عند النفس وفي علمها فان عند يكون
بمعنى العلم كما فسر عند الله بعلمه تارة وحكمه اخرى حقا اي متحققا ثابتا بلا
مرية لكن الاول اقوى وفيه اشارة الى الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق
اليقين وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل والاول ضروري وغيره نظري وسائر
معجزات الرسل قد مرت وفصلنا في شرح الدرة ان لفظ سائر ورد بمعنى الباقي من
السؤر المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من الكوالثاني كالجبري
وغيره لم يلبث انقرضت بانقراضهم اي انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم وبعد
تعدد وجودها وعدم مبني للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه بمعنى اعدمه
وعدم بزنة كرم لعدم بفتحتين او بضم فسكون ذ والها اي الرسل وفي نسخة
ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفي ثبوتها في اللغة كلام تقدم وبانها والمعروف
انه بمعنى صاحبة مونث ذو المشهور في العربية اي تلك المعجزات تعدم فتنقرض
وان علم ثبوتها لكونها امر غير موبد ومعنى عدم ذوات الانبيا ذهابها من الدنيا
وعن الحس وان كانت باقية في البرزخ احيا لا يموتون كما في حديث الاسرا
والاجتماع بالانبيا ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم يعني القران لا تبيد
اي لا تفنى وتعدم ولا تنقطع اي تذهب بالكلية واياته اي معجزاته صلى الله
عليه وسلم التي تضمنها القران تتجدد ولا تضمحل بالضاد المعجمة والميم والحا
المهملة واللام المشددة اي لا تنحل وتفنى كاضمحلال السحاب اذا انقشع ●
ولهذا المذكور من بقا معجزته صلى الله عليه وسلم اشار صلى الله عليه وسلم
بقوله في حديث صحيح رواه البخاري رحمه الله والاشارة هنا بمعنى التصريح
او عبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحي الاتي اعم من القران فيحتمل ان
المراد به احكام شريعته الباقية الى يوم القيامة والظاهر ان المشار اليه ما مر
من ان القران فيه معجزات لا تحصى وليس نص في الحديث كما ستبينه فيما
حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي بن سكرة وقد مرت ترجمته قال حدثنا القاضي
ابو الوليد تقدم ايضا قال حدثنا ابو ذر الهروي وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد
ابن حموية السرخسي وقد تقدم وابو اسحاق المستملي كما تقدم وابو الهيثم
الكشميهني كما تقدم قالوا حدثنا الفربري راوي صحيح البخاري وقد تقدم
ضبط نسبته قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبد العزيز
ابن عبد الله العامري الاويسي الفقيه الحافظ الثقة وترجمته في الميزان
قال حدثنا الليث تقدمت ترجمته عن سعيد المعروف بالمقبري عن ابيه
كيسان ابو سعيد المقبري نسبة للمقابر لانه كان يتولى حفرها وهو مولى

اي ابن سعد

بني

بني ليث روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائة في خلافة الوليد وهو ثقة عن
ابي هريرة رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر وفي اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما مر
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي وما
ذكره المص لفظ البخاري قال ما من الانبيا تقديره ما من نبي من الانبيا الا اعطي بالبنا
للمجهول اي الا اعطاه الله من الايات اي المعجزات الظاهرة ما مثله ما موصولة
او موصوفة امن بالمد ماض اي صدق عليه البشر على تغليبية كما في قوله تعالى
على ما هدى اكم او تقديره مستقرا عليه البشر يعني اهل عصره وانما كان الذي اوتيت
من الايات والمعجزات وحيا اوحاه الله الي يعني القران المعجز المتحدى به لدوام نبوته عليه
فقوله فارجو من الله بما اكرمني به من المعجزة المشتملة على معجزات لا تتناهى الباقية
الى يوم القيامة التي ليست كمعجزة غيري تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها في كل امة ما لا
يحصى فلذا رجوت ان اكون ذ واني اكثرهم تبعا اي امة يوم القيامة اذا حشرت الامم
مع انبيائها هذا معنى هذا الحديث عند بعضهم ممن فسره وهو المراد منه ففيه اشارة
الى كثرة ما فيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم القيامة لا يقبل نسخا ولا
تبديلا ولا يبلى كغيره من الكتب والمعجزات ومثله المتقدم المراد به نفسه كما في قولهم
مثلك لا يبخل وعليه التفضيل كما مر وعين لها لما فيها من الدلالة على الاستعلا بالقهر
والغلبة الملزم لهم بالايمان به وقال انما مع كثرة ما له من المعجزات اشارة الى انه اعظم
معجزاته والعرب قد تخص الشي في فرد كامل منه بادعا ان ما عداه لا يعد معه لكونا
عن غيره وقد حقق الله رجاه صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر من معنى الحديث
والصحيح ان شا الله وقد تقدم هذا الحديث مشروحا فيما مر اشار الى ان فيه وجوها
اخر بقوله وذهب غير واحد اي كثير من العلما اي علما الحديث في تاويل هذا الحديث
اي تفسيره وبيان ما يؤول اليه وعبر بالتاويل اشارة الى انه خلاف الظاهر بعد
ما صرح به وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اي في بيان وجه ظهورها
الى معنى اخر غير ما ارتضاه من ظهورها اي بيان ظهورها بكونها اي هذه المعجزة
الباهرة وحيا اي كلاما موحى اليه من الله فقوله وكلاما عطف تفسير لان الوحي
يجي المعنى المصدري مرتبي وجه الظهور على هذا فقال لا يمكن لاحد من نبكه
التخيل فيه بفعل من الخيال بالخا المعجمة وفي نسخة التخييل بالتفعيل منه
والاولى انسب بقوله ولا التحيل عليه بالحا المهملة لانه كلام بليغ دال على معنا
وما قصد به دلالته عن المعنى لا يمكن المعاند عليه ان يقول انه تخيل وتمويه
لا اصل له ولا ان يعمل حيلة في الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة
والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه ● والتشبيه به فان غيرها
اي غير المعجزة القرانية من معجزات الرسل كلها قد رامها اي قصد وطلب المعاندون
اي المنكرون لها عنادا بانيا متعلق برام طمعوا اي توهموا تحصيل كالمتوهم لقربه منه
معنى في التخيل والتمويه بها باظهار ما لا حقيقة له على الضعفا المراد بهم العامة
الذين ضعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم كالقا السحرة
عند فرعون جمع ساحر حبالهم وعصيهم جمع حبل وعصا لابطال معجزة عصى

مغ

بينه

صح
وما قصد به ذلك

موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصا موسى عليه الصلاة والسلام ما القوه وابطلته علموا انها معجزة فامنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيا وشبه هذا المذكور في قصة موسى مما يخيله بالمعجمة اي يلبس به ويموه الساحر او يخيل فيه بالحا المهملة اي ياتي به حيلة منه غير واقعة ثم اشار الى ان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تشتبه بما ذكر بقوله والقران كلام من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله ليس للحيلة مما لا يقدر عليه ولا للسحر في التخييل فيه بان يعمل بقوة السحر ما يؤثر في شخص لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة او شعرا عمل اي تاثيرا كما عرفته انفا فان ساحرا لو اتى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ثم سحره بجميع انواع سحر لا يمكنه ان يقوم في ناد منشدا او خطيبا فانه امر جبلي لا يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فتجد الجلف الاعرابي يتكلم بكلام عند اعقل الناس واظرفهم لا يمكنه ان ياتي بشي منه ولهذا اعلم ان الكلام لا يكون بحيلة ولا سحر فما بالك بكلام افحم جميع الفصحا منه واخرس السنة البلغا وهو المراد بقوله فكان القران من حيث كونه كلاما من هذا الحيز اي من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات الاعجاز عندهم اي عند المنتسبين لهذا الحذق بما ذكرنا ابين اظهر من غيره من المعجزات لعدم قبول التخييل والتمويه كما لا يتم اي يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل الاعمال بخواتيمها او باواخرها لشاعر يتكلم بالمنظوم ولا خطيب يتكلم بالمنثور ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب اي بشي ونوع من الحيل جمع حيلة والتمويه اي التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من قولهم موه النحاس بذهب او فضة لتوهم من راه انه ذهب او فضة وهو في الاصل من الما يذاب فيصير كالما ثم يطلى به ويقول العامة لما به ما الذهب وما الفضة وصيغة فعل تكون للتشبيه كثيرا فانكار اهل المعاني لقوله الف مسرج بمعنى كالسراج في البريق واللمعان لا وجه له كما مر والتاويل اي التفسير الاول الذي قال انه الظاهر الصحيح اخلص افعل تفضيل من خلص بخا معجمة ولام وصاد مهملة اي اصفا من الكدر اي الاشكال قال في المغرب الخلوص الصفا ويستعار للوصول انتهى او هو بمعنى احود او من الخلاص بمعنى النجاة والسلامة وارضى افعل تفضيل من الرضى اي اكثر رضى وقبولا عند العقول السليمة وفي هذا التاويل الثاني الذي ذهب اليه غيره من علما الحديث ما يغمض بالبنا للمجهول وتشديد الميم وقيل بضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطا العين ومعنى يغمض عليه الجفن انه يغمض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه ولا يعتنى به او هو كالقذى في العين الذي يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض ويغضى بغين وضاد معجمتين والفعل مبني للمجهول لاجل قافية السجع من اغضى الجفن اذا اطبقه او بمعنى سكت وهو قريب مما قبله قيل جعله رجوعا لما فيه من ان معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه وجوه اخر وجهنا لك في اعجاز القران وانه اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم على مذهب من قال بالصرفة اي ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من

معارضته

معارضته مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان بمثله لولا ما ذكر واليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة وان المعارضة له والاتيان بمثله كانت في قدرة البشر فصرفوا عنها اما بسلب قدرتهم ودواعيهم او بسبب علمهم بتاليف كلام مثله وتمكنهم منه او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم على الاتيان بكلام من جنسه اي بما هو في قدرتهم متمكنون منه ولكن لم يكن ذلك قبل بالبنا على الضم اي قبل ظهوره ولا يكون بعد بالضم وقيل المراد قبل التحدي وبعده لان الله لم يقدرهم بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها اي لم يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله ولا يقدرهم عليه بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله اشار الى الفرق بينهما بقوله وبين المذهبين اي مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده فرق بين بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع انه من جنس مقدورهم ومثله في الجملة وليس هذا النوع من الصرفة وذهب اليه بعض اهل السنة كما توهم وهو عجيب من قائله فتدبر وعليهما جميعا اي على هذين القولين فترك العرب الفصحا على المذهب الاول الاتيان بما في مقدورهم اي قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله او مثل بعضه كاقصر سورة منه او تركهم على الثاني ما هو من جنس مقدورهم اي من جنس كلامهم البليغ الذي يقدرون عليه ورضاهم اي اختيارهم بالبلا اي بما ابتلوا به لعنادهم والجلا بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلا وهو اخراجهم من ديارهم واوطانهم والسبا بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبي اولادهم واهليهم واسترقاقهم والاذلال لانفسهم واهليهم وتغيير الحال التي كانوا عليها من العزة والشهامة وسلب النفوس بالقتل والفتك فيهم والاموال باخذ الغنائم منهم والتقريع باللوم والزجر والتعيير والتوبيخ بذمهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل والتعجيز باظهار عجزهم بالتحدي والتهديد لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والاخرة والوعيد بما يقع بهم ان لم يؤمنوا ابين اية اي اظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب للعجز عن الاتيان بمثله اي بمثل القران في فصاحته واعجازه والنكول وهو النكوص اي الرجوع والاعراض عن معارضة اي الاتيان بمثله وانهم منعوا من شي هو من جنس مقدورهم اي كلامهم الذي يقدرون عليه لا من نوعه المشابه له من جميع الوجوه والى هذا المذهب وهو انهم قادرون على شي من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة فهذا هو الفرق بين القولين ذهب اي اختاره مذهبا الامام ابو المعالي الجويني منسوب الى جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام اهل السنة عربا وعجما فرد الامة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري الشافعي امام الحرمين اعلم ائمة الشافعية هو ووالده ولد في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة في الخامس والعشرين من ربيع الاخر وغيره من اهل السنة قال ابو المعالي وهذا الاعجاز عندنا ابلغ اي اقوى واكثر مبالغة في خرق العادة بالافعال

قبلي

عوضي

نفي

شبكة الألوكة www.alukah.net

الذريعة اي المبتدعة الغريبة في انفسها اي في حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة
وفي نسخة في انفسنا وهو متعلق بابلغ كقلب العصا حية لموسى عليه الصلاة والسلام
وكانت من شجر اللوز وفيها معجزات كانت تثمر له وتنثني وينتفع بها الى غير ذلك مما
فصلوه ونحوها كاليد البيضا وابرا الابرص والاكمه واحيا الموتى فانه اي الامر
والشان او كونها ابلغ قد يسبق الى بال الناظر فيها وفكره وخاطره بدارا اي مبادرا
بسرعة في اول نظره اذ ذلك الامر البديع الخارق للعادة نشا من اختصاص صاحب
ذلك الامر الذي ظهر على يديه بمزية معرفة اي بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم
يقدر عليها في ذلك الفن اي النوع الذي كان يعتني به اهل زمانه وفضل علم به
واحواله الى ان يرد ذلك الخاطر الذي سبق لفهمه صحيح النظر بالتامل والتدبر
فيه حتى يعلم اعجاز نوعي ابلغيته وقوته بقوله واما التحدي اي طلب معارضة
الكلام وتقدم انه مشتق من الحدا لتقابل الحداة في حدائهم للابل [illegible] خليقة
بمعنى خلق مئين بكسر الميم جمع مائة من السنين في عصر النبوة وبعده الى غير النهاية
بكلام من جنس كلامهم المعتاد لهم ليأتوا بمثله علة للتحدي فلم ياتوا اي لم يقدروا
على مثله وهم فحول البلاغة وقد تحدوا وعيروا على رؤس الاشهاد ولم يبق بعد
توفر الدواعي اي كثرة ما يدعوهم لمعارضته ويحثهم عليها من الحمية الجاهلية
على المعارضة ثم عدمها اي المعارضة مع كثرة دواعيها الا ان منع الله الخلق
عنها بالصرفة او بعدم القدرة على نوعه دون جنسه فيصدق على المذهبين
وفي نسخة الا منع الله الخ بمثابة اي هذا المنع بمثابة واصل المثابة المكان
الذي يرجع الناس اليه او يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما اشار اليه
الراغب وقيل اصله مبلغ جموم البئر والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح
الفقها على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو ما لو قال ابني ومعجزتي انه
يمنع الله القيام على الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم بانه لا
يكونوا مقعدين وهو بيان لمقدرتهم على القيام والمقعد بضم الدال وفتحها
كما تقدم فلو كان ذلك اي عدم قيامهم وعجزهم بتشديد الجيم اي جعلهم الله
عاجزين عنه لكان ذلك من ابهر اية اي اقوى معجزة واظهر دلالة على نبوته
وبالله التوفيق فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه
واختلافهم من اخر وقد غاب عن بعض العلما اي خفي عليهم لان من شان الغائب
ان يخفى فاريد به لازمه ظهور ايته صلى الله عليه وسلم ولتضمنه معنى العلو
قال على سائر ايات الانبيا الذين سلفوا قبله حتى احتاج للعذر عن ذلك اي
عن كون معجزته اظهر من معجزات غيره مع ان احيا الموتى ونحوه من ايات الانبيا
قد يتوهم انه اقوى واظهر بدقة افهام العرب اصل معنى الدقة كون الشي دقيقا
ثم استعير للوقوف على ما خفي من الامور وذكا البابها جمع لب وهو العقل
الخالص والذكا قوة للذهن تقتضي سرعة الانتقال ووفور عقولها الوفور
من الوفر وهي الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة
يعني ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضر تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر

كانوهم

٧٩

كانوهم مع انه لا يرد على المص لانه حكاه عن غيره ولانهم لما خصوا به من الذكا والفطنة
ادركوا المعجز فيه اي في القران لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن
نظمه واتساقه بفطنتهم اي قوة ذكائهم وجاهم من ذلك اي يحصل في نفوسهم
من معرفة اعجازه وظهوره على غيره بحسب ادراكهم بفتح السين اي حصل منه على مقدار
ادراكهم وقوته وغيرهم من الامم من القبط وغيرهم القبط بكسر القاف جيل من
الناس كانوا قوم فرعون بمصر وبني اسرائيل اولاد يعقوب بن ابراهيم واسرائيل
لقب يعقوب لم يكونوا بهذه السبيل اصل معناه الطريق وهو هنا كناية عن
عدم ادراكهم وفهمهم كالعرب ونفي سبيل الشي ابلغ من نفيه بل كانوا من
الغباوة وقلة الفطنة الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه
عطف تفسير ورجل غبي جاهل قال

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم حيث ظرف مكان وهو خبر كان اي بلغت غباوتهم
ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا بالنسبة للقبط وجوز
عليهم السامري وهو رجل من بني اسرائيل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل
اسمه سامر ذلك في العجل اي انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر بعد ايمانهم
بالله فاضلهم السامري وكان من اهل كرمان من قوم يسمى السامرة يعبدون البقر
وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا
من الحلي وزينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من اثر فرس ركبه جبريل فكان يتحرك
فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخطا الطريق اليه فجاكم يكلمكم كما كلمه
فاتبعوه لسخافة عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم وعبدوا اي بنو اسرائيل
المسيح عيسى بن مريم مع اجماعهم على صلبه واذا كان ربا كيف يصلب مع انه
اعتقاد باطل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اي القي شبهه على رجل اسما
فظن اليهود انه عيسى عليه الصلاة والسلام فصلبوه وهذا جهل عظيم
منهم فجاهم من الايات الظاهرة البينة للابصار اي لعدم دقة افهامهم كانت
اياتهم في غاية الظهور تدرك بالبصر بعد غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه فاعل
جا وعدم شكهم لظهور ما جاهم ومع هذا الظهور فقالوا لموسى لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة اي معاينة بابصارنا لشكهم فيما اتاهم به وتفصيله في التفاسير
غني عن البيان ولم يصبروا اي بنو اسرائيل على المن وهو طل كالعسل ينزل على
الاشجار فيجمع ويوكل والسلوى وهو طائر كالسماني واحده سلواه وكانوا
لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام اخرجتنا من العمران
للقفر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سالوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم
بالسلوى فكانوا ياخذونها بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد واستبدلوا
الذي هو ادنى اي كالبقول لا ادنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل
بالذي هو خير وهو المن والسلوى والبا داخلة على المتروك وفيها تفصيل
افرد بالتاليف والعرب على جاهليتها اي على حالها التي كانت عليه قبل الاسلام

يبلي

لوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الجهل والهامة امية والجاهلية مقتدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل الجفا استعارة لتمكنهم في الجهل كقوله على هدى من ربهم اكثرها يعترف بالصانع اي بوجوده تعالى وليست معطلة لبعض الامم واطلاق الصانع على الله صحيح ثبت في السنة كما ذكره السيوطي رحمه الله وليس مما احدثوه وفي قوله اكثرها اشارة الى ان معظمهم فرقة دهرية قالوا ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب وانما كانت عبدة الاصنام منهم تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ولا تدعي الهاخالقة زلفة وزلفى مقصور بمعنى الخطوة من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظ ومنهم من امن بالله وحده من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجاهلية كابن نفيل وقس ابن ساعدة وامية بن ابي الصلت بدليل عقله وصفا لبه الذي هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر في مصنوعاته وفي كل شيء له اية تدل على انه الواحد ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم اي بعثه الله تعالى ليهديهم الى الله بكتاب الله المنزل عليه فهموا حكمته اي ما فيه من الحكم والعلوم النافعة وتبينوا لفضل ادراكهم وزيادة عقلهم لاول وهلة اي في اول نظرة بالبديهة منهم يقال لقيته اول وهلة بسكون الها وفتحها اي اول شيء ولام لاول توقيتية اي عند اول وهلة معجزته يعني القران فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر في علم الكلام ورفضوا اي تركوا الدنيا كلها في صحبته اي لاختيار صحبته على كل شيء وهجروا ديارهم واموالهم طلبا لرضى الله ورضاه صلى الله عليه وسلم وقتلوا اباهم وابناهم المعادين له لاجل نصرته واعزاز دينه في نصرته في هنا تعليلية واتى هذا القايل الذي غاب عنه ما تقدم في معنى هذا وزعم ان ظهورا يانه لما قاله بما يلوح له زبرقي اي يظهر له لفظ حسن ويعجب منه زبرج بكسر الزاي المعجمة وسكون البا الموحدة وكسر الرا المهملة وجيم وهي الزينة والوشي الذي هو كالطلاء وفيه اشارة الى عدم قبوله لضعفه ولذا قال لو احتيج اليه وحقق اي بينت حقيقته لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها من غير حاجة لما ذكره من ذكا العرب وفهمهم ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك اي ادعا مثل هذه الامور الخفية المتكلفة وظهورها اي ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر وبالله استعين والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى اله وصحبه وسلم القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام الوجوب الشرعي ما يلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام وهذا قسم من الاقسام الاربعة التي ذكرها المهم لخصنا الكلام فيه اي اختصرناه من غيره من الكتب وبيناه وسهلناه في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب في اجمال ما اشتمل عليه وفهرسته ومجموعها اي محصلها واجمالها من قولهم

جمل

جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة في وجوب تصديقه عليه الصلاة والسلام في كل ما جاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بسائر الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه خصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه اشرفهم وخاتمهم واتباعه صلى الله عليه وسلم اي الاقتدا به فيما ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه اي بان يجب اتباعه في وجوب الواجب وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغي تقييده بالواجب لا المسنون وطاعته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه والطاعة كما قاله الراغب الانقياد ويضادها الكره قال تعالى ايتيا طوعا او كرها والكرمانيقال لما امر به فلذا اعطوها على الاتباع فانه قد يكون كرها فمن قال في العرف ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفي الصحاح فلان مطيع كذا اي منقاد لم يصب في مدعاه والاستدلال له ومحبته بان يكون صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله وماله والمحبة الميل النفساني وهي مع وقد ومناصحته له وهي لغة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح وسيأتي وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها ابلغ ولان الرسول صلى الله عليه وسلم نصح الامة وبالغ في نصحهم وتوقيره اي تعظيمه والتادب معه بما هو لايق به صلى الله عليه وسلم وبره صلى الله عليه وسلم ببذل ما في وسعه له من المال وغيره من امور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغي تركه لانه للطاعة لا وجه له وحكم الصلاة عليه والسلام من الوجوب ومحله وزيارة قبره اي وحكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلهما مستتم دونهما وتعبيره به لانه في بيته صلى الله عليه وسلم وهذا حكمه دفنه فيه دون المقابر

الباب الاول

تقدم وجه تقديمه في فرض الايمان به صلى الله عليه وسلم عبر فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا بفرض الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد بالتصديق الايمان لا معناه اللغوي والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعي بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين في الاصول ووجوب طاعته اي بوجوب هنا لما ذكرناه وللاشارة الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا وجه لما قيل انه لا حاجة اليه وانه ينبغي تقديمه واتباع سنته اي طريقته التي سنها صلى الله عليه وسلم وشرعها فهو بالمعنى اللغوي فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله اولا اتباعه ولم يجد في لاده غير مغاير لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغي ذلك اذا تقرر وثبت بما قدمناه في هذا الكتاب ثبوت نبوته بالوحي اليه وصحة رسالته لجميع الخلق واخرها لانها اخص وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من غيرهم ادعى عدم عموم رسالته وجب الايمان به وتصديقه في جميع ما اتى به واخبرنا به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها لانه لم نقل ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الدور كما ارتضاه بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية كما حقق في كتب الكلام
وقيل الايمان بالله تعالى متقدم على الايمان بالرسل والايمان بالرسل متوقف
على نبوة الرسالة كما قاله بل من امن به وجب عليه طاعته بامتثال ما جاء به من
الشرايع انتهى وفيه نظر قال تعالى فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه
وسلم والنور الذي انزلنا يعني ما اوحي به اليه صلى الله عليه وسلم من الشريعة
وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به القران اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه
مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كما ذكرا ولانه يهتدى به
والامر للوجوب والاستدلال بالاية ظاهر وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا
على من صدق وكذب ليثاب او يعاقب ومبشرا لمن امن بسعادة الدارين وحذف
المبشر به تفخيما لتذهب نفس السامع كل مذهب كما في قوله ونذيرا اي منذرا ومخوفا
لمن عصاك لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب في انا ارسلناك له صلى الله عليه وسلم
واللام لتؤمنوا لام كي وقيل انها يحتمل ان تكون لام امر وهو بعيد وقرئ ليؤمنوا
بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام
بيناه في حاشية القاضي والاستدلال بالاية على التعليل لان الانذار يقتضي
وجوب اتباعه على انه في غنية عنه بما قبله وبعده من قوله وقال تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية اي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر به في القران في ايات كثيرة فالايمان بالنبي محمد
صلى الله عليه وسلم واجب لامر الله به مرارا متعين اي فرض عين لا فرض
كفاية فيجب الاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق بالجنان فلابد منهما شرعا
اذ لا يتم ولا يصح ايمان لاحد بالله الا به اي بالايمان برسوله صلى الله عليه
وسلم وبكل ما جاء به ولا يصح اسلام الا معه اي الا مع الايمان بالله وبرسوله
بعينه وليس هذا مبني على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو تاكيد لما قبله
لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لا يكون مؤمن الا وهو
مسلم ولا مسلم الا وهو مؤمن لقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وفي الاية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون
بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله فينتفي بانتفاء احدهما لتفريع قوله فانا
اعتدنا الخ عليه حدثنا ابو محمد الخشني بقراءتي عليه وهو حديث صحيح رواه
مسلم والبخاري والخشني بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ونون وياء نسبة
تقدمت ترجمته قال حدثنا الامام ابو علي الطبري تقدمت ترجمته قال
حدثنا عبد الغافر الفارسي تقدمت ترجمته قال حدثنا ابن عمرويه الجلودي
وقد تقدم وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الرا وضمها وانه مثله
صيغة تصغير عند اهل البصرة مولدة قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم
ابن محمد بن سفيان راوي مسلم قال حدثنا ابو الحسين هو الامام مسلم القشيري
صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا امية بن بسطام بكسر الباء الموحدة وفتحها

ابن افنون

دلجي

وفيه

وفيه الصرف وعدمه توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو امام جليل اخرج له
الشيخان والنسائي قال حدثنا يزيد بن زريع بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ ابو
معاوية البصري كما تقدم قال حدثنا روح بفتح الرا المهملة وواو ساكنة وحا مهملة
وهو ابن القاسم التميمي البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة عن
العلا بفتح العين المهملة والمد ابن عبد الرحمن بن يعقوب عالم المدينة وهو
ابو شبل مولى الحرقة اخرج له مسلم واصحاب السنن عن ابيه عبد الرحمن عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بالبنا للمجهول اي
امرني الله اذ لا امر له صلى الله عليه وسلم سواه ان اقاتل الناس اي بان اقاتلهم
ومحله بعد حذف الجار نصب او جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضرب
عليه الجزية حتى يشهدوا ان لا اله الا الله غاية لقتالهم ينتهي به ويخصص بالغاية
ويؤمنوا بي اي بكوني نبيا رسولا ويؤمنوا بما جئت به من الله واوحاه اليه من
شريعته التي امر بتبليغها وتكليفهم بها فاذا فعلوا ذلك المذكور من الشهادة
والتصديق لما جاء به والتزام احكام شريعته عصموا اي صانوا وحفظوا مني دماءهم
بعدم المقاتلة لهم واموالهم فلا تؤخذ بالغنايم ولا بسبب من الاسباب الا
بحقها اي ان تستحق اباحة دمايهم بقتل نفس ظلما ونحوه او تستحق اموالهم
بمنع زكاة او نحو تستحق عليهم وحسابهم على الله اي امرهم بعد ما ذكر موكول
الى الله اذ يحاسبهم على ما استروه في انفسهم وما لم نقف عليه من الكفر
والمعاصي فيثيب من يشا ويعاقب من يشا والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه
ما يقتضي كفره ومثله الزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل يقتل مطلقا
وقيل قبل الاخذ وقيل لا يقتل مطلقا وتوبته ان خلصت نفعته في الاخرة
وقيل اذا تاب مرة قبلت وان تكررت لا وقيل لا يقبل ان ادعى الزندقة وقوله
صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا بي اشارة الى ان اهل الكتاب لا يمنع قتالهم
مجرد الشهادة بان لا اله الا الله ودخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتارك
الصلاة في قوله الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان يكفي فيه الاقرار
بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه الله
وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم قال القاضي ابو الفضل عياض
المؤلف رضي الله عنه والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته
اي التصديق بها ورسالة الله له اي ارساله والاضافة اختصاصية لا بمعنى
اللام كما توهم وان كان المعنى عليها وتصديقه في جميع ما جاء به عن الله بالوحي
بانواعه وما قاله اي في جميع اقواله لانه صلى الله عليه وسلم معصوم
لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا سيما ما امر بتبليغه ومطابقة اي موافقة
تصديق القلب اي اعتقاده والجزم به واصل المطابقة وضع شيء على شيء هو
طبقه وقوله بذلك اي بالتصديق بالنبوة والرسالة وما جاء به شهادة اللسان
بنطقه واعترافه بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله عليه وسلم
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك المذكور من رسالته وما جاء به باللسان ثم

قاضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الايمان الحقيقي المنجي في الدنيا والاخرة والتصديق له اي كيفيته ولفظه كما ورد في
هذا الحديث الذي رواه المص عن ابي هريرة نفسه بالجر تاكيد للحديث من رواية عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وهذه رواية مسلم عن ابن عمر وفيهما ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
فاذا فعلوا الخ وقوله تم الايمان اي تحقق وصح وليس مراده انه اذا وجد احدهما
كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كما ستعقله والنطق بالشهادة مع انه لابد
منه اختلف فيه هل هو شطر او شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين
وفيه كلام مفصل في كتب الاصول وشروح الصحيحين بضيق المقام عنه وقد
زاده وضوحا اي زاده صلى الله عليه وسلم ما ذكر بيانا في حديث جبريل عليه
الصلاة والسلام الذي رواه الشيخان كما تقدم مرادا قال له جبريل لما جاءه صلى
الله عليه وسلم في صورة انسان اخبرني عن الاسلام اي حقيقته ومعناه شرعا
وهو في اللغة الانقياد والطاعة كما علم وقيل السؤال عن شرائطه وشروطه
فقال صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله ان مخففة من الثقيلة
وتشهد بمعنى تعلم بان تقول اشهد الخ وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ
الشهادة او يكفي ما يؤدي معناه والصحيح عندنا معاشر الحنفية الثاني
ولو بغير لفظ العربية لمن لا يقدر عليه وان محمدا رسول الله ارسله لجميع
خلقه وذكر اركان الاسلام يعني قوله وتقيم الصلاة بالنصب عطف على تشهد
وجوز بعضهم رفعه استينافا فانظر الى انه يكفي في اجرا احكام الاسلام الشهادتان
وكذا ما بعده وجوابه انه بيان لاكمله واقامة الصلاة اداؤها وتؤتي
الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت
فعجبنا له كيف يسائله ويصدقه ثم سأله صلى الله عليه وسلم عن الايمان
اي عما يجب التصديق به شرعا فقال مجيبا له ان تؤمن بالله اي تصدق
بوجوده وانه واحد في ذاته وصفاته وافعاله ولا شريك له في ذلك وليس
هذا التعريف للشيء بنفسه لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يامن
التكذيب ومتعديا بالبا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه
معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وما وقع في التعريف هو
الثاني بل لان الاول معلوم والمسئول عنه بيان متعلقاته التي يجب الايمان
بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام كما مر
لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذي هو التصديق
بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لا ينفك
احدهما عن الاخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول
التصديق وامتثال الطاعات كما فصل في علم الكلام وملايكته جمع ملك
من الالوكة وهي الرسالة واصله مالك ثم قلب وجمع وخفف مفرده وتاؤه
لتانيث الجمع والمبالغة وتقدم الكلام على ذلك في الخطبة والهم اجساد
نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان

تؤمن

اي بانهم مبعوثون من الله تعالى الى خلقه صادقون فيما جاؤا به ع القاري

تؤمن بانهم عباد الله معصومون لا يعقلون غير ما يؤمرون لا يعلم عددهم الا الله وكتبه
التي هي كلامه تعالى المنزل على رسله الازلي فتصدق بحقيتها وحقية ما تضمنته ورسله
جمع رسول وهو من اوحي اليه بشرع وكتاب وامر بتبليغه عباده الحديث بالنصب
اي اذكره او اقراه واعرف ذلك الخ وهو واليوم الاخر والقدر خيره وشره واقتصر
المص رحمه الله على المقصود منه فقد فسر اي بين النبي صلى الله عليه وسلم في
هذا الحديث انه الايمان به اي بالله او بما ذكر في الحديث يحتاج الى العقد اي
الاعتقاد الجازم بالجنان بفتح الجيم وهو القلب سمي به لاستتاره او استتار
ما فيه من جنه اذا ستره والاسلام به اي بالله او بما ذكر مضطر اي محتاج اليه
ضرورة لانه لا يظهر الانقياد بدونه ولذا عبر بينهما الى النطق باللسان بما يعلم
ما في قلبه وهذه الحالة اي اعتقاد الجنان والنطق باللسان هي المحمودة عند
الله والناس التامة بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض
الاشعرية ووصفها بالتمام اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به
والنطق شرط لاجراء احكام الاسلام عليه في الدنيا كالصلاة عليه ودفنه في
مقابرنا فمن امن بقلبه ولم يعلم به احد نفعه ايمانه الا على وجه الاباء واما
الحالة المذمومة لصاحبها في الاخرة فالشهادة باللسان اي الاقرار والتلفظ
بالشهادة به دون تصديق القلب بالاعتقاد الجازم وهذا هو النفاق الذي
يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفي الكفر وهو لغة اظهار
خلاف ما يضمر من نافقا اليربوع وهو ما يخفيه من ابواب جحره ليخرج منه
اذا فتش بضا بيده كما قال ويستخرج اليربوع من نافقائه قال الله تعالى اذا
جاءك المنافقون الخطاب له صلى الله عليه وسلم قالوا نشهد انك لرسول الله
فاقروا بشهادة مواطية لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله والله
يعلم انك لرسوله وهو توطية لقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
في قولهم ذلك اي قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه
مؤكدا بهذه التاكيدات يقتضي انه ناشئ عن اعتقادهم الجازم وتصديقهم
القلبي واللساني وهم لا يعتقدون فيه جملة حالية اي والحال انهم ليسوا
معتقدين لذلك كما اخبر الله به فلما لم يصدق ذلك القول ضمايرهم اي
ما اضمروه في قلوبهم او قلبهم لان الضمير يطلق عليه لم ينفعهم ان يقو
اي قولهم لم يفدهم في الاخرة لانهم في الدرك الاسفل من النار بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس
هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه اهل المعاني وهذه
الاية نزلت في ابن ابي ابن سلول راس المنافقين واصحابه وقصتهم مشهورة
في كتب الحديث فلا نطول بها فخرجوا عن اسم الايمان اي عن ان يسموا
بها النسق منه فيقال لهم مؤمنين في الدنيا عند من عرفهم ولم يكن
لهم في الاخرة حكمه وهو دخول الجنة فهم في الدرك الاسفل من النار
مع الكفار كما ياتي وقوله في الاخرة اشارة الى انهم يجري عليهم في الدنيا حكمه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نظرا لظاهر حالهم كما بينه بقوله اذ لم يكن معهم ايمان في الاخرة لانكشاف حالهم ثم
وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذ لم يكونوا مؤمنين ايما الى ان ايمانهم
لم يكن في قلوبهم فكانه كان رفيقا لهم لتلفظهم به فاذا ماتوا فارقهم وبطل حكمه
ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار الدرك بفتح الرا وسكونها ما يترك
به لاسفل ضد الدرج يعني انهم في قعر جهنم واخر طبقة منها وهي سبع طبقات
جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة
منها على الجميع ايضا لاشتراك اللفظي او المعنوي وتجري عليهم حكم الاسلام
في الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم باظهارهم شهادة اللسان
اي بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد بحكم الاسلام كل ما كان
داخلا في احكام الدنيا اي ما يحكم به لهم وعليهم من احكام الشرع المتعلقة بالائمة
اي السلاطين والخلفا لا العلما لانهم ليسوا مامورين باجرائها وحكام المسلمين
كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر
حاله يكون كافرا فلا وجه لايراده نقضا هنا كما توهم ولذا لم يصل النبي صلى
الله عليه وسلم على ابن ابي ابن سلول وان كنا نصلي عليهم وانما لم يقتله
لمصلحة اشار اليها في الحديث الاتي بقوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل
اصحابه فكان هذا من خصايصه في ابتدا الاسلام ثم انتهى بانتها سببه ولذا رفع
عمر رضي الله عنه حكم المؤلفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم
زادهم بيانا بقوله الذين احكامهم جارية ومبنية على الظواهر من احوال
الناس كلهم بما اظهروه من علامة الاسلام اي ان احكام الدنيا جارية عليهم
بسبب اظهارهم الاسلام بانقيادهم له والتزامهم احكامه ظاهرا وان لم
يعتقدوها بقلوبهم وفي نسخة علامات ومرادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين
حقيقة وانما عليهم علامته اذ لم يجعل بيننا المجهول اي لم يجعل الله للبشر
اي الناس كلهم سبيلا اي طريقا الى السراير جمع سريرة وهي ما في القلب مما لم
يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واجرا حكمه ولا امروا الضمير للبشر باعتبار
المعنى بالبحث اي التفحص والتفتيش عنها اي عن السراير ثم ترقى فقال بل
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها اي الحكم على السراير وعبر بالتحكم
لما فيه من التكلف او لانه ليس بحكم كما يقال تحلم الرجل لمن لا حلم له فقال صلى
الله عليه وسلم لاسامة بن زيد في حديث صحيح رواه البخاري لما اسر بعض
الكفار فاسلم فقتله اسامة لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من
القتل فقال له اقتلته بعد ان اسلم هلا شققت عن قلبه وهلا
اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل افادت الامر وان دخلت على الماضي
افادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه
معنى التفتيش اي شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم اقال
ما قاله خوفا ام لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه شق قلبه لا يدرى
ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه ان

تخبره

تخبره حتى يعلم هل هو مخلص ام لا لكن لما راه لم يسلم حتى رفع السيف ليقتله ظن ان ايمانه
ياس لا ينفعه كحال الغرغرة بقوله متاولا فلا متعمد للخطا في قتله والحديث كما في الصحيحين
عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فصبحنا هم ولحقت
انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصاري
وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لي يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا
فقال اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ولم يزل يكررها وقال هلا شققت
عن قلبه وكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقلت استغفر لي
يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الخ فلم يقبل عذره وفيه تنبيه
وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الفزاري او الفدكي وبما ذكرناه
علم ان اسامة رضي الله عنه متاول في قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة تماما
حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعجلته وعدم
تثبته وانه كان يجب عليه ان يختبره فلم يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى
فقود الا اذ ودي انه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطا وانما سكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذكرها لعلمه لعلم السامع بذلك او لانه كان قتل قبل نزول
اية الدية والكفارة وقول القرطبي انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقوله
غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شي لانه ماذون له في اصل القتل فهو
كالطبيب والخاتن او لم يكن له وارث مسلم ولا ولي واسامة رضي الله عنه افقر
بذلك لا حاجة اليه اقول اذا لم يكن له وارث ديته لبيت المال ولا يصح عفو
الامام عنه عندنا وان رجح السبكي في فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل في
الحديث له لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتتقابل الدية لا يكون عفوا
والفرق بين القول اي مجرد التلفظ بالشهادة باللسان والعقد اي التصديق
بقلبه واعتقاده جنانه ما جعل ما مصدرية اي جعله في حديث جبريل الذي
تقدم في سؤاله عن الاسلام والايمان الشهادة اي التلفظ بها ركنا من
الاسلام لما قال في جوابه ان تشهد الخ وجعله التصديق من الايمان اي
الاعتقاد بالقلب وهذا ابنا على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى
تفسير تؤمن في قوله ان تؤمن بالله الخ وبقيت حالتان اخيرتان بين هذين
اي الاقرار باللسان والتصديق بجنانه اي الجمع بينهما احداهما ان يصدق
المكلف بقلبه ثم يخترم بخا معجمة وتا مثناة فوقية ورا مهملة مبني للمجهول
يقال اخترمته المنية والموت اذا اتاه بغتة بسرعة واصل معنى الخرم
القطع والتفريق المنفصل فيقال له ذلك لقطعه للحياة كما اشار اليه بقوله
قبل اتساع وقت الشهادة اي التلفظ والنطق بها المضيق الزمن فهذه حالة
بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللساني والتصديق بقلبه الموافق
له وهو مؤمن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق فهو
منافق بالاتفاق وحكمه ما مر وهذه حالة بينهما فاختلف فيه اي في من هذه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حاله امؤمن هو ام لا فشرط بعضهم اي قال انه من تمام الايمان القول والشهادة
به باللسان فلا يكون هذا مؤمنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند
بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فعرفه بانه اقرار باللسان
وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا ايمان الا عند العجز
عن النطق وبراه ما من الراي بعضهم فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل
تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز فيكون مؤمنا حقيقة مستوجبا اي مستحقا
للجنة ودخولها لعذره بعدم تمكنه ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان يخرج روي بالبنا للفاعل والمفعول من النار من كان في قلبه
باعتقاده مثقال ذرة اي وزنها ومقدارها في الثقل والذرة بالمعجمة صغار
النمل والهبا وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض
من حديث في الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتدا لان المراد به العصاة المعذبون
بسبب اجرام او بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بقيه
وبقي الاستدلال بقوله فلم يذكر في الحديث شيا سوى ما في القلب من ايمان
بمقدار ذرة وهذا المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق مؤمن
بقلبه فلينفعه ايمانه عند الله لانه غير عاص اي تارك لما يلزمه ولا مفرط
بتشديد الرا المهملة اي مقصر عمدا بترك غيره وهو التلفظ بالشهادة
وهذا الراي الذي راه بعضهم هو الصحيح في هذا الوجه اي الحالة المعدود
فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه المتكلمون الا انه قيل ان ما استدل به المقرر
لا يثبت ما ادعاه لان هذا في عصاة امته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما في
الصحيح عن النبي انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله
وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم ان ذكر الوزن في الايمان وهو من المعاني لانه
كما قال الكرماني شبه بالجسم فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن
ففيه استعارة بالكناية الثانية اي الحالة الثانية من هاتين الحالتين ان يصدق
بقلبه فيعتقد اعتقادا جازما ويطول بضم التحتية وفتح الطا المهملة
وتشديد الواو المكسورة مهملة بميم وها مفتوحتين مفعول مطول
ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والثاني فاريد به لازمه
وهو طول الزمان والمراد زمان سكونه وعدم نطقه بالشهادة وعلم ما يلزمه
من الشهادة والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد اي سكت زمانا
طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به بقلبه فلم ينطق بها
اي بالشهادة جملة منصوب على الحالية والمراد به مجموعها بان لم يؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره او اجمالها بان لا يفصل
الملائكة والكتب ونحوها ولا استشهد في عمره ومدة حياته اي اتى بالشهادة
وفي نسخة يشهد ولا مرة اي مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا كما اختلف في
الذي قبله وهو في الاصل مصدر من اذا هجع وشاع في التشبيه وفي نصبه
كلام مشهور فقيل هو مؤمن لانه مصدق وحقيقة الايمان هو التصديق

القلبي

القلبي وقد انضم به فيكفيه والشهادة من جملة الاعمال الزايدة على حقيقة الايمان
وان كانت لازمة شرعا فهو عاص بتركها كمرتكب الكبائر غير كافر فهو غير مخلد
في النار عند اهل السنة القائلين بان اصحاب الكبائر غير مخلدين وقيل ليس بمؤمن
لان الشهادة شرط فيه او شطر حتى يقارن عقده اي اعتقاد قلبه وجزمه شهادة
اللسان اي التلفظ بها مطابقة لما في قلبه اذ الشهادة انشاء عقد عند الاصوليين
لانها عندهم انشا يتضمن الاخبار بالمشهود به لا الاخبار وعزي الثاني اي الاخبر
لابي حنيفة وانكره السروجي وقال لا نعرفه وانما هو انشا عندنا ايضا ونظر
فيه بانهم عرفوها بانها اخبار بحق للغير على اخر وقد يقال انه بحسب ظاهره
لانه خبر لفظا اريد به الانشا كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم يعلم
مراده قال انشاوه بمعنى ابتدايه والتزام ايمان اي التزام لاحكامه وهي اي
الشهادة مرتبطة اي ملازمة متصلة مع العقد الجناني لا تفارقه فلا يكتفى
باحدهما ولا يتم التصديق ويكتفى به مع المهلة اي تاخير النطق زمانا طويلا
من غير مانع الا بها اي بالشهادة والنطق بها وهذا القول هو الصحيح من انه
ليس بمؤمن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن منه ومن يقول انه التصديق
فقط يقول انه مؤمن وان لم يقر بلسانه وان لم تجر عليه احكام الايمان في الدنيا
فهو ينفعه في الاخرة والاصح انه لا بد منه في الاعتداد به في الدنيا والاخرة
وهو شرط او شطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى
طولب به اي به فانه ان طولب به فلم يقر فهو كفر عناد وهذا نبذ بفتح النون
وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشيء اليسير واصله الرمي والطرح فكانه
لقلته مما يطرح وفي نسخة هذه نبذ بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بزنة
غرفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ما قدمناه يفضي اي منتهى من
الكلام يفضي بضم المثناة الفوقية وسكون الفا وكسر الضاد المعجمة فتحتية
ساكنة مضارع افضى بمعنى اوصل واصل معناه الايصال الى الفضا
والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمي او اسم بمعنى الفاحتاج
الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه وما للعلماء فيه من القيل والقال في
الاسلام والايمان اي فيما يتعلق بهما وابوابهما المعقودة لتفصيلهما وفي
الزيادة فيهما والنقصان فيهما والكلام في انهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه
اختلاف مشهور وهل التجزي بالزيادة والنقص فيهما ممتنع على مجرد
التصديق فهو في نفسه من غير نظر لما ينضم له من الاقوال والاعمال
لا يقبلهما فانه كما مر قيل انما مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص
وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل
التجزي وقوله لا يصح فيه اي في التصديق تجزي بزيادة ونقص جملة اي
مجموعه او الاجمالي منه لا يقبل التجزي وانما يرجع تجزيه والزيادة فيه الى
ما زاد عليه اي ما زاد على التصديق من عمل ونحوه فانه قد يزيد وقد
ينقص بل قد لا يكون كمن اسلم ثم مات فجاة فلم يات بشي من الاعمال الصالحة

للسان

دلجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد يعرض فيه اي قد يطرأ على التصديق لنفسه زيادة او نقص وتجزي فانه من
الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا فان العلوم بطلوع الشمس وان
الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في ان ايمان ابي بكر رضي
الله عنه ليس كايمان غيره وقال الشمني في الصحاح عرض له كذا يعرض اي ظهر
وعرضت العود على الاناء اعرضه وتعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له الغول
بالكسر لاختلاف صفاته قوة وضعفا وتباين اي تبعد وافتراق حالاته بعضها
عن بعض من قوة يقيني بيان للصفات والحالات وتفهيم اعتقاد اي الجزم به بحيث
لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة ادلة ووضوح معرفة اي ظهورها كمن شاهده
صلى الله عليه وسلم وعاين معجزاته ودوام حالة اي استمرار التصديق وامداده
فانه زيادة فيه وحضور قلب اي حضوره التصديق فيه حتى لا يغفل عنه قلبه المطمئن
وفي بسط هذا اي بسط الكلام فيما ذكر وذكر تفاصيله وتحقيق ادلته مع ما لها
وعليها خروج عن غرض التاليف اي المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى
الله عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفي فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال
وفيما ذكرناه غنية بضم الغين المعجمة وسكون ساكنة وياء مثناة تحتية مفتوحة
اي كفاية مغنية عن غيره فيما قصدناه في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهذا الذي
ذكره المصنف مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة
النظر ووضوح الادلة ولا شك في ان ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم

فصل

واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم بامتثال اوامره
واجتناب نواهيه فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به من الله وقد علم
هذا مما تقدم في اول الباب وجبت طاعته لان من صدقه واخبره بما يلزمه
يلزمه اتباع امره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه
لان ذلك اي وجوب طاعته مما اتى به عن الله بوحيه كما يدل عليه ما قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله قدم طاعة الله لمفيد الوجوب
طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وهما شيء واحد ولذا افرد الضمير في قوله ولا تولوا عنه وهو قياس منطقي
تقديره وجوب طاعته مما اتى به من عند الله وكلما اتى به من عند الله يجب
الايمان به فتجب طاعته وشرك بينهما في صيغة الامر لما ذكرناه وقال تعالى
قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول قال القاضي امر الله ان يبلغ المؤمنين
ما خاطبهم به مبالغة في تبكيتهم يعني ان هذه الاية نزلت في بشر المنافق
لما دعى خصما له يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاتي بيانه ولا ينافي هذا ان الكلام في وجوب طاعته على
المؤمنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب وقال تعالى واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة
الى عزة المطلوب وان العبد دائما بين الرجاء والخوف وقال تعالى وان تطيعوه
تهتدوا والجعل هذا ابتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره

والطيعوا الاول

امر لازم

امر لازم لهم وقال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله فجعل طاعته هي طاعة الله لانه لا يامر
الا بامره ولا ينهى الا بنهيه ولذا اردفه بقوله وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا هذا محمول على العموم في جميع اوامره ونواهيه لانه لا يامر
الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد وان كانت الاية نزلت في الفيء والغنائم كما يدل عليه
قوله وما اتاكم الرسول فخذوه اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر
فلا يتوهم انه غير مناسبة لما هو بصدده وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك المطيعون
مع الذين انعم الله عليهم الاية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وياتي
ان هذه الاية نزلت في ابن عبد ربه الانصاري حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اذا مت كنت في عليين فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعى الله ان يعمي بصره حتى لا يرى غيره فعمي مكانه وهو الذي راى
واقعة الاذان وقيل نزلت في ثوبان مولاه صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب
لرسول الله لا يصبر عن رؤيته فحزن حتى تغير لونه فساله رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال ما بي ضر غير اني لا اصبر عنك فذكرت الاخرة واني لا اراك
ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتي والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم
في الجنة وان تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق او هو نفس التسهيل
والتوفيق اي الا ليطيعه من بعثه ويرضى بحكمه فمن لم يرض به لم يرض رسالته
فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذن بمعنى امره وقال القاضي كانه اي الله احتج
بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كافر مستوجب للقتل انتهى وقيل
في توجيهه ان من لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله ومن لم يرض بحكم الله كافر ولذا
لما تخاصم المنافق واليهودي وطلب اليهودي حكم رسول الله وكان محقا يعلم حكم
رسول الله له فابى المنافق وطلب ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وابى اليهودي
واتى رسول الله فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا ابا بكر رضي الله عنه فحكم بما حكم
به رسول الله فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودي ما وقع فقال رويدكما ودخل
بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم ينكره فجعل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته
فهما شيء واحد لانه لا يامر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه بنص قوله من يطع
الرسول فقد اطاع الله وقرن طاعته بطاعته في القران كما في قوله اطيعوا
الله واطيعوا الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته ما لا يخفى ووعد
على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب الجزيل بمعنى العظيم
او الكثير وعبر في جانب الثواب بالوعد وفي جانب العقاب بالايعاد المزيد لما
اشتهر من الفرق بينهما في اصل الاستعمال كما قال الشاعر

واني وان اوعدته او وعدته • لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وقد يستعمل كل منهما في مكان الاخر لنكتة وتقدم الكلام على ذلك مبسوطا
في خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيء وهو ظاهر واوجب الله

بقوله تع فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعالي امتثال امره بالاتيان بما امر به واجتناب نهيه بتركه ما نهاه عنه فقال وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه وقال المفسرون في تفاسيرهم
والايمة اي ايمة الدين من الفقها والمحدثين طاعة الرسول التي امرنا الله بها
في القران متحققة ومتبينة في التزام سنته اي المداومة علي سلوك طريقته فالسنة
نتبعها لا للهوي ويعمل ما عمله ويترك ما تركه والتسليم اي الانقياد والمتابعة
له لما جا به من شرعه الموحي اليه الذي اخبرنا به وتصديقه فيما اخبر به من غير تحكيم
العقل وقالوا ايضا ما ارسل الله من رسول من زايدة في النفي لتاكيد العموم
الا فرض طاعته اي جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه علي من ارسله
اليه لتبليغ شرعه والصغير لمن باعتبار لفظه وقالوا اي المفسرون والايمة
من يطع الرسول في سنته بنون مشددة وتا مثناة فوقية اي في طريقته وشرعه
من امر ونهي وسنة وفرض ولعل المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله يطع
الله في فرايضه جمع فريضة بمعني الفرض وفي بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة
ويحتمل ان تفسر السنة والسنن بمعني بما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول
فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له في فرايض الله بالطريق الاولي والمراد
ان طاعة الله وما جا به عين طاعة رسوله صلي الله عليه وسلم لا ينفصل احدهما
عن الاخر وفي الام للشافعي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم لا الفين احدكم
متكيا علي اريكته ما امرت او نهيت فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به
وسياتي بيان الفاظه عند ذكر المصنف له قريبا مرتين لا مرا اقتضاه فهذا بيان
لان العمل بسنة رسول الله عمل بكتاب الله وهو معني ما قالوه هنا وسيل سهل
ابن عبد الله التستري الامام الزاهد المشهور عن شرايع الاسلام اي ما المقصود
منها والمراد فقال سهل في الجواب وما اتاكم الرسول فخذوه اي تمسكوا به وقال
الامام ابو الليث الفقيه المشهور السمرقندي يقال في طاعة الله ورسوله
ان معناه اطيعوا الله في فرايضه اي فيما فرضه عليكم في كتابه الكريم والرسول
في سنته اي ما سنه وشرعه لنا وقيل في معني اطيعوا الله واطيعوا الرسول
اطيعوا الله فيما حرم عليكم باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما اوجبه
وحرمه وغيره كما تم اتباع الرسول بقوله والرسول اي واطيعوا الرسول
فيما بلغكم عن الله من اوامره ونواهيه مخلصا في ذلك فانه مامور بتبليغه وما
ينطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحي ويقال في معناه اطيعوا الله بالشهادة
اي الاقرار والاعتراف له بالربوبية اي انه رب خالق مالك لجميع الموجودات
متفرد بالملك والربوبية والنبي بالنصب اي واطيعوا النبي صلي الله عليه وسلم
بالشهادة بالنبوة المراد بالنبي هنا محمد صلي الله عليه وسلم فال للعهد وهو الفرد
الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينيذ علي رسالته وانه رسول وان
قلنا النبي اعم من الرسول بناء علي المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة
المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغي له الجمع بينهما لاظهار النعمة بهما عليه
ولعظيما للمنة لديه والعد ولعن الظاهر ان قلنا ان النبوة افضل لا هنا

٧ رمانة

ابن اقترس

عبد الله هو

ابن اقترس

لا لرعاية السجع كما قيل حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه وهو حديث رواه الشيخان
ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال حدثنا حاتم بن محمد المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال
حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف الحافظ القابسي كما تقدم قال حدثنا محمد بن احمد وهو
ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا محمد بن يوسف الفربري راوي صحيح البخاري
كما تقدم قال حدثنا البخاري قال حدثنا عبدان يعني عبد الله بن عثمان بن جبلة بفتح
الجيم والموحدة ابن ابي رواد الحافظ المروزي الثقة توفي سنة احدي وعشرين
ومايتين قال اخبرنا ابن المبارك المروزي قال حدثنا يونس بن يزيد الايلي الامام
الثقة توفي سنة تسع وخمسين ومايه واخرج له اصحاب الكتب الستة عن الزهري
محمد بن عبيد الله بن شهاب الزهري الامام المشهور كما تقدم مرارا قال اخبرني
ابو سلمة بن عبد الرحمن احد فقها المدينة السبعة علي قول الاكثر واسمه عبد الله
او اسماعيل انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهي الا عما
نهي الله عنه فمن امتثل امره واجتنب نهيه امتثل امر الله ونهيه او ان الله عز
وجل امر بطاعة رسوله وامره ونهيه فمن امتثل امره ونهيه اطاع الله في امره ونهيه
بطاعته كما تقدم ومن اطاع اميري اي من جعله هو او خلفاوه حاكما علي امته
فقد اطاعني لان طاعته طاعة من امره لانه مبلغ عنه ومن عصي اميري فقد عصاني
قيل ان قريشا وساير العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون روسا
قبايلهم فلما ان ظهر الاسلام وولي عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم الامرا
انكروا ذلك ولم يطيعوا الامرا فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم
ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم اطاعة امرايه وتوقيرهم والاقتدا بهم في
اقوالهم وافعالهم ورواه مسلم الاميرا بالالف واللام وطاعة الرسول اي رسول
الله صلي الله عليه وسلم من طاعة الله الرسل له اذ الله امر بطاعته اي لان الله
امر جميع الناس باتباعه فيما جا به من الله فطاعته اي الرسول ورسوله امتثال
لما امر الله به في قوله اطيعوا الرسول وطاعة له اي الله لانه امرهم احيا لا بالطاعة
فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا بطاعته في اموره ونواهيه وهما انما يامرنا
بما امره الله بتبليغه وما ينطق عن الهوي ويدخله ما كان باجتهاده لانه امر
بالاجتهاد علي الاصح وهذا البسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل
وقد حكي الله عن الكفار ما سيقولونه اي ذكر في القران اخبارا عنهم بما سيكون
وهذه العبارة ما توهمه عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد
المغربي قال انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكي الله
في كلامه عن كذا لان الحكاية متاخرة عن المحكي وانما يقال اخبر الله ونحوه
انتهي وهذا مما لا وجه له لانه تعالي قال نقص عليك والقصص والحكاية
بمعني وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد علي الاخبار بعينه من غير فرق
في دركات جهنم اي محلهم الاسفل فيها يوم تقلب وجوههم في النار
اي تصرف من جهة الي اخري لاضطرابهم فهي كقطع لحم تغلي في قدر يغوره

اوتقلبها تغيرها عن حالها وهيا لها او تبدل الوانها وتحقق الوجه لانه اشرف الاعضا
واظهرها والمراد به الجملة يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول لنسلم مما
نحن فيه لندمهم حيث لا ينفع الندم فتمنوا طاعته صلى الله عليه وسلم حيث لا ينفعهم
التمني اي في زمان او مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمني طلب ما لا يمكن حصوله له
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان اذا نهيتكم عن شيء محرما او مكروه
فاجتنبوه اي اتركوه كانه طرح في جانب منكم واذا امرتكم بامر اي بما مور به ايجابا
او ندبا فاتوا منه ما استطعتم اي قدرتم عليه من غير تركه للواجب بغير عذر واول
هذا الحديث دعوني ما تركتكم انما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم
فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه الخ وسببه انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة ان الله قد فرض
عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو
قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت
يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم وروي ذلك عن ابن عباس
في التفسير وشيء عام خص منه ما اكره عليه المكلف ومنه خلاف هل الاكراه على المعصية
يبيحها او هي باقية على حرمتها ولا ياثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في ان المكره
مكلف ام لا ومعنى اتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم قال النووي
وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز
عن ركن من اركان الصلاة او شرط من شروطها ياتي بمقدوره ولا يسقط عنه
مقدوره ولذا قال الفقها الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث اشارة الى اعتنا
الشارع بالمنهيات لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد الماموارت
بالاستطاعة والطاقة كما قاله احمد بن حنبل فان قلت الاستطاعة معتبرة في
النهي فلا يكلف الله نفسا الا وسعها قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعى
وهو الاعتنا بل هو جهة الكف وكل احد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل
احد قادر على الترك بخلاف الفعل فان العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر
بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي الكف عن المعاصي تركه وهو سهل
وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع العذر وابيح
ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم انه
يتناول امتثال المامور واجتناب المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرته
فان العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان قوله
اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير
منسوخ والمراد حق تقاته امتثال امره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز
عنه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الحاكم كل امتي يعني
امة الاجابة يدخلون الجنة الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار
لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للامة ايضا وقيل
انه لم يرو بهذا اللفظ والسيوطي في تخريجه سكت عنه لنكتة الا من ابى
اي امتنع ثم فسره بقوله قالوا يا رسول الله ومن يابى فهموا منه انه ابى

دخول

دخول الجنة ولا يأباها احد لانه روي كما في النهاية وشرود قال صلى الله عليه وسلم
مجيبا لهم من اطاعني وانقاد ممتثلا لامري ومجتنبا لنهيي دخل الجنة وفاز بنعيمها
ومن عصاني وخالفني فقد ابى اي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة باختيار
كانه دعي الى الجنة فامتنع واعلم انه ان اريد بالعصاة المذنبين من المؤمنين فهو تمثيل
ولا ينافي العفو عنهم ولا اخراجهم من النار وان اريد الكفار فهو استعارة ايضا والمراد الخلود
هم
في النار قال التلمساني بعد قوله الا من ابى اي امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيئا فالامة
امة الدعوة اي كلهم الا من ابى وهم الكفار يدخلون الجنة ويحتمل ان يريد بالامة امة
الاجابة فالابي هو العاصي من امته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن المعاصي
وزاد في الجواب فقد ابى توضيحا لبيان التصفيي والتقدير من اطاعني وتمسك بالكتاب
والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه ضل عن سوا السبيل ودخل النار انتهى وفي الحديث
الاخير عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور لانه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه بقوله
الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به ضرب للناس مثلا فيما
جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام امر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين
كالمثل والمثيل في الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل الى قول شبه مضربه
بمورده واكثر ما يكون بامر عجيب غريب ثم نقل لكل حالة وقصة او صفة والذي
في البخاري مثل ما بعثني الله وليس فيه به فقال ابن حجر انه مقدر وما موصولة وقيل
عصى
عليه شرط حذف العايد المجرور جر الموصول بمثله لفظا ومعنى وان لم يتحد متعلقا
فما مصدرية لا عايد لها اقول ما ذكره النحاة انما هو لجوازه قياسا مطردا لا لعدم
صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام وذكر المصنف ان كان لرواية وقعت له فظاهر
او لبيان انه مقدر فيه فهو رواية بالمعنى يدل على ما قاله ابن حجر والمعنى عليه
وفيما ذكره تطويل لا يخفى كمثل رجل اتى قوما لنصحهم وبين لهم بعدوهم الذي
قرب مجيئه لهلاكهم فقال يا قوم اني رايت الجيش هو جمع كثيرون سايرون للمحاربة
والقتال بعيني هو مفرد مكسور النون مضاف ليا المتكلم الخفيفة او بفتحها وبيا
مشددة مفتوحة مثنى وهو لتاكيد الرؤية وتحقيق انها رؤية حقيقية بصرية
ضرورية حسية واني انا النذير اي المنذر المعلم عما يحذر قبل وقوعه العريان
ابي هي
اي المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل تمثل به صلى الله عليه وسلم
والمراد به المبالغة في الانذار ووضوح ما انذر به وعدم احتمال خلافه
واصله ان الرجل كان اذا راى العدو قرب جدا وليس بينه وبينهم حجاب
يمنعهم عن رؤيته وخشي ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه
ورفعه يلوح به اي بادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم العدو وما لا
تطيقونه واصله كان في رجل معين من خثعم قطع رجل يده ويد امراته
فاتى قومه يحذرهم فعل ذلك وقيل انما هي امراة وقيل هو عوف بن
عامر اليشكري وامراة من كنانة وقيل امراة من بني عامر وقيل ابرهة
الحبشي وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما انفلت منهم
فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطايف ما قاله الامام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التمثيلي في قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه
ملاطفة له صلى الله عليه وسلم كانه يقول له انا ارسلناك نذيرا والذين يكونون
عريانا لا ملفوفا بثيابه وهي نكتة سرية فالنجا بالنصب على المصدر بعامل محذوف
لضيق المقام ومعناه الخلاص والعزار اي الخوف بسرعة من غير لبث فتابع
عامله وعرف وهو ممد ودا ومقصورا بنية الوقف وروا البخاري النجا النجا
بالتكرير بمدهما وقصرهما وبمد الاول وقصر الثاني وهو منصوب على الاغرا
اي اطلبوا النجا بالهرب وبحوه رفعه اي النجا خبركم فاطاعه طايفة اي جماعة
وفرقة من قومه لما اتاهم وقال لهم ما قاله فادلجوا اي ساروا من اول الليل
او ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل
المخفف سيرا اول الليل والمشدد سير اخره والاسم الدلجة بالفتح والضم
وانطلقوا اي ساروا طالبين النجاة من عدوهم على مهلهم اي متمهلين
بتؤدة وتان بعد ذلك او في سيرهم هذا السعة ورفقهم ومهل بفتح الميم
مع فتح الها وسكونها وبضم الميم وسكون الها كما مر وفي مسلم مهلتهم بزياده
تا والكل بمعنى واحد فنجوا بفتح النون مع الجيم اي سلموا من عدوهم وكذبت
طايفة منهم النذير في انذارهم بالعدو فاصبحوا اي مكثوا مكانهم اي في
مكانهم الذي كانوا فيه حتى دخلوا في الصباح فصبحهم الجيش اي اتاهم في
وقت الصباح واهلكهم واجتاحهم بجيم ومثناة فوقية والفوحا مهملة
اي اهلكهم جميعا واستاصلهم فلم يبق لهم باقية من الذراري والاموال
والجايحة الافة التي تصيب الثمار فتستاصلها اي تقلعها من اصلها وكل مصيبة
عظيمة فهي جايحة فذلك المذكور والمثل المضروب لكم مثل من اطاعني فتبعوا
بمن صدق النذير فنجا فاتبع ما جيت به فصدقه وعمل بما امرته مما اوحاه
الله اليه واجتنب ما نهاه عنه فسلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية ومثل
من عصاني وكذب ما جيت به من الحق فهو كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى
هلك ومن معه وفي شرح المشكاة للطيبي انه صلى الله عليه وسلم شبه نفسه
وانذاره بالعذاب القريب بالرجل الذي انذر قومه بالجيش المصبح وشبه من
اطاعه من امته ومن عصاه بمكن كذب الرجل ومن صدقه وقيل عليه انما هو
تشبيه تمثيلي شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته لا تشبيه الاجزا بالاجزا
فان الاول ابلغ واحسن اقول اعادة مثل في الحديث تقتضي ما قاله الطيبي
والمآل واحد والبلغية ما ذكر في هذا المقام غير مسلمة بسلامة الامير وقيل
انه تشبيه بليغ استعير فيه المثل للحال والقصة والقصة العربية العجيبة
وهو وجه وجيه وتحقيق في شروح الكشاف وفي الحديث الاخر الذي رواه
الشيخان في مثله اي تمثيل حاله وصفته صلى الله عليه وسلم مع امته في
دعوته لهم كمثل لفظ تحتيين او كصفة وقصة من بني دارا عظيمة انشاها
ورتبها بفرش نفيسة وجعل فيها مادبة بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال
مهملة مثلثة والاشهر الضم ثم الفتح وبا موحدة وها وهي الاطعمة الكثيرة

النفيسة المعدة لاكرام الضيوف والاصحاب وفي القاموس انها طعام صنع لدعوة او عرس
والمشهور الاول فهي عامة لكل دعوة وفي فقه اللغة القرا بكسر القاف والقصر وفتحها
والمد طعام الضيف الغريب وهو للزاير تحفة وللاملاك شندخة وللعرس وليمة
وللولادة خرس ولحلق شعر المولود عقيقة وهو في الاصل اسم لنفس الشعر
من عقه قطعه وللختان عذيرة وللعمل قبل الغدا سلفة ولمستعجل الغدا عجالة
ولكرامة منزلة من النزل انتهى والمادبة من الادبة بالضم وهي الطعام وبعث داعيا
يدعو لمنزله واكل طعامه فمن اجاب الداعي اي امتثل دعوته وذهب معه دخل الدار
التي بناها واكل من طعام المادبة التي اكرمها ومن لم يجب الداعي لدعوته لم يدخل
الدار ولم ياكل من المادبة التي حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان
من بني وهو الله الذي خلق الجنة وهيا اسباب دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله
فالدار الجنة التي اعدها الله لمن اختاره من عباده والمادبة ما فيها من النعيم
وما تشتهيه الانفس والداعي لها محمد صلى الله عليه وسلم مما بلغهم عن الله وامرهم
به مما يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد فمن اطاع محمدا فقد
اطاع الله لما تقدم بيانه ومن عصى محمدا فقد عصى الله لان مخالفه مخالف لامر الله كما
مر ومحمد فرق بين الناس فرق بفتح الفا وسكون الرا المهملة وتنوينه مصدر
بمعنى فارق بين المومنين والكافرين بطاعته وعصيانه وروي فرق بصيغة الماضي
مشدد الرا المهملة اي فرق بين مومنهم وكافرهم او بين من دعي للجنة وبين
من لم يدع لها وهذا انسب بالسياق والمعنى واحد واول هذا الحديث انه صلى الله
عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاه ملايكة وهو نايم فقال بعضهم لبعض
ان العين نايمة والقلب يقظان فقالوا اسلموا له كمثل رجل الخ وفيه فقالوا اولوها
له يفقهها فقالوا الدار الجنة الخ فالممثل الملايكة وكذا المبين له وهذه رواية
غير رواية المتن وفي رواية ان القايل جبريل وميكاييل ولا يخفى ان ظاهر الحديث
انه تشبيه مركب فقول الكرماني انه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه
تمثيلي مما لا وجه له

فصل واما وجوب اتباعه

صلى الله عليه وسلم وامتثال سنته السنة هنا بمعناها اللغوي وهي الطريقة
والسيرة بمعنى وهي اقواله وافعاله وتقريراته وليس المراد بها ما يقابل الفرض
حتى يتوهم منا فاتها للوجوب لانه معطوف على اتباعه والاقتدا بهديه هدى
بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته ايضا وفي نسخة والاهتدا بهديه فقد
قال الله تعالى هو جواب اما اي فقد ثبت ذلك بنص القران كقوله عز وجل
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني اي اقتدوا بسنتي واهتدوا بهديي يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم الاية فسر محبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله
بانعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتعارف فان المحبة الحقيقية ميل
النفس لما يستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال الغزالي انه العصيان ينافي
اصل المحبة وقال البيضاوي يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم
بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر

وكان

عرض

دبلج

عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة اي المشاكلة ولبعض الشراح من
المتاخرين هنا كلام لا طايل تحته عبرا للتطويل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي والايمان به وتصديقه يقتضي اتباعه وطاعته الذي يؤمن بالله وكلماته
المنزل اليها الوحي عليه وما اوحي الى من قبله من الرسل من الكتب والشرايع وعبر
عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شيء وكلامه الذي ينفي
مداد البحار في دواة الامكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لان
المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص
يكفي هنا اعني الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بي لبلاغة الالتفات وليجري عليه
الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجا في قوله واتبعوه لعلكم
تهتدون اي راجين الاهتدا باتباعه تحريضا لهم على اتباعه وايما الى ان من امن
به ولم يقتد بما شرعه لهم لا يخرج من الضلال والرجا بالنسبة للمخاطبين او هو
مجاز عن التعليل كما ذهب اليه بعض النحاة وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
لا مزيدة للتاكيد او نفي لما تقدمها اي ليس الامر كما يزعمون من انهم امنوا بما
انزل اليك وقيل لا الثانية زايدة والقسم معترض بين حرفي النفي حتى يحكموك
اي يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم فيما شجر بينهم اي فيما
وقع بينهم من المشاجرة وهي المخاصمة واصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل
اغصانه واختلاطها الى قوله تسليما يعني قوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر او الشك وهذه الاية نزلت في بعض
الانصار لما اختصم مع الزبير في ما سقي به ارضه وسياتي تفصيله اي ينقادون
لحكمك تفسير لقوله ويسلموا تسليما واكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفي
نسخة ينقادوا قيل وهو الظاهر لانه منصوب بحذف النون لا سيما ان قيل ان اي
عاطفة وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده يقال سلم عوضي
بالتشديد واستسلم اي طلب السلامة بانقياده واسلم اذا انقاد هذا هو
المصرح به في كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره فما قيل ان المذكور في القاموس
ان التسليم الرضى والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم في الاية بالرضى
الاخص كان احسن ليس بشي وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة بالكسر
والضم اي قدوة يقال اسيته بمالي اسوة وواسيته لغة قليلة وقيل هي
الصواب هي الخصلة التي يراد الاتصاف بها حسنة اي خصلة حسنة من
حقها ان يؤتسى بها اي يقتدى ويجوز ان يراد بالاسوة النبي صلى الله عليه
وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التاسي به في اقواله وافعاله وحسنة هنا
على الاول صفة مؤكدة ويجوز ان تكون احترازا عما هو من خصايصه صلى
الله عليه وسلم فيكون صفة مقيدة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي يرجو
ثوابه ولقاه ونعيم الاخرة او ايامه الاخر خصوصا مع قوله لمن كان وفي الكشاف
ان لمن بدل من لكم وقيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة
او صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجا لان اتباعها ملازمة الطاعة اذ المؤتسي من

شانه

شانه ذلك قال محمد بن علي الترمذي هو المعروف بالحكيم الترمذي المتوفي صاحب نوادر
الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته الاسوة في الرسول تعريفه للعهد
الخارجي فالمراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم او هو للعهد الذهني او الاستغراق
فهو اعم اي في حق رسول من الرسل او كل رسول الاقتدا به في اقواله وافعاله كما في قوله
فبهداهم اقتده والاتباع لسنته اي لطريقته وشريعته وترك مخالفته في قوله
قاله امرا او نهيا او ارشادا او فعل فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصايصه
صلى الله عليه وسلم وقال غير واحد تقدم ان معناه فاتى كثيرون من المفسرين بمعناه
اي قالوا قولا بمعنى ما قاله الترمذي وقيل معنى الاية المذكورة هو عتاب من الله اي
توبيخ ولوم للمتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة
اعدايه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به في جهاد اعدا الدين ومقاساة اهوال الحرب
وكان ذلك في غزوة الاحزاب او تبوك حبا للبقا والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته
صلى الله عليه وسلم وبذل انفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه
دليل على ما ذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة افعاله واقواله
المتبعة ظرفية الموصوف للصفة لانها قايمة به كقيام المظروف بظرفه وان قلنا
الاسوة نفسه صلى الله عليه وسلم فهو تجريد جعل كانه فيه مقتدى به منتزع
كقوله لهم فيها دار الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الدار في نفسها تساوي عوضي
كذا او في البيضة عشرون منا من حديد كما قيل وقد اشرنا الى ان الاقتدا انما يجب فيما
ليس من خصايصه كالامور الجبلية فيه فانها لا يمكن ان تكون لغيره وقال سهل
ابن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته في قوله تعالى صراط الذين انعمت
عليهم يعني ما انعم به على من سلك الطريق المستقيم قال سهل في تفسيره انه انعم
عليهم بمتابعة السنة اي اتباع طريقه الذي هو الصراط المستقيم الذي يجب
اتباعه فامرهم الله تعالى بذلك اي باتباعه ووعدهم الجزا عليه اعني الاهتدا
باتباعه اي حصول الهداية التي طلبوها بقولهم اهدنا الصراط المستقيم فقال
واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايما الى ان الترجي من الله وعد ممن لا يخلف الميعاد
لان الله ارسله بالهدى اي بما فيه هدايتهم ودين الحق اي الدين الحق او دين الله
ليزكيهم اي يطهرهم من الشرك والمعاصي ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي
العلوم النافعة الحكمة والشريعة التي صيرتهم حكما متقنين للعلم والعمل
ويهديهم الى صراط مستقيم بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم
ووعدهم محبته تعالى اي محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله في الاية الاخرى
يعني قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومغفرته لقوله
ويغفر لكم ذنوبكم اذا اتبعوه لان جواب الامر في معنى جواب الشرط وانزوه بالمد
اي قدموه واختاروه من الايثار على اهوايهم جمع هوى بالقصر وهو ما تميل
اليه النفس وتدعو اليه وهو اذا اطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات
وما يختلج بحجيهم وتفون وجانحته ويجوز في نونه الفتح والضم والكسر بمعنى
تميل واصله الميل على احد شقيه ماخوذ من الجناح اليه نفوسهم ووضع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الظاهر فيه موضع المضمر اذ المعنى يحبون الله ويقدمون اتباعه ومحبته على محبة انفسهم
واموالهم واولادهم والناس اجمعين كما ورد في الحديث واخبرهم بان صحة ايمانهم
في انقيادهم له في جميع ما امرهم به ونهاهم عنه ورضاهم بحكمه فيما تخاصموا
فيه يعني قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وترك الاعتراض عليه فيما حكم به
ومخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم في قصة الانصاري مع الزبير
وروي عن الحسن البصري رحمه الله والراوي له ابن المنذر في تفسيره وبخط الله
الحسن بن علي رضي الله عنهما ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله اي نميل
اليه انفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه فانزل الله مبينا لهم محبتهم
والمراد منها بقوله قل ان كنتم تحبون الله الاية اي فاتبعوني يحببكم الله يعني ان
محبته تعالى انما تتحقق بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
ومن احب الله احبه الله كما قيل ماجزى من يحب الا يحب وروي في سبب
نزول هذه الاية انها نزلت في كعب بن الاشرف وهو رجل من عظما اليهود
من بني النضير وامه من طي وقتل كافرا بعد بدر بستة اشهر كما تقدم وقصته
مشهورة مفصلة في السير وغيره من اليهود اتباعه والمهم اي ابن الاشرف واتباعه
قالوا نحن ابنا الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله وهذا ما حكاه الله عنهم في قوله
وقالت اليهود والنصارى الخ وكانوا اتوه صلى الله عليه وسلم فانذرهم وخوفهم
عذاب الله فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن ابنا الله الخ فقال لهم معاذ بن جبل
وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون
انه رسول الله وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما انزل
الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول النصارى نحن ابنا الله
انهم اشياع عيسى صلى الله عليه وسلم الذي زعموا انه ابن الله ومعنى قول
اليهود ذلك انهم اشياع عزير الذي زعموا انه ابن الله وقيل تقديره ابنا
رسل الله فانزل الله الاية جوابا لهم بقوله قل فلم يعذبكم الله الاية وقال
الزجاج في تفسير هذه الاية معناه ان كنتم تحبون الله اي تقصدوا طاعته
اذ لا يصح تفسير المحبة فيهما بما تعارفه الناس وفي نسخة ان تقصدوا وهذا
تفسير لمحبة العبد فافعلوا ما امركم الله به الفا فصيحة اي اتبعوني فافعلوا
الخ اذ محبة العبد لله وللرسول اي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاللام
عوض عن المضاف طاعته لهما باتباع امرهما ونهيهما ورضاه بما امرا
بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا ومحبة الله لهم
اي لعباده ففسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما في الاية عفوه
عنهم بمغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله وانعامه اي الله عليهم اي على
عباده برحمته اهتماما به والرحمة في حق الله بمعنى الانعام وارادته
في حقه تعالى لان معناها الحقيقي لا يصح في حقه تعالى فالمراد بها هنا
لطفه بعباده ورافته بهم ويقال في تفسير محبة الله ومحبة عباده له
ان

ان معنى الحب من الله عصمة اي حفظ الله لعبده من مخالفة امره ونهيه والعصمة بمعنى
مطلق الحفظ لا يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون لغيره وتجوز الدعا بها لكل احد
كما تقدم والذي يختص به صلى الله عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة
تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله وان لا يقدر احد على قتله ونحوه واليه اشار بقوله
وتوفيق اي خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته في السر والعلانية حتى يمتنع
من المعاصي ومبدؤه ميل نفساني يتعالى الله عنه والمحبة معناها طاعة وانقياد
لله ورسوله كما قال القايل اي معنى ما ذكر وهو معنى قول هذا الشاعر وهو
كما في زهر الاداب للحصري محمود بن حسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو بليغ
مفلق كان في اول الدولة العباسية وكان كثيرا ما ياخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة
وغيرهم فينظمها في شعره كقوله

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ❊ علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ❊ وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسرا عم سرورها ❊ وان مس بالضرا اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة ❊ يضيق بها الاوهام والبر والبحر

تعصي الاله وانت تظهر حبه ❊ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ❊ ان المحب لمن يحب مطيع

وفي معناه قول منصور الفقيه ايضا

غلط فاحش وجهل مبين ❊ وعمى لا يحول لا بل جنون
طمع العبد في كرامة مولاه ❊ واصراره على ما يهين

ومعنى الشعر انك تدعي محبة الله وانت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب
لا يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها الا انهم في القسم التزموا
فتحها الاسد وذا وهو مبتدا خبره محذوف تقديره قسمي والقياس لغة
تقدير الشيء بذراع ونحوه وفي الاصطلاح الحاق شيء بشيء لمناسبة بينهما ويطلق
بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعني
ان العاصي لا يتصور المحبة لان المتنافيين لا يؤاخذ احدهما الاخر وهو امر عجيب
ومقتضى القياس ان المحب لا يعصي حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقي كما
قيل وهو تكلف ويقال محبة العبد لربه تعظيمه له وهيبته منه اي خوفه اذا
تامل عظمته ومحبة الله له اي لعبده رحمته له اي احسانه واكرامه لان
معناه الحقيقي لا يليق به فاريد به غايته وارادة الفضل الجميل له وتكون
بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول
اولى بمعنى مدحه والثنا عليه اي على العبد قال القشيري الامام الزاهد
ابو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته فاذا كان اي الرحمة وذكره
لتاويله او لان تانيث المصدر غير معتبر لنا ويله بانه والفضل او الضمير
للجميل بمعنى الرحمة والارادة عطف تفسير لان الرحمة تفسر بالانعام
فيكون من صفات الافعال والمدح في كلامه لا ازلي كالثنا على المؤمنين في القران

وفي العباد ح

دجي

دجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان من صفات الذات اما الارادة فظاهر واما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام
والكلام على صفات الذات والافعال معروف منه في علم الكلام وسياتي بعد مبني
على الفتح لقطعه عن الاضافة اي بعد هذا اي ذكر محبة العبد غير هذا فاعل سياتي
اي غير ما ذكرهنا بحول الله تعالى اي باعانته وقوته لانه الحول له معان منها
هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الاجري شاهدا لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم
فقال حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بن احمد شيخ المص قال حدثنا
ابو الاصبغ عيسى بن سهل اصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة ح وحدثنا
تقدم ان ح بحا مهملة يذكرها المحدثون اذا ارادوا التحول من رواية لرواية
اخرى كما بينه ابن الصلاح ابو الحسن يونس بن مغيث بميم مضمومة وغين معجمة
وبا تحتية ساكنة ومثلثة الفقيه بقراتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد تقدم
بيانه قال حدثنا ابو حفص الجهني نسبة لجهينة مصغرا قبيلة مشهورة قال
حدثنا ابو بكر الاجري بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الرا المهملة
نسبة للاجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم
بيانه قال حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزي بفتح الجيم وسكون الواو وزاي معجمة
مكسورة وبا النسبة وهو ابو اسحاق الجوزي نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد
وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبي وقال التلمساني انه كذا في اصل المص ورواه
الغير في خوزي بخا معجمة مضمومة وواو ساكنة وزاي معجمة نسبة لخوز
جيل من الناس او قرية مشهورة قال حدثنا داود بن رشيد بالتصغير علم منقول
وهو ابو الفضل الخوارزمي الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفي في
شعبان سنة تسع وثلاثين ومايتين قال حدثنا الوليد بن مسلم الحافظ ابو العباس
عالم الشام صاحب التاليف الجليلة روى له اصحاب الكتب الستة الا انه نسب
الى التدليس وتوفي في سنة خمس وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان عن ثور
ابن يزيد الحافظ الحمصي ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى اخرج من حمص وتوفي
سنة ثلاث وخمسين ومائة عن خالد بن معدان الكلاعي الزاهد الفقيه الجليل
اخرج له اصحاب الكتب الستة توفي سنة اربع وثمانين ومائة قيل انه كان
يسبح في كل يوم اربعين الف تسبيحة عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي كذا في
النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام
وهو ابن عنبسة وهو حافظ ثقة توفي سنة عشرة ومائة وحجر الكلاعي حجر بضم
الحا المهملة وسكون الجيم ورا مهملة والكلاعي بفتح الكاف ولام والف وعين
نسبة الى كلاع بن نة سحاب بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن ه
المشهي بالاذوا وهذه النسبة لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين وروى له
اصحاب السنن عن ابن نجيح العرباض بعين مهملة مكسورة ورا مهملة ساكنة
وبا موحدة وضاد معجمة واصله الطويل وتقدم الكلام عليه ابن سارية
بسين مهملة وبا اخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل
الصفة سكن حمص في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

اي

اي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة
وذلك ان عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض
ابن سارية وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد
ما احملكم عليه وقلنا اتيناك زايرين وعايدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها
العيون ووجلت منها القلوب فقال قايل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا
تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من
يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين
تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة رواه على الوليد كذا قاله الذهبي في تاريخه ومن خطه نقلت
واعلم ان الموعظة هي التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه
ان كان بمعنى الزم كقوله عليكم انفسكم وبالبا ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة
الطريقة بما هم عليه والخلفا جمع خليفة والراشدين جمع راشد ضد الغاوي والمراد
بهم الخلفا الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز وايمة الاسلام المجتهدين
في اعلا كلمة الله وقوله عضوا الخ فعل امر والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ
اقصى الاضراس وهي اربعة او الانياب او التي تليها والمراد الاجتهاد في التمسك بها
فهو استعارة تمثيلية لما ذكر لا كناية ويجوز ان تكون استعارة تصريحية تبعية
وقيل المراد بالنواجذ جميع الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذري انه يجوز
اهمال الذال وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة واياكم تحذير اي احذروا المحدثات
والرضا بها وهي جمع محدثة اسم مفعول وهو ما حدث مما خالف الكتاب والسنة
واجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهي ما لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم
وهي كما قاله العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة
ومباحة فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث
الربط والمدارس ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير العمايم وتوسيع
الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذي يتوقف عليه فهم كلام
الله وكلام رسوله ولا ينافي هذا قوله كل بدعة ضلالة لان البدعة لها معنيان
كل ما حدث بعد العصر الاول وهو المنقسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى
الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها واليه الاشارة
بقوله سنة الخلفا وقد خصها الشارع بما هو مذموم لعدم دخوله تحت
القواعد الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الاطلاق وهو الذي جعل
ضلالة وفي عوارف المعارف واحيا الغزالي البدعة المذمومة ما زاحم السنة
الماثورة وكان يفضي الى تغييرها وفي كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف
وقد اكد على ما رواه العرباض في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الذي
رواه مسلم بمعناه اي ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافقا له وليس المراد
انه رواية بالمعنى كما قيل وكل ضلالة اي صاحبها بارتكاب البدع المذمومة في النار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي معذب بها او مستحق للعذاب وقيل انه متضمن لشكل منطقي منتج لما ذكر اي
كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب
للعذاب الاليم وفي حديث ابي رافع الصحيح الذي رواه ابو داود والترمذي
وابن ماجه وابو رافع هو الصحابي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
قبطيا واختلف في اسمه فقيل ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز
ولهذا ابو رافع غير راوي هذا الحديث معدود في الصحابة ايضا يروي عنه
عليه الصلاة والسلام لا الفين نفي بمعنى النهي اي لا اجدن والفي بمعنى وجد
قال تعالى والفيا سيدها لدا الباب وروي لا لقين كما تقدم عن الام للشافعي
والصحيح رواية الاول وان صح هذا ايضا كانه لتحققه وجده هو وهو بضم
الهمزة وسكون اللام وكسرها وفتح المثناة التحتية وتشديد النون اي
لا يفعل احدكم معاشر الامة او الصحابة فعلا يكون هذا من سببه وهو نهي
في الحقيقة عن التكبر والبطر متكيا اي مائلا مستندا معتمدا او هو بالهمزة
والياء ايضا وتقدم ان العامة لا تعرف المتكي الا من مال في قعوده معتمدا على
احد شقيه وتاؤه مبدلة من واو من الوكاء على اريكته هي سرير مزين
متخذ في قبة او بيت وليس مطلق السرير اريكة وقيل هو سرير في حجلة
وقيل كل ما اتكي عليه من سرير او فراش او منصة او مخدة مما يفعله
المترفون وجمعه ارائك وقال الراغب سمي به لاتخاذه من الاراك او لانه
محل الاقامة من ارك بالمكان اروكا اذا اقام به واصله الاقامة لرعي الاراك
ثم تجوز به عن كل اقامة يأتيه الامر من امري اي شيء مما امرت به فقوله مما
امرت به تفسير لقوله من امري بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية
بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفي اي به متعلقة بامري والامر الاول
بمعنى الشان شامل للنهي وغيره والثاني نقيض النهي لقوله او نهيت عنه
فيقول لا ادري هذا الامر الذي تعلمونه لنا ولا اتبع ولا اعرف غير القران
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه دون غيره مما روي في الاحاديث ولم يعرف
ان ما في الحديث عن الله ايضا وان الوحي وحيان متلو وغير متلو وان السنة
لا تخالف الكتاب وقد قال تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وهو تحذير عن تركه امتثال امره واجتناب نهيه والعمل بهما
وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت او لا وفي الحديث الصحيح
الذي رواه الترمذي الا اني اوتيت القران ومثله معه الا يوشك رجل
شبعان على اريكته يقول عليكم بالقران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه
وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله
الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة
الخوارج وفي حديث عائشة المروي في الصحيحين وما ذكره المص لفظ البخاري
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا اي بيانه ترخص فيه اي ارتكب
فيه الرخصة وترك العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهولة

كعتم

دلجي

كتفطر المسافر صلاته وافطاره وهذه الرخصة انه صلى الله عليه وسلم كان يصبح
جنبا وهو صائم فبلغ ذلك بعضهم فقالوا لسنا كرسول الله فسمعه صلى الله عليه وسلم
فغضب فقال لا ارجو ان اكون اخشاكم لله واتقاكم وقيل هو ان بعض الصحابة سال
ازواجه صلى الله عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما اخبر بها استقلوها وقالوا انه
غفر له ما تقدم وما تاخر فانا اصلي الليل كله وقيل ان بعضهم قال اعتزل النسا
ولا اتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله عليه وسلم
عام الفتح والكل صحيح هنا فتنزه اي تباعد قوم عن العمل بما ترخص فيه فبلغه
ذلك اي نقل له صلى الله عليه وسلم تنزه هولا فخطبهم موعظة على عادته
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام اي ما شانهم وحالهم وهو استفهام انكاري
يتنزهون عن الشي حال كوني اصنعه فتركهم لمثله لانهم يظنون ان خوفهم
من الله اشد من خوفي له لان الله غفر لي ما تقدم وما تاخر ولم يكلفني ما كلفهم
فوالله تاكيدا وتقريرا لقوله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية اي خوفا وقدم
اعلميته به لان الخشية بمقدار العلم كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما
فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكاب مثلهم الرخص يفضي
الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لان الله يحب ان تؤتى
رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه فالمعاندة فيه معاندة لله تعالى عليهم ولا يليق
عدم قبولها وقيل انه ليس محلا للانكار لكنه نزله منزلة المنكر لما لاح عليهم
من علامات الانكار وليس بشيء وروي عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه
الديلمي وابو نعيم وابو الشيخ مسندا انه قال القران صعب بسكون العين
ضد السهل مستصعب بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب
ولكنه من استصعبت الامر بمعنى وجدته صعبا او صيرته صعبا اي هو في
نفسه عسر على من اراد حفظه وفهمه والعمل به وقد صيره الله ايضا صعبا
على من كرهه اي من لم يرد حفظه وتدبر اياته واما من احبه وتلذذ بتلاوته
وداوم على مدارسته وتامله فييسره الله عليه وهو اي القران الحكم يحتمل
اي الذي يحكم على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والمواعظ وجعله
حكما اي حاكما بنفسه مبالغة فمن استمسك بحديثي المروي عني وفهمه وحفظه
بتدبر معانيه وضبط الفاظه جاء يوم القيامة محشورا مع القران اي اذا تمسك
به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشيء محكم وثيق
لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه في
الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القران وانهما كشيء واحد لان
السنة تبين القران وتجيبه معه اما تجيبه مع اهله او مع ثوابه او اعماله التي
عمل بها منه او هو على ظاهره بان يجي تاليه فيشفع فيه ويقال اقرا وارق
كما ورد في الحديث والمراد بالقران الفاظه لان الكلام النفسي الذي هو صفة
ذاتية ومن تهاون بالقران اي اعرض عنه ولم يتوجه اليه فكره لاهانته او
عدم هيبته وحديثي بعدم حفظه والعمل به فقد خسر الدنيا لانه يجي جاهلا

ابن افتوى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بيانا وتفسيرا والاخرة لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ومن اعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى الاية امرني بالنبا المعهود
اي امر الله امتي ان ياخذوا بقولي اي يتمسكوا بحديثي ويعملوا به كما سياتي ويطيعوا
امري لقوله واطيعوا الرسول ويتبعوا سنتي اي يقتدوا بي ويسلكوا طريقي
ومنهجي القويمة كما قال واتبعوه لعلكم تهتدون فالعمل بسنته عمل بالقران
لانهما توامان وفيه رد على من قال لا اعمل الا بالقران ونهي عن ترك السنة
وخبر الاحاد كما تقدم فمن رضي بقولي فاتبعه وعمل به فقد رضي بالقران لانه موافق
له وغير مخالف له فهما كالشيء الواحد قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه فان سنته
مبينة وموضحة للقران فمن خالفه فقد ضل ولذا قالوا من اراد تفسير القران
فليتامله فان بعضه يفسر بعضا فان لم تجده فيه فعليه بالسنة فان لم تجد
ما اراده فيهما فعليه باقوال الصحابة فانها في حكم المرفوع لانه صلى الله عليه وسلم
كان يقرئهم القران ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية وقال صلى الله عليه
وسلم فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتي اي
اتبعها وعمل بما فيها او المراد رواه بلفظ من اقتدى بي في سنتي ومن يعتق فهو
مني اي من اتباعي واشياعي الذين يحشرون معي ويتصلون بي حتى كانهم بعض
مني لا ينفصل عني ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله صلى الله عليه وسلم
لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى ومن رغب عن سنتي اي تركها واعرض
عنها يقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته او احاديثه
المروية عنه الشاملة لاقواله وافعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى
فليس مني هذا تبروء منه كقوله لست من قيس ولا قيس مني ونحوه هذا مذكور
في الصحيحين ايضا ومعناه ليس متقربا مني اي هو كافر على ملتي لاهانته لحديث
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ولم يخرجه السيوطي لهذا اللفظ عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال احسن الحديث كتاب الله كما قال الله تعالى الله نزل
احسن الحديث الاية وخير الهدي بالنصب ويجوز رفعه هدي محمد بفتح الهاء وسكون
الدال المهملة وتخفيف الياء وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم فلان هادي
في مشيته قيل والتقه هنا كما قاله القاضي في الاكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال
مقصورا والهداية بمعنى الدلالة والتاييد بالعصمة وهذه هي التي تضاف الى
الله وشر الامور محدثاتها بفتح الدال تقدم تفسيره وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص في حديث رواه ابو داود وابن ماجه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم ثلاثة اقسام حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد
بغيرها وما سوى ذلك وفي نسخة وما سوى ذلك فضل اي زائد لا حاجة
اليه ولا يفتقر اليه وتفسيره بالبقية غير سديد هنا والاظهر ما قيل ان المراد
كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة — عرضي
داعية لمعرفته ومعنى الفضل في اللغة الزيادة كما علم اية من كتاب الله

محكمة

محكمة غير متشابهة لقوله تعالى منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
او غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا ايضا والمراد ما يشملهما لاحكام بنيانها فلا تحتاج
لزيادة واحكام نظمها فلا خلل فيها ويطلق المحكم على جميع القران ايضا كما قال تعالى
احكمت اياته ويجوز ارادته ايضا او سنة قائمة اي دائمة مستمرة يعني لم تنسخ
لدوام العمل بها او فريضة عادلة اي لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة
من القران والحديث تشبيها لها باعظم اقسامها او لانها استنبطت بالاجتهاد المنصوص
على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها للنص او المراد بها فريضة المواريث وقسمتها
وهو المشهور ويطلق على ما يقابل العاقلة وليس بمراد هنا وفيه اشارة الى ان
العلم اللازم العلوم الشرعية وهي التفسير والحديث والفقه وعن الحسن بن
ابي الحسن هو الحسن بن يسار البصري وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق
عن معمر مرسلا والدارمي متصلا عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم وفي
نسخة قال عليه الصلاة والسلام عمل قليل في سنة في هنا بمعنى مع كقوله تعالى
ادخلوا في امم اي موافق للسنة ومصاحب لها وان قل خير من عمل كثير في بدعة وان
كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والتعبير بفي اشارة الى انه يراعي السنة في جميعه عددا
وهيئة حتى يحيط السنة به وقيل انه لمصاحبته للسنة وتمكنه فيها شبه بالظرف
والمظروف وهذا كمن يقتصد منزوار (?) كعتين ولم يصل الصلوات التي ابتدعها بعض
المتصوفة بجماعة كالرغائب ووجهه ظاهر وخير اسم تفضيل يقتضي الخيرية في
ابن اقيوس (?) — البدعة بحسب ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بناء على اعتقاد فاعلها القربة
فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها اصل في العبادة كوصال الصوم وما
اشبهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة الواحدة
وان قلت يتمسك بها اي امتثلها وعمل بها مخلصا وعن ابي هريرة في حديث رواه
الطبراني في الاوسط المتمسك بسنتي اي العامل بها والسالك طريقتها عند
فساد امتي اي تغير احوالها وتركها امور الدين واتباع البدع وذلك في اخر الزمان
له اجر مائة شهيد وفيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وامر غيره
بالعمل ايضا فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وايضا هو مجاهد
لنفسه حتى يترك ما الفه الناس ومثله مما يرغب الناس عنه فيؤذيه اشد الاذى
فلذا اعطي ثواب شهيد او جعله اجر مائة للتكثير وللاشارة الى ان اكثر ما يضاعفه
عشر والحسنة بعشر امثالها وقيل ان الشهيد يموت في سبيل الله بترك الدنيا وبذل
نفسه في نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعائه له ومن وفقه الله مع فساد عصره
والتقوى — واهله فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق لمخالفة الناس والقوم
بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام بمنزلة البخل بين الكرام
كما قيل

رايت عبيد الله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد
اولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي ان بني اسرائيل افترقوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي صاروا فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
واليه انتسب كل من كان قبيلة وهم قوم مشهورون على اثنين وسبعين ملة
اي مذهبا او دينا لان الملة والدين بمعنى وان افترقا مفهوما واستعملا اوقد
تقدم تفصيله وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين فرقة مختلفة الاعتقاد
والمذاهب وروي فرقة مكان ملة وفي الحديث وابانه مختلفة كلها في النار
الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله هكذا روي قالوا وعاطفة على مقدر
اي هذا اعدادهم ومن هم اوهي لا يدة قال هم الذين على الذي انا عليه واصحابي
وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن في عصره
ولا عصر الخلفا الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار
اصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد الف في بيانها تآليف اجلها كتاب الملل
والنحل للشهرستاني وقد عدوها فكانت كما ذكر صلى الله عليه وسلم والشيعة
والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد
بكونهم في النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون في اعتقادهم
ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية اهل السنة والجماعة
لاتباعهم القران والحديث في الاعتقاد من غير ارتكاب تاويلات بعيدة وزعم
الطوسي وابن مطهر الحلي الامامية ورده الجلال الدواني في شرح العقايد
كما بيناه في حواشيهما ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج للتاويل
كما توهم وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الاصفهاني في ترغيبه وغيره من احيا سنتي اي اظهرها بالعمل بها والحث
على اتباعها حمل ذلك بمنزلة الاحيا ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية
وهو كالحديث الذي رواه ابو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها فقد احياني
اي اظهر ذكري ورفع امري فجعله بمنزلة احيايه كما قيل

وكتسبه قد عاش آخر دهره ... الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر

ومن احياني ببقاء ذكري وشرعي كان اي تحقق ان جزاءه ان يكون معي في الجنة
والمراد دخوله فيها وعلو مرتبته لا مساواته فيها وحذف ظرف المعية من
الزمان والمكان تفخيما له لتذهب نفسه كل مذهب وعن عمرو بن عوف
ابن زيد بن ملحة المزني الصحابي وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفي
في زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لبلال بن الحارث بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن ابو عبد الرحمن
المزني الصحابي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن
ورا المدينة وتوفي سنة ستين وسنه ثمانون سنة من احيا سنة من سنتي
قد اميتت بعدي اي تركت وترك العمل بها فشبه الترك بالموت لاشتراكهما
في العدم وسنته طريقته وشريعته فهي تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما
قيل الظاهر سنتي بصيغة الرواية بالافراد والاماتة ضد الاحيا وتختص
بالحيوان حقيقة كان له من الاجر اي الثواب مثل من عمل بها فيه مضاف

ابن افيترس

تلمساني

مقدر

مقدر اي اجر من عمل بها من غير ان ينقص ذلك اي الاجر الذي له من اجورهم شيئا ذكرها
لتوهم انه يعطي من ثوابهم فينقص اجرهم ومن ابتدع بدعة ضلالة وكنى هنا بقوله
لا ترضي الله ورسوله لانها بدعة غير مرضية كان عليه مثل آثام بالمد جمع اثم وهو
الوزر من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا وهذا رواه الترمذي وابن
ماجه وحسنه وفي من الموصولة من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيئا وقوله بدعة
ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافي هذا قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
لان هذا وزره وكسبه لانه بجعله سنها لهم وارشادهم لفعلها وتحسينها لهم فكان
في قوة الآمر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا في المقدار
مثل آثام العاملين بها من جهة انه كان طريقا لهم في العمل بها ولذا غاير بين المقابلين
لفظا فقال فله من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طوله
وتحقيقه انه كان سببا في الخير والثاني سببا لضده والسبب منزل منزلة الفاعل
فله ماله وعليه ما عليه اي مثله وفي الحديث الدال على الخير كفاعله لكن لو حفر بيرا
ووقع فيها غيره فانه يضمن في بعض الصور وهو لا ينافي الآية اما لان المراد بها ان
وزر غيره لا ينتقل له او لانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة واخذ
من الخبر المذكور ان الداعي الى الاثم كفاعله وقد صرح به في بعض الروايات قال
شيخ والدي الشهاب ابن حجر في شرح المشكاة لكن لو تاب الداعي الى الاثم وبقي العمل
به فهل ينقطع اثمه لانه بتوبته لان التوبة تجب ما قبلها او لا لان شرطها
رد الظلامة والاقلاع وما دام العمل به لانه موجود فالفعل منسوب فكانه
لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم ار في ذلك نقلا والذي يتجه الان الثاني انتهى
وفيه نظر ظاهر

فصل

واما ما ورد عن السلف الصالحين
يعني الصحابة والتابعين في اول القرون واما اشارة الى انه قسيم لما قبله
مما في القران والحديث ولذا قال ورد والايمة يعني من تقدم من العلما
والمجتهدين من اتباع سنته اي طريقته وهو بيان لها وفي نسخة في اتباعه
متعلق بورد بمعنى حبا والاقتدا بهديه وسيرته عطفه لتفسير لما قبله
وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة ايضا فحدثنا الشيخ الامام اصيل
معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا فيمن كان قدوة مفيد الطلبة للعلم لانه
في الغالب يكون مسنا وهذا انما استعمل قديما واول من اطلق عليه شيخ
الاسلام الصديق رضي الله عنه كما قاله السخاوي رحمه الله ابو عمران بن
عبد الرحمن الرعيني علامة عصره بالمغرب وقد تقدمت ترجمته ابن ابي
تليد بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم الفقيه سماعا
عليه وهذا الحديث من احاديث الموطا ورواه النسائي وابن ماجه قال
حدثنا ابو عمر الحافظ هو ابن عبد البر وتقدم بيانه قال حدثنا سعيد
ابن نصر تقدمت ترجمته قال حدثنا قاسم بن اصبغ بالغين المعجمة كما تقدم
ووهب بن ميسرة كذا في بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال التلمساني
الهمسرة مفعلة من التيسر ووهب بحركة ويسكن وهو وهب بن مسرة

ابن افيرس

موسى خ

ابن مفرج بن بكر التيمي مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين واربعين وثلاثمائة
انتهى قالا بالتثنية وهو الصحيح وروي قال اي كل واحد منهما او اكتفا باحدهما
حدثنا محمد بن وضاح تقدم ايضا قال حدثنا يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطا
قال حدثنا مالك امام دار الهجرة الغني عن البيان عن ابن شهاب محمد بن مسلم
الزهري وقد تقدم بيانه عن رجل من آل خالد اي اهله وقومه وهو غير مسمى
فقال الحلبي لا اعرفه وقال التلمساني هو امية بن عبد الله بن خالد بن اسد
بفتح الهمزة وكسر السين او بضمها وفتح السين والاول اصح وهكذا رواه مالك
ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب احدا ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل
وادخل بين ابن شهاب وامية عبد الله بن ابي بكر وامية هذا يروي عن ابن
عمر توفي سنة سبع وثمانين انتهى وقال القرطبي في تفسيره انه يعلى بن
امية بن عبد الله الخ وخالد هو ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين على ما مر
ويا ودال مهملة وهو ابن ابي العيص بن امية بن عبد شمس اخو عتاب انه
سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر
بفتحتين اي الصلاة من غير قصر مذكورة في القران ولا نجد صلاة السفر
المقصورة في القران فقال ابن عمر في جوابه يا ابن اخي هذا اجار على عادة العرب
في الشفقة بالصغير وقولهم له يا ابني ويا ابن اخي كما يقال للكبير يا ابي
ويا عمي ان الله بعث الينا محمدا اي نباه فارسله صلى الله عليه وسلم ونحن
لا نعلم شيئا من امور الدين فانما نفعل كما رايناه يفعل وروي ما رايناه بدون
كاف وما موصولة او مصدرية اي نقتدي به فيما جاء به وهذا هو المقصود
هنا اما صلاة الخوف فقد ذكرت في القران وهي سنة خلافا لمن قال انها
مخصوصة به صلى الله عليه وسلم واما قصر الصلاة سفرا فقد ذكرت في القران
في قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم
الاية ولذا سالوا عنها الا ان اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قصرها فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته وقد يذكر الله شيا مقيدا بشرط ويبيحه على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيهما احاديث اخر وقال عمر بن عبد العزيز
الخليفة العادل الزاهد المشهور رضي الله عنه سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي اتى بافعال واقوال وطريقة شرعا هو وولاة الامر بعده بضم
الواو جمع وال وهو من يتولى امور الناس والمراد بهم هنا الخلفا الراشدون
سننا جمع سنة الاخذ بها اي العمل بها واتباعها تصديق بكتاب الله بالبا
واللام لانه امر بالعمل بها واتباع سبيل المومنين واستعمال لطاعة الله لان
طاعتهم طاعة له في الحقيقة لانهم لا يقولون شيئا من عند انفسهم وانما
يقولون ما رووه عنه صلى الله عليه وسلم او ما استنبطوه من الكتاب
والسنة وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها اي تغيير تلك السنن بوجه
من الوجوه ولا تبديلها بما يغايرها وهو اخص من التغيير لشموله

الزيادة

الزيادة والنقص ويحتمل ان يكونا بمعنى ولا النظر في راي من خالفها اي لا يلتفت
اليه ولا يعتبر ما خالفها اصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر
فيه ليرده من اقتدى بها اي عمل بتلك السنن فهو مهتد لانه على هدي من الله ومن
انتصر بها فهو منصور على من خالفه ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين غير
ما هم عليه من اعتقاد او عمل ولاه الله ما تولى اي جعله واليا لما تولى من
الضلال وخلى بينه وبين من اختاره من الضلالة واصلاه جهنم ادخله فيها
وساءت مصيرا جهنم وفي ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع وقال الحسن بن ابي
الحسن هو الحسن البصري كما تقدم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
تقدم هذا وقد بينا معناه قبل ولا تكرار فيه لانه ذكره اولا خبرا وذكره هنا اثرا
وفيه نظر وقال ابن شهاب الزهري بلغنا عن رجال من اهل العلم انهم قالوا
الاعتصام بالسنة اي التمسك بها نجاة مما يخافه المرء في الدنيا والاخرة وفي
القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية اي من تلبس بالسنة حفظ من
ان يقع في معاصي الله وفيه حث على حفظها والعمل بها وكتب عمر بن الخطاب رضي
الله عنه الى عماله ونوابه وامرهم بتعلم السنة اي ما روي عنه صلى الله عليه
وسلم من اقواله وافعاله في اسفاره واقامته والفرائض اي قسمة المواريث لانها
نصف العلم وفقدها من اشراط الساعة واللحن بفتح اللام وسكون الحاء المهملة
وفسره بقوله اي اللغة والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلم
البلاغة وقال الازهري معناه تعلموا لغة العرب في القران واعرفوا معانيه واللحن
بسكون الحا كما علمت وقد تفتح له معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى
ولتعرفنهم في لحن القول والخطا في الاعراب وقال الزمخشري يعني اللحن في كلام
عمر رضي الله عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع في القران
والحديث ومن لم يعرفه لم يتعرف اكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وهذا رواه سعيد بن منصور في سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة
وقال ابن الاعرابي ان اللحن بالسكون الفطنة والخطا وقال غيره من اهل
اللغة الفطنة بالفتح والخطا بالسكون وقال ابن عمر رضي الله عنه في اثر اخر
رواه عنه الدارمي انه سياتي ناس يجادلونكم يعني بالقران اي يخاصمونكم وينازعونكم
في بعض الاحكام التي قلتم بها ويقولون القران فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما
بينته او خصصته او نسخته السنة فخذوهم انتم اي حجوهم واغلبوهم
بالسنن الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فان اصحاب السنن اي علما الحديث
ونقاده اعلم بكتاب الله اي بمعاني القران ممن يتمسك بظواهر القران لمعرفتهم
بناسخه ومنسوخه ومخصصه وماوله فان تفسير القران انما يعلم من السنة
وفي خبره اي خبر عمر الذي رواه عنه مسلم حين صلى عمر رضي الله عنه بذي
الحليفة بضم الحا المهملة ولام وفا بصيغة المصغر اسم مكان على ستة او سبعة
او اربعة اميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات اهل المدينة والشام
الذي يحرمون منه ركعتين اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن اراد ان يحرم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسنة مؤكدة عند اكثر الفقهاء في تركهما فوات فضيلة من فضائل الاحرام ولم
يخالفه فيه الا الحسن البصري فانه استحب كونه اي الاحرام بعد صلاة فرض
لانه روي انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسال عنهما ولم
يحتج لقوله فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فاقتدي
باثاره وكل ما اي صنعه وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في اثر رواه
عنه البخاري والنسائي حين قرن بين الحج والعمرة في حجة حجها فقال له اي لعلي
عثمان بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة فقال له عمر والصحيح والذي
ان القائل له عثمان رضي الله عنه كما في الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ
تراني وفي نسخة تري اني اي تعلم افتشاهدني وانا انهى الناس عنه اي عن
القران وتفعله انت فانكر عليه عدم اتباعه له قال علي لعثمان رضي الله عنهما
ادع واترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس اي لاجل
احد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتدي بغيره
مع علمي بما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث عن مروان
ابن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع
بينهما وعلي رضي الله عنه اهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان
في ذلك قال له ما ذكره المص والمتعة تستعمل بمعنيين احدهما ان يحرم بالعمرة
ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين الحج والعمرة
معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيري وهذا هو المراد كما هو صريح
الحديث واختار ارادة الاول كما قيل ياباه الحديث وسمي متعة لما فيه من
ترك التعب والاحرام مرتين وكل منهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده
وعلي رضي الله عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه للاتفاق او لئلا يتوهم احد انه
ممتنع وكل منهما مجتهد ماجور وهذا مبني على مسالة اصولية وهي انه
اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة في حكم شرعي هل يصح الاجماع بعدهم
على احد قولي الصحابة فذهب احمد واكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم
الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض الشافعية واكثر الحنفية الى ارتفاع
الخلاف كبيع ام الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم اجمع الفقهاء على منعه
ومنه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان مبني على الاختلاف في حج رسول
الله صلى الله عليه وسلم او على ما روي من ان عثمان رضي الله عنه لما
كلم عليا كرم الله وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل ولكنا كنا خائفين يعني ان فعله ذلك
لعارض لا لانه الافضل وروي ان عثمان رجع لما قال له علي وقال ما كنت
لادع عليا لكنه مما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان وهو اسم موضع
معروف وعنه اي مما روي عن علي رضي الله عنه ولم يذكروا من رواه
عنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي بالبناء للمجهول ولكني اعمل بكتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطعت اي ما لم اضطر الى

خلافهما

خلافهما فان الله تعالى تبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يقول في اثر رواه الدارمي والطبراني عن ابي الدرداء القصد اصل معنى القصد
التوجه الى جهة ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط
والتفريط كما قاله الراغب وهذا هو المراد في السنة اي في سلوك طريقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير من الاجتهاد اي الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة
في العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله في البدعة وتقدم تفسيرها وانقسامها
لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام وقال ابن عمر رضي الله عنهما
فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح صلاة السفر اي المقصورة فيه وجوبا
او استحبابا ركعتان من خالف السنة اي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصر
الصلاة سفرا كفر اي صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله عليه وسلم عنادا
او انكر جواز فعله والا فهو لمجرد الاتمام مبتدع عند ابي حنيفة رحمه الله وبعض
الفقهاء وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي انعم الله بها عليه من احسانه عليه
بتسهيل امره وقال ابي بن كعب رضي الله عنه فيما رواه الاصبهاني في ترغيبه
وغيره وابي هو المنذر النجاري الانصاري الصحابي توفي سنة تسع عشرة على
الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان عليكم هو هنا اسم فعل بمعنى
الزموا او تمسكوا بالسبيل اي طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص
تقربا الى الله تعالى والسنة اي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه
وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم تقل ان العطف تفسيري وهو جائز فانه
تغليب للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان ما على الارض الظاهر ان المراد
بمن عليها كل موجود من الاحياء العقلاء من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل
المراد به من كان موجودا في عصره من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم
اكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما مر من ان العامل بسنتي عند فساد
امتي له اجر مائة شهيد من عبد من زائدة للاستغراق على السبيل والسنة متمسك
بها والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله لتمكنه كانه راكب مستعل عليها فهو ممثل
ذكر الله صفة مخصوصة لعبد ففاضت عيناه اي فاض ما عينيه ببكائه من خشية
الله وخوفه وفي نسخة من خشية ربه فيعذبه الله ابدا اي الا لم يعذبه الله ابدا
ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره ايضا وتعذبه بالنصب في جواب
النفي المحض كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
اي متق سالك طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتد به في اقواله
وافعاله ذكر الله في نفسه اي احضر الله في قلبه وفرغ فكره وذهنه لملاحظة
ربه وجلاله وعظمته والظاهر ان هذا المجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر
قبله والذكر المذكور المراد به المقارن للفكر لانه لا يفيض ما عينيه الا التصور
واحضاره في قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور المجرد والمقارن للذكر اللساني
ولا يخفى ما فيه فاقشعر جلده اقشعر بالتشديد اي اخذته قشعريرة وهي
الرعدة كما في القاموس من خشية الله اي من شدة خوفه قال الراغب

الخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا خص العلما بها
في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما انتهى الا كان مثله بفتحتين اي صفته
وحاله العجيبة كمثل بفتحتين اي كهذه الصفة شجر ذات اغصان وورق قد يبس
ورق هذه الصفة شجر وانما وصفنا بهذا توطية للتحات الاتي لانه لا يكون كذلك الا
الورق اليابس وهو اشارة الى انه له خطايا كثيرة قديمة لكن كذلك اي مخي دايمة
قايمة على هذه الحالة من قدم اوان فهاو بينهما واصله فبينما هي كذلك اذا اتتها
ريح شديدة والريح مونثة فتحات عنها ورقها اي سقط وفي القاموس حته
فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقط كانحت انتهى وفتحات بفتحات
وتا مشددة اخره مطاوع حته الا حط الله خطاياه المراد بالحط هنا المغفرة
وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطاياه جمع خطيئة
وهي الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تاكيد البعد
المسافة باعتراض المثل وقيل انه استثنا وجوابا لمقدر كانه قيل ماذا
يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النبي فقيل الا حط عنه خطاياه
كما تحات اصله تتحات مضارع بمعنى تسقط عن الشجرة ورقها فان اقتصادا
اي اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد وهو تعليل
لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله او تذكره مع الخشوع
والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما في نفسه في سبيل الله وسنته عبر
به لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتدا يحيط بعمله احاطة الظرف
بالمظروف خير من اجتهاد اي زيادة وبذل لجهده وطاقته في خلاف سبيل الله
وسنته اي بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسيره
فانظروا المراد بالنظر هنا التدبر والتامل وهذا تتميم لما قبله وتاكيد له
ان يكون عملكم ان كان اقتصادا او اجتهادا اي تدبروا في جميع اعمالكم قليلة
كانت او كثيرة سوا بالغتم فيها او لم تبالغوا ان تكون اعمالكم كلها وهو مع
ما بعده بدل مما قبله او تاكيد له واعادة للفصل بينهما كما تقدم
وان بفتح الهمزة هي المصدرية لا شرطية مكسورة على منهاج الانبيا
اي على طريقتهم والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح وسنتهم اي
طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبيا والمراد منهاج نبينا صلى الله عليه وسلم
اشارة الى ان منهاجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال تعالى فبهداهم
اقتده وجريه باعتبار التوحيد والعقايد الحقة والاعمال الصالحة
والاخلاص لا لانا مامورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم وان
كان صلى الله عليه وسلم يفعله كذلك وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير
المولى من جانب الخليفة لعمل في الاموال والمصالح الى عمر يخال بلده اي
يخبره بحال بلده الذي ولاه عليها وهي حمص كما قاله وكثرة لصوصه
عطف تفسير لحاله جمع لص بتثليث اللام وهي السارق وقاطع الطريق

وغيرهما من

وغيرهما من الذين ياخذون اموال الناس بالباطل وهذا رواه اللالكائي في السنة كما قاله
السيوطي رحمه الله هل ياخذهم اي يحبسهم وينفيهم بالظنة بكسر الظا المعجمة المثالة
وتشديد النون اي لمجرد الظن بانهم لصوص او يحملهم اي يطلب منهم ويكلفهم على البينة
كما في قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها اي تكلفوا حملها كما قاله الراغب
وضمير ياخذهم للصوص وضمير يحملهم للمدعين عليهم المعلومين من السياق وعداه
بعلى باعتبار معناه الاصلي كما تقدم وما جرت عليه السنة اي ما اقتضته الشريعة
من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان
كان ذلك يجوز للحاكم في بعض الاحيان فكتب اليه اي الى عامله عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه خذهم اي احكم عليهم بالبينة وما جرت عليه السنة اي وردت واستقرت
عليه فان لم يصلحهم الحق اي حكم الشريعة دون السياسة والعنف فلا اصلحهم الله
اي ينتقم منهم اذ لم يوفقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده
للشريعة واحكامها فقد كان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فما دار الحول
وفيها سارق وعن عطا في تفسير قوله تبارك وتعالى فان تنازعتم اي اختلفتم
ايها الناس في شي من امور الدين فردوه اي ارجعوا فيه الى الله والى الرسول اي
الى ما لا قاه اي الى كتاب الله وشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مويد
لما قاله عمر رضي الله عنه ولذا ساقه عقبه وهذا الايبا في ما ذكره الفقها من حبس
المتهم وضربه حتى يقر وانه قد يعمل بالاقرار كما ذهب اليه مالك وغيره فانه
استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقها وما قاله
عمر رضي الله عنه شي اخر وعطا هو عطا بن ابي رباح المفسر كان من كبار التابعين
وتوفي سنة خمس عشرة ومائة وقال الشافعي الامام المشهور امام الايمة وسلطان
الامة ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لم يثبت في حديث في
شريعته الا اتباعها اي اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث
فهو مذهبي واذا خالف قولي الحديث فاضربوا به عرض الحايط وهكذا اتبعه
ايمتنا الشافعية رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه
عنه الشيخان وقد نظر الى الحجر الاسود في طوافه والجملة حالية بتقدير
قد او معترضة موذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له انك حجر لا تضر ولا تنفع
اي لا تقدر على ضر ولا نفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعا عنده
وسكينته ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
اي في طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان ابيض كاللبن فسودته
خطايا بني ادم كما رووه ثم قبله عمر بعد ما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضي الله
عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما اخذ
الميثاق على بني ادم في عالم الذر كتب ذلك في رق والقمه الحجر الاسود وياتي
يوم القيامة وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفائه بالعهد وروي
انه ذكر له ذلك صلى الله عليه وسلم فاقره وقد قالوا ان عمر رضي الله عنه كان
عالما بذلك ولكنه قال مقالته هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية

اى لولا رأيت تقبيل النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم مستصحبة لما قبلتك
علي القاري

دلجي

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعبادة الاحجار لخشيتهم ان يضلوا ويعتقدوا نفعها قياسا عليه وقد ورد ان الحجر الاسود
يمين الله في ارضه اي وضعه في الارض ليقبل كما تقبل اليد اليمنى دون اليسرى
تكريما لها وان تقبيله تقتضي الانعام والرضى كتقبيل يد العظما فهو استعارة
والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصية
في ذاته كخاصية المغناطيس لجذب الحديد وفي الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل
ما لم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاوليا والاماكن
المباركة وقول الشافعي رضي الله عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به
استحبابه وانما اراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين وروي مبني
للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وياء مفتوحة وقال ابن مرزوق
انه بوزن قيل ففيه ما فيه من اللغات واخره همزة بالقلب المكاني ونعته بعضهم
فان ساعده رواية فبها ونعمت والا فهو تكلف لا حاجة اليه عبد الله بن عمر
الصحابي المشهور رواه عنه احمد بن حنبل والبزار بسند صحيح يدير ناقته
في مكان وهو راكبها اي يلفت وجهها ويطيفها حوله حتى عادت لموضعها
الاول فسئل عن فعله ذلك لاي شي هو فقال لا ادري وجه ما فعلته وحكمته
الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اي يدير ناقته في
هذا المكان ففعلته اقتدا به صلى الله عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتدا
بافعاله صلى الله عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه امر
يحتمل انه اتفاقي بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعله
ام لا فذهب الاكثرون الى انه لا يستحب الا انه لا باس به وهو الظاهر واما
غيره فيكره الاقتدا به في مثله كما يفعله بعض الصوفية في اتباع اثار
مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه فاعرفه وقال ابو عثمان الحيري
شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحا والرا المهملتين وبينهما مثناة
تحتية وفي اخره يا النسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة لعله كان يسكنها
وهو ابو عثمان سعيد بن اسماعيل توفي سنة ثمان وتسعين ومايتين وهو
من كبار الزهاد والمشايخ الصوفية وهو صاحب ابي حفص النيسابوري
كما قاله ابن ماكولا والذهبي وذكره القشيري في رسالته ونقل ما ذكره
المص عنه وذكر انه صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي ثم ورد
نيسابور مع شاه الكرماني على ابي حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه
ابنته وقد صحف الناس هنا نسبته فقيل ان الحنيذي بحا مهملة مضمومة ونون
مفتوحة بعدها يا ساكنة وذال معجمة مكسورة ويا نسبة كذا في اصل
ابي العباس العزفي وهو مخالف لما في اصل المص بخطه وهو الصحيح وفي
بعض النسخ الجنيدي بجيم مضمومة ودال مهملة وفي بعضها الحميدي بضم
الحا والدال المهملتين والكل تحريف وتصحيف والصحيح ما نقلناه اولا واذا
جالهم الله بطل لهم عقل وافرقها الجنيدي فانه كان على طريقته في الزهد
ولم يكن في عصره اعرف به بطريق المشايخ ومن كلامه رضي الله عنه الصحبة

مع

تلمساني

مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع اوليا الله بالاحترام والخدمة والصحبة
مع الاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعا
والرحمة لهم من امر السنة على نفسه وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة
حقيقة اي جعل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته قولا وفعلا اي في
اقواله وافعاله فهو منصوب على الظرفية او تمييز محول عن المفعول اي جعلها
اميرا عليه وحاكما وهو عبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم المخففة
وتشديد الرا المهملة اي اجراها وامضاها عليه وهو بعيد نطق بالحكمة اي القول
الصواب النافع له في الدنيا والاخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة ومن امر الهوى
امر كالذي قبله ففيه استعارة والهوى ما تهواه نفسه الامارة وتشتهيه نطق
بالبدعة اي بما يخالف الحق مما تزينه له الشيطان من الضلالة وقال سهل التستري
وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت
ترجمته والكلام على بلدته تستر وهي مشهورة اصول مذهبنا اي الصوفية اي
قواعده التي بني عليها ثلاثة اولها واعظمها الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم
واتباعه في الاخلاق والافعال والثاني اكل الحلال والثالث اخلاص النية في
الاعمال وهذه الاصول وان كانت اصول الصوفية فهي اصول للشريعة
ايضا وقد ورد في الحديث بمعناه وهو ظاهر وجا اي ورد عن السلف في النقا
المذكورة في تفسير قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
انه بفتح الهمزة فاعل جا الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم فان العمل لا يكون
صالحا مقبولا الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتهما عين الاقتدا به قولا
وعملا وضمير انه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب الاول للكلم الطيب
وهو التوحيد والثاني للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس اي يرفع
التوحيد الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى
الثاني المراد بالكلم الطيب الاذكار وما هو قريب منها وهي انما تقبل اذا وافقت
السنة والكلام عليه مفصل في كتب التفسير وحكي بالبناء للمجهول اي نقل لنا
ان الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وحنبل اسم جده فانه احمد بن محمد بن
حنبل كما اشار اليه المص فيما ياتي ابن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي
لانه توطنها ودفن فيها ثاني عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومايتين
وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتاليف
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا من ثيابهم عراة ودخلوا الما للاغتسال
فاستعملت الحديث اي عملت به فالسين للتاكيد وقيل المعنى طلبت ذلك
من نفسي وقلت لا توافق هولا وهذا الحديث رواه مسلم والترمذي
وهو من كان يومن بالله اي يصدق ويعترف بالله واليوم الاخر اي يوم
البعث والحشر وهو يوم القيامة والايمان بهما عبارة عن الايمان
بجميع ما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع

تلمساني

وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها
انها قالت كان خلقه القرآن اى
يأتمر باوامره وينتهي بزواجره
علي القاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هو من باب الاكتفا فلا يدخل الحمام المراد به كل مكان فيه ما يغتسل به ثم غلب في العرف
على محل مخصوص الا بمئزر المئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الازار
وهو ما يستتر به نصفه الاسفل ولم اتجرد انا اي لم اخلع ثيابي والعري منها
وهو عطف تفسير لاستعلت الحديث فرأيت في المنام تلك الليلة اي في تلك الليلة
التي تلي يوم تجردهم قائلا لي اي شخصا يقول لي يا احمد ابشر اي مستبشرا من الله بما يسرك
ان الله قد غفر لك اي غفلتك والتم عليك بقبول ما صدر منك باستعمال السنة
اي بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله عليه وسلم والعمل بحديثه وجعلك اماما
يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب قلت لمن رأيته في المنام
من انت استفهاما يريد بتعيينه عنك قال جبريل اي انا جبريل رسول الله الى عباده

فصل

ومخالفة امره اي بترك ما امر الامة به وتبديل سنته اي
تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتأويله على خلاف مراده ضلال اي عدول
عن الطريق المستقيم وهي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته وبدعة
اي امر احدث في الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهي المرادة هنا
متوعد عليهما اي ورد الوعيد لفاعلهما في احاديث كثيرة تقدم بعضها وفي ايات
قرآنية من الله بالخذلان متعلق بقوله متوعد والخذلان ضد التوفيق وهو
ان يخلق الله فيه داعية المعاصي في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة قال الله
تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه والضمير في امره
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر في الاية وهو الذي بني عليه
كلامه هنا وفيه وجوه اخر انه لله لانه الامر الحقيقي والفتنة ما في الدنيا من
المصائب والمحنة الدنيوية والعذاب الاليم في الاخرة وقال تعالى ومن يشاقق
الرسول اي يعاديه ويخاصمه فيكون في شق وهو في شق اخر من ابتدائية او
زائدة بعد ما تبين له الهدى اي ظهر له الحق وثبت معاينة بمعجزاته صلى
الله عليه وسلم وهداية الله لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم ويتبع
غير سبيل المؤمنين اي يسلك طريقا غير طريقتهم في الاعتقاد والعمل نوله
ما تولى اي نجعله متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع الاية اي اقرأها بعد
قوله ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى
الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية على حجية الاجماع كما بين في كتب الاصول
ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال حدثنا
ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني وقد
تقدمت ترجمته وعبد الله بن عتاب تقدم ايضا بقراءتي عليهما بيان لطريق
روايته وتسمى عرضا قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا قال
حدثنا ابو الحسن القابسي تقدم قريبا قال حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ
بسين مهملة مفتوحة من اسم المفعول وهو علي بن محمد بن مسرور توفي في
منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قال حدثنا احمد بن ابي سليمان

هو

هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى ابا جعفر توفي سنة احدى وسبعين ومائتين وقد
ناهز التسعين قال حدثنا سحنون عبد السلام بن سعيد وستأتي ترجمته مفصلة قال حدثنا
ابن القاسم تقدمت ترجمته قال حدثنا مالك الامام المشهور عن العلاء بن عبد الرحمن تقدم
ايضا عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة مثلثة الباء
والكسر لغة قليلة فيها وذكر الحديث في صفة امته صلى الله عليه وسلم يعني قوله
لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء وفيه اي في الحديث
المذكور فليذادن رجال عن حوضي اللام في جواب قسم مقدر ويذادن مبني للمجهول
بذال معجمة والف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد
والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية او ناهية اي لا
يفعل احدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضي على معنى التحذير والاشفاق ورجحت
الرواية التي اختارها المص كما يذاد البعير الضال اي كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه
واتى ليدخل في ابل اخرى ليستقي فيطرد من بينها لئلا ينقص شربها فاناديهم
اذا طردوا الا هلم الا هلم الا هلم كرره للتاكيد على العادة في نداء من ضل وهذا نداء
لحبه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح
الهاء وضم اللام وقد تفتح وهي اسم فعل بمعنى اقبل واحضر ويتعدى بنفسها وبالى
واللام وميمها مشددة مفتوحة يستوي فيها المذكر وغيره وهي بسيطة في الاصل
او مركبة من ها ولم او من هل ام وهذه لغة اهل الحجاز وهي الفصحى لانها لغة القران
ولغة غيرهم هلم وهلما وهلموا وهلممن وهي عندهم فعل لان اسم الفعل لا يتصل
به الضمائر والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم اظهروا الاسلام وتوضؤوا
وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولو لم تكن هذه السيما الا للمؤمنين
لم يدعوا فانه كان المراد اهل البدع من المؤمنين واصحاب الكبائر فالامر ظاهر وقال
النووي اختلف في المراد به على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقون ويجوز
ان يحشروا غرا محجلين فيناديهم بسيماهم فيقال انهم بدلوا ولم يموتوا على الاسلام
والثاني ان المراد من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم
يكن لهم سيما لانه عرفهم والثالث ان المراد اصحاب الكبائر والمعاصي الموحدين
واصحاب البدع فيذادون عقوبة لهم فيقال بالبنا للمجهول اي يقول الله تعالى
او الملائكة او من عرفهم من الصحابة انهم قد بدلوا بعدك اي غيروا واستنكروا وارتكبوا
ما لم تعهده منهم وفي نسخة انهم قد تبدلوا بعدك فاقول سحقا سحقا وفي
نسخة فسحقا باعادة الفا للتاكيد وهو بضم السين والحاء وتسكن تخفيفا
قال تعالى فسحقا اي جعلهم الله في مكان سحيق اي بعيد واصله من سحقه
اذا فتته والسحوق الثوب البالي وهو على تقدير اسحقوا والبعد والبعدا شديدا
ويحتمل انه دعا عليهم تقديره الزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية
او هو مفعول به واذا كان دعا فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا وقيل
هل هو مصدر لفعل ثلاثي وهو سحقه او لفعله اي اسحقه على حذف الزوائد
وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره ابو علي اقول بل له داع لانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سحقه بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل اسحقه يقال
ابعده الله فاسحقه كما قاله الراغب وروى انس بن مالك في حديث رواه الشيخان
انه صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي اي تركها لان رغب اذا تعدى
بعن يكون بمعنى الترك فمن رغب فيه وسنته طريقته وشريعته فليس مني
اي ليس من اتباعي واشياعي ومن اتصالية كما تقدم بيانه وهذا تبري منه
ورد له فهو في معنى الحديث الذي قبله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان من ادخل في امرنا اي احدث بدعة في الدين وروي من احدث
وهما بمعنى هذا عبر باسم الاشارة اشارة الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس
المشاهد ما ليس منه اي امر مخالف للكتاب والسنة فهو رد اي مردود وعبر
بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال
الطوفي انه نصف الدين وروى ابن ابي رافع عن ابيه وهذا الحديث رواه ابو
داود والترمذي وابن ماجه كما تقدم قريبا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا الفين احدكم بالبناء للمجهول مبني لنفسه والمراد به نهي غيره عن ان نجده
ونراهم على هذه الحالة متكئا على اريكته اي مترفها جالسا على سريره وتقدم
بيان الاريكة ياتيه الامر جملة حالية تقربيا لبطره وسوء ادبه من امري مما
امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما اتيت به لا ادري غير كتاب الله
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وقد تقدم قريبا الكلام عليه وزاد المقدام
في هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدي كرب
الكندي المكنى بابي صالح الحمصي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة
وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة الا انه
الهمزة كلمة استفتاح وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله لانه مبلغ
عنه فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القايل لا نتبع الا كتاب الله
وفيه اشارة الى انه معصوم في اقواله وافعاله وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الدارمي وابن المنذر وابن جرير وابو داود مرسلا
وجيء مجهول لجا والجملة حالية بتقدير قد او معترضة بكتاب اي مكتوب
في كتف اي في عظم كتف لانه في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفي الجلود
لعزة الورق اذ ذاك والجائي به عمر رضي الله عنه او ابنته حفصة
او عايشة كما قيل وقيل انه شيء كان كتبه لبعض المسلمين عن اليهود
فلما راه صلى الله عليه وسلم القاه وقال كفى بقوم متعلق بكفى والبا
زايدة في المفعول حمقا او قال ضلالا شك من الراوي ونصبهما
على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهداية
وجعله كذلك لنظرهم في امور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم معهم بين اظهرهم كما بينه بقوله ان رغبوا
هو فاعل كفى اي رغبتهم عما جاءهم به نبيهم معرضين عنه مشتغلين
بما لا يعنيهم الى ما جاء به غير نبيهم اي ناظرين اليه راغبين فيه وهم

لا يعلمون

لا يعلمون بصحته او ناظرين الى كتاب غير كتابهم الذي انزله الله على رسولهم فلا ينبغي
لهم الا الاقتدا به والسماع منه اغتناما له وهو نبي وفيه اشارة الى انه كان امرا
منقولا عن اليهود كما نقله في زاد المسير فنزلت آية اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب اي القران الذي ما فرطنا فيه من شيء يتلى عليهم على ما فعلوه وهو عطف على
ما قبله والهمزة مقدمة من تاخير او على مقدر معلوم من الحال اي قالوا ذلك وفعلوه
ولم يكفهم الخ وهذا سبب نزول الاية كما نقله في اسباب النزول وقيل سبب
نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية من ايات
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وناقة صالح فقال الله لهم اولم يكفهم
معجزة القران التي هي اعظم المعجزات وهي باقية مستمرة ولذا قال يتلى عليهم الاية
وعبر بالمضارع والضمير لليهود او المسلمين او المشركين وقيل ان كلا منهما سبب لنزولها
ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل على النهي
عن قراءة الكتب المنسوخة الا لمصلحة ممن يعرف النسخ والتحريف وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه هلك المتنطعون
اي وقع في امر يهلكه ويودي الى غضب الله وعقابه من تنطع اي بالغ وغالى في الامر
وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الغار الاعلى من الفم استعير لكل
متعمق في قول او فعل غير مهم واصله من يفتح فمه في تكلمه وقال الخطابي المتنطع
المتعمق المتكلف للبحث عن مذاهب اهل الكلام الخايض فيما لا يبلغه عقله ومناسبته
لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبه صرح اول الحديث وهو تعلموا الفرايض قبل ان يقبض واياكم
والتنطع والتعمق والبدع وهكذا جا من باب ضرب ومنع وعلم وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه وهذا رواه عنه ابو داود والبخاري وغيرهما لست تاركا شيئا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به من سنته في اقواله وافعاله واحكامه
وهديه الا عملته اقتدا به صلى الله عليه وسلم واتباعا للاثار الحميدة اني اخشى
اي اخاف ان تركت شيا من امره اي شانه وحاله الذي كان عليه ان ازيغ براي وفي
[illegible] اي اميل عن الحق والسنة والاصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة
قال الله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي لما فارقوا الاستقامة عاقبهم الله
بذلك

الباب الثاني من القسم الثاني في ذكر

ما يدل على لزوم محبته اي وجوبها على كل مكلف من امته وفي نسخة فضل
والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله قال الله تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم اي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على
الذكر والانثى وزوجة لغة ايضا وقابل المذكر والمونث وعشيرتكم وهم
اقربا النسب واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وملكتموها الاية اي اقرا
بعد ما ذكر وهو وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره وسبب نزولها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالهجرة تخلف بعضهم عنه فنزلت

العلم صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتفسير الاية معلوم من التفاسير لاحاجة لذكره هنا فكفى بهذا المذكور في الاية
حضا اي حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون
بسير وسوق والحض لا يكون بذلك واصله الحث على الحضيض وهو قرار الارض
انتهى وتنبيهها اي ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله عليه وسلم
حتى لا يغيب عنهم طرفة عين ودلالة لهم على ما يجب من محبته وحجة اي ثباتا ودليلا
وجوب محبته عليهم والاحراز بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما فيه لغيره على
التزام محبته اي لزومها عقلا ووجوب فرضها عليهم شرعا وعظم خطرها
اي قدرها وفائدتها واصله ما يعطى عند الرهان واستحقاقه صلى الله
عليه وسلم لها اي للمحبة المذكورة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا

اللهم املا قلبي بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
حتى لا يكون فيه محلا لغيرك اذ قرع بفتح القاف والرا المهملة المشددة
وعين مهملة اي وبخ وقيل وفي اصل المص تقريع والصواب الاول تعالى من
كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
بين تقريعه بقوله واوعدهم بقوله فتربصوا اي انتظروا امره وفيه من التوبيخ
ما لا يخفى وفسقهم اي وصفهم ونسبهم للفسق بتمام الاية اي بما ذكر
في اخرها حيث قال والله لا يهدي القوم الفاسقين فجعلهم فاسقين بتخلفهم
عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف بينهم بفعلتها وهو معنى قوله
واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله تبارك وتعالى حدثنا ابو علي
الغساني الجياني الحافظ وتقدمت ترجمته فيما اجازنيه يعني انه رواه
عنه بالاجازة ولم يقراه عليه مع انه معاصر له وهو اي هذا الحديث الذي
رواه البخاري وغيره مما قراته على غير واحد من المشايخ غيره فله في
روايته طرق كثيرة اقوى من هذه وانما اختارها لعلو سنده وجلالته
قال الغساني حدثنا سراج بن عبد الله القاضي تقدم بيانه قال حدثنا
ابو محمد الاصيلي تقدم ايضا قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
هو الفربري راوي البخاري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد
ابن اسمعيل هو امام اهل السنة صاحب صحيح البخاري قال حدثنا
يعقوب بن ابراهيم بن كثير البغدادي الدورقي صاحب المسند وامام
الحديث توفي في سنة اثنين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة
او الى صنعة الدوارق وهو نوع من القلانس قال حدثنا ابن علية
بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور
بابن علية اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي في سنة ثلاث
وتسعين ومائة وله ترجمة في كتاب الميزان وعلية امه عن
عبد العزيز بن صهيب علم منقول من المصغر وهو البناني الاعمى
الامام الثقة الحافظ اخرج له الستة وتوفي في سنة ثلاثين

ومائة

ومائة وترجمته مشهورة عن انس بن مالك الصحابي المشهور ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل
خص بالخطاب الموجودين والحكم عام بشهادة انه روي بغير خطاب في مسلم لا يؤمن
عبد وفي رواية غيره احد اي لا يؤمن ايمانا كاملا كما في رواية ابن حبان لا يبلغ عبد
حقيقة الايمان حتى اكون بالنصب وهو غاية لما قبله احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين ايثارا له صلى الله عليه وسلم واكراما له واجلالا واحب بمعنى
اكثر محبوبية على خلاف القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها
في الناس وقوله اليه لا يقتضي جواز وجها المغاير بناله من جهة كونه محبا وهي
محبوبة والام وساير الاهل داخل في الناس ايضا ولا حاجة لادخالها في الوالد
كما قيل وسياتي معنى محبتهم له صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله
عنه نحوه اي روي عنه حديث بمعنى الحديث المذكور وروي عن انس خادم رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام
ثلاث خصال او خصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتدا بالنكرة كقولهم ضعيف
عاذ بقرملة اي رجل ضعيف من كن اي الخصال فيه وجد حلاوة الايمان خبر المبتدا
وصفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة
او هو مجاز مرسل الخصلة الاولى ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
جمع الله وغيره في ضمير وقد نهى صلى الله عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال
للخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى بيس خطيب القوم انت قل ومن يعصي
الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب
عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز او انه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما
فهو من خصايصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل النهي واقعة حال لا تخصص
لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية او ان هذا كان في ابتدا الاسلام
ووجود الشرك بين اظهرهم لا سيما اذا قصد المبالغة في تعظيم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان لا يفصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظي ولا
انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل والثانية
ان يحب المرء بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير من لا يحبه الا لله اي يخلص في محبته
من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفا كما قاله ابن
معاذ والثالثة ان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار لتمكن الايمان
من قلبه ومحبته له واطمينان قلبه وفي رواية بعد اذ انقذه الله منه والانقاذ
الاخراج وهذا ظاهر في حق من تلبس بالكفر كما يعود فانه بمعنى الرجوع اما
من ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه وبالطريق الاولى
وقيل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة ويعدى العود
بفي وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما في قوله وما يكون لنا
ان نعود فيها وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث رواه البخاري
عن عبد الله بن هشام انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حذف الكاف واللام في جواب قسم مقدر من كل شيء في الدنيا وغيرها الا نفسي التي
بين جنبي بتشديد الياء كما في رواية البخاري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ايثارا له صلى الله عليه وسلم على نفسه
وغيره فقال عمر عبد الله صلى الله عليه وسلم والذي اي الله الذي انزل عليك
الكتاب والوحي اليك القران لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم الان نطقت بالحق او ظهر اتصافك بكمال الايمان
يا عمر متعلق بمقدر وهو مبني على الفتح والاولى بالرفع كما اتفق عليه النحاة
وهو الان من الحاضر يا عمر صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة عليه تخصه
بالنسبة لبعض من عداه اي لا يكفيك المرتبة الاولى ولا يليق بعلو همتك الاقتصار
عليها وانما اقتصر على الاول احترازا عن المبالغة لان محبة المرء لنفسه وترجيحها
امر طبيعي لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه
اولا كان بحسب ما طبع عليه ثم تامل فعرف بالاستدلال انه صلى الله عليه وسلم
احب اليه منها لانه الذي نجاه من الهلاك في الدنيا والاخرة فاخبره بذلك ثانيا
ولذا قال له الان تحققت ونطقت وقيل معناه لا يؤمن احدكم ايمانا يعتد به
حتى يقتضي عقله ترجيح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سواه وفيه
تسوّد بهم قال والحديث يومي الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
امر غير اعتقاد اعظميته كما زعمه المص ورده القرطبي ولا وجه له فان عمر
لا يشك انه صلى الله عليه وسلم اعظم من نفسه ومن كل شيء ولا يلزم من
اعتقاد الاعظمية المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب هنا العقلي الاختياري
الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالف كمحبة المريض للدواء لا الطبيعي الذي
لا يدخل تحت اختياره فان الله لا يؤاخذه به لانه لا يدخل تحت استطاعته
والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح وان
فرقوا بينهما واراد بالتي بين جنبيه السر القايم به الحياة واضافه اليهما
لجري العادة بسلب الحياة بسلب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من
ساير الاعضاء الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى وابر
عمر رضي الله عنه القسم بعد ما قدره تحقيقا لخلوص طويته في مقالته
ولذا قال له صلى الله عليه وسلم الان لما علمه منه وقال سهل بن عبد الله
التستري من لم ير اي بعلمه ويتحقق يقينا ولاية الرسول عليه في جميع
احواله الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه
مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولي الامر
وقيل الولاية والولاية واحد وهي مصدر نحو الدلالة والدلالة
وحقيقتها تولي الامر انتهى والمراد انه لا يخالفه في امر من اموره ويرى
نفسه في ملكه بكسر الميم اي بملكه حتى كانه عنده صلى الله عليه وسلم
لا يذوق حلاوة سنته استعارة تصريحية او مكنية وتخييلية والمراد
انه اذا اسلم ولاية رسوله بطيب قلب شرح الله صدره لاتباعه والاقتدا

به

ابن التين

به فاستلذ بالاعمال الصالحة فقام له ذلك مقام الغذاء الحلو اللذيذ وهذا ماخوذ من
قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم اي لا يكمل ايمانه حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث منصوب باعني ونحوه
وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما علل به انه يدل على
ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله تلذذ
بالاقتداء به ولا يستلذ بذلك الا اذا احبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده
لمراده وهذا ادل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم قوله
ان المحب لمن يحب مطيع مع الكلام عليه

فصل

في ثواب محبته صلى
الله عليه وسلم بما يرجونه من بركتها في الدنيا ومن سعادته بها في الاخرة كما
قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب والثواب الجزاء ثم اسند حديثا في ذلك
رواه البخاري فقال حدثنا ابو محمد بن عتاب بتراخي عليه تقدم بيانه وان الرواية
والاجازة سوا عند المص وعند غيره القراءة اقوى وهو الظاهر قال حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا والكلام على التكني بابي القاسم مشهور
سيأتي منه ما فيه الكفاية قال حدثنا ابو الحسن محمد بن خلف القابسي كما تقدم
قال حدثنا ابو زيد المروزي تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن يوسف الفربري
وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري وقد تقدم قال حدثنا عبدان
عبيد الله بن عثمان وقد تقدم قال حدثنا ابي ابو عثمان بن جبلة بن ابي
رواد العتكي الثقة اخرج له اصحاب الستة قال حدثنا شعبة تقدمت ترجمته
عن عمرو بن مرة الجملي بفتحتين نسبة الى جمل ابو حي احد الاعلام العاملين اخرج
له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ستة عشر ومائة عن سالم بن ابي الجعد الا
الكوفي توفي سنة خمس وخمسين ومائة واخرج له الستة واسمه رافع عن انس
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف وقيل هو
الاعرابي الذي بال في المسجد وقال ابن بشكوال انه ابو موسى الاشعري رضي الله عنه
او ابو ذر رضي الله عنه واحتج بحديثين لا حجة له فيهما وقيل انه اعرابي اسمه
ذو الخويصرة وقيل ان السايل عمير بن قتادة وفي معلم الذهبي انه عمر بن
الخطاب وابان قيل ولذلك اورد البخاري هذا الحديث في مناقب عمر رضي الله
عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين يابى كونه عمر وغيره من مشاهير
الصحابة الا ان يكون الراوي نسيه والظاهر انه اعرابي فقال متى الساعة
يا رسول الله ساله عن تعيين زمان وقوعها والساعة جزء من اربعة وعشرين
جزءا من اليوم والليلة ثم اطلق لغة على كل زمان قليل فيقول جلست عندك
ساعة اي قليلا ثم شاع في يوم القيامة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة
لما بعده من الخلود او بالنسبة لما يقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار
حقيقة في عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لانها كانها لتحققها ووقوعها
تقع بعد ساعة او لانها تاتي بغتة او لان البعث من القبور يكون في اسرع من

سنجي

موضع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لمحة ولا يخفى ما فيه قال صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها اي ما هيأت واحضرت
لها من الاعمال الصالحة التي تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من الاسلوب
الحكيم لانه ترك جوابه وسأله عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لا يعين زمان
وقوعها لانه مما لا يعلمه الا الله قال ما هي نافية اعددت لها من كثير
بالمثلثة وفي بعض النسخ بالموحدة التحتية وهو صحيح ايضا صلاة ولا
صيام ولا صدقة من اضافة الصفة للموصوف اي لم اعدد لها ما ينبغي فيها
ولكن احب الله ورسوله استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه
اي ليس عندي ما ينفعني ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما قال انت
مع من احببت وفيه جواب له على اتم الوجوه وتبشير له ولمن احب الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم ولذا قال في تتمة الحديث انه من حضر من
الصحابة قالوا يا رسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك
فرحا شديدا وليس المراد بكونه معه انه مساو له في منزلته وعلو رتبته
كما مر وانما المراد انه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة
وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم فقال

وقائل هل عمل صالح اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى وحبه فالمرء مع من احب

ومن شعر الصبا قولي

وحق المصطفى لي فيه حب اذا مرض الحجا يكون طبا
ولا ارضى سوى الفردوس مأوى اذا كان الفتى مع من احبا

وتقدم ايضا وعن صفوان بن قدامة الصحابي التميمي المرادي كما قاله
الذهبي وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن هاجرت الى النبي صلى الله
عليه وسلم اي سار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه فاتيته
فقلت يا رسول الله ناولني يدك اي امددها الي كما كان عادته في المبايعة
ابايعك بجزم في جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به واتباعه صلى
الله عليه وسلم مفاعلة من البيع تعلقت لما ذكرنا فناولني يده فقلت يا رسول
الله اني احبك قال المرء مع من احب تقدم تفسيره وكان تقدم المدينة مع ابنه
له كما ذكره الترمذي والنسائي وروى هذا اللفظ يعني قوله صلى الله
عليه وسلم المرء مع من احب عن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا به من
ذكر محبته له عبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعري وانس رضي الله عنهم
وعن ابي ذر بمعناه وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم في تعيين الرجل
الذي ورد مبهما في الحديث السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه وعن
علي بن ابي طالب في حديث رواه عنه الترمذي ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابني علي رضي الله عنهم اي امسكهما فقال
وفي نسخة وقال من احبني واحب هذين اشارة الى السبطين الحسن والحسين
واباهما عليا رضي الله عنه وامهما فاطمة الزهرا اي ومال اليهما ميلا

اختيارا

اختيارا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم كان معي في درجتي اي رتبتي ومنزلتي قال الراغب
الدرجة تعتبر بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة
الرفيعة قال تعالى وللرجال عليهن درجة انتهى يوم القيامة ان اريد بيوم القيامة
في الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم في صعيد واحد
لقربهم منه وتقدمهم على غيرهم من امته وسائر الامم وان اريد به الاخرة الشاملة
للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كما مر وروى
رواه الطبراني وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم قال البغوي في تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان اي قيل هو عبد الله بن زيد
ابن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري الحارثي فقال لانت اللام جواب قسم مقدر
احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك اي اتذكرك في ذهني واتصورك او اذكر
اسمك وصفتك وهو من الذكر بالكسر او الضم فما اصبر عنك اي عن رؤيتك لشدة
محبتي لك حتى انظر اليك فيطمئن قلبي وتقر عيني برؤيتك واني ذكرت موتي
وموتك اي انا سنموت وننتقل من هذه الدار لدار اخرى فعرفت وتحققت انك
اذا دخلت الجنة وبعد الموت رفعت الى الدرجات العلى مع النبيين صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين وان دخلتها انا بمنه تعالى وعبر في جانب النبي باذا
لتحقق دخوله صلى الله عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفي جانبه هو
بان لعدم جزمه في نفسه بذلك لا اراك بعد الدخول لانك في مقام عال
لا يصل اليه غيرك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول صلى الله عليه
وسلم في امتثال امره ونهيه ويلزمه محبته له ايضا ولم تذكر لتحققها لذكر
الرجل لها وعلمه صلى الله عليه وسلم بخلوصه فيها فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم بنعيم الجنة وعالي مراتبها وفيه تبشير له بمرافقة اكرم خلق الله
واقربهم وارفعهم منزلة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان
للمنعم عليهم بما اخفي لهم من قرة الاعين وحسن اولئك رفيقا اي ما احسنهم
رفيقا تمييز ولم تجمع لوقوعه على الواحد وغيره او لارادة كل واحد منهم
فدعا به صلى الله عليه وسلم اي طلب حضور ذلك الرجل فقراها اي هذه
الاية عليه جوابا له وتبشيرا وفي تفسير القرطبي انه لما قراها صلى الله
عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لا يرى احدا غيره في الدنيا فعمي
مكانه وقسمهم كما قال البيضاوي اربعة اقسام باعتبار منازلهم في العلم
والعمل وهم الانبيا الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال
الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقي النظر في
الحجج والايات واخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا
على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا انفسهم في اعلاء كلمة الله واظهار
الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته والمراد
بالمعية ما تقدم وفي حديث اخر لم يعزلنا قبله كان رجل قيل هو ثوبان اذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دلجي

متى تعقد قدر ذكره قريبا عند النبي صلى الله عليه وسلم اي ملازما لمجلسه ينظر اليه
اي يديم النظر الى وجهه الكريم لا يطرف بفتح اليا وسكون الطا وكسر الرا المهملتين
وقاف اي لا يطبق احد جفنيه على الاخر ويغض بصره او يصرفه عنه من طرفة العين
من طرف نظر فكضرب يضرب وما طرف البصر اي تحرك وظاهر قول بعضهم اي
لا يغض بصره مطرقا راميا ببصره الى الارض انه من الاطراق بضم اوله وقاف وهو
صحيح ايضا لكني لا اعرف هل هو رواية او تحريف عليها وتسامح في تفسيره فقال له
صلى الله عليه وسلم ما بالك اي ما شانك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت قال
افديك بابي وامي جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه اتمتع بالنظر اليك اي
اتلذذ بادامة نظري في وجهك ما دام ممكنا في الدنيا لا تنتفع به وا تزود منه فاذا
كان يوم القيامة وبعد هان فعك الله الى المنازل العالية في جوار بتفضيلك
اي بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته فانزل الله الاية المذكورة يعني قوله
ومن يطع الله والرسول الخ وفي حديث انس رضي الله عنه الذي رواه الاصفهاني
في ترغيبه وسياتي اخراج المص له بطوله في فصل علامة محبته ومن احبني كان
معي في الجنة اي قريبا مني متمكنا من رؤيتي ورؤيا لي وليس المراد المعية الحقيقية
كما تقدم

فصل فيما روي عن السلف من العلما والصلحا

والايمة وفي نسخة بعكسه الايمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام
وقد يفسران بما يقتضي المغايرة ففسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين
والايمة باتباع التابعين ومن بعدهم من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم
وشوقهم له والمحبة الميل الروحاني طبيعيا كان او مكتسبا اختياريا والمحبة
تكون في الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس في الغيبة فهو اخص من
المحبة وقال القيصري رحمه الله في شرح قول ابن الفارض قدس سره

وما بين شوق واشتياق فنيت في ... تولة تحظر او تحل تحضرة

الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال
الوصال لنيل زيادة او دوامها انتهى والفرق المذكور اما من الحجوي او هو
اصطلاح للقوم حدثنا القاضي الشهيد ابن سكرة وقد تقدم قال حدثنا
العذري نسبة لبني عذرة وقد تقدم قال حدثنا الرازي تقدم وهو نسبة
الى الري على خلاف القياس قال حدثنا الجلودي تقدم بيانه وبيان نسبته قال
حدثنا ابن سفيان وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم قال حدثنا مسلم
امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال حدثنا قتيبة بن سعيد واختلف في
اسمه فقيل يحيى وقيل علي وقيل سيار قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
القاري نزيل الاسكندرية الثقة اخرج له السنة وتوفي سنة احدى وثمانين
ومائة عن سهيل تقدم بيانه عن ابيه هو صالح السمان المعروف بذكوان
عن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود
احدهم لو راني باهله وماله ولم يقل احب مع
انه اخصر لان هذا ابلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحا على المراد

وكونه

ا ب ا فترى

وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى اشد قسوة دون اقسى واتى بمن التبعيضية لانهم
مثل من كان في عصره وهو احب اليه من نفسه واهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال
الحب يتفاوت شدة وضعفا ويبقي مفهوم قوله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه ولا يبقى فوقه الا ان يقال الغرض من جملة من بلغ هذا المبلغ في محبته انتهى
والتفضيل تختلف جهاته فلسائر محبة من لم يره الداخلة في الايمان تفضل بغيرها
بهذا الاعتبار ولذا قال ناس يكونون بعدي فبين اشدية بهذا وبقوله يود
احدهم اي يحب ويرغب في انه لو راني ببصره وشاهدني ولو للتمني باهله وماله
البا هنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا اي يتمنى لو بذل اهله وماله لاجل رؤيته
وفي لو في مثله اقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر اي
يتمنى رؤيتي ويودها بيذل كل ما يعز عليه والتقدير لو راني بمقابلة كل شي له
فعل وقيل انها مصدرية وهي مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن
كما بينه النحاة ومثله اي بمعناه وقريب منه لفظا عن ابي ذر الغفاري الصحابي المشهور
وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي
وتقدم تفصيله في الفصل الذي قبل هذا وما تقدم عن الصحابة كثوبان
وصفوان وغيرهما في مثله من كونه احب اليهم من انفسهم وعن عمرو بن العاص بحذف
اليا وابانها وقفا كما مر ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال ما بعد ما ذكر
مبايعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه ان يدعو له بمغفرة
ما صدر منه وانه كان ابغض الناس له واحرصهم على قتله وبعد ما بايعه واسلم
قال ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني
منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له حتى لو قيل لي صفه ما استطعت
ان اصفه الخ وسياتي الكلام عليه عند ذكر المص له بسنده في فصل تعظيم الصحابة
له صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان بفتح الميم وسكون العين
وفتح الدال المهملتين والف ونون تقدم الكلام عليه واما بنته عبدة فبفتح العين
المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبي لا اعرفها وفي الصحا

بلغ

عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم قالت ما كان خالد يعني اباها ياوي الى فراشه
اي اذا اراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا
كما قال الشاعر

يهارني نهار الناس حتى اذا انجلى ... لي الليل هزتني اليك المضاجع

الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استثنا من اعم الاحوال
اي لم يكن له غير هذه الحال والى اصحابه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لخالد من المهاجرين والانصار وخالد هذا هو الكلاعي الحمصي لقي سبعين
رجلا من الصحابة يسميهم اي يعدهم باسمائهم ويقول هم اصلي وفصلي يعني
الي افتخر بهم وانتسب اليهم دون ابائي وقبيلتي كذا قيل من غير نقل وهو
ابداع وفي المجمل ما له اصل وفصل اي حسب ولسان وكذا في الصحاح وعن

عوضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تغلب قولهم لا اصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا ما ذكره اهل اللغة
والظاهر ان المراد ان عليهم عهدي وبهم افضل واحكم فليحذر واليهم لا الى غيرهم
يحن قلبي اي يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين كال شوقي اليهم لبعد عهدي بهم
وطول تفارقي بموتهم فعجل يارب فيمضي اليك اي عجل موتي حتى الحقهم ولا ازداد
يردد ذلك حتى يغلبه النوم اي حتى ينام ويستغرق في نومه فيترك قوله هذا
وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه فلعل خالدا كان
كذلك وياتي لهذا مزيد بيان في الفصل الاتي عن الحكيم الترمذي وعن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وفي نسخة وروي انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما
اسلم ابو قحافة والده كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله عنهما
والذي بعثك بالحق اي بالدين الحق وهو قسم لاسلام ابي طالب جواب القسم
يعني عمه صلى الله عليه وسلم كان اي اسلامه اقر لعيني اي اسر واحب عندي
وهو قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او
من القرار والثبات فان العين اذا رات ما يسرها سكنت ولم تلتفت لغيره من
اسلامه يعني اباه ابا قحافة رضي الله عنه وابو قحافة هو ابو الصديق وهو
عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي
بعد وفاة ابنه حتى توفي سنة اربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه ابو قحافة
غيره وغير ابي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط من بعض النسخ هنا لفظ
اباه بيان وذلك المذكور من كون اسلام ابي طالب اقر لعينه من اسلام ابيه
ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك اي احب اليك من كثير من الامور فانه كان
يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده اذ كان في كفالته وكان صلى الله عليه
وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث رواه احمد
وابن اسحاق وابو حاتم وليس قول المص وروي كما في بعض النسخ تمريض له
كما توهم حتى يعترض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد فاتاه ابو بكر رضي الله عنه بابيه يقوده
وكان قد عمي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ
في بيته حتى اكون انا اتيه فقال ابو بكر يا رسول الله هو احق ان يمشي اليك
فاجلسه صلى الله عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال له اسلم فاسلم
وراسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غيروا
هذا يعني اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابو بكر والذي بعثك بالحق الخ وفيه من محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى حيث قدم ما يسره على ما يسره تقديما له على نفسه واعلم ان ابا
طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله
وتصديقه في قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة
وهو انه صلى الله عليه وسلم كان في جواره وحمايته ظاهرا حتى ما كان
احد يجترئ عليه فلو اسلم لم يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين عندهم

عوضي

فختم

فختم الله على لسانه لذلك وله الما مانا لزمن الهجرة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم واهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم في الهدي النبوي وصاحب
الامتاع ونحوه اي في معنى ما رواه البيهقي والبزار عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسلم بكسر
همزة ان الشرطية ان كان قاله له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان كان
بعده والصحيح الثاني لما ياتي احب الي من اسلام الخطاب يعني اباه لان ذلك
اي اسلام العباس احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم ما يحبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما يحبه نفسه وكان قوله ذلك له في فتح مكة لما
اشرف صلى الله عليه وسلم على مكة وركب العباس بغلته صلى الله عليه وسلم
واركب ابا سفيان بن حرب خلفه وهو كافر فتركهما فرآه عمر فقال ابو سفيان
عدو الله الحمد لله الذي امكنني منك فاستدرجه حتى دخل به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعني اضرب عنقه فقال العباس اني اجرته
يا رسول الله فلما اكثر عمر في شانه قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال بني
عدي ما قلت مثل هذا فقال مهلا يا عباس لاسلامك يوم اسلامك احب الي من
اسلام الخطاب لو اسلم الخ وعن ابن اسحاق صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته
وهذا رواه ايضا البيهقي عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص مرسلا
ان امراة من الانصار هي من بني دينار ولم يسمها قتل ابوها واخوها وزوجها
شهدا يوم احد اسم جبل كانت عنده الغزاة المشهورة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المراد
السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت
بذلك تادبا لان الفعل يستلزم الحياة فاريد لازمه قالوا خيرا اي فعل خيرا
والمراد انه بخير ولذا قالوا بعده هو بحمد الله كما تحبين اي سالم مصون
مظن [?] قالت ارنيه سالته ارنيه اي دلني عليه حتى اراه وانظر وفي نسخة
اروني فلما راته بعد ما دلها عليه قالت كل مصيبة تصيب المال والاهل
بعدك اي بعد سلامتك وروي بعدك جلل بفتح الجيم واللام ثم لام اخرى
بمعنى هين لا ابالي به ولا احزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم ايضا لانه
من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرئ القيس

بقتل بني اسد ربهم • الا كل شيء خلافه جلل

والثاني قوله

فلئن عفوت لاعفون جللا • ولئن سطوت لاوهنن عظمي

وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
على محبة غيره من الاهل وسئل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ولم يذكروا
من رواه عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما مقداره
في شدته قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا
بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع امه بمعنى ام لغة فيه الا انه

بمشاهدته

شبكة الألوكة www.alukah.net

يختص ببني آدم قال امهني خندف والياس ابي وتيقال في ابيهما امات واحب من الما
البارد على الظما بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر قالا فصح قصره واعاد الماء
لانه نوع آخر مما يحب ولشدة منفعته وخص الظما لانه حال محبة الماء وشدة
الرغبة فيه وعن زيد بن اسلم الفقيه العمري توفي سنة ست وثلاثين ومايه
اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال خرج عمر بن الخطاب
رضي الله عنه من بيته لارقة المدينة ليلة يحرس الناس على عادته في خلافته
اذ كان يدور في الارقة ويعتش ليعرف حال الناس فراى مصباحا موقدا في بيت
فقصده ليرى ما في البيت الذي هو فيه فراى عجوزا اي امراة مسنة ويقال
عجوزة ايضا ولم ار من الشراح هنا من ترجمها بشي تنفش صوفا بضم الفاء
وشين معجمة وتفعل لتسوف والقطن لاصلاحه معلوم وهي تقول
اي تنشد شعرا من بحر المتقارب على محمد صلاة الابرار معنى الصلاة مشهور
وعلى متعلق بصلاة او بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم
فيه والابرار جمع برا وبار وهو كل مطيع لربه متق اي ادعو له بكل ما تدعوا
له الابرار صلى الله عليه الطيبون الاخيار المراد بالطيبين المتقون الذين
طابت ظواهرهم وسرايرهم والاخيار جمع خير مخفف او جمع خير بمعنى اخير
وانه قد كنت قواما بكا بالاسحار قواما اي متهجدا لان القيام يختص بصلاة
الليل اي كثير القيام للعبادة وبكا بضم البا والقصر ممتد بمعنى اسم الفاعل
اطلق عليه للمبالغة وهو بمد وكقصر والاسحار جمع سحر وهو اخر الليل
والبا بمعنى في هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل من ان بكا بتشديد
الكاف والكلام سجع لا نظم لا نكسار الوزن وكذا ما قيل من ان بكا ممدود
مضاف للاسحار بدون با والاضافة على معنى في تكلف وتعسف يا ليت شعري
والمنايا اطوار شعري بمعنى علمي وهو اسم ليت وخبره محذوف اي حاصل
وقوله هل يجمعني وحبيبي الدار قايم مقام معمول شعري علق عنه والمنايا
جمع منية وهي الموت من منى بمعنى تضير وتقدر والطوار جمع طور وهو
الحال اي امور شتى مختلفة ومرادها بالحبيب كما قاله المص النبي صلى الله
عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الاخرة اي هل اراه صلى الله عليه
وسلم بعد الموت فانه مقرر وله اسباب مختلفة كما قيل

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ❊ تعددت الاسباب والدا واحد

وقيل المعنى هل يجمعنا الدار او يحول بيني وبينه الموت فالمراد بالدار
الدنيا وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك في كتاب الزهد
وفيها انما زال عمر رضي الله عنه يبكي وطرق عليها الباب فقالت من هذا
فقال عمر بن الخطاب فقالت مالي ولعمر في هذه الساعة فقال افتحي رحمك
الله فلا باس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال ردي الكلمات التي قلتيها
انفا فردتها فقال ادخليني معكما وقولي وعمر فاغفر له يا غفار فقيه
تفقد بعض لها حبيبها النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مناسبة لما نحن فيه

مجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية التي نقلها ابن المبارك طول اقتصرنا منها على
المراد منها وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة خدرت
رجله بفتح الخا المعجمة وكسر الدال وفتح الرا المهملتين اي اصابها خدر وهو امر
يعتري الرجل لما بسبب العصب فيمتنع عن تحريكها بسهولة ويزول سريعا لانه لو
امتد كان فالجا او من تعقد مادة فقيل له اذكر احب الناس اليك لان الناس جربوا في
الخدر ان من اصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تنتعش الحرارة الغريزية
فتدفع الخدر فصاح يا محمداه يعنيه صلى الله عليه وسلم لانه احب الناس اليه والى
كل مومن كما مر ويا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول او القول مقدر
بعده كما هو مشهور في امثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح
لكمال الاتصال بينهما فهو كابو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز فانتشرت رجله
اي امتدت لزوال الخدر بها وهذا يقتضي صحة ما جربوه وقد روي انه وقع مثله
لابن عباس رضي الله عنهما وذكره النووي في اذكاره وروي ايضا عن غيرهما وفيه
يقول ابو العتاهية

وتخدر في بعض الاحايين رجله ❊ فان لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

وهذا مما تعاهده اهل المدينة وقوله يا محمداه بالف وها للندبة في النداء لمن
يتوجع او يتفجع كما قرره النحاة ولما احتضر بلال رضي الله عنه بالبنا للمجهول
اي حضرته الملايكة لتقبض روحه نادته امراته اي صاحت باعلا صوتها واحربا
بفتح الحا والرا المهملتين وبا موحدة وهو في الاصل النهب والسلب من
حربته اذا سلبته ماله وما يعيش به وقيل فكانها لتفجعها لموته نهبت وسلبت وفي
القاموس قيل ان اصله ان حرب بن امية لما مات قيل في نعيه واحرباه ثم
نقل ذلك بعضهم في كل نعي وحرب كغارة وواحرف ندبة والمندوب اما ميت
ينعى او امر يتفجع منه نحو يا حسرتا وقيل انه روي حزناه بفتح الحا المهملة
والزاي المعجمة او بضم اوله وسكون ثانيه وروي ايضا حوباه بفتح الحا
وواو ساكنة تليها با موحدة من الحوب وهو الاثم فالمراد انها لشدة
جزعها وقلقها في المصيبة تتفجع على نفسها او هو من الحوبة بمعنى
رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى اي كما تقدم فقال بلال رضي الله
عنه ردا لما قالته واطرباه الطرب خفة تعتري المرء لحزن او سرور فهو
مشترك بينهما والمراد هنا الثاني ووا هنا للندا والالف والها مزيدة
في آخره كانه يستغيث بطربه ويدعوه في سكرات الموت لما يتيقنه من الثواب
وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقى في البرزخ كما اشار اليه بقوله
غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه محمدا وحزبه بيان للمراد بالاحبة والحزب
الجماعة المتحزبون اي المجتمعون والمراد بهم الصحابة رضي الله عنهم والمراد
بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروي كما يا في تلقى الاحبة
محمدا وصحبه وهذا بيت من مجزو بحر الوافر وفيه زحف يعلمه من له
خبرة بعلم العروض وذكره القشيري رحمه الله ومثله روي عن حذيفة بن اليمان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رضي الله عنهما وروي ان امراة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لها لانه كان في بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما له صلى الله عليه وسلم فكشفته لها برفع الستارة عنه فبكت حتى ماتت لشدة محبتها للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا لم يخرجوه وروى البيهقي عن عروة انه لما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن وبنون وهاء تانيث اسم والده من فوق لهم دثن الطاير اذا كار حول وكره ولم يسقط عليه او من دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن معاوية ابن عامر بن بياضة الخزرجي الصحابي وكان اسر يوم الرجيع من الحرم ليقتلوه فقتل صبرا وانما اخرجوه منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله في السنة الثالثة من الهجرة قال له قبل قتله ابو سفيان بن حرب والد معاوية وكان ذلك قبل اسلامه وقيل ان الذي قيل له ذلك انما هو خبيب بن عدي حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس في سيرته عن ابن عقبة ومما ذكره المصنف رواية ابن اسحاق انشدك الله قسم وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته اذا سالته وفي القاموس نشدتك فلانا عرفته وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله اي سالتك بالله ونشد الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا احلفه والله منصوب بنزع الخافض اي اسالك بالله وفي النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشي الصواب نشدتك الله فليحرر يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب عنقه فيقتل حماه الله من ذلك وانك بفتح الهمزة سالما مقيما في اهلك فقال زيد رضي الله عنه والله ما احب وارضى ان محمدا في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه شوكة اي اقل شيء من الاذى فضلا عما قلتم وانا جالس في اهلي سالما من الاذى وهو متاذ فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس ما نافية لا تعجبية كما توهم وان كان مراده بهذا الكلام التعجب من شدة محبة اصحاب محمد له يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا مفعول حب المصدر وهذه القصة مفصلة في السير لا نطيل بذكرها هنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة الى المدينة احلفها بالله وفي نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى اي كلفها القسم بالله انها ما خرجت من ارضها وبلدها من بغض زوج لها ناشزة منه ولا راغبة بارض اي في ارض عن ارض خرجت منها وانها ما خرجت من ارضها لشيء الا حبا لله ورسوله فهي مهاجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قصده المصنف هنا وكان ذلك لما وقعت الهدنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم كل من اتاه من اهل مكة ولو كان مسلما فرد ابا جندل رضي الله عنه ولم يرد النساء لعدم دخولهن في العهد او لان الله فسخه صونا للعروج ولضعفهن فكان صلى الله عليه وسلم لا يرد من ظهر اسلامها وامر الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفهن اعطى

ابن اقيس

مهرهن

ابن اقيس

مهرهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الاية ومما ذكرنا سقط ما قيل في نظم هذا في هذا القسم نوع نظر ووقف ابن عمر رضي الله عنه كما رواه ابن سعد على عبد الله بن الزبير بعد قتله رضي الله عنهما حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثا سابع عشر جمادى الاولى او الاخرة كما فصل في التواريخ فاستغفر له اي دعا له ابن عمر بالمغفرة وقال ابن عمر مخاطبا له بعد موته كنت والله فيما علمت اي فيما ثبت وتحقق في علمي بك صواما اي مبالغا في الصوم وكثرته قواما اي كثير القيام والتهجد كما مر قيل انه كان رضي الله عنه قسم لياليه ثلاثة اقسام ليلة يصلي قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح تحب الله ورسوله اي مخلصا في محبتهما مؤثرا لهما على كل شيء حتى على نفسه واهله اما عبادته رضي الله عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه امور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كانه جذع لا يحس بشيء ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير ورمي بحجر من المنجنيق وهو يصلي في ايام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جذبته مغناطيس المحبة فدفن قريبا منه صلى الله عليه وسلم فانهم لما انزلوه عن جذعه الذي صلب عليه غسلته امه اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها بعد ان قطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته في دار صفية ام المؤمنين رضي الله عنها وهذه الدار زيدت في المسجد النبوي على صاحبه افضل الصلاة واشرف السلام

فصل في علامة محبته

عليه الصلاة والسلام اي في ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم اعلم امر لكل من توجه اليه الخطاب من غير تعيين شيء مسند مفعول لبيه قوله ان من احب شيئا آثره اي اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كقوله وآثر موافقته في اقواله وافعاله والا اي وان لم يوثر ويوثر موافقته واصله وان الشرطية ولا الناهية لم يكن صادقا في دعوى المحبة كما قال في حبه وكان مدعيا اي كاذبا في دعواه لان المدعي هو الزاعم للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعي النبوة لكن لا يقال مثله في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال

وكل يدعي وصلا لليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

وقال

ولما ادعيت الحب قال كذبتني ... فما لي ارى الاعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتذهل حتى لا تجيب المناديا

فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر عليه علامات ذلك الحب الذي ادعاه بحيث لا يخفى واولها اي اول تلك العلامات الاقتداء به صلى الله عليه وسلم باتباع اقواله وافعاله وآثاره واستعماله سنته اي العمل بها واتباع اقواله وافعاله فلا يخالفها وامتثال اوامره واجتناب نواهيه بان يفعل ما امر به ويترك ما نهى عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام في تذكرته ومن خطه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نقلت قال الامور ليكون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى
الفعل او الشان على امور ولا نعلم من وافقهم الا الجوهري وفي التهذيب خلافه
ولم يذكر النحاة ان فعل يجمع على فواعل وفي شرح البرهان قول الجوهري غير
معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع آمر لانه اسم او صفة لما لا يعقل وهو مجاز
لان الآمر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع امر فكيف
يخرج عليه كلامهم الثاني انه جمع آمرة وهي الصيغة وفيه ما مر وقال ابن سيدة
امرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يناسب لان معناها
ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع على افعل وجمع افعل على افاعل
ورد بان اوامر فواعل لا افاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهاني
في شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجازا
تكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى والتادب بادابه
الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله
عليه وسلم في اكله وحسن الشيم والادب غلب في العرف على هذا المعنى وعسره
ويسره بضمتين فيهما ويسكن السين تخفيفا في الثلاث والرخا والضيق للنبي
صلى الله عليه وسلم او لصاحب الحالة المصدر به ومنشطه اي في نشاطه
وخفته ومكرهه اي كراهته لامر يتحمله من غيره وميمهما مفتوحة
وشاهد هذا المذكور كله اي ما يشهد له ويدل عليه حتى كانه شاهد به
واثبته قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله جعل
محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احب
رسوله فكانه قال ان كنتم تحبوني فاتبعوني وبهذا ظهر مطابقة هذه الاية
لما عقد له الفصل وايثار ما شرعه من احكامه الواجبة وغيرها والحض
عليها اي حث الناس على فعله وحرصهم عليه على هوى نفسه اي ما
تهواه وتميل اليه وموافقة شهوته اي ما تشتهيه نفسه وتميل
اليه طبعه لان الاشتها ميل طبيعي غير مقيد ولذا لا يعاقب المكلف
بارادة المعاصي عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة
للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد
تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل باللذات فاذا
تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما في قولهم اشتهي ان اشتهي
قال الله تعالى والذين تبوؤوا الدار اي سكنوها واستقروا بها وهم
الانصار والمراد بالدار المدينة والايمان اي واخلصوا الايمان عطفه
على الدار على حد قوله وزججن الحواجب والعيونا او جعل الايمان
لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنة وتحقيقه في الكشاف
وشروحه من قبلهم يحبون من هاجر اليهم من المؤمنين ولا يجدون
في صدورهم اي في قلوبهم وانفسهم وما وقع في بعض النسخ في
انفسهم سهو من الكاتب حاجة مما اوتوا اي لا يخطر ببالهم وتطلع

انفسهم

انفسهم الي ما اعطي المهاجرون من فيء وغيره حسدا وطمعا ويؤثرون على انفسهم الخ
نزلت في المهاجرين على انفسهم تكرما منهم ولو كان بهم اي فيهم خصاصة احتياجا
وفاقة لما اثروهم به وسبب نزول هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم قسم بين الصحابة
غنايم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم
اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم كان لكم اموالكم ودياركم
ولا تاخذوا منه شيئا فقالوا بل نؤثرهم بالفيء ونقسم لهم من ديارنا واموالنا فلله
درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله
عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما فتح الله عليهم فعل
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسخاط العباد اي اغضابهم عليهم بمخالفتهم
في رضى الله اي فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على لا فتدا وهذا كما قال الحريري
وابتغ رضى الله فاغبى الورى من اغضب المولى وارضى العبيد
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا
ابو الحسين الصيرفي تقدم ايضا وفي نسخة الحسين وهو سهو وابو الفضل بن خيرون
تقدم ايضا قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي الذي يقال له زوج الحرة كما تقدم
قال حدثنا ابو علي السنجي تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن محبوب تقدم ايضا
قال حدثنا ابو عيسى هو الامام الترمذي صاحب السنن وهو محمد بن عيسى بن
سورة كما تقدم حدثنا مسلم بن حاتم الانصاري امام جامع البصرة حدثنا محمد بن عبد
الله الانصاري هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة الامام
الثقة توفي في رجب سنة خمسة عشر ومائتين وله ترجمة في الميزان عن ابيه هو
عبد الله بن المثنى البصري وقد وثقوه وله ترجمة في الميزان عن علي بن زيد بن
عبد الله بن ابي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب الضرير احد
الحفاظ وان قيل فيه لين وليس بثبت واخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان
توفي سنة احدى وثلاثين او سبعة وعشرين ومائة عن سعيد بن المسيب تقدم
ايضا قال قال انس بن مالك الصحابي المشهور خادمه قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا بني مصغر بتشديد اليا ويجوز كسرها وفتحها والتصغير
للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى
الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما ان زوجاته رضي الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم
وقد وقع اطلاق هذا كله في الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم المنفي فيه ابوة النسب
حقيقة فلا ينافي لمن لم يرجحوا اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الاية
والصحيح خلافه كما تقدم بيانه في اول فصل وانما تحسن عشرته الى اخره
ان قدرت ان تصبح وتمسي اي امكنك ذلك ولم يمنعك منه مانع اي على الا تح
لان حذف الجار هنا مطرد والمراد بالاصباح والامسا جميع زمانه لا خصوصهما
اذ لا وجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله ليس في قلبك غش لاحد
جملة حالية بدون تقدير قد لجموده فعلها او هي خبر وهما ناقصان والغش

كم

في رضاه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَالغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح وَالمراد به هنا مجازا غل وَحقد وَهوَ المراد
ان اضيف للقلب وَلو كان عَلي ظاهره نحو تبقدير مضاف اي نية غش وَالاول احسن واوتب
فافعل اي فكن هذا وماعلي ذلك ثم قال صلي الله عليه وسلم لي يا بني وَذلك اي
نزع الغش من القلب من سنتي اي طريقتي واتبعها فقد احبني اي علم حبه لي وَهذه
رواية وَالذي في الترمذي فقد احياني وهوَ الظاهر وَمن احبني كان معي في الجنة
لان المرء مع من احب كما تقدم وَالمحب الصادق لايخالف من احبه بل يقدم مراده
علي مراده لانه احب اليه من نفسه فمن اتصف بهذه الصفة اي باحيا السنة ه
وَاتباعها وَقيل المراد بالصفة ان لايكون في قلبه غش لاحد فهو كامل المحبة لله
وَرسوله وَمن خالفهما اي خالف السنة في بعض هذه الامور كترك بعض ما امر
به اواتي بعض مانهي عنه احيانا فهو ناقص المحبة لا كاملها وَلايخرج بارتكاب
البعض عن اسمها اي عن الاتصاف بها وَتسميته محبا في الجملة وَلاينافي هذا قوله
المتقدم لوكان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع لان ذلك في المحبة
الكاملة التي هي محبة الخواص علي نحو قوله لايزني الزاني وهو مومن وَلذا
عقبه بقوله وَدليله اي دليل ان بعض المخالفة لايخرجه عن اتصافه بالمحبة
قوله صلي الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه للذي
حد في الخمر اي اقام عليه الحد لشربه الخمر وَاللام كهي في قوله وَقال الذين
كفروا للذين امنوا لوكان خيرا ما سبقونا اليه اي قوله في حقه وَشانه وَهي في
الحقيقة لام تعليل وَالصحابي الذي حد في الخمر في هذا الحديث قيل هو عبد الله
الملقب حمارا باسم الحيوان بحا مهملة وَقيل بل هو بخا معجمة مكسورة وَانه
الصواب وَقيل ابن نعيمان اونعيمان نفسه ابن عمرو بن رفاعة البدري وَهو
الذي حد في الخمر مرارا وَهو صاحب الدعابة الذي كان صلي الله عليه وسلم
يضحك منه توفي في زمن معاوية وَصحح هذا وَقصة حمار اخري كانت بخيبر وَقيل
انه هو نفسه وَقال الحافظ الدمياطي ان كون هذا الرجل حمارا وَهم وَانما هو
نعيمان وَحمار هذا معدود في الصحابة وَلم يذكروا نسبه فلعنه بعضهم
اي قال اللهم العنه وَروي انه قال له اخزاك الله تعالي وَالقايل له
عمر بن الخطاب كما رواه البيهقي في قال ما اكثر ما يوتي به تعجب من كثرة ما اوتي
به النبي صلي الله عليه وسلم وَهو سكران فقال صلي الله عليه وسلم لاتلعنه
فانه يحب الله وَرسوله وَفيه دليل علي ان المسلم وَان ارتكب الكباير لايخرج
وَمن كان كذلك لايجوز لعنه وَفيه ان محبة الله وَرسوله من اعظم الحسنات
وَفيه رد علي المعتزلة في ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار وَمن علامات محبة
النبي صلي الله عليه وسلم كثرة ذكره صلي الله عليه وسلم وَذكره بالصلاة عليه
وَمنه علم فضيلة الحديث وَاهله لذكرهم له صلي الله عليه وسلم كثيرا وَمن
احب شيا اكثر من ذكره وَهذا امثل مشهور وَهو امر طبيعي عادي وَمنها اي
علامات محبته صلي الله عليه وسلم كثرة شوقه الي لقايه اما في حياته فظاهر
وَاما بعد موته صلي الله عليه وسلم فبان يشتاق للقايه في الاخرة وَيا اهد

ذاته

اي طريقتي في الحلاوة ومن احيا سنتي

تلميذي

ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك لكل حبيب اي محب يحب لقا حبيبه اي محبوبه فان فعيل
ياتي بمعني اسم الفاعل وَالمفعول وَان اشتهر هذا في الثاني وَذكره معاد لا لقوله فبله
من احب شيا الخ وَكل منهما علة لما قبله وَهو من حسن التعليل البديعي لشي بالشي
يذكر ما احسن قول عروة بن حزام في قصيدة له

وَاني لاهوي الحشر اذ قيل انني   وَعفرا يوم الحشر ملتقيان

ومنه اخذ ابن رواحة قوله

ان كان يحلو لديك قتلي   فزد من الهجر في عذابي
عسي يطيل الوقوف بيني   وَبينك الله في الحساب

وَقلت انا في رباعيه

كم قال لحبه الكثير الافات   وَالطول وقوفنا يوم العرصات
هيهات لمن تداعياه لذته   يعفو وَيهب له جميع الزلات

وَفي حديث الاشعريين يعني ابا موسي الاشعري وَاصحابه المنسوبون الي اشعر ابو
قبيلة باليمن وكانوا قدموا علي النبي صلي الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة
وَكان صلي الله عليه وَسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم ارق قلوبا منكم فقدم
الاشعريون وكانوا عند قدومهم المدينة منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم
ولا نعلي فلان وَقدم الي بلد كذا انهم كانوا يرتجزون اي ينشدون شعرا وكلاما
موزونا وهو وَهذا يقتضي الاحبة محمدا وصحبه لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا انشد
شعرا من بحر الرجز وَتمامه مستفعلن ست مرات وَيجزوه اربعا وَهذا البيت منه وَانما
هو من الوافر او الهزج وَقيل انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب اجزايه وَقلة
حروفه وَلعل العرب كانت تطلق علي ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا
وَما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله وَالذي
نظهر ان هذا كله تكلف لاحاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوي وَهو يصيحون ويجهر
فانه اصل معناه وَمنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلي الله عليه وسلم لحسن
صهيله وَصوته وَكونه المحتج عليه مثل هذا اسوه به وَفي نسخة وحزبه بدل
صحبه كما تقدم وَتقدم قول بلال مثله يعني ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعني وَان
اختلف مرادهما فان مراد هذا القايل لقا النبي صلي الله عليه وسلم وَاصحابه في
الحياة الدنيا وَبلال رضي الله عنه اراد لقاهم في الاخرة ثم انه يحتمل انه توارد معهم
في هذا الكلام وَانه تمثل به وَمثله اي المذكور وَان لم يكن سوا وه ما قاله عمار بن ياسر
الصحابي حين قتل اي قتله اهل الشام الذين كانوا مع معاوية اي لما قتل بصفين
مع علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كاني انظر الي عمار
يوم صفين وَقد استسقي فاتته امراة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم القي
الاحبة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم عهد الي ان اخر شربة اشربها من الدنيا
شربة لبن ثم قاتل حتي قتل وَقد قال صلي الله عليه وسلم تقتل عمارا الفية الباغية
كما تقدم وَمنه علم ان عليا كرم الله وَجهه كان علي الحق وَمثله ايضا ما ذكرناه من
قصة خالد بن معدان التي تقدمت من انه كان اذا اوي الي فراشه لايزال يذكر شوقه

نقه

عوض

الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا من تمني الموت
المنهي عنه فان من احب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتمنى الموت لاجل
لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قاله في الفتوحات ومن هذا
ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما خير بين البقاء في الدنيا والانتقال للاخرة
قال اللهم الرفيق الاعلى واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قاله الحكيم الترمذي
في نوادره ان تمني الموت على ثلاثة اقسام الاول تمني عبد اقترب الى ربه في منازل
القرب لما بطن من ادناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى
الموت والثاني عبد راى نعمة الله عليه في دينه شاملة بكل خير فخاف زوالها لما
راى من نفس خادعة وعدو لا يالوه خبالا فتمنى الموت رجاء ان يحرز ذلك لنفسه في حله
فهذا ان محمود اذ ورد عن الصحابة كسلمان رضي الله عنه اذ قال احب الموت
اشتياقا وقال ابن مسعود رضي الله عنه احب الموت لاني لا ادري ما ينزل بي
فاخاف على ديني فالاول قول صديق والثاني قول صادق والحظ لصاحبه فيهما
والثالث عبد تربى في رفاهية عيش وفضل نعمة ثم انقلب الزمان عليه ونغصته
النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا امر مذموم ولذا جاء في الحديث لا يتمنى احدكم
الموت لضر نزل به واما تمني مريم رضي الله عنها الموت وقولها يا ليتني مت قبل
هذا الخ فلحيرة مضى ولذا لم نقل الان فهو لامر ديني رجاء ان لا يزول لما رأت فتنا
تموج وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله فجاءها النداء والبشرى فصدقت بكلمات
ربها وسميت صديقة انتهى اذا علمت هذا فقول السخاوي كغيره تمني الموت
منهي عنه ولذا جاء في الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم احيني ما كانت
الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي انتهى باطلاقه ليس كما ينبغي والتحقيق
ما عرفت ومن علاماته اي علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة لتاولها
بالحب وليس راجعا للقا المحب حبيبه وان كان اقرب وغير محتاج للتاويل كما
قيل مع كثرة ذكره له صلى الله عليه وسلم تعظيمه له وتوقيره حق توقيره عند
ذكره له واظهار الخشوع اي الخضوع والانكسار اي التذلل والتواضع مع
سماع اسمه اي اذا ذكر غيره لاسمه صلى الله عليه وسلم وقال اسحاق التجيبي
هو امام المحدثين ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم التجيبي توفي لثمان بقين من
ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وثلاثماية وهو منسوب لقبيلة من
كندة تسمى تجيب واختلف في تائه هل هي اصلية ام زائدة وضمها المحدثون
وكثير من الادبا وفتحها غيرهم قال في القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من
كندة منهم كنانة بن بشر التجيبي وتجوب بالواو قبيلة من حمير منهم ابن
ملجم التجوبي قاتل علي كرم الله وجهه وغلط الجوهري وحرف بيت الوليد
ابن عقبة

الا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

انتهى يعني انه انشده التجيبي وانما هو التجوبي كما في كامل المبرد واعلم
ان بعضهم زعم ان تاءه اصلية لانه في العين ذكره في فصل التاء وتبعه صاحب

القاموس

القاموس وهي زائدة كما قاله ابن السيد وجوز في تائه الوجهين اي الفتح والضم
وقال النووي في شرح مسلم ان التاء زائدة لانه من جاب يجوب كان اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم بعده اي بعد وفاته لا يذكرونه الا خشعوا اي اظهروا الخشوع
والتذلل واقشعرت جلودهم اي عرض لها قشعريرة وبكوا حزنا لفراقه وشوقا
للقائه صلى الله عليه وسلم وكذلك اي ومثل الصحابة فيما ذكر كثير من التابعين لهم
باحسان يفعلون كفعلهم منهم من يفعل ذلك اي من المذكورين كلهم الصحابة
والتابعين او من التابعين من يبكي ويخشع ويقشعر محبة له وشوقا اليه
تمييز او مفعول له اي من محبته وشوقه او لاجلهما ومنهم من يفعله هيبة وتوقيرا
اي لمهابته صلى الله عليه وسلم في نفسهم واجلاله وتكريمه ومنها اي من علامات
محبته صلى الله عليه وسلم محبته اي محبة الانسان لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
بالرفع والعائد محذوف اي احبه النبي صلى الله عليه وسلم ومحبة من يمت بسببه الباء
للملابسة اي تلبس بسبب من اسبابه وكان بينه وبينه علامة بقرابة او صهارة
وقال في النهاية السبب الزواج واصله الحبل الذي يتوصل به لسقي الماء فاستعير
لكل ما يتوصل به قال تعالى وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات نكتة
اما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الماء المخصص
في المستعار لانه يطلق على المني كما في الحديث انما الماء من الماء وفي قوله تقطعت
في الاية لطف خفي وقوله من اهل بيته الخ بيان لمن احبه ومن هو بسببه ويجوز ان
يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفي نسخة من آل بيته وفيهم خلاف والمشهور
عند الشافعي انهم المومنون من بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف لا بني عبد
شمس وبني نوفل ابني عبد مناف لانه صلى الله عليه وسلم اشركه الاولين في خمس
الخمس الذي هو سهم ذوي القربى دون هولا وقال انهم والفونا في الجاهلية والاسلام
وصحابته بفتح الصاد جمع او اسم جمع صاحب وهو في الاصل مصدر وهو كل مسلم
لقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم
تدم لم يضر وهم لا يحصون كثرة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قبض عن مائة
واربعة وعشرين الفا والله اعلم والمهاجرين هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله
صلى الله عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم افضل
والانصار جمع ناصر او نصير غلب على الاوس والخزرج ولذا نسب اليه وقيل انصاري
وهو تخصيص بعد تعميم لانهم افضل من غيرهم وفي نسخة من المهاجرين
والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة
كخديجة رضي الله عنها وقيل انهم في حكم المهاجرين لانهم السابقون باحسان
قبل غيرهم فقاتله وعداوة من عاداهم اي من علامات المحبة لهم عداوة
من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلا يدخل فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرا
وبغض من ابغضهم اي كرههم وقلاهم وسبهم واظهر شتمهم كالروافض قاتلهم
الله فان من احب شيئا احب من يحبه وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم ٣

اذا صافي صديقك من تعادي * فقد عاداك وانفصل الكلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين اي في حقهما وشانهما كما رواه
البخاري اللهم اي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطية لما طلب منه
اني احبهما فاحبهما اي افضلهما الكل حبي دنيوي واخروي كما سياتي في بيان محبة الله
وهذا بلفظه وقع في رواية الترمذي في حديث قال انه حسن صحيح والذي في
الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وغيره روايات مختلفة ليس هذا محل تفصيلها
واليه اشار المصنف بقوله وفي رواية في الحسن وحده وليس المراد التخصيص اللهم
اني احبه فاحب من يحبه وقال صلى الله عليه وسلم في رواية اخرى من احبهما
اي الحسن والحسين فقد احبني ومن احبني فقد احب الله لعلمه بالحديث
الاولى ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وغيره الله الله في اصحابي
بعدي كانه قال اتقوا الله واحذروه واخشوه وفي تكريره تخويف وتحذير على وجه
المبالغة في اصحابي اي في شانهم وحقهم فاحذروا تنقيصهم وتنسبتهم لما
لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله لا تتخذوهم غرضا بالغين المعجمة
وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذي يرمى بالسهام فهو
استعارة او تشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في المعاني اي لا تقصدوا
ذكرهم بسوء ولا تجعلوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه فمن احبهم
فبحبي احبهم اي بسبب حبي لهم ويلزم من المحبة لهم ان لا يذكروا بسوء
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ولذا ذهب بعض المالكية كما سياتي
الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله عليه وسلم ومن اذاهم بذكر ما
يسوءهم فقد اذاني لانه يسوءه ذلك ومن اذاني فقد اذى الله اي عصاه
وفعل ما لا يرضاه وهو المراد باذية الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
اي يهلكه سريعا ولا يمهله فياخذه اخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك
ان يكون كذا اي يقرب ويسرع وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة رضي الله
عنها اي في حقها وشانها في حديث رواه البخاري وغيره انها بضعة
بفتح الباء وكسرها اي قطعة وجزء مني لان الولد حاصل من ابيه وقطعة
من كبده يغضبني ما يغضبها اي يسوءني ويؤذيني كل ما اذاها لان الجزء
يتالم بما الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه
خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله عنها فاتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح
بنت ابي جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد وقال اما
بعد فان فاطمة بضعة مني واني اكره ان يسوءها والله لا يجتمع بنت رسول
الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي ذلك والحديث وتفسيره
مفصل في كتب الحديث وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي
عن عايشة وحسنه لعايشة في اسامة بن زيد اي في حقه وشانه
احبيه فاني احبه وقد قال صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد احب الناس

الي

الي فاستوصوا به خيرا ولذا امر عايشة ان تستوصي به خيرا بعده وهذا مما اخبر به
صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان اية
الايمان اي علامة تحققه وصدقه وكماله حب الانصار لمحبة النبي صلى الله عليه
وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المومنين من الصحابة وواسوهم
بما هو معلوم واية النفاق المنافي لتحقق الايمان بغضهم وصحف بعضهم الحديث
فقال انه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر وفي حديث
ابن عمر كما اخرجه البيهقي في دلايله من احب العرب والمراد بهم هولا الجيل المعروف
مطلقا فبحبي اي بسبب حبي احبهم ومن ابغضهم من حيث ذواتهم لا لسبب اخر يكون
لبغض منهم فببغضي ابغضهم وفي حديث رواه الترمذي عن سلمان انه صلى الله
عليه وسلم قال له لا تبغضني فتفارق دينك قال كيف ابغضك وبك هدانا الله
قال تبغض العرب فتبغضني وفي شعب الايمان للحليمي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بني ادم واختار من بني
ادم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار منه بني هاشم
فانا خيار من خيار فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي
ابغضهم ولذا قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية لله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقي في تاليف له مستقل
سماه القرب في بيان فضل العرب قال المولف رحمه الله فبالحقيقة اي
بسبب النظر للحقيقة وبعنوان الامر المحقق عند العقول السليمة من احب شيئا
من الاشيا احب كل شي يحبه محبوبه وهذه سيرة السلف اي دابهم وطريقتهم
في محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى المباحات
اي كانوا يحبون ما احبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامور المباحة
وشهوات النفس اي فيتبعونه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بشهوات النفس
والطبيعة البشرية كمحبة الطيب وبعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد
لذلك بقوله وقد قال انس رضي الله عنه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدبا بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة في اخره للالحاق
والواحدة دباه وهي نوع من الماكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى
تتبعها انه ياخذ قطع القرع من اي محل وجدت فيه فان قلت اكل الانسان
مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك
لمن راه يجيل يده في الطعام الا في الفواكه فانه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه
واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يشتهون قلت قالوا انه اذا كان
الاكل ممن يتبرك به لا يكره في حقه ذلك لا سيما النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
هو مخصوص بالالوان الواحد وهذا كان معه فقد يد وقيل انه صنع له صلى
الله عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه برضا صاحبه وقيل
هو مخصوص بمن لم يتاذ اكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف واما الدبا

بالمد كما مر وحكى بعضهم قصره وانكره القرطبي فقيل هو والقرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووي وهو اليقطين وهمزته زايدة ولذا ذكره في باب دبب وخطأ صاحب القاموس الجوهري في ذكره في المعتل في مادة دبي فقال وهو وهم وليست همزته منقلبة عن واو ولا ياء اقول اخطأ من خطأه ومن تبعه هنا لان الزمخشري ذكره في المعتل ايضا ووجهه ان الهمزة للالحاق كما ذكروه فهي في حكم الاصلية كما حرروه في باب الالحاق من حوالي القصعة بفتح القاف اناء معروف وحوالي مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كما رجع البصر كرتين وهو بفتح الحاء واللام وكسر اللام وبالتحتية ساكنة وفيه لغات مذكورة في كتب اللغة فما زلت هذا مقول انس فتاوه مضمومة احب الدباء اي احب اكلها تبركا بها من يومئذ اي يوم اذ رايته يتتبعها ولحبها لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وهو شاهد لاتباعه له في المباحات وما تشتهيه الانفس وهذا الحديث اخرجه الشيخان وكان الذي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك خياطا صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من الدبا ودعاه له فذهب معه انس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط وهذا الحسن بن علي بن ابي طالب وكان الظاهر ان تقول وابي الحسن وابن عباس الخ فعدل عنه لانه لشهرته كالمشاهد وابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى بفتح السين وهي زوجة ابي رافع ومولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله عليه وسلم ودايه فاطمة الزهرا وهي التي غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وهي صحابية مشهورة وفي الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امراة وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما اي تطبخه وتحضره لهم مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم وانما سالوها ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله عليه وسلم وتعرف ماكوله ومشربه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء وهذه الحالة تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المراد وهذا رواه الترمذي في الشمايل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن ابي طالب الطيار ذو الجناحين الصحابي بن الصحابي وتتمة الحديث مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله فقالت انا لا تشتهيه اليوم فقالوا بل اصنعيه لنا فقامت وطحنت شيئا من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت وفلفل وتوابل وقربته اليهم وكان ابن عمر عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما في حديث رواه الشيخان يلبس النعال جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهي مؤنثة السبتية بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وياء نسبة الى السبت وهو جلد دبغ وازيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا في الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا اهل السعة والجاه وهي منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يحوي

فتح

فتح اوله ايضا وتعال ايضا نعالا سودا ويصبغ بالصفرة وهو كل ما يصبغ الشعر وغيره كالحنا والكتم ويصبغ مثلث الموحدة وكسره تتبع لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو يصبغ اصفر والا فانه يصبغ ثيابه بشيء اصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وما ورد من النهي عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهي عنه المحرم في الحج وعممه بعضهم ويدل على الجواز ما روي عن ابن جعفر انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم والطبراني وغيرهما وكذا احاديث كثيرة صحيحة يدل على جوازه ايضا وقوله اذ رايت النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك تعليل لفعله ومحبته لما احبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ اوله وللبس النعال وهو انسب باشارة البعيد وهذا استنبط الاقتدا به صلى الله عليه وسلم في المباحات بالنسبة اليه وان اختلف في الاقتدا به في مثله هل هو مباح في حق المقتدي به ام لا كذهابه في العيد من طريق وعوده من اخرى ورجحوا الندب لمن نوى الاقتدا به صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر ومنها اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم بغض من ابغض الله ورسوله بغض الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهر في مثل ابي جهل وبغض الله تعالى اما ببغض رسوله او بكونه او بانكاره كالمعطلة والدهرية ومعاداة من عاداه اي من يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله انما هي بمعاداة رسوله صلى الله عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور ومجانبة من خالف سنته اي اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه وابتدع في دينه اي اظهر البدع وخالف الشريعة وهو عطف تفسيري لما قبله واستثقاله كل من يخالف شريعته اي عده ثقيلا متنفرا عنه غير مقبول واصل الثقل في الاجسام ضد الخفة وفي نسخة كلا ما ثم ذكر ما يبينه من الكتاب العزيز فقال قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر اي لا يكون كذا احق تجدهم فانه لا ينبغي ان تكون وهو مبالغة في النهي يوادون اي يكون بينهم وبينهم مودة من حاد الله ورسوله اي يخالفونه ويعادونه وهو لاصحابه رضي الله عنهم اي مما علم من حال اصحابه بحق كانهم يشاهدون متلبسين به فقد قتلوا احبابهم اي اصدقاءهم قبل الاسلام وقد وقع هذا الكثير من الصحابة ور... ولو اي المقتولون والعد وهم قال تعالى ما ودعك ربك وما قلى وقاتلوا اباهم وابناهم الذين بغوا على الكفر في مرضاته في تعليلية والمرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضا كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم بدر وعمر رضي الله عنه قتل خاله العاص ومصعب بن عمير رضي الله عنه قتل اخاه ونحوه مما هو مذكور في السير وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الله رضي الله عنه بن عبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين وابنه عبد الله هذا كان من الصحابة المخلصين محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت خلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاتيتك براسه يعني اباه عبد الله بن سلول اي قتلته واتيت براسه لك وكان ابن سلول رئيس اهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام بطلت رياسته

فكان حرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذي نزل في حقه سورة المنافقين
واما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة فلما ظهر من ابيه
ما ظهر قال يا رسول الله انا لك باليد الا ما اذنت لي في قتل ابي فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا مما رواه البخاري ومنها اي من
علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان حب القران الذي اتى به للناس من عند ربه
عز وجل وهدي به الخلق كلهم لسعادة الدارين واهتدي هواي وصل الى الله به
وتخلق اي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه حتى قالت عايشة رضي الله عنها وقد
سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه
القران اي كان دابه التمسك به والتادب بادابه والعمل بما فيه من مكارم الخصال
فجعلت القران نفس خلقه مبالغة في شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة
كانه طبع عليها فتخلق بمعنى اظهر الخلق كتجمل بمعنى اظهر الجمال كما في كامل المبرد
رحمه الله وقد يكون التخلق للتكلف كما في قوله

يا ايها المتحلي غير شيمته ● ان التخلق ياتي دونه الخلق

وليس بمراد هنا وحبه للقران تلاوته اي كثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها
عند اهل الادا وليس المراد مطلق القراة والعمل به اي بما فيه من الاحكام
والمواعظ وتفهمه اي التقيد بفهم معانيه وجعل هذا عين الحب للتنبيه
عنه ومن العلامات لمحبته صلى الله عليه وسلم ايضا ان يحب سنته اي
طريقته وهديه بالاقتدا به قولا وفعلا ويجوز ان يريد بسنته احاديثه المروية
عنه لتزيينه جعلها قرينة للقران وكثيرا ما نطق عليه ويقف عند حدودها
اي لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وحدود الله
محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير
الحد لما ذكر فالوقوف عليه ترشيح مليح قال سهل بن عبد الله التستري وقد
تقدم علامة حب الله اي امارته ودليله حب القران وتقدم بيانه وعلامة
حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم فان من احب الله احب حبيبه
وكلامه وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة فان من احبه لا يخالفه
ولا يعصيه وعلامة حب السنة حب الاخرة لان من احبه واتبعه احب لقاه وربه
في الاخرة كما مر وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا والزهد فيها لانهما ضرتان
لا يجتمعان في قلب مومن وبغضها لا يقتضي التبذير والاسراف كما توهموا وانما
هو كما قيل اللهم اجعلها في ايدينا ولا تجعلها في قلوبنا وعلامة بغض الدنيا
ان لا يذخر ولا يقتني منها الا زادا اي متاعا يتزود به ويتقوته ولا يجمع منها
ما لا حاجة له به كما قيل

يكفيك مما تبتغيه القوت ● ما اكثر القوت لمن يموت

او بلغة بضم فسكون اي ما يبلغه به الى الدار الاخرة كالمسافر يحمل من الزاد
ما يبلغه لمقصده ومنزله فانما الدنيا دار سفر لا دار مقر

وانا لفي الدنيا كركب سفينة ● نظن وقوفا والزمان بنا يسري

وعن

وعن ابن مسعود في حديث رواه البيهقي في الادب وابن الضريس في فضايل القران
وفي نسخة وقال ابن مسعود لا يسال احد منكم عن نفسه اي عن احوال نفسه
في محبتها الله ورسوله الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله
فاذا اراد ان يعرف حاله ينظر في ذلك فيستدل به حتى كانه ساله واجابه ببيان
حاله فاذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه
وهو غاية مطلوبه كما قيل ● ان كنت تزعم حبي ● فلم هجرت كتابي ● اما تاملت ما فيه
من لذيذ خطابي ● ومن علامات محبته للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على
امته بان يحبهم ويتلطف بهم ويرفق قلبه عليهم وينصحه لهم ببيان ما يصلحهم
من امورهم وسعيه في مصالحهم بشفاعته ومعاونته وقضا حوايجهم
ورفع المضار عنهم بدفع المظالم وازالة مصايبهم كما كان صلى الله عليه
وسلم بالمومنين منا ومن غيرنا لا بغيرهم رووفا رحيما منعما مشفقا
عليهم كما وصفه الله به في كتابه العزيز فعلينا الاقتدا به والتخلق باخلاقه
ومن تمام محبته اي كمالها واقصى مراتبها التي لا تتم الا بها زهد مدعيها
اي المحبة في الدنيا وامورها وزخرفها وايثاره الفقر اي اختياره وتقديمه
على الغنا وسعة الدنيا واتصافه به اي جعله شعارا ووصفا له تواضعا وز
وقد قال عليه الصلاة والسلام لابي سعيد الخدري رضي الله عنه تقدم
ترجمته ان الفقر الى من يحبني منكم معاشر المسلمين او الصحابة اسرع اي يصل
اليكم بسرعة اقوى من سرعة السيل اذا انحدر ونزل من اعلى الوادي وهو
الموضع الذي يسيل منه الما من ودي بمعنى سال ويسمى الفرجة بين جبلين
واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون
او من الجبل الى اسفله وانما النازل من علو يسفل في غاية السرعة فضرب به مثلا
لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير اسفله لاحد الامرين من
الوادي او الجبل وافرد لانه بعد شيئين عطفا باو وهذا البعض من الحديث
الذي بعده وقد رواه الترمذي وحسنه وفي حديث عبد الله بن مغفل
بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفا المفتوحة ولام وهو صحابي
مزني من اصحاب الشجرة اخرج له الستة وغيرهم وتوفي سنة ستين
قال رجل من الصحابة ولم يسموه للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
اني احبك فقال انظر ما تقول اي تفكر فيه وتامل فان محبتي امر عظيم
من اختارها صادقا مخلصا ينبغي ان لا يحب امرا من امور الدنيا وهو امر
صعب قال والله اني احبك اكده بالقسم لما راى من قوله صلى الله عليه وسلم
له المشعر بالتردد فيه وزاد ان كرره ثلاث مرات ليزيل الشبهة قال له صلى
الله عليه وسلم ان كنت تحبني حبا خالصا صادقا لا تؤثر عليه شيئا فاعد
اي احضر وهيئ للفقر تجفافا بكسر التا المثناة الفوقية وسكون الجيم وفا بين
بينهما الف وتاوه مزيدة من جف اذا يبس وهي شي يوضع على الخيل ليقيها
في الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف اي اعدله

حدة تفتكه من اذى الفقر فان النفوس لا تتحمله يعني الصبر عليه وربما منعه
النفس في تحمله فشبه الفقر بجواد محسن بما يقيه لا بما له الى السعادة او شبه
صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايما الى ان من احبه صلى
الله عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختياري بزهده في الدنيا وقد اختلف في
الفقر والغنى وفي الفقير الصابر والغني الشاكر ايهما افضل وظاهر هذا الحديث
الاول والكلام عليه مفصل في كتب المشايخ وغيرها وقدمنا منه ما فيه الكفاية
وروى جلبابا بدل تجفافا فانه ذكره اي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا
الكلام الذي قاله للرجل المذكور نحو حديث ابي سعيد الخدري اي ما يشبهه
بمعناه يعني قوله في الحديث الذي سبق للفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى
منتهاه ومنتهاه تشبيها له بالسيل واشارة الى تلاحق النوائب به سريعا
حتى لا يتخلص منها فليستعد لها

فصل

في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اي المعنى الذي وضعت له واضع اللغة
وعين لفظه اختلف الناس المراد بهم علما السلف والخلف وسبب اختلافهم
ان المحبة التي تعارفها الناس كما سنبينه بحسب الظاهر لا تليق بالله ورسوله
في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم اي في بيان المراد بها وكثرت
عباراتهم في ذلك التفسير وليست ترجع بالحقيقة اي ليس مالها ان نظر الى
نفس الامر المحقق في الواقع الى اختلاف مقال اي ليس اختلافا لفظيا والمعنى
واحد ولكنها اختلاف احوال اي سبب اختلافهم اختلاف حال المحب وحال
المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من احوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس
اختلافا حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالا فهما
حتى انكر بعضهم امكان محبة الله حقيقة كما في الاحيا وقال لا معنى لها
الا المواظبة على طاعته وقال القشيري هي حالة للقلب تلطف عن العبارة
تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حبب الاسنان وبياضها
وصفا موردة وقيل من الحباب الذي يعلو الماء اذا انصب وتحركت لفورانها
في القلب وقيل من احب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد
وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رائع جمال او فائق
كمال او فائض احسان وافضال فقال سفيان يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان
الثوري قيل والظاهر انه الثوري لطول باعه في علوم القوم وعلو رتبته
في العلما الظاهر ايضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل في عزة المحبة
يعني محبة الله بدليل الاية التي استدل بها اتباع الرسول صلى الله عليه
وسلم في اقواله وافعاله وكل ما جاء به عن الله لان من احب الله لا يعصيه
فيما امره به وانما يعلم اوامره ونواهيه منه فهي تفسير لها بلازمها
ولما كان في هذا خفا قال كانه اي سفيان التفت اي نظر في تفسيره هذا
الى قوله تعالى واستنبطه منه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله فانه افاد ان اتباعه مقام محبته اذ لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهي

لايكون

لا تكون الا لمن احبه والاية نزلت في اليهود لما قالوا نحن ابنا الله واحباوه فارشدهم
الى ما يحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شي ادركت منه كمالا يحملها
على ما يقربه اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله وكل كمال في غيره فهو منه فمحبته تقتضي
طاعته والرغبة فيما يقرب اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته لا تقبل الا باتباعه
صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم في معنى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم انها
اعتقاد نصرته ونصرته بالمجاهدة لنفسه وبعلي كلمته والذب بالمعجمة اي المنع
والطرد عن سنته اي كل بدعة وشين تقع فيه برد ما يخالفها ودفع الشبه الموردة عليها
وتصحيح احاديثه وتفسيرها وبيانها والانقياد لها بان لا يخالفها ويعلمها
وهيبة مخالفته اي الخوف من مخالفته مع تعظيمه واجلاله وفي نسخة مخالفتها
اي السنة وفي النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم
في تفسير مطلق المحبة ويحتمل انه بيان لمحبة الله دوام الذكر للمحبوب لان من احب
شيا اكثر من ذكره كما مر وقال اخر ايثار المحبوب اي اختياره وتقديمه على ما سواه
بان يكون احب اليه من نفسه واهله وماله كما تقدم وقال بعضهم المحبة مقاما معناها
الشوق الى المحبوب بان يكون نفسه وقلبه دايما تدعو الى قربه وتحثه على لقايه
وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات الصوفية
لا من المعاني اللغوية وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب بضم الميم وطا
مهملة تليها همزة ومعناها الموافقة واصله ان يطا الرجل برجله موطى صاحبه
قال تعالى ليواطيوا عدة ما حرم الله اي موافقة القلب لمراد الرب بان لا يريد الا ما اراده عدة ص
فيترك ما يريده لما يريده الله ثم بينه بقوله فيحب مضارع احب ما احب ويكره
ما كره وفي نسخة ما يكره والاولى اولى وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق
قوله اي المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله من كلام اهل الطريقة وله امثال
كثيرة كقول ذي النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله نعت وقال
اخر المحبة ميل القلب الى موافق له اي موافق لما يرضاه ويريده محبوبه
وهي اقوال متفاوتة واكثر العبارات المتقدمة من اول الفصل الى هنا
اشارة الى ثمرات المحبة انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها
وامثل الثمرة نتاج الشجر ثم قيل لكل نفع يصدر عن شي ثمرة كثمرة العلم العمل
فهو استعارة تصريحية وتخييلية ومكنية او مجاز مرسل دون حقيقتها اي
لا حقيقتها ودون ترد لمعان هذا منها وانما قال اكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه
او لانه احتراز عن الاخير لانه حقيقته لغوية وفيه نظر لانه بين حقيقتها بقوله
وحقيقة المحبة الموضوعة لها مطلقا الميل معناه حقيقة العدول عن الوسط
الى احد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه الى ما يوافق الانسان ابن اقبرس
اي طبيعته قيل هذا التعريف هو المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق
له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه
وبين الموافقة بقوله وتكون موافقته له اي للنفس المحبة اما الاستلذاذه
اي عده لذيذا لشتهيه لنفسه ولتحسنه بادراك منه امرا محققا محبوبا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كالطعم الحلو والمشروب العذب وكحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة
والاشربة اللذيذة واشباههما كالروايح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة
الى المحسوس بالحواس الظاهرة مما لا طبع سليم من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض
يجد الحلو مرا لفساد ذوقه فهذا الابرد نقضا لما يميل اليه لموافقته له طبعا وفي
نسخة موافقتها اي المذكورات او لاستلذاذه اي وجود لذته واللذة من الكيفيات
النفسية وضدها الالم وتصورهما بديهي لانه من الوجدانيات وهي ادراك
الملايم من حيث هو ملايم والالم ضده والمراد بالملايم للشي كماله اللايق به
كالتكيف بالحلاوة للذايقة ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشيا على ما هي
عليه للقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشي قد يكون ملايما من وجه دون
وجه اخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا مجرد تخيله كما تقرر في كتب
الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه اشار بقوله او لا بادراكه الخ وهو
القسم الاول والثاني بينه بقوله بادراكه بعد الوصول اليه لا قبله بحاسة
عقله وقلبه وفيه تسمح على راي الحكما لان المدرك عندهم القوى البالغة
في الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان اهل الشرع لم يثبتوها تسمح
فيها معاني باطنة غير مدركة بالحواس الظاهرة شريفة اي نفيسة القدر دقيقة
عالية القدر كانها في شرف اي مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة فالاضافة
لامية او المراد حاسة هي العقل فالاضافة بيانية كحب الصالحين والعلما واهل
المعروف المراد بالمعروف كل ما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب
وحب الماثور اي المنقول عنهم السير المراد بها الاحوال والصفات الجميلة الحسنة
المحمودة شرعا وعقلا والافعال الحسنة كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصري
فان طبع الانسان مايل الى الشغف اي المحبة الزايدة وهي بشين وغين معجمتين
وقام من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه اي غلافه او نياطه او داخله
وحبته وهذا انسب بالمراد وروي بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل
الثاني بمعنى الاحراق يقال شعفه الحب اذا احرقه وامرضه ومع ذلك يجد
له لذة فان عذابه عذب لذيذ ويأتي لهذا مزيد بيان وقوله بامثال هولا
اي بهولا وامثالهم او المراد بامثالهم انفسهم كمثلك لا يبخل وهو كناية عما
تقرر في كتب المعاني والاشارة للصالحين ومن بعدهم حتى يبلغ الشغف بهولا
وفرط حبهم التعصب تفعل من العصبة وهي الجماعة المتعاضدة المتعاونة
والمعنى اظهار الحمية والمبالغة في الصيانة حتى يفارقوا من خالفهم في محبتهم
للحمية والغضب لمن احبه والتشيع تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب
ايضا وضمنه معنى الانفصال لقوله من امة اي فارقوا امة خالفوهم وصاروا
في اخرين اي في قوم اخرين وفي نسخة اخرى اي امة اخرى والشيعة من المتابعة
وهي المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضي الله عنه
كما مر ويأتي ما يودي اي يوصل يقال اداه الى كذا اي اوصله وهو
بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ اي يصل والتعصب فاعله فان

تعصب

نصب على انه مفعول وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثاني افرط الى الجلا بفتح
الجيم واللام والمد الخروج عن الاوطان اي المساكن والبلاد والاهل وهتك الحرم
بضم الحاء وفتح الرا المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر
بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل ما يصان
ويمنع ولذا قيل للنساء حرم اي افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم
صيانته واخترام بخا معجمة ومثناة وراء مهملة النفوس اي الذوات او الارواح
اي اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية كانها قطعته ثم وكل ما استاصل شيا اخترمه
وفي نسخة القلوب والاولى احسن فترى الراغب هولا وان لم يرهم يحبهم بحيله على
ما ذكروه ذكر سببا ثانيا للمحبة فقال او يكون حبه اياه وميل نفسه وطبعه اليه
لموافقته له اي لملايمته وموافقته طبعه من جهة احسانه اليه اي انعامه
وبذله وجوده وفي نسخة له اي لاجل ذلك فقوله وانعامه عليه عطف تفسير فقد
جبلت النفوس بالبنا للمفعول اي جعلت مطبوعة ومخلوقة على حب من احسن اليها
كما جبلت على بغض من اسا اليها وقيل انه هذا من الفاظ النبوة ولم اره بعينه حديثا
الا انه ورد بمعناه وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل
لفاجر على يدا فيحبه قلبي فاشار الى ان حب المحسن اضطراري وفي الاحيا ان المحبة
قد تكون لغير هذا من الالف الروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه ايضا
في ايتلاف القلوب امر غامض لا يطلع عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب
ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه الشي منجذب اليه وفي الحديث الارواح جنود
مجندة ما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف وقول المنجمين انه دائر
على الطالع ومقابله لا اصل له وورد في حديث رواه في الفردوس لو ان مومنا
دخل مجلسا فيه مائة منافق ومومن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا
دخل مجلسا فيه مائة مومن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه فاذكره هو الاغلب
المعروف فاذا تقرر اي ثبت وتحقق لك هذا المذكور من اسباب المحبة نظرنا الى
هذه الاسباب كلها اي عرفتها بنظر سديد وكلها تاكيد للاسباب او مبتدا خبره
في حقه اي موجودة في حقه وشانه صغرته محققة فعلمت انه عليه الصلاة
والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة بمقتضى العقل والشرع
والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله اما جمال الصورة وهو السبب الاول وهو
حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه والظاهر
عطف تفسير للصورة وكمال الاخلاق اي كونها في غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم
وهذا المعنى من الحسن الظاهري بل حسن باطني كالصورة لان حسن الصورة يدل على
حسن السيرة فقوله والباطن عطف تفسير له فقد قررنا اي بينا في هذا
الكتاب سابقا منها قبل مبني على الضم فيما مر اول الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة
فيه هنا واما احسانه صلى الله عليه وسلم وهذا هو السبب الثاني وانعامه
على امته يعني امة الاجابة فكذلك اي مثل ما قبله في عدم احتياجه للبيان
هنا لانه قد مر منه اشارة اليه ان ما ذكرنا بعض منه لا يمكن استيفاوه

شبكة الألوكة www.alukah.net

وعلى تفنن مادحيه ووصفه ۞ يفني الزمان وفيه ما لم يوصف
في اوصاف الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة او توصيف ثم
بيّنه بقوله من رأفته بهم اي شفقته ولطفه بهم كما مر ورحمته لهم اي
انعامه صلى الله عليه وسلم عليهم وكرمه وهدايته اياهم اي من احسانه
اذ هداهم الى سعادة الدارين واي احسان اعظم من هذا وشفقته اي حنوه
عليهم ومرحمته لهم واستنقاذهم اي تخليصه لهذه الامة به اي بسببه
صلى الله عليه وسلم اذ بعثته اليهم من النار وعذاب جهنم اذ هداهم لطريق
النجاة منهما وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم كما في قوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم
كما مر مع تفسيره وانه رحمة للعالمين هو مرفوع وضبط في بعض النسخ منصوبا
اي كونه رحمة ويؤيد ذلك قوله ومبشرا بكل خير ونذيرا مخوفا لهم لم تدعو
عما يضرهم وداعيا الى الله ودينه الحق باذنه في الدعوة او بارادته كما مر وسراجا
منيرا منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلالة ويتلو عليهم اياته المرشدة لهم ويقرأ
عليهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويزكيهم يطهرهم من الشرك
والمعاصي ويعلمهم الكتاب اي القرآن العظيم والحكمة وما يكملهم من المعارف
والاحكام ويهديهم الى صراط مستقيم يدلهم على الطريق الموصل الى الله بلطف
وهذا احسان وصفه الله به في كتابه العزيز واي احسان اي للتعظيم والتفخيم
كما يقال عندي رجل اي كامل الرجولية اجل قدرا وارفع رتبة
واعظم خطرا بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اي قدرا وشرفا فالفرق بينهما
تفننا من احسانه اي احسان هذا النبي الكريم على امته فكيف لا يحسن الى جميع المؤمنين
خصهم لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام واي افضال بمعنى
احسان وتفضل اعم منفعة واكثر فائدة على كافة المسلمين اي جميعهم وقد
قيل كما مر ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف
ذلك خطأ وانه وقع في عباراتهم كما في درة الغواص وقد اجبنا عنه في شرح
تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه اذ تعليلية اي لانه صلى الله عليه وسلم كان
ذريعتهم اي وسيلتهم وسببهم موصل لهم الى الهداية اي ما يخلصهم وينجيهم
واصل الذريعة سترة يتخذها الصائد للغزال بالصيد والوصول اليه وهو
صلى الله عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان ومنقذهم
مخلصهم من العماية بفتح العين وهي الغواية والجهالة وداعيهم الى الفلاح
اي الفوز والظفر بسعادة الدارين والى الكرامة اي الاكرام بنيل الخير ۞
ووسيلتهم الى الله اي موصلهم ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده
وشفيعهم في الدنيا والاخرة والمتكلم عنهم عند الله ببيان اعذارهم
وهم احوج ما يكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد
غيره صلى الله عليه وسلم ان يتكلم والشاهد لهم بانهم امنوا وصدقوا
يوم القيامة حين يشهدون للانبياء عليهم الصلاة والسلام ان قد
بلغوا قومهم ويزكيهم كما تقدم والموجب لهم اي الذي يحقق لهم البقا

الدايم

الدائم بالخلود في الجنة وليس المراد الوجوب الشرعي لانه لا يجب على الله شيء والنعيم في الجنة
السرمد اي الدائم الذي لا ينقطع ولولاه صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء من ذلك
فقد استبان لك بما ذكر اي ظهر واتضح انه عليه الصلاة والسلام مستوجب اي
مستحق للمحبة الحقيقية لان اسبابها متوفرة فيه صلى الله عليه وسلم على الكمال
وحبه لا ينبغي لغيره شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار الموجبة له مزيد شرف وحسن
وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مأمورون بمحبته واتباعه بامر من الله له
وعادة معطوف على قوله شرعا اي ما اعتاده الناس في كل عصر من محبة من حاز الكمال
كله وجبلة لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله عليه وسلم والنفوس
مجبولة على حب من احسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين مما ذكرنا متعلق باستبان انفا بالمد اي قريبا وهو
منصوب على الظرفية من انف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة لا فاضته اي
اعطائه من بحر كرمه الاحسان بكل خير دنيوي واخروي وعموم الاجمال اي تعميم الجميل
منه لكل احد وهذا الاجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله فاذا كان الانسان
يحب من منحه اي اعطاه والمنحة العطية في دنياه اي في حياته في الدنيا مرة او مرتين
معروفا اي شيئا حسنا كما مر تفسيره او استنقذه ونجاه من هلكة بفتح الهاء واللام
امر مهلك او مضرة امر يضره ويؤذيه بفتح الميم والمضامدة التأذي بها اي
بالمضرة قليل منقطع اي زائل في زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان ولانه
فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة للتأذي او منون منصوب والتأذي
مبتدأ خبره قليل وعلى الاول المبتدأ مدة فمن منحه ما لا يبيد بمثناة تحتية
مفتوحة وموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة اي يذهب وينفد
من النعيم المخلد في الجنة وهذه النسخة اولى مما وقع في بعض النسخ من النعم جمع
نعمة للسجع في الاولى ووقاه بالتشديد والتخفيف اي صانه وحماه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اي النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله اولى
ما يجب بالبناء للمفعول وفي نسخة اولى بالحب واولى افعل تفضيل بمعنى احق وهو
خبر من اي احق من كل شيء يجب من نفسه وماله واهله واذا كان يحب مبني للمجهول
ايضا بالطبع متعلق بيحب وخص هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل
والعادة لا تخالفه ملك بكسر اللام نائب فاعل يحب فهو مرفوع وكذا ما بعده وفي
نسخة بنصب الجميع ويحب مبني للفاعل لحسن سيرته بعدله في رعيته او حاكم غير
ملك كامير لما يؤثر اي ينقل عنه وهو محمود ايضا من قوام طريقته اي حسن
سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحها بمعنى الاعتدال
قال تعالى وكان بين ذلك قواما اي معتدلا او قاض بضاد معجمة اي حاكم الشرع
اذا سمع بعدله وهو بعيد الدار عنه ويروى بصاد مهملة فبعيد تفسير له
لما يشاد مبني للمجهول اي لاجل ما يشيع وينتشر من ذكره بين الناس وهو
مستعار من شاد البناء بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه وقصر مشيد
وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذ علا وفي نسخة لما فشا بالفاء والشين المعجمة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي ظهر ولينتشر من علمه او كرم شيمته اي سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهمال قاص واذا
كان يحب من فيه بعض هذه الخصال فمن جمع هذه الخصال كلها وحواها وكل منها فيه
مستقر على غاية مراتب الكمال بحيث لا يشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيري
رحمه الله

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

احق بالحب مما عداه واولى بالميل اليه واعلم انه انما ذكره من قوله فقد استبان ذلك
الخ لدفع شبهة لمن لا بصيرة له وهي ان هذه الامور انما تتحقق فيه صلى الله عليه
وسلم عند من رآه وشاهده منه لانها المؤثرة في الطباع بان وصول نفعه وخيره
لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب وكما لا انه صلى الله عليه وسلم لتواترها وبقا
آثارها كالمحسوس المشاهد وقد قال علي رضي الله عنه في حديث الحلية السابق ذكره
من رآه صلى الله عليه وسلم بديهة اي البصره في اول رؤيته هابه توقيرا واجلالا
لما يرى من نور نبوته ومن خالطه اي صاحبه صلى الله عليه وسلم وعاشره معرفة
احبه اي بعد ما عرف فضايله وفواضله وشاهد شمايله لا بد ان يحبه وذكرنا
في فضل ثواب محبته عن بعض الصحابة وهو ثوبان كما تقدم انه كان لا يصبر ونحوه
عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل

في وجوب مناصحته النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه ولسانه
وانما قاله بصيغة المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مفروغ لكل
احد فاذا نصحه احد من امته تحققت المناصحة من الجانبين واخر هذا الفصل
عن المحبة لانها تترتب عليها واعلم انه يأتي ان اصل معنى النصح تصفية العسل
وخياطة الثوب ثم استعمل في ضد الغش والاخلاص كالتوبة النصوح قال تعالى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اي اثم بضيق اذا تخلفوا عن الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع لهم اذا نصحوا لله ورسوله
الخ اي اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا ما استطاعوا او
اخلصوا لهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفي الصحيحين عن
جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال
ان بالمدينة ناسا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض
شركوكم في الاجر ففي الآية دليل على وجوب النصح لله ورسوله كما اشرنا
اليه ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل
ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين
غير معاتبين في ذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف المحسن قال اهل
التفسير في بيان معنى الآية ايضا اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا كانوا مخلصين
في اقوالهم وافعالهم مسلمين منقادين مطيعين حال لازمة في السر اي
فيما في باطنهم مما اسروه والعلانية ظاهر حالهم المطابق لما في ضمايرهم
والعلن والعلانية بتخفيف اليا مصدر الجهر والاظهار فالنصح هنا بمعنى
الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه

ابو

ابو داود كما رواه مسلم فقال حدثنا ابو الوليد شيخ المص بقراتي عليه قال حدثنا حسين
ابن محمد هو ابو علي الغساني وقد تقدم ترجمته قال حدثنا يوسف بن عبد الله هو
حافظ الاسلام ابن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن تقدم ايضا
قال حدثنا ابو بكر بن التمار قال حدثنا ابو داود صاحب السنن قال حدثنا احمد بن يونس
ابو عبد الله احمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي الكوفي الحافظ الثقة المتقن المتفق
روى عنه الستة توفي سنة سبع وعشرين ومايتين قال حدثنا زهير بن محمد المروزي
نزيل الشام الثقة توفي سنة اثنين وستين ومائة اخرج له الستة وترجمته في الميزان
قال حدثنا سهيل بن ابي صالح تقدمت ترجمته عن عطا بن يزيد الليثي الثقة التابعي
توفي سنة سبع او خمس ومائة واخرج له الستة عن تميم الداري وهو تميم بن اوس
ابن خارجة اللخمي المكني بابي رقية وهي ابنة له لم يولد له غيرها والداري نسبة
لجده الدار بن هاني او لدارين اسم مكان ويقال الديري لدير كان يتعبد فيه وقيل
انه اسم قبيلة وهو بعيد كما في المطالع وكان نصرانيا اسلم سنة تسع بالمثناة
من الهجرة وتوفي سنة اربعين منها وروي عنه في السنن ومسند احمد وقصته
في الجساسة مشهورة قال تميم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض
ولذا عدل المص عن رواية مسلم مع ان كتابه اصح الكتب عند علما المغرب وما قيل
انها مكررة في هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه امر سهل وسؤال ساقط
والدين ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفي رواية انما الدين النصيحة
وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر قالوا اي الصحابة الحاضرون عنده
لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه ولرسوله بالايمان
به واتباعه وطاعته ولايمة المسلمين الخلفا والسلاطين والحكام وعامتهم ان اريد
العوام فظاهر وان اريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسياتي بيانه قال
ايمتنا المراد بهم علما الاسلام وايمة مذهبه النصيحة لله ولرسوله ولايمة المسلمين
وعامتهم واجبة اي فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية فان
خشي اذى فهو في سعة من الترك قال الامام ابو سليمان البستي بضم الموحدة
وسين مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة بلدة بسجستان وهو ابو سليمان بن محمد
ابن ابراهيم بن خطاب المعروف بالخطابي الامام المشهور واختلف في اسمه
فقيل احمد وقيل حمد توفي ببست في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة بالتنوين فقوله ارادة الخير بدل
منه او مرفوع او منصوب على هذا او لا مانع من الاضافة للمنصوح له وليس
يمكن ان يعبر عنها اي عن الجملة بكلمة واحدة تحصرها اي تجمع جميع معانيها
قيد لتعبير غيرها اي غير هذه الكلمة وهي النصيحة ومادتها كالنصح
والمناصحة وفي كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر انه
تقول ارشاد المنصوح للخير وايضا في تركيبه شيء لان اسم ليس الظاهر انه
ان يعبر وجملة يمكن خبرها فيتعين تاخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومراده ان هذه من اوجز الاسما واخصرها لا لانها على معادٍ بمفردها وكذا قيل في لفظ
الفلاح انه ليس في كلام العرب كله اي جمع لخيري الدنيا والاخرة منها ثم اشار الى اصل
معناها لغة لبعد ما بين حاصل معناها في عرف اللغة والشرع بقوله ومعناها في اللغة
اي في عرف اهل اللغة الاخلاص اي لنفسه وغيره من قولهم نصحت العسل اذا خلصته
وصفيته من شمعه بسكون الميم وفتحها مضاف لضمير العسل فهي فعيلة بمعنى فاعلة
او مفعول له لانها خلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق ٣ عن علم
الخفاف وهو امام من ايمة اللغة ترجمته مذكورة في التواريخ وفي نسخة ابن اسحاق
وهو ابو بكر احمد بن عمر بن يوسف الشافعي وهو صاحب كتاب الخصال في مذهب
الشافعية كما قاله الرافعي النصح فعل الشي الذي به الصلاح لنفسه وغيره
واراد بالفعل ما يشمل القول والملامة بضم الميم ومد الهمزة من لامت بينهم
اذا وفقت وتلاموا والتاموا بمعنى وقد تبدل همزته يا ماخوذة اي مشتقة
اشتقاقا وكثيرا ما يعبرعنه بالاخذ ويقولون ذا بين الاخذ او سع من دايرة
الاشتقاق من النصاح بكسر النون وتخفيف الصاد وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب فتلتيم اجزاوه فالنصيحة على هذا ماخوذة من نصح الثوب اذا خاطه
ولا حاجة لنقله عن الخفاف فانه في اكثر كتب اللغة وقال ابو اسحاق الزجاج
امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ ابي علي الفارسي وهو ابراهيم بن
سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفي في جمادي الاخرة
من سنة احدي عشر وثلثماية وقد نا ف على الثمانين نحوه اي قريبًا مما قاله
الخطابي معني ثم فرع على ما بينه من معناه لغة وعرفًا بيان اقسامه فقال فنصيحة
الله معناها والمراد بها صحة الاعتقاد اي اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام
في قوله له وذلك بتخصيصه بالوحدانية اي بانه واحد احد لا شريك له
في الالوهية ولا يشاركه احد في ذاته وصفاته وهو مصدر بمعني الانفراد
وزن بزيادة الالف والنون على خلاف القياس قاله الكرماني ووصفه بما هو
اهله اي بما يستحقه ويليق به كما يقال هو اهل المجد وهو اهله ومحله
وهو مجاز ما ثور مشهور وتنزيهه عما لا يجوز عليه في كل ما يوهم نقصًا تلمساني
والرغبة في محابه بفتح الميم جمع محب اسم مفعول احب بمعنى محبوب اي يرغبه
في كل ما يحبه ويرضاه والبعد عن مساخطه بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول
اي كل ما يسخط الله ويوجب غضبه من المعاصي وقيل هما جمع مسخوط ومحبوب
والاصل محابيب ومساخيط والاخلاص في عبادته فيعبده امتثالا لا لامر
من غير ريا ولا ارادة امر اخر ولا تصير العبادة رجا جنته وخوف نار وان
قال الرازي انه لا اخلاص نعم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه في محل
اخر فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى له ناصح
ولا يتصور في حقه فلذا احلت على هذا والنصيحة لكتابه معناها الايمان
به اي بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم فيصدق بذلك
تصديقا لا ريب فيه والعمل بما فيه باتباع اوامره ونواهيه وتسليم

متشابهه والايمان به وتحسين تلاوته بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من مخارجها من غير تكلف وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تغن وزيادة
مد وقد قال القرا ان تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا او صناعة فذهب
الى كل من القولين قوم من الفقها والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض
العجم الحجم والتخشع عنده اي عند تلاوة القران وسماعه فينبغي له ان يظهر الخشوع
وان لم يكن خاشعا كبعض العوام كما قيل ان لم يكن باكيا فكن متباكي وضمير عنده للقران
وقيل انه للتحسين التلاوة والاول اولي وافيد وفي التخشع ما يفيد انه لا ينبغي
الصياح واظهار الوجد ما لم يكن عن حال سلب اختياره والتعظيم له بان لا يقراه محدثا
وان لا يمد رجليه حال تلاوته ولا يجلس لها في محل قذر ولذا كرهت القراة في الحمام
وعلى الطرقات والاسواق وتفهمه اي تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر والتفقه
فيه اي فهم معانيه او النظر في احكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ
بمواعظه ونصايحه وامثاله والذب عنه بمعجمة وموحدة اي زجر من طعن فيه
من الملحدين من تاويل الغالين وطعن الملحدين في تاويله بما لا يليق به من الغلو
وهو تجاوز الحد وتاليفه ومستبعه اداب كثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في
اداب حملة القران فعليك به والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق
بنبوته ورسالته الى الناس كافة والى غيره كذا من الملايكة والجن وبذل الطاعة
فيما امر به ونهى عنه لان طاعته واجبة وهي طاعة لله كما مر قاله ابو سليمان
هو الخطابي الذي تقدم بيانه وقال ابو بكر هو ابن ابي اسحاق الخفاف الذي
مر ذكره وهو الظاهر الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الاجري الاتي قريبا ابن افقرس
وموازرته بوا و مفتوحة او همزة من الازر وهو القوة او من الوزر وهو
الملجا اي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر او على ما قبله
عطف تلقين ونصرته اي اعانته على اعدايه ونصرة دينه واعلا كلمته وحمايته
اي دفع السوء عنه حيا بالمجاهدة معه وخدمته وميتا بتقوية دينه
وتاييد شريعته وهو راجع لكل ما قبله واحيا سنته اي هديه وطريقته وفيه
استعارة تصريحية بالطلب لها بان يسال عنها ويجتهد في معرفتها والذب عنها
اي دفع الشبه عنها والتاويلات الفارغة ونشرها اي اظهارها واشاعتها
وتعليمها من انتشر الحديث اذا شاع والتخلق باخلاقه اي الاتصاف بمثل
صفاته الماثورة عنه وان لم يتمكن منها وانه ان التشبه بالكرام فلاح الكريمة
اي المكرمة المحمدة واداب الجميلة التي فيها جمال ومدح لمن اتصف بها
وقال ابو ابراهيم اسحاق النجيبي تقدم بيانه وانه بفتح التاء ومنهم من وانه
المعروف بالوراق نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم معناها التصديق
بما جاء به اي الايمان بكل ما جاء به عن الله والاعتصام بسنته اي التمسك بها
ونشرها والحض عليها اي حث الناس وتحريضهم على اتباعها والدعوة الى
الله اي الى الايمان به وتوحيده والى كتابه القران بالايمان به والعمل
بما فيه والى رسوله بالايمان به واتباعه واليها اي الدعوة الى سنته والى

الحمد لها كما مر وقال احمد بن محمد هو الامام المشهور احمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته
وهذا ما وعدناك به من نسبته الى ابيه محمد من مرضات القلوب اي تماوتن ووجب
اعتقاده وجزم القلوب به اعتقاد وجوب النصيحة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمعنى المتقدم وقال ابو بكر الاجري الحافظ وقد تقدم بيانه وغيره من
الايمة النصح له صلى الله عليه وسلم يقتضي نصحين اي ينقسم الى قسمين نصحا
في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته اي النصح له وهو حتى نصح اصحابه اي هو
نصح اصحابه او كنصح اصحابه له بالنصر له على اعدايه والمحاماة عنه بدفع السوء
عنه وعمن يريده ومعاداة من عاداه ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته والسمع
اي امتثال ما يقوله وقبوله كما في قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله ه
والطاعة له اي الانقياد التام وبذل النفوس اي الذوات او الارواح والاموال
دونه اي من فها والجود بها في حمايته صلى الله عليه وسلم وتقديمها دون ما
يضره كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية اي عاهدوا الله — من المؤمنين صح
على بذل ارواحهم واموالهم في سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم
فوفوا بعهدهم وهذه الاية كما في الصحيحين نزلت في انس بن النضر وكان شق عليه
انه لم يحضر بدرا وقال اول مشهد من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
غبت عنه لئن اراني الله مشهدا بعده ليرين الله ما اصنع فلما كان من العام المقبل
وقعة احد استقبله سعد بن مالك فقال له يا ابا محمد الى اين فقال واها
لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضعا
وثمانين ما بين طعنة وضربة وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الاية اولئك
هم الصادقون وهذه الاية نزلت في المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم ابتغاء
رضوان الله واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فالتزام
التوقير اي الادب والتعظيم والاجلال لقدره ورفع ذكره وتعظيمه وشدة
المحبة له بكونه احب عنده من نفسه واهله وماله والمثابرة بمثلثة وموحدة
وراء مهملة اي المداومة والمحافظة على تعلم سنته وفي نسخة تعليم سنته
مما طريقته وهديه او حديثه والتفقه في شريعته بفهم معانيها والعلم باحكامها
ومحبة آل بيته وهم اقرباؤه الذين لا تحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم ه
واصحابه وهم كل من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على ذلك ه
ومجانبة من رغب عن سنته اي البعد عن كل من تركها او عدم الركون اليه
وانحرف عنها اي مال عنها ورغب في غيرها وبغضه اي اظهار عداوته ه
والتحذير منه من لا يعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه
والشفقة على امته اي اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله عليه وسلم
لا لامر آخر والبحث اي التفتيش عن تعرف احواله صلى الله عليه وسلم اي
احواله المعروفة وفي نسخة اخلاقه وسيرته قال المرزوقي معناها حالة
من احوال المسير ثم اجري مجرى الشيم والعادات انتهى وادابه ليقتدي بها
والصبر على ذلك اي حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له فعلى ما ذكره

اي الخفاف

اي الخفاف او الاجري تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة لان كل ما ذكره متفرع عليها كما
يعرفه من له تامل وعلامة من علاماتها كما قد بيناه في فصل العلامات ولذا قدم الم
امر المحبة على النصيحة كما مر وحكى الامام ابو القاسم القشيري عبد الملك بن هوازن
ابن عبد الملك النيسابوري صاحب الرسالة وشيخ الطريقة فريد دهره علما وعملا واوحد
اهل السنة وفقيه الشافعية الجامع بين الشريعة والحقيقة وترجمته مشهورة ه
وتقدم طرف منها توفي سنة خمس وستين واربعماية وعمره تسع وثمانون سنة ان
عمرو بن الليث احد ملوك خراسان اقليم معروف وعمرو هذا اخو يعقوب الصفار
وكان يعقوب هذا كما قاله المسعودي في خلافة المعتضد بالله احد الخلفا العباسيين
في مرو صفارا فتغلب وصار له جموع عظيمة فتسلطن ثم توفي سنة خمس وستين
ومايتين وخلف اموالا كثيرة خلفه عليها اخوه عمرو المذكور ومشاهير جمع مشهور
الثوار بضم المثلثة وتشديد الواو والف تليها را مهملة جمع ثاير من ثار يثور
اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون على الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة
جنده المعروف بالصفار منسوب لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاواني
وقد مر وجه التسمية به روي مبني للمجهول من الرؤيا وهو مهموز اي راه بعضهم
في المنام وفي نسخة في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ذنوبي ومحى
سياتي فقيل بماذا اي باي سبب هذا الذي نلته فقال صعدت بكسر العين في الماضي
وفتحها في المستقبل اي ارتقيت وعلوت ذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وهي اعلى
كل مرتفع من جبل ونحوه يوما فاشرفت على جنودي اي رايتهم من مكان عال واطلعت
عليهم فاعجبتني كثرتهم اي حسنت عديدي فسرتني فتمنيت اني حضرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي كنت في عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندي فاعنته
ونصرته على اعدايه بمقاتلتي انا وجندي معه فشكر الله لي ذلك القول والتمني
كما قال ورقة يا ليتني فيها جذع اخب فيها واضع ومعنى شكر الله ثوابه والانعام
وغفر لي بسبب قولي هذا وقال ابن فورك شكر الله ثناؤه عليه عند ملايكته
وقيل هو مضاعفة ثوابه واما النصح لايمة المسلمين جمع امام وهو الخليفة
والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا هنا فمعناه طاعتهم في الحق الموافق
للشرع اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ورد في الحديث ولقوله اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومعونتهم فيه اي في الحق لا في الباطل فالمعونة
والاعانة بمعنى وامرهم به اي باتباعه وتذكيرهم اياه بان يذكره لهم ويعظهم
ويحثهم على اتباعه على احسن وجه برفق وتلطيف للقول وتحسينه فانه ادعى
للامتثال وتنبيههم على ما غفلوا عنه لعدم العلم به لخفايه او لعدم الوقوف
عليه وكتم عنهم بان خفي عليهم فلم يبلغهم خبره من امور المسلمين فيمنعوه عليهم
وترك الخروج عليهم لمخالفتهم وعصيان امرايهم وهو معطوف على طاعتهم
وتضريب الناس بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة وكسر الرا المهملة
ومثناة ساكنة وموحدة تحتيتين مجرور اي ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم
عليهم يقال ضربه اذا اغراه وافساد قلوبهم اي ترك افساد قلوب الناس عليهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بذمهم وتشهيرهم مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتودي الى التجري عليهم ومخالفتهم
تجر الى مفاسد عظيمة واما النصح لعامة المسلمين المراد بالعامة هنا من عدا الحكام
لا العوام بالمعنى العرفي فمعناه ارشادهم الى مصالحهم اي دلالتهم على ما يوصلهم
الى ما فيه صلاح امورهم ومعونتهم اي اعانتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم لما غفل عنه من مصالحه وتبصير جاهلهم اي تعريفه
بما جهله ليكون ذا بصيرة في اموره ورفد محتاجهم بفتح الدال المهملة اي اعانته
ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطا والصلة وكل شي عمدته وجعلت له عونا فقد
رفدته ومنه الرفادة التي كانت لقريش في الجاهلية وستر عوراتهم اي بستر عليهم
بعض معاصيهم اذا راها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا ارشده لتركه ذكره
خفية فان النصيحة بين الملا تقريع ودفع المضار عنهم اي ما يضرهم في دينهم ودنياهم
وجلب النافع لهم اي كل ما ينفعهم دينا ودنيا

الباب الثالث في تعظيم امره

اي شانه وقدره والامور المتعلقة به ووجوب توقيره اي تبجيله
وترجيح ما يتعلق به وبره وصلته بالدعا له والصلاة عليه وزيادة
مقامه وبر اهل بيته قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه هكذا في اكثر
النسخ وليس موافقا للتلاوة لان اية الاحزاب المصدرة بيا ايها النبي ليس فيها
لتومنوا الخ والتي في الفتح انا ارسلناك دون يا ايها النبي فقيل كانه بدا باية الاحزاب
وثنى باية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا او تبيض له فوصله الناسخ وفي
بعض النسخ انا ارسلناك فقط وشاهدا وما بعده احوال مقدرة لجامعة صفة
ما بدا به عندا واستشهاده بالاية بنا على ما ذهب اليه الضحاك من ان الضمائر كلها له
صلى الله عليه وسلم وشهادته لهم يوم القيامة بما عملوه من طاعة وغيرها
وعلى هذا فالوقف على قوله وتوقروه كما اشار اليه المص وهو وقف كاف
وقال القرطبي انه تام وفيه نظر فقوله وتسبحوه ابتدا كلام فان ضميره لله
وقال عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تقدموا
بضم اوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراة الاخرى بفتحهما وهو
مضارع قدمه المتعدي حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب او لتنزيله
منزلة اللازم والمراد نفي التقديم راسا وعلى كل حال فالشاهد فيها ظاهر فلا
يتوهم انه لا شاهد فيها على القراة المشهورة وقال يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا اصواتكم في خطابكم جهرا
فوق جهره صلى الله عليه وسلم بالقول واخفضوها تادبا وتكريما له
فانه لعظم مقامه لا يليق عنده التصخب والعيا على عادة جفاة الاعراب
في ترك الادب الايات الثلاث وهي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند

رسول الله

رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم واضافة ذي
الالف واللام لمثله جائزة في الثلاث ونحوه كما تقرر لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيها
انه امرهم اذا خاطبوه صلى الله عليه وسلم انه لا يجهروا ويخفضوا اصواتهم تادبا
معه لما في الجهر من الاستخفاف المودي الى الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وودهم
الاغتنا بمقام النبوة ثم اثنى على من غض صوته عنده بان الله تعبد امتحانه ووعده بان
له مغفرة واجرا عظيما لارتضائه له وفيه تعريض لبشاعة الجهر وانه لا يفعل وان من
ناداه صلى الله عليه وسلم وهو في حجراته مع ازواجه مسلوب العقل لعدم اذنه
وارشدهم الى الاولى بهم وهو الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير ندا له فيكون
هو المفتتح بكلامهم والكلام على الاية مفصل في كتب التفاسير وقال تعالى لا تجعلوا
دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا بان تنادونه باسمه يا محمد ونحوه كما سياتي فلا
تقيسوه بغيره فاوجب تعالى على المومنين تعزيره براي معجمة وراء مهملة اي اجلاله
وتوقيره اي التادب معه والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس معنى تعزروه
تجلوه الاجلال افعال من الجلال وهو التناهي في عظم القدر ولذا اختص بالله فقيل
ذو الجلال والاكرام كما قاله الراغب وقال المبرد شيخ التفسير والعربية تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وهو موافق لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وليس اخص منه
كما توهم وقال الاخفش الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب التفسير المسمى
بالمعاني والاخافشة المشهورة ثلاث وهو لقب له من الخفش وهو ضعف البصر وهو
من يرى ليلا ولا يرى نهارا تنصروه وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم
وقال الطبري وهو محمد بن جرير كما تقدم تعينوه الاعانة اعم من النصرة
والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو الرد والدفع ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع
العدو والنقائص ولذا قيل لما دون الحد تعزير لردعه ودفع عوده لجنايته
وله معنى اخر وهو الوقوف على الاحكام وقرئ في الشواذ تعززوه بزايين
معجمتين تفعيل من العز وهو التقوية والغلبة كما في قوله تعالى فعززنا
بثالث والعزيز فعيل القدر وهذه كالمفسرة للقراة المشهورة ونهوا اي نهاهم
الله في الاية الثانية عن التقدم بين يديه اي بحضرته وعنده بالقول بان
يسبقه بالكلام وسوء الادب بسبقه بالكلام في امر ما وهو قول ابن عباس وغيره
واختيار ثعلب في تفسير الاية لقب امام العربية واللغة وهو ابو العباس احمد
ابن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي توفي سنة احدى وتسعين ومايتين وقال
سهل بن عبد الله التستري الامام الزاهد شيخ الطريقة في تفسير قوله تعالى
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تقولوا قبل ان يقول فتستبقون الكلام
عنده وهو ترك الادب واذا قال فاستمعوا له وانصتوا اي اسكتوا عطف عليه
عطف تفسير قوله ونهوا عن التقدم والتعجيل بقضا امر قبل قضائه فيه
اي في الامر وان يفتاتوا اي يستبدوا ويستقلوا بشي في ذلك اي في قضا امر
من الامور عنده يقال افتات تفتاوهمزة اصلية عند ابي عمرو وغيره من
اهل اللغة او هي مبدلة من حرف العلة كما قالوا في ترثيت الميت رثاته

ق

ابن اقبوس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ينهى من الصوت عند بعضهم ويقال افتات بالعين ويقال افتات الباطل اذا اختلقه
من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقونه به والى هذا المذكور في تفسير
الاية يرجع قول الحسن البصري ومجاهد والضحاك والسدي وسفيان الثوري
يعني انهم فسروا الاية بما هذا حاصله ومآله اشار الى ان اكثر المفسرين ارتضوه
ثم وعظهم الله في الاية بعد ما ذكر وحذرهم مخالفة ذلك اي امره في قضائه
بعد ما نهاهم عن سبقه بالقول فقال واتقوا الله فدل على ان مخالفته
غير متق ان الله سميع لاقوالهم عند رسوله صلى الله عليه وسلم عليم
بافعالهم ونحوه فيثيب عليهم بحيث من غضبه وعقابه ففيه من الموعظة
والتحذير ما لا يخفى قال الماوردي ابو الحسن وقد تقدم ذكره التقوى يعني
اي يريد الله به هنا في التقدم بين يديه اول الاية وان كان مطلقا وقال
السلمي ابو عبد الرحمن كما تقدم اتقوا الله في اهمال اي ترك حقه وتضييع
حرمته اي احترامه وتوقيره انه سميع لقولكم عليم بفعلكم فتبعه صلى الله
عليه وسلم بالقول ترك ادب من فعله لم يراع حقه ولا وقر حرمته ثم نهى يعني
ما قبله ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته في الايات الاخيرة
واعاد النداء ههنا مبالغة وتنبيها على انه امر اخر مستقل بالنهي ورفع الصوت
لشدة الجهر سوء ادب وغلظة يعتادها العوام والجهر له صلى الله عليه وسلم
عطف تفسير على رفع الصوت بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته فالمراد
النهي عن ارتفاع الاصوات عنده وان لم يكن الخطاب له في النداء وقيل كما ينادي
بعضهم بعضا فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن ان ينادوه كما ينادي
بعضهم بعضا باسمه فعبر عن النداء برفع الصوت لانه يلزمه غالبا فهو كقوله
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وبيانه ما قال ابو محمد مكي
وهو مكي بن ابي طالب القيرواني المالكي نزيل قرطبة كان متبحرا في العلوم
لا سيما علوم القراءات متواضعا مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها التفسير
المسمى بالهداية وكتاب احكام القرآن توفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة
اي لا تسابقوه بالكلام فهو معنى قوله لا تقدموا الخ وتغلظوا له بالخطاب
اي تخاطبوه بغلظة واصل الغلظة ضد الرقة في الاجسام ثم شاع في المعاني
والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام المخاطب به ولا تنادوه
باسمه نداء بعضكم بعضا اي كنداء بعضكم فهو منصوب على المصدرية وهو عطف
تفسير ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يجب ان ينادى به يا نبي الله يا رسول
الله بدل من اشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له بالقول لان كثيرا من جفاة الاعراب
دابهم فيما بينهم هذا وهذا اي ما قاله مكي كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ووجهه ان النهي عن الشيء امر بضده
او بتضمنه وقد نهى الله عن هذه الامور التي تقتضي اهانته فكانه امر بتعظيمه
وتوقيره على احد التاويلين اي التفسيرين اللذين ذكرا في التفاسير وهو ان
يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية اي لا تنادوه باسمه رافعين اصواتكم بان

يقولوا

لعا

يقولوا يا محمد يا ابا القاسم كما ينادي بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب وقيل
يا رسول الله يا نبي الله يا خير خلق الله ونحوه والثاني ان يكون المراد بالدعاء الدعاء عليه
احد اي لا تظنوا ان دعاءه كدعائكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم سواء كان بخير
او شر فان الله ضمن له اجابة دعائه ووعده بها ومن لا يخلف الميعاد وهذا غير
مراد هنا كما اشار اليه المص وهو الذي قاله مكي وقال غيره اي غير مكي معنى الاية اي
لا تجهروا له بالقول الخ لا تخاطبوه الا مستفهمين وفي نسخة الا مستفتين من الاستفتاء
وهو الحرف وعلى الاول معناه الا سائلين له متعلمين منه بالادب ثم خوفهم الله عز وجل
من ان تحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك اي جهروا له بالقول ولم ينقادوا لما امره وحذرهم
منه اي من فعلهم هذا بقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فان تحبط في محل
نصب بنزع الخافض اي بحذف المضاف اي لان تفعلوا ما يؤدي الى احباط اعمالكم
بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله
المعتزلة والخوارج قال في الانتصاف من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز
لاحد ان يناديه باسمه وما ورد في الحديث من ان اعرابيا قال له صلى الله عليه وسلم
يا محمد الخ صدر منه قبل اسلامه او قبل النهي او قبل علمه به ثم انه لو
ناداه احد بكنيته فقال يا ابا القاسم هل يحرم ام لا انتهى وبالتي ما فيه وان
هذا مخصوص بحياته ولا يخفى ان هذا مقيد بما فيه استخفاف فلو اقتضته كحال
لم يحرم كما في حال الحرب والمجادلة قيل نزلت الاية في وفد بني تميم قبيلة مشهورة
سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظماء لامر مما وكان ذلك
في سنة تسع وهي سنة الوفود وكان صلى الله عليه وسلم ارسل لهم سرية فحبس
عليهم واخذ اموالهم واساراهم فقدموا المدينة فحبسوا في دار رملة بنت
الحارث فارسلوا اعدة منهم وسالوه فجاؤا بابه صلى الله عليه وسلم ونادوا
يا محمد اخرج الينا كما فصل في السير وقيل نزلت الاية في غيرهم اي غير بني
تميم من العرب اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه من خلف داره يا محمد
اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل لمقام النبوة وترك الادب ووصفهم بان اكثرهم
لا يعقلون بقوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وقيل
نزلت الاية الاولى اي قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي في محاورة
بينهم ممنوعة وتحاورا متصلين وهي المجادلة والمراجعة القولية بين ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اي في مجلسه وحضوره
والاختلاف جرى اي وقع بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وهو كما في البخاري
عن ابن الزبير رضي الله عنه وهو ان ابا بكر رضي الله عنه قال في امر بني تميم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر عليهم القعقاع بن معبد فقال
عمر رضي الله عنه بل الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي فقال
عمر ما اردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت الاية فما كان
عمر بعدها يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم
عام وسببه خاص وقيل انه في امر الزبرقان والذي ارتضاه السيوطي الاول

تلمسانى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقيل نزلت الاية كما روي عن ابن عباس في ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرء
القيس الخزرجي الانصاري وكان خطيب الانصار وكان ايضا خطيب النبي صلى الله عليه
وسلم ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل ما كان من عادة العرب اذا
اجتمعوا لمهم يقوم واحد منهم ويذكر كلاما بليغا نقدمة للامر الذي اجتمعوا
له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعد ما ثبت فكان له صلى الله عليه وسلم خطيبا
عند الوفود وشاعر كحسان رضي الله عنه في مفاخرة بني تميم لما قدم وفدهم
عليه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اخرج الينا يا محمد ورفعوا اصواتهم فاذى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا
وشاعرنا فاذن لهم فقام خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذي له علينا
الفضل والمن وهو اهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا اموالا عظاما نفعل
فيها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثره عددا وعدة فمن مثلنا في
الناس السنا برؤس الناس واولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل عددنا ولو
شئنا لاكثرنا الكلام ولكنا نحيا من الاكثار فيما اعطانا وانا نعرف بذلك اقول
هذا لان ياتوا بمثل قولنا او امر افضل من امرنا ثم جلس فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قم فاجبه فقام وقال الحمد لله
الذي السموات والارض خلقه فقضى فيهن امره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء
قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه
رسولا اكرمه نسبا واصدقه حديثا وافضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه
على خلقه فكان خيرة الله من العالمين دعا الناس الى الايمان به فامن برسوله
المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس حسابا واحسنهم وجوها
وخيرهم فعالا ثم كنا اول الخلق اجابة لله حين دعانا رسوله صلى الله عليه
وسلم فنحن انصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم نقاتل
الناس حتى يؤمنوا فمن امن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه
وكان قتله علينا يسيرا اقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات
والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فانشد شعرا في فخر قومه
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فاجابه كما هو مبسوط في السير
فاسلم بنو تميم فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيهم
وما لهم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر
ولكن هاتوا ما عندكم وكان في اذنيه اي اذني ثابت رضي الله عنه صمم
فكان يرفع صوته اي كان هذا اذابه كما نراه فيمن به صمم وانما المحتاج
لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه او نسبت لرفع له لانه سببه والاول هو
المراد كما صرح به فلما نزلت هذه الاية التي نهت عن رفع الاصوات
عنده اقام في منزله يعني لم يات مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخشي ان يحبط عمله برفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم فاتى

البني

النبي صلى الله عليه وسلم ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعد ما سال عنه فقال
يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت اي تحققت هلاكي لاني ان حضرت عندك نطق
علي وان تخلفت فاتني كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة
الجماعة معه لمرض لحقه من شدة خوفه كما قيل اذ ليس هنا ما يدل عليه وقد
بين موجب هلاكه الذي تحقق عنده حتى كانه وقع بقوله نهانا الله ان نجهر بالقول
عندك وانا امرء جهير الصوت فقال صلى الله عليه وسلم له يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميدا اي محمودا عند الله والناس وهذا يدل على قبول عمله وانه لا يحبط
من الجواب حقيقة وتقتل شهيدا فيكون ذلك خير الدنيا والاخرة وتدخل الجنة
وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله فقتل
يوم اليمامة اي في وقعة اليمامة في خلافة الصديق سنة ثنتي عشرة في ربيع
الاول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين
من الطائف واربع من مكة وكان خرج في وقعتها مع خالد بن الوليد فلما التقوا لم
يثبتوا فقال ثابت وسالم مولى ابي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبت وقاتل حتى قتلا وروى رواة
طارق بن شهاب ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي قال ابو بكر امنا لا نقول الا بعد الله تعالى وحق فامين
مخالفة لهيه ولذا اكده بالقسم فقال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها اي
بعد نزول هذه الاية الا كاخي السرار اي الا كلاما خفيا كالمسارة وهي الكلام
بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر ساره مسارة وسرارا
وهي مفاعلة من السر والاخ في النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه
كقولهم كان واخواتها ويكون بمعنى الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثاني
وهذا مروي عن ابن عباس وعمر ايضا كما ذكر المصنف بقوله وان عمر كان اذا حدثه
صلى الله عليه وسلم حدثه كاخي السرار وهذه العبارة من كلامهم فربما ما كان
يسمع بضم اليا وكسر الميم وفاعله ضمير ابي بكر او عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد نزول هذه الاية حتى يستفهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبب
اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كاخي السرار فانزل الله فيهم اي في حق ابي بكر
وعمر ومن مثلهما كتابة مدحا لهم ان الذين يغضون اصواتهم اي يخفضونها
عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم
والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة الممتحنة ليظهر للناس اخلاصهم وتقواهم
واستحقاقهم للاجر العظيم وقيل نزلت آية ان الذين ينادونك الخ في غير بني
تميم من الاعراب نادوه باسمه لجهلهم بمقامه وعدم ادبهم وروى رواه الترمذي
والنسائي عن صفوان بن عسال بفتح العين والسين المشددة المهملتين
ابو الربيع بن زاهر المرادي الكوفي الصحابي المشهور روى عنه السنة بينا
بالعنف كافة كبينما وفي نسخة بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري بفتح الجيم وسكون الهاء وواو مفتوحة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي صياح شديد يوبق المجهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهوري الصوت وجهير
اي رفيعه وبين ظرف مكان او زمان كانتحاب بجملة وقد تقترن باذ او اذا الفجائية
والافصح تركهما كقوله [illegible]
فبينما نحن نرقبه اتانا ● معلق وفضة وزناد راعي ●
ولقد نقع بعد هذا الجمل اذ اكتفت بها او الف ايا محمد ابا محمد مرتين وفي نسخة
ثلاثا وايا بناه يا هذا المجيد فعلتنا له اي قالت له الصحابة تعليما له ونادينا
اغضض من صوتك اي لا ترفعه فانك قد نهيت اي نهاك الله عنه حين قد
فاعلة للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره في بعض المواضع كمجالس العلماء
اذا تكلف ذلك من غير داع وقد يستحب في بعض المواضع كمجالس الوعظ كالاذان
وكمجالس الوعظ والخطبة ولذا روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب
وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالتسوف وكانت العرب تفتخر
بالصوت الجهير كما قيل جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النغم
فنهى الله عما اعتادوه في الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهي عن
الجهر تهاونا بالناس ولم يذكر من توقيره صلى الله عليه وسلم امرا احرى فقال
وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا كان المؤمنون يقولونه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم يريدون تأنّ في خطابك
حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فأتنا بما نفهم مثلك فانظر حالنا فانتهز اليهود
الفرصة وقالوها لانها كانت كلمة يتسابون بها كما يأتي عن الكشاف قال
بعض المفسرين هي لغة في الانصار كانوا يقولونها في محاورتهم اذا ارادوا
التفهم نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم لا ايهاما ولا اعتنا
خطاب الاقران وتبجيلا له اي تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهو ابلغ من
التعظيم لان معناه قال له بجلا اي حسبك لان معناها ارعنا من المراعاة
اي احفظنا بحفظك فنهوا عن قولها اي هذه الكلمة في مقتضاها على تفسيرها
السابق انهم لا يرعونه ويراعون مقامه الا بمراعاته لهم لان المعنى ارعنا
نرعك بل حقه ان لا يقف به اذ يرعى على كل حال كلامهم ام لا بخلاف انظرنا فان
معناها انظر الينا وتفهمنا وبين لنا وهي كل ادب فلذا امر الله بان تقال
له انظرنا دون راعنا وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله عليه وسلم
بالرعونة وهي الحمق والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا
ظاهرا وقول البرهان انها انما تأتي على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب
ليس بشيء لانه لو كان كذلك كان تصريحا لا تعريضا ولذا روي ان اليهود
قالوا كنا نسب محمدا سرا فمالك ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا
ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لليهود عليكم
لعنة الله والله لاضربن عنق من سمعته يقولها فنهي المسلمون منها
لمفعولا اي نهاهم الله عز وجل عن قولها قطعا للذريعة الذريعة
في اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان اصل معناها

لغة

لغة جمل يترك هملا في فلاة يصاد فيها الظباء وحمر الوحشية فتأنس به الصيد ويدنو
منه فاذا ذهبوا للصيد لم تهرب الجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقف وقف الصيد معه
فياخذونه منه بسهولة ثم سمي به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذي
معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهي فعيلة بذال معجمة
وراء وعين مهملتين واعلم ان الشراح رحمهم الله لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه
العبارة هنا وهي اشارة الى قاعدة مشهورة في مذهب الامام مالك وهي وجوب سد
الذريعة اي يجب دفع كل ما يؤدي الى فساد في امر شرعي وقد ظن كثير ان هذه المسألة
مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قال العلامة
القرافي حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرائع ثلاثة اقسام
منها ما اجمع الناس على وجوب سده ككسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت
وحفر الآبار في طريق المسلمين والقاء السم في طعامهم ومنها ما اجمعوا على عدمه كالمنع
من غرس الكروم لئلا يتخذ منها خمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الآجال ومنها ما يكون
خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة ايضا فيقدم الارجح منهما
كدفع المال للكفار لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم عن علمائهم المتأخرين
ان سد الذريعة في الاصل من باب الورع والاحتياط لا من الواجب اذ المعقود بها
ليس فسادا في حد ذاته والفساد معها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسألة
للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه القرافي ومنعا
للتشبه بهم اي ان يتشبه المؤمنون باليهود في قولها اي في التكلم بهذه الكلمة
لمشاركة اللفظ واتحاده وان كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود وقال
الواحدي في الوسيط النهي عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع
الامة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن ونقله الاصبهاني في تفسيره وبقي
الكلام في استحباب الترك وقيل في تفسير هذه الآية غير هذا المذكور في تفسيرها
ففي الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من
كلامه راعنا اي تأنّ حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود كلمة سريانية او عبرانية
يتسابون بها وهي راعينا فلما سمعوا قول المسلمين راعنا بمعنى انظر الينا انتهزوا
الفرصة وقالوها يريدون سبه صلى الله عليه وسلم بها فنهي المسلمون
عن قولها لما فيها من الايهام وامروا ان يقولوا انظرنا من النظر اي امهلنا

فصل في عادة الصحابة

في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله اي في نقل اخبارهم
فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فمنه ما رواه
المص هنا من حديث طويل رواه مسلم واشار اليه بقوله حدثنا القاضي ابو علي
الصدفي هو ابن سكرة وقد تقدم ان الصدفي نسبة لصدف قرية بالمغرب
وابو بحر الاسدي نسبة لقبيلته سماعا عليهما في اخرى مبتدأ وخبر اشارة
الى انهما من مشايخه فلم يقرأ وانه هذا الحديث عنهما قالوا اي شيخاه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا يهمها والاخرون لانه لم يبرز وعنهم وعبر بينهم لجمع تغليبا او لان الواحد وما فوقه
جمع حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا احمد بن الحسن ابو العباس بن بنداد الرازي المعروف
بالرواية وفي بعض النسخ للحسن والصحيح الاول قال حدثنا محمد بن عيسى هو الجلودي
كما تقدم قال حدثنا ابراهيم بن سفيان قدمنا ترجمته قال حدثنا مسلم صاحب
الصحيح وتقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن مثنى وتقدم تفصيل ترجمته وابو
معن الرقاشي وهو زيد بن يزيد البصري الثقة واسحاق بن منصور الحافظ الثقة
المعروف بالكوسج اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وخمسين ومايتين
قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد ابو عاصم الشيباني البصري الثقة توفي في ذي
الحجة سنة ثلاث عشر ومايتين وتقدم ترجمته في الميزان قال حدثنا حيوة بن شريح
تقدم ايضا وفي نسخة انبانا قال حدثنا يزيد بن ابي حبيب الازدي محدث مصر
وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفي سنة ثمان وعشرين ومائة واخرج
له الستة عن ابن شماسة بضم الشين المعجمة وفتحها وميم مخففة والف وسين
مهملة واسمه عبد الرحمن المهري بميم مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة
وياء نسبة وهو حافظ ثقة توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك وما وقع في
بعض النسخ من ابن الزهري بالزاي بدل الميم تحريف قال حضرنا عمرو بن العاص
بن هشام بياء وقد تحذف كما مر فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد اجل في عيني منه
تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واحد وما كنت اطيق اي اقدر ان املا
عيني منه اي الميل النظر اليه وملء العين تحقيق النظر وتطويله وهو
مجاز مشهور وقوله ولكن ملء عين حبيبها بمعنى اخر بمعنى ما يعجبه
ويحسن منظره اجلالا له اي لاجله وتهابه ولو سئلت ان اصفه لعليه ما طقت
وقدرت لعدم احاطة علمي به لاني لم اكن املا عيني منه لو هنا للتحقيق للجواب
على كل حال كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي لا اقدر
ان اصفه على تقدير اي شئت فكيف اذا لم اسأل فلا يقال ان لو لامتناع الشرط
والجواب فيقتضي انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم في الايمان
حضرنا عمرا في سياقة الموت يبكي طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه
عبد الله يا ابتاه اما بشرك رسول الله بكذا اوكذا فاقبل بوجهه وقال ان
افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اني كنت على
اطباق ثلاث الحديث ذكر حاله في جاهليته وبغضه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه امره
في الولاية وخوفه من اثامها رضي الله عنه وروى الترمذي والحاكم عن
انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من بيته
على اصحابه من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وعداه بعلى وهو يتعدى
بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينتظر وهم جالسون في المسجد فيهم ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما فلا يرفع احد منهم اليه بصره بل يطرقون لمهابته

عرض

الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ويجوز الا ابا بكر وعمر نصبا فانهما كانا ينظران اليه وينظر
اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما لما بينهما من الالفة وقدم الصحبة والمهارة
ولتمكن مقامهما عنده صلى الله عليه وسلم وروى اسامة بن شريك الصحابي الثعلبي
من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة بن بكر وقد اخرج له اصحاب السنن
واحمد في مسنده قال اي اسامة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله
اي محيطون به في مجلسه كانما على رؤوسهم الطير هذا مثل تضرب به العرب لشدة الرزانة
والسكون لان الطير لا تنزل الا على ساكن وقد تقدم في مقصورتي النبوية

كانما الطير على رؤوسهم ... من كل غصن في ربا المجد نما

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذي وفي حديث صفته بالتاء المثناة
الفوقية يعني حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصفية بالياء التحتية
اسم امراة ولا يعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بن ابي هالة كما
تقدم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير
اي طاطؤوا رؤوسهم تادبا وذكر هذا مع ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما
من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم في الجلساء فانه من ان كل من حضر مجلسه
صلى الله عليه وسلم ولو من اعدائه يهابه لانه امر ذاتي له وقال عروة بن
مسعود رضي الله عنه ابن معتب الثقفي حين وجهته قريش الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة سبع بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا
عام القضية اراد بها قصة الحديبية وقيل اراد السنة التي قضى فيها العمرة
فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء والقضية اذ القضاء وقع
بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو يحتاج للتاويل ولذا قيل ان
القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضاء كان سنة سبع بعد فتح
خيبر فلعل المصنف اراد القضية اللغوية التي جرت في الحديبية من الصلح
والصد عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التي ارادها اهل السير
انتهى وهذا ابتناء على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم فسدت
لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقهاء في مثله فقيل يجب الهدي ولا قضا
وقيل يجب القضا بلا هدي وقيل لا يلزمه هدي ولا قضا وقيل يلزمه الهدي
والقضا وقصة القضية مفصلة في السير وعروة هذا اسلم لما انصرف النبي
صلى الله عليه وسلم من الطائف وادركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين
ارسلوه مشركا وراى عروة من تعظيم اصحابه له صلى الله عليه وسلم ما راى
هذا ابهمه من المبالغة ما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم اي راى
من اكرامهم له صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم له شيئا عظيما لا يمكن التعبير
عنه لفواته الحصر ولذا ابهمه وان ذكر بعضا منه بقوله وانه صلى الله عليه
وسلم لا يتوضا الا ابتدروا اي اسرعوا واخذوا وضوءه بفتح الواو اي بقية
الماء الذي توضا به وما تساقط منه قبل وصوله الى الارض وكادوا اي
قربوا لازدحامهم ودفع بعضهم بعضا من ان يقتتلوا عليه اي على وضوئه

عرض

واخذهم لجهم على التبرك بما مسه صلى الله عليه وسلم بيده ولا يبصق بصاقا اي رمى
شيئا من ريقه الشريف ولا تنخم نخامة بضم النون لان فعالة وضعها لكل قليل
انفصل من شيء كالبراية والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة
ان الاول ما يخرج من الفم والثاني ما يخرج من اقصى الحلق الا تلقوها اي
النخامة باكفهم واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما او
جعلهما شيئا واحدا لاتحادهما جنسا فدلكوا بها وجوههم واجسادهم
تبركا بهما ولا تسقط منه شعرة بفتح العين وسكونها في حلاقة راس وغيره الا
ابتدروها وسارعوا لاخذها واذا امرهم بامر ابتدروا امره اي للامتثال
والامر مصدر او بمعنى المامور وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به
تفخيما لشانه وتنويها لقدره واذا تكلم صلى الله عليه وسلم خفضوا اصواتهم
عنده لتتبين ما يقول لهم ولا يحدون اليه النظر اي لا ينظرون اليه صلى الله
عليه وسلم نظر احد بدا اي قويا او لا يبلغ نظرهم اليه حده ومنتهاه بل
ينظرون اليه من طرف خفي مطرقين رؤسهم تادبا واجلالا لمنه في قلوبهم
تعظيما له صلى الله عليه وسلم علة للنفي لا للمنفي اي يتركون كمال نظرهم
لتعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما رجع عروة الى قريش قال لهم يا معشر
قريش المعشر والعشيرة بمعنى اني جئت كسرى بفتح الكاف وكسرها ملك فارس
كما تقدم في ملكه في زمان سلطنته وقيصر ملك الروم في ملكه وجئت
النجاشي ملك الحبشة في ملكه فرايتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشي بفتح
النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كما مر واني والله ما رايت ملكا
في قوم قط مثل محمد في اصحابه اي لا يعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله عليه
وسلم اصحابه وفي رواية لحديث عروة ان بكسر وتخفيف نافية بمعنى
ما رايت ملكا قط يعظمه اصحابه كمثل ما يعظم محمدا اصحابه ففيه مضاف
مقدر وما مصدرية او موصولة اي كالتعظيم الذي يعظمه اصحابه كالعابد
مقدر وقد رايت قوما يعني بهم الصحابة رضي الله عنهم لا يسلمونه بضم
اوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع اسلمه بمعنى اسلمه لعدوه اذا
امكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال اسلمه اذا القاه في هلكة فهو عام اريد
به خاص ابدا ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضي
يعني ان ما شاهدته من احوالهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وانقيادهم
له يدل على انهم لا يقصرون في نصره ويبذلون انفسهم دونه فاياكم ان تطمعوا
في خلافه وهذا البعض من حديث طويل رواه البخاري وعن انس في حديث
رواه مسلم قال فيه لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
بتشديد اللام وهو الذي يحلق شعر راسه فقوله يحلقه بتقدير
مضاف وقد اطاف به اصحابه اي جلسوا حلقة حوله صلى الله عليه وسلم
وطاف بمعنى دار واطاف بمعنى استدار من غير حركة فما يريدون
ان يقع شعرة من شعر راسه الا في يد رجل منهم حرصا على التبرك

١٧١ ابتدروها

باثاره صلى الله عليه وسلم والذي حلق راسه وقلم اظفاره معمر بن عبد الله العدوي
في حجة الوداع وقال ابن الاثير في الانساب انه خراش بن امية الكلبي وكان ذلك يوم الحديبية
كما قاله ابن عبد البر والذي حلقه بالجعرانة ابو هند وكان صلى الله عليه وسلم لا يحلق
راسه الا في حج او عمرة ومن هذا اي تعظيم الصحابة له صلى الله عليه وسلم لما اذنت
قريش لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين ارسله صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة وهو
بالحديبية وقد صد وهم عن البيت وارساله لاعلامهم بانهم لم ياتوا لقتالهم ولا رجعه
لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم اذنوا لعثمان رضي الله عنه في الطواف
بالبيت لعدم منعهم منه له كغيره حين وجهه اي ارسله رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليهم في القضية اي قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية كما مر
ابى الطواف وقال جواب لما وقال ما كنت لافعل الطواف وحدي ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قد منع منه ولم يرسلني لذلك فلا اطوف حتى يطوف به رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففيه من تعظيمه والوقوف عند امره ما لا يخفى وهذه
القصة مفصلة في السير وحاصل ذلك انهم لما صدوه وهم عن دخول مكة وارسلوا
عروة لاعلامهم بذلك ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان لعظماء
قريش ليخبرهم لمجيئه صلى الله عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة
اجاره ابان بن العاص حتى يبلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له يا عثمان ان شئت
فطف فقال ما كنت لافعل فاحتبسوه وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم الحرب وبايع اصحابه بيعة الرضوان
تحت الشجرة كما رواه الترمذي عن طلحة رضي الله عنه وقال انه حسن غريب
وقوله ما كنت لافعل ابلغ من لا اطوف ومن حديث طلحة الذي رواه الترمذي
وحسنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله
اي سل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قضى نحبه في قوله تعالى من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه والنحب النذر والعهد
استعير هنا للموت لانه للزومه كانه نذر في ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه
ان يجاهد في سبيل الله وقتال اعدائه والثبات في مواقعه حتى كانه نذر عليه
والمراد هذا الثاني فمن اقتصر على الاول فقد قصر اي منهم من قاتل حتى مات
شهيدا كحمزة رضي الله عنه وكانوا اي اصحابه يهابونه ويوقرونه فلا يكثرون
سؤاله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فساله الاعرابي فاعرض عنه ولم يجبه
اذ طلع طلحة اي كان اعراضه في وقت طلوعه اي مجيئه لمجلسه صلى الله عليه
وسلم وقيل اذ هنا فجائية كقوله فبينما العسر اذ دارت مياسير اي فاجاهم
طلوعه عليهم بغتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى
نحبه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد احد العشرة وفي
الصحابة طلحة تيمي غيره وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله الاية وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم تلا هذه
الاية على المنبر فساله رجل من هؤلاء فاقبل طلحة بن عبيد الله فقال هذا

ف

مرضي

منهم وكذا في سنن ابن ماجه وفي تفسير ابن ابي حاتم ان عمارا منهم وفي تفسير
يحيى بن سلام هم حمزة واصحابه قال ابن التين كان ممن مات ذلك اليوم عبد الله
ابن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة بن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع
منهم انس بن النضر وطلحة بن عبيد الله وعمار وحمزة واصحابه الذين قتلوا معه
باحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض واما قال صلى الله عليه
وسلم في حقه ذلك لانه كان قد غاب عن بدر فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم مشهدا اخر ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد ابلى فيه بلاء
حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه واتقى النبل عنه
بيده حتى شلت اصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى
استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو احد
العشرة فالنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفي
الاية كلام طويل في التفاسير واما في ابن الحاجب ليس هذا محله وفي حديث قيلة
الذي رواه ابو داود والترمذي وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية
ولام وهاء بنت مخرمة العنبرية الصحابية وقيل الخاثمية كما تقدم وحديثها
في الشمايل وفيه قال فلما رايته صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا
وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه قال في القاموس القرفصا مثلث القاف
والفا مقصور والقرفصا بضم القاف والرا ان يجلس على اليتيه ويلصق
فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه ويضعهما على ساقيه او يجلس على ركبتيه
متكيا بطنه بفخذيه انتهى ارعدت اي حصل لي رعده واضطراب من الفرق
بفتحتين اي شدة الخوف وذلك مما كان في من الرعدة والخوف هيبة له
وتعظيما لجلالته وعظمه في عين رائيه وفي حديث المغيرة بن شعبة الذي
رواه الحاكم والبيهقي كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اتوه لامر وهو في منزله يقرعون العرع ضرب خفيف ومنه له صوت
بابه بالاظافير جمع ظفر على غير القياس وجمع اظفور او اظفار بمعنى ظفر
فاظافير جمع الجمع فالاول اولى لان جمع المفرد افصح من جمع الجمع وهذا
اي ذكر الباب والقرع يقتضي ان حجرته صلى الله عليه وسلم كان لها
باب من خشب ونحوه وقد ورد انه كان عليه ستر او مسح وجمع بانه كان من
جلد يقرع فليحرر فان مثله لا يقال بالراي واعلم ان مثل هذا اهل يسمى
حديثا اولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل هو مرفوع ام لا اختلفوا
فيه كما قال الحافظ العراقي في الفيته

لكن حديث كان باب المصطفى ۞ يقرع بالاظفار حتما وقفا
حكاه الحاكم والخطيب ۞ والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله وقال البراء بن عازب بن حارث
الخزرجي الانصاري توفي في ايام مصعب بن الزبير في حديث رواه ابو
يعلى وصححه لقد كنت اريد ان اسال الامر فاوخره سنين من هيبته

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر من الامور التي تهمني او يختلج بالي مما احتاج
لبيانه فاوخر بهمزتين وقد تبدل الثانية واوا والافصح الاول سنتين مثنى سنة
وفي نسخة سنين بصيغة الجمع من هيبته صلى الله عليه وسلم اي من مهابته في قلبي وعظمته
في نفسي

امر من العلم ۞ فصل واعلم ۞

معطوف على ما قبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه
قوله ان حرمته صلى الله عليه وسلم بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهي المهابة
اي احترامه والتادب معه بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم على كل احد كما
كان لازما في حال حياته لبقاء نبوته ورسالته وذلك اي ما ذكر من احترامه
وتعظيمه لازم عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة
اله تقدم بيان المراد بهم وعترته بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثة خطا
من العامة وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم
في امور دينية او دنيوية وتعظيم اهل بيته اي ونحوه وخدمه واتباعه
وليس المراد اله وعترته حتى يكون اطنابا وصحابته رضي الله عنهم قال ابو ابراهيم
التجيبي بضم التاء وفتحها كما تقدم واجب على كل مؤمن خصه لان الكافر لا يجب
عليه ذلك وقيل انه يجب عليه ايضا بنا على انه مخاطب بفروع الشريعة والوجوب
عليه بمعنى مطالبته به في الاخرة وعقابه عليه متى ذكره صلى الله عليه وسلم
او ذكر عنده وسمعه ان يخضع اي يبدي التذلل والاستكانة وخفض الجناح
وخضع يكون لازما وهو المعروف ومتعديا يقال اخضع الحديث اي لينه
ويخشع الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع اعم
لانه يوصف به القلب والجماد كقوله الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل
على مدعاه ويتوقر اي يظهر الوقار والرزانة ويسكن من حركته ويأخذ اي
يشرع في هيبته اي اظهار مهابته صلى الله عليه وسلم عنده واجلاله
بتعظيمه حق تعظيمه بما كان ياخذ به نفسه اي يكلفها ويلزمها لو كان بين
يديه صلى الله عليه وسلم حاضرا في مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه ويتمثله
فكانه عنده ويتادب بما ادبنا الله به مثل قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
الخ ولا ترفعوا اصواتكم وغيره مما تقدم انفا وفيه اشارة الى ان هذا ثابت
بالقران ايضا لدخوله في عموم ما تقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه
بخصوصه في النصوص القرانية ومن لم ينتبه لهذا قال كان على المصنف
ان يقدم دليلا قرانيا على الحديثي يدل على ان وجوب حرمته ميتا كحرمته
حيا كما هو دابه وان يذكر انه حكم عام فيه صلى الله عليه وسلم وفي ساير
الانبيا لما ورد في حقهم من المدح والتعظيم وقوله فيهداهم اقتده
ولقوله ورفعنا لك ذكرك واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضي
تعظيمه ولقوله صلى الله عليه وسلم الا في رغم انف من ذكرت عنده فلم
يصل علي ولا يخفى ما فيه قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذه الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا وانته باعتبار ما ذكو
لقوله كانت سيرة سلفنا الصالح اي داب وطريقة من تقدم الصالحين والعلما
العاملين رضي الله عنهم ثم بين هذه السيرة بقوله حدثنا ابو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن الاشعري هو ابن سعيد القرطبي وقد تقدم وابو القاسم
ابن بقي بفتح الموحدة وكسر القاف المكسورة وياء مثناة تحتية الحاكم
وهو احمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن يزيد بن بقي وغير واحد فيما اجازونيه
اي رووه عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح
وغيره قالوا اي قال هولا كلهم انبانا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث
بكسر الدال المهملة وسكون اللام وها والف يليها ثا مثلثة بزنة جلباب
علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث قال حدثنا ابو الحسن
علي بن فهر بالكسر كاسم القبيلة قال حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج قال
حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب بضم الميم وسكون النون وتا مثناة فوقية
والف وبا موحدة وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن ايوب قاضي المدينة
قال حدثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل قال حدثنا ابن حميد بالتصغير
ابن حميد بن ثعلبة احد رواة مالك قال ناظر ماض من المناظرة وهي المباحثة
في امر من الامور وهي مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام
من يجادله وفيه كلام في شرح اداب البحث ليس هذا محله ابو جعفر امير المومنين
ثاني خلفا بني العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة في التواريخ
مالكا امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرفع صوته في مناظرته فقال مالك يا امير المومنين
لا ترفع صوتك في هذا المسجد النبوي المحترم واول من سمي بامير المومنين
على العموم عمر بن الخطاب رضي الله عنه سماه به المغيرة بن شعبة وقيل
لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم حين وفدا عليه من العراق وقيل انه رضي
الله عنه قال للناس انتم المومنون وانا اميركم فسمي بذلك وكان قبل ذلك
يقال له يا خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن ذلك لطوله واحترزنا
بقولي العموم عن عبد الله بن جحش فانه سمي بها على الخصوص في ولايته على
سرية اثنا عشر رجلا وقيل ثمانية واول من سمي بامير المسلمين يوسف بن
تاشفين الملثم فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم الخ وتقدم
تفسيرها ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الخ وتقدم
بيانها ايضا وذم قوما فقال ان الذين ينادونك الخ كما تقدم وان
حرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا اي ما يجب ان يراعى في حقه
في حياته يراعى بعد مماته فاستكان لها ابو جعفر استكان افتعل من
المسكنة بمعنى خضع وذلك اشبعت حركته كما في القاموس وفيه كلام
في التصريف وضميرها راجع لمقالة الامام مالك المعلومة من المقام
ولم يذكروا ما ناظر فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا وقال ابو جعفر

للامام مالك يا ابا عبد الله كما هو تعظيما له بتعظيمه بقوله استقبل القبلة اصله
استقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ووجود
القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله
فوالله ما ادري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر ام بثمان
وهو من خصائص الهمزة وادعوا ام استدبره اي القبلة صلى الله عليه وسلم ام استقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي اجعل وجهي مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبر
القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال القبلة في الدعاء مشروع فاذا عارضه هذا
فايهما يقدم فقال له مالك رحمه الله ولم تصرف وجهك عنه اي عن مقابلته
ومواجهته حال الدعا وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه الصلاة والسلام
الى الله يوم القيامة المراد بالوسيلة وهي السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعا وفي
بذلك عن جميع الناس اي هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله تعالى يوم القيمة
اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعي اذا قال
اللهم اني استشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له بل
استقبله صلى الله عليه وسلم بوجهك في دعايك بما تريد واستشفع به الى الله
في الاجابة فانه شفيع لابد من توسل به اليه فيشفعه الله فيك ويقبل دعاك
وفي نسخة فيشفعك الله وهي مشكلة اذ المراد لا اولا وقد اولت هذه بان اصلها
فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار واوصل به الضمير وقيل المعنى يقبل
شفاعتك والصيد مضاة للمفعول ولا يخفى ما فيه وفي هذا رد على ما قاله
ابن تيمية من ان استقبال القبر الشريف في الدعا عند الزيارة امر منكر لم يقل به
احد ولم يرو الا في حكاية مفتراة على الامام مالك يعني هذه القصة التي اورد
المصنف هنا ولله دره حيث اوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها من عدة من ثقات
مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله لم ينقل ولم يرو
باطل فان مذهب مالك واحمد والشافعي رضي الله عنهم استحباب استقبال القبر
الشريف في السلام والدعا وهو مسطور في كتبهم وصرح به النووي في اذكاره وايضاحه
وقال السبكي صرح اصحابنا بانه يستحب ان ياتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة
ويبعد من راس القبر نحو اربع اذرع فيسلم عليه صلى الله عليه وسلم ثم
يتاخر ويسلم على ابي بكر رضي الله عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر
ويدعو بما اراد وقد نقل عن ابي حنيفة رضي الله عنه ان يستقبله صلى الله
عليه وسلم في الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره الشرجي
من ايمتنا وقيل في قوله ووسيلة ابيك ادم انه ادم عليه الصلاة والسلام
لما اكل من الشجرة ثم ندم قال يا رب اسالك بحق محمد الا غفرت لي فقال له الله
كيف عرفت محمدا فقال لاني رايت على قوايم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله
فعرفت انك لم تضف لنفسك الا احب الخلق اليك فقال صدقت يا ادم انه
لاحب الخلق الي ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم قال الله
تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك الاية استدل بهذه الاية على

ما ادعاه من التوسل به صلى الله عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادي عليه لوجدوا
الله توابا رحيما لتعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم
واستوثقن به لاستحباب استقباله ايضا دون استقبال القبلة لانه صلى الله عليه
وسلم حي في قبره يسمع دعا زايره ومن نجا عظيما الرجا شفاعته له لاشك فانه يتوجه
اليه بقلبه وقالبه كما قال ابن المقري رحمه الله

تخاطبه لما تناجيه مقبلا ❊ على غيره فيها لاي ضرورة
ولو ردّ من ناجاك للغير طرفه ❊ تميزت من غيظ عليه وغيرة

فتدبر وقال مالك وقد سُئل عن ايوب السختياني وهو الامام ابو بكر
البصري التابعي سيد الفقها والمحدثين روى عنه مالك والثوري وغيره
والسختياني بكسر السين نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وهو
معرب وتاوه تفتح وتكسر اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثلاثين
ومائة وقيل غير ذلك ما احدثكم اي ما رويت لكم عن احد من مشايخه الا
وايوب افضل منه قال مالك وحج حجتين وكنت احجّا اذ ذاك فكنت ارمقه
اي انظر اليه يقال رمقه اذا نظر اليه ولا اسمع منه شيئا يتكلم به لطول صمته
كذا قيل والظاهر انه اراد لا اسمع منه الحديث فاروبه عنه لما سياتي من قوله
كتبت عنه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده بكى حتى ارحمه
اي يرق قلبي عليه رحمة له لما اراه منه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى
الله عليه وسلم واتباع سنته في جميع احواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته وانه ثقة ظاهر العدالة
فسمعت منه وكتبت عنه الحديث ورويته عنه وهذا يدل على كمال ورعه
في الرواية وانه لا يروي عن كل احد حتى يختبره وبكاؤه اما لتحسره على انه
لم يره صلى الله عليه وسلم واشتياقه له او لخوفه من تقصيره في اتباعه
او لاجلاله وتذكر مهابته حتى كانه يراه وهذا اقرب للسياق وقال مصعب
بصيغة المفعول علم منقول من الفعل المزيد ابن عبد الله بن مصعب
ابن ثابت الزبيري الحافظ احد رواة الامام مالك بن انس رضي الله عنه
ورحمه اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده يتغير لونه بان يصفر كما
يعتري من اشتد خوفه من شيء وينحني اي يتمايل لشدة خشوعه حتى
يصير كالمنحني حتى يصعب ذلك على جلسايه وتلامذته لخوفهم عليه فقيل له
في ذلك اي سُئل عنه وما سببه فقال لو رايتم ما رايت من السلف من خشوعهم
واجلالهم لذكره صلى الله عليه وسلم لما انكرتم علي ما ترون مما شاهدتموه
من حالتي لقد رايت محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي المدني الحافظ توفي
في سنة خمس ومائتين اخرج له الستة وكان سيد القراء كان في عصره
رئيس العلما العارفين بالقران وتفسيره ووجوه قراآته واحكامه لا نكاد
نساله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه شفقة عليه لما نراه من اضطرابه
لشدة مهابته لذكره صلى الله عليه وسلم او لشدة شوقه الى الغاية

وتاسفه

وتاسفه على عدم رؤيته صلى الله عليه وسلم وكاد هنا زايدة لتاكيد الكلام وقد
ورد في كلامهم كثيرا كما في القاموس وهو احد الوجوه في قوله تعالى لم يكد يراها
اي لم يرها وهو المراد وابدا للمطلق الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنة المستقبلة
فهي هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع في قوله
هنا الا يبكي قال الامام مالك رحمه الله ولقد كنت ارى جعفر بن محمد اللام في
جواب قسم مقدر ووقع في بعض النسخ هنا تلعيب جعفر الصادق ومحمد هو الباقر
ابن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وكان كثير
الدعابة بضم الدال والعين المهملتين والف وبا موحدة وهي المزاح والتبسم
وهو اقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره اذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وتغير وجهه لمهابته واجلاله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو على طهارة اي بوضوء لنقل الحديث فيعلم منه نفي الحدث
الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيم الحديث ولقد اختلفت اليه زمانا
كثيرا اي ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جا وذهب واتى وقتا
بعد وقت في اوقات مختلفة فقول اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات
وضمير اليه لجعفر المذكور وما كنت اراه الا مستمرا على ثلاث خصال اما مصليا
واما صامتا لا يتكلم واما يقرا القران فيناجي ربه ولا يتكلم فيما لا يعنيه
بفتح اوله اي يهمه ويجد به نفعا المقصود لسانه عن اللغو وكان من العلما
بالعلوم الشرعية ومن العباد الذين يخشون الله تعالى وهذا حاله في منزله
وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان في ملا من الناس تلطفا بهم وحسن خلق فلا
منافاة بينهما كما توهم قال مالك رحمه الله ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم
ابن محمد بن ابي بكر الصديق احد فقها المدينة توفي رحمه الله تعالى سنة احدى
وثلاثين ومائة وابوه احد الفقها السبعة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم نزف مبني للمجهول ومعناه سال وفيه
تسمح او تقدير اذ اللون لا ينزف فالمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة
لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا
واعترض بان المناسب لقوله وقد جف لسانه في فمه الاصفرار لا الاحمرار ثم قال
ولعله يحصل له حالة تخجل من حالة خوف وهو من عدم التامل وجفافه
اللسان بذهاب ريقه لخوفه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم معطوف
على ما قبله وقيل لعذر ليتخذ فاعلاهما ولا حاجة اليه وان جاز ولقد كنت
اتي عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام العابد الجليل القدر اخرج له الستة
وتوفي بعد عشرين ومائة وترجمته معروفة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم يبكي حتى لا يبقى في عينيه دموع اي لبكائه بكا شديدا لما مر ولقد كنت
اتي صفوان بن سليم مصغر وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهري القرشي
مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان اكثر اهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا

وبكائه نوى فى كما قال وكان صفوان المذكور من المتعبدين اي المكثرين للعبادة المداومين
عليها المجتهدين فى العبادة المجدين فيها ويحتمل ان يكون وصل لرتبة الاجتهاد في احكام
الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة فاذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه لاتصال بكائه وطوله
ولقد رايت الزهري الامام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب التابعي
الامام الجليل المشهور توفي في رمضان سنة اربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين
وسبعين كما تقدم وكان من اهنا الناس اي اسهلهم واحسنهم خلقا والينهم
عريكة مستعار من هنو الطعام اذا ساغ وسهل واقربهم الى الناس لحسن تودده
لهم ومع ذلك اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته
لدهشته وحيرته واعراضه عن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه
وحواسه بالفكر لاجلاله له وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله هؤلا بيانا لانه
اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يصل لحالهم فلا يتعجب منه وروى
عن قتادة تقدم بيانه انه كان اذا سمع الحديث بفتح وبعده اخذه اي عرض له
واستولى عليه حتى كانه اخذه العويل بعين مهملة هو صياح مع البكاء والزويل
بفتح الزاي المعجمة وكسر الواو وياء ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف
يقال زال زويله في الدعاء اي ذهب ذعره وهو ماخوذ من الزوال لتغير
حاله عما كان عليه ولما كثر على الامام مالك الناس اي اجتمع عنده لسماع الحديث
ناس لا يحصون كثرة واتوه من كل فج قيل له لو جعلت مستمليا اي احدا يجلس
قريبا منك وتملي عليه الحديث فياخذه عنك فيبلغهم ويسمعهم ما يمليه
لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن في آخر الحلقة ولو للتمني للمناسبة
بينهما في عدم الوقوع ولما لزم مما قالوه رفع صوت المبلغ كما هو
المعتاد لم يرتض ما قالوه من وضع مستمل في الحلقة والاستملا طلب
الاملا وهو القا الكلام على الغير فقال مالك مجيبا ارشادا لهم وتاديبا
مستدلا بقوله تعالى كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم
الخ فقال منع رفع الصوت في مجلس قراة الحديث على منعه في مجلسه حال
حياته وبينه بقوله وحرمته اي احترامه وتوقيره حيا وميتا سوا فكما
يلزم الاول يلزم الثاني ثم نقل ما يوافق ما قاله مالك بقوله وكان
ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع
وكان عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ابو سعيد الحافظ الثقة البصري
المعروف باللؤلؤي احد اعلام الحديث وقال ابن المديني اعلم الناس
بالحديث ابن مهدي توفي سنة ثمان وتسعين ومائة واخرج له اصحاب
الكتب الستة اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم اي امر من
حضر في مجلسه بالسكوت والانصات لاستماعه وقال مخاطبا لمن عنده
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول الاية التي تلاها بجعل
الصوت شاملا لحكايته وانه عام لهما ودالا على انه يجب له صلى الله عليه

وسلم

اذا حضر

وسلم من الانصات عند قراة حديثه ما يجب له عند سماع قوله حقيقة في حياته لما فيه من
التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل حديثه او حديث عنه يطربني هذا اذا غاب او
فان قلت ما نقلته عن مالك من انه لم يرض بمستمل في مجلسه ينافي ما نقل عنه انه
كان له مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول كان قبل كثرة الناس جدا بحيث
يسمعون كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فراى ان المستملي لا بد
منه فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لا يصنع مستمليا اذا سمعوه لان اعلى
مرتبة السماع ما كان من لفظه فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر
واستدلوا لذلك بانه صلى الله عليه وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء
وعلي رضي الله عنه يبلغ الناس فعلم حينما تعذر اسماعهم ان كثروا بحيث لا يكفيهم مستمل
واحد زادوا بقدر الحاجة ويقعد المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي ونحوه او قائما
ان امكنه

فصل في سيرة السلف

وعاداتهم في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنته عطف تفسير لشمولها لاقواله وافعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة
سننه بصيغة الجمع وفي اخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما
ادرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث والى له بشاهد رواه مسندا
فقال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم قال حدثنا
ابو الفضل بن خيرون تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف وعدمه قال
حدثنا ابو بكر البرقاني وهو احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الشافعي شيخ بغداد
واحد الاعلام له صاحب التصانيف الجليلة منها وتخريج الصحيحين روى عنه
كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وابي اسحاق الشيرازي وابن خيرون المذكور
وتوفي ببغداد في اول رجب سنة خمس وعشرين واربعمائة وترجمته معروفة
والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف وغيره قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني
شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدار قطن محلة ببغداد وراؤه
مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال حدثنا
ابو علي بن مبشر بن اسمعيل الكلبي لثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة
بوزن اسم الفاعل قال حدثنا احمد بن سنان القطان ابو جعفر الحافظ الواسطي
الثقة امام اهل زمانه توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين واخرج له اصحاب
السنن قال حدثنا يزيد بن هارون ابو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد
احد الاعلام قال ابن المديني ما رايت احفظ منه وعمي في اخر عمره وتوفي سنة ست
ومائتين واخرج له الستة قال حدثنا المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة
ابن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير
وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة وترجمته في الميزان عن مسلم
البطين بفتح الموحدة وكسر الطا المهملة وهو مسلم بن عمران ابو عبد الله الكوفي
وثقه احمد واخرج له الستة عن عمرو بن ميمون العابد التابعي الازدي ادرك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج ماية حجة وتوفي سنة اربع وتسعين ومائة
قال اختلفت الي ابن مسعود اي ترددت عليه سنة تميين فما سمعته اذا حدث يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صونا لذكره وهيبته له واحتياطا في النقل
الا انه حدث يوما بحديث نقله جري على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم علاه كرب اي ظهر عليه حزن وغم يؤدي لضيق نفس فرايت العرق يتحدر
اي ينزل سايلا منه منفصلا عن جبهته ثم قال ابن مسعود هكذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما رويته لكم مساوي له لفظا ومعني ان شا الله اشارة
الي انه لم يقصد عن جزم منه وهذا ابا منه على تقدم جواز الرواية بالمعنى
وفيه خلاف مشهور تفصيله في كتاب ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه
وان يقول ما لم يقله او فوق ذا اي يزيد عليه يسيرا او ما دون ذا اي ينقص
عنه او قريب من ذا لمخالفته بامر قليل جدا وهو احتياط منه رضي الله عنه
وفي رواية فتربد وجهه بتا مثوحة تعبد را ثم دال مهملتين اي تغير لونه
كلمود من شدة الكرب وقد تغرغرت عيناه اي امتلاتا بدمع متردد كالمآ
في فم من يتغرغر به فهو مجاز كما في حديث تقبل توبة العبد ما لم يغرغر
اي تبلغ روحه حلقومه كما الغرغرة وانتفخت اوداجه جمع ودج بفتحتين
وهو عرق غليظ في العنق والوجدان يقطعهما الذابح وانتفاخهما كرهما بغليان
الدمع لانتشار الحرارة الغريزية لخوف وخشوع وقال ابراهيم بن عبد الله بن
قريم بضم القاف وفتح الرا المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قرم الانصاري
قاضي المدينة ذكره في التهذيب والميزان واخرج له الترمذي في علل جامعه
ولم يجرحه وروي عن مالك كما قال مر مالك بن انس علي ابي حازم بحاء
مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام الذي روي عنه
مالك وغيره ثقة لم يكن في زمانه مثله توفي سنة اربعين ومائة واخرج له
الستة وهو يحدث اي يروي الحديث لمن عنده فجازه اي تجاوز مجلسه
ولم يقف وقال حين سيل عن سبب ذلك اني لم اجد موضعا اجلس فيه لكثرة
الناس فكرهت ان اخذ اي اسمع واروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا قايم صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان واستماعه في محل يخل بتعظيمه
وهكذا كان دابه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا لا ينافي ما نقل عنه
من انه كان لا يعمل بالحديث ما لم يوافق عمل اهل المدينة فانه لشدة احتياطه
في احاديث الاحكام فلا وجه لايراده هذا هنا وقيل التعظيم شي اخر لا مسائله
هنا وقال مالك جا رجل الي ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع
اي واضع جنبه على الارض والجملة حالية فجلس وحدثه فقال له الرجل
وددت اي كان احب الي انك لم تتعن اي لم تتعب وتترك راحتك
فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
مضطجع تعظيما للحديث وتادبا معه وروي عن محمد بن سيرين انه
قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده في حال ضحكه حديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم خشع اي اظهر الخشوع والاستكانة تادبا ومهابة وقال ابو مصعب كان
مالك لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضو اي متوضيا
متطهرا اجلالا له اي للحديث وحكي مالك ذلك اي الحديث على وضو عن جعفر بن محمد
الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد تقدم قريبا وقال
مصعب بن عبد الله وهو الزبيري كما تقدم كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي اذا اراد ان يحدث عنه توضا وتهيا للحديث باصلاح
هيئته في ثيابه وجلوسه ثم يحدث تعظيما لذلك قال مصعب فسيل عن ذلك اي
عن الداعي له فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة لانه
وهو من بليغ المدح كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا فتقول انه فلان ولا تزيد
اي حقيق بذلك وشهرة استحقاقه تغني عن بيان وجهه فلا حاجة لتقدير
وهو جدير بالتعظيم كما قيل وقال مطرف بزنة الفاعل تكلا وترا شدة مهملتين
وفا وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار مولي ميمونة وهو ابن اخت
الامام مالك توفي سنة عشرين ومايتين وترجمته في الميزان كان اذا اتي الناس
مالكا لطلب العلم وهو داخل منزله وطلبوا اخذ وجهه لاقرايهم خرجت اليهم
الجارية اي ارسل اليهم جارية له فيه فتقول لهم لما تعلم من العادة يقول لكم الشيخ
تعني مالكا تريدون الحديث بتقدير اداة الاستفهام اي اتريدون قراة الحديث
وسماعه او المسايل تعريفه للعهد اي مسايل الفقه فان قالوا نريد المسايل اي
فرايها خرج اليهم سرعة من غير تهيي وان قالوا نريد الحديث اي قراته دخل
مغتسله اي موضعه المعد للغسل والطهارة في بيته واغتسل وتطيب وتضمخ
بما تطيب رايحته ولبس ثيابا جددا بضم اوله وثانيه جمع جديد بكسر وشرر
ولبس ساجه هو الطيلسان مطلقا او الاخضر او الاسود منه وهو شي كالبرنس
وتعمم اي وضع عمامته المعدة للتجمل على راسه ووضع على راسه رداه على
عادة اشراف العرب وتلقي له منصة في محله المعد له لاقرايه وهو بكسر
الميم وفتحها شي عال كالكرسي والسرير من تصمته اذا رفعته فيخرج من
بيته للناس ويجلس عليها وعليه الخشوع اي السكينة والوقار ولا يزال
يبخر بالبنا للمفعول ويجوز بناوه للفاعل بمعني يامر بالعود الهندي المعروف
فيوقد عنده ليعطر مجلسه بعطر يفرغ من قراة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله عليه وسلم كان يحب الرايحة الطيبة فجعل
مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم قال غيره اي غير مطرف ولم يكن يجلس على
تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم انه انما
فعله رعاية للحديث لا لنفسه قال ابن اويس هو اسماعيل بن عبد الله بن
اويس بن ابي عامر وقيل اسمعيل بن عبد العزيز بن عبد الله توفي سنة
ست او سبع وعشرين ومايتين في رجب وهو ابن عم الامام مالك وابن اخته
وزوج بنته روي عنه وعن غيره ولازم مالكا احدي وعشرين سنة واخرج
له في الصحيحين والسنن وضعفه النسايي لانه كان مغفلا كما قاله

ابو حاتم و ترجمته في الميزان فقيل لمالك في ذلك اي سُئل عن سبب ما كان يفعله من
لباسه واغتساله وبخوره وجميع ما تقدم عنه فقال احب ان اعظم حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما فعلته ولا احدث به اي بحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا على طهارة كاملة متمكنا اي جالسا في مكانه على هيئة مستقرة
غير مستوفز لما فيه من عدم المبالات بما حدثه عنه صلى الله عليه وسلم
وكان مالك رحمه الله يكره ان يحدث اي ينقل الحديث وهو مار في الطريق او هو
قايم على رجليه او مستعجل اي على عجلة فيتاني فان الخير كله في ترك العجلة
ولذا قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطي فيما
نقله وقال مالك احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذا
تاني في نقله ليكون اعون على فهمه وقال ضرار بن مرة ابو سنان الشيباني
الكوفي العابد الثقة اخرج له اصحاب السنن كانوا اي السلف ومن لقيتهم
من التابعين يكرهون ان يحدثوا اي ينقلوا الحديث النبوي على غير وضوء
وطهارة ونحوه روي عن قتادة وقد تقدمت ترجمته وفي نسخة هنا وكان
الاعمش سليمان بن مهران اذا احب ان يحدث وهو على غير وضوء ولم يتمكن
منه تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ويابي الكلام على ذلك اخر
الفصل قال عبد الله بن المبارك تقدمت ترجمته كنت عند مالك
ابن انس وهو يحدثنا اي ينقل لنا الحديث فلدغته عقرب اي في حال قرائته
والعقرب من ذوات السموم المعروفة وسمها في راس ذنبها فاذا ضربت به احدا
انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة
ان اللدغ بذال وغين معجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح انه داله
مهملة وغينه معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب
وعقربة ونقل بعض العلماء ان الدال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة
عربية اما اللذع النار فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق
وقوله ست عشرة مرة كذا في النسخ وصوابه ست عشرة بلحوق التا في جزئيه الثاني
كذا قيل وفيه نظر وهو يتغير لونه ويصفر عطف تفسيري ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم احتراما له واجلالا فلما فرغ من المجلس
اي انتهى نقل الحديث وتفرق عنه الناس المستمعون له قلت له يا ابا عبد الله
لقد رايت منك اليوم عجبا اي امرا نتعجب منه لصبرك وعدم تحركك فقال
نعم ما قلته صحيح انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ لم يتحرك ويتزعج وهو يحدث وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى
العقيق هو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا موضع قريب من المدينة
على نحو ميلين منها يتنزه فيه اهل المدينة فسالته وانا ماش معه في الطريق
عن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهرني اي زجرني
والنهر الزجر كما قال تعالى واما السايل فلا تنهر وقال تعد الزجر
باسكت ونحوه مؤنبا لي كنت في عيني كناية عن اعتقاده فيه الناشي عن رؤيته

احل

دلجي

احل من ان تسالني فيه وتوسع معروف كا كثر من ان يحصى اي اعظم من السايلين عن حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي جملة حالية وساله يعني الامام مالك
رحمه الله جرير بن عبد الحميد القاضي الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة
روى عنه البخاري وغيره من اصحاب الكتب الستة وكان رحلة توفي سنة ثمان وثمانين
ومائة عن حديث وهو قايم الضمير لجرير ويحتمل ان يكون لمالك رحمه الله فامر مالك
بحبسه قيل مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامر واجيب بان الولاة كانوا يمتثلون
امره فالمعنى ارسله للحاكم ليحبسه فحبسه وفي تاريخ الذهبي ان مالكا كان يجلس في
المسجد يحدث ويفتي فان كان اذن له في القضا في بعض الامور فهو على ظاهره وقيل
له ان ذلك لا يليق بحبسه فقال القاضي احق من ادب بالهمزة المضمومة لا بواو
وان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلما والاشراف اولى برعاية الادب فاذا تركوه
كانوا احق بذلك من العوام وذكروا ان هشام بن الغازي بغين وزاي معجمتين بزنة
فاعل من الغزو قالوا وهذا اليس بصواب فان هشام بن الغازي بن ربيعة تابعي
مات قبل مالك ولا يروي عنه والحكاية المذكورة انما وقعت لمالك مع هشام بن
عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي وقيل انها تصحفت على الناسخ
وصوابها القاري بالقاف والرا المهملة وقيل ما في الاصل صواب وهو هشام بن
الغازي بن ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي اسنده وانه هذه القصة
عن هشام بن عمار عما علمت سال مالكا عن حديث وهو اي هشام او مالك رحمه
الله واقف فضربه عشرين سوطا وهذا دليل على انه كان مأذونا له في اجرا الاحكام
على تلاميذه او كان يعلم برضاهم بحكمه فهو محكم فيهم ثم اشفق عليه اي حصل
عنده رقة قلب وشفقة لضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل وهذا بنا
على انه يجوز ان يزاد على عشرة اسواط في غير الحدود كما هو مذهب ابي حنيفة
والحديث الوارد في النهي عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله
ولعله وجه اشفاقه عليه فحدثه اي افاد مالك هشاما ما روى له عشرين حديثا
تطييبا لخاطره فقال هشام بعد ذلك لاصحابه وددت اي احببت يقال وددت
كذا اذا رغبت فيه واحببته لو زادني سياطا اي ضربا بها ويزيدني حديثا
بعدد زيادة ضربه لي ولو مصدرية اوشرطية جوابها مقدر وقال عبد
الله بن صالح الجهني ويقال له الحرني العجلي وله ترجمة في الميزان مطولة
توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره سبعون وثمانون سنة واخرج له اصحاب
السنن كان مالك والليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري الفقيه البارع
الذي قيل فيه انه كان افقه من مالك الا ان اصحابه اضاعوه وهو من تبع
التابعين توفي سنة خمس وسبعين ومائة وحيث قال مالك اخبرني من
ارضى به من اهل العلم فهو الليث لا يكتبان العلم الا وهما طاهران اي على طهارة
تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها لانه صفة واوها
للالصاق كما قيل وتحقيقه في كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه
لا الحديث وكان قتادة يستحب ان لا يقرا احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على

فقيل له انه قاض

تلمساني

دلجي

وسنوا اي متوضيا تعظيما لحديثه صلى الله عليه وسلم ولا تحدث بتشديد الدال
اي ينقل الحديث وبجوز بتاوه للمفعول اي يسمع من غيره حديثا الا على طهارة فبذا
المراد انه يغتسل بنية ما قبله وكان الاعمش سليمان بن مهران كما تقدم اذا اراد
ان يحدث وهو على غير وضوء جملة معترضة او حالية تيمم ان لم يحضر عنده الما
يتيمم لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث وللمحدث اداب اخر ذكرها المحدثون
كافتتاح اول مجلسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه
وسلم وان لا يقوم في مجلسه لاحد من الناس

فصل ومن توقيره

صلى الله عليه وسلم اي تعظيمه وتبجيله وبره اي صلته ورعايته وللبر
معان اخر غير مرادة هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله بر آله تقدم ان
في آله خلاف فقيل انهم ذووا القربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون
من بني هاشم وبني المطلب دون غيرهم كما بينه الفقها وان اصله اول وقيل
اهل وبرهم الاحسان اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم وذريته
الذرية النسل من الاولاد واولادهم وهو بفتح الذال وكسرها وفي اشتقاقه
خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول احوالهم وقيل من ذرا
بالهمز بمعنى خلق والتزم ابدالها يا بعد النقل وامهات المؤمنين فسره
بقوله ازواجه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن جمع زوج لا طلاقه على
الذكر والانثى او زوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده
واختلف في وجهه هل هو لتكريمه صلى الله عليه وسلم او لانه حي ولذا
وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل هن امهات للمؤمنات
ايضا فقيل لا والا حرم نكاحهن عليه وقيل نعم لوجوب اكرامهن لهن
وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه واسماء ازواجه صلى الله
عليه وسلم مشهورة في السير فلم نذكرها ايضا كما حضر اي حث وحرض
بطلبه من كل احد عليه اي على بر من ذكر عليه الصلاة والسلام بما روي
عنه من الاحاديث وسياتي بعضها وسلكه السلف الصالح من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم من العلما العاملين والتعبير بسلكه طريقه او شبه برهم
بطريق مسلوكة فهو استعارة مكنية تخيلية ترايده بدليل من القران فقال قال الله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اصل معناه القذر الحسي ثم استعير
للاثم والذنب وهو المراد اهل البيت نصب على النداء او المدح والاختصاص ويطهركم
تطهيرا ترشيح لاستعارة الرجس للذنب واستشهاده بهذه الاية بنا على انه اهل بيته
ذريته وازواجه كما اختاره ابن عطية في تفسيره وهو احد الاقوال فيه وقيل
هم اهل الكسا الذين بيانهم علي وفاطمة وابناهما لما روي في الحديث انه خرج
عليه الصلاة والسلام غداة وعليه مرط مرحل فادخلهم فيه ثم تلا الاية وقيل
المراد نجاته وتذكير الضمير باباه ووجه الاستشهاد انه من طهره الله من الاثام

احبه الله

احبه الله ورسوله ومن احباه يلزمنا محبته وبره وصلته وقال تعالى وازواجه امهاتهم
ان كانت شاهدا لتسميته امهات بمعنى ظاهر وان كان للزوم برهن وتكريمهن فلان حق الوالدة
على الولد ولزوم برها امر معلوم مركوز في الطباع لان وجه الشبه وجوب احترامهن
وبرهن والحصر يقتضي ان اكرامهن احق من الامهات الحقيقية ثم اسند المص حديثا
صحيحا شاهدا لما قدمه رواه من طريق له عن مشايخه مع انه في غيره من السنن كمسلم
والنساي بسند اعلا منه اهتماما به واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفائدة الزايدة
ولانه اسلم من التدليس فقال اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد التميمي
العدل من كتابه وكتبت من اصله اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله
نسخته التي قرا منها قال حدثنا ابو الحسن المقري الفرغاني بفا وغين معجمة نسبة لفرغانه
اسم بلدة قال حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قال حدثني ابي قال حدثنا
حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسماعيل قال حدثنا يحيى هو الحماني
قال حدثنا وكيع هو وكيع بن الجراح بن فليح بن عدي الرواسي احد الاعلام المشهورين
توفي سنة سبع وتسعين ومائة اخرج له الايمة الستة عن ابيه الجراح عن سعيد
ابن مسروق الثوري الثقة توفي سنة ست وعشرين ومائة واخرج له الستة عن يزيد
ابن حيان بفتح الحا المهملة ومثناة تحتية وهو التيمي الثقة عن زيد بن ارقم رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله اي اسالكم
بالله واقسم عليكم به يقال انشدك الله وبالله اي اذكرك به ثم استعمل في القسم
وصار حقيقة فيه فليس السؤال مرادا هنا بل المراد حقيقته وتقدم فيه كلام
واهل بيتي معطوف على الله اي واذكركم اهل بيتي فلا تنسوا حقوقهم
ورعايتهم فان رعايتهم رعاية لي وقيل انه منصوب بنزع الخافض اي في
اهل بيتي كما روي في هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له
ومثله قول المزي ومن تبعه هنا لعله في اهل بيتي ثلاثا كرره للاهتمام به
والتشديد في رعايتهم قلنا لزيد بن ارقم راوي الحديث لما ذكره وما في
بعض النسخ ليزيد من غلط الكاتب من اهل بيته اي ما المراد بهم في هذا الحديث
قال آل علي بن ابي طالب وهم اولاده واهل بيته من اقاربه الادنون
وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وهم من تحرم عليهم الصدقة فهم من
اقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم في فضايل آل البيت في خطبة
خطبها صلى الله عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع في آخر عمره قال
فيها اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي
فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به
واهل بيتي وفيه ما ذكره المص من تفسيره لاهل بيته بما ذكر وهو الذي
فهم عنه صلى الله عليه وسلم هنا لانه علم بالوحي ما يكون بعده في امر
الخلافة والفتن فلذا خصهم وحرص على رعايتهم كما اقتضاه المقام
وما قيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو احد الاقوال وبعده
الاية الدالة على دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم واهل بيته كما تقدم

وهن خديجة وعائشة وحفصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وميمونة وزينب وجويرية وصفية رضي الله تعالى عنهن

ابن ابي بريس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا وجه له لما عرفته من وجه تخصيصه هنا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الترمذي عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه اني تارك فيكم اشارة الى قرب اجله
صلى الله عليه وسلم وانه وصية لامته ما ان اخذتم به اي تمسكتم وعملتم به
واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة او موصولة وصلته لن
تضلوا بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم كتاب الله بدل من ما مفسر له
وعترتي بمثناة فوقية ومعناه اهل بيتي لسابق بيانهم ووجه تخصيصهم
هنا وهي لم تضلوا وما قيل ان قوله اخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين
منهم فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الاية على
دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث والمراد
منه هنا فانظروا كيف تخلفوني فيهما اي بعدي وفاتي انظروا في عملكم
بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتي ورعايتهم وبرهم بعدي فان ما يبرهم
يسرني وما يسوؤهم يسوؤني وقال عليه الصلاة والسلام في حديث
لم يخرجوه معرفة آل محمد براءة من النار اي معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية
ما يجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله عليه وسلم تدل على خلوص محبته
له وذلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله
عليه وسلم وحب آل محمد جواز على الصراط اي مرور عليه بسرعة جوازا
موصلا للجنان فان المرء مع من احب ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية
فقد تعسف تعسفا غريبا والولاية بفتح الواو ويجوز كسرها لانها ترد
بمعناها وان اشتهرت في الملك والحكومة اي الموالاة بالنصرة والمودة
لآل محمد امان من العذاب وقال بعض العلما معرفتهم اي معرفة الآل المذكور
هي معرفة مكانهم منه صلى الله عليه وسلم والمراد بالمكان المنزلة المعنوية
وهي قرب نسبهم ومرتبتهم منه صلى الله عليه وسلم ولذا علق به قوله منه واذا
عرفهم بذلك اي بسبب علو مرتبتهم لقربهم منه عرف وجوب حقهم وحرمتهم
اي احترامهم واكرامهم بسببه صلى الله عليه وسلم لا لغرض آخر وقد دعا
النبي صلى الله عليه وسلم لمن احبهم لحبه صلى الله عليه وسلم ومن اراد
تفصيل هذا فلينظر كتاب السيد السمهودي الذي صنفه في فضائل آل البيت
فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا وعن عمر بن ابي سلمة في حديث رواه الترمذي
وابن ابي سلمة هو الصحابي المخزومي وهو ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن
اخيه من الرضاع وترجمته مشهورة لما نزلت آية انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الآية وقد قدمنا تفسيرها فكفينا مؤنته هنا
وذلك اي نزولها كان في بيت ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها دعا جواب
لما اي طلب صلى الله عليه وسلم ونادى فاطمة الزهرا رضي الله عنها
وحسنا وحسينا سبطاه وريحانتاه رضي الله عنهما فجللهم اي غشاهم
وغطاهم ومنه الجل للفرس بكسا وهو مرط من شعر كما ورد في رواية
اخرى وعلي كرم الله وجهه خلف ظهره صلى الله عليه وسلم ثم اخذ

ابن اقرم

دبجي

الكسا

الكسا اليمانيا وعليا جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعا ثم قال اللهم
هؤلاء اهل بيتي ليس المراد الحصر وهو مراد لارادته اقرب الناس الي نسبا فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اي جنبهم الآثام والمعاصي وما يشينهم ولذا
سموا اهل الكسا وادخالهم في الكسا اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم
وان الله سترهم كما سترهم الكسا وانه صانهم واحرزهم تقا ولا بد لذلك كما
تحوله صلى الله عليه وسلم رداه في الاستسقا اشارة الى تبدل الحال وتغيرها
عما هي فيه وذلك بسبب الدعا وانما دعا لهم بما ذكر بعد ما ذكر الله تعالى
انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تاكيدا وتنويها بقدرهم
ليعلم الناس به او المراد دوام ذلك وثباته وزيادته وعن سعد بن ابي وقاص
في حديث رواه مسلم في صحيحه لما نزلت آية المباهلة تقدم ان المباهلة مفاعلة
من البهلة وهي اللعنة اي الملاعنة وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة
لعنة الله على الظالم منا والآية هي قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الخ وذلك لما وفد عليه صلى الله عليه
وسلم نصارى نجران ودعاهم للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم
وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة في كتب التفسير والسير دعا النبي صلى الله
عليه وسلم جواب لما اي احضر عنده عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم
لانهم كانوا في المباهلة يحضرون اولادهم واهلهم ويدعون بوقوع العذاب
على الكاذب واهله جميعا ولذا قال وقال صلى الله عليه وسلم اللهم هؤلاء
اهلي واقربائي فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبي
وانه ما باهل نبي قوما الا اهلكهم الله ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه
وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادي نارا وحكم
المباهلة باق الى الآن وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يمض الحول حتى هلك
من باهله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم في علي بن ابي طالب
اي في حقه وشانه وسبب قوله هذا ان اسامة قال لعلي لست مولاي انما
مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا في سفره وهو عند غدير خم
وقد خطب الناس فقال من كنت مولاه اي ولي عليه ولاء وحكم والمولى له معان
منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والصهر الى غير ذلك من
المعاني وقال الشافعي رضي الله عنه المراد ولاء الاسلام وقوله فعلي مولاه
اي سيده وناصره واستدل به على الولا بعض الفقها وغيرهم ثبوت المراد
بره وصلته وهو الموافق لسياق الخبر واستدل به بعض الشيعة على تقدم
علي كرم الله وجهه على غيره في الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفته من
معاني المولى وانما المراد من احبني احبه لقوله اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه اي من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله مجاز
ومشاكلة وقال فيه اي في حق علي كرم الله وجهه كما في مسلم لا يحبك الا مؤمن
ولا يبغضك الا منافق لان من احب اصحابه واقرباءه لمحبته فهو مؤمن ومن كان

الى اخرها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خلاف ذلك ففي قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده
والمبالغة في النفي عنه ولكونه ظاهر الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام
سماه منافقا مجازا ومثله في الخطابيات كثير وقال صلى الله عليه وسلم
للعباس بن عبد المطلب عمه في حديث صحيح رواه الترمذي وابن ماجه والذي
نفسي اي روحي وحياته بيده اي في قبضة تصرفه لانه المحيي والمميت
وهو قسم للتاكيد والتحقيق لا يدخل قلب رجل الايمان اي لا يؤمن ويصير
مؤمنا كاملا ففي الدخول استعارة ظاهرة حتى يحبكم يعني اله صلى الله عليه
وسلم ولاقربائه لحصل من راه وعرفه كمن عرفهم كلهم لله ولرسوله اي محبة
خالصة من الاغراض الدنيوية والريا فانما هي لمحبة الله ورسوله ورضاهما
ومن اذى عمي بشيء يؤذيه فقد اذاني لان ما يؤذيه اليه يؤذيني وانما
عم الرجل صنو ابيه الصنو بكسر الصاد وضمها وهو هنا بمعنى المثل اي في المعنى
ابوه والرجل يغار لابيه ويؤذيه ما يؤذيه واصل معناه نخلتان فاكثر
تخرج من اصل واحد فاستعير للاخ وللمذكر اي كانه ابيه يجب علي بره
وكذا على غيري وروي العباس صنوي اي مثلي في النسب وسبب قوله
صلى الله عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له
ما اغضبك قال يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا
بوجوه مبشرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال ما ذكر المتقدم وقال صلى الله عليه
وسلم للعباس ايضا في حديث رواه البيهقي اغد علي يا عم اي ايتني يقال
غدا عليه اذا اتى واصل معناه المجيء في وقت الغداة فاستعمل في مطلق
المجيء مع ولدك اي مع اولادك وكان له صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه
اذ ذاك عدة اولاد عشرة ذكور الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله
ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث واشهرهم عبد الله
وهو البحر وترجمان القران وابو الخلفا فجمعهم اي فجمع العباس
رضي الله عنه اولاده عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او المراد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمهم اليه وقال ابن الجوزي في الوفا
ان الذي جمعهم من اولاده سبعة وجللهم اي غطاهم وسترهم والبسهم
بملاءة بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو برد او ملحفة وقد يخص بما يكون
من ثوبين وقال صلى الله عليه وسلم بعد ما ضمهم كما فعل مع علي واهله
فيما تقدم هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي اي من اقربائي فاسترهم
من النار كستري اياهم اشارة الى وجه ادخالهم في ملاءة كما تقدم فامنت
بتشديد الميم اي قالت آمين قوله صلى الله عليه وسلم ودعائه هذا
اسكفة الباب بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد
الفاء عتبته ويقال اسكوفة فابدل احد حرفي التضعيف واوا وتخفف
الفاء ايضا وحوائطه جمع حائط وهو معروف امين امين بالمد والقصر ويشدد

وهو

وهو اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو مقصود امنت لانه تضمن
معنى قالت او مفعوله قبله وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم بنطق الجماد له كرامة
لاهل البيت وكان صلى الله عليه وسلم كما في حديث رواه البخاري ياخذ بيد اسامة
ابن زيد والحسن اي يمسكهما بيده وسقط لفظ بيده من بعض النسخ فالمعنى يضمهما
اليه ويقول داعيا لهما اللهم اني احبهما فاحبهما بالادغام ويجوز فكه فيقال
احببهما والامر للدعا ودعاؤه بذلك لعلمه بان من احب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحبه الله وعكسه والقول بان احبهما مشاكلة لا وجه له لان محبة الله لعبده مجاز
باعتبار غايته وورد كثيرا من غير مشاكلة واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحبه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ارقبوا محمدا
ارقب وراقب من المراقبة وهي ادامة النظر في مقابلة شيء ثم اريد به لازمه وهو
الحفظ فالمراد احفظوا محمدا اي حقه عليكم في اهل بيته اي في رعايتهم واكرامهم
وبرهم فان رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته وقال ابو بكر رضي الله عنه
ايضا اي كمقالته المذكورة فيما رواه الشيخان والله الذي نفسي اي روحي وحياتي
بيده بقبضة تصرفه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مصدر
صارت اسم جمع لقريب النسب احب الي ان اصل اي صلتهم بدل اشتمال من قرابة
من قرابتي فيه مضاف مقدر اي من صلة قرابتي قال هذا لما ارسلت اليه
فاطمة الزهرا رضي الله تعالى عنها تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فدك وغيرها وقال له الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه قرابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا لا نورث ليس لال محمد ان يزيد واعلي المال لا اغير شيا كان في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجه
والترمذي وحسنه احب الله من احب حسنا دعا او خبر فحب حسن حسن
وبغضه قبيح وروي حسينا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم
من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما عليا رضي الله عنهم
معطوف على هذين وامهما فاطمة الزهرا رضي الله عنها كان معي في درجتي
بدل من معي اي في منزلتي ورتبتي في الجنة يوم القيامة ان كان على ظاهره
وانه معه في المحشر فهو كناية عن سلامته من هوله فان اريد به الاخرة مطلقا
فالمراد قربه منه لانه لا يساويه صلى الله عليه وسلم في درجته احد كقوله
المرء مع من احب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وحسنه
من اهان قريشا اهانه الله لانهم اكرم الناس في الجاهلية فكانوا سادة العرب
لهم الرياسة والرفادة وفي الاسلام لان الامامة بحق لهم وقريش مصغر
تصغير تعظيم لقب النضر بن كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب
او التجمع لاجتماعهم في الحرم وهو من توافق اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة
في البحر لانطاق كما قيل

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن علي وابن ابي شيبة عن سهل
قدموا قريشا في كل امر من الامور لا سيما الامارة والخلافة واقتدوا بها ائمتهم ولا
تقدموها نهي عن تاخيرهم والتقدم عليهم مؤكد للامر قبله وهو بفتح المثناة
والدال المهملة المشددة واصله تتقدموا بتائين حذفت احديهما تخفيفا وقال
صلى الله عليه وسلم لام سلمة في حديث رواه البخاري لا تؤذيني في عائشة رضي الله
عنها وسببه انه قيل لام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها ان الناس يتحرون بهداياهم
يوم عائشة فقولي له صلى الله عليه وسلم يامر الناس بان يهدوا اليه حيث كان
او حيث دار فذكرت ذلك له صلى الله عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها
فلما كان في الثالثة قال لها يا ام سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه ما نزل علي الوحي
وانا في لحاف امراة منكن غيرها فبين صلى الله عليه وسلم لها محبته لها وتقدمها
عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل بهذا على تفضيل عائشة
رضي الله عنها على سائر امهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكي الذي ندين الله
به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عائشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا
حال الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الراي في هذا التوقف لتقابل
احاديث التفضيل وتكافؤها واختصاص نزول الوحي بلحافها وجهه بانها
كانت تبالغ في التنظف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وحفظها الاوامر ونواهيه حتى غلبت صفاته
صفاتها فصارت نفسه كشي واحد رضي الله عنها وعن عقبة بن الحارث
في حديث رواه البخاري عنه رايت ابا بكر الصديق رضي الله عنه وقد جعل
الحسن على عنقه اي حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز وهو يقول
الحلبتان حاليتان اي حاملا وقايلا شعرا من مجزو الكامل لا رجز وقيل انه منه
وهو مجزو وم بابي شبيه بالنبي اي افديه بابي من اشتد شبهه برسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده ليس شبيها
بعلي اي ليس شبيها بابيه رضي الله عنهما شبها تاما وانما تم شبهه بجده
صلى الله عليه وسلم وبابي متعلقة بافدي فليست قسمية وقيل انها قسمية
وقد ورد النهي عنه بحديث لا تحلفوا بآبائكم واجيب بانه قبل النهي وهو بعيد
والظاهر ان النهي عن القسم الحقيقي لا ما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا
كله في غير الله ورسوله فانه لهما ان يقسما بما ارادا ويقال بابي وبابا الرجل
اذا قال بابي وعلي يضحك من فعل ابي بكر رضي الله عنهما وقوله هذا تعجبا
منه وسرورا وفرحا به لكن وتعجبا من ان الظاهر ان كل احد يشابه اباه ومن
يشابه اباه فما ظلم ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولذا سماه صلى الله عليه وسلم ابنا له وجعل نسبه منه وهي خاصية
لحكم ربانية وقد روي ان فاطمة رضي الله عنها كانت ترقص الحسن وهو
طفل وتقول بابي شبيه بالنبي الخ فيحتمل التوارد او ان ابا بكر تمثل به
بعد ما سمعه ووقع في البخاري ليس شبيه بعلي بالرفع فقال ابن مالك

ليس

ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم فيكون شبيه هو اسمها والخبر محذوف اي ليس
الشبيه غيره وقد يأول بغير ذلك وهذا لا ينافي ما في الشمائل لم ار قبله ولا بعده مثله
لان المنفي المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل اخص من الشبيه
ولا ينتفي الاعم بانتفاء الاخص والذين يشبهون برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو
العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان اعلاه اشبه برسول الله صلى الله عليه
وسلم والحسين اسفله وجعفر بن ابي طالب وقثم بن العباس والسايب بن يزيد
احد اجداد الشافعي وابو سفيان بن الحارث وعابس بن ربيعة الاتي في كلام الناظم
مع ضبطه وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن
ابن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب وابنه القاسم رضي الله عنهم ونظم بعضهم
ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

بخمسة شبه المختار من مضر • يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم • وسايب وابي سفيان والحسن

وقال ابو محمد الامدي وزاد اثنين وقيل انه للعراقي رحمه الله

وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما • لهم بذلك قدر قدر زكي وسما
سبطا النبي ابو سفيان سايبهم • وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثامنا

قد اشبه المصطفى الهادي ثمانية • من صحبه فعلا في الناس قدرهم
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم • وجعفر وابنه مع سايب قثم

وزاد عليه ابن سيد الحسن فقال

قد اشبه المصطفى المختار من مضر • جماعة عدهم يربو على عشرة
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم • وجعفر ما سواهم سادة خيرة
وسايب مسلم وعابس قثم • وسبط نجل عقيل وابنه البررة

وقد يزيد على هذا كثير بلغوا العشرين في بعضها كلام وطعن ونظموها نظما
متكلفا ولذا لم اتعرض له فتابعهم ابن الشحنة في نظم له خمسة عشر فزاد ابن
عقيل الثاني ويزيد بن عبد الله بن الحارث الملقب ببه وقد مات في حياته صلى
الله عليه وسلم ويزيد عثمان بن عفان لانه صلى الله عليه وسلم قال انه اشبه
الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام والنبي صلى الله عليه
وسلم كان يشبه الخليل ايضا وشبيه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم
علي بن بجاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم
لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد
الله بن الحسن بن الحسين بن علي ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوي ومنهم
كما قيل المهدي الذي يخرج آخر الزمان والظاهر منهم انهم يشبهوا في وجه
الشبه في الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد اعطي صلى
الله عليه وسلم الحسن كله واعطي يوسف عليه الصلاة والسلام شطره
نحو كما قيل

﴿انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الما﴾
وروى ان عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن ابي طالب وهو من ثقات آل البيت
وفضلائهم وله ترجمة واخرج له اصحاب السنن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في
حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب لي كتابا تعلمني فيه بحاجتك
فاني استحي من الله ان يراك واقفا على بابي كما هو المعتاد لمن اتى باب عظيم ان
يقف حتى يوذن له وهذا التعظيم منه لال البيت لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واله وعن الشعبي عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقي وصححه
قال صلى زيد بن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الصحابي المشهور رضي الله عنه
وقال البرهان زيد بن ثابت الحلبي على جنازة امه اي ام زيد والجنازة بفتح الجيم
وكسرها الميت او التابوت وامه هي النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر
الانصارية ثم قربت له بغلته ليركبها فلما اركبها جاه ابن عباس رضي الله عنهما
واخذ بركابه اي امسكه ليركب او ومشى معه ممسكا ركابه فقال له زيد لابن عباس
خل عنه اي دع الركاب وتباعد عنه يا ابن عم رسول الله يعني انه لا يليق مثله
بآل البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل احد فقال ابن عباس مجيبا له
هكذا نفعل بالعلما اي مثل هذا التعظيم نعظم به علمانا فقبل زيد يد ابن
عباس تعظيما له وجزا لاكرامه فقال هكذا امرنا ان نفعل بآل بيت نبينا صلى
الله عليه وسلم وقول الصحابي امرنا كما بين في مصطلح الحديث له حكم الرفع
على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم آل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومحبتهم وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما احد العبادلة
المشهور محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا الحديث في صحيح البخاري فقال ليت هذا عندي بكسر العين وسكون
النون او بفتحها والبا الموحدة الساكنة وروي بالوجهين والذي يحرر
الاول وهكذا ضبطه الحافظ العراقي وتمنى ذلك ليعلمه ويؤدبه ولم يكن
عرفه حين راه فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا راسه اي خفضها واطرق
حيا لما عرفه ونقر بيده الارض وهو يتفكر فيما قاله ثم ندم عليه وقال ابن
عمر لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه كما كان يحب اباه اسامة
وانما فعل وقال ذلك تعظيما لمولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الاوزاعي الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذي كان
عليه اهل المغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات
وهو منسوب للاوزاع بطن من حمير او من همدان او قرية وقد تقدم دخلت
بنت اسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها فاطمة
وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالحب نعته اسامة او زيد فانه كلا منهما صحابي مشهور على عمر
ابن عبد العزيز وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو امير بالمدينة
قبل خلافته في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان والصحيح الاول

كان

لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر في تاريخه وان اسامة توفي بقرية له بوادي القرى
وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى ان ولي عمر بن عبد العزيز فاتته ومعها مولى
لها اي عبد يمسكها بيدها لكبرها وضعف بصرها فلما راها عمر قام لها ومشى اليها
تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
جعل يدها بين يديه بان امسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها ويداه في ثيابه
اي مغشاة بكمه حتى لا يمس يديه بدن اجنبية لتقواه ومشى بها حتى اجلسها
على مجلسه اي على فراشه الذي كان جالسا عليه وجلس بين يديها كما يفعله الصغير
مع الكبير تادبا منه واكراما وتعظيما وما ترك لها حاجة ذكرتها له الا قضاها
ونجزها وكان قال لها ما حاجتك يا فاطمة قالت تحملني الى اخي تجهزها وحملها اليه
فانظر رحمك الله الى الخلفا الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضا الحوايج للناس
والتواضع لهم ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ديوانه الذي رتب فيه
الوظايف للناس وهذا ايضا رواه الترمذي وحسنه فلما عين من بيت المال لهم
فرض لابنه عبد الله وظيفة في ثلاثة الاف اي في الطبقة التي واحد منها ثلاثة
الاف في السنة وفرض لاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسماية فجعل وظيفته من
بيت المال في رتبة اعلى من ابنه عبد الله قال جواب لما عبد الله ابنه لابيه عمر رضي
الله عنه لم فضلته علي بزيادة عطايه فوالله ما سبقني الى مشهد اي محل
شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التي ترتب الوظايف بقدرها وبالتقدم
فيها فقال عمر له اي لابنه مجيبا له لان زيدا اباه احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابيك يعني نفسه فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لا لسبقه
لك وهي مما يقتضي التقديم وزيادة التكريم وهذا ايضا انه تواضع منه لمحبة
لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو احب الى رسول الله لحديث عمرو
ابن العاص قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك قال عايشة قلت من الرجال
قال ابوها قلت ثم من قال عمر ولكن ان تقول الاحبية تختلف فاسامة رضي
الله عنه احبيته لكونه من خدمته المقربين له فلا ينافي كون عمر احب اليه من
غيره لكن الوجه فاتر القرب منه على غيره ثم ان ما ذكره من الفرض المذكور
يخالفه ما في الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة الاف ولابنه ثلاثة الاف
لكنه لا ينافي المقصود من القصة وهذا كله من الغنايم كما فصلوه فاترت
اي اخترت وقدمت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي بضم الحا
فيهما اي محبته او بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبي وبلغ معاوية بن ابي
سفيان رضي الله عنهما فيما رواه ابن عساكر ان كابس بن ربيعة بن مالك بن
لؤي الشامي البصري بسين مهملة من بني سامة بن لوي وكابس بكاف وبا
موحدة بعد الالف وسين مهملة وما قيل من انه بمثناة تحتية وانه صح
في نسخة العرقي تلميذ المص تصحيف من ناقله وقول القرطبي ان المحفوظ فيه
عابس المهملة خلافه يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم بنوع من
الشبه واين الثريا من الثرى فلما دخل عليه من باب الدار العادة على مقدر

قلت

اي وجهه له من احضره فلما دخل باب داره قام عن سريره فمشى له وتلقاه وقبل بين عينيه تكريما لمشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انس بن مالك اذا راه بكى لتذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم واقطعه المرغاب اسم ارض بمرو الشاهجان او قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة والف وبا موحدة قبلهما را مهملة والاقطاع ان يعوض اليه ارضا بتمليك ونحوه ويسوغه لمن هو اهل له وفي شرح احكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة وما في القاموس مما يقتضي ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله اهل اللغة كابي عبيد في معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو والشاهجان وبلدة بهراة وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى وقوله لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلق بما قبله جميعه اي كل ما فعله معاوية رضي الله عنه معه من تعظيمه له لمشابهته له صلى الله عليه وسلم والصورة ظاهر الوجه وهيئة الانسان وصفته وصورة مضاف لما بعده مفعول او منصوب منون تمييز للنسبة وروي انما كان هو ابن انس الامام المعروف لما ضربه الامير جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجعفر هذا كان واليا على المدينة من قبل عمه المنصور وكان منه ما نال من تجريده من ثيابه واهانته وسبه وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان في بيعة الخلفا ليست لازمة لان الناس مكرهون فيها فغضب لذلك ودعاه فحصل منه ما لا خير فيه وحمل لمنزله مغشيا عليه من الضرب وانه مد يده حتى خلعت من كتفه دخل عليه الناس حوله لما افاق من غشيه فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي اي الامر بضربي ومن باشره في حل بكسر الحا لغة هو في حل من كذا اذا ابراه منه من عهدته قيل لمالك بعد ذلك عن وجه ما قاله واسقاطه حقه فقال اني خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم في الدار الاخرة فاستحيي منه لما يلحقني من الخجل منه خوفا ان يدخل بعض اله من اقربايه النار بسبب جزاله على ما فعله لان حق العبد لا يسقط الا برضاه فاذا لم يرض يعذبه الله عدلا منه فلذا حاله حذرا من ذلك ولذا جزم بذلك واحتمال ارضا الله له وعفوه امر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل ولله در الامام النووي رحمه الله في قوله

من نال مني او علقت بذمته • ابرانه لله شاكر منته
والله ما طالبت عبدا بعيبه • ولين طلبت رجوت واسع رحمته
الرى معرق مومن يوم الجزا • او ان اسوء محمدا في امته

وقيل ان المنصور الخليفة العباسي المشهور اقاده من جعفر اي امر ان يقتص لمالك من جعفر فيضرب كما ضربه وسياتي كلام في قصاص الضرب فقال اعوذ بالله والتجي اليه في الاعانة على عدم ما اريد وهو عبارة في العرف عند عدم الرضا والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي في حال الضرب الا وقد جعلته في حل وابراته ذمته منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تكريما له

لتعظيمه

ابن العربي

لتعظيمه ومحبته وقال ابو بكر بن عياش بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية واخره شين معجمة ابن سالم الازدي المقري احد الاعلام اختلف في اسمه فقيل شعبة وقيل اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في جمادى الاولى وعمره ست وتسعون سنة لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي في حاجة اقدم عليا لبدات بحاجة علي قبلهما وقدمته عليهما وهما ما هما ايثارا له عليهما لقرابته وفي نسخة لقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة قربه وصهارته فتقدمه ذاتي وعرضي وقربها منه لا يمنعه ولان اخر من السما الى الارض هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده اشد عليه من ان يرفع الى السما ويرمى به منها الى الارض فينقطع وتنكسر جميع اعضايه واخر صعقا اسقط احب الي من ان اقدمه عليهما يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمي بافضليتهما عليه وانما قدمته لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

ولاجل عين الف عين تكرم • فهو كلام تقدم كما اشرنا اليه وقيل لابن عباس كما رواه ابو داود والترمذي وحسنه ماتت فلانة كناية عن امراة معينة كما يبينه بقوله لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعينوها وقيل هي ميمونة وقيل زينب فسجد فقيل له اتسجد في هذه الساعة اي في مثل هذه الساعة التي اخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود انما يكون لشكر ونحوه فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا اي امرا عظيما فيه عبرة كالكسوف والخسوف وجزم بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهي اخر زوجاته صلى الله عليه وسلم موتا وفي انقراضهن يخشى رفع الرحمة من الارض وغضب الله على اهلها وفي السجود والصلاة تذلل يرفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم الصلاة للخسوف والزلزلة واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وغلق بابه فانه امر عظيم يورث حزنا واسفا وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها فاقتديا به واحبا ما احب واسمها بركة بنت حفص بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمان ابن عمرو بن النعمان كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له اسامة وهاجرت الهجرتين وكانت الت اليه من ابيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويحب زوجها وابنها ويقول هي امي بعد امي فلذا كان يزورها ويصلها وكانت تحبه وتحضنه وامنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لان امه ذهبت به لاخواله بني النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم فكان اليهود يختلفون اليه وينظرونه فسمعتهم ام ايمن يقولون هذا نبي هذه الامة فوقر ذلك في قلبها فهي اول من امن به صلى الله عليه وسلم ثم رجعت به امه فماتت بالابوا وقبرها هناك فحضنته ام ايمن ولما وردت حليمة السعدية من بني سعد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهي امه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد رحمه الله بسط لها رداه للجلوس

عليه اكرامًا لها ولحق امومة الرضاع وقضى حاجتها التي سالته فضاها فلما توفي
صلى الله عليه وسلم وفدت اي جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد على ابي بكر وعمر
في خلافتهما الحاجة لها فصنعا لها مثل ذلك اي بسطا رداءهما لها واكرماها وقضيا
حاجتها تاسيا به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احب واعترض عليه البرهان وقال
ان التي قدمت عليه صلى الله عليه وسلم انما هي بنته حليمة المسماة بالشيما وهي
التي اسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطي رحمه الله وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك
مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة والحاصل كما تقدم
انهم اختلفوا في اسلامها وانها صحابية فانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها
الشيما فانها اسلمت وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم
يوم حنين فبسط لها رداءه وانه روي عنها حديث ورد بانه لم يصح والتي اتته
بنتها الشيما بنت الحارث كما مر واسمها حذافة واما هي فاتته صلى الله عليه وسلم
زمن خديجة فاعطاها اربعين شاة وجملا وانصرفت اهلها ولم يذكر اسلامها
الا ان ابن عبد البر اثبته وعدها في الصحابة وقال هي التي اتته بحنين
وروى عنها عبد الله بن جعفر وذكر في الوفا انها اسلمت هي وزوجها وبنتها
وكفى بهذا مستندا للمص رحمه الله فالمخطي له مخطي والشاهد فيما ذكر لما
نحن فيه ان ابا بكر اكرمها وعظمها اقتدا به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احبه
وهي في حكم آل بيته لانها امه من الرضاعة وهي في حكم القرابة وهذا مع ظهوره
لم يفهمه من قال معترضا على المص ان هذه القصة لا مدخل لها في هذا الفصل
لانه معقود لتوقير آله واصحابه تكريما له وتعظيما وهذا انما هو من قبل تعظيم
النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لغيره وهذه غفلة منه عجيبة

فصل ومن توقيره

صلى الله عليه وسلم وبره توقير بتعظيم وبره مضاف الى المفعول بمعنى
الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته توقير اصحابه وبرهم اي تعظيمهم
والاحسان اليهم بحوالاتهم ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فانه من اكرم
عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من راه صلى
الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله في كتب الحديث والاصول
ومعرفة حقهم اي ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم
في منزلته اللائقة به وليس المراد مجرد المعرفة حتى يقال ينبغي ان يقول القيام
بها لان ثمرة العلم العمل ولذا عطف عليه قوله والاقتدا بهم اي اتباع اقوالهم
وافعالهم فانهم على هدى اضاءت في مشكاتهم الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم
افضل من مجموع من بعدهم واما كون كل فرد منهم افضل من كل فرد من غيرهم
فصرحوا بانه لا يلزم فقد يكون بعض التابعين افضل من بعض الصحابة واستدل
بحديث امتي كالمطر لا يدري الخير في اوله ام اخره والمشاحة فيه بانه باعتبار النفع
لا الفضيلة غير مسلمة وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم وحسن

الثنا

الثناعليهم اذا ذكروا ومدحوا والاستغفار لهم اي الدعا لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم
الله ورضي عنهم والامساك اي السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار
حقيقة فيه عما اي عن كل امر شجر بينهم اي وقع فيه خلاف ونزاع ماخوذ من الشجر المختلف
المتداخل اغصانه بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي ومعاداة من
عاداهم كالخوارج والرفضة والاضراب اي الترك والاعراض عن اخبار المؤرخين
التي نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه وجهلة الرواة الذين
رووا قصصا باطلة تؤدي لسوء الظن بهم وضلال الشيعة بفتح الضاد المعجمة
وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة
شايعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا ان الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم
وهو من اضافة الصفة للموصوف اي الشيعة والصفة كاشفة معرفة لا مقيدة
حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة او هي مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه
اعني قوله والمبتدعين فان البدعة على اقسام كما تقدم والمراد ابتداع العقايد
الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة وقوله القادحة صفة اخبار والقدح الذم
والتنقيص بذكر ما يودي اليه في احد منهم اي من الصحابة وان يلتمس لهم اي يطلب
لهم واصله ادراك ظاهر البشرة كاللمس فعبر به عن مطلق الطلب فيما نقل من مثل ذلك
الامر المنقول عنهم في الاخبار المروية فيما كان بينهم من الفتن كما وقع بين علي
ومعاوية رضي الله عنهما احسن التاويلات والمحامل لانها امور وقعت باجتهاد
منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة ويخرج بضم اوله
مجهول كقوله يلتمس المتقدم ايضا اصوب المخارج بان يحمله على امر محمود وتاوله
بما يخرجه عن عده من المعايب الى الحاقه بالمحاسن اذ هم اهل ذلك اي مستحقون
بان يحمل ما صدر منهم على امور حسنة محمودة ولا يذكر مبني للمجهول احد منهم
بسوء اي بامر قبيح ولا يغمض عليه امر بضم اليا التحتية وسكون الغين المعجمة
وميم مفتوحة وصاد مهملة مبني للمجهول اي لا يعاب ولا ينقص في امر من اموره
يقال غمصه اذا احتقره وتهاون به ونحوه فيه ايضا اغمض صاده من اغمض الجفن
اذا اطبقه بعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتساهل قال تعالى الا ان تغمضوا
فيه فالمعنى لا يحتقر والاول اولى رواية ودراية بل يذكر حسناتهم المروية
عنهم من عباداتهم وزهدهم وفضايلهم الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم وحميد
سيرهم من انصافهم وعدلهم واصابة رايهم وعلو هممهم ويسكت مجهول
عما وراء ذلك اي عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم كما قال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الطبراني وابو اسامة عن ابن مسعود اذا ذكر اصحابي فذكروا لهم
فامسكوا عن الطعن فيهم وذكرهم بما يوهم نقصا فيهم وقال تعالى محمد
رسول الله والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم الى اخر السورة فتضمن
خاتمة سورة الفتح الثنا عليهم كلهم وان الله وعدهم بمغفرته واجر عظيم منه
فانهم من ابتدا امرهم الى اخره نفع وخير كزرع تكامل شيا فشيا حتى تمت سنابله
وعم نفعه والاية وما فيها من التناسب قد كفينا مؤنته هنا والذي يراد

مهاهنا ان من مدحه الله وبالغ في مدحه في كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف
يقدح فيه بقدح قادح لكني اقول اعمى النصابي بربا لتكحل يذهب وقال الله عز وجل
في حقهم ايضا والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية وفي هذه الاية مدح
عظيم ايضا لهم ووعد عظيم بما لهم في العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون
الاولون الذين صلوا للقبلتين وشهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة الثانية
السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار اصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة
الذين اتبعوا هولا باحسان وهم اللاحقون بالسابقين من اهل القبلتين وشمل
هولا كلهم الثنا والوعد وقد قسموا اقساما اخر ليس هذا محل تفصيلها وقال
تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهذه قصة الحديبية
وما وقع فيها مما يغني شهرته عن ذكره وقال تعالى من المومنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الاية هذه الاية قدمنا انها نزلت في ناس من الصحابة منهم
انس بن النضر عم انس بن مالك كان لم يشهد بدرا فكبر عليه ذلك فقال اول مشهد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه والله لين اراني الله مشهدا بعده
ليرين الله ما اصنع فلما كانت وقعة احد من العام القابل قاتل فيها حتى قتل
ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبيد الله كما تقدم حدثنا القاضي ابو علي
هو ابن سكرة كما تقدم قال حدثنا ابو الحسين تقدم ايضا وابو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا ابو يعلى احمد بن عبد الواحد البغدادي وقد تقدم قال حدثنا ابو علي
السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب المعروف بالمحبوبي كما تقدم قال حدثنا الترمذي
الحافظ ابو عيسى صاحب السنن قال حدثنا الحسن بن الصباح هو البزار براء مهملة في آخره
كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح ابو علي الزعفراني قال حدثنا سفيان بن عيينة
تقدم ايضا عن زايدة بن قدامة ابو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة
توفي غازيا بالروم سنة ستين او احدى وستين ومائة واخرج له الستة عن عبد
الملك بن عمير الكوفي التابعي روى عنه الستة توفي سنة ست وثلاثين ومائة
عن ربعي بكسر الرا المهملة وسكون الموحدة ابن حراش بكسر الحا وفتح الرا المهملتين
وآخره شين معجمة وما عداه خراش بخا معجمة وهو ابو مريم العبسي عن حذيفة
ابن اليمان باثبات اليا وهو الافصح وبحذفها وهو الاشهر الصحابي المشهور رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي
وابن ماجه اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر ارادبهم الخلفا الراشدين مطلقا
وخص منهما ابا بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وهذا الحديث اخرجه
الحاكم وابن حبان ايضا وفي طرقه اختلاف بزيادة ونحوها واوله قال حذيفة رضي
الله عنه كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فقال اني لا ادري ما بقاي فيكم
فاقتدوا بالذين من بعدي واشار الى ابي بكر وعمر واخرجه القضاعي بلفظ اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد
تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام لها والمراد الاقتدا بهما اذا قاما مقامه
في الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابي حجة مقدمة على

القياس ومنهم من خصه بابي بكر وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل في كتب الاصول
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر رواه الدارقطني وابن عبد البر في العلم من طرق
اسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ العراقي كان ينبغي
للمص ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس بوارد لان المص ساقه في فضل
الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضايل الاعمال وفضايل
الرجال لا وجه له لان قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فيه العمل
بما فعلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضايل التي يجوز فيها العمل
بالضعيف فلو قال انه بمعنى الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا ساقه
بعده كالمتابعة له ولذا جزم به كان اقوى واحسن مما قاله وقال ابن الرومي رحمه
الله تعالى

قوم اذا دجت الخطوب فانما ... اراوهم في الحادثات نجوم
منها مصابيح في الدجى ومعالم ... فيها الهدى والاخريات رجوم

وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المص بقوله وقال فوجه التنبيه
ما ذكر مع العلو والشرف وعن انس بن مالك فيما رواه البزار وابو يعلى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام اي فيما
يطبخ ويوكل مما يعتاد اصلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان من كثير الملح واصلح
قليله ولذا وقع توهم ضرر كثرتهم قال لا يصلح الطعام الا به المفاعل ويجوز
بنا فيه للمفعول ايضا الا به اي بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن ابي حاتم
وغيره من طرق مختلفة وقال الحسن البصري قد ذهب ملحنا فكيف يصلح واصلا
بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر
وخلافتهم وبيان الشريعة وامور الدين فعلينا باتباعهم واقتفا اثارهم ومن
اشراط الساعة فساد العلما كما قيل

بالملح يصلح ما يرجى تغيره ... فكيف بالملح ان حلت به الغير

قيل فيه دقيقة وهي الاشارة الى الاعتدال وانهم امة وسط ولا يخفى بعده
ولو قيل انه اشارة الى قلتهم وسرعة انقراضهم كان اظهر فتامل وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث تقدم الله الله في اصحابي اي اتقوا الله فيهم وكرره للحث
والتاكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير مقامه ولولا
حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولي انه يجوز مع
فتحه لا تتخذوهم غرضا بعدي الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض
الهدف الذي يرمى بالسهام والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد امور
قبيحة لهم فمن احبهم وصان اعراضهم فبحبي احبهم اي فانما يحبهم لاجل
محبتي لهم لمحبتهم عين محبتي وبرهم بري ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله اذية الله عبارة عن فعل
ما لا يرضاه اذ معناها الحقيقي لا يتصور في حقه تعالى فهو مشاكلة ومن
اذى الله يوشك بكسر الشين وقد تفتح بمعنى يقرب ويسرع ان ياخذه

ابن اقبرس

جمع

ابن اقبرس

اي يهلكه ويستاصله بعذابه ويوشك بجوز رفعه وجزمه لان من شرطية او موصولة
وروا في المصابيح فيوشك بالفا والرفع بتقدير مبتدا وهو مستانف دليل على
الجواب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره لا تسبوا اصحابي
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا وفي بعض الروايات من طريق ابي بكر بن عياش
زيادة كل يوم واحد اسم جبل معروف اي لو بذل في سبيل الله مقدار وزنه ذهبا
ما بلغ اي ما وصل وساوى ثوابه ثواب مد احدهم ولا نصيفه الذي يتصدق
به من تمر او شعير او قمح ونحوه ففيه من المبالغة ما لا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع
وهو اقل ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان
عند ابي حنيفة وروي مد بفتح الميم اي مداه وغايته كمد البصر ومداه والنصيف
بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه اربع لغات نصف بكسر النون
وضمها وفتحها ونصيف بزيادة ياء لغة في النصيف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف
مكيال دون المد اي اعطى مدا فتكم وانفاقكم لا يبلغ اجره وموقعه عند الله
افل مد فنهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم بدون ريا منهم وقد انفقوا رضي
الله عنهم وهم في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دائرة عليهم
مع شدة الحاجة لما انفقوه في اول ظهور الاسلام وقتال اعدا الدين مع
بذلهم اهلهم وارواحهم في سبيل الله كما قيل

رايت عبيد الله اكرم من مشى ... واكرم من فضل بن يحيى بن خالد
اولئك جادوا والزمان مساعد ... وقد جاد ذا والدهر غير مساعد
ولهيا رحدث وقادا والزمان هازل ... وجاد عفوا والزمان جامد

والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل او المراد
بالصحابة هنا السابقون الاولون منهم كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة الاية والاصحاب جماعة مخصوصون
منهم واختلف في حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله او كفر فيقتل
وسياتي تفصيله اخر الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي
وابو نعيم في الحلية عن جابر رضي الله عنه من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله ولهذا
تمسك من قال بكفره وقتله ومثله كثير في احاديث التهديد والتخويف حتى
لا يتجرا عليه احد من الناس لا يقبل منه اي ممن سبهم صرفا ولا عدلا وفي
تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الامور وقيل التطوع
وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ما ذكر فيه وقيل الزيادة
والعدل قيل الفرض وقيل الفدية وقيل الكيل وقيل المثل وقيل الفضل
قال النووي ومعنى الفدية انه لا يجد في يوم القيامة من يفتدي به قال بعض
المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد في الحديث وقال صلى الله عليه
وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا اي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك ولا
تخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه وقال صلى الله عليه وسلم

في حديث جابر رضي الله عنه الذي رواه البزار والديلمي عنه صلى الله عليه وسلم
ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين اي فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه
بعد ولا انقيا كلهم سوى الانبيا والمرسلين فانهم افضل منهم واختار لي منهم
اي من اصحابي وفضلهم على غيرهم من الصحابة اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وقد
روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم راى ابا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر
ثم فسر اختياره لهم بقوله فجعلهم خير اصحابي وافضلهم وفي اصحابي كلهم خير اي فضل
وتقوى فكلهم علماء عدول كما في حديث خير القرون قرني ثم وثم وهذا سبب ما حكاه
امام الحرمين رحمه الله من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز
الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما اوجب القطع
بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما لعلوه من الهجرة وترك الاهل
والاوطان وبذل النفوس والاموال في نصرة الدين وقتل الاباء والابناء والمناصحة
في الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الطبراني في اوسطه بسند حسن من احب عمر فقد احبني
ومن ابغض عمر فقد ابغضني خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على امور الدين
التي قد تورث حزازة في بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على ابي
بكر رضي الله عنه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه بغضا له
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه وارتضاه وقدمه فعلم ان بغضه
يفضي الى عدم ارتضا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل

من المرء لا تسال وسل عن قرينه

نكتة

من خصائص ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما جليساه وضجيعاه صلى الله عليه وسلم في حياته
ومماته وقد ورد في حديث ان كل واحد يدفن في تربته التي خلق منها وهو يدل
على انهما خلقا من طينة واحدة وكفى بهذه المنقبة شرفا اعظم منها وقال
الامام مالك بن انس شيخ السنة وامام دار الهجرة وغيره من الايمة اشارة الى
انه رحمه الله لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبقه له ابن عباس كما نقله ابن تيمية
في كتاب رد الرافضي من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق الفيء
ما اخذ غنيمة من الكفار وهو مرصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على
ما فعل وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية
بقتله ان لم يتب كما سياتي والفيء هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على
الاخر وان فرق بينهما الفقها واهل اللغة وقد قال مشايخنا في هذا ونحوه انه
كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته
من شيخنا الفيروزابادي ونزع بنون وزاي معجمة وعين مهملة مبني للفاعل
ويجوز جعله مبنيا للمجهول ايضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر او ضمير مالك
وغيره وعلى الثاني نايب فاعله باية سورة الحشر وقيل ضمير من ابغضهم وفيه
نظر وفسر نزع بمعنى استدل واستخرج من الاية وسياتي في اخر الكتاب قال مالك
من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق

انهم خلقوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اب افترس دلجي

فقد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقرا المهاجرين الاية الخ فمن نقصهم
فلا حق له في الاسلام وعطف سبهم على بغض عطف تفسيري لان البغض امر
قلبي لا يطلع عليه وهذا اقوي امارانه فلا يرد عليه ان تعليق الحكم بما يقتضي
انه لا يكفي احدهما وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع ببعد عن الايمان
بشهادة حديث الله الله في اصحابي الخ لم يصب واصل معنى النزع القلع
والخروج فيحوز به عما مر فليس من النزوع عن الاوطان والتغرب كما توهمه
هذا القايل والاية المذكورة هي قوله تعالى وما افا الله على رسوله الى
قوله والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك روف رحيم ووجه
الاستدلال بالاية انه جعل ما افا الله على رسوله حقا للفقرا المهاجرين
والفقرا الذين تبوؤا الدار والايمان والفقرا الذين جاوا من بعدهم
مهاجرين من بعد ما قوي الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن امن بعد
المهاجرين والانصار الى اخر الزمان وجملة يقولون الخ حال اي قايلين
ربنا اغفر لنا ولاخواننا وهي حال مقيدة تجعل شرطا استحقاقهم قولهم ذلك
ومن لم يسبهم لم يقل ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم
لا غل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
وسيذكره المص في اخر الكتاب برواية بين ان هذا يقتضي كفرهم والكفار
لاحق لهم في الفيء فلذا قال وقال مالك بن انس رحمه الله من غاظه
بظا مشالة فيه وبالضاد ايضا وهو لغة فيه لا ابدال واختلف في الغيظ
والغضب هل هما بمعنى او الغيظ اشد الغضب والكمين في النفس او الغضب
للقادر والغيظ للعاجز اي من اغتاظ واحتد اذا ذكر اصحاب محمد عنده
فهو كافر لان من ابغضهم فقد ابغضه صلى الله عليه وسلم وبغضه كفر
وهذا رواه الخطيب البغدادي عن عروة الزبيري قال كنا عند مالك بن انس
فذكر عنده رجل انتقص الصحابة فتلا قوله تعالى محمد رسول الله والذين
معه اشدا على الكفار الخ وقال من اصبح في قلبه غيظ على اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية لانها صدرت بلام التعليل فهي اما علة
لما قبلها من تشبيههم بالزرع في النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم
بذلك ليغيظهم قال تعالى ليغيظ بهم الكفار فالمؤمن لا يكون عنده غيظ
منهم او علة لقوله بعده وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم
فانما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم فالحاصل انه لا يغيظ باصحابه
مؤمنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما ادى اليه اجتهاده وقال
عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا من كل امر يشينه ويغضبه
عند الله الصدق بان يتحرى الصدق في جميع اقواله حتى يكون عند الله
صديقا وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى
يقدمهم على نفسه واهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث

رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر
يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى
الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا
وقد روي من طريق اخر بمعناه وترتب النجاة على ما ذكر سر من اسرار الله يطلع الله
عليه من شاء من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به وقال ايوب السختياني
التابعي المشهور من احب ابا بكر فقد اقام الدين لان الدين استقام به في صحبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اول البعثة وفي اول الهجرة وفي قيامه مقامه
صلى الله عليه وسلم بعده ووفاته وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم وقام النفاق
والفرج الخلاف بين العود والعمل وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال هاضها
فحمل اعبا الخلافة حتى قرر الدين وقام به ومن احب احدا كان معه وتخلق باخلاقه
ومن احب عمر فقد اوضح السبيل اي بين طريق الحق لمن اراد سلوك الطريق المستقيم
لانه بعده صلى الله عليه وسلم اظهر الدين واقام به الاقطار وفتح الامصار وقضى لاهله
الاوطار فتتابع الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام اقصى الارض كما في حديث الشيخين
هذا بينا انا نايم رايتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها
ابن ابي قحافة فنزع بها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له
ثم استحالت غربا اي دلوا كبيرا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس
ينزع نزع عمر وفي رواية فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس
بعطن وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته في الاسلام ومن احب
عثمان فقد استضا بنور الله الذي اظهره الله فيه ولذا لقب بذي النورين
لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به حتى
لقي الله وهو عليه راض وكان اشد الناس حيا ومن احب عليا فقد اخذ
بالعروة الوثقى اي تمسك بها لكونه عالما بعلم الحقيقة وقايما بالذب
عن حوزة الدين لا يلحقه في الله لومة لايم وهو باب مدينة العلم فمن احبه
مستمسك بالعروة الوثقى اي بالحق والراي القويم الذي هو عروة
لا تنفصم وهي استعارة مصرحة من عروة الكلا وهو ما له اصل ثابت
واطراف لا تنقطع اذا سقطت الاوراق ومن احسن الثنا بمدح ناش عن محبة
خالصة فان الظاهر عنوان الباطن على اصحاب محمد تعميم بعد التخصيص
فقد بري اي اسلم وتخلص من النفاق المراد به معناه العرفي وهو مخالفة
الظاهر للباطن مطلقا واصله اخفا الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان
يراد هذا والمراد بالثنا ثنا من غير غلو كغلو الشيعة ومن انتقص اي نقص
واحدا منهم بذمه وذكر ما يشينه فهو مبتدع لمخالفته السنة واتيانه
ما نهى الله عنه ورسوله وفي نسخة البغض ثم فسر المبتدع بقوله مخالف
للسنة اي لهديه وطريقته صلى الله عليه وسلم في جميع اقواله وافعاله
والسلف الصالح من الصحابة والتابعين واخاف اي اظن او اعلم انه لا
يصعد له عمل من اعماله الصالحة اي لا يقبله الله منه ولا يثيبه عليه ويرفع

الاعمال بعبر به عما ذكر وليس الخوف هنا بمعناه الحقيقي وهو ضد الامن لعدم
مناسبته هنا قال الراغب الخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة
وفسر قوله تعالى ان خفتم شقاق بينهما بعرفتم انتهى الى انتما لعدم تمسكه
بالكتاب والسنة حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما من بغضهم مقتديا
بالسلف الصالح وفي حديث خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس
الصحابي وهو ثالث او رابع او خامس من اسلم وسبق غيره ويقال اسلم قبل
الصديق ويقال اسلم قبل علي وليس في الصحابة من اسمه خالد بن سعيد
غيره ولم يرو عنه حديث في الكتب الستة وهذا الحديث ولا في مسند احمد ولا
في مسند بقي بن مخلد وهذا الحديث رواه الطبراني وابن منده وما ذكره
المص تبعه البرهان الحلبي وقال غيره انه خالد بن عمرو بن سعيد فسعيد
جده وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وذكر سبب اسلامه في واقعة راها
وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم تشتهر عنه الرواية فالحديث
مرسل والا فمتصل والظاهر هو المتقدم واول هذا الحديث انه صلى الله عليه
وسلم لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك اي رضاي عنه في صحبته له
وانه لم يال جهدا في خدمته ولم يفارقه في حياته ومماته ولم ير منه الا
ما يسره وفي تقديمه وافراده له بالذكر وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل
على خلافته له وفضله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الا عند من ختم الله
على قلبه وسمعه وسياتي انه من انكر خلافة ابي بكر يبدع ولا يكفر ومن سب
احدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والا كفر ايها الناس اني راض عن عمر وعن
عثمان وعن علي وعن طلحة والزبير بن العوام رضي الله عنهم وسعد بن ابي
وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف الزهري
فاعرفوا ذلك لهم اي كوني راضيا عنهم والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم
وتوقيرهم ومحبتهم والوا ولا تدل على الترتيب وان كان اهل السنة على تقديم
ابي بكر ثم عمر بالاتفاق واختلفوا في عثمان وعلي ايهما افضل والمشهور
تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف في ايهما الافضل فان
هذه المسئلة غير قطعية عندهم لكن الذي عليه اعتقاد السلف الصالح
واعتقادنا ما ذكر وبقية الصحابة لم يتفقوا على شيء فيهم ولم يذكر عاشرهم
وهو ابو عبيدة بن الجراح لدخوله في الصحابة وشهرته ايها الناس ان الله
قد غفر لاهل بدر كلهم جميع ما صدر منهم لحضورهم اول مشهد اعز الله به
الاسلام والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سمي باسم رجل حفر بيرها كما
تقدم واهل الحديبية بتشديد اليا وتخفيفها وهي اسم مكان قريب من مكة
من الحرم او خارجه او بعضه منه اقوال وفيه الشجرة التي كان تحتها بيعة
الرضوان وقصتها معروفة في السير وقد تقدم ذكرها ايها الناس احفظوني
اي احفظوا حقي وقدري برعاية ما يجب منه كما تقدم تفضيله في اصحابي

اي

اي وحفظ حقي بينهم كيتحقق بحفظ اصحابي ومحبتهم وتوقيرهم فان من بغضهم بغضني
ولم يحفظني ثم خص بعد التعميم احتياطا وحثا بقوله واصهاري واختاني الاصهار
جمع صهر بكسر فسكون قال الجوهري هو اهل المراة عن الخليل قال ومن العرب من
يجعل الصهر من الاحما والاختان جميعا والختن بفتحتين واحد الاختان كل من كان
من قبل المراة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته وكل شي من قبل
الزوج فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما هنا من بينه صلى الله عليه وسلم
وبينه علاقة بسببية من زوجة او التزوج منه لا يطالبنكم معاشر الناس اجمعين
احد منهم اي من المذكورين من اصحابي واتباعي اي لا يكون لاحد منهم عليكم حق
يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم وهو معنى قوله بمظلمة بكسر اللام
وفتحها وهي ما يوخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشكى من اخذه والكسر
فيها اكثر واشهر فانها مظلمة اي حق للعبد اخذ منه ظلما لا توهب في القيامة
غدا اي لا يهبها الله لانها حق العبد فالم يرض صاحبها لا تترك وقوله غدا
اشارة الى قرب اليوم الذي يواخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا وقاله
رجل للمعافا بفتح الفا والعفراب عمران ابو مسعود الازدي الموصلي
احد الاعلام من المحدثين كان يقال له ياقوتة العلما توفي سنة خمس وثما
ومائة واخرج له البخاري وغيره والقايل له لا بعض ابن عمر بن عبد العزيز
الخليفة العابد الزاهد العادل من معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما
اي ايهما افضل وخصهما بالسوال لانهما امويان فابى ان يذهب الى
الفرق بينهما فغضب على السائل لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز
نظرا لظاهر الحال وقال لا يقاس اي لا يستوي فضلا عن التفضيل باصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم احد وفي لفظ على اصحاب النبي وقاس يتعدى
بالبا وعلى وقد يعدى بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبي

بمن تضرب الامثال ام من اقيسه . اليك واهل الدهر دونك والدهر

ثم اشار لفضل معاوية على غيره بقوله معاوية صاحبه صلى الله عليه وسلم
وصهره لانه اخو زوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان ام المومنين رضي الله عنهم
وكاتبه لما ثبت من انه احد كتابه صلى الله عليه وسلم وامينه على وحيه
لانه تقدم انه استكتبه كان يكتب ما ينزل عليه من الوحي ولولم يستامنه
صلى الله عليه وسلم ما استكتبه الوحي وكفاك بهذه منقبة لم يصل اليها
عمر بن عبد العزيز واضرابه وانتشر ان صح عنه يرد ما قيل ان معاوية لم يكتب
له صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحي وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف
ولم يذكر فضل معاوية بقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان عمر بن عبد العزيز شاركه في ذلك وروي ان عمر سمع مثله فقال لغبار غزوة
غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر وال عمر

وفي الطاعن في معاوية ما قيل

ومن يكن يطعن في معاوية . فذاك كلب من كلاب الهاويه

وروى الترمذي عن جابر وضعفه انه قال اتي بالبنا المقطوع البني صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل بفتح الجيم وكسرها الميت وبعضهم اوجعوا لعوق وكذا لعن وقد يعكس فلم يصل عليه وقال كان هذا الميت يبغض عثمان فابغضه الله قلنا الم يصل عليه لان صلاته على الميت دعا له وشفاعة له وهو من ذلك والعياذ بالله وفي نسخة بدل ما ذكر فابغضه الله هو خبر او دعا عليه وليس في الحديث انه صلى الله عليه وسلم نهي عن الصلاة عليه حتى يقتضي كفره كما توهم لجواز ان لا يصلي هو ويصلي غيره كما في المديون والبغض لا يقتضي الكفر وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في الانصار اي في حقهم والوصية بهم وقيل في شانهم وفضلهم اعفوا عن مسيئهم واقبلوا اي ما وقع منه اسائة تما واقبلوا من محسنهم كل ما احسنوه فحذف مفعوله تعميما وفي البخاري اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي ما فرط منه من زلة والانصار اسم حدث لهم في الاسلام وهم الاوس والخزرج والتجاوز عن مسيئهم في غير الحدود وحقوق الناس وتمام بعض من الحديث الذي رواه الشيخان وفي البخاري عن انس بن مالك ان ابا بكر والعباس رضي الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون في مرضه صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلسه صلى الله عليه وسلم منا قد خلا عنه صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فخرج وقد عصب على راسه حاشية برد فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش يجمع الغذا الذي به حياة الحيوان وغاؤه ويقال لفلان كرش منثورة اي عيال كثيرة والعيبة بفتح العين المهملة ما يحرز فيه المتاع يريد صلى الله عليه وسلم بذلك انهم موضع سره وامانته قال ابن دريد وهو من موجز الكلام الذي لم يسبق اليه صلى الله عليه وسلم وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة مستودع الثياب والاول امر باطن والثاني ظاهر فضربه مثلا لاختصاصهم باموره الباطنة والظاهرة وهو تشبيه بليغ او استعارة واراد صلى الله عليه وسلم بما عليهم نصرته وقضاما تابعوه عليه وما لهم الجزا في الدنيا والاخرة وقد علمت ان معفو وتجاوزوا عن مسيئهم اي في غير الحدود وحقوق الادميين وهذا ايضا محل الخبر الصحيح اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ومن ثم ورد في رواية الا في الحدود وفسرهما الشافعي بانهم الذين لا يعرفون بالشر ويقرب منه قول غيره هم اصحاب الصغاير دون الكبائر وقيل من اذا اذنب تاب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو نعيم والديلمي عن عياض الانصاري وابن منيع عن انس رضي الله عنه احفظوني

اخرجه ابن قيوس

في اصحابي

في اصحابي واصهاري تقدم بيانه فانه اي الشان من حفظني فيهم برعاية حقوقهم واكرامهم حفظه الله في الدنيا والاخرة حفظه في الدنيا مما يسوءه والتعلق لترك المعاصي وفي الاخرة من العذاب والعقاب ومن لم يحفظني فيهم بترك ما امر تخلى الله منه اي اعرض عنه وتركه في غيه استدراجا له ومن تخلى الله منه يوشك بسرع ويقرب ان ياخذه اخذ عزيز مقتدر بان يهلكه ويستاصله وهو مستعار من الاخذ المعروف وقوله تخلى الله الخ اخبار عما يقع به وكونه انشا للدعا عليه يا باه السياق فما قيل انه اقرب ليس بشي ولهذه الزيادة ذكر المصنف وان تقدم وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه سعيد بن منصور عن عطا مرسلا من حفظني في اصحابي برعاية حقي فيهم كنت له حافظا يوم القيامة اي مانعا له من هول الحشر وما يسوءه فيه وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه الطبراني بسند ضعيف من حفظني في اصحابي ورد على الحوض اي وصل اليه وشرب منه حتى لا يظما بعده ومن لم يحفظني في اصحابي بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد ولا يقرب منه صلى الله عليه وسلم لان من ابغض اصحابه مقته الله فاستحق الطرد عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله عليه وسلم له وتفوته بركته له وعنايته في مثل ذلك اليوم الشديد الهول قال مالك امام دار الهجرة ونجم السنة رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة الموضوع لانه لحضوره في قلبه وذهنه قدر نفسه كانه بين يديه بمراي منه صلى الله عليه وسلم الذي هدانا الله به لخيري الدنيا والاخرة والمنجي للناس كلهم وجعله رحمة عامة للعالمين وجميع المخلوقين يخرج في جوف الليل اي فيه شبهه بالجوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية الى البقيع اسم موضع بظاهر المدينة واصله اسم كل مكان متسع فيه شجر ويقال له بقيع الغرقد بغين معجمة وهو اسم لنوع من شجر الغضاه كان به ثم زال وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان صلى الله عليه وسلم يخرج له لمناجاة ربه متخليا عن اهله فيدعو لهم اي يدعو لمن بتلك المقبرة منهم ويستغفر لهم اي يدعو لاموالهم واحيائهم بالمغفرة كالمودع لهم كانه يودع من بتلك الجبانة لعلمه صلى الله عليه وسلم بقرب اجله ومفارقة زيارتهم وبذلك امره الله اي امره بان يدعو لامته او لاموالهم ويستغفر لهم وفيه دليل على شدة محبته لهم فيجب علينا اتباعه في ذلك وامر بالتاسي المحمود النبي صلى الله عليه وسلم اي امره الله بحبهم لله وموالاتهم اي معاونتهم ونصرتهم كما امر وابذلك ومعاداة من عاداهم من الكفرة والمنافقين وهو اشارة لما رواه مسلم عن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج في ليلتها اخر الليل الى البقيع ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شا الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وكان ذلك لما خرج خرجة

ابن قيوس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عايشة وراءه مستخفية منه فاحتج صلى الله عليه وسلم بذلك وسالته عما صنع
فقال ان جبريل اتاني وناداني ولم يدخل عليك ولما وظنك خشية ان تستوحشي
فقال ان ربك يامرك ان تاتي اهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف اقول فقال
تقول السلام على اهل الديار من المومنين والمسلمين ويرحم الله عز وجل المستقدمين
منا والمستاخرين وانا بكم ان شا الله لاحقون وهو ما اشار اليه مالك رحمه الله
وقيل انه اشارة الى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم فاذا امر بذلك
فنحن احق به والظاهر ما قدمناه وقال كعب الاحبار التابعي المشهور وهذا
رواه عنه ابن سعد بلفظ ليس من مومن بدل قوله ليس احد من اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة في غيره من المومنين يوم القيامة وهذا
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم فهو مرسل او هو مما قراه في الكتب القديمة
لانه كان عالما بها وفيه تكريم لهم وما يقتضي محبتهم رجا شفاعتهم فيمن احبهم
وطلب اي كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه كان محبا
لهم مترجيا الشفاعتهم رضي الله عنهم من المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد
المطلب بن هاشم القرشي الصحابي ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة قبل الهجرة وكان من انصار علي رضي الله عنه وقيل انه لم يدرك
من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ست سنين وكان قاضيا في
خلافة عثمان وعد من الصحابة وطلب كعب منه ان يشفع له يوم القيامة
يدل عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والحارث
جده لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال التلمساني
نوفل والده هو ابن معاوية بن عروة الدولي من كنانة سمع النبي صلى الله
عليه وسلم ومات في زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله
الواقدي وقال البرهان الحلبي الحارث بن عبد المطلب قال ابن عبد الغني
المقدسي انه لم يدرك الاسلام واسلم من اولاده اربعة نوفل وربيعة
وابو سفيان وعبد الله ونوفل اسن اخوته واسن من اسلم من بني هاشم
ولم يذكر المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم ابي سفيان والصحيح
خلافه وانه غيره ولم يتعقبه بالفتح اليعمري حين ذكره وقال الذهبي في
التجريد ابو سفيان اسمه المغيرة قاله ابن المنذر ولم يتعقبه وقال سهل
ابن عبد الله التستري بتقدم ضبطه لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه
وسلم ايمانا كاملا من لم يوقر اصحابه بتعظيمهم ومحبتهم ولم يعز
من اعزه اذا نصره وقواه او جعله عزيزا مبجلا موقرا معظما اوامره
جمع امر وقد تقدم الكلام عليه قيل وهذا يقتضي ان سب الصحابة
وتنقيصهم كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشي وينبغي ان يقيد
الخلاف بغير من فعل ذلك لهم لكونهم صحابة لا لامر اخر وهو مقتضى
مذهبنا ايضا وفي منظومة ابن وهبان رحمه الله تعالى

اخاف على من قال ابغض عالما ... من الكفر اذ لا مقتضي الكفر يظهر

وسيأتي

وسيأتي تفصيله آخر الكتاب ان شا الله تعالى

فصل ومن اعظامه

واكباره صلى الله عليه وسلم اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره
واجلاله وفي القاموس اعظمه فخمه وكبره واستعظمه رآه عظيما اي من
تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان على المومن اعظام جميع اسبابه وقيل هو
بالمعنى العرفي وهو كل ما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم من فراشه ولباسه مما لا روح
له او له روح كغنمه ودوابه وقال الراغب السبب الحبل الذي يصعد به النخل قال
تعالى فليرتقوا في الاسباب ويسمى كل ما يتوصل به سببا وتسمى العمامة والخمار والثوب
الطويل سببا تشبيها بالحبل في الطول انتهى واكرام مشاهده جمع مشهد وهو محل
الشهود اي الحضور من المشاهدة وهي الادراك بالبصيرة والبصر ومشاهد الحج
مواضع النسك وامكنته جمع مكان عطف تفسير من مكة والمدينة بيان للامكنة
فالمراد به مساكنه ومحل اقامته لا مطلق المكان ومعاهده اي المحال اللاتي عهد
النبي صلى الله عليه وسلم لها كالاساطين التي كان يصلي عندها ومحل صلاته في
المساجد والاماكن المباركة ومنازله وما لمسه بيده او بغيره من اعضائه كالحجر
الاسود والركن اليماني والبيت والملتزم متقاربانه او عرف به كالاماكن التي جاهد
فيها والغار الذي دخله صلى الله عليه وسلم وقد مر ان ابن عمر كان يتحرى الصلاة
والنزول والمرور حيث حل صلى الله عليه وسلم ونزل وما روي عن مالك مما
يخالف ذلك فهو جري على قاعدته في سد الذرايع المتقدمة وكذا ما جاء عن عمر
انه راى الناس في الرجوع من الحج ابتدروا مسجدا فقال ما هذا قالوا مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا اهلك اهل الكتاب قبلكم اتخذوا
اثار الانبيا بيعا من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له فليمض
وكلام المصنف هنا غير موافق لما مر عن مالك لا يقال يمكن حمل كلامه على اكرام ذلك
بغير نحو الصلاة فيه ليوافق ما مر عن امامه لانا نقول ممكن لكنه بعيد من ظاهر
عبارته ويؤيد ظاهرها ان محققهم الشيخ خليل لما قال يستحب زيارة البقيع
ومسجد قبا قيد ذلك بمن كثرت اقامته بالمدينة قال والا فالمقام عنده صلى الله
عليه وسلم احسن لغنيمة مشاهدته ثم نقل عن العارف ابن ابي جمرة انه
من حين دخل المسجد ما جلس الا للصلاة حتى رحل الركب ولم يخرج للبقيع
ولا غيره ولما خوطب له ذلك قال هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين
والمتضرعين وليس ثم من يقصد مثله وروي عن صفية بنت نجدة في [illegible]
التلمسانية ان هذه المراة زوجة ابي محذورة الا في ذكره وقد روى عنها ايوب
ابن ثابت وروت هي عن زوجها ابي محذورة واختلف في ضبط اسم ابيها نجدة
فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وها وقيل نجداه بدال
مهملة تليها الف وها وقيل بجراة براء مهملة بدل الدال المهملة وقيل
الصواب بحره بموحدة مفتوحة وحا وراء مهملتين وها قالت كان لابي

شبكة الألوكة www.alukah.net

محذورة بحا مهملة وذال معجمة وبعدها را مهملة وها بزنة اسم مفعول وهو محذورة
ابن معير بميم مكسورة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة ورا مهملة
وقيل معين بنون بدل الرا ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة
القرشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفي عقبه
واختلف في اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل اوس وقيل سلمان وقيل سلمة
وهو جمحي صحابي توفي سنة تسع وخمسين او تسع وسبعين واخرج له مسلم واحد
واصحاب السنن قصة بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهي خصلة من شعر
الراس في مقدم راسه مما يلي وجهه من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال
ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهري هو شعر الناصية وسبب
توفيرها ان النبي صلى الله عليه وسلم مسحها بيده فابقاها تبركا بما مسته وهو
محل الشاهد وكان ابو محذورة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة واذن له بها مع فتية من قريش سمعوا الاذان فاستهزوا به وجعل ابو محذورة
يحاكي الاذان استهزا فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره
فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناصيته وصدره بيده قال فامتلا قلبي يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله
فاسلم وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وامره ان يؤذن لاهل
مكة وهو ابن ستة عشر سنة فكان مؤذنهم حتى مات اذا قعد وارسلها اي حل
عقصها وسدل شعرها اصابت الارض اي وصلت اليها لطولها فقيل له اي قال
الناس لابي محذورة الا تحلقها بكسر اللام مضارع حلق الشعر بفتحها والا
للعرض والاستفتاح فيقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فابقاها تبركا بما مسته يده وهذا ازالت
الكراهة وان قيل بها في غيره وفي حديث رواه ابو يعلى قال كانت في قلنسوة
خالد بن الوليد بن المغيرة الصحابي المخزومي المشهور والقلنسوة ما يوضع
ويأتي ما يتعلق بهذا التركيب اخر الكتاب على الراس تحت العمامة وتسمى
شاشية وقبعا ويقال قلنسية وهو بفتح القاف وضمها وضم السين وكسرها
ففيه لغات شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم جعلها في داخلها تبركا
بها فسقطت قلنسوته عن راسه في بعض حروبه قيل هو في غزاة اليمامة
في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فشد عليها شدة اي كرة قوية
اي رجع لاخذها وهو بعد وعد واشد يدا سريعا يقال شد اذا حرك
حركا قويا اي كر عليها لياخذها خوفا من ضياعها فانكر اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم رجوعه لاجل عمامة لظنهم انه حرص عليها اذ انها كثرة من
قتل فيها اي في شدته هذه ممن رجع معه لجانب العدو وبسببه وكثرة منصوب
مفعول انكر او هو مفعول لاجله فقال لم افعلها اي هذه الشدة والكرة
بسبب اخذ هذه القلنسوة كما ظننتم بل فعلتها لما تضمنته اي لما في ضمنها
وداخلها من شعره صلى الله عليه وسلم بفتح العين وسكونها لئلا تسلب

بالبنا

بالبنا للمجهول ونايب فاعله بركتها وتسلب بمعنى تذهب بركتها مني وذلك امر عظيم
يخاطر بالارواح لاجله وفي نسخة اسلب ويحتمل انه من السلب بفتحتين اي ياخذها
العدو ويدل عليه قوله وتقع في ايدي المشركين الذين لا يليق ان تكون عندهم
اثار النبي صلى الله عليه وسلم ورد وصحيحي للمجهول بضمة قبل اليا الحر ابن عمر
واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي موضع قعوده من المنبر
ثم وضعها على وجهه اي مسحه بها تبركا بمس ما مس جسده الشريف وثيابه وهذا
رواه ابن سعد وياتي الكلام على ذلك عند اعادة المص له وهذا يدل على جواز
التبرك بالانبيا والصالحين واثارهم وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة او فساد
عقيدة وعلى هذا يحمل ما روي عن عمر رضي الله عنه من انه قطع الشجرة التي
وقعت تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم بالجاهلية ولا منافاة
بينهما ولا عبرة بمن انكر مثله من جهلة عصرنا وفي معناه انشدوا اي تمثلوا
امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا قيل الشغف باطن القلب وقيل شغاف القلب
غلافه وهو جلدة عليه وقيل هو وسط القلب والمعنى في هذه الاقوال
متقارب اي ما وصل حب الديار الى شغاف قلبي فغلب عليه قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك داخل دخول الشغاف تبتغيه الاصابع

وروي الشعف بالعين المهملة ومعناه الاحراق وعلى الاول الحمل قال
الجوهري وشعفه الحب احرق قلبه وقال ابو زيد امرضه وقد شعف بكذا فهو
مشعوف وروي عن الشعبي انه قال الشغف بالغين المعجمة حب وبالمهملة
جنون وقيل الاول حجاب القلب والثاني سويدا القلب ويقال ان الشغاف
الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا ترى وهي الجلدة البيضا وهذا السند وقع
مفقودا في بعض النسخ ولهذا اي للتبرك باثاره صلى الله عليه وسلم كان
الامام مالك لا يركب بالمدينة دابة فرسا ونحوها مما يركب رجالا لان [illegible]
ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا ذكره بقوله وكان
يقول اذا سئل عن ذلك استحي من الله اي اخشى وكلاهما بالة اطا تربة فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة اي ارضا ذات تراب وبسبب الوطء له مع انه
للدابة لانه منسوب له والحافر للفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم
للانسان ثم بين ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه صلى الله
عليه وسلم فقال وروي عنه اي عن الامام مالك انه وهب للامام الشافعي
لما كان عنده بالمدينة وممن وهب معنى اهدى فعداه باللام وهو متعد
لاثنين بنفسه كراعا بوزن غراب وهو جمع من الخيل وله معان اخر فيطلق
على الخيل والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع كثيرا كان عنده
اي في ملكه وحيازته وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعي فقال
له الشافعي لما وهبه جميعه دابة امسك منها دابة اي ابقها عندك لتركبها
فاجابه بمثل هذا الجواب الذي اجاب به من تقدم بانه يستحيي من الركوب بالمدينة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الح وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي بضم السين وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام
القشيري صاحب الرسالة عن احمد بن فضلويه بفتح الفا وسكون الضاد المعجمة
وفتح اللام والواو وسكون اليا ويجوز ضم اللام وسكون الواو وفتح اليا وهو
على لغة المحدثين يقولونه كراهة من لفظة ويه فانه كلمة تدل على مكروه كالويل
وقال المعري انها كلمة تستغير عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله الزاهد وكان
من الرماة الغزاة كان مكثرا للمجاهدة في سبيل الله محمدا لرمي السهام ملازما
للمجاهدة بها انه قال ما مسست القوس بيدي ولمسته لها حال الرمي وغيره
الا على طهارة اي متوضيا منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس
بيده اي امسكها وهو كناية عن الرمي بها وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم
حض على الرمي وامر به في سنة ففي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الا ان القوة الرمي وكررها ثلاثا
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة
صانعه والرامي به ومنبله اي من يناوله السهم ليرمي بها وصح انه صلى الله
عليه وسلم رمى بالسهام في غزوة احد وكان له قسي ست مذكورة في السير
ثم انه قيل ان تخصيصه الطهارة بمس القوس دون السيف وغيره مما
مسه وتعظيمه ازيد من غيره من الات الحرب لما فيه من دفعه عنه دون
مشقة كما في غيره ولذا كانت العرب تسميها اي السهام رسل المنايا ومما
قيل انه يحتمل انه كان يفعل ذلك في كل نوع من الالات لا يتباعده لعظمه
وقد افتى الامام مالك فيمن قال تربة المدينة اي ارضها ردية لم يكن
فيها غير طيبة ذات وبا متعفنة الهوى وردية مهموز وغير مهموز ماخوذ
من الردي يضرب ثلاثين درة بكسر الدال وتشديد الرا المهملتين وهي
الة من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفي الكلام مقدر اي وقال انه يضرب
او يضرب بدل من افتى وامر بحبسه تعزيرا له وكان الذي حبسه له قدر
عظيم وشرف بين الناس وذكر هذا لان التعزير يختلف حاله بحال من عزر
ففيه اشارة الى انه اذنب ذنبا عظيما اذ لو كان امرا سهلا صدر من شريف
لعزر بالزجر باللسان والى هذه الاشارة بقوله وقال الامام مالك
ما احوجه تعجب من استحقاقه لعقاب اشد مما فعله وفيه تجوز لانه جعل
استحقاقه بمقتضى ما صدر عنه كان له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل
ما لا يحتاج اليه ففيه تهكم به يومي الى عدم شعوره بمصالحه الى ضرب
عنقه اي القتل تربة وارض دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزعم انها غير طيبة اي ردية متغيرة الهوا ذات وبا وهي وان كانت ذات
حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها
بنقل حماها وعفونة هواها الى الجحفة فصارت معتدلة طيبة
كما هو مشاهد فيها ومخبر بزعم للاشارة الى انه قول باطل وان كان

اي الفتى

ابن ابي فرس

الزعم يجي بمعنى القول ولذا قالوا زعم مطية الكذب وهذا مبالغة من زجره سعاديا عن
تنقيص ما هو من افضل الاماكن عند الله وان امكن حمله على محمل اخر من ان بعض اماكنها
سباخ وكونها كانت ذات وبا لما قدم الصحابة لها واخذتهم الحمى قال صلى الله عليه وسلم
اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل
حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار ترابها شفاء من الجذام كما ورد في
الاثار وقال الابوصيري

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه ۞ طوبى لمنتشق منه وملتثم

وفي الصحيح اي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن النبي انه صلى الله عليه وسلم
قال في المدينة اي في حقها وشانها من احدث فيها حدثا اي من فعل فيها امرا مبتدعا
ابتدعه فيها كالمظالم واصل الحدث كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من
البدع المنكرة شرعا كما في النهاية ومن موصولة او شرطية او اوى بالمد ويجوز قصره
محدثا بكسر الدال اسم فاعل من احدث اي ادخله وضمه لاهلها يقال اوى اليه كذا اذا
انضم اليه اي ادخلها خاينا فاجاره ونصره على خصمه وفتح داله كما قيل على انه بمعنى
الامر المبتدع وايواوه الرضى به نظلم لا حاجة اليه فعليه لعنة الله والملايكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ
في الزجر وما ورد كما قدمناه وفيه من تعظيم المدينة لكونها مكانه صلى الله عليه
وسلم ما لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه وسياتي وحكي بالبنا للمفعول والذي
حكاه هو ابن عبد البر رحمه الله كما تقدم ان جهجاها الغفاري بن سعد بن حرام
قال الطبري كذا رواه المحدثون والصواب جهجاه بلا ها وقال الذهبي هو جهجاه
ابن قيس وقيل ابن سعيد وهو مدني صحابي شهد بيعة الرضوان وتعلق الغزوات
وتوفي بعد عثمان بسنة وتقدم وياتي انه مات قبل الحول اخذ قضيب النبي صلى
الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله منه ليكسره على ركبته كما
هو معتاد في كسر ما يحتاج كسره لقوة والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها صلى الله
عليه وسلم في يده وكذا فعله الصحابة بعده رضي الله عنهم فصاح به الناس
تحذيرا له وزجرا ليرتدع عما اراده فاخذته الاكلة اي اصابته وبدت به
في ركبته لوضعه القضيب ليكسره عليها فقطعها لان العضو المتاكل ان لم
يقطع سرت الكلته للبدن واهلكته ومات قبل الحول الذي بعده او قبل
تمام الحول الذي فعله فيه وروي انه مات عقبه كما تقدم قال في القاموس
الاكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وورد كسرها ايضا قال بعض الفقها وما اشتهر
من مد همزته خطا وفيه نظر فقد روى الثعالبي في ثمار القلوب شعرا فيه
ذكر الاكلة بالمد ولم ينكره وهو ما قيل في هجا الاصمعي

ومن انت هل انت الا امرؤ ۞ اذا صح نسبك من باهله

وللباهلي على خبزه ۞ كتاب لاكله الاكله

والاكلة كالاكال مرض يفسد الاعضا كالجذام معروف وليس في كلام
القاضي رحمه الله هنا وفيما تقدم ما يقتضي انه كسر ذلك القضيب

البرهان ودجل وعهني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وروى الطبري في الرياض النضرة الا كسرها او رواية القاضي لبيت مخالفة لما ذكرها
لان الغضب تتشعب وكان هذا في الفتنة لما حصب الناس عثمان وهو على المنبر
فلما تزل اخذ الجهجاه منه العصا التي كانت بيده وكان ممن قام عليه في قصته
المشهورة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مالك وابو داود والنسائي
وابن ماجه عن ابي هريرة من حلف على منبري المراد بكونه على المنبر انه عنده
ويجوز ابقاؤه على ظاهره بان يصعد عليه ويحلف وقد نص عليه الشافعية
وانه يجوز ان يوم يصعدوه ولكن الاصح الاول عندنا وهذا مبنا على ان اليمين
تغلظ بالمكان والزمان فيذهب بالحالف للمسجد وكان في حياته صلى الله عليه
وسلم يحلف عند المنبر لان ما بينه وبين القبر الشريف افضل بقعة بالمدينة
بعد مرقده الشريف وما ضمه جسده العظيم المنيف كاذبا فليتبوأ مقعده
من النار يتبوأ بمعنى يتخذه مباءة اي مقرا ومسكنا يقال تبواه اذا اسكنه
وهو دعا او امر اريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حصوله وحضور
محله فامر بان يجعله مقرا له على طريق التمثيل وهو من بليغ الكلام وبديعه
الذي يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة وحدث بالنبا المجهول
ان ابا الفضل الجوهري ليس هو عبد الله بن الحسن المصري الواعظ بجامع
مصر في حدود التسعين واربعماية وكان من العلما الصالحين يتبرك به ويقتدى
به في السلوك وانما هو كما في تاريخ الاندلس عبد الله بن الحكيم الزيدي
الاندلسي ذو الوزارتين له فضل وحسب وفضل باهر وادب عالم بالقراات
والحديث وله شعر رايق ونثر فايق وارتحل للمشرق فاخذ بها عن ابن عساكر
واكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره صارت لها كالمثل السائر الى ان ردت
منه الايام ما وهبت فانقضت ايامه وذهبت فقتل لما خلع سلطانه فنهبت
امواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله لما ورد المدينة زايرا وقرب من بيوتها
ترجل اي نزل عن دابته التي كان راكبها تادبا ومشى باكيا خضوعا وخشية
وعليه شوق او مسرة فان من المسرة قد يحصل البكا متمثلا انشاد الشعر
قراته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة المتنبي اولها

فديناك من ربع وان زدتنا كربا • لانك كنت الشرق للشمس والغربا

ومنها

ولما راينا رسم من لم يدع لنا • فوادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وغيره قليلا لانه في ديوانه وكيف عرفنا رسم الخ والقصيدة في مدح سيف
الدولة ولقد اجاد في تمثله به ونقله لمحل لايق به وقد ضمنه المصراعين
في قصيدة نبوية له فقال بعده

ولحقنا باكناف الخيام تواجدا • نقبلها طورا ونرشفها حبا
ونبدي سرورا والفواد بجيبها • تقطع والاكباد اورى لها لهبا
اقدم رجلا بعد رجل مهابة • واسحب خدي في مواطنها سحبا
واسكب دمعي في مناهل حبها • وارسل حبا في اماكنها النجبا

وادمو

وادعو دعا البايس لوا له الذي • براه الهوى حتى بدا اشخصه سحبا

والفواد القلب او داخله والعرفان والعرفة بمعنى واللب العقل اي الخالص للشوايب
سمي به لانه خالص ما في الانسان من فواده كاللباب من الشي واما تفسيره بمطلق
العقل اخذا من القاموس ففيه نظر والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة
السرج وبان هنا بمعنى بعد اي لا يليق به الركوب لمن قرب من مقامه تادبا وتلم
تاتيه لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب ومن فسره بان هنا
بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وقد يعم وقد شرح البيت
هنا بعضهم بما استغني من ايراده وحكي عن بعض المريدين والمريد صاحب الارادة
لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من هو طالب الحق على يد المرشد
الكامل بجعل ارادته ما عدا الحق عبثا انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم اي قرب منها بحيث يراها والاشراف النظر من مكان عال
اريد به لازمه انشا اي شرع والانشا يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد ابتدا
يقول متمثلا التمثيل انشاد شعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابي
نواس بن هاني في مدح محمد الامين الخليفة ابن هارون الرشيد العباسي من
قصيدة فقصد المتمثل به لمدح النبي صلى الله عليه وسلم لموافقة اسمه اسمه
وهذا النوع من البلاغة قريب من التضمين وهو ان يورد شعر الغير في مقام
يكون احق به من صاحبه ولم يتعرض له اصحاب البديع الا ان الامام محمد التوزري
اورده في كتاب الغرة اللايحة واورد منه ما ذكره المص رحمه الله هنا بقوله

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري • قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا • فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطي الثرى • فلها علينا حرمة وذمام

واول هذه القصيدة المشهورة

يا دار ما فعلت بك الايام • لم يبق فيك بشاشة تستام

والمراد برفع الحجاب في كلام ابي نواس سترا بواب الملوك والعظام وهو
هنا بمعنى انقضا المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح فيهما ويقطع
فعل ماض او مضارع حذف منه احدى تاييه تخفيفا والاوهام جمع وهم
وتقطعها اضمحلالها باليقين والناظر اسم فاعل ينظر او ناظر العين وانسانها
والمطي جمع مطية ناقة تمتطى اي تركب ولاح بمعنى بدا وظهر ودونه
بمعنى قريبا منه ويجوز في تقطع بناؤه للمجهول ايضا وقوله فظهورهن
الخ جمع ظهر وهو معروف والرجال بمهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج
للخيل او بجيم جمع رجل ذكر من بني ادم والمعنى متقارب اي اذا وصلتهم
لمقصدهم كان لها حرمة تقتضي رعايتها وراحتها فلا يركبها بعد
ذلك رجل ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة منعمة في مرعاها
ومعناه ظاهر تعرض علة هذه الرعاية بقوله قربننا وهي جملة مستانفة
استينافا بيانيا والحرمة الحق الذي يلزمه احترامه والذمام مثله بمعنى

دجي

عرضي

المذكور صح

مَا يلزم احترامه او جمع ذمة وهي العهد وما يجب الوفا به والمعنى ظاهر لا حاجة للتطويل
بشرحه ومن وطئ الترب وهو التراب كناية عن الناس كلهم ومما قاله ابن نواس من
تحريم كونها كناية بعيدة لانه يشير الى ان من وصل له لا يرحل بعده لعدم
حاجته لسواه ولانه لا يقدر على مفارقة من هو غاية ما تمناه وقد كان ذلك
كما قال عبد الله بن رواحة في فضيلة له

اذا ادنيتني وحملت رحلي ❊ مسيرة اربع بعد الحساء
فشانك فانعمي وخلاك ذم ❊ ولا ارجع الى اهلي ورائي

وفيه رد على الشماخ في قوله

اذا بلغتني وحملت رحلي ❊ عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقال المبرد بعد ما انشد قول ابن رواحة المذكور لقد احسن كل الاحسان
حيث قال لا احتاج الى ان ارحل لغيره وقد عاب الرواة قول الشماخ المذكور
ولذا قال صلى الله عليه وسلم للانصارية التي اسرت على ناقته لها وقالت
اني نذرت ان نجوت عليها ان انحرها بيس ما جزيتيها وقال في الموازنة ان
الشماخ راى ناقته سيرها السير وهزلت ودبرت كما قال

اليك بعثت راحلتي تشتكي ❊ كلوما بعد محفدها السمين

فقال اذا بلغتني عرابة فلا ابالي ان تهلكي وليس دعا عليها وانما اراد انه
بلغ المنى وليس هذا انشاد القول ابي نواس وانما يضاده قول الانصارية
وللشعرا والادبا هنا كلام كثير لا يسعه هذا المقام وقلت انا في معناه

اذا بلغتنا الشوق حيث تلفتت ❊ فزينة عيني في اعز المسارح
وحق لها تحدى الخدود وتفتدى ❊ بانفسنا من فادحات الطوائح
فما انيتها تمشي لاكرام مثلها ❊ جميع نياق الارض ناقة صالح

وحكي عن بعض المشايخ يعني به كبار الصالحين والعلما انه حج ماشيا تواضعا
وقصد الزيادة في الثواب وقد قال الفقها انه افضل لمن قدر عليه من دار
فان لم يقدر فمن الميقات فان لم يقدر فمن دون الميقات فان لم يقدر فعند
الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام
حجا ماشيين وحج الحسين رضي الله عنه ماشيا ونجايبه تقاد معه فقيل
له في ذلك اي سئل لم فعله فقال العبد الابق اي الفار من سيده اذا رجع
اليه لا ياتي الي بيت مولاه اي سيده راكبا وفي نسخة ياتي بدون لا وتقديرها
اياتي بتقدير الاستفهام الانكاري واراد بالابق المذنب المقصر في خدمة مولاه
مجازا اي انا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل لو قدرت ان امشي على
راسي ما مشيت على قدمي مشى قدم مضاف ليا المتكلم والمشي على الراس
عبارة عن غاية الجد والاجتهاد والتذلل كما قيل

سعيا على الراس لا سعيا على القدم

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يعني المصنف عياض في بيان ايضاح انه
ينبغي للزاير المشي واظهار الخضوع والذلة وجدير اي خليق وحقيق

وهو

وهو مبتدا وبالخبر لمواطن اي اماكن ومساكن جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة والمراد
بها مكة والمدينة عمرت اي صارت معمورة بالوحي والتنزيل من عطف الخاص على العام
والبا للسببية او هي للتعدية بجعل الوحي بمنزلة ساكن عمرها وتردد جبريل
وميكايل التردد بمعنى المجي والذهاب من قولهم فلان يتردد الينا وليس من
التردد بمعنى الشك اما تردد جبريل فظاهر واما ميكايل فكان ينزل عليه صلى الله
عليه وسلم احيانا وعرجت اي صعدت من عنده منها اي من المواطن الملايكة والروح
هو جبريل عليهم عطف الخاص على العام وقيل ملايكة كالحفظة على الملايكة لا نراهم
الملايكة كما انا لا نراهم واما ان المراد به ارواح الناس فمما لا يليق ذكره هنا وضجت
عرصاتها بالتسبيح والتقديس هما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد
الله وذكره كقوله سبحان الله ولا اله الا الله والضجيج والضجاج الصياح ورفع
الاصوات المختلفة واصله صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة
وهي الارض والساحة المتسعة من غير بنا والمراد هنا الارض مطلقا واسناد الضجيج
للعرصات تجوزا للمبالغة في كثرة الدعا والتلاوة واشتملت تربتها اي تضمنت وحوت
ارضها على جسد سيد البشر وهو صلى الله عليه وسلم اشرف المخلوقات فالمكان
الذي حواه افضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعي اليه ماشيا بالذلة والادب
ثم ذكر بعد فضيلتها الذاتية ما نشا عنها وعرض منها فقال وانتشر اي شاع
وتفرق واشتهر في الارض منتقلا عنها اي عن تلك المواطن وفي نسخة منها
من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر اي امر عظيم كثير
لا يعلمه الا الله ولذا عبر بما المبهمة كقوله الحاقة ما الحاقة مدارس ايات
عطف بيان او بدل من مواطن اي محال يدرس فيها القران جمع مدرس من درس
اذا قرا وتلى وقيل جمع مدارس ومفعال غريب في اسم المكان كالمرصاد ولا حاجة
لارتكابه ومساجد جمع مسجد بالكسر اسم موضع السجود ويجوز فتحها وهو وضع
الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس المراد به الموضع المعد للعبادة وان
صحت ارادته وصلوات جمع صلاة وهي العبادة المعروفة واصل معناها الدعا
ويجوز ارادته هنا وفي نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص
ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب ومشاهد الفضايل والخيرات
المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه والفضايل جمع
فضيلة كالعلم وتعليم الاداب وغيرها من الكمالات والخيرات هي خير الدنيا والاخرة
ومعاهد البراهين والمعجزات اي محل فيها ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم
وبراهين نبوته الدالة على صدقه وهو عطف تفسير وقيل البراهين اعم من
المعجزات ومناسك الدين جمع منسك وهو محل العبادة والنسك ومشاعر
المسلمين اي محال معالمهم التي يجب القيام بها من الواجبات وغيرها ومواقف
سيد المرسلين اي المحال التي قام فيها صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله
واظهار دينه كمحاربيه ومحال صلاته ومتبوا خاتم النبيين بفتح التا وكسرها
اي مساكنه ومحل اقامته حيث انفجرت النبوة اي ظهرت وفاض على جميع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتخييلية اما بتشبيه النبوة بالشمس استعارة مكنية فيه انوارها واشرقت في القلوب انوارها
تحلق منافعهما وبمنبع الما المروي للناس بعد ظمي في طموله الماجي لظلمة الكفر أو بالبحر والصبح الصادق
الجهل فقوله واين فاص عبابها بضم العين وهو الما الكثير كالسيل او الما الكثير المندفق
الغايض وحيث تكون ظرف زمان ومكان وفيه لغات مشهورة واين اسم يستفهم به على المكان
يجرد عن الاستفهام لمجرد المكان وقيل الحا بالفتح على اصلها اي هي حجاب من سال وقال
اين فاض عباب النبوة فيقال في هذه الاماكن ومواطن مهبط الرسالة مهبط مصدر
ميمي بمعنى الهبوط اي محال نزول الوحي برسالته وامر بتبليغ الخلق ما ارسل به
اليهم والمراد مكة لان مراده مدح الحرمين كما فسرنا به المواطن اولا ولذا قال وأقل
ارض مس جلد المصطفى ترابها هو يكني به عن مولد كل احد لانه لو فرض انه سقط
على ارضها كان كذلك كما قال

بلاد بها نيطت علي تمايمي ٭ واقل ارض مس جلدي ترابها

ومنه اخذ المص كلامه وتلمح به ان تعظم عرصاتها جمع عرصة وهي كما تقدم
ارض لا بنا فيهما فالمراد بها هنا مطلق الارض او معناها الحقيقي وهو ساحة المدينة
ومكة وفنا ارضهما فيعلم منه غيرها بالطريق الاولى وهذا هو خبر المبتدا الذي
تقدم وطوله ليتشوق سامعه اليه ويتطرى وتتنسم نفحاتها تفعل من النسيم
مبني للمجهول والمراد ما في النسيم من نفحاتها الطيبة والنفحة في الاصل دفعه
من الريح نحوه بها عن الطيب الذي ترتاح له النفس من نفح الطيب اذا فاح وفي
الحديث ان لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا لها فشبه ما فيهما من بركاته بطيب نسيم
روايحه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية وتقبل اي تلثم وتباشر بالشفاه
ربوعها جمع ربع وهو المنزل في الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو المراد هنا
وجدرانها بضم الجيم وسكون الدال وبالرا المهملتين والف ونون جمع جدار
وهو اصل الحايط ويطلق عليه ايضا ويجوز ان يكون بنا التانيث جمع
الجمع ثم لما تزايد شوقه لمعاهده صلى الله عليه وسلم قال مخاطبا لها بتنزيلها
منزلة العقلاء في شعر له مروي عنه وهو قوله

يا دار خير المرسلين ومن به ٭ هدي الانام وخص بالايات

اراد بدار محل فرقته مطلقا فيشمل مكة والمدينة وفي نسخة المسلمين والاولى
اولي وهدي مبني للمجهول اي هدى الله به والانام الخلق مطلقا او كل ذي
روح كما مر وقوله خص بالايات المراد بها القران او جميع المعجزات لان الله
خصه منها بما لم يكن لغيره او التعريف فيه للعهد

عندي لاجلك لوعة وصبابة ٭ وتشوق متوقد الجمرات

اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال
والتشوق زيادة الشوق وشبه ما في القلب منه بجمرات محرقة ومتوقد بكسر
القاف من اضافة الصفة للموصوف وضبط بفتحها ايضا كما في المقتفي

وعلي عهد ان ملات محاجري ٭ من تلكم الجدرات والعرصات

وعلي عهد اي موثق التزمته وهو يمين كما يقال علي عهد الله والمحاجر

جمع

جمع محجر وهو حوالي العين وملوها مجاز عن النظر اليها وابصارها وتلكم الجدرات جمع مونث
لجدر جمع جدار كما تقدم والعرصات تقدم تفسيرها

لاعفرن مصون شيبي بينها ٭ من كثرة التقبيل والرشفات

التعفير تمريغه في التراب ويقال له عفار واراد بتشيبه لحيته المبيضة وبينها
اي بين ترابها وارضها وجعله مصونا لانه محفوظ عما يلوثه ويشينه والتقبيل
اللثم والرشفات جمع رشفة وهي مص الريق ونحوه وفسر هنا بالتقبيل ايضا وتفسيره
بمص ريق المحبوب غير مناسب هنا واللام جواب لقسم الذي تضمنه قوله وعلي
عهد

لولا العوادي والاعادي زرتها ٭ ابدا ولو سحبا على الوجنات

العوادي جمع عادية وهي الامور التي تمنع عن زيارتها والعوايق او الطلمة جمع عادية
بمعنى غايرة ظالمة والاعادي جمع عدوا وهو جمع اعدا جمع الجمع والوجنات جمع
وجنة وهي اعلى الخد وما ارتفع منه وغلظ وسحبا منصوب بمقدر اي اسحب وجهي
على الارض بذلة وخضوع وضمير زرتها للدار وابدا ظرف لما يستقبل من الزمان
والمعنى لولا عوايق الدهر لم افارقها ولم اتخلف عنها

لكن ساهدي من حفيل تحيتي ٭ لقطين تلك الدار والحجرات

استدراك على ما افاده ما قبله اي ان منعت عن زيارتها والاقامة بها والتمتع
بترابها فاني اهدي لمن سكنها يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
الذين دفنوا بها والاهدا الارسال والحفيل بحا مهملة مفتوحة وفا مكسورة تحتية
ساكنة ولام بمعنى كثير مفيس يحتفل به والتحية من الحياة بمعنى السلام والقطين
بقاف مفتوحة وطا مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ونون بمعنى المقيم ويطلق
على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهي بيت صغير من تلك الدار مفرد وحجر
اشارة الى حجرات النبي صلى الله عليه وسلم التي كان بها وجانه امهات المومنين رضي
الله عنهن اجمعين وكان سيدي الشيخ احمد بن الرفاعي كل عام يرسل مع الحجاج السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده وانشد

في حالة البعد روحي كنت ارسلها ٭ تقبل الارض عني وهي نايبتي
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت ٭ فامدد يديك لكي تحظى بها شفتي

فقيل ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيا له ثم هنيا

اذكى من المسك المفتق نفحة ٭ تغشاه بالاصال والبكرات

اذكى بمعنى اكثر طيبا ورايحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك
والطيب اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كما الورد ونفحة تقدم تفسيرها وهو
منصوب تمييز وروي بالرفع واضافتها لها اي رايحته نايب فاعل المفتق
وتغشاه تعرض له او تغطيه وتخلله من الغشا والاصال جمع اصيل او جمع اصل
جمعه فهو جمع الجمع وهو ما قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهي اول النهار وخصهما
لطيب النسيم ولطافة الهوا فيهما

وتخصه بزواكي الصلوات ٭ ونوامي التسليم والبركات

وتخصه بتا التانيث فاعله ضمير التحية او بنون المتكلم مع الغير والزواكي جمع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

زاكية وهي الزائدة بمعنى النوامي جمع نامية وحركت ياؤهما بالكسر للضرورة والصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم معناهما ظاهر ويأتي قريبا ولعقد الجاد في الختم بهما والبركات جمع بركة ولا وجه لما قيل انه فاسد الوزن وصوابه ان وتحفته ازكى صلاة دائما بنوامي التسليم والبركات مع انه وقع فيما هرب منه روي ان المص رحمه الله تعالى لم يحج ولم يزره صلى الله عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا على ما فاته كما وقع للعارف بالله ابي العباس بن العريف نفعنا الله به فقال متاسفا على فوات ذلك

سار الركاب وسوء الخط اقعدني ۞ ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا
يا سائرين الى المختار من اضم ۞ سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا
انا اقمنا على عجز ومسكنة ۞ ومن اقام على عجز كمن راحا

الباب الرابع

من القسم الثالث

في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم والصلاة اصل معناها الدعا والعبادة المخصوصة لما فيهما من تحريك الصلوين والمراد بها ان يقال صلى الله عليه وسلم والتسليم مصدر سلم تسليما ككلمه تكليما اذا انقاد له وسلم امره اليه وفرض ذلك اي وجوبها على امته في اي مقام وفضيلته اي فضيلة ما ذكر من الصلاة والتسليم وتبين الضمير للتسليم فقط والمراد بفضيلته ما هو اعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال ابو ذر ابتدا مشروعية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كان في السنة الخامسة من الهجرة وقيل كان الابتدا بمكة لانه ورد في حديث الاسرا وما قاله ابو ذر هو ابتدا اظهاره للناس وهذا مما خص به صلى الله عليه وسلم دون الانبيا كلهم فانه لم يشرع ذلك لامههم وان كانت الصلاة والسلام عليهم مشروعين كما سياتي قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية صدر بهذه الاية لاثبات مدعاه لان الامر يحتمل الايجاب والندب واعلم ان معنى الصلاة كما تقدم لغة الدعا وتطلق شرعا على العبادة المخصوصة واختلف هل هي منقولة من المعنى اللغوي لمعنى اخر وضعه الشارع له لمناسبة لمعناه الاصلي لاشتمالها على الدعا او لما فيها من تحريك الصلوين كما مر وهما طرفا العجز او هي مجاز لاشتمالها على الدعا والظاهر الاول وقال ابن القيم وبعض المتاخرين انها باقية على معناها اللغوي ولا نقل فيها ولا تجوز لان المصلي في جميع صلاته في دعا وعبادة غايته ان الشارع خصها بفرد من افراد الحقيقة ۞ كالدابة لذوات الاربع ورد بانه كلام من لم يعرف معنى النقل واهل الشرع اذا استعملوها لا يلاحظون معناها اللغوي ولا ينظرون اليه وهو كلام غير مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى فيه المعنى الاصلي ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية شرعية فالمال واحد والخلاف لفظي وهذه الاية مدنية اخبر الله عباده فيها بمنزلته صلى الله عليه وسلم

عنده

عنده وان الله وملايكته يثنون عليه في الملا الاعلى ثم امر اهل العالم السفلي بان يفعلوا كفعلهم وفي الكشاف لما نزلت هذه الاية قالوا ما خصك الله بشرف الا شركنا فيه فنزل هو الذي يصلي عليكم وملايكته قال الحافظ السخاوي لم اقف على اصله الى الان وقال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي رحمه الله هو موافق لما اخرجه ابو نعيم في الدلايل في ترجمة سفيان بن عيينة انه سيل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم فقال اكرم الله امة محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الانبيا فقال هو الذي يصلي عليكم وملايكته وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم اي سكينة وصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحاق ويعقوب والاسباط وهولا انبيا مخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلاة وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله عليه وسلم ولم يدخل في شي الا دخل فيه امته ثم تلى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية وقال هو الذي يصلي عليكم وملايكته واشار الى مزيد خصوصيته على امته باسناد الصلاة عليهم اليه والى ملايكته وصلاة الملايكة على الامة لا تكون الا بتبعيته وجمهور القرا على نصب الملايكة عطفا على اسم ان ويصلون خبر عنهما وقيل خبر ملايكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير الصلاتين ورجح الاول ابو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي فالملايكة استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره اعظم من سجود الملايكة لادم الذي وقع وانقطع وقال على النبي دون محمد او الرسول تنويها بقدره صلى الله عليه وسلم والنبوة اشرف من الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمومنين قيل لان الصلاة مؤكدة معنى بصدورها من الله وملايكته فكيف لا تصلي عليه امته ولانها مؤكدة بان والجملة الاسمية والسلام سيق اما بمعنى الانقياد او بمعنى السلامة من الايذا لا يليق اسناده الى الله والملايكة ولذا استحق التاكيد لصدق خلاوه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى سلام على ابراهيم وقوله والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم كما اورده السخاوي لانه تحية واكرام ولنا هنا كلام بيناه في رسالة مستقلة ثم شرع في بيان معنى الصلاة فقال قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه اي معنى الصلاة وذكره لتاويله بالدعا ولان تانيث المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ان الله وملايكته ~~يصلون~~ يباركون ح على النبي صلى الله عليه وسلم اي يدعون له بزيادة بركة لايقة بمقامه وشرف قدره وسياتي فيه كلام واصل معنى البركة النمو وزيادة الخير اللازم وقيل في معناه انه بمعنى ان الله يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم اي يدعو له بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه وترحمت والاولى الفصحى وهو رد على من قال ترحمت عليه لحن كما نقله الصاغاني ورد بانه ورد في الحديث وتاتي الاشارة اليه ايضا وملايكته يدعون له ولم يبين الدعا لتفسيره بقوله وقال المبرد معنى الصلاة الترحم اي الانعام والدعا بالرحمة ومعنى الدعا

من الله الارادة او التبشير به لان معناه الحقيقي لا يتصور في حق الله فاريد به لازمه
وغايته ولذا فسره بقوله هي من الله رحمة اي انعام وارادة ومن الملايكة رقة
اي شفقة عليه ومحبة واستدعا للرحمة من الله له اي طلبها والدعا بها وقد
ورد في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة صفة صلاة الملايكة على من جلس
ينتظر الصلاة في المسجد اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعا لهم بالمغفرة والرحمة
وقد صرح بهذا في قوله في حق الملايكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين امنوا وفي قوله والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض
وقد بينا وجه الدعا بخصوص الاستغفار فيما ياتي في فصل المواطن ولفظ
الحديث في مسلم لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملايكة
تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف او يحدث وقال الامام ابو بكر
القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي اي لمن منزلته دون منزلة
من الامة رحمة اي طلبت ان يرحمه الله واما النبي فمرحوم باعلا انواع الرحمة
فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفي فتاوى الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا
كما رحمت او ترحمت على ابراهيم قال الصغار انه مكروه في حق الانبيا والرسل وحكي
عن محمد انه كان يكرهه ويقول فيه ظن نوع تقصير بهم فانه لا يستحق الرحمة
الا من اتى بما يلام عليه وقد امرنا بتعظيم الانبيا وتوقيرهم فاذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه بل لا يقال للصحابة
رحمهم الله بل رضي الله عنهم وكذا قال خواهر زاده وصاحب المحيط والظهيرية
وانا اقول ان اللهم ارحم محمدا وال محمد جاء من متوارث وكان الشيخ الزاهد
الرستغفني يقول معنى ارحم محمدا ارحم امة محمد فالترحم لامته لا له كما يقال
لمن يراد عقابه وله ابن حاضر يستوجع لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو لم يجني
ولم يؤاخذ كما في جامع المضمرات وقال الزيلعي رحمه الله الصحيح انه
لا يكره لانه صلى الله عليه وسلم من اشوق الناس الى رحمة ربه انتهى والنبي
صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة بميم في اوله وراء مضمومة وفي
نسخة تكرمة بتا بدل الميم وراء مكسورة وهما مصدران وظاهره ان معنى
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غير الرحمة وانما هي في حقه بمعنى
التشريف والتعظيم اللايق به وقد علمت ما فيه وانه ورد الدعا له بالرحمة
ولكن استحق الدعا له بلفظ الصلاة تادبا وفرقا بينه وبين غيره وقال
ابو العالية صلاة الله عليه صلى الله عليه وسلم ثناؤه عليه بمدايحه
وبيان منزلته عنده عند الملايكة اي بحيث يطلعون على ذلك وصلاة
الملايكة الدعا له كما مر قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا
الكتاب رضي الله عنه وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل ذلك على تغايرهما بينهما
بعطف احدهما على الاخر على انهما بمعنيين متغايرين وحديث تعليم
الصلاة سياتي بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلاة بالبركة

وهذا الحد

وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان
الصلاة كما تقدم معناها الرحمة والبركة كما قال الراغب اصلها من البرك وهو
صدر البعير ومنه برك البعير اذا القى بركه واعتبر فيهما معنى اللزوم ولذا سمي
محل الما بركة فالبركة ثبوت الخير الالهي في الشي والمبارك ما فيه ذلك الشي ولما
كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه
زيادة غير محسوسة مباركة وفيه بركة وكل ما ذكر فيه مبارك تنبيه على اختصاصه
تعالى بالخيرات المذكورة معه فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وادم خيراتك
التي لا تخفى ثم ان اطلاق الصلاة على رسول الله وعلى غيره مشهور وهي على انبيايه
ثنا وتعظيم وعلى غيرهم رحمة من رحمته التي وسعت كل شي وقال الغزالي
لفظ الصلاة مشترك في الاعتنا بالمصلى عليه ثم لما فسر الصلاة وذكر الاقوال
فيها ذكر تفسير السلام الذي هو قرينها فقال واما التسليم الذي امر الله تعالى
به عباده في قوله وسلموا تسليما فقال القاضي ابو بكر بن بكير بالتصغير وهو
ابو بكر محمد بن احمد بن عبد الله بن بكير التميمي المالكي البغدادي الفقيه الثقة
صاحب التاليف الجليلة التي منها احكام القران وهو عراقي من اقران ابن الجهم
وقيل اسمه احمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غير فبكير ابوه او جده
نزلت هذه الاية يعني قوله ان الله وملايكته يصلون على النبي صلى الله
عليه وسلم فامر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يسلموا عليه امتثالا لامر
الله لهم وكذلك من بعدهم امروا ان يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم عند
حضورهم قبره وعند ذكره في ساير مجالسهم كما سياتي بيانه وهذا مبني على ان
الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص بالموجودين او يعمهم
ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط في كتب الاصول وعلى
الاول اذا قام دليل او قياس جلي على شموله لمن بعدهم يعمل به ومما يخص
فيه من هذا القبيل وفي معنى السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة اوجه وفي
نسخة ثلاثة وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جايز شايع في كلامهم
احدها انه بمعنى السلامة من النقايص والافات ثابتة لك ومعك اي
مصاحبة وملازمة لك ويكون على هذا التفسير السلام مصدرا بمعنى السلامة
كاللذاذ واللذاذة بمعنى التلذذ باللذة فمعناهما واحد بنا وذوقا
ومثله كثير كالملام والملامة والمقال والمقالة ولما في السلام من التباعد يعلي
لانه بمعنى لفظنا كالدعا لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية
والاستيلا لانه وجه اخر ذكره بقوله الثاني اي السلام مقدما وعلى حفظك
ورعايتك اي اكرامك وعنايته بك ومراقبتك ومتول له اي قايم به
بحيث لا يكل امرك لغيره وكفيل به اي متكفل ملتزم له ويكون هنا اي
في هذا الوجه السلام اسم الله تعالى ومعناه ذو السلامة والبسي في
اسما الله مصدر غيره الثالث من الاوجه ان السلام بمعنى المسالمة
له والانقياد عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال

تعالى فلا وربك ثم جوابه لا يؤمنون اي لا يظهر ايمانهم ولا يكمل حتى يحكموك اي
يفوضون الحكم اليك فيما شجر بينهم اي وقع بينهم من التنازعات والدعاوي
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي ضيقا لعدم رضاهم مما قضيت حكمت به عليهم
ويسلموا تسليما اي يذعنون وينقادون لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال
الراغب السلام والسلامة التعري من الافات الظاهرة والباطنة والسلام من
اسمائه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى وقال الحطاب صيغته خبر معناها
الدعا والطلب ومثله يحتاج للنية الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينئذ
للنية انتهى ومعناه من الله في صلى الله عليه وسلم على محمد ونحوه فانه لا يتصور
في حقه الطلب من غيره اذ هو المطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير والسلامة
والعزة حتى ينقاد الناس كلهم له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتباري
ومثله يكفي في هذا المقام وقد افرد السلام بتاليف نفيس السيد السمهودي
وقفت عليه وفيه امور يضيق المقام عنها وفي الشرح الجديد هنا كلام غير
محرر رأينا ترك التعرض له اولى وفي الاذكار للنووي انه يكره افراد الصلاة
عن السلام في حقه صلى الله عليه وسلم وياتي فيه كلام وهذه الاية الاخيرة
نزلت في حق من خاصم الزبير في سقاية الما وسياتي الكلام عليه ان شا الله
تعالى مع تقدم بعضه

فصل اعلم

ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة اي اجمالا من
غير تعيين زمان او محل غير محدد بحا ودال مشددة مهملتين اي غير
معين واصله ما له حدود فاستعمل في لازم معناه بوقت من الاوقات
المعلومة واستدل على مطلق الوجوب بقوله لامر الله تعالى والاصل في الامر
للوجوب بالصلاة عليه بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وحمل الايمة
من السلف والعلما من اهل التفسير له على الوجوب اي على انه امر ايجاب
لا ندب اي فسروه بان المراد منه ذلك يقال حملت كلامه على كذا اذا فسرته به
واجمعوا عليه اي على انه للوجوب من غير تعيين محل او زمان والاية
تدل على ذلك عند الجمهور لانه الاصل في الامر وحقيقته عند الاكثر وتقرر
في كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الاية وما عضدها من الاحاديث لا الاية
فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله وحكى ابو جعفر الطبري هو
الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه ان محمل الاية اي المراد منها وما فيها من
الامر عنده اي عند ابي جعفر على الندب وفيه تفرد براي تبعا لغيره والا
فلا معنى لحكايته ما عنده ويرد على المقدر فقوله وادعى فيه اي في ان الامر
فيها للندب الاجماع وفي قوله ادعى اشارة الى ان ما قاله ممنوع عنده لثبوت
خلافه عنده ثم وفق بينه وبين ما ذكره قبله فقال ولعله اي ما ادعاه
فيما زاد على مرة واحدة في العمر فانه لا خلاف في عدم وجوبه على كل احد
والواجب منه مبتدا خبره مرة الاتي الذي تسقط به الحرج اي التضييق

على

عني

على الناس لو وجب دايما او كما ذكروا الاثم فان الحرج ورد بهذا بين المعنيين كما صرحوا
به وما ثم ترك الفرض اي يسقط به الاثم عن تركه اذا كان فرضا فالمأثم بالمثلثة مصدر
ميمي بمعنى الاثم مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب مرة مرفوع على الخبرية
كالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة فانها واجبة في العمر مرة فاذا
سقط الوجوب بمرة يتحقق في ضمنها ماهية المامور به فالصلاة بالطريق الاولى
وهو احد المذاهب في الصلاة كما سياتي بيانه وما عدا ذلك اي المرة الواحدة في
الصلاة والشهادة فمندوب مرغب فيه بكثرة ثوابه وفوايده من سنن الاسلام
وشعار اهله اي دابهم الذي هو علامة لهم وهو لغة بمعنى العلامة وله
معان اخر وهذا احد اجوبة عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذي حكاه ابن الفرس
المص وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح وما نقله المص صرح به ابن عبد
من غير عزو له لمذهب وهو ظاهر قال القاضي ابو الحسن بن القصار بقاف
وصاد مشددة وراء مهملتين وهو علي بن عمر بن احمد الفقيه الثقة له كتاب
في الخلاف كثير الفوايد لم يصنف في بابه احسن منه وفي بعض النسخ الصفار
بصاد مهملة بعدها فا مشددة ثم را قال التلمساني والاول هو
المعتمد وهو من ايمة المالكية منسوب لصنعة قصارة الثياب وهي تبييضها
والثاني لبيع الصفر وهو النحاس المشهور عن اصحابنا يعني المالكية ان ذكر اي
الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب في الجملة اي اجمالا او مطلقا
من غير تعيين وقت له على الانسان وفرض عليه اشارة الى ان الواجب والفرض
عنده بمعنى كالشافعية خلافا للحنفية ان ياتي به مرة من دهره اي في مدة عمره
لخروجه بذلك عن عهدته مع القدرة على ذلك اي شرط في وجوبه مرة في عمره
ان يقدر على التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنه كسائر
الواجبات كمن اخترمته المنية وقوله لا ينافي ما تقدم من الاجماع لانه لا يسلم
له وقصده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الايمة ايضا او هو اشارة لما نقله
عن الطبري وان كان عنده لا ينافي الاجماع لكونه رواه او ما قدر كما تقدم ولم
يتعرضوا لحكم السلام عنده ونقل الحطاب من متاخري المالكية عن الرصاع ان الذي
يظهر ان السلام عليه صلى الله عليه وسلم واجب مرة مثل الصلاة عليه
والزايد مستحب لقول ابن عباس رضي الله عنهما فريضة من الله علينا ان نصلي
على نبينا ونسلم تسليما وما نقل عن مشايخ المغاربة من التوقف في وجوبه
لا اصل له والحق ان حكمه حكم الصلاة انتهى وقال القاضي ابو بكر بن بكير وقد
تقدمت ترجمته افترض الله عز وجل على خلقه جميعا او افترض بمعنى اوجب وفيه
زيادة تاكيد لزيادة بنيته ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما كما مر نقله عن
ابن عباس من فرضا للصلاة والسلام وينبغي ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا
للمامور ولم يجعل ذلك الافتراض لوقت معلوم فاللام فيه للتوقيت والظرفية
كما يقال كتبته لستة عشر مثلا فالواجب على الخلق ان يكثر المرء اي الرجل والمراد
به الانسان ولو امراة تغليبا منها اي من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا يغفل عنها اي يتركها ويشتغل عنها بغيرها وفي كلامه شيء لانه بصدد بيان وجوبها
مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها مناف له لاقتضائه مرات كثيرة فان اراد انه ان
فعلها في وقت ما يكررها مرارا في ذلك الوقت فايجاب مثله غير ظاهر مما نقله قبله
فان كان قولا اخر فسياقه لا يساعده واما الاعتراض عليه بانه امر مطلق لا تعرض
فيه لعدد ولا تعيين وقتها فلا معنى له وفي بعض الشروح انه قول ثالث انه يجب الاكثار
منها مطلقا من غير تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن وقال القاضي ابو محمد بن نصر
المالكي وهو القاضي عبد الوهاب بن نصر بن احمد بن حسين وقيل ابن الحسن بن احمد
ابن هارون بن مالك ادركه الشيرازي وسمع منه في النظر وكان فقيها شاعرا بليغا
اديبا له شعر كثير وكتب كثيرة في كل فن وارتحل في اخر عمره لمصر فحصلت له ثروة
وتوفي سنة احدى وعشرين واربعمائة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
واجبة في الجملة اي من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره قال القاضي ابو عبد
الله محمد بن سعد قيل هو محمد بن سعيد بن بشير بن شرحبيل الفقيه كتب وحدانه
للقاضي مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقي مالكا رضي الله عنه فقرأ عليه ثم
انصرف للاندلس والتزم ضيعته بباجة الى ان توفي سنة ثمان وتسعين
ومائة كما قاله القاضي في المدارك ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل
العلم الى ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة اي اجمالا من
غير تعيين مقدار ووقت بعقد الايمان اصل معنى العقد ربط اطراف الشيء
كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها
واعتقادها يقينا فقوله بعقد الايمان بكسر الهمزة والباء سببية او بمعنى
بعد اي هي اول ما يفرض بعد الايمان بالله ورسوله لا تتعين في الصلاة اي
ليس وجوبها مخصوصا وموقتا بها وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره
ومدة حياته الى موته سقط الفرض عنه لخروجه عن عهدته قيل حاصل
ما ذكره المص غير ما نقله عن الطبري ولم يرتضه قولان الاول انها فرض في
الجملة تسقط بمرة والثاني انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وتقدم ما فيه
والفرق بين القول بانها تجب مرة والقول بانها تجب في الجملة مطلقا انه ما
زاد على المرة في القول الاول يقع نفلا وعلى الثاني يقع الكل فرضا ويثاب
عليه ثواب الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ما قاله الشافعي رحمه
الله في مسح الراس انه يجب مسحه مطلقا ولو مسح شعرة حصل الفرض ولو
مسح الجميع وقع فرضا وبقي اقوال اخر غير ما ذكره المص منها انها تجب في
كل مجلس مرة في جلسته وهل هي فرض كفاية على اهل المجلس فلو صلى واحد
كفى عن الجميع او فرض عين ومنها انها تجب كلما ذكر وما نقل عن الطحاوي
وبعض الحنفية والشافعية للحديث الاتي رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي وقيل انه مبني على ان الامر يقتضي التكرار وهو ضعيف
وقيل عليه انه يلزمه شغل المرء عن غيرها من العبادة وانه يقتضي
وجوب ذلك على المصلي وقارئ القران والمتشهد ويلزمه التسلسل

وفيه

وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن احد من الصحابة والتابعين ولو كان كذلك
وجب الثنا على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقل به احد **واجب**
بانه مفقود عن الائمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن في الصلاة ونحوها والحرج
فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثناء على الله ايضا او نفرق بالفرق بينهما بانه تعالى
غني مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان هذا حق العبد وذلك حق الله وهو
مبني على المسامحة دون المشاحة والقول بانه حق الله ايضا لامره به ناشئ من عدم
فهم المراد بحق الله وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به في الاية المذكورة
اولا وامر به رسوله عليه الصلاة والسلام كما سياتي بيانه هو في الصلاة اي هو
عقب التشهد قبل التحلل وسياتي تفصيله وذكر الاحاديث التي استدل بها الشافعي
واصحابه كما صرح به في الام وقول القرافي في الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود
بانه صرح بخلافه ولا اجماع على وجوبها وقالوا اي اصحاب الشافعي واما في غيرها
اي غير الصلاة وهو خارجها فلا خلاف في انها غير واجبة المراد انه لا خلاف عند
الشافعي واصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقديرها لا مرة واحدة
كما مر لا يجدي نفعا الا ان نفي الخلاف هنا على المشهور عندهم وفي الشرح الجديد
ما نقله المص عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة
في الخطبة الاولى والثانية للجمعة لانه لم ينقل عن الخلفاء الراشدين تركها
فيها ووافقه احمد وهما اماما السنة وقال الشافعي ايضا بوجوبها في صلاة
الجنازة اي بعد التكبيرة الثانية كما سياتي بيانه ووافقه احمد واتباعه
ايضا ورووا فيه احاديث صححوها واما في الصلاة اي حكمها فيها فحكى الامام
ابو جعفر يعني محمد بن جرير الطبري وقد تقدمت ترجمته والطحاوي احمد بن محمد
ابن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها في الصلاة وغيرهما
من الائمة اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول والاخير منها غير واجبة وشذ
الشافعي رحمه الله اي انه يقول شاذا انفرد به عن جميع ائمة الدين ولم يقل
به احد قبله ولم يوافقه عليه احد في ذلك اي بقوله بوجوبها في تشهد
الصلاة الاخير فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد
التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة لانها ركن من اركان الصلاة فتفسد
بتركها في التشهد الاخير فقط وان صلى عليه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اي
قبل التشهد الاخير وقوله فيه اشهد ان محمدا رسول الله لم تجز به صلاته
اي لم تصح ولم يسقط عنه الفرض فيجب عليه اعادة صلاته ولا سلف له في
هذا القول بوجوبها في التشهد الاخير اي لم يقل به احد من السلف ولا سنة
يتبعها اي لم يثبت في السنة والاحاديث النبوية ما يكون دليلا على ما قاله
الامام الشافعي وقد بالغ في انكار هذه المسالة عليه لمخالفته فيها من تقدمه
من الائمة والسلف جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها مقصود شنعوا بمعنى
قبحوا اي عدوا ما قاله امرا قبيحا وقولا مبتدعا منه منهم الامام محمد بن جرير

شبكة الألوكة www.alukah.net

الطبري والامام القشيري قيل المراد به ابو ناصر صاحب الرسالة اهـ ابو بكر بن العلاء
القشيري المالكي والامام القشيري صاحب الرسالة هو شافعي لم ينكر عليه شيئا
مما ذكر وغير واحد اي ناس كثيرون من الفقها والعلما وقال ابو بكر بن المنذر بصيغة
اسم الفاعل وهو الامام الاوحد ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري الثقة الحجة
امام عصره وشيخ الحرم توفي بمكة سنة تسع او عشرة وثلاثمائة يستحب ان لا يصلي
احد صلاة ما فرضا كانت او نفلا او جنازة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد التشهد وبعد التكبيرة الثانية فان ترك ذلك تاركه اي فاحد اي
واحد كان في اي صلاة كانت فصلاته مجزية اي صحيحة وان كان الافضل عدم
الترك في مذهب مالك واهل المدينة اي علمائها وهو من عطف العام على الخاص
وسفيان الثوري صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب واهل الكوفة اي علمائها
من اصحاب الراي المراد بالراي القياس في عرف الفقها والمالكية والشافعية
يريدون بهذه العبارة اتباع ابي حنيفة ويقابلهم اهل الحديث لاقتصارهم في
العمل عليه وغيرهم من العلما وهو قول جل اهل العلم الجل بضم الجيم المعظم
والاكثر من كل شيء وحكي عن مالك وسفيان الثوري انها في التشهد الاخير مستحبة
لا واجبة وحمزة لاخير لانه محل الخلاف وان تاركها في التشهد مسيء غير محسن
لارتكابه امرا مكروها فصلاته وشذ الشافعي اي انفرد رحمه الله بهذه المقالة
المخالفة عن غيره من الايمة فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة لتركه
ركنا به تتم سوا تركها عمدا او سهوا واوجب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد وهو
الامام الجليل ابو يعقوب بن راهويه عالم خراسان ومحدثها توفي وسنه
سبع وسبعون سنة في شعبان سنة ثمان وثلاثين ومايتين الاعادة مع تعمد
تركها دون النسيان وحكى الشيخ ابو محمد بن ابي زيد هو صاحب الرسالة المشهورة
وهو من ايمة المالكية عن محمد بن المواز بفتح الميم والواو المشددة واخره زاي
معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم ومن اجل الايمة في مذهب مالك وعليه
المعول فيه وهو اسكندراني تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم الا انه اعتمد
على اصبغ وتوفي ببعض حصون الشام وقد هرب في فتنة واختفى به ووفاته
سنة احدى وثمانين ومايتين ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة
ولم يبين لوجوبها وقتا ولا غيره قال ابو محمد هو ابن ابي زيد المار ذكره
قريبا في تفسير كلام ابن المواز يريد ليست من فرايض الصلاة بل انها فرض
في الجملة كما تقدم وسيأتي ما يخالفه وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره
هو ابو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصري صاحب الامام الشافعي لم يكن في
عصره اجل منه ولا اعرف باقوال الصحابة والتابعين منه ولد سنة اثنين
وثمانين ومائة وتوفي لليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان او تسع وستين
ومايتين واخرج له النسائي رحمه الله وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
من ايمة المالكية ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الامام في
وقد نقل الاسنوي رحمه الله ايضا ان للشافعي رضي الله عنه قولا اخر

امام

غير

غير ما اشتهر عنه انها سنة في الصلاة لا ركنا واجبا وقال ابن عبد السلام المالكي هو ظاهر
كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب في مختصره الفرعي وابن العربي في سراج المريدين وحكى
ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب اي عن مذهب الامام مالك رحمه الله فيها اي في الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة اقوال في الصلاة الاول الوجوب والثاني السنة
والثالث الندب جريا على اصطلاحهم في التفرقة بين السنة والندب وقد خالف الامام
الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي وليست
بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقها الا الشافعي فانه ذهب لوجوبها فيها
ولا اعلم له فيها قدوة اي ما يقتدي به من الادلة والسلف وسيأتي رد هذا
والدليل على انها ليست من فروض الصلاة كما قاله الشافعي عمل السلف الصالح
قبل الشافعي من الصحابة والتابعين وهذا الاوجه له كما سيأتي بيانه واجماعهم
عليه سيأتي ايضا انه لا اجماع فيه وقد شنع الناس عليه في هذه المسألة جدا اي قبحوه
وانكروه اي تشنيعا كثيرا اجتهدوا وجدوا فيه جدا ثم بين وجه الانكار بقوله وهذا
تشهد ابن مسعود جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير اليه الذي اختاره الشافعي
رضي الله عنه اي رجحه على غيره فان التشهد له طرق مختلفة وهو الذي علمه له النبي
صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما قاله
مردود ايضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذي فيه زيادة لفظ المباركات لموافقته
لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة ولتاخره عن تعليم ابن مسعود كما
قاله البيهقي رحمه الله وكذلك اي مثله في عدم ذكر الصلاة عليه فيه كل من روى
التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة الذين علمهم التشهد كابي هريرة
وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله
ابن الزبير كلهم لم يذكروا فيه اي في تشهدهم الذي تعلموه صلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم هذا اعظم ما تمسك به المخالف في رده لما ذكرنا لكن يلزم من عدم
ذكرهم انه لم يامرهم به وهو مردود ايضا لان تعليمهم ذلك كان في ابتدا الهجرة
قبل نزول الاية والامر بها في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه الاية
فلذا لم يامرهم صلى الله عليه وسلم بما لم يؤمر به فلما نزلت امرهم وهذا
مصرح به في الحديث وسيأتي نقله مفصلا بطرقه وقد قال ابن عباس وجابر
في حديث رواه مسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا
السورة من القران فنقرؤه عليهم ويامرهم بتلقنه بالفاظه وحفظه فكيف
يترك ما هو مذكور فيه وقد عرفت جوابه ونحوه اي مثل ما ذكر عن ابي سعيد
الخدري كما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد
على المنبر وهو يخطب عليه في خلافته كما تعلمون الصبيان في الكتاب بضم الكاف
وتشديد المثناة الفوقية وهو اسم للمحل الذي فيه الصبيان ينتقل من جمع
كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى في كلامهم كما ذكره
الزمخشري في الاساس وغيره ولا عبرة بمن انكره او قال انه مولد والصواب
المكتب وعلمه اي التشهد ايضا على المنبر عمر بن الخطاب كما علمه عليه ابو بكر في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خلافته يعني بذلك شهرته بحيث لا يخفى على احد ولا يتركه ولا دليل له فيه لان ما علم على
المنبر لم يذكر ولم ينقل بدون ذكر الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم اشار الى الجواب عن بعض
ما استدل به الشافعية فقال وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه
والطبراني والدارقطني والبيهقي وفي بعض الفاظه اختلاف ما لا صلاة لمن لم يصل
عليّ بالتشديد وروي لمن لم يصل على نبيه وهو بظاهره دليل للشافعي على ان الصلاة
لا تصح بدونها قال ابن القصار معناه المراد منه كاملة الاجر وهو صرف للنفي عن
المتبادر منه من نفي الصحة الى نفي الكمال فتصح وان لم يكمل وهذا مبني على قاعدة
اصولية وهي ان النفي اذا دخل على شيء ليس بمنفي هل تقدر الصحة او الكمال فقال
الشافعي الارجح تقدير الصحة لانه اقرب الى نفي ذات الشيء وقال غيره تقدير الكمال
وقد بينه البيضاوي في شرح المصابيح في حديث انما الاعمال بالنيات او لمن لم يصل
على من في حمر وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسياتي تفصيله ثم بين ما فيه بحسب
الرواية لقوله وضعف اهل الحديث كلهم راويه هذا الحديث لانه كما قاله الامام
الخيضري في كتابه اللواء المعلم من حديث عبد المهيمن بن عباس عن ابيه عن
جده وعبد المهيمن ليس بحجة وروي من طريق اخرى لم تثبت انتهى وفي حديث
ابي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يصل علي فيها ولا على اهل بيتي لم تقبل منه وهذا يفيد
ان الصلاة على الآل في التشهد الاخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
فيه وفيها قولان للشافعي والصحيح في المذهب انها غير واجبة واما في التشهد
الاول فمن قال انها واجبة في الاخير قال باستحبابها فيه ومما ينسب للشافعي
رضي الله عنه في ذلك

يا اهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن انزله
كفاكم من عظيم القدر انكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل
ويحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق اظهر قوليه قال الدارقطني الصواب انه
من قول ابي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي
طالب لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته
لرايت انها لا تتم وهذا يوافق ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى ففيه تاييد
له دون ما قاله المص واعلم ان الامام الخيضري رحمه الله صنف في هذه المسئلة
كتابا سماه زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض كالعنة بتمامه وقد قال
فيه ما قصدت به تنفيس مقداره فانه طراز هذه العصابة وتلخيصه ان الامام
الشافعي رضي الله عنه قال في الام فرض الله عز وجل الصلاة على رسوله صلى
الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته الاية فلم يكن فرض الصلاة عليه في
موضع اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله عليه وسلم
ثم ساق باسناده الى ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني
في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد الخ وساق بسنده ايضا الى كعب بن

عجرة

عجرة عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد الخ فلما روي
انه كان يعلمهم التشهد في الصلاة وانه علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان نقول
التشهد واجب والصلاة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله عليه وسلم فعلى
كل مسلم وجبت عليه الفرائض ان يتعلم التشهد والصلاة عليه فمن صلى ولم يتشهد
ولم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى ثم ذكر ما قاله المص وقال
هذا قول لا ينبغي الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت منه كيف اقدم على هذه
المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهي قولة غير
صحيحة ينادي مدعيها على نفسه بفضيحة واي فضيحة وسترى حججا بالغة
وسننا مشروعة ومنار براهين لا مقطوعة ولا ممنوعة فمن الادلة على وجوبها
في التشهد الاخير الاية المذكورة لاتفاقهم على ان الامر المطلق يقتضي الوجوب ما لم
يقم الدليل على خلافه والله قد امر عباده بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه
وسلم وثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم سالوه عن كيفية هذه الصلاة
المامور بها فقال قولوا اللهم صل على محمد الخ والسلام الذي علموه هو السلام
في الصلاة والتشهد فخرج الامران والتعليمان والمحلان واحد ويوضحه انه صلى
الله عليه وسلم لما علمهم التشهد علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلاة عليك
المامور بها فقال اللهم صل الخ وهما في الصلاة في ظاهر الحال ويؤيده انه
لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه صلى الله عليه وسلم يقول له السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة عليه
بهذه الالفاظ بتمامها والمنقول انهم كانوا يقولون في تحية الصلاة السلام عليك
يا رسول الله او يا نبي الله صلى الله عليك ونحوه فيما نعلمه زائدا على التحية والصلاة
فخرج هذا مخرج البيان لما في القرآن وظهر وجه دلالة الاية عليه واورد عليه
ان قول الصحابة قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة يحتمل ان يراد به السلام
في الخروج من الصلاة كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا طرقه الاحتمال بطل
به الاستدلال وان غاية ما ذكرتم دلالة اقتران الصلاة بالسلام على الوجوب
في الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا سلم وجوب السلام وهو
غير مسلم واجيب بان الاول فاسد يرده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام
عليك لا السلام فقط حتى يكون المراد السلام من الصلاة والثاني لم يستدل
بالاقتران وانما استدل بالامر بها في الاية ولهذا اسقط ما بعده والدليل الثاني
من السنة ما في البخاري مسندا قال عبد الرحمن بن ابي ليلى لقيني كعب بن
عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا
يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد واخرجه مسلم وغيره من
طرق سائقها واصحاب السنن فان قلت قد علمنا من الاحاديث صفة الصلاة
لكنها مطلقة لم تقيد بالصلاة قلت علم هذا من اطباق العلماء والمحدثين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من غير نكير على ان المراد بها الصلاة ولذا وردت مذكورة في التشهد في كتبهم دون
باب الادعية ولا يكتفي بهذا بل نقول ورد التصريح بذلك في الحديث ايضا فيما
رواه احمد في مسنده من طريقين عن ابن اسحاق قال حدث في الصلاة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا المرء المسلم صلى عليه في صلاته وساقه الخ والعجب
من المص رحمه الله انه قال في شرح مسلم في سؤالهم عن الصلاة يحتمل انه في
غير الصلاة وفي الصلاة والاظهر الثاني لقوله والسلام كما علمتم انتهى وسبحان الله
كيف ينكر بعد هذا على الشافعي وهذا من زيادة الثقة فهي مقبولة وقد رواها
الشافعي في مسنده فدعاه ذلك الى حمل الاية عليها فان قلت بعد تخصيصه
بالصلاة ليس في الحديث ما يدل على الوجوب قلت الوجوب معلوم من قوله
صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتموني اصلي ولا يلزمه وجوب ما في صلاته
من السنن لقيام دليل من خارج على عدم وجوبها ثم ذكر احاديث اخر صريحة
فيما ذكره واها بمعنى ما سبق ومن الادلة ما في مسند احمد الاتي في كلام المص
ايضا انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته فلم يحمد الله في صلاته — بحمد الله صح
ولم يصل عليه فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او
لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميده والثنا عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه — بتحميده صح
وسلم ثم يدعو بما شا وهو حديث صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان
وقال انه على شرط الشيخين فان قلت ان هذا يدل على عدم الوجوب لانه لم
يامره باعادة الصلاة وقد يقال ايضا ان هذا الدعا كان خارج الصلاة لان
الترمذي روى هذا الحديث في جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي
وارحمني فقال له عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو — بما شا صح
اهله وصل علي ثم ادعه وفي رواية بما احببت قلت انه كان عبثا لم يوجبها
فلم يامره بالاعادة ويحتمل انه اعادها او انها نفل لا تجب اعادته وما ذكر
من الحديث رواية غير ثقاته فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الاخر مع
قوته وقد وانه على شرط الشيخين وقد ورد التصريح بانه يتشهد ويصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم بعده في الصلاة ثم اورد على قول المص انه اي
الشافعي لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين
منهم عبد الله بن مسعود راوي حديث التشهد وروي عنه انه كان يراها
واجبة في الصلاة وابو مسعود البدري روي عنه مرفوعا وموقوفا
ومنهم عبد الله بن عمر وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين والشعبي كما
نقله البيهقي ومقاتل بن حيان ومحمد بن كعب القرظي كما نقله الماوردي
واسحاق بن راهويه كما نقله المص واحمد بن حنبل في رواية عنه ومن
العجايب ان المص انكر على الشافعي ما ذكر وقال في شرح مسلم ما نصه حكى
بعض البغداديين عن مذهب مالك في المسيلة ثلاثة اقوال الوجوب
والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب في الصلاة

كمذهب

كمذهب الشافعي وكلامه محتمل للوجوب على الجملة ونقله ايضا في كتابه هذا وصاحبه
ابن القصار في كتابه عيون الادلة وهو من اجل كتبهم بعد ما نقل ما سياتي من ادلة
المخالفين في فرضيتها في الصلاة وجه ما نقل عن ابن المواز ما استدل به القايلون
بالوجوب فتكون الجلسة الاخيرة للتسليم عليه وان الصلاة لما تضمنت ذكر الله
وتمجيده كما في فاتحة الكتاب وجب ان يذكر فيها الصلاة والسلام على الرسول
صلى الله عليه وسلم حتى لا تخلو الصلاة عن ذكره مع الله كما في الاذان والاقامة
فذكر وجهه يدل على انه مال اليه وقال ابن العربي في احكام القران ان الصحيح
ما قاله ابن المواز فتعينت كيفية ووقتا كما بيناه في مسايل الخلاف انتهى وهو
امام مشهور من ايمتهم وكذا ذكره ابن الحاجب في مختصره الكبير وشارحه ابن عبد
السلام فظهر منه انه قول راجح في مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من السلف
فنسبته الى الشذوذ خطا ظاهر مع ما بينا فقد منه من كلامه هنا واذا نقل هذا عن
الصحابي ولم يصرح غيره بخلافه يصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل في الاصول
وعمل الناس على الصلاة عليه بعد التشهد وتعليمها للصبيان فكيف يدعى خلافه
واما ادلة المخالفين للشافعي كابي حنيفة واتباعه ومالك في احد قوليه
واليه ذهب بعض الشافعية كابن المنذر والخطابي والقشيري كما نقله المص
ولهم ادلة وحديث التشهد المروي عن بضعة وعشرين من الصحابة وليس
في رواية منه ذكر الصلاة ثم سردها وابطلها وفصلها تفصيلا لم يسبق اليه
ثم قال والجواب عنه من وجوه منها انه لم يعلمهم جميع الواجب في الجلسة
الاخيرة فان ايجاب الصلاة فيها بدليل اخر لا ينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام
ولم يامرهم به في هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد اوجبتموه فما
كان جوابكم فهو جوابنا اذ ثبوته بدليل اخر وايضا التشهد ثبت بتعليمه وكذا
الصلاة فاي فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص بالصلاة كالسلام ومنها ان
احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب مقدما عليها لان النافي
مستصحب للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو مقدم على المستصحب
لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه راسا وقد رد ايضا بان التشهد فرض حين
فرضت الصلاة وفرضت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حين نزلت اية
الاحزاب بعد تخييره ازواجه فالتشهد كان تعليمه قبل فرضها فلا يضر عدم
ذكره في تلك الرواية فلذا قالوا له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا السلام
عليك فكيف نصلي عليك فان قلت فالمعروف في الحديث الصحيح المروي الذي
فيه انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى
قوله اشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا او قضيت هذا
فقد قضيت صلاتك ان شيت ان تقوم فقم وان شيت ان تقعد فاقعد
فانه يدل على ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيها ليست بواجبة
ولا سنة كما قاله ابن عبد البر في التمهيد قلت هذا مطعون فيه وقد
قال الدارقطني في العلل انه من زيادة زهير مدرجة في الحديث وصله

شبكة الألوكة www.alukah.net

بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس منه وتتبع طرق الحديث شاهدة لما قالوه وايضا انه يحتمل انه قبل ايجاب الصلاة عليه وايضا هو ورد نفيا لما كانوا يقولونه السلام على الله تعالى لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا كذا مع سائر ما علم وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه مع ان المستدل بهذا اصحاب ابي حنيفة القائلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب الجلوس بمقداره فلو تم هذا كان دليلا عليهم لا لهم لتعليقه تمام الصلاة على التشهد وهم لا يقولون به فبطلت المعارضة به ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليهما عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضري مما يهمنا هنا وقد بالغ الشافعية في الرد على المص وتخطئته فيما قاله كما سمعته حتى قال بعضهم هذا المشنع انما هو يشنع على نفسه لا على الشافعي اذ لم يخالف كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا مصلحة راجحة بل تمسك بادلة واضحة ناقة وعد ذلك من محاسن مذهبه ولم ينفرد بذلك قال بعض المحققين ولو سلم تفرده بذلك لكان حبذا التفرد انتهى وقال شيخنا ابن قاسم قلت واي محذور في تفرد ابن ادريس واي حاجة له الى موافقة غيره له انتهى ولكن اذا امعنت النظر علمت انه اي المص ناقل لما قاله الطحاوي ومن تبعه وما على الناقل الا تصحيح نقله وما على الرسول الا البلاغ ففيما قالوه ايضا تحامل عليه لكن الحذر من جنس العمل وهذا من باب الالباب الذي لا نجده في غير هذا الكتاب وها هنا بحث ذكره الاسنوي رحمه الله في التمهيد وهو ان الامر بعد سؤال التعليم كالامر بعد الاستيذان او بعد الحظر يفيد الاباحة عند الشافعية والوجوب عند ابي حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بقوله قولوا اللهم صل الخ بعد قولهم كيف نصلي عليك الا ان يقال استفيد الوجوب من امر خارجي فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفية واجب انتهى وفيه نظر

فصل

في المواطن اي الاماكن فهو من قبيل المشفر لان معناه مكان التوطن والاقامة التي تستحب وليس فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومرغب بالبنا للمفعول وتشديد المعجمة من الترغيب ويجوز تخفيفها وهو عطف تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوائد والثواب من ذلك المستحب المرغب فيه في تشهد الصلاة وهو الثنا على الله في الجلسة فيها وسمي تشهدا باسم جزئه وهو قوله فيها اشهد ان لا اله الا الله الخ والملفقة لتشمل الاول والاخير فانها مستحبة في الاول واجبة في الاخير كما تقدم تفصيله كما قدمناه في الفصل الذي قبله وذلك اي موطنه ومحله المعلوم مما قبله بعد التشهد اي قوله اشهد ان محمدا رسول الله وقبل الدعا المأثور في كتب الفقه او بما ثنا حدثنا القاضي ابو علي هو ابن سكرة بشيخه كما تقدم بقراءتي عليه لا بغيرها من طرق الاجازة حدثنا ابو القاسم البلخي نسبة لبلخ مدينة معروفة قال حدثنا الفارسي تقدمت

ترجمة

ترجمته عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ هو الترمذي صاحب الشمايل والسنن وقد تقدم قال حدثنا محمود بن غيلان ابو احمد الحافظ المروزي اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة تسع وعشرين ومايتين قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقري وفي نسخة زيد بدل يزيد والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصري نزيل مكة ومولى آل عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن ابي حنيفة وغيره وتوفي سنة ثلاث عشرة ومايتين عن حيوة بن شريح تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس في الاعلام وقياسه حية قال حدثني ابو هانئ الخولاني اسمه حميد بن هانئ وهانئ بهمزة في اخره بحروف ابدا الهمزة الفا وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفي سنة اثنين واربعين ومايتين ان عمرو بن مالك الجنبي وفي نسخة عمرو بواو وهي الصواب وابو علي الجنبي بفتح الجيم ثم نون ساكنة وبا موحدة نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصري ثقة وذكره في الميزان توفي سنة اثنين او ثلاث ومائة اخبره انه سمع فضالة بفتح الفا والضاد المعجمة ولام وها تانيث ابن عبيد بالتصغير بن نافذ بن قيس الانصاري الاوسي ابو محمد الصحابي ولي قضا دمشق وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرج له احمد وغيره يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته بعد التشهد في الجلسة الاخيرة فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد تشهده فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا بفتح العين وكسر الجيم اي اسرع بدعائه واتى به في غير محله قبل ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لان الدعا معلق حتى يصلى عليه كما يأتي فان من سال حاجة لا بد له ان يقدم وسيلة توصل لقضا حاجته ثم دعاه اي طلب ذلك الرجل وقربه اليه فقال له او لغيره اي وجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام وفي نسخة ولغيره بالواو اذا صلى احدكم فليبدا بالهمز اي يقدم على دعائه ليبتدئ بتحميد الله والثنا عليه عطف تفسير لبيان ان المراد ما يفيد المدح والثنا لا خصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفي كيفيته روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل في محله ثم يصلي على ثم ليدع بلام مكسورة او ساكنة للام بما شاء من الخير والدعا بالماثور افضل ويروى من غير هذا السند الذي رواه المص عن الترمذي ورواه ابو داود وثم بتمجيد الله بميم وجيم ودال مهملة ومعناهما متقاربان والرواية الثانية لابن ماجه بسند آخر وهو اصح رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر وانما تم استدلال المص به ان كان في الصلاة وقد استدل به الشافعي على وجوبها فيها كما مر وقد نوزع فيه بانه ورد من طريق آخر تقدمت قريبا بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال صلى الله عليه وسلم له عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادعه وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه اقول قد اجاب الخيضري عنه باجوبة حاصلها انه ليس نصا فيما ذكرت لان المراد بالقعود الجلسة الاخيرة في التشهد وقد ورد التصريح به في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رواية اخرى فاندفع الابراد وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه الترمذي
قال الدعا والصلاة عطف تفسير او المراد به العبادة المخصوصة الا انه قيل ان
هذا اللفظ اي الصلاة ليس مذكورا في الترمذي وهو المشهور معلق كل منهما
اي موقوف قبوله فهو استعارة او حقيقة لان الملايكة لا تصعد به بين السماء
والارض لا يصعد الى الله منه شيء لعدم رضاه برفعه اليه حتى يصلى عليه صلى
الله عليه وسلم لان اعمال المؤمنين تكتب وترفع الى السما اذا قبلت وقبولها
متوقف على الصلاة عليه لانه هو الذي هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا
العظما اليه وقد فسر قوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السما لهذا والدعا والصعود
من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقبول انها ختم ولا مانع منه وعن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه رواه البيهقي وابن عساكر وغيره عن النبي صلى الله عليه
وسلم بمعناه اي بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه وعن عايشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال وعلى ال محمد فلا بد من الصلاة على الال مع الصلاة عليه وهذا
هو الاكمل ووجوبها تقدم الكلام عليه ومر ويرد رواه عبد الرزاق والطبراني
بسند صحيح عن ابن مسعود ان الدعا محجوب عن السما فلا تفتح له ويلزمه انه
لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول حتى يصلي الداعي على
النبي صلى الله عليه وسلم وليس في هذا دليل على وجوبه في الصلاة اذ القبول
ليس من شرايط الصحة ومن ادعاه فقد تبرع بما لا يملكه ولا يقبل ولو عد المص
هذا امرا مستقلا كان اولى كما فعله غيره لكنه ادرجه في التشهد لانه محل للدعا
ايضا وعن ابن مسعود في حديث صحيح مسند اذا اراد احدكم ان يسال الله شيا
فليدعو به فليبدا بمدحه والثنا عليه بما هو اهله اي بما يستحقه ويليق
به كما ارشدنا الى ذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان في تفسيره اذا قيل له
ان الحلا احبا منيبا بقراة الفاتحة فلا يبكر وليقراها ملاحظا للثنا عليه وحمده
لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والاخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه
بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الخ ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله
اياك نعبد ثم تفويض امورك اليه مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع
كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم يفوض امورك اليه لقوله اياك نستعين ثم
يساله حاجته لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعا ثم يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ليستشفع باقرب مخلوقاته واجههم اليه فانه
الوسيلة العظمى فانه اي دعاه بهذه الكيفية اجدر اي احق واليق ان ينجح
ينجح اي له مبني للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا
الحديث رواه عبد الرزاق والطبراني وابن ابي الدنيا بسند صحيح فيقدم
صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم ويختم بها ويوسطها في دعايه كما
قاله الخيضري ويدل له ما ياتي فلما اكرمن صلاته عليه صلى الله عليه وسلم
تحقق الاجابة وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما رواه البزار
وابو يعلى والبيهقي في شعب الايمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابا قيس

لا تجعلوني

لا تجعلوني كقدح الراكب قيل وما قدح يا رسول الله قال فان الراكب اي من يريد ركوب
راحلته لسفر ونحوه يملؤ قدحه وهو انا صغير من خشب ونحوه يشرب به ثم يضعه عنده
ثم يرفع متاعه الذي يريد حمله على راحلته فان احتاج الى شرابه اي شربه ما شربه اي شرب
ما قدحه الذي وضعه فيه او الوضوء من ما قدحه توضا بالهمزة ويجوز ابداله الفا
والا اي وان لم يكن محتاجا لشرب او وضوء هراقه بتقدير مضاف اي هراق ماءه اي صبه
على الارض لا تستغنا به عنه واصل هراقه اراقه فابدلت همزته هاءا وقد يجمع بينهما
فيقال اهراقه وتفصيله في كتب اللغة والعربية قال ابن الاثير وغيره معناه
لا تؤخروني اذا صليتم علي في الذكر وتجعلوا ذكري تبعا لغيره بل اعتنوا به فقدموه
واذكروه في وسطه واختموا به كما اشار اليه بقوله ولكن اجعلوني اي اجعلوا ذكري
بالصلاة علي في اول الدعا واوسطه واخره ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتاخير ذكره
عن دعايه كما ان من يريد الركوب لرحيله بيده ومتاعه فيحمله ويجمع ماله وقدحه
موضوع على الارض ثم يلتفت لقدحه فياخذ ما فيه او يريقه هذا كقول حسان رضي
الله عنه في هجايه

فانت هجين نيط في ال هاشم ۞ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

موع

والراكب يجعل القدح خلفه وفي هذا الحديث زيادة على ما قبله بجعله اولا ووسطا
واخرا وقال ابن عطا ابو العباس احمد بن محمد بن سهل الادمي وهو من اجل مشايخ
الصوفية توفي سنة تسع وثلاثمائة للدعا اركان اي امور مهمة لا بد منها شبهت
باركان البنا ومنه اركان الصلاة عند الفقها واجنحة جناح الطير كما لا بد للانسان
يحتمل بها ما تريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه ما هو مقدمة لقبوله
ورفعه الى السما بالاجنحة للطاير واسباب اي وسايل الموصول للمطلوب والفوز
به واوقات مخصوصة يكون فيها اسرع اجابة كاوقات الصلاة فان وافق اركانه
اي قارنها وكانت تامة قوي اي كمل وتم كما يتقوى البنا والبدن باركانه وان وافق
اجنحته بان كان له اجنحة كاملة طار في السما اي صعد اليها وقبل كما مر وان وا
مواقيته جمع ميقات بمعنى الوقت اي ان وقع في اوقاته فاز اي ظفر بالاجابة
وحصلها وان وافق اسبابه انجح اي تم وكمل نجاحه وسعادته ثم بين ذلك
فقال فاركانه حضور القلب اي توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه والرقة
اي رقة القلب وفسرها بقوله والاستكانة اي الخضوع والانقياد والخشوع
بالذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر وتعلق القلب بالله بقطع النظر
عما سواه وقطعه الاسباب بان لا يرجو غيره كما في الدعا الماثور اللهم اقذف في
قلبي رجاك واقطع رجاي عما سواك واجنحته الصدق بان يوقن بانه لا معطي
ولا مانع غيره تعالى وفي الحديث الصدق يهدي الى البر والصدق معناه
خلوص النية والطوية ومواقيته الاسحار اي اواخر الليل لانها محل الاجابة
وتجلي الرحمن وقرب عباده منه وهو اقوى في التوجه ومنه تهب نفحات
الرحمة وتسمات الخير كما قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال وقران
الفجر ان قران الفجر كان مشهودا واسبابه المسرعة لحصول المراد الصلاة على محمد صلى

فق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله عليه وسلم كما تقدم وقال اسبابه والمراد اسباب الاجابة ففيه ذلك اشارة الى انه بدون
الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا في الثلث الاخير
فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسالني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له كما في
الصحيحين وقد اختلفوا اهل الدعا افضل لما فيه من التذلل والافتقار او السكوت
لما فيه من التسليم والرضا فذهب الى كل طائفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال
وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس هذا محله وفي حديث لم يذكروا من رواه
الدعا الواقع بين الصلاتين علي بان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده
لا يرد اي فيستجاب ذلك الدعا فان الصلاة عليه مقبولة ومن كرم الله تعالى اذا
قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسيل السنوسي رحمه الله عن القطع بقبول الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لو
قطع بها للمؤمن المصلي عليه لقطع له بحسن الخاتمة اذا دعا بها مع الصلاة وبين
الصلاتين عليه وهي مجهولة لكل احد واجاب بان معنى القطع بقبولها انه اذا
قضى الله له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهي
مقبولة بلا ريب فيها بفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه لا وثوق بقبولها او نحو
انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها انقطع بانتفاعه بها في الاخرة بوجه ما ولو
بتخفيف العذاب وفيه نظر وفي حديث كل دعا محجوب دون السما كما مر في حديث
الترمذي عن عمر رضي الله عنه فاذا جات الصلاة علي اي ذكرت معه صعد الدعا الى السما
اي قبل واستجيب وقد اخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال الدعا محجوب حتى
يصلي علي محمد واهل بيته وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه حنش بفتح الحا المهملة
والنون وشين معجمة وهو ابن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن مهد ابو رشد التابعي
الصنعاني احد الداخلين الى الاندلس في صدر الاسلام وله رواية عن علي وابن
عباس وغيرهما الا ان هذا الحديث لم يروه عنه في الكتب وروى له غيره توفي بافريقية
سنة مائة وقيل ان قبره بسرقسطة فقال في اخره اي اخر الدعا واستجب دعاي
ثم تبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل ما تدعو به وتقول اسالك
ان تصلي على محمد عبدك ورسولك صلاة من افضل ما صليت على احد من خلقك
اجمعين امين اي استجب وهو اسم فعل له فان قلت هل يحسن ان يقال اصل على سيدنا
محمد قلت نعم فيجوز اتباع الماثور فيه ولكن اختلف في ايهما الافضل رعاية الادب
او امتثال الامر فذهب الى كل من القولين بعض وقيل امتثال الامر عين الادب
وهو الظاهر ولنا عودة الى بسط الكلام فيه واطلاق السيد عليه صلى الله عليه
وسلم جائز وكذا على الله وفيه خلاف ليس هذا محله ومن مواطن الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم واماكنها عند ذكره وسماع اسمه او كتابته وتقدم القول بان
ذلك واجب كلما ذكر وسمع وذكره اعم من ان يكون في الصلاة او عند قراءة القران
كما ذكره الخيضري في كتابه اللوا المعلم ورواه عن السلف وقوله او كتابته اي
عند كتابة اسمه وهل يكتفي بكتابة الصلاة عليه او الافضل ان يتلفظ بها
تردد فيه بعضهم والافضل ان يكتبه ويتلفظ به ليحصل له الثواب الاتي

وفي حديث

وفي حديث من صلى علي في كتاب الخ علما يأتي فيه وعند الاذان اي بعده وهو سنة
للمؤذن وسامعه وقال بعض الحفاظ كنت اكتب الحديث فاكتب الصلاة فقط فرايت النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي ما تتم الصلاة في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا
صليت عليه وسلمت او عند الاذان اي بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه
مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا الحديث الاتي مع الكلام
عليه وهل يقتصر على الصلاة او يذكر معها السلام لما ذكروه من كراهة الاقتصار
عليها مطلقا للاية السابقة كما صرح به النووي وقال غيره يقتصر عليها الظاهر حديث
مسلم قال الخيضري ويستحب الصلاة عليه ايضا بعد الاقامة لما رواه الطبراني
في كتاب الدعا عن ابي الدردا انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع
المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة اتت محمدا سؤله
يوم القيامة يسمعها من حوله ويحب ان يقولوا مثله وهذا مما سكتوا عنه انتهى وفيه
ان الذي فيه استحباب الدعا لا الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابي هريرة رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
فيدخل فيه ما في هذا الموطن كله لان الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة ذكر معنى
وهذا دعا عليه بان يذله الله لعدم اعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر
عنده فلم يصل عليه ورغم برغم كسال يسال رغما وارغمه الله اذله وهو من الرغام
بمعنى التراب فجعل عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف الذي هو من الفم رفعه ويقال
رفع انفه اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ولفظه
انه صلى الله عليه وسلم قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف
رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه
الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم ايضا وقال هو صحيح الاسناد وسيأتي
الكلام عليه عند ذكر المتم له برمته وكره ابن حبيب وهو عبد الملك بن حبيب بن سليمان
ابن هارون السلمي من ولد العباس بن مرداس الصحابي وقيل عبد الملك بن سليمان
وهو فقيه نحوي طبيب مفتن محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام في الحديث
توفي سنة ثمان او تسع وثمانين ومائتين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح
وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وانما كره لئلا يكون مما اهل به لغير الله والى
هذا ذهب الحنفية كما في المحيط وخالفهم الشافعي في الام فقال وليس التسمية
على الذبيحة عند الذبح باسم الله ولا اكره ان يقول وصلى الله على رسول الله بل احبه
وقال الحليمي انها لا تستحب ولا تكره بل هي مباحة وقال الاذرعي يحتمل ذلك فيما اذا كان
قربة كالاضحية وقال الرافعي لا يجوز ان يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد
وذهب بعضهم الى ان ما ذبح باسم غير الله لا يحل اكله وكذا ما ذبح للكعبة او عند
قدوم سلطان وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا
قيل انه لا يستحب عند العطاس كما ياتي وقيل انما يكره اذا لم يقصد بعد
الحمد الصلاة على من سنه وقال الحطاب الذي يتحصل من كلام المالكية ان في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح والعطاس في قولين وتكره عند الجماع
والحاجة انتهى وكره سحنون الفقيه المشهور المالكي واسمه عبد السلام بن عبد السلام
ابن سعيد بن حبيب بن حسان التنوخي وهو بمرتبة من الكمال فضلا وزهدا وسماحة
ولد في رمضان سنة ستين او احدى وستين ومائة وتوفي لتسع خلون من رجب سنة
اربعين ومائتين وعمره ثمانون سنة كما في الميزان وسحنون مضمومة ويجوز فيه
وفتح سينه ايضا كما سياتي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند التعجب لرؤية
امر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما في الاذكار للنووي وقال
الحليمي من الشافعية لا يكره كسبحان الله لان التسبيح تنزيه لموجد العجايب والصلاة
عليه لانه اعظم المخلوقات واعجبها والشيء بالشيء يذكر وقال قاضيخان لو راى شيئا
جيدا فقال اللهم صل على محمد ان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما
ونثرا قال عرفله

اقبل يهتز في غلالته ⁂ من ليس يشفي لعاشق مطله
فقال كل امرء تامله ⁂ الف صلاة على رسول الله

وقلت في مطلع قصيد

نبي على الصب سلم ⁂ صلى على المصطفى وسلم

وقال سحنون لا يصلى عليه
صلى الله عليه وسلم الا على طريق الاحتساب اي من غير سبب بل خالصا لوجه
الله وحسبة وطلبا لثواب لا للتعجب وغيره كما امرنا الله به تعظيما له صلى الله
عليه وسلم واما عند الضحك فرؤية مستقذر فقالوا يخشى عليه الكفر
وقال العيني رحمه الله لا يؤمر بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب
على الكفر فتقله النووي في اذكاره عن بعض الشافعية ووافق عليه وقال
اصبغ هو ابو عبد الله اصبغ بن فرج بن سعيد بن نافع الاموي مولى عمر بن
عبد العزيز المصري الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخاري وغيره
وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين في قول عن ابن القاسم عبد الرحمن بن
قاسم بن خالد بن جنادة المصري امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة
توفي سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى الامام مالك اثني عشر مرة
انفق في كل مرة الف دينار موطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة والعطاس
فلا يقل فيهما محمد رسول الله اي لا تقول فيهما باسم الله وباسم الله محمد رسول
الله لئلا يكون الاهلال في الذبيحة لغير الله والعطاس تدل على فوق الدماغ
الدافعة لاذى البخار فهي نعمة من الله خفية لا يقدر عليها غير الله فيذكر
اسمه شكرا له على نعمه دون غيره قال اصبغ ولو قال بعد ذكر الله فيهما وصلى الله
على محمد لم يكن ذلك تسمية له مع الله ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى
الله بالصلاة عليه فلا نكره وعن ابي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه
وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى اهل
بيته اخرج الله عن وجل من منخره الايسر طايرا يقول اللهم اغفر لقائلها اخرجه
الديلمي في الفردوس بسند لا باس به وعطس رجل عند ابن عمر رضي الله عنهما

فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه صلى الله عليه وسلم
ولذا رجح البيهقي استحباب الصلاة عليه عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال اخرون
لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واستدلوا بحديث لا تذكروني في ثلاث مواطن عند العطاس
والذبيحة والتعجب وروي بعد تسمية الطعام بدل التعجب اخرجه الديلمي في مسنده
وفيه متهم بالوضع وقال الخيضري يستحب لمن تعجب ان يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم ذكره شيخنا وقال اخذته من نص الشافعي في قوله احب ان يكثر الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم في كل الحالات فدخل ذلك في عمومه وفيه نظر وقاله اشهب اي كما قال
اصبغ واشهب هو ابو عمر كعب مسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم العبسي ولد
سنة اربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفي سنة ثلاث او اربع ومائتين بعد
الشافعي بثمانية عشر يوما وسنه اربع وستون واخرج له اصحاب السنن وهو احد
فقهاء مصر المالكية حتى فضل على ابن القاسم قال اشهب ولا ينبغي ان تجعل الصلاة فيه
اي فيما ذكر من الذبيحة والعطاس استنانا اي سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم ينقل
وقيل الاستنان هنا بمعنى المرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى في غير
طريقه وهو خلاف الظاهر والذي عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية
عند الذبح وانه سنة او واجب مفصل في الفروع وروى النسائي وابو داود
وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن اوس بن اوس الثقفي الصحابي ويقال اوس
ابن ابي اوس كما في الاستيعاب عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها لانه افضل الاوقات
ولما ورد ان الصلاة عليه تعرض عليه فيه والحديث المذكور طرف من حديث
وهو من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق الله ادم وفيه قبض وفيه النفخة
وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة فيه علي فان صلاتكم معروضة علي قالوا
يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني بليت فقال ان الله حرم
على الارض ان تاكل اجساد الانبيا وفيه احاديث اخر بمعناه وهذا احد مواطن
الصلاة عليه ومن مواطن الصلاة اي استحباب الصلاة عليه والسلام دخول
المسجد اي عند ارادة دخوله والخروج منه كما سيصرح به لورود الامر به في الحديث
وقال ابو اسحاق بن شعبان هو محمد بن قاسم المصري وقد تقدم بيانه وينبغي
لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله تبعا له
كما مر وان يترحم عليه وعلى اله اي فيقول اللهم ارحم محمدا وال محمد وقد
تقدم الكلام في الدعا له بالرحمة وما فيه ويبارك عليه وعلى اله اي يقول
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد اي ازد البركة وادمها لهم كما تقدم شرحه
وسلم تسليما اي يقول صل عليه وسلم تسليما فياتي بالسلام مؤكدا كما ورد
الامر به في الاية الكريمة وتقدم ان النووي كره افراد الصلاة عن السلام
ويقول بعد الصلاة والسلام وفي الاذكار يقول اعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وروى النسائي وابن ماجه اذا

اي الحطاب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي ابواب
رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم اني اسالك من فضلك ورد وي اجرني من الشيطان
وما في معناه وفيما ذكره النووي زيادة وسياتي للمص ذكرها في اداب المسجد النبوي قيل
وينبغي ذكر السلام ايضا وسياتي ما يصرح به وذلك لان المساجد محل العبادة والثواب
والرحمة والمراد بابواب الرحمة انواعها وفتحها تيسيرها واعطاؤها وعبر بالفتح
والابواب لمناسبته للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى وكذا في قوله واذا
خرج من المسجد فقل مثل ذلك اي يقول بما قاله بعينه ويجعل موضع رحمتك
فضلك لان من خرج من المسجد يخرج للتسبب ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما
قال فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وسياتي
بسط الكلام على ذلك والحديث في مسلم الا قوله يترحم ويبارك وقال عمرو بن دينار
هو ابو محمد مولى قيس الامام المكي التابعي توفي سنة ست وعشرين ومائة وله
ترجمة في الميزان في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الاية فهذا
احد المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول
المؤمن منزله وفي هذه الاية اقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد
كما ياتي وفي قوله على انفسكم وجهان ايضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد
به من فيها بجعله كنفسه لاتحاد جنسه واهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة
ومعنى كونها من عند الله انه امره بها وكونها مباركة لحصول البركة وسعة
الرزق بها وطيبها لذلك ولطيبها لا نفس بها فائدة قال الامام الجزري
في اللواء المعلم روى ابو موسى المديني عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبي صلى
الله عليه وسلم فشكى اليه الفقر وضيق العيش والمعايش فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه احد او لم يكن ثم سلم علي
ثم اقرا قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى افاض
عليه خيرا انه قال اي ابن دينار ان لم يكن في البيت احد فسلم عليه فقل السلام على
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة
وغيرهم السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته كلام المص هنا في استحباب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه لانه لم
يذكر فيه صلاة وهو مبني على ان المراد بالبيوت المنازل فاما ان يقال ذكره استطرادا
او تتميما للكلام المعترض فيهما او يقال انه اذا شرع التسليم على اهل كل بيت
فبيت الله واهله اولى ولكن حمل التحية على هذا على الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر لم يقله المفسرون فان التحية عندهم على هذا
بمعنى التسليم على من بالمنزل لما رواه الترمذي من انه صلى الله عليه وسلم
قال اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى اهل بيتك كذا قيل وهو
تكلف لا داعي له قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن ابي حاتم
المراد بالبيوت هنا اي في هذه الاية المساجد لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة
فاذا دخلها سن له الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم لفضيلة

وقال

عرض

وقال النخعي بفتح المعجمة نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن
ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفي سنة خمس او ست وتسعين لا الاسود بن يزيد
الكوفي كما قيل لان الاول هو المتبادر لشهرته اذا لم يكن في المسجد احد ودخلته
يا رجل فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحية من عند الله مباركة
عليه طيبة واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وهذا يقتضي استحباب السلام عليه صلى الله عليه وسلم وان لم يذكر معه الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم دخول المنزل والمسجد كما علم وعن علقمة بن
قيس ابو شبل النخعي كما تقدم اذا دخلت انا المسجد اقول السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد كما تقدم من انه يسن للداخل
المسجد والخارج منه ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا زيادة السلام
عليه على الصلاة وتقديمه عليها ونحوه مروي عن كعب الاحبار وقد تقدم بيانه
اذا دخل المسجد واذا خرج منه ولم يذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي
مستحبة ايضا واحتج ابن شعبان لما ذكره فيما تقدم من استحباب ان يصلى عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما بحديث
فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يفعله
اذا دخل المسجد الذي تقدم الا انه ليس فيه ترحم وتبرك ومثله اي حديث فاطمة
ومعناه روي عن ابي بكر بن عمرو بن حزم هو محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة
واميرها ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فسماه النبي صلى
الله عليه وسلم محمدا وقيل انه ولد بنجران وابوه عامل عليها من قبله صلى
الله عليه وسلم في سنة عشر من الهجرة فسماه ابوه سليمان وكتب بذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامره ان يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك ففعل
وتوفي في سنة عشرين ومائة واخرج له السنة وذكر اي ابن حزم السلام
والرحمة اي الدعاء بهما وقد ذكرنا هذا الحديث يعني حديث فاطمة الزهراء
في اخر القسم الثاني من هذا الكتاب وذكرنا الاختلاف في بعض الفاظه لتعدد
رواته وتغاير بعض الفاظه ومن مواطنها اي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
التي تستحب فيها الصلاة على الجنائز وهي عند الشافعي رضي الله عنه من اركانها
بعد التكبيرة الثانية ويقرا بعد الاولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت
بعد الثالثة كما بينه الفقهاء وتجزئ الفاتحة بعد غير الاولى وعن ابي
امامة هو اسعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن العليم بن ثعلبة الانصاري
ولد في زمنه صلى الله عليه وسلم فكناه وبرك عليه ولم يسمع منه صلى
الله عليه وسلم وحديثه مرسل وتوفي سنة مائة واخرج له السنة انها اي
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من السنة فتستحب في صلاة الجنازة
عنده ولنسبه من اركانها وذهب الشافعي في احد قوليه انها واجبة واستدل
بقول ابي امامة هذا قال لان مراده بالسنة طريقته صلى الله عليه وسلم

فيشمل الواجب وغيره وقول الصحابي ونحوه من السنة كذا في حكم المرفوع واختلفوا
في الصلاة على الآل هنا ايضا فقيل واجبة وقيل سنة وروي المزني انه يحمد الله ثم
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات وقيل ان التحميد
لا يعرف هنا ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند ادخال الميت قبره ايضا
فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الترمذي
وابو داود وهذا الحديث رواه الشافعي في الام الا ان في سنده ضعفا كما
قاله الخيضري ورواه الحاكم والبيهقي وغيرهما وهذا الوجه عند ابي حنيفة
واحمد ومالك ومن مواطن الصلاة التي يستحب فيها التي مضى عليها عمل
الامة ولم تنكرها الامة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله
تبعا له في الرسائل جمع رسالة كعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذي
يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه بما يكتب بين الاخوان كما قيل وما يكتب
بعد البسملة اي كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب النحت كالحوقلة
والحمدلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه اهل اللغة وكتابة
البسملة سنة في الكتب مقررة في القرآن والسنة كقوله تعالى انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان
للكتاب لا فاتحة له كما ذكره المفسرون ولم يكن هذا اي ابتدا الكتب بالصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدر الاول اي في ابتدا الاسلام
وزمن الخلفا الراشدين فالصدر مستعار للابتدا والاول صفة موضحة
ومفسرة له وانما حدث عند ولاية بني هاشم يعني بني العباس واختلف في اول
من كتبه منهم فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
وقيل هارون الرشيد واورد عليه ان الكلاعي قال في كتاب الاكتفا عن الواقدي
بسنده ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كتب في ردة بني سليم الى طريفة بن حاجز
عامله ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى طريفة بن حاجز سلام عليك فاني احمد الله الذي
لا اله الا هو اليك واساله ان يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد
الخ فهذا يدل على ان اول من فعله الصديق الا انه ترك ذلك فيه زمن بني
امية وفي الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا غفلة من
مورده عن قوله بعد البسملة فانهم احدثوا ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فتصديره بذلك على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم
اختلفوا في الصلاة هل تعطف او لا على قولين فمن عطف فظاهر ومن
قطعه راه انشا في عطفه على الخبر كلام طويل في كتب النحو والمعاني
فمضى عليه عمل الناس في اقطار الارض اي استمر فصار سنة او بدعة
حسنة مستحبة ومنهم من يختم به ايضا الكتب اي كما بدا ها به فيجعل
في الاول والآخر لتشمل بركته جميع ما كتبه وقال عليه الصلاة والسلام
من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي مكتوبا في ذلك

الكتاب

عرضي

عرضي

الكتاب اي المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات كما يتوهم حتى يقال انه تدوين
الكتب حدث بعد العصر الاول او هو من المغيبات التي اخبر بها صلى الله عليه وسلم وقال
الشيخ زر وق في معنى ذلك يحتمل ان يكون المراد كتب الصلاة وهو الظاهر او قرا الصلاة المكتوبة
وهو اوسع وارجى انتهى وقال بعضهم انه يشترط في حصول الثواب المذكور ان يتلفظ
بالصلاة في حال الكتابة وهو خلاف ظاهر الحديث وكلام العلما وقال السخاوي في كتابه
القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط
والخطيب في شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ والمستغفري وصاحب الترغيب بسند
ضعيف واورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروي
من كتبه في كتابه صلى الله على محمد لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام في كتابه انتهى
والمراد باستغفار الملائكة دعاؤهم لبني آدم مطلقا حيث ورد حتى للانبيا بالاستغفار
قال تعالى في حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين
آمنوا وكان وجهه انهم لما علموا ان ما ركب في طبيعة النوع الانساني من الشهوات
والمشاغل التي هي من لوازم البشرية تقتضي الاشتغال بغير الله تعالى وهم
لا يفترون عن التسبيح ولا يغفلون الاما يوسر قد استغفروا له وترامو
ان الله لا يواخذه بشي من تبعاته فاعرفه فاني لم ار من نبه عليه وذكروا في ذلك
آثارا عن السلف الصالحين ومناماتهم منها ان الشافعي رضي الله عنه رئي في
المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ولم يحاسبني واكرمني لصلاة
صليتها عليه صلى الله عليه وسلم في اول الرسالة وهي اللهم صل على محمد كلما
ذكرك الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وصل عليه في الاولين
والآخرين افضل واكثر وازكى ما صل على احد من خلقه وقد روي هذا من طرق
بالفاظ مختلفة ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم اي الاماكن
التي يستحب فيها السلام عليه تشهد الصلاة الذي يذكر في آخرها واطلقه ليشمل
الاول والثاني كما مر وارد في ذلك حديثا رواه البخاري وهو حدثنا ابو القاسم
خلف بن ابراهيم المقري الخطيب وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد وتقدمت ترجمتها
قالت حدثنا ابو الهيثم تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري كما تقدم
قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو الامام البخاري كما تقدم قال حدثنا ابو نعيم الفضل
ابن دكين بن عمرو بن حماد الحافظ توفي في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومايتين اخرج
له الستة وترجمته في الميزان قال حدثنا الاعمش سليمان بن مهران وقد تقدم
عن شقيق بن سلمة الاسدي المخضرم توفي في سنة احدى وثمانين كما تقدم
عن عبد الله بن مسعود قال اي ابن مسعود فهو موقوف له حكم المرفوع
وفي نسخة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرفوع اذا صلى احدكم صلاة
ما فرضا او نفلا فليقل التحيات الخ والتحية تفعلة من الحياة ومعناها
الاحيا والابقا والملك وكل منها صحيح هنا اي كل تحية يحيى بها الملوك والعظما
ثابتة لله لا تليق بغيره والصلوات اي انواع الدعا الذي يراد به الثنا وقيل
الصلاة المعتادة والطيبات اي جميع كلمات الثنا الطيب لله لا لغيره السلام عليك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ايها النبي حكاية لما علمه لهم حال حياته صلى الله عليه وسلم ثم استمروا على ذلك
تعبدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نقول وهو بين اظهرنا فلما قبض قلنا
السلام على النبي ورحمة الله وبركاته اي كل نعمة وخير كثير لانه مرتاب له صلى الله
عليه وسلم في كل زمان السلام علينا معاشر الامة وعلى عباد الله الصالحين من
جميع الامم السالفة وملايكة السماء والارضين والجن المومنين كما قال فانكم
اذا قلتموها اي قلتم هذه الكلمات وهي السلام علينا الخ اصابته اي نالت رحمتها
وبركتها كل عبد لله صالح في السماء والارض لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن
هنا علم ان المصلي يحسن لنفسه ولجميع خلق الله وان تارك الصلاة ظالم
لنفسه ولجميع خلق الله قيل الفصل معقود لمواطن الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم وهو وان لم يقل بوجوبها الا بكر كونها سنة واجيب بانه لما ذكر
الصلاة عليه شرع في مواطن السلام عليه وقد يقال انه طوى ذكر الصلاة
لعلمها مما تقدم هكذا اي التشهد في الصلاة احد مواطن التسليم عليه اشارة
الى ان له مواطن اخر وسنته اي استحبابه وفي نسخة سنيته بيا النسبة وهي
اولى اول التشهد اي قبل ان يقول اشهد ان لا اله الا الله وبعد التحيات
لله وفي التشهد كيفيته وروايات مفصلة في كتب الفقه وقد روى مالك
عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك اي السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اذا فرغ من
تشهده واراد ان يسلم سلام التحلل اي الخروج من الصلاة واستحب مالك في
المبسوطة اسم كتاب له وفي نسخة المبسوط ان يسلم بمثل ذلك المذكور من السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم الخ قبل السلام من صلاته وهو فيما قيل خلاف
المشهور من مذهبه قال محمد بن مسلمة بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام
ابن الوليد بن المغيرة توفي سنة ست عشرة ومايتين اراد ما جاء عن عايشة
وابن عمر رضي الله عنهم انهما كانا يقولان عند سلامهما اي قبل سلام الخروج
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
ثم يقول السلام عليكم وهو خاتمة الصلاة واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان
المصلي اماما او مقتديا او منفردا حين سلامه اي قوله السلام في صلاته كل عبد
اي السلام على كل عبد صالح في السماء والارض من الملايكة وبني ادم ومومني
الجن وقيل الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون الرد عليه وغيره
ينوي به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوي من حضر او غاب
قال مالك في المجموعة قيل اراد بها المدونة واحب للماموم اذا سلم امامه
ان يقول قبل ان يسلم هو السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم واعلم ان المصنف عقد
الفصل الذي قبل هذا لوجوب الصلاة عليه وعقبه بفصل عقده
للمواطن التي تستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد افرد له
الخيضري رحمه الله كتابا مستقلا سماه اللوا المعلم في المواطن التي يستحب فيها

الصلاة

ابن اقترس

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد افرد له الخيضري رحمه الله كتابا مستقلا
ولما اتم المصنف رحمه الله ما قصده شرع في بيان كيفيتها فقال

فصل في كيفية اي بيان الفاظ

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهو لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام
لانها من شانها ان يسال بها عن مثله والتسليم عليه اي كيف يذكر السلام عليه
والمراد بيان الهيئة الفاضلة اذ اصلها معلوم وبدا بحديث رواه وهو قوله
حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه وقد تقدم وقوله بقراءتي عليه هو
احد طرق الرواية كما مر قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل صاحب
كتاب الاعلام في نوازل الاحكام قال حدثنا ابو عبد الله بن عتاب تقدم بيانه
قال حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره بالقاف وهو معروف قال حدثنا ابو عيسى
هو عم يحيى بن كثير الذي تقدم بيانه قال حدثنا عبد الله قال حدثنا يحيى
ابن يحيى الليثي احد رواة الموطا عن مالك كما تقدم قال حدثنا مالك الامام
المشهور عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه تقدم ترجمته عن عمرو بن
سليم الزرقي بضم السين وفتح اللام والزرقي بضم الزاي المعجمة وفتح الراء
المهملة قبل القاف وهو من الانصار وترجمته في الميزان قال اخبرني
ابو حميد الساعدي اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن
سعد وهو خزرجي مدني له صحبة اخرج له الستة واحمد في مسنده وتوفي
في حدود الستين انهم اي الصحابة قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك سالوه
عنه لعدم ورود الامر به في الاية ان الله وملايكته الخ فقال صلى الله عليه
وسلم قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته ازواجه صلى الله عليه وسلم
امهات المومنين معلومة والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعيلة
من ذرا بمعنى خلق ترك همزته في الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى
الذر لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل اولاد البنات كما ذكروه مفصلا في
كتب الفقه وسوالهم بكيف المراد به السوال عن العبارة التي يعبر بها وباي كيفية
تودى وقيل عن معناها ولا يخفى ما فيه فانهم لما سمعوا السلام عليه في التشهد
وامروا بالصلاة سالوه عما يليق لوقته فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم ما لا يخفى
فانه امرهم ان يطلبوا من الله ان يصلي هو عليه فكانهم قالوا لا نقدر على اداء
المصلاة حق الاداء فافعل انت ما يليق به كما صليت على ابراهيم في ازواجه
وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتقرره وفي الرواية الاتية المسلسلة
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الخ واله فيهم انبيا ورسل
فشبه المجموع بالمجموع او الال بالال فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به
فكيف شبه صلاة نبينا بصلاة ابراهيم وهو افضل منه في السوال المشهور
وقد اجيب عنه باجوبة هذا محصلها وللجلال الدواني رسالة فيه مشهورة
تشهرها تغني عن ذكرها وياتي الكلام عليه ايضا قريبا فان قلت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذي في الاية الامر بالصلاة عليه فقط من غير تشبيه بابراهيم و آله قلت لما كان معنى الصلاة
الرحمة وهو صلى الله عليه وسلم مرحوم ومنعم عليه في الدارين باعظم النعم ضم ذكر الصلاة
عليه اشارة الى ان المقصود من رحمته رحمة اهل بيته كما يقال لمن يراد عقوبته
ولده ارحم هذا الشيخ كما اشير اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على
ابراهيم اي ادم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما ادمت ذلك لابراهيم وآله
في العالمين انك حميد مجيد اي رحمة وبركة منتشرة في جميع الخلق وحميد فعيل
من الحمد وهو الثنا الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف والكرم وفعيل
فيهما بمعنى فاعل او مفعول اي انت فاعل الجميل وواهبه او انت المحمود
المعظم فلا حمد واكرام لرسلك واتباعهم عايدا ليك فانه لا حكم لك وامتثال امرك
وهو تذييل في موقع جليل ومما ذكرناه علمت معنى قوله على آل ابراهيم دون
ابراهيم فتفطن لهذه الدقايق فيه والدر مالك في الموطا عن ابي مسعود
الانصاري الصحابي البدري رضي الله عنه قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آله كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد ذكره اشارة الى ان له طرقا كثيرة وانه انما قدم رواية الموطا
لعلو سنده فيها فلا وجه لما قيل انه لا فايدة في ذكره وهو بعينه ما قبله والسلام
اي كيفيته ولفظه كما قد علمتم في التشهد كما ذكره المص سابقا وسياتي ايضا شرحه
في كلامه وعلمتم بفتح العين وكسر اللام المخففة مبني للفاعل او بضمها وتشديد اللام
مبني للمجهول من العلم او التعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووي
وقيل الاول اصح ولفظ الموطا عن ابي مسعود قال اتانا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول
الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه
لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة في الترمذي وهو بضم العين وسكون
الجيم وراء مهملة وهو ابو محمد او ابو عبد الله او ابو اسحاق من بني سالم بن عوف
او من غيرهم صحابي شهد بيعة الرضوان وتوفي سنة اثنين او احدى وخمسين
واخرج له الستة وغيرهم قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمناه
فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد قال الترمذي حديث كعب بن عجرة حديث حسن صحيح وهذا الحديث
ايضا رواه الشيخان عن عبد بن ابي ليلى عن كعب قال قلنا يا رسول الله قد
علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل الخ وهو متفق عليه
الا ان لفظ البخاري على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في الموضعين وسقط منه آل
في الموضعين من رواية المص بخالفه وعن عقبة بن عمرو عبد الله الانصاري

الصحابي

ابن اقبرس

الصحابي توفي بالمدينة سنة احدى واربعين في ايام علي ومعاوية وكان علي كرم الله وجهه
استخلفه على الكوفة لما خرج لصفين في حديثه الذي رواه اللهم صل على محمد النبي الامي
وعلى آل محمد هم المؤمنون من ازواجه وذريته ومن تحرم عليه الصدقة من اقربائه على
الراجح وفسر بجميع امته ايضا كما ياتي جميعه في كلام المص وهذا الحديث اخرجه احمد
وابن حبان والدارقطني والبيهقي ومسلم بدون لفظ النبي الامي وفي رواية ابي
سعيد الخدري وهو سعد بن مالك بن سنان كما تقدم اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
اخرجه الحاكم بسند في بعض رجاله وذكر معناه اي معنى الحديث السابق من قوله كما صليت
الخ ورواه البخاري ايضا ثم اورده المص من طريق اخر مسلسل فيه زيادة والمسلسل
ما وقع معه امر من النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل ونحوه ووقع مثله فعلا
من جميع رواته تبركا بالمحاكاة فانه في حال صدوره كالعد في اليد هنا وهو قوله وحدثنا
القاضي ابو عبد الله التميمي تقدم بيانه سماعا عليه بقراءة غيره عليه وابو علي الحسن
ابن طريف النحوي طريف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وفا احد
شيوخ المص ولم يذكره في كتابه الا في هذا الموضع توفي تاسع ذي الحجة سنة احدى
او عشرين وخمسماية وفيهما توفي ابن رشد بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو علي بن سعدون
الغفيه يعرف به كما تقدم في ذكر المشوق اليه قال حدثنا ابو بكر المطوعي بضم الميم
وفتح الطاء وكسر الواو المشددة ثم عين مهملة يليها يا نسبة غلب على المجاهد
تطوعا بلا اجرة وهو محمد بن علي الغازي النيسابوري قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم
محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ الحديث
في عصره عرف بابن البيع صاحب التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى
وعشرين وثلاثماية وتوفي في صفر سنة خمس واربعماية وله ترجمة في الميزان وفي
مستدركه احاديث ضعيفة وموضوعة انتقدت عليه عن ابي بكر بن دارم الحافظ
المسند السبيعي الحافظ احمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري التميمي الكوفي محدث
الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفي في المحرم سنة اثنين
او ست وخمسين وثلاثماية وله ترجمة في الميزان عن علي بن احمد العجلي هو ممن يروي
عنه ابو بكر المذكور ولم يعرف عن حرب بن الحسن في نسخة ابن الحسين وهو
الطحان قال في الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان في الثقات عن يحيى بن
المسا وربيم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب عن عمرو بن خالد
ابو خالد القرشي مولى بني هاشم الكوفي روى عنه خلق الا انه كذاب له قبايح
مذكورة في الميزان عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو ابو الحسين
العلوي المدني اخو محمد الباقر السبط لامام الثقة راى جماعة من الصحابة
واستشهد رضي الله عنه سنة اثنين وعشرين وماية عن ابيه علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب قال الزهري ما رايت قرشيا افضل منه توفي سنة اربع وتسعين
وهو امام ثقة جليل اخرج له الستة عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي
طالب قال علي رضي الله عنه عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
صيغة لعدد اي كلمات يذكر في التشهد او صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم

وكان في حال ذكرها يعدها في يدي باتكا لها يشير الى انه حديث مسلسل بالعد
في اليد الى جبريل عليه الصلاة والسلام تنبيها على حفظها وانه لا يترك واحدة
منها قال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا اي بهذا العدد نزلت من عند رب
العزة سبحانه وتعالى والعزة كما قال الراغب حال يقتضي الامتناع من القهر والغلبة
من الارض العزاز وهي الصلبة فرب العزة اما بمعنى من له العزة وهو مالكها
كما قال ولله العزة ولرسوله او من يعطيها من يشا كما قال تعالى تعز من تشا
وتذل من تشا وله موقع هنا لاعزازه واكرامه لرسوله صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد اي افض عليه وعلى اله رحمتك وانعامك كما
صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم جعله مشبها به لشهرته لا لانه افضل واعلى
كما مر انك حميد مجيد اي محمود ممجد او المستحق للثنا والشرف من انيب
عليه وشرفته اللهم بارك على محمد اي انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى
وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
وفيه انه يدل على جواز الدعا للانبيا عليهم الصلاة والسلام بالرحمة والترحم
عليهم كما تقدم ويأتي ذلك مطولا في كلام المص مع الكلام على ما فيه اللهم
وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد
مجيد تحنن تفعل من الحنين صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من
اسما الله بمعنى ذو الرزق المنعم اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد كما سلمت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد قال السيوطي في الجامع الكبير قال
الحاكم هكذا بلغنا هذا الحديث واسناده ضعيف واخرجه الديلمي وابن منده
والترمذي وقال العراقي ضعيف جدا وعمرو بن خالد كذاب وضاع وكذا
ابن مساور وحرب بن الحسن اورده الازدي في الضعفا وقال حديثه
ليس بذاك وقال ابن حجر في اماليه اعتقادي انه موضوع وفي سنده ثلاثة
ضعفا وبعضهم ممن نسب الى الوضع والكذب قلت وجدت له متابعات
تخبره وان لم تخل من الضعف ووجدت له طريقا اخر عن انس في مسنده
انتهى قلت ذكر البرهان انه رواه مسندا ايضا فبتعدد هذه الطرق
يقتضي انه غير موضوع غاية ما يقال فيه انه ضعيف فاعرفه وقد
علمت ان الحديث مسلسل وانه ما تواردت وانه على حالة واحدة او صفة
في اسناده او صيغ ادائه ومن قوله وترحم الخ يرد قول ابن العربي ان زيادة
الترحم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بدعة وقال الصيدلاني
انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفي
الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه على الله ويأتي رده وفي الاذكار ان
زيادة ارحم محمدا بدعة لا اصل لها وقال ابن ابي زيد المالكي وبعض
المالكية يستحب زيادة ارحم محمدا في التشهد ويأتي نقله عنه في كلام
المص مع رده وفي شرح مسلم الاختيار تركه اذ لم يات في خبر صحيح وقال

السخاوي

السخاوي من زاده رواه من فضايل الاعمال يكفي فيه الحديث الضعيف وقال ابو جعفر
والسرخسي من الحنفية باستحبابه لتوارث العمل به ورحمه الله لا ينبغي احد عنها وذهب
كثير الى انه لا يدعى للانبيا عليهم الصلاة والسلام بالرحمة وفي شرح البخاري لابن
حجر انه غير مسلم لوروده في احاديث كثيرة منها التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابي له صلى
الله عليه وسلم اللهم ارحمني وارحم محمدا وتقريره له وفي حديث ابن عباس اسالك
رحمة من عندك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم استغفرك لذنبي واسالك
رحمتك يا حي يا قيوم برحمتك استغيث وفي الذخيرة من كتب الحنفية كراهته
وجزم الغزالي بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص وانه صلى الله عليه وسلم
كغيره يدعى له بالرحمة اقول هذا كلام مضطرب وكيف يقال دعاؤه صلى الله
عليه وسلم لنفسه بالرحمة لا يمنع منه اصلا واما دعا غيره له فيما لم يؤثر فعلى
الانفراد مكروه وبالتبع للصلاة ونحوها لا كراهة فيه وهذا هو الحق عندي لان
الصاغاني نقل في العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت
ترحيما وفي الحديث ما يرده وخص ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالتشبيه قال
البغوي عن مقاتل لانه افضل الانبيا بعد نبينا عليه الصلاة والسلام ه
ومكافاة له على دعائه لامة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله رب اغفر لي ولوالدي
وللمومنين او لتشاركهما في الناديك للحج والايمان او امر بذلك اجابة لدعائه
بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين ولانه امرنا بالاقتدا به واما التشبيه به
والمشبه دون المشبه به فقد عرفته واجيب عنه ايضا بانه قاله قبل ان يعلم
انه افضل منه او لسبق زمانه واشتهاره لا لعلو مرتبته وقيل انه من باب
التهييج وفيه نظر وقيل الكاف للتعليل وقيل المشبه ال محمد وفيه تحقيقات
في رسالة الجلال الدواني المتقدمة وفي الدر المنضود لشيخ مشايخنا ابن حجر ان
التشبيه للمجموع بالمجموع فان الانبيا من ال ابراهيم كثيرون فاذا قوبلت تلك
الذوات الكثيرة من ابراهيم واله بالصفات الكثيرة التي لمحمد صلى الله عليه وسلم
امكن انتفاء التفاضل ويقرب منه قول ابن عساكر وابن عبد السلام ما حاصله
ان الصلاة على النبي واله شبهت بالصلاة على ابراهيم واله فيحصل لنبينا واله
من اثار الرضوان بتفاوت الحاصل لابراهيم واله الذين هم معظم الانبيا ثم تقسم
الجملة فلا يحصل لاله منها ما حصل لال ابراهيم اذ غير الانبيا لا يساويهم
فيتوفر ما بقي من اثار الرضوان الشاملة لمحمد واله على محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا يشعر بانه افضل من ابراهيم انتهى واعترض بانه خفي وانه مقابلة
الاسم بالاسم فقط ولفظها اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انتهى وعن
ابي هريرة في حديث رواه ابو داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من
سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت اي من احب ان ياتي
باحسن صلاة واعظمها او من اراد ان ينال اجرا لا يساويه فيه غيره فالاكتيال
عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة او شبه الاجر بما يشترى من الحبوب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والنمر وشبه ذكره اومثله باكتبا لهوله لاستيفا به على طريقة المكنية والتخييلية
والاحر لظهوره ارادته في فوق المذكور ووجه الشبه انه به النقا والمكيال بكسر الميم
آلة الكيل والاوفى افعل تفضيل من الوفا وهو استيفا الشى وجارته والمراد
الترغيب في الصلاة عليه وعلى اهل بيته بهذه العبارة المخصوصة فليقل اذا
صلى عليهم اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل
بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد فتفضل هذه الصلاة لما فيها من شمول
آل بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التي هي اقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه
بما يجب وذكر الصلاة على ابيه ابراهيم والايمان به وبغيره من الانبيا وهذا
الحديث صحيح اخرجه ابوداود والطبراني وغيرهما كما علمت وفي رواية زيد
ابن خارجة الانصاري الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه
بعد موته تقدمت وهذا اخرجه الديلمي في مسند الفردوس وابونعيم والنساي
والطحاوي والبغوي سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك هذه
الجملة معمولة لسالت لتضمنه القول اوالقول مقدر فقال صلوا علي واجتهدوا
في الدعا المراد به الصلاة وعبر به تفننا اوالمراد الدعا لانفسهم بما يريدونه واجتهدوا
بمعنى بالغوا في ذلك بالاتيان بجهدكم وطاقتكم ثم قولوا بعد الصلاة عليه
وعلى آله وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد تقدم ما يغني عن اعادته وعن سلامة الكندي هو سلامة بن قيصر
الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وانه يروي عن علي كرم الله وجهه
كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية يعلم الناس ويقول
قولوا وفي الدر المنضود ان ذكرها عن علي بسند ضعيف وله طرق اخرى
رجالها رجال الصحيح الا انها مرسلة لان راويها لم يدرك عليا اللهم داحي
المدحوات وروي المدحيات ودحي بمعنى بسط قال تعالى والارض بعد ذلك
دحاها اي مدها وبسطها لانها خلقت اولا ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات
الارضين السبع ومنه اطلاق الداحي على الله واستدل به من قال الاسما الحسنى
لو قيفية وانه يكفي ورود مادتها كدحي وباري بالهمزة اسم فاعل من برا بمعنى خلق
على غير مثال اوميز وابرز والمسموكات بمعنى المرفوعات والمراد هنا السموات
وروي سامكات المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعدي ولازم وجبار
القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اي من جبر واجبر بمعنى قهر اي قهر القلوب
جميعها واثبتها على ما فطرها عليه من معرفته اجعل شرايف صلواتك اي افضل
صلاتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار من الشرف واصله
ما علا من الارض على غيره ونوامي بركاتك اي ما زاد الى غير النهاية من خيراتك
اي بركاتك النامية فهو من اضافة الصفة لموصوفها ورافة تحننك اي لطفك
ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية على محمد عبدك قدمه لشرف العبودية
على غيرها بدلا لانها على القرب ورسولك الذي ارسلته لجميع خلقك الفاتح
لما اغلق بفتح الهمزة وكسر اللام مبني لما لم يسم فاعله من اغلق الباب والقفل

ويحوز

وبعضه اذا قفله وهو ضد الفتح هذا حقيقته ويستعار لما صعب واشكل وابهم فالمعنى
انه فتح ما كان غير مفتوح من الشرايع لارساله بعد الفترة الجاهلية اوانه فتح الله به
على عباده انواع الخيرات وابواب السعادات الدنيوية والاخروية اوبين لامته ما اوحي
اليه بتفسيره وتيسيره وايضاحه وفك فيه اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتفسيره
بانه اول الناس خلقا واخرهم بعثا كما فسر به جملتك فاتحا وخاتما كما قيل بعيد
هنا كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح
الكلام لما او منحه ببراعته وبلاغته ويجوز ان يراد به ما فتح الله به عليه وعلى امته
من تيسير الفتوحات وتسخير الممالك كما في قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح
خزاين السموات والارض والخاتم لما سبق من النبوة والرسالة فانه لا نبي ولا رسول
يرسل بعده ولا نبي بعده وعيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل كان على شريعته
ومن امته والخضر والياس ان قيل بنبوتهما بعد بعثته من امته ايضا ولا حاجة
لتفسيره ما سبق بالانبيا والرسل وجعل ما بمعنى من والمعلن اسم فاعل بمعنى المظهر
من الاعلان وهو الجهر الحق بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له والنصب
منصوبا بنزع الخافض اي بالحق وقوله بالحق اي بالامر الحق لا بالقهر والغلبة
والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير اوالحق الثاني المراد به
الله عز وجل فانه من اسمائه اي بمعونة الله وتاييده الدامغ اي الدافع والمزيل
ومنه حجة دامغة وهو مستعار من دمغه اذا كسر دماغه كما قاله الراغب قال
تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه لجيشات الاباطيل جمع جيشة وهي
المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق على
خلاف القياس اوجمع مفرد مقدر اي الدافع لما ظهر من الباطل وشاع ففيه استعارة
وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا والقي عليه صخرة رضته والصقته بتراب
المذلة وتفسير الجيشات بالاختيار لا يتبعني وقيل الاباطيل جمع ابطولة
اوابطيلة اوابطالة ولم يسمع كما حمل بضم الحا المهملة وكسر الميم المشددة
مبني للمجهول فاضطلع بضاد معجمة وطا مهملة بمعنى قوي على حمله ونهض
به لشدة تحمله عليه وقيامه باعبايه وهو افتعال من الضلاعة وهي القوة
واصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه ويجوز ان تكون للتعليل وان تكون
بمعنى على والاول اولى واظهر فهو متعلق بما قبله اوخبر مبتدا مقدر
اي هذه الحالة المذكورة ثابتة له صلى الله عليه وسلم كما ثبت له تحمله
اثقال الرسالة واعباها فقام بها اتم قيام او صلى الله عليه وسلم عليه لقيامه
بذلك اوافضل به هذا جزا له على ذلك بامرك اي قام بها بسبب امرك امتثالا
له لا لغرض اخر اوالمراد بامره تيسيره واعانته وقوله بطاعتك بدل
مما قبله اومتعلق به لامره بطاعتك فامتثله وادى ما كلفت به وفي نسخة
لطاعتك باللام مستوفزا حال من الضمير في حمل اواضطلع والاستيفاز الوثوب
في الانتصاب من قعود والمراد به التنفيذ وعدم الاهمال اي مسرعا مستعجلا
في الاتيان بما امرته به جادا غير متوان ومنه قولهم لقيته على اوفاز اي على

تلمساني

تلمساني

تلمساني

ذوب

اي اقتبس

علة جمع وفيه ومن العجيب ما قيل انه اسم مكان بزنة المفعول يشير به الى المستوي
الذي سمع فيه صريف الاقلام وتاخر عنه جبريل وفيه خبط لا يخفى على عادته
في مرضاتك مصدر ميمي بمعنى الرضى وفي ظرفية ويجوز كونها بمعنى لام التعليل
كما في حديث دخلت امراة النار في هرة وفي بعض النسخ بغير نكل في قدم ولا
وهن في عزم اي لا جبن بطل وعليه في اقدامه ولا ضعف في عزيمته ويروي
واهيا بالمثناة التحتية واعيا اي حافظا ضابطا لوحيك الذي اوحينه اليه
لم يشغله عنه ما حمله من الاعبا وما لقيه من المشاق في تبليغ الرسالة
ومنه اذن واعية واصل الوعي حمل الشي في وعا قال
والشر اخبث ما اوعيت من زاد وحفظه شامل للعمل به حافظا
لعهدك اي مستمسكا وممدا او مدعى على ما عهدته عليه من الايمان بك والاخلا
في طاعتك وامتثال امرك ولهذا كما قال صلى الله عليه وسلم وانا
على عهدك ووعدك ما استطعت ماضيا اي مجتهدا مستمرا على امضاء
ما عهدته وانزلته مدا او ما على نفاذ امرك بالمعجمة من النفذ كذا
اذا امضاه وبلغ اقصاه حتى اورى قبسا لقابس اي ابرا قدح الزناد لخروج
النار شررا يوقد منه والقبس ما يتناول من الشعلة قال تعالى او اتيكم
بشهاب قبس والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما
يهدي به الناس وفي المثل ما كل قادح زنده يوري اي لم يزل صلى الله
عليه وسلم مجاهدا قايما على الحق حتى اظهره ابلج نيرا فاهتدى بنوره
من كان في ظلمات الجهالة وقوله لقابس اي لقابل وطالب نور الحق والهداية
التي هي من الالا بالمد الى وفيه لغات بكسر الهمزة وفتحها وبالتنوين
فيهما والخامسة الى بكسر فسكون ومعناها النعم الالهية والسعادة
الابدية في الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم تصل لاهله اسبابه
الجملة صفة قبسا اي ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من اهله الذين
الهمهم الله له ووفقهم لقبوله ونور بصايرهم بانواره والسبب تقدم
ان معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة موصلة به اي بذلك القبس الذي
اوراه فراه من راه وقيل الضمير له صلى الله عليه وسلم هديت بالبنا للفاعل
والمفعول القلوب الضالة عن طريق الحق في ظلمة الجهل بعد خوضات الفتن
والاثم جمع خوضة بمعجمتين وهي المرة من الخوض وهو الدخول في الما وتستعار
للشروع والدخول في كل امر يذم والاثم الذنب والفتن جمع فتنة وهي ما يفتتن
به المرء وتطلق على الكفر وبه فسر قوله والفتنة اشد من القتل وهو المراد
هنا اي بعد كفرهم وارتكابهم الاثام والهج موضحات الاعلام وقع في النسخ
هنا اختلاف فسقط من اكثرها لفظ الهج فموضحات بفتح الضاد اسم مفعول
لهديت بنزع الخافض اي الى موضحات الاعلام او هو حال من القلوب والاعلام
جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه
على انه خبر مبتدا مقدر وهو ضمير القلوب اي هي ظاهرة ادلة هداية بها

عزمي

وجوز

ويجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو الكشف اي صارت القلوب
بما رزقت من الهداية متنورات الاعلام او ناشرة لها فالعلم بمعنى اللوا استعارة
لما ذكر ومن اثبت الهج ما ضبطه بالنون من النهج بمعنى اوضح وبين وسهل وقوم
كما ذكره ابن القوطية كما في بعض الشروح وفي بعضها ابهج بالبا الموحدة من
البهجة اي انار واشرق وهذا ساقط من خط المص رحمه الله كما قاله التلمساني
ونايرات الاحكام جمع نايرة اسم فاعل من النور والضيا من نار لازم بمعنى ظهر
واتضح والاحكام احكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وفي القاموس نار
نورا وانار واستنار وتنور اتضح ومنيرات الاسلام من انارة المتعدي
والاسلام بمعنى الدين او الاستسلام والانقياد لامر الله فان قلت على النسخة
المشهورة الساقط منها لفظ الهج فالمعنى ظاهر لان ما له الى انه هديت به القلوب
للادلة الدالة على ما هداهم الله له من احكام الشريعة الظاهرة ولما يظهر الاسلام
ويؤيده من نصرة الاسلام باليد واللسان واما على النسخة الاخرى التي فيها الهج
بمعناه ففيه تحصيل الحاصل لان ما لها اظهار الظاهر والمظهر قلت على هذه
الرواية انه ظاهر في نفسه لمن له بصيرة ولكنه قد يشتبه واظهاره بالنسبة لغيرهم
او اظهاره اشاعته وانتشاره الى ان يصل الى اقصى الارض فتدين له الجبابرة
والملوك فهو صلى الله عليه وسلم امينك على وحيك واسرار ملكك وملكوتك
التي اطلعته عليها المامون الذي ارتضيته لحفظ اسرارك وخلقته حفيظا
عليما كما اشار اليه بقوله وخازن علمك المخزون في خزاين ملكوتك وكنوز
عرشك حتى انزلته له واتمنته عليه دون غيره وامرته بايصاله لمن يليق له
الاطلاع عليه وشهيدك فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة فارتضاه للشهادة
على الانبيا واممهم اي تشهد بصدقهم على تبليغهم لهم كما قال الله تعالى فكيف
اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا كما تقدم يوم الدين
اي القيامة والجزا بما يعمله الله وبعيثك وقيل بمعنى مفعول مبعوث نعمة
ورسولك الذي بعثته وارسلته لتبليغ اوامرك ونواهيك نعمة مفعول لاجله
اي بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين ورسولك الذي ارسلته للناس كافة
خاتما للنبوة والرسالة بالحق متعلق برسولا اي ارسلته بالدين الحق الثابت في
نفس الامر رحمة عامة لجميع خلقك وهو منصوب مفعول له ايضا فهو رحمة
في الدنيا والاخرة لمن امن به وفي الدنيا لمن كفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد
تحصل لبعضهم رحمة في الاخرة بتخفيف عذابه ايضا وقد يفرق بين النعمة
والرحمة هنا بان يقال النعمة ما حصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هذا
بسببه التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال ليلا يكون تكرارا واقسح
له في عدنك الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة ومعناها
دار الاقامة والخلود من عدن بمعنى اقام فهو اسم للجنة مطلقا ولها
اسما اخر وتكون اسما لجنة مخصوصة ايضا عرفها الهمز والمراد بالدعالة
بالفسحة طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرفا منظره لان سعة المنزل

بنبتهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

امر مستحسن ولذا قالوا احسن المنازل ما سافر فيه النظر والا فسعة الجنة معلومة
قيل، وي عدلك بالاماي معدلتك وجزايك له بما يليق به واجزه مضاعفات
الخير من فضلك المعنى اعطه من انعامك وفضلك ما تضاعفه له من الخيرات
الاخروية مما لا عين رات ولا اذن سمعت وهو ظاهر لانه قد اختلف في ضبطه
بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاي معجمة فقيل انه بهمزة وصل وجيم
ساكنة من الجزا فانه ثلاثي وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاي
ساكنة من الجايزة وهي العطية وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على
الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة وجيم ساكنة وزاي مكسورة من الجزا كما ضبط في
لنسخ لبعض لسقا والصواب كما وجد في بعض الاصول المعتمدة بها وصل الهمزة
لان فعله ثلاثي كما قال تعالى وجزاهم بما صبروا انتهى اقول ان صحت الرواية
بما ذكره اولا فتوجيهه انه من الاجزا بمعنى الكفاية ابدلت همزته الاخيرة ثم عومل
معاملة المعتل كارم والمعنى اكفه عن سواك لما كلفته به من القيام باعبا رسالتك
والضعف المثل فما زاد وليس بمحصور كما حققه اهل اللغة وفي قوله من فضلك
اشارة الى ان الثواب تفضل من الله لانه لا يجب عليه شي خلافا للمعتزلة كما
بينه المتكلمون مهنات له صلى الله عليه وسلم جمع مهناة بتشديد النون
وبالهمزة اسم مفعول من الهنى وهو السايغ وكل ما اتى من غير تنغيص وتعب وهو
حال من مضاعفات غير مكدرات اي منغصات وهو حال ايضا او صفة لمهنات موكدة
من فوز بفا وزاي معجمة عند الاكثر وهو الظفر بنيل البغية وقيل انه براء
مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل اهنوء البر عاجله مستعار من فارت القدر
اذا غلت ثوابك الثواب العطا في مقابلة عمل المحلول بحا مهملة اسم مفعول
من حل المكان وبه وفيه اذا نزل اي الكاين في الجنة او الذي اوصلته له فصار
صفة حالة فيه وقيل معناه المستوجب بفتح الجيم اي الذي استوجبه واستحقه
من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف وفي رواية المصون بدل المحلول اي الذي
يضمن به لنفاسته وجزيل اي كثير عظيم عطايك اي احسانك وانعامك المعلول
اي المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى ويقابله النهل وهو الشرب
مرة قال كعب كانه منهل بالراح معلول فشبه عطاه بمنهل عذب برده العطاش
كما تريد برارا فهو استعارة والمراد انه كثير لا ينقطع اللهم اعل بقطع الهمزة
على بنا الناس بموحدة ونون وروي بدل الناس الباني جمع بان بناه بموحدة
ونون اي اجعله عاليا رفيعا اي اجعل مقامه في الجنة فوق كل مقام او اجعل
مقداره ارفع من كل مقدار او ذاته اشرف من جميع الذوات لان الذوات بنا الله
كما ورد في الحديث وصحح في بعض النسخ ثنا الناس وثناه بمثلثة اي اجعل مدحه
والثنا عليه فوق ما يثني به الناس عليه فانهم لا يقدرون على اداية حق
الادا واكرم مثواه لديك اي اجعل مقامه عندك كريما اي حسنا مرضيا
من ثوي بالمكان اذا اقام به ونزله بضم النون وسكون الزاي ويجوز ضمها
وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد به ثوابه واجره وحسن استعارته

هنا

دبلي

تلسائي

هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم واتمم له نوره اي اجعل النور الذي
اودعته فيه تاما كاملا فيكون في ساير جهاته وحواسه وقلبه كما ورد في دعائه عليه
الصلاة والسلام اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي ساير
جهاتي نورا واجزه فيه ما تقدم من الضبط قريبا من ابتعاثك افتعال من البعث بمعنى
ومثلثة اي بعثك له بالنبوة والرسالة فقوله له متعلق به وليست اللام تعليلية
متعلقة باجزه كما قيل اي كافيه على ما قام به من امور الرسالة مقبول الشهادة اي
شهادته في المحشر للانبيا عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم مرضي المقالة اي ما
يقوله ثمة من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قول ذا منطق عدل
مصدر ميمي بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال ايضا والمراد
به ما يقوله بعد الشفاعة من حمده تعالى بمحامد لا انتها لها وخطة فصل
بتقدير مضاف اي وذا خطة وهي بضم الخا المعجمة وتشديد الطا المهملة وهي الامر
والشان والفصل الحاجز بين الحق والباطل يوم القيامة وبرهان عظيم اي دليل
نبوته ورسالته القوي القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب القاموس
في كتابه المسمى بالصلات والبشر في الصلاة على خير البشر مع ما فيه من الزيادات
واختلاف الروايات وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق وزاد ابو بكر بن ابي شيبة
في رواية فيهما بجهود اللهم اجعلنا سامعين مطيعين واوليا مخلصين ورفقا
مصاحبين اللهم ابلغه منا السلام واردد علينا منه السلام وعنه اي عن علي كرم
الله وجهه ايضا في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لكن قال الحافظ
السخاوي انه لم يقف على اصله انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملايكته
يصلون على النبي الاية اي وتلا الاية الامرة بذلك الى اخرها ثم صلاته بعدها
امتثالا لامر الله في قوله عقبها لبيك اللهم وسعديك اي اجابة بعد اجابة
واسعادا بعد اسعاد في طاعتك وامتثال لامرك والتثنية فيهما للتكرار
وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل في النحو صلوات الله البر الرحيم اي المنعم
المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف اللطيف بعباده وهو
من اسمايه تعالى ولم يسمع بار لان البر ابلغ منه وصلوات الملايكة المقربين
كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم والنبيين والصديقين اي المبالغين
في الصدق والاخلاص من اشراف المومنين الصالحين والشهدا او الصالحين
لكل خير القايمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهدا
جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل او مفعول وهو من قتل مجاهدا في سبيل الله
لاعلا كلمته تعالى ومن الحق بهم كالمبطون والغريق ونحوهما سمي به لان
الله وملايكته شهدوا له بالجنة اولانه حي فكانه شاهد حاضر
اولان ملايكة الرحمة تشهده او لقيامه بشهادة الحق او لشهوده ما اعد
له من الكرامة حين قتل وما سبح لك من شي ما مصدرية ومن زايدة وهو
للتابيد اي صلوات هولا دايمة مستمرة مدة تسبيح الاشيا لك وان من شي
الا يسبح بحمده وهذا على ما وقع بدون واو في قوله وما سبح الخ وفي نسخة

بالجيدم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي وصلوات الله وصلوات كل شي سبحك وما سبح بما موصولة معطوفة على الاسم ومن بيانية يا رب العالمين اي جميع المخلوقات فهو شامل للعقلا وغيرهم تغليبا كما حقق في كتب التفسير على محمد بن عبد الله متعلق بمقدر خبر لصلوات الله خاتم النبيين اي اخرهم بعثة وسيد المرسلين اي افضلهم واشرفهم واضافة خاتم للنبيين متابعة لما في القران وسيد للمرسلين تفننا واطلاق السيد عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر واما قوله لا تسموني سيدا فما قال بلا تفضلوني بسيادة كسيادتكم او هو تواضع منه وورد اطلاقه على الله تعالى ايضا بمعنى المالك كما فصلناه في غير هذا المحل وامام المتقين الذين يقتدون به في العلم والعمل ورسول رب العالمين الى الخلق اجمعين الشاهد على الانبيا فانهم بلغوا اممهم وعلى اممهم بما بلغوهم يوم القيامة كما قال تعالى وجينا بك على هولا شهيدا كما تقدم البشير للمومنين بسعادة الدارين الداعي اليك اي الذي دعا الخلق الى طاعة الله وتوحيده باذنك اي بامرك له بدعوتهم او تيسيرك وتسهيلك السراج المنير شبهه بذلك لانه ازال ظلمة الكفر وتنور به قلوب المومنين بنور هدايته وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة ولان ذاته صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل كما مر وعليه السلام اي السلامة من كل وصمة ونقص وعن ابن مسعود كما رواه ابن ماجه والبيهقي في كيفية اخرى للصلاة عليه اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك المراد بجعلها انزالها ولذا عداه بعلى فقال على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد بالجر بدل مما قبله عبدك ورسولك قدم وصفه بالعبودية لشرفها بالاختصاص وتقدمها امام الخير اي امام الاخيار والمقتدى به في كل خير ورسول الرحمة اي الذي ارسله الله رحمة للعالمين وقد ورد في حديث مسلم انا نبي الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يحمده فيه جميع الانبيا وساير الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا ومقاما منصوب على الظرفية بابعثه بمعنى اقمه وفسر بعضهم البعث بالاحيا والتنكير للتعظيم يغبطه فيه الاولون والاخرون اي يتمنون نيل مثله من غير زواله وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهي المحبة والسرور بما راوه فقط وهو اللايق بمقام الرسل والكمل فان منهم من تمنى مقام غيره الذي خصه الله به كانه يقول هلا ساويته في مقامه وفيه اعتراض خفي ولذا لما قيل له صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط فاشار الى ان فيه ضررا ليس كضرر تمني الزوال فان الخبط يقطع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم بيانه وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري رحمه الله يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى اذا دبه ابانا فيه ما يرويه ويزيد من الوفا وهو الكثرة وفي القاموس وفى واوفى تم وكثر

فهو

فهو وفي ووافٍ وهو المراد ورده الزبيدي في لحن العوام بانهم يقولون درهم واف اذا كان يزيد في وزنه وقال ابو بكر الوافي الذي لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذي وفى بوزنه انتهى من حوض المصطفى الذي يسقي منه العطاش يوم القيامة وهل هو الكوثر او غيره فيه ما فيه فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته بيانهم في محله بضم المعجمة وقد تكسر كما مر نسل الانسان من ذكر وانثى وقد يختص بالنسا والاطفال ومنه ذراري المشركين من الذر وهو الخلق وكسرها اسقط الهمز وقيل من ذر فرق او من الذر لانهم خلقوا اولا مثل الذر وهو النمل الصغير وعليهما فلا اصل له في الهمز ويدخل فيهم اولاد البنات اتفاقا على ما قاله ابن الحاجب لكن رد بان مذهب ابي حنيفة انهم لا يدخلون وهو رواية عن احمد نعم اجمعوا على دخول اولاد بنات فاطمة في ذريته صلى الله عليه وسلم خصوصية لهم لشرف هذا الاصل العظيم والمجد الكريم وبين الازواج والاولاد عموم وخصوص من وجه وبين الذرية والاولاد عموم وخصوص مطلق واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه اي اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على حدة ويقع على الواحد المذكور وغيره وغلب بعد ذلك على طايفة ادعت تفضيل علي كرم الله وجهه على غيره ومحبيه المراد بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون احب اليه من نفسه واهله وماله وامته من عطف العام على الخاص ليشمل جميع الامة وعلينا يعني المتكلم ومن يختص به معهم اجمعين يا ارحم الراحمين ولتعميمه في هذا الدعا وتفصيله تفصيلا تاما كان جزا من صلى عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له بهذا الدعا من جنس عمله بان يكون مشربه اوفى وعن طاوس هو الامام ابو عبد الرحمن بن كيسان كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى يوم القيامة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم اشفع تشفع وقال الكبرى لان له صلى الله عليه وسلم شفاعات ثمة بلغها النووي رحمه الله خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل القضا لا لاخراج عصاة المومنين من النار كما قيل فان قلت شفاعته صلى الله عليه وسلم مقبولة فما فايدة الدعا له صلى الله عليه وسلم بهذا قلت هذا امرنا به لنتعبد بنيل الثواب وان كان امرا محققا كما في فعله وارفع درجته العليا ومرتبته في جنات النعيم والمراد بهذا كله تعظيمه صلى الله عليه وسلم واته اي اعطه وانعم عليه سوله فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز اي مسوله ومطلوبه ومما يحبه ويبتغيه في الاخرة والاولى اي الدنيا سميت اولى لتقدمها على الاخرة ومطلوبه في الاخرة درجات قربه ونجاة امته وفي الدنيا اعلا كلمة الله ونصره ونصر امته وسعة ملكهم وان لا يسلط عليهم اعداهم ولا يستاصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد في الحديث كما اتيت ابراهيم وموسى فان قلت الفصل معقود لبيان كيفية الصلاة وليس في هذا ذكرها قلت المراد بالصلاة الدعا له صلى الله عليه وسلم وهو دعا فيه تعظيم وثنا عليه بما يليق به وعن وهيب بالتصغير ابن الورد ويقال ابن ابي الورد المخزومي المكي الزاهد

شبكة الألوكة www.alukah.net

الثقة مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه وكنيته ابو عثمان روي عن عطا مرسلا وغيره وروي عنه كثير واخرج له مسلم واصحاب السنن وله احاديث ومواعظ توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وفي بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف الاول انه كان يقول في دعايه له صلى الله عليه وسلم اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه اي اجب دعاءه بما احب لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له اي لاجله احد من خلقك فاستجب دعاهم له واعط محمدا ما انت مسول له الى يوم القيامة نعيم بعد نعيم وعن ابن مسعود رواه عنه ابن ماجه والبيهقي والديلمي والدار قطني وتمام في فوايده انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه اي افضلوا احسنها وقولوه فانكم لا تدرون انها تبلغه ام لعل ذلك الدعا والصلاة يعرض عليه ويبلغه صلاتكم عليه فينبغي ان يتحري الاحسن حتى يسره صلى الله عليه وسلم ما يبلغه منه قيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وسياتي وسيل ابن حجر رحمه الله هل الافضل والاحسن في الصلاة عليه ان يقول صل على محمد او على سيدنا محمد بصفة السيادة فاجاب بان اتباع الاثار الواردة ارجح لا يقال لعله تركه تواضعا منه كما لم يكن يقول عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك لجا عن الصحابة والتابعين ولم يرو عنهم الا في حديث ضعيف في الشفا عن ابن مسعود وذكر الشافعية انه لو حلف احد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل صلاة فبره بان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وسهي عن ذكره الغافلون وقال النووي رحمه الله افضله ما في التشهد والحاصل انه لم يرد ذكر سيدنا عن احد من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفي عليهم والخير كله في الاتباع انتهي وهذا يقرب من مسالة اصولية وهي ان الادب احسن او الاتباع والامتثال ورجح الثاني وقيل انه هو الادب كما مر وقوله وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك الى قوله انك حميد مجيد تقدم بيانه بما يغني عن اعادته الا انه قيل انه بيان للحسن الذي ذكره ابن مسعود وارشاد لما امر به من الاحسان في الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه ما هو احسن منه والاول هو الظاهر وفيه نظر وما يوثر بالبنا للمجهول اي ينقل عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وما اسم موصول مبتدا خبره كثير الاتي من تطويل الصلاة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم من الصحابة وتفضيلهم كما هو كثير في الاثار المروية عن السلف حتى افرد بالتاليف من احسنها القول البديع للسخاوي لمتقدم ذكره وقوله في الحديث المتقدم في التشهد والسلام كما علمتم يعني في تشهد الصلاة في قوله السلام عليك ايها النبي الخ وهو اشارة الى تفسير ما سبق في رواية مالك عن ابن مسعود لما سالوه كيف نصلي عليك اخره الى هنا وهو اشارة الى ما علمهم من التشهد وعلمتم بالبناء

للمجهول

للمجهول وتشديد اللام او بالبنا للفاعل وتخفيف اللام كما تقدم والمعنى ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا علموا علموا لكن ما بعده يقتضي الاول اعني قوله هو ما علمهم في التشهد من قوله صلى الله عليه وسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تقدم تفسيره وفي تشهد علي رضي الله عنه وتقدم ان التشهد روي عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وهذا لم نر من رواه عن علي السلام على نبي الله السلام على انبيا الله ورسله قدمه لبيان شرفه وتفضيله عليهم السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل اخر وصفه بالرسالة اشارة الى تاخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام السلام على محمد بن عبد الله كرر السلام عليه باسمه ونسبه تاكيدا السلام علينا وعلى المومنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد اي حضر اللهم اغفر لمحمد سياتي بيان الدعا له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي بالتشديد مضاف ليا المتكلم وما ولدا ارادة ليشمل اقاربه المسلمين وحواشي نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا كرم الله وجهه هو الذي قال له فكيف يدعو لوالديه وامه فاطمة بنت اسد ابن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا اسلمت وتوفيت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه واضطجع في قبرها وقال جزاك الله من ام خيرا لاحسانها اليه صلى الله عليه وسلم واحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبري في الرياض النضرة وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم في قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر كما صرح به في الحديث وابو طالب توفي كافرا وادعا بعض الشيعة انه اسلم لا اصل له وقد نهي عن الاستغفار للمشركين كما في الاية الكريمة واجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه ادم وحوي ولا يخفي بعده وقيل المراد تعليم من يدعو من المومنين ان يقوله وهو اقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاد فيه الفا وانما هو ولدي يعني الحسن والحسين والاولاد مما ليس بشي وكذا ان كان من كلامه صلى الله عليه وسلم او هو بنا على اسلام ابويه على ما ارتضاه السهيلي وسياتي بيانه وارحمهما فيه ما تقدم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته تقدم بيانه وجا في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران وهو المغفرة وهي كما قال الراغب الباس الشي ما يصونه في من الله صون عبده عن مس العذاب والدعا له بها صلى الله عليه وسلم من امته لا ينبغي لانها مه المقصود من المدعو له واما قول الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ودعاوه لنفسه بالمغفرة فلا يقاس عليه وفي حديث الصلاة صلى الله عليه وسلم عنه ايضا اي عن علي مثله قيل بالبنا على الضم اي قبل هذا تقدم من كلام بعض الحكام الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة اقتصارا على ما ورد في حقه وانه كان معناها الرحمة لكنها رحمة خاصة مشعرة بنوع تعظيم ولم يات في غير اي في غير هذا الحديث من الاحاديث المرفوعة المعروفة المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره وقد ذهب

ابو عمر بن عبد البر الامام الجليل القدر كما تقدم وغيره من علماء المالكية والحديث
الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فهو مكروه عندهم لايهامه
التقصير وانما يدعى له بالصلاة اي بهذا اللفظ المامور به في القران والبركة
التي تختص به يعني التي بمعنى الدوام والثبوت على التشريف والتكريم بكثرة الخيرات
الالهية وفيض المواهب اللدنية ويدعى لغيره من المؤمنين بالرحمة والمغفرة
لانه غير معصوم ولا يخلو من تقصير فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته اشد الاحتياج لا الرسول
المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم وما تاخر والمراد غيره صلى الله عليه وسلم
من امته لا الانبياء فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك ايضا وكذلك الصحابة
ينبغي ان يقال فيهم رضي الله عنهم ولا يرد على هذا ان الصلاة معناها الرحمة
فانه لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ انه يستعمل في محله مع انه غير مسلم فان
الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق الرحمة لزم استعمالها في حق غيره
وليس كذلك وقد ذكر الامام ابو محمد بن ابي زيد في مذهب مالك صاحب الرسالة
المشهورة كما تقدم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في تشهد الصلاة
اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت على ابراهيم وال ابراهيم ورده المص بقوله
ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته في جواز الدعا له صلى الله عليه وسلم
بالرحمة الذي منعه غيره قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه في السلام
المروي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاطلاق الرحمة
عليه هنا يدل على جواز الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذ لا فرق بينهما
وقال الرافعي في الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت على
ابراهيم وربما يقولون وترحمت على ابراهيم بالتاء ولم يرد في خبر وهو
غير فصيح فانه لا يقال ترحمت عليه وانما يقال رحمته وفي الترحم تكلف لا يحسن
اطلاقه على الله وقال الاسنوي فيه اعتراض وقد استنبطها النووي في الروضة
وقول الرافعي انه لا يقال ترحمت عليه غير مستقيم فان الصغاني قال يقال
ترحمت عليه وقال الغزالي لا يجوز ترحما بالتاء اي وهو مراد الرافعي بقوله
انه لا يحسن وقال النووي انه بدعة وبالغ ابن العربي في انكاره وتخطية
ابن ابي زيد وفي الاذكار ما قاله بعض اصحابنا وابن ابي زيد من استحباب
زيادة وارحم محمدا وال محمد بدعة لا اصل لها وقد جهل ابن العربي في شرح
الترمذي قائله لانه ليس في التشهد الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصحابة فالزيادة استدراك عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم
رواه في مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وكذا رواه الذهبي
وقد قاله الشافعي في رسالته وهو رد لما قاله مقلدوه كما قاله البرهان
الحلبي في حواشيه اقول محصل ما قالوه باسرهم انهم اختلفوا في جواز
الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة والمغفرة وفي وروده في الحديث
والذي صححه اكثر الفقهاء والحفاظ ثبوته وجوازه ومنشأ الخلاف
ان الرحمة والمغفرة تقتضي قصورا او ذنبا حماه الله منه واعطاه براة منه

ابن ابي زيد

اذ قال

اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وسوى بينهما ايماء الى ان المتقدم كالمتاخر في عدم الوقوع ولذا قيل المراد بذنبه
ذنب امته كما تقدم فينبغي ان يقال بجوازه معترفا بغيره غير منفرد لعقيدة او طلبا
للثواب والمغفرة له ليس ذنبا كذنوبنا بل امور تقتضيها الجبلة البشرية وتاباه
العادة الملكية من الاشتغال الدنيوية وان كانت مباحة او لازمة لمقامه صلى الله
عليه وسلم ولذا قال انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة
وسياتي تحقيقه ان شاء الله

فصل في فضيلة الصلاة

اي ثوابها وفضائلها وفوائدها لمن قالها والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم
عليه اي قوله السلام عليك ايها النبي ونحوه والدعا له الماثور نحو اللهم اته
الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم
واظهار محبته بطلب بغيته فليس من تحصيل الحاصل ولا لاحتياج له صلى الله
عليه وسلم وقدم المص حديثا مسندا تبركا به رواه النسائي ومسلم عن ابن عمر رضي
الله عنهما حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه قالوا من روى عنه المص
من مشايخه واسمه احمد بن محمد عدة ناس منهم احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن عثمان بن غلبون الخولاني واحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي وهو ابن الرصي ابو جعفر
واحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابو عبد الله الشامي والمراد الاول لانه اشهر مشايخه وكان
عليه ان يذكر ما يعينه فكانه اعتمد على شهرته قال حدثنا القاضي يونس بن
مغيث تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو بكر بن معاوية بن الاحمر الاندلسي وهو
محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحاق بن عبد الله بن هشام بن عبد
الملك بن مروان ابو بكر القرطبي الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس
وتسعين ومائتين وسمع من النسائي وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي سنة
ثمان وخمسين وثلاثمائة قال حدثنا النسائي امام الحديث وصاحب السنن
المشهورة واسمه احمد بن شعيب كما تقدم بيانه قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا
من هنا اخ سويد بن نصر ابو الفضل المروزي المعروف بالشاة الامام روى
عن ابن المبارك وغيره واخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة اربعين ومائتين
قال اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك
ابن واضح التميمي مولاهم المروزي شيخ خراسان وابوه تركي تاجر وامه خوارزمية
ولد سنة ثمان عشرة ومائة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة وقبره مهيب
يزار واخرج له الستة كما تقدم وحيوة بن شريح تقدمت ترجمته وما فيه
قال اخبرني كعب بن علقمة بن كعب بن عدي التنوخي المصري التابعي الثقة توفي
سنة ثلاثين ومائة واخرج له اصحاب السنن وفي بعض النسخ كعب عن علقمة
وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى
نافع الامام الجليل الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة سبع وتسعين
انه سمع عبد الله بن عمرو الصحابي المشهور رضي الله عنه يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن وهو يؤذن للصلاة اي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اوغيرها فقولوا مثل ما يقول من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة نغيرها وهو سنة
معروفة وقيل انه واجب وتقدم بسط الكلام فيه وصلوا علي وفي مسلم ثم صلوا علي
والمعنى واحد وقد علمت ان احد المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه كما تقدم وانه
يقرن فيه الصلاة بالسلام فانه الافضل وارتكاب خلافه مكروه ولا يحتج بتعليمهم
كيفية الصلاة السابقة لان السلام سبقها في التشهد فلا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة
مقرونة بالسلام في مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الدارقطني
في الدعاء مرفوعا وكذا في غيره وانما حذف في بعض المواضع اختصارا وكذا يستحب الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم في الاقامة كما ذكره الجزري فيما تقدم فانه من صلى علي
مرة صلى الله عليه عشرا فان الحسنة بعشر امثالها وكون الله عز وجل يصلي عليه فيه
من الرحمة له واعلا الله قدره ما لا يخفى وقال يقول بالمضارع اشارة الى انه يقوله
من غير تاخر لما بعد الاذان وظاهره انه يتابعه في الحيعلتين وهو قول فيه وفي قول
معتمد انه يقول عندهما لا حول ولا قوة الا بالله اي لا قدرة للعبد على طاعة الله التي
دعي اليها الا بتوفيقه وكان ابن جبير يقول سمعنا واطعنا ويسن ان لا يرفع المجيب
صوته في الاجابة لان التشبيه ليس من كل الوجوه ثم سلوا الله لي الوسيلة بان تقولوا
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه
المقام المحمود الذي وعدته فان من قال ذلك حلت له شفاعتي يوم القيامة والوسيلة
لغة ما يتقرب به الى كل كبير وفسرت في الحديث بقوله فانها منزلة في الجنة من اعلا
منازلها وقد يرد هذا المعنى اللغوي فانها تقربه الى الله لا تنبغي لاحد من عباد
الله اي لا تليق بكل احد فانها اعلا المنازل فلا تليق الا باقرب البشر وانا ارجو ان
اكون انا هو عبر بالرجا وان كان الله اعطاه ذلك لوعد من لا يخلف الميعاد
تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وتفويضا الامر فيما يستقبل الى الله وتعليما
لامته وارشادا لهم لان يكونوا بين الخوف والرجاء دايما لا سيما في امور الاخرة وقد فسرت
الوسيلة بالشفاعة العظمى كما مر وجمع بينهما بانه صاحب تلك المنزلة هو
صاحب الشفاعة العظمى ايضا وانا تاكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها وضع
موضع اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل
اسمها ضمير مستتر وانا هو مبتدا وخبر والجملة خبر اكون وما قيل من ان هو
وضع موضع اياه استعير ضمير الرفع اسم الاشارة اي ان اكون ذلك العبد كما
في قوله وفيه

فيها خطوط من سواد وبلق ۞ كانه في الجلد توليع البهق

لا وجه له لان مثله انما ذكروه في وضع الضمير المفرد موضع غيره لا في وضع المرفوع
موضع غيره كما ذكره النحاة فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
اي استحقت ووجبت له بفضل الله من حل يحل بمعنى نزل وفي البخاري حلت
له وهما بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا خلصته شفاعته
صلى الله عليه وسلم من العذاب والا شفع له باعلاء درجته او بادخاله الجنة من غير
حساب وفي شرح مسلم للنووي ان هذا المختص بمن قاله مخلصا قاصدا لا بذكر فضيلته

صلى الله عليه

الاعبد

صلى الله عليه وسلم لا مجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضي ولو اخرج الغافل كان
اشبه وتقدم الكلام على ذلك كله وفيه الحث على الدعاء في اوقات الصلاة لانه محل الاجابة
كما قالوه وروي انس بن مالك كما في شعب الايمان للبيهقي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي صلاة واحدة في وقت ما صلى الله عليه عشر صلوات اي رحمه الله رحمة
مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها لان اضافته الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان
كل من جا بحسنة له عشر امثالها وحط عنه عشر خطيات ان كان ارتكب خطية ورفع له
عشر درجات باعلا مقاماته في جنة النعيم وعلو منزلته بقربه من الله وفي رواية اخرى
رواها ابو يعلى وكتب له عشر حسنات فان الصلاة عليه حسنة وكل حسنة بعشر امثالها
والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله تعالى وانه فعل ذلك بنفسه ولم يوله للملايكة
الكتبة فيدل على انها اعظم من سائر الحسنات وصلاة الله كما علمت رحمته رحمة خاصة
به فهي على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل وعن انس بن مالك انه روي عنه صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده انه قال ان جبريل عليه الصلاة
والسلام ناداني اي قال لي ويحتمل انه ناداه في الافق فناداه بصوت عال فقال فيه
له من صلى الخ ويؤيد الاول قوله في بعض النسخ فقال من صلى عليك صلاة باخلاص
تعضدها تعظيمك على ما مر صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات فوق مقامه
الذي يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة في عدة احاديث كثيرة مسندة
صحيحة وفي بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفي الاكثر وفي رواية عبد
الرحمن بن عوف التي رواها الحاكم والبيهقي وصححاها عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال لقيت جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ابشرك اي اخبرك
بما يسرك سرورا عظيما يظهر في وجهك وتبرك وهو اصل معناه ان الله اي بان الله
يقول من سلم عليك اي قال السلام عليك ايها النبي داعيا لك بالسلامة من كل
نقص وسوء وملقيا اليك عنا تسليمه سلمت عليه اي سلمته من كل سوء وحفظته
عنايتي وعبر بهذا مشاكلة ومن صلى عليك صليت عليه ليس في هذه الرواية
عدد ولا عشر فهي محمولة على ما مر والحديث صحيح روي من طرق وسببه ان عبد
الرحمن بن عوف كان يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخدمه ليلا ونهارا
فاتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حائطا وسجد سجودا اطويلا حتى ظن انه
قبض روحه فبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك فاخبره بما خطر
بباله فقال له جاني جبريل واخبرني بان الله يقول لي من سلم عليك سلمت عليه
ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا له وهو حديث صحيح المتن والسند
وقال الحاكم لا اعلم في سجدة الشكر اصح منه والاحاديث في فضل الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى ونحوه اي مثل هذا الحديث لفظا ومعنى من
رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان بفتح الحا والدال المهملتين وسكونه
والف ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا مختلف في صحبته ادرك الجاهلية
والاسلام واخرج له الستة واختلف فيه هل هو صحابي راى النبي صلى الله
عليه وسلم وروي عنه احاديث مرفوعة او تابعي ورواياته مرسلة والاصح عنده

الى

هذا

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذهبي وغيره انه تابعي وتوفي في سنة اثنتين وتسعين وهو اي حديث ما روي
عن عمر بن الخطاب انه صلى الله عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه ففزع
عمر واتبعه بمطهرة فوجده ساجدا في شربة فتنحى عنه حتى رفع راسه فقال له
احسنت يا عمر لتنحيك عنه تادبا ثم قال له ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك
واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات اخرجه البخاري في الادب وغيره
وعبيد الله بن ابي طلحة الانصاري وهو بالتصغير وفي نسخة عبد الله مكبرا قال
البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن ابي طلحة زيد بن سهل الانصاري
اخو انس لامه ووالد اسحاق واخوته وهو صحابي له رؤية توفي في زمن الوليد
وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه وحديثه رواه احمد والحاكم
وابن حبان والنسائي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
والبشر يرى في وجهه فقال لما سئل عن سبب بشره جاءني جبريل فقال
اما يرضيك يا محمد انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا
ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا واخرجه ابن الجوزي في
الوفا بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الا قال
صلوا على قائلها كما صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن الحباب
بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما الف قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ظاهره انه صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر
النسخ وهو كما قالوه وهم او تصحيف له او سقط من الكاتب فان ابن الحباب
ليس بصحابي ولا تابعي وابن هو وابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وان صحت روايته وقيل انه لم يكن به باس ورحل في طلب الحديث الى
الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المص لما اراد كتابة الحديث سقط
اول سنده ولذا قال يحيى بن علي الرشيد الحدث انه وهم ظاهر فانه ليس
بتابعي ولا من اتباعه وانما روى عن مالك وامثاله وليس له نظير في اسمه
واسم ابيه من الصحابة وهذا الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر بن
سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الحضرمي عن رويفع بن ثابت الصحابي
عنه صلى الله عليه وسلم فهو معضل لا مرسل كما قيل وابن الحباب توفي
سنة ثلاث ومائتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار اعظم من
الذنب فانه ليس بمعضل ايضا لان المعضل اذا قال سمعت يكون كذبا فالصواب
انه وهم وجواب الشمني عنه بان المص اسقط ما عدا زيد لانه لا غرض له
في ذكره وانه لا وجه له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيد هذا هو ابو الحسين
الحافظ الخراساني والذي يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو قول ابي هريرة وهو المقصود
بالرواية وما بعده متابعة له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية ما يمكن
في توجيهه لحسن الظن به وليس ببعيد الا ان نظر لزيادة قوله وعن من
قال في صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد

وانزله

وانزله اي اعطه المنزل المقرب بصيغة المفعول ويجوز كسره رايته يوم القيامة هو على
ظاهره او المراد في الاخرة والقرب منه رتبة معنوية المراد منه عظيم الثواب وفيض المواهب
الربانية لا قرب مكاني لان الله منزه عنه وجبت له شفاعتي اي تعينت وتحققت
بلا تردد لان الله لا يجب عليه شيء عندنا وروى ابن مسعود في حديث صحيح رواه
الترمذي وابن حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة
اي احقهم بشفاعتي وعنايتي واقربهم مني منزلة اكثرهم صلاة علي لان ذلك
يدل على محبته والمرء مع من احب وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم من صلى علي في كتاب كتبه من تاليف ورسالة وغيره كما مر بيانه لم تزل
الملائكة تستغفر له اي تدعو له بالمغفرة ما بقي اسمي اي مدة بقائه مكتوبا في ذلك
الكتاب والمراد التابيد كقوله تعالى ما دامت السموات والارض قال الطبراني
في الاوسط رواه ابو الشيخ في الثواب والمستغفري وقال العراقي في تخريج احاديث
الاحياء روي بسند فيه ضعف ومثله يعمل به في فضائل الاعمال وقال خاتمة
العلماء المالكية الحطاب في معنى ذلك يحتمل ان المراد انه كتب الصلاة عليه في
كتابه ويحتمل انه قرا الصلاة عليه المكتوبة وهو اوسع وارجى والاول اظهر
واقوى انتهى وتقدم نقله عن الشيخ زروق قلت الاول هو المراد لان المعنى
انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سببا لقراءته فله اجره واجر من قراه
اجرا غير مقطوع ولا ممنون به وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك
عبد او ليكثر العطف للتخيير صلاة والفاء فصيحة اي اذا عرفت بقاء هذا او دوامه
ونفعه لك فان شئت اكثرت من كتابته كما استفيد من الاول او التلفظ به كما
استفيد من هذا الترجيح بجا كثيرا دائما وان لم تشا فاقتصر على قليل منه نافع
لك وهذا في الحقيقة حث له على الاكثار فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه
ولذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو خير اكثر تحذيرا من التفريط في تحصيله
قريب من التهديد وفيه من البلاغة ما لا يخفى وعن ابي بن كعب في حديث
رواه الترمذي وحسنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع
الليل اي الاول وكان يفعل ما مضى لكنهما تستعمل بمعنى في المدة والمراد كان الله
غفورا رحيما كما ذكره ابن جني في الخصائص قام من نومه وانتبه بعد
استراحته فقال لمن عنده من زوجاته واهل بيته يا ايها الناس اذكروا
الله بتمجيده وتحميده باسمائه الحسنى فهو ذكرهم وعظهم وقيامه
بالتهجد وخص هذا الوقت بما ذكر لانه وقت غفلة بمقتضى الطبيعة البشرية
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة والراجفة من الرجف وهي الحركة بشدة
والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف كما مر وقد تظرف
ابن نباتة المصري كما مر في وصف من حدث له رعشة في كفه فقال

« ما كان من رجاف كفك منكرا * فالبحر من اسمائه الرجاف »

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدي الساعة من الفتن والهرج والمرج والزلازل

والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة او الصيحة او النفخة او الزلزلة
اخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها لما جاء الموت بما فيه من سكراته
واهواله وهو اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله
وايقاظهم من نومة الغفلة فقال ابي بن كعب لما قاله صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك واشتغل بها اوقاتي بعد اداء الفرايض
ونحوها فكم اجعل لك من صلاتي اي كم مقدار الوقت الذي اصلي عليك فيه
قال ما شيت اي قدر تريده وتختاره لك قال الربع اي اصرف ربع
اوقاتي لها قال ما شيت فان زدت على الربع فهو خير لك نافع في الدنيا والاخرة
قال الثلث اي اصرف لها ثلث وقتي قال ما شيت اي يكفي هذا وان زدت فهو
خير واحسن لك قال النصف قال ما شيت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شيت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله اجعل صلاتي كلها لك
قال اذن يكفى اي تغنيك عما عداها لان فيها خيرا الدنيا والاخرة وزيادة الرزق
ببركتها وتغفر ذنبك لانها مكفرة لساير الذنوب فالصلاة في هذا الحديث
بمعنى الدعا كما ذكره في كتاب الصلات والبشر ومعناه انه في موطن الدعا
كعقب الصلوات ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله عليه وسلم
هل يزيد في دعائه لنفسه على الصلاة عليه او يسوي بينهما او يزيد
في الصلاة عليه او يجعل دعاه كله له ويترك دعاه لنفسه فانه اذا فعل
كفاه عن الدعا لنفسه فان الله يصلي عليه اضعاف صلاته فينال كل خير من الله
من غير طلب وهذا اولى واحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فما قيل هنا
من ان هذا الحديث يقتضي ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من
ساير العبادات لان الشارع اذا خص وقتا بعبادة تكون فيه افضل من غيرها ه
كاذكار الركوع والسجود فانها افضل من غيرها وان كان غيرها في نفسه افضل
فالصلاة عليه لمن يريد الدعا افضل من قول لا اله الا الله وان ورد في الحديث
افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وقد سيل شيخ الاسلام
السراج البلقيني عن قراة القران وذكر الله والصلاة على رسول الله ايها
افضل فاجاب بان كلا منها افضل في محله فالصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم في وقت الدعا وكما في الصلاة واجبة فهي افضل من غيرها فاذا جعل
الانسان دعاه كله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه يكفى عما اهمه
وهي افضل من الاستغفار وغيره من الدعا الاوجه له ولا حاجة بنا اليه
فان الحديث كما علمت انما يدل على ان صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم
تغني عن دعائه لنفسه ولا تقتضي انها افضل من ساير العبادات ولا من قراة
القران وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القايل من غير طايل وتعدى
عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا مساس له بهذا المقام ه
وهذا الحديث في المعنى كالحديث القدسي من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته
افضل ما اعطي السايلين وعن ابي طلحة زيد بن سهل الصحابي وفي الصحابة

ابو طلحة

ابو طلحة اخر وهو الذي نزل فيه قوله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف في الصحابة من اسمه ابو طلحة غير ابن سهل هذا
وحديثه هذا اخرجه النسايي انه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت
في وجهه من اثار بشره اي مسرته وانشراحه وطلاقته لم اره قط فيه لان دابه الخشوع
والسكون والطلاقة مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه
وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا انتهى وهو في الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير
للبشاشة والسرور فسالته عن سبب ذلك فقال وما يمنعني من المسرة وانشراح
الصدر وقد خرج جبريل من عندي انفا اي قريبا من مجيئك فاتاني ببشارة
من ربي الظاهر ان فيه قلبا اي اتاني ببشارة مرحرج ومثله كثير في كلامهم والحديث
صحيح اخرجه احمد واصحاب السنن ان الله بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة
مفسرة للبشارة وهي الخبر السار بعثني اي ارسلني اليك ابشرك انه ليس احد من
امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملايكته بها اي بصلاته التي صلاها عشرا
وقد تقدم هذا وتفسيره وعن جابر بن عبد الله في حديث رواه البخاري قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اي الاذان فتفرغ منه العبد
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة اي الدايمة او التي تقوم لها الناس
فهو كعيشة راضية ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
حلت له شفاعتي اي تحققت يوم القيامة وظاهره انه يقوله وهو يسمع الاذان من
اجابة وبه استدل الطحاوي على انه لا تتعين الاجابة او المراد انه يقوله حين
يسمع النداء بتمامه فيكون بعد الاجابة والرواية بتنكير مقاما حكاية لما في القران
وهو منصوب مفعول ات والذي بدل او عطف بيان او هو منصوب على الظرفية
والذي مفعول وروي المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووي ولا وجه لانكاره
وقد تقدم بيانه وعن سعد بن ابي وقاص في حديث صحيح رواه مسلم من قال حين
يسمع المؤذن اي اذانه وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له اي جميع ذنوبه
وذكره استطرادا لمناسبته لما قبله لانه ليس فيه شي مما نحن فيه من فضيلة الصلاة
عليه وما قيل انه يعلم منه التزاما لان مجرد الرضا به اذا كان سببا للمغفرة
فكيف اذا قرن به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس في الكلام ما يدل
عليه بوجه من الوجوه وروى ابن وهب هو الامام ابو محمد عبد الله الفهري
كما تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا اي قال السلام
عليك يا رسول الله عشر مرات فكانما اعتق رقبة اي عبدا وعبر بالجزء عن الكل
اي كان ثوابه مثل ثواب ذلك وفي بعضها لانا رجحنا اثر بمعنى الخبر الذي يوثر اي ينقل
والمراد به هنا الحديث ليردن علي اقوام اي يأتوني على الحوض لا اعرفهم الا بكثرة صلاتهم
وفي نسخة ما يدل الا بغير انه صلى الله عليه وسلم يرى في وجوههم نورا او علامة
من اثار الصلاة عليه وفي حديث اخرجه الحاكم اي اسرعكم نجاة وخلاصا يوم القيامة
من اهوالها اي شدايدها وخوفها ومواطنها الصبر للاهوال او للقيامة التي تخافونها

اكثر كم علي صلاة يعني ان بركتها تسهل عليه شدائدها وهذا الحديث رواه الاصبهاني
في ترغيبه عن انس رضي الله عنه وفيه ايضا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلاة
علي النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب اي اشد ابطالا واذهابا من محق الشيء
اذا ابطله من الما البارد للنار فانه اذا صب عليها اطفاها واذهب ضررها وفيه
تشبيه للصلاة بذلك والسلام عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب
انما خص السلام بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه تسليم له من مايز
النقايص ومن اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار فسلم
مما يخشاه في الاخرة فلذا جعل السلام عليه واجره كالاعتاق واجره وشبهه
به دون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لا تنافي ما مر لان وجه الشبه قد يكون
اقوى في المشبه وفي بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه **فصل**
في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم والنميمة لتركه الواجب عليه وذمه
بترك الافضل في حقه ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كما مر ولهذا
اخر هذا الفصل عما قبله وصدره بحديث مسند رواه مسلم والترمذي كما هو
دابه في كتابه هذا فقال حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله هو ابن سكرة
وقد تقدم مرارا قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون هو احمد بن الحسن بن خيرون
البغدادي الحافظ الناقد وقد تقدم ايضا وابو الحسين الصيرفي كذا في النسخ والصواب
ابو الحسين بالتصغير وقد تقدمت ترجمته ايضا قالا حدثنا ابو يعلى هو احمد بن
عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال حدثنا السنجي وبيان
نسبته وضبطها قال حدثنا محمد بن محبوب تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو
عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المشهور وقد تقدم بيانه قال حدثنا
احمد بن ابراهيم الدورقي هو احمد بن ابراهيم البغدادي الحافظ والدورقي
بفتح الدال المشددة والرا المهملتين بينهما واو ساكنة ويليهما قاف
وياء نسبة منسوب لبلد وهو في الاصل اسم اناء للما كالجرة ولنوع من القلانس
شبهت بالاواني لطولها ووهم من غلط المزي في قوله انه اسم بلد فانه سبقه
الحاكم في كتاب الكنى والمعترض اعتمد على كتاب الرشاطي وقد رده البرهان
الحلبي في المقتفى والدورقي كان امام الحديث في عصره اخرج له الستة وغيرهم
ولد في سنة ست واربعين ومايتين قال حدثنا ربعي بن ابراهيم هو ربعي
ابن مقسم الاسدي الثقة الحافظ توفي في سنة سبع وتسعين ومائة عن عبد
الرحمن بن اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشي العامري المدني
ويقال له عباد بن اسحاق وثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان
عن سعيد بن ابي سعيد هو المقبري وقد تقدم عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل اي اذله الله
واخزاه وحقيقته الصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكني به عما
ذكر واضيف للانف لتقدمه ذكرت عنده فلم يصل علي لان الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لفاعله وعز له باعزاز نبيه

صلى الله عليه وسلم فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث
اخرجه الترمذي كما علمت وحسنه والحاكم وصححه ورغم انف رجل دخل رمضان اي جا
زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقة عرفا اي في عرف اللغة ثم انسلخ اي تم
ومضى واصل التسلخ نزع جلد الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعه اي
نزعته ومنه سلخ الشهر لاخره قال الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقاتله
ادهم البلاجين كانهم ورنا ه سلخت بذي لاهلة سلخا
قبل ان يغفر له اي ولم يغفر له وفي التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكونه محل
المغفرة كانت كالموجودة فذهب قبلها ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر
اي ادركا الشيخوخة وعمرا وهو معهما الا انه لم يبرهما ولم يعاملهما بما يرضيهما
فلم يدخلاه الجنة لانه لو فعل ذلك بهما اثابه الله وادخله الجنة فان الجنة تحت
اقدام الوالدين كما ورد في الحديث قال عبد الرحمن بن اسحاق الذي تقدم قريبا
واظنه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال او احدهما اي احد ابويه وتجويز
عود الضمير لابي هريرة فيه شك من الراوي وستاتي تتمة الكلام على هذا الحديث ه
والجامع بين هذين ان في صوم رمضان رضى ربه وخالقه وفي رضا الوالدين برضى
هو سببه لوجوده وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رضا من هو سبب
لبقايه في النعيم المخلد والصوم مرضا للرب بامر ليس عليه فيه كلفة كالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فقد احرم نفسه من فايدة عظيمة بتركه اشيا
لا مشقة فيه ورواه مسلم بثم بدل الفا لاستبعاده مع تمكنه عقلا والفا نظرا
لكونه ذلك واقعا عقبه لان الفا بمعنى ثم كما توهم وقيد بالوالدين بحال الكبر
لانها حالة العجز ورحمتهما والاسناد في قوله يدخلاه اسناد مجازي للتسبب وفي
حديث اخر رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة بطريق اطول من هذا ان النبي صلى
الله عليه وسلم صعد المنبر صعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل كما
قاله البرهان الحلبي والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبر بمعنى ارتفع لارتفاع
الخطيب عليه فقال امين اذ صعد درجة وامين اسم فعل بمعنى استجب كما مر وقوله
امين يقتضي انه سمع داعيا يدعو ولم يكن معه احد فلذا سالوه عن سبب قوله
هذا كما سياتي ثم صعد درجة اخرى من درجات المنبر فقال امين ثم صعد درجة
فقال امين فسال له معاذ راوي الحديث عن ذلك اي عن قوله امين ثلاثا وما
سببه فقال مجيبا للسايل عن سؤاله ان جبريل اتاني لما صعدت المنبر وروى
انه اتاه قبله فقال يا محمد وروى انه قال له لبيك وسعديك لا من سمي كالمعهود
وتا الخطاب المفتوحة نايب الفاعل اي ذكر اسمك بين يديه اي عنده وهو حاضر
يسمع ولم يصل عليك فمات تاركا للصلاة عليك والتعقيب عرفي كتزوج
قوله لم يدخل النار عقوبة له على تركه الصلاة وقد قدمنا انه يقتضي وجوبها
كلما سمع اسمه والحواجب عنه فابعده الله عن رحمته ونعيم جنته وقال
له جبريل قل امين كطلب منه التامين على دعايه لتشجيعه وفيه تعليم
له لانجحي فقلت امين امتثالا لامره الذي بلغه عن ربه قال ابن حجر في

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الزواجر ولهذا الوعيد بتكرير الدعا عليه بالبعد والسحق وعده ابخل الناس
عند وا ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره من الكبائر بنا على وجوبها
كلما سمع ذكره كما ذهب اليه طائفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلاة
عليه لاشتغاله بلهو ولعب على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله عليه وسلم
فيكون الترك حينئذ كبيرة مفسقة فلا منافاة بين هذا وبين القول بعدم
الوجوب بالكلية وهذا امر مهم لم ار من نبه عليه انتهى وقال فيمن ادرك
رمضان وصومه فلم يقبله منه مبني للمجهول اي لم يتقبله الله منه بان ابطل
واحبط عمله فمات مثل ذلك اي فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت
امين ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما اي لم يقم بواجب حقوقهما
وما يستحقانه يقال بر بفتح عين الماضي يبره بفتحها لانه مضاعف
متعد والمطرد فيه ذلك الا ان افعالا قليلة جا فيها الفتح والكسر كما قاله
ابن القوطية وغيره كما فصل في كتب التصريف فمات مثله بالنصب اي وذكر
مثله اي فدخل النار فابعده الله الخ اي وعلم فقبول رمضان اما لانه لم
يات به على وفق امر الله له بان اخل به او اما لانه لم يخلص نيته فيه وهذا
حديث صحيح روي من طرق كثيرة باسانيد متعددة وعن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذي وصححه والبيهقي والنسائي
عنه عليه الصلاة والسلام انه قال البخيل كل البخيل الذي اذا ذكرت عنده
فلم يصل علي ولعل بعض الطرفين يدل على الحصر اي لا بخيل الا هو او البخل
الامساك عن بذل ما ينبغي شرعا او مروة والشرع يقتضي ذلك لانه امرنا
به وكذا المروة لانها تقتضي الثناء على من انعم واحسن واي منعم مثله صلى الله
عليه وسلم فانه واسطة لكل احد في جميع النعم التي وصلت اليها والبخل
بكلمة تنفع في الدنيا والاخرة بخل لا يضاهيه بخل وفي الحديث روايات مختلفة
فروي البخيل كل البخيل ومؤكدا بان كما يأتي وفيه مبالغة لا تخفى
وهو هنا استعارة تبعية بتشبيه ترك الصلاة بترك الانفاق او مكنية
وتخييلية بتشبيه الصلاة بالمال الذي ينبغي انفاقه وعن جعفر
الصادق بن محمد الباقر عن ابيه محمد الباقر وهو تابعي فالحديث مرسل
كما في شعب الايمان للبيهقي ورواه الطبراني في الكبير متصلا عن
الحسين بن علي جده رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطي به طريق الجنة اخطي بضم الهمزة
وكسر الطاء في اكثر النسخ مبني لما لم يسم فاعله ويجوز بناؤه للفاعل ايضا
اي دخل النار لانه اخطي عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه قد
اضله الله عن طريقها وهذا رواه جماعة من طرق متعددة وفي بعضها
خطي وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وكل
هنا صفة البخيل للمبالغة كانه جمع افراده كلها ووجب حينئذ اضافته

لظاهر

لظاهر مماثل لموصوفه لفظا ومعنى كما هنا وكقوله
وان الذي حانت بفلج دماؤهم • هم القوم كل القوم يا ام خالد
وقد يضاف لما يماثله معنى فقط وهذا الحديث اخرج من طرق متعددة اخرجه النسائي
والبيهقي والبخاري في تاريخه وعن ابي هريرة رضي الله عنه رواه ابو داود والترمذي
وحسنه والحاكم وصححه قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم اي هنا للعموم
وما مزيدة اي كل قوم جلسوا مجلسا اي في مجلس ثم لم يتفرقوا اي قاموا من مجلسهم قبل
ان يذكروا الله اي من غير ذكره تعالى في مجلسهم او عند قيامهم منه وقبل ان يصلوا
على كانت عليهم من الله ترة وترة بكسر التا المهملة المثناة وفتح الرا المهملة
وهاتا تانيث عوض من الفا المحذوفة كعدة وزنة وهي مرفوعة اسم كان وعليهم خبر
مقدم ويجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة المفهومة
مما قبله والترة لها معان الظلم والذنب والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة وهو
اقربها لانه ورد كذلك في رواية كما يأتي وقوله ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم تقتضي
انه بمعنى الذنب والخطيئة فهو كالتفسير لما قبله والمعاني كلها متقاربة وقيل
انها بمعنى الحجة القائمة عليهم بهم في مشيئة الله ان شاء عذبهم بترك الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم وان شاء غفر لهم لانه الغفور الرحيم وقد علم ان الترة
هي في الاصل النقص قال تعالى ولن يتركم اعمالكم ومعناها هنا التبعة كما في
شرح السنة وفي غريب لهروي انه لبعض الفقهاء حرفه وقراه بالثا المثلثة من
الثار بالهمز اي طلب الدم من القاتل واين هو منه لفظا ومعنى اذا علمت هذا فليس
لمن اراد القيام من مجلسه ان يقول لا اله الا الله وصلى الله وسلم على رسوله ليكون
مكفرا لما في ذلك المجلس وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي في
الشعب من نسي الصلاة على نسي بضم اوله وتشديد ثانيه مبني للمجهول وفي نسخة
نسي مخففة مبنيه للفاعل طريق الجنة ففيه جعل الصلاة كالهادي لها فتركها ترك
لطريق الجنة او عدم الهداية لها وفيه استعارة او النسيان بمعنى الترك
مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله
وكذلك اليوم تنسى وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
عبد الرزاق عن معمر والحديث مرسل يستدل به في الفضائل دون الاحكام
كما علم مما مر من الجفا اذا ذكرت عند الرجل وفي نسخة رجل وفي اخرى احد فلا
يصلي علي الجفا ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل
للاعراب اهل الجفا يمد ويقصر وهو ضد الصلة والمراد بالرجل الجنس كاللئيم
في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني • وعن جابر رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي
عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن ريح انتن من ريح الجيفة ...
وهي الرائحة الخبيثة التي يكرهها كل طبع ويكون من اللحوم المتغيرة بعد الموت
وفعلها انتن بالكسر والضم عند ابن القوطية فافعل من الثلاثي على القياس
او من انتن على مذهب سيبويه فان قيل ان من روايه اشد نتنا لا وجه له مع

تلمساني

شبكة الألوكة www.alukah.net

انه يكفي لصحته وروده في كلام افصح الناس صلى الله عليه وسلم من ريح الجيفة الريح اما
على ظاهره او بمعنى الرائحة والجيفة في الاصل رمة الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم
انوا بامر مذموم فشبه المعقول بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم
شرعا من غير مكفر له وهو تقييد من غير دليل وقيل انه ريحهم في الملا الاعلى او يوم القيامة
بين اهل الموقف وهو بعيد لا يلايمه السياق فالظاهر انه على التشبيه او المراد انه كذلك
في الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من اهل الغيبة رائحة خبيثة وهذا
الحديث رواه الطيالسي والبيهقي والنسائي والضيائي في المختارة بسند صحيح الا انه
فيه ذكر الله مع الصلاة كما مر والمشبه به اما فرد من افراد الجيفة او شي غيرها
اشد نتنا منها وعن ابي سعيد الخدري في حديث رواه البيهقي وسعيد بن
منصور وغيرهما من طرق صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم
مجلسا اي في مجلس يتحدثون فيه ولا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
في اثنائه او في اخره الا كان ذلك المجلس حسرة عليهم اي ندامة وتاسفا على ما فاتهم
فيه وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال
خاصة لقوله افقوم آل حصن ام نسا ويطلق على ما يشملهم تغليبا وقيل انه عام
لكل جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى حسرة وهي في الاصل بمعنى الانقطاع
من حسرت الناقة اذا انقطعت عن السير لكلال ويجوز فيه كان ان تكون تامة وناقصة
وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله وانه لحسرة على الكافرين او اسناده مجازي وحكى
ابو عيسى الترمذي امام الحديث وصاحب الجامع والشمايل وقد قدمنا ترجمته
وشهرته تغني عن ذكره عن بعض اهل العلم انه قال اذا صلى الرجل على النبي صلى
الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا بالهمزة عنه ما كان في ذلك المجلس اي كفت المرة عن
تكريرها بعدد ما ذكر اسمه في ذلك المجلس فهو سنة كفاية او من كفاية بنا على الخلاف
السابق وفي بعض احوالي التي اختلفت الرواية فيه فعن صاحب المجتبى من الحنفية
انه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره وقيل لا يتكرر كما لو تكررت اية السجدة في مجلس
فانه يكفي فيها سجدة واحدة وقيل المراد بما كان في ذلك المجلس وجوه مما يحتاج
للكفارة ويؤيده ما ورد في الحديث من صلى علي مرة واحدة محى الله عنه بها
ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ما ذكر بالطريق الاولى وكذا ورد عنه صلى الله
عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان
لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك فاذا
ضم الى ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما
وكفر عنه ما صدر منه ومن اهل مجلسه واعلم انه قال في الخزانة انه صلى الله
عليه وسلم لا يجب عليه ان يصلي على نفسه انتهى فقيل فاذا كان لا يجب عليه
ذلك فهل كانت صلاته صلى الله عليه وسلم على نفسه في صلاته بطريق
الاستحباب ولم يكن يصلي على نفسه فيها فقيل لم يصرح به احد انتهى وفي
فتاوى السبكي الحلبي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة بالاجماع
وكونها ركنا في الصلاة مذهب الشافعي والظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم

مشاركة

مشاركة لامته في هذا الحكم من كونها واجبة عليه في صلاته ركنا فيها فان نقل اجماع انه لم يكن
يجب على الامم المتقدمة ان يصلوا على انبيائهم فينبغي ان تعد من الخصايص واما غير
الانبيا فاقل من ان يتوهم مشاركتهم في الوجوب حتى ينتفي خصوصيته ومانقله
الجاجاني من انها لا تجب على غيره استقلالا الا بالاجماع وان اريد في غير هذه الملة انه صح
ثبت الخصوصية وان اريد انه لا يجب علينا في ملتنا ان نصلي على غيره استقلالا لا
فيفهم انه يجب بغير استقلال ولا نعرفه انتهى

فصل

في خصيصة عليه الصلاة والسلام في تبليغ صلاة من صلى عليه

او سلم من الانام كسحاب مطلق او كل ذي روح او الجن او الانس خاصة وتبارك الانام
بالمد كساباط وانيم كاسير وبدا بحديث رواه احمد وابو داود والبيهقي بسند حسن
وهو قوله حدثنا القاضي ابو عبد الله التيمي قال حدثنا الحسين بن محمد ابو علي
الغساني وقد تقدما قال حدثنا ابو عمر الحافظ ابن عبد المومن هو ابن عبد البر
كما تقدم قال حدثنا ابن داسة تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو داود امام الحديث
وصاحب السنن كما تقدم قال حدثنا ابن عوف محمد بن عوف الطائي الحمصي راوي
سنن ابي داود عنه توفي سنة اثنين وتسعين ومايتين قال حدثنا المقري
ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير المقري مولى عمر رضي الله عنه وهو ثقة
اخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث عشر ومايتين كما تقدم قال حدثنا حيوة بن
شريح كما تقدم قريبا عن ابي صخر حميد بن زياد الخراط قال احمد لا باس به وله
ترجمة في الميزان عن يزيد بن عبد الله بن قسيط بالتصغير الليثي التابعي الثقة
توفي سنة اثنين وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم
علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام اي اجيبه وكلام المص في تبليغ
الصلاة له وهذا في تبليغ السلام ولذا قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وانه
نوزع فيه كما ياتي فاما ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة او فهم منه ان المراد
بالسلام قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وفيه دليل على انه صلى
الله عليه وسلم حي حياة مستمرة لان الكون لا يخلو من مسلم يصلي عليه في كل لحظة
وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه الصلاة والسلام وسلم وساير
الانبيا عليهم الصلاة والسلام احيا حياة حقيقية كالشهدا وان كان حال البرزخ
لا يقاس على حال الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله ان رد الروح يقتضي الموت
وهو خلاف المقصود وقد اجيب عنه باجوبة منها ما قاله صاحب القاموس
في كتاب الصلات والبشر ان البيهقي قال معناه ان الله رد روحه الشريفة لاجل
رد سلام من يسلم عليه ثم استمرت في جسده وقال عبد الكافي السبكي شيخه انه يحتمل
انه رد معنوي بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملا الاعلى عن
عالم الدنيا فاذا سلم عليه اقبلت روحه لهذا العالم لرد السلام وقال السخاوي
في كتابه القول البديع رد روحه يلزمه تعدد حياته ووفاته في اقل من ساعة
اذ الكون لا يخلو من مسلم عليه بل قد تتعدد في آن واحد كثيرا واجاب القاضي

قال حدثنا

دلجي

عوني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبعضهم بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكانه قال رد الله علي نطقي والنطق من
لوازم وجود الروح بالفعل او بالقوة فعبر باحد المتلازمين عن الاخر ويؤيده
ان الحياة مرتين لا غير لقوله تعالى امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقيل انه على ظاهره
بلا مشقة وقيل المراد بالروح ملك وكل بابلاغه السلام وفيه نظر انتهى وفي رواية
كما قاله السبكي ما من احد يسلم علي عند قبري فان ثبتت فهي مخصوص ولا
يرد بالراي قال في الدر وزيادة عند قبري لعد علي قال السخاوي لم اقف عليها
فيما رايته من طرق الحديث اقول هذا جملة ما في الحديث من القيل والقال وللنظر
فيه مجال اما اولا فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة وغير معروفة ولا مالوفة
وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية ولو سلم لكان ركيكا لان قوله حتى ارد
عليه السلام يأباه ولو قيل انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر
عادت له روحه ولمن ساءه راحت روحه ولولا خوف الاطالة لاوردت له شواهد
وهذا ايكون نحوا ثانيا سادسا وجواب البيهقي خلاف الظاهر كما لا يخفى وكون
المراد بالروح الملك يأباه الاضافة لضميره الا ان يقال انه ملك كان ملازما له صلى
الله عليه وسلم فاختص به على انه اقرب الاجوبة وقد ورد في بعض الاحاديث
وقال ابو داود بلغني ان ملكا موكلا بكل من صلى عليه صلى الله عليه وسلم حتى
يبلغه سلامه ويأتي الكلام عليه وقد ورد ايضا اطلاق الروح على الملك في
القران واذا اختص هذا بالزوار فان امر وجملة رد الله علي روحي حالية ولا تكلم بها
قد اذا وقعت بعد الا كما ذكره التسهيل وهو استثناء من اعم الاحوال وبالجملة
فهذا الحديث لا يخلو من الاشكال والاقرب الذي يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف
ان الانبيا والشهدا احيا وحياة الانبيا اقوى ولذا لم تتسلط عليهم الارض
فهم كالنائمين والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى ينتبه كما قال تعالى والتي لم تمت
في منامها اي يرسلها فالمراد بالرد الارسال الذي في الاية وحينئذ فمعناه انه
اذا سمع السلام والصلاة بواسطة او بدونها تيقظ ورد لان روحه تقبض
قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها الا ان روحه صلى الله عليه وسلم
مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه يبلغه الملك سلامه كما ذكر بعد
فلا اشكال اصلا الا انه لم يتبين وما قيل ان رده صلى الله عليه وسلم مختص
بسلام زايره مردود بعموم الحديث فدعوى التخصيص تحتاج لدليل ويرده ايضا
الخبر الصحيح ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا
عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزايره لم يكن له
خصوصية به لما علمت ان غيره يشاركه في ذلك قال ابو اليمن بن عساكر واذا جاز
رده صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره جاز رده على من يسلم
عليه من جميع الافاق من امته على بعد مسافته وذكر ابو بكر بن ابي شيبة هو عبد
الله بن محمد العبسي الكوفي الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة اخرج له
الايمة الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومايتين وترجمته مفصلة في الميزان عن
ابي هريرة رضي الله عنه كما رواه البيهقي وابو الشيخ قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا اي بعيدا عني والنائي
بالهمز البعيد بلغته بالبنا للمفعول اي بلغتني الملايكة سلامه وصلاته كما ورد مصرحا
به في الحديث وفي بعضها انه ملك معين وقوله وعن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري
وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط ان لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي
السلام وفي اخرى ان لله ملايكة يسيحون في الارض يبلغوني صلاة من صلى علي من امتي
وهذا يقتضي انهم جماعة كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة
من السياحة وهي التطواف في الارض والتردد فيها والذهاب الى البلاد البعيدة
وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهي عنه صلى الله عليه وسلم بقوله لا سياحة في
الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الما اذا جرى على وجه
الارض اما الملايكة اذا امروا فلا بد لهم من هذه الخدمة فهو عبادة لهم لانهم لا يفعلون الا
ما يومرون وقوله يبلغوني الخ صفة للملايكة او جملة مستانفة استينافا بيانيا وليس
هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه احمد والنسائي والبيهقي والدارمي
وابن حبان وابو نعيم والخلعي بسند صحيح ونحوه عن ابي هريرة اي بمعناه ما رواه
في الترغيب عن ابي هريرة وفي الحلية لابي نعيم واللفظ الذي في الترغيب عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل سيارة من الملايكة
اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم امنوا على دعايهم
فاذا صلوا على النبي صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء
فانهم مغفور لهم وفي الحلية انه يبلغ صلاتهم ويكفوا امر دنياهم واخرتهم
وعن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يخرجوا هذا الحديث اكثروا من السلام على نبيكم
كل جمعة المراد به الصلاة والسلام عليه في يوم الجمعة وليلتها ويحتمل ان يريد
السلام وحده فانه اي السلام يوتى به منكم في كل جمعة لانه يوم تعرض فيه الاعمال
والصلاة فيه فضل على غيره وذكر في الدر المنضود ان في رواية ليس احد يصلي علي
يوم الجمعة الا عرضت على صلاته صححها الحاكم والبيهقي وفي سندها راو
وثقه البخاري وضعفه غيره وفي رواية اخرى فان احدا لا يصلي علي في ذلك
اليوم وليلته الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قال السخاوي رحمه الله
هذا الحديث لم اقف عليه وفي الدر المنضود وفي رواية رجالها ثقات الا انها منقطعة
اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملايكة وان احدا لن يصلي علي
الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قال راويه ابو الدردا وبعد الموت قال وبعد
الموت وروى البيهقي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقربكم مني
يوم القيامة اكثركم علي صلاة في الدنيا ومن صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة
قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الاخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وورد في
الاحاديث الحث عليها في يوم الجمعة وانه يوم مشهود والانبيا احيا في قبورهم
كما تقرر فان قلت ورد تبليغ الصلاة عليه له صلى الله عليه وسلم مطلقا في
احاديث تاتي وفي بعضها مقيدا بيوم الجمعة كما ياتي فما وجهه قلت يجوز ان
يكون عرضها وتبليغها كل يوم من بعض الملايكة وما في يوم الجمعة من اخرين او ذاك

بلغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عرض لها فرادى وهذا اجمله على وجه خاص او لتكتب في صحف عنده كما وقع في بعض الروايات
وعن الحسن بن علي بن ابي طالب في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني وابو يعلى بسند
صحيح عنه صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني اي تبلغها
له الملايكة كما تقدم وحيث اذا اتصلت بما فهي شرطية وهي ظرف مكان وتاتي للزمان
كما في قوله • حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا في غابر الازمان • وعن ابن عباس في
حديث موقوف رواه البيهقي وابن راهويه ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم
يصلي او يسلم عليه الا بلغه بضم البا وكسر اللام المشددة مبني للمجهول اي تبلغه الملايكة
سلامه وصلاته وهذا يحتمل تعيين المصلي وعدمه فلذا اردفه بقوله وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى او سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه صلى الله عليه
وسلم صلاته وسلامه واسمه واسم ابيه وعشيرته فيثبت عنده في صحيفته كما ورد
في حديث مرفوع وقيل المراد ببعضهم النميري عن حماد ويأتي قريبا ما يويد صحة
ما قاله • وعن الحسن بن علي اذا دخلت بتا الخطاب لغيره معين المسجد تعريفه للجنس
فان كل من دخل مسجدا كان يستحب له ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما ذكره الخيضري في كتابه اللوا المعلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاول والذي يحمله على هذا — ابن اقبرس
قوله فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تتخذوا بيتي عيدا فان بيته عند مسجده ولذا قيل المراد ببيته قبره
فانه في بيته دفن ويأتي في رواية اخرى ولا تجعلوا قبري عيدا مع الكلام عليهما
والعيد الموسم الذي يجتمع فيه وياوه منقلبة عن الواو ولانه سمي به لعوده في كل
عام وانما جمع على اعياد وقياسه على الجمع اعواد للفرق بينه وبين جمع عود
ونهيه صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور
انبيايهم من الزينة واللهو والطرب وقيل النهي عن تعظيمها لما فيه من
الفتنة بها حتى لا تتخذ وثنا يعبد وقيل المراد لا تتخذوها كالعيد تزورها
في العام مرة بل اكثروا من زيارتها ولا تتخذوا بيوتكم قبورا اي لا تتركوا الصلاة
والعبادة فيها فتكونوا فيها كانكم اموات ولذا قيل •

فيا نايم الليل هنية • فقبل الممات سكنت القبورا •

وقيل المراد لا تدفنوا في البيوت بل في الجبانة ولا يرد عليه انه صلى الله عليه
وسلم دفن في بيته لانه اتبع فيه سنة الانبيا قبله كما ورد ما قبض نبي
الا دفن حيث قبض فهو مخصوص بهم • وصلوا علي حيث كنتم اي في اي مكان
فلا تحتاج للاتيان لمسجده ولا لقبره الشريف حتى يسلم عليه وهذا دليل
على ان المسجد في اول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله عليه وسلم فان
صلاتكم تبلغني حيث كنتم اعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه
ممن كان عنده في مسجده الشريف او عند قبره الشريف وليس تاكيدا لما قبله
لافادته تعميما اخر لا يعلم مما قبله وهذا الحديث اخرجه الطبراني وابو يعلى
وفي حديث اوس بن اوس الصحابي الثقفي اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة

خصها

خصها لما فيها من الفضل وهي يوم تشهده الملايكة وتعرض عليه صلاة من صلى عليه والصلاة
عليه فيه فضل على غيرها ولما فيه من الصلاة ولانه يوم يراد فيه وهذا الحديث رواه ابو
داود والنسايي واحمد في مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وقيل انما خص يوم الجمعة
لانه كما ورد في الحديث افضل ايام الجمعة وفيه خلق ادم عليه الصلاة والسلام وقبض
روحه وفيه النفخة والصعقة وقيل حد اقل الكثرة من الصلاة ثلاثماية وبضع عشرة
كما في قوت القلوب قال السخاوي ولم اقف له على مستند فلعله تلقاه عن احد من
الصالحين عرفه بتجارب او غيره او راه اقل ما يحصل به الكثرة فان صلاتكم معروضة
علي تقدم بيانه قريبا وعن سليمان بن سحيم بالتصغير وسين وحا مهملتين وهو
مولى ال العباس وقيل ال الحسين وهو من علما الحجاز المشهورين وحيث اطلق في
النقل فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم اخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو ثقة توفي
في خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن ابي الدنيا والبيهقي في حياة الانبيا رايت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ومن راه في المنام فقد راه حقا فان الشيطان
لا يتمثل في صورته فقلت يا رسول الله هولا الذين ياتونك فيسلمون عليك اذا
زاروا مقامك بعد الانتقال اتفقه سلامهم اي اتسمعه وتفهمه قال نعم وارد عليهم
وفقه يفقه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم • وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت
الى القبر الشريف فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته من داخل القبر
يقول وعليك السلام ووقع للسيد نور الدين بن العفيف الايجي انه سمع جواب
سلامه من داخل القبر الشريف عليك السلام يا ولدي • وفي مسند الدارمي ان
الاذان والاقامة تركا ايام الحرة وان ابن المسيب لم يبرح مقيما في المسجد فكان لا يعرف
وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله عليه وسلم • وقوله وارد
عطف على قول السايل اتفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل في شروح
الكشاف في قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ويكون في الجمل والمفردات
كما تقدم ونعم وقع في الجواب عما سيل عنه وهو ظاهر • تنبيه اذا راى احد
النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وامره بامر هل يلزمه العمل بما قاله فيه
تفصيل فان وافق الشرع فلنفسه العمل به ولا يلزمه امر غيره به وما عداه
لا يلزمه العمل به لان الرويا لا يضبطها النايم ويحتمل التاويل وهذا هو
الصحيح وفيه كلام ليس هذا محله • وعن ابن شهاب هو الزهري كما تقدم
وهذا رواه عنه النميري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
وفي نسخة بلغنا ان رسول الله قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهرا
واليوم الازهر يعني ليلة الجمعة ويومها ومعنى الازهر الابيض المستنير ولذا
كان الازهر لا يطلق في وضع اللغة على غير اللون الابيض وان شاع بعد ذلك في
مطلقه وتنورهما بالبركة فيهما وما في ذلك اليوم من العبادة التي خص بها وما فيه
من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر في فضايله وهو عيد المومنين وتنزل
فيه الملايكة كثيرا فانهما اي يوم الجمعة وليلتها يوديان عنكم بضم المثناة التحتية
وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة اي يوصلان صلاتكم علي ويبلغانها الى والاداء ايصال

الى الزمان اسناد مجازي اي يؤدي الملايكة بينهما ذلك وكونهما تخلف لهما نطقا بذلك الا اذا خلاف الظاهر وان جاز الا ان التصريح بعده بحمل الملك لذلك يا باه ومما تقرر في هذه الاحاديث علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه الصلاة والسلام عليه اذا صدر امن بعد وتسمعهما اذا كانا عنده قبره الشريف بلا واسطة نسوية بليلة الجمعة وغيرها وافتى النووي فيمن حلف بالطلاق الثلاث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع ان يلتزم الحنث وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا لانهم عليهم الصلاة والسلام احيا في قبورهم لا تبلى اجسادهم وهذا جواب عن سؤال مقدر كانه قيل كيف يكون ذلك لمن مات واكلته الارض كما ورد مصرحا به في حديث اخر وان نكسرا لهمزة والجملة حالية او بفتحها بتقدير وبلغنا ان الارض الخ وقيل انه بيان لخاصية اخرى والاول اولى ولا ينافي ما تقرر من حياتهم ما في صحيح ابن حبان في قصة عجوز بني اسرائيل الها دلت موسى على الصندوق الذي فيه عظام يوسف فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر الى الارض المقدسة اما لانها ارادت بالعظام كل البدن او لان الجسد لما لم يشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شانه عدم البلا او ان ذلك باعتبار ظنها انه بدا الانبيا كابدان غيرهم في البلا وما من مسلم من مزيدة للتعميم اي كل مسلم يصلي علي وهو بعيد الاحملها اي صلاته وسلامه ملك حتى يؤديها اي يوصلها الي ويسميه حتى انه بكسر الهمزة يقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا فيذكر ما قاله بعينه بعد تعيينه باسمه واسم ابيه ومكانه وشهرته واخرج جمع انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا اعطاه اسماع الخلايق فهو قايم على قبري اذا مت فليس احد يصلي علي صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان فيصلي الرب تعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وفي رواية فهو قايم على قبري حتى تقوم الساعة ليس احد من امتي يصلي علي صلاة الا قال يا احمد فلان بن فلان باسمه واسم ابيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لي الرب انه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا وان زاد زاده الله وتقدم انه كان من عادة السلف ايضا ان يرسلوا السلام له صلى الله عليه وسلم مع الزوار ايضا كل عام كما قيل

الا ايها الغادي الى يثرب مهلا ۞ لتحمل شوقا ما اطيق له حملا

تحمل رعاك الله مني تحية ۞ وبلغ سلامي روح من طيبه حلا

فصل في الاختلاف الواقع بين العلما

في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم اي في جواز الصلاة على غيره من المومنين غير الانبيا كالصحابة ونحوهم وساير الانبيا اي بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهما فسايرهم بمعنى باقي كما تقدم والخلاف في جواز الصلاة على من ذكر استقلالا لا بطريق التبعية له كالصلاة على الاول واحد قال القاضي ابو الفضل عياض المولف وفقه الله تعالى عامة اهل العلم اي جميعهم

منفقون

متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم من الانبيا والملايكة والمومنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليس بمسلمة وقد قال النووي في الاذكار اجمعوا على الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك اجمع من يعتد به على استحبابها على ساير الانبيا والملايكة استقلالا واما على غيرهم ابتدا فالجمهور على انه لا يصلى عليهم واختلف في هذا المنع فقال بعض اصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذي عليه الاكثرون كراهته تنزيها لانه شعار اهل البدع انتهى ملخصا فدعواه الاتفاق مخالفة للمنقول وقال الجويني ان السلام مثل الصلاة فلا يقال على عليه السلام تقدم على كلام الجويني اللهم الا ان يقال مراده بغير النبي بقية الانبيا الا انه تخصيص من غير دليل وروي عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور في سننه والطبراني وابن ابي شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية امته لقوله فيه ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله وروي عنه اي عن ابن عباس رواه القاضي اسمعيل في احكام القران لا ينبغي الصلاة من احد على احد الا للنبيين وهذا معنى لما قبله وقال سفيان الثوري يكره ان يصلى الا على نبي وهو موافق لكلام ابن عباس ولما في الكراهة من معنى النفي عبر ووجد وقوع الاستثنا المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقي والاخرى تفرد بها البيهقي يكره ان يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يصلى على غيره من الانبيا استقلالا وهو احدى الروايتين عن الثوري كما تقدم وهذا غير معروف من مذهبه اي مذهب الامام مالك وايد كونه غير معروف من مذهبه بقوله وقد قال الامام مالك في المبسوطة اسم كتاب كالمدونة ليحيى ابن اسحاق الذي روى المبسوطة عن مالك وهو يحيى بن اسحاق بن عبد الله بن اسحاق بن المهلب بن جعفر ويكنى ابا بكر وله بيت شريف بقرطبة اكره الصلاة على غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به فلا نتجاوزه لغيره لانه امر تعبدي لا يعقل معناه بالراي ونقتصر فيه على ما روي عنهم وقال يحيى بن يحيى الليثي عالم الاندلس وراوي الموطا عن مالك رحمه الله لست اخذ بقوله اي لا امسك بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقط يعني قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية ومن عزا لمالك عدم الجواز حمل قوله ما ينبغي على عدم الجواز فعزاه له وهو مستعمل لهذا المعنى وورد لغيره ايضا ولا باس بالصلاة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم من الملايكة والمومنين واحتج يحيى بن يحيى لما قاله بحديث ابن عمر لانه انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر تبعا وبما في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الصلاة عليه كما مر وفيه اي في حديث تعليمه ايضا وعلى ازواجه وعلى اله فهذا ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبيا جايزة الا ان هذا بطريق التبعية

عوضي

ابن اقيوس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والخلاف في الصلاة على غيرهم استقلالا كما مر وحينئذ فلا ذكر لانبيا في ما قاله
مالك ولا يتجه ما قاله يحيى بن يحيى رحمه الله وفي بعض النسخ زيادة وهي وقد
وجدته معلقا اي مكتوبا في بعض الكتب وقيل التعليق هنا ما اصطلح عليه
المحدثون من ذكر حديث طوي سنده او بعضه وقوله وجدته من الوجادة وهي
في اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا بخط من يعرفه سواء عاصره ام لا فيرويه
عن ابي عمران الغابسي هو موسى بن عيسى الغفجومي بفتح الغين المعجمة
وسكون المثلثة وضم الجيم و واو و ميم نسبة لقبيلة من البربر والغابسي نسبة
لقابس بلدة بالمغرب وقوله في القاموس انه وهم لا اصل له وابو عمران فقيه
المغرب توفي سنة ثلاثين واربعمائة في ثالث شهر رمضان روي عن ابن عباس
كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم نبيا او غيره قال ابو عمران
وبه نقول اي نعتقده ونعمل به ولم تكن الصلاة على غير نبينا استقلالا لا
تستعمل فيما مضى من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم كما تقدم
وقد روى عبد الرزاق وهو امام الحديث ابو بكر بن همام بن نافع الحميري وله
تصانيف جليلة وروى عنه احمد وغيره وتوفي سنة احدى عشر ومائتين
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله — رضي الله عنه
ورسله فان الله بعثهم كما بعثني تعليلا للصلاة عليهم بانهم ساووه في اصل
البعثة فينبغي ان يصلى عليهم كما يصلى عليه وهذا الحديث رواه الطبراني
والقاضي اسماعيل والتيمي في الترغيب وغيرهم بسند صحيح قالوا والاسانيد
عن ابن عباس الواردة في منع الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم لينة اي
ليست بقوية فلا تعارض ما روي عنه وعن غيره من طرق متعددة باسانيد صحيحة
قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين اذا كان لا يصلح
للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه يقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح
فليس بلين فتأمله ثم رده بوجه آخر مقبول فقال والصلاة معناها التي
وضعت له في لسان العرب اي في لغتهم واللسان اسم للجارحة التي هي آلة النطق
تجوز بها عما ذكر كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه بمعنى
الترحم والدعا بالرحمة وذلك اي الدعا بالرحمة على الاطلاق اي يجوز مطلقا
على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى غيره وليس بممنوع وذلك اشارة الى قوله
يحيى لا باس بها على الانبيا وغيرهم كما قيل حتى يمنع منه حديث صحيح او
اجماع لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه
ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم فانه لم يوضع لمطلق الدعا بالرحمة بل هو
مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ورسالته وزيد لذلك اقوى من هذا
فقال وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ففي هذه الاية
دليل على انه تجوز الصلاة على كل مؤمن فضلا عن الانبيا عليهم الصلاة
والسلام لان سبب نزولها كما مر انه لما نزل عليه ان الله وملائكته
يصلون على النبي قال الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا

فيه

فيه شيء فانزل الله هذه الاية وتقدم ان صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعا
والاستغفار لسائر المؤمنين وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها الاية وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم فامره بالدعاء لهم بلفظ الصلاة لمن ادى الصدقة
فكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل على آل ابي اوفى كما ياتي وفي دعائه بذلك
دليل على جوازه مطلقا وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم بالاطمئنان قلوبهم
وقال تعالى اولئك الاشارة لمن صبر عند المصيبة من المؤمنين عليهم صلوات من
ربهم ورحمة وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها اعم لانه يجوز التفسير
بالاعم المقصود منه فلا يرد عليه ان العطف يقتضي المغايرة لان الصلاة رحمة
مشتملة على تعظيم وتكريم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
اللهم صل على آل ابي اوفى بفتح الهمزة والفاء بينهما واو ساكنة وهذا الحديث روي
عن عبد الله بن ابي اوفى وتتمته كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل
على آل فلان فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى والصدقة
هنا المراد بها الزكاة وان كانت عامة ومعنى صل عليهم ارحمهم وطهرهم
وزك اموالهم التي بذلوا زكاتها وآله اهله واتباعه وقيل المراد نفسه
وذاته كما في قوله لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود اي من مزامير
داود عليه الصلاة والسلام نظير ما ذكره المص في تفسير آله صلى الله عليه
وسلم كما ياتي وابو اوفى هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمي الصحابي
وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابي
ايضا شهد مع ابيه بيعة الرضوان وهذا الحديث من اقوى ما استدل
به على جواز الصلاة على غير الانبيا استقلالا وفي حديث الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم في التشهد وقد تقدم بيانه وبيان طرقه مفصلا اللهم صل
على محمد وعلى ازواجه وذريته وهم نسله واولاده كما تقدم وفي حديث آخر
روي في صلاة التشهد وعلى آل محمد وفسر الاول بقوله وقيل آله اتباعه جمع
تابع او تبيع وهو من يقفو اثره ويلحقه وخص عرفا بمن يحسنه من الاهل
والخدم وقيل آله امته والمراد امة الاجابة وهم كل من آمن به وامة
الدعوة اعم منهم وقيل هم الاتباع والرهط والعشيرة الرهط القبيلة
مطلقا وهو في الاصل ما دون العشرة ثم عم والعشيرة بنو ابيه الادنون
وقبيلته وقيل آل الرجل ولده اي نسله مطلقا وقيل قومه وقيل
اهله الذين حرمت عليهم الصدقة لانها اوساخ الناس فلا تليق بهم
وقد طهرهم الله وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من خمس الخمس
بكفايتهم وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال
كل تقي وهذا حديث صحيح روي من طرق رواه الطبراني والديلمي وشيبان
وغيرهم وهذا معنى مجازي كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا آل
البيت لان الله طهر آل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فاطلق على كل تقي
الرحمة الله وغفرانه وهذا معروف في لسانهم كما قيل رباح الى لم تلد امي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتجيء على مذهب الحسن البصري رضي الله عنه والعنبري المستغرق في مجيء للآل
ان المراد بآل محمد الوارد في الصلاة عليه محمد نفسه اي وعنده ان الآل معناه الذات
والنفس فيقال آل فلان بمعنى ذاته وغيره من النحاة واللغويين يجعله في
مثله زائدا مقحما والزيادة في الاسما خلاف ما عهد من كلامهم وان امكن حمل
كلامه عليه الا ان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك فانه
روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يكون ارض يقال لها البصرة اقوم الارضين
قبلة قاريها اقرأ الناس وعابدها اعبد الناس ومتصدقها اعظم الناس
صدقة وتاجرها اعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة اربعة فراسخ
يستشهد عند مسجدها تسعون الف شهيد من افضل الشهدا قلت
وعلماؤها اقوى الهوى في العربية متقدمة على غيرهم لمدحه صلى الله عليه وسلم
لها فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد اللهم
اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بفتح اليا
وكسر الخا المعجمة وتشديد اللام اي لا يترك والخلل يأتي بمعنى الترك
والنقص بالفرض يعني به الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويأتي
بالنفل يعني به الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم واعترض عليه بما تقدم
من ان الصلاة عليه في التشهد ليست بفرض الا عند الشافعي وعند الجم
انه شذ فيه ولم يوافقه غيره فيه كما مر لان الفرض الذي امر الله به
في آية صلوا عليه وسلموا تسليما هو الصلاة على محمد نفسه لا على آله
كما ذهب اليه الشافعي فموافقة الحسن له تنافي الشذوذ الذي ذكره وشنع
عليه والجواب عنه ان مراده بالفرض ما لا بد منه لمن اراد الصلاة فانه
يلزمه ان يذكره ولا يتركه مقتصرا على غيره او نقول انه مذهب الحسن
وموافقة واحد لا تنافي الشذوذ عنده وهذا اي ذكر الآل وارادة
الذات منه مثل قوله صلى الله عليه وسلم في حق ابي موسى الاشعري
لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه لقد اوتي
اي والله لقد اعطى الله ابا موسى مزمارا من مزامير داود يريد صلى الله
عليه وسلم من مزامير داود نبي الله صلى الله عليه وسلم فآل له بمعنى
نفسه كما في صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر
الميم وهو اسم آلة ويقال مزمور ايضا والزمر النفخ في المزمار
والتصويت الحسن بغير آلة لان اصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

وبانات حنانان بينهما * رجل احسن غناه وزمر

اي حسن كما قاله ابن الانباري فمزامير بمعنى ترنماته لا انه كان له الآلة
المعروفة والمنقول الحالة نفسه لا لآله وكان لحسن صوته اذا قرا
بتلاحينه الزبور وادعيته تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الما
الجاري يقف له وهو مبالغة في نهاية حسنه واول هذا الحديث انه صلى
الله عليه وسلم مر هو وعائشة على بيت ابي موسى وهو يقرأ القرآن ليلة

فوقفا يستمعان له وكان من احسن الناس صوتا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم اخبره
بانصاته له وقال له لقد اوتيت مزمارا من مزامير داود فقال لو علمت بذلك لحبرته
تحبيرا اي لزدت في تحسين صوتي به لاستماعك لي وفي حديث ابي حميد بالتصغير
الساعدي وهو ابو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد الخزرجي كما تقدم الذي رواه في
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته وهو يدل على جواز الصلاة على غير الانبيا لكن تبعا لهم وفي حديث ابن
عمر رضي الله عنهما انه اي ابن عمر كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي
بكر وعمر ذكره مالك في الموطا برواية يحيى بن يحيى الاندلسي عن مالك وانما
قيد بالاندلسي لان الموطا رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى احدهما
يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسي الليثي مات سنة اربع وثلاثين ومائتين والاخر ابو زكريا
يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري توفي سنة ست وعشرين
ومائتين وله رواية في الصحيحين كما قاله السيوطي في مناقب مالك وتقدم
ضبط الاندلسي بفتح الهمزة والدال وضمها والصحيح رواية غيره ويدعو لابي
بكر وعمر رضي الله عنهما وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب حال اي في حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا فنقول في دعائنا لهم
اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل للتهجد
والعبادة ويصومون بالنهار فهي هكذا تدل على جواز الصلاة على غير الانبيا
استقلالا وقوله الذين بدل من قوم معترض له قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه
الله والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه اي ارجحه واعتقد صحته والميل
في الاجسام معروف وشاع في المحبة والمعبر به عما قلناه ما قاله مالك بن انس
امام اهل الحديث وسفيان الثوري رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره
غير واحد اي كثير من الفقها والمتكلمين اي اهل علم الكلام لان منهم من ذكرها في
السمعيات كمسائل الامامة انه بفتح الهمزة بدل من ما لا يصلى على غير الانبيا
بالانفراد ولا عند ذكرهم اي ذكر الانبيا والصلاة عليهم فلا يصلى على غيرهم
تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير ذكرهم لغير واحد يأباه قوله بل هو
اي الذكر وهو الصلاة او ذكر غاية للخير شيء يختص به الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لا يشاركهم فيه غيرهم مطلقا وقيل لا يشاركهم في
الانفراد به وفيه نظر توقيرا لهم وتعزيرا اي تعظيما وتبجيلا لجعله
شعارا لهم كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه اراد به قوله سبحانه
فان معناه انزهه والانبيا عليهم الصلاة والسلام منزهون عن النقايص
ولكن لا يجوز ان يقال في حقهم ذلك والتقديس باطلاق قدس وقدوس
ونحوه وهو بمعنى التطهير والتعظيم المخصوص به نحو جل جلاله
وعز وجل فتعرفه للعهد وليس المراد به هذه المادة لعدم صحته
ولا يشاركه فيه غيره اي لا يشارك الله فيما ذكر من التنزيه وما بعده
غيره من نبي وغيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر

الانبيا بالصلاة والتسليم اي بهما معًا ولا يشارك مبني للفاعل او المفعول هنا
فقط اي في ذكر الصلاة والتسليم سواهم من غير الانبيا وفي نسخة ولا يشاركهم
كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وقوله بيان لما ذكر لا دليل لما
ذكر لانه ليس فيه جواز الصلاة على غيره ولا منعها عمن عداهم لان التخصيص
بالذكر لا يقتضيه ثم بين كيفية الدعا لغيرهم فقال ويذكر من سواهم
اي من سوى الانبيا والرسل في الدعا لهم من الايمة اي ايمة الدين او الخلفا
وغيرهم من سائر العلما والمؤمنين بالغفران والرضى فيقال غفر الله لهم
ورضي عنهم كما قال تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم فيدعى بذلك المذكور من المغفرة والرحمة
والرضى لسائر المؤمنين والصحابة وقيل في الاستدلال لا دليل فيما ذكر نظر فان قوله
رضي الله عنهم ليس دعا لهم بل اخبار بان الله رضي عنهم واعد لهم جنات النعيم
ولا يلزمه جواز الدعا به كما ان اخبار الله بالصلاة على المؤمنين بمعنى
رحمتهم لا يدل على جواز الصلاة عليهم وهو مردود بانه من رضي الله عنه
يدعى له بزيادة رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق
واما ما قيل من انه لا يدعى للصحابة الا برضي الله عنهم فهو امر حسن للادب
وليس بلازم فلو قال للصحابي رحمه الله او غفر له كان حسنا الا اذا اوهم
وقوع ذنب ونحوه ومن لا يعلم صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى
عليهم وقال النووي لا باس به والاصح انه يقال رضي الله عنهم وقول امام
الحرمين في الارشاد مريم ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم
بنبوتها كما صححه ابن السيد وايضا هو اي الصلاة عليهم امر لم يكن
معروفا في الصدر الاول اي عصر الصحابة ومن قرب منهم والفا في فهو
جواب شرط مقدر اي فان ارتكب ذلك او صح مما ذكر فهو الخ وفيه بحث
سياتي في اخر هذا الفصل كما قاله ابو عمران موسى بن عيسى الفاسي
فقيه القيروان كما تقدم قريبا وانما احدثه الرافضة والشيعة
في بعض الايمة هما طايفتان من اهل البدع والاهوا المخالفين لاهل
السنة والرافضة قيل انهم فرقة من الشيعة وكلاهما ممن اتفق على
تفضيل علي كرم الله وجهه وان الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض
وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرا من
الشيخين وان يقول ان امامتهما باطلة فابى وقال ان الخلافة فوضت
لابي بكر لمصلحة راوها من تسكين ثايرة الفتنة وتطييب قلوب العامة
فتركوه حتى قتل وصلب وليست الشيعة قوما اظهروا الرفض على كما توهم وانما
معنى الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهولاء والذي احدثه هولاء انما
هو الصلاة على علي وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطردوه في سائر
الصحابة حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام في الصلاة على غير الانبيا

مطلقا

عوضي

عوضي

تلمساني

مطلقا والشيعة انما يصلون على علي فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة
اسم جمع لرافضي والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفي
نسخة الشيعة بدل المتشيعة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة عليهم بانفرادهم
وان لم يكونوا تبعا له صلى الله عليه وسلم وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك اي في قولهم في الدعا لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم
وان الامامة العظمى لهم كالنبي صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم استقلالا لا
كما صلوا عليه وايضا مما يدل على عدم الصلاة على غير الانبيا فان التشبه باهل
البدع المراد بهم اصحاب المذاهب الباطلة منهي عنه شرعا فتجب مخالفتهم فيما
التزموه من ذلك اي الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم وفيه ان ذلك غير وارد
عند من لم يمنعه فتامله ثم اجاب عما ورد عليه بقوله وذكر الصلاة على
الال والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والكلام في ذكرهم استقلالا
فلا يرد هذا نقضا عليه والاضافة اليه صلى الله عليه وسلم اي انما ذكر الصلاة
عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه
صلى الله عليه وسلم فتعظيمهم تعظيم له في الحقيقة لا على التخصيص لهم
بذلك قالوا اي جمهور العلما الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده
مجيبين عما استدل به من خالفهم وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من
صلى عليه بانفراده كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى كما تقدم مجراها مجرى الدعا
بضم الجيم وفتحها فيهما والجري المشي السريع والمجرى محل الجري او الاجرا وجريه
في مجراه جعله مثله ومن نوعه اي المقصود بها الدعا بالرحمة لهم والمواجهة
لهم بالدعا لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهي كالسلام يقال
تحية لكل احد تواجهه ولا يقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه في المواجهة
يقصد به مجرد معناه الحقيقي وفي ذكره في الغيبة زيادة توقير لا تليق لكل
احد كما قال وليس فيها اي في المواجهة معنى التعظيم والتوقير الذي في الغيبة
فانه من خصايص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب
ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف وقالوا تاييدا لما ذكر من الفرق بين
المواجهة وغيرها تمسكا بقوله وقد قال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم
كدعا بعضكم بعضا فالدعا وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادونه باسمه
كما ينادي بعضكم بعضا فلا يقال يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له
صلى الله عليه وسلم شان يخصه فيما يطلق عليه مواجهة ليس لغيره فكذا
الدعا له بغير مواجهة ينبغي ان يكون بغاية التعظيم والتوقير فسقط ما قيل
من انه ليس في هذه الاية مناسبة لمقصوده وما هو بصدده فكذلك اي مثل
ما يجب له في الدعا مواجهة يجب ان يكون الدعا له في غير حال المواجهة مخالفا
لدعا الناس بعضهم لبعض فلذا خص بالصلاة عليه التي قصد بها التوقير
وغاية التعظيم وهذا اي اختصاصه بالصلاة استقلالا لا وفي نسخة وهو
اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا اي من كبار علما اهل السنة

باستقلالا

ابن افتوس

شبكة الألوكة www.alukah.net

تغريبة مقابلة الرافضة واسفراين بلدة بخراسان معروفة وابو المظفر كنيته
طاهر بن احمد وهو الملقب بشاه كما تقدم وبه قال الامام ابو عمر بن عبد البر
رحمه الله وتقدمت ترجمته واعلم ان حاصل ما تقدم ان الصلاة والتسليم
على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة امرنا بالتعبد بهما فهي واجبة له
على اختلاف محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبيا ايضا استقلالا
مستحبة وما نقل عن مالك من انها منهي عنها مخالف للقول الصحيح وقال
القرطبي انه مجمع عليه والصلاة على غير الانبيا تبعا لنبينا صلى الله عليه وسلم
مستحبة ايضا كما في التشهد ولا عبرة بمن خالف فيه ايضا فلم يبق محل الخلاف
الا في الصلاة على غير الانبيا بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة
تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى
فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه
وقد قيل ان السلام مثل الصلاة مخصوص بالانبيا ايضا فلا يقال في غيرهم
عليه السلام كما صرح به الفقها بل هو مكروه تنزيها

فصل

في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام اي ذكر ما يتعلق به
من سننه وادابه وما يلزم من اتاه والزيارة مصدر زار يزور زيارة
ومزارا فالمزار مصدر واسم مكان ايضا والزيارة تختص بمجي بعض الاحيا
لبعض مودة ومحبة هذا اصل معناها لغة واستعمالها في القبور للاموات
لاعطائهم حكم الاحيا وصار حقيقة عرفية فيه لشيوعه فيها وفضيلة من
زاره بالجر عطفا على الحكم او على ما اضيف اليه والضمير له صلى الله عليه وسلم
او للقبر وفضيلته ما يستحقه من الثنا والثواب وسلم عليه وكيف يسلم
من زاره صلى الله عليه وسلم اي ما يقوله ويفعله عند الزيارة ويدعو
له اي وكيف يدعو له صلى الله عليه وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه
وزيارة قبره سنة ماثورة مستحبة مجمع عليها اي على كونها سنة ولا
عبرة بمن خالف فيها كابن تيمية كما سياتي بيانه وفضيلة مرغب فيها
بصيغة المفعول مشددة بمعنى محثة اي رغب السلف فيها وحثوا عليها
وزيارة القبور اما للتذكر بها الموت والتعظ وهذا يجري في جميعها او للدعا
لاهلها المشتمل كما زار صلى الله عليه وسلم البقيع وهذا مستحب
او للتبرك بمن فيها من الانبيا والصالحين فينتفع بزيارتهم وذهب
بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبيا وانه في غيرهم بدعة واما في
الانبيا فهي مشروعة وتوقف فيه السبكي وقد يقصد بالزيارة برهم
واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن له عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم
كالحي وقد يقصد بالزيارة تانيس الميت ورحمته وهو مستحب ايضا لما
روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت انس ما يكون اذا زاره من كان
يحبه في دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعاني
كلها فلهذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدعا وما عداه ذلك بدعة

كنقبيل

كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام وروي عن ابن عمر رواه ابن خزيمة والبزار
والطبراني والذهبي وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن فيه وانه مردود
كما بينه السبكي واطال فيه وقول البيهقي انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به
رواته والفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله احمد في حديثه دعا الاستخارة مع انه في
الصحيحين وقول الذهبي طرقه كلها لينة يقوي بعضها بعضا لا ينافيه لان غايته
انه يسلم ذلك حسن او هو يطلق عليه الصحة كما ينبغي محله وفي نسخة هنا حدثنا
القاضي ابو علي تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم ايضا قال
حدثنا الحسن بن جعفر قال حدثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني المشهور كان علي
علم قال حدثنا القاضي المحاملي قال حدثنا محمد بن عبد الرزاق قال حدثنا موسى
ابن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما فذكره قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي اي سوالي الله له التجاوز
عنه مكافاة له ومعنى وجبت تحققت وثبتت بحيث انه ثابتة له بالوعد الصادق لا بد
منها وليس المراد به الوجوب الشرعي وروي حلت له شفاعتي والمراد انه تخصه
بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال شيخ والدي
الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي وافاد قوله له مع عموم شفاعته له ولغيره
انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما بتخفيف الاهوال
عنه في ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب واما برفع درجات
في الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما بغيره مما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله ان اريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره
ويحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما تحصل لغيره والافراد للتشريف والتنويه
بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرى
بموته مسلما فيجري على عمومه ولا يضمن فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم
يكن لذكر الزيارة معنى لان الاسلام وحده كاف في نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه على
الاولين وافادت اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة
جليلة اذ هي تعظم بعظم الشافع ولا اعظم منه صلى الله عليه وسلم ولا اعظم
من شفاعته ثم اشار الى ان هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة
العظيمة منه صلى الله عليه وسلم لا يحصل الا لمن اخلص وجهته فيها بان
لا يقصد بها او معها امرا دنيويا فيها فقال وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري في المدينة محتسبا اي ناويا
بزيارته وجه الله من غير غرض مخلصا في نيته وقصد اكرامه لا ينوي غيره
والاحتساب افتعال من الحساب معناه الاعتداد والاسم منه الحسبة وعن عمر
رضي الله عنه ايها الناس احتسبوا اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله
واجر حسبته فالمراد انه يقصد بالزيارة اكرامه صلى الله عليه وسلم وتفويض
اجره فيها الى الله كان في جواري اي له منزلة رفيعة في الاخرة او المراد انه يكون
في امانه وعهده فلا يناله مكروه اصلا والجوار مصدر بكسر الجيم وضمها والكسر

افصح وكنت له شفيعا يوم القيامة المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة
فان له شفاعات كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم
يموت بالمدينة ويدفن بها فهو من اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وان
كان لا يدري نفس باي ارض تموت وفي حديث اخر رواه البيهقي والدارقطني
والطبراني وابن منصور عن ابن عمر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يدري بمن يزوره ويرد سلامه كما تقدم
وروي هذا بلفظه من طرق كثيرة وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه
وسلم هكذا روي عنه واختلف في معنى ذلك وما اراده مالك رحمه الله
لانه خلاف المعروف بين الناس فقيل كراهة للاسم اي اسم الزيارة واطلاقها
لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور فلعنهن
من حيث انهن زوارات يقتضي ذم الزيارة وهذا رواه احمد والترمذي
وابن حبان عن ابي هريرة وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم
بالبنا للمجهول والرواية كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
ولا تقولوا هجرا فهذا ناسخ له لانه امر بعد نهي وهذا الدليل وجوابه اوهى
من بيت العنكبوت لان الاول في حق النسا المكثرين للزيارة وهذا المطلق زيارة
الرجال ودخول النسا تغليبا لا يسلمه المعترض ولكن عهدته على قايله لا علي
المهم فانه ناقل غير مرتض لما نقله وقيل ان الحديث الاول خاص بزوارات
القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به في حديث رواه
ابو داود والترمذي وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان مرويان في السنن
من طرق صحيحة ولما كان هذا في غير ما نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره صلى
الله عليه وسلم اورد ما يدل عليه ايضا فقال وقوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي تقدمت روايته عن ابن عمر من زار قبري فقد اطلق اسم
الزيارة فدل على ان الكراهة التي رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم
وقيل وجه كراهته لان ذلك لما قيل ان الزاير افضل من المزور وهو من يزار
ولا يقال فيه مزار بفتح الميم وقول العامة في قبضته المزار خطا قبيح
وهذا ايضا كالذي قبله ليس بشي يعتد به بل عكسه اقرب الى الصواب
منه اذ ليس كل زاير بهذه الصفة وهي الافضلية فقد يكون مساويا لها
او ادنى منه وليس عموما في كل زاير وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم في الجنة وهم عبيده لا مناسبة بينهم وبينه في العظمة فكيف
يتوهم هذا ولم يمنع اطلاق هذا اللفظ في حقه تعالى ولو كان كذلك
لم يجز وحديث الزيارة هذا روي على وجوه منها ما رواه ابو نعيم عن علي
كرم الله وجهه اذا سكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك فيقول ان الله يامركم
ان تزوروه فيجتمعون ثم يوتى لهم بمائدة الحديث وقال ابو عمران رحمه
الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله

اي كلاما يوجب انما علي الفارس

عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ والذي يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه
وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه
وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والذي عندي في وجه الكراهة
عنده وفي نسخة والاولى عندي اي في اعتقادي وحكمي في توجيه الكراهة عنده
ان منعه من اطلاق الزيارة ووجه كراهة مالك له انه لو قيل زرنا قبر النبي صلى الله
عليه وسلم الاضافة اي نسبة الزيارة الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم بايقاعها
عليه فليست الاضافة هنا نحوية بل عرفية وذلك بذكر القبر وجعله مزورا والله
لو قال كل قايل زرنا النبي صلى الله عليه وسلم بدون ذكر القبر لم يكرهه اي
على ما ياتي قيل وهو مناف لما قدمه من حديث ابن عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي
الا ان يقول انه ضعيف وان الصحيح حديث انس من زارني بدون ذكر قبر الا انه
غير مسلم وانه الصحيح لان عبد الحق رواه في الاحكام ولم يتعقبه وتقدم
ايضا ان الكلام فيه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا
اي كالوثن وهو الصنم من الحجارة يعبد بعدي اي بعد موتي فيه وقيل
الفرق بين الوثن والصنم ان الاول ما كان خشبا من حجارة وغيرها والثاني
ما كان صورة مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان عليهما معا وهو المشهور
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيايهم مساجد اي يسجدون لها كما
يسجدون للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما تقدم لان نبي
النصارى عيسى صلى الله عليه وسلم ولا قبر له فانه رفع الى السما اللهم الا ان
يقال انه تعليلي اي قبور كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه الا انه بعيد
جدا فلا حاجة لتفسير الحديث هنا بهذا نعم وقع في حديث اخر لعن الله اليهود
والنصارى اتخذوا قبور انبيايهم مساجد وهذا يشكل عليه ما ذكرناه
ويحتاج الى الجواب بما قلناه والمصنف لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه
واعلم ان هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته
الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهي منعه من
زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل

لمهبط الوحي حقا ترحل النجب ... وعند ذاك المرجي ينتهي الطلب

فيتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر
عن عاقل فضلا عن فاضل سامحه الله واما قوله صلى الله عليه وسلم الا
لا تتخذوا قبري عيدا فقيل كره الاجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة
وقيل المراد لا تزوروه في العام مرة فقط بل اكثروا من الزيارة له كما مر
واما احتماله للنهي عنها فيوهم من انه المراد محمول على حالة مخصوصة اي
لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع
له في الاعياد بل لا يوتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه اي
صان مالك رحمه الله اضافة هذا اللفظ اي لفظ الزيارة اضافة معنوية
الى القبر يعني قبره الشريف صلى الله عليه وسلم والتشبه بفعل اولئك

لا وجوب فرض ح

الكفرة الذين اتخذوا قبور الانبيا مواطن للسجود فقطعا للذريعة وحسما اي قطعا
وسدا للباب اي باب الذريعة وهذا مبني على سد الذرائع التي هي من قواعد مذهب
مالك وقد قدمنا تحقيقه والله اعلم بمراد مالك فيما قاله وهذا كما قيل انما
يتعجب منه فانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه اصلا بفعل اولئك فالظاهر
انه لم يصح عنه واما الدوي عنه كما وقع هنا في بعض النسخ وهو كما قال ابو
عمران موسى بن عيسى الفاسي فقيه المغرب قال وقد تقدمت ترجمته انما كره ان
يقول طواف الزيارة الذي يكون بعده رمي الجمار فقال انما يقال له طواف
الافاضة وطواف الصدر لانه لا معنى للزيارة هنا عنده وان خالفه في الملا
غيره فالنص عليهم كراهة اطلاق الزيارة في كلام مالك وفي نسخة بدل
هذه النسخة قيل فعله والذي عندي الخ وقال ذلك تنبيه ما ادعى المص انه
الاولى لا وجه له رواية ودراية فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره في احاديث
كثيرة منها ما تقدم وما رواه ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال من حج فزار
قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني الا ان قوله وصحبني تفرد
به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر الحافظ باسناد منكر ورد بان
له متابعات وليس التنبيه من كل الوجوه فلا ينافي خبر لو انفق احدكم مثل
احد ذهبا الحديث وروي ايضا في معناه احاديث كثيرة قال السبكي كالعالم
تبلغ مالكا رحمه الله مع انه روي عنه كراهة ان يقال زرنا النبي صلى الله
عليه وسلم لانه اعظم من ان يزار ولانه استعمل في الموتى وهو صلى الله عليه
وسلم حي في قبره والذي رواه هو ابن رشد حيث قال عنه واكره ما يقول
الناس زرنا النبي صلى الله عليه وسلم واعظم ان يكون النبي يزار ووجهه
ابن رشد بان الزيارة تستعمل في الموتى فكره مالك ذلك لئلا يتوهم منه
انه صلى الله عليه وسلم كغيره من الموتى كما كره ان يقال العتمة وايام
التشريق وطواف الزيارة انتهى وبه ظهر انه انما كره اللفظ دون المعنى
ومع ذلك يرد بمنع اختصاص الزيارة بالموتى لان الفرض انه لم يذكر القبر
فلا يتوهم ذلك احد وقيل كرهه لان الذهاب للزيارة ليس لصلته ونفعه
وانما هو رغبة في الثواب قال السبكي وهو الاقرب في توجيه كلام مالك
اي ومع ذلك لا نسلم ان زرنا النبي يوهم ذلك لان كل مسلم علم جلالته
صلى الله عليه وسلم وان كل احد من امته وان جلت مرتبته مفتقر الى
التبرك به والسول في حضرته وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شي من ذلك
وقيل كرهه لان الزيارة من شا فعلها ومن شا تركها وهي كالواجب عنده
واختار ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه صلى الله عليه وسلم حي
قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه وما زال من شان من حج اي انه استمر
من عادة السلف اذا حجوا ان يأتوا المزور قيل انه بكسر الميم وسكون الزاي
المعجمة وفتح الواو مصدر ميمي بمعنى الزيارة وقوله بالمدينة متعلق
به وهو تكلف لا يخفى ولا رواية تدعو اليه والظاهر كما في بعض النسخ

انه بفتح الميم والزاي بمعنى مصدر ميمي اي من حج يمر بالمدينة ويقصدها ويدل
عليه قوله والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدا
به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه والتبرك
برؤية روضته وهي ما بين قبره الشريف ومنبره سميت روضة لقوله صلى الله عليه
وسلم فيها انها روضة من رياض الجنة وقبره وكيفية التبرك به ستاتي ومجلسه اي
موضع جلوسه في الروضة المأثور وملامس يديه اي المحال التي لمسها بيديه في حجره
فيها ومواطن قدميه والعمود الذي استند اليه باسناد ظهره الشريف اليه في خلوته
ومنزل جبريل بالوحي فيه عليه وكان مراده انه يقصد التبرك بالمسجد الشريف
لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك مبينا الان فان نقل تعيين شي من ذلك فعل به
ذلك رزقنا الله الفوز بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر
والمشاهد بجاه محمد صلى الله عليه وسلم ومن عمر بتخفيف الميم اي سكنه واما
تشديد الميم فمن التعمير وهو طول العمر بضم الميم اي مدة الحياة كما اعتمده
اهل اللغة وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله اي الاعتنا
به تعظيما وتكريما او التفكر فيهم وفي مآثرهم وقال ابن ابي فديك محمد بن
اسمعيل بن مسلم بن ابي فديك بضم الفا ودال مهملة وبا مصغر وكاف الامام
الثقة روى عنه الستة واحمد وتوفي سنة مايتين وله ترجمة في الميزان وحديثه
هذا رواه البيهقي سمعت من ادركت يقال ادرك فلان فلانا اذا ادرك زمانه
وراه والمراد من ادركه من العلما والصلحا يقول انه من وقف عند قبر النبي صلى
الله عليه وسلم متوجها له وقال تاليا هذه الاية ان الله وملائكته الخ ثم قال
بعد تلاوتها صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم تسقط له حاجة وفي رواية ولم تسقط لك اليوم حاجة اي لا ترد ولا تخيب
شبه عدم قبولها بسقوط شي ينتفع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة
كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة وقد قيل على هذا انه ينافي ما قالوه
كما مر من انه لا يجوز نداؤه باسمه يا احمد يا محمد في حياته وبعد مماته لقوله تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال يا رسول الله ونحوه
تعظيما وكذا لا ينادى بكنيته كابي القاسم وقد تقدم فان كان هذا ماثورا
عنه فيغتفر اتباعا للماثور ولتقدم تعظيمه هنا بقوله صلى الله عليك فليتامل
هذا وفي الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقي لما ذكر عن ابن ابي فديك ما نصه
ولا دليل فيه لجواز ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه فقد صرح ائمتنا بحرمة
ذلك وظاهره انه لا فرق بين ان تقدمه تعظيم له وان لا وهو ظاهر خلافا لمن
بحث تخصيصه بالثاني وذلك لان في الندا بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو
خالي من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا للبعض وما تقدمه لا نظر اليه
لا تقتضايه قال ائمتنا وانما ينادى بنحو يا نبي الله يا رسول الله فمقول الزين
المراغي الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يا رسول الله وهو مثل الصواب ان
ذلك واجب لا اولى انتهى وعن يزيد بن ابي سعيد المهري بفتح الميم نسبة الى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حمة قبيلة وهو محدث مشهور اخرج له مسلم وغيره قال قدمت على عمر بن عبد العزيز
اي اتاه قاصدا له واجتمع به فلما ودعته اي لما اردت الانصراف من عنده قال لي اليك
حاجة اسالك قضاها وهي انك اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
اذا رايته فاذا رايته فاقره مني السلام اي بلغه سلامي وان لي مسلم عليه يقال قرا
عليه واقراه السلام اذا بلغه سلاما من غايب عليه وقيل لا يقال اقراه الا اذا
كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذي يناسب الحديث الذي نحن فيه
وقال غيره اي غير يزيد المذكور والقايل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقي
في شعب الايمان كان اي عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور الجليل القدر يبرد
بضم اوله من ابرد بمعنى ارسل اليه صلى الله عليه وسلم البريد من الشام لانها
كانت مقر الخلفا اي يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه
سلامه ويقريه السلام لا لقصد غير ذلك البتة وكان ذلك في صدر زمن التابعين
ولم ينكر ذلك احد منهم فالبريد كما علمت هو الرسول الذي يكون مستعجلا
لتبليغ امر الخلفا ونحوهم وهو في الاصل فارسي معرب من بريده دم اي
مقطوع الذنب لانهم كانوا يضعون في المنازل بغالا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار
بعجلة ويجعلون قطع اذنابها علامة لها ثم اطلق على الرسول وصار حقيقة
فيه مطلقا وقيل سمي الرسول بريدا لانه يقطع البريد وهو اثنا عشر ميلا
وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار واحوال البلاد والولاة فاصحاب البريد
قوم معدون لذلك عندهم براذين سيارة فاذا وقع امر عظيم وجهوهم صاحب
البريد للاخبار به وتقدم انه كان من داب السلف انهم يرسلون السلام الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة
والسلام السلام ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان بعيدا عنه لكن في هذا
فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه
لا يجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لي على فلان فانه يجب عليه اذا
امانة له اي ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر ويجب على المسلم
عليه الرد بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما بان القصد
بالسلام ابتدا وردا من الاحيا التواصل وعدم التقاطع الذي يطلب وقوعه
بين الاحيا وحينيذ فارسال السلام للغايب القصد به مواصلته وعدم مقاطعته
واذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسببا او وسيلة الى المقاطعة
المحرمة اي من شانه ذلك وللوسايل حكم المقاصد واما ارسال السلام له
صلى الله عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم
فتركه ليس فيه الا عدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ سنة لا واجب
ولا يقال تفويت الفضايل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح بين
عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير
فائدة قال صاحب القاموس في رسالة الصلاة له ان السلام

عليه

عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه اي للاخبار الكثيرة ومنها
ما من احد يسلم علي عند قبري الخ وفيه نظر ثم رايت في الدر المنظم بعد ذكره له ويعارضه
ما تقدم انه تعالى يصلي هو وملايكته على المصلي بدل الصلاة الواحدة عشرا
او مايه على ما مر وصلاة الله افضل من رده صلى الله عليه وسلم على انه مر انه صلى
الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان يوجه افضلية السلام
بانه شعار اللقا والتحية وحينيذ تختص افضليته بحالة اللقا عند كل زيارة اما
اذا اسلم سلام اللقا فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام
الزيارة ويدل لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا ان الزاير يبدا بالسلام ذكروا
انه يختم بالصلاة عليه قال بعضهم رايت انس بن مالك الصحابي خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزيارته فوقف عند
القبر فرفع يديه للدعا فانه مستحب لمن زاره صلى الله عليه وسلم ان يدعو
ويستشفع به ويتضرع حتى ظننت انه افتتح الصلاة لانه يسن رفع اليدين لافتتاح
الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة للظن المذكور فسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم بعد رفع يديه ودعايه ثم انصرف من عنده قال مالك في رواية ابن وهب
عنه وهو عبد الله بن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى عن الامام
مالك اذا سلم الزاير لقبره الشريف صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا
بما يريد الدعا به يقف عنده ووجهه الى القبر لا الى القبلة كما يستحب للداعي
في غير هذا الموطن لان استدبارها خلاف الادب ويدنو اي يقرب من القبر في حال
الدعا ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم ولا يمس القبر بيده فيكره الصاق
الظهر والبطن بجدار القبر المكرم ويلحق بجداره جدار الشباك وعليه المسنون
بالحبر الان لما في ذلك من مخالفة الادب معه صلى الله عليه وسلم ومن ثم
تعين على كل احد ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما اذن الله فيه لامته
في جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك تفضي الى الكفر والعياذ بالله بل
مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تودي الى محذور فليقتصر على الوارد ما امكن
واستقبال وجهه صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب مالك والشافعي
والجمهور ونقل عن ابي حنيفة وقال ابن الهمام ما نقل عن ابي حنيفة
انه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر ان من السنة ان يستقبل
القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب ابي حنيفة
وقول الكرماني ان مذهبه خلافه ليس بشي لانه صلى الله عليه وسلم
حي في ضريحه يعلم بزايره ومن ياتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب
القيام في حال الزيارة كما نبه عليه المص بقوله يقف وهو افضل من الجلوس
عند القبر عند الجمهور ومن خير بينهما اراد الجواز دون المساواة
فان جلس فالافضل ان يجثو على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربع لانه الاليق
بالادب وقال مالك في المبسوط اسم كتاب له كما تقدم لا ارى اي لا استحسنه
واعده رايا ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اي في حال كونه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دعيا بما اراد ولكن يسلم عليه ويمضي اي ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهر
انه مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل الشافعية عنه ان
استحبابه عدم الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها لا للغربا الزوار
فانه يستحب لهم الوقوف للدعا له صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر
ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره الشريف كالمسجد يأتيه في اكثر
ايامه للعبادة والقربة بناء على قاعدته في سد الذرايع وسياتي ايضا بيان
ذلك في كلام المص عن المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني
وغيره من استحباب الاكثار من زيارته والوقوف عنده للدعا ففي المسئلة
ثلاثة مذاهب وقال ابن ابي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله بن ابي
مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين وابوه ابو مليكة صحابي جليل
وابنه توفي سنة سبع عشرة ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة من احب
ان يقوم وفي نسخة يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم اي في مواجهته
ومقابلته ووجاه مثلث الواو بمعنى تجاه وهو مثلث التا ايضا كما في
مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان يقابل وجهه وجهه وتجاه مبدلة
من الواو كتخمة فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر الشريف
على راسه اي محاذيا لها والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق
وهو معروف وبفتح القاف معناه العظيم الراس ووزنه فعليل وقيل
فنعيل ونونه زايدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة وانه يكون بينه وبين
القبر فاصل فقيل انه يبعد عنه بمقدار اربعة اذرع وقيل ثلاثة
وهذا مبني على ان البعد اولى والبق بالادب كما كان في حياته صلى الله عليه
وسلم وعليه الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب اولى وقيل يعامله
معاملته في حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان في العصر
الاول واما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزاير فيقف عند الشباك
وقال نافع هو ابن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبي خراسان وهو تابعي
جليل توفي بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وهو غير نافع بن عبد الرحمن
المدني المقري وهذا رواه البيهقي وغيره كان ابن عمر الصحابي المشهور
يسلم على القبر الشريف رايته مائة مرة واكثر ياتي القبر بدل من قوله
يسلم مفسر له فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على
ابي وفي نسخة ابي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ينصرف فقيل
وفيه اشارة الى انه لا ينبغي له ان يطيل الكلام عند السلام ويختصر
وقيل يطيل بما شا في الثنا والدعا والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس
والاحوال ويأتي الزاير من قبل راسه الشريف صلى الله عليه وسلم ثم
يتاخر لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فيبدا بالاشرف فالاشرف تعظيما لهما
كما يليق وقيل ياتي من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتاخر قليلا قليلا
وفي كيفية وضع القبور الثلاثة اختلاف مذكور في تاريخ المدينة

الكبير

الكبير للسيد السمهودي مفصلا ليس هذا محله وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى
الليثي تقدم ان يحيى بن يحيى راوي الموطا عن مالك اثبات انه كان يقف على قبر
النبي صلى الله عليه وسلم على هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب
منه صلى الله عليه وسلم كما مر فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
ابي بكر وعمر تبعا له او يصلي بمعنى يدعو وعند ابن القاسم عبد الرحمن فقيه
مصر كما تقدم والقعنبي بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون
بعدها با موحدة وياء نسبة وهو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي ابو
عبد الرحمن احد الاعلام روى عنه البخاري وابو داود وغيرهما وهو
ثقة حجة توفي سنة عشرين او احدى وعشرين ومائتين اخرج له الشيخان
وغيرهما كما علم في روايتهما عن مالك بلفظ ويدعو لابي بكر وعمر لا بلفظ يصلي
كما مر قال مالك في رواية ابن وهب عنه يقول المسلم او الزاير السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقال مالك في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر
بعد السلام عليه صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الوليد الباجي
تقدمت ترجمته وعندي اي الراجح عندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه
وسلم بلفظ الصلاة لما فيها من التعظيم كما تقدم ويدعو لابي بكر وعمر كما
في حديث ابن عمر الذي تقدم وقوله فيه السلام على ابي بكر السلام على ابي عمر
فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلي عليهما لما مر من الخلاف اي
مخالفة الدعا لهما للدعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي المناسك
هنا تفصيل طويل فيما يقوله الناس ليس هذا محله وقال ابن حبيب عبد
الملك بن حبيب القرطبي الامام الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا
يلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته في الميزان ويقول الزاير اذا دخل مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك اي يسر لي ما يوصل اليهما فان دخوله
من باب المسجد الموصل لجنة روضة تشوقه الى الجنان وقوي رجاه فناسب
دعاه بما ذكر ولما سلك الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها
بقوله واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد بعد الدعا الى الروضة وهي
ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين تحية المسجد شكرا لهذه النعمة
قبل وقوفك بالقبر اي عنده تحمد الله فيهما اي في تلك الصلاة وتساله
تمام ما خرجت اليه من زيارتك وسفرك والعون عليه اي المعين عليه
بتيسيره له وان كانت ركعتاك في غير الروضة من المسجد النبوي اجزاتا
بالمعنى اكفاتاك في ادا السنة وفي الروضة افضل اي اكثر ثوابا اقتدا
به صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين قبري
ومنبري روضة من رياض الجنة وياتي الكلام عليه وما بين القبر
والمنبر نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يودي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الي دخولها فكانه منها فاطلق السبب واراد المسبب او هو تشبيه بليغ وقيل انه علي
حقيقته وانه ينقل الي الجنة وفي حديث اخر يأتي وان اوهم كلامه هنا انه من
تتمة الاول ومنبري علي ترعة من ترع الجنة ترعة وترع بمثناة كغرفة وغرف قيل
هي الروضة تكون في مكان مرتفع وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا او في
مكان مطمئن تجمع اشجارا او رياحين والترعة يكون ايضا محل الماء وبمعنى الدرجة
كما ذكره اهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة
من رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة ويأتي بيان الحديث في كلام المصنف
ثم تقف بالقبر اي عنده متواضعا متوقرا اي متواضع ووقار اي سكون تأدبا
بهيبة واجلال وغض طرف وقال الكرماني الحنفي في مناسكه انه يضع يمينه
علي شماله كما يقف في الصلاة وقال غيره الاولى الارسال لئلا يتشبه بالمصلي
فانه منهي عنه فتصلي بالخطاب لكل زائر عليه وتثني عليه بثنا يليق به بما
يحضرك اي يخطر ببالك من غير تكلف لامور تستعد لها المسجعة ونحوها فيقبح
الانحنا وتقبيل الارض وما يظنه جهلة العوام من ان فيه زيادة تعظيم
[illegible] وتسلم علي ابي بكر وعمر وتدعو لهما بما يناسب مقامهما كما مر واكثر
من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار والمراد بالمسجد
هنا هو المراد بقوله صلاة في مسجدي هذا تعدل الف صلاة في غيره كما يأتي
وهو ما كان مسجدا في زمنه صلى الله عليه وسلم لا ما زيد فيه كما قاله
النووي وغيره والاشارة بقوله هذا لتعيينه واعترض ابن تيمية عليه بما ورد
في الحديث لو زيد في مسجدي الي ذي الحليفة كان مسجدي ورد بانه لا يقتضي مساواته
من كل وجه ولا شك في ان الاول افضل من غيره وفي حديث الزيادة معجزة
واخبار بالغيب ولا ينبغي للزائر جعل القبر خلف ظهره ولا بجانبه كما قاله
ابن عبد السلام ولا تدع بالخطاب والجزاء تترك ان تأتي مسجد قبا بضم
القاف وتمد وتقصر وتذكر وتؤنث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم
موضع قريب من المدينة بني فيه عمرو بن عوف الانصاري مسجدا اتاه النبي
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى لمسجد اسس
علي التقوى علي الراجح كما يأتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا
وماشيا في كل سبت وحكمة تخصيصه ان في اتيانه زيارة اهله والموتى يعلمون
بزوارهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده واعطي اهل احد يوم الخميس لانهم
افضل فبقي السبت لاهل قبا وقال صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتين
فيه كعمرة ويقال له مسجد الفتح وكان عمر رضي الله عنه يأتيه في كل اثنين
وخميس وقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ينقلون
حجارته علي بطونهم فلو كان في طرف الارض لضربنا اليه اكباد الابل وقال
صلاة ركعتين فيه احب الي من ان آتي بيت المقدس مرتين وكذا يسن
اتيان غيره من المساجد المأثور صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها كمسجد القبلتين وقبورا لشهدا المعهودين وهم شهدا احد رضي الله

عنهم

عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي ان لا تدع زيارتهم وان تبدا منهم
بحمزة سيد الشهدا في الدنيا والاخرة وقال مالك في كتاب محمد وتسلم عليه صلى الله عليه
وسلم اذا دخل وخرج اي اذا دخل مسجد المدينة وخرج منه اي عند ارادة ذلك وفيما
بين ذلك اي في ايام اقامته بالمدينة يدخل المسجد وتسلم عليه صلى الله عليه وسلم كلما
دخل وخرج قال محمد واذا خرج من المدينة من اتاها زائرا جعل اخر عهده بالمدينة الوقوف
بالقبر اي عنده للوداع وكذا كل من خرج مسافرا من المدينة يجعل اخر عهده زيارته
صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وروى ابن وهب عن فاطمة الزهرا بنت النبي
صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها اذا دخلت المسجد يعني مسجده
صلى الله عليه وسلم او الاتم منه فصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم
اغفر ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وفيه مناسبة تامة لان الصلاة مكفرة للسيئات
وللدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم رحمة واذا خرجت من المسجد النبوي
او الاعم منه فصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي بترك
العمل الصالح وافتح لي ابواب فضلك وذكر الفضل هنا انسب لان الخارج من المسجد
يخرج لكسب مصالحه والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل اموره
وتيسير مسالكه واسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة في الدخول
والفضل في الخروج وحاصلها ان المساجد محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة
مخصوصة تناسب قصدهم وعبادتهم فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها
واما الخروج منها فهو الي محال الاسباب والاكتساب التي لها تحصل الارزاق
والغنا عن الناس وهذا مظهر الفضائل التي تفضل بها علي عباده فسال عند
التوجه ليفاض عليه منه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الي الله تعالى قالوا
ويصلي ركعتين نفلا مطلقا وقيل انها سنة الوداع واختلف هل يقدم
الوداع علي الصلاة او يؤخرها ليكون اخر عهده ملاقاته صلى الله عليه وسلم
ويحسن ان يقول اللهم لا تجعل هذا اخر العهد بحرم رسولك صلى الله عليه وسلم
ويسر لي العود اليه وارزقني العفو والعافية في الدنيا والاخرة ويتاسف
علي مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه اصحاب السنن علي انه سنة لدخول كل
مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوي كما ذكره الخيضري في اللوا المعلم
الا انه يكفي انه يدخل فيه دخولا اوليا وزاد بعضهم في المسجد النبوي رب
وفقني وسددني واصلحني واعني علي ما يرضيك عني ومن علي بحسن الادب
في هذه الحضرة الشريفة وفي رواية اخرى من طريق اخر في حديث فاطمة رواه
احمد وابو يعلى والترمذي وحسنه فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج
اللهم اني اسالك من فضلك وفي رواية اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم
وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج وفصلت ثم وعن محمد بن سيرين
التابعي المشهور كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد النبوي صلى الله
وملائكته علي محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا
وبسم الله خرجنا اي ندخل وعبر بالماضي مشاكلة واشارة الي ان المساجد انما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هي العبادة والبيت محل مكث واقامة لغير المعتكف وعلى الله توكلنا اي فوضنا الى الله امورنا
كلها التوكل من دخل المسجد امور دنياه فان توجهه فيه انما هو لله وكانوا يقولون
اذا خرجوا مثل ذلك وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب في كل مسجد وسن
الصلاة عليه عند دخولها والخروج منها لانه صلى الله عليه وسلم هو الذي
بين لنا العبادة فيها وهدانا لطرق الخير فكان حقا علينا ان نذكره ثمة والدعا له والمراد
بالناس هنا الصحابة ففعلهم يدل على انه سنة ماثورة فلا يتوهم انه كيف يكون
دليلا على انه سنة ولذا اردفه بما يوضحه من قوله وروي عن فاطمة ايضا اي كما روي
عنها قبل هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد
وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية الحمد لله الذي وفقه للعبادة
وبسم الله تيمنا وتبركا ليتم ما شرع فيه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لما مر
وذكر مثله اي ما هو بمعناه وفي رواية يقول اذا دخل المسجد بسم الله والسلام على
رسول الله فهذا صريح في ان ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه ثم مقتدون به وروي عن غيرها اي غير فاطمة رضي الله عنها كان رسول عن ح
الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك
وانعامك بنعم الدنيا والاخرة ويسر لي ابواب رزقك اي سهلها او يسر اسبابها
والتعبير بالتيسير اشارة الى انه مما قضي وفرغ منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه
اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح
لي يعني ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد
او خرج منه او مر به اي مسجد كان يستحب له ان يسمي الله ويصلي ويسلم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بخير من خيري الدنيا والاخرة والماثور
افضل وهذا اجماع اتفقوا عليه وورد فيه احاديث صحيحة مسندة في
باب الدعوات وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد النبوي
وخرج منه من اهل المدينة المقيمين بها الوقوف بالقبر اي عنده للزيارة
وانما يلزم ذلك اي الوقوف لازم للغربا الذين جاوا المدينة للزيارة وليس
اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعي بل التاكد في حقه وقال مالك فيه اي
في كتاب المبسوط ايضا كما نقل عنه اولا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى
سفر من اهل المدينة ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم اي يقوم
عنده زائرا فيصلي عليه صلى الله عليه وسلم ويدعو له ولابي بكر
وعمر بعد الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان ناسا
من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه اي الخروج للسفر فهم
مقيمون يفعلون ذلك اي الوقوف عند القبر والصلاة عليه والدعا
لصاحبيه في اليوم الواحد مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون عليه صلى الله عليه وسلم
ويدعون لابي بكر وعمر ساعة فقال مالك لما ذكر له ذلك لم يبلغني هذا
اي وقوف المدني من غير سفر عند القبر عن احد من اهل الفقه

ببلدنا

ببلدنا يعني المدينة لان عمل اهلها حجة عنده وتركه اي ترك هذا الفعل واسع اي اكثر
واولى ولا يصلح اخر هذه الامة المحمدية واخرها من بعد الصحابة والعصر الاول الا ما
اصلح اولها اي لا يصلح لاخرهم الا ما صلح لاولهم ولا يستحب لهم الا ما استحبوه اولا ولم
يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها من الصحابة ومن الحق لهم انهم كانوا يفعلون
ذلك اي الوقوف للزيارة من غير الغربا بلا ارادة سفر اي لم اسمعه بنقل صحيح
ويكره ذلك الا لمن جاء من سفر او اراده من اهل المدينة وقال ابن القاسم من اتباع
الامام مالك ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها للسفر او دخلوها قادمين من
السفر اتوا القبر فسلموا عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن القاسم وذلك راي
اي قول لمالك وفي نسخة رايي بالاضافة اي انه يقول به وقال الباجي بالموحدة
نسبة لباجة اسم بلدة بالمغرب وهو ابو الوليد الحافظ من ائمة المالكية وقد
تقدم ففرق مالك او ابن القاسم في رواية عنه بين اهل المدينة والغربا فاستحب
للغربا الزيارة في الدخول للمسجد في كل حين ولم يستحبه للمدني الا اذا خرج لسفر
او قدم منه لان الغربا قصدوا المدينة لذلك اي لاجل الزيارة فينبغي لهم
فعل ذلك في كل حين واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اوطانهم
من اجل زيارة القبر والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكي في
كتابه شفا السقام بعد نقل ما هنا مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره
الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته في سد الذرائع وغيره من اهل المذاهب
قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذي لا شبهة فيه
والذريعة ليست بمسموعة في كل مقام كما تقدم عن القرافي وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه عبد الرزاق ومالك في الموطا عن عطا بن يسار اللهم
لا تجعل قبري وثنا اي كالوثن وهو الصنم الذي يعبد اي يتخذ معبودا وتقدم
فيه زيادة بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد اي
يسجدون لها كما يسجدون لله وقد تقدم الكلام عليه وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه ابن ابي شيبة وغيره بسند منقطع لا تجعلوا قبري عيدا
اي كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تاويل الحديث وانه لا حجة فيه لما
قاله ابن تيمية وغيره فان اجماع الامة على خلافه يقتضي تفسيره بغير
ما فهموه فانه نزعة شيطانية وقوله وقال اي يحتمل انه من كلام الباجي
او من كلام مالك وابن القاسم تاييدا لما قاله وهو الظاهر واحتمال انه من
كلام الناس غير مناسب لما عقد له هذا الفصل ونقل من كتاب احمد بن سعيد
الهندي عالم الاندلس توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وعمره سبع وسبعون
سنة وترجمته مبسوطة في التواريخ وفي نسخة سعيد الهندي والصحيح
الاول فيمن وقف بالقبر اي قال في حقه وبيان حاله انه ينبغي له انه
لا يلصق به صدره ولا يمسه بشيء من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله
والصاق صدره به لانه ترك ادب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك وهذا امر
غير مجمع عليه ولذا قال احمد والطبري لا باس بتقبيله والتزامه وروي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان ابا ايوب الانصاري كان يلتزم القبر الشريف قيل وهذا الغير من لم يغلبه الشوق
والمحبة وهو كلام حسن ولا يقف عنده طويلا بل بمقدار الصلاة عليه والدعا
تادبا منه فقد استحب عنده وفي العتبية بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر
الموحدة وياء النسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة اي مما
سمع من مالك من مسايل المدونة وصاحبها يسمى العتبي نسبة لعتبة بن ابي
سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز بن عتبة بن ابي
سفيان القرطبي توفي في منتصف ربيع سنة خمسين او اربع وخمسين ومايتين
واخذ عن يحيى بن يحيى الليثي وطبقته ويقال انه من موالي عتبة وله
رحلة الى المشرق وفي تاريخ الاندلس محمد العتبي هو محمد بن احمد بن عتبة
الاموي من اهل قرطبة وقيل هو مولى لال عتبة بن ابي سفيان وهو
الاصح وسمع من سحنون واصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة
اكثر فيه من الشواذ والمسايل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها
في المستخرجة وقال ابن وضاح في المستخرجة خطا كثير بيده وبالركوع
المراد به الصلاة اي تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة قبل
السلام على قبره عليه الصلاة والسلام ومن زيارته وهو احد القولين
كما تقدم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يسلم اولا ثم يصلي
ويتحرى بصلاته محلا كان يصلي فيه صلى الله عليه وسلم وله علامة
ذكروها ويتعهد المص وهو على يسار محراب الشافعية ويشمل ذلك عموم
قوله واحب افعل تفضيل من المحبة مواضع التنفل اي افضلها للصلاة
النافلة وتحية المسجد والزيارة مصلى النبي صلى الله عليه وسلم اي
محل صلاته المالوف وبين محله بقوله حيث العمود المخلق بضم الميم
وفتح الخا المعجمة وتشديد اللام وقاف وهو ما عليه الخلوق بالفتح
وهو نوع من الطيب اصفر فيه زعفران والعمود هو السارية والاسطوانة
وسمي مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف وقيل
انه محلق بحا مهملة اي له حلقة من حديد ونحوه قيل وهو محل
جذعه الذي كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل عمل المنبر له
وهذه الاماكن الشريفة واسماؤها وفضايلها من اراد الوقوف عليها
فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودي وفضيلة هذا المحل
والصلاة عنده انما هي للمتنفل الزاير واما في صلاة الفريضة فالتقدم
الى الصفوف اي التقدم في الصف الاول افضل من غيره مطلقا والتنفل
اي صلاة النافلة فيه اي في المسجد النبوي للغربا الذين قدموا للزيارة
وليسوا من اهل المدينة المقيمين بها احب الي اي افضل عندي من
التنفل في البيوت اي مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله
الفقها واطلقوه ان الافضل في الفرض الصلاة في المساجد والنافلة
الافضل فيها ان يصلي في المنازل ووجه المخالفة ان الصلاة في مسجد

المدينة

المدينة افضل من الصلاة في غيره على ما ياتي وهذا مبني على ان المضاعفة
تختص بمسجد المدينة وذهب بعضهم الى ان الصلاة في المدينة مطلقا مضاعفة
لا فرق بين فرضها ونفلها ومسجدها وغيره فعلى هذا فافضليتها كغيرها الا ان الغريب يحب
له الاكثار من المكث في مسجدها والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فله شان يخصه
وهو الظاهر

فصل فيما يلزم من

دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب اللازم لمن حضر مجلسه في حياته
سوى ما قدمناه في الفصل الذي قبل هذا وفضله اي المسجد النبوي وفضل
الصلاة فيه اي زيادة ثوابها على ثواب غيرها وفي مسجد مكة وفضله وفضل الصلاة
فيه وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة والمجاورة فيهما قال تعالى
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم وضع اساسه فيه احق ان تقوم فيه للصلاة
من غيره وقد اختلف فيه كما سياتي روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن المراد في هذه الاية اي مسجد
هو فقال مسجدي هذا يعني به الذي هو داخل المدينة وهو مروي وهو اي
كونه المراد في الاية قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم
من كبار الصحابة قيل كان ينبغي له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك لكنه
قدم الاسن والترتيب في الذكر ليس بلازم وروي عن ابن عباس انه مسجد قبا الذي تقدم
بيانه وهو المراد في الاية عنده لانه صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام اقامته
الى الاثنين وبلا ابهام انما اسسه على التقوى لان تاسيس مسجد قبا كان في ابتدا دخوله
صلى الله عليه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه واسس الاخر فالاولية ظاهرة فيه لان
تحتمل شايبة الحقيقية والنسبية والمراد بالتقوى الاخلاص في رضى الله لا كمسجد
الضرار وما ذكره ابن عباس هو الذي ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول ايضا
مروي عن كبار الصحابة مسندا له صلى الله عليه وسلم وقد رواه مسلم واصحاب
السنن ولذا قيل كان ينبغي للمص ان يقول صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا روي بصيغة المجهول التي تغلب استعمالها في الضعيف فكانه ايما منه الى ان
الاقوى ما قاله ابن عباس وهو مشكل وغاية ما يقال فيه ان الاولية اضافية
باعتبار ما بني بعد الهجرة ومسجد مكة فيشمل مسجد قبا ومسجد المدينة والمراد
اخراج مسجد الضرار ولا ينافيه ما بعده لانه اثنى على اهل احد المسجدين بزيادة
بزيادة الطهارة وانما فسره صلى الله عليه وسلم بمسجد [illegible] فقوله احق ان
تقوم فيه لانه انما كان اكثر قيامه به فلو فسره بمسجد قبا لكان صلى الله عليه وسلم
تاركا للاحق ففسره بما يدل على دخوله مع مسجد قبا في الحكم ونص على ما خرج
عن منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق حدثنا احمد ثنا هشام
ابن احمد الفقيه هو احد شيوخ المص رحمه الله لقوله بقراتي عليه قال حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ هو الغساني وقد تقدم قال حدثنا ابو عمر هو ابن
عبد البر كما قد تقدم النمري تقدم بيانه ايضا قال حدثنا ابو محمد بن

لاجل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عبد المؤمن تقدم بيانه قال حدثنا ابو بكر بن داسة تقدم ايضا قال حدثنا ابو داود
صاحب السنن تقدم ايضا قال حدثنا مسدد تقدم قال حدثنا سفيان هو ابن
عيينة وقد تقدم عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة تراجمهم
تقدمت كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
وتشد مضارع مجهول وهو خبر اريد به النهي وهو ابلغ في النهي لانه جعله كانه امر
لا يقع في الخارج اخبر عنه للحقيقة والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للجمال كالسرج
للخيل كما مر لا جمع راحلة كما توهم وهي البعير ونحوه والمقصود منه المنع او نفي
شدها كناية عن منع السفر اي لا ينبغي السفر وقطع المسافة الا الى ثلاثة مساجد
جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة واصله موضع السجود مسجد الحرام بالجر كان
الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما
جايز هنا والاول من اضافة الموصوف للصفة اي المسجد الذي جعله محترما
وهو مشهور غني عن البيان ومسجدي هذا اي مسجد المدينة المعروف ومسجد الاقصى
بالاضافة كالاول وفي نسخة والمسجد الاقصى اي الابعد لانه ابعد من مكة بالنسبة
للمدينة وفيه كلام مشهور ليس هذا محله واختلف في هذا النهي هل هو على
ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح انه مأول اي لا تشد الرحال
لنذر العبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها لم يلزمه شيء فلا
يكره له شد الرحل لبعض الاماكن المتبركة بها او لزيارة من فيها من الصالحين
او لطلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه وقد تقدمت الاثار والاحاديث
في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد النبوي
في الفصل الذي قبل هذا كما سمعته انفا والاثار كل ما نور اي مروي
فيشمل الحديث وغيره ويطلق على ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر والاثر
مشهور في مصطلح الحديث ككتاب ابن الصلاح وغيره وعن عبد الله بن عمرو
ابن العاص في حديث رواه ابو داود باسناد جيد حسن كما في الاذكار للنووي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد اي مسجده بالمدينة
وتقدم ان هذا مستحب في كل مسجد قال اعوذ بالله العظيم اي التجئ في اموري
كلها وفي التوفيق للعبادة واخلاصها الى عظيم لا يخاف من التجأ اليه وبوجهه
الكريم الوجه معروف فاذا اضيف الى الله فالمراد به ذاته المكرمة المبجلة
وسلطانه القديم سلطانه بمعنى عزه وغلبته والقديم صفة سلطان
وذلك ثابت له في الازل والقدم من الشيطان الرجيم المطرود عن رحمة الله
وقربه واستعاذته منه لئلا يصده عما نواه من العبادة ويشغله بوسوسته
ونفثه الخبيث فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني ساير اليوم وقال
مالك بن انس في حديث رواه البخاري والنسائي فيه سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صوتا عاليا كالصياح في المسجد اي مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم فدعا صاحبه اي امر بمجيئه اليه فجيء له به ويسقط هذا من بعض
النسخ فالفاء في قوله فقال ممن انت فصيحة اي من اي قبيلة وطايفة

من الناس

من الناس قال من ثقيف قبيلة من العرب مشهورة من هوازن قال عمر رضي الله عنه له لو كنت
من اهل هاتين القريتين يعني مكة والمدينة لادبتك كما في نسخة وفي اخرى لاوجعتكما بالدرة
بكسر الدال وفتح الرا المشددة تين المهملتين وهي سوط عريض يضرب به وعلوتك
بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضربه على راسه واعالي بدنه نكالا
علاه بالدرة وجلله وقنعه بالسيف وهذا اسقط من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله
تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال ونحوه وانما قال له هذا لان من كان من اهل الحرمين
وهما مهبط الوحي ومقر الدين لا يعذر في الجهل بالشرع وادابه ثم بين له وجه ما قاله
بقوله ان مسجدنا يعني مسجد المدينة او الاعم منه لا يرفع فيه الصوت فعلى الاول
يعلم غيره بالقياس وعلى الثاني هو داخل نصا وهو الظاهر لانه ورد من الطريق
الاخر ومساجدنا وذهب كثير من الفقها ان رفع الصوت في المساجد مطلقا مكروه لحديث
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها متخذة
للعبادة ولذا تكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لا يعزر وكلام
عمر رضي الله تعالى عنه يدل على انه لو كان من اهل القريتين عزره لانه لا يعذر
بجهله واجيب بانه علم منه عدم اكتراثه بحضرته صلى الله عليه وسلم وهو حرام
يؤدي الى الكفر والعياذ بالله قلت ليس كما قاله بل لانه يمتنع رفع الصوت عنده
صلى الله عليه وسلم لقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي عنده وهو حي
حياته كما تقدم الا ان قوله ان مسجدنا يأباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله
عليه وسلم تخصيصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شيء فاعرفه ويستثنى
من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة وكذا التلبية كما صرحوا به على ما ياتي
قال محمد بن مسلمة بميمين مفتوحتين كما تقدم لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد
اي يقصده وفي نسخة يتعمد برفع الصوت فيه يتعمده واعتمده اذا قصده
فان فعله لا عن تعمد لجهل وغيره جاز له ذلك وقوله ولا بشيء من الاذى هو كل
مستقذر لان الطبع يتاذى به وان ينزه بالبنا للمجهول اي يبعد عنه فيبعد
هو عما يكره مجهول ايضا والمكروه المراد به ايضا المستقذرات ولا ينبغي يحتمل
الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقها بمنع جعل النجاسة والمستقذرات
في المساجد حتى النخاعة والروايح الخبيثة كرايحة البصل والثوم الى غير ذلك
مما فصل في احكام المساجد وقد افرده بالتاليف الامام الزركشي فلا حاجة
لذكره هنا لانا لسنا بصدده قال القاضي هو ابن عياض رحمه الله حكى ذلك المذكور
كله القاضي اسماعيل بن اسحاق بن اسمعيل الازدي البصري العلامة الرحلة في ساير
الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه حتى عد من افراد المبرد
حتى قيل لولا اشتغاله بالقضا لاذهب ذكر المبرد ومات سنة اثنين وثمانين
ومايتين ببغداد فجاة في مبسوطه اسم كتاب له كما تقدم في باب فضل مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم والعلما كلهم متفقون على ان حكم ساير المساجد هذا
الحكم لان المقصود منها واحد وشرفها كلها لكونها محلا لعبادة الله تعالى فاذا
تساوت في ذلك كان حكمها واحدا قال القاضي اسمعيل بن اسحاق المتقدم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال محمد بن مسلمة المتقدم ذكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر
على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم اي يشوش عليهم الخلط مزج شيء بشيء
من المايعات ونحوها بحيث لا يتميز احدهما عن الاخر كالدقيق والشعير بالبر
فالمراد انه اسوالهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراءتهم وصلاتهم فاستعير
لذلك الخلط وليس كراهة رفع الصوت مما يختص به المساجد فثبتت كراهة
رفع الصوت رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور قبله ويكره رفع الصوت بالتلبية
اي قول الحاج لبيك اللهم لبيك في مساجد الجماعات التي يجتمع فيها الصلاة
الجمعة ونحوها الا المسجد الحرام يعني مسجد مكة ومسجد منا يعني مسجد المدينة
لان محمد بن مسلمة كان من نسكها فرفع الصوت بالتلبية مامور به لحديث
افضل الحج العج والثج فالعج رفع الصوت والثج اراقة الدما ورفع الصوت
مستحب لغير المراة والخنثى وهذا مذهب مالك وخالفه غيره فجعله مستحبا
في جميع المساجد وانما كرهه مالك في المساجد لانها محل الخشوع وقال ابو
هريرة في حديثه رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي
هذا خير اي افضل واكثر ثوابا من الف صلاة فيما سواه من جميع المساجد
الا المسجد الحرام يعني مسجد مكة المشرفة وسمي حراما لحرمة القتال فيه وكذا
الصيد وقطع الاشجار وتتمة الحديث وصلاة في المسجد الحرام افضل من مايه
صلاة في مسجدي هذا قال القاضي ابو الفضل مصنف هذا الكتاب وهو
عياض رحمه الله تعالى اختلف بالبنا للمجهول اي اختلف العلما والفقها
في معنى هذا الاستثنا يعني المراد بقوله الا المسجد الحرام واختلافهم فيه
مبني على اختلافهم في المفاضلة اي القول بانهما افضل من الاخرى مكة
والمدينة فذهب الامام مالك في رواية اشهب بن عبد العزيز ابو عمر والقيسي
المصري تلميذ الامام مالك في رواية عنه اي عن مالك وقاله عبد الله بن نافع
صاحبه اي صاحب الامام مالك الذي يروي عنه وجماعة اصحابه اي اصحاب
مالك الى ان معنى الحديث المذكور والاستثنا فيه لانه اذا لم يكن خيرا من الف
صلاة فيما سواه احتمل ان تكون الصلاة في المسجد الحرام اكثر ثوابا من الصلاة
في المسجد النبوي وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد الحرام باقل من الف
او ان الصلاة في المسجد النبوي لا تفضله بل تساويه والكل محتمل وهذه
رواية اشهب عنه ورواية ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من اصحاب
مالك عنه موافقة للجمهور في تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان
معناه ان الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة
في ساير المساجد اي باقيها بالف صلاة الا المسجد الحرام وان الصلاة في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه اي الصلاة في المسجد
الحرام بدون الالف اي اقل منه وهو تاويل بعيد وممن استبعده من المالكية
ابن عبد البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت في مسند احمد عن عبد الله
ابن الزبير انه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل

من الف

من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل
من مايه صلاة في مسجدي هذا وسيذكره المصنف قريبا وهو حديث حسن كما ذكره
البيهقي كيف لا وقد مدحه الله وامر بالحج اليه وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه
وسلم وقف على راحلته بمكة وهو يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض
الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت رواه الترمذي والنسائي وقال
انه حديث حسن واحتجوا لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة بما روي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مايه صلاة فيما سواه اي
غير مسجد المدينة لما علم مما تقدم فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم عليه اي على المسجد الحرام بتسعمايه وعلى غيره بالالف اي غيره من
المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ ما رواه سليمان بن عتيق
عن ابن الزبير عن عمر رضي الله عنهم بلفظ صلاة في المسجد الحرام افضل من الف
صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فان فضله عليه
بمايه صلاة وقد روي من طرق وهذا اي ما ذكر من ان الصلاة في مسجد الرسول
افضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الالف مبني على تفضيل المدينة على
مكة على ما قدمناه قريبا وهو اي تفضيلها عليها قول عمر بن الخطاب ومالك
في احدى الروايتين عنه واكثر المدنيين اي علماها ولقوله ما بين قبري
ومنبري الخ ونحوه وذهب اهل مكة وعلما الكوفة الى تفضيل مكة على المدينة
وهو قول ابن وهب وعطا وابن حبيب من اصحاب مالك في رواية عنه وحكاه
الساجي بسين مهملة وجيم نسبة الى ساج بلدة وهو ابو يحيى زكريا بن
يحيى الضبي البصري عن الشافعي رضي الله عنه لانه من ايمة الشافعية توفي
بالبصرة سنة سبع وثلاثماية وله كتاب جليل في علل الحديث وكتاب في اختلاف
الفقها وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان وحملوا اي المفضلون
لمكة الاستثنا في الحديث المتقدم على ظاهره من استثنايه واخراجه مما فضل
عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه بل دونه لما عرفته فلا يرد انه يحتمل
المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لقربه واحتجوا لما قالوه بحديث عبد الله
ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي اخرجه احمد وابن حبان بمثل حديث
ابي هريرة وفيه اي في حديث ابن الزبير وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة
في مسجدي هذا بمايه صلاة وروى قتادة مثله اي مثل حديث ابن الزبير في
افضلية مكة فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا الذي رواه ابن الزبير
وقتادة على الصلاة في ساير المساجد بماية الف وفيما قاله شيء لانه كما قيل
اسقط منه مضاف الى صلاة اي ماية الف صلاة وهو كذلك في رواية احمد
وابن ماجه باسنادين صحيحين فلا يخفى ما فيه وحديث ابن الزبير هذا روى
مثله ابو هريرة وعجز عمر عما عرفه ولا خلاف بين العلما والمحدثين في ان
موضع قبره اي الموضع الذي قبر فيه صلى الله عليه وسلم وضم جسده
الشريف افضل من ساير بقاع الارض كلها بل هي افضل من السموات والعرش

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والكعبة كما نقله السبكي لشرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافي
في القواعد للتفضيل اسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة
العبادة له او لما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون
بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكارهما في
الشفا بان التفضيل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال ولا عمل على القبر فانه
ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف مفضلا وبطلانه معلوم
من الدين بالضرورة ووافقه السبكي رحمه الله فقال الاجماع على ان قبره
افضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة كما قيل

جزم الجميع بان خير الارض ما ❊ قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ❊ كالنفس حين زكت زكى ماواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله عليه وسلم
افضل الامكنة لتجلي الله له بما ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملايكة ولا
حاجة الى ما قيل لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره له اعمال فيه مضاعفة وان
كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان لا فضل له في ذاته كفى انه لاجل ما حل فيه وقول
السروجي من الحنفية لم نجد من تعرض لهذا فنحن مذهبنا بتوقيف فيه بل لعدم
وقوفه عليه ويكفي لفضله ما اشتهر من ان كل احد يدفن في التربة التي خلق
منها وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكار ان جبريل اخذ التراب الذي خلق منه
صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور الى الكعبة انه صح
ذلك البقعة التي اخذ منها ترابه وهو موضع الكعبة فكيف يستدل بهذا
على تفضيل البقعة التي ضمت اعضاه قلت وفي هذا افضل لمضجعيه وفخر
كفى شرفا لهما كما مر حتى قال في عوارف المعارف روي عن ابن عباس ان اصل
طينته صلى الله عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول
ما اجابه ذريته صلى الله عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو اصل التكوين
والكاينات تبع له ولما تموج الطوفان الى بطينته لمحل دفنه ففي الحقيقة
لم يدفن الا في اصل الكعبة الذي خلق منه صلى الله عليه وسلم انتهى
وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو نعمة ويؤيده ما جا في بعض الاثار
ان سليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر
فيه وترك ثم اربعماية من احبار بني اسرائيل ينتظرون بعثته وهي منه
اليهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وههنا بحث
وهو ان البقعة التي ضمت الجسد العظيم اذا كانت افضل من ساير البقاع يلزم
ان يكون المدينة افضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هي تلك البقعة مع زيادة
وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل نقول المدينة
بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ
لان شرف المكان بالمكين فلا بد من تحرير محل الخلاف حتى يقام عليه الدليل
وفي كلام شيخنا ابن قاسم يقتضي ما تقرر ان فضل البقعة التي ضمت

اعضاء

اعضاه عليه الصلاة والسلام ثابت قبل دفنه فيها بل وقبل موته بل وقبل هجرته نعم
قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسي انما ثبت بعد دفنه فيها الشريفة به
لا قبله لانها حينئذ لم تبق فيها الا مجرد الهاجر من الكعبة فلا يزيد على بقية اجزايها
الا ان يقال اعدادها لدفنه صلى الله عليه وسلم فيها فتقتضي مزيتها على بقية
الاجزا قبل دفنه فيها ايضا وهل البقعة المذكورة افضل من منزله عليه الصلاة
والسلام في الجنة او منزله فيها افضل كما يسبق الى الفهم وقد يقال هذه افضل ما دام
فيها فاذا صار في الجنة صار منزله افضل وقد يقال يحتمل ان تكون هذه منقولة
من منزله في الجنة او ينقل اليها فلها حكمه فليتامل واعلم ان العز بن عبد السلام
لما قال ان الامكنة والازمنة متساوية لا تفاضل بينها ظن بعضهم ان القبر الشريف
لا يتصور تفضيله لذاته فان التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة
فيه ورد بان التفضيل له اسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال في المدينة على
اعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيهما اعمال كثيرة ليست لغيرها كالحج والعمرة والمناسك
في تزيد بذلك فان قال مالك في المدينة ايضا ما ليس في غيرها كمجاورة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه فالخلاف لفظي فتدبر قال القاضي
ابو الوليد الباجي بموحدة وقد تقدمت ترجمته الذي يقتضيه الحديث المتقدم
الذي في فضل مسجد بهما مخالفة حكم مسجد مكة لساير المساجد حتى مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة في المسجدين ولا يعلم منه
اي من الحديث الذي اسند لرواته حكمهما اي حكم مكة في التفاضل مع المدينة
اي بالقياس اليها بالتفاضل وانما العقلي وهو الذي ذكر الخلاف فيه بين مالك
وغيره وذهب الطحاوي هو الامام ابو جعفر احمد بن محمد الحنفي كما تقدم الى
ان هذا التفضيل بالضاد المعجمة اي تضعيف اجر الصلاة باحد المسجدين مسجد
مكة او المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المشهور عن المص
في الاسوة والظاهر لا وان انما هو في صلاة الفرض وانه الذي يضاعف ثوابه
وعممه بعضهم في الفرض والنفل وهو المختار واليه اشار بقوله وذهب
مطرف بضم الميم وفتح الطا وكسر الرا المهملتين المشددة وفا وهو ابو مصعب
مطرف عبد الله بن مطرف اليساري المدني ابن اخت الامام مالك روى عنه
البخاري وهو ممن جاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه
في الفقه توفي في سنة عشرين ومايتين وعمره ثلاث وثمانون سنة من اصحابنا
اي المالكية وقيد به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري
الزاهد توفي في سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم الى ان ذلك اي
مضاعفة ثواب الصلاة في النافلة ايضا اي كالفرض لظاهر عموم الحديث
وهو المختار عند الشافعية اذ لا داعي للتخصيص بل شامل لساير العبادة
بدلالة النص كما اشار اليه بقوله قال اي مطرف وقيل الضمير للطحاوي
وجمعة خير من جمعة اي ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة في غيره ويحتمل
انه جمع جمعة مضاف لضمير المسجد والاول اولى بقوله ورمضان فيه خير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من رمضان في غيره وهو ممنوع مصروف لتنكيره وقد ذكر عبد الرزاق بن همام المحدث
الحافظ كما تقدم في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها من البلاد حديثا نحوه اي مثل
الحديث المذكور في فضل الصلاة وهو ما رواه الطبراني وغيره عن بلال رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال صيام شهر رمضان في المدينة كصيام الف شهر
فيما سواها ثم رجع الى بيان فضائل المدينة فقال وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة تقدم
بعض من الكلام عليه وان الروضة ارض في مكان مطمئن ذات اشجار ومياه ومثله
في معناه ولفظه عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري وزاد فيه ابو سعيد كما
في الموطا ومنبري على حوضي قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والايقاظ
تورث الري من العطش في هول القيامة وفي حديث اخر تقدم ومنبري على ترعة
من ترع الجنة تقدم بيانه وهو تمثيل ايضا وتقدم تفسير الترعة قال الطبري
محمد بن جرير لا الكيا كما قيل فيه معنيان اي وجهان واضحان لان احدهما ان المراد
بالبيت بيت سكناه الذي كان يسكنه وهذا مبني على الظاهر المتبادر من لفظه
مع انه ورد في بعض الروايات ما بين [illegible] المراد منه وهو ما بين حجرتي
ومنبري لان الحجرة بضم الحا محل السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة
فلم يبق احتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة والثاني ان البيت هنا
اي في الحديث المذكور المراد به القبر فانه يطلق عليه بيت مجازا لان معناه
ما يبيت فيه الحي وقرينته هنا انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وهو
قول زيد بن اسلم الفقيه العمري كما تقدم في هذا الحديث وفسره به
كما روي ما بين قبري ومنبري فهذا يؤيده ووفق بين القولين بما
قاله الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن
بينهما خلاف بحسب المعنى لان قبره في حجرته وهو بيته واخباره صلى الله
عليه وسلم به قبل موته اخبار بالحوادث المغيبات الحق فهو من معجزاته
وقوله في هذا الحديث ومنبري على حوضي في تفسيره اقوال منها ما قيل
انه يحتمل انه منبره المعروف بعينه الذي كان في الدنيا وهو الاظهر لتبادره
من غير داع لتاويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذي كان صلى الله
عليه وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة كما مر وياتي والقول الثاني ان
يكون له هناك اي في المحشر عند الحوض منبر اخر يوضع له عند الحوض
تكريما له صلى الله عليه وسلم ويقوم عليه لدعوة الخلق لحوضه تكريما
له ولامته والقول الثالث انه ليس على حقيقته بل من باب ذكر
السبب وارادة المسبب فالمراد قصد منبره والحضور عنده في الدنيا
لملازمة الاعمال الصالحة متعلق بقصد وحضور وهو علة مقدمة
لقوله يورد الحوض ويوجب الشرب منه لاعماله الصالحة في الدنيا
قاله الباجي تقدم بيانه وقوله في الحديث روضة من رياض الجنة
يحتمل معنيين وتفسير من انه موجب لذلك اي مقتض له اقتضا

محققا

وبقين

محققا فكانه موجب له اي لدخول روضة من رياض الجنة لمن دخله في الدنيا وان
الدعاء والصلاة فيه اي فيما بين المنبر والقبر يستحق صاحبها ذلك من الثواب
بيان لذلك او تعليل له ففيه تجوز كما قيل في حديث صحيح في الترغيب في
الجهاد والشهادة فيه الجنة تحت ظلال السيوف كناية عن دنو المجاهد من الجنة
حتى كانه اذا رفع سيفه للضرب به او علاه سيف لمن يضربه وظهر ظله فالجنة
تحت ذلك الظل او ظلال السيوف كناية عن القتال لها فجعله سببا لدخول من
اظلته الجنة وهذا المراد الغالب فيهما والثاني من معانيه المحتملة ان تلك
البقعة من بقاع المسجد التي بين القبر والمنبر قد ينقلها الله من الدنيا الى
الاخرة فتكون في الجنة بعينها فهو على حقيقته قاله الداودي هو احمد بن نصر
شارح البخاري وهو ابو جعفر الاسدي البشكري التلمساني توفي بتلمسان
سنة اربعين واربعمائة وتلمسان بكسر التاء واللام ويقال تلمسين ويجوز
تسكين لامهما وفي نسخة الماوردي وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة الخ انه
كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حلق
ذكرها لا سيما في عهده صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه بليغ ومعناه ان
العبادة فيه تؤدي الى الجنة او هو على ظاهره بانه ينقل من الدنيا الى الاخرة
قال والوجوه الثلاثة على ترتيبها في القوة فالوجه الاخير اضعفها وقال بعضهم
انه اقواها لان الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر والاظهر
الجمع بين المعنيين يعني انها تنقل الى الجنة وتؤديه الى رياضها ويؤيده
ويقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة في غيره وان الجذع الذي كان صلى الله عليه
وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة فهذا يقتضي ان البقعة تنقل اليها ايضا
ولا يخفى ما بين اول كلامه واخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف
حديث صحيح كما مر رواه الشيخان ايضا عن عبد الله بن ابي اوفى واوله
انه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام
في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية
فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل
الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفي النهاية
انه كناية عن الضراب والجهاد والدنو منه والظل والفيء بمعنى وقد يقال
الظل لما قبل الزوال والفيء لما بعده كما فصله اهل اللغة
وقلت في قطعة قلت له لما رنا طرفه • الشوق بناظر اهدي الينا الحتوف
اوجنة من تحت اهدابه • ام جنة تحت ظلال السيوف • وروى ابن عمر
في حديث رواه مسلم وجماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال
في شدة المدينة والساكنين بها انه لا يصبر على لاوائها بفتح اللام وسكون
الهمزة وواو وبعدها همزة ممدودة وتسهل هنا عطف تفسير لان اللاواء هي الشدة
والمشقة والضيق وجاء بمعنى القحط ورجح الاخير فيكون تاسيسا
احد فاعل يصبر الا كنت عبر بالماضي لتحققه اي اكون له شفيعا او

عوضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شفيعًا يوم القيامة قال المظ والنووي او هنا ليست للشك من الراوي لانه رواه
نحو عشرة من الصحابة كذا ولانه لا يظهر اتفاقهم على الشك وهو صلى الله عليه وسلم قاله
هكذا فأو للتقسيم اي شهيدًا للبعض وشفيعًا للبعض او شهيدًا للمطيعين ولمن مات
في حياته وشفيعًا للعاصين ولمن مات بعده وشهادته لهم بما بهم ماتوا على خير
وشفاعته لهم بتضعيف ثوابهم او تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغي ان تكون
هذه خصوصية زائدة لعموم شفاعته صلى الله عليه وسلم وشهادته كما قال
تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا او ان او بمعنى الواو وقال بعضهم
انها للشك وعليه فرواية شهيدًا ظاهرة ورواية شفيعًا المراد بها شفاعة
خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم في جواره دنيا واخرة وفي الحديث دليل
لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه لامر خاص بمن لا يراعي حقوقهما المضاعفة
الاعمال الاثمة ف وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان فيمن
تحمل عن المدينة اي رحل عنها وفارقها مختارًا السكنى غيرها عليها ومعنى
تحمل ارتحل وامتعته معه فكنى به عما ذكر وفي نسخة يحتمل وهما بمعنى
والمدينة خير لهم من غيرها من البلاد لو كانوا يعلمون وفيه ايجاز اي لو كانوا يعلمون
فضلها ما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شيء والمعنى لو كانوا
من ذوي العلم والادراك وهو ابلغ في اداء المراد ولو شرطية او للتمني اي
ليتهم علموا ذلك وهو من حديث طويل معناه انه ستفتح بلاد اليمن
والشام ويأتي منها قوم يبسون فيأتون باهليهم وذويهم ثم يرحلون عن المدينة
وهي خير لهم والحديث في البخاري وشروحه وفيه معجزة له باخباره صلى الله
عليه وسلم بالمغيبات لانها فتحت في عهد الخلفاء واختاروا سكناها وقال صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن جابر انما المدينة كالكير بكسر الكاف
وسكون المثناة التحتية وبراء مهملة وهو آلة الحداد معروفة ينفخ بها النار
لايقادها على الحديد والكور المبني من طين ونحوه يوضع عليه وقيل هما بمعنى
والياء منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير الناء
وقيل هو الزق والحمر فيه امثال وفي الصحاح خلافه ووجه الشبه
انها تنفي خبثها بفتحتين واخره مثلثة نصب على المفعولية اي تخرج
ما خبث منها ولا تقبله كما ينفي الكير خبث الحديد لان ما فيه من القذر
والاجزاء التي ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرار وتبقى خالصة
فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار غيرها من غير ضرورة الا من
خبث طويته فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم صدق فتميزه عن
غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه وينصع طيبها بكسر
الطاء وسكون المثناة التحتية وموحدة وروي طيب بزنة سيد
وهو مرفوع فاعل وينصع بفتح الياء وسكون النون وفتح الصاد
المهملة وبعدها عين مهملة اي يخلص ويبقى خالصًا فيها ما طاب
كما يبقى من الحديد جيده ويذهب رديه من المصنوع وهو صفا

البائن

البائن ومنه ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد يائه وان ينصع بمثناة تحتية ورفع
طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وروي تنصع بمثناة فوقية
ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط القزاز طيبها بكسر اوله واستشكله بان
النصوع لا يعرف في الطيب والمعروف فيه يضوع بضاد معجمة وواو مشددة واعجب
في الفائق فقال انه بموحدة وضاد معجمة من ابضع التاجر اعطى البضاعة
اي تعطي طيبها من يسكنها وتبعه في النهاية وقال الصاغاني انه خالف فيه
جميع الرواة وكانه تصحيف وروي تنفح بفاء وحاء معجمتين ففيه روايات
مختلفة اصحها انه بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المظ في شرح مسلم
الاظهر ان هذا مختص بزمنه صلى الله عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لا يصبر
على الهجرة والاقامة بها الا من ثبت على ايمانه لا المنافقون وجهلة الاعراب
كما وقع للاعرابي الذي اصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اقلني فقال هذا في حقه وقال النووي ليس هذا بظاهر لما في صحيح
مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها يعني في زمن الدجال وان
المدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل ان يكون
هذا في ازمنة متفرقة انتهى قلت ان اراد المظ انه المراد بهذا الحديث
بخصوصه بسببه وقصة الاعرابي لا يرد عليه ما قاله النووي وروي عنه وفي
نسخة وقال صلى الله عليه وسلم كما في مسلم رواية عن جابر لا يخرج احد من
المدينة رغبة عنها من غير داع له ولا ضرورة الا ابدلها الله خيرًا منه تعالى
رغب عنه اذا كرهه فالمنهي عنه ذلك فلا ينافي ان بعض الصحابة ارتحل عنها
كبلال ومعاذ وابي موسى الاشعري او هو مخصوص بزمنه صلى الله عليه وسلم
اذ كانت الهجرة لها واجبة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في
حديث رواه البيهقي والدارقطني عن عائشة رضي الله عنها باسناد ضعيف
من مات في احد الحرمين حرم مكة والمدينة حاجًا او معتمرًا اي قاصدًا الاحرام
بحج او عمرة وهو حال من الفاعل بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب
وانما فسرناه بقاصدًا لذلك لان الاحرام من المدينة لا يتصور الا لمن احرم من
دويرة اهله او لقرب ميقاتها والاحرام من الميقات افضل عند بعضهم
وقيل انه بتقدير او زائرًا واكتفى بها لاحد الحرمين بعلم ما لغيره وهو
منه ايضًا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة او مآله
بمبشر ونحوه وفي طريق اخرى في هذا الحديث للبيهقي والطبراني بعث
اي احيي بعد موته من الامنين يوم القيامة اي امنًا من مناقشة الحساب
والعذاب وعن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث رواه ابن ماجه وابن حبان
والترمذي وصححه من استطاع ان يموت بالمدينة اي يقيم بها حتى يموت
لان الموت ليس بقدرته واختياره فليمت بها اي فليقم بها حتى ياتيه الموت
كما تقدم انفًا والامر للاستحباب فاني اشفع لمن يموت بها شفاعة خاصة
به كما مر لانه في جواره وحمايته وهو صلى الله عليه وسلم اوصى بالجار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وروي فانها تشفع على الاسناد المجازي فان قيل قد جا ما يعارض هذا وهو ما رواه
النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات بغير مولده قالوا
لم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده يقاس له من مولده
الى منقطع اثره في الجنة وذكره ابن طاهر في الصفوة وبوب عليه ايثار الموت
في الغربة على الوطن فالجواب ان صح ذلك فلا معارضة بل الحديث خاص
بمن لم يولد في المدينة وقد احسن المص بختم ما يتعلق بالمدينة مع ذكر الحديث
لذكره بعده ما يتعلق بمكة كما اشار اليه في الترجمة وقوله وقال تعالى
ان اول بيت وضع للناس الى قوله امنا شروع في بيان فضل مكة وضعه
للناس جعله متعبدا او قبلة لهم وبكة ومكة بمعنى عند جماعة والبا
تعاقب الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال اخرون
مكة الحرم كله وبكة المسجد خاصة حكاه الماوردي عن الزهري وزيد بن
اسلم وبكة من بكه اذا دقه وهي تدق اعناق الجبابرة اذا قصدوها بسوء
او هو اشارة الى ازدحام الناس اذا طافوا وسئل صلى الله عليه وسلم عن اول
بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما
فقال اربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لان واضع المسجد في
زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وواضع بيت المقدس في زمن داود
وسليمان وبينهما زمان اطول من تلك الاربعين باضعاف مضاعفة
واجيب بان داود عليه الصلاة والسلام لم يضعه وانما تمم كما بيناه
في حواشي البيضاوي وتفسيره لانه ظاهر تكفلت به التفاسير وبركته
كثرة الخير فيه ومضاعفة ثواب العمل فيه قال بعض المفسرين في هذه
الاية معنى قوله ومن دخله كان امنا امنه من النار وعذابها في الاخرة
اذا دخله مؤمنا به وورد انه يدخل الجنة بغير حساب وقيل المراد بالامن
امنه في الدنيا وفي بعض النسخ بل اضراب عن التفسير الاول كان يامن من
الطلب من احدث حدثا اي فعل امرا يستحق به العقوبة كالقتل ولجا
بالهمز بوزن ضرب بمعنى التجا واعتصم من عدوه اليه اي المسجد الحرام
بدخوله فيها هاربا في الجاهلية هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا
صلى الله عليهما وسلم سمي بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل اذا جنى جناية
ودخله لا يمسكه احد حتى يخرج وقال ابو حنيفة من لزمه القتل في خارج
الحرم لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى
يضطر للخروج منه وغيره يقول ان الحدود تقام ويوخذ من دخله
فارا واليه اشار المص بقوله كان اشارة الى تغير هذا الحكم بعد مجي
الاسلام وهذا اي قوله من دخله كان امنا مثل قوله تعالى واذ جعلنا
البيت اي الكعبة وحرمها مثابة للناس اي ملجا ومرجعا من ثاب
يثوب اذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجا لكل مطلوب بجرم

للذي ببكة مباركا وهدى
للعالمين فيه ايات بينات
مقام ابراهيم ومن دخله
كان امنا

ولا

عرضي

عرضي

ولا يليق تفسيره هنا لترجيح الزيادة لانه يا باه سياق المص لقوله وامنا في قول بعضهم
اشارة الى ان في الاية اقوالا اخر منها انه محل الثواب وحكي ان قوما اتوا سعدون
الخولاني بخا معجمة نسبة لخولان قبيلة من اليمن مشهورة واسمه ابكل بن احمد بن
مالك وهو من اهل القيروان وعظما علمائها وسعدون لقب له بصورة الجمع
ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض الشراح
انه منصرف ولا وجه له لما وقع في بعض كتب الحديث من ضبطه غير منصرف غفلة
منه بالمنستير [illegible] والمنستير بميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية
وراء مهملة وهذا اللفظ رومي معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق
لينزل فيه ابنا السبيل والذي سمعناه منهم فتح الميم والف مع سكون السين
وكسر التا الفوقية وبالتحتية وقد يخفف بحذف الالف واليا وهذا هو الاشهر
فيه عندهم فقوله في القاموس منستير بضم الميم وفتح النون موضع بافريقية
معبد الزهاد والمنقطعين وبلد اخر بافريقية اهله من قريش بينه وبين
القيروان ستة مراحل وموضع بشرقي الاندلس انتهى مخالف لما صح سماعا فان
ظنه عربيا فهو خطا وان قال عرب وغير كان عليه ان ينبه عليه وقال
التلمساني انه بضم الميم والنون ويجوز كسر نونه والعامة تفتحهما وعليه
اقتصر الشمني وهي بلدة بساحل البحر وحصن بطرابلس افريقية له سور
بناه هرثمة بن اعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة تسع وسبعين
ومائة وهو الذي بنى سور طرابلس الغرب فاعلموه ان كتامة بضم الكاف وفتح
المثناة الفوقية والف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر واصلهم فيما قيل
من حمير قتلوا رجلا واضرموا عليه النار اي اوقدوها وقودا اشد بدا
طول الليل منصوب على الظرفية والطول بضم الطا المهملة مصدر طال
وطول الليل بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا
ووجهه ان الطول البعد الامتدادي فاستعماله في غيره بالطريق الاولى
وقد سمع في كلامهم كقول الوزير المهلبي

قال لي من احب والبين قد جد ◦ وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ◦ قلت ابكي عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض فلم
تعمل فيه هو مجاز بمعنى لم تؤثر فيه وبقي ابيض اللون لم يتغير لونه
والاحرق اسود لونه وفي نسخة ابيض البدن فقال لعله اي الرجل
المقتول والفاضحة اي وسئل عن وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز
عن الظن اذ لا وجه للترجي هنا حج ثلاث حجج بكسر الحا بمعنى حجة وهي
المرة من الحج قالوا نعم اي الامر كذلك قال حدثت بالبنا للمجهول اي روي لي
من سمعت منه الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من حج حجة اي مرة
ادى فرضه لانه فرض على كل احد ان يحج في عمره مرة لقوله تعالى ولله على
الناس حج البيت الاية ومن حج ثانية بعد اداء الفرض داين ربه اي اقرضه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دلجي

كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والدين والقرض دفع شيء الى غيره ليرد مثله
او بدله قال الراغب قال ابو عبيدة يقال دنته اذا اقرضته فهو داين وذاك مدين
ومديون وهو لما لم يكن هذا الحج فرضا عليه كانه اعطاه لله قرضا يرد عليه ثوابه
الذي هو كبدل القرض فهو استعارة ومن فسر دان هنا بمعنى اطاع وعبد لم يصب
وفي نسخة داين مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث فينادي غدا مكم عند الله
من كان له دين عند الله فليقم ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره اي ظاهر جلده
وبدنه على النار اي لم تعذب به ولم يدخله نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله
فينادي الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم القيامة واصل معناه
اليوم الذي قبل يومك وعبر به اما لقربه وهذا الحديث لا يعرف من رواه ولما
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة لما هاجر او في حجة الوداع
او يوم الفتح كما رواه الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله عنه قال مرحبا
بك بفتح الكاف وكسرها اصله دعا للقادم بالرحب والسعة اريد به هنا اظهار
محبته لها والقرب منها من بيت بيان للمدعو له ما اعظمك عند الله وعند الخلق
واعظم حرمتك اي احترامك وشرفك وهو تعجب اريد به المبالغة في عظمته
وتعظيمه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن
الاسود المراد به الركن الذي فيه الحجر الاسود وهو معروف الا استجاب الله له
دعاه اي قبله واعطاه ما دعا به او خيرا منه والحجر الاسود لما نزل من الجنة
كان اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني ادم وابقى سواده ليكون عبرة
والكلام عليه مبسوط في تاريخ مكة وكذا كثرت استجابة الدعا عند الميزاب
والملتزم والمستجار وغيرها من المواطن التي جاء في الحديث الصحيح استجابة
الدعا عنده فاما الميزاب هو المسمى لان ميزاب الرحمة وهو مسيل ما السطح
وهو معروف من جانب الحجر وفي كتاب العلل لابن فارس الميزاب مهموز
واصحابنا يقولون ليس فيه همز لانه من وزاب يوزب انتهى وورد بمعنى
سال ويقال انه فارسي معرب معناه [illegible] الما واطال التلمساني هنا
بذكر مساحة البيت والحرم وغيره مما ليس هذا محله وعنه اي روي عنه
صلى الله عليه وسلم والراوي هو الحسن البصري في رسالته الى اهل مكة
من صلى خلف المقام اي مقام ابراهيم الخليل المعروف الذي قام عليه لما
بنى الكعبة ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم
القيامة من الامنين من العذاب وهول الحشر والمغفور له الصغاير والكباير
وقيل الصغاير فقط والمقام معروف في موضعه الذي كان فيه قديما وتفصيله
في تاريخ مكة قرات على القاضي الحافظ ابو علي هو ابن سكرة وقد تقدم قلت
حدثك ابو العباس العذري قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية
يقولها التلميذ لشيخه ويصدقه عليه قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد
الهروي قال حدثنا الحسن بن رشيق عبد العلي بن سعيد العسكري الحافظ
العالي السند وترجمته في الميزان يقولها سمعت ابا الحسن محمد بن الحسين

قال الفقيه القاضي
ابو الفضل

ابن

ابن راشد في الميزان محمد بن الحسن بن علي بن راشد الانصاري وفيه كلام سمعت ابا بكر
محمد بن ادريس ذكر كنيته وقد مما لئلا يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه
فان كنيته ابو عبد الله لا ابو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمر وهو من اهل مكة سمعت
الحميدي بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشي الاسدي المكي
صاحب الشافعي ورفيقه في رحلته لمصر وهو شيخ البخاري وهو لاهل الحجاز كاحمد
ابن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من اسد بن عبد العزى ويقال نسب
للحميدات وهي قبيلة توفي في سنة تسع عشرة وعشرين ومايتين قال سمعت سفيان
ابن عيينة تقدم بيانه قال سمعت عمرو بن دينار تقدمت ترجمته قال سمعت ابن
عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في

على
الا استجيب لي ح

هذا الملتزم وكزينه اسم المفعول من التزمه اذا امسكه سمي به لالتصاق الناس في
الدعا وعنده هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة اشبار واربعة
اذرع وتسميته بهذا قديمة وردت في الحديث ويسمى المدعا والمتعوذ بفتح الواو
المشددة وهو احد المواضع التي ورد استجابة الدعا فيها وقد جرب كذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي الى اخر
الحديث وهو ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه والفا في قوله فما
دعوت الله الخ اما زايدة بناء على انه يجوز زيادتها في الخبر مطلقا والمشهور زيادتها
في الخبر اذا تضمن المبتدا معنى الشرط نحو وما بكم من نعمة فمن الله وبعضهم قيد
زيادتها بكون الخبر امرا او نهيا كقوله وقايلة خولان فانكح فتاتهم واما عاطفة
على مقدر تقديره وانا جربت ذلك فادعوت الخ واما جواب شرط مقدر اي ان سالت
عما عندي فيه فما الخ وقوله منذ في الحج روي مذ بدون نون ومنذ بضم اوله
وكسره معناه اشهر من ان يذكر وقال عمرو بن دينار الراوي عن ابن عباس وانا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال
سفيان المتقدم ذكره وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من عمرو بن دينار الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس المكي ابي بكر وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو
الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من محمد بن ادريس المتقدم الا استجيب لي وهذا الحديث مسلسل بالسماع

وقال الحميدي وانا فما دعوت الله تعالى
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من سفيان / / / ح

رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق يسوقها قال ابو
اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيا اي لم يحفظ عنه انه قال
كغيره وانا فما دعوت الله بشيء الا استجيب لي والتسلسل قد ينقطع بعضه
في اوله او اخره او وسطه فلا يضر التسلسل مع ان هذا ليس بقطع في الواقع
والاحاديث المسلسلة صحيحها قليل وتقدم ان التسلسل يقع بامور متغايرة
من الاقوال والافعال والامكنة والازمنة كما فصل في مصطلح الحديث
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق

الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت
الله لشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا
قد دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب
لي بقيتها اي ارجو ذلك لزيادة كرمه وسعة بفتح السين وكسرها بمعنى الوسع قال
القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله ذكرنا نبذا بفتح النون
وسكون الموحدة والذال المعجمة اي شيا قليلا واصل معناه الطرح والرمي كانه
لقلته مما يطرح ويجوز ضم اوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذة كما مر من هذه النكت
جمع نكتة وتقدم بيانها في هذا الفصل الذي نحن فيه وان لم يكن من الباب اي
من المعاني التي عقد لها الباب فانه معقود للصلاة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعظيمه فذكر فضايل مكة وحرمها البيت منه بل من موضوع كتابنا لتعلقها
اي مناسبتها بالفصل الذي قبله من ذكر مسجده صلى الله عليه وسلم وما تعلق
به حرصا على تمام الفائدة بافادة امور مهمة يرغب فيها والشي بالشي يذكر

القسم الثالث من هذا الكتاب فيما يجب على النبي

صلى الله عليه وسلم المراد به الوجوب الشرعي او العقلي لقوله وما يستحيل
في حقه اي يعد كالمحال عقلا لانه لا يليق بجنابه العظيم او عادة واصل معنى
الاستحالة التغير من حالة الى اخرى ومنه استحال الخمر خلا او يجوز عليه مما
لا يخل بشريف مقامه وما يمتنع في حقه شرعا او عادة او عقلا او يصح وصفه به
واطلاقه عليه كما سياتي من الاحوال البشرية اي التي تطرو عليه باعتبار انه
وهو بيان لما ان يضاف اليه اي تنسب اليه والاضافة بمعناها اللغوي لا النحوي
ثم صدر الكلام باية دالة على ما سياتي اجمالا فقال قال الله تعالى في حقه صلى
الله عليه وسلم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل
الاية فيه ايما لما يجوز عليه ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما ان الرسل
قبله منهم من مات ومنهم من قتل والهمزة فيها لانكار اي ليس لمحمد حتى يستبعد
موته او قتله وهذا كما وقع باحد لما نادى ابليس لعنه الله ان محمدا قد قتل فقال
ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال المومنون ان
كان محمد مات فرب محمد لا يموت فما نصنع بالحياة فقاتلوا على ما قاتل عليه
وكما وقع لبعض الصحابة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم
ذهلوا من عظم المصيبة فخطبهم ابو بكر رضي الله عنه وتلى هذه الاية كما مر
والقصة مشهورة وقوله افاين الخ انكار وتوبيخ لمن توهم خلافه وقوله الانقلاب
على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين وقال الله تعالى ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة الاية اي ليس المسيح
الا رسولا كغيره من الرسل له ايات ومعجزات مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى
وامه صديقة اي صادقة في اقوالها وافعالها او مصدقة للرسل وهذا
غاية امرهما دون ما يزعمونه فيه ولذا اتى باثبات صفات بشرية تنافي الالوهية

من

ابن اقبرس

من الاكل ونحوه ولذا قال تعالى انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون وقال وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فهو كغيره من البشر يصح
له ما صح لهم وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فلا يزيد على البشر الا بما خصه الله
من الوحي والرسالة والتوحيد فقد امتاز عنهم ولذا قال محمد صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا اي باقيهم من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وانما
يكون كذلك لو فسر بجميع ما تقدم من البشر اي من جنسهم تمييزا لهم بانهم ارسلوا الى البشر
لتبليغ ما امرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير ولولا ذلك اي كونهم من جنس البشر
بان كانوا ملايكة لما اطاق الناس مقاومتهم اي مقابلتهم في الامور الدنيوية لقدرة
الملايكة على ما لا يقدر عليه غيرهم والقبول عنهم اي ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به
ومخاطبتهم حتى يبلغوهم عن الله ثم اثبت هذا بقوله ولو جعلناه اي النبي صلى الله
عليه وسلم ملكا اي قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا لجعلناه رجلا
اي لما كان الا في صورة البشر تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان
الملك يتصور باي صورة اراد ثم بين وجهه بقوله الذي يمكنكم بحسب الطاقة
البشرية مخالطتهم اي معاشرتهم والاختلاط معهم وفي نسخة مخاطبتهم وفي اخرى
مجالستهم اي اتخاذهم اخلا وهي متقاربة معنى اذ لا يطيقون مقاومة الملك
ومخاطبته ورويته اذا كان على صورته الاصلية التي خلق عليها ابدا وقال الله تعالى
قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا
هذا جواب عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة الايات التي اعجزتهم
فقالوا لم لم يرسل الله ملكا يبلغ اوامره ونواهيه فقال الله لرسوله قل لهم
جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل الله الملايكة لو كان اهل الارض ملايكة من
جنسهم كما قال المص اي لا يمكن في سنة الله اي طريقته وعادته المستمرة ارسال
الملك الا لمن هو من جنسه حتى يمكنه مخالطته وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر
ارسال الرسل من الملايكة الى الانبيا بين وجهه بقوله او من خصه الله معطوف
على من هو من جنسه اي خصه بنفس قدسية ملكية واصطفاه اي اختاره من
نوع البشر لتلقي وحيه من الملك وقواه على مقاومته اي مقاومة الملك ومخالطته
لمناسبة تامة بينه وبين الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس
كالانبيا والرسل فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وارواح ملكية فكانوا دون
غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال
فالانبيا والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وسايط بين الله وبين خلقه
وتوسطهم لامره هو انهم يبلغونهم عن الله اوامره ونواهيه اي كل امر ونهي
لهم وفي كتب الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على
اوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع على امور ولم يوافقهم عليه احد من النحاة
واهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن هشام في تذكرته انه صحح
بوجهين احدهما انه جمع امر اسم فاعل لما لا يعقل وسمي القول امرا مجازا
وكلامهم لا يدل عليه والثاني انه جمع امرة مصدر كالعافية اي صيغة امر

محمد ع

جلبي

شبكة الألوكة www.alukah.net

للامر بها وقد نقله ابن سيدة وقيل انه جمع الجمع فجمع امر على امر كالطب ثم جمع على اوامر كالب فهو فواعل او افاعل وقال الاصفهاني في شرح المحصول ان هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجاز انكلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه استعمل مفردا انتهى وقد تقدم ايضا ذكر الهدا ووعده ووعيده الوعد يستعمل في الخير والوعيد في الشر كما فصلوه في محله ويعرفوهم ما لم يعلموه من امره هو الفعل والشان واحد الامور كما مر اي اقواله وافعاله فيما سبق فشاوه في كل شي وقيل يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله وخلقه وعالم ما ابدعه الله من غير مادة وتولد من اصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال تعالى الا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد وجلاله امثل معناه العظمة وهو في صفاته تعالى كما يقتضيه كلام الغزالي والقشيري الصفات الثبوتية وكلام غيرهما يقتضي انه الصفات السلبية او ما يعمهما وقال الغزالي في معنى ذي الجلال والاكرام ان الجلال كماله في ذاته والاكرام ما كان منه لغيره وسلطانه اي قهره وغلبته او حجته الباهرة وملكه اي انهم يبينون للناس ذلك وجبروته وملكوته التافيه زائد اي كونه جبارا قهارا ومالك الملك الذي لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله فظواهرهم اي ما يظهر من حال انبيا الله ورسله وصفاتهم واجسادهم اي ذواتهم الظاهرة المشاهدة وبنيتهم بكسر البا اي هيئة تركيب ابدانهم التي خلقهم الله عليها لانه بنا الله وهو في الاصل مصدر ثم اطلق على الهيكل المخصوص والبدن المخصوص متصفة باوصاف البشر من الخلق والتركيب ونحوه طاري بهمزة في اخره وابدالها يا اي حادث متجدد عليها ما يطرو على البشر لان الاجسام كلها متساوية في قبول ذلك من الاعراض جمع عرض والمراد به مطلق الالام وما لا يكون فارا منها ويقابله عند الاطبا الامراض والاسقام جمع سقم وسقم كحزن وحزن والموت والفنا الموت ضد الحياة واختلف فيه هل هو عدمي او وجودي كما بين في محله ويطلق مجازا على النوم والجهل كما في قوله ذو الجهل ميت وثوبه كفنه واما الفنا فهو تفرق الاعضا وتفتتها حتى تضمحل وهذا لا يكون في الانبيا عليهم الصلاة والسلام لان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا كما ورد في الحديث الصحيح ولذا قيل انه كان ينبغي للمصنف ان يبدل قوله السابق متصفة بقوله قابلة وقد يقال المراد بالفنا هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفاني الان اقترانه بالموت يبعده ونعوت الانسانية جمع نعت وفسره النحاة واللغويون بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق على الله ولم يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرو من العوارض وهذه قضية مطلقة فلا يقتضي ان الانبيا لا يصيبهم بعض الامراض المنفرة وهي ما يفسخ بها النكاح كالبرص والجذام والعمى واما ما اصاب ايوب ويعقوب عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك وليعقوب انما ضعف بصره

وقيل

ونعي

ا

وقيل ان بعضها باطل وعليهم بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع عند ابتدا الدعوة والحق انها لا نظر وعليهم امثلا وارواحهم وبواطنهم كالقلب والدماغ وما لا يدرك بالحواس الظاهرة والباطن خلاف الظاهر متصفة باعلى من اوصاف البشر اي باوصاف اعلى منها من الفضايل الروحانية والتبري من العلايق الجسمانية كحب المال والتنعم بالماكل والمشارب فارواحهم وبواطنهم متعلقة بالملا الاعلى هو كالرفيق الاعلى الملايكة العلوية وتعلقها به اتصالها قال الراغب الملا جماعة تملا العيون روا والقلوب جلالة وبها متشبهة بصفات الملايكة في القوة والتجرد من العلايق الدنيوية وترك الشهوات والانهماك ولا يفعلون الا ما يومرون غالبا سليمة من التغير اي تبدل احوالهم الصالحة بغيرها والافات وهي النقايص لا تلحقها اي لا نظر وعلى ارواحهم وبواطنهم غالبا عجز البشرية كالجبن والخوف المفرط المانع من تحصيل المهمات وقال غالبا لانه قد يلحقهم شي منه كما في قوله فاوجس في نفسه خيفة ولا ضعف الانسانية فانه لا يلحقهم وان كان الانسان خلق ضعيفا الا انه قد يعرض لهم شي من ذلك بحسب الجبلة البشرية ولا يخرجهم عن كمال القوة والهمة اذ لو كانت بواطنهم اي امورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا خالصة للبشرية كظواهرهم وظواهر غيرهم وبواطنهم لما اطاقوا الاخذ اي قدروا على تلقي الوحي عن الملايكة برويتهم ومخاطبتهم اي مكالمتهم ومخالتهم بضم الميم وفتح الخا المعجمة والف ولام مشددة مفاعلة من الخلة بالضم وهي اتخاذه خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة ويجوز مخاللتهم بفك الادغام كما مر والاول افصح كما لا يطيقه اي وكما لا يطيقه غيرهم اي غير الانبيا من البشر لضعف ارواحهم وبواطنهم ولو كانت اجسامهم اي الانبيا وفي نسخة اجسادهم وظواهرهم متسمة اي موصوفة مستعار من السمة وهي العلامة والوسم بمعنى الكي بنعوت الملايكة اي صفاتهم الذاتية وهيآتها الحقيقية وبخلاف صفات البشر مما خلقت عليه الملايكة وصورهم التي صوروا عليها اعظما ونورانية لما اطاق البشر غير الانبيا ومن ارسلوا اي الانبيا اليهم من اممهم مخاطبتهم ورويتهم ومخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وهو يدل على انهم لا يطيقون روية الملك على خلقته الاصلية بخلاف ما لو تمثل بصورة البشر فانه يمكن البشر رويته كما كان ياتي بصورة دحية ويراه الصحابة وكما كان يتمثل لمريم فما قيل من ان هذا لا يتم ان لو كان رويتهم ومخالطتهم وهم على خلقتهم والوارد في القران والحديث خلافه وقد راهم بعض الصالحين واصحاب الرياضة خلط وخبط ناشي من عدم الفهم فجعلوا اي الانبيا صلاة الله وسلامه عليهم اجمعين من جهة الاجسام والظواهر مع البشر اي موافقين لهم في صورها ومن جهة الارواح والبواطن مع الملايكة اي متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية المشاكلة في الروحانية

ابن اقبرس

والقوى الباطنية حتى اطافوا رؤيتهم ومخالطتهم ومخالتهم كما قال صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري وغيره يشهد لمخالته للملايكة لو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا فانه اقرب الناس اليه واصدقهم
محبة له واعظمهم مواساة له بماله ونفسه واسبق الناس لاتباعه له فاذا
لم يتخذه خليلا لم يتخذ احدا غيره وهذا دليل على انه لم يكن من البشر بباطنه
فهو لا يعتمد على غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على ما يتوهم من نفي
خلة ابي بكر من انه لا مناسبة بينه وبينه فقال ولكن بيني وبين ابي بكر اخوة
الاسلام اي ان لم يكن خليلي فهو اخي في الله وفي دين الاسلام لاشتراكه معي
في محبة الله وطاعته واتباع دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر
اي كونه اخا لي ويقال خوة بضم الخا وحذف الهمزة وهي لغة قليلة فيه
والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق الارض
ومغاربها وتسمع اطيط السما وتشم رايحة جبريل عليه الصلاة والسلام
اذا اراد النزول اليهم كما شم يعقوب عليه الصلاة والسلام رايحة يوسف
صلى الله عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله عليه وسلم الى السما ولما
نفى الخلة عن ابي بكر رضي الله عنه استدرك توهم تنبوها المغيرة من الناس
فقال لكن صاحبكم خليل الرحمن وقال صاحبكم ولم يقل ولكني وهو اخصر
واظهر اشارة الى ان مناسبته لهم بحسب الظاهر وانه بين اظهرهم لا بحسب
الحقيقة وقال خليل الرحمن دون خليل الله اشارة الى ان خلته لله وتخلقه
بصفة الرحمة فليس خليله الا الله لان الخلة تخلل المحبة في باطنه وباطنه
مشغول بمحبة الله عما سواه وهذا لا ينافي ما ورد في حديث اخر لم يكن نبي
الا وقد اتخذ من امته خليلا الا ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم
خليلا لان النفي للخلة الحقيقية المقتضية لاعتماده عليه ظاهرا وباطنا
والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث يكون وزيره ووكيله في امور الدنيا وايضا
خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وابو بكر رضي الله عنه خليله بمعنى
الفاعل وليس محالا له بمعنى المفعول او انه كان خليله اولا ثم نسخت خلته
بعد ذلك لله عند ما قربت رحلته للقاء ربه فانه اول الحديث كما في البخاري
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس فقال ان الله عز وجل خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار
ذلك العبد ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه فعجبنا لبكايه من اخبار
عن عبد خير فكان اعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امن
الناس علي في صحبته وماله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب الا سد الا باب
ابي بكر وهو نص منه صلى الله عليه وسلم على خلافته كما يعرفه من له
بصيرة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكي
وظاهره بشري تنام عيناي بتغميض الاجفان والنوم ظاهرا ولا ينام قلبي

لقا

لقا احساسه وتعلقه بالملا الاعلى وكذا سائر الانبيا تنام اعينهم دون قلوبهم
كما ورد مصرحا به في حديث البخاري فليس ذلك من خواصه صلى الله عليه وسلم
كما توهمه القضاعي ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله عليه وسلم
بشري وباطنه ملكي ولذا قالوا ان نومه عليه الصلاة والسلام لا ينقض وضوءه
كما صرحوا به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم وتوضيه صلى الله عليه وسلم
بعد نومه استحبابا او تعليما لغيره او لعروض ما يقتضيه وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في النهي عن صوم الوصال في الصوم مع
فعله صلى الله عليه وسلم له اني لست كهيئتكم اي لست في حالي واموري
مثلكم فاني خواص خصني الله بها اكراما منه واصل معنى الهيئة الصورة
الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات النفسانية تنزيل المعقول منزلة المحسوس
ثم بين ذلك بقوله اني اظل بفتحتين اي اكون عند ربي في حضرة الرب اشارة
الى تربيته له باعطائه ما يقوته فلذا وقع موقعه هنا ولم يقل عند الله
ونحوه يطعمني ويسقيني اي يهبني قوة على ذلك حتى اكون كاني اكلت وشربت
وليس المراد انه يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما
قيل لانه ينافي الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر ليس لغيره مع ان
قوله اظل ياباه بحسب الظاهر وان امكنه التجوز فيه لان ظل حقيقته فعل
نهارا ولو كان كذلك لم يكن صايما وكون طعام الجنة لا يفطر لم يقل به احد
وهكذا القوة تدل على انه صلى الله عليه وسلم ملكي الباطن وقول ابن حبان
وغيره اذا اعطاه الله قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم اجر فهو
لا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روي من انه صلى الله عليه وسلم
كان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاي معجمة وشد
الحجر لا معنى له في اذهاب الجوع غير ظاهر لان جوعه صلى الله عليه وسلم
وشكواه منه وخروجه لاصحابه وسوء الهم له فاخبرهم فشكوا له مما شكاه
وشد الحجارة على بطونهم امر ثابت في الاحاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف
الم الجوع ببرده واقامة صلبه ومنع امعاه من الارتخا ولا ينافي هذا انه
يطعمه ربه لاختلاف الحالتين فانه في الصوم رياضته وانجذابه للملا الاعلى
واشتغال الروح عن البدن يمنع الجوع الا ترى المريض يمكث اياما لا ياكل
ولا يضره وقد بين وجهه الشيخ في اخر كتاب الاشارات فهذه القوة ملكية
روحانية واستبعد القرطبي ما قيل ان الله يخلق فيه شبعا كما يخلقه
فمن اكل ومراده ما ذكرناه فلا وجه لاستبعاده فبواطنهم اي بواطن
الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم منزهة عن الافات اي ما ينقص قواهم
الملكية مطهرة عن النقايص والاعتلالات اي العلل المضعفة لهم مجمله
جملة ما يختص بالانبيا عليهم الصلاة والسلام اجمالا لكن يكتفي بمضمونها
اي ما تضمنته ودلت عليه كل ذي همة في تحصيل المنى بل نيل الاكثر يحتاج
الى بسط اي تطويل وتفصيل على ما ناتي به صفة لبسط وتفصيل اي تفصيل

ابن اقبرس

عوضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على نهج ما ياتي به بعد في البابين المذكورين عقب هذا العنوان اي اعانته على ما
قصده وهو حسبي ونعم الوكيل الذي لا يكل من توكل عليه لغيره

الباب الاول فيما يجب للانبيا

عليهم الصلاة والسلام ويمتنع عليهم فيما يختص بالامور الدينية
اي ما هو من الدين والشرايع النبوية والكلام في عصمة نبينا اي وفي الكلام
في عصمته صلى الله عليه وسلم وفي عصمة ساير الانبيا اي باقيهم صلوات
الله وسلامه عليهم والعصمة قالوا تخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية
او خلق مانع فيه عن المعصية لكن لا بحيث ان يلجيه ويسلب اختياره ويجبره
على الطاعة بل هي لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية
مع بقا الاختيار تحقيقا للابتلا والتكليف كما قاله الماتريدي وياتي الكلام
على ذلك مبسوطا وقال القاضي ابو الفضل المصنف عياض رحمه الله بتمهيد
مقدمة لما سياتي اعلم ان الطواري اي ما يحدث من غير ما قارن خلقته من
التغيرات المغيرة لما خلق عليه والافات جمع آفة وهي ما يفسد ما اصابه
والمافوف ما اصابته وانكره ابو حاتم وقال انما هو مئوف كما في افعال
البشر فيتطرق على احاد البشر بالمد جمع واحد ابدلت واوه همزة ثم الفا لانه
من الوحدة اي افرادهم واشخاصهم لا يخلو من ان يطرا على جسمه اي ظاهر بدنه
وجسده او على حواسه جمع حاسة وهي ما يدرك به من البصر والسمع والشم
واللمس والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة
ومعناهما ادرك وحواس وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره
بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة بغير قصد واختيار بل بخلق
الله المنافية كالامراض والاسقام السقم بمعنى المرض كما في الصحاح وقيل
السقم مسبب عن المرض فالحمى مرض وتغير البدن وضعفه سقم ويقال
سقم وسقم وسقام بمعنى او يطرو بقصد واختيار كافعال العبد واعماله
وكل اي كل ما يطرو باختياره وغيره في الحقيقة اي حقيقة الامر في الواقع
عمل وفعل قال في القاموس الفعل بالكسر الانشا وكناية عن كل عمل فهما
على هذا بمعنى وقال الصاغاني بينهما فرق فالفعل احداث شي من عمل او
غيره فهو اعم خلافا للجوهري الفعل ما يكون في زمان يسير من غير تكرير والعمل
ما تكرر وطال زمنه وقيل الفعل يختص بمن يعقل ورد بقوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث يا ابا عمير ما فعل النغير ولكن جرى رسم المشايخ اي استمرت
عادتهم والرسم المشهور بكتابة ونحوها والفقها استعملوه بمعنى العادة
وهو المراد هنا والمراد بالمشايخ العلما بتفصيل اي تفصيل ما يطرا الى
ثلاثة انواع الاول عقد بالقلب اي نية ثابتة جازمة وعزما مصمما
صادقا والعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل معناه الربط المحكم
والثاني قول باللسان والثالث عمل بالجوارح جمع جارحة وهي العضو

من

من اعضا البدن من الاجتراح وهو الاكتساب وجميع البشر يطرو عليهم الافات والتغير
بالاختيار وبغير الاختيار اي لهم حالات مختلفة تنتقل منها من حال الى حال من نعيم
وبوس ونصر وقهر وهذا امر عام شامل وليس المراد به العزايم واحوال القلب كما
قيل في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم اي جنس النبي او كل نبي
فتعريفه جنسي او استغراقي وليس المراد نبينا مخصوصا لاستوايهم فيما ذكر وان
كان من جنس البشر ويجوز على جبلته بكسر الجيم والبا الموحدة وفتح اللام المشددة
بمعنى الطبيعة والخلقة التي خلق عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة ما يجوز
على البشر سواه وما موصولة في محل رفع فاعل يجوز الذي تقدم فقد قامت اي
تحققت وظهرت البراهين جمع برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم القاطعة اي
القطعية دلالتها على ما ثبت بها وتمت كلمة الاجماع اي انعقد اجماع من يعتد
باجماعه واتفقوا عليه حتى كان كلامهم كلمة واحدة تامة على خروجه عنهم اي
خروج النبي عن جنس البشر غيره وتنزيهه اي تبريته بنفي ذلك عنه وتبعيد
ساحته عن كثير من الافات اي العوارض التي تطرو على البشر فتنقص نفعا ما تم
العقلية التي تقع اي تسند وتتحقق في الواقع والخارج على الاختيار وغير
الاختيار لتكريم الله لهم بالعصمة من امثالها كالامور القبيحة والاخلاق الذميمة
كما سنبينه ان شا الله تعالى فيما ياتي به من هذا الكتاب وهذا القسم من
التقاسيم الموضح لها

فصل في حكم عقد قلب النبي

صلى الله عليه وسلم والمراد بعقد قلبه ما انعقد عليه اعتقاده
وجزم به مما ثبت عنده يقينا من وقت نبوته او رسالته اي اظهارها
للناس بعد الوحي اليه والغاية محذوفة للعلم بها اي الى اخر عمره فعقد
القلب هو الاعتقاد الجازم الذي لا يحتمل النقيض اصلا اعلم تقدم ان
مثله يبتدا به فيما يهتم به والخطاب عام لكل من يصلح للخطاب منحنا
الله عز وجل اي اعطانا وانعم علينا واياك الخطاب كالذي قبله وهو معطوف
على المفعول الاول وقوله توفيقه المفعول الثاني وقوله ان ما يتعلق
منه يطرا في التوحيد مفعول منه لعقد قلب النبي اي اعتقاده وعلمه اليقيني
الجازم الذي اتصف به بعد نبوته وما موصولة والعايد ضمير صفته اي
علمه الذي له تعلق بالتوحيد والعلم بالله اي بذاته وحقيقته وصفاته
الذاتية الثبوتية والسلبية والاضافية وغيرها والايمان به اي بما ذكر
من توحيده وتحقق ذاته وصفاته وبما اوحي اليه بالبنا للمجهول اي بكل
ما اوحاه الله اليه من شرعه ليعمل به او يبلغه لغيره فعلى غاية المعرفة
الفايدة في خبر الموصول ودخول الفا لا يمنع منه كما بينه النحاة يعني
ان علم الانبيا المتعلق باصول الدين والعقايد وصل الى النهاية والغاية
التي لا يصل اليها سواهم ووضوح العلم واليقين اي لتيقنهم لذلك انكشف
لهم انكشافا تاما بحيث انه لا يقبل الزوال ولا يرتاب فيه انفسهم القدسية
وعلى غاية الانتفا عن الجهل بشي من ذلك فليس لهم جهل بشي من ذلك اصلا

او الشك او الريب فيه اي التردد واحتمال نقيضه لانه كحق اليقين الذي لا يطرو
عليه شي من ذلك والعصمة بالجر عطف على المعرفة اي على غاية العصمة وتقدم
معناها عن كل ما يضاد المعرفة بذلك المذكور من التوحيد وما بعده بان
يحصل شي منها وتضاد اليقين من شك او ريب في شي منها هذا المذكور من
علم الانبيا بما ذكر مما وقع اجماع المسلمين عليه ولم يخالف فيه احد منهم
ولا يمتنع بالبراهين الواضحة التي هي في غاية الظهور ان يكون في عقود
الانبيا اي عقايدهم التي ارتبطت عليها قلوبهم سواه اي غيره مما يخالفه
اصلا ولا يعترض على هذا اي ما وقع عليه الاجماع وكشفته البراهين
القاطعة حتى لا يحتمل غيره بوجه من الوجوه بقول ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم فيما حكاه الله عنه اذ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
فجعل الطمينان قلبه بمشاهدة الاحيا يقتضي انه عنده ريبة وشبهة
في ذلك ورده بقوله اذ لم يشك ابراهيم متعلق بالنفي اي انتفى الاعتراض
بما ذكر في اخبار الله تعالى له باحيا الموتى اي ما اخبر الله به من انه هو
الذي يحيي الموتى ويوجدها من العدم ولكن اراد بما قاله مما يوهم الشك
طمانينة القلب قال الراغب الاطمينان السكون بعد الانزعاج واطمان
وتطامن متقاربان لفظا ومعنى انتهى فطمانينته زوال قلقه
وانزعاجه من امرها وترك المنازعة مفاعلة من النزع وهو جذب الشي
عن مقره كنزع القوس ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة ومنازعة
القلوب ميلها الى الشي ما والمراد هنا ترك القلق او ترك الميل الى
الشبهة في كيفية ذلك بعد تحققه عنده كما اشار اليه بقوله
بمشاهدة الاحيا وكيفية صدوره عن القدرة فحصل له العلم الاول
بوقوعه اي تيقن وقوعه من الله اجمالا من غير شبهة فيه واراد
بسواله ربه العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته اي مشاهدة صدوره
عن الله تفصيلا ليزيد علمه واطمينانه لا انه شك فيه وهو جواب
عن الاعتراض الوارد على قولهم ان علم الانبيا عليهم الصلاة والسلام
بالله لا يعتريه شك بان الخليل عليه الصلاة والسلام من اجلهم
وقد شك فاجاب بانه لم يشك ولم يجهل وانما اراد الانتقال
عن علم اليقين وهذا امر لا ضير فيه الوجه الثاني في جواب الاعتراض
على ما وقع من الخليل ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم انما اراد ه
بسواله ربه اختبار منزلته عنده من ربه المراد بالاختبار لازمه وهو
العلم اي ان يتحقق رتبته عند الله وعلم اجابته ودعوته اي
ليعلم انه مقبول عنده حتى لا يرد دعاه ولا يخيب فيه رجاه وان مريه
كيف احيا الموتى وفي نسخة اجابة دعوته بالاضافة وعدم تحقق رتبته
عند الله ليس فيه ما ينقص ويبغض معرفته بربه فان قيل انه يقتضي
شكه في منزلته عند الله وهو خير واقع لا وجه له ولما كان قوله

ابن افترس

تعالى

تعالى في جوابه اولم تؤمن بالاستفهام الانكاري المقتضي بحسب الظاهر نفي ايمانه
فيأول اي اولم تصدق بمنزلتك مني وخلتك اي اتخاذك خليلا واصطفايك اي
اختيارك على غيرك تشريفا وتكريما لك فالايمان بمعناه اللغوي وهو التصديق
والمصدق به المنزلة والاصطفا فانه لا يلزم من النبوة اصطفاه بحيث يطلعه على
اسرار قدرته ولعله كان في اول امره الوجه الثالث انه سال من ربه زيادة يقين
وقوة طمانينته اي ان يقوي طمانينة قلبه وسكونه بحيث يقر قرارا متمكنا
غاية التمكن وان لم يكن في علمه الاول الذي كان قبل المشاهدة شك في شي من امور
الرب وتوحيده وقدرته وهو دفع لما يتوهم من ان هذا الطلب يقتضي الشك
منه بانه انما هو لقبول اليقين الزيادة كما بينه بقوله اذ العلوم الضرورية
التي تحصل من غير استدلال لظهورها والنظرية التي تتوقف على نظر واستدلال
لكونها غير بديهية قد تتفاضل اي يزيد بعضها على بعض لانه تفاعل من
الفضل بمعنى الزيادة كما وكيفا في قوتها لانها كيفيات نفسانية تقبل
التفاوت في الوضوح والخفا والعلم ينقسم الى ضروري ونظري وعلم الله
حضوري اي لا يوصف بذلك اصلا وطريان يقتضيان بمعنى حدوث الشكوك
جمع شك على الضروريات اي العلوم الضرورية كالواحد نصف الاثنين
والضدان لا يجتمعان ممتنع لما هو ظاهر ومجوز بصيغة المفعول اي
يجوزه العقل طريانها وعروضها في النظريات المكتسبة بالنظر والفكر يعني ان علم
الخليل عليه الصلاة والسلام بذلك اولا كان نظريا يقينيا لا شبهة له فيه
ولكن النظريات من شانها انها تحتمل الشكوك فاراد الانتقال الى رتبة اعلى
منها ليكون علمه بقدرة الله على الاحيا ضروريا فيها لا يحتمل خلافه اصلا ليطمئن
قلبه بذلك فقط وهذا معنى ما في المواقف من ان سوال الخليل عليه الصلاة
والسلام لم يكن عن شك في قدرته تعالى بل طلبه لان في عين اليقين ما ليس
في علم اليقين فان للوهم باحداث الوساوس والدغادغ سلطانا على القلب
عند علم اليقين دون عين اليقين وليس في كلام المص رحمه الله ما يقتضي ان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقع منه شك في علمه النظري بل ان النظري
من حيث هو يجوز طريان الشك عليه وفرق بين الشك وجواز تجويزه
على العلم اليقيني لا يقتضي وقوعه حتى يعترض عليه بان علم ابراهيم يقيني
لا يحتمل النقيض وانه يجوز ان يخلق الله فيه علما ضروريا بذلك بعد الوحي
او الكشف وكذا ما قيل من انه اذا علم منه ذلك فما وجه قوله اولم تومن لان
المص اشار الى دفعه في الجواب الثاني فعلم بالقياس عليه اي لم نعلم ذلك
علما غير محتاج للمشاهدة والى هذا اشار المص بقوله فاراد ابراهيم صلى
الله عليه وسلم بسواله الانتقال من النظر اي من العلم الحاصل من البرهان
القطعي اليقيني الذي لا يحتمل النقيض والخبر الصادق بالوحي اليه الذي
لا شك فيه الى المشاهدة والنظر بعينه والترقي اي الصعود الى الاعلى
عن علم اليقين الحاصل بالنظر والخبر الى عين اليقين الحاصل بمشاهدته

ومجوزه

عرضي

ابن افترس

عيانا وهذا يقتضي ان المحسوسات والعلوم الضرورية تستوي يقينا وايقانا وفي الكشاف وشروحه وتفسير القاضي ان العلم الذي من شانه ان يتطرق اليه الشك والشبهة اذا انتفيا عنه كان ايقانا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا الضروري فلا يقال تيقنت ان الكل اعظم من الجزء وبيانا فيه قوله في سورة التكاثر علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين وقد بيناه في حواشي القاضي فليس الخبر كالمعاينة هذا من الامثال النبوية ورد في حديث مرفوع رواه احمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله اخبر موسى بما صنع قومه بالعجل فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا القى الالواح فانكسرت وقال الشاعر

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سال المعاينة الكليم

ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته سال الخليل عليه الصلاة والسلام كشف غطا العيان اي الغطا المانع للعيان بكسر العين كما مر اي المعاينة والغطا ما يغطيه ويستره ليزداد بنور اليقين اي بما ينوره ويظهره عيانا تمكنا في حاله من العلم والمشاهدة ليكون على بصيرة تامة في معرفة الله وفيه استعارة مكنية مرشحة لتشبيهه بامر محتجب تحت غطا ازالته المشاهدة والكلام على علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين والفرق بينها بحسب اللغة ظاهر وللصوفية فيها اصطلاح اورده بعضهم هنا وبنى عليها امورا واهية ولا حاجة لنا به وهاهنا سؤال مشهور وهو مروي عن علي كرم الله وجهه انه قال لو كشف الغطا ما ازددت يقينا فقيل كيف يقول هذا والخليل عليه الصلاة والسلام يقول ولكن ليطمئن قلبي فطلب كشف الغطا ليزداد يقينا وهو اجل رتبة ونقل السبكي عن الغزالي رحمه الله انه قال اليقين يتصور ان يطرا عليه الجحود لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يطرا عليها ذلك وقال ابن عبد السلام اراد علي ما ازددت يقينا في الايمان وان كان برؤيته يزداد بمعرفة تفاصيلها كمن راي بنار عجيبا علم ان له صانعا قادرا فطلب ان يرى كيف يبني وعندي ان السؤال غير وارد راسا حتى يحتاج لما قالوه فان كلاهما لم يتواردا على امر واحد اذ مراد علي كرم الله وجهه ان امور الاخرة التي عرفها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف على حقايقها بالكشف اذا شاهدها عيانا لا يزيد يقينه بها والخليل عليه الصلاة والسلام طلبه في الدنيا ان يشاهد كيفية الاحيا ونفخ الروح لامر اخر واين هذا من هذا فهذا حق يحتاج للتوقيف الوجه الرابع انه اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما احتج على المشركين يعني نمروذ وقومه بان ربه يحيي ويميت بقوله ربي الذي يحيي ويميت طلب ذلك اي سال ربه الاحيا وكيفيته ليصح احتجاجه ويتحقق ما انكروه عيانا ومشاهدة ليقطع عنادهم

ويبطل

ويبطل شركتهم وهو في نفسه غير متردد فيه فقوله اولم تؤمن تعريض لهم على حد قوله اياك اعني فاسمعي يا جارة ولا طريق لالزامهم الا هذا فسقط ما قيل انه لا يلزم من اقامة البرهان شي مشاهدته الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب والمراد منه حقيقة اقدرني على احيا الموتى ليكون معجزة له كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام ليفحم من عارضه ويوبخهم فلم يسند الاحيا اليه تادبا منه واسنده الى الله لانه المحيي والمميت حقيقة وان اجراه على يد غيره ومعنى قوله ليطمئن قلبي على هذا التقدير اطمئنانه عن هذه الامنية بنجح المسئول ما يتمنى ويراد وهي معجزة احيايه الموتى عيانا وقوله اولم تؤمن اي اولم تصدق باني مجيب دعوتك ومعطيك امنيتك او تعريض كما تقدم وقوله ارني الخ تجوز به عن سببه ولازمه لانه اذا اقدره على شي وفعل منه راه فلا يرد انه لا دلالة للفظ على هذا المعنى ولا تمكن مع قوله اولم تؤمن الوجه السادس انه اري اي اظهر لغيره من نفسه وفي نسخة راي في نفسه والاصح ما تقدم لاحتياج هذه للتكلف الشك اي صورته والتكلم به وما شك حقيقة لقوة يقينه وكمال علمه بالله وقدرته ولكن فعل ذلك ليحاوب بالبنا للمجهول اي ليجيبه ربه تادبا منه فيزداد قربه من الله حال مناجاته له ويتلذذ بخطابه وشرفه بقرب منزلته عنده لاعتنائه باجابته واستبعد هذا بانه كيف يظهر ما هو منتف عنه مما يؤدي الى تنقيصه وسوء الظن باعتقاده وليس بشي لانه انما يتم ما قاله لو استمر على حاله اما اذا ادى الى ما يحقق كماله ويتقنه كما هو معروف في طريق المجادلة والجري مع الخصم حتى يفحمه فلا وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم هذا جواب عن سؤال تقديره قد نفيت الشك عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه الاجوبة والنبي صلى الله عليه وسلم اثبت له في هذا الحديث وجعل نفسه احق بذلك منه فاجاب بما اجاب به المزني صاحب الشافعي فقال هو نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر جمع خاطر او خاطرة بمعنى القلب او الشبهة لانها في الاصل ما يعرض للانسان من الافكار والشبه وتجوز بها عن محله وهو القلب ويصح ارادة كل منهما هنا وقوله الضعيفة اي التي تدمغ بادنى تامل لظهور بطلانها وان يظن هذا اي الشك بابراهيم لان مقامه يجل عن مثله وحاصله انه صلى الله عليه وسلم قصد نفي الشك عنه ببرهان قوي وقياس منطقي تقريره لو شك ابراهيم كنت انا شاكا ايضا انا احق اي اولى واقرب له لكوني لا يجوز علي ما يجوز على غيري من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وما كنت بدعا من الرسل وقد علم اني لم يقع مني شك قط فكذلك ابراهيم ايضا فنفاه بنفي لازمه الا انه صلى الله عليه وسلم افضل من ابراهيم ولا يلزم من نفي شي عن الفاضل نفيه عن المفضول فكيف قال انه احق منه واشار المص الى جوابه بقوله اي نحن موقنون بالبعث واحيا الموتى عطف تفسير على البعث فلو شك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابراهيم اشارة الى انه قياس استثنائي لكنا اولى بيان لان احق بمعنى اولى
بالشك منه اي من ابراهيم ثم اشار الى دفع السؤال الوارد على قوله احق كما
قدمناه بانه اما على طريق الادب منه مع ابيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
بقوله احق او ان يريد بقوله نحن امته الذين يجوز عليهم الشك لعدم عصمتهم
لانه كثيرا ما يسند لنفسه ما هو لامته لنكتة تقتضيه اي انتم مع انكم دون
مقام ابراهيم لم تشكوا فكيف به لانه قيل ان بعضهم لما سمع قوله اولم الخ
قال ان ابراهيم شك او قاله على طريق التواضع منه وهو قريب من الجواب
الاول مع الترفق الظاهر والاشفاق اي الخوف من ان يبتلى بما ابتلى به
ان حملت بالبنا للمفعول ونايب فاعله قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
في سؤاله ربه على اختبار حاله بالبا الموحدة وهو الوجه الثاني من الاجوبة
السابقة كما تقدم او زيادة يقينه وقيل انه قاله قبل علمه بانه افضل
من ابراهيم وقيل انما قاله لما غاب من انكار قومه البعث فتامل ثم اورد
دفع شبهة تتوهم من ظاهر بعض الايات وتقريرها ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لا يطرو عليهم شك في عقايدهم وفيما اوحي اليهم
فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
بنا على ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم لا عام له ولغيره والشك
فيه شك في انه من عند الله ومطابق لما اوحي لغيره من الانبيا فاسئل الذين
يقراون الكتاب من قبلك الايتين يعني لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين وفي
الاربعين ان هذه الشرطية غير ممكنة فاحذر ثبت الله قلبك جملة
دعائية معترضة ان تخطر ببالك اي قلبك وفكرك ما ذكره بعض المفسرين
ممن لم يرسخ قدمه في النظر وليس من اهل التحقيق وهو مبالغة في عدم
اعتقاد مثله عن ابن عباس او غيره من السلف من اثبات شك النبي
صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه بنا على ظاهر اللفظ وانه من البشر
فيطرو عليه صلى الله عليه وسلم ما يطرو عليهم فمثل هذا اي هذا
وامثاله او مثله غير جايز فكيف به لا يجوز اي يطرا عليه جملة اي
لا يجوز كله ولا شيء منه بل اضطراب انقطاعي فقد قال ابن عباس فيما صح
روايته عنه كما قاله ابن ابي حاتم في تفسيره لم يشك النبي صلى الله
عليه وسلم لان الشرطية فرضية غير ممكنة ولو قلنا الخطاب له صلى
الله عليه وسلم ولم يسال احدا من اهل الكتاب ونحوه عن ابن جبير
والحسن البصري وحكى قتادة كما رواه ابن جرير ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لما نزلت الاية لا اشك ولا اسال وفي نسخة ما اشك في شيء
من ذلك وعامة المفسرين اي كلهم يقال جاوا عامة وقاطبة اي
جميعا على هذا اي متفقون على انه ليس المراد انه شك او سال
وبعد اتفاقهم على هذا اختلفوا في معنى الاية المقصود بها فقيل

المراد

المراد قل يا محمد للشاك اي لمن يشك في الوحي المنزل عليك ان كنت في شك من ديني
الاية فالخطاب ليس له صلى الله عليه وسلم فلا ترد الشبهة وبراءة ساحته قرينة
قرينة وتقدير القول كثير في كلام العرب قالوا اي الذاهبون لهذا التاويل وفي
السورة نفسها عطف على مقدر اي في القران ما يدل عليه وفي السورة الخ ما يدل
على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقوله قل
بدل من ما او خبر مبتدا تقديره هو ويجوز نصبه اي اعني قوله والاية تمامها
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ووجه السؤال
ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يعتريهم شك في شيء من امور الدين
والاية بحسب ظاهرها دالة على خلافه فاجاب بان الخطاب لغيره وايده بانه ورد
مصرحا به في هذه السورة والقران يفسر بعضه بعضا كثيرا ووصف الله بانه
الذي يتوفاهم ويميتهم كما احياهم لتهديدهم وتنبيها لهم على انه الذي
ينبغي ان يخاف منه ولا يشك فيه احد فضلا عن سيد الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وقيل المراد بالخطاب في قوله فان كنت في شك الاية العرب وغير
النبي صلى الله عليه وسلم وافراد الضمير لتاويله بمن يسمع الخطاب فالخطاب
بحسب ظاهره له والمراد غيره بطريق التعريض ومثله كثير في القران وكلام العرب
كقوله يا ايها النبي اتق الله بدليل قوله بعده واتبع ما يوحى اليك من ربك
ان الله كان بما تعملون خبيرا ولو كان الخطاب له قال بما تعمل ووجه الخطاب تعظيما
له وتهويلا لامر الشرك كما قال الله عز وجل لئن اشركت ليحبطن عملك اي يفسد
ويسقط عن الاعتبار ويبطل من حبطت الدابة اذا افرطت في الرعي حتى ماتت
وانتفخت وجعل هذه الاية منبها لها لانه اظهر في التعليق بالمحال لان الخطاب
فيها للرسل كلهم اذ اولها ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من
الرسل لئن اشركت الخ وافرد لان المراد كل واحد منهم وهم مبرؤون عن الشرك
فالمراد بذلك اممهم ممن يجوز عليه الشرك واليه اشار بقوله الخطاب له
والمراد غيره تعريضا وتهييجا لحميتهم حتى ينتهوا عن الوقوع من احب خلق
الله لم يعف عنه ومثله اي مثل ما ذكر من الخطاب المقصود به غيره قوله تعالى
فلا تك في مرية اي شك وريب مما يعبد هؤلا اي لا تشك في انه ضلال باطل
مود الى العذاب الشديد ونظيره مما قصد بالخطاب الغير كثير في القران
وكلام العرب وهو باب واسع يسمونه التعريض والتلويح وله نكات
ومقاصد جليلة كحمله على قبول ما يلقى والاذعان واطفاء نار الغضب وصحة
كما فصله اهل المعاني وقسموه اقساما مشهورة قال بكر بن العلا بفتح
العين وهو القاضي بكر بن العلا من علما المالكية الاجلا ومما قاله مؤيد
لما قدمه من ان الخطاب لغيره الا ترى اي الله عز وجل يقول في هذه الاية
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فهذا شاهد صدق في غاية الظهور
وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب بالتشديد وصيغة اسم المفعول
من التكذيب فهذا كله مما ذكر في تلوين الخطاب يدل على ان المراد بالخطاب

٧ فيما يدعو اليه اي من التوحيد
فكيف يكون ممن كذب به صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

غيره لانه لا يصح كونه مرادا بالخطاب لظهور فساده لما عرفته مما قرره ومثل
هذه الاية في ان المقصود بالخطاب غير من القي اليه فقوله تعالى الرحمن فاسئل
به خبيرا الى هذه الاية دليلا لما قاله من انه قد يؤمر الرسول بامر والمقصود
امر غيره من امته اذ يسال النبي صلى الله عليه وسلم فهو مسؤول وان كان
ظاهرا لتطرا انه سايل كما بينه بقوله المامور ها هنا اي في قوله فاسئل به
خبيرا غير النبي صلى الله عليه وسلم من امته ليسال النبي والنبي هو المقصود
بقوله الخبير اي العارف بحقيقة الامر فهو في الحقيقة المسؤول منه لا السائل
السائل هو تفسير للمستخبر اي الطالب للخبر السائل عنه وهذا وما قبله
من كلام بكر بن العلا رحمه الله وهذا ابنا على احد التفاسير في هذه الاية
وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر ان يسال جبريلا والله عز وجل
والاية على ظاهرها وقيل انه امر بسؤال اهل الكتاب فيصدقوه لتندفع
شبهة المشركين وقيل الضمير راجع للرحمن وان المشركين انكروا اسم الرحمن
فالمعنى ان انكروا اطلاق الرحمن على الله فاسئل اهل الكتاب ليخبروهم
باطلاقه عليه في الكتب المنزلة على غيرك من الرسل وعلى هذا فلا شاهد
فيه لما نحن بصدده والباء سببية او تجريدية او بمعنى عن وقال بكر بن
العلا في معنى قوله تعالى فان كنت في شك الاية ان هذا الشك الذي
امر به غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب
عنه من الاحبار والرهبان انما هو فيما قصه الله عز وجل في كتابه
الكريم من اخبار الامم السالفة مع انبيائهم ونجاة المؤمنين منهم وهلاك
من كفر فانهم امة امية لا يعرفون احوال الامم ولم يصدقوا بما قصه الله
عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم لا فيما دعى النبي صلى الله عليه
وسلم اليه اي الى الايمان به من التوحيد اي الايمان بالله ووحدانيته
والشريعة التي شرعها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وبلغها لهم
وامرهم باتباعها من الملة الحنيفية فان هذا امر لا تندفع شبهة المشركين
فيه بسؤال اهل الكتاب وانما تندفع بالبراهين والمعجزات الباهرة وهذا
اي امر النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال والمقصود امر غيره مثل
قوله عز وجل واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية اي اقرا الاية
بتمامها وهو اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وذا لاستفهام انكاري
لتكذيبهم ونفي ما ادعوه ببرهان تقريره اي لم تجعل الهة غير الله تعبد
في ملة من الملل لاجماع من قبلك من الانبيا على توحيد الله فهو امر لم تتبدله
فكيف يكذب ويعادى من اتى به ولما كان هذا ظاهرا لانه مشكل لانه
امره صلى الله عليه وسلم بسؤال الرسل الذين قبله وهم غير موجودين
فكيف يتمكن من سؤالهم وهو ايضا عالم بالتوحيد متيقن له كما اخبره
الله به غير محتاج للسؤال عنه اشار الى تاويلها بقوله المراد به المشركون
والمسؤول منه اهل الكتاب واحبارهم فالمعنى اسالوا علماء اهل الكتاب

اي اسأل عنه تعالى عالما يخبرك بجلال ذاته و كمال صفاته علي القاري

العالمين

العالمين بما انزل على الرسل من قبلك هل في كتبهم غير التوحيد والخطاب في
هذه الاية مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم لامر به ظاهرا والمقصود غيره
من المشركين قال اي هذا التاويل والتوجيه القتبي اختلفت النسخ هنا
ففي اكثرها القتبي بقاف مضمومة ومثناة فوقية مفتوحة وبا موحدة
وياء نسبة مشددة وفي بعضها القتيبي بزيادة ياء مثناة تحتية بعد التاء
الفوقية وهما بمعنى والمراد به امام اهل اللغة والتفسير ابن قتيبة بن
سعيد بن طريف بن جميل صاحب التاليف الجليلة المشهورة وفي بعضها العتبي
بضم العين المهملة وسكون التا المثناة الفوقية والموحدة وهو عالم على
مذهب مالك فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز القرطبي العتبي
نسبة لعتبة بن ابي سفيان لانه من مواليه وهو صاحب كتاب العتبية
المشهورة في مذهب مالك وتسمى المستخرجة كما تقدم بيانه ورجح البرهان
الحلبي النسخة الاولى وقيل معناه المذكور في هذه الاية سلنا اصله اسالنا
فنقل حركة الهمزة للسين فحذفت همزة الوصل وهي لغة مشهورة وضمير
العظمة لله وحده عمن ارسلنا فحذف الخافض اي عن الجارة وتم الكلام من غير
تعلق له بما بعده بعد حذف المفعول والجار وايصال الفعل بنفسه ومثله
كثير وان كان غير مقيس ثم ابتدا الكلام واستانفه فقال اجعلنا من دون
الرحمن الى اخر الاية يعني الهة يعبدون على طريق الانكار لعبادة غير الله
بالاستفهام الانكاري الذي هو في معنى النفي فلذا قال اي ما جعلنا الهة
فلا عبادة لغيره وفي نسخة ما جعلناه وفي نسخة حكاه قاله مكي بن ابي طالب
الامام المقرئ الزاهد صاحب التاليف الجليلة ولد بالقيروان واقام بالاندلس
بعد اقامته بمكة ولذا نسب اليها كما تقدم وقيل في تاويل الاية وامره بسؤال
الرسل وهم غير موجودين انه امر صلى الله عليه وسلم وامر مبني للمفعول
والفاعل اي امره الله ورجح الاول هنا ان يسال الانبيا لما اجتمع بهم ليلة
الاسرا كما مر من اجتماعه بهم في السما عن ذلك اي عن جعله الهة تعبد
من دونه فكان صلى الله عليه وسلم بما كشف له من عين اليقين اشد
يقينا واكثر علما بالله وبما جعله من تايد الانبيا من ان يحتاج الى السؤال
منهم لانه اعرفهم بالله وبما فعله وفي فعله وقيل اشارة الى ضعفه الا
ان مثله لا يقال من قبل الراي وسلة يقينه صلى الله عليه وسلم معروف
فامره بذلك انما هو لاظهار امره ورفعة قدره فلا وجه للاعتراض عليه بما
ذكر وروي انه صلى الله عليه وسلم روي مبني للمجهول واوله انه
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بعث الله له ادم وولده من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فاذن جبريل ثم قال له يا محمد سلهم فلما
قال له عن الله سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون ومن ثم قيل ان هذه الاية قد نزلت بناء على ان ذلك كان
ببيت المقدس قبل العروج فقال لا اسال احدا منهم قد كفيته وفي نسخة

ابن اقبوس

اكتفيته بما عندي من اليقين الذي ثلج به صدري قاله ابن زيد هو عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم كما تقدم وليس فيه مخالفة لامر الله له بالسؤال لانه علم انه لم يسأل امر
ايجاب بل اظهار لعلمه وشدة يقينه وقيل معناها سل امم من ارسلنا بتقدير
مضاف بقرينة ان الرسل لم يكونوا موجودين لما امر بالسؤال بل الاخبار من امهم
هل جاءوهم اي هل جاءهم رسلهم من عند الله بغير التوحيد اي اعتقاد
وحدانيته وعبادته وحده والاستفهام تقريري اي ما جاءوهم الا بهذا
فهو لنفي مجيئهم بغيره وهو اي ما ذكر معنى قول مجاهد والسدي والضحاك
وقتادة في تفسير هذه الاية والمراد بهذا اي ما قاله مجاهد ومن ذكر بعده
والذي قبله مما حكاه بقيل او ما ذكره ابن زيد ومن تقدمه وقيل المراد
بهذا قوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية والذي قبله قوله
فان كنت في شك الخ اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل
من التوحيد وان الله سبحانه وتعالى لم ياذن لاحد من الرسل وامهم في
عبادة غيره عز وجل ردا على مشركي العرب وغيرهم من عبدة الاصنام وغيرهم
وترد المفعول لاجله تعليلا لما قبله من مراد الله فانه لا يتصور نسبة ما ذكر
له صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى حكاية عنهم ما نعبدهم
اي الاوثان الا ليقربونا الى الله زلفى اي قربى من زلف بمعنى قرب وهو
مؤكد لما قبله وفي نسخة في قولهم انما نعبدهم ليقربونا وتفصيله في
التفاسير وفي الشرح الجديد ان الاجوبة المذكورة كلها بعيدة وان الذي
لهم لتاويل الاية بما ذكر قصور النظر عن نفوذ مقامه صلى الله عليه وسلم
واتصاله بالملا الاعلى في كل حين واجتماعه بارواح الانبيا واطال في ذلك
بنقل كلام ساداتنا الصوفية وهو قريب مما ذكره المص في سؤاله في
قصة الاسرا ولولا خشية الاطالة بلا طايل نقلنا كلامه هنا وكذلك
اي مثل ما ذكر من الايات التي تنسب له صلى الله عليه وسلم الشك فيها والمراد
غيره بلا شك قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه اي القران
منزل من ربك بالحق اي ملتبسا به ونسب للعلم لجميعهم لعلم احبارهم به
وتمكن باقيهم من ذلك بادنى تامل فلا تكونن من الممترين اي لا يكن
عندك شك فالمراد ظاهرا نهيه عن الشك والمراد نهي غيره كقوله قل
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ووجه اخر اشار اليه بقوله اي
في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك اي بحقيقة ما نزل عليك وانك
رسول الله حسدا منهم وجحدا ما تبين لهم الحق وليس المراد به اي بقوله
فلا تكونن من الممترين شكه صلى الله عليه وسلم فيما ذكر في اول الاية
يعني قوله فان كنت في شك كما يتوهم من ظاهر الاية بل المراد كما قلنا
ذلك وقد يكون ايضا هذه الاية واردة على مثل ما تقدم اي على طريقة
في التاويل السابق بان يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود
غيره على نهج الكناية التعريضية التلويحية اي قل يا محمد لمن تمتري

وشك

وشك في ذلك اي في حقيقة ذلك وانك رسول الله فلا تكونن من الممترين في ان القران
نزل عليك من الله ارسلك به وايدك بمعجزاته فليست الاية على ظاهرها بدليل قوله
تعالى في اول الاية التي فيها والذين اتيناهم الكتاب افغير الله ابتغي حكما الاية
اي لا اريد حاكما غير الله يحكم بيني وبينكم بتمييز المحق والمبطل فهذا صريح في
انه صلى الله عليه وسلم متبرا عن الشك والريب وان النبي صلى الله عليه وسلم
مخاطب بذلك اي بما يدل على الشك والامترا غيره من اهل الكتاب والمشركين
كما تقدم بيانه وقيل هو اي ما ذكر مما نسب اليه فيه ما لا يليق وقيل المراد
امره صلى الله عليه وسلم بالسؤال في الاية تقرير اي حمل لغيره على ان يقر بما
عنده فيزجر عنه او بالحق حتى يسجل عليه كقوله ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله فانه استفهام تقريري حمله على الاعتراف توبيخا لغيره
ممن اسند ذلك لغيره وقد علم الله سبحانه وتعالى انه لم يقل ذلك وقيل
معناه اي معنى الامر بالسؤال في الاية ما كنت في شك في حقيقة ما انزل اليك
فاسئل الذين يقرءون الكتاب تزدد سكونا طمانينة اطمئنان قلب وعلما الى علمك
ويقينا الى يقينك فانه يقبل الزيادة كما تقدم وقيل معناه وتاويله
ان كنت تشك فيما شرفناك وعظمناك وفضلناك به لا في امر التوحيد والدين
فسلهم اي اهل الكتاب عن صفتك في الكتب المنزلة على من قبلك ونشر فضايلك
اي ما انتشر فيها وشاع من فضايلك التي فضلك الله بها على غيرك من الرسل
وحكي عن ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي امام اهل اللغة توفي سنة عشر
او احدى عشرة ومائتين وقد قارب المائة ان المراد من هذه الاية اذ كنت في
شك من غيرك من اعتقاد غيرك فيما انزلنا اليك من الحق المتقدم
من الضلال فاسئل الذين يقرءون الكتاب حتى يخبروك بما عندهم فيه
فان قيل فما معنى قوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد
كذبوا جاءهم نصرنا على قراءة التخفيف في كذبوا اي تخفيف الذال والبناء
للمفعول استياس استفعل من الياس ضد الرجاء واستياس بمعنى يئس
كاستعجب بمعنى عجب الا ان فيه مبالغة في الياس عند الزمخشري لان زيادة
المبنى تدل على زيادة المعنى وبهذه القراءة قرا عاصم وحمزة والكسائي
وغيرهم وفي المعنى المشددة مخالفة لهم ليئسوا منهم فظنوا انهم
ان ما وعدوا به من النصر عليهم كذبا والوعد من الله الذي لا يخلف الميعاد
فهذا منهم يقتضي شكهم فيما جاءهم من الوحي وهم منزهون عن مثله
فهذه شبهة تقتضي خلاف ما قررناه اولا وحتى غاية معناها محذوف
قدروه بوجوه متقاربة منها ما ارسلنا قبلك الا رجالا لا تراخى النصر عنهم
حتى ييئسوا منه وظنوا تخلف ما وعدهم الله به فاجاب المص عنه بقوله
قلنا جوابا عن هذه الشبهة التي هي اقوى مما قبلها الان في تلك نسبة
الشك بحرف الشرط المقتضي لعدم وقوعه وفي هذه نسبة الظن باذا
المقتضية لتحققه المعنى في ذلك اي في نسبة الظن المذكور في الاية

ما قالته عايشة ام المؤمنين معاذ الله منسوب على المصدرية اي انزه الله وابريه
ان يظن ذلك الرسل بربهما اي تظن ان الله اخلفهم ما وعدهم به وانما معنى ذلك اي
ما ذكر في الاية ان الرسل لما استياسوا ليس المراد انهم وقع منهم ياس من انجاز ما
وعدهم الله به بل المراد انه طالت المدة عليهم فاستشعار الياس له او المراد انهم
ييئسوا من اتباعهم بقرينة قوله ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم جمع تابع
كاصحاب جمع صاحب كذبوهم بالتخفيف والتشديد اي اخلفوا ما وعد وارسلهم
به من نصرهم على عدوهم فليس ياسهم وظنهم التكذيب معناه الياس من
نصر الله والتكذيب كذب وعد الله لهم فلا يرد عليه ما ذكر من الشبهة وعلى
هذا التاويل اكثر المفسرين وفيما نقله المص عن عايشة نظر فان المروي عنها
في صحيح البخاري ان عروة بن الزبير سالها عن هذه الاية فقال لها وقد تلا
الاية اهي كذبوا ام كذبوا اي بالتشديد او بالتخفيف فقالت كذبوا بالتشديد
فقال اجل لعمري لقد استيقنوا بذلك وظنوا انهم قد كذبوا قالت معاذ
الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها فقال لها فما هذه الاية قالت هم
اتباع الرسل الذين امنوا بربهم عز وجل وصدقوهم وطال عليهم البلا
واستاخر عنهم النصر حتى استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم فظنت الرسل
ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك قلت لا منافاة بين ما
ذكره المص هنا وبين ما في صحيح البخاري اذ مراده انه على قراءة التخفيف
والتشديد المعنى واحد وانكارها قراءة التشديد لا لانها لم تبلغها
لا لان معناها لا يصح ولا لانها لا تاول بما ذكر وقول عايشة معاذ الله ليس
لانكار هذه القراءة بل لما فهمه عروة منها من ان الرسل ظنوا بربهم ما هم
معصومون عنه فضمير ظنوا للرسل وكذبوا مبني للمجهول وفاعله
اتباع الرسل لا الله كما تقدم وقيل الظن هنا بمعنى الوسوسة
والهاجس وان انفسهم كذبتهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وله
تفصيل في الكشاف وشروحه وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على
الاتباع والامم اي امم الدعوة لا امم الاجابة المؤمنين برسلهم
لا على الانبيا والرسل فظن بعض اممهم ممن لم يؤمن بهم ان الرسل
كذبوا فيما وعدوهم من النصر على اعداهم او الاتباع وان لم يسبق لهم
ذكر معلوم من فحوى الكلام لان الرسل لا بد لهم من مرسل اليه
مومنا كان او كافرا وفي مرجع الضمير من اختلاف بين المفسرين علم مما ذكر
ويجوز ان يراد امة الاجابة مطلقا وهذا الظن يقع مثله وان كان
منكرا من المومن مثله وهو اي هذا التفسير المذكور قول ابن عباس
والنخعي وابن جبير وجماعة من العلما اي علما التفسير من السلف
ولهذا المعنى اي بسبب هذا المعنى الذي جعل فيه ضمير ظنوا للامم قرا
مجاهد اي اختار ورجح قراءة كذبوا بالفتح اي للكاف والتخفيف بنيا
للفاعل اي ظنوا ان رسلهم كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على

اعدائهم

اعدائهم فان القراءة سنة متبعة لا تكون بالراي وان جاز ترجيحها على غيرها كاختيا
القرا ووجهه كما قيل انه على هذه القراءة يكون ضمير ظنوا للاتباع اي ظن اتباع
الرسل ان الرسل كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على اعدائهم فلا ينافي هذا
عصمة الرسل لان صدور مثل هذا الظن عن غيرهم جائز عقلا ويمكن على
قراءة التخفيف والبنا للمجهول ايضا ان يفسر بهذا ايضا بان يجعل فاعل كذبوا
المحذوف راجعا الى الاتباع وقيل انه تمثيل كيقدم رجلا ويؤخر اخرى فشبه
حال الرسل لما ابطا عليهم النصر وصاروا في غم وكرب بحال من وعد بامر يحتاج
اليه ولم يجد له فقط وحديث نفسه بان مواعيده عرقوبية فبينما هو كذلك
جاءه الفرج واليه ذهب الزمخشري فلا تشغل بالك الفا فصيحة في جواب شرط
مقدر اي اذا عرفت ان ما فسر به الاية جاريا على مقتضى مقام النبوة فلا تجعل
فكرك مشغولا بغيره مما يوهم خلافه فالبال بمعنى القلب والفكر وتشغل
بفتح اوله وثالثه هو الفصيح من شاذ التفسير اي غريبه مما لم يشتهر
فالشاذ حقيقته المتفرد فتجوز به عما ذكر وهو بيان لقوله بسواه اي بغير
والضمير لما ذكر وقيل لقول عايشة رضي الله عنها مما لا يليق اي يناسب وهو
بدل من قوله بسواه بمنصب العلما اي بمقامهم ومقدارهم وهذا معناه
لغة ويكون بمعنى الحسب واطلاقه على الاعمال السلطانية مولد وما موصولة
عبارة عن الشك في مثله فكيف بالانبيا اي فكيف يليق بهم عليهم الصلاة
والسلام وكيف يجوز لها عن الاستبعاد نحو كيف تكفرون بالله ويجوز
ان يريد بالشاذ ما ذكر في مصطلح الحديث وهو ما خالف الراوي فيه غيره
من الثقات والمراد به ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اخلفوا
ما وعدهم الله به لانهم بشر وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول
الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وقد ضعف ابن الانباري هذه
الرواية عن ابن عباس وقال الزمخشري ان صح عنه هذا فالمراد بالظن
الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشر لا الطرف الراجح فانه لا يليق
لهم ان يظنوا ان الله مخلف وعده وتوقف في صحة هذه الرواية عنه وتبعه
البيضاوي واعترض عليه بانها ثابتة عنه في صحيح البخاري وقال الخطابي
لا شك ان ابن عباس لا يجوز على الرسل الشك في الوحي فيحمل كلامه على انهم
لشدة تاخره وابطائه توهموا ان انفسهم غلطت في تلقي ما ورد عليهم
منه فالمراد بالكذب الغلط كقولهم كذبتك نفسك وقال القشيري انه
هاجس خطر على قلوبهم فصرفوه عنها فالمعنى انهم قربوا من الظن وقال
الحكيم انهم ظنوا تخلفه لتخلف بعض شروطه لا انهم اتهموا الوحي ورجح
ابن حجر ان الظان اتباعهم وحمل عليه كلام ابن عباس وهو بعيد جدا
وكذلك اي مثل ما ذكر مما ظاهره الشك فيما جاء من الوحي وهو ما ورد
او مثل قوله استياس الرسل الاية ما ورد في حديث السنة اي الحديث
المتعلق بسبب نبوته وطريقته صلى الله عليه وسلم في النبوة وهو ما رواه

رواية
عرضي

البخاري وغيره ومبدا الوحي اي ما وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتدايه من قوله
لخديجة ام المومنين رضي الله عنها لما اخبرها برؤية جبريل عليه الصلاة والسلام ومو
عه لقد خشيت على نفسي اي خفت عليها فان ظاهره انه شك في انه وحي اتاه به الملك
لان مثله صلى الله عليه وسلم لا يخشى وليس معناه الشك فيما اتاه الله اي اوحي
اليه به اليه ولكن لعله خشي وخاف ان لا تحتمل قوته اي لا تطيق قواه البشرية مقاومة
الملك اي مقابلته وان لا يقوم بحقه ومكالمته واعبا الوحي استعارة لانه جمع عب
وهو الحمل فاستعير لمقاساة مشاقه ففيه استعارة مكنية وتخييلية فينخلع قلبه
وفي نسخة لينخلع قلبه واصل معنى الخلع النزع كما قال تعالى فاخلع نعليك
فاستعير لشدة الخوف كانه نزع قلبه وتزهق نفسه اي تخرج روحه من فزعه
وهذا اتباعا على ما ورد في الحديث الصحيح انه قاله اي قوله خشيت على نفسي بعد
لقائه الملك حين ظهر له وبشره بانه رسول الله او يكون قال ذلك قبل لقياه الملك
وقبل اعلام الله له بالنبوة اي انه صيره نبيا وفيها خشيه اثنا عشر وجها فقيل
خشي الجنون او انه هاجس وهو باطل ايضا لانه لا يستقر وهذا استقر وحصلت
بينهما المراجعة ووسوسة او الموت من شدة الرعب او المرض وبه جزم ابن ابي جمرة
او دوامه او العجز عن النظر للملك او القتل او عدم الصبر على اذى قومه او
تكذيبهم الى غير ذلك من الاقوال واضعفها الاول والثالث وكذا القول بانه
خشي تعييرهما اياه هو الصحيح لما في البخاري وغيره كما ياتي من انه غطه وقال
له اقرا ومن قال انه قبله يقول في زمن الارهاص والمنامات وضعفه الكرماني
لان اللام بمعنى في كما في قولهم كتبته لست خلون من الشهر مما عرضت بالبناء
للمجهول اي اظهر له ورآه من العجايب اي الامور الخارقة للعادة المفسرة بقوله
وسلم عليه الحجر والشجر اي قال السلام عليك يا رسول الله والمراد الجنس او
شي معين منهما وقد روي انه الحجر الاسود كما تقدم في المعجزات وهو كان
قبل النبوة وبعد مبعثه ايضا وبدايه المنامات الصالحة التي كان يراها
صلى الله عليه وسلم في اول امره ورويا الانبيا قسم من الوحي والتباشير اي
العلامات المبشرة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمقدمات الدالة على
النتايج قال في الاساس من المجاز تباشير الفجر وهي اوايله كانها جمع تبشير
مصدر بشر وفيه مخايل الخير وتباشيره وتباشير التمر بواكيره قال ابن كمال
وهذا ابين مما في قول الجوهري التباشير البشرى وتباشير الصبح اوايله وكذا
اوايل كل شي ولا يكون منه فعل من الخلل قلت يعني انه انكر فعله وكلام
الزمخشري يدل على خلافه والمخطي ابن اخت خالته لان الفعل من البشارة وهي
الخبر السار لامن الاولية والتقدم واعلم انه يقال في تباشير بشاير ايضا
قال ابو فراس ۞ امقول وقد نم الحلي بحسه ۞ علينا ولاحت للصباح بشايره ۞
كما روي في بعض طرق هذا الحديث اي حديث مبدا الوحي ان ذلك اي المذكور
من التباشير كان في المنام اولا اي في ابتدا البعثة ثم اري في اليقظة عند
المنام مثل ذلك اي مثل ما راى في المنام اولا تانيسا له صلى الله عليه وسلم

اي

اي لعدم تحمل له الانس بالملايكة والوحي فيراه اولا مناما ثم يراه جهرة لئلا يفجاه اي يراه بغتة
وابتدا من غير تدرب في رؤيته مشاهدة برؤية البصر ومشافهة اي يخاطبه بفهمه
حقيقة فلا يحتمله اي يقدر عليه ويطيقه لا ول حاله بالاضافة للضمير وبالتانيث
اي في اول احواله لعدم تدربه وتانسه ببنيته فعلة بالكسر لهيية البنا والمراد جسده
وما جبلت عليه البشرية اي الانسانية فانه لا يطيق رؤية الملايكة ابتدا وهذا اشارة
الحديث البخاري من انه صلى الله عليه وسلم كان في اول امره يجاور في كل سنة شهرا
في غار حرا يتعبد فيه وكان ذلك عادة قريش فاذا انصرف صلى الله عليه وسلم منه طاف
بالبيت ويرجع لبيته فكان يرى في منامه ما يرى ثم جاءه جبريل الى اخر الحديث المشهور
في اول البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه وفي الصحيح اي الحديث الصحيح او
البخاري ومسلم عن عايشة وهو من مرسل الصحابة لانها رضي الله عنها لم تكن معه صلى
الله عليه وسلم او هي سمعته منه فهو متصل اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا الا جات كفلق الصبح وهكذا رويا
الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانها قسم من الوحي كما مر وروي الصالحة بدون
الصادقة وهما بمعنى قالت عايشة رضي الله عنها ثم حبب بالبنا للمجهول اليه الخلا
بفتح اوله والمد وهو المكان او بمعنى الخلوة وهو الانفراد عن الناس لفراغ القلب
وتوجه الفكر والرياضة ليفرغ قلبه عما سوى الله ليتمكن الوحي منه اذا اتاه فصادف قلبا
خاليا فتمكنا وقالت الى ان جاه الحق اي الوحي الذي تحققه وراه عيانا وهو في غار
حرا الغار هو النقب في الجبل وحرا بكسر اوله والمد والقصر يذكر ويونث فيجوز صرفه
وعدم صرفه وبينه وبين مكة ثلاثة اميال على يمين السابل في والجملة حالية الحديث
بالنصب اي اذكره او اقراه وعن ابن عباس في حديث مسند رواه ابن سعد مكث النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشر سنة قال البرهان الحلبي هذا على القول
المرجوح انه عاش خمسا وستين سنة والصحيح انه عاش ثلاثا وستين منها بمكة
ثلاث عشرة وبالمدينة عشرة وقيل انه عاش ستين سنة وقد جمع بين الاقوال
الثلاثة انتهى يعني انه عد الكسر سنة وفيه نظر وبعث على راس الاربعين يسمع
الصوت اي يسمع صوت ملك يناديه ولا يراه وكان من الانبيا من يسمع الملك ولا
يراه كما حكاه ابن سيد الناس عن ابن عباس ويرى الضوء اي نور الملك من غير
رؤية ذاته لان الملايكة انوار مجردة وسبع سنين قبل ان يظهر له الملك لا يرى شيا
وثمان سنين يوحى اليه اي ياتيه الملك ظاهرا له بالوحي من الله وهذا مبني على القول
السابق لا على الثاني كما توهم وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم هذه رواية لم
تخرج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جوارة بكسر الجيم وضمها كما مر اي مجاورة
واعتكافه والجوار بمعنى الاقامة ومعناه الاخر معروف والجوار اعم من
الاعتكاف لانه يختص بالمسجد كما قاله ابن عبد البر بغار حرا اي اقامته به
كما تقدم بيانه قال تاكيدا لقال الاول فجاني بعض الملك وهو جبريل وانا
نايم الظاهر انه نوم حقيقي لما ياتي من قوله هببت من نومي ويحتمل انه يريد
انه مضطجع على هيئة النايم فقال اقرا اي قلت ما اقرو ما استفهامية او

ابن ادريس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نافية لانه روي ما انا بقاري وتفصيله في شروح البخاري وذكر الراوي نحو حديث عايشة
في غطه له بفتح الغين المعجمة وتشديد الطا المهملة مصدر بمعنى شده ضمه وخنقه
وعمه ليصرفه عن الدنيا وتوقظه لما يلقيه له واستدل به على تاديب المعلم للتعلم
منه واقرايه اقرا باسم ربك السورة واستدل به على ان البسملة ليست اية من كل
سورة وفيه نظر وهذه اول نازل في قول قال النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف
جبريل عني اي فارقني وهببت بباين موحدتين فعل ماض مسند الى ضمير المتكلم
يقال هب اذا استيقظ من منامه وتحرك من هبت الريح من نومي اي استيقظت
منه وتقدم كلام فيه كانما صورت سورة اقرا في قلبي اي مثلت السورة في
قلبه صلى الله عليه وسلم فحفظها وفي رواية كانما كتبت في قلبي وهو كناية عن
حفظها وبقايها في قوته الحافظة بحيث لا ينساها بعده قد روينا الابيات واذ كانت
وحيا الا ان رواية ابن اسحاق هذه تدل على ان من العزاة ما نزل عليه مناما وقد
قسموا النزول الى اقسام منها ما نزل سفرا وحضرا وقد تعرض الى نزوله
يقظة ومناما ولم يتعرض له الشراح هنا ولم يكن كان ان كانت ناقصة فاسمها
ضمير يرجع الى الشي المفهوم من السياق وخبرها قوله ابغض الخ اي اشد بغضا
عندي من ان يقال اني شاعر او مجنون وقيل ان اسمها ضمير شان وابغض خبرها
وهذا مبني على انه يجوز الاخبار عن ضمير الشان بمفرد نحو ان هي الا حياتنا الدنيا
وقيل اسمها ابغض وهو صفة موصوف مقدر والخبر محذوف ايضا والتقدير
لم يكن شي ابغض الي موجودا او كان تامة وابغض فاعلها وانما ابغض هذا لانه
اذا اخبر قريشا انه جاءه ملك بوحي يتلوه عليهم منهم من يقول انه شاعر
ومنهم من يقول انه مجنون ثم قلت اي قال صلى الله عليه وسلم لما اوحي
اليه وخشي مما مر لا احدث مضارع مرفوع بثابت فوقانيتين حذف احديهما
تخفيفا او يجوز بناؤه للمجهول وهو هي في سورة الخبراي لا يخبرهم احد
سمعه مني وينقله عني ابدا وهذا اشارة الى كونه شاعرا او مجنونا لاعمدن
جواب قسم مقدر اي والله لاعمدن اي اقصدن مضارع من العمد بمعنى
القصد بكسر الميم وفتحها وماضيه عمد بهما والمشهور فتحه كضرب يضرب
الى حالق من الجبل بالحا المهملة واللام المكسورة والقاف اي مكان مرتفع
منه وقيل انه الجبل المرتفع من فوقهم حلق الطاير اذا ارتفع في الجو
فلاطرحن نفسي منه اي ارمين جسدي من اعلى الجبل فلا قتلنها برميها
من الجبل حتى لا يبلغني ما يتحدثون به من اني شاعر او مجنون اذا بلغهم
ما جرى لي فبينا انا عامد لذلك اي وقع لي عقب اذ كنت قاصدا لالقا نفسي
من اعلى الجبل لاهلكها حتى لا اسمع ما يتحدثون به في حقي وهذا انما هو لما
خطر على قلبه صلى الله عليه وسلم لشدة حميته وغيرته على عرضه ولم
يكن في ابتدا امره معصوما عن مثله فلا يتوهم انه امر حرم به وهو ممتنع
شرعا اذ سمعت مناديا اي سمعت صوته ونداءه لي ينادي من السما اي من جانبها
يسمعه ولا يراه كما تقدم وهو يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل

ارسلني

رجي

عجب

ارسلني الله اليك لتبليغ وحيه تغيبا لمن ناداه لئلا يظنه غيره فرفعت راسي
الى جانب السما لاراه فاذا اي فاجاني بغتة رؤية جبريل على صورة رجل حال من جبريل
اي متمثلا بصورة دون صورته الحقيقية حتى لا يهوله في ابتدا امر الحديث
اي اذكر الحديث الذي رواه ابن اسحاق الخ ثم انه فسر ما ذكر بقوله فقد بين الراوي
للحديث او النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان قوله صلى الله عليه وسلم
لما قال بكسر اللام وتخفيف الميم اي لقوله وفصله معمول معطوف على قوله وقوله
لما قصد متعلق به وما موصولة والعايد محذوف تقديره لما قصده وما قاله
خشية ان يتحدثوا بانه شاعر اذا تلي عليهم ما اوحي اليه او مجنون اذا قيل انه
يسمع صوتا او يرى في الافق ملكا لتوهمهم انه كلامه شعر وما تراءى له جني انما
كان قبل لقا جبريل عليه السلام اي قبل رؤيته على صورة رجل وقبل اعلام الله
له بالنبوة بواسطة جبريل واخباره له واظهاره اي الله او جبريل عليه الصلاة
والسلام واصطفائه اي الله له بالرسالة اما بعد ذلك فلا فانه حينئذ
لا يخشى احدا ولا يتوهم شيئا يضيق به صدره ومثله اي مثل حديث ابن اسحاق
فيما ذكر حديث عمرو بن شرحبيل الذي رواه البيهقي وشرحبيل بفتح الشين
المعجمة وفتح الرا وسكون الحا المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية
ولام وعمرو وابنه تابعي عابد جليل توفي سنة ثلاث وستين ومائة وهو ابو
ميسرة الهمداني وفيهم عمرو بن شرحبيل آخر خزرجي وليس بمراد هنا انه
صلى الله عليه وسلم وهو بفتح الهمزة بدل من حديث عمرو قال لخديجة ام
المؤمنين رضي الله عنها اني اذا خلوت وحدي سمعت ندا يا محمد وقد خشيت
والله ان يكون هذا الندا لامر يصيبني مما لم احط به خبرا فقالت له معاذ الله
ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق
الحديث فمثلك لا يخشى مس شيطان وفي رواية حماد بن سلمة كما رواه
الطبراني وابن منيع عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة
اني لاسمع صوتا من جانب السما وارى ضوءا اي نور الملك النازل عليه قبل
تمثله له وظهوره له عيانا واخشى ان يكون بي جنون يخيل لي ما ذكر وهذا
كله قبل ظهور الامر له صلى الله عليه وسلم كما مر وعلى هذا المذكور تاول
لو صح رواية قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحاديث التي ورد فيها انه الا
شاعر او مجنون فخشي ان ما سمعه شعر تلقيه الجن عليه كما كان في الجاهلية
لبعض الشعرا رئي من الجن ومثل هذه الكلمة تقولها العرب اذا تحاشوا
تادبا عن اطلاق شي على المخاطب اي الشاعر او من شاعد عنك وان قالوا
عنرك فيا تقولون به في مكان انت كذا وهو استعمال شايع فاقيل من انه
شتم معناه الخاين الذي لا خير فيه ليس بشي والفاظا وردت عنه صلى
الله عليه وسلم في بعض الاحاديث يفهم منها معاني الشك من صحيح ما راه
اي فيما اوحي اليه ومثله صلى الله عليه وسلم لا يليق به شك وتردد
في مثله فهو لا يرتاب في شي مما ذكر وانه كان كله في ابتدا امره وقبل لقا الملك

بعد

تلمساني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

له وقيل اعلام الله له انه رسوله وتعبده اطمأن قلبه وشاهد الامر عيانا وبعض
هذه الالفاظ الموهمة لما ذكر لا تنحط بها عن رتبة الرواية واما بعد اعلام الله تعالى
له وتلقيه الملك فلا يختلج فيه ريب ولا يحوم عليه شك فيما القي اليه من الوحي
فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يتصور منهم ذلك وروى ابن اسحاق صاحب
السيرة في سيرته عن شيوخه ممن لقيه واخذ عنه وله شيوخ كثيرون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بالبنا للمجهول من الرقية المعروفة
بمكة من العين اي صيانة له صلى الله عليه وسلم من اصابة العين والعين حق
كما ورد في الحديث قال ابن القيم في كتابه الروح تاثير النفس امر لا ينكر لا سيما
عند تجردها عن العلايق البدنية وحينئذ تؤثر ما يعجز عنه البدن لكن
كمن نظر الى بحر نسفه او الى نعمة فازالها وهذا مما شاهده الناس على اختلاف
الملل والاعصار ويسمونه اصابة العين يضيفون الامر الى العين وانما هو
للنفس المتكيفة بالكيفية الرديئة السمية فيكون بواسطتها وقد يكون
بدونها فيوصف له شيء فيتوجه اليه فيؤثر فيه وان لم يره بعينه وقد امر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يغتسل معاين العاين بما يصب على من اصابته عينه فيزول
عنه ما يجده والمعاين بغين معجمة وبا موحدة ودون المواضع القذرة من
البدن كتحت الابط وهو امر طبيعي اقتضته الحكمة فان الارواح الخبيثة
تالف هذه المواضع فتساعدها فاذا اغتسلت انطفت نارها كما فصله صاحب
النهاية في حرف العين في حديث العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته
العين واذا استغسلتم فاغسلوا وفي شرح مسلم انهم اخذوا بظاهر الحديث
وانكره بعض المبتدعة واهل الطبايع وزعموا انه ينبعث من عينه قوة
سمية تؤثر فيما نظر وقيل انه ينفصل عنه اجزا لطيفة يخلقها الله
ولا ترى وقيل انه ليس بانفصال شيء وقد قيل انه يجب عليه اذا استغسل
ان يغتسل وان من عرف بذلك يلزمه الامام بيته ويرزقه من بيت المال
وتداوى صلى الله عليه وسلم برقى معروفة قبل الاصابة وبعدها
ومن فسر العين هنا بما يلم به من العوارض عدل عن الظاهر بغير داع له
قبل ان ينزل عليه بالبنا للمجهول اي قبل نزول القران عليه فلما نزل
عليه القران واصابه ما كان يصيبه من العين كما قال تعالى وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ولم يبينه احد باكثر مما ذكر فقالت له
خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله عنها اوجه اليك اي اأوجه
بحذف همزة الاستفهام ومعناه ارسل لك من يرقيك اي يقرؤ عليك
رقية قال اما الآن فلا الآن الزمان الحاضر وهو ظرف متعلق بمقدر اي
ان اردت ان ترقيني الآن فلا تفعلي ذلك اي لا حاجة بالرقى بعد نزول
القران فانه شفا من كل دا وقد ورد في احاديث كثيرة الرقى وجوازها والنهي
عنها وجمع بينهما بان الجايز منها ما كان بلسان عربي ظاهر المعنى كاسما
الله وسورة الفاتحة وورد في الحديث ان جبريل جاه عليهما الصلاة والسلام

وقد

وقد اصابته حمى فقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس او عين حاسد
الله يشفيك بسم الله ارقيك والممنوع المنهي عنه ما لم يكن بشيء مما ذكر واعتقاد
تاثيرها بنفسها ولذا ورد ما توكل من استرقى ولما كانت الرقى من باب مباشرة
الاسباب وتركها توكل وتسليم لله وهو الليق بمقام النبوة تركها صلى الله عليه وسلم
وله رقى ماثورة استوفيت في محلها وحديث خديجة رضي الله عنها الذي رواه
ابن اسحاق والبيهقي وابو نعيم في الدلائل واختبارها بخا معجمة ومثناة فوقية
وبا موحدة وراء مهملة اي تجربة خديجة امر جبريل عليه الصلاة والسلام لما
اخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بمجيئه اليه فارادت ان تعرف امره هل هو ملك
ام لا بكشف راسها الحديث لان الملائكة لا تدخل بيتا فيه عورة مكشوفة والمراة الحرة
بدنها كله عورة وكانت قالت له صلى الله عليه وسلم اذا اتاك جبريل اخبرني به
فلما اتاه واخبرها كشفت راسها فرجع فعلمت انه ملك لانه لو كان شيطانا لدخل
البيت ولما كان في اقرار النبي صلى الله عليه وسلم لما فعلته خديجة ما يوهم الشك
دفعه بقوله انما ذلك الاختبار والتردد واقع في حق خديجة لا صادر منه صلى
الله عليه وسلم حتى يوهم شكه في نزول الملك عليه لتتحقق خديجة صحة نبوته
صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا عنه صلى الله عليه
وسلم كما توهم لا انها فعلت ذلك الاختبار للنبي صلى الله عليه وسلم ولا نافية داخلة
على ان المفتوحة وما وقع في بعض النسخ من لانها بالتعليل خطا من الكاتب وليخبر
اي ليعرف هو صلى الله عليه وسلم حاله بذلك وهو معطوف على المنفي بنفي منفي
اي لم تفعله لازالة شكه ولا لاختباره فالاختبار بكشف راسها وهي كانت جازمة
بنبوته ولكن ارادت كشف الغطا لتزداد يقينا فالمراد بالشك مجرد الاحتمال الراجح
لا المتساوي الطرفين كما تعرفه من وقف على جلية حالها بل اضراب انتقالي
قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير المدني وقد قال
ابن حبان فيه انه متروك الحديث يروي الموضوعات وله ترجمة في الميزان
عن هشام عن ابيه هو هشام بن عروة بن الزبير ابو المنذر وقيل ابو عبد الله
الزهري مولاهم توفي سنة ست واربعين ومائة وهو امام ثقة احتج له
الستة وقال ابن القطان انه اختلط في اخر عمره ورده الذهبي كما فصله في
ترجمته عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ان ورقة بن نوفل بن اسد المتهود
ابن عم خديجة بنت خويلد بن اسد ام المؤمنين وورقة ابن عمها كانت تاتيه
وتذكر له ما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم في اول بعثته اي تعرض
عليه ما كان يراه وانه يقول انه ياتيه بالوحي ملك فامرها ان تختبر
الامر اي امر الملك مع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بكشف راسها
اذا اتاه وهو عندها فانه يرجع ان كان ملكا والا فلا ففعلت كما امر وتختبر
بلا بفتح المثناة الفوقية وسكون الخا المعجمة وضم البا الموحدة
وراء مهملة مضارع خبر اذا امتحنته وجربته وحاصله انه لم يكن من النبي
صلى الله عليه وسلم شك في امره وانما هو تردد ما من خديجة في اول امرها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما ذكره في الحديث الذي بعده في قوله وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم الذي رواه
ابن اسحاق ايضا وحكيم بفتح الحا المهملة وكسر الكاف ومثناة تحتية وميم واسمعيل
ابنه قرشي مدني ثقة كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز في خلافته اخرج له مسلم وغيره
من اصحاب السنن وتوفي سنة ثلاثين ومائة انها اي خديجة قالت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابن عم وهو صلى الله عليه وسلم ابن عمها لاجتماع نسبهما في قصي
فانه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قصي وهي خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ولا حاجة لما
قيل انه جار على عادة العرب في تخاطبهم بل لا وجه له هل تستطيع ان تخبرني
بصاحبك يعني الملك الذي ياتيك وهو جبريل اذا جاءك بالوحي جهرة وانما
قالت له هل تستطيع لانها تخشى انه لا يقدر على اخبار غيره لما يغشاه من جهة
الوحي وشدته عليه قال نعم اخبرك به فلما جاءه جبريل وهو عندها اخبرها
لمجيئه اليه فقالت له اجلس الى شقي بكسر الشين المعجمة اي لجنبي ثم الانتقال الى
وذكر اسمعيل الحديث الى اخره يعني من انه جلس وجبريل قادم عليه فكشفت
راسها فلم يدخل جبريل عليه فاخبرها بذلك وبنيه فقالت ما هذا الا ملك
لا شيطان هذا الملك يا ابن عم لانه لو كان شيطانا دخل البيت وراسها مكشوفة
فاثبت له اذا جاءك واسمع منه ما ياتيك به من الوحي وابشر اي قر عينا وكن
مسرورا بما اكرمك الله به وامنت به صلى الله عليه وسلم وبرسالته
وهي اول من امن به مطلقا او من النساء رضي الله عنها هذا اي ما روي عن خديجة
يدل على انها اي خديجة مستثبتة اي طالبة للثبات باطمئنان القلب وزيادة
اليقين بما فعلته من السؤال والاختبار لنفسها ومستظهرة لايمانها اي طالبة
لظهور ما امنت بحقيقة لا ان عندها شائبة تردد للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه لا شبهة عنده ولا تردد اصلا ومما يوهم وقوع ما نزهه عنه قول معمر
ابن راشد اليماني فيما رواه عنه احمد والبيهقي في حديث فترة الوحي اي
انقطاعه في ابتدا امره مقدار سنتين ونصف والفترة والفتور سكون بعد حدة
ولين بعد شدة وضعف بعد قوة قال تعالى على فترة من الرسل قاله الراغب
والمراد ما مر فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عرض له حزن
وغم لانقطاع الوحي فيما بلغنا رواية عمن علمه حزنا غدا بالغين المعجمة
اي ذهب ومشى به اي بسبب حزنه لذلك وفي نسخة منه مرارا متعددة
كي يتردى اي يلقي بنفسه وهو في الاصل تفعل من الردى بمعنى الهلاك لان
من يفعله يهلك غالبا من رؤس شواهق الجبال اي من اعالي جبال مكة وهذا
جواب سؤال تقديره اذا كان الامر كما قلت انه صلى الله عليه وسلم لا يعتريه
شك فيما يتعلق بالعقائد والنبوة فلم حزن حتى كاد يقتل نفسه فيما رواه
معمر اجاب عنه بانه لا يقدح اي لا يطعن فيما قلناه ولا ينقص من القدح بمعنى
الذم في هذا الاصل اي القضية الكلية من انه في غاية اليقين لامور الوحي
والتوحيد وليس المراد به ما قاله لخديجة كما قيل ثم بين عدم القدح

بوجوه

بوجوه الاول قوله لقول معمر بفتح الميمين وهو من اتباع التابعين عنه صلى الله عليه
وسلم فيما بلغنا ولم يسنده اي لم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فلا يستدل به ولا
ذكر راو وانه جمع راو وهو من رواه عنه ولا من حدث به عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا ابن سيد الناس رواه مسندا من طريق الدولابي ولم يذكر فيه معمرا بل
رواه عن الزهري عن عروة عن عائشة فقال لم يلبث ورقة ان توفي وفتر
الوحي وذكر هذا الحديث ولا ذكر معمر ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولا يعرف
مثل ذلك وفي نسخة ولا يعرف مثل هذا من احواله الا من جهة النبي صلى الله عليه
وسلم لان مثله لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع وان كان منقطعا والجواب
الثاني ما اشار اليه بقوله على انه اي ما ذكر من حزنه الى اخره وفي نسخة مع انه
قد يحمل على انه كان اول الامر اي اول امره قبل ان يلقاه جبريل ويعلمه بانه رسول
الله وانه اوحي اليه وتمكن من حمل اعبا النبوة وجواب اخر اشار اليه بقوله او
انه فعل ذلك المذكور لما اخرجه بكسر اللام وتخفيف الميم واخرجه بحا مهملة
وجيم اي اوقعه في حرج وضيق صدر من تكذيب من بلغه ما ارسل به اليهم
وهو بتشديد اللام ويجوز تخفيفها كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وباخع بمعنى قاتل من بخع
الشاة اذا ذبحها والاسف الحزن على ما فات وعلى اثارهم اي بعدهم جمع اثر
فحزنه صلى الله عليه وسلم لم يكن لشك اعتراه وانما كان لتكذيبهم له وعدم
طاعتهم له وهو حريص على ان يهديهم الله رحمة منه لما فاتهم من سعادة
الدارين وهذا الشفقة عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم وبصحيح معنى
هذا التاويل اي تاويل ما رواه معمر وحمله بمعنى الاية المذكورة حديث
رواه شريك والراوي له عنه البزار وهو شريك بن عبد الله النخعي الامام
الثقة وقد وثقه ابن معين وقال غيره لا باس به وقد قيل انه كان سيئ الحفظ
توفي سنة سبع وسبعين ومائة وسنه ثمانون سنة وله ترجمة في الميزان
عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب بن عبد المطلب توفي بعد
الاربعين ومائة وهو لين الحديث قيل انه لا يحتج بروايته عن جابر بن عبد الله
ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة بفتح النون وسكون الدال المهملة
والندوة بمعنى الاجتماع ومنه النادي ودار الندوة دار كانت بمكة يجتمع
فيها قريش للمشاورة والحكومة بناها قصي بن كلاب فكانت ديوانهم وناديهم
للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بعد موت خديجة
رضي الله عنها وابي طالب وقد امر صلى الله عليه وسلم بانذارهم وانذرهم
مرارا كما هو مشهور مفصل في السير وحضور ابليس لعنه الله ورايه في
هذه القصة مشهور واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر كما مر
عن ابي جهل والوليد بن المغيرة اشتد ذلك اي قولهم واشتد عليه
الامر بمعنى صعب وعسر عليه صلى الله عليه وسلم وتزمل في ثيابه
اي تلفف فيها كالنائم وتدثر فيها اي تغطى بها فوق لباسه الذي على بدنه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتلحسده ومنه الحديث الانصار شعاري والعرب دثاري فاتاه جبريل عليه
الصلاة والسلام فقال له جبريل يا ايها المزمل يا ايها المدثر واصله المتزمل والمتدثر
تفعل من زمله اذا لفه ودثره اذا غطاه فابدل وادغم على قاعدة اهل الصرف
وقيل انه اجتمع في دار الندوة ابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر
ابن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وائل ومطعم بن عدي وقالوا ان العرب
يجتمعون في ايام الحج ويسألون عن امر محمد صلى الله عليه وسلم وقد
اختلفتم فيه فاجتمعوا على راي فيما يقال لهم فقال رجل منهم نقول انه
شاعر فقال الوليد قد سمعت الشعر وكلام محمد لا يشبهه فقالوا نقول
كاهن فقال الكاهن يكذب ويصدق وما كذب محمد قط فقالوا نقول انه
مجنون فقال المجنون يخنق ولم يخنق ثم انصرف لبيته فقالوا صبا الوليد
فذهب له ابو جهل وقال له انا نجمع لك شيئا من المال فقال ما لي حاجة اليه
ولو اصبت وانما فكرت في امره فرايته يفرق بين المرء وزوجه وبين الوالد وولده
وهذا شان الساحر فنقول انه ساحر فلما سمع هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حزن حزنا شديدا كما ذكره المص وغيره من غير تعقب له ولا يخفى انه مخالف
للروايات الصحيحة من ان اجتماعهم بدار الندوة انما كان وقت الهجرة ونزول
يا ايها المزمل ويا ايها المدثر كان في ابتدا نزول الوحي عليه كما في البخاري وهو
مخالف لما هنا فان صحت هذه الرواية تكون نزلت عليه مرتين ومن
العجب ان الشراح لم ينبهوا على هذا مع ظهوره ثم اجاب بجواب
اخر عن هذه الشبهة فقال ثم خاف صلى الله عليه وسلم من الفترة
اي انقطاع الوحي عنه سنة ونصف او سنتين او ثلثين ونصف على
اختلاف فيه كان لامر صدر منه او سبب صدر منه لم يعرفه فخشي ان تكون
انقطاع الوحي عنه عقوبة من ربه لغضبه عليه ففعل ذلك اي الهم
بان يلقي نفسه من اعالي الجبال حتى يهلك بنفسه اي بذاته وجسمه ولم يرد
تعقد بالتابعي القسم اي بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم وما هم به
شرع مبين بالنهي عن ذلك اي بنهيه عما فعله وخطر على قلبه فيعترض
به بالبنا للمجهول اي يكون سببا لان يعترض معترض به عليه ويعده شبهة
في فعله ويعترض مرفوع اي فكيف يعترض ويجعل نفسه ونحو هذا
اي مثل ما صدر عن نبينا صلى الله عليه وسلم مما يتوهم فيه امور يحتاج
للتاويل او نحو ما روي من حزنه صلى الله عليه وسلم وارادته لالقا
نفسه من الجبل فرار يونس بن متى نبي الله صلى الله عليه وسلم
المعلوم وقد تقدم ان يونس مثلث النون بهمز ودونه ففيه ست لغات
مشهورة خشية بالنصب اي خوفا من تكذيب قومه له لما بكسر اللام
وتخفيف الميم او عدهم به من العذاب بيان لما ويونس صلى الله عليه
وسلم كما في مراة الزمان كان بعد سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم
وقد علم انه ابن متى ومتى اسم ابيه وقيل اسم امه وهو من ولد بنيامين

ابن

مرضي

ابن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان من عباد بني اسرائيل ينزل بشاطئ دجلة
فبعثه الله نبيا مرسلا لاهل نينوى من ارض الموصل فلما بلغهم الرسالة لم يجيبوه
فانذرهم بعذاب يصيبهم بعد اربعين يوما فقالوا اذا راينا اسباب العذاب امنا بك
فلما بقي من ميقاته خمسة وثلاثون يوما غامت السماء غيما اسود يدخن فلما ايقنوا
برزوا من القرية باهليهم وبهائمهم وفرقوا بين كل دابة وولدها وضجوا الى
الله تعالى فقبل الله توبتهم وقد ساح يونس عليه الصلاة والسلام في الارض
وروي ابن مسعود ان يونس صلى الله عليه وسلم وعد قومه العذاب واخبرهم
انه ياتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وجاروا الى الله فرفع
عنهم العذاب بعد ما شاهدوا الباس وذلك لم يكن لغيرهم وانتظر يونس العذاب
فلم ير شيئا وخاف الكذب على ما ياتي فانطلق مغاضبا وركب سفينة فركدت
وغيرها سائرة فقال ما بالها قالوا لا ندري فقال ان عبدا ابق من ربه لا تسير
حتى تلقوه منها فقالوا اما انت فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا فوقعت عليه القرعة
التي خرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقي في البحر وابتلعه الحوت وهوى به
القرار فسمع تسبيح الحصا فنادى في الظلمات يعني ظلمة بطن الحوت والليل وجوف
البحر الى اخر ما قصه الله من امره واختلفوا في مدة مكثه في بطن الحوت فقيل
عشرون وقيل اربعون وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل يوم وقوله
الله تعالى في يونس اي في قصته فظن ان لن نقدر عليه جواب سؤال مقدر
تقديره انك قلت ان من الاصول المقررة كما تقدم ان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام منزهون من ان يكون عندهم شك وشبهة في شي مما يتعلق بالعقايد
وذات الله وصفاته فكيف ظن يونس نبي الله عليه الصلاة والسلام ان قدرة الله
لا تتعلق عليه وهو على كل شي قدير فاجاب عنه بقوله معناه ان لن نضيق
عليه فانه يقال قدر وقتر وقتر بمعنى ضيق اي ظن انا لا نضيق عليه وهذا
مروي عن جماعة من ايمة التفسير واللغة قال مكي رحمه الله طمع في
رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه مما هو فيه وقيل انه لا يناسب
قوله اني كنت من الظالمين واجيب بانه باعتبار مقامه فانه امر بالصبر فكان
عليه ان يسلم امر الله عز وجل ولا يذهب مغاضبا لقومه وللانبيا عليهم
الصلاة والسلام مقامات لا تناسب مقام غيرهم فليس من القدرة لانه
غير مناسب هنا وقيل انه تمثيل لحاله بحال من ظن انه لن يقدر عليه
لما استعجل ولم ينتظر امر الله عز وجل وقيل حسن ظنه بمولاه بعفو الله
عز وجل انه لا يقضي عليه العقوبة هذا الجواب ثان فهو من التقدير قال
الجوهري قدرت الشي اقدره واقدره من التقدير وهو القضا والحكم اي ظن
ان الله لا يقضي عليه بعقوبة ويجازيه على ذهابه وعدم صبره وهذا قاله
مجاهد وقتادة واختاره الفرا وثعلب وقيل في تاويله ان معناه نقدر
بضم اوله وتشديد الدال اي ما اصابه من الابتلا بابتلاع الحوت له وقرئ نقدر
عليه بالتشديد فهذه القراة تدل على ان المخفف بمعنى المشدد كما قاله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن الفرس

نعلب وانشد شاهدا عليه قوله
[illegible]
ولاعايد اذاك الزمان الذي مضى ● تبارك فيه مايقدر يقع ولك الشكر
وفي الاية قراآت لا حاجة لتفصيلها هنا وهذا قريب من الجواب الذي قبله فان الفعل
فيهما من التقدير والفرق بينهما انه في الاول عرف ان فعله مستحق للعقوبة
ولكن رجا العفو من كرم ربه وفي هذا لم يكن يخشى عقوبة ويظن ان الله لا يبتليه
بما ابتلاه به وقيل معناه يؤاخذه الله اي يجازيه بغضبه على قومه وذهابه
مغاضبا لهم ولم يصبر منتظرا لامر الله فلن يقدر عليه بمعنى لن يؤاخذه بغضبه
وذهابه فاطلق السبب على المسبب فليس فيه ظن لعدم قدرة الله عليه وليس
هذا راجعا الى معنى القضاء عليه لان المؤاخذة بالقضاء والحكم السابق كما قيل
وقال ابن زيد هو كما تقدم عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقد تقدمت ترجمته
وما في بعض النسخ ابو زيد وفي بعضها ابن دريد من تحريف الناسخ والصحيح
الاول كما في المقتفى للبرهان الحلبي معناه انظن ان لن نقدر عليه على تقدير
حرف الاستفهام وقد ورد حذفه كثيرا كقوله
قالوا تحبها قلت بهرا ● عدد الرمل والحصى والتراب
اي اتحبها وهو مفصل في كتب النحو والاستفهام انكاري اي انظن عدم
قدرتنا عليه اي لم يظنه ولم يخطر له ببال كما اشار اليه بقوله ولا يليق
اي لا يناسب عقلا وشرعا ان يظن بالانبيا المعصومين اي يظن احد بشي من الانبيا
ان يجهل صفة من صفات ربه وهي هنا قدرته تعالى وتعلقها بكل شي
وفي نسخة انه جهل وكذلك اي مثل ما تقدم في انه مصروف عن ظاهره
قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح في معناه انه اراد مغاضبا لقومه لكفرهم
اي قاصدا على كفرهم فراغمهم بفراقهم [illegible] لهم لظنه انه سايغ شرعا حيث
لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وان تنظر الاذن من الله
كما قاله الزمخشري وهو اي التفسير المذكور قول ابن عباس والضحاك
وغيرهما من السلف لا مغاضبا لربه اذ لا يليق ذلك بمقام النبوة اذ
مغاضبة الله تعالى معناها معاداة له وهو تفسير باللازم لان العداوة
تقتضي عدم الرضا ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف
تليق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام وكيف استفهام مجوز به عن
الاستبعاد لما بعده كما تقدم والمغاضبة مفاعلة اريد بها اصل
الفعل او هي على ظاهرها لانها بمعنى العداوة وهي من الجانبين لانه عاداهم
لله وعادوه لجهلهم وكفرهم فلا حاجة لصرفه عن ظاهره وقيل ذهابه في
صورة الغضب لانه كان مستخفيا اسم فاعل بيان اي حيا من قومه ان يسموه
بدل من قومه بدل اشتمال اي يصفوه بالكذب لانه اوعدهم بعذاب يحل بهم
لما خالفوه وعين له مدة كما تقدم وهو من السمة بمعنى العلامة كالكي
وغيره فاستعير للصفة لانها تميزه كالعلامة اي كراهة ان يسموه به
اذ كان اجلهم اربعين ليلة فقالوا ان راينا مخايلة امنا فلما راوا ذلك

يقتلوه اي صر

امنوا فكشف عنهم العذاب كما قصه الله بقوله الا قوم يونس لما امنوا الاية وقوله او
نحو فامن ان يقتلوه بهم كقوله منتقلا استيفاء [illegible] كما روي في الخبر المذكور
في قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد تقدم بعضه وليس هذا راجعا
الى القول بانه غضب من ربه كما حكاه ابن عطية فتوهمه لا وجه له وفي مراة الزمان
ان يونس عليه الصلاة والسلام لما ساح فراى راعيا في فلاة فسقاه لبنا وهو
مستند الى صخرة فاعلمه انه يونس وامره ان يقرا على قومه السلام فقال يا نبي الله
لا استطيع لان من كذب منا قتل قال فان كذبوك فالشاة التي سقيتني من لبنها
وعصاك والصخرة يشهدن لك فاتاهم الراعي واخبرهم فانكروا فانطقت الشاة
والصخرة والعصا وشهدن له فقالوا له انت خيرنا اذ رايت نبينا وملكوه عليهم
اربعين سنة وقيل انه ذهب مغاضبا لبعض الملوك في عهده فيما امره اي
بسبب امر امره به من التوجه بيان لما الى امر امره الله تعالى به على لسان نبي اخر
اي ذو سطوة يبلغه له وصير امره للملك فقال له اي قال يونس للملك غيري
اقوى عليه مني اعتذارا له لخشيته من التقصير فيه فعزم عليه اي صمم او
اقسم عليه انه يفعل ما امره به ولم يقبل عذره فخرج لذلك اي لما صنعه الملك
معه مغاضبا له اي للملك لا لربه كما توهم وهذا اشارة لما في بعض التفاسير
كما حكاه الاخفش من ان يونس خرج مغاضبا لملك كان لقومه والنبي المذكور
كما روي عن ابن عباس شعيا والملك اسمه حزقيل فاوحى الله الى شعيا
ان قل لحزقيل ان يبعث نبيا من انبيا بني اسرائيل الى اهل نينوى يامرهم
بتخلية بني اسرائيل فاني ملق على قلوب جبابرتهم وملوكهم فقال ليونس
اخرج اليهم فقال يونس هل امرك الله باخراجي وسماني قال لا فقال
هاهنا انبيا اقوياء فالح عليه فخرج مغاضبا الخ ما قصه الله وقد روي عن
ابن عباس ان ارسال يونس عليه الصلاة والسلام ونبوته اي بعثته نبيا
مرسلا الى اهل نينوى من ارض الموصل انما كان بعد ان نبذه الحوت
ونبذ بلفظ الماضي المعلوم وفي نسخة بعد نبذه باضافة المصدر
لمفعوله اي قذفه من بطنه والمراد مطلقه الالقا وقال الراغب النبذ
القا الشي وطرحه لقلة الاعتداد به ولذا يقال نبذته نبذ النعل الخلق
وقال تعالى فنبذوه وراء ظهورهم انتهى وفيه نظر لانه لا يناسب قوله
تعالى فنبذناه بالعرا فتامل واستدل لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
بقوله تعالى فنبذناه بالعرا وهو سقيم العرا بالفتح والمد المكان المتسع
الخالي من البنا والشجر فهو كانه عار وكان الحوت يسير مع السفينة
رافعا لراسه ليتنفس واختلف في مدة لبثه في بطنه كما مر وقوله
وهو سقيم اي ضعيف كالطفل حين يولد من حرارة بطن الحوت وانبتنا
عليه شجرة من يقطين تفعيل من قطن اذا اقام وهي شجرة التين وقيل
هي القرع وعلى هذين فاطلاق الشجرة عليه مجاز لانها ما له ساق والمشهور
الثاني لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يحبه ويقول هي شجرة اخي

يونس وانبتت عليه لتظله ويأكل منها وقيل لانها لا يقع عليها الذباب
وارسلناه الاية وتوجيه الاستدلال انه ذكر الارسال بعد اخراجه من
بطن الحوت والواو وان لم تفد الترتيب على الصحيح لكن الترتيب الذكري
يقتضيه لان غيره مخالف للظاهر وهو معنى ما نقل عن الشافعي اذ لا وجه له
للعدول عن الظاهر من غير قرينة وقوله او يزيدون او بمعنى الواو
او المراد وصفهم بالكثرة او التردد من رآهم وقد اجيب عما استدل به ابن عباس
رضي الله عنهما بانه ارسال لغوي اي ارجعه الى من ارسل اليه اولا وهو
ارسال لغيرهم الى غير ذلك مما ذكره المفسرون واستدل ايضا اي لقول
ابن عباس كما استدل بما قبله بقوله ولا تكن الخطاب له صلى الله عليه
وسلم كصاحب الحوت اذ ضجر ولم يصبر فاصبر فان الله ناصرك وذكر
القصة يعني قوله اذ نادى وهو مكظوم الخ ثم قال فاجتباه ربه فجعله
من الصالحين وهذا انما على ان معنى اجتباه اصطفاه واختاره لرسالته
وليس هذا متعين لقوله فيكون هذه القصة قبل نبوته وارساله
لقومه على ما تقدم واما قال هذا ابن عباس لانه قبل النبوة
يجوز صدور ما ذكر عنه لانه لم يوح اليه بما يزيل الشك عنه ثم
اورد سؤالا على الاصل الذي قرر من براءة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام مما يعرض لغيرهم من الشك ونحوه فقال فان قيل فما
معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن الاغر المزني
انه اي الامر والشان ليغان على قلبي الغين بالغين المعجمة والياء ونونه
الستر والتغطية وهو قريب من الغيم ويكون بمعناه اي تردد
على قلبي امور تشغله وقال عين على قلبه اذا عرض له وسوسة
ونحوها ولما توهم من ظاهر الحديث انه قد يعرض له صلى الله عليه
وسلم شك في بعض شؤونه ورد سؤالا بانه مخالف لما قرر لان
قوله فاستغفر الله في كل يوم وفي نسخة في اليوم مائة مرة وفي
طريق اي في رواية له في اليوم اكثر من سبعين مرة يقتضي انه خواطر
غير مرضية محتاجة للعفو عنها دفعه فقال اذا سمعت هذا وعرفت
ما يوهمه فاحذر اذ يقع ببالك اي يخطر على قلبك وفكرك وذكر
البال هنا فيه لطف صادق محرره ان هذا الغين الوارد في هذا
الحديث وسوسة او ريبا اي شكا في شيء من اموره المتعلقة بالوحي
وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم في شيء من امور الدين ثم وصحه بعد بيان معناه
حقيقة فقال بل اصل الغين اي اصل معناه وما وضع له لغة في
هذا الكلام ما يغشى القلب ويغطيه عطف تفسير وهو استعارة لما
يشغله قال الامام ابو عبيدة وفي نسخة ابو عبيد القاسم بن
سلام كما تقدم واصله اي ما وضع له اولا ما خوذ من غين السما
وهو اطباق الغيم عليها اي على السما واطباقه تغطيته جميع نواحيها

وقريب منه

وقريب منه ما قيل انه الغيم المطبق فيحتمل ان النون مبدلة من الميم وقال غيره
اي غير ابي عبيدة الغين شيء يغشى بفتح اليا والشين المخففة او بضمها وكسر الشين
المشددة والاول اظهر القلب اي يعرض له او يستره ولا يغطيه كل التغطية اي لا يغطيه
كله كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوى اي في الجو فلا يمنع ضوء الشمس لرقته وكذلك
اي مثل ما ذكر من انه لا يفهم منه انه وسوسة لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه
مائة مرة او اكثر من سبعين مرة في اليوم ثم بينه بقوله اذ ليس يقتضيه لفظه الذي
ذكرناه اي لا يدل عليه دلالة متعينة وهو اكثر الروايات اشارة الى ان فيه
روايات اخر وانما هذا المذكور في الحديث عدد الاستغفار لا للغين فانه واقع
بعد الاستغفار المرتب على الغين بالفا وان احتمل ان يكون كل استغفار لغين
فيكون المراد العدد واما الروايات فلا تنافي بينهما لانه اما باعتبار الاحوال
او الاكثر من سبعين هو المائة نفسها فيكون المراد هذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه اي فتورها وكسلها وسهوها اي زوال صورتها عن
الفكر وبين ما غفل عنه في فترة وسهوها بقوله من مداومة الذكر اي ذكره صلى
الله عليه وسلم بلسانه وقلبه ومشاهدة الحق ان اريد به الله تعالى فالمراد
مشاهدته في مرايا مصنوعاته حتى كانه يراه بعين عيانه وان اريد به ما هو حق
ثابت متيقن من العلوم الحقة والامور اليقينية اللدنية فالامر واضح ولما
كان هذا اليوهم امرا لا يناسب مقامه صلى الله عليه وسلم حتى قيل انه لا ينبغي
ذكره فانه يقتضي تفضيل الملائكة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانهم
لا يفترون عن العبادة والتسبيح طرفة عين اشار الى دفعه بما لم يتنبه له
المعترض فقال بما كان اي بسبب ما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه
بالدال المهملة المضمومة مبني للمجهول اي فوض اليه واعطيه قال
الراغب الدفع اذا عدي بالى معناه الانالة كقوله تعالى فادفعوا اليهم اموالهم
فان عدي بعن فمعناه الحماية نحو ان الله يدافع عن الذين امنوا من مقاساة
البشر المقاساة والمكابدة مباشرة ما فيه مشقة من امور غيره وسياسة
الامة السياسة هي الحكم والتدبير لامر غيره من ساسه يسوسه اذا قام عليه
لاصلاح اموره وهو لفظ عربي لا معرب كما توهم وهي حكم مخصوص بما يكون
بطريق القهر والضبط ومعاناة الاهل اي الاعتنا بامورهم والتقيد بما فيه
معاشهم ومقاومة الولي اي القيام بالامر الذي يتعلق بالولي وهو من
يواليه ويتبعه والعدو وهو من يظهر عداوته ومقاومته مقابلته
بالغلبة والقهر كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم في غزواته وتدبير
جيوشه ومصلحة النفس اي مصلحة نفسه في امور معاشه وكلفه بالبنا
للمجهول معطوف على دفع اليه من اعبا اداء الرسالة جمع عب بكسر فسكون وهو الحمل لفظا ومعنى بكسر اوله وهو ما يكون له في تبليغها ودعوة
الخلق وحمل بفتح اوله الامانة اي ما استودعه الله من اسراره واعطا
كل ذي حق حقه وليس المراد بها طاعة الله التي اوجبها عليه كما قيل

ابن الاثير

ابن كمال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو صلى الله عليه وسلم في كل هذا اي مما دفع اليه وكلفه مما ذكر من المقاساة ومما
تعدها في طاعة ربه وعبادة خالقه دفع لما يتوهم من انه كان اللايق به صلى الله عليه
وسلم انه لا يشغله شي عن ذكر ربه ومشاهدته بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية
ولا لامور ربانية وانما الله شغله بذلك فما انقطع عنه الا لخدمته التي امره الله
عز وجل بها كما قيل

اريد صلاحه ويريد هجري • فاترك ما اريد لما اريد

ولما ورد عليه ان هذا اذا كان طاعة وعبادة فلم استغفر منه والاستغفار انما
يكون من الذنب وجهه على طريق الاستدراك بقوله ولكن لما كان صلى الله عليه
وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة اي له رتبة عند الله ومنزلة عالية على كل
مخلوق والمكانة بالتاء تختص بالمحل المعنوي كالمنزلة واعلاهم درجة
الدرجة ما في جانب العلو ضد الدرك ومكانة ودرجة تمييز واتمهم اي اكملهم
به اي بالله معرفة فهو اعرف بالله مما سواه واخر هذا لانه مترتب على ما قبله
في المعقول والمحسوس وكانت حاله الحال المؤنثة اي امره وشانه عند خلوص
قلبه للتمحيص لا يمتزج به سواه وخلو همه اي جعل همته وعزمه وفكره خالية عن
غير الله تعالى وتفرده بربه اي جعل امره منفردا بالتوجه لجنابه الاعلى فيكون
قلبه معه وحده في خلوته فان ذاكر الله جليس الرحمن كما ورد عنه واقباله
بكليته اي بذاته كلها قلبا وقالبا ومقامه هنالك اي اقامته مع الله في
حظيرة قدس قربه واشار بالبعد لعلو مقامه ثمة ارفع اي اعلى حالتيه اي
حال اشتغاله بالظاهر وحاله كونه مع الله عالم السرائر وكل منهما رفيعة
ولكن هذه ارفع راي صلى الله عليه وسلم اي علم او شاهد حال فترته عنها
اي عن ارفع حالتيه وشغله لسواها اي اشتغاله بغيرها غضا عن علي حاله
وهو مفعول ثان لراي او حال وغض الطرف ارخاوه واطراقه ويكون
بمعنى النقصان كما يقال غض من نقصه قاله الراغب وهو المراد هنا
وكني به عن التنزل عما ذكر وخفضا اي حطا وتنزيلا من رفيع مقامه
وهذا بالنسبة للحالة الاخرى وان لم يكن كذلك في نفسه فاستغفر الله تعالى
اي طلب مغفرته وعفوه ومسامحته له من ذلك لبعده بالنسبة لمقامه
الاخر كالذنب كما قال البحتري

اذا محاسني اللاتي ادل بها • كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

ولذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من مجلسه قال استغفر
الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه وروي انه كان يقول
رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم ماية مرة وهذا التفسير
اولى وجوه الحديث التي ذكرت في توجيهه واشهرها والحوم ما اشرنا
اليه ما لكثير من الناس وحام حوله اي دار باطرافه وقرب منه كقوله
صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى واصله رفرفة الطاير على
الماء ارادة النزول عليه وقارب اي حاول القرب والوصول اليه ولم

يرد

يرد اي لم يصل اليه استعارة من ورد الماء اذا اتاه ليستقي منه وفيه اشارة الى
ان ذلك فيه شفا الغليل وثلج الصدور وان النفس لها ظمو اليه وفيه من البلاغة
ما لا يخفى وقد قربنا غامض معناه اي ادنيناه لمن قاربه ففيه لطف لا يخفى اي خفيه
الذي لم يتضح واصله المكان المنخفض فكني به عما ذكر ثم صار حقيقة فيه وكشفنا للمستفيد
اي طالب الفائدة العلمية من تجارته الرابحة محياه بالضم والفتح والتشديد بمعنى
الوجه وفيه استعارة مكنية وتخييلية بتشبيهه بحسان مخدرة والكشف للحجب
هنا الرفع عينه واظهار محياه لعينه وهو اي هذا التفسير مبني اي متفرع على جواز
الفترات والغفلات والسهو على سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام في غير
طريق البلاغ اي ما امر بتبليغه لامته من الشرايع واما ما طريقه البلاغ فلا يجوز
فيه ذلك لما فاته له على ما سياتي في هذا الكتاب وفي كلامه نظر لا يخفى فانه
جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله بامر امته واهله فلا غفلة ولا
فترة ولا سهو حقيقة فكيف بناه على غير اساسه وهذا عندي كالغفلة فيما قاله
فتامله فانه غريب ومن هنا علمت سر دعا الملايكة لبني ادم بالمغفرة وتفسير
صلاتهم لها ومعنى قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي
رحمة وعلما وسر تذييل هذه الاية بما ذكر وذهبت طايفة اي اختاروا مذهبا
ورايا كقوله وللناس فيما يعشقون مذاهب من ارباب القلوب اي اوليا الله الذي
نور الله قلوبهم وطهرها حتى صاروا من ارباب الكشف ومشيخة بفتح الميم وسكون
الشين ويجوز كسرها جمع شيخ وهو الكبير سنا ثم شاع فيمن كبر قدره في العلم
والصلاح المتصوفة اي ارباب التصوف وهو علم السلوك وهو لفظ اطلق
على هولا بعد العصر الاول لتقشفهم ولبسهم الصوف او لصفا قلوبهم او
لمشابهتهم لاهل الصفة كما بيناه في كتاب شفا الغليل ممن قال بتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا اي ما ذكر من الغفلة وما بعده جملة
اي كله ومجموعه واجله اي عظمه صلى الله عليه وسلم بتنزيهه عن مثله
عن ان يجوز بالبنا للمجهول بضم اوله وتشديد واوه المفتوحة اي يجاوز
جايزا اطلاقه عليه في حال من احواله سهوا وفترة السهو الذهول عن شي
يتنبه له سريعا وقيل انه في الشي تركه من غير علم وعن الشي تركه مع علم
ومنه الذين هم عن صلاتهم ساهون والفترة السكون بكسل ونحوه كما
تقدم الى ان معنى هذا الحديث والى متعلقة بذهبت ما يهم بضم اوله وكسر
هايه من اهمه اذا اقلقه واحزنه وخاطره بالنصب مفعول اي قلبه وفكره
ويجعل فكره ذا هم مجاز كقوله ويغم فكره اي يجعله ذا غم والهم والغم
الحزن وقد يفرق بينهما من امر امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم
وكثرة شفقته عليهم وحنوه ورحمته لهم فيستغفر لهم اي يدعو لهم
بالمغفرة لما صدر منهم او لما سيصدر فالغين خواطره فيما يتعلق بهم
واستغفاره صلى الله عليه وسلم انما هو لهم فلا اشكال في الحديث اصلا قالوا
اي المشايخ المنزهون له صلى الله عليه وسلم عما ذكر وقد يكون الغين

هاهنا اي في هذا الحديث هو السكينة اي الوقار والتأني والطمانينة في الامور
التي تتغشاه اي تعرض له لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه اي طمانينته وحلمه
ووقاره وفي الضمير في عليه قولان احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني
على ابي بكر قال ابن العربي قال علماؤنا وهو الاقوى لانه خاف على النبي صلى
الله عليه وسلم فانزل الله سكينته عليه بتامين النبي صلى الله عليه وسلم
وسكن فسكن باسه وذهب روعه وحصل الامن والسكينة لها معان منها
الوقار والسكون والرحمة وقيل انها وردت بمعنى ذات لطيفة هوائية
لها وجه كوجه الانسان او على صورة هرة مع بني اسرائيل اذا طرقت الهزم
عدوهم ووردت بمعنى السحابة كذا في الشرح الحديد وقال الراغب في قوله
وانزل السكينة في قلوب المؤمنين فقيل هي ملك يسكن قلب المؤمن فيؤمنه ومنه
ان السكينة تنطق على لسان عمر وقيل هو العقل ويقال له سكينة اذا سكن
عن الميل والشهوة والسكينة من زوال الرعب وعليه قوله تعالى ان ياتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وما ذكر من الخاشع له راس كراس الهر لم يصح
ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها على هذا اظهارا للعبودية
والافتقار الى ربه عز وجل وهذا ليس بذنب بل خضوع وخشوع وقال
ابن عطا تقدمت ترجمة استغفاره وفعله هذا اي الواقع في هذا الحديث
تعريف للامة اي تعليم له بحملهم على الاستغفار اي طلب مغفرة ربهم وقال
غيره اي غير ابن عطا ويستشعرون اي يدركون ويعرفون من تعريف رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم وامتثاله طلب الشعور فعبر به عما ذكر الحذر
اي الاحتراز من المعاصي والخوف منه كما قال تعالى ويحذركم الله نفسه
وفي نسخة الحمراي حبس النفس على طاعة الله والامتناع من الذنوب ولا
يركنون اي لا يميلون ميلا تاما الى الامن من الوقوع في المعاصي والذنوب
منها فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويحتمل الحديث ان
تكون هذه الاغانة في قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي
حالة خشية واعظام اي يخطر بباله عظمة الله والخشية منه تغشى قلبه
اي تعرض له حالة من تفوق ذلك فيستغفر حينئذ اي حين ما غشيته
هذه الحالة شكرا لله تعالى على نعمة جليلة اذ عرفه عظمته وخشيته
وهو اعظم المعلومات فهو نعمة لا يبلغها غيرها وملازمة لعبوديته
اي مداومة عليها اذ مقتضاها على نفسه مفضية لانقياد خدمته
فلذلك يستغفر كما قال صلى الله عليه وسلم في ملازمته العبادة
كما ورد في حديث انه صلى الله عليه وسلم اكثر من قيام الليل حتى تورمت
قدماه فقال له الصحابة انفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا عطفه بالفا
على كلام مقدر اذا انعم الله علي بمغفرة ما تقدم وما تاخر ففي مقابلة
هذه النعمة اللائق مني الشكر واعظمه الاعتقاد بالجنان والعمل بالاركان

ولا عمل

ولا عمل له افضل من الصلاة وقد كمل شكره بلسانه لما قال هذا افلا اكون عبدا شكورا
فاعترف بعبوديته وهي من اعظم النعم عليه واتى بصيغة المبالغة وفا السببية وهو
معطوف على الابهام وتسمى عطف تلقين كما صرح به سيبويه وذكره في الكشاف كما
مر وهذا الحديث رواه البخاري وغيره وفي رواية له افلا احب ان اكون عبدا شكورا
فان الشكر يديم النعم او هو معطوف على مقدر اي اترك التهجد فلا اكون الخ وفيه
حث لغيره ودليل على ان الشكر كما يكون باللسان يكون بالابدان كما قال تعالى اعملوا
آل داود شكرا لكن غيره اذا خشي الملال لا ياتي الا بما يستطيعه كما ورد في الحديث فلا
منافاة بينه وبين قوله عليكم من الاعمال ما تستطيعون فان الله لا يمل حتى تملوا
وعلى هذه الوجوه الاخيرة قال الواهي فقوله وقد يكون الغين الى هنا وقيل من قوله
وذهبت طائفة من ارباب القلوب الخ يحمل اي يفسر ما ورد في بعض طرق هذا الحديث
من رواية البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه
ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فيفسر الغين بما مر ويجعل
الاستغفار له لما مر ولامته تعليما لهم والعدد للاستغفار لا للغين لبطله
لفظا ومعنى وقال الجنيدي في خصايصه قال السهروردي لا تعتقد ان هذا
الغين نقص بل هو كمال متمم لكمال ومثله جفن العين يسبل لدفع القذى
عن العين فيمنع من الرؤية فهو نقص بحسب الظاهر وكمال في الحقيقة وهكذا
لبصيرة النبي صلى الله عليه وسلم للاغبرة الثائرة من انفاس الاغيار الى تستر جفنه
بصيرته صيانة ووقاية لها وقال ابن الجوزي هفوات الطباع البشرية لا يخلو
احد منها والانبيا عليهم الصلاة والسلام وان عصموا من الكبائر لم يعصموا
من الصغائر مبني على خلاف المختار وقال ابن بطال الانبيا عليهم الصلاة والسلام
اشد اجتهادا في العبادة لهم دائبون في شكره معترفون بالتقصير عما يجب له
تعالى ويحتمل انه عد اشتغاله بالمباحات ذنبا كالاكل والشرب والجماع وغيره
من امور الدنيا والنظر في امر العباد وغيره مما يشغله عن ذكر الله ومراقبته فعده
ذنبا بالنسبة لعالي مقامه بمنعه من اتصاله بحضرة القدس وكونه تعليما للامة
مخالف للسياق وكذا ما قيل انه لاطلاعه على ما يحدث من امته بعده وفي الاحيا
كان صلى الله عليه وسلم دائما يترقى في المقامات فاذا انتقل من مقام الى اعلى
منه راه نقصا فتاب منه واستغفر وحسنات الابرار سيئات المقربين كما قاله
الجنيد وتعقب هذا بانه يدل على وقوع الاستغفار مرة فاعتبار الاحوال فظاهر
الحديث يخالفه كما قاله ابن حجر وفيه نظر لانه ليس في الحديث ما يدل على افتراق
واجتماع انتهى وسئل العراقي عن هذا الحديث فاجاب بما مر ثم قال والظاهر
ان الجملة الثانية مترتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين بدليل ما
روي حتى استغفر الله وفاستغفر الله ويحتمل ان الجمع بينهما من الراوي فاخبر
بحصول ذلك الغين مع كثرة الاستغفار فما ظنك بمن لم يكن كذلك والجملة حال
مقدرة وقال بعض المشايخ من الصوفية الغين في اصطلاح ارباب السلوك
شهود الحق بشهود الاغيار التي هي حجاب عن شهود الحق وهو منزه عنه فالمراد

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

به اختلاف التجليات كالتجلية الصفاتية والذاتي وقال الشاذلي اشكل علي هذا
الحديث فرايته صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا مبارك ذاك غين الانوار
لا غين الاغيار وفي لطائف المنن لابن عطا الله وحل الرموز للمقدسي من ظنه غين
غفلة وحجاب فقد اخطا وانما كان صلى الله عليه وسلم يستغرق في الانوار
التجليات فيغيب في ذلك الحضور فيساله المغفرة اي ستر هذه الحالة لانه من
الغفر بمعنى الستر لان الخواص لو دام لهم تجلي ما يكاشفون به تلاشوا عن
ظهور سلطان الحقيقة وهذا الستر لهم رحمة وللعوام عقوبة لانه حجاب
يستر عن بصائرهم فالهم مستورون عنه بغيره والخواص مستورون به عما
سواه وهو ستر عن دنو الذات المحرق للسوى كما قال ابن الفارض رحمه الله

ولولا احتجابي بالصفات لاحرقت ✿ مظاهر ذاتي من سنا سبحاتي

هذا محصل ما قاله اهل الباطن والظاهر ومن بلغ ما في الحديث من الظواهر
والسرائر فاختر لنفسك ما يحلو ثم انتقل لشبهة اخرى ترد على الاصل الذي
ذكره فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شا
الله لجمعهم اي جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين على الهدى بهدايتهم للعقائد
الحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل احد منهم عن الطريق المستقيم
فلا تكونن من الجاهلين اول الاية فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض
او سلما في السما فتاتيهم باية وهو شفقة عليه صلى الله عليه وسلم
لما راى من حرصه على ايمان الناس فنهيه عن الجهل بتقدير الله لما شا يوهم
انه لم يحط بذلك وهو منزه عنه ودفعه بما سياتي وكذلك قوله تعالى
لنوح عليه الصلاة والسلام فلا تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان
تكون من الجاهلين حين ناداه وقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
يعني ما وعدته به من نجاة اهله لما قال له احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك وابنه من اهله فساله عن سبب عدم نجاته فانكر عليه سؤاله
ونسبه لما لا يليق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام من الجهل والى دفع
وجه السؤال والشبهة اشار بقوله فاعلم امر لكل من يمكن توجيه الخطاب
اليه وسد مسد مفعوله قوله انه لا يلتفت بالبنا للمجهول اي لا يتوجه
التفات احد ونظر في ذلك اي في خطابه تعالى لهما بما ذكر الى قول من
قال من المفسرين في اية نبينا اي في الاية الاولى التي نزلت في حقه صلى
الله عليه وسلم وقوله فيها فلا تكونن من الجاهلين وان معناها
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شا لجمعهم على الهدى باسناد الجهل
بمشيئة الله اليه ولا تلتفت ايضا لقول من قال في اية نوح عليه
الصلاة والسلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله ان وعدك
الحق فانك لا تخلف الميعاد وعلل عدم الالتفات لهذا القول بقوله
اذ فيه اي في هذا القول وتفسير الايتين بما ذكر اثبات الجهل بصفة
من صفات الله وهي قدرته وعلمه وذلك لا يجوز على الانبيا صلوات الله

وسلامه

وسلامه عليهم لمعرفتهم بالله تعالى وصفاته والمقصود اي المعنى المراد من هاتين
الايتين وعظهم اي ارشادهم وتنبيههم على ان لا يتشبهوا في امورهم حين الدعوة
للخلق بسمات الجاهلين اي لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر والحرص على سرعة
حصول المراد مما هو شان الجهلة كما قال اني اعظك نحو دليل على انه ارشاد له
صلى الله عليه وسلم ان لا يتسم بما ليس من شانه ولا يتخلق بما يشابه اخلاق
الجهلة لا انه جاهل بذلك وليس في اية منهما اي من الايتين المذكورتين دليل على
كونهم على تلك الصفة اي صفة الجهل بصفة من صفات الله فانهم اعلم الناس بها
التي نهاهم عن الكون عليها اي الاتصاف بذلك والنهي عن الكون ابلغ من النهي
عن الاتصاف بها كما قرره ابن جني في كتاب المحتسب فكيف يكونون وهم اعلم
الخلق على صفة نهوا عن الكون عليها والاستفهام لاستبعاد ذلك واية نوح
عليه الصلاة والسلام المذكور فيها قصته وهي قوله اني اعظك الخ قبلها
فلا تسالني ما ليس لك به علم فهي مؤذنة بان المراد نهيه عن التشبيه بالجهلة
لنهيه عن السؤال عما لا يحتاج اليه فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى من اجري
على ظاهرها ونسبة ما لا يليق بهم اليهم لان مثل هذا السؤال عما ليس له
به علم من حال ابنه قد يحتاج الى اذن من الله فلا يعترض عليه بدونه وقد
تجوز اباحة السؤال فيه ابتدا منه من غير اذن فيختلف باختلاف الاحوال
والمقامات فنهاه الله عن ان يساله عما طوي عنه اي اخفي عنه علمه به
فشبه الامر المخفي عنه بثوب مطوي ملفوف لا يظهر باطنه وما في داخله
واكنه اي ستره كقوله قلوبنا في اكنة اي حجاب يمنع الادراك من غيبه اي
من الامر المغيب عنه وفي نسخة في غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه باغرا
وعدم ادخاله في سفينته بيانا لما طوي عنه واكنه لانه لم يكن على دينه لانه
كان يبطن الكفر ونوح عليه الصلاة والسلام لم يعلمه ثم اكمل الله نعمه
عليه جمع نعمة وفي نسخة نعمته بالافراد باعلامه بذلك اي ما سال عنه وانما
جعله من كمال النعمة لانه علم ما لم يعلم وبين له ما نهي عن السؤال عنه
بقوله عز وجل له انه اي ابنه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بكفره وخروجه
عن دينه انه عمل غير صالح تعليل لنفي كونه منه ومعدودا من اهله حكاه
اي هذا التفسير حكاه نص التلقين مكي تقدمت ترجمته كذلك اي مثل قصة
نوح في انها مخالفة للظاهر محتاجة للتاويل بانها تشبيه بمن امتطى مطية
الجهل امر فعل مبني للمفعول لنبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى
التابعة وهي لو شا الله الخ بالتزام الصبر متعلق بامر والمراد بالامر ما يلزم
النهي وامر بالصبر مذكور صريحا في ايات اخر كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل على اعراض قومه عن دينه وعنه ولا يخرج من الحرج وهو ضيق
الصدر والقلق عند ذلك اي عند اعراضهم عنه فيقارب حاله حال
الجاهل بشدة التحسر اي التاسف والندم على عدم اطاعة قومه له حكاه اي
ما ذكر من التفسير ابو بكر بن فورك تقدمت ترجمته والكلام على اسمه في منع

الصرف وعدمه وقيل معنى الخطاب في قوله فلا تكونن من الجاهلين لامة محمد لانه صلى
الله عليه وسلم منزه عن مثله فهو تعريض كما تقدم تحقيقه اي فلا تكونوا من الجاهلين اي
ممن اتصف بصفاتهم وانخرط في سلكهم حكاه مكي ايضا وقال مكي مثله في القران
كثير فيخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
فهذا الفصل الذي قرره في حق الانبيا من تاويل ما يوهم نسبتهم لما لا يليق بعلي
مقامهم وجب وفي نسخة اوجب القول بعصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام منه
لشرفهم وكمال علمهم ورجحان عقولهم وتبرية الله لهم عن النقائص بعد
النبوة قطعا لقيام الادلة عليه والحاصل ان معنى الاية الاولى انه تعالى
لما راى اشتداد حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وشق عليهم حتى كاد
يهلك نفسه لم يرض بهلاكه فقال له ان كان عظم عليك ذلك فان امكنك ان
تغوص في الارض لتطلع منها اية لهم او تنصب سلما تصعد به الى السما لتاتيهم
باية منها حتى يؤمنوا اي انت لا تستطيع هذا فما فائدة هذا الحرص ولو اراد الله هدى
جميع الخلق فلا تحرص على ما لم يرده وقيل كانوا يقترحون عليه ايات يود لو اجيبوا
لها حرصا على ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تفعل هذا لتاتيهم بما اقترحوه
فافعل ليؤمنوا وقيل ابتغا النفق والسلم هو الاية نفسها ففيه ثلاثة اوجه
الاول بيان لشدة حرصه وانه لو قدر على المحال فعله والثاني بيان لحرصه على
تثبيت مطلوبهم ومقترحهم والثالث حرصه على جعل الصعود والهبوط
اية لهم حتى يؤمنوا به وترك القاضي الاخيرين لان عادة الله ان من اجيب
لما اقترح عجل هلاكه وهو مناف لحرصه على ايمانهم ولان المتبادر من الاية ان
النفق والسلم غير الاية مع ما فيه من النزعة الاعتزالية وقصة نوح وهلاك
ابنه كنعان بعد ما سال الله نجاته فقيل له انه سبق القول بهلاكه لكفره والكلام
فيه مفصل في التفاسير فلا نطيل بذكره ثم اورد سؤالا اخر على ما قرره من
الشك في شي مما يتعلق بالعقايد والدين فقال فان قلت فاذا قررت عصمتهم من
هذا اي حفظ الله لهم عما ذكر وانه لا يجوز عليهم شي من ذلك ولا يصح اعتقاده
فيهم فما معنى اذن وقعت في جواب سؤال مقدر فاصلة بين المضاف والمضاف
اليه ملغاة لعدم شروط عملها وعيد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
اي تخويفه بتهديد بصد ورشي من ذلك منه وتهديده على ذلك ان فعله ونحوه
مما يقتضي جواز مثله عليه وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن
عملك الاية حبوط العمل بطلانه بالكلية بحيث لا يثاب عليه ولا يبقى له عمل
حبطت الدابة اذا وجدت مرعى طيبا فاكلت منه اكلا كثيرا حتى انتفخت بطنها
فماتت فالاتيان بالشرط واسناد الشرك له صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر
يدل على جواز مثله عليه وعلى غيره من الانبيا مع انهم منزهون عنه والاطلاق
الاحباط في هذه الاية اما لانه مخصوص لان ذنب العظيم عظيم او هو مقيد
بموته على ذلك كما يعلم من قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم والجواب علم مما تقدم واللام الاولى موطية

لقتم

اي لو قاربت الركون اليهم ادهم فرضا
وتقديرا لاذقناك اه

اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة مضاعفين
والاصل عذابا ضعفا في الحياة وعذابا
ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
علي القاري

لقسم مقدر والثانية في جوابه وقوله بالجزاي وما معنى قوله تعالى ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية اي فان فعلت فانك اذا من الظالمين وهذه
عن ان يدعو غير ربه اي يعبده لان الدعا هنا بمعنى العبادة يقتضي صدوره منه
صلى الله عليه وسلم وتاويله يعلم مما مر وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
الاية اي وضعف الممات اي يضاعف له عذاب الدنيا والاخرة وقوله تعالى ولو
تقول علينا بعض الاقاويل اي لو افترى علينا لاخذنا منه باليمين جواب لو
وعطف عليه قوله ثم لقطعنا منه الوتين والكلام على الايتين وسبب نزولها
مبين في التفاسير والذي يهمنا هنا ما قصده المصنف بايرادهما هنا وقوله وان
تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمراد بهم الكفرة الجهلة واطاعتهم
بموافقة ما هم عليه ومثله لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم فكيف
اسنده اليه فيهما وقد مر جوابه وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك
وهذا بنا على الظاهر من ان المراد يمنعه من قبول الحق كما في قوله ختم الله على
قلوبهم لا على تفسير مجاهد بانه ان يشا يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى
لا يلحق مشقة وقوله تعالى وان لم تفعل ما امرت به فما بلغت رسالته اي
فكانك لم تبلغ شيئا منها للتقصير كذا فهذا يقتضي جواز تقصيره ظاهرا في
تبليغ جميع ما اوحى اليه فامره بان يبلغه جميعا ولا يخشى مكروها من احد
فان الله عصمه وصانه وجعله في حصن حمايته وكان عمر اول من اظهر ذلك وقال
لا نعبد الله سرا وقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تخف من احد ولا تطع
الكافرين والمنافقين فيما يؤدي الى تفريط في شي من امر الدين روي انه صلى
الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة كان يحب اسلام اليهود وقد تبعه ناس
على نفاق منهم فكان يلين جانبه لهم ويتجاوز عن قبايحهم فنزلت هذه الاية
فيهم وقيل في سبب نزولها غير ذلك كما ذكره الواحدي وغيره ثم شرع
في الجواب عما ذكر في هذه فقال فاعلم وفقنا الله واياك للوقوف على
معاني كلامه فانه لا يكون الا بتوفيق منه تعالى انه عليه الصلاة والسلام
لا يصح عقلا وشرعا ولا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم ان لا يبلغ شيئا
مما امره الله بتبليغه كما يوهمه ظاهر قوله فما بلغت رسالته ولا ان يخالف
امر ربه كما يوهمه قوله فان لم تفعل ولا ان يشرك به ولا ان يتقول على الله اي
يكذب عليه ويفتري كما مر في قوله ولو تقول علينا الاية ما لا يجب بالحا
المهملة اي ما لم يرده ولم ياذن له فيه او يفتري عليه اي يكذب عليه وهو
بمعنى يتقوله واعاده لانه صريح في المراد وقد يفرق بينهما بان يراد
بالتقول تكلفه فيما يقوله بزيادة او مبالغة فيه وهو المناسب لعطفه باو
او يضل عن الصواب والطريق المستقيم باطاعة غيره فهو اشارة الى قوله
تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك الخ او يختم الله على قلبه ويطبع عليه
ما يمنعه عن قبول الحق او يطيع الكافرين والمنافقين في امر يهواه انفسهم
وهو اشارة الى قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فان الامة اجمعوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة وبعدها عن الكفر غير الخوارج
حيث جوزوا عليهم بعض الذنوب وهي كفر عندهم وبعض الشيعة القائلين
بجواز اظهار الكفر تقية ولا يعتقد بافواههم الواهية فلذا كان المراد بقوله لئن
اشركت تقبيح الرسل واقناط الكفرة على طريق الفرض اي اذا كان هو لا يحبط
عملهم به فكيف حال غيرهم وكذا قيل في نفي الافترا والتقول عنهم وقس
عليه ما بعده لكن يسر الله امره اي حاله صلى الله عليه وسلم وشانه
او ما امر به بالمكاشفة متعلق بيسر او بامر او بهما على التنازع والبيان
عطف تفسير لان المراد بالمكاشفة كشفه له وتبيينه او المراد بالاول
ما يكشفه بالالهام وبالثاني ما يوحي به اليه في البلاغ متعلق بامره وقيل
بالمكاشفة للمخالفين متعلق بالبلاغ اي من خالفه فيما بلغه لهم عن ربه
وتجوز في قوله بالمكاشفة والبيان ان يراد المبادرة والاظهار للبلاغ من
غير مبالاة باحد فهو متعلق بامره فاذا لم يبال بزجرهم به فكانه لم يفعل
وان ابلاغه تفتح همزة ان وهو معمول لمقدر اي واعلمه ان تبليغه لما امر به
ان لم يكن بهذه السبيل اي على هذه الحالة والطريقة من تبليغ جميعه
واظهاره والصدع به فكانه ما بلغ اصلا لانه كالعدم كمن ترك ركنا من اركان
الصلاة لا يعتد بصلاته وانث اسم الاشارة لان السبيل تذكر وتؤنث وطيب
نفسه طيب النفس جعلها مسرورة غير مكدرة ولا خائفة من شيء وقوى قلبه
ان كان قويا متحققا لانه لا يصيبه مكروه وتقابله ضعفه وهو خوفه مما
يتوهمه بقوله والله يعصمك من الناس اي يحميك ويمنعك عنهم حتى
لا يقدر احد على شيء يضرك وهذه الاية ان كانت نزلت بعد احد بني على عمومها
وكان قبل نزولها له صلى الله عليه وسلم يحرس فلما نزلت ترك ذلك وان
كانت نزلت قبلها فالمراد عصمته من القتل فلا ينافي ما اصابه باحد من جراحته
وكسر ثنيته لحكمة تطييبا لقلوب المومنين وتكثيرا للثواب فمن ظن
من تلاقي الحروب ان لا يصاب فقد ظن عجزا كما قال الله عز وجل لموسى
وهارون حين ارسلهما فرعون وقومه للجبابرة فرعون وقومه
لا تخافا انني معكما اي حافظا وناصرا لكما على هولاء مع عتوهم وتجبرهم
فبلغا اوامري واصدعا بالحق لنشد اي نقوي ونزيد شدة تصابرهم
اي موسى وهارون ومحمد صلى الله عليه وسلم فيكونوا على بصيرة
ويقين في امورهم في الابلاغ اي تبليغ ما ارسلوا به لهم واظهار دين
الله من غير خوف ويذهب عنهم بالبنا للمجهول والنصب معطوفا
على نشد خوف العدو فلوعده تعالى بحفظهم ونصرهم عليهم
المضعف للنفس صفة خوف اسم فاعل بتخفيف العين وتشديدها
اي المودي لضعف نفس من خاف فهو بنون وقاف وسين مهملة وروي
للنفس بيائين مثناتين وقاف ونون والاول اولى رواية ودراية
لان نفوس الانبيا عليهم الصلاة والسلام بين لهم قوية ابدا

وان

وان كان ضعف النفس بمقتضى البشرية ويؤيده بل بعينه قوله تعالى فاوجس في
نفسه خيفة موسى والخوف من الميزان امر طبع عليه الشرع الهم على تقوين من
ان الله هو الصادق النافع وهو لا ينافي التسليم والتوكل الا ترى ما هم حذو في الاحزاب
وهاجر واختفى عدوهم ودخول الغار وهو بحسب المقامات فلا يرد عليه انه يقتضي
الاولى لانه كان لا يفر من الاسد واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية تقدم انه ليس فيه شين له صلى الله عليه وسلم وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة فمعناه ان هذا العذاب لمثله في الدنيا والاخرة جزا من فعل هذا
التقول والافترا على الله وجزا وكذا لو كنت ممن يفعله فاذا هدد به من لا يصدر
عنه فما بالك بغيره وكذلك اي مثل ما ذكر في الايتين قوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله الخطاب له صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد غيره بطريق
التعريض فوقعا للعصاة ايقاظا لهم وتحريكا لغفلتهم لارتفاع قدره صلى الله
عليه وسلم عن ارتكاب مثله كما صرح تعالى بالمراد فقال مخاطبا لهم صريحا
ان تطيعوا الذين كفروا الاية يعني قوله يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين فان الخطاب للمنافقين اذ قالوا للمومنين باحد لما ارجف بقتله صلى
الله عليه وسلم ارجعوا لاخوانكم وادخلوا في دينهم فلو كان محمد نبيا ما قتل
وكذلك قوله فان يشا الله يختم على قلبك خوطب والمراد غيره وكذلك قوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك كما تقدم بيانه وما اشبهه مما خوطب به فالمراد به
غيره تعريضا وايقاظا وان هذه الحال المذكورة من الاحباط ونحوه حال من
اشرك بالله لا حاله والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا فلا
بد من تاويله بما مر واما قوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين في رايهم
بما تقدم فليس فيه انه اطاعهم وانما نزلت لما بايعه بعض اليهود على نفاق
منهم فكان صلى الله عليه وسلم تبدا بهم رجا ان يحسن اسلامهم وليس في الاية
انه صلى الله عليه وسلم فعل ما نهي عنه ولما استشعر سوالا وهو ان
يقال حيث كان الامر كما ذكر فلم نهي عنه اجاب عنه بقوله والله سبحانه يعامل
نبيه صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز ان يعامل به غيره ولا يسال عما يفعل
فله ان ينهاه عما ينشا وان تصور ممنوعه منه ويامره بما ينشا وان لم يتصور
مخالفته له كقوله اتق الله وكما قال تعالى له ولا تطرد الذين يدعون ربهم
اي يعبدونه وقوله الاية اشارة لقوله بالغداة والعشي يريدون وجهه
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون
من الظالمين وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم عن مجلسه ولا كان من
الظالمين اي ممن ظلمهم بطردهم وهم احتقارهم بتقريبه لهم واكرامهم وانه
لا يطيع فيهم من يبغي خلافه ارضاله وكان المشركون قالوا لا نرضى بمجالسة
مثل هولاء يعنون سالما وصهيبا وبلالا وخبابا فاطردهم عنك وطلبوا
ان يكتب لهم بذلك فقاموا وجلسوا ناحية فنزلت الاية فنهاهم عما قالوه
كما في مسلم وانما هو بذلك رجا لاسلامهم مع ان ذلك لا يضر اصحابه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لعله صلى الله عليه وسلم باحوالهم ومناهم بما يرضاه كما فسره المفسرون

فصل وأما عصمتهم

أي حفظ الله لانبيائه عليهم الصلاة والسلام من هذا الشيء أي اعتقاد ما لا يليق في التوحيد
والعلم بالله وصفاته وبما اوحي اليه من امور الدين كما تقدم قبل النبوة
أي قبل ان نبأهم الله وباتيهم الوحي من الله والنبوة والرسالة والفرق
بينهما مشهور وليس هذا محل تفصيله وللناس من علماء الاصول
والسلف خلاف جرى بينهم مذكور في كتبهم والصواب أي القول
الموافق للواقع والادلة التي على خلافه خطاء من قابله انهم معصومون
أي محفوظون مصونون قبل النبوة من الجهل بمعرفة ذات الله تعالى
بوجوه ما او بحقيقته وصفاته فلا يجهلون شيئا منها ومعصومون ايضا
من التشكيك في شيء من ذلك وفي نسخة او التشكيك بالعطف باو الفاصلة
أي لا يقع في نفسهم شك في ذات الله ولا في صفة من صفاته لان فطرهم
جبلت على التوحيد والايمان واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فالمراد به الايمان بما لا يعرف الا بالوحي كوجوب الصلاة
ونحوه من فروع الشريعة وقوله من الجهل بيان لما فيه من العصمة
فلا وجه لما قيل انه اطلق فيما منه العصمة وكان عليه ان يعينه وهذا
اظهر من الشمس لا يخفى على ذي بصيرة وقد تقرر ان العصمة عند
المتكلمين ان لا يخلق الله في النبي ذنبا وعند الحكماء ملكة تمنع من
الفجور حاصلة من العلم بالقبائح والمحاسن فانه الزاجر عن المعاصي
والداعي للطاعة ويتأكد في الانبياء بالوحي الالهي وقيل العصمة
خاصة في النفس والبدن بسببها يمتنع عن صدور الذنب وياباه
انه لو كان ما استحق المدح او الثواب لانها ليست داخلة تحت الاختيار
وهم مكلفون بالاتفاق وفي التحرير لابن الهمام العصمة عدم القدرة
على المعصية او خلق مانع منها غير ملجئ وهو مناسب لقول
الماتريدي العصمة لا تزيل المحنة أي الابتلاء المقتضي لبقاء الاختيار
ومعناه كما في الهداية انها لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية
بل هي لطف من الله يحمله على فعله ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار
تحقيقا للابتلاء واعلم ان العلامة القرافي قال في التنقيح شرح
الاربعين الرازية العصمة لغة الامتناع ومنه العصم لبعض الوحش
لبعده عن مظان الاذى وامتناعه واستعصم الرجل امتنع
ومنه عصمة الزوجية وحملة الشرع يطلقون العصمة على
معنيين احدهما عدم المعصية في الجملة ومنه قولهم في الدعاء
نسألك من العصمة تمامها والثاني عصمة الانبياء والملائكة
عن الكفر دون سائر البشر مع ان الله امتن على الخلق بدوام الايمان

فلا

ابن اقترس

فلا بد من تفسير عصمة الانبياء بغير عدم الكفر وقد منع الله منه حتى يصح قولنا ليس احد
منا معصوما وان كنا غير كافرين مساوين للانبياء في ذلك فيميزهم انما هو باعلام الله
لنا انه صانهم في قضايه وقدرهم عن الكفر وقدر لهم السعادة الابدية حتما مقضيا
فهذا الاعلام الرباني هو عصمة الانبياء والملائكة ومجموع الامة دون كل واحد منهم
انتهى وقد تعاضدت أي تقوت وهو ماخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الى
الكتف ولكونه محل الاستناد واعتماده بذلك قيل عضدته بمعنى قويته كما
اشار اليه الامام الراغب الاخبار والاثار هما بمعنى وقد يفرق بينهما كما
تقدم أي قوي كل منهما الآخر حتى حصلت القوة التامة والمراد بهما ما اشتهر
من احوالهم ووصفا بها لهم المأثورة المعروفة فيه عند كل احد عن الانبياء عليهم
والمرسلين باسرهم وليس المراد انه نقل عنهم بل عرف منهم وفي حقهم فمن
قدر هنا وعن غيرهم لم يصب بتنزيههم أي تبريئهم عن هذه النقيصة
بصاد مهملة أي الصفة المنقصة لمن اتصف بها منذ ولدوا أي من ابتداء
زمن ولادتهم الى اخر عمرهم والكلام على مذ ومنذ معروف في كتب النحو
ونشأتهم بالجر معطوف على تنزيههم والنشأة انه خلقهم لا زمن شبابهم
كما توهم على التوحيد وهو عدم الشرك بالله والايمان بالله وبكل ما يجب
الايمان به بل للانتقال على سبيل الترقي على اشراق انوار المعارف جمع معرفة
والمراد معرفة الله تعالى وصفاته وكل ما يتعلق به واشراقها سطوع انوارها
منهم وشدة ظهورها في احوالهم واقوالهم ونفحات الطاف السعادة
والنفحة الرائحة الطيبة التي تفوح والسعادة أي كونهم سعداء الدارين
فشبه ما يلوح منهم من اماراتها براحة طيب تعلق منهم فتعطر الكون
وفي الحديث ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها كما بيناه في
الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا فمن اراده فلينظر ثمة ولم ينقل
احد من اهل الاخبار عن احد غيره ان احدا نبئ بالبناء للمجهول وهل احد
أي صيره الله نبيا واصطفى أي اصطفاه الله واختاره لذلك وهو مجهول
ايضا ممن عرف بكفر واشراك وهو من عطف الخاص على العام قبل ذلك
أي قبل نبوته واصطفائه ومستنده اسم مفعول لما يستند اليه ويعلم
به هذا الباب أي باب معرفة احوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام النقل
عن اهل الاخبار والاثار ويؤيده العقل الدال على انه تعالى لا يختار
من خلقه للنبوة الا من كان كذلك فليس المراد الحصر ولذا عقبه بما يدل
على ان العقل موافق للنقل فقال وقد استدل بعضهم عليه بدليل
عقلي وهو ان القلوب والعقول السليمة تنفر أي تكره كانها تفر عن
كان هذه أي صفة الكفر والشرك سبيله أي طريقه والمراد عادته وقد
قيل ان فيه اشارة الى ان منهم من خالف في ذلك فجوز عدم عصمتهم عن الكفر
قبل النبوة الا انه ليس بصواب وكذا نقل عن الباقلاني انه جوزه عقلا وان لم
يقع ان الله بعث كافرا ولا فاسقا في المواقف اجمعت الامة على عصمتهم

دلجي

دلجي

به

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم وانا اقول نا قلا لما يؤيد ذلك ان قريشا
قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته عليه واصل الرمي في الاعيان
كرمي السهم والحجر واستعير للشتم والقذف كالرجم والمراد الهاذ منه وسبه
لكل نقيصة مثل قولهم انه ساحر او مجنون او شاعر اي لم تترك شيا
من مفترياتها التي وسعتها افواههم حتى افترته عليه وعيرت بفتح العين
المهملة وتشديد المثناة التحتية وراء مهملة كفار الامم انبياءها وفي
نسخة انبياءهم اي نسبوهم للعار وهو الامر الذي يستقبح وينفر
منه وقال الراغب عيرته ذممته من العار وقولهم تعاير بنو فلان
قيل معناه تذاكروا العار وقيل تعاطوا العيارة اي فعل العير في
الانفلات والتخلية ومنه عارت الدابة انتهى فالمعنى عيروهم بكل
ما امكنها وفي نسخة امكنهم اي تيسر لهم وجاز منه وبرمتهم
واختلقته وكذبت عليهم بوصفهم بما ليس فيهم واصل الاختلاق
الشيء اختراعه من غير سبق لمثله فيعم كل كذب بما نص الله عليه اي ذكره الله
في كتابه الكريم وفي غيره من الكتب الالهية من تكذيبهم ورميهم بانواع
البهتان او نقلته الينا الرواة نقلا مستفيضا بحيث لا يمكن انكاره ولم
نجد في شيء من ذلك اي من الكتب الالهية والاخبار المروية او المراد به ما نقلته
الرواة لقوله تعييرا لواحد منهم اي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
اي نسبتهم لعار بذمهم ووصفهم برفضه اي تركه بعد اتباعه الهته ان
كان هذا الضمير راجعا لمن عيروا المعلوم من السياق فالامر واضح لا للواحد لانه
من الانبياء وليس لهم الهة الا ان يكون على طريق الزعم فحينئذ يصح
تفسيره ذلك بالكتب الالهية والاخبار فاعرفه وتقريعه اي توبيخه وتعييره
بذمه اي ذم احد من الانبياء بترك ما كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد جامعهم اي وافقهم واجتمع معهم عليه اي على عبادته كما فعلوا
ولو كان هذا لكانوا اي كفار الامم بذلك اي تعييره وتوبيخه برجوعه
عن عبادة الهتهم التي كان موافقا لهم على عبادتها مبادرين بدال
وراء مهملتين اي مسارعين لذكره مقدمين له على جميع ما افتروه
ويتلونه بالجيم والحاء المهملة ومثناة فوقية ولام مفتوحتين وواو مكسورة
مشددة ونون وضمير مضاف اليه مفعول تلون تلونا اذا تغير وتنقل
من حال الى حال اخرى تنقل من اللون كالبياض والصفرة تجوز به عن
الاحوال كما عبر به عن الاجناس والانواع قال الراغب يقال فلان
اتى بالوان من الاحاديث وتناول الوانا من الطعام في معبوده
اي ما يعبده متعلق بتلونه المتعلق بقوله محتجين اي مقيمين
الحجة والدليل فيقولون انه لا يستقر على دين تارة يعبد
هذا وتارة يعبد ذاك فما صرفك عن معبودك الاول ومعبود
قومك ولكان توبيخهم له اي توبيخ كفار كل امة لنبيهم

بنبيهم

بنبيهم بسبب ذلك مضاف للمفعول اي نهي النبي لامته عما كان يعبد قبل نبوته
افظع بفاء وظاء معجمة اي اشد فظاعة وهي الشناعة والقباحة وافطع
بقاف وطاء مهملة اي اقوى واشد قطعا في الحجة اي الدليل الذي استدلوا
به عليه من توبيخه هو المعنف عليه فيما على التنازع او التجاذب بنهيهم
عن تركهم الهتهم ان قيل الظاهر عن الهتهم وترك تركهما وعن تركه قبل
ضمير نهيهم للكفار وضمير تركهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام وما كان
يعبد اباؤهم من قبل اي قبل انبيائهم ففي اطباقهم اي اتفاق كفار الامم
واجماعهم يقال اطبق القوم على كذا اذا اتفقوا على الاعراض عنه اي
عن التوبيخ بما ذكر وهو اقوى واظهر في احتجاجهم على رسلهم
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا وطريقا موصلا اليه في نقل او خبر او
اثر اذ لو كان لهم سبيل اليه لنقل الينا المنقول اي نقل الرواة
لهم ذلك ونقل لنا من بعدهم احتجاجهم به ولم ينقله احد ولو
نقل لهم ذلك ما سكتوا عنه بل بادروا اليه فقيل كل شيء كما لم يسكتوا
اي الكفار عن وفي نسخة عند تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة
فانهم وبخوا به وشنعوا حين سفههم الله فقال سيقول السفهاء
الاية وقالوا ما ولاهم اي صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها في اول
امرهم كما حكاه الله عنهم في القران والكلام عليه مفصل مشهور في كتب
التفسير والحديث وقد استدل القاضي القشيري هذا هو الامام
عبد الرحيم بن الامام عبد الكريم بن هوازن الاستاذ ابو نصر بن
الاستاذ ابي القاسم القشيري صاحب الرسالة المجمع على جلالته
وعلمه وزهده وامامته تخرج على امام الحرمين توفي سنة اربع عشرة
وخمسمائة بنيسابور وله عدة اولاد كما فصله البرهان الحلبي وقال
انه لم يل هو ولا احد من اولاده القضاء فقول المصنف له القاضي لا اصل
له وما قيل انه شخص اخر غير هو لا احتمال فاه لنقله عن شخص
غير معلوم موهم لغير مراده على تنزيههم عن هذا اي عن الكفر
والاشراك بالله قبل النبوة لا عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك
في شيء لعدم مناسبته لما بعده وان كان منزها عن ذلك ايضا بقوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية تقدم
ان الميثاق العهد وهو ماخوذ من الوثاق وهو حبل يشد به الاسير
استعير للعهد كما استعير له الحبل كما ورد في الحديث بيننا
وبينهم حبال وتمام الاية ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن
مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وخص هؤلاء بالذكر لشهرتهم
وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم لشرفه وفضله على جميع الانبيا
والميثاق الذي اخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق الى
دين الاسلام وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر به وكان هذا حين

عرضي

دحي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتب وقدر كل ما هو كائن وقال مجاهد انه كان في عالم الذر ووجه الاستدلال
على الوجهين انه اذا عهد اليهم قبل ظهورهم بتبليغ دينه وتوحيده
فكيف يصدر عنهم ما يخالفه قبل النبوة وبعدها وهو معنى قوله صلى الله
عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث وبقوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين الى قوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فعهد اليهم انفسهم او الى اولادهم فهو
على تقدير مضاف او اكتفى بذكر انبيائهم او سماهم انبياء تهكما لقولهم
نحن احق بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم الكلام على هذه
الاية وان للسبكي فيها تاليف مستقل لخصناه فيما مر قال القشيري
فطهره الله اي براه ونزهه عما لا يليق بعلي قدره في الميثاق اي حين اخذ
الميثاق عليهم في عالم الازل وبعيد غاية البعد عن العقول السليمة
ان ياخذ الله منه صلى الله عليه وسلم الميثاق والعهد الوثيق المحكم
بالايمان وامور الدين كله وكذا اخوانه من الانبياء والمرسلين قبل خلقه
وظهوره في عالم الارواح والذر وادم بين الماء والطين ثم ياخذ ميثاق النبيين
بما عهده اليهم بالايمان به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته
على اعدائه ان ادرك زمانه فينفعه ويكون من امته قبل مولده
اي زمان ولادته صلى الله عليه وسلم بدهور جمع دهر وهو الزمان
الطويل كما قيل

ان دهرا يلف شملي بسعدي ... لزمان يهم بالاحسان

وتجوز بتشديد الواو ويجوز تخفيفها ايضا من الجواز والتجويز
وهو منصوب معطوف على ياخذ اي وان يجوز الخ ويجوز رفعه
بتقدير وهو يجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب والعياذ بعابده
عليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز عليه ولا على غيره من الانبياء الشرك
ولا غيره من الذنوب بعد اخذ الميثاق عليهم قبل خلقهم بالايمان
واقامة شرعه القويم هذا اي تجويز الشرك والذنوب عليهم بعد
اصطفائهم واخذ الميثاق عليهم ما اي امر وشيء لا يجوزه عليه وعليهم
الا شخص ملحد فاسد العقيدة عادل عن طريق الحق ونهج الصواب
يقال لحد اذا حفر حفرة مائلة عن الوسط كلحد القبر ثم عم لكل ميل
يقال لحد والحد وشاع في الميل عن الحق وصار حقيقة فيه هذا
المذكور معنى كلامه اي كلام القشيري واسند لانه على ما ذكر قال
وكيف يكون ذلك وفي نسخة وكيف ذلك وفي اخرى فكيف وهو
اسم استفهام عن الكيفية والهيئة التي وقع عليها الامر تجوز به
عن التعجب لا انكاري فهو انكار لتجويز ما ذكر عليه بانكار حالته
التي يكون عليها لان كل امر لا ينفك عن حالة وصفة يكون
عليها فاذا انكرت حالته لزم انكار وجوده كناية على وجه برهاني

اقوى

اقوى من انكاره ابتداء كما قرره وفي قوله كيف يكون دونه بالدم وقد يكون الملاحة
لتجويز ما ذكر وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام كما تقدم من انه
في رواية مسلم وشق قلبه صغيرا اي في حال صغره وهو عند مرضعته حليمة
كما تقدم تفصيله واستخرج منه علقة اي قطعة صغيرة من دم منجمد
تشبه العلقة الخ وقال جبريل عليه الصلاة والسلام هذا المستخرج
حظ الشيطان منك اي نصيبه في وسوسته لبني ادم الذي يسره من غيرك
لقبوله ما يلقيه له فباخراجه لم يبق له عليه سبيل كغيره من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين وجعلها اي نفس الخطاب لغة وتقدم فيه كلام نفيس ثم غسله بماء
زمزم او الكوثر كما تقدم اي قلبه الشريف وملاه حكمة وايمانا تمثيل
لاستقرارهما فيه او انه تعالى جسم ذلك بقدرته وقد تقدم الكلام عليه
مفصلا في قصة الاسرا كما تظاهرت اي اشتهرت وقويت من قولهم ظاهر
اذا اعانه به الى بشق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وقد وقع
مرارا كما تقدم اخبار المبدا اي الاحاديث الصحيحة الواردة في ابتداء امره
ونشاته فهو مصدر ميمي واسم زمان او مكان والاول اظهر ولا يشبه عليك
بضم اوله وفتح ثانيه المعجمة وفتح الموحدة المشددة مبني للمجهول اي لا يشبه
عليك ويوقعك في شبهة ولبس كقوله تعالى ولكن شبه لهم وهذه
شبهة شرع في دفعها لايهامها في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ما يخالف ما قدمه في تنزيههم عن الشك في معرفة الله وصفاته بقول
ابراهيم اي بسبب قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما جن عليه الليل
في الكوكب اذ راه طالعا والقمر اذ راه بازغا والشمس هذا ربي هذا اكبر
الاية اي لا يقع في شبهة مما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام في طلابه
على هذه الكواكب ربا وهو من كبار اولي العزم وذلك اشارة الى ما روي
وهو انه عليه الصلاة والسلام لما كان في السرب قال لامه من ربي
قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي فقالت اسكت فقالت
لابيه الغلام الذي تحدثوا بانه يغير دين اهل الارض هو ابنك واخبرته
بما قال ثم اتاه ابوه فقال له مثل ذلك فلطمه ثم قال لابويه اخرجاني
من السرب فاخرجاه فنظر ابلا وغيرها سارحة فقال لا بد لهذه من خالق
يطعمها ويسقيها وتفكر في خلق السموات والارض فقال ان الله الذي خلقني
ورزقني هو ربي لا اله سواه ثم نظر الى كوكب طالع وهو المشتري
او الزهرة طالعة فقال هذا ربي الى اخر ما قصه الله عنه وهذا
ما ذكره اهل الاخبار والى جواب هذه الشبهة اشار المصنف بقوله فانه
قد قيل كان هذا في سن الطفولية هو مصدر طفل اذا كان طفلا اي
ولدا صغيرا كما تقدم لكن الذي ذكره الراغب وغيره ممن يعتمد عليه
من اهل اللغة انه يقال طفل طفولة وطفالة فاذا كانت الطفولية

مصدر الاحتجاج لنا الاقيسة التي تضمنتها الحواس مصادرة فان مثله سماعي
كالخصوصية كما فصله المرزوقي وغيره من ائمة اللغة الا ان المقام تقتضيه
فلعله وقع عليه وابتدا النظر والاستدلال على وجود الله تعالى
ووجوده لقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وقيل
لزوم التكليف في ابتدا تمييزه من غير ثبات يتعلق مما قاله بل اراد الاستدلال
على وجود صانع قديم لا يجري عليه تغير الا انه جواب ضعيف له
لاقتضائه صدور الشرك منه في صغره ومثله لا يليق بمثله عليه
الصلاة والسلام وكونه تنبيها لابويه وقومه على خطائهم في
عبادة غير الله جواب اخر فادخاله في الكلام هنا غير مناسب لمنافاته
لقوله وابتدا النظر الخ وذهب معظم الحذاق جمع حاذق وهو من له
ذكا وفهم ومعظم بمعنى اكثر من العلما والمعتبرين اشارة الى ضعف
ما قبله وان قائله لا يعتد به الى انه عليه الصلاة والسلام انما قال
ذلك اي هذا ربي الخ تبكيتا وفي نسخة مبكتا وبابهما المعطوف الاتي
لقومه لانهم كانوا يعبدون الكواكب والتبكيت بالمثناة الفوقية
والموحدة وكاف ومثناة تحتية ساكنة واخره مثناة فوقية وهو اللوم
والتقريع يقال بكته اذا عنفه واستقبله بمكروه او غلبه بحجة
وكل منهما صحيح هنا وفي الكشاف انه قول من ينصف خصمه
مع علمه انه مبطل وهو جواب اخر قريب مما ذكر ومستند لاعلامهم
بالزام الحجة لان الظهور والاحتجاب تغير يؤذن بالحدوث مناف
للالوهية فاراد ارشادهم الى النظر بارخا العنان حتى ينقادوا للحق
من غير عناد وقيل معناه اي معنى قوله هذا ربي هذا اكبر الاستفهام
الانكاري بتقدير الهمزة كما بينه بقوله الوارد مورد الانكار الذي
صدر منه مصدر الانكار لا على طريق الشك ولا الاعتقاد ولا بعد فيه
وان كان الاشد عدم التقدير والمراد افهذا ربي اي لا يليق بمثله
ان يكون ربا معبودا وقال الزجاج قوله هذا ربي على قولكم
وفي نسخة قولهم اي هو حكاية لقول الخصم حتى يكر عليه بالابطال
كما تقدم في كلام الكشاف كما قال الله تعالى في آية اخرى اين
شركاي فاضافهم الى نفسه لما سالهم تهكما منه اي عندكم اي كونهم
شركاه على زعمهم وادعائهم كما في هذه الاية فسماهم الله شركا
باعتبار اعتقادهم الفاسد وقومه ان كانوا يعبدون الكواكب
فظاهر وان كانوا يعبدون الاصنام فابطال الوهية الاجرام
العلوية النيرة يقتضي ابطال غيره بالطريق الاولى وفي شرح المواقف
هذا الكلام صدر عن الخليل عليه الصلاة والسلام قبل تمام النظر
في معرفة الله وكم بينه وبين نبوته اذ لا يتصور نبوة الا بعد
تمام ذلك النظر فلا اشكال او بعد اختياره انه لم يعتقده فيكون كذبا

دجي

ابن اقبرس

صادرا

صادرا قبل البعثة او هو على سبيل الفرض ارشادا لقومه كما في برهان الخلف اي
الكواكب لو كانت اربابا كما زعمتم لزم ان يكون الرب متغيرا او ذلك باطل وفيه
ما فيه او يدل على انه اي الخليل عليه الصلاة والسلام لم يعبد شيئا منه ذلك اي من
جنس الكواكب والاوثان ولا اشرك قط لاستغراق الازمنة بالله عز وجل طرفة
عين اي في اقل الازمنة وطرفة العين مقدار تحريك جفنيها من اعلى لاسفل
ويكنى به عن غاية القلة وطرفة مصدر منصوب على الظرفية الزمانية ومثله
كثير فقد قال الله فيما حكاه عنه اذ قال لابيه لازر وقومه ما تعبدون سائلا
لهم مستفهما عن العبادة لهم فقالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين الاية
ثم قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين يريد انهم اعدا
لعابديهم لتضررهم بعبادتهم فوق ضرر اعدي اعدائهم وهو الشيطان
فصور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التعريض واشعارا
بانها نصيحة بداهما بنفسه ليكون ادعى الى القبول كما قاله البيضاوي
وقوله الا رب العالمين استثناء منقطع والعدول بان هكذا لا ينافي لاحتمال
انه تعبد النبوة لا وجه له وفي المقام كلام يضيق عنه البيان [illegible]
ما فيه شفا الصدور وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك فسلامته
منه تدل على انه لم يعرض له اصلا وقوله واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام اي باعد بيننا وبين عبادتها فهذا يدل على انه هو وذريته
لم يصدر منهم شي من ذلك فان قلت فما معنى قوله اي قول ابراهيم
عليه الصلاة والسلام بعد افول القمر لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين فانه ربما يتوهم منه انه في شبهة مما قيل في الجواب انه اراد
به الاستعانة بربه وقد استعجز نفسه وعلم انه انما يهتدي بتوفيق
الله له فقال لقومه ان لم يؤيدني بمعونته اي بتوفيقه اكن مثلكم ايها
القوم في ضلالكم وعبادتكم لغير الله وانما قال هذا وهو معتقد بلا شك
على معنى الاشفاق على قومه ترحما لهم والحذر اي الخوف من الله والاحتراز
عما هم فيه والا اي وان لم يحمل ما ذكره على هذا لم يكن لذكره هنا فائدة
فهو معصوم في الازل قد سبق في علم الله له بالسعادة وتطهير فطرته
من الضلال وهذا السؤال وارد على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام عن الريب والشبه وبعض الشراح هنا حاطب ليل تركنا ما كثر
به سواده فان قلت فما معنى قوله تعالى في سورة ابراهيم وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فالعود
يقتضي انهم كانوا على دينهم وكونهم وهم معصومون من ذلك قبل
البعثة وبعدها كما تقدم فالاية يشكل ظاهرها عليهم ثم قال الله
عز وجل بعد نجانا الله منها اي بعد قول الذين كفروا ما ذكر وقيل
بعد قوله لنخرجنكم من ارضنا الاية وسياتي ما فيه عن الرسل

ابن اقبرس

ابن اقبرس

دجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي حاكيا عنهم ومما تقدم كان محكيا عن قومهم لا عنهم والقائل انهم في
الاشكال لان قومهم قد يطلقون الملة قبل البعثة كانوا على دينهم واما
الرسل فعالي بعضهم من خلافه فكيف يصح منهم ان يقولوا او لتعودن على التقدير
الثاني اي قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها المقتضي بعد هذه الآية فان الاولى في سورة الاعراف
وهذه في سورة ابراهيم وكونها بعدها في النزول يحتاج الى نقل
وقيل انها بعدها في الجملة لان القصة واحدة وهي قصة شعيب وليس
المراد بالرسل جميعهم بل الجنس الصادق على الواحد وقد وقع خطابا
للكفرة بها اقوى في الشبهة فانهم لا يقولون على انفسهم ما لم يتصفوا به
لانهم منزهون عن الكذب ومعنى قد افترينا على الله الكذب اي ما
كذبنا على الله ومعنى نجانا الله منها عصمنا عن الميل اليها فضلا عن
الدخول فيها وجواب الشرط مقدر تدل عليه ما قبله وهو ماض لفظا
مستقبل معنى لدخول حرف الشرط عليه تقديرا وقد يقرب له
الحال اذا عرفت هذا فلا يشكل عليك لفظة العود بمعنى الرجوع
الى الكفر المقتضية لانهم اتصفوا به اولا وهم معصومون منه قبل
البعثة وبعدها كما قررته اولا فتشكل هي وانها تقتضي اي تستلزم
بحسب الدلالة انهم اي الرسل انما يعودون اي يرجعون الى ما كانوا
فيه اي داخلين فيه ومتصفين به من ملتهم يعني الكفر لان الملة تطلق
عليه كالدين فان هذه اللفظة اي لفظة العود وردت كثيرا في كلام العرب
الفصحا لغير ما ليس له اي لما لم يثبت له ابتدا اي قبل حالته التي هو
عليها تماما فيها بمعنى الصيرورة وهي وجود الشي بعد ان لم يكن
تقول صار لفلان كذا او صار غنيا بعد فقر وفي المحصول ان ما صار
اليه شرع نسخ وقيل المقابر لذلك امنهم فادخلوا فيهم بطريق التغليب
او هو باعتبار ظنهم وزعمهم او على حد قولهم ضيق فم الركية يجعل
المتوهم كالمحقق وفيه كلام في شرح المفتاح وحواشيه كما جا في حديث
الجهنميين اي الحديث الذي في حق اهل جهنم المروي في الصحيحين عن
ابي سعيد الخدري عادوا حمما بضم اوله وفتح ثانيه مرتين سودا
اي سودا كالفحم جمع حممة واوله اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار يقول الله من كان في قلبه حبة خردل من ايمان فاخرجوه
فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون
كما تنبت الحبة في حميل السيل وعاد هنا بمعنى صار ولم يكونوا اي
الجهنميون قبل ذلك كذلك اي حمما ومثله اي مثل الحديث
في ان عاد بمعنى صار وجد وان لم يكن موجودا قبل قول الشاعر
هو امية بن ابي الصلت من قصيدة مدح بها سيف بن ذي يزن
ملك اليمن لما ظفر بالحبشة وقد غلبوا على ملكهم وغزاهم ونفاهم

عن

عن بلاده وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب
تهنيه وفيهم قريش وعبد المطلب فانشده امية بن ابي الصلت قوله

لا يطلب الثار الا كابن ذي يزن • يتمم البحر للاعداء احوالا
اتى هرقلا وقد شالت نعامتهم • فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعة • من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتى ببني الاحرار يقدمهم • تخالهم فوق متن الارض اجبالا

الى ان قال فيها

فاشرب هنيا عليك التاج مرتفعا • في راس غمدان دارا منك محلالا
واشرب هنيا فقد شالت نعامتهم • واسبل اليوم من برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وعارضها بعضهم بقصيدة منها في مدح الصوفية فقال

لله تحت قباب العز طايفة • اخفاهم في ثياب الفقر اجلالا
هم السلاطين في اطمار مسكنة • استعبدوا من ملوك الارض اقيالا
غبر ملابسهم شم معاطسهم • جروا على فلك الخضراء اذيالا
هذي المناقب لا ثوبان من عدن • خيطا قميصا فعادا بعد اسمالا
هذي المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

والقصيدة الاولى بتمامها في ديوانه وفي كثير من كتب الادب والتاريخ والسير
باسانيد صحيحة ولها قصة مشهورة وفيها البشارة ببعثته صلى الله عليه
وسلم كما فصلته وليس الشعر المذكور منها كما توهمه من لا خبرة له بالادب
واساليب كلام العرب وليس كما قيل لابي الصلت ولا للاعشى ولا للنابغة
ولا لعمر بن عبد العزيز وانما تمثل رضي الله عنه بهذا البيت فتوهم
الحافظ الحلبي انه له وهذا مثل في الفخر بمعالي الامور وعدم الالتفات
لسفسافها وشيبا بمعنى خلطا ومزجا والقعب انا معروف يقول انك
في معاله وقصور رفيعة متلذذا بالحروب امر السرور تجود بالاموال
لست كعرب البادية الذين جودهم سقي ضيفهم لبنا بما مزج به يعود
في يومه بولا مراقا وجودك بمكارم واموال تبقى عند من انعمت
عليه فشتان بينك وبين غيرك فعاد هنا بمعنى صار لانه لا يتصور
انها كانت بولا قبل ذلك واليه اشار بقوله وما كان ما ذكر قبل ذلك
كذلك اي بولا وهو ظاهر وانما اطلنا فيه لما في الشرح هنا من الخلط
ثم اورد سوالا آخر على ما قررته من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى الخطاب له
صلى الله عليه وسلم واصله فهداك فحذف المفعول رعاية للفاصلة
فانه يقتضي نسبته صلى الله عليه وسلم للضلال قبل البعثة والضلال
شرعا اما بالكفر او بارتكاب المعاصي وهو صلى الله عليه وسلم منزه
عنهما وجوابه قوله فليس هو من الضلال الذي هو الكفر فانه صلى الله

خ نعامته
خ فالتط بالمسك اذ شالت نعامتهم
عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه وسلم معصوم من المعاصي قبل النبوة وبعدها فضلا عن الكفر واذا كان
كذلك فقيل معناه هنا وجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها لان الضلال
معناه لغة العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية فكل عدول ضلال
سواء كان عمدا ام لا فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة كقوله فعلتها
اذا وانا من الضالين كما يأتي قاله اي التفسير المذكور محمد بن جرير الطبري
وقد قدمنا ترجمته وقيل في معناه وتاويله وجدك بين اهل الضلال
فعصمك عن ان تنتظم في سلكهم وتعد منهم فيما نكره من ذلك اي من
الضلال وموافقة اهله فيه وهداك للايمان بالله ومعرفته اذ جعله
فطرة لك ثم اودع فيك ما ترشد له لعقلك السليم اي ارشدك له بالوحي
والى ارشادهم اي ارشاد من لم يكن مهتديا للحق افعال من الرشد ضد الغي
وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وله معان اخر اليه اي الى الايمان
وسلوك الطريق المستقيم بتبليغ ما اوحي اليه ونحوه اي قريب منه ومشابه
له ونحوه نقل عن السدي رحمه الله وقد تقدمت ترجمته ونقل ذلك
ايضا عن غير واحد اي عن ناس كثيرين من اهل التفسير فعلى هذا الضلال
بمعناه المشهور وليس متصفا به ولكنه لكونه بين اهله اطلق عليه
مجازا لعلاقة المجاورة وليس من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا
كما لا يخفى ولم يبين وجهه الشراح هنا وقيل معناه المراد ضالا اي عن
شريعتك التي اوحاها الله سبحانه وتعالى اليك اي لا تعرفها قبل
ان اوحي اليك فالضلال بمعنى الغفلة وقد ورد بهذا المعنى كقوله
ان تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى كما قيل له صلى الله عليه وسلم
بعد ما اوحي اليه فلا تكن من الغافلين ويأتي ايضا انه بمعنى النسيان
واستدل له بهذه الاية ومثله قبل البلاغ ليس بنقص كذا قيل فهداك
اليها وذلك الى ما لا تعرفه وانت طالب له فعلمك ما لم تكن تعلم وقوله
والضلال هاهنا اسم في هذه الاية على هذا القول التحير اي الوقوع في
الحيرة حتى لا يدري اين يذهب وما يفعل حيرة تمتت فاي فتى رام عرفا
فلم يجد لا مناسبة فانه ليس للغافل والناسي حيرة فالظاهر تفسيره
بعدم المعرفة كما صرح به ومن لم يعرف شيئا وطلبه تحير فيه ولهذا
كان صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه يخلو اي يختلي ويعتزل
الناس بغار حراء بالصرف وعدمه اسم جبل بمكة كما تقدم في طالب
ما يتوجه به الى ربه اي سبب يصلحه باطنه واعمال فكره في وسيلة
توصله الى الله ويتشرع به اي يتخذه شريعة وعبادة يتعبد بها
وفي نسخة يتشرع بلا تاء بضم اوله وكسر ثالثه وتشديده معجمة وقيل
انه تصحيف مهملة من الاشراع في اصلاح [illegible] وقيل الرواية الصحيحة
في الاصول الاول وهو الاظهر ولم يزل صلى الله عليه وسلم يفعل
ذلك حتى هداه الله ودله دلالة موصلة الى الاسلام والدين الحق

بما

بما اوحاه عن الله كما تبين في بدء الوحي قاله اي حكى كما في نسخة معناه الامام
القشيري الذي تقدمت ترجمته يعني انه صلى الله عليه وسلم كان موحدا
في اول امره طالبا لاتمام النعمة عليه بهداية لما يرضيه ويكمله فمن عليه
بذلك وقيل معنى ضالا لا يعرف الحق اي الدين الحق لانه لا يعرف الا بالوحي فهداك
اليه بما اوحاه له وهذا في المعنى مثل قوله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم
من الشرع واحكامه او من خفيات واسرار الله التي لم يطلع عليها ومعنى ما لم
تكن تعلم ما لم يكن في قوتك وقدرتك علمه ولذا عدل عما لم تعلم وهو
اخصر واظهر واما كونه لغوا لان كل احد انما يعلم ما لم يعلم اذ تعليم ما يعلم
تحصيل للحاصل وكذا قال السبكي في عروس الافراح وغيره ان قوله علم
الانسان ما لم يعلم بتقدير ما لم يكن يعلم فليس بشيء لانه للامتنان او تاويل
ما لم يكن من مقامك علمه والوقوف عليه ومر لهذا تتمة عن بعض حواشي
المطول قاله علي بن عيسى الامام في العربية والكلام شارح الكتاب المعروف
بالرماني وقد تقدمت ترجمته قال ابن عباس في تفسير هذه الاية لم يكن
له اي من شانه وصفته ضلالة معصية اي ليس الضلال هنا بمعنى ارتكاب
المعاصي لعصمة الله له فالضلال مأول ومفسر بما مر وقيل معنى هدى
هنا اي بين امرك للناس بالبراهين والادلة القاطعة لعرق الشبه فيك
وفيما جئت به حتى صرت لا يخفى على احد والبرهان الدليل اليقيني ومن
تفسيره الهداية علم معنى ضالا وانه وجدك خفيا وكنزا مخفيا لم يعرفه
الناس ولم يطلعوا على شانه وعلو قدره فاظهره الله حتى ذاع وشاع وملأ
الافكار والاسماع فتقدير مفعوله على هذا هدى الناس كلهم وهدى
العقول وقيل معناه وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى
المدينة بان جعلها دار هجرتك ومثواك فالمراد انه بعد البعثة ودعوة
الناس لدينه مع ما كان عليه قومه في القيام عليه صلى الله عليه وسلم
واذيته وهجرة بعض المسلمين للحبشة كان في حيرة مترددا في الاقامة بمكة
والهجرة للمدينة يرجو ان يؤذن له في الهجرة الى ما حتى اذن الله له في ذلك
كما فصل في السير وقيل المعنى وجدك قائما باعباء الرسالة وتبليغها
وهو على المراد لك قبل وقوعه ولكن هو يمتثل وتنويه باسم ومحبة الله
له فكانه امر مطلوب لعظم عظمه عليه كما يقال العلم ضالة المؤمن
فهدى بكلا ضالا لا بارشادك له فيما لا مفعول لهدى قد مر عليه لرعاية الفاصلة
وليس صفة له حتى يتوجه السؤال وهو وجه متكلف مهد به على قلته لانا
وعن جعفر بن محمد هو جعفر الصادق الذي تقدم ومحمد هو الباقر بن
زين العابدين فقال جعفر معناه ووجدك ضالا عن محبتي لك اي لم يظهر
لك الحد ذلك حبيبا لي مقربا عندي في الازل اي في القدم قبل خلقك
اي لا تعرف فيما هو معنى ضالا فمننت عليك بمعرفتي اي التعريف وتفضلت
لا في احبتك وهو تفسير لقوله فهدى فعلى هذا الابتوهم فيه نقص

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لان معناها ليس احد اكرم على منك قال في المجمل الاثر القدم واصله الهم
قالوا للقديم لم يزل ثم نسبوا اليه باختصار فقالوا ازلي ثم ابدلوا اليا همزة
فهو من التجنيس عنده وقال غيره هو من الازل وهو الضيق لضيق القلوب
عن تقديره وهي كلمة محدثة وقرا الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما
ووجدك ضال بالرفع فالضال له صفة لغيره على هذه القراة الشاذة
فلا يرد السوال فهدى وهو على هذا الامر اي اهتدى بك لسعادة الدارين
او المعنى فهداه الله بك ويجوز ايضا على القراة المشهورة ان يكون فاعل
وجد ضمير الواجد المفهوم منه وضالا حال من هذا الضمير وهو بعيد
وقال ابن عطا في تفسير الاية ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي فهداك
اي الى طرق هدايته وعنايته ولما كان هذا خلاف المشهور في اللغة بينه
بقوله والضلال ورد بمعنى المحبة كما قال الله تعالى انك لفي ضلالك القديم
هو من كلام اخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام لابيهم حكاه الله عنهم
اي فارادوا انك على محبتك القديمة ليوسف لا تنساه وهذا منقول عن
قتادة وسفيان وقيل ارادوا بضلاله خطوه وقيل جنونه من حب
يوسف عليه الصلاة والسلام كما قاله الحسن ولم يريدوا اي لم يقصد
اولاد يعقوب ههنا اي فيما حكى عنهم في هذه الاية ضلالة في الدين بانه
يعتقد واخطاه في دينه باعتقاد ما يخالفه او اصراره على ما ينافيه اذ لو
قالوا ذلك معتقدين مثله في نبي الله الذي عصمه الله عن الخطا
في دينه علما وعملا لكفروا في اختراعهم على نبي الله ونسبته لما لا يليق
به وتحقيره ومثله كفر في الشرع فلذا فسر الضلال بالمحبة ومثله
اي مثل كون الضلال بمعنى المحبة في هذه الاية انا لنراها في ضلال
مبين هو في حق زليخا وقد شغفها حب يوسف عليه الصلاة
والسلام اي فان المناسب للمقام انه بمعنى محبة بينة اي ظاهرة
مكشوفة لافتضاحها عنده هذا اي ابن عطا الذي فسر الضلال بالمحبة
فوضع اسم الاشارة موضع الضمير لتمييزه اكمل تمييز وفي بعض
النسخ ومثله عنده هذا الخ وقال الجنيد في تاويل هذه الاية وهو
ابو القاسم بن محمد الزاهد العابد شيخ وقته ونسيج وحده
واصله من نهاوند ونشا بالعراق وتفقه باخذه عن الثوري
رحمه الله وسفيان واخذ الطريقة عن السري السقطي والمحاسبي
وتوفي سنة سبع وتسعين ومايتين وهو من فقها الشافعية
كما في طبقات السبكي ودفن بالشونيزية عند خاله السري
ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك من القران تفسير لقوله
ضالا فهداك لبيانه باظهاره وبيان ما خفي من معانيه
في حال تبليغه لامته كقوله وانزلنا اليك الذكر الاية المراد
بالذكر القران لما ذكر من التذكير والموعظة لتبين للناس ما نزل

اليهم

اليهم مما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتدا امره ومثله لا ضير فيه
وقيل معناه ووجدك ضالا بمعنى انك في خفا حالك بين الناس كمن ضل فتاه
وفارق قومه حتى خفي امره عنهم فهو استعارة وعبارة عن انك لم يعرفك
احد من الناس ولم يعرف اتصافك بالنبوة حتى اظهرك الله فهدى بك السعدا
اي من اسعده الله بمتابعتك واتباعك والايمان بك وفي الاية وجوه كثيرة
منها انه بمعناه الحقيقي لانه وهو طفل ضل في شعاب مكة فراه ابو جهل
لعنه الله ورده لجده عبد المطلب كما رواه ابن عباس وعن ابن جبير انه
خرج مع ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته وعدل به عن الطريق
في ليلة ظلما فجا جبريل عليه الصلاة والسلام ونفخ ابليس نفخة رماه بها
للهند ورده صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وعن
كعب ان مرضعته حليمة لما اتت به لترده لعبد المطلب جلست لتصلح ثيابها
فلم تره وسمعت هدة شديدة فقالت ابن الصبي قالوا لم نره فصاحت وامحمداه
فرات ابليس لعنه الله على هيئة شيخ متكئ على عصا وقال اذهبي لهبل يرده
عليك ثم جا وقبل راس الصنم وقال له رد ابن السعدية عليها فتساقطت
الاصنام وقالت له اليك عنا فار بعد وقال لها الابنك رب يحميه فاطلبيه
فطلبته في جماعة من قريش فيهم عبد المطلب فتضرع الى الله قايلا في ذلك

يا رب رد ولدي محمدا • فاردده لي واتخذ عندي يدا

نسمة فوقهم تنبدد ا فسمعوا مناديا يقول لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه
وها هو بتهامة عند شجرة فوجده عندها يلعب باوراقها وقيل المعنى
وجدك ضالا عن طريق المعراج فهداك له ولا اعلم احدا من المفسرين قال
فيها اي في تفسير الاية ووجدك ضالا فهدى ان معناها ضالا عن الايمان لانه
صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن
الكفر وكل ما ينفر عنهم القلوب وفي الكشاف من قال من انه صلى الله عليه
وسلم كان على امر قومه اربعين سنة ان اراد خلوه عن الامور السمعية فنعم
وان اراد انه على كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكباير والصغاير
الشاينة فما بالك بالكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شي
وكفى نقيصة عند الكفار ان يسبق منه كفر انتهى وما نقل عن الكلبي والسدي
من ان الاية على ظاهرها ومعناها وجدك كافرا في قوم كفار مخالف للاجماع
وبعيد عن الادراك ان ينسب صلى الله عليه وسلم الى الاشراك ولهذه
الرواية الشاذة بل الفاسدة رد الزمخشري فيما قاله والعجب ممن نقل
هذه المقالة وقال لا وجه لترديده مع حملها على الشق الثاني وكذلك
اي مثل اية ووجدك ضالا فهدى وتاويلها قوله تعالى في قصة موسى
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عنه قال فعلتها اذا وانا من
الضالين وقرا ابن مسعود من الجاهلين اي ومعناه من المخطيين

ابن اقبوس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفاعلين شيا بغير قصد ونقيد لقتل القبطي لتي قتلتها او الذاهبين الي ما يفضي
اليه الوكز قصدا من التاديب وهذا معني جايز قبل النبوة فلا ينوهم من هذه الاية
ان فيها نقيصة لموسي عليه الصلاة والسلام لان الضلال بمعني الخطا وضمير
فعلتها للفعلة التي فعلها وهي قتله قبطيا من اتباع فرعون بمصر قبل
نبوته وبخه فرعون عليها المدعاة وعدد نعمه عليه بقوله الم نربك فينا وليدا
الي قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين فاجابه بقوله فعلتها اذا
وانا من الضالين فوصف نفسه بالضلال وهو معصوم منه فاجاب بان الضلال
بمعني الخطا وعدم القصد لقتله وانما اراد دفعه فوكزه فمات من وكزه
ومثله لا ضرر فيه لانه خطا معفو عنه وباقي الكلام علي ذلك ايضا قاله اي
قال هذا التفسير لهذه الاية ابن عرفة وهو الحسن العبدي المودب المحدث
الثقة الذي روي عنه الترمذي وغيره وهو معمر عاش مائة وسبع او عشر
وتوفي سنة سبع وخمسين ومائتين وهو المراد هنا عند الحافظ الحلبي وغيره
لا ابن عرفة الذي هو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه
وقال التلمساني انه المراد هنا وفيه نظر وقال الازهري ابو منصور محمد بن
احمد امام اهل اللغة صاحب التهذيب توفي سنة سبعين وثلاثماية معناه
اي معني من الضالين في الاية من الناسين وعروض النسيان للانبيا عليهم الصلاة
والسلام جايز وهو تكذيب لفرعون في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت
وانت من الكافرين والمراد به عدم القصد اذ القتل لا يكون نسيانا اللهم
الا ان يريد نسيان انه من القبط وجند فرعون وهو الظاهر لقوله وقد
قيل ذلك اي ان الضلال بمعني النسيان في قوله عز وجل في حق نبينا
صلي الله عليه وسلم كما تقدم ووجدك ضالا اي ناسيا فهدي اي فهداك
وذكرك كما قال ان تضل احديهما اي تنسي احدي المراتين ما شهدت
به فتذكرها الاخري ما نسيته ثم اورد انه اخري يخالف ما قرره من
عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الشرك وكل ما ينفر كالجهل فقال
فان قلت فما معني قوله عز وجل لنبينا صلي الله عليه وسلم وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ووجه السوال
انه نفي عنه صلي الله عليه وسلم معرفته بالقران المنزل عليه وبالايمان
والاول صحيح لان عدم معرفته بالقران قبل الوحي امر مقرر والمشكل انما
هو الثاني لانه يقتضي انه صلي الله عليه وسلم لم يكن مومنا قبله وهو
معصوم عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم فلذا قيل ان المراد
به الايمان بما يجب الايمان به من احكام الشريعة لا بمجرد التوحيد والتصديق
والكل يتنفي بانتفا جزيه ولا حاجة لما تكلفه بعضهم من ان الايمان المراد
به ما ذهب اليه المحدثون وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل
بالجوارح ومجموعه لم يكن معلوما له صلي الله عليه وسلم قبل الوحي
فالجواب ما ذكر في هذه الاية ان السمرقندي هو الامام ابو الليث رحمه

الله وقد تقدمت ترجمته قال معناه اي ما ذكر في هذه الاية ما كنت تدري قبل الوحي
ان تقرا القران اي لا تعرف قراته ولا دراسته ولا كيف تدعو الخلق الي الايمان
وقيل انه بعيد غاية البعد فان قدر مثله في النظم فلا قرينة تدل عليه وقد
يقال بعرف الايمان عهدي والمراد به ايمان امته اي لا تدري كيف يومن قومك
وباي طريق يدخلون في الايمان وملة الاسلام وهو بدعوته له وسنتم بيانه
قريبا وقال بكر القاضي تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما قاله السمرقندي تماما هو
قريب منه قال اي بكر لا السمرقندي كما قيل ومقوله هو قوله بتوحيده ولا
الايمان مصدر بمعني المعهود اي ما يجب الايمان به الذي هو الفرايض والاحكام
الشرعية التي كلف بها علما وعملا مما لا بد منه قال اي بكر فكان صلي الله عليه وسلم
قبل اي قبل نزول الوحي ومجي الملك له مومنا اي مصدقا بتوحيده وانه
لا اله الا هو ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل اي قبل نزولها وقبل
بعثته فزاد بالتكليف اي بسبب ما كلفه الله من الفرايض ايمانا وهو اي ما
قاله السمرقندي وابو بكر احسن وجوهه اي احسن ما وجهت به هذه الاية
واحسن تفاسيرها لانه تعالي لم يرد انه صلي الله عليه وسلم لا يدري وانه
لا يعرف الايمان لانه لو كان كذلك قال ما كنت تدري الكتاب ولا الايمان فلما
اتي بما الاستفهامية كان معناه انه لم يدر حال الكتاب وحال الايمان وحال
الكتاب تلاوته وحفظه وهو امي لا يعرفه وحال الايمان لم يرد به ايمانه النبي
بالله وهو مجبول عليه متيقن له من ابتدا خلقه الي اخره فالمراد به ايمان غيره
من امته وهو انما يعرفه ايمانهم المضمر في قلوبهم الا اذا دعاهم فاجابوه
وطابق لسانهم جنانهم فهذا التفسير له يلازمه التبين وهو وجه دقيق
كما اشار اليه المص ومن لم يقف على مراده قال على هذا الايمان في هذه الاية
معناه التصديق والاقرار والعمل والتصديق بما جا به محمد صلي الله عليه
وسلم هو معناه الحقيقي شرعا وما عداه غير داخل فيه الا على قول واما
تفسيره بدعوة الخلق ومعرفتها فلم يقبله احد فكيف يكون ما ذكره وجها
حسنا ولا دلالة للفظ عليه بوجه من الوجوه والمراد ما قدمناه وقيل معناه
ما كنت تعرف الكتاب قبل نزوله عليك ولا الايمان بالفرايض والاعمال التفصيلية
قبل مجي الكتاب الذي هو تبيان لكل شي وهذا وجه اخر غير ما ذكره المص
رحمه الله ومنهم من نزل عليه كلام المص فخلط وخبط فان قلت اذا كان صلي الله
عليه وسلم عالما بالله وصفاته فما معني قوله تعالي له وان كنت من قبله لمن
الغافلين فوصفه بالغفلة ان كان غفلة عن ايات الله قبل الوحي تاني ما
قررته اولا واورده بقوله فاعلم انه اي ما ذكر من وصفه بالغفلة ليس بمعني
الغفلة التي في قوله تعالي والذين هم عن اياتنا غافلون فان الغفلة
في هذه الاية غفلة عن العلم بالله وصفاته واول الاية ان الذين لا يرجون
لقانا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون
اوليك ماواهم النار بما كانوا يكسبون وهو صلي الله عليه وسلم معصوم

عن هذه الغفلة بل معنى الغفلة المذكورة ما حكى ابو عبيد الهروي امام اهل
اللغة ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف مع ابيه واخوته فانه صرح قوله
نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله
لمن الغافلين اذ لم يعلمها الا بوحينا قبل ما قصه الله عليه والغفلة عن مثله
مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وهذا اظهر من ان يذكر فالفرق بين الغفلتين
ظاهر وفي التعبير بالغفلة اشارة الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى
كانه غافل عنه وتنبيه وكذا كذا اي ما ذكر مما يوهم ما لا يليق بعصمته قبل
النبوة الحديث الذي يرويه ابو يعلى الموصلي في سنده وعثمان بن ابي شيبة
وهو من المحدثين الا انه ضعيف على ما يأتي لانه نسب اليه اوهام بسنده
عن جابر رضي الله عنه كما قال ابو يعلى حدثنا ابن ابي شيبة قال حدثنا
جرير بن عبد الحميد الضبي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد اي يحضر
مع المشركين بمكة في صغره مشاهدهم اي محال اجتماعهم عند اصنامهم وهذا
هو محل الانكار من هذا الحديث فانه لم ينقل ذلك عنه الا في رواية ذكرها
السهيلي وقال انها مرة واحدة علما فيهما وكان ذلك بالحاح عليه من عمه
ابي طالب ثم لم يعد لها فسمع ملكين خلفه كانا موكلين به بحفظه انه احدهما
اي احد الملكين يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه تحفظه فقال الآخر
كيف اقوم خلفه واقرب منه وعهده مبتدأ خبره محذوف اي قريب والعهد
بمعنى الزمان كعهدنا بكم في عهد خلافة فلان باستلام الاصنام وفي الزاهر
لابن الانباري الاستلام افتعال من السلمة وهي الحجر ومعناه مس الحجر او
هو استفعال من اللامة وهي السلاح اي حصن نفسه بمسه وحنف وعن
الفراء استلمت الحجر واستلامته بالهمز انتهى ولم يقع له ما مبني في حاشية
البخاري على هذا فذكره بطريق البحث من عنده وفي كشف الكشاف انه مأخوذ
من عين لا من مصدره وفيه صيرورة تقديرية وهو افتعال للاتخاذ والاختصاص
اي اتخذ سلمة وجعل لنفسه بعطه بالاشارة اليه بيده ومسه ثم عم لكل
تقبيل فلم يشهد هم اي لم يشهد المشركين في مشاهدهم بعد اي بعد ما
سمع من الملكين ما قالاه وهذا الحديث مشكل لما تقرر من انه لم يكن
على شيء مما كان عليه المشركين من ولادته الى وفاته صلى الله عليه وسلم ورده
المص رحمه الله بقوله فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا اي انكارا شديدا
ولم يقل بصحته واسند الحد منه الهمز استغير لما ذكر وقال هو موضوع
وكذب لم يثبت والثابت خلافه او شبيه بالموضوع على انه فقيد
يعني به انه يشبه الموضوع لشدة ضعفه وليس من القضايا بل هي بعض
رواته وحرف بعضهم شبيه بشبيه تفعل منه ورويه بسبه مضارع
مجهول منه دالنا وقال الدارقطني ان عثمان وهم بوزن غلط ومعناه
ويقال وهم واوهم بمعنى غلط ايضا في اسناده والحديث بالجملة اي اجمالا

منكر

منكر غير متفق على اسناده اي روايته فلا يلتفت اليه اي لا يعتبر بل ينبغي تركه وعدم
روايته اصلا لثبوت خلافه كما سيبينه المص وقال انه مما انكر على عثمان وقد
انكر عليه احاديث اخر رواها مع ان الشيخين رويا عنه بعض الاحاديث وعثمان
هذا هو عثمان بن محمد بن ابي شيبة ابو الحسن العبسي الكوفي الحافظ توفي سنة
تسع وثلاثين ومائتين وقد ضعفوه الا ابن معين قال انه ثقة مأمون والبعيد
من عدن هفواته ثم اشار الى رده بعد ما رد سنده وبين الوهم فيه فقال
والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه اي ما يخالفه معنى عند اهل العلم
بالحديث وبأحواله صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم بغضت
بالتشديد والبناء للمجهول الى الاصنام اي جعل الله محبوبا لا على عدم حبتها وهو
يقتضي ظاهرا انه لم يشهد مشاهدها ولم يوافق قومه في امرها ومن
في الحديث الآخر الذي رويته ام ايمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وهي ام اسامة
واسمها بركة وهي صحابية وترجمتها مشهورة وحديثها هذا رواه ابن سعد عن ابن
عباس عنها حين كلمه عمه ابو طالب وآله في حضور بعض اعيادهم وكان قال له صلى
الله عليه وسلم يا بني لم لا تشهد مع قومك مشاهدهم عند اصنامهم يريد بذلك

سنامهم

ان تؤلف بينه وبينهم باظهار موافقته لما هم عليه لما راى اجتنابه لهم ولا
وعزموا عليه اي الحوا عليه واقسموا عليه فيه اي في شأن الحضور معهم يقال
عزم عليه اذا اقسم وهو قسم استعطاف وطلب وضمير عزموا لاهل بيته لاخبارهم
ابا طالب بانه لا يريد ذلك واليه اشار بقوله بعد ظهور كراهيته لذلك اي لحضور
مشاهدهم فخرج صلى الله عليه وسلم معهم اي مع اهل بيته وقومه الى اعيادهم
ومجامعهم ورجع من عندهم مرعوبا اي ظاهر عليه اثار الرعب والخوف وفي نسخة
منقولة من الام فقال الفا فصيحة اي فسأله عمه عن سبب رعبه فقال كلما دنوت
اي قربت منها لامسها بيدي من صنم بدل من قوله منها مفسر له تمثل اي ظهر لي
شخص وهو ملك موكل بحفظه صلى الله عليه وسلم ظهر له على مثال رجل ابيض
طويل يصيح بي وراءك بالنصب على انه ظرف جعل اسم فعل اي ارجع لا تمسه
اي لا تمس صنما منها بيدك كما يفعلون وهذا سبب رعبه صلى الله عليه وسلم
لانه كان قبل بعثته وانسه بالملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام فلم يشهد
اي لم يحضر صلى الله عليه وسلم بعد مبني على الضم اي بعد ما راى ذلك الملك
الموكل بحفظه عيدا لهم يجتمعون فيه عند اصنامهم وهذا ينافي لقوله انه
كان يشهد مشاهدهم المقتضي لوقوع ذلك منه باختياره مرارا فان كان
يقتضي تكرر ما بعدها كقولهم كان حاتم يكرم الضيف وهذا الحديث تقدمت
الاشارة اليه في الاسراء حين ذكر البراق وهو ضعيف ايضا وقوله في قصة بحيرا
الراهب بفتح الباء والمد والقصر وقصته معه وقعت حين سافر صلى الله عليه وسلم
الى الشام مع عمه ابي طالب ومر بصومعة بحيرا وراى السحاب تظله والشجر
التي نزل صلى الله عليه وسلم تحتها تميل اليه لتظله وقصته مشهورة
حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم اي اقسم عليه او طلب منه ان يحلف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

باللات والعزى اسم صنمين معروفين اذ لقيه بالشام اي فرسيا منهما او بارضهما
واقليمها في سفرته مع عمه ابي طالب لما استصحبه معه صغيرا لانه كان لا يفارقه
سفرا ولا حضرا وهو صبي صغير وراى بحيرا عنده قد وقفه عليه فيه صلى الله
عليه وسلم علامات النبوة كتظليل الغمامة له وميل الشجر لجانبه ونزوله
صلى الله عليه وسلم في منزل كان الانبيا عليهم الصلاة والسلام ينزلون فيه
كما فصل في قصته وامتحانه انه قبل النبوة فاختبره بذلك وفي نسخة فاخبره
اي اخبر بحيرا ابا طالب بذلك اي بعلامات النبوة التي شاهدها فيه فقال له
اي لبحيرا النبي صلى الله عليه وسلم لا تسلني اصله كما في نسخة لا تسالني به
فخفف بحذف الهمزة بعد نقل حركتها اي لا تقسم علي بهما لما فيه من الشرك
وتعظيم الاصنام فوالله اقسم صلى الله عليه وسلم بالله ارشادا له وبيانا لما
حقه ان يقسم به وتاكيدا لقوله ما ابغضت شيئا وكرهته قط بغضهما اي
كبغضي لهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له صلى
الله عليه وسلم وشرف وكرم سل عما بدا لك اي عن كل شيء خطر ببالك وقد تقدم
الكلام على هذا التركيب واعلم ان قصته صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب
رواها ابن سعد في طبقاته وابن سيد الناس في سيرته وحاصلها بيانا لما مر
ان قريشا كانوا يجتمعون في كل سنة بمحل ورا ينبع يسمى بوانة بضم الباء وفتحها
وواو مفتوحة والف وهاء اسم هضبة فيها اصنام لهم عيد فيه في كل سنة فقال
ابو طالب وعماته له صلى الله عليه وسلم اذهب معنا العيد فابى فقال له ابو
طالب انا نراك تخالفنا في امر الهتنا ونحن نخاف عليك من ذلك والحوا عليه حتى
غضب ابو طالب فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى ذهب معهم وبينما هو
معهم ثمة غاب عنهم ما شا الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقالوا له ما دهاك
فقال اخشى ان يكون بي لمم فقالوا له ما كان الله ليبتليك بالشيطان
مع ما فيك من خصال الخير فما رايت قال اني كلما دنوت من صنم منها تمثل
لي رجل ابيض طويل ينادي ورائك يا محمد لا تمسه ثم ما عاد صلى الله
عليه وسلم الى عيد لهم حتى نبئ واما قصة بحيرا فمذكورة ايضا في
السير وقد عرفت محصلها وكذلك اي مثل ما ذكر في الدلالة على خلاف
ما رواه ابن ابي شيبة او مثل ما تقدم من نزاهته صلى الله عليه وسلم
عما كان عليه اهل الجاهلية المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام
واحواله المروية عنه في السير وتوفيق الله له لهدايته وخلوص طريقه
من ابتدا خلقه الى وفاته والمعروف مبتدا خبره قوله انه كان قبل نبوته
بفتح همزة انه وقوله كذلك مبتدا خبره الجملة التي بعده او انه مبتدا
مؤخر وكذلك خبر مقدم والمعروف بدل من اسم الاشارة يخالف المشركين
في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان صلى الله عليه وسلم اذا حج يقف
بعرفة اسم مكان معروف يقف به الحاج ويسمى عرفات ايضا ويقال المعروف
في التعريف قال ابن دريد في مقصورته ثم الى التعريف يعرون بحثا واصله

الوقوف

الوقوف بعرفة وعرفة علم منقول من جمع عارف سمي به لتعارف ادم وحوى فيه
وقيل ان عرفة اسم مولد ويرده حديث الحج عرفة وقيل عرفات اسم المكان وعرفة
اسم يوم الاجتماع وفيه كلام ليس هذا محله لانه اي عرفة كان موقف ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم فهداه الله لاتباع شريعته ومخالفة الجاهلية فيما كانوا
عليه وكانت قريش تقف بمزدلفة لانها من الحرم وساير العرب تقف بعرفات
وهي خارجة عن الحرم فخالفهم صلى الله عليه وسلم في ذلك كما في صحيح البخاري
وفي هذا انزل ثم افيضوا من حيث افاض الناس الاية

فصل

قال القاضي ابو الفضل هو كنيته المؤلف عياض رحمه الله تعالى
قد بان اي ظهر واتضح بما قدمناه في هذا الباب عقود الانبيا عليهم الصلاة
والسلام جمع عقد وهو الجزم والتصميم مستعار من العقد وهو جمع الاطراف
في التوحيد اي اعتقاد وحدانيته تعالى وعدم الشرك والايمان اي التصديق
بكل ما يجب الايمان به والوحي النازل عليهم من الله وعصمتهم في ذلك اي حفظهم
عن اعتقاد خلاف ذلك المذكور كله على ما بيناه في الفصل الذي قبل هذا فاما
ما عدا هذا الباب اي غير ما ذكر من التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم فيه
من عقود قلوبهم اي جزمها وهو بيان لما عدا فجماعها بكسر الجيم بمعنى
جميع ومجتمع والمراد جملتها وما يجمعها اي جملة عقود قلوبهم في غيرها انها
اي قلوبهم كلها مملوة علما ويقينا نصب على التمييز والمراد بما عداها ما لا بد
من علمه كاحوال الاخرة والبرزخ والملايكة على الجملة اي هذا حالها اجمالا لا تفصيلا
لانه لا يحصى لكثرته وانها قد احتوت اي اشتملت وجمعت وقوله من المعرفة والعلم
بيان لما تقدم عليه بناء على جواز تقدم البيانية على مبينها كما ذهب اليه
بعض النحاة ومن منعه يقدر له مبينا يبينه ما يات والفرق بين المعرفة والعلم
ان الاولى تتعلق بالجزئيات والعلم بغيرها او بما يسبقه جهل ولذا قيل
انه لا يطلق على علم الله معرفة الا ان ابن جماعة اعترض عليه وقال انه ورد
في الحديث ما يخالفه وقد بيناه في غير هذا المحل بامور الدين والدنيا
جزئياتها وكلياتها ما لا شيء فوقه اي يزيد عليه ويفضله والفوق ضد تحت
ويكون في المكان والزمان والجسم والعدد ونحوه فاستعير لما ذكر كما قاله
الراغب ومن طالع الاخبار اي اطلع على ما في كتبها والمطالعة تحقق عرفا
بالنظر في الكتب وقراتها واعتنى اي اهتم واشتغل بالحديث النبوي رواية
ودراية وتامل اي فكر ودقق النظر واصله مفعل من الامل استعير لما ذكر
ما قلناه فيما تقدم وجده محققا كما قلناه وقد قدمنا منه اي من الامور
المتعلقة بعقد قلوب الانبيا في كل ما ذكر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم
في الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من
الخصائص والكرامات في القسم الاول اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه
على ما وراه اي مع ما ذكر بعده في هذا الكتاب فعلى بمعنى مع او
محتويا ه كما عليه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف [illegible]

كالاستدراك على ما قبله اي لكن احوالهم مختلفة فبعضهم له مرتبة فيها اعلى مما
عداه كنبينا صلى الله عليه وسلم فالتفاوت لا ضرر فيه وقال الباقلاني يجوز
عقلا عدم معرفة النبي ببعض شرايع من قبله وعدم معرفته ببعض الفروع
الفقهية التي فرعها الفقها لكنه اذا سئل عنها لا بد ان يعرفها وكذا علمه
باللغات بشرط ان لا يخل بالتوحيد كما قيل وفيه نظر لا يخفى فاما ما يتعلق
منها اي من العلوم المفهومة من السياق لا بالعقود بامور الدنيا كامر المعاش
واحوال الناس فلا يشترط بالبنا للتحتية مبني للمفعول ونايب فاعله العصمة
في قوله في حق الانبيا العصمة من عدم معرفتهم ببعضها ويجوز ان يكون
مبنيا للفاعل ويثبت العصمة على المفعولية والضمير فيه للعلما واحاد في
قوله ببعضها لان عدم معرفتها بالكلية ينافي شدة فطنتهم وسلامة عقولهم
والمراد ما لا تعلق له بالدين اصلا فيجوز عدم معرفتهم بذلك او اعتقادها
على خلاف ما هي عليه كقصة تابير النخل وستاتي ورجوعه صلى الله عليه وسلم
لراي الحباب بن المنذر في بدر والمراد بالاعتقاد ما يشمل الظن لا الجازم منه
ولا وصم بفتح الواو وسكون الصاد المهملة اي لا عيب ولا نقص نقصير
عليهم اي عايد على الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيه اي في عدم معرفته
ومن عليه بقوله اذ هممهم جمع همة وهي العزيمة من هم بالامر اذا عزم
عليه متعلقة اي مشغولة بامور الاخرة وانبايها جمع نبا وهو الخبر وعبر
به لانها انما تعلم بالوحي واخبار الله لهم بها وامر الشريعة وقوانينها
وهو لفظ رومي معرب وامور الدنيا تضادها اي تخالفها فالاشتغال بها
لا يليق بعلو هممهم بخلاف غيرهم من اهل الدنيا اي غير الانبيا من الناس
الذين يعلمون بدل من اهل الدنيا تلويحا لان علمهم لا يعتد به لانهم انما
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ففيه اشارة لبلادتهم وانهم انما يعلمون
ظاهرها زخارفها الذي يتمتعون به دون باطنها الذي يستعدون به للاخرة
ويتزودون به لدار القرار من صالح الاعمال وتنكير ظاهرا اشارة الى انه
متاع قليل وهم عن الاخرة غافلون عنها لا يخطر ببالهم تدارك ما يلزمهم
منها فهم كالانعام وهم الثانية تكرير للاولى وغافلون خبرها او مبتدا
خبره غافلون والجملة خبر الاولى وعلى كل حال فيه تاكيد لغفلتهم وهو
اقتباس واشار بالمضادة الى ان المراد بالدنيا ما تمحض لها كرياستها
وجاهها ولذايذها بخلاف بيان امور المعاملات فانها امور شرعية
يلزمهم بيانها فلا حاجة لذكره هنا لانه سياتي واليه اشار بقوله
كما سنبين هذا في الباب الثاني ولكنه مثير شان وهو استدراك على ما قبله
لا يصح ان يقال انهم لا يعلمون شيا من امر الدنيا اصلا فان ذلك اي عدم
علمهم بشي منه يودي الى نسبتهم الى ما لا يليق بهم من الغفلة والبله
اي شدة البلادة وعدم الادراك وهم المنزهون عنه اي عما ذكر من الغفلة
والبله لكمال عقولهم وتمام خلقتهم فالله نزههم وابعد خلقهم عن

مثله واشار بتعريف الطرفين لكمالهم فيه حتى كانه مخصوص بهم والحاصل ان
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كلهم لا بد لهم من العلم بالعقايد والشرايع والوحي
يقينا من غير شك وشبهة واما امور الدنيا المحضة فلا يلزمهم العلم بها لكنهم عليهم
الصلاة والسلام لكونهم اكمل الناس فطنة وعقلا لا يكثر عدم علمهم بها وانما
يكون ذلك في النادر وليس في كلامه هنا ما يقتضي ان كل نبي اكمل اهل زمانه
واعلمهم كما قيل وهو غير مسلم لقول ابن الهمام انه اكمل اهل زمانه ممن
ليس بنبي وقيده في الكشاف بمن ارسل اليه وهو الحق فلا يلزم ان يكون موسى
عليه الصلاة والسلام اعلم من الخضر عليه الصلاة والسلام لانه لم يرسل
اليه ولا احتاج الى ان يتعلم منه موسى بن ميشا لا موسى بن عمران بل قد ارسلوا الى
اهل الدنيا وقلدوا بالبنا للمجهول اي ولوا وحكموا ومنه تقليد القضا وهو في
الاصل من قلادة العنق سياستهم اي ضبط امورهم امرا ونهيا بالقهر واصلها
القيام على الشي بما يصلحه وهدايتهم اي ارشادهم لكل خير في الدارين والنظر
في مصالح دينهم ودنياهم ببيان ما ينتظم به صلاح المعاش والمعاد وهذا اي
النظر والسياسة لا يكون ويوجد مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية بان لا
يعلم شيا منها اصلا لانه مانع للنظر في احوالهم لكن العلم بها ليس مقصودا
لهم بالذات واحوال الانبيا صلوات الله وسلامه وتحياته عليهم اجمعين
وسيرهم جمع سيرة وقد تقدمت في هذا الباب اي في هذا النوع من العلم
وهو العلم بامور الدنيا متعلقة بما اشتهر من اخبارهم ومعرفتهم بذلك
المذكور مشهورة لا تخفى على اهل العلم واما ان كان هذا العقد اي عقد قلوبهم
بالاعتقاد الجازم فيما يتعلق بالدين وان كان له تعلق بالدنيا كالمعاملات فلا
يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا بالعلم به يقينا وجزما من غير شك
وشبهة فيه ولا يجوز عليه جهله جملة اي لا يجهل شيا منه ولا يخفى عليه
شي من جملته ويجوز ان يراد بالجملة الاجمال اي نعلم علما اجماليا انه يجب
اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم لا يجهل شيا مما له تعلق بالدين وقيل
انه قيد للنفي اي انتفى جهله به انتفا كليا فيعلم جميع ذلك لانه اي علمه
بذلك لا يخلو عليه من ان يكون حصل عنده ذلك العلم صادرا عن وحي
من الله بارسال ملك وبحثه فهو ما اي امر لا يصح الشك منه صلى الله عليه وسلم
فيه اي في الوحي وما يتعلق به بنا على ما قدمناه كما علمته قبل هذا واذا
لم يحصل منه ادنى شك في شي من ذلك فكيف الجهل اي فكيف يصح منه
جهل بشي منه وهو انكار لجهله بانكار كيفيته واحاله على طريق برهاني
لانه اذا وقع لا بد ان يقع على كيفية مخصوصة بل حصل له العلم اليقين
اي المتيقن واستدركه لانه لا يلزم من عدم العلم تيقن منه او
يكون فعل ذلك الامر المتعلق بالدين ببيان احكامه حلا وحرمة ونحوه
باجتهاده وهو افتعال من الجهد وهو الطاقة والوسع وبذله
في تحصيل المطلوب وهو تحصيل الحكم مما اعلمه الله واستخراجه من

قواعد الدين بالتفاته اليه فيما لم ينزل عليه فيه شيء من الوحي في بيان حكمه
فيعلم حكمه بذلك وهو في غيره تحصيل ظن بحكم شرعي استخرجه من نص ونحوه
على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم في ذلك اي
فيما لم ينزل عليه وحي فيه على قول المحققين الذاهبين لجواز اجتهاده وهو
القول الصحيح بناء على هذا هل يجوز وقوع الخطا منه فيما اجتهد فيه فمنعه
بعضهم وجوزه بعض مع الاتفاق على عدم اقراره صلى الله عليه وسلم على الخطا
وهذا رجحه كثير من الاصوليين وذهب كثير منهم الى ترجيح عدم وقوع الخطا
في اجتهاده اصلا واليه مال المص رحمه الله وادلتهم مبسوطة في كتب الاصول
فمن ارادها فليأخذ من مجاريه وعلى مقتضى بصيغة المفعول اي على ما
يقتضيه ويدل عليه لزوما حديث ام المؤمنين هند بنت ابي امية المشهورة
بام سلمة بفتحات فتاء روته عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني انما اقضي
بينكم برأيي واجتهادي فيما لم ينزل علي فيه شيء اي فيما لم ينزل الله فيه
شيء من وحيه وهو صريح في وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم خرجه
الثقات اي رواه مسندا من يوثق به كابي داود وغيره فهو حديث صحيح دال على
صحة اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسبب هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم
اتاه رجلان يختصمان في مواريث واشياء قد درست فقال اني الخ وهو كما علمت
دليل على جواز اجتهاده ووقوعه منه خلافا لمن لم يجوزه او جوزه وقال لم
يقع لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وخصمه بالجواب
لان اجتهاده في حكم الوحي لاستنباطه منه بالقياس فليس هوى وقوله صلى
الله عليه وسلم لا ادري في بعض الاحيان لا ينافيه لعدم ظهور القياس له والقياس
مسند الى الوحي لقوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار وكقصة اسرى بدر
جمع اسير كاسارى وهما بمعنى وقيل الاسرى من لم يوثق والاسارى
الموثقون وهم سبعون رجلا والقصة كما في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر والصحابة ما ترون في هؤلاء فقال ابو بكر رضي الله عنه بنو العم
والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية يكون لنا بها قوة على الكفار فعسى الله
ان يهديهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا عمر
فقال ارى ان تضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وصناديده فنزل ما كان
لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض بعد اخذ الفدية فجلس صلى الله
الله عليه وسلم هو وابو بكر يبكيان فقال لهما عمر لم تبكيان اخبراني
فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال صلى الله عليه وسلم ابكي لما عرض
من العذاب لقد عرض عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة عنده
وتقدم ذلك مع ما فيه فهذا دليل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله
عليه وسلم كما علمته وكقصة الاذن للمتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فانه اذن لجماعة استاذنوه في القعود عنها فاذن
لهم باجتهاد منه ولم ينتظر الوحي فعاتبه الله على ذلك مع لطفه

في

في تعذيبهم العقوبة عنه بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا
الاية لانه كان معه من استاذنه واعتذر باعذار بعض المنافقين لم يعرف نفاقهم
حتى نزلت اية التوبة عليه على راي بعضهم راجع للقصتين او للثانية فقط فانه
قيل ان ذلك كان باجتهاد من اصحابه بناء على جواز وقوع الاجتهاد منهم عنده صلى
الله عليه وسلم بناء على ان العتاب لهم وخطابه لقبوله له واقرارهم مع انه
خلاف الاولى او ان الله خيره في ذلك قبل واذن له ولا اجتهاد فيه وانما كان عليه
ان ينتظر الوحي ان يبين الاولى به وفيه مباحث وانظار دقيقة ولا يكون ايضا
ما يعتقده مما ينتج اجتهاده اي يترتب عليه ويكون ثمرة له ومن بيانية
او تبعيضية او تجريدية الا حقا موافقا للواقع وصحيحا في نفسه بقطع
النظر عن الواقع ومطابقته وهذا بناء على انه صلى الله عليه وسلم لا يخطئ
في اجتهاده اصلا كما ارتضاه الغزالي وبنى عليه انه يجوز القياس على
ما اجتهد فيه وهو اللائق بمقام النبوة ومثله في هذا كله سائر الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وذهب ابن الحاجب وغيره الى انه يقع منه الخطا نادرا
الا انه لا يقر عليه وليس ما اسند لرواية خطا بل خلاف الاولى فان ارادوه
ارتفع الخلاف فتدبر هذا القول من ان اجتهاده صلى الله عليه وسلم لا يكون
الا حقا صحيحا هو الحق الذي لا يلتفت ولا يعتد الى خلاف من خالف فيه بان
قال لا يجتهد اصلا او يقع في اجتهاده الخطا او اجتهاده مخصوص بالحروب
ممن اجاز عليه الخطا في الاجتهاد ونحوه وهذا او قع في بعض النسخ وسقط
من بعضها ان لو قام عليه دليل لا على القول بتصويب المجتهدين
بصيغة التثنية او بصيغة الجمع او سوافقه حكم كل منهما او منهم للصواب وقوله
الذي هو الحق والصواب مفعول تصويب في محل نصب اي ما اعتقده لا يوافق
للحق والصواب لكل مجتهد مصيب كما قيل

رمى فاصاب قلبي باجتهاد ... صدق فيه كل مجتهد مصيب

او الذي مستند اخره فقوله عندنا وهو احد قولين ورجحه المص والاشعرية فالمنفي
للاشعرية ولا على القول الاخر الذي ذهب اليه الجمهور القائلون بان الحق في طرف
واحد غير معين والاخر خطا الا انه لا اثم عليه فيه وهذا في غير النبي صلى الله عليه
وسلم لانه لا يخطئ ولا يقر على الخطا لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم اي لعصمة
الله له من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات وقيده به لانه محل الخلاف بخلاف العقائد
وامور الاخرة كما تقدم وما لا تعلق له بالدين فان الاول لا يجوز فيه الخطا بالاتفاق
والثاني يجوز فيه بالاتفاق كما تقدم تفصيله ومحل الخلاف في اجتهاد غير الانبيا
ولان القول في تخطئة المجتهدين اي كلام الاصوليين فيما يتعلق به انما هو بعد
استقرار الشرع فلا يتصور بدونه اجتهاد لانه يكون قياسا على حكم شرع قبله
وقبل النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه شيء فيه
من الوحي ولم يشرع له قبل اي قبل اجتهاده فيه وينظر ليظهر له الصواب
في محل الاجتهاد فلا يتصور خطاؤه لان خطا المجتهد انما يظهر بمخالفة نص او

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اجماع اوقياس جلي وقد تقرر انه لم يبق به شرع وهذا دليل على انه لا يقع الخطا في اجتهاده صلى الله عليه وسلم وفيه بحث لان الاجتهاد بالنظر في نظايره فان اراد انه لم ينزل شيء في عينه فمسلم لكنه لا يمنع الاجتهاد وان اراد شيء من نوعه واشباهه فممنوع فهذه مغالطة وتمويه فتامله هذا المذكور فيما اوحي اليه اوعلمه برايه واجتهاده فيما لم ينزل فيه شيء فيما عقد صلى الله عليه وسلم اي علمه علما جازما اوعزم عليه قلبه واعمل فيه فكره من امور الدين التي لا بد منها سوا كان من العقايد وامور الوحي مما لا بد من علمه من غير شك فيه اوفي الشرع للعلم بالوحي والاجتهاد كما فصله وليس هذا مخصوصا بالاعتقاديات كما قيل فاما ما لم يعتقد النبي صلى الله عليه وسلم عليه قلبه ولم يعلمه علما جازما من النوازل جمع نازلة وهي القضية التي تحدث له ويحتاج لبيان الحكم فيها وقوله الشرعية اي المتعلق بها حكم شرعي من حل وحرمة ونحوه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يعلم شيئا منها اولا اي في ابتدا بعثته وقبل الوحي والاذن له في التشريع الا ما علمه الله بالوحي اليه شيئا فشيئا اي شيئا بعد شيء على سبيل التدريج بحسب الوقايع واسبابها المقتضية لبيانه لها وهذا منصوب على الحال كعلمته النحو بابا بابا لانه ماول بمفصل ونحوه وليس الثاني تاكيدا وتفصيله في كتب العربية حتى استقر علم جملتها اي علم جميعها عنده اي في علمه وحفظه لما نزل عليه منها اما بوحي من الله او اذن له في ان يشرع في ذلك بفتح اوله وثالثه المخفف او بضم اوله وكسر ثالثه المشدد اي ياخذ في بيانه اويبين ما حكم الشرع فيه برايه واجتهاده ويحكم في القضايا بما اراه الله اي عرفه وعلمه بوحي منه اوالهام ونظر فيما انزل عليه

كما قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله والاية دالة على اجتهاده الماذون له فيه وانه مصيب فيه وقد كان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير منها اي من النوازل الواقعة ليبين الله له الحكم فيها ويجتهد في قليل منها احيانا ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده اي تحقق صلى الله عليه وسلم وتقرر عنده العلم بجميع الاحكام الشرعية اللازمة ولذا قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وفي نسخة استفرغ بفاو غين معجمة اي استوفي واستكمل وهو استعارة من استفراغ الما وصبه كانه افرغه على العطاش وتقررت وتحققت معارفها اي العلوم بالاحكام الشرعية وجزئياتها لديه اي عنده وعند امته على التحقيق اي متيقنة محققة بلا تردد ورفع الشك والريب اي الاشتباه في شيء منها وانتفا الجهل عن امته وبالجملة اي اجمالا وقد يراد بهذه الكلمة على كل حال وبكل وجه فلا يصح ولا يجوز عقلا وشرعا منه صلى الله عليه وسلم ومن كل نبي الجهل بشيء من تفاصيل الشرع اي شرعه صلى الله عليه وسلم الذي امر بالنبا للمجهول اي امره الله بالدعوة اي دعوة امته اليه اي الى اتباعه والعمل به لانه جهله به ينافي امره بدعوته ولا تصح دعوته الى ما لا يعلمه لانه طلب للمجهول وهو ممتنع عقلا وعبث غير مفيد فكان صلى الله عليه وسلم اعلم الناس باحكام رتبة وله

الولاية

الولاية العامة على جميع خلقه والامامة العظمى فكان يحكم بالقضا والسياسة والافتا ويحكم بالظاهر والباطن كالخضر عليه الصلاة والسلام كما قاله السيوطي والفرق بين احكامه بما ذكر فصله السبكي والقرافي في قواعده وللعلامة الحسامية فيه تاليف مستقل لا يستطيع هذا المقام تفصيله وان تكلم بعضهم فيه هنا كلاما غير مهذب فان اردت تحقيقه فانظر كلام القوم فيه واما ما تعلق بعقده اي بجزم قلبه فيما نصره الله به عليه الصلاة والسلام من ملكوت السموات والارض الملكوت مبالغة في الملكة كالرهبوت والجبروت وقد يخص بغير المشاهد كعالم الامر كما مر والمراد علمه صلى الله عليه وسلم بحقيقة الاجرام العلوية والعالم اذ انه مستغني عنها وما فيها من الملايكة الموكلين بها والكواكب التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلاما لحكم الهية وكذلك الارض التي جعلها الله مقر العبادة وعلمه بما فيها علما اطلع به على حقيقتها وما اودعه فيها وليست كما تزعم الفلاسفة واهل الطبيعة من امور مخزومة الفوايد كثيرة المفاسد وخلق الله اي مخلوقاته التي بثها فيهما وابدعها واودعها حكما تحار فيها العقلا وفي كل شيء له اية تدل على انه الواحد وتعيين اسمايه الحسنى الدالة على ذاته وبديع صفاته وفي قوله تعيين اشارة الى انها توقيفية فلا يطلق عليه الا ما ورد به اذن شرعي والكلام عليها مفرد بالتاليف واجل ما صنف فيها كتاب الامام القرطبي وقيل يصح ان يطلق عليه كل اسم ثبت اتصافه به مما لا يوهم نقصا وقيل يجوز ما كان على سبيل التوصيف والكلام عليه مفصل في كتب الاصول واياته الكبرى اي عجايب مخلوقاته الدالة على عظمته والكبرى بمعنى العظمى مما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم مما شاهده في نفس الامر كما تقدم وامور الاخرة كالحشر والنشر واهوال الموقف والصراط والميزان والنفخ في الصور واشراط الساعة اي علاماتها الدالة عليها جمع شرط بفتحتين وفي الاساس يقال لاوايل كل شيء اشراطه ومنه اشرط اليه رسولا اذا قدمه واشراط الساعة مشهورة والساعة مقدار من الزمان ثم خص بالقيامة وقيل الاشراط مختص بعلاماتها الصغار كما نقله الخطابي عن ابي عبيدة والمشهور شموله للصغار والكبار كخروج المهدي والدجال واحوال السعدا والاشقيا في البرزخ والدنيا والاخرة وما لهم من نعيم وعقاب وعلم ما كان من احوال الامم السالفة وما كان في ابتدا خلق العالم وما يكون بعده من الفتن وغيرها كما في حديث حذيفة المشهور مما لا يعلمه الا بوحي اعلمه الله به من المغيبات فعلى ما تقدم والفا في جواب اما من انه بيان لما تقدم معصوم فيه عن الخطا والشك في شيء منه لا ياخذه اي لا يعرض له ولا يطرو عليه فيما اعلم بالبنا للمجهول اي اعلمه الله بوحيه وحجته فيه البنا للفاعل اي اعلم به امته منه اي مما ذكر شك ولا ريب وتردد في علمه به بل هو فيه اي فيما اعلم به على غاية اليقين والجزم به بلا تردد فقلبه صلى الله عليه وسلم مطمين بعلمه لا يقلق ويضطرب لان اصل معنى الريب الاضطراب كما حققه اهل اللغة لكنه استدرك من كونه على غاية من اليقين لانه ربما يتوهم احاطة علمها بتفاصيلها فلذا قال لا يشترط له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العلم بجميع تفاصيل ذلك لانه مما يخفى عنه البشر وان كان عنده صلى الله عليه وسلم
من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر سواه لما خصه الله به من اطلاعه على ما لم
يطلع عليه احد غيره لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي
اني لا اعلم الا ما علمني ربي اي لا يعلم شيئا مما يخفى على الناس الا ان يعلمه تعالى ولقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث روي في الصحيحين ولا خطر اي طرا علمه على قلب بشر
اي احد من الناس وهو حديث قدسي اوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقروا ان شئتم
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية جزاء بما كانوا يعملون ففيه دليل
على ان من احوال السعدا ما لم يطلع عليه صلى الله عليه وسلم وبله اسم فعل
بمعنى دع والاية ايضا تدل على ان الله اخفى ذلك حتى عن انبيائه من احوال
السعدا التي تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقرة العين سرورها اما لان
دمعة السرور باردة او لانها تقر وتسكن لعدم التفاتها لغير ما هي فيه
ومما يدل على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام قد يخفى عليهم بعض
العلوم قول موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام وهو من كبار الانبياء
عليهم الصلاة والسلام للخضر في قصته التي قصها الله في القران هل
اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وموسى هو ابن عمران وما روي عن نوف البكالي من
انه موسى بن ميشا وهو نبي اخر من بني اسرائيل ليس من اولي العزم وهو قول اهل
الكتاب يرون ان موسى كليم مقامه اجل من ان يتعلم من غيره وقد نقل ما قاله نوف
لابن عباس رضي الله عنهما فقال كذب عدو الله وانما هو ابن عمران واستشكل هذا
بان نوفا تابعي صالح ثقة فكيف يقال انه عدو الله فقيل انه قصد زجره في حال
شدة غضبه ولهذا قوله لما سمع ما يخالف ما صح عنده عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانما كونه استعارة كما ثبت الله فليس بشي والخضر هو صاحب موسى
عليهما الصلاة والسلام وهو بليا بن ملكان والكلام فيه هل هو ولي او نبي
او ملك وهل هو حي لان مشهور وللعلامة الحيضري في كتاب سماه الروض
النضر في احوال الخضر لم يدع فيه مقالا لغيره يحتاج اليه وخضر بكسر الضاد لقبه
سمي به لانه كان اذا جلس على ارض اخضرت كما مر وقصته معلومة وتفسير
هذه الاية قد كفينا مونته ووجه استشهاد المص لهذه الاية والقصة غني
عن البيان ومما يدل على ان النبي لا يجب ان يعلم تفاصيل كل شي قوله صلى الله عليه
وسلم في حديث صحيح رواه الديلمي عن انس في بعض الادعية المأثورة عنه
صلى الله عليه وسلم اسألك يا الله باسمائك الحسنى تانيث احسن واسماؤه
عز وجل كلها حسنة لما دلت عليه من المعاني الجليلة والحسن في العرف العام
يقال لما يدرك بالبصر واكثر ما جا في القران لما تستحسنه البصيرة كقوله
تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه كما قاله الراغب في مفرداته
ما علمت منها وما لم اعلم بدل من اسمائك وهذا الحديث يدل على ان لله اسما
لم يعلمها صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه الا الله ولا ضير في مثله ومثله

قوله

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد في مسنده وفيه اسالك بكل اسم
هو لك اي مخصوص بك مما سميت به نفسك اي ذاتك وفيه دليل على صحة اطلاق النفس
على ذاته من غير مشاكلة خلافا لمن منعه وفيه لبعض المحققين تفصيل حسن وهو
انه ان كان بمعنى الذات صح اطلاقه مطلقا نحو كتب على نفسه الرحمة وان كان بمعنى
الروح ونحوه كقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لم يطلق الا مشاكلة فتدبر
او استاثرت به اي انفردت بعلمه دون غيرك في علم الغيب عندك اي في جملة معلوماتك
الغيبية عن غيرك والشاهد فيه كالحديث الذي قبله وقد قال الله تعالى مما يدل على
انه لا يحيط بجميع العلوم غيره وفوق كل ذي علم عليم هو اعلم واعلا رتبة في العلم
فهذا يدل على ان علم البشر متناه محصور وقال القاضي في تفسيره المراد كل ذي علم
من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله عز وجل الذي له العلم البالغ فلا
فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلما عليم وهو مخصوص انتهى وهو اشارة الى
دفع شبهة تقريرها ان الله ذو علم فهو داخل في هذه الكلية فيقتضي ان فوق الله
عليما يعلم ما لم يعلمه والقضية مخصوصة بالمخلوقين فالعليم الذي فوق كل ذي
علم هو الله لا غير فهو عام مخصوص وقال زيد بن اسلم وغيره في تفسير هذه الاية
اشارة لما قلناه المراد ان رتبة العلما لا تزال تترقى في العلم حتى ينتهي العلم الى
الله تعالى فهو الذي فوق كل ذي علم فوقية بالغة الى مرتبة ليس فوقها شي اصلا
فهو العليم المحيط علمه بكل شي علما بسائر الجزئيات علما تفصيليا خلافا للفلاسفة
القائلين بانه يعلم الكليات دون الجزئيات فبطلانه قولهم مذكور في كتب الكلام
الا ان النصير الطوسي قال في مقالة له في هذا البحث ان المخطئين لم يقفوا على مرادهم
وانهم لم ينكروا ذلك وهو كلام طويل لا يحيط به نطاق البيان هنا وقد ذهب الى
ما قاله النصير ابن عربي في فتوحاته وارتضاه بعض مشايخ عصرنا ولكل وجهة
وفوق كل ذي علم عليم وهذا اي انتها العلم اليه تعالى مما لا خفا به عند من له
عقل سليم اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا يحيطون بشي من علمه اي لا يقفون
على جميعها وقد احاط بكل شي علما وهو في الاصل استعارة من احاطة الحائط
بما في داخله ولا منتهى لها عطف تفسير لعدم الاحاطة هذا اي ما ذكر من عصمة
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بعقد قلبه فيما ذكر في هذا الفصل كما
اشار اليه بقوله حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي اعتقاده الجازم
فيما ذكر في هذا الفصل في التوحيد المراد به ما يتعلق بالعقايد والشرع
ونحوه مما اوحي اليه والمعارف والامور الدينية من عطف بعض افراد العام
عليه لمزيته والكلام على العلم وحقيقة علم الله الحضوري وما له وعليه مما
تكلفت به الكتب الكلامية ولكل مقام مقال

فصل

واعلم ان الامة اي امة الاجابة **مجمعة على**
عصمة النبي صلى الله عليه وسلم اي حفظه صلى الله عليه وسلم من الشيطان
والتعريف في النبي للجنس وللاستغراق ويجوز ان يكون للعهد ويعلم غيره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بطريق الدلالة فانه تعالى قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فاذا لم يكن له سلطان
على خلص عباده علم انه ليس له تسلط على انبيائه عليهم الصلاة والسلام بالطريق
الاولى اي اذى الشيطان مما يكون من اصابته او اصابة جنده من الجن كالصرع والطاعون
وذات الجنب فانها من الشيطان ولذا لم يرض صلى الله عليه وسلم بلدوده في مرض
موته لظنهم ان به ذات الجنب فقال انها من الشيطان وقد عصمني الله منه كما ياتي
ومنه علم ان الطاعون لا يصيب الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا يسلط الشيطان
على خاطره اي فكره وقلبه صلى الله عليه وسلم بالوساوس جمع وسوسة وهي ما
يلقيه الشيطان في نفسه قيل ومن الوسوسة ما هو غير اختياري يبعد
الانسان على دفعه ولا يؤاخذ به ما لم يعمل او يتكلم وهذا اما لم يعصم عنه احد
لانه من الاعراض البشرية الا انه صلى الله عليه وسلم معصوم عن ان يقرنه
اذا عرض له نادرا وليس من هذا القبيل السحر فتامله وقد اخبرنا القاضي الحافظ
ابو علي هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل
ابن خيرون العدل تقدم ايضا قال حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره بكسر الباء الموحدة
وسكون الرا المهملة وقاف والف ونون نسبة لبرقانة قرية من نواحي خوارزم
وهو الامام الحافظ ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الشافعي امام
بغداد كما تقدم قال حدثنا ابو الحسن علي بن عمر الدار قطني نسبة لدار قطن
محلة ببغداد كما تقدم قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الامام العابد
الثقة النحوي المشهور بالصفار نسبة لعمل الصفر وهو النحاس توفي سنة احدى
واربعين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين باربع سنين قال حدثنا عباس بالمهملتين
بينهما موحدة الترقفي بفتح المثناة الفوقية وسكون الراء وضم القاف
وفا مكسورة ويا النسبة وهو امام ثقة روى عنه ابن ماجة وغيره وهو
يروي عن الفريابي وترقف قيل اسم امراة وقيل اسم بلدة قال حدثنا محمد
ابن يوسف وهو الفريابي وقد تقدم عن سفيان الثوري وقد تقدم عن منصور
وهو ابن المعتمر وقد تقدم عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي وقد تقدم
ايضا عن مسروق بن الاجدع الهمداني العابد الزاهد التابعي توفي سنة
ثلاث وستين واخرج له الستة عن عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور
في حديث رواه مسلم عن سالم بن ابي الجعد عن ابيه عن ابي مسعود ورواه
من طريق اخرى لعلو سنده فيه وعظم رجاله قال ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما منكم اي معاشر الناس من احد من زائدة واحد
مبتدا خبره مقدم عليه وهو منكم ومن زائدة من لتاكيد العموم الا وقد وكل
مسند مبني للمجهول اي عين ملازمه كالحفيظ الملازم لمن يحفظه
كما قال تعالى وما انت عليهم بوكيل فاستعمل المقيد في المطلق مجازا
به قرينه اي الذي يكون مقارنا له من الجن وقرينه من الملائكة اما قرين
الجن فانه موكل بوسوسته واغوائه واما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة
لا من الكتبة كما قيل لعدم مناسبته لما هنا قالوا اي قال الصحابة

وكفايته اي وعلى كفاية الله
له منه اي من ضرره الظاهر
والباطني كما بينه بقوله
لا في جسمه اي ظاهر جسده
بانواع الاذى كالجنون والاغماء
علي القاري

الحاضرون

الحاضرون عنده صلى الله عليه وسلم واياك يا رسول الله اياك منصوب بمقدر
واصله او كل بك قرين من الجن كغيرك فحذف الفعل وحرف الجر فانقلب الضمير وانفصل
وانما عدل عن الظاهر تادبا واشارة الى استبعاد ان يكون كغيره في ذلك لان معنى توكيله
به تسليطه عليه بوسوسته واغوائه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من مثله او
الضمير مستعار من ضمير الرفع وامثاله وانت كما ورد في رواية صححها البرهان عن ابن
عباس رضي الله عنهما وستاتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واياي اي وكل بي
قرين من الجن كغيري ثم استدرك ببيان تميزه صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله ولكن
بالتشديد والتخفيف الله بالرفع والنصب على وجهين لكن اعانني عليه اي على قوي
من الجن بحفظي منه ومنعه من التسلط علي لهدايته للاسلام فاسلم بصيغة الماضي
من الاسلام اي هداه الله فرضي للاسلام ببركة مقارنته له صلى الله عليه وسلم
او هو مضارع مرفوع فاعله ضميره صلى الله عليه وسلم اي سلمني الله منه وقال
النصير الطوسي في شرح الاشارات في الحديث ما من مولود ولد من بني آدم الا ولد معه
قرين من الشياطين فقيل وانت يا رسول الله كذلك قال وانا كذلك الا ان الله اعانني
عليه فاسلم اي فاسلم الشيطان ومنهم من انكر هذه الرواية وقال الرواية الصحيحة
فاسلم ومعناها ان الله اعانني عليه حتى اسلم من شره فان الشيطان لا يسلم قطعا
ومنهم من اوله فقال المراد بالشيطان القوة الغضبية واسلامها انقيادها
للعقل والنفس القدسية واليه ذهب الامام الغزالي رحمه الله في الاحيا وحكى
كون الروايتين بمعنى على ان اسلم مضارع منصوب على الجمع وقوله
والحق بالحجاز فاستريحا ولكن ان تقول اعانني عليه بمعنى لم يسلطه علي
فالمضارع منصوب في جواب النفي وقد خرج عليه البيت زاد غيره اي زاد
غير سفيان راوي هذا الحديث فيه عن منصور بن المعتمر الذي تقدم في جملة رواة
هذا الحديث فلا يامرني هذا القرين الا بخير فصار قرينه صلى الله عليه وسلم
قرين خير وروي عن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي عن عائشة رضي
الله عنها بيان لما قبله فاسلم بضم الميم وهمزة المتكلم مضارع مرفوع اي فانا
اسلم منه وفي نسخة اي فاسلم انا منه ومن وسوسته وصحح بعضهم هذه الرواية
ورجحها على الرواية الاولى ولم يخرجه احد ثبوت وقد تقدم في كلام الطوسي
وهو لشيء من وسواسه هذا المبدا ان وروي بالبنا للمجهول والرواية في صحيح
البخاري فاسلم بصيغة الماضي يعني القرين تفسير لضمير الفاعل المستتر فيه
ومعنى اسلم انه انتقل عن حال كفره بناء على ان الشياطين منهم من يسلم وقوله
الى الاسلام متعلق بانتقل اي تحول من حال لاخرى فصار لا يامر الا بخير كالملك
القرين الموكل به وهو اي هذا المعنى وهو انتقاله من الكفر الى الاسلام ظاهر
الحديث المفهوم من سياقه بدليل قوله ورواه بعضهم فاستسلم اي انقاد وكف
عن الوسوسة قال ابن الاثير ورواية اسلم بفتح الميم يشهد لها ما روي
كان شيطان آدم كافرا وشيطاني مسلما ورواية حتى اسلم ورواية مسلم بضم
الميم وقد علمت ان الضم مرجح لرواية الفتح وان في الحديث ثلاث روايات

فاستسلم

ابن ابونوح

وان اسلم جا بمعنى استسلم وانقاد ايضا وقيل انه قد تقدم ان الشيطان ممنوع من
التسلط بالاذى على المؤمنين وفيه انا نجد منهم من حصل له مس وخطف كتميم رضي
الله عنه فلعله لتقدم سبب يمنع من خطفه انتهى ولا يخفى انه في حق الانبيا
محقق وفي غيرهم اغلبي والنادر لا حكم له وستر ان القرين الملازم ولذا سمي الزوج
قرينه وقدم قرين الجن لمناسبة المقام له وحديث عايشة هذا في مسلم قالت خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها ذات ليلة قالت فغرت فلما جا قال
مالك يا عايشة اغرت فقالت كيف لا يغار مثلي على مثلك فقال هذا من شيطانك
قلت اومعي شيطان يا رسول الله قال نعم ومع كل انسان قلت ومعك يا رسول
الله قال نعم ولكن الله اعانني عليه حتى اسلم قال الخطابي رحمه الله الصحيح المختار
عندهم اي ورجحه القاضي عياض الفتح كما مر وهو المختار لقوله ولا يامر الا بخير
واختلفوا اي الفتح فقيل اسلم بمعنى استسلم كما رواه مسلم وقيل معناه صار
مسلما وهو الظاهر انتهى وايد هذا بما اخرجه البيهقي وابن الجوزي في الوفا
عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال فضلت على ادم
بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه حتى اسلم وكن ازواجي عونا
لي وكان شيطان ادم كافرا وكانت زوجته عونا على خطيانه وقد اشار الي ذلك
القرصري رحمه الله في توبتيه بقوله

في خصلتين يفوق ادم فيهما ... وهما لاهل الحق واضحتان
شيطان ادم كافر يغوي وقد ... وصلت هدايته الى الشيطان
ولزوجه عون عليه وانه ... بنسايه قد كان خير معان

ونقل الشيخ محمد الشامي في سيرته عن المطلع ما اسلم من الشياطين الا شيطانا
شيطان نبينا صلى الله عليه وسلم وشيطان نوح عليه الصلاة والسلام وقال
بعضهم بل ساير الانبيا على هذا المنوال فتدبر قال القاضي ابو الفضل عياض
مصنف هذا الكتاب رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه صلى الله عليه وسلم
في احتياجه الى اعانة الله له عليه حتى يسلم منه وحكم قرينه من الجن الذي وكل
به وهو عطف تفسير لما قبله ووصفه بقوله المسلط على كل احد من بني ادم
وفي نسخة المسلط على بني ادم والمراد المسلط نوعه وجنسه لان قرينه مختص
به فكيف الظن بمن بعد منه ولم يقارنه من الشياطين اي نوهم احد انه لا يسلم
منه فعدم تسلطه معلوم بالطريق الاولى لانه لا يقدر على الدنو منه
وهو لم يلزم صحبته لان الله لم يجعله قرينا له اذ القرين معناه الملازم
للصحبة كما تقدم ولا قدر بضم القاف والبنا للمفعول اي لم يجعله الله
قادرا على الدنو والقرب منه صلى الله عليه وسلم لعصمة الله له عن تسلطه
عليه وعلى ساير الانبيا وخلص عباده وقد جات الاثار والاحاديث المروية
عنه صلى الله عليه وسلم بتصدي اي تعرض الشياطين له صلى الله عليه
وسلم في غير موطن اي في مواضع كثيرة كالصلاة وغيرها رغبة مفعول
له او حال في اطفا نوره وباى الله الا ان يتم نوره واماتة نفسه اي

اهلاكه

اهلاكه او صده عما هو مشغول به من العبادة وادخال شغل عليه اي بالوسوسة المانعة
له عن الكفر فيما فيه صلاحه وصلاح امته فعلوا ذلك اذ ييسوا من اغوايه وامنلا له عن
طريق الحق فانقلبوا اي رجعوا غاسدة والمخاسرين خايبين لعدم قدرتهم عليه
صلى الله عليه وسلم وعن القرب منه كتعرضه اي تعرض الشيطان له صلى الله عليه
وسلم وهو مستغرق بالتوجه الى الله في صلاته فاسره اي اخذه وقهره باستيلايه
عليه قهرا وبينه بقوله وفي الصحاح اي الاحاديث الصحيحة المروية في البخاري
ومسلم وغيرهما قال ابو هريرة في حديث رواه عنه صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان تعرض لي وفي نسخة عرض لي اي اتاني ووقف عندي قال عبد الرزاق
ابن همام الامام الحافظ كما تقدم في ترجمته وهذا في زيادته على الصحيحين في صورة
هر وهو السنور الذي يقال له قط والشياطين تتمثل باي صورة ارادت من صور
الحيوان وغيره فشد علي اي حمل ووثب وثبة علي يقال شد يشد بكسر الشين
المعجمة وضمها اذا حمل على العدو ونحوه يقطع علي الصلاة اي يبطل صلاتي
باخراجي منها واصله لينقطع علي الخ واراد ان يقطع صلاتي ويفسدها فامكنني
الله منه اي اقدرني عليه ومكنني من اخذه وقهره فدعته بتا ودال مهملة
ومعجمة وعين مهملة ومعجمة ويقال ذاته بدال مهملة ومعجمة وهمزة اي خنقته
ودفعته حتى صرعته وروي فاخذت بحلقه واصل الدعت بمهملة ومعجمة
الذبح بعنف والمعك في التراب كما في النهاية وفي غيرها انه الغط في الما والخنق
الشديد وانكر الخطابي المهملة وصححه غيره ولقد هممت ان اوثقه اي اربطه
والوثاق ما يشد به قال تعالى فشدوا الوثاق وهممت بمعنى عزمت وتوثيقه
الى سارية وروي بسارية من سواري المسجد والسارية العمود المنصوب
ليوضع عليه سقف ونحوه وكان ذلك لصلاتي بمفرده ولذا قال حتى تصبحوا
اي تدخلوا في وقت الصباح تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان عليه
الصلاة والسلام والاخوة هنا المراد بها اخوة النبوة لانها تطلق على المشابهة
والمشاركة في امر ما رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية لان الملك الذي اعطاه
الله له ملك الانس والجن والدنيا كلها وليس طلب سليمان لذلك محبة للدنيا
وزينتها انما هو لاجل ان يتم له اعلا كلمة الله وتنفيذ امره وقدم الدعا
بالمغفرة عليه لانه ادعى للاجابة وللاشارة الى ان القيام باعبا الملك والنبوة
شاغل عن العبودية فهو عنده صلى الله عليه وسلم كالذنب فرده الله اي
رد ذلك الشيطان خاسيا اي خايبا حقيرا لعدم ظفره بما اراد ومنه قولهم
للكلب اخسا لانها تدل على الطرد مع التحقير قال الخطابي هذا يدل على ان
سليمان واصحابه كانوا يرون الجن على خلقتهم الاصلية فيحوز وقوعه لغيرهم
فان قلت كيف ياتي الشيطان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال
لو سلك عمر فجا لم يسلكه الشيطان فكيف يخاف عمر ولا يخافه صلى الله عليه
وسلم حتى يتغلب عليه قلت عمر رضي الله عنه لما لم يكن معصوما محفوظا
من الجن حفظه الله بالقا الرعب منه في قلوبهم لحدته وشدته والنبي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم معصوم من الجن والانس فلو سلكوا فجه اخذوا او ثقفوا
ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم لا تليق بغيره كما قيل وفي شرح مسلم
للنووي ان سليمان عليه الصلاة والسلام اختص بهذا عن غيره فامتناعه
صلى الله عليه وسلم عن امساكه اما لانه لم يقدر عليه لذلك او قدره وتركه
تواضعا وتأدبا منه وكونه لم يقدر عليه يرده قوله امكنني الله منه وفي
حديث ابي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم الذي رواه البيهقي عن عبد
الرحمن بن جبير وابو الدرداء هو عويمر واختلف في اسم ابيه على اقوال
فقيل عامر وقيل مالك وقيل قيس وقيل ثعلبة وهو انصاري خزرجي
اسلم عقب بدر وتوفي سنة اثنين وثلاثين واخرج له احمد والستة وله
مناقب مشهورة ان عدو الله ابليس جاء بشهاب اي شعلة من نار ليجعله
في وجهي اي يلقيه عليه ليقطع صلاته والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
جملة حالية او معترضة في كلام ابي الدرداء وذكر ابو الدرداء تعوذه بالله صلى
الله عليه وسلم بالله منه اي قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله منك
ولعنه له وقوله ثم اردت اخذه مصدر مفعول لاردت وفي نسخة اخذه
مضارع بتقدير ان كما في بعض النسخ وذكر نحوه اي نحو قول ابي الدرداء الهمت هريرة
اذا اولعه وفاعل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال وفيه تقدير
اي لو اوثقته لاصبح موثقا اي مربوطا يتلاعب به ولدان اهل المدينة
ولدان بكسر الواو جمع وليد وهو الصبي الصغير وهذا الحديث في مسلم
وفيه مسائل فقهية منها ان الدعاء على غيره بالخطاب لا يبطل الصلاة لقوله
فيه العنك الله ان لم نقل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم او قيل
بتحريم الكلام وان الجن ترى بخلقتها الاصلية وقوله تعالى انه يراكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم اغلبي وقد قيل انه مخصوص بالانبيا
كرؤية الملك قال الشافعي ومن زعم انه يراهم ردت شهادته وعزر
لمخالفته القران وكان النووي اخذ منه قوله من منع التفضيل بين
الانبيا عزر لمخالفته القران وحمل بعضهم كلام الشافعي على زاعم رؤيته
صورهم التي خلقوا عليها واستشكل ما ذكر شيخنا ابن قاسم بان غاية ما في
الاية اثبات حالة مخصوصة وهي تمكنهم من رؤيتنا في حالة لا نراهم
فيها وليس فيها عموم ولا حصر وذلك لا ينافي ان لنا حالة اخرى نراهم
فيها خصوصا وقد وردت الادلة برؤيتهم وكذلك اي مثل حديث ابي
الدرداء ما روي في حديثه صلى الله عليه وسلم الوارد في الاسرا وطلب
عفريت له صلى الله عليه وسلم وطلبه هنا بمعنى توجهه نحوه ليرميه
بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه بان قال له قل اعوذ بالله منك
فانه حرز له وذكره اي امر الشيطان معه في الاسرا وتعليم جبريل له
الامام مالك في الموطا وهذا كان قبل تعوده صلى الله عليه وسلم للسما
وكونه قصد تعليم جبريل له لا معنى له لا والعفريت الشديد الخبيث

المتمرد

المتمرد من الجن واطلاقه على غيرهم مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط في كتب اللغة
وما علمه له جبريل هو قوله اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر
ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير فقال
له اذا قلتهن انطفات ناره ولما لم يقدر الشيطان على اذاه اذ لم يتصل اليه ولم
يسلط عليه لعصمة الله له بمباشرته اي بالقرب منه جدا الا في الامثل ملامسة
البشرة وهي ظاهر البدن تسبب بالتوسط الى عداه بكسر العين وضمها اسم جمع عدو
اي لما لم يتصل اليه ابتدا وكان متمكنا من الوصول لاعاديه وهم الكفرة جعلهم
واسطة وسببا لايصال الاذى اليه باغوايهم وتحريضهم على اذيته واغرايهم
كقصته اي الشيطان مع قريش بعد موت ابي طالب لما جد صلى الله عليه وسلم
في دعوتهم وانذارهم في الايتمار وهو افتعال من الامر ومعناه المشاورة
في المهم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو رايهم الذي استقروا عليه وتصوره
اي ظهوره ابليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي نسبة لنجد وهي ارض فوق
تهامة وانما تصور بصورة شيخ لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رايهم
وكانت صورته صورة نجدي لانهم لما اجتمعوا بدار الندوة قالوا لا يدخلن عليكم
ومعكم في الشورى احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد ولما ورد في الحديث
انها محل الفتن ومنها يخرج قرن الشيطان وكان وقف بباب دار الندوة وهي دار
قصي التي كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم كما تقدم فقالوا له من انت قال شيخ من نجد
رايت اجتماعكم للشورى ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال البختري اري ان
تحبسوه في دار تسدوا منافذها غير كوة تعطوه منها طعامه وشرابه فقال
الشيخ بئس الراي يأتيكم من يقاتلكم ويخرجه منها فقال الاسود بن ربيعة
اري ان تخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال الشيخ بئس الراي اذا
اخرجتموه يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل اري ان تاخذوا
من كل بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فيعقلونه اي فيرضوا منا بالدية فقال
الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رايه واخبره جبريل عليهما الصلاة والسلام
بذلك ونزل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
الاية وامر بالهجرة فكان ما فصل في السير وتصور الشيطان مرة اخرى في
غزوة يوم بدر في حديث رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس كما قاله السيوطي
رحمه الله ولم يورد الحديث في صورة سراقة بن مالك الذي قدمنا ترجمته
وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية وكان من امره ما رواه
البيهقي رحمه الله في دلايله ان الشيطان تمثل للكفار قريش ببدر في
صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني وكانت قريش تخاف من بني بكر
ان ياتوهم من خلفهم لانهم كانوا قتلوا رجلا منهم فقال لهم ما اخبر الله
به من القا الشيطان لهم انهم لا يهزمون وهم يقاتلون عن دين ابايهم

اي وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان تمثل مع جنده لهم بصورة قوم من بني مدلج فيهم سراقة اتوا لامدادهم
فقال الشيطان لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فامدهم الله بجنود
من الملائكة فلما راهم ابليس ولى عنهم فقالوا له انك جار لنا فقال اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله اي اهلاكه لي ولجندي وهو احد الوجوه في الاية واليه
اشار الناظم رحمه الله وقيل المراد وتسويله لهم بما ذكر وتصور الشيطان ايضا
مرة اخرى ينذر قريشا وتحقق فهم بشانه اي بامره صلى الله عليه وسلم عند
بيعة العقبة وهي من السفلى التي بايعه الانصار عندها قبل الهجرة
ثلاث مرات كما فصل في السير والمراد البيعة الثالثة وكان الانصار بايعوه
صلى الله عليه وسلم بها بمحل فيه الان مسجد يسمى مسجد البيعة فلما راى
ذلك الشيطان صرخ باعلا صوته هذا محمد ومعه الصباة قد اجمعوا على حربكم
فقال صلى الله عليه وسلم لما سمعه هذا ازب العقبة اي شيطانها واصله
الازب بهمزة وزاي معجمة مفتوحتين الكثير الشعر سمي به الشيطان
وتفصيله في السير ايضا وكل هذا المذكور من امر الشيطان الذي تعرض فيه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر فقد كفاه الله امره الغازابية
في الخبر او هو بتقدير ما او توهمهما وعلى ما في بعض النسخ وقد بالقاف والخبر
مقدر اي وقع حفظه منه وعصمة ضره بفتح الضاد اي ضرره وضمها غير
مناسب هنا والضمير لكل او للشيطان وشره كما كفي سائر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اذ عصمهم منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسى نبي الله عليه الصلاة
والسلام كفي بالبنا للمجهول اي كفاه الله وحفظه من لمسه اي من ان
يلمسه او يمسه كما ياتي بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق فما الشيطان
عيسى عليه الصلاة والسلام حين ولادته ليطعن اي ليخنسه ويمسه
بيده في خاصرته بخاء معجمة وصاد مهملة هي جانبه مما فوق اضلاعه وهي
الشاكلة ايضا حين ولد فطعن في الحجاب اي في شيء حجبه عن الوصول للمس
جسده قيل هو المشيمة وقيل ما لف فيه وقيل انه امر حجبه الله به
عنه او حجبته امه مريم عنه والفاء سببية اي بسبب كفاية الله له وقع
طعنه في الحجاب والحديث كل بني ادم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه
حين يولد غير عيسى عليه الصلاة والسلام ذهب ليطعنه فطعن في
الحجاب وفي رواية ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
ويستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها وهو المذكور في اية
اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وليس هذا مخصوصا بعيسى
كما قد يتوهم من ظاهره وفي شرح مسلم عموم عدم طعن ابليس ونخسه
لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبيا ولا يلزم منها ان لا يمسهم انما يلزم منها عدم
الاغوا والاذية لهم ولا يلزم من اختصاص عيسى بهذه المنقبة تفضيله
على نبينا صلى الله عليه وسلم وكراماته معه مما يدل عليه دلالة ظاهرة

فقد

فقد خص الله بعض عباده بامر لم يكن لافضل منه نعم حديث مولده صلى الله عليه
وسلم الدال على انه لم يستهل دال على انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسى
وامه انما هو بالنسبة لمن تمكن الشيطان من القرب منه لا لمن امتلات الارض بالملائكة
الحافين به فتدبر ولما ساق مسلم حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان
فيستهل صارخا من نخسه قال القرطبي في شرحه اي في اول وقت الولادة
ليسلط عليه بنخسه الا مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام لدعوة امها يعني
قولها اني اعيذها بك الاية وامها امراة عمران وهي حنة بنت فاقود وهو
عام وشامل للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاوليا ومع ذلك عصمهم الله منه
لقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين وقد خص الله
نبينا صلى الله عليه وسلم بان اسلم قرينه فلا يامر الا بخير وهذه لم يؤتها غيره
انتهى وقد تقدم ما في ذلك ثم قال وقوله مسلم صياح المولود نزغة من الشيطان
روي بنون وزاي وغين معجمتين وروي فزعة بفا وعين مهملة وللزمخشري
في تاويل الحديث تخيل تاباه الحق الصريح فان اردته فانظر الكشاف وشروحه
وقال صلى الله عليه وسلم حين لد بالبنا للمجهول من اللدود بفتح اللام ودال
مهملتين بينهما واو دوا يصب من ماء او اجزاء حارة يوضع في احد شقي الفم
يتغرغر به ثم يشربه واسما الادوية بهذه الزنة كالسعوط ولما لدوه صلى الله
عليه وسلم قال لا يبقى لاحد في البيت الا لد عقوبة لهم لما لدوه في مرضه الذي
مات فيه والاضافة فيه للعهد وقيل له خشينا اي خفنا عليك ان يكون بك
اي وقع بك واصابك ذات الجنب وهو اسم لمرض يكون في باطن الجنب كالدمل
ينفجر في الداخل وذو الجنب من يشتكي منه ويقال الدبيلة ولذا انث وهو
مخوف قل من يسلم منه فهو مؤنث باعتبار انه سمي دبيلة لا لانه لا يصيب الا
مرة واحدة كما قيل الا انه امر تبع فيه الشراح بعضهم بعضا وهو مخالف
لما قرره الاطبا فان الدبيلة مرض في الكبد وذكر بعض الاطبا انه قد يكون في
المعدة وذات الجنب في الخاصرة واسمها معرب عن معناها فقال صلى الله عليه
وسلم انها اي ذات الجنب من الشيطان اي هي وخز بسبب الناس من الشياطين
كالطاعون لا انه بسبب وسوسته كما قيل وليست ايضا من طعنة المولود
حين يولد ولم يكن الله لعصمته له ليسلطه على تعظيما له صلى الله عليه
وسلم ومن اللطائف مما قلته مما جنا لبعض الاحوال وقد تزوج بعجوزة

يا خليلي قد اصطفيت عجوزا ... هي دا من الممات اشد
قال ذات الجنب بنت بحضا ... ما لي لذود لها وخصمي الد

وهذا الحديث رواه في الموطا وقال السهيلي وذات الجنب تسمى الخاصرة
وهي من سيء الاسقام الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت تصيبه صلى الله عليه وسلم فيظنها عرق الكلية وهو مرض اخر
ومن هنا علم خطا من قال انها لا تصيبه الا مرة كما تقدم وكانوا لما ارادوا
ان يلدوه صلى الله عليه وسلم اشار اليهم بالمنع منه فظنوه لكراهة المريض

الدوا فلما افاق قال لا يبقى احد في البيت الا لد كما مر وكونها من الشيطان ومن طعنه
ورد في احاديث اخر واليه يومي قوله فان قيل فما معنى قوله واما ينزغنك من الشيطان
نزغ الاية فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان اصل معنى النزغ لغة ادخال شي
مفسد كالطعن كما ذكره الراغب فاتصال السؤال بما قبله وبما عقد له الفصل
في غاية الظهور وان اطال فيه بعضهم بغير طائل يفيده وحاصله ان الله عصمه
صلى الله عليه وسلم من تسلط الشيطان عليه باذية او وسوسة وفي الاية
ما يوهم خلافه وان كانت ان الشرطية لا تقتضي الوقوع ولو سلم فالمراد امته
لحمل ما يصيبهم كانه يصيبه واسند النزغ للمصدر مجازا كقوله جد جده
واصل النزغ الطعن ثم شاع في كل مفسد كما علم فقد قال بعض المفسرين في تفسير
هذه الاية انها اي هذه الاية راجعة الى قوله تعالى قبلها واعرض عن الجاهلين
ثم قال الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك غضب اي لا تكافئ
السفها الذين خفت احلامهم اذا اغضبوك بمثل افعالهم واغض عنهم ولذا قيل
ان هذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق ولذا قال له جبريل لما ساله صلى الله عليه
وسلم عنها ان الله امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك
يحملك على ترك الاعراض عنهم لجزائه لهم بمثل فعلهم فاستعذ بالله اي قل
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تطعه ولا تفعل بنزغه وهذا من مكارم الاخلاق
لا من امر يشينه فان الغضب على السفيه وجزاءه بمثل فعله تاديبا له لا يعد
من الامور الشيطانية والاستعاذة عند الغضب مشروعة وعلى هذا فليست
الاية منسوخة باية القتال كما قيل وقيل النزغ هنا اي في هذه الاية الفساد
مستعار من النزغ بمعنى الطعن والنخس كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه
الصلاة والسلام من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد ما بيني
وبينهم بما حملهم عليه في قصته معهم فالمراد هنا فساده بوسوسته له في
حال غضبه وحمله على ما لا يليق به فاذا خطر بباله يستعيذ بالله طلبا للنجاة من
كيده وقيل معنى ينزغنك يغرينك من الاغراء بغين معجمة وراء مهملة وهو الحث
والتحريض على امر ما ويحركنك بازعاجك للانتقام ممن اغضبه والنزغ ادنى
الوسوسة اي اقلها كحديث النفس والتفكر واصل معنى الوسوسة الصوت
الخفي ومنه قيل لصوت الحلي وسوسة كما قيل قالوا الامك وسواس فقلت لهم
وقد يقال للصوت الحلي وسواس وهذا تقول له العامة وشوشة بالاعجام
فامره الله في هذه الاية انه متى تحرك اي طرا عليه وعرض له غضب على عدوه
لسوء ما صدر منه او رام الشيطان من اغرائه به وايقاعه به كحمله على قتله
فهو بغين معجمة وراء مهملة وفي نسخة اعوانه بعين مهملة ونون وما في
بعض النسخ من اغرائه بغين وزاي معجمتين فهو تحريف من النساخ والصواب
الاول وخواطر ادنى بمعنى اقل وساوسه جمع وسواس ثم لم يجعل له سبيل
اليه اي حماه من التلبس بمثله لعصمته منه ان يستعيذ منه بقوله امره
لان مجرد الوسوسة والخطور بالبال لا يضر في عصمته صلى الله عليه وسلم

ابن ادريس

وان

وان كان امرا صغيرا وهذه الاية في سورة الاعراف وهي المذكورة هنا ووقعت في سورة
فصلت مسبوقة بقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وهما متماثلان معنى ولفظا فاكتفى بالبنا للمجهول اي يكفي الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم اذا استعاذ به والتجا اليه امره اي امر الشيطان بوسوسته
لمن قصها عنه ويكون ذلك سبب تمام عصمته صلى الله عليه وسلم من مجرد
الخواطر وهو نهاية الحفظ والعصمة اذ لم يتسلط الشيطان عليه باكثر من التعرض له
فضلا عن التمكن منه وايصال اذيته له ولم يجعل له قدرة عليه فيرجع خائبا
خاسئا وقد قيل في هذه الاية غير هذا من التفاسير التي اقتصرنا منها على ما يناسب
غرضنا فيما عقد له هذا الفصل وكذلك اي مثل ما ذكر من حفظ الله له من تسلط
الشيطان عليه لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك بان يتمثل بمثاله
ويقول له انا ملك ارسلني الله اليك لحفظ الله له عنه ومنعه من ان ياتيه
بهذه الصورة وهذه شبهة اوردها منكروا النبوة بانه من اين يعلم ان الاتي
له ملك يبلغه الوحي عن الله لم لا يجوز ان يكون جنيا ويلبس عليه امره فيلتبس
الوحي بغيره لا يقع ذلك في اول الرسالة اي في اول امره بدعوة الخلق الى الله
ولا بعدها الظاهر بعده اي بعد الاول في اثنائه والاعتماد اي اعتماده صلى
الله عليه وسلم في حقيقة ما اتاه وعدم احتماله لغيره في ذلك اي في عدم تلبيس
الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك دليل المعجزة اي قوة يقينه دليل على انه
معجزة له او هو يعتمد في انه امر الهي على ما ظهر له من المعجزة كتسليم الحجر عليه
واظلال الغمام له فمعنى قوله لا يصح اي لا يجوز عقلا ذلك والقول بانه لا مدخل
للعقل فيه وانه امر علم من الشرع ومعنى لا يصح انه ممنوع من جانب الشرع
كلام باطل بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك
هذا هو الخبر او خبر بعد خبر ورسوله الذي ارسله الله اليه من رسل الملائكة
حقيقة لا تمويها وتلبيسا عليه من غير شك فيه اما بعلم ضروري يخلقه
الله له بديهي غير محتاج لدليل لعدم تردده فيه او ببرهان ودليل قطعي
يظهر لديه مما يشاهده من معجزاته كنطق الحجر وتسليم الشجر وكل ذلك لتتم كلمة ربك
فتبلغ الغاية احكامه واخباره ومواعيده صدقا في خبره له ووعيده وعدلا
ما حكم به من احكامه التي بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل او حالان لا مبدل
لكلماته اي لا يمكن تغييرها ولا نسخ بعدما بلغت غاية لا تقبل الزيادة عليها
ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم اخر الشرائع وهذا التعليل بما ذكره
من حفظه صلى الله عليه وسلم من ان يتصور له الشيطان بصورة ملك فيكون ما
بلغه امر مخلط قابل للتبديل والتغيير ولذا اعقبه بقوله فان قيل فما معنى قوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
الاية فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم التمني هنا
بمعنى التلاوة والامنية الكلام المتلو لان التمني ما يتصوره الانسان في نفسه
والمتلو كذلك فحاصل السؤال المذكور انك قلت ان الشيطان لا يتسلط على الانبيا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليهم الصلاة والسلام بوسوسته وهذه الاية تدل على ان الشيطان لعنه الله وعلى نبينا افضل صح
خلط عليهم فيما يوحى اليهم عند تلاوته وهذه الاية تدل على ان بين النبي والرسول
فرق وقد اختلفوا في الفرق بينهما بعد الاتفاق على انهما من نزل عليه الملك
بالوحي والمشهور ان الرسول اخص من النبي وهو من يكون مامورا بالتبليغ وله
شرع جديد واشترط بعضهم ان يكون معه كتاب وليستعمل كل منهما بمعنى الاخر
وقد مر جميع ذلك فاجاب بقوله فاعلم ان للناس ايه العلما لاهم هم الناس اقاويل
فهو جمع قول فهو جمع الجمع منها اي من جملة هذه الاقاويل السهل والوعث
اي ما هو ظاهر سهل فهمه ومنها ما هو خفي تعسر فهمه وهو مستعار من
المكان السهل وهو المنبسط الذي يسهل المشي فيه والوعث المكان الكثير
الرمل الذي يشق المشي فيه ومنه ارض وعثا ثم استعمل مجازا او استعارة
لمعنى الشاق ومنه ما ورد في الحديث اللهم اني اعوذ بك من وعثا السفر اي
مشقته فلهذه الكلمة هنا موقع ليس للمشقة فالمعنى منها ما هو ظاهر تسلكه
الافهام بسهولة ومنها ما هو صعب يشق على اقدام الافهام وهو بفتح الواو
وسكون العين المهملة والمثلثة والسمين مستعار من السمين وهو الممتلي
باللحم والشحم والغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة ضده وهو
الناقة المهزولة استعير لما فيه فوايد جليلة ولما خلا عنها يعني ما جمع
بين حسن العبارة وجزالة المعنى والاولى ما يقال فيها اي ما يقال في تفسيرها
والاولى بمعنى احق بالقبول او بمعنى اقرب كما في قوله صلى الله عليه وسلم
في حديث الميراث فلاولى رجل ذكر اي اقرب من الميت وهو العصبة ما عليه
الجمهور اي ما استقر عليه راي الجمهور اي الاكثر من المفسرين ان التمني
معناه هنا اي في هذه الاية التلاوة لانه تفعل من منى بمعنى قدر كما قال
الشاعر

لا تامنن وان امسيت في حرم ❊ حتى تلاقي ما يمني لك المالي

اي ما قدر لك القدر والتمني امر يقدره المرء في نفسه وهو بمعنى تلا قال
تمنى كتاب الله اول ليلة ❊ تمني داود الزبور على رسل
والقا الشيطان في قوله القى الشيطان في امنيته اي متلوه شغله مصدر بوزن
ضرب مضاف لفاعله اي شغل الشيطان للتالي بخواطر اي امور دنيوية تخطر
على قلبه فتشغله عما تلاه واذ كان جمع ذكراي حديث نفس يذكره فيلهيه من امور
الدنيا بيان لهما للتالي صفة لخواطر واذكار اي كاينة وعارضة له حتى علة
لشغله يدخل مضارع ادخل وفاعله ضمير الشيطان ومفعوله الوهم في قوله
عليه اي على التالي الوهم اي الغلط او مضارع دخل والوهم فاعله
والنسيان فيما تلاه او يدخل عليه غير ذلك اي غير الوهم والنسيان على
افهام السامعين وبين ما يدخل على افهام السامعين بقوله من التحريف
لما تلاه عليهم وسو التاويل الناشي عن تحريف ما سمعوه ما يزيله الله مفعول
القاوينسخه اي يحوله من الباطل الى الحق ويكشف لبسه اي يزيله ويبينه

ونظمه

ونظمه ويحكم اياته اي يحققها ويبينها وسياتي الكلام على هذه الاية مفصلا اشبع منه صح
من هذا اي باكثر تفصيلا وهو استعارة من الشبع ضد الجوع لان العلم غذا الارواح وهذا
التفسير هو المنقول عن السلف وهو احسن ما قيل فيها كما قاله النحاس وهو المنقول
عن ابن عباس كما سياتي وتفسير التمني بالتلاوة مشهور في اللغة والتفسير كما علم
وذكر الكسايي والفرا انه يقال تمنى اذا حدث نفسه قال القرطبي وهذا المعروف في ابن اقبرص
اللغة ومن قال انه لم يجده في كتب اللغة والذي فيها اعم منه فقد قصر فانه قد
صرح به الراغب في مفرداته فليت شعري ما هذه الكتب التي راها وفتشها وليس
هذا منافيا لما ذكره اولا من عصمة الانبيا عن الوساوس لان الذي عصم عنه الانبيا
الخواطر القارة واما مجرد الخواطر فلا تضرهم ولا يقرون عليها وبه صرح الثعلبي في
تفسيره وقد حكى الامام ابو الليث الحنفي السمرقندي وقد تقدمت ترجمته في تفسيره
انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وهو جني
اخذ خاتمه الذي يتصرف في ملكه به بامر الله فهرب سليمان عليه الصلاة والسلام
الى ان رد الله عليه الخاتم وان ذلك الشيطان كان يتمثل بصخر الى اخر ما ذكره
القصاص من الخرافات في قصته وقد رده ايضا بان مثل هذا لا يصح وقد
ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا وكذا ذكرنا قول من قال في هذه القصة
ان الجسد الذي ذكره الله في قوله والقينا على كرسيه جسدا هو الولد الذي ولد له
حين قال صلى الله عليه وسلم لاطوفن على نساي هذه الليلة وتحمل كل واحدة
منهن بذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله وكان له تسعون امراة فلم
تحمل منهن غير واحدة بشق رجل واهل القصص ذكروا فيه غير ذلك كما سياتي
ان شا الله تعالى وما ذكره السمرقندي هو المعتمد عند المفسرين وقد حكى ابو محمد
مكي وقد منا ترجمته في قصة ايوب نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو كما
قال ابن اسحاق ايوب بن اموص بن رازح بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وقيل
غير ذلك وكان في زمن يعقوب وتحته ابنته وابوه امن بابراهيم وامه بنت
لوط وقد فصل احواله صاحب مراة الزمان وذكرنا منها طرفا في غير هذا المحل
وقيل انه بعد سليمان وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اي المرض ومشقة
عظيمة ونصب بمعنى تعب يعني ما اصابه في بدنه وقرى بضم وسكون ومنه قراة
اخرانه بالكسر مقول القول لا يجوز لاحد التاول اي تفسير ما ذكر في هذه
الاية براية فيقول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر بالضم وهو المرض
في بدنه لان الله تعالى عصم الانبيا عليهم الصلاة والسلام من اذيته وتسلطه
عليهم ولا يكون اي لا يقع ولا يصح ذلك اي كون الشيطان امرضه الا استثنا
منقطع اي لكن كل ما يصيبهم بفعل الله وامره اي تقديره ليبتليهم اي يوقع
بهم بلا من مرض وغيره ويثيبهم اي يعطيهم ثوابا جزيلا على ما ابتلاهم
وفي نسخة ويبتليهم من الثبات بمثلثة وموحدة ومثناة اي يصبرهم حتى
يكون منهم ثبات على شكره والرضا بقضايه وهذا اشارة لما ذكر في القصص
وبيان لرده وان ذكره بعض المفسرين لما في ظاهره لانه من اسناد ما مسه للشيطن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو اسناد مجازي تادبا مع ربه في عدم اضافة الشر له لان كل ما صدر عنه خير
من حيث صدوره عنه والذي قالوه ان الشيطان حسده لما راه من نعم الله عليه
وكثرة تصدقه وكان ابليس اذ ذاك لا يحجب عن السما فقال يا رب لو سلطتني
عليه لكفر بك فقال اذهب فقد سلطتك على ماله واهله وجسده وكانت زوجته
رحمة بنت لوط عليه الصلاة والسلام وقيل بنت افرايم بن يوسف فاصابه
فزوج عين بدنه واهلك ماله وولده ودوره وكان نفخ في بدنه فتقرح كله وقعد
الملعون في الطريق بتطبب فقالت له زوجة ايوب ان هنا عبد مبتلي فهل لك ان
تداويه فقال نعم ان قال لي انت شفيتني فاخبرته زوجته بذلك فقال ويلك
هو الشيطان ادعا فالي الله لاجلدنك مائة جلدة فكان ما كان من امر الضغث
ثم اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وركض برجله فنبعت عين ما اغتسل
منه فرد الله عليه صحته وجماله وكان مدة بلائه سبع سنين وزيادة وقد
ذكر ابن العربي هذه القصة وبين ما لم يثبت فيها كما قال مكي وقد قيل ان الذي
اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله اراد باهله زوجته رحمة ويصح
ان يراد به ظاهره وهو على هذا المريب بشي في نفسه وانما اضاف ما اصاب اهله
الله مجازا وقد قدمنا ما وسوس به لاهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن
يوشع نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف
ابن يعقوب كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وهو الذي اقام لبني اسرائيل
احكام التوراة بعده وقسم الشام بين بني اسرائيل وقاتل الجبارين وردت له
الشمس كما مر وتفصيل احواله معلوم من التواريخ وهو فتى موسى المذكور
في القران وما انسانيه الا الشيطان ووجه السؤال انه نبي وقد سلط عليه الشيطان
حتى انساه ذكره وسياتي جوابه وان اذكره بدل من مفعول انسانيه ومثله قوله
تعالى عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وكذا قول نبينا صلى الله عليه وسلم
حين نام عن الصلاة اي صلاة الصبح فنام حتى فاته وقتها فقضاها بعد طلوع
الشمس يوم الوادي اي فيه متعلق بنام او بالصلاة وهو واد بقرب مكة وكان
صلى الله عليه وسلم لما نزل به امر بلالا ان ينبههم اذا طلع الفجر فغفل عنه
فنام صلى الله عليه وسلم حتى ادركه حر الشمس كما في الموطا وفي البخاري عن
عمران بن حصين كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كنا في اخر الليل
رقدنا رقدة احلى منها عند المسافر فما ايقظنا الا حر الشمس فكبر عمر رضي الله
عنه حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا قالوا له لو
عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال
انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فنام حتى
طلعت الشمس وقال ما القيت علي نومة مثلها قط فامرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالارتحال عن الوادي ثم نزل فتوضى وصلى بهم وفي
مصنف عبد الرزاق عن عطا بن يسار انه كان ببطن تبوك ونحوه في دلايل
البيهقي وقيل انه كان بغزوة مونة فقال صلى الله عليه وسلم لما انتبه

ان

ان هذا واد به شيطان وفي هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ليأخذ كل
رجل براس راحلته فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان واخر الصلاة حتى خرجوا
من ذلك الوادي كما مر اذ لم يكن تركها قصدا وانما تحول عن الوادي كراهة ما
اصابه فيه من الغفلة ولانه يخشى فيه من اعدا المسلمين لا لان الوقت وقت كراهة
فان قلت كيف هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قلت
اجاب عنه المص فيما ياتي وتبعه النووي بان القلب لا يدرك ما تدركه الحواس
الظاهرة كالعين والاذن وانه صلى الله عليه وسلم كان له حالان في احدهما وهو
الاكثر ان قلبه لا ينام وفي بعض الاحيان ينام عينه وقلبه لعارض كتعب سفر
ونحوه وفيه تشريع للقضا وتاخيره ولو كان قلبه الشريف يقظان لم يعذر صلى
الله عليه وسلم في تاخيره الصلاة والجواب الثاني هو الاولى وهذا الحديث
له اصل ايضا في مسلم عن ابي هريرة وله طرق اخرى وقال القرطبي اخذ بعض العلما
بظاهره فقال من انتبه من نومه عن صلاة فاتته في سفر فليتحول عن موضعه
وقيل انما يستحب في ذلك الوادي بعينه كما في قصة ابار ثمود وقيل انه
مخصوص به صلى الله عليه وسلم لان مثل ذلك لا يطلع عليه غيره ولا باس بالقول
باستحبابه مطلقا وهو ض حديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا
ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وسياتي ما فيه عند ذكر الجواب عنه وما معنى قول
موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم في وكزه وفي نسخة وكزته ومعناهما واحد
والوكز الدفع والضرب بجمع الكف وكزه المراد به وكز القبطي المذكور في القران
هذا الوكز من عمل الشيطان وهو معقود العقول وهو معصوم فكيف وقع منه
ما وقع من قتل من لم يومر بقتله فلذا اسماه ظلما واستغفر منه ووجه
السؤال ظاهر وكان موسى قبل النبوة يركب مع فرعون في مواكبه الا انه لم يكن
على دينه فلحقه مرة في وقت القايلة او بين العشائين فدخل مدينته منف
في وقت غفلة فوجد رجلين يقتتلان احدهما قبطي والاخر من بني اسرائيل
من قوم موسى فاراد القبطي ان يسخره بحمل متاع له فاستغاث بموسى لينصره
عليه ونصرة المظلوم واجبة في سائر الملل فوكزه بيده او بعصا ليدفعه
فقتله ولم يكن هذا ظلما منه صلى الله عليه وسلم وانما جعله من عمل الشيطان
استعظاما لتركه الاولى ولم يصفه الى الله تادبا منه فاعلم جواب الشرط
في قوله فان قلت ان هذا الكلام المذكور عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
في السؤال قد يرد في القران والحديث ما هو اعم منه او بمعناه في جميع هذا
المحكي عنهم على مورد مستمر بالاضافة للكلام اي طريق معروف في استعمال كلام
العرب او هو فاعل يرد اي دابهم في كلامهم ومعتادهم فيه والاول هو الظاهر
وفاعل يرد ضمير الكلام في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بيان لكل قبيح كقبح
الشخص في منظره والافعال القبيحة الصادرة من الناس فيقولون للقبيح
هو شيطان ويضيفون الافعال القبيحة له وقوله للشيطان متعلق
بوصفهم او فعله مجرور معطوف على الشيطان فاذا راوا شخصا قبيحا

قالوا هذا الشيطان بالتشبيه البليغ وإذا رأوا فعلا قبيحا قالوا هذا فعل الشيطان
كما قال تعالى في شجرة الزقوم التي في جهنم طلعها كأنه رؤوس الشياطين مع أنهما
ما يشبه طلع النخل فشبه ما يطلع منها تشبيها تخييليا بذلك لما استقر عندهم
من تشبيه كل قبيح بها وإن لم يروها كقول امرئ القيس
ومسنونة زرق كأنياب أغوال كما بين في كتب المعاني وقيل الشياطين
حيات كبيرة هائلة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في المار
بين يدي المصلي فليقاتله فإنما هو شيطان والحديث رواه مسلم عن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره فأراد
أحد أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان
والأمر للندب لا للوجوب وإنما يندب إذا كان بين يديه سترة وإنما يفعل
ذلك إذا لم يرتد بأسهل الوجوه وذكر المقاتلة مبالغة في شدة الدفع
وإلا فالمقاتلة أفعال كثيرة لا تجوز في غير صلاة الخوف وقوله هو شيطان
استعارة تصريحية شبهه بالشيطان في صدور الأفعال القبيحة منه وقيل
إنه مجاز مرسل لأن الشيطان سبب لما فعله وأما كونه حقيقة لقوله
شياطين الإنس والجن فليس بشيء لأنه مجاز أيضا وإنما كره ذلك لأنه شغله
عن خدمة ربه وتوجهه إليه وأيضا من آمن إذا رجع أي يرجع إلى الجواب
عما مر في السؤال فإن قول يوشع عليه الصلاة والسلام وما أنسانيه
إلا الشيطان أن أذكره الذي حكاه الله عنه لا يلزمنا الجواب عنه لعدم وروده
على ما قررناه من عصمة الأنبياء عن تسلط الشيطان عليهم إذ لم يثبت له
في ذلك الوقت أي وقت صدور هذا القول عنه وهو في خدمة موسى
عليهما الصلاة والسلام نبوة أي أنه كان نبيا حال كونه مع موسى مصاحبا
له في سفره وهو خادمه ويدل على ذلك قوله تعالى وفي نسخة قال الله تعالى
وإذ قال موسى لفتاه أي أخيه والفتى في الأصل معناه الشاب فاستعمل بمعنى
العبد والخادم لأن الغالب استخدام الشباب وتوقير الكبار وهو من الآداب
الشرعية ففي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل أحدكم عبدي وأمتي
ولكن يقول فتاي وفتاتي وإنما سمي يوشع فتى موسى لأنه كان يلازمه فيقوم
مقام العبد ويقال إنه ابن أخته ويقال يوشع بن نون كما في صحيح البخاري
والمروي عن العلماء الثقات أنه إنما نبئ أي جعله الله نبيا وأوحي إليه بعد
موت موسى وقيل إنه نبئ قبل موته أي موت موسى وفي بعض النسخ قيل
بالتصغير إشارة لقلة زمن نبوته في حياته وسيأتي فيه كلام أيضا وقد قيل
إنه نبئ في حياته فكان إذا سأله عما أوحي إليه يقول صحبتك كذا وكذا ولم
أسألك عما أوحي إليك فلما رأى ذلك كره الحياة وسأل ربه أن يقبضه إليه
وقيل الأصح أنه إنما نبئ بعد موسى وقول موسى في وكز القبطي إنه من عمل
الشيطان كان قبل نبوته فلا يرد السؤال به لأن الكلام في عصمة الأنبياء عن
تسلط الشيطان عليهم بدليل القرآن فإنه قص فيه القصة بما يدل على أنه

إنما نبئ بعد ذلك كما يعرفه من عرف الآية وتفسيرها في سورة القصص فإنها قبل خروجه
لمدين واستئجار شعيب له ومكثه عنده فإنه صرح في الآية بأنه نبئ بعد ذلك وقوله
في الشرح الجديد إن المراد بقول موسى ما قاله ليوشع وإن ما في القرآن ذكره بأنه فتاه
دون أن يقول له نبي الله مع مخالفته للشروح لا وجه له وقصة يوسف وما فيها مما
عقد له الفصل الجواب عنها أنه قد ذكر بالبناء للمجهول أي ذكر علماء التفسير وغيرهم
أنها كانت قبل نبوته أي قبل نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا يمتنع قبلها
أن يخطر عليه خاطر ينسى به ذكر ربه المشار إليه بقوله فأنساه الشيطان ذكر ربه
وهذا أحد قولين فيه وقيل إنه نبئ في الجب وهو على حجر مرتفع فيه بدليل
قوله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهو قبل مجيئه لمصر وهو
قول الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وهو ابن ثمان عشرة سنة ومن الأنبياء
من نبئ صغيرا قبل الأربعين فعلى هذا يجاب بأنه إنما كان استعانة بمخلوق
ومثله جائز وإن لم يلق بمنصب النبوة فأضاف ما هو خلاف الأولى إلى الشيطان
تأدبا ولا ضير فيه وهذا بناء على أن ضمير النسيان راجع ليوسف وقد قال أكثر
العلماء والمفسرين في قوله تعالى فأنساه الشيطان قولين آخرين أحدهما
أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه ليس المراد به يوسف والرب بمعنى السيد
أي الملك وإنما المراد أحد صاحبي السجن وليس المراد بصاحب السجن مالكه
بل من طال حبسه فيه فالإضافة لأدنى ملابسة كقوله يا سارق الليلة
أهل الدار والمراد به في الآية على هذا ساقيه وهو الملك أي الشيطان
أنساه أي الساقي الشرابي المسجون أن يذكر يوسف وفي بعض النسخ
بضم الياء وكسر الكاف المشددة والأول هو الصواب لأنه الموافق لقوله اذكرني عند
ربك للملك شأن يوسف في السجن والورطة التي وقع فيها وكان دخل معه فتيان
من عبيد الملك أحدهما شرابيه الذي يسقيه الشراب وكان الملك غضب عليهم طويلا
ودسوا في شرابه سما فلما أخبر به الملك حبسهما فالتقيا يوسف وهو مسجون معهما
ورأى كل منهما رؤيا قصها على يوسف وبينها له ثم قال لمن رآه ناج منهما
وهو الشرابي إذا خلصت اذكرني عند ربك يعني الملك فتسلط الشيطان
عليه حتى أنساه أن يذكر للملك قصة يوسف فعلى هذا لم يتسلط الشيطان على
يوسف حتى يرد السؤال وإلى ذلك أشار المص وأيضا أي مثل ما ذكر في جواب
الشبهة عن قصة يوسف ويوشع فإن مثل هذا النسيان المذكور من قبل الشيطان
بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بمعنى عند وجانب يقال لفلان قبل فلان كذا
أي عنده قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين وفي بعض النسخ من فعل
الشيطان والجان والجن وزحال من اسم الإشارة يفيد [illegible] والخبر قوله
ليس فيه تسليط على يوسف ويوشع أو هو خبر بعد خبر بوسواس متعلق
بتسليط ونزغ بنون وزاي ساكنة وغين معجمتين وقد تقدم معناه
لعصمة الله لهما عن أن يكون له سلطان عليهما وعلى غيرهما من الأنبياء
وإنما هو الضمير لمثل تشغل خواطرهما بمعجمتين من الثلاثي ويجوز كونه من المزيد

على لغة غير فصيحة كما تقدم اي شغل لبس بطريق الوسوسة والتسليط بل بامر
اخر مما يرد على الخاطر ولا يستقر ولا يبيض وهو تذكيرهما اي يوسف ويوشع من امرهما
ما ينسيهما بالتشديد للمهملة والتخفيف ما نسيا اي يذكران امرا نسياه من احوالهما
السالفة كاستعانة يوسف بمخلوق ونسيان الحوت الذي نسيه يوشع ونسباه للشيطان
تادبا كما مر ومثله لا محذور فيه واما قوله اي قول نبينا صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي تقدم بيانه في روايته عن مسلم ان هذا واد به شيطان وتقدم
بيان الوادي ومكانه فليس فيه اي في هذا الحديث ما يقتضي ذكر تسليطه اي الشيطان
عليه صلى الله عليه وسلم ولا وسوسته له صلى الله عليه وسلم لعصمته ه
ونزاهته عن مثله فهو لا يقدر على ان يقرب من سرادق حمايته بل ان كان ذكر
في الحديث ما يوهم تسلطه عليه بمقتضى ظاهره قبل التامل فيه فقد بين
وكشف صلى الله عليه وسلم فيه امره اي الشيطان في هذه الواقعة بقوله
صلى الله عليه وسلم في رواية مالك والبيهقي عن زيد بن اسلم ان الشيطان
اتى بلالا بعدما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتظر طلوع الفجر
ويوقظه صلى الله عليه وسلم من نومه فلم يزل الشيطان يهديه كما يهدا
الصبي الصغير في مهده حتى نام بلال فلم يستيقظ حتى اصابه صلى الله عليه
وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي اخذ
بنفسك يا رسول الله الحديث وقوله يهديه بضم المثناة التحتية وسكون
الهاء ودال مهملة مكسورة مخففة واخره يا ساكنة او همزة مضمومة او هو بفتح
اوله وسكون ثانيه وفتح داله وبعده همزة او الف ودال مشددة الا ان رسمه
باليا في النسخ وكذا يهدي في قوله كما يهدي الخ قال الجوهري هدا اهدا وهدوا
اذا سكن واهدات الصبي اذا اسكنته وامررت يدك عليه لينام وكذا في القاموس
وافعال ابن القطاع وغيره ومثله هدا بالتشديد مهموزا ومعتلا وهدهدته
بنون وهدهده كله بمعنى تحريك الصبي او مهده حتى ينام والحديث في الصحيحين
فاعلم ان تسليط الشيطان في ذلك الوادي الذي نزل به رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم حتى فاتهم صلاة الفجر به وقد رجعوا من
الغزاة انما كان تسلطه على بلال لا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يرد
السؤال الموكل بفتح الكاف المشددة اسم مفعول اي المعتمد عليه في الحفظ عن
خروج الوقت بكلاءة الفجر كالحراسة وزنا ومعنى فهو بمد ودة مهموزة وقد
تبدل همزته يا كما في النهاية يقال كلاه يكلوه اذا حرسه وضمن معنى المراقبة
اي مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير
مضاف وله وجه وجيه هذا اي ما ذكر من ان تسلط الشيطان انما كان على بلال
ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان هذا واد به شيطان
تنبيها مفعول له على سببا لنوم عن الصلاة بناء على ان المراد ان الشيطان
تسلط على من غفل عن الصلاة حتى فات وقتها بطريق من الطرق لكن لبس
المسلط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بلالا وان الشيطان تخيل

عليه

عليه في غلبة النوم كما تخيل الام والدابة على طفلها حتى يستغرق في نومه واما ان جعلنا
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي فانه صلى الله عليه وسلم لما استيقظ من نومه
وعلته ح
امرهم بالرحيل عن ذلك الوادي وقال انه واد به شيطان كما مر لترك الصلاة فيه
لان الافضل في قضا الصلاة الفائتة بعذر ان يبادر بقضائها في اول تذكرها فلما ترك
ذلك وارتحل وقال ان هذا واد به شيطان دل سياق كلامه على ان كونه لم يصل
به لذلك فليس فيه ما يقتضي ان للشيطان تسلط على بلال فضلا عنه صلى الله عليه
وسلم وهو اي ما ذكر من انه علة لارتحاله وترك الصلاة دليل وقيل بمعنى مفعول
اي مدلول مساق بفتح الميم مصدر بمعنى سياق حديث زيد بن اسلم والسياق ما
يفهم من ذكر شي مع شي وقد تقدم بيانه وهو هذا الحديث المذكور لكنه من طريق
اخر رواه مالك في الموطا والبيهقي عن زيد بن اسلم وعلى هذه الرواية التي بعده
سياقها ما ذكر ولا اعتراض به اي بهذا الحديث في هذا الباب الذي عقد لان
الشياطين لا تسلط لهم على الانبيا بوسوسة ونحوها لبيانه اي بيان حديث زيد
لما ذكر ووضوح دلالته عليه وارتفاع اشكاله اي زواله بالكلية حتى استغنى
عن الجواب لعدم احتماله لما يخالفه

فصل

واما اقواله صلى الله عليه وسلم لما كان هذا الباب معقود العصمة الانبيا في
عقايدهم واحوال قلوبهم واقوالهم وافعالهم قدم الكلام على الاول لانه الاهم
والاساس وعقبه بالثاني وهو ما يتعلق باقوالهم فقال فقد قامت الدلايل اي صحت
وثبتت فصارت كالعماد والسناد الذي يقوم به غيره والدلايل جمع دليل وقد قال
ابن مالك في شرح الكافية انه لم يات فعايل جمعا لفعيل اسم جنس وان جاز بطريق
القياس وفي الايات البينات انه يحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل وفعالة
تجمع على فعايل قياسا مطردا وقد قال امام الحرمين ان الدليل يسمى دلالة والظا
انه مجاز انتهى وقد تقدم التنبيه على هذا ايضا الواضحة اي الظاهرة القاطعة
العقلية والنقلية من الايات والبراهين بصحة المعجزة اي المعتضدة بصحة معجزاته
او الباهرة بديهة كما في قوله فاستدل به خبيرا على احد القولين وهذا احسن واقوى
على صدقه اي انه صادق فيما اخبر به ووجه الدلالة مقرر في الاصول والامر
الهادي لا له عقلية اظهر من الشمس واجمعت الامة على صدقه صلى الله عليه وسلم
وصدق اخباره فيما كان طريقه البلاغ وهو مصدر او اسم مصدر بمعنى التبليغ
عن ربه ما اوحي اليه لانه لازم لرسالته انه معصوم فيه اي فيما امر بتبليغه
للخلق عن ربه من الاخبار متعلق بمعصوم عن شي منها اي مما طريقه البلاغ
متلبسا بخلاف ما هو به والبا بمعنى على او للملابسة اي لا يخالف شي من اخباره
الواقع لا قصدا لخلافه حتى يكون كذبا وقوله ولا سهوا ان فسر بالقصد فهو
عطف تفسير كما قاله الراغب وان قيل القصد ما كان لسبب والعمد ما كان
بلا سبب كما قاله التلمساني فهو تاسيس وهو الاولى ولا سهوا او غلطا الاول
ما كان بغير قصد والثاني ما قصده خطا لظنه واقعا من سبحه وغلطا
بالواو واو اولى هنا اما تعمد الخلف في ذلك اي في الاخبار عما طريقه البلاغ

فتنتفي عنه لانه غير لايق بمقامه والخلف قيل انه بضم الخا بمعنى الكذب في اخباره
عن امر مستقبل والكذب يكون عن الماضي وقيل انه بفتحها وسكون اللام بمعنى
الباطل واصل معناه القبيح الردي ومنه المثل سكت الفا ونطق خلفا وتفسيره
بالمخالفة غير متجه الا ان يريد بمخالفة الواقع فيرجع لما قبله وقوله بدليل المعجزة
متعلق بمنتف لغاية مقام قول الله لمن بعث اليهم الرسول صدق رسولي ونبيي دلجي
فيما قاله لكم وبلغكم عني بدليل معجزته التي هي برهان قاطع على صدق مدعاه
اتفاقا وباطباق اهل الملة اي اتفاقهم على ذلك واصل معنى الاطباق جعل الشي
مطابقا لاخر اي موافقا له اجماعا منصوب بنزع الخافض اي اطباقهم ثابت بالاجماع
منهم وقوله اهل الملة اشارة الى بطلان قول البراهمة والصابية باستحالة
ثبوت النبوات عقلا كما تبين في علم الكلام ثم اختلفوا بعد ذلك فذهبت المعتزلة
وبعض الشيعة الى انها واجبة عقلا من جهة اللطف وذهب الاشعري واهل السنة
الى القول بجوازها عقلا ووقوعها عيانا وادلتهم مفصلة في كتب الكلام
ولما كان الخبر محتملا للصدق والكذب من حيث هو قالوا الدليل على صدقه
صلى الله عليه وسلم معجزته ولا يرد عليه قول المنكرين انها فعل والفعل من
حيث هو لا يدل على الاختصاص بشخص معين الا باقترانه لدعواه وللاقتران اسبا
اخر كما انه لخرق العادة احوال مختلفة واذا احتملت الوجوه عقلا لم تثبت
الدلالة لان القرينة والتحدي دالان على بطلان هذه الاحتمالات وسبيل تعريف
الله عباده صدق الرسالة بالايات الخارقة للعادة كسبيل تعريفهم الاهيته
بالايات الدالة عليها والتعريف يكون بالقول تارة وبالفعل اخرى فالتعريف
بالقول كقول الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وبالفعل كتعجيزهم
عن معارضة ما علمه من الاسما وتعجيز الخلق عن معارضة القران المنزل على نبينا
صلى الله عليه وسلم ودلالة المعجزة على صدقه دلالة عقلية وهذا معنى
ما قاله المص كما تقرر في علم الكلام واما وقوعه اي وقوع خبره على خلاف ما هو
عليه فيما طريقه البلاغ على جهة الغلط في ذلك من غير تعمد وقصد منه بل بسهو
ونحوه فبهذه السبيل اي طريق انتفائه كطريق انتفا العمد فيه عنه فان
الدليل الدال عليه دال على انتفا هذا ايضا الا ان الاول متفق عليه وهذا
مختلف فيه فكونهما على منهج واحد عند الاستاذ بضم الهمزة وسين مهملة
ساكنة ومثناة فوقية والف وذال معجمة وهي كلمة معربة معناه الرئيس في علم
او صناعة وتفصيله في كتابنا شفا الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ابي اسحق
الاسفراييني وهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران واسفراين بكسر الهمزة وفتح
الفا بلدة بخراسان وهو امام جليل متبحر في علوم الدين كلاما واصولا
توفي بنيسابور يوم عاشورا سنة ثمان عشرة واربعماية ومن قال بقوله واتبعه
في هذه المسئلة يعني ان المعجزة تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله
وانه لا يصدر عنه ما خالف الواقع لا قصدا ولا غلطا ولا سهوا بطريق من
الطرق فمعجزته صلى الله عليه وسلم كما دلت على نبوته دلت على صدقه

وهذا

وهذا القول ارتضاه المص ومن جهة الاجماع الدال على انه لم يصدر عنه صلى الله
عليه وسلم الكذب لا قصدا ولا سهوا وهو معطوف على قوله بهذه السبيل فقط اي الدال
على ذلك انما هو المعجزة والاجماع لا دليل عقلي غيرهما وورد الشرع بانتفا ذلك اي انه ورد
في الايات المتواترة والاحاديث الصحيحة ما يدل على ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم
على هدى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وغيره مما يدل عليه صريحا ومما يدل على ذلك
ايضا عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي ملكة نفسانية تمنع عن النقايص
والمعاصي والكلام بما يخالف الواقع نقيصة تاباها العصمة وفي دلالة ذلك على
عدم صدوره سهوا منه نظر لا من مقتضى المعجزة اسم مفعول اي ليس مما يدل عليه
دلالة التزامية عقلية كدلالة اعتق عبدك عني على بيعه لي وقوله نفسها اشارة
الى ان للمعجزة دخلا ما في ذلك عند القاضي ابي بكر الباقلاني بتشديد اللام المالكي
كما تقدم ومن وافقه على مذهبه وهذا مرتبط بقوله ومن جهة الاجماع الى هنا بني
والحاصل انه صادق فيما طريقه البلاغ والدال على صدقه معجزته عند الاسفرا
وعند الباقلاني ورود الشرع بذلك واجماع الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم
وسبب الاختلاف ونتيجته ما اشار اليه بقوله لاختلاف وقع بينهم اي بين
الاسفرايني واتباعه وبين الباقلاني ومن وافقه في مقتضى دليل المعجزة اي في
دلالتها على صدقه وانها بمنزلة قول الله انه صادق ام لا لا نطول بذكره فانه بحث
طويل صعب المدرك فيخرج عن غرض هذا الكتاب الذي وضع لبيان شرف قدر
المصطفى صلى الله عليه وسلم من غير تطويل واطناب ممل من غير تعرض للمباحث
الكلامية فلنعتمد ما هو اصل مقصود كاف فيما قصدناه على ما وقع عليه اجماع
المسلمين من غير تعرض للادلة العقلية ومما اجمعوا عليه هو انه لا يجوز بتخفيف
الواو وتشديدها عليه صلى الله عليه وسلم خلف في القول اي مما يخالف
الواقع في ابلاغ الشريعة اي فيما طريقه ذلك مما امر بتبليغه والاعلام بما اخبر به
عن ربه تعالى وبما اوحاه اليه من وحيه الذي نزل عليه الملك به بوجه من
الوجوه وفي حال من الاحوال لا على وجه العمد بان يتعمد الاخبار بخلاف الواقع
ولا على غير عمد من خطا ونسيان كما تقدم ولا في حال الرضى والسخط بفتحتين
او بضم فسكون وهي كراهة ذلك الامر المخبر به او في حال رضاه عمن خاطبه وسخط
عليه والرضى يقابله كما في حديث اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك ويكون
في مقابلة الجبر والاكراه كما فعله برضاه اي اختيارا وارادته لا قهرا وجبرا
وعلى الوجهين يدور ان الله يرضى بالكفر لعباده ام لا كما وقع بين الماتريدية
والاشعرية في تفسير قوله ولا يرضى لعباده الكفر هل المراد جميع عباده
او خلصهم والاضافة تشريفية كما فصل في محله والصحة والمرض اي لا يقع
ذلك منه صلى الله عليه وسلم في صحته ولا في حال مرضه واختلاف مزاجه
الذي قد يشوش الفكر بما يؤدي لمثله مما ذكر دليلا على ما قاله من السنة فقال
وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن وايل السهمي الصحابي المشهور رضي
الله عنهما وهذا الحديث رواه عنه الامام احمد وابو داود والحاكم وصححوه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اكتب كلما اسمع منك قال نعم اي اكتب كلما سمعته مني قلت في الرضى
وفيه قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم اي اكتب ما تسمعه في حال رضاي وغضبي فاني لا اقول والغضب اي في حالتيك هاتين قال نعم اي اكتب في ذلك المذكور كله من حالتي الرضى والغضب الا حقا فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع لا عمدا ولا غيره لعصمة الله له في افعاله واقواله كلها واشار بذلك ليقظته او لوقعة محله في التصدق وفيه رد على من منع كتابة الحديث ونقله عن بعض الصحابة والتابعين وقال انهم كرهوه لحديث لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن ومن كتب عني غيره فليمحه كما رواه مسلم والبخاري في قصة ابي شاه عام الفتح وقد اجيب عنه بانه منسوخ او انه مخصوص بعصره في حياته صلى الله عليه وسلم اما بعده فصارت واجبة او المراد النهي عن كتابة الحديث مع القرآن مختلطا به او المراد لا تكتبوا عني شيئا كنت قلته ثم جاء القرآن بما يخالفه واول ما دونت كتب الحديث في زمن عمر ابن عبد العزيز رحمه الله كما ذكره الطبري في كتاب مناقبه ولنزدن بالمعجمة من الزيادة وفي نسخة ولنزدن فيما اشرنا اليه مما مضى قريبا من دليل المعجز عليه اي دلالته على ما ذكر بيانا مفقود نزده وهو توضيح وتاييد لما قاله الاسفرايني فنقول تفصيله لهذه الزيادة اذا قامت المعجزة من اقامة الدليل اي دلت على صدقه صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر به عن الله وانه لا يقول الا حقا وصدقا لنزاهته عما سواه وعصمة الله له عما عداه معقوله ولا يبلغ عن الله الا صدقا تاكيد لما قبله وان المعجزة قائمة مقام قول الله صدقت في كل ما قلته لانها على ذلك بطريق الاقتضاء والاستلزام فصارت عبارة عنه بطريق الكناية وفي نسخة صدق عبدي فيما ذكره ويخبر به عني وهو يقول اني رسول الله الذي ارسله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم مما اوحاه الله الي وامرني بتبليغه وابين لكم ما نزل عليكم وفي نسخة اليكم وتنزيله عليهم بواسطته صلى الله عليه وسلم والمراد بنزوله عليهم وصوله اليهم ونزوله على نبي بين اظهرهم والنزول في القرآن تارة ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم وحده فيقال نزل وتارة الى الامة فالمراد بالاول مشافهة ملك الوحي له وبالثاني مطلق الوصول والبلاغ او هو من قبيل بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم ودلالة المعجزة على صدقه تقدم بيانها وظهورها على يد الكاذب ممتنع عقلا وعادة وقال الشهرستاني في نهاية الاقدام من اصطفاه الله لرسالته واجتباه لدعوته كساه ثوب جمال في الفاظه واخلاقه واحواله فتعجز الخلائق عن معارضة شيء من ذلك فتصير جميع حركاته معجزة لنا دون غيره من الحيوانات وما ينطق عن الهوى اي لا يصدر عنه امر لمجرد هوى نفسه وتشهيه ان هو الا وحي يوحى اليه وتقدم بيانه وبيان انها لا تدل على انه صلى الله عليه وسلم لا يجوز له الاجتهاد وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع وما آتاكم الرسول فخذوه اي تمسكوا به وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ولا تقربوه لانه انما يامركم بما امر الله وانما ينهاكم عما نهى الله عنه فان فسرت بما اعطاكم من الفيء فخذوه

وما

وما نهاكم عنه من الفيء فلا تاخذوه فانه انما يعطي ويمنع بامر الله دل على ما ذكرنا بطريق الفحوى والقياس فلا يقال ان الاية لا تدل على المراد على هذا التفسير فلا يصح ان يوجد منه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وهو ما طريقه البلاغ عن الله خبر سمع منه او صح عنه بخلاف مخبره بضم اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وتخفيفه اي لا يصدر عنه خبر غير مطابق للواقع على اي وجه كان خبره الصادر عنه فلو جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم الغلط والسهو فيما بلغه عن الله وقد حماه الله عنه لما تميز لنا من غيره اي ما تميز صوابه الواجب اتباعه عن غيره او خبره عن خبر غيره ولاختلط الحق بالباطل ولم يتميز احدهما عن الاخر فالمعجزة الخارقة للعادة المتحدي بها كما تقدم مشتملة على تصديقه اي ثبوت صدقه فيما اخبر به عن ربه جملة واحدة اي في جميع ما جاء به من جميع اخباره وما بلغه عن الله من غير خصوص اي تخصيص لامر دون امر بدليل يقوم على التخصيص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم وتبرئة ساحته فيما بلغه عن ربه عن ذلك اي عن ان يقع منه اخبار بما يخالف الواقع قصدا او غلطا او سهوا واجب وقوعه واعتقاده برهانا اي بطريق البرهان القطعي العقلي المعلوم من المعجزة والتحدي بها كما تقدم واجماعا من جميع اهل الملل الاسلامية وعلماء الدين كما قاله ابو اسحاق الاسفرايني بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق رسولي فيما قاله لا كما قاله الباقلاني من انه ثبت بورود الشرع والاجماع لا بالبرهان العقلي كما عرفت تفصيله

فصل

متمم لما قبله وقد توجهت اي صدرت ووقعت في جهة من قولهم وجهه اذا ارسله في جهة فتوجه ويكون توجه بمعنى قبل وليس بمراد هاهنا اي في هذا البحث لبعض الطاعنين من الطعن وهو الضرب برمح ونحوه فاستعير للتدخل والاعتراض كما قال تعالى وطعنوا في دينكم سؤالات جمع سؤال وهو طلب امر من الامور فقد يكون لتعلم ونحوه مما يحمد وقد يكون تعنتا منهيا عنه وطلب الامر منهي عنه كما قال تعالى لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن سعيد ابن جبير بسند فيه ما سيأتي لما قرا في صلاته سورة والنجم وقال اي بلغ في قراءته الى قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واللات صنم كان لقريش ولثقيف والعزى تانيث الاعز وهي سمرة كانت لغطفان يعبدونها ومناة صخرة كانت لخزاعة وهذيل يعبدونها والثالثة الاخرى بمعنى المتاخرة لصفة مقدارها صفتان لمناة وامر هذه مبين في التفاسير غني عن البيان فالقى قائل سمع ما قاله عند تلاوته صلى الله عليه وسلم كما ستبينه تلك المذكورة من اللات وما بعدها الغرانيق العلا جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون او غرنيق بضمها وفتح النون وهي طير من طيور الماء كبير طويل العنق ابيض واصله الشاب الناعم استعير للاصنام والعلا جمع عليا لزعمهم انها ترتفع للسماوات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شفاعتها لهم لترتجى اي تؤمل وتنتظر وتروى لترتضي اي تقبل عند الله بزعمهم
الفارغ وفي رواية ان شفاعتها لترتجى والعالم الغرانيق العلا يعنون الملائكة وفي
رواية اخرى والغرانقة العلا تلك للشفاعة ترتجى ومعانيها متقاربة فلما
ختم اي اتم صلى الله عليه وسلم قراءة هذه السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد
معه المسلمون ممن كان حاضرا عنده من الصحابة رضي الله عنهم والكفار الحاضرون
عنده ايضا لما سمعوه اثنى على الهتهم بقوله المتقدم تلك الغرانيق العلا
وان شفاعتهن لترتجى وما وقع في بعض الروايات لهذه القصة ان الشيطان
القاها اي هذه الكلمات على لسانه بها سهوا منه ثم نبهه اي نبهه جبريل
لها وكان ذلك ابتلاء من الله ليعلم من ثبت على ذلك او تزلزل وان النبي صلى الله
عليه وسلم كان لحرصه على ايمان قومه تمنى ان لو نزل عليه شيء مما يوحى
اليه يقارب بينه وبين قومه اي يقربهم من الاسلام حتى يتركوا عنادهم
وفي رواية اخرى لهذه القصة انه صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لا ينزل
عليه شيء ينفرهم عنه من الطعن فيهم وفي الهتهم ولم يزل كذلك
حتى نزلت عليه سورة النجم وهذه الرواية والتي قبلها بمعنى فان عدم
التنفير عنه والقرب بينه وبين قومه متساويان وذكر صاحب هذه الرواية
وناقلها هذه القصة اي قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم وسجوده
وسجود المسلمين والكفار معه وان جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام
بالوحي فعرض عليه اي قرا عليه هذه السورة وفاعل عرض ضمير النبي صلى الله عليه
وسلم فلما بلغ اي وصل في قراءته هاتين الكلمتين يعني تلك الغرانيق العلى
الخ قال له اي قال جبريل له صلى الله عليه وسلم ما جئتك من الله بوحي فيه
هاتين الكلمتين يعني تلك الغرانيق العلا وفي نسخة الاثنتين فحزن اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم لذلك وفي نسخة فحزن لذلك النبي صلى الله عليه
وسلم اي لما قاله جبريل له فانزل الله لما راى حزنه صلى الله عليه وسلم
تسلية له صلى الله عليه وسلم والتسلية اذهاب حزنه بتطييب خاطره
قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية تقدم في تفسير هذه الاية
ما فيه كفاية وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم تمنى ان يوحى اليه ما
يقرب قريشا منه ويستعطفهم فلما نزلت هذه السورة وقراها الى قوله
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان عليه تلك الغرانيق العلا الخ فتكلم
بها ثم مضى في قراءتها حتى ختمها وسجد وسجد معه من سمعها من المسلمين
والمشركين رضا بما قاله لظنهم انه رضي بالهتهم فلما امسى اتاه جبريل
عليهما الصلاة والسلام فعرضها عليه حتى بلغ قوله تلك الغرانيق
العلا فقال له ما جئتك بهذا وهذا لم ينقله الله فما زال صلى الله عليه
وسلم مغموما حتى نزل عليه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الاية فطابت نفسه لتسلية الله له فيها باخباره ان كل نبي ورسول
وقع له مثل ذلك من القاء الشيطان في الوحي وتلاوته في اثنائه ثم بين له

ذلك

ذلك وينسخه الله فكانه قال له لك اسوة بمن سبقك من الرسل والانبيا وانزل عليه
صلى الله عليه وسلم تسلية له ايضا وان كادوا ليفتنونك الاية اي قوله عن الذي
اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا وان مخففة من الثقيلة اي قاربوا ان يخدعوك
عما اوحيناه اليك حتى تقول ما لم نقله مما ارادته قريش وحتى تركن الى بعض
الكره لتستميل قلوبهم للاسلام فبين الله لك ذلك وثبتك على الحق والفكاك
عن المداراة كما فصله المفسرون وبين في اسباب النزول اذا عرفت ما ذكر وارده
كشف غطايه عنك فاعلم اكرمك الله بما علمك وهداك لدفعه ان لنا في الكلام
على مشكل هذا الحديث الذي اورده عليه بعض الطاعنين كما تقدم ماخذين
اي طريقين في الاخذ في الكلام فيه نقلا وعقلا من اخذ عليه اذا منعه عما
يريد وفعله حتى كانه تمسكه من تشبث به واعتمد عليه من رواه احدهما في
توهين اصله اي تضعيف روايته ونقله من الوهن وهو الضعف وجعل
ثبوته اصلا للسؤال والجواب امبني عليه واصل الوهن ضعف الخلقة
كقوله وهن العظم مني والثاني مبني على تسليمه وصحة روايته تنزلا
وارخا للعنان لمن اورده اما الماخذ الاول في الكلام على صحة روايته فيكفيك
في تضعيف روايته ان هذا الحديث لم يخرجه بالتشديد والتخفيف اي لم يروه
بسنده احد من العلما بالحديث اهل الصحة ممن يعتمد على روايته واتى باسم
الاشارة مكان الضمير لتمييزه اكمل تمييز لقرب العهد به ولا رواه ثقة ممن
يوثق بنقله بسند سليم اي سالم من الطعن والعلة والجرح من نقاد السلف
متصل الى قايله ومن نقل عنه وانما اولع به بضم الهمزة وكسر اللام وعين مهملة
يقال اولع بكذا فهو مولع بالفتح اذا لهج واكثر من ذكره ويكون بمعنى الكذب
وعتر به لا يحام ذلك وبمثله من الاحاديث الموهمة لما لا يليق بالرسل عليهم
الصلاة والسلام المفسرون فانهم يوردون كثيرا من الاحاديث الضعيفة
الموهمة لما لا يليق بمقام النبوة والمؤرخون بالهمزة وقد تبدل واوا
واهل التاريخ لقلة الاخبار واختلف في لفظ التاريخ فقيل انه من
الارخ وهو الفتى من البقر وقيل انه معرب ماه روز اي حساب الشهور
والايام واول من ارخ الكتب عمر بن الخطاب كما فصلناه في غير هذا المحل
المولعون اي المفسرون جمع مولع بفتح اللام وهو المكثر من شيء بكل غريب
من الاخبار والقصص التي لم تشتهر ويقرف المتلقفون بالمثناة الفوقية
بعدها لام وقاف وفا وفي نسخة المتلقون بحذف الفا يقال تلقفه
اذا تناوله بسرعة وتلقاه اذا اخذه من غيره والتلقي مفعل من اللقا
وهو المقابلة من الصحف كل صحيح لفظه ومعناه وسقيم لفظه كالمحرف
لفظه ومعناه كالمغتر بغير المراد والصحف جمع صحيفة والاخذ من الصحف
غير مقبول عند السلف لانه قد يحرف لفظه ويخفى معناه او يفهم منه
غير المراد والمقبول التلقي من افواه الرجال واعلم ان ابن سيد الناس قال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بلغني عن الحافظ المنذري انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواية بالكلية وان
الحافظ الدمياطي خالفه فيه ولا وجه لتصحيحه الا انه يكتب بسند لا مطعن فيه ولا
سبيل لذلك انتهى وفي سيرة مغلطاي ان الشيطان القاه في امنيته كما ذكره
الكلبي عن باذان عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قالوا انه باطل نقلا وعقلا
وسياقه كما في سنده ولقد صدق القاضي ابي بكر بن العلا المالكي وفي
نسخة حذف ابي وتقدمت ترجمته وهو المشهور بابن العربي حيث قال لقد
بلي الناس بالبنا للمجهول من الابتلا وهو الامتحان اي صار لهم بلية ومحنة اي
اصيب الناس ببعض بعين مهملة وضاد معجمة مقابل كل وهو ما صح في بعض
النسخ وفي بعضها ببغض بغين معجمة ثم موحدة ثم ضاد معجمة وفي نسخة
بتقضي بتا جارة ومثناة فوقية وقاف مفتوحة وضاد مهملة مشددة
مكسورة ومثناة تحتية من تقضيته اذا تاملته تاملا تاما كما قال
ابو تمام ● يا صاحبي تقضيا نظريكما ● كانه يبلغ اقصاه واصله تقضص
تفعل من قص عليه الخبر فابدل من احد حروف التضعيف حرف علة كما قالوا
تمطى في تمطط ونظايره اهل الاهوا بالمد اي اصحاب الارا الفاسدة والمذاهب
الباطلة والتفسير اي بعض المفسرين الذين يذكرون في تفاسيرهم قصصا لا اصل
لها يبنون عليها تاويلات بعيدة وامورا غريبة وتعلق بذلك اي بما ذكر من
كلام اهل الاهوا وبدع التفاسير لا بحديث سورة النجم بخصوصه كما قيل دجي
الملحدون جمع ملحد من الالحاد وهو العدول عن الاستقامة فيطلق على كل
من لم يكن عقيدته حقا مع ضعف نقلته بفتحات جمع ناقل كفاسق
وفسقة يعني بهم رواته او من ذكره في كتابه فيكون اشارة لمن ابتلي به من
اهل الاهوا السابقين ونحوهم من المفسرين والقصاص واضطراب روايته
الاضطراب في اصطلاح المحدثين ان يقع من الراوي اختلاف في روايته
فيرويه تارة على وجه واخرى على وجه اخر وهكذا او يرويه رواة على وجوه
مختلفة بشرط ان لا يكون بعض طرقه ارجح من بعض فان العمل حينئذ بالراجح دجي
فلا يعد مضطربا عندهم ومن فسر الاضطراب بعدم عزوه الى مامون لم
يصب وانقطاع اسناده الاسناد يكون بمعنى المسند وهم رواة الحديث
وبمعنى مصدري وهو ذكر السند وانقطاعه وهو ان يسقط منه واحد
فاكثر غير الصحابي وضده الاتصال وقوله واختلاف كلماته وهو قريب
من الاضطراب ثم بين ذلك بقوله فقائل يقول انه اي ما ذكر وقع في الصلاة فقائل
او الضمير له صلى الله عليه وسلم والتقدير قراها في الصلاة واخر يقول
انه قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة اي سورة النجم والنادي
والندي مجلس يجتمع فيه القوم للمشاورة وفصل الامور المهمة ولذا سميت
دار قصي دار الندوة كما مر واخر يقول انه قالها اي الكلمات المذكورة وقد
اصابته سنة اي وقد عرض له اوايل النوم من غير قصد منه فالسنة
بكسر السين اول النوم وهو النعاس ويقال السنة ثقل في الراس والنعاس

في العين

في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع الادراك واخر
يقول بل حدث نفسه بذلك فسها في سنته فخطرت بباله وحديث النفس ما يجري
على فكره من غير تلفظ به حتى كانه يحادث بها نفسه اي حصل له سهو حتى تكلم بها في اثنا
قراءته سورة النجم واخر يقول ان الشيطان قالها يعني الكلمات المذكورة على لسانه صلى
الله عليه وسلم اي تكلم بها الشيطان وهو لا يرى فظنها وحيا القي عليه وسمعها من كان
عنده فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم نطق بها عن قصد وانها من القران حقيقة
وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها وقراها على جبريل قال له ما هكذا اقراتك
فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر واخر يقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يقراها بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها
اي قرا الكلمات المذكورة في اثنا تلاوة سورة النجم وعرضها على جبريل فلما بلغ النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك اي وصل لقراءة هذه الكلمات التي اعلمهم الشيطان بها
قال جبريل عليه الصلاة والسلام والله ما هكذا انزلت هذه السورة الى غير ذلك
من الاقوال المؤذنة بان الشيطان له دخل في ذلك مع انه ليس له سلطان على الذين
امنوا وهذا كله صدر من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه كابن جرير
والمنذري وابي حاتم من المفسرين والتابعين كالزهري وابي بكر بن عبد الرحمن بن
هشام وسعيد بن جبير لم يسندها احد منهم اي لم يذكر لها سندا مرضيا احد
ممن حكيت عنه ولا رفعها الى صاحبي اي صحابي من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم
قالها وقيل المعنى لم يعزها الصاحب لها قد قالها واكثر الطرق التي رويت منها
عنهم فيها اي في هذه القصة واهية ساقطة ضعيفة غير مرضية لا يعول عليها
والمرفوع فيه اي ما رفع فيه وفي نسخة منه ذكر من روى هذه القصة حديث
الحجاج شعبة بن الحجاج الذي رواه عن ابي بشر بكسر البا الموحدة وسكون الشين المعجمة
وهو جعفر بن ابي وحشية اياس التابعي الثقة توفي في سنة خمس وعشرين ومائة
واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال فيما احسب اي اظن ومثله يستعمل للشك فيما قاربه
ثم بين الشك ما وقع فيه من الشك من الراوي بقوله فيما احسب فقال الشك
المذكور في الحديث اي في متنه واصله لا في سنده والحديث هو حديث شعبة
المذكور ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وان المفتوحة وما بعدها بدل
من الحديث وذكر شعبة القصة المذكورة في هذا الحديث بتمامها وانه صلى الله عليه
وسلم يتمنى ان ينزل عليه ما يطيب نفوس قومه عسى ان يؤمنوا فنزل عليه
سورة النجم فقراها حتى بلغ افرايتم اللات الاية فقال تلك الغرانيق العلا
الى اخر السورة وسجد فسجد معه المسلمون والمشركون وفرح الكفار قال ابو
بكر البزار بتقديم الزا المعجمة على الرا المهملة نسبة لعمل بزر الكتان بلغة
البغداديين وهو الحافظ المشهور كما تقدم هذا الحديث لا نعلمه يروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل الى احد من الصحابة الذين حضروا
عنده او اليه صلى الله عليه وسلم يجوز ذكره لصحة نقله والاعتماد عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا هذا الحديث المسند الى ابن عباس ولم يسنده اي لم ينقله مسندا عن شعبة الا
امية بن خالد وهو ثقة اخرج له مسلم وغيره وتوفي في سنة احدى وثمانين وتجد
في الميزان وغيره اي غير امية بن خالد يرويه اي هذا الحديث يرسله اي يرويه مرسلا
والمرسل ما سقط من سنده الصحابي فهو يرويه عن سعيد بن جبير عن النبي صلى
الله عليه وسلم من غير ذكر ابن عباس وظاهر كلام المص ان السند بتمامه مذكور غير
الصحابي فان اراد انه لم يعزه لغير ابن جبير واسقط رجاله كلهم فهو معضل ه
والجمهور يعبرون عنه بانه ارسل او يرسل بصيغة الفعل ويفرقون بينه
وبين المرسل بالاسم وتفصيله في كتاب ابن الصلاح وغيره وانما يعرف هذا الحديث
روايته عن الكلبي نسبة لكلب قبيلة معروفة وهو ابو النضر المفسر النسابة ه
الاخباري الراوي المشهور وسياتي كلام المص فيه والكلبي يرويه عن ابي
صالح وهو باذان بنون او باذام بميم وهو يروي عن مولاته ام هانئ وعلي كرم
الله وجهه وروى عنه السدي وغيره اخرج له اصحاب السنن الاربعة وقال
ابو حاتم انه لا يحتج به عن ابن عباس وهو لم يسمع منه والحديث منقطع فقد
تبين لك ايها الواقف على هذا الحديث ابو بكر البزار المذكور انه اي هذا الحديث
لا يعرف روايته من طريق يجوز ذكره اي يصح ويعتمد عليه سوى هذا الطريق الذي
رواه شعبة منه بسند يعتمد عليه في الجملة وفيه اي حديث شعبة ايضا من
الضعف ما نبه عليه البزار وغيره من انه لا يعرف من طريق غيره مع اختلاف
كلماته واضطرابه وارسال وانقطاع سنده او ارساله والاختلاف في مواطن قراءته
وكيفيته اكان في الصلاة او في نادي قومه او في سنته او حدث به نفسه فتهي
وذكره او قاله الشيطان على لسانه او اعلمهم به وانكار جبريل له عند عرضه عليه
كما مر مع وقوع الشك فيه الذي اشار اليه بقوله المار فيما احسب كما ذكرناه
فيما تقدم الذي لا يوثق به صيغة الشك كقوله ولا حقيقة معه اي تحقق ونقل
مع ما فيه من تشكيكه في اصله كما اشار اليه البزار واما حديث الكلبي اي روايته
لهذا الحديث وغيره فمما لا يجوز شرعا ولا يصح نقلا الرواية عنه ولا ذكره هذا
بحسب الظاهر غير منتظم اذ الظاهر ان يقول اما حديثه فمما لا يجوز ذكره او الكلبي
لا يجوز الرواية عنه فاما ان يقول هو لف ونشر تقديري وامثاله اما الكلبي
وحديثه كقولهم راكب الناقة طليحان اي الناقة وراكبها او هو من قبيل قوله
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن على قول الفراء واطلق ما فيه
على من يعقل وكذا قوله لقوة ضعفه وكذبه اي كثرة كذبه وفي قوله لقوة ضعفه
طباق بديع جدا كما اشار اليه البزار رحمه الله فانه وغيره من المحدثين قالوا
انه كذاب وضاع لا يوثق به وان كان اماما في الفقه والتفسير وقد قال
الجوزجاني وابن معين وغيرهما انه يضع الاحاديث وكذاب لا يحتج به وروى عن
ابي صالح عن ابن عباس وابو صالح لم ير ابن عباس وقال ابن حبان انه في الدين
غير مبين وكذبه اظهر من ان يذكر ولم يسمع من ابي صالح ايضا هذا اي الامر هذا
او هذا هو ما قاله فهو خبر مبتدا مقدر او مبتدا خبره ما بعده او منصوب بتقدير

خذ

خذ هذا او اعلمه ونحوه واما كونها اسم فعل بمعنى خذ وما معقوله وان جاز فيأباه
رسمه متصلا بدون الف توهينه اي بيان وجه ضعفه من جهة طريق النقل ومنه الواهية
وهي ضربان عرف بيانه منه قبيل وقد قال الحافظ ابن حجر قول ابي بكر بن العربي ان
طرق هذا الحديث كلها باطلة وقول عياض في الشفا انه لم يخرجه احد من اهل الصحة
وليس له سند متصل مع ضعف نقلته واضطرابه ورواياته وان من نقله من المفسرين
وغيرهم لم يسنده احد منهم ولا رفعه لصاحب لا وجه له فان له طرقا متعددة
كثيرة متباعدة المخارج وكل ذلك يدل على ان له اصلا وقد ذكرنا له ثلاث اسانيد منها
ما هو على شرط الصحيح وهي وان كانت مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل كمالك ومن
لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض فتبين بهذا ان مبالغة المص في رد نقله غير مرضية
والذي صح وثبت منه اي من هذا الحديث في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح
البخاري على ما ياتي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم وهو بمكة قبل
الهجرة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس قال الكرماني هي اول
سورة نزل فيها سجدة وانما سجد المشركون لانهم معارضة للمسلمين او وقع ذلك منهم
بلا قصد او خافوا من مخالفتهم في ذلك المجلس وقال ابن حجر فيه نظر لمخالفته لما قاله
ابن مسعود من انهم اخذوا حصا ووضعوه على جباههم ولان خوف المشركين لا يظهر له
وجه بل الظاهر العكس ثم قال الكرماني ايضا ما قيل من ان سبب ذلك القاء الشيطان في
اثناء قراءته صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم لا يتجه عقلا ونقلا واما سجود الجن المروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما فكانه استند فيه الى سماع منه صلى الله عليه وسلم لانه لم
يحضر القصة لصغر سنه ومثله لا يطلع عليه وكشف ذلك له بعيد والصحيح ان الشيطان
القى ما القاه في اسماع المشركين فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله مدحا لالهتهم
وارتضاها فسجدوا معه وهو لا ينافي عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
يخفى ان هذا الحديث اخرجه الشيخان ففي البخاري مسندا انه صلى الله عليه وسلم
قرا سورة النجم بمكة فسجد وسجد من معه غير شيخ اخذ حصى وترابا ووضعه على
جبهته فقتل كافرا وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
سجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس والشيخ الذي وضع الحصا
على جبهته امية بن خلف وفي سيرة ابن اسحاق انه الوليد بن المغيرة وفيه نظر
لانه مات حتف انفه وقيل انه سعيد بن العاص وقال ابو حيان النحوي انه
ابو لهب ولم يسنده وفي مصنف ابن ابي شيبة الا رجلين من قريش وقيل انه
المطلب بن المطلب بن ابي وداعة ولم يكن اسلم ومما قاله الطبراني من ان اهل
مكة لما اظهر النبي صلى الله عليه وسلم دينه اسلموا وكانوا يسجدون معه
وبعضهم لا يسجد من الزحام فلما سمع ذلك رؤساء قريش كالوليد وابي جهل
وغيرهما قالوا لهم اتتركون دين ابائكم فارتدوا واغرب هذا توهينه من
جهة النقل واما توهينه من جهة المعنى فقد قامت الحجة اي الدليل الواضح
على ضعفه واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عما لا يليق
بجنابه عن مثل هذه الرذيلة اي الخصلة القبيحة الدنية من الرذالة وهي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الدناة والعود على الله بما لم يقله ولا شئ اعظم من الافترا لا سيما على الله عز وجل وعوه
ثويبين ما فيه من القبايح فقال اما من فتنيه بكسر الهمزة وتشديد الميم ما نقل كما مر ان ينزل
بالتخفيف والتشديد في الزاي المعجمة مثل هذا المذكور من مدح الهة غير الله بقوله تلك الغرانيق
الخ وهو كفر لان الرضا بالكفر كفر وان يتسور اي يتسلط عليه الشيطان واصل التسور
التسلق والصعود من حايط السور فكني به عن النزوغ واريد به هنا التسلط كا على
ويشبه عليه القران اي يلبسه ويخلط فيه ما ليس منه حتى يجعل فيه ما ليس منه وهو
الكلمات المذكورة ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران ما اي شي ليس منه
وينبه على اعتقاده حتى ينبهه اي يوقظه من غفلته عما لبس به عليه جبريل عليهما
الصلاة والسلام بقوله له ليس هذا من الوحي الذي اتيت به كذا وذلك كله ممتنع
في حقه عليه الصلاة والسلام لنزاهته عن مثله وحفظ الله له او يقول ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم من قبل بكسر القاف وفتح البا الموحدة اي من عند نفسه
عمدا من غير القا الشيطان عليه وهو لا ينطق عن الهوى وذلك اي ما يقوله من
عنده كفر لانه افترا عليه وتبديل لكلام الله بالزيادة فيه او سهوا حفظه الله منه
وهو معصوم عن هذا كله بالاجماع كما تقدم وقد قررنا فيما تقدم بالبرهان والدليل
القاطع والاجماع من امة الاجابة عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان الكفر
اي على لسانه ووقوعه منه على قلبه باعتقاد او لسانه بالنطق به لا عمدا ولا سهوا فضلا
عن استقراره فان الجريان عبارة عن صدوره منه من غير ثبات كانه ما جار به واستعار
لما ذكرا وان يتشبه اي يختلط ويلتبس عليه ما يلقيه الملك من وحي الله اليه مما
يلقيه الشيطان على لسانه محاكيا لما ينطقه به او يكون للشيطان عليه سبيل اي طريق يصل
اليه منه بما حاه الله عنه او ان يتقول على الله اي يفتري عليه عمدا ما لم يوحه اليه
ويقول انه اوحي اليه لا عمدا ولا سهوا تاكيد لما افاده ما قبله من نفي التقول على الله ما
لم ينزل عليه فتقول مطلق لقوله يتقول لانه لا يتصف به الا اذا اريد بها الفاظها
وليس بمعنى الظن لعدم ذكر مفعوليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية تقول تكلف من نفسه قولا لم يقله كتشجع اذا اظهر الشجاعة وهو جبان فكنى به
عن الافترا والكذب والاقاويل جمع اقوال فهو جمع الجمع اذ جمع اقوولة افعولة
وهو يستعمل للتحقير كالاضاحيك الاول وهو الذي صرح به سيبويه رحمه الله
فمن اختار الثاني فقد رجح المرجوح وتمامها لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه
الوتين اي لامسكناه واهلكناه كما افعل بمن افترى علينا والوتين عرق في العنق
اذا قطع مات صاحبه وهو الوريد وقطعه عبارة عن الذبح وفيه دليل على ان
الكذب على الله كفر وانه لا يتقول على الله ما لم يقله وقال تعالى لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية اي لو قربت من
الميل الى الكفرة وضعف صفة لمقدر اي لاوصلنا لك عذابا مضاعفا في مماتك
يعني به عذاب القبر وفي حياتك بعد البعث في الاخرة وفي الاية دليل على عدم
نقيصة التسابق وانه معصوم من مقاربة شي من ذلك والاية نزلت في ثقيف
لما قالوا له صلى الله عليه وسلم لا نتبعك حتى تخصنا بخصال نفخر بها على العرب

وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ

لاننشر

لا ننشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وتمتعنا عن الزنا وتمتعنا باللات سنة ونحرم واديا
كمكة ونقول للعرب ان الله امرني بهذا فانزل الله عليه هذه الاية ووجه ثان في توهين ما
ذكر من انه صلى الله عليه وسلم ذكر قوله تلك الغرانيق الخ في اثنا قراءة هذه السورة وهو
اي الوجه الثاني استحالة هذه القصة اي عدها من المحال عقلا او مما لا يستقيم لان
اصل معناه لغة ما لا يستقيم مما اعوج ومن لم يعرف اللغة يعترض على المتنبي في قوله
كانك مستقيم في محال كما مر والمراد بالقصة هنا وما ذكر منه بتسليط الشيطان
عليه نظرا اي من جهة النظر والفكر الصادر عن عقل مستقيم في عصمة رسل الله عليهم
الصلاة والسلام فيما طريقه البلاغ واستحالتها عرفا اي من جهة ما عرف من احواله
واحوال غيره من الانبيا اي امرا متعارفا ومن فتش العرف بتاليف كلامه وتناسب الفاظه
تقدر ان يكون شططا وكانه نظر لقوله عصمته وذلك ان هذا الكلام الذي تلاه مع ما الفي
فيه من قوله تلك الغرانيق الخ لو كان كما روي لكان ما روي بعيد الالتيام متهافت
بعد المتناة المعروفية وقد تبدل باختنية والمراد به ان مناسبته لما وقع فيه
من كلام الله الذي هو في اعلا طبقات البلاغة في غاية البعد وهو مع كونه وقع
في كلام رب العزة متناقض لا اقسام متنافر النظم لما فيه من التضاد من حيث انه
يصير ممتزج المدح لالهتهم بجعلها عليه يرجى الشفاعة بالذم لها الذي دل
عليه سياقه في قوله ان هي الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان
والهال ليس لها عند الله شان ولا منزلة وهذا يناقض علو منزلتها ورجا شفاعتها
ويصير الكلام القراني بذكرها في اثنائه متخاذلا لتاليف اي متنافر النظم غير
متلايم فكان بعضه يخذل بعضا ويكر عليه هدما ونقضا والتخاذل معناه في الاصل
ادخال الدر ونحوها في سلك متناسب الوضع والمقدار فاستعير لتاليف الكلمات
متناسبة المعاني متناسقة الدلالات ثم صار حقيقة فيه وغلب استعماله في التراكيب
القرانية حتى انصرف اليه عند الاطلاق ولما بكسر اللام وتخفيف الميم وقيل انه بفتح
اللام وما موصولة كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته معطوف على النبي
من المسلمين والحضرة مصدر بمعنى الحضور مثلث الحا ويطلق على كل كبير يحضر
عنده الناس فيقال الحضرة العالية وهو اصطلاح اصحاب الترسل ويصح ارادة
كل منهما هنا والاول اولى وصناديد المشركين جمع صنديد وهو كصنديد بزنة زبرج
السيد الشجاع والحليم والجواد والشريف والمراد خواص روسايهم وكبارهم
ممن يخفى عليه ذلك لكونهم بلغا اصحاب سليقة مستقيمة والسنة فصيحة
بليغة وهذا المذكور امر لا يخفى على ادنى متامل بنا مثل الفاظ القراد التي هو
في اعلا طبقات البلاغة وما ادرج فيه مما بينه وبينه بون بعيد فكيف
بمن رجح حلمه بضم الحا المهملة وسكون اللام بمعنى لبه وعقله ورجحانه
زيادته وقوته وكيف مستبعدا لاستبعاد خفا مثله على مثله كقوله كيف
تكفرون بالله كما تقرر في كتب العربية يقال حلم يحلم حلما وحلما واتسع اي
عظم وكثر في باب البيان اي في نوع المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وفي
معرفة فصيح الكلام علمه لقوة فهمه وذكايه واستقامة سليقته مع فطرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفادة وبصيرة نقادة ووجه ذلك لبيان توهينه وضعفه انه الصغير صغير شان قد علم
بيننا المجهول من عادة المنافقين الذين لم يطيعوا واكثرهم ومعاند المشركين اي المشركين
المعاندين فهو من اضافة الصفة للموصوف وضعفة القلوب بفتحات جمع ضعيف اي
الذين قلوبهم ضعيفة عن ادراك الحق لانهم بله لا اذعان لهم والمراد بهم الكفار
غير المعاندين من اشرك اتباعا للغير او المراد بهم الجهلة من المسلمين فهو عطف
تفسير عليه نفورهم نائبه فاعل علم لاول وهلة اي عند اول شيء يقع في اذانهم
واذهانهم يقال لقيته لاول وهلة بوزن ضربة ويجوز فتح هائه اي اول
شيء كما في القاموس اي قبل التفكر والتامل فيما قرع سمعه حتى يهتدي
لانه ليس متسقا منتظما مع ما وقع في اثنائه من نظم القران وتخليط العدو
من الكفرة والمنافقين على النبي صلى الله عليه وسلم بادخالهم في كلامه
ما لم يقله لا اقل فتنة يفتتن بها المسلمون لادخالهم الشبهة عليهم في دينهم
وتعييرهم بعين مهملة وتحتيتين اي الحاق ما هو عار عليهم باتباع المسلمين
الهوى ومدح الهة غير الله والشمات بهم بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم
جمع شامت كفجار وكفار من الشماتة وهي فرح العدو بما يصيب عدوه من نوائب
الدهر وفي نسخة والشماتة بهم الفينة بعد الفينة بفتح الفاء وسكون المثناة
التحتية ونون تليهما هاء تانيث اي حينا بعد حين مما امتحنهم الله به من
المصائب تعظيما لاجرهم بما امتحنهم به من ذلك قال في القاموس الفينة
الساعة والحين وقد تحذف اللام فيقال لقيته فينة يعني انه استعمل علما
وغير علم كشعوب للمنية وارتداد من في قلبه مرض اي من ضعف ايمانه او
من نافق وسمع ما ذكر فيرجع عن الاسلام الى الكفر ممن اظهر الاسلام بلسانه
ولم يذق حلاوته فيرتد لادنى شبهة ترد عليه لضعف ايمانه وايقانه
ولم يحك احد اي لم ينقل احد من المحدثين او احد ممن عاداه صلى الله عليه
وسلم في هذه القصة اي قصة تلك الغرانيق شيئا سوى هذه الرواية
الضعيفة الاصل رواية ودراية لركاكتها وتناقضها كما تقدم ولو كان
اي وقع وصح ذلك الذي ذكره بعضهم لوجدت قريش اي كفارهم بها اي
بسبب هذه القصة على المسلمين الصولة اي الاستطالة والهزء وتسلطوا
بذلك على ترويج امورهم وما هم عليه ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة
اي على المسلمين بانه مدح الهتهم واعترف بها وسيلة الى الله كما فعلوا
اي كفار قريش مكابرة وعنادا في قصة الاسراء حين قصها عليهم كما تقدم
حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء اي من ضعف ايمانه لقرب عهده ردة ورجوع
عن الاسلام لانكاره واستبعاده لها وكذلك اي مثل ما ذكر او ومثل قصة الاسرا
ما ورد في قصة القضية بقاف وضاد معجمة وياء مشددة وهي مصدر بمعنى
القضاء والتقاضي او اسم للواقعة التي وقع فيها القضاء بينهم بما وقع في
صلح الحديبية لما راى صلى الله عليه وسلم انه دخل هو واصحابه مكة
فسار اليها ثم رجع الى المدينة في الواقعة التي قصها الله تعالى في قوله

وما

وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس كما تقدم وهذه القضية مذكورة في
الصحيحين وقد وقع بسببها فتنة للمسلمين لما صدوهم عن دخول مكة وصالحهم
صلى الله عليه وسلم على ان يرجع ويأتي من العام القابل وكتب لهم بذلك كتابا
شرط فيه شروطا فيها تسلط على المسلمين حتى قال عمر يا رسول الله الست رسول
الله حقا قال بلى قال الست على الحق وهم على الباطل قال بلى قال فلم نعطي الدنية
في ديننا وانما قاله ليقف على الحكمة في ذلك لا لشك فيه كما توهمه بعضهم والحديث
عليه مفصل في السير وشروح البخاري ولا فتنة اعظم من هذه البلية التي
وقعت بسبب ما ذكر لو وجدت اي لو وقعت وصحت لما يترتب على ذلك من صولة الكفرة
وشماتتهم وتعييرهم مما مر انفا ولا تشغيب بشين وغين معجمتين ومثناة تحتية
وبا موحدة من الشغب وهو تهييج الشر والفتنة للمعادي حينئذ اشد من هذه
الحادثة المعلومة مما مر لو امكنت وقوعا فان قلت لم قال في الفتنة لو وجدت
وفي الحادثة لو امكنت ومجرد الامكان لا يقتضي شرا وفتنة قلت الاول ظاهر
لترتب الفتنة على وجود ما ذكر واما الثاني فعبر بالامكان مبالغة لان نفيه ابلغ
من نفي الوجود لعدم وقوعه محالا لما علم من الكلام في عصمته من عدم تسلط
الشيطان عليه فما روي عن معاند من الكفرة فيها كلمة تليق ان يلقي اليها السمع
ولا عن مسلم بسببها بنت شفة بنت الشفة هي الكلمة سميت به لخروجها من الشفة
باخراج المولود من بطن امه ففيه استعارة مصرحة او مكنية فدل ما ذكر من
انها لم ترو ولم يتكلم بها احد على بطلها بضم الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة
ولام مشددة بمعنى البطلان كما في القاموس واجتثاث اصلها بجيم ومثناة فوقية
ومثلثتين بينهما الف مشدد يعني قلعها من اصلها كما تقلع الشجرة بنزع عروقها
ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن اشارة الى ما قدمناه هذا الحديث
يعني ما قيل في اثناء تلاوة هذه السورة او الحديث الذي روي فيه ذلك على
بعض مغفلي المحدثين الذين لا خبرة لهم بالرواية ليلبس اي يوقع في لبس واشتباه
على ضعفاء المسلمين الذين لم يقفوا على ما يناسب مقام النبوة وقدرها وقد
قال القرافي في شرح الاربعين للامام الرازي ان الجواب السديد فيه على تسليم
صحته مع ان الله قد عصمه ان الله امره بترتيل القران وكان يفعل ذلك فتمكن
من ترصده من الشياطين في حال سكوته بين الايات من دس ما اختلقه من
هذه الكلمات محاكيا صوته صلى الله عليه وسلم وقد سجد من دنا من الكفار
معه فظنوها من كلامه صلى الله عليه وسلم واشاعوها فلم يقدح ذلك عند
المسلمين لحفظهم السورة على ما انزلت قبل ذلك ومعرفتهم من حاله صلى الله
عليه وسلم ما علم من ذم الاوثان واهانتها فحزن صلى الله عليه وسلم من هذه
الاشاعة والقاء الشبهة وهو معنى قوله تعالى وما ارسلنا الى قوله القى الشيطان
في امنيته وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيله وقيل
انه صلى الله عليه وسلم لما قرا السورة الى قوله افرايتم اللات الخ خاف الكفار
ان ياتي بشيء من ذم الهتهم فشغبوا عليه على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا

القران والعوافيه الخ وسبب هذا ان الشيطان حملهم عليه فاشاعوا ذلك وتسبوه
له تحزن لذلك انتهي وسياتي تلخيص الجوابين في كلام المص وقد قدمنا لك ان
هذه القصة لها اصل ثابت في الجملة لكنها التي فيها ما ينقص مقامه صلي الله عليه
وسلم فابطالها بالكلية كما قاله المص لا ينبغي كما قاله ابن حجر وقد تقدم ما يغني
عن اعادته هنا فتذكره ووجه رابع لتضعيف ذلك ما ذكر الرواة لهذه القصة
المذكورة التي عقد لها هذا الفصل ان فيهما اي بسببهما نزلت وان كادوا اي قربوا
مما لم يقع ليفتنونك اي يوقعونك في الفتنة ويصدونك عن الذي اوحينا
اليك الايتين اي اذكر الايتين المتقدم بيانهما وهما اي الايتان المذكورتان
وفي نسخة وهاتان الايتان يرد ان الخبر الذي رووه لنا فانهما له الا انه قيل ان
الايتين لم ينزلا في هذه القصة وانما الذي نزل فيهما قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني القي الشيطان في امنيته وهاتان الايتان
نزلتا في ثقيف كما تقدم لهم بيت وجه منافاتهما له بقوله لان الله تعالى ذكر
انهم كادوا ليفتنونه حتى يفتري علي الله يخلطه في القران ما لم يوح اليه
وانه اي الشان او الله لولا ان ثبته الله علي الحق بتبيان جبريل له لكاد يركن
اي قارب الميل اليهم بمدح الهتهم واتباع هواهم ولكنه لم يفعل شيا من ذلك
فمضمون هذا اي ما تضمنه المذكور في الايتين ومفهومه الذي دل عليه وفهم منه
ان الله عصمه من ان يفتري عليه ما لم يقله لان يفعل ما ارادوه منه من ان يبدل
الوعد وعيدا وعكسه كما قيل وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف يركن اليهم
ركونا كثيرا وهذا التقرير لمعنى الايتين بناء علي ما ادعاه من سبب النزول وقد علمت
انه لم يثبت نقله وقوله حتى يركن بيان لحاصل المعنى لان نفي القرب من الركون
يدل علي نفيه بالطريق الاولى فلا يرد عليه ان المنصوص عليه نفي القرب
من الركون القليل لا نفس الركون كما زعمه المص لان الجواب لقد كدت يعني
انا ادركناك بعصمتنا عن الميل لهم ولما ارادوه بعد ما كادوا يخدعونك
بمكرهم وشدة تخيلهم وهم اي رواة الحديث مع ذكر الايتين يروون في
اخبارهم الواهية اي الشديدة الضعف انه صلي الله عليه وسلم زاد علي
الركون الذي هو مجرد الميل بل القرب من الميل الذي هو ابلغ في نزاهته وعصمته
والافترا اي الكذب علي الله بجعل ما ليس من الوحي منه مدح الهتهم يعني
قوله تلك الغرانيق العلي الخ وحاشاه صلي الله عليه وسلم من ذلك حماه
الله وانه قال عليه الصلاة والسلام حين قال له جبريل ما جئتك
بهذا حين عرض عليه السورة كما تقدم فقال في جوابه له افتريت علي
الله وقلت ما لم يقل علي نفسي وهذا الذي روي في اخبارهم الواهية
عنه صلي الله عليه وسلم ضد مفهوم الاية التي ذكروا ان هذه القصة
سبب نزولها لان عدم ركونه اليهم قليلا في تصريحه بمدح الهتهم وهي
اي الاية بصريح مفهومها تضعف الحديث اي تدل علي شدة ضعفه لو صح نقله
وروايته فكيف والحال انه لا صحة له عند المص كما تقدم بيانه وما فيه فاذا

ورد في الحديث ما ينافي القران ولم يمكن تاويله ولا الجمع بينه وبين حكم بضعفه
وقد علمت ان الحديث رواه مسلم وانهم اجابوا عنه كما بيناه وهذا المذكور في هذه
الاية مما دل عليه مفهومها مثل ما دل عليه قوله تعالى في الاية الاخري وهي قوله
عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته بعصمته لك وصرفه عنك ما هموا به من
خداعك والمكر بك لهمت طايفة منهم ان يضلوك ويصرفوك عن الحق وطريق
الهدي مع علمهم بانك ثابت علي ذلك ولا تمكن ازالة ما قد مكن عنه بوجه من الوجوه
وقيل الطايفة من بني ظفر وما يضلون الا انفسهم اي لا يقع ما ارادوه بك الا بهم
ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وما يضرونك من شيء وانما يضرون الا انفسهم وتفصيل
معنى الاية مذكور في كتب التفاسير وانما المقصود بذكرها التنظير بها لما ذكر
قبلها ولنزول هذه الاية سبب ذكره الترمذي والمص استشهد بها استشهادا
معنويا لما هو بصدده ولم يبق لنا حاجة بتفصيل ما ذكر فيها وقد روي بالبنا
للمجهول والراوي له ابن ابي حاتم وغيره من المحدثين عن ابن عباس انه قال
كل ما وقع في القران من لفظ كاد وما تصرف منه من مضارع وغيره يدل
علي ان ما بعده لا يكون وفي نسخة فهو ما لا يكون اي لا يقع ولا يوجد وانما
يدل علي انه قاربه ولم يقع قال تعالى يكاد سنا برقه السنا بالقصر الضوء
والنور وبالمد العلو والشرف يذهب بالابصار اي يذهب بصر الناظر اليه
ولم تذهب بالبنا المعروف والبنا للفاعل وفاعله ضمير الابصار المستتر ويجوز
بناوه للمجهول مع التحتية ونايب فاعله ضمير السنا وفي نسخة ولم يذهبها وهما
بمعني والمقصود انها اشرفت علي الذهاب ولم تذهب وقال تعالى في امر
الساعة ان الساعة اتية اكاد اخفيها ان كان المراد باخفايها انه لا يعود اخفا
انه فهو كما قال ابن عباس وان كان المراد انه لا يعين زمان وقوعها فكاد بمعناها
المشهور وكلامه هنا مبني علي الاول واليه اشار بقوله الي هذين المعنيين وخفا
الشي ستره وعدم اظهاره ويقال خفيته واخفيته اذا ازلت خفاه ولا تنافي
بين المعنيين لان الله اخفاها علي الناس واطلع عليها بعض خلص انبيائه
وقال القشيري القاضي وقد قدمنا الكلام عليه ولقد طالبته قريش وثقيف
اي سالته صلي الله عليه وسلم وطلبت منه وسبب تسميتهم بذلك مشهور
وقد قدمناه وطالبته ايضا ثقيف قبيلة مشهورة بالطايف اذ مر صلي الله
عليه وسلم بالهتهم اي انصابهم واصنامهم التي كانوا يعبدونها ان يقبل
بوجهه الشريف ويتوجه اليها وفي نسخة عليها ووعدوه الايمان به ان فعل
ما سالوه من الاقبال عليها معظما لها فما فعل ذلك ولا كان ليفعل مع حرصه
علي ايمان العرب وطاعتهم فلم يكترث صلي الله عليه وسلم بهم ولم يلتفت
لمقالتهم مع انهم من اشد الناس شكيمة وعصبية وهذا امر متعلق بقوله
لقد كدت تركن اليهم دال عليهما قاله اولا وقال ابن الانباري هو الامام في
العربية وساير العلوم الادبية ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار النحوي
الحافظ المفسر المحدث نادرة الدهر وفريد العصر ولد سنة احدي وتسعين

اي من المنافقين //

ولم يفعلوا شيا من الفسق

ومما

وثمانين وتوفي في ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وله تصانيف
جليلة مفيدة مشهورة ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم اي لم يقرب من شيء
مما كان عليه الكفرة واهل الجاهلية ولا ركن اي ما مال الى شيء من امورهم وما
كانوا عليه فضلا عن التلبس بها وما ذكره في كاد هو المشهور والتحقيق فيها
ما قاله الجرجاني في دلائل الاعجاز من ان نفيها يدل على نفي ما في حيزها
على ابلغ وجه لا نفي القرب من الشيء الدال على انتفائه لانه بطريق برهاني وقد
يكون لوقوع الشيء بعسرة نحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد ذكر بالبنا
للمجهول وفي نسخة ذكرت بتا التانيث في معنى الاية يعني قوله تعالى وان
كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا تفاسير اخر تركها لكونها غير مرضية عنده ما ذكرناه تمام
موصول مبتدا بينه بقوله من نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه
وسلم كما تقدم وخبره قوله يرد سفسافها اي التفاسير الحقيرة الردية
فيها واصل معنى السفساف ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل وكل غبار
دقيق كالهبا سفساف ثم عبر به عن كل حقير جدا فلذا قوبل في الحديث بمعالي
الامور تارة وبمكارم الاخلاق اخرى كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله
يحب معالي الامور ويبغض سفسافها وفي حديث اخر ان الله رضي لكم مكارم
الاخلاق وكره سفسافها فلم يبق في الاية يعني قوله وان كادوا ليفتنونك
الخ اي لم يبق فيها تفسير ينفي لان الله امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم
في هذه الاية اي من عليه او انعم والمن تعداد نعم سابقة وهو محمود من الله
دون غيره ويكون بمعنى النعمة نفسها بعصمته اي حفظه عن ان تصدر
منه امور لا يرضاه فضلا عما ذكر من مدح اوثانهم وتثبيته على ما هو عليه
من ذم الهتهم وما هم عليه بما كاده به الكفار من خداعهم وطلبهم منه
صلى الله عليه وسلم موافقته لهم في بعض امورهم التي لا تليق به وراموا
من فتنته اي ايقاعه في بلية ومحنة واصل معناها الاختبار ثم عبر بها
عما ذكر ومرادنا من ذلك الذي ذكرناه تنزيهه اي تبريته وصيانته صلى
الله عليه وسلم واصل معنى النزاهة البعد اي بعده عما لا يليق بمقام النبوة
وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو اي ما اراده مفهوم الاية لا ما ذكره
من سفساف التفاسير واما الماخذ اي محل الاخذ والطريق في بيان ما ذكر
وتاويله وهو الوجه الثاني في الكلام على مشكل هذا الحديث الذي فيه انه ذكر
قوله تلك الغرانيق العلا الخ في اثنا قراة سورة النجم كما تقدم وهو اي تاويله
والجواب عنه مبني على تسليم رواية هذا الحديث لو صح نقله من طريق يعتد
بها وقد اعاذنا الله بعين مهملة وذال معجمة اي حمانا وحفظنا من صحته
اي وقوع اعتقاد ما في صحة وقوعه منا فضلا عنه واصل معنى العوذ
الالتجا والتعلق فاريد به ما يتسبب عنه لان من التجا الى الله حماه وكفاه
وحفظه مما لا يرضاه ولكن على تقدير صحة ذلك من حال فقد اجاب عن ذلك

المذكور

المذكور من مدحه صلى الله عليه وسلم الهتهم ائمة المسلمين بالجرح والتاجج امام
وغيره به دون العلما ونحوه اشارة الى ان مقتضى الاسلام تنزيهه عن مثله باجوبة
منها الغث بغين معجمة ومثلثة اي الضعيف الركيك والسمين اي القوي المقبول
واصل معنى الغث المهزول لمقابلته بالسمين فاستعير لما ذكر كما تقدم فمنها
اي الاجوبة المذكورة ما روي قتادة مشهور تقدمت ترجمته ومقاتل بن حيان
الخراساني العابد المفسر الثقة روى عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي في قبل خمسين
ومائة وثم مقاتل اخر وهو مقاتل بن سليمان وهو محدث مفسر الا انه اتهم بالكذب
والظاهر انه الاول انه صلى الله عليه وسلم اصابته اي عرضت له سنة وهي فتور
مع اوايل النوم قبل الاستغراق فيه المانع عن الحس والادراك وهي قريبة من
النعاس كما تقدم بيانه وليسا بمعنى وان قيل به وقوله
وسنان اقصده النعاس فرنقت • في عينه سنة وليس بنايم •
لا دليل فيه عند قراته هذه السورة يعني سورة النجم فجرى هذا الكلام اي قوله
تلك الغرانيق على لسانه ونطق به من غير قصد بل بحكم النوم وغلبته حتى يتكلم
بما لا يقصده وهذا المذكور لا يصح مثله ورده منه اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم ان يقع منه مثله في حالة من احواله لا في يقظة ولا في منام لانه صلى الله
عليه وسلم وان نامت عيناه لا ينام قلبه ولا يخلقه الله اي لا يوجد جريانه
على لسانه كما قاله بعضهم لحفظه له في سائر احواله ولا يستولي الشيطان اي
يتسلط عليه لحفظ الله له في نوم ولا يقظة بفتحات ثلاثة ضد النوم وتسكين
قافه خطا الا في ضرورة الشعر كقول التهامي
فالعيش نوم والمنية يقظة • والمرء بينهما خيال ساري •
لعصمته في هذا الباب الذي ظن بقية البلاغ عما اوحي اليه من جميع العمد بقصد
القول عليه ما لم يقله والسهو في شيء منه وفي قول الكلبي في الجواب عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم حدث نفسه اي فكر فيما ذكر وخطر بباله من غير نطق به
فقال ذلك الشيطان على لسانه اي نطق به محاكيا لصوته ونطقه به في
اثنا قراته وهو لا يدري فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله وانه
اوحي به اليه كما تقدم وكذا اما وقع في رواية ابن شهاب الزهري وقد
تقدمت ترجمته عن ابي بكر بن عبد الرحمن وفي نسخة ابو عبد الرحمن
وكلاهما صحيح وهو ابو بكر بن عبد الرحمن بن هشام بن المغيرة المخزومي
القرشي التابعي الامام احد الفقها السبعة على قول وهو من سادات قريش
ويسمى الراهب لزهده قيل اسمه ابو بكر وكنيته ابو عبد الرحمن وقال
النووي محمد اسمه وكنيته ابو عبد الرحمن والصحيح ان اسمه كنيته وتوفي
سنة اربع وتسعين وقيل غير ذلك قال ابن شهاب او ابو بكر وسهى صلى
الله عليه وسلم في نطقه بذلك فلما اخبر وفي نسخة اخبر بذلك اي عرف
سهوه فيما نطق به قال انما ذلك الذي جرى على لسانه او سمع من الشيطان
وكل هذا المذكور من الاقوال انما لا يصح رواية ودراية ان يقول له النبي صلى الله

الشيطان

عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا لحفظ الله له عن مثله ولا يصح ايضا ان يتقولها بالتشديد
ان يفتريه على لسانه اي ينطق به محاكيا لقوله ونطقه فيلبس الوحي بغيره لمنع الله له
عن تسلطه عليه بمثله فقوله على لسانه صريح فيما اراده فما قيل ان فيه نظرا
لانه لا مانع من ان يقول الشيطان عليه ما لم يقله من غير ان يصدر عنه فكثيرا
ما كذب عليه وهذا لا ينافي عصمته صلى الله عليه وسلم غفلة عما عناه المص
فلا وجه له وقيل في الجواب عما ذكر لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله في اثناء
تلاوته وقراءته لسورة النجم فذكره في خلال اياته ولعل للترجي من عادة
المصنفين استعمالها كناية عن شك من معه وانثناء ثنى بمعنى مثني اي ملفوف
بعضه على بعض فشبه ما هو فيه ببرد مطوي في داخله شي اشتمل عليه على
تقدير التقرير اي حملهم على الاقرار والتوبيخ للكفار اي توبيخهم بعد
اقرارهم بعبادة الاصنام فوصفها بالعلو ورجا شفاعتها على هذا التهكم واستهزا
وقيل المراد حملهم على الاقرار بان المدح بهذه الكلمات انما يليق بمن يضر وينفع
توبيخا وتبكيتا تنبيها على خطائهم ايذانا بانها لا تصلح ان تكون الهة والتوبيخ
على امر محكي باطل وقع منهم فما قيل انه حري ان يسمى انكارا ابطاليا لا نعت
لا داعي له ثم انه قال ليس في الكلام ما يفيد ذلك فلا بد من تقدير اداة الاستفهام
معه كقوله

طربت وما شوقا الى البيض اطرب * ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

او ذلك معلوم من المقام لان من ذكر امرا علم ان غيره يكرهه ويصرح بذمه واستهزا
منه ذلك فاذا مدحه بما مدحه به اعداؤه علم انه تهكم واستهزا وارخا العنان
للخصم حتى يقع في هوة الضلال وكذا ان تقول انه عند هذا القايل مفهوم
من قوله افرايتم وان ما ذكر مقدر مفعول ثان لرايت وهو محط الاستفهام وهو
وان كان غير مستقيم لكن هذا مما يؤيد توهينه فتدبر كقول ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم هذا ربي للكواكب التي كان يعبدها قومه فوصفها
بالربوبية انما هو توبيخ لهم لانه بري من مثله كما لا يخفى على احد التاويلات
التي ذكرها المفسرون فهو على هذا مقدر معه اداة استفهام كالاية التي
قبله وفيه اقوال اخر مذكورة في التفاسير لا حاجة للتطويل بذكرها وقوله
اي الخليل عليه الصلاة والسلام في حق الاصنام بل فعله كبيرهم هذا والصنم
للاصنام وكانوا يجتمعون في عيد لهم ثم يرجعون للسجود لها فتخلف عنهم
ودخل عليها فكسرها الا صنما هو اكبرها فلما راوه قالوا اانت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم كما قصه الله عنه في هذه الاية
وحاصله انه من معاريض الكلام الذي قصد به اقامة الحجة عليهم وان
ما عبدوه لا يصلح للعبادة بعد السكتات اي الوقفة الخفيفة بين ايات
سورة النجم والحاصل انه لما فرغ صلى الله عليه وسلم من ذم الاصنام
بما اوحي اليه سكت وذكر كلاما وتهكم به كما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام
والتوبيخ لهم بذم الهتهم وبعد بيانه الفصل بين الكلامين اي كلام الله في

دلجي

عرضي

دم

ذم الاصنام وكلامه الذي تهكم به وقرينة تدل على المراد وانه اي ما ذكره توبيخا وتقريرا
ليس من كلام الله المتلو لفصله بينه وبينه بالسكتة وهو اي ما قيل انه قاله في اثناء
قراءته لما ذكر من التوبيخ والتقرير احد ما اي الاقوال ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني
او ابن العربي وهما ما الكيان تقدم ذكرهما وبيانهما ولا يعترض على هذا القول
الذي قاله القاضي بما روي بالبنا للمجهول فيهما انه صلى الله عليه وسلم او هذا
الكلام كان في الصلاة وهو كلام ليس بقران ولا ذكر فيبطلها فقد كان في صدر الاسلام
وقبل الهجرة الكلام فيها اي في الصلاة قبل مبني على الضم اي قبل النهي عنه غير
ممنوع في الشرع وغير مبطل للصلاة وكان الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة
ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين والذي يظهر ويترجح في تاويله اي تاويل
هذا الحديث وهذا ما اختاره العز في كما نقلناه اولا عنده اي عند القاضي ابي بكر
وعند غيره من المحققين اي اهل الكلام والتفسير والحديث على فرض تسليمه اي
تسليم وقوعه منه صلى الله عليه وسلم وانه نطق بذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا لقوله تعالى ورتل القران ترتيلا
والترتيل القراءة بتؤدة من غير استعجال وهو في الاصل مستعار من قولهم
ثغر مرتل اي مفلج كالاقحوان واوراقه ومن لطايف بعض المتاخرين

اقدي الذي جبينه وشعره * من صبح تحت اذيال الدجى
ما لي به مع قرب داري ملتقى * فهل رايت ثغره المفلجا

ويفصل الاي جمع اية بالمد فيهما تفصيلا بفصل بعضها بعضا في قراءته وفي
سنة في تلاوته مع سكتة خفيفة بينهما كما رواه الثقات عنه كما قالت عايشة
رضي الله عنها وقد سئلت عن قراءته لو اراد سامع ان يعد حروفه عدها
لتانيه فيها وتجويد حروفها وبيان حركاتها ومدها فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات بالنون او التا المثناة الفوقية وترصده ترقبه وانتظاره
اي يترقب وقفه وسكتته بين الايات في ترتيله القراءة ودسه بمهملتين
مصدر معطوف على ترصد اي ادخاله فيما بين سكتاته خفية يقال دسه دسا
اذا ادخله قال الراغب الدس ادخال الشي في الشي بضرب من الاكراه واصل الدس
الاخفاء ومنه العرق دساس فيها اي في القراءة ما اختلقه اي كذبه وافتراه وما
موصولة مفعول دسه من تلك الكلمات بيان لما محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم في القاموس النغم محركة وتسكن الكلام الخفي والواحدة نغمة ونغم
في الغنا كضرب ونصر وسمع انتهى فالنغمة هنا بمعنى الكلام الخفي وتكون بمعنى
الغنا وليس بمراد هنا وهو المعروف عرفا كقوله الشرب بغير نغم غم وبغير
دسم سم والظاهر انه اريد به هنا الصوت مطلقا بحيث يسمعه اي بمكان
قريب منه صلى الله عليه وسلم فيسمعه من دنا اي قرب اليه من الكفار
الحاضرين عنده يسمعون تلاوته صلى الله عليه وسلم لسورة النجم فظنوها
اي ظنوا تلك الكلمات التي قالها الشيطان ودسها في تلاوته محاكيا لصوته
وهو لا يبرئ من قوله صلى الله عليه وسلم اي مما تلاه من القران وجعلها

الشيطان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قوله لنطقه بها او بنا على اعتقادهم الفاسد واشاعوها اي اظهروها وقالوا انه مدح
الهتنا وافق ظن تيقنا ولم يقدح بها اي بما دسه الشيطان واشاعوا انه صلى الله
عليه وسلم قاله عند المسلمين فلم يغير اعتقادهم ولم يلتبس عليهم القرآن
بغيره مما ادخل فيه لحفظ المسلمين السورة اي سورة النجم فالمصدر مضاف لمفعوله
قبل ذلك اي قبل اختلاف الشيطان ودسه فيها ما دسه على ما انزل الله متعلق
بحفظ فعلموا ان ما اشاعوه ليس من الوحي في شيء مع عدم مناسبته له لفظا
ومعنى ولحقتهم اي المسلمين من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها على ما عرف منه صلى الله عليه وسلم او من حاله لانه يذكرها ويؤنث
وهذا بيان للقرينة القائمة على انه ليس من قوله ولا مما اوحي اليه فاندفع ما قيل
من انه لم يبق للشيطان سبيل حتى يتمكن ان يدخل في كلامه وما تلاه ما ليس منه
وقد بينا لك انه اختاره العزا في لصحة الرواية عنده وقد حكى اي روى موسى
ابن عقبة كذا في جل النسخ وفي بعضها محمد بن عقبة في مغازيه اي في كتابه الذي
الفه في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم فالاضافة لما بينهما من الملابسة
ورجحوا النسخة الاولى ومحوها في الحواشي وضربوا على النسخة الثانية وقال
الحافظ الحلبي انه مما لا شك فيه وهو موسى بن عقبة بن ابي عياش مولى آل
الزبير وقيل مولى ام خالد روى عنه خلق كثير وهو ثبت ثقة توفي سنة احدى
او اثنتين واربعين ومائة واخرج له الستة ومغازيه من اصح المغازي كما
قاله الامام مالك ومحمد بن عقبة اخو موسى ولعقبة اولاد كلهم فقهاء محدثون
لكل واحد منهم حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتراجمهم
مشهورة نحوه وفي نسخة نحو هذا اي نحو ما نقله عن المحققين مما هو بمعناه
وفيه ميل ما اليه لنقله عن المحققين وكثرة من تابعهم عليه وان قيل انه
لم يرتض وقال اي موسى بن عقبة ان المسلمين لم يسمعوها اي مقالة الشيطان التي
دسها وانما القى الشيطان ذلك القول الذي شاع في اسماع المشركين بدليل انهم
هم الذين اشاعوه ولم يسمع عن غيرهم حتى خفي على كثير منهم وانكروه ولا
مانع من ذلك فما قيل من انه دعوى بلا دليل اذ لا قدرة للشيطان لعنه الله
على القائه للمشركين فقط وهم مختلطون معهم في محل واحد غير مسلم وفي
نسخة وملائهم وهو كما قاله الراغب جماعة يجتمعون على رأي فيملأون
العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء ومنه قيل فلان ملأ العيون وقلوبهم
بان يعقلوه ويقبلوه ويكون ما روي اي رواية ما نقل من حزن النبي صلى
الله عليه وسلم بيانا لما اسم كان وقوله لهذه الاشاعة خبرها اي انما حزنه عليه
الصلاة والسلام كان لمجرد اشاعة ذلك والشبهة الحاصلة من تلك الاشاعة لانه
كما قيل في المثل من يسمع يخل اي من اجل الاشاعة ومن اجل الشبهة الناشئة
منها ومن سبب هذه الفتنة الحادثة من شيوع ما هو بريء منه وهذا جواب
عن سؤال مقدر تقديره اذا كان المسلمون لم يسمعوا هذه المقالة فلم حزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق الجواب عن هذه الشبهة ان

الشيطان

الشيطان الجاه لهذه المقالة ولانه سمعها منهم فعلقت بذهنه ثم سهى صلى الله عليه وسلم
فقالها كما توهم اذ لا مناسبة لهذا هنا وقد قال الله تعالى في هذه القصة وهذا من
تتمة الكلام عليها وليس متعلقا بما قبله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية
الفرق بين الرسول والنبي مشهور والكلام عليهما اشهر من ان يذكر والثاني اعم لانه كل
من اوحي اليه والرسول من اوحي اليه وامر بالتبليغ وقيل غير ذلك وقوله الاية اي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته
والله عليم حكيم ثم اشار الى تفسير هذه الاية فقال فمعنى تمنى تلا لان اصل معناه
تفعل من المنا بمعنى القدر ومنه الم يك نطفة من مني تمنى اي تقدر ومنه المنية
ويراد به تقدير شيء في النفس وتصويره ولكون النفس تتصور امورا لا حقيقة لها
سمي به الكذب كقوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي كذبا كما قاله مجاهد
وقال غيره تلاوة بلا معرفة للمعنى فاجراه مجرى التمني لما لا وجود له لان التمني كذلك
في الاكثر ثم استعمل لمطلق التلاوة واليه اشار بقوله فمعنى تمنى تلا كما قال الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليله … تمنى داود الزبور على رسل

وقال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقد عرفت وجهه والمراد
بالكتاب التوراة والاستثناء منقطع لان التلاوة ليست من العلم وقيل انه مصدر
بمعنى الكتابة لقوله ومنهم اميون وهي في حق اليهود وقوله فينسخ الله ما يلقي
الشيطان اي يذهبه لان النسخ لغة كما قاله الراغب ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ
الشمس الظل وما يلقيه الشيطان على هذا ما يدسه كما تقدم ويزيل اللبس
الحاصل به وبسببه ويحكم الله اياته اي يتقنها حتى لا تشتبه بغيرها وقيل معنى
هذه الاية اي قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو اذا قرأ فيتنبه لذلك السهو الصادر عنه بمقتضى البشرية بادي تنبيه
ويرجع عنه اي عما تركه سهوا وهذا المذكور هنا نحو قول الكلبي في الاية اي اية
سورة النجم كما نقل عنه او لا من انه حدث نفسه بان خطر بباله قولهم تلك الغرانيق
العلا وقال الكلبي ايضا معنى اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد
الرحمن الذي تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما ذكر مما هو بمعناه وهذا السهو المذكور
كاينا في القراءة انما يصح وقوعه منه فيما ليس طريقه الوافع عليها والاتي فيها تغيير
المعاني فلا يقع ما يغير معاني الوحي ويخالفها وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها
وزيادة ما ليس من القرآن فيه بل الجايز عليه السهو الناشئ عن اسقاط اية
منه او اسقاط كلمة منه ولكنه صلى الله عليه وسلم اذا سهى لا يقر بالبناء للمفعول
او الفاعل على ذلك السهو بل ينبه ويذكر به للحين اي يبادر به في وقت سهوه
لا يغافله لسهوه من غير اهمال له وتعريف حين للحضور واللام بمعنى في وقيل
بمعنى وقت كقوله فطلقوهن لعدتهن وهذا مبني على ما سيذكره مفصلا
في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله اي تأويل
ما ذكر في سورة النجم وما دس فيها ايضا كما ظهر في بعض النسخ وبلايات السابقة
المتبادرة الى الافهام ان مجاهدا رحمه الله تعالى روى هذه القصة اي قصة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سورة النجم السابعة والغرانقة العلا بالعطف على اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
وحينئذ فلا اشكال يرد على ما تقدم فان سلمنا وقوع هذه القصة وصحة روايتها قلنا
على هذا التقدير لا يبعد ان هذا المذكور في هذه الرواية وهو قوله والغرانقة العلا
كان قرانا نزل عليه صلى الله عليه وسلم ثم نسخت تلاوته والمراد على هذه الرواية
على تقدير انها قراة منسوخة بالغرانقة العلا والمراد بان شفاعتهن لترتجى اشارة
الى انه على هذه القراة بفتح همزة ان من قوله وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه
الرواية التي فيها الواو العاطفة وهي جمع غرنوق كزنبور وقنديل وقرطاس
وفسرت بالاصنام ايضا وهي في الاصل طير من طيور الما والشاب الجميل فاستعيرت
لما ذكر واستعارة الطير للملك اظهر ولهذا اقتصر الحلبي الغرانقة انها الملائكة انها
بالفتح بدل من هذا وذلك يعني ان الباعث على تفسيرها بما ذكر ان الكفار اي عبدة
الاصنام من قريش وغيرهم كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة بنات الله سبحانه اي
تنزيها له عز وجل عما قالوه بجهلهم كما حكى الله عنهم ذلك في القران في ايات كقوله
افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وقوله اصطفى البنات على البنين
وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الاية فجعلوها الاحتجاجها
محذرات وهو في الملائكة مشهور واما في الاصنام فبنا على ما نقله الحلبي في
تفسير قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اي مشركي العرب زعمت
في اللات والعزى ومناة انها بنات الله تعز بهم له لما كانوا يسمعون تكلمها
وانما كان يكلمهم شياطين الجن من اجوافها ورد الله عليهم ما قالوه في هذه
السورة يعني سورة النجم بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى اي اتختارون لكم
الذكور دون الاناث لانهم كانوا يقتلونها وهي الموؤدة واعتقدوا ان له
بنات لم يرتضوها لانفسهم وهي الملائكة والاصنام كما مر ولذا قال تلك
اذن قسمة ضيزى اي جائرة فانكر الله كل هذا الذي ادعوه من قولهم اشارة
الى ان الاستفهام فيه انكاري تكذيبا لهم فيما قالوا بحيث انهم مما كادت
تخر له الجبال هدا فالاستفهام منصب على الجميع وبهذا يرتفع الاشكال
على هذه القراة ورجا الشفاعة في قوله وان شفاعتهن لترتجى صحيح على
هذه القراة ولا حاجة لهذا فانه منكر لانصباب الاستفهام الانكاري عليه
كما قررناه لكن بناء على فتح همزة ان فيه ولذا قيل هذا التاويل وان كان صحيحا
في نفسه مباين للمقام ناب عن سياق الكلام فتدبر فلما تلا قوله اي تلاوة هذا
الكلام بصرفه عن ظاهره المشركون حسب اغراضهم الفاسدة على ان المراد بهذا
الذكر اي المذكور وهو قوله تلك الغرانيق العلا الخ المفهم اي اصنامهم
التي عبدوها ولبس الشيطان عليهم ذلك بوسوسته لهم وتزيينه
لافكارهم وزينه في قلوبهم بتحسينه وتزويره والقاه اليهم اي التي
ذلك المعنى الذي فهموه لما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم حقيقة
على هذا الوجه الذي استظهره نسخ الله من كلامه ما تلي كما تقدم وقوله
ما القاه الشيطان المراد به اللفظ اقلوه بما القاه الشيطان في قلوبهم حتى

بلتنيم

بلتنيم هذا انما قاله اولا واحكم اياته الباقية بعد ما نسخه منها او رفع تلاوة تلك
اللفظتين اي الجملتين يعني قوله تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وقوله
تلك بالافراد لجعلهم كشي واحد فلا وجه لما قيل صوابه بتلك اللتين وجد الشيطان
بهما سبيلا للالباس اي طريقا لتلبيسه عليهم بهما اذا تليا في هذه السورة ووقع
في بعض النسخ التي وجد الشيطان بها بالافراد فيهما والصواب ما ذكر كما ينسخ بالبنا
للمعلوم او المجهول له كثيرا يجوز رفعه ونصبه وكذا قوله او رفع تلاوته مع بقا
حكمه او بدونه وكان في انزال الله لذلك الذي نسخه بعد ذلك حكمة هي كما يعلم
مما بعده تبيين من ضل ممن اهتدى وفي نسخه برفع تلاوته حكمه من خير او شر
ثم بين تلك الحكمة ببعض القران في قوله تعالى ليضل الله من يشا ويهدي من يشا
وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن طاعته بارتكاب المعاصي وفي قوله ليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة اي بمنزلة الاختبار لاظهاره للناس ما خفي عليهم فكانه
اختبار للذين في قلوبهم مرض اي شك او نفاق فاستعار لذلك اسم المرض والقاسية
قلوبهم من المشركين الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم لشدة قسوتها فشبه قلوبهم
بالحجارة الصلبة التي لا تتغير عما هي عليه ولا تلين لقبول الحق وان الظالمين اي
الكافرين وان الشرك لظلم عظيم واقام الظاهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بظلمهم
وكفرهم لفي شقاق اي عداوة ومباينة للمؤمنين فهو في شق وهم في شق بعيد
عن الحق وقبوله وليعلم الذين اوتوا العلم اي الذين اتاهم الله العلم من
المؤمنين انه ما انزله الله ثم نسخه واراد له حكمة وليس رجوع الضمير لتمكين
الشيطان من الالقا مرادا له بمناسب هنا الحق من ربك لعدم اشتباهه
عليهم وتمكن الشيطان بتلبيسه عليهم فيؤمنوا به اي يصدقوا فواونقوا
لما نزل وان نسخ فتخبت له قلوبهم اي تنقاد وتخضع مطمئنة من غير شك
وتزلزل واصل معنى الخبت ما اطمان من الارض وهو المستهل ضد الحزن فاستعير
لما ذكر من الانقياد بخضوع وخشوع الاية اي وان الله لهادي الذين امنوا
الى صراط مستقيم ثم ذكر وجها اخر في هذه القصة اشار الى ضعفه بقوله
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة اي شرع في قراة
سورة النجم وبلغ اي وصل في حال قراته ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى وصفها بالثالثة والاخرى للتاكيد كطائر يطير بجناحيه او الاخرى
المتاخرة في الرتبة والاحسن ما قيل ان اللات والعزى كثيرا ما يذكرونهما
معا اذا حلفوا فيقولون واللات والعزى فوصف مناة بالثالثة ليعلم ان
مناة ثالثة وليست واحدة واكد ذلك بالاخرى اشارة لتاخر رتبتها وعلوا
ما قبلها فهي تانيث اخر وفعل تفضيل وقال خاف الكفار لما سمعوا ذكرها منه صلى
الله عليه وسلم ان ياتي بشي من ذمها وتنقيصها كما هو كان عادته اذا ذكر
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين اي تلك الغرانيق الخ خلطوا في تلاوته
ذكرها بمدحها الصادر منهم وشغبوا عليه بشغب وغين مشددة معجمة
من الشغب بالفتح ويجوز تسكينه وهو الصيحة والشر المصاح به ووقع

تلمساني

ها

شبكة الألوكة www.alukah.net

شجة وتشرعوا بنون وعين مهملة من الشناعة على عادتهم اذا حضروا قراته صلى
الله عليه وسلم انهم يرفعون اصواتهم عنده حتى يلهوه ويشغلوا خاطره ويمنعوا
من سماعه كما حكى الله عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القران اذا قراه والغوا فيه اي
اظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطا وقنشوا شيئا عليه بما يشغل الخواطر عنه
لعلكم تغلبون باصواتكم على قراته من قولهم هذا غالب على هذا اذا كان
زايدا عليه فكانوا يوصون بذلك من يحضره منهم كما قال ابو جهل لعنه الله
اذا قرا محمد فصيحوا حتى لا يدري ما يقول وقيل كان ذلك بالصياح والتصفيق
والجهم فعلوا ذلك لما ظهر عجزهم عن معارضته ونسب هذا الفعل اي الالقا
للشيطان في قوله ما يلقي الشيطان بطريق المجاز المرسل والنسبة للتسبب ما
للتسبب لحمله لهم عليه اي لان الشيطان هو الذي تسبب فيه حتى فعلوه
وهو الباعث عليه والحمل حقيقته جعل شي فوق شي ثم تجوز به عادة
وصار حقيقة عرفية فيه واشاعوا ذلك المذكور واذاعوه في الكفرة
والاشاعة والاذاعة بمعنى بمعنى وهو جعله مشهورا منتشرا وان
النبي صلى الله عليه وسلم قاله بفتح همزة ان لعطفه على المفعول فيقع قاله
على هذا الوجه وعلى غيره هو افترا عليه وبهتان منهم كما يعلم مما تقدم
في ذلك صلى الله عليه وسلم وهو جواب عن سؤال تقديره اذا لم
يصدر عنه ذلك او صدر بمعنى اخر فلم حزن صلى الله عليه وسلم وقوله من
كذبهم وافترايهم عليه بيان لذلك لتعصبهم لا لحيرتهم اذ اضلتهم فسلاه
الله تعالى التسلية اذهاب الحزن بوجه ما اي ازال غمه بما ذكر بقوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك الاية يعني من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الى اخرها اي انما وقع لك في هذه القصة سبق مثله لمن قبلك
من الرسل فاصبر كما صبروا ولا تحزن وقد تقدم من تفسير هذه الاية
ما يغني عن اعادته وبين الله تعالى في كتابه للناس الحق من ذلك اي من
الوحي الذي انزل على لسانه من الباطل الذي القاه الشيطان فيما تلاه
ومن الثانية متعلقة بقوله بين والاولى ظرف مستقر فلا يرد عليه ان
الفعل لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد وحفظ الله عز وجل القران من
التبديل والتغيير من زيادة او نقص واحكم الله اياته اي اتقنها فلا
ياتيه الباطل من بين يديها ولا من خلفها ودفع ما لبس به العدو من الكفر والباطل
كما ضمنه بفتح الميم المشددة وتخفيفها مكسورة فتقديره على الاول الله ضمن
القران اي جعل في ضمنه ما فهم من قوله تعالى الخ وعلى الثاني انه تعهد
بحفظه اذ قال انا نحن نزلنا الذكر اي القران لانه من اسمائه وانا له لحافظون
من التبديل وان يزاد فيه او ينقص فلم يكل ذلك الى غيره حيث اسنده الى
نفسه بضمير العظمة بخلاف غيره من كتب الانبيا اذ فوض حفظها لاحبارهم
كما قال بما استحفظوا من كتاب الله ولذا وقع فيها التحريف والتغيير حكمة
بالغة والحق في ذلك بتاكيد ان وقدم معمول حافظون للحصر ومن ذلك اي من جملة

اسئلة

اسئلة الطاعنين على الرسل ما وقع فيما روي من قصة يونس نبي الله صلى الله عليه وسلم
وهو يونس بن متى وقد اختلف في متى هل هو اسم امه او اسم ابيه فقيل انه اسم امه
وانه لم ينسب احد الى امه غير يونس وعيسى عليهما الصلاة والسلام ورد بما
في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي
لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه لابيه فانه يقتضي ان متى اسم ابيه
خلافا لمن قال انه اسم امه وهو مروي عن وهب بن منبه وذكره الطبري وابن
الاثير في الكامل واول قول ابن عباس انه كان في رواية يونس بن فلان فمراده
ان الراوي كنى عن اسم ابيه بفلان ولم يصرح به وهو السبب في نسبته لامه وقد
قيل ان الصحيح الاول وان ما ذكر من التاويل بعيد وكان من اهل قرية
بالموصل تسمى نينوى كان يتعبد في جبل عندها ثم بعثه الله بالتوحيد لقوم
يعبدون الاصنام وكان فيه حدة فلم يصبر على الناس فتركهم ولحق بالجبل ولذا
قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وكان كداود في حسن الصوت اذا قرا وقفت عنده
الوحوش تستمع قراءته وتقدمت ترجمته بابسط من هذا اذا وعد قومه بالعذاب
مخبرا لهم به عن ربه بمجي العذاب لهم فلما تابوا ورجعوا عما كانوا عليه وكانت
توبتهم في يوم عاشورا او يوم جمعة كشف بالبنا للمجهول اي كشف الله عنهم
ما وعدوا به فقال يونس عليه الصلاة والسلام لما راى تخلف الوعيد لا ارجع
اليهم اي الى قومه حال كونه كذابا ابدا فذهب مغاضبا مفاعلة من الغضب وهو
ثوران دم القلب لارادة الانتقام والمفاعلة ظاهرة ان اريد انه مغاضب لقومه
وان اريد انه غضب لاجل ربه فهو مثل يخادعون الله وكان اقام في قومه ثلاثين
سنة يدعوهم للايمان فلم يومن منهم الا رجل فدعا عليهم فقيل له ما اسرع
ما فعلت ارجع اليهم وادعهم اربعين ليلة فان لم يجيبوا حل بهم العذاب فدعاهم
سبعا وثلاثين ليلة وقام فيهم خطيبا وقال ان لم ترجعوا الى ثلاثة ايام حل
بكم العذاب وعلامته تغير الوانكم فلما راوا التغير وعلم يونس بالعذاب
خرج من بينهم وطلبوه فلم يجدوه والهمهم الله التوبة فخرجوا للصحرا
باهليهم واولادهم ودوابهم وضجوا الى الله تعالى وقالوا امنا بيونس فقبل
الله توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما عاينوه في سحابة على راوسهم كما
قال تعالى الا قوم يونس الاية والى ذلك اشار بقوله واعلم اكرمك الله بما
عليك من براة ساحة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما توهمه الطاعنون
فيهم بمثل هذا السؤال بانه كيف اخبر وهو نبي معصوم بما لم يقع واعترف
به انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في كتاب ولا في سنة صحيحة في هذا الباب
المتعلق بقصص الانبيا وقصة يونس عليه وعليهم الصلاة والسلام
ان يونس قال لهم مخبرا عن ربه ان الله مهلككم حتى يتاتى ان يقال انه
صدر منه الكذب واما الذي ورد فيه من الاخبار الصحيحة انه دعا عليهم
بالهلاك اي بان الله يهلككم لعدم اطاعتهم له والدعا ليس بخبر اي كلام
خبري بل انشا وطلب من الله يعلم صدقه من كذبه اي يحتمل الصدق والكذب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والظهر ان الضمير لا ليونس كما قيل ولو كان خبرا ايضا لم يكن كذبا كما توهمه السايلون
لانه على تقدير شرط هو ان لم تومنوا كما يعلم من قوله الا قوم يونس لما امنوا الاية
ولا ينافيه قوله لا ارجع اليهم كذابا ابدا لعدم صحته عند المص كما تقدم ويانى او
ومنعه بالكذب ليقين بكلامه خبرا يحتمل الصدق والكذب وهو ان من لم يجب دعوة
الرسل يحل به العذاب لكنه اي السائل او يونس عليه الصلاة والسلام قال لهم
اي لقومه لما وعظهم ان العذاب مصبحكم اي يا تيكم في وقت الصباح وقت كذا
وكذا اي عند تمام المدة التي بينها لهم كما تقدم فكان ذلك اي وقع وتحقق
مجيئه لهم في الوقت المعين فانهم لما راوا سحابة دنت منهم كهو ميل فيها عذاب
ودخان اسود فاخلصوا التوبة وامنوا ولبسوا المسوح وتضرعوا الى الله فقبل
توبتهم ثم رفع عنهم العذاب الذي تيقنوه حتى كانه نزل بهم وتداركهم اي
انعم عليهم بالخلاص مما خافوه والتدارك بمعنى الاعانة والنعمة كما قاله
الراغب اي تداركهم الله برحمته لما تابوا ومتعهم بالحياة الى حين كما قال الله
تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين والاستثنا منقطع من قوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الخ
اذ المعنى لولا كانت قرية من القرى التي اهلكناها امنت الا قوم يونس ويحتمل
الاتصال لانه في معنى ما نجينا قرية اي اهلها الذين عاينوا العذاب الا هولا كما
تقرر في التفاسير وفي كلامه خلل لا يخفى فان محصله جوابان احدهما
المنع وانه ليس بخبر وارد والثاني انه خبر عن وقوع العذاب وقد وقع
لانهم عاينوه لكن الله رفعه عنهم فالاستدراك ليس في محله لمباينته لما
قبله ومقصوده هذا لكنه تسمح في العبارة وايضا العذاب لم يحل بهم ولكنه
لمعاينته كما تقدم وجعل كانه وقع ولذا عبر بالرفع دون الدفع وهو
من خصايص قوم يونس لانه ايمان باس وهو لا يقبل وروي في الاخبار انهم
اي بعد ان امهلهم اربعين ليلة فلما مضت خمسة او سبعة وثلاثين كما مر
راوا اوايل العذاب في سحابة دنت منهم كما تقدم ومخايله بالخا المعجمة
اي علاماته جمع مخيلة وهي المظنة من خاله بمعنى ظنه وهي في الاصل
موضع التخيل ثم استعير للامارات كقولهم الولد مبخلة ومجبنة قاله
ابن مسعود رضي الله عنه رواه عنه ابن مردويه مرفوعا وابن ابي حاتم
موقوفا وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر
يعني ان السحابة قربت منهم فكانت عليهم كثوب يغطى به قبر وفي
التعبير بالقبر اشارة الى انهم كالاموات ولذا عبر في الاية بالكشف وفي
نسخة كما يغشى النوء القمر والنوء بواو ساكنة وهمزة او بواو مشددة
بمعنى النجم الطالع او الساقط واراد به هنا السحاب لانه لا يخلو من سحاب
ومطر معه وانواء العرب مشهورة والقمر معروف ثم اورد شيئا مما يتعلق
بالاسئلة والمطاعن فقال فان قلت ايها السائل عما يوهم ما لا يليق
بمقام النبوة فما معنى ما روي رواه ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس

رضي

رضي الله عنهما من ان عبد الله بن ابي سرح بفتح السين وسكون الراء وبالحا المهملات
وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح بن الحارث العامري القرشي الصحابي كاتب
النبي صلى الله عليه وسلم اسلم قبل الفتح وهاجر ثم ارتد واسلم بعد ذلك
وحسن اسلامه كما تقدم وولي في خلافة عثمان فلما قتل اعتزل الناس والتزم
العبادة ودعا الله ان يتوفاه بعد الصلاة فمات بعد تسليمه من صلاة الصبح
كما ذكره السهيلي واشار الى ما ذكر بقوله وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ينزل عليه من الوحي ثم ارتد مشركا اي عاد لما كان عليه من الشرك وصار الى قريش
اي رجع اليهم بمكة ولحق بهم ووافقهم على شركهم وقال لهم بعد عوده لهم اني
كنت وانا اكتب الوحي اصرف محمدا من النص بعض وهو التغيير والتبديل كما قال وتصريف
الرياح اي ابدل ما يمليه علي وهو يسمعه فيوافقني على ما اختاره حيث اريد
اي في كل شي اريده كان يملي علي عزيز حكيم في خواتم الايات فاقول له صلى الله
عليه وسلم او عليم حكيم اي اكتب هذا بدل ذاك فيقول لي نعم اي اكتب ما قلت بدل
ما امليته كل صواب اي ما امليته وما قلته انت من عندك وسياتي ما فيه وفي
حديث اخر اي في رواية اخرى لهذا الحديث رواها السدي فيقول له النبي صلى
الله عليه وسلم وهو بين يديه اكتب كذا كناية عما يامره بكتابته فيقول اي ابن
ابي سرح له صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول صلى الله عليه وسلم اكتب كيف شيت
يحتمل الخبر والاستفهام والظاهر الاول فيقول النبي صلى الله عليه وسلم اكتب عليما
حكيما فيقول اي ابن ابي سرح اكتب بدل هذا سميعا بصيرا فيقول صلى الله عليه وسلم
له اي لابن ابي سرح اكتب كيف شيت واردت كتابته وسياتي ما فيه وتاويله على
تقدير صحته وفي الصحيح اي في الحديث الذي رواه البخاري وتقدم ان الصحيح اذا
اطلق يراد به كتابه وحديثه هذا مروي عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا قال
البرهان لا اعرفه باسمه وفي مسلم انه رجل من بني النجار كان يكتب للنبي صلى الله
عليه وسلم ما يوحى اليه بعد ما اسلم ثم ارتد عن الاسلام الى الكفر وكان يقول
بعد ما ارتد ما يدري محمد الا ما كتبته له يعني انه كان يكتب من نفسه ويزعم
ان ما يقرؤه النبي صلى الله عليه وسلم كلامه ولم يزل لعنه الله على ردته
حتى مات فدفنوه فلفظته الارض فقالوا هذا من فعل النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه فحفروا واعمقوا ودفنوه فلفظته ثانيا فقالوا مثل ذلك ثم
وقع ذلك مرة ثالثة فعلموا انه فعل الله فتركوه كما فضحه الله واعلم ايها
المريد للوقوف على الحق وظهوره ثبتنا الله واياك على الحق في هذه القصة وغيرها
اي جعلنا ممن علم الحق وعرفه ولم يتغير عما هو عليه وفي هذا الدعا مناسبة لما قبله
فان فيه ذكر من ارتد بعد اسلامه ممن لم يثبت على الحق بعد ما عاينه ولا جعل
للشيطان ولا جعل لتلبيسه اي خلطه الحق بالباطل الينا اي لوصوله الينا
سبيلا وطريقا يصل منه لنا اي بعده الله عن ساحتنا ولا سلطه علينا ان
مثل هذه الحكاية اي حكاية ابن ابي سرح والكاتب النصراني اولا اي قبل النظر
في معناها والبحث عن صحتها واحوالها وانها لا توقع في قلب مؤمن ريبا اي شكا

وتردد اي في حقيقة ما اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم وان الشيطان لا يتسلط عليه
اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بعد ايمانه يعني ابن ابي سرح والكاتب النصراني كما مر
ونحن معاشر علماء الدين او علماء الحديث لا نقبل خبر المسلم المتهم اي الذي جرح وطعن
فيه المحدثون مما بينوه في باب الجرح والتعديل مع اسلامه وعلمه لا نقبل خبره لعدم
عدالته فكيف بكافر قد افترى هو ومثله من الكفرة الفجرة اي اتصف بانه كاذب
مفتر على الله بادعاء شريك وولد ونحوه ورسله بنسبتهم لما لا يليق بمقامهم
ما هو اعظم من هذا المذكور عنهما وكيف هنا للاستفهام الانكاري التعجبي يعجب
كيف تكون بالله والمتصفون يستعملونه للترقي من امر لاعظم منه كما هنا والعجب
لسليم العقل اي انه يتعجب ممن سلم عقله من الآفات والحماقة وشوائب الشك
والالتباس يشتغل بمثل هذه الحكاية يعني حكاية الكاتبين سره السر هو الامر الخفي
والمراد به هنا فكره او قلبه ويشتغل بزنة يعلم اي يجعله مشغولا او هذه جملة
مستأنفة لبيان وجه التعجب وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مبغض
بوزن مصلح من البغض ضد المحبة وروي بتشديد العين المعجمة وروي بنون
وقاف وصاد مهملة من النقص ضد الزيادة مفتر على الله ورسوله لانه قال
انه صلى الله عليه وسلم يقر قوله وان الله لم يوحه اليه وكل منهما كذب على كل
منهما ولم يرد عن احد من المسلمين انه روى ما ذكر عن ابن ابي سرح والكاتب
النصراني ولم يصح احد منهم ما قالاه ولم يثبت قولهما له صلى الله عليه وسلم
ما ذكر ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهما او ما قاله كل واحد منهما له وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم
وهذا يؤيده التالي وانما يفتري الكذب من لا يؤمن بآيات الله وفي نسخة الذين
لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون حقيقة لعدم كذبهم بالنسبة للكذب
على الله ورسوله كالعدم فما لعاقل عنده اثر دين فكم من كذب يعتنق وحاصله
ان مثله مما يشهد العقل بكذبه مما لا ينبغي ذكره فانه مما يسود وجوه القراطيس
بلا فائدة وانما ذكره لازالة الشبهة عن العقول القاصرة وتبيين حاله فلا
وجه للانكار على المؤلف وايراده له بعد ما بين مراده وما وقع من ذكرها اي ذكر — اي افترى
هذه القصة وامر ده لا يستوي مقالتيهما حتى صارا امرا واحدا من حديث
انس المروي عنه وما وقع من ظاهر حكايته لها بنقلها فليس فيه اي في الحديث
ونقله لغيره ما يدل على انه شاهدها اي ابصرها وحضرها والشاهد عندهم
ما يدل على صحة الحديث من رواية من طرف اخر تقويه كالمتابعة والفرق بينه
وبين المتابعة مذكور في مصطلح الحديث ولعله اي انس رضي الله عنه حكى
ما سمع من غير جزم به ولا قول بصحته وفي قوله لعله اشارة الى انه متردد
فيه ايضا وقد علل البزار حديثه اي حديث انس رضي الله عنه ذلك المذكور
فاشار الى ان فيه علة قادحة في صحته وقال في بيان ذلك انه رواه ثابت عنه
اي عن انس ولم يتابع عليه اي لم يرو من طريق اخر يعضده غير طريق ثابت
عنه ورواه حميد بالتصغير عن انس قال اي البزار واظن حميدا انما سمعه من

ثابت

ثابت لا من طريق آخر فلا يكون متابعة وحميد هذا هو حميد بن عبد الرحمن وقيل غيره له
وهو يروي عن انس وغيره وكان له طول في يديه توفي وهو قائم يصلي سنة اثنين واربعين
ومائة ووثقوه وقيل انه يدلس واخرج له الستة ولا يخفى ان حديثه الذي رواه
المؤلف اخرجه البخاري فقال انه كان رجل نصراني اسلم وقرا البقرة وآل عمران وكان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب
فعجبوا به الحديث وهو حديث صحيح وقد المؤلف له غير صحيح والذي ينبغي له ان يقول ان
من قاله كذب وافترى ولا يقدح في اصل القصة وصحتها فالظاهر وقوعه في الصحيحين كما
تقدم قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله وهذا اي لما ذكرنا سمعته انفا
من انه لا شاهد له ولا متابعة لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رفيع وهو مما رواه البخاري ومسلم كما تقدم واخرجه البخاري
في علامات النبوة عن ابي معمر عن عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن رفيع عن
انس وعبد العزيز هذا توفي سنة ثلاث ومائة وقوله الذي خرجه اهل الصحة
صفة حديث واهل الصحة الذين يروون الاحاديث الصحيحة كالبخاري ومسلم وذكرنا
وليس فيه اي في الحديث المذكور في هذه الرواية عن انس قول شيء من ذلك الذي
ذكره التابعي من المطاعن من قبل نفسه بكسر القاف وفتح الموحدة اي لم يرو
فيه انه صلى الله عليه وسلم قال له من قبل نفسه لم يوح به اليه الا عن حكاية
عن المرتد النصراني وهو مفتر على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واما
ما قاله ابن ابي سرح فسيأتي بيانه ولو كانت القصة صحيحة من جهة الرواية
لما كان فيها اي في هذه الحكاية التي افتراها النصراني عدو الله المرتد قدح اي
عيب ونقص في مقام النبوة من قدح كمنع اذا طعن فيه ولا توهم اي نسبته الى
الوهم بفتح الهاء وهو الغلط ويسكونها ذهاب الوهم لشيء كما في الصحاح وفي
بعض النسخ توهين بالنون من الوهن وهو الضعف اي نسبته لما توهن جانبه
بما لا يرضى له للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه من ربه ولبس مثله مما
يعتريه ولا جواز للنسيان والغلط عليه فيما طريقه البلاغ من الوحي كما
توهمه السائل والتحريف تفعيل من الانحراف وهو الميل عن الحق والمراد به
التبديل والتغيير فيما بلغه عن الله ولا طعن في نظم القرآن بان يقال انه اثبت
فيه ما ليس منه من كلام الكاتب الكاذب ولا طعن في انه من عند الله وانه فيه
ما ليس منه بتبديل الفاظه بغيرها اذ ليس فيه اي فيما قاله الكاتب لو صح ما قاله
اكثر من ان الكاتب المذكور قال له صلى الله عليه وسلم عليم حكيم مثلا او كتبه
اي ما ذكره ونحوه وهو يملي ويكتب ما يلقنه له خاتمة الكلام من ابتدائه على طريقة
الارصاد البديعي وهو ان يورد نظما او نثرا يفهم اخره من اوله قبل تمامه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو اي لفظ القرآن مثل ما قلت
وما تبادر لفهمك لذكائك الذي دلك على منقطع الكلام الدال عليه اوله
فسبقه لسانه او قلمه اي سبق النبي صلى الله عليه وسلم لسان الكاتب
او قلمه لما يمليه عليه وتوارد معه لكلمة واحدة مثل عليم او حكيم او

كلمتين لغفور رحيم لانتقاله من سياق الكلام لذلك مما نزل على الرسول صلى الله عليه
وسلم بالوحي الذي املاه عليه قبل اظهار الرسول لها اي لخاتمة الكلام من كلمة او كلمتين
او الضمير للكلمة ويعلم منه الكلمتان وما قدمناه اولى اذا كان ما تقدم مما املاه الرسول
صلى الله عليه وسلم بيان لما يدل عليها اي على الخاتمة او الكلمة وتقتضي وقوعها في اخر
خاتمته بقوة قدرة الكاتب على الكلام بيان لسبب سبقه وانه لكونه من صميم العرب
الناشئين في حجر البلاغة المرتضعين لثديها ومعرفته به اي ببليغ الكلام نظما ونثرا
وصياغته وصبه في قالبه وجودة حسه المدرك له وفطنته اي سرعة انتقاله له
قبل اتمامه كما يتفق ذلك الانتقال للعارف باساليب الكلام اذا سمع البيت من الشعر اذا
انشد ان يسبق فهمه لقوة ادراكه الى قافيته اي اخر كلمة منه قبل الوصول اليها
او اذا سمع مبتدا الكلام واوله الحسن اي الفصيح المنسجم وقيده به لانه هو يرتبط بعضه
ببعض وتتجاذب كلماته فتتعانق وتتلازم بخلاف المتنافر كلماته الى ما يتم به من خواتمه
ولا يتفق اي يقع اتفاقا ذلك اي سبق الفهم من اول الكلام الى اخره في جملة الكلام اي لا
يقع ذلك في الكلام بتمامه بان يسبق فهمه الى خطبة او قصيدة بتمامها فان التوارد
في مثله بعيد جدا كما وقع للمتنبي ابن الوكيل مع ابن اسرائيل المادح في قصيدة له
وتحاكما فيها عند ابن الفارض فحكم بها للمتنبي فقال قايل انه من وقع الحافر على الحافر
فقال وقع الحافر من الاول الى الاخر في القصة المشهورة وقيل مراده بجملة الكلام
انه ليس كل كلام يدل فاتحته على خاتمته والظاهر الاول لقوله كما لا يتفق ذلك
في الاية ولا سورة بتمامها من الايات والسور ثم شرع في الجواب عن قصة ابن ابي
سرح بعد ما اجاب عن قصة النصراني وقدمها لصحتها وظهور جوابها فقال وكذلك
اي مثل هذه القصة قوله صلى الله عليه وسلم فيما تقدم في قصة ابن ابي سرح لما قال
بعد ردته كنت اصرفه حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم
ان صح انه كان يقول ذلك كل صواب مما املينه وقلته انت فقد يكون هذا الذي
وقع له مع ابن ابي سرح فيما كان فيه من مقاطع الاي جمع اية وفي نسخة الايات
ومعنى فيه لما اوحي اليه من القران والمقاطع جمع مقطع وهو اخر الكلام وفواصله
وجهان وقراتان علمهما له لما اوحي فاملى عليه احداهما وذكر الكاتب الاخرى
فلما قال له صلى الله عليه وسلم كل صواب لانهما انزلتا جميعا على النبي صلى
الله عليه وسلم فاملى صلى الله عليه وسلم احداهما على ذلك الكاتب وتوصل
الكاتب المذكور لما ذكره بفطنته ومعرفته باساليب البلاغة بمقتضى الكلام اي بما
يقتضيه مقامه ويدل عليه سياقه الى القراة الاخرى التي ذكرها الكاتب فانا
انه ابتكرها فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم اي القراة الاخرى ذكرها
كانه توارد من حيث الظن على نظم القران النازل على اساليب كلامهم فتوهم
ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرا بكلامه وقوله قبل ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم لها اي لتلك الكلمة او الكلمتين فصوبها له اي قال له انها صواب لموافقته
لما اوحي اليه وهو منزل الاعجاز فيه ثم احكم الله من ذلك الذي انزله على
رسوله صلى الله عليه وسلم فاملاه عليه ما احكم اي اثبته واتقنه ونسخ

كلام

د جل

مانسخ

مانسخ اي ما اراد نسخه لفظا ومعنى او لفظا لا معنى وعكسه كما فصل في كتاب الناسخ
والمنسوخ وحاصله ان ما قاله ابن ابي سرح لا اصل له فانه سبق النبي صلى الله عليه وسلم
لكلمات وافق فيها لفظه لفظ القران فصوبه النبي صلى الله عليه وسلم واقره عليها
فلما ارتد واضله الله قال ما قال ثم اسلم عام الفتح وحسن باسلامه كما تقدم ذكره
ومحا الله عنه ما افتراه حال ردته سواء كان ما املاه مما املاه عليه او مخالفا
له على انه قراة اخرى وقد تخالف القرات لفظا ومعنى وانما الممنوع فيها التناقض كما
قد وجد ذلك اي تخالف القرات في بعض مقاطع الاي وهي فواصلها واواخرها التي هي
في النثر كالقوافي في الشعر مثل قوله تعالى حكاية عن عيسى صلى الله عليه وسلم ان
تعذبهم فانهم عبادك تفعل بهم ما تريد وان تغفر لهم ذنوبهم وعصيانهم فانك
انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم اي الواقع جميع افعاله على
مقتضى الحكمة لا يسال عما يفعل لحكمته البالغة وان لم نطلع لنا وجهه وهذه القراة
قراة الجمهور اي اكثر القرا وهي القراة المتواترة وقد يتوهم في بادي النظر ان المناسب
للمغفرة الغفور الرحيم بدل العزيز الحكيم وقد قرا جماعة من الصحابة في الشواذ فانك
انت الغفور الرحيم بدل قوله فانك انت العزيز الحكيم القراة المتواترة وليست هذه
القراة الشاذة في المصحف العثماني المسمى بالامام المجمع على القراة بما فيه فترك
ما عداه وظن بعضهم ان القراة الشاذة هي المناسبة هنا وليس هذا اوجه لمن له معرفة
بدقايق البلاغة فان المعنى انك ان غفرت ذنوبهم فليس ذلك من عجز لانك عزيز غالب
على كل من سواك ولا قبح في فعلك لانك حكيم ولو قال انك انت الغفور الرحيم اوهم
الدعا بالمغفرة لمن مات مشركا وهو غير مستقيم اي ان تبقهم على كفرهم حتى يموتوا
وتعذبهم فانهم عبادك وان هديتهم لطاعتك وتغفر لهم فانت العزيز الذي
لا يمتنع عما اراد والحكيم في افعاله فيضل من يشا ويهدي من يشا فلا وجه للطعن
فيها لعدم المناسبة وقال ابن الانباري هذا هو المناسب لان الغفور الرحيم يتفرد
بالشرط الثاني والعزيز الحكيم يتعلق بالشرطين اي ان تعذبهم او تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم في الامرين التعذيب والمغفرة فهو اليق فتدبر وكذلك وقع في القراات
كلمات جات على وجهين متواترين في غير المقاطع والاواخر كما جا في المقاطع قرا بهما
الجمهور من القرا العشرة المتفق على قراتهم وثبتا اي القراة بالوجهين في المصحف
العثماني المعمول برقمه مثل قوله تعالى وانظر الى العظام جمع عظم اي عظم الحمار
او عظم الموتى التي يعجب من احيايها كيف ننشزها براء مهملة من النشر اي نحييها او به
قرا ابو عمرو وغيره وننشزها بزاي معجمة بقراة نافع وغيره اي نحركها ونرفع
بعضها على بعض من النشز بمعنى المرتفع ومثل قوله تعالى يقضي الحق بضاد
معجمة وتحتيه في قراة ابي عمرو وغيره اي يقضي القضا الحق في كل ما يقضيه ويقص
بصاد مهملة مشددة في قراة نافع وغيره اي يتبع الحق فيما حكم به ويقدره وكل
هذا المذكور في هذا الفصل لا يوجب اي لا يستلزم ولا يقتضي ريبا اي شبهة
ولا يسبب بصيغة المضارع اي يكون سببا له صلى الله عليه وسلم غلطا ينسب
اليه فيما طريقه البلاغ ولا وهما يكون الها بمعنى الغلط فهو عطف تفسير وقيل

نخ
املي

السبعة

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

نفعتهما من وهم بهما اذهب وهمه اليه وفيه نظر وقد قيل ان هذا الذي وقع في قصة
الكاتبين يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم في مكاتبته الى الناس
يدعوهم الى الاسلام ملوكا وغيرهم غير القران فله فيه ان يصف الله عز وجل هو
او ياذن لكاتبه في ذلك وليميه في ذلك الكتاب الذي يكتبه لانه ليس قرانا يجب اتباع
نظمه كيف ما شا باي لفظ كان مما يليق به كما مر ولذا قال له اكتب كيف شيت وكل
سوابـ

فصـــل هذا القول

المذكور في هذا الفصل الذي قبل هذا من الوحي عن ربه واقع فيما
طريقه البلاغ اي تبليغ الناس ما امر بتبليغه عن ربه بالوحي واما ما ليس
سبيله سبيل البلاغ مما امر ببيانه من الاخبار بيان لما الثانية وهي بفتح الهمزة
جمع خبر التي لا مستند اي لا استناد لها الى الاحكام الشرعية التي يتعبد بها ولا
مستند لها الى اخبار المعاد بفتح الميم اي احوال القيامة والاخرة التي لا تعلم
الا بالوحي ولا تضاف اي تنسب وتنسب الى وحي اي امر اوحي به اليه من ربه
كاخباره عن بعض المغيبات ونحوها مما يقول انه اوحي به اليه بل امر ابانتقالي
لبيان ما ليس طريقه البلاغ وليس من الاحكام واخبار المعاد والوحي مما وقع ذكره
في احوال الدنيا وفي نسخة امور الدنيا واحوال نفسه صلى الله عليه وسلم المتعلقة
بامور نفسه فالذي يجب شرعا علينا اعتقاده والجزم به تنزيهه صلى الله عليه وسلم
وتبرئته عن ان يقع خبره الذي اخبر به في شيء من ذلك المذكور من احوال الدنيا واحوال
نفسه وذاته ملتبسا بخلاف مخبره بضم الميم وفتح البا اسم مفعول اي غير مطابق
لما اخبر عنه بوجه مما لا عمدا لانه يكون كذبا لا يليق بمقامه ولا سهوا ولا غلطا لا
لاعتقاد ما ليس واقعا واقعا وانه بفتح الهمزة معطوف على تنزيهه معصوم حفظه
الله عن صدوره منه في جميع احواله في حال رضاه اي كونه غير غضبان ولا مكره على
اخباره وفي حال سخطه بفتحتين او بضم فسكون اي كراهته وعدم رضاه وجده
بكسر الجيم وهو ضد الهزل والمزح الذي اشار اليه بقوله ومزحه اي مزاحه
وهزله فانه صلى الله عليه وسلم كان يمزح احيانا ولا يقول الا حقا وفي حال
صحته اي صحة مزاجه وسلامته من الامراض ومرضه اي عروض بعض الامراض
البشرية عليه ودليل ذلك المذكور من عصمته في اخباره وجميع احواله اتفاق
السلف اي من تقدم عصره من هذه الامة واجماعهم عليه اي على انه لا يصدر عنه
خبر بخلاف مخبره اصلا وذلك انا نعلم يقينا من دين الصحابة رضي الله عنهم والدين
اما بمعنى الديانة او بمعنى العادة فقوله وعادتهم عطف تفسير اي دابهم الذي
استمروا عليه او الدين بمعنى الطاعة والانقياد له مبادرتهم اي اسراعهم من غير
توقف وتردد وفي نسخة مبادرين فهو حال مما قبله اي مسارعين الى تصديقه
صلى الله عليه وسلم بقبول ما يقوله في جميع احواله السابقة من جده
وما بعده والثقة اي الوثوق والاعتماد لقصد يقينهم بجميع اخباره في
اي باب اي نوع من الانواع كانت اخباره واي شيء وفي نسخة وعن اي شيء

وقعت

وقعت وصدرت منه وباي سبب في اي حال من احواله وانه اي الامر والشان لم يكن لهم
توقف تفعل من الوقوف اريد به الشك والريبة ولا تردد هو ايضا حقيقة عرفية
في الشك وعدم الوثوق في شيء منها اي من اخباره بل بمجرد السماع يجزمون بتحقيق
خبره كانهم عاينوه فيتلقوه بالقبول وانشراح الصدر ولا استثبات عن حاله اي حال
خبره او عن احواله صلى الله عليه وسلم في اخباره والاستثبات بسين مهملة ومثناة
فوقية ومثلثة وموحدة ومثناة مجرورة وهو طلب الثبوت كسؤال ونحوه عند
ذلك اي في زمان اخباره فلا يخطر ببالهم ولا يقولون هل وقع فيها سهو ام لا اي
هل صدر اخباره سهوا منه ام عمدا او غيره وهذا بيان لاستثباتهم وهذا دليل على
انه لم يقع منه ذلك واما عدم جوازه عليه وان كنا نعتقده ايضا فليس بمراد
فلا وجه لما قيل من انه انما يدل على عدم الوقوع لا على عدم الجواز فللقايل به ان
يطلب الدليل على امتناعه ولما احتج اي تمسك واستدل ابن ابي الحقيق بصيغة المصغر
علم لهذا الشخص اليهودي وبنو الحقيق طايفة من يهود خيبر له بها حصن منهم
كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق زوج صفية بنت حيي بن اخطب ام المؤمنين رضي الله
عنها وله قصة في السير وليس هو هذا لانه قتل في زمنه صلى الله عليه وسلم
واما هذا فلم يذكروا اسمه وهذا الحديث رواه البخاري في حديث اجلا يهود خيبر
على عمر بن الخطاب رضي الله عنه متعلق باحتج ويحتمل ان يريد بابن ابي الحقيق
جماعتهم كابن ادم للناس لقوله حقيقة اجلاهم من خيبر اي اخرجهم وطردهم منها في
زمان خلافته رضي الله عنه وهي بلاد بقرب المدينة لليهود علم ممنوع من الصرف
والجار متعلق باجلاهم باقرار اي جعلهم قارين فيها ساكنين من غير اخراج لهم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم اي لبني الحقيق متعلق باقرار فجعل
فعله صلى الله عليه وسلم حجة على عمر رضي الله عنه واحتج عمر رضي الله عنه اي
اقام الحجة عليه ردا لما احتج به بقوله صلى الله عليه وسلم لذلك اليهودي
من بني الحقيق كيف بك اذا اخرجت من بلادك اي في اي حال تكون اذا وقع بك ما
يصيبك واجليت من بلادك ونفيت منها فهذا يدل على عدم دوام اقرارهم لهم
كما ظن فهو متضمن لخبر صادق منه فقال اي لعمر رضي الله عنه اليهودي المذكور
ردا لما احتج به كانت مقالته صلى الله عليه وسلم كيف بك الخ هزيلة تصغير
هزلة وهي المرة من الهزل ضد الجد كما في النهاية من ابي القاسم هي كنيته صلى
الله عليه وسلم كان يجاوبهم اي انما قال هذا على طريق الهزل والمزح فلا دليل
فيه فقال عمر رضي الله عنه مجيبا له كذبت يا عدو الله اي لم يقل صلى الله عليه
وسلم ذلك هزلا ولو كان مزحا ايضا فهو لا يمزح الا بحق وذلك العدو يعتقد
خلاف ذلك عنادا منه وجهلا بمقام النبوة وتحقيرا له لعنه الله والصحابة
لا يعقلون بشيء من ذلك وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عمر مفصلا في خطبة
لعمر رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم اقرهم بها على ان يكون ثمارها بينه
وبينهم ثم اقرهم ابو بكر رضي الله عنه على ما اقرهم عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم اقرهم عمر رضي الله عنه في اول خلافته على ذلك ثم لما ظهر

ابن اقرى

لكم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لم يعذرهم بابن عم احلاهم منهما واشتد عليهم رقبته مما لهم من الثمار والاموال واخرجوهم
لتيما واريحا من جانب الشام لحديث لا يجتمع بجزيرة العرب دينان كما فصل في السير
والبخاري وشروحه وكانت محاججة اليهودي له عند ذلك كما تقرر وايضا اي مثل
ما ذكر في الدلالة على عصمته صلى الله عليه وسلم في جميع اخباره فان اخباره المروية
عنه صلى الله عليه وسلم واثاره جمع اثر بمعنى خبر يروى وينقل عنه وسيره
جمع سيرة وهي الصفة الحميدة وشمايله جمع شمال بكسر الشين وهي صفاته
الذاتية الحسنة معتنى بها نقلا وحفظا اسم مفعول من العناية بمعنى الاشتغال
والاهتمام مستقصي اي مستوفاة متتبعة من اولها الى اخرها واقصاها بتفاصيلها
اي مفصلة مبينة كلها ولم يرد عنه في شيء منها اي من الاخبار والاثار والسير
استدراكه اي تداركه صلى الله عليه وسلم بالرجوع عما فرط منه للصواب
فيه لغلط في قول قاله فيما ذكر من الاخبار وغيرها او اعترافه واقراره
بوهم اي غلط في شيء اخبر به احدا من الصحابة ولو كان اي وقع منه شيء
من ذلك لنقل الينا كما نقل فيما رواه مسلم عن طلحة وانس وغيرهما في قصة
رجوعه صلى الله عليه وسلم اي تحوله عن رايه لغيره عما اشار به على
الانصار في تلقيح النخل التلقيح والتابير جعل شيء من طلع الذكر في الانثى
لتحصيل ثمرها وبلحها وهو بمنزلة النطفة للحمل جرت العادة لحكمة
الهية انها لا تثمر بدونه وكان صلى الله عليه وسلم مر بهم وهم يفعلون
ذلك فسالهم عنه فاخبروه فقال لهم دعوه فتركوه امتثالا لامره صلى
الله عليه وسلم فلم يثمر نخلهم في ذلك العام فلما اخبروه بذلك قال لهم
انتم اعرف بدنياكم فقدم معرفته صلى الله عليه وسلم بامر من هذه الامور
لا ينافي عصمته وانه لا يخبر بما يخالف الواقع لان جل همه صلى الله عليه وسلم
امور الاخرة والشرايع وقوانينها وغيره انما جل قصده العلم بظاهر من
الحياة الدنيا وهذه القصة رواها مسلم كما علمت بسند صحيح وفيه ان
ثمرها خرج شيصا وهو البسر الذي لا نوى له وقال الفهم هو ردي البسر
الذي اذا يبس صار حشفا وكان ذلك الامر الذي اشار عليهم به النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله لو لم تفعلوا لكان خيرا رايا اشار به عليهم بناء على
دابه صلى الله عليه وسلم في ترك الاسباب لظاهر والنظر لمسببها
كما هو داب الكمل ولو كان اعتقادهم واعتمادهم على الله مثله صلى الله
عليه وسلم لم يتخلف ذلك ولذا اومن لهم صلى الله عليه وسلم دنياهم
نظرا لقلوبهم لا خبرا خبرهم به يكون وقوع خلافه كذبا حاشاه الله منه
ولا غلط فيه لانه اجتهاد تغير بحسب الظاهر فلا نقض ولا يطعن به عليه وفيه انشدوا

ان الرسول لسان الحق للبشر ● بالامر والنهي والاعلام والخبر
هو الذكي ولكن لا يصدفهم ● ذاك الذكا لما فيه من الضرر
الا ترى امرهم لتابير النخيل وما ● قد كان فيه على ما فيه من ضرر
هم سالمون من الافكار ان شرعوا ● بتخليل وتحريم على البشر

وغير ذلك

وغير ذلك مما صدر منه من الامور التي ليست من هذا الباب مما ينزه عن الاخبار فيه
مما يخالف مخبره من امر الشرع والمعاد كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه في غزوة تبوك لما سأله صلى الله عليه
وسلم بعض الصحابة ان يحملهم فقال والله ما عندي ما احملكم عليه فاتى بعد ذلك
بابل فاعطاها السائل وقال ما انا حملتكم ولكن الله حملكم ثم قال والله اني لا احلف
اي اقسم على يمين المراد باليمين المستعمل بمعنى القسم هنا والمراد المقسم عليه من فعل
او ترك قال الزمخشري سمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه به واصله العقد بنية
وعزم واكده اشارة الى انه ليس لغوا لا ينعقد واصل اليمين اليد اليمنى فسمي به
لانهم كانوا يتماسكون بها اذا حلفوا فارى غيرها اي اعلم غير اليمين المحلوف عليها
واليمين مؤنث بجميع معانيه فكنى بضميرها عن المحلوف عليه اعني تركه صلى الله
عليه وسلم حملا لهم لانه سببها خيرا منها اي احسن من فعلها الا فعلت الذي حلفت
عليه اي الامر الذي اقسم على ان لا يفعله كتركه حملانهم هنا وكفرت عن يميني بكفا
المعروفة شرعا وليس هذا بغلط فيما طريقه البلاغ ولا خبر لانه انشا قسم
قال ابو موسى رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لما حلف ان لا يحملنا ثم
ارسل الينا وحملنا فقلنا نسي ما اقسم عليه والله لين فعلنا ما فيه حنثه له صلى
الله عليه وسلم لا نفلح فلنذكره فرجعنا وذكرنا له ذلك فقال انطلقوا انما
حملكم الله ثم قال والله لا احلف على يمين الخ وبه استدل على ان الحنث بما هو خير
ليس بخطأ وليس فيه انه حنث في هذه اليمين ولكن لانه يحتمل انه لم يكن عنده ما
يحملهم عليه لما اقسم ويحتمل انه قال ان شاء الله ومن هذا القبيل قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ام سلمة رضي الله عنها انكم معاشر الامة
تختصمون اي تاتون لفصل الخصومة الي اي عندي اقرا الحديث الخ وتمامه
ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض اي افصح فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن
اقتطعت له من اخيه شيا اي ليس حقه فلا ياخذه فكانما اقتطع له قطعة من النار
فليحملها او يذرها وفيه تنبيه على بشريته صلى الله عليه وسلم وانه لا يعلم
الغيب وانما يحكم بالظاهر وقد كان له صلى الله عليه وسلم الحكم بالباطن لاطلاع
الله له عليه كما ذكره السيوطي ولكن هذا اغلب احواله صلى الله عليه وسلم تعليما
لامته حتى يقتدوا به وقوله صلى الله عليه وسلم للزبير رضي الله عنه في حديث
روي في الكتب الستة عن امره صلى الله عليه وسلم للزبير ان يسقي نخله ولا
يستوعب لما نوزع في مسيله لجار له من الانصار فقال له الانصاري ان كان ابن
عمتك فقال صلى الله عليه وسلم اسق حتى يبلغ الماء الجدر اسق بهمزة وصل
امر من سقى وقيل بهمزة قطع من اسقاه والجدر بفتح الجيم وسكون الدال المهملة
وقيل بمعجمة تليها را مهملة وروي بضم الجيم جمع جدار ومعنى الاول ما رفع
كالجدار لحبس ما انسقي اوهو لغة في الجدار وقيل اصل الجدار وعلى الانهار
تمام الشرب من جدر الحساب ويجوز كسر جيمه ومعناه الاصل وقيل هو
اصل الحايط وحاصل ما ياتي في ذلك انه كان رجل انصاري خاصم الزبير رضي الله عنه

صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة في الما الذي يسقى به النخل وقال له ارسل الما
الى فتزا فعاله صلى الله عليه وسلم فقال له اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال
ان كان ابن عمتك فتلون وجهه صلى الله عليه وسلم فقال اسق يا زبير واحبس
الما حتى يبلغ الجدر وفيه نزل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
وان الرجل المخاصم قيل هو حاطب بن بلتعة ولا يصح لانه ليس انصاريا وقيل
ثابت بن قيس وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد وقيل انه بدري ونقل ابن
الملقن رحمه الله انه منافق من الانصار وسياتي نقله عن الزجاج كما ستبين
كل ما في هذا الحديث وما معه قريب اخر الكتاب من مشكل ما في هذا الباب
والباب الذي بعده واتى بقوله ان شا الله امتثالا لقوله تعالى ولا تقولن لشي
الاية مع اشباهها اي اشباه وامثال ما في الباب وانث باعتبار المعنى اي اشباه
هذه المشكلات وايضا اي مثل ما ذكر من الجواب فان الكذب متى عرف من احد
في شي من الاخبار بخلاف ما هو عليه في الواقع والاولى تركه هذا لان الكذب
لا يكون الا لذلك وقد اطنب المص وطول بما لا فائدة فيه وكان يمكن اختصار هذا في
كلمات قليلة على اي وجه كان سوا كان هزلا او جدا كالحكوتية الذين ينقلون الحكايات
الباطلة مع علمهم بها للتلهي بها كما هو معروف الان استريب بخبره اي اوقع للناس
في ريبة وشك فيما يخبر به حتى لو صدق لم يصدق واتهم في حديثه الذي يحدث
به الناس ولم يقع قوله في النفوس موقعا اي لم يقبل ويلتفت اليه ولهذا اي
لكون الكذب يوقع في ذلك ما تركه المحدثون ما زائدة وفي نسخة حذفها وهي
اولى والعلما من عطف العام على الخاص اي علما الحديث والفقها وغيرهم من اهل
العلم الحديث مفعول تركه ممن عرف بالوهم بفتح الها بمعنى الغلط وهو
بسكونها بمعنى الوقوع في القوة الواهمة وفيه تفصيل في كتب اللغة والغفلة
اي الذهول وعدم معرفة الامور وسوء الحفظ وكثرة الغلط عطف تفسير على
سوء الحفظ اي كون حفظه سببا غير قوي مع ثقته اي كونه ممن يوثق به لديانته
وعدم تعمده الكذب فيما يحدث به ومع ذلك يتركون رواية الحديث عنه
لانه قد يقع فيه ما لا اصل له لغفلته وقلة حفظه واذا كان هذا المخالفة
الواقع غير مقبول فما بالك بالكذب ممن عرف به ولا يرد على المص انه اذا
حدث من اصل صحيح عنده تقبل روايته منه لا عن ظهر قلبه وحفظه
وانه لا يشترط في هذه الاعصار ذلك ابقا لسلسلة الحديث لانه اذا حدث
عن اصل كان الاعتماد عليه لا على حفظه وما ذكره هو الذي عليه علما الحديث
المعتمد عليهم وايضا اي مثل ما ذكر في عدم الاعتماد على من يكذب فان
تعمد الكذب قصدا والفا في جواب شرط مقدر نحو ان احطت بما ذكر خبرا
وعلمته في امور الدنيا فضلا عن الحديث والامور الشرعية معصية وذنب
يذم به عاجلا ويعاقب عليه اجلا ان لم يغفره الله والاكثار منه كبيرة
باجماع من ايمة الدين وهي كما قالوا مختلف في تعريفها وهل هي محصورة
ام لا كما تقرر في كتب الاصول وستاتي الاشارة الى شي من ذلك مستوفى

للمروة

للمروة اي يذهب عدالته والمروة بهمزة او واو مشددة مصدر من المرء كالرجولية والانسانية
وكل هذا المذكور من الكذب وقبائحه مما ينزه ويبعد عن مقامه ويراعنه منصب النبوة المراد
بمنصبها مقامها وهو في اللغة بمعنى الحسب كما في قول ابي تمام ومنصب نماه ووالد سما به
واما استعماله بمعنى الولاية السلطانية فمولد كقول ابن الوردي رحمه الله

نصب المنصب اوهى جلدي ۞ وعنائي من مداراة السفل

كما تقدم والمرة الواحدة منه اي من الكذب وفي نسخة منها اي من هذه المعصية
فيما يستشنع اي يستقبح من الشناعة بموحدة وشين معجمة ويشاع اي يشيعه
الناس لشناعته وقوله فيما متعلق بمقدر اي معدود هما الخ وفي نسخة يستبشع
بنون من الشناعة وهما بمعنى وفيها ايضا ويشيع بدل ويشاع مما يخل من الخلل
بعرضه ودينه بصاحبه المتصف به ويزري اي يعيب وينقص ويحقر بقائله اي
يجعله متصفا بالخلل والنقص من ازريت عليه ازرا اذا عبته وفي نسخة صاحبها
وقائلها كما تقدم وقوله والمرة مبتدا خبره وقوله لاحقة بذلك اي بما لا يليق
بمنصب النبوة او خبره مما وهي حال واما الكذب فيما لا يقع هذا الموقع اي لا يعد
مما يستبشع فان عددناها اي جعلناها من الصغاير دون الكباير التي يترتب عليها
حد او وعيد على الخلاف فيها فهل تجري على حكمها اي توافق حكمها احكامها ويتحد
في الخلاف فيها اي وقع الخلاف فيما قبلها هل يجوز صدوره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام قبل البعثة ام لا فكذلك الخلاف هل وقع من ايمة الدين في هذه ام لا مختلف
فيه اي وقع فيه خلاف من ايمة الاصول فمنهم من قال اختلف فيه ايضا ومنهم
من قال لا خلاف في عدم وقوعه منهم لانه مما ينفر القلوب عنهم والكذب حرام
منه ما هو صغيرة وما هو كبيرة وقد يقترن به ما يصيره كفرا وقد يقترن بالصغيرة
ما يصيرها كبيرة ۞ ككونها تؤدي الى القتل او القتال كما قاله الحليمي وليس
هذا محل تفصيله والصواب من هذه الاقوال تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
ومقام النبوة عن قليله اي الكذب وكثيره لاخلاله بعظيم قدرها وشرفها
سهوا لعصمة الله عنه وعمدا لعلو طبعه عنه اذ عمدة النبوة بضم العين
ما تعتمد عليه والمراد به المقصود منها بالذات البلاغ والاعلام لمن ارسل اليهم
ما اوحاه الله اليه والتبيين لهم ما شرعه الله وتصديق من ارسل له فيما
جا به النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والشرايع التي جا بها عن ربه
وتجويز شي من هذا بانواعه على انبيا الله قادح في ذلك العمدة المقصود من
بعثته وبلاغه واعلامه ووجوب تصديقه لان من يجوز عليه الكذب في شي
مما لا يجوز عليه فيما بلغه عن الله واتى بالاشارة للقرب في الكذب تحقيرا له
وباشارة البعيد فيما بعده تعظيما له وهو ظاهر وتجويزه ايضا مشكك فيه
اي فيما جا به لا لتناقض صدقه الواجب اتباعه بكذبه لو وقع منه ولو سهوا
مناقض للمعجزة لايجابها تصديقه ولذا اقترنت بها الدعوة فليقطع امر
الغايب اي يعتقد قطعا بانه اي الامر والشان او الكذب باقامة الظاهر
في قوله لا يجوز بسكون الواو وتشديدها على الانبيا كلهم خلف بضم الخا وفتحها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي كذب في القول المتبادر عنهم وفي نسخة في قول بوجه من الوجوه وفي نسخة في وجه اي
في اي شيء كان سواء كان من قبيل البلاغ أم لا لا بتعمد ولا بغيره كالسهو ولا بتسامح اي لا بتساهل
وتهاون من تسامح متتبعًا لمن تساهل في حقهم في تجويز ذلك الخلف في اقوالهم وتجويزه
عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ عن الله لعصمة الله لهم عن وصمته ومنهم
بعض الشراح القايل بانه لا دليل على عدم وقوعه منهم نادرًا ثم جواب سؤال
تقديره هل هذا شامل لما قبل النبوة فاجاب بانا نقطع بانه لا يجوز بعد النبوة
وبانه لا يجوز عليهم الكذب مطلقا قبل اظهار النبوة ولا الاتسام اي الاتصاف
من السمة به اي الكذب في امورهم الخاصة بانفسهم واحوال دنياهم اي الاحوال
المتعلقة بالدنيا لهم او لامهم لان ذلك اي الخلف في القول كان يزري اي يعيب
وينقص كما مر ويريب اي يوقع في ريب وتهمة لهم فيوقع الشك والتحير
في القلوب وهو مما ينزه عنه مقام النبوة وينفر القلوب اي قلوب الناس
عن تصديقهم فيما يبلغونه لهم بعد مبني على الضم اي بعد ارسالهم وتبليغهم
او بعد العلم باتصافهم بالكذب ثم ايد ذلك بقوله وانظر امر لكل من له نظر
ومعرفة احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم اي من عاصره في مدة حياته
من قريش وغيرها من العرب انه باعتبار القبيلة وغيرهم من الامم كالروم
والعجم والحبش وسوالهم تفتيشا عن حاله في اموره وسيرته بعد دعوتهم
وقبلها لما شاع صيته في الافاق في صدق لسانه اي صدق كلامه فان اللسان تطلق
على الجارحة والكلام وقوله في صدق الخ بيان لحاله اي حاله الكاين في صدقه
وما عرفوا به من ذلك متعلق بيد الراء والنبا للمفعول وتجوز تخفيفها والبناء
للفاعل واعترفوا به مما عرف هو ايضا كالاول واتفق النقل على عصمة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم منه اي من جميع ما ذكر عمدا وسهوا قبل وبعد مبنيان
على الضم اي قبل البعثة وبعدها والمراد نقل علما الملة او نقل الناس بعضهم
عن بعض عصرا بعد عصر ثم لم يزالوا ينقلونه خلفا عن سلف انه لم يقع منه
ذلك وعدم وقوعه يدل على عدم جوازه عليه فالتوقف فيه لا يجوز وتحقيقه
كما قاله العلامة العلاي في تاليف افرده لشرح هذا الحديث ومن خطه نقلت
وعبارته اتفق جميع اهل الملل والشرايع على وجوب عصمة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام عن تعمد الكذب فيما دلت عليه المعجزة القاطعة على صدقهم فيه
وذلك فيما طريقه التبليغ عن الله من دعوى الرسالة وما ينزل عليهم من
الكتب الالهية اذ لو جاز ذلك ادى الى ابطال دلالة المعجزة وهو محال واما
السهو والنسيان فقال الامدي اختلف الناس فيه فذهب ابو اسحاق الاسفرايني
وكثير من الايمة الى امتناعه وذهب القاضي ابو بكر الى جوازه وادعى الفخر
الرازي في بعض كتبه الاجماع على امتناعه ونقل الخلاف فيه في بعضها وحاصل
الخلاف يرجع الى ان ذلك داخل تحت دلالة المعجزة على التصديق فمن جعله
غير داخل فيها جوزه لعدم انتقاض الدلالة وفي كلام امام الحرمين ان ذلك
فيما يتعلق ببيان الشرايع سوا كان قولا او فعلا نازلا منزلة قوله في اقتضا

مع م

ابن اقبرس

ابن اقبرس

البيان وميل كلامه الى جواز السهو فيه واحتج بقصة ذي اليدين وقال شيخنا الزملكا[ني]
ان الذي يظهر ان ما طريقه البلاغ يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة على الصدق فهذا
لا نزاع في انه لا يجوز فيه التحريف ولا الكذب ولا السهو وما لا يكون كذلك وهو ما طريقه
التبليغ وبيان الشرايع فهل يجوز فيه النسيان وهذا محل الخلاف ويحمل اطلاق الحكي
الاجماع فيه على الاول وذكره الخلاف على الثاني وكلام الامدي محمول على هذا
التفصيل وقال الباقلاني في كتاب الانتصار المعجزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه
وسلم فيما يذكر فيه وهو عامد له وذهول النفس وطريان النسيان وبوادر البيان
لا يدخل تحت الصدق الذي هو مدلول المعجزة ومن رام ان في تجويز ذلك القدح
في الثقة بتبليغ الانبيا عليهم الصلاة والسلام فليس بشيء فانه انما يكون ذلك
لو جوز تقريرهم عليه وهو ممتنع واما القاضي عياض فانه نقل الاجماع
على عدم جواز السهو والنسيان في الاقوال البلاغية وخص الخلاف بالافعال
وهو يرجع الى اندراجه تحت دلالة المعجزة كما ذكرنا انتهى ثم اشار الى ما يويد
هذا مما قدمه بقوله وقد ذكرنا الخ واورد سوالا وجوابا عما يرد على الاستدلال

وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه صح

فصل فان قلت

فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو اي الحديث الذي
روي فيه سهوه في صلاته والفا الاولى في جواب شرط مقدر اي اذا علمت
تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن الخلف عمدا وسهوا في اقواله فقد تعرض
لك شبهة وسوال عما خالفه من هذا الحديث فنقول الخ والثانية في
جواب الشرط المذكور ومقول القول بعضه مقدر اي ان قلت انك قررت
عصمته عن السهو فما معنى قوله الخ واعلم ان الراغب قال النسيان ترك
الانسان ضبط ما استودع اما لضعف قلبه واما عن غفلة واما عن قصد حتى
يذهب عن القلب وكل نسيان ذمه الله تعالى ما كان عن تعمد نحو فذوقوا بما
نسيتم لقاء يومكم هذا وخلافه مرفوع عنه كما في حديث رفع عن امتي الخ
وما نسب الى الله نحو قوله انا نسيناكم بمعنى الترك كما قاله الزجاج
وغيره لانه من لوازمه واصله عدم الحفظ والله منزه عنه واما السهو
فقد حكي لمن فيما يأتي الفرق بينه وبين النسيان معنى وقال ان السهو
في الصلاة جاير على الانبيا بخلاف النسيان لانه غفلة وآفة والسهو انما
هو شغل باله فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها
وياتي شرحه عند ذكره له وقال الحافظ العلاي انه ضعيف معنى ولغة
اما الاول فلما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى
كما تنسون اي كما سياتي بما فيه واما الثاني فقد قال الازهري السهو
الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه وسها في صلاته غفل وكذا في الصحاح
والمحكم وقال الراغب السهو خطا عن غفلة وفسره لقسمين وفي النهاية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو قريب مما
قاله الراغب وسياتي تتمته قريبا وهذا الحديث رواه الشيخان ومالك والترمذي
وغيرهم ولم يروه المص من طريق الصحيحين بل من طريق غيرهما المايا في فقال
الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق بن جعفر الذي تقدمت ترجمته قال حدثنا
القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال حدثنا حاتم قال حدثنا ابو عبد الله بن الفخار
ابن عمر بن يوسف المالكي القرطبي عالم الاندلس وزاهدها وكان رحمه الله مجاب
الدعوة توفي سنة سبع عشرة واربعمائة قال حدثنا ابو عيسى يحيى بن يحيى
الليثي كما تقدم قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى تقدم ايضا عن مالك
امام دار الهجرة المشهور عن داود بن الحصين بحا مهملة مضمومة وصاد مفتوحة
مهملتين وياء تصغير ونون وهو مولى عمرو بن عثمان مدني ثقة يحتج بحديثه
وان كان يرى راي الخوارج لانه لم يكن داعية وروى هو عن عكرمة ونافع
وغيرهما وروى عنه مالك وغيره توفي سنة خمس وثلاثين ومائة عن ابي
سفيان مولى ابن احمد اسمه وهب وقيل قزمان وهو ثقة يروي عن ابي
هريرة وغيره واخرج له الستة انه قال سمعت ابا هريرة تقدم بيانه وانه
اختلف في اسمه واسم ابيه على ثلاثين قولا اشهرها انه عبد الرحمن بن صخر
الدوسي نسبة لدوس قبيلة سميت باسم جدها دوس بن ثابت وكني بابي هريرة
لانه اتى بهرة وحشية لقومه وقيل انه صلى الله عليه وسلم هو الذي
كناه بذلك وقد قدمنا انه ممنوع من الصرف كما صرح به سيبويه ولحاة
العرب فيه كلام بيناه في كتاب التسواخ يقول اي يحدث قال صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر في جماعة هذه رواية الامام مالك
في موطايه واختارها المص على رواية مسلم وغيره لعلو سنده من طريقه ولترجيح
اهل العرب له فسلم في ركعتين اي بعد ما فرغ منهما ومن التشهد وهذه رواية
الموطا وقيل من ثلاث وله طرق مشهورة اشهرها رواية ابي هريرة وقال ابن
عبد البر ليس في اخبار الاحاد اكثر طرقا من حديث ذي اليدين وفي طرقه اختلاف
في تلك الطرق وفي سلامه هل هو من ركعتين او ثلاث وهل الصلاة العصر او
غيرها ومن وقعت معه القصة هل هو ذو اليدين او ذو الشمالين وتفصيله
انه رواية مالك عن السختياني عن ابن سيرين عن ابي هريرة واخرجه البخاري
وابو داود والترمذي والنساي ورواه الزهري من طرق خالف فيها في
تسمية ذي اليدين ذا الشمالين وياتي ما فيه وفي انه لم يسجد للسهو وفي
مسلم انه سجد سجدتين بعد السلام وفي البخاري عن ابي سلمة انه صلى الظهر
او العصر وسلم على راس ركعتين وفي رواية على ثلاث وفي رواية انها كانت
صلاة المغرب وقد رواها مفصلة الحافظ العلاي باسانيدها ومتابعاتها
وليس هذا مما يلزم ايراده هنا فقام ذو اليدين من صلاته وسمي ذا اليدين
لطول يديه وكان يصلي خلفه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ذا الشمالين
قيل وهما اسم رجل واحد وقال العلاي انه غيره على الصحيح وثبت

من طرق

من طرق ان ابا هريرة رضي الله عنه كان حاضرا في هذه القصة كما صرح به في رواية المص بقوله
سمعت ابا هريرة يقول صلى بنا رسول الله الخ وفي رواية لمسلم صلى بنا صلاة الظهر وفي اخرى
الظهر او العصر وفي رواية احدى صلاتي العشي من طرق صحيحة كلها تدل على ان ابا هريرة كان
حاضرا لها قال العلاي ولا خلاف في ان اسلام ابي هريرة كان سنة سبع ايام خيبر ولا خلاف
بين اهل السير ان ذا الشمالين استشهد ببدر سنة اثنين قال ابن اسحاق هو عمرو بن عبد
عمرو بن نضلة بن عمرو بن غبشان بن سليم بن مالك بن افصى من خزاعة حليف بني زهرة
وقال مسدد بن مسرهد الذي قتل ببدر ذو الشمالين بن عبد عمرو حليف بني زهرة
وذو اليدين رجل من العرب بالبادية كان يجيء فيصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم
وايد قول مسدد ابن عبد البر وقال انه الذي عليه اصحاب السير والفقها ولذا روي
عن ابي هريرة انه قال فقام رجل من بني سليم وقيل ان ذا اليدين عمر الى خلافة معاوية
وتوفي بذي خشب وقول الزهري انه ذو الشمالين بن عبد عمرو غلط فيه وروايته فيها
اضطراب وقيل انه لم ينفرد بتسميته ذو الشمالين وورد المص في الاكمال قول من
غلط الزهري واختلفوا ايضا في تسمية ذي اليدين فقيل الخرباق واختاره المص والنووي
وابن الاثير وقال ابو حاتم بن حبان ان الخرباق غير ذي اليدين وقال ابن عبد البر
والقرطبي يحتمل انه غيره وقد جمع بين الروايتين بتعدد الواقعة فاحديهما قبل
بدر والمتكلم فيها ذو الشمالين ولم يشهدها ابو هريرة بل ارسلها وثانيهما والثانية
حضرها والمتكلم فيها ذو اليدين كما حكاه المص في الاكمال واختاره لما فيه من الجمع
بين الروايات ونفي الغلط عن مثل الزهري قال العلاي وفيه نظر لان فيها ما لا يمكن
الجمع فيه ولا شك ان ذا اليدين غير ذي الشمالين وقال بعضهم ان القصص ثلاث
والكلام فيه طويل لا يسعه هذا المقام فاعرفه فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة
روي كما قاله الحافظ العلاي بضم القاف وكسر الصاد بالبنا للمفعول وهي المشهورة
وروي بفتح القاف وضم الصاد وهذا الفعل سمع لازما بضم عينه وفتحها وهو
متعدي كقصرها بالتشديد وافصرها على السوا كما حكاه الازهري ولا يقال ان
قصر اذا كان مخففا لا يتعدى الا بحرف الجر كقوله تعالى ان تقصروا من الصلاة
لانا نقول تعديه بنفسه ثابت حكاه الجوهري وغيره ومن زايدة عند الاخفش
وعند سيبويه تقديره شيا من الصلاة ومعناه يرجع الى الاختصار والكف ومنه
فنرط فيه على كذا ام نسيت تقدم ان النسيان ترك ما لا بد منه اما الغفلة او
لضعف قلب حتى يزول تذكره وانه يذم منه ما كان عمدا ويعذر فيما لم يكن سببه
منه كقوله رفع عن امتي الخطا والنسيان وانه اذا نسب الى الله فمعناه الترك
كما قاله الزجاج وابن سيدة وام متصلة ولا بد ان يتقدمها استفهام لفظا
او تقديرا مع تساوي ما دخلا عليه سوا كانا اسمين ام لا وتكون بمعنى اي الامرين
ويكون للسوال عن احد الامرين ليعين كما هنا والكلام عليها مفصل في كتب
العربية فقال صلى الله عليه وسلم جوابا لذي اليدين كل ذلك لم يكن لما
سلم صلى الله عليه وسلم واقتصر على ركعتين او ثلاث دار الامر عند ذي
اليدين بين امرين النسخ او السهو فسال عن تعيين احدهما فحق الجواب تعيين

احدهما لكنه اجاب بنفي كل منهما معينا ونفس الامر لا ينفك عن وجود احدهما وما ذكر
صلى الله عليه وسلم بحسب ظنه لانه لا يقع الخلف في اخباره وذو اليدين تحقق عدم
النسخ فتعين وقوع السهو كما سياتي والسؤال المقترن بام لطلب التعيين بعد
الاستثبات يجاب بالتعيين بجوابه صلى الله عليه وسلم على حسب ظنه كما علم ونظيره
قول ذي الرمة

تقول عجوز مدرجي متروحا ... على بابها من عند اهلي وغاديا
اذو زوجة في المصر ام ذو خصومة ... اراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا ان اهلي جيرة ... لاكثبة الدهنا جميعا وماليا

فالجواب باحدهما انما هو اذا كان فيهما احدهما والايجاب بنفيهما وقد يزاد بذكر
ثالث فيهما وان لم يسال عنه وهذا اتمام الاشتباه فيه فان قلت كيف جوابه صلى الله عليه
وسلم بنفيهما واحدهما محقق فيلزم الخلف في اقواله وخبره وهو لا يجوز عليه
قلت قد اجيب عنه كما في شرح مسلم بوجوه احدها انه نفي المجموع اي لم يكن لا هذا
ولا هذا معا وهو لا ينافي وجود احدهما وقد رد هذا بان تصريحه بقوله لم انس يأباه
فانه مذكور في الحديث في بعض الروايات وكونه مقدرا في الكلام كما قيل لا وجه
له اي كما ياتي في كلام المص الثاني انه مبني على الفرق بين السهو والنسيان اي سهوت
ولم انس وهو بعيد لانه وان كان بينهما فرق يستعمل كل منهما بمعنى الاخر الثالث
انه نفي اضافة النسيان اليه وكره اضافته له كما ورد لا يقل احدكم نسيت فانه انا نسي
اي خلق الله فيه النسيان وليس فعلا له وهذا ايضا قاله المص انه اخترعه وهو ضعيف
فانه فعله بلا شبهة وان كان بخلق الله الرابع انه اخبار عما في ظنه واعتقاده وكانه
قال كل ذلك لم يكن في ظني ولو قال ذلك لم يكن فيه خلف وكذب والمنوي والمقدر
كالمذكور كما لو حلف على شيء يعتقده وهو غير واقع تكون يمينه لاغية كما ذهب
اليه بعض الفقهاء فانه ليس مما كسبت القلوب وليس هذا مبنيا على ان الصدق
والكذب باعتبار مطابقة الواقع وعدمها انما يخالف مذهب الجمهور فان ظنه ذلك
واقع والنفي منصب على المقيد فكل ذلك لم يكن لنفي القصر والعلم بالنسيان وهو
صحيح واقع وكل ذلك روي كما قاله التلمساني بالرفع والنصب وعليه بني انه
لشمول النفي او لنفي الشمول كما فصله اهل المعاني في قوله

قد اصبحت ام الخيار تدعي ... علي ذنبا كله لم اصنع

وهذا البحث مع طوله لشهرته تغني عن ذكره فان اردته فارجع الى المطول له
وحواشيه وفي الرواية الاخرى لهذا الحديث ما قصرت اي الصلاة بالبنا للمفعول
وما نسيت الحديث بقصته وفي رواية لم انس ولم تقصر فاخبره اي اخبر صلى الله
عليه وسلم ذا اليدين السائل له بنفي الحالتين يعني النسيان والقصر في الروايات
كلها وانها اي كل حالة منهما لم تكن واقعة منه وافرد الضمير المؤنث لتاويله باسم
الاشارة وفي نسخة وانهما لم تكونا والحال انه قد كان احد ذلك المذكور وفي اسم
الاشارة تنبيه على ما قلناه كما قال له صلى الله عليه وسلم ذو اليدين
قد كان بعض ذلك يا رسول الله وهذا بيان لمحل الشبهة لدفع الخلف في قوله

صلى

صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن كما بيناه انفا وفي قوله بعض ذلك اشارة الى نقيض
القضية الاولى التي هي سالبة كلية بالموجبة الجزئية وليس هذا محله كالكلام على تقدم
كل على النفي وتاخرها عنه كقول المتنبي ما كل ما يتمنى المرء يدركه وقد اطال
الكلام فيه في الشرح الجديد وقد تركنا الاطالة خوف الملالة فاعلم وفقنا الله واياك
جملة دعائية معترضة ان للعلما من المحدثين والفقها في ذلك السهو الذي وقع له
صلى الله عليه وسلم في هذه القصة اجوبة بعضها بصدد الانصاف الصدد معناه
القرب هنا اي قريب من الانصاف تعال دارم بصدد داري اي في مقابلتها وقريبا منها و
ظرف منصرف والبا بمعنى في والانصاف العدل والاستقامة في الامور ومنها اي بعض
الاجوبة ما هو بنية التعسف والاعتساف روي بنون وتحتية مشددة وهي تكون
بمعنى القصد وعقد القلب وبمعنى الجهة التي يذهب فيها وبمعنى البعد كالنوى
كما في القاموس وغيره من كتب اللغة وهما متقاربان في الاستعمال وروي بمثناة
فوقية من تاه يتيه اذا ضل عن الطريق ويكون بمعنى الارض الواسعة التي تضل
سالكها كتيه بني اسرائيل والتعسف والاعتساف السير على غير الطريق والجور والظلم
هذا حقيقته لغة وعلى الاول يصح انه اريد به انه قصد الجور والتعدي على من
خالف من العلما او التعسف بمعنى انه في حاله ومقاله غير مستقيم والاعتساف بمعنى
حمل غيره على ذلك فهو مثال مضل فلا تكرار فيه لاجل السجع كما قيل والاحسن ان يقال
انه استعارة تمثيلية بتشبيه مسلكه فيما قاله بمن دخل مسافة يضل فيها سالكها
حزنا بعيدا لم يهتد لطريقه وكذا على الثاني التيه بمعنى الفاسح او الضلال وتعبيره
بالتكبر بعيد بمراحل عن مقصده وها انا اقول شروع في بسط ما بين تنبيه عدولها
عن طريق من تعسف وها للتنبيه وما بعده مبتدا وخبر والفصيح ان تدخلها على
اسم الاشارة نحو هذا وها انا ذا وهذا ايضا مسموع كما في شرح التسهيل اما على القول
بتجويز الوهم تقدم انه بفتح الها وجوز اسكونها مع تعبيره بما مر والغلط
اي الخطا مما العدم علمه بالصواب ويقال في الحساب غلت بمثناة وقيل انها لغة
والفرق بينه وبين النسيان والسهو ظاهر فيما ليس طريقه معناه معروف مستعار
هنا لنوعه وجنسه من القول لا من قبيل الافعال فانها ليست محل الخلاف هنا ومن
بيانية مقدمة من تاخير البلاغ خبر ليس اي لا يتعلق به حكم او وحي او خبر عن المعاد
وهو اي هذا القول الذي نفيناه اي رددناه ولم نرض منه مستعار من النقد
الزائف المغشوش الذي ابطل السلطان التعامل به من القولين المذكورين سابقا
وهذا اعتراض بين اما وجوابها ذكرنا بما تقدم فلا اعتراض على ما تقرر من
عصمة الانبيا لهذا الحديث المذكور في قصة ذي اليدين وشبهه مما روي فيه عنه
صلى الله عليه وسلم فيه سهو ونسيان ونحوه لتجويز على الانبيا عند صاحب هذا
القول الذي يقول انه لا يمتنع فيما ليس طريقه البلاغ واما على مذهب من منع
السهو والنسيان في افعاله دون اقواله كغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
جملة اي جميعا وقد استعمله بهذا المعنى كثيرا وهذا القول ذهب اليه كثير من
مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين وخصته بعضهم بنبينا صلى الله عليه وسلم

عرضي

ابن اقبوس وعرضي

حلبي وعرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبرواي يعتقده ترايا انه صلى الله عليه وسلم في مثل هذا عامدا وقاصدا لكل ما يفعله
لصورة النسيان فياتي به على وجه العمد ذكرا له موهما لغيره انه ناس ليسن اي ليعلم الناس
سنته في السهو كالسجود له ونحوه من الاحكام وكان حقه اذ يذكر لهم ليعلمهم لكن البيان
بالفعل اظهر وفي شرح مسلم شذت طائفة من الباطنية وارباب القلوب فقالوا لا يجوز
النسيان عليه وانما ينسى قصدا اي اتى بما هو في صورة النسيان ليبين حكمه وقال المحقق
ابو اسحاق الاسفرايني هذا اسحق غير سديد وجمع الضد مع الضد مستحيل والاول
هو الصحيح فان السهو في الافعال غير مناقض للنبوة ولا قادح فيها بخلاف الاقوال
في البلاغ انتهى فهو على هذا القول صادق في خبره اي قوله لم انس ولم تقصر ونحو
لانه لم ينس ولا قصرت الصلاة ولكنه على هذا القول يفعله لصورة النسيان
ذاكرا له تعمد هذا الفعل اي سلامه مقتصرا على ركعتين في هذه الصورة اي
صورة الناسي ليسنه اي يجعله سنة لمن اعتراه اي عرض له او وقع منه مثله
اي مثل هذا الفعل تأسيا منه ليقتدوا بافعاله وهو قول مرغوب عنه اي
متروك لبعده وضعفه عنده وفي الحواشي التلمسانية عن ابن سيدي الحسن
قال سمعت ابي رحمه الله يقول عن شيوخه ان السهو في الصلاة يكون عن معصية
سبقت منه ولذا صين عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وقد تبين وجه كونه مرغوبا
عنه كما اشار اليه بقوله نذكره في موضعه من هذا الكتاب وقد قال العلامة العلائي
ان هذا القول خطأ لانه صلى الله عليه وسلم اخبر عن نفسه بوقوع النسيان
منه في حديث ابن مسعود المتفق عليه انما انا بشر انسى كما تنسون وايضا لو كان
هذا عمدا ابطل الصلاة ولا يعلم العمد في صورة النسيان الا اذا بينه بالقول ولم
ينقل عنه ذلك واما على القول باحالة السهو عليه في الاقوال الصادرة عنه
والمراد بالاحالة المنع كما يدل عليه مقابلته بالتجويز في قوله وتجويز السهو
عليه فيما ليس طريقه القول من الاعمال كسهوه في الصلاة ففيه اجوبة منها
اي من الاجوبة عن قول القائل على هذا القول انكر قلت انه لا يقع منه صلى
الله عليه وسلم سهو في الاقوال وقد وقع منه ذلك في قوله كل ذلك لم يكن
مع انه كان بعضه كما تقدم فاجاب عنه بقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر بقوله كل ذلك لم يكن عن اعتقاده وضميره اي ما اضمر في نفسه وقدره في
كلامه من هذا القيد اما انكاره صلى الله عليه وسلم القصر اي ان الصلاة
الرباعية نسخ كونها رباعية في الحضر فصارت ركعتين ولذا سلم منهما فحق
وصدق لا شك فيه ولا شبهة ظاهرا وباطنا اي انكاره صلى الله عليه وسلم ذلك
وقع منه ظاهرا لتصريحه به وباطنا اي انكاره صلى الله عليه وسلم لاعتقاده
له اذ لم يوح اليه خلافه وما ينطق عن الهوى واما النسيان اي انكاره صدوره
منه في فعله مع وقوعه منه ولا يخبر بخلاف الواقع عمدا فاخبر صلى الله عليه وسلم
عن اعتقاده ظنا منه لذلك والاعتقاد يطلق على اليقين والظن الراجح فقوله
فقوله لم انس المراد به انه لم ينس في ظنه فكانه صلى الله عليه وسلم قصد
الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به ولم يقل في اعتقادي وظني لكنه لارادته

وتقديره

وتقديره في كلامه واضماره في نفسه كان كالملفوظ به المذكور صريحا لان المقدر كالمصرح به
فيكون كلامه هذا حقا وهو صدق مطابق للواقع لانه في نفس الامر لم يظن انه نسي
ولم يخطر ذلك بباله ايضا اي كما ان القصر كذلك او كما ان المنطوق به صدق فلا
يتوهم ان كونه صدقا مبني على ان الخبر الصادق ما طابق الاعتقاد والجمهور على خلافه
فان قلت فما بال ذي اليدين رد هذا بقوله بلى كان بعض ذلك وهو لم يكن في ظنه
واعتقاده قلت لم يرد ذي اليدين تكذيبه صلى الله عليه وسلم وانما اراد تنبيهه
على ان ظنه غير مطابق للواقع لانه امر شرعي لا تسامح فيه فلما قال له ذلك شك صلى
الله عليه وسلم في امره وسال من عنده من الصحابة فصدقوا ذا اليدين على ما قاله
وكانهم لم يصدقوا ذا اليدين بذلك مهابة له صلى الله عليه وسلم ولذا شك في امره
لانهم سكتوا عن امر لا يخفى عليهم وفيهم مثل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما والظاهر
ان القول الاول مبني على عدم وقوعه في الاقوال البلاغية وفي الافعال ايضا وخص الثاني
بالذكر لانه محل الخلاف وقد وقع لبعضهم هنا خبط اعرضنا عنه لركاكته ووجه
ثان في الجواب عما ذكر على هذا القول وهو ان قوله صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث على احدى الروايات كما تقدم ولم انس راجع الى السلام من الصلاة الا تماما
على ركعتين منها او ثلاثة اي اني سلمت قصد التنفيس السلام فلبس سبق لساني
وسهوت عن العدد اي عدد الركعات فتوهمت اني اتممتها اي لم انس في نفس
السلام لظني اني اكملتها اربعا والمقصود من هذا دفع الخلف عما قاله وهذا التاويل
محتمل بصيغة المفعول اي يجوز حمل الحديث عليه لما ذكرناه ولكنه فيه بعد
لانه خلاف الظاهر وقول ذي اليدين له بلى نسيت كما تقدم في بعض الروايات
مبعد له لاشتراك ولا حاجة لان يقال ان ذا اليدين لم يفهم مراده وكذا قوله
صلى الله عليه وسلم للصحابة احق ما يقوله ذو اليدين وقد قيل انه يأباه
قرينة الحال والمقال وهو الذي عناه المص ووجه ثالث وهو ابعدها اي
الاجوبة ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ اي لفظ الحديث وبينه بقوله
من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان في الانتفاء بان ينتفيا معا
بل كان احدهما وهو النسيان لان النفي قد يكون لنفي المجموع وقد يكون لنفي
واحد لا على التعيين ومفهوم اللفظ خلافه اي مخالف لهذا الجواب ويؤيده
ما في بعض الروايات كما اشار اليه بقوله مع الرواية الاخرى الصحيحة في هذا
الحديث وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت فان اعادة النفي تقتضي ان كل واحد
منهما منتف لا احدهما فقط يعني ان محصل هذا الجواب ان كل محمول على الكل
المجموعي نحو كل الرجال تحمل هذه الصخرة العظيمة وهذا وان كان صحيحا لكنه
خلاف المتبادر لا سيما في النفي وسياق الحديث يأباه وكذا قول ذي اليدين بلى كان
بعض ذلك فان الموجبة الجزئية انما تنافي السالبة كما فصلوه في كتب المعاني
والاصول وكذا ينافيه ما في الرواية التي ذكرها هذا المذكور من الاجوبة هو
ما رأيت وبما في الحديث الذي تقدم بيانه ورأيته مذكورا لائمتنا اي المحدثين
والفقهاء وكل من هذه الوجوه التي ذكرها محتمل للفظ بعض لفظ الحديث

على بُعد بعضها في الواقع وسياق الحديث وتعسف الآخر بفتح الخاء اي تكلفه وبُعده عن
الطريق المستقيم قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله وقد
في الجواب عنه ويظهر لي انه اقرب الى الصواب من هذه الوجوه المذكورة كلها ان قوله
صلى الله عليه وسلم لم انس في الحديث انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه بقوله
لم انس بصيغة المتكلم وانكره على غيره يعني كل احد من امته بقوله بئس ما لاحدكم
من اهل الملة والمسلمين اي ليس يستقيم لكل احد من المسلمين ان يقول نسيت آية
كذا او كذا كناية عن بعض الآيات القرآنية ولكنه نُسّي مبني للمجهول مشدد السين
اي انساه الله لانه فعل الله لا فعله فلا ينبغي اضافته له مع ما فيه من الاشعار
بتهاونه بالقرآن بمباشرة اسبابه المقتضية لذلك وقيل معنى نسي انه نسخت
تلاوته وحكمه فيكون مخصوصا بزمانه صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك لئلا
يتوهم الضياع لحكم القرآن وبئس من افعال الذم اصلها بئس بمعنى اصابه البؤس
ثم نقلت بتغيير لفظها ومعناها وفي ما الواقعة بعدها اقوال فقيل انها تامة
وقيل موصولة وقيل نكرة في محل نصب تمييز كما فصله النحاة ونُسّي مشدد كما
مر وروي بالتخفيف في مسلم وقال المص كان الوقشي لا يجيز فيه الا التخفيف
والتثقيل هو الذي وقع في جميع روايات البخاري وكذا هو مروي وعليه ابو عبيد
وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كره نسبة النسيان الى النفس لان الله هو الفاعل
الحقيقي ولان النسيان معناه الترك فكره ان يقول الانسان تركت القرآن لاشعاره
بالتهاون به وعلى رواية التخفيف معناه انه ترك وحرم الخير انتهى فاراد ارشادهم
الى نسبة الافعال لخالقها واقرارهم بالعبودية والاستسلام وهو ادب
اولوي لا يمنع نسبتها لمكتسبها كما قال موسى ويوشع عليهما الصلاة
والسلام نسيت الحوت وقد ينسب للشيطان لانه بوسوسته نحو ما انسانيه
الا الشيطان ونسيان القرآن غير محمود لانه غفلة عنه وتفريط فيه لا ينبغي
قيل ويحتمل ان يكون فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا يقل
احد عني اني نسيت آية كذا فانه تعالى نسخها لحكمة كما مر وهذا الحديث
رواه الشيخان وغيرهما وبما ذكرناه سقط ما قيل ان هذا الجواب الذي ارتضاه
يرده قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت لانه لو كان ادبا علمه الله له لانه هنا
اللائق واضافته له لنكتة لم يتفطن لها وقيل انه مخصوص بالقرآن لانه
هو الذي علمه له فيكون هو الذي انساه ايضا فتأمل وبقوله في بعض روايات
الحديث كما في موطأ مالك لست انسى بصيغة المتكلم المعلوم المخفف ولكن أُنسّى
بالمجهول المشدد اي ينسيني الله لحكمة كالتشريع وتعليم الامة فلما قال له
السائل اي ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله انكر قصرها كما هو
اي تحقق في الواقع حقيقة وانكر ايضا نسيانه صلى الله عليه وسلم لبعضها
والمنكر من نسيانه هو ما كان من قبل نفسه وفي نسخة قبل اي انه فعل ذلك بكسبه
وتعاطي اسبابه من غير ايجاد الله له فيه وخلقه لما لم يكن في جبلته كغيره فانه
وجد شيء من ذلك النسيان فقد نُسّي بالمجهول وتشديد السين اي اوجده الله فيه

من

من غير تعاط لاسبابه حتى سأل صلى الله عليه وسلم غيره من الصحابة الحاضرين عنده عنه
بقوله احق ما يقول ذو اليدين فقالوا نعم وهذا غاية له بانه لم يعلم نسيانه لانه لم
يقصر في ذكر الله وطاعته فلذا استبعد صدوره منه عنه فان قلت اذا انساه الله فلا
بد ان ينسى لانه مطاوعه الذي لا ينفك عنه ولازمه الذي لا يفارقه قلت اللازم
وقوع نسيان اوجده الله فيه لحكمة لا ما صدر بتعاطي اسبابه وتقصيره كغيره فتحقق
انه نسي بدون علم اي انساه الله فنسي لحكمة واجرى الله عليه ذلك النسيان ليبين
اي ليعلم امته احكام السهو كالسجود ونحوه فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا
التوجيه الذي استظهره لم انس ولم تقصر وقع له في رواية اخرى كل ذلك لم يكن
حق مطابق للواقع محقق وصدق لا ظن فيه كما توهم ومعناه لم تقصر الصلاة
حقيقة في نفس الامر ولم انس حقيقة اي نسيانا صادرا مني صدورا حقيقيا
وانا الفاعل له صورة وانما الفاعل له حقيقة هو الله وانا آلة له كنسبة الحز
كنسبة القطع للسكين كما هو مذهب الاشعري في افعال العباد المضافة لهم
وهذا لا ينافي كونه حقيقة لغوية كمات زيد ولكنه نُسّي بالبناء للمجهول والتشديد
ووجه آخر في الجواب عما في هذا الحديث استثرته بسين مهملة ومثناة فوقية
ومثلثة وراء مهملة واصله استثورته ومنه فاثرن به نقعا وهو من ثار الغبار
يثور اذا انتشر وعلا فشبهه لخفائه بشيء مدفون نبش التراب عنه حتى
ظهر له اي استخرجته بفهمي وولدته من كلام بعض المشايخ وان لم يصرحوا به
وينصوا عليه وهو مبني على الفرق بين السهو والنسيان وذلك الوجه المستخرج
انه اي بعض المشايخ قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى لان
السهو ما يقع بادنى غفلة وينتبه له بادنى تنبيه والنسيان ما يزول عن
الحافظة بالكلية حتى يحتاج لتذكير كثير ولذلك نفى عن نفسه النسيان اذ
قال لم انس لان النسيان غفلة وآفة اي كالمرض الذي يعرض له ولذا عده الاطباء
من الامراض الدماغية المحتاجة للعلاج والسهو انما هو شغل بال اي يحصل عند
ما يعرض عن شغل البال بامور والنظر لغيره بحيث يتنبه له سريعا قال فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته كما وقع له مرارا لا لقلة قربه
وتوجهه له ولا يغفل بضم الفاء عنها اي عن صلاته لتنزهه عن ان يستولي
على قلبه الشريف ما يلهيه عن عبادته وانما كان يشغله عن حركات الصلاة
في السجود والركوع ما في الصلاة من قرة عينه بمشاهدة تجليات ربه وتدبر آيا
شغلا بها لا غفلة عنها بغيرها فلذا كان صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى
فهذا المذكور ان تحقق وتصور حقيقته على هذا الوجه والمعنى الذي قرر لم
يكن في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت الصلاة وما نسيت في الحديث خلف
في قول صدر منه حتى سأل عنه وقد تقدم ان هذا مخالف لما روي من قوله
صلى الله عليه وسلم اني انسى كما تنسون وان الفرق بينهما لغة فيه شيء
يعلم مما تقدم ووجه آخر وفي نسخة وعندي ان في الجواب وجها آخر وهو ان
قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت بمعنى الترك وهو احد وجهي النسيان

اي احد معنييه الواردين في كلام الله وغيره كما اذا اسند الى الله تعالى وهو مجاز
مشهور ملحق بالحقيقة اراد وفي نسخة اراد والله اعلم على هذا التقدير اني لم اسلم
من ركعتين تاركا كمال الصلاة عن قصد ولكني نسيت اي سهوت عن اتمامها فالمنفي
في كلامه الترك عمدا وهو لا ينافي السهو والنسيان ولم يكن تركه الاتمام من تلقاء نفسه
اي من عند نفسه وقصد هاله والدليل على صحة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الاخر الصحيح اني لا انسى اي اترك قصدا او انسى من غير قصد بل بارادة الله
وايجاده في ذلك لحكمة اشار اليها بقوله لاسن تقدم تفسيره وهذا مبني على احد
التفسيرين في هذا الحديث وقد تقدم فيه وجه اخر وهو اقرب من هذا والمراد به
اسهو بما تعاطيت اسبابه من الاشغال او بدونه لحكمة ربانية وبقي في هذا الحديث
امور اخر مما يتعلق بانه صلى الله عليه وسلم وقع منه افعال وكلام في اثنا صلاته
قبل اتمامها ومثله يبطل الصلاة والكلام فيه طويل الذيل افرده الحافظ العلاي
بتاليف نفيس ولما لم يتعرض المص لذكر الحديث بتمامه اضربنا عنه صفحا فان اردته
فخذه من معدنه ولصعوبة الكلام في هذا المقام ختمه في بعض النسخ بقوله والله
الموفق للصواب اي المقدر على ادراكه والعبارة به وهو الحكم المطابق للواقع
فوزن في موافقة ما هو الواقع من ذلك والتوفيق خلق القدرة على الطاعة
المقارنة لها وتقدم الكلام عليه في الخطبة واما قصة كلمات ابراهيم الخليل
عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام الواردة على ما قدمه من ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لا يمكن رعمهم خلف في اقوالهم وبيانه ما في هذه القصة
عن احد الانبيا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم الواردة وفي نسخة المذكورة في
الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم قال انه لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات الخ واليه اشار المص بقوله المذكورة
الهاكذ بانه بفتح الهمزة بدل من قصة او معمول له للمذكورة وكذبات بفتح الكاف
والذال المعجمة جمع كذبة بسكونها لان عين فعلة اسما تحرك في الجمع كتمرة وتمرات
وركعة وركعات الا اذا كانت صفة او مضاعفة او معتلة العين كضخمات ونحوها
كما في المغرب وقيل انه يقال بكسرها في المفرد والجمع وهي جمع كذبة اسم جامد
الثلاث المنصوصة اي المذكورة صريحا في القران منها اي من تلك الكذبات الثلاث
اثنتان في قوله تعالى في سورة الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم
كما سياتي بيانه وقوله تعالى في سورة الانبيا قالوا انت فعلت هذا بالهتنا
يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وقوله في قصة
ابراهيم وهذه هي الثالثة الواردة في الحديث للملك بكسر اللام اي سلطان زمانه
لما سال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفي اسم هذا الملك اختلاف فقيل سنان
وقيل عمرو وقيل صادوق وعمرو بن امرء القيس ملك مصر عن زوجته سارة
رضي الله عنها حين اخذها لما وصف له جمالها وساله عنها فقال انها اختي
قاله صلى الله عليه وسلم تقية خشية ان يقتله لو قال انها زوجتي فنجاه
الله منه كما سياتي تفصيله ولما كان هذا واردا على ما قرره من عصمة الانبيا

عليهم

عليهم الصلاة والسلام عن الكذب عمدا وسهوا اورده على سبيل السؤال ثم ذكر الجواب عنه
بما سياتي مفصلا واورد على الحصر الوارد في الحديث بقوله ما كذب ابراهيم الا ثلاث
كذبات ان ثمة رابع هو قوله في الكوكب هذا ربي وقد تعرض لهذا الحافظ ابن حجر
في شرح البخاري ولم يجب عنه بما يشفي الغليل والذي يدفعه ان تقديره اهذا
ربي على طريق الاستفهام التوبيخي لالزامهم بالحجة كما قرره المفسرون وحاصل
قصة سارة ان جبارا من الجبابرة قيل له ان هنا رجلا معه امراة من احسن النسا
فارسل اليه وساله عنها فقال هي اختي ثم قال صلى الله عليه وسلم لها انه ليس على
وجه الارض مؤمن غيري وغيرك الان يعني انها اخوة الاسلام لا النسب كما قال
تعالى انما المؤمنون اخوة كما ياتي بيان ذلك فلما اتي بها له تناولها بيده فشلت يده
فقال لها ادعي الله لي ولا اضرك فدعت له فاطلق ثم فعل مثل ذلك ثانية وثالثة
فقال لهم ما اتيتموني الا بشيطان وقوله اني سقيم لانه عليه الصلاة والسلام
كان لا ياتي معهم في اعيادهم لاصنامهم فنظر لنجم طالع فقال هذا يطلع لسقمي
كما ياتي وكانوا اهل فلاحة وزراعة ينظرون في النجوم واحكامها وكان ذلك مما
اوحاه الله لهم فلما حبست الشمس ليوشع ابطله الله تعالى وقال الضحاك انه
بقي الى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فدعا الله برفعه فرفع وحرم النظر فيه
شرعا وفيه بحث وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حاج عبدة الاصنام فلما
عجز عنهم كسرها وجعل فاسه في عنق صنم اكبرها لم يكسره ليلزمهم الحجة كما قصه
الله في كتابه العجيب وبينه المفسرون وقد علمت ان قوله اختي المراد به اخوة الاسلام
وانه انما قاله ليمتنع الملك من اخذها او لئلا يقتله لانهم كانوا لا ياخذون
منكوحة الغير او كانوا يقتلونه او قال ذلك ليعلمه غيرته عليها او اراد انها
ليست جارية له في ملك يمينه فيطلب منه بيعها له وقد علم ان الله طهر حرم
الانبيا عن الفواحش ونزههم عما يابى مقامهم وقوله كلمات ابراهيم دون كذبات
فيه ادب لطيف وصرح به بعده اتباعا للحديث وبيانا لنشا السؤال فاعلم اكرمك الله
دعاك بالاكرام لاكرامه الانبيا عليهم الصلاة والسلام بمعرفة علو مقامهم
عما فيه شين لهم ان هذه اشارة لكلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام كلها
خارجة عن الكذب لان الله تعالى عصمهم عنه قبل النبوة وبعدها لا في القصد
ولا في غيره من السهو والنسيان لما مر وهي اي الكلمات المذكورة داخلة في باب
المعاريض جمع معراض ويقال معرض بكسر الميم وجمعه معارض وهو من التعرض
وهو خلاف التصريح والتلويح نوع من الكناية كالتورية بان يتكلم بما يوهم
خلاف مراده كقوله اختي المحتمل لمعنيين كما تقدم فان قلت قوله اختي ادعى
لاخذ الملك لها بان يقول له زوجنيها فلا وجه للعدول عن الظاهر قلت
نقل البرهان عن ابن الجوزي رحمه الله انه عليه الصلاة والسلام علم انهم
على دين المجوس ومن دينهم ان الاخت اذا تزوجها اخوها كان احق بها من غيره
فالنجا لما يعتقده في دينه فاذا هو جبار لا يراعي دينه وقد ارتضى هذا الجواب
غيره واعترض بان المجوسية دين زرادشت وهو بعد ابراهيم واجيب بانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دين قديم وانما زرادشت اظهره وزاد فيه خرافات فتامل التي فيهما مندوحة اي في
المعاريض سعة يتخلص بها من الكذب من ندح بمعنى توسع ومندوحة بفتح الميم
وضمها لحن وفي كتاب لحن العوام للزبيدي يقال لي عن هذا الامر مندوحة ومنتدح
والمنتدح المكان الواسع وهو الندح ايضا من انتدحت الغنم في مراحها وقال ابو
عبيدة المندوحة الفسحة والسعة ومنه انداح بطنه اذا انتفخ واندحا لغة فيه
وهو غلط من ابي عبيدة لان نونه اصلية وانداح انفعال نونه زائدة واشتقاقه
من الدوح وهو السعة انتهى اقول تبعه فيه الجوهري وخطاه فيه صاحب القاموس
عن الكذب الذي في سعة القول ما يغني عن تعمد الكذب فهو صدق لا كذب فيه وقد
علمت انه ضمنه معنى التخلص ولذا عداه بعن وفي الحديث ان في معاريض الكلام مندوحة
عن الكذب رواه البخاري في الادب المفرد مسندا موقوفا على عمران بن حصين رضي الله
عنه واخرجه الطبراني والبيهقي من طريق اخر عن قتادة مرفوعا وحسنه العراقي
فلا عبرة بقول الصاغاني انه موضوع والى بيان هذا الحديث اشار المص رحمه الله
تعالى بقوله اما قوله اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه اني سقيم
فقال الحسن بن ابي الحسن البصري الذي تقدمت ترجمته وغيره من العلماء في الجواب
عنه معناه اني ساسقم في المستقبل اي ان كل مخلوق معرض اسم مفعول مشدد الرا
لذلك اي للسقم والمرض فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى محل عيدهم اي ذكر لهم
عذرا في عدم خروجه معهم لمحل اجتماعهم في اعيادهم عند اصنامهم لما ارادوا خروجه
معهم اليها وفيعل بمعنى فاعل حقيقة في الحال ويجوز ان يراد به الاتصاف في المستقبل
مجازا والقرينة انما تشترط لفهم المخاطب لا للخروج عن الكذب اذا نواه فانه مصدق
فيه شرعا كما قيل وفيه بحث لان الفرق بين الكذب والمجاز انما هو بالقرينة وعدمها
فما قاله يعود عليه بالنقض والذي ينبغي ان يقال ان سقيم ومريض ملحق بالاسماء
الجوامد كموقن وكافر فلا يختص بزمان فهو حقيقة فيما ذكر وهو ظاهر كلام الكشاف
فانه قال من في عنقه الموت سقيم وفي المثل كفى بالسلامة دا وقال لبيد

ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة دا

ومات رجل فجاة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه ومنه
اخذ المتنبي قوله

قد استشفيت من دا بدا واقتل ما اعلك ما شفاكا

فلا يرد عليه ما قيل انه مجاز والاصل الحقيقة والذي عني قوله معناه ساسقم
هذا اي الجواب والامر هذا كما تقدم وفي نسخة بهذا فهو متعلق باعتذر وقيل اي
وقد قيل فالجملة حالية بتقدير قد بل سقيم بما قدر علي من الموت يعني انه اراد
بسقيم انه حزين مشغول الفكر لعلمه من انه لابد من الموت والغم مرض من الامراض
القلبية ومن كان كذلك لا يليق به ان يفرح بالاعياد يكون في محال اللهو واللعب ولذا
ورد كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان وفي الحديث لو تعلم
البهايم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا فورى عليه الصلاة والسلام عما
اراد بهذا وقيل معناه اني سقيم القلب اي قلبي متالم بما شاهدته وفي نسخة شاهد

عرضي

ابن اعرابي

من

من كفرهم وعنادهم في الباطل وعدم قبول الحق وقيل بل كانت الحمى تاخذه اي تعرض له وتستولي
عليه حتى كانها اخذته واسرته عند طلوع نجم معلوم له اولهم ولذا قال فنظر نظرة
في النجوم فقال اني سقيم فلما راه اي راى ذلك النجم طالعا اعتذر لهم بعدم حضوره
اعيادهم معهم لعادته من السقم الذي يعرض له اذا اطلع ذلك النجم وهذا الجواب
ذكره النووي ايضا وقال ابن حجر انه بعيد لانه يكون حقيقة وليس من المعاريض
والتورية في شيء ورد بان المعاريض ان يذكر ما يدل على معنى قريب ومعنى بعيد فيراد
البعيد ويوهم مخاطبه انه اراد القريب وهذا كذلك لان ظاهره انه سقيم بالفعل حالا
والمراد انه في زمان مرض وسقم لم يكن والفرق بين هذا وبين الجواب الاول ظاهر لمن تدبر
وكل هذا اعلى ما ذكر من التاويل الذي صرفه عن ظاهره ليس فيه كذب كما يتوهم من ظاهره
بل هو خبر صحيح صدق اي صادق مطابق الواقع وانما سماه كذبا في الحديث باعتبار ما
يتبادر لذهن السامع من ظاهره لا حقيقة فلا اعتراض عليه به وقيل اي في الجواب بل عرض
اي قاله بطريق التعريض والتورية وراوه مشددة من التعريض بسقم حجته اي ضعف
دليله الذي اقامه عليهم متعلق بحجته بمعنى احتجاجه عليهم في عبادة غير الله
وضعفه ما اراد بيانه لهم من توحيد الله ونفي الشريك بدليل عقلي اراد اقامته
عليهم من جهة النجوم لما راى كوكبا فقال هذا ربي كما قصه الله عنه التي كانوا
يشتغلون بها اي بعبادتها وتعظيمها واسناد الامور اليها وانه اي ابراهيم عليه
الصلاة والسلام انما نظر في ذلك اي في خلال نظره وتقدم انه جمع ثني بمعنى مثنى
والنظر بمعنى التفكر والتامل فيما يناظرهم به وقيل استقامة حجته اي اقامة دليل
سلم لهم في حال سقم ومرض حال خبر انه جعل سقم حجته لعدم فايدتها بما عرض له من
نفسه وبدنه يعني لهم كانوا ينسبون التاثيرات للنجوم ويعظمونها ويشتغلون
بها لعلمهم بالنجوم وان صادها فاراد ابطال اعتقادهم فيها وان حججهم واهية
فلم يقل ذلك لهم ابتدا بل نسبه لنفسه تعريضا بهم كما قال اياك اعني فاسمعي يا جارة
وهذا احسن في الزام الخصم وتقريعه على وجه لا يغضبه ويهيج حميته الجاهلية
مع انه اي الخليل صلى الله عليه وسلم لم يشك هو اي لم يقع منه شك في ربه
ولا ضعف ايمانه حتى يحتاج الى الادلة الضعيفة ولكنه ضعف حاله في استدلاله
عليهم لابطال عبادتهم للنجوم والاوثان تبكيتا لهم وزجرا وسقم نظره اي ما
ناظرهم به حتى لم تتم حجته التي اقامها عليهم لم يبين صحة اتصاف الدليل بما ذكر
لغة فقال يقال حجة سقيمة فهو صفة بذلك مجازا ونظر معلول اي فكر ودليل
معلول اي ضعيف مدخول وقيل ان هذه العبارة ملحونة وان وقعت في عبارة
المحدثين والصواب معل والمعلول انما هو من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى
كقوله كانه منهل بالراح معلول ورد بانهم استغنوا بمفعول عن مفعل كما
قالوا احمد الله فهو محمود وقد صرح به سيبويه وذكره في المحكم فقول ابن الصلاح
والنووي انه لحن مردود وان تبعهما بعض الشراح هنا حتى المصنف رحمه الله والتي
في نفسه ومن عليه باستدلاله بالناسية وصحة حجته عليهم اي احتجاجه
بالكواكب والقمر والشمس متعلق باستدلاله لانه بما نصه الله مفعول لا لهم وقدمنا

اي كان اثنا نظره //

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بيانه وابتناحه في هذا الكتاب والحاصل انه لا يلزم من ضعف الدليل ضعف الايمان
ثم يثلج صدر ذي العقل السليم بيقين لا شبهة فيه عنده وهو لا يقدر على اقامة
دليل عليه واما قوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام في الاصنام التي كسرها
وترك اكبرها وقد علق الفاس في عنقه كما مر ف قال ما فعلته بل فعله كبيرهم
هذا الاية والحال انه او ان كبير الاصنام لم يفعل ولا قدرة له على الفعل فهو مخالف
للواقع من جهتين مع انه معصوم في اقواله فانه علق خبره الذي ذكر بشرط نطقه
في قوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فهو كانه قال ان كان ينطق فهو فعله وانما
قاله مع علمه بعدم نطقه لغرضه على طريق التبكيت لقومه عبدة الاصنام فكانه
قال لكم كيف تعبدون جمادا لا ينطق ولا يقدر على شيء ولو قدر لدفعوا عن انفسهم
ففيه تجهيل لهم واستهزاء بهم لتعظيمهم ما لا يضر ولا ينفع وذكروا الكواكب
هنا لا وجه له وهذا اصدق اي خبر صادق ايضا كما صدق ما قدمه ولا خلف فيه
بضم الخاء وفتحها لان صدق الشرطية بتقدمها وتوخرها على سبيل اللزوم وهو
فرض محال بالاضافة صحيح لا فرض محال بالتوصيف وليس هذا مبنيا على ان
جملة الجواب جملة خبرية متقيدة بالشرط والجملة المقيدة بقيد صدقها وكذبها
بتحقق القيد وعدمه كما هو مسلك اهل العربية واهل الميزان على خلافه
لان الشرطية بمجموعها قضية في قوة الجملة والخبر عند مجموع الشرط وجوابه كما
قيل فان هذا ابتناء على ما قاله السيد في حواشي المطول وغيره فان الحق ما قاله
السعد وانه لا خلاف بين النحاة والمنطقيين في هذه المسالة فان مآلهما واحد
كما حققه المدقق فتح الله في حواشي التهذيب وليس هذا محله الا انه يقتضي
ان قوله فعله كبيرهم جواب للشرط او دال عليه فهو في معناه وقوله فاسئلوهم
جملة معترضة مصدرة بالفا كما في قوله

واعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كلما قدرا

وقد يقال انه بيان لما يفيده الكلام من غير نظر لما ذكر وهو الظاهر
يعني ان قصده بنسبة الفعل الصادر منه لكبيرهم الاستهزاء والتهكم بهم
لتبليغ ما قصده من الزامهم الحجة برجوعهم الى انفسهم ونظرهم لما هم عليه
من الباطل الذي لا يقبله عقل سليم فضلا عن عقل سليم وفي الاية وجوه
هذا اولاها واحسنها ولذا اقتصر عليه المص فاذا اردت الوقوف عليها
فانظر في الكشاف وشروحه واما قوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام
للجبار الذي اراد اخذ زوجته حين ساله عنها فقال هذه اختي لارادة ان
يخلصها منه وليس هذا بكذب فقد بين بالبنا للمجهول في الحديث الذي رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه لا كذب فيه وقال فانك اختي
في الاسلام والدين الحق الذي كان عليه فهو على هذا اصدق اي كلام صادق حق
والاخوة تطلق على المشاركة في الصفات مجازا مرسلا او استعارة من
المشاركة في النسب والله تعالى يقول في القرآن انما المؤمنون اخوة وهذا
يدل على صحة اطلاقه وحسنه اي اخوة في الدين وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه

عربي

ولا يخذله وهو قد شاع حتى قيل انه حقيقة عرفية وقد تقدم تتمة لهذا فان قلت
انه على هذا ليس فيه شيء من الكذب فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها
اي اطلق عليها انها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وهذا ابتنا في ما قررته
وبينته اثنتين في ذات الله وواحدة في شان سارة الحديث قاله القرطبي ذات الله
وجوده المنزه المقدس عما لا يليق به وفيه دليل على جواز اطلاق الذات على وجوده
المقدس فلا يلتفت لمن انكره من المتقدمين فتامله ثم قال وروي الخارابع والرابعة
قوله للكوكب هذا ربي وانما لم يعدها لانه كان في حال الطفولية وعدم التكليف
انتهى وتقدم الكلام فيه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة للناس
يوم القيامة ويذكر كذباته هو مفقود العود يشير الى ما في حديث الصحيحين
عن ابي هريرة رضي الله عنه انهم ياتون ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويقولون
له انت نبي الله وخليله اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان
ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت
ثلاث كذبات ويذكرهن اذهبوا الى غيري الحديث فقد صرح الخليل نفسه عليه
الصلاة والسلام بان هذا وقع كذبا منه فيدل على خلاف ما قلته سابقا وجواب
الشرط قوله فمعناه اي معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا
ثلاث كذبات انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن المراد
به ما اخفاه واضمره في نفسه او المراد به ما خفي مما هو خلاف الظاهر لا هذه الكلمات
المذكورة وهي الثلاث المتقدمة ثم اشار الى الجواب عما وقع في حديث الشفاعة
بقوله ولما كان مفهوم ظاهرها اي ظاهر الكلمات المذكورة فيه النظر لما قصد
منها خلاف باطنها المقصود منها فانه صدق كما بيناه سابقا اشفق اي خاف
ابراهيم صلاة الله وسلامه عليه من مؤاخذته تعالى في نسخ بمؤاخذته بها
اي المعاتبة او المعاقبة عليها او رد شفاعته بسببها لانه كان عليه ان
يصدع بالحق صريحا من غير تورية وتعريض يقال اشفق وشفق اذا خاف
والحاصل انه لم يقصد رغبة كذبا وانما سمي كذبا باعتبار ظاهر العبارة
وقبل التامل فيها من سامعها وانما خاف ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ذلك لجلالة قدره لا لانها معصية صدرت منه وكان ذلك في اول امره وسائله
خوفه في حالة يجوز فيها الكذب فضلا عن التعريض الذي هو من حسنات
الابرار وكذلك اي مثل ما صدر عن الخليل ما وقع لنبينا صلى الله عليهما
وسلم وهو الحديث الذي رواه الشيخان عن كعب بن مالك وفي نسخ واما
الحديث فهو انه كان صلى الله عليه وسلم عادته اذا اراد غزوة اي سفرا
لغزاة معينة ورى بغيرها عنها والتورية ان يقول ما يظهر منه خلاف
مراده ويحتمله احتمالا لا بعيدا فكانه جعل ما قصده وراء ما ابداه فكان
يسال عن طريق وناحية ويذهب لغيرها فليس فيه اي فيما فعله وقاله
خلف في القول اي ليس في قوله ذكر كذب في فعله انما هو ستر واخفا المقصد
اي لما قصده وتوجه اليه لئلا ياخذ عدوه حذره اي لئلا يتاهب لدفع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما يحذره بان يستعد له ويحضر له ما يهمه واخذ الحذر عبارة عما ذكر كما بين في قوله تعالى خذوا حذركم وفيه من البلاغة ما لا يخفى وكنى وجه ذهابه اي جهة مقصده وهو عطف على قوله وري وبين التورية والكتم بقوله بذكر السؤال عن موضع اخر غير الذي قصده والتجسس عن اخباره اي اخبار الموضع الاخر بالسؤال عن طريقه وحاله والتعريض بذكره له دون غيره ليستتر قصده به لقوله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوايج او حوايجكم بالكتمان لانه يقول لاصحابه تجهزوا الى غزوة كذا ثم يجيا بالواقع او بخلافه وهو غير مراد له او يقول وجهتنا الى موضع كذا اي توجهنا وقصدنا له خلاف مقصده بيان لكذا فهذا القول كله لم يكن اي لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وانما وقع منه التورية والتعريض دون تصريح به فالاول اي سؤاله عن غير مقصده ليس فيه خبر بتوجهه له ولا امر لغيره بالتجهز له بدخله الخلف اي يعرض له كذب لعدم مطابقته للواقع وانما هو تعريض وايهام لغير معتقده لا ضير فيه والتجهز الذاهب باخفا رجهاز ولوازمه وقيل معناه احتالوا وهذا هو الاغلب من احواله وقد يقتضي الحال خلافه كما ورد في الصحيحين لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك في حر شديد الى مكان بعيد وعدو كثير فجلا للمسلمين امرها ليتاهبوا لها فاخبرهم بوجهه الذي يريد كما في حديث طويل فيه خبر الثلاثة الذين تخلفوا فهو باعتبار الاكثر واول امره قبل قوة شوكة المسلمين وكذا اخبرهم انه سائر لمكة في غزوة الفتح فلا يرد الاعتراض على حديث كان لا يريد غزوة الا ورى بغيرها كما قيل وقوله تجهزوا وان كان انشا لا ينافي فيه الخلف كما توهم لانه ينافي فيه ذلك باعتبار ما تضمنه من الخبر لان قوله تجهزوا الارض كذا معناه المراد منه اني ساغزوا اهلها وهو ظاهر ثم اورد سؤالا على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الكذب سهوا او عمدا فقال فان قلت اجمعا الساير لما يتوهم عن شبهة ترد على ما قررته فما معنى قول موسى الكليم صلى الله عليه وسلم وقد سئل اي ساله جماعة من امته اي الناس اعلم على وجه الارض في هذا العصر وهذا الحديث روي في الصحيح عن ابي سفيان رضي الله عنه فقال موسى عليه الصلاة والسلام لمن ساله انا اعلم من على وجه الارض جميعا لعلمه بانه ليس عليها من الرسل من هو مثله وفي البخاري بلفظ هل في الارض اعلم منك وفي رواية ابن اسحاق فقال موسى ما اعلم في الارض خيرا مني فقيل وبين الروايتين فرق لان في رواية ابي سفيان الجزم بانه اعلم وتلك تنفي الاعلمية عن غيره فيبقى احتمال المساواة يعني بحسب الظاهر والا فقد علمت انه يفيد نفي المساواة كما مر فتدبر واما ما رواه نوف البكالي عن كعب الاحبار ان موسى المذكور في هذه القصة ليس هو الكليم الذي هو من اولي العزم بل موسى بن ميشا بن افرايم ابن يوسف فقد قيل ان ابن عباس رضي الله عنهما رده وقال لما سمعه كذب عدو الله ويأتي فيه كلام عن الكشاف وغيره وانما قال ذلك لان

كعبا

عرضي

كعبا تلقاه عن اهل الكتاب وهم اعدا الله لكفرهم او هو استعارة لانه كذب كقولهم قاتله الله فعتب الله عليه ولامه بسبب ذلك اي قوله انا اعلم اذ لم يرد العلم بذلك اعني اعلم الناس حينئذ اليه اي الى الله تعالى بان يقول الله اعلم بذلك ونحوه الحديث اي اذكر الحديث الذي رواه الشيخان بتمامه وفيه اي في هذا الحديث فقال اي الله عز وجل لموسى بلى اي فيهما من هو اعلم عبدنا خضر وفي رواية عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك يا موسى ومجمع اسم مكان والبحران كما قاله السهيلي بحر الاردن وبحر القلزم وقيل بحر المغرب وبحر الزقاق وقيل بحر الروم وفارس وعن ابن عباس اجتمع بحرا علم في مجمع بحرين حقيقتين والعلمان علم الظاهر من الشرعيات وعلم الباطن اللدني ووصفه بالعبودية تنبيه لجلالة كما في قوله سبحان الذي اسرى بعبده وقوله

لا تدعني الا بيا عبدها ۞ فانه اشرف اسمائي

وللمضر

ومما زادني شرفا وتيها ۞ وكدت باخمصي اطي الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ۞ وجعلك خير خلقك لي نبيا

وهذا اي قول موسى انا اعلم خبر صدر من موسى عليه الصلاة والسلام وقد انبانا الله اي اخبرنا كما ورد في هذا الحديث الصحيح انه ليس كذلك كما سمعته كذلك فيكون خلفا منه وهو معصوم عن مثله فيرد على ما قررته وسيأتي الجواب عنه والعتب بمثناة فوقية كالمعاتبة وهو اللوم على ارتكاب ما لا يليق وضمنه معنى العيب بالتحتية ولذا عداه بنفسه دون على ورد العلم الى الله تقدم معناه وتفسير ابن بطال بترك الجواب لا ينبغي وكذا لو قال انا والله اعلم كان اولى وهذا هو الاليق الاولى بمقام ادب النبوة اذ مراده فيما اظن والله اعلم ولا لاية فيه وقصته في حمل الحوت في مكتل مفصلة في التفاسير والمجمع اسم مكان ثم شرع في الجواب بقوله فاعلم انه وقع في هذا الحديث الصحيح المروي عن ابن عباس ما يدفع السؤال وهو هل تعلم احدا اعلم منك فالسؤال عما يعلمه لا عما في الواقع ومن القواعد المقررة ان السؤال يعاد في الجواب فاذا يجوز ان يكون اذن بنون مرسومة بالف كان جوابه صدر منه على حسب علمه فكانه قال لا اعلم انا احدا اعلم مني فهو اي كلام موسى وجوابه خبر حق وصدق مطابق للواقع باعتبار تقييده بانه على حسب علمه واعتقاده لا خلف فيه لمخالفته للواقع ولا شبهة اي لا يشتبه على احد صدقه فيما قاله وفي الحديث روايات مختلفة يرجع بعضها الى بعض كما ستسمعه قريبا ومر بعضها وهذا تاكيد لما قبله وعلى الطريق الاخرى التي فيها اطلاق اعلميته من غير تقييد بعلمه واعتقاده العقيد لنفي الاعلمية والمساواة فيها كما تقدم على العموم فانه روي من طرق مختلفة بالفاظ مختلفة وقد اشرنا اليه قبل هذا فيحمله على غلبة ظنه ومعتقده مصدر ميمي بمعنى اعتقاده اي يحمله مقيدا بهذا التقدير لانه صرح به في رواية اخرى والروايات تفسر بعضها كالقران والمقدر في حكم المذكور عندهم كما اشار اليه بقوله كما لو صرح به يعني بالبنا للمفعول والفاعل اي صرح به موسى عليه الصلاة والسلام كان قال انا اعلم في ظني او معتقدي

وقد علمت بان مي

وَنحوه لا في نعسوا لامر وحمله بلفظ المضارع وَفي نسخة فحمله باسم مبتدا وعلى هذا
لا يرد عليه شيء لم يبين وَجه قول موسى على هذا بقوله لان حاله اي حال موسى
صلى الله عليه وَسلم كغيره من الرسل اصحاب الشرايع في عصرهم في النبوة والاصطفا
اي اختيار الله له دون غيره من خلقه يقتضي ذلك اي انما اختاره لانه اعلم اهل
عصره اذ لو لم يكن كذلك لم يختره لتبليغ رسالته وَسياسة خلقه وَرجوعهم
اليه في كل امورهم وَهو صلى الله عليه وسلم كليمه وَامين وحيه وَمثله لا يكون
دون غيره او مساويًا له في العلم وَيحتمل ان معناه اذ نبوته واصطفاه يقتضيان
اي يستلزمان ان لا يكون مقالة غير مطابقة للواقع فيحمل كلامه على
ما يطابقه وَان لم يكن فيه ما يدل عليه وَهو ظاهر فقوله فيكون اخباره
بذلك اي بقوله انا اعلم ايضًا اي كما في الرواية المصرح فيها بذلك العقيد
عن اعتقاده وَحسبانه بضم الحا المهملة وَكسرها بمعنى ظنه صدقا اخبر
يكون وَقوله لا خلف فيه مفسر له او توكيد اي لا شبهة فيه عند سامعه وَقد
يريد موسى صلى الله عليه وسلم بقوله انا اعلم انه اعلم بما تقتضيه اي تستلزمه
وظايف النبوة جمع وَظيفة بالظا المشالة وَهي الاحوال التي اقتضتها ذلك المقام
من شروطها وَمما لا بد منها لكل نبي رسول من علوم التوحيد بيان لعلومه
من معرفة الله وَصفاته وَانه منفرد في ذاته وَصفاته وَاستحقاقه للعبادة
وَامور الشريعة التي امره الله بتبليغها وَسياسة الامة اي امته والسياسة
ضبط الخلق وَاجرا احكام الشرع عليهم بالسلطنة وَيكون الخضر عليه الصلاة والسلام
وَفيه لغات فتح الخا وَكسر الضاد المعجمتين وَسكونها مع الفتح وَالكسر
وَسياتي بيانه اعلم منه اي من موسى عليه الصلاة وَالسلام بامور اخر
غير الشريعة وَالسياسة وَالحكومات الظاهرة فيما بين الناس يعني انه
صادق فيهما لانه عام مخصوص بما هو المتبادر من علوم اكثر الانبيا وَهو
العلم بالامور الشرعية وَالحكم بين الناس كما هو شان الرسل وَعلم الخضر بامور
باطنية كشفية فلا تنافي بينهما وَاعلم انه تقدم ان الخضر انما سمي خضرا لانه
كان اذا جلس على ارض نبات نباتها هشيم اخضر وَقيل لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله
وَان اسمه بليا وَقيل غير ذلك وَيكنى ابا العباس وَاختلف فيه كما ياتي
هل هو ولي او نبي او ملك وَهل هو حي الى الآن ام لا وَقد افرد احواله
بالتاليف الحافظ الخيضري سماه الروض النضر في احوال الخضر وَقال الثعلبي
انه معمر محجوب عن الابصار وَهذا وجه ما قيل انه ملك وَان كان قولا
ضعيفا وَروي في اجتماع النبي صلى الله عليه وَسلم به حديث ضعيف
وَتقدم الكلام على تعزيته لاهل البيت مما لا يعلمه احد الا باعلام الله
من علوم غيبه تعالى كالقصص المذكورة في خبرهما الذي قصه الله
في سورة الكهف فكان موسى عليه الصلاة وَالسلام اعلم من اهل عصره
مطلقا بالشريعة وَالتوحيد وَالسياسة على الجملة اي بجميع العلوم
المذكورة بما تقدم بيانه وَهذا اي الخضر عليه الصلاة وَالسلام اعلم منه

على الخصوص اي بعلم لدني يختص به من الامور الغيبية الكشفية التي لم يكلف غيره
بعلمها وَيدل عليه اي على انه اعلم بعلم اختص به قوله تعالى وَعلمناه من لدنا علما
اي من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله او من اراد ممن ارتضاه للعلم به وَعتب الله ذلك
عليه عتب مصدر مبتدا وَقوله ذلك مفعوله وَهو جواب سؤال تقديره اذا كان اعلم
من وجه وَهو صادق في قوله هذا فلم عاتبه الله عليه وَذلك على عتبه له اعلم منه
فيما قاله العلما اي بينوه وَنحوه مما يدفع اشكاله انكاره هذا القول عليه اي قوله
انا اعلم لانه اي موسى عليه الصلاة وَالسلام فيما قاله وَهو خبر المبتدا لم يرد العلم
اليه اي الى الله تعالى تادبا معه كما قالت الملايكة لله تعالى لما قال لهم انبيوني
باسما هؤلا فقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا او عتبه وَانكاره لانه لم يرض قوله انا اعلم
اي لم يرضه الله منه وَلم يستحسنه شرعا لتركه الاولى وَان كان صادقا في مقاله
هذا وَذلك اي بعدم رضاه بقوله هذا وَالله اعلم بوجه هذا وَلقد اجاد في هذا الرد
تحقيق هذه العلة الى علم الله لئلا يقتدي به فيه اي في ادعا الاعلمية جزمًا من غير
رد الى الله من لم يبلغ كماله اي من لم يصل الى مرتبته في الكمال في العلم في غير الانبيا
في تزكية نفسه اي مدحها بجعلها زكية مبراة زايدة على غيرها فان مدح الانسان نفسه
غير محمود وَان حسن احيانا المقتضى له كما قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن
اتقى وَالتزكية التطهير من الاخلاق الذميمة الردية التي من جملتها العجب وَعلو
درجته بالنصب عطف على كماله وَيجوز جره من امته متعلق بقوله يقتدي حال
من ضمير يبلغ فيهلك اي من يقتدي به من امته في قوله انا اعلم لما تضمنه اي قوله
انا اعلم من مدح الانسان نفسه وَهو امر مذموم وَيورثه اي يكسبه وَيعقبه
ما يتصف به شبه ذلك بالميراث ذلك القول اي قوله انا اعلم من الكبر وَالعجب بضم
فسكون قال الراغب تعالى لمن تزوقه نفسه فلان معجب بنفسه اي يستحسن
افعاله وَامورهم وَالتعاطي اي الاخذ في تزكية نفسه وَالدعوى الباطلة اي
لئلا يروقه اقتداوه به في قوله انا اعلم ما ذكر من الرذايل وَان نزه بانبيا المعصول
اي برّاهم الله وَعصمتهم عن هذه الرذايل اي الصفات الذميمة من الكبر والعجب
وَالتعاطي وَالدعوى الانبيا عليهم الصلاة وَالسلام لسر فيهم وَعلو مقامهم
وَغيرهم اي غير الانبيا بمدرجة سبيلها اي غير الانبيا يتصف بها وَلا ينزه
عنها لاستعداده لها وَقبول طبعه لها وَالسبيل الطريق وَالمدرجة اسم مكان
بمعنى المدخل وَالمسلك من درج اذا مشى تعالى هو قارعة على طريق كذا اذا كان
مستعدا له فهو استعارة وَقيل المدرجة الثنية التي يمشي فيها وَتسيل منها
السيول اي في موضع الرذايل المشبهة بالسيل المهلكة من اتصف بها كالسيل
المغرق لما يمر به وَفيه تلميح لا يخفى وَدرك نيلها بسكون الرا وَيجوز فتحها
بمعنى ادراك الليل يقابل النهار فشبه ما يعرض له من الصفات الذميمة
بظلمة الليل الذي تغشاه وَالمراد ما لا بد منه من اثار تلك الصفات كما قال النابغة
فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتاى عنك وَاسع
الا من عصمه الله اي حفظه عن الاتصاف بها فالتحفظ اي الاحتراز منها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي من هذه الشفاعة اولى لنفسه والتي فلذا اعاننه على نزكه الاولى وليقتدي به في التحفظ
والسلامة منها ولهذا اي لكون التحفظ اولى لمن يقتدي به قال عليه الصلاة والسلام
تحفظا من مثل هذا العجب انا سيد ولد ادم اي مقدمهم واعلاهم رتبة وتحفظ عن العجب
في مقاله بقوله ولا فخر اي لم اقل هذا افتخارا وعجبا وانما هو تحدث بما انعم الله به
عليه اوانا لا افخر بهذا فان الله انعم علي بما هو اجل منه وفي رواية الصحيحين انا
سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر والسيد يطلق عليه وعلى غيره وعلى الله كما
تقدم وهو من يفوق غيره كرما وحلما او يطلق على المالك والشريف والكريم والحليم
وهذا الحديث المروي في قصة موسى والخضر الذي تقدم احد حجج القايلين بنبوة
الخضر عليه الصلاة والسلام وهو احد الاقوال فيه لقوله فيه اي في هذا
الحديث انه اعلم من موسى كما تقدم ولا يكون الولي اعلم من النبي ولا مساويا له
في علمه واما الانبيا فيتفاضلون في المعارف اي يكون بعضهم افضل من بعض ولا
محذور فيه واستدل على نبوته ايضا بقوله اي الخضر عليه الصلاة والسلام فيما
حكاه الله عنه في قصته وما فعلته اي المذكور من الامور الثلاثة عن امري اي
بما امرته نفسي فليس براي واجتهادي فدل ما ذكر انه بوحي من الله تعالى والوحي
لا يكون لغير الانبياء وفيه انه يجوز ان يكون بالهام والالهام وان لم يفد العلم اليقيني
للغير عند اهل السنة حتى لا يجوز الاستدلال به لكنه قد يقوى في نفسه ويعمل
به الملهم دون غيره كما حقق في علم الاصول وفصلوه في محله ومن قال انه ليس بنبي
بل ولي من اولياء الله قال مجيبا عما ذكر من الدليل الثاني يحتمل ان يكون فعله بامر نبي
اخر اوحي اليه به في زمانه وهذا الجواب ضعيف اي محكوم بضعفه لانه اي الامر والشان
ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام نبي غيره الا اخاه هارون ولم
ينقل ملاقاة هارون للخضر عليهما الصلاة والسلام الا انه قيل ان يوشع كان نبيا
نبئ قبل موت موسى وسياتي عن السحيمي ما يؤيده فقد يروى ما نقل احد من اهل
الاخبار المعتمد على نقلهم في ذلك اي وجود نبي غير موسى واخيه عليهما الصلاة والسلام
ما يعول عليه لصحة نقله واذو في نسخة واذا حملنا قول الله لموسى ان لي عبدا اعلم
منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص لتخصيصه بما ليس من الشرايع والعقايد
وفي قضايا معينة كما تقدم بيانه لم يحتج الى اثبات نبوة خضر لان علمه كان بامور معينة
غير الشرايع والعقايد وهذا يقتضي انه يجوز الوحي بها لغير الانبيا وانه اذا اطلق
عليه نبي بالمعنى اللغوي لا ينافيه كما في قصة خالد بن سنان كما اشار اليه بعض
العارفين ولهذا اي لكونه علما مخصوصا لا ينافي غيره قال بعض الشيوخ كان موسى
اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله من الشرايع والاحكام وما في حكمها والخضر اعلم من موسى
فيما وقع اليه بالبناء للمفعول بتا مهملة او بدال مهملة وقاف وعين مهملة اي فيما جعله
الله منوطا به منتهيا اليه علمه مما غيب علمه عن غيره وقيل انما الجا موسى عليه
الصلاة والسلام اي اضطره الله والزمه ان يذهب الى الخضر للتاديب اي ليؤدبه
الله حتى لا ينسب لنفسه الاعلمية وان كان صادقا في مقاله ومناسبا لمقامه لا للتعليم
لما لم يعلمه مما يلزمه علمه فانه اكمل اهل زمانه ولذا قيل ان هذه القصة

يقتضي

ابن العربي في الفصوص

صح

يقتضي ان الخضر نبي رسول لئلا يكون العالي اعلم من الاعلا وفي الكشاف ان القصة لا تقتضي
ان موسى هذا هو ابن ميشا كما قاله اهل الكتاب لانه لا غضاضة في اخذ النبي العلم من نبي
مثله اذ يمتنع اخذه ممن هو دونه وفي فتح الباري ان في كلامه نظرا لان التكليف اشترطوا
في النبي ان يكون اعلم اهل زمانه على العموم ولو لازم هذا الزم ان لا يجمع الله بين نبيين في
عصر واحد وقد كان مع موسى وهارون وشعيب ثم يوشع والحق ان اللازم كونه اعلم ممن
ارسل اليه وانه اعلم بالعلم المخصوص به ولذا قال له الخضر عليه الصلاة والسلام اني على
علم علمنيه الله لا تعلمه انت ولم يكن موسى مرسلا الى الخضر فلا ضير في كونه اعلم منه بعلم
لذي حكمة الله به وقال الامام القرطبي ولننبه هنا على مغلطتين الاولى ان بعضهم
قال ان الخضر اعلم من موسى تمسكا بهذه القصة وهذا انما يصدر ممن قصر نظره على هذه
القصة ولم ينظر ما خص الله به موسى من توراته التي فيها علم كل شي وكلامه ودخول
انبيا بني اسرايل تحت نبوته ودعوته كما قال تعالى له اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي والخضر وان كان نبيا ليس برسول بالاتفاق والرسول افضل من النبي الذي
ليس برسول فان قلنا انه ولي فلا اشكال الثانية ان بعض الزنادقة قال فوالاهم
الشريعة وهو ان قصة الخضر تدل على ان احكام الشرع تختص بالعامة وان خواص
الاوليا انما يراد منهم ما يقع في قلوبهم وخواطرهم لصفاء قلوبهم عن الاكدار والاغيار
فتنجلي لهم علوم الهية يقفون بها على اسرار الكاينات وعلم الجزئيات فيستغنون
عن احكام الشريعة كما في حديث استفت قلبك وهذا كله زندقة وكفر وانكار لما
علم من الدين بالضرورة من ان الاحكام انما تؤخذ عن الله بواسطة رسله وسفرايه
بينه وبين خلقه فمن ادعى خلافه كفر فيقتل ولا يستتاب وكل هذا انكر صريح
والامتحان لموسى اذ اراه الخضر ان قتل الغلام كقتله للقبطي واقامته الجدار
كالقائه التابوت في اليم واقامته الجدار بغير اجر لسقيه لبنات شعيب قبل
استيجاره له وهذا لا يقتضي لانكار على بعض الاوليا في الامور الكشفية ولا يتباطى
بهم فيما يصدر عنهم من بعض الحالات وهاهنا بحث مهم وهو ان النبي معناه لغة
المخبر او المخبر مطلقا وهو في العرف العام المخبر عن الله بوحي مطلقا وفي عرف
الشرع المخبر عن الله بشريعة خاصة به او امر بتبليغها غيره فعلى هذا لا يكون
الخضر نبيا لانه انما اوحي اليه ببعض الامور الغيبية اذا علمت هذا فخالد بن سنان
اذا كان بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام كما ورد
في الحديث لا ينافي الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بيني وبين
عيسى كما قاله ابن حجر وقال ان الاول لا يقاوم حديث البخاري فهو مردود رواية
لان خالدا انما اوحي اليه بكشف امور البرزخ تاييدا لخبر غيره من الانبيا وتمهيدا
لما ياتي بعده بما سيخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يوح اليه
بشرع ولا بامر يجب العمل بتفصيله فليس نبيا بحسب عرف الشرع فتسميته نبيا انما
هو باعتبار المعنى العرفي او اللغوي فلا منافاة بينه وبين الحديث مع انه لم يكلف
ما ارسل به كما في الحديث الاخر انه اضاعه قومه وهو تحقيق حقيق بالقبول

فصل

واما ما يتعلق واليه اشار في الفصوص

بالجوارح للانبيا عليهم الصلاة والسلام جمع جارحة وهي الاعضا التي يكتسب بها الانسان
ويعمل ما يريد يقال جرح واجترح بمعنى عمل واكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي ما يتعلق بعصمتهم في افعالهم من الاعمال بيانه الا اي الاعمال الصادرة
بواسطتها فلا يخرج من جملتها القول باللسان لانه من الاعضا فيما عدا الاخبار اي
الاخبار بما سبيله البلاغ وغيره الذي وقع الكلام فيه قبل هذا كما تقدم ولا
يخرج من جملتها ايضا الاعتقاد بالقلب لانه من جملة الاعتقاد وله افعال تصدر عنه
وهذا انكسب للعرف واللغة واما كون العلم من مقولة الكيف او الانفعال لا من الفعل
والعمل فما يحققه الحكما ولا ينظر له علما الشريعة فيما عدا التوحيد والايمان
وما يتعلق بالوحي كما تقدم وما قدمناه من معارفه المختصة به صلى الله
عليه وسلم من اطلاعه على احوال الملكوت مما لا ينكشف لغيره كما تقدم
فاجمع المسلمون جواب اما على عصمة الانبيا جميعا فيها من الفواحش اي المعاصي الكباير
القبيحة والفاحش كل امر اشتد قبحه من الاقوال والافعال وقد تختص الفاحشة
بالزنا وقال ابن عرفة هي كل ما نهى الله عنه والكباير هي معرفة الموبقات اي
المهلكات يقال اوبقه اذا اهلكه واهلاكها بايقاعها في العذاب في الدنيا بالقتل
وفي الاخرة بالعذاب الاليم وحاصله عصمتهم في اقوالهم وافعالهم واعتقاداتهم
قبل النبوة وبعدها من الكباير المتوعد عليها ومستندهم اي دليلهم الذي
اعتمدوا عليه في ذلك اي في عصمتهم عن الكباير الاجماع الذي ذكرناه عن
المسلمين فالدليل شرعي وهو الاجماع وهو مذهب القاضي ابي بكر الباقلاني
الاصولي ومنعهما اي الكباير غيره من الايمة بدليل العقل فضمير منعهما الكباير
الصادرة عنهم وقيل انه راجع لعصمتهم اي منع عصمتهم من الكباير لعدم
استحالتها عقلا وهو وهم لانه يأباه قوله مع الاجماع لان الاجماع لم يقم
على عدم عصمتهم من الكباير مع ان كلامه نفسه بعده ينافيه وهو قول
الكافة اي جميع العلما وقد تقدم ان بعضهم قال ان كافة يستلزم التنكير
والنصب على الحالية وقد بينا في شرح الدرة انه غير صحيح واختاره ابو اسحاق
الاسفرايني الشافعي لعلو مقامهم عن صدور مثله منهم فمذهب الجمهور
ان عصمتهم عن الكباير بدليل سمعي وذهب طايفة الى انه بدليل سمعي وعقلي
والمشهور عن الاشاعرة ان العصمة فيما ورا التبليغ غير واجبة عقلا
لدلالة المعجزة عليه واما ما طريقه التبليغ ودعوى الرسالة
فالمعجزة دالة على عصمتهم فيه وذهب المعتزلة الى وجوب عصمتهم
عن الكباير عقلا بناء على قاعدتهم في الحسن والقبح العقليين ووجوب
رعاية الاصلح والدليل العقلي من وجوه فصلت في الاصول منها
انا امرنا باتباعهم فلو صدر عنهم ذلك وجب اتباعهم فيما فعلوه فلزم
اجتماع الحرمة والوجوب وايضا لو صدر عنهم ذلك كانوا معذبين
اشد العذاب لان عليهم وزرهم ووزر من اقتدى بهم وكانت
شهادتهم غير مقبولة وقد جعلهم الله شهدا على غيرهم الى غير

ذلك

ذلك مما قبلوه وكذلك اي كما انهم معصومون مما مر لا خلاف في انهم معصومون عن
كتم الرسالة اي معصومون عن اخفا رسالتهم عمن ارسلوا اليه لانهم مامورون بالتبليغ
وفي اكثر النسخ كتمان الرسالة لقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ومخالفة الامر
معصية كبيرة ومعصومون عن التقصير في التبليغ بترك شي منه لان كل ذلك المذكور
من العصمة من الكتمان والتقصير فيه يقتضي العصمة منه مفعول يقتضي وقوله المعجزة
فاعل اي تدل المعجزة على لزومه مع قيام الاجماع على ذلك اي على ان الله عصمهم عنه
من الكافة اي جميع الناس واعلم ان الحريري قال في الدرة كافة يلزمها التنكير والنصب
على الحالية الا انه غير مسلم فانه سمع غير كافة شاذ وفي توقف مثله على السماع نظر
وقد ذكرناه مفصلا في شرح الدرة لنا والجمهور اي اكثر الناس ومعظمهم متفقون
على انهم لا يكتمون شيا من الوحي الذي امروا بتبليغه وهذا ورد في حديث رواه
مسلم عن عايشة رضي الله عنها انها قالت من حدثكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كتم شيا من الوحي فقد كذب والله يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته ولو كان كاتما شيا من الوحي لكتم قوله واذ تقول
للذي انعم الله عليه الاية وقايل منهم اي منهم من قال بانهم معصومون من
ذلك الكتمان والتقصير من قبل الله اي خلق في جبلتهم العصمة فيهم معتصمون
اي متمسكون باختيارهم في تركه وكسبهم لا انهم مضطرون لعدم قدرتهم على خلافه
الاصنا النجار بفتح النون والجيم المشددة والف ورا مهملة وهو حسن بن محمد
النجار الذي تنسب له الطايفة النجارية وهم فرق من المبتدعة الضالة
وافقوا اهل السنة في بعض اصولهم ووافقوا القدرية في نفي الرؤية
ووافقوا المعتزلة في بعض المسايل ولهم مقالات كفروا بها والمشهور منهم
ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة فانه اي النجار قال
لا قدرة لهم على المعاصي مثلا كالعنين الذي لا ينتشر فانه قال ان الله يوجد
الافعال كلها من غير اختيار وكسب بل بايجاد الطبع واما الصغاير فجوزها
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام جماعة من السلف المتقدمين وغيرهم
من المتاخرين على الانبيا وهو مذهب ابي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد
ابن كثير بن غالب الطبري البغدادي صاحب التصانيف الجليلة المشهورة
ولد سنة اربع وعشرين ومايتين وتوفي سنة عشر وثلاثمائة عن ست وثمانين
وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد اي نذكر بعد هذا ما احتجوا
به من ادلتهم وما يتعلق بها وذهبت طايفة منهم الى الوقف اي التوقف
وعدم الجزم وقالوا لعدم جزمهم بجوازها وامتناعها عليهم ان العقل
اذا خلي ونفسه لا يحيل وقوعها منهم اي لا يعده محالا ولم يات في الشرع
قاطع اي نص صريح ودليل قطعي باحد الوجهين من الجواز وعدمه في
صدور الصغاير منهم وذهبت طايفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين
في اصول الدين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير وقالوا
اي قال الذاهبون لعصمتهم من جميع المعاصي صغايرها وكبايرها ان ذلك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاختلاف الناس في الصغاير في تعريفها بما يميز احدهما عن الاخرى وتعيينها هو
كالتمييز وزنا ومعنى من الكباير هل هي معدودة او هي ما توعد عليه بحد ونحوه
او هي امر نسبي يتميز بما فوقه وتحته واشكال ذلك عليهم حتى عسر تمييز
احدهما عن الاخر وقول ابن عباس وغيره من السلف ان كل ما عصي به فهو كبيرة
نظر الجلال الله وعظمته فان من يخالف امر السلطان كمن يخالف امر احد من رعيته
وانه اي الذنب انما سمي منها بالصغير ليجوا اطلق عليه صغيرة باضافة اي نسبة
وقياس وفي نسخة بالاضافة الى ما هو اكبر منه لا بالنظر له في نفسه ولا نظرا لمن
عصاه ومخالفة البارى عز وجل في اي امر كان صغيرا وكبير الحجب كونه كبيرة
في نفسه وهذا انظر من لم يشاهد شيا الا شاهد الله معه او قبله ولذا تفاوت
الذنوب بتفاوت اصحابها فتدبر وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب المالكي البغدادي
الاديب العلامة وهو من شعرا اليتيمة وقصيدته الميمية التي منها

ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ● ولو عظموه في النفوس لعظما

وله تصانيف في مذهبه جليلة كالتلقين والمعونة وارتحل الى مصر فتوفي
بها ودفن بالقرافة قريبا من الامام الشافعي في سنة اثنين واربعماية رابع
عشر صفر لا يمكن ان يقال في معاصي الله انها صغيرة الا على انها تغفر باجتناب
الكباير ولا يكون لها حكم اي لا يعتد بها ولا يؤاخذ فاعلها بعقابه عليها
كما هو حكم الكبيرة الذي حكم الله به بخلاف الكباير اذا لم يتب فاعلها منها
بالنيا للفاعل او المفعول والتوبة معناها معروف فلا يحبطها شي اي يمحوها
ويذهب حكمها مما يحبط غيرها من اعمال العبد الصالحة والسيئة في العفو عنها
موكول الى فضل الله وسعة رحمته كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وهو قول القاضي ابي بكر بن الطيب الباقلاني
وجماعة ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقها لان الحديث والنص دل عليه
دلالة ظاهرة كقوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس مكفرة لما بينهن
ما اجتنبت الكباير اي ما دام اجتنابه لها فهو كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به الخ فالحديث مبين للاية فلا يرد عليهم ان الوعيد شامل لهما فلا تغفر
لمجرد اجتناب الكباير وهو الحق فان الحق خلافه لقوله تعالى ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب
رحمه الله قال بعض ايمتنا يعني المالكية ولا يجب على القولين في العصمة
عن الصغاير وعدمها ان يختلف في انهم معصومون عن تكرار الصغاير
وكثرتها وكان الظاهر ان يقول لا يجوز لان احدا لم يقل بوجوبه لاختلاف
فيه عبارته تسمح اذ يلحقها ذلك المذكور من الكثرة والتكرار بالكباير لما فيه
من عدم المبالاة بالمعاصي وفي الاحيا الصغيرة تصير بالاصرار كبيرة كما ان
المباح يصير به صغيرة قال السبكي اما الاول فظاهر واما الثاني فلا
نعرفه وفيه نظر سياتي وقيل ان المختار المفتى به ان من اكثر من فعل
الصغاير سوا كانت من نوع واحد او انواع لا يكون فاسقا ولا مرتكبا للكبيرة

ان

ان غلبت طاعاته على معاصيه الا ان يراد بالاكثار الاكثرية بحيث يغلب على الطاعات
ومنه ان ما ذكره في حق غير الانبيا فلا نسلم مساواتهم لغيرهم فيه وهو المعتدى
بهم فتدبر ولا ينبغي ان يختلف في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة اي الحيا من الناس
لانها مما يسترذل ويتقبض النفوس منه وقد وردت بهذا المعنى في الحديث
كقوله نادجهارا ولا تحتشم ● وفي قول عنترة ●

فاري مغانم لو اشا حويتها ● فيصدني عنها كثير تحشم ●

وقد رد بهذا قوله في ادب الكاتب ان الناس يضعون الحشمة موضع الاستحيا
وليس كذلك انما هي الغضب ومنه ان يحتشمني وليس كما قال وقد قاله
حسان رضي الله عنه ●

ارسلت نفسي على سجيتها ● وقلت ما شيت غير محتشم ●

ومنه قولهم للمهيب محتشم وقد صرح به السهيلي والبطليوسي واسقطت
المروة التي كمال الرجولية وفسرها المصنف رحمه الله بقوله واوجبت الازرا
اي النقص والخساسة اي الدناة وكونه مزدرا خسيسا في اعين الناس يقال
ازدراه اذا احتقره وكذبه وعابه لحقارته عنده كسرقة لقمة وشي تافه فهذا ايضا
كغيره مما يعصم منه الانبيا اجماعا لعلو قدرهم وشرف انفسهم وهممهم العلية
لان ارتكاب مثل هذا يحط منصب اي مقام المتسم به الموصوف به اي يجعله
سافلا ويزري بصاحبه اي يحقره ويبغضه وينفر القلوب عنه فينا في
مقام الدعوة واتباع الخلق له والانبيا منزهون اي مبرؤون عن ذلك كله لانه
لا يليق بعالي مقامهم بل يلحق بهذا المذكور من الصغاير التي عصمهم الله منها
ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله صغير مثله يحتمل ان يعود الى ما ينزهون عنه
فيكون من قبيل سد الذرايع الذي ذهب اليه مالك فان عنده ان ما ادى الى
منهي عنه منهي عنه وان كان مباحا في نفسه ويحتمل ان يعود الى الازرا
والخساسة كالاكل في السوق لمن ليس من اهله من غير ضرورة والصنايع الرذ
كالحجامة ولبس منقاد عادة العجم الذي فعله الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فانه لبس مرغب في الزمن القديم وكلبس ما لا يليق به من الملبوس كما قلت

نصيحة لطيفة قالت لها الاكياس ● كل ما اشتهيت والبس ما تشتهيه الناس

وكاداهة الشافعي لعب الشطرنج على وجه يتمادى اليه عن اسم المباح الى الحظ
اي المنع منه يعني الحرمة وهذا صريح في الاشارة الى سد الذرايع
وهذه المسالة مما نقل على الاطلاق عن الامام مالك لكنها مشكلة وقد قال
القرافي كما تقدم انها ليست على اطلاقها ولعلما المالكية فيها كلام طويل
لم يحضرني الان تفصيله وفي الشرح الجديد ان مراده انه يؤدي الى الازرا
بمرتكبه والازرا بالانبيا كفر ففعله يؤدي الى ان يزري بهم فيحرم عليهم
لاحتمال ان يراهم من يجهل مقامهم فيزدري بهم فيقع في الشقا الابدي
فتامله وفي الكبيرة والصغيرة وتعريفهما كلام في الاصلين لا حاجة
للاطالة بذكره وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم اي الانبيا من مواقعة المكروه

بلة

عوضي

دنجي

عوض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي الوقوع منه بان يفعله فنسلا اما سهوا فلا باس به والمكروه يطلق على كراهة
تحريم وهو نوع من الحرام لكن الفقهاء يطلقون عليه مكروها اذا لم يكن فيه نص
اجتنابا من القطع بالحكم به وكراهة تنزيه كترك بعض المندوبات والمراد هنا الان
الاول داخل فيما تقدم مما جزموا بامتناعه عليهم والثاني شامل لخلاف الاولى
وهو مما نهي عنه في الجملة لانه صلى الله عليه وسلم مامور باتباعه فلو فعل
مكروها امتنع منه الا ان يكون لبيان الجواز والتشريع فانه يكون في حقه افضل
كغسله اعضاء الوضوء مرة او مرتين فتركه التثليث لبيان الجواز وقد استدل
بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم اي فعل
مثلها اقتداء بهم فلو صدر ذلك منهم وجاز فعله الناس وظنوه مشروعا
فلذا امتنعوه منهم وان كان صغيرة لان ذنب العظيم عظيم وان قل واتباع
اثارهم وسيرهم مطلقا اي سواء كانت ضرورية او جبلية كالقيام والقعود
والاكل والشرب فانا نتاسى بهم فيه وان كان مباحا لان الاصل في افعالهم
انها حسنة شرعية فينبغي اتباعهم في كل ما صدر منهم لان الاصل ارجح
من الظاهر وقد اختلف الشافعية في اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما علمنا
انه ليس تشريعا هل يستحب ام لا كنومه واضطجاعه بين سنة الفجر وفرضه
وجمهور الفقهاء على ذلك اي استحباب اتباع اثارهم مطلقا ان لم تعلم الخصوصية
لهم من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابه كبار اهل مذهبه من
غير التزام وقيام قرينة تدل على انه فعله للتشريع والاقتداء به فيه بل
يقتدي بفعله مطلقا من غير التزام قرينة المشروعية عند بعضهم وان
اختلفوا بعد القول باتباعه في حكم ذلك فذهب الغزالي الى انه يستحب
اتباعه في الامور الجبلية كغيرها وذهب اليه كثير من الفقهاء والمحدثين وقال
غيرهم انه مباح احسن من غيره وفي قول ضعيف انه واجب وحكى ابن خويز منداد
ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله وقيل ابو بكر تلميذ الابهري من ائمة المالكية
والاصول وله تصانيف في مذهبه وعلم الخلاف الا ان اقواله مرجوحة عندهم
كقوله ان العبيد لا يدخلون في الخطاب وان خبر الواحد يوجب العلم وخويز منداد
بضم الخاء المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون اليا المثناة التحتية وزاي
معجمة ساكنة او مكسورة وميم مفتوحة او مكسورة وروي بباء موحدة
بدلها ثم نون ساكنة فدالين معجمتين بينهما الف وقيل الاولى مهملة
توفي في حدود الاربعمائة وهو من اهل البصرة كما في التمهيد لابن عبد
البر وابو الفرج عمر بن محمد بن عمر الليثي المالكي صاحب كتاب الحاوي في فقه مالك
توفي سنة ثلاثين او احدى وثلاثين وثلاثمائة عن الامام مالك التزام
ذلك اي اتباع افعاله واثاره وجوبا اي قال انه يجب اتباعه صلى الله عليه
وسلم في كل ما يفعله اذا لم يكن امرا جبليا كالاكل والشرب ولم يعلم انه من
خصوصياته اذا لم يعلم حاله من وجوب او ندب او اباحة لان افعاله منحصرة
فيها لانه لا يصدر عنه محرم ومكروه كما تقدم وهو قول الابهري بفتح

الهمزة

الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء والراء مهملة وياء النسبة نسبة لبلدة عظيمة بين
قزوين وزنجان ولهم اخرى باصبهان وهو معرب اب هر بمعنى ماء رحى والابهري
من علماء المالكية اثنان ابو بكر محمد بن عبد الله بن صالح والاخر ابو سعيد عبد الرحمن
ابن يزيد بن عبد السلام وليس بن عبد السلام هذا هو الشافعي وهذا ايضا مشهور
عندهم لمحمد الابهري من علماء المالكية من اهل طليطلة ويلقب بابي تمام وهو
المراد هنا وابن القصار الامام في فقه مالك واكثر اصحابنا من المالكية وقول اكثر
اهل العراق من فقهاء المذاهب وابن سريج بضم السين وفتح الراء المهملتين ومثناة
تحتية ساكنة وجيم وهو ابو العباس احمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي حامل
لواء المذهب صاحب التصانيف الجليلة كانوا يفضلونه على جميع اصحاب الشافعي
ويلقب بالباز الاشهب تولى قضاء شيراز وتوفي في جمادى الاولى سنة ست وثلاثمائة
والاصطخري بكسر الهمزة وفتحها وصاد مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وخاء
معجمة ساكنة وراء مهملة تليها ياء النسبة نسبة لاصطخر بلدة عظيمة وهو
ابو سعيد الحسن بن احمد بن يزيد بن عيسى الامام المشهور عند الشافعية وكذا
تصانيفه توفي سنة اربع وثمانين وثلاثمائة على احد الاقوال وترجمته مفصلة
في الطبقات والميزان وغيرهما وابن خيران من الشافعية راجع للثلاثة وهو علم
لمثنى خير وهو ابو الحسن بن صالح بن خيران البغدادي الامام الزاهد الجليل قدره
صاحب التصانيف المفيدة في فقه الشافعي طلبه الوزير ابن الفرات ليوليه القضاء
فلم يجبه فسمر بابه اياما فلم يجب فاخرج عنه ثم قال انما فعلت ذلك به ليعلم
ان في بلدنا مثله توفي رحمه الله سنة عشرين وثلاثمائة لعشر بقين من ذي الحجة
واكثر الشافعية على ان ذلك اي الاتباع له صلى الله عليه وسلم فيما لم يعلم حاله ندب
اي مستحب لا واجب ولا مباح كما مر وهو المشهور وبالغ ابو شامة رحمه الله تعالى
في نصرته وذهبت طائفة من العلماء الى الاباحة اي انه مباح وطائفة الى الوقف وقيد
بعضهم الاتباع اي اتباعه صلى الله عليه وسلم في افعاله وجوبا او ندبا فيما كان
من الامور الدينية ليخرج الامور الجبلية كالاكل والنوم وعلم به مقصد القربة مصدر
ميمي بمعنى القصد اي التقرب الى الله بالعبادة وهذا مختار الامدي وابن الحاجب
وابي شامة ومن قال بان الاصل فيما لم يعلم من افعاله صلى الله عليه وسلم
الاباحة لم يعتد بما قيد به من قال بالندب او الوجوب بقيد الدينية
وقصد القربة لان التقييد به ينافي الاباحة اذ كل ما قصد به القربة من
الديانة طاعة فهو لا يخلو من الوجوب والندب فقيد هذا حكم فعله في نفسه
وبالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واما بالنسبة لامته فحكمهم مترتب على
حكمه الا فيما استثني فتدبر قال المستدل على عصمتهم من الصغائر بما مر فلو
جوزنا عليهم فعل الصغائر لم يكن الاقتداء بهم في افعالهم مطلقا كما امرنا
به اذ ليس كل فعل من افعاله كغيره منهم متميز مقصده به اي ما قصده
من القربة بان يكون واجبا او مندوبا او من الاباحة مما لا يترتب عليه ثواب
ولا عقاب او مدح او ذم او من الحظر بالمسالة او المنع شرعا لكونه محرما او مكروها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخلاف الاولى او المعصية الظاهر عطفه بالواو عطف تفسير وعلى هذه النسخة ينبغي
ان يفسر الحظر بخلاف الاولى والمكروه وهذا بالحرام ولا يصح على تقدير جواز الصغائر
عليهم ان يومر المرء بامتثال امر من الامور فعله النبي صلى الله عليه وسلم وقصد
عنه الفعلة معصية وقد امرنا باتباعه لقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله ونحوه
فيلزم ان نتبعه في معصية صدرت منه وهو باطل ولما ورد عليه ان الملازمة
غير مسلمة لجواز ان تصدر عنه معصية صغيرة ولا يتبع فيها لانه قال لنا هنا
محرمة علينا الا انه ينفي مالم يصرح بتحريمه مما لم يلتبس علينا او يقال هذا انما يتم
لو قلنا القول متقدم على الفعل وليس بمسلم كما اشار اليه بقوله لا سيما تقدم
الكلام عليها وعلى قول انها للاستثناء مع افادتها اولوية ما بعدها بالحكم وسي بمعنى
مثل وما موصولة او زائدة كما بينته النحاة وقد قدمناه على قول من يرى
تقديم الفعل على القول اذا تعارضا وجعل المتاخر منهما الدلالة على الجواز
المستمر مع كونه اقوى في البيان من حيث انه يبين به وقوله من الاصوليين اي
علماء اصول الفقه وهو بيان لمن بان يفعل فعلا قال انه حرام ولم يعلم التاخر
منهما حتى يكون ناسخا له وقد اختلف فيه فمنهم من قدم الفعل لانه لا احتمال فيه
وقيل يعمل بالقول لقوته بالصيغة وانه حجة في نفسه وهو قول الجمهور وقيل
لا يرجح احدهما على الاخر الا بدليل وعلى الاول يقتدي بافعالهم مطلقا والمعارضة
بمعنى المخالفة ومنافاة احدهما للاخر وعلى هذا تكون الحجة اقوى ويزيد هذا
الدليل الذي استدل به على عصمتهم من الصغائر وعدم جوازها عليهم ويزيد
بنون المضارعة نجعة اي نؤيد هذا الدليل بما يزيل الشبهة في حجيته وقوة برهانها
بان نقول يجوز على الانبياء وقوع الصغائر ومن نفاها اي قال بعدم جوازها على منه
نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون ومتفقون في حقه كغيره من الانبياء على انه
اي النبي صلى الله عليه وسلم لا يقر بكسر القاف والبناء للفاعل وفاعله ضمير النبي صلى
الله عليه وسلم اي لا يقر غيره اذا رآه على امر منكر من قول او فعل لان تقريره صلى
الله عليه وسلم بمنزلة قوله له ما فعلته جائز كما قيل
ان السفينة اذا الرسنة ماموره ● وانه صلى الله عليه وسلم متى راى شيئا منهيا
عنه يفعل او يقال فسكت صلى الله عليه وسلم عنه دل على جوازه والسكوت رضى
وتقرير لوجوب الانكار عليه فكيف تعجب وانكار شديد يكون هذا حاله في حق غيره
ممن رآه او سمعه ثم يجوز وقوعه منه في نفسه بان يرضى لنفسه مع شرفها وعصمتها
ما لا يرضاه لغيره من اتباعه ولذا عد وانقرر انه من الحديث كقوله وفعله
ومثل ما رآه وسمعه ما علمه في عصره ولم ينكره فانه يدل على جوازه اي اباحته
كما قرره الاصوليون الا انهم شرطوا فيه شروطا منها ان لا يكون بين صفته
قبل ذلك كما لو راى ذميا من اهل الجزية في كنيسته على ما يفعله اهل
ملته وان يقدر على ازالة ذلك المنكر وفيه نظر لانه مامور بالامر وان
خاف مكروها وقتلا وان يعلم ان انكاره يفيد كما قاله بعض المعتزلة
وهذا كما كان يقرر بعض المنافقين على نفاقهم احيانا وعلى هذا الماخذ

الدال على انهم لا يقرون غيرهم على المعاصي فضلا عن انفسهم تجب عصمتهم عن موافقة
المكروه كما قيل وقد تقدم قريبا لانه مما نهى الرسول عنه غيره فكيف يتنزل للانفاق
به كما قيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله ● عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم اردفه بدليل على عدم فعله المكروه بقوله واذ الحظر تنبا مسالة بمعنى المتحرز بها
ومكروها واذ للزمان الماضي اريد بها التعليل هنا وهو معطوف على قوله وعلى هذا
الماخذ وفي نسخة الحض بحاء مهملة وضاد معجمة وقال البرهان انه تحريف وفيه نظر
او الندب اي الطلب غير الايجابي وضمنه معنى الحث على الاقتداء بفعله كما امر الله
باتباعه في آيات كثيرة معلومة ينافي الزجر اي زجره غيره اذا رآه ارتكب ما لا يرضاه
والنهي للغير عن فعل الامر المكروه وفي كلامه هذا احتراز وتوضيحه بما يشفي
الغليل انه يجب عصمته صلى الله عليه وسلم عن المكروه لما مر من انه لا يرضاه
لغيره فكيف يتصف به هو من غير مقتض وهذا معنى قوله وعلى هذا الماخذ
الخ ثم بين وجهه بوجه آخر اشار اليه بقوله واذ الحظر او الحض كما في بعض النسخ
وهي صحيحة ايضا كما علمت اي اذا رأينا صلى الله عليه وسلم فعل فعلا لم يذكر
حكمه فقيل يمتنع مخالفته وقيل يندب اتباعه والى الاول اشار بالحظر والى الثاني
بالندب وعلى كل منهما لا يفعل مكروها فاعله مزجور فتدبر وايضا اي مما يدل على
عصمته صلى الله عليه وسلم عن موافقة المكروه فقد علم من دين الصحابة اي من
عاداتهم لان الدين يكون بمعنى العادة ولو حمل على ظاهره صح وقوله قطعا اي علما
لا شك فيه الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت اي في اي جهة تم
من جهات الافعال المختلفة وفي كل فن اي في اي نوع كانت من امور معاشه وحركاته
وتكلمه وغير ذلك كالاقتداء باقواله في اوامره ونواهيه فلا يفرقون بين قوله وفعله
في الاتباع فلو فعل مكروها لزم اتباعه فيه وهو لا يصح ثم ذكر امورا تدل على ان
فعله كقوله فقال فقد نبذوا بجملة اي رموا وطرحوا والضمير للصحابة الذين
تختموا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابن عمر خواتيمهم جمع خاتم على
لغة فان بعضهم يشبع الكسرة كما ورد الاعمال بخواتيمها جمع خاتمة بمعنى آخرها
وهو مطرد عند الكوفيين وعند غيرهم سماعي او جمع خاتام وهي لغة فيه
من عشر لغات فيه وهذا اشارة الى حديث هو انه صلى الله عليه وسلم لما كتب
الى الملوك يدعوهم للاسلام قيل له انهم لا يقرؤون كتابا غير مختوم فاتخذ
له خاتما من ذهب للختم نقشه محمد رسول الله ثم اوحي اليه بتحريم خاتم
الذهب للرجال دون النساء فطرحه وهو على المنبر واتخذ آخر من فضة
حين نبذ خاتمه فهذا منهم اقتداء بفعله صلى الله عليه وسلم كما ذكر
وقيل ان خاتمه الذهب اهداه له النجاشي ومنه علم تحريم التختم بالذهب
وحله بالفضة خلافا لابن حزم في حلهما وما روي من ان الخاتم الذي نبذه
كان من فضة طعن في روايته كما فصل في شروح الصحيحين وفي شرح مسلم
للقرطبي انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ينقش احد خاتمه كنقش خاتمه وان

شبكة الألوكة www.alukah.net

ينقش احد على خاتمه اسم محمد وان تختم النسا بالفضة ورده النووي ومن اقتدايهم
بافعاله صلى الله عليه وسلم انهم خلعوا اي الصحابة نعالهم في الصلاة حين خلع
صلى الله عليه وسلم نعله وهو يصلي رواه احمد وابو داود والحاكم عن ابي سعيد
الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه
ووضعهما عن يساره فلما راوه القوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما حملكم على
هذا قالوا رايناك فعلته فقال ان جبريل اخبرني ان بها قذرا ومنه علم ان الصلاة
بالنعل اذا علم طهارتها لا تكره واما حديث خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم
وخفافهم فلا يدل على استحبابه الا اذا قصد مخالفة اليهود فتامل ومما يدل على
استحباب الاقتدا بافعاله صلى الله عليه وسلم احتجاجهم اي استدلال الصحابة
الوارد في حديث رواه الشيخان عن ابن عمر واستدلوا به على انه يجوز استقبال القبلة
واستدبارها بالبول والغايط واشار اليه بقوله برؤية ابن عمر اياه اي النبي صلى
الله عليه وسلم جالسا لقضا حاجته اي للبراز وهو يكنى عنه بقضا الحاجة تادبا
مستقبلا بيت المقدس وهو قبلة الانبيا قال رقيت يوما على بيت حفصة فرايته
صلى الله عليه وسلم الخ واستدل بفعله هذا على جوازه ويلزمه لمن كان بالمدينة
استدبار الكعبة ايضا وهذا مناف لحديث ابي ايوب عنه صلى الله عليه وسلم اذا
اتيتم الخلا فلا تستقبلوا القبلة ببول ولا غايط ولكن شرقوا او غربوا فقيل
انه منسوخ وجمع بينهما بانه يكره في الخلا بلا ساتر دون العمران ولا يكره في البيوت
المعدة لذلك واختلفوا في علته فقيل تعظيمهما اي القبلة وقيل لان الصحرا
لا تخلو من مصل فيراه والصحيح الاول واحتج غير واحد منهم اي ناس كثيرون
من الصحابة في غير شي اي في اشيا كثيرة مما بابه اي نوعه العبادة اي مما يتعبد به
او العادة اي ما اعتادوا فعله بقوله اي ابن عمر رضي الله عنهما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله ومثله كثير كما قيل لابن عمر رايناك تلبس النعال
السبتية وتصبغ بالصفرة فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله
وقوله قال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صايم اشارة الى
حديث في الموطا عن عطا بن يسار ان رجلا قبل امراته وهو صايم في رمضان فخاف
وارسل امراته تسال امهات المومنين فسالت ام سلمة فقالت ان رسول الله
فعله فاتته فاخبرته بما قالت فقال لسنا كرسول الله فاتتها واخبرتها
بما قاله زوجها فوجدت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما لهذه المراة فاخبرته ام سلمة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبرتيها اني افعل ذلك فقالت ام سلمة قد اخبرتها فذهبت الى زوجها
فاخبرته فزاده ذلك شرا الخ فقال اني لاتقاكم لله واعلمكم بحدوده وقالت
عايشة لما سيلت عن تقبيل الصايم وحجته محتجة لجوازه وعدم افساده
الصوم كنت افعله اي تقبيل الصايم انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل الصحابي الذي اخبر بمثل
هذا عنه اي اخبرته زوجته بما افتته به بعض امهات المومنين كما تقدم في

حديث

حديث الموطا فقال الصحابي المخبر يحل الله لرسوله ما شا فيجوز ان يكون هذا من
خصايصه صلى الله عليه وسلم فلا يقاس امر غيره عليه وانما غضب لجهله بانه اجيب عن
هذا ولو كان هذا من خواصه لم يبين وقال والله اني لاخشاكم لله اي اعظمكم منكم
خوفا لله واعلمكم بحدوده اي بما حده الله ومنعه من امور الدين المحرمة عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى امته كما قال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها
وقبلة الصايم لا تبطل صومه وفيها خلاف فقيل مكروهة وقيل مباحة وقيل
يفرق بين الشاب الذي لا يملك شهوته والشيخ الذي يملكها كما فصله الفقها
وهذا كله يدل على اقتدايهم بافعاله فكيف يفعل مكروها كما تقدم والاثار
المروية في هذا اي في اقتدا الصحابة رضي الله عنهم بافعاله اعظم اي اكثر من ان
نحيط بها اي اكثر من ان تعد وتحصى لكنه مع كثرتها وشهرتها يعلم من مجموعها على القطع
اتباعهم افعاله واقتداوهم بها اي بافعاله عليه الصلاة والسلام ولو جوزوا
عليه المخالفة لما هو مشروع واجبا او مستحبا في شي منها اي في بعض منها بموافقة
امر مكروه ونحوه لما اتسق اي انتظم واطرد هذا اي اتباعهم افعاله كلها لجواز
كون بعضها منهيا عنه لا يقتدى به ولما بفتح اللام والميم المخففة اي لو قلنا
بجواز مخالفة امر الله في شي من افعاله ما اعتاد الصحابة اتباعه فيها ولنقل
عنهم اي نقل عن الصحابة مخالفة افعاله احيانا وظهر بحثهم عن ذلك اي
فتشوا افعاله ليعتقدوا بعضها ويتركوا بعضها منها احيانا ولما بالتخفيف
انكر صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله يحل الله لرسوله ما يشا كما تقدم واذ
رسول الله غضب لقوله وقال انا اخشاكم لله واعلمكم بحدوده واعتذاره
بما ذكرناه فهذا كله يدل على انه لا يفعل مكروها واما ما صدر من المباحات من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمباح ما يجوز فعله وتركه من غير ترجيح
لجانب لتوسعهم فيه ما خوذ من باحة الدار اي عرصتها وهو حكم شرعي على
الاصح فجايز وقوعها منهم اي من الانبيا اذ ليس فيها قدح اي نقص وذم حتى
تمتنع عليهم بل هي ماذون فيها لهم اذ لا ضير فيها وايديهم كايدي غيرهم
مسلطة عليها اي هم كغيرهم من المكلفين لهم فعلها والاتصاف بها من غير حرج
عليهم في فعلها والتصرف فيها فاليد مجاز عن الكسب والتصرف لان الة
الفعل غالبا لقوله بيده الملك اي له ويقبضته التصرف فيها الا انهم بما
خصوا به من رفيع المنزلة وبما شرحت له بالبنا للمفعول اي بسبب ان الله
شرح صدورهم من انوار المعرفة وفي نسخة انواع واصطفوا به اي من اختيار الله
وتقربيه من تعلق الهمم بالله اي هممهم وعزمهم الصادق تعلقه بالله
وبامور الدار الاخرة اي بما هو وسيلة لها لا ياخذون اي لا يتناولون من
المباحات الا الضرورات اي ما يضطرون اليه من ضرورة البشرية كالذي به قوام
الكل من الاكل والشرب مما يتقوون به على سلوك طريقهم من تبليغ امر
ربهم وما ينفع في المعاش والمعاد وصلاح دينهم مما يعين على العبادة
ويصلح امورها كلها من الحاجة التي لا بد منه الى الحاجة الماسة ضرورة دنياهم مما لا بد منه

نة

وما اخذ على هذه السبيل من كل امر مرور بي وما موصول له مبتدا خبره التحق طاعة ه
منصوب بنزع الخافض وصار قربة اي امرا يتقرب به الى الله اي الامور المباحة كالاكل
والشرب والملبس اذا اخذ منه مقدار الكفاية وما لا بد منه للتقوي على السلوك
للاخرة صار عبادة يثاب عليها وهو ظاهر فالمباح بالنظر لذاته ومن حيث هو لا ثواب
فيه ولا عقاب اما بالنظر لما يقارنه فانه يصير عبادة والاعمال بالنيات وقد يحصل
بالمباح تركه محرم فيصير واجبا وما نقل عن بعض المعتزلة من ان كل مباح واجب
لان تركه محرم مردود الامام وهو ظاهر البطلان كما بيناه منه اي من المباح الذي
يصير قربة اول الكتاب ط فا اي مقدارا قليلا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم
كما تقدم فبان مما ذكر من الجمع انما ياذون من المباح لمقدار الضرورة وانه بالنية
لقصدهم يصير عبادة يثاب عليها عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وانعامه عليهم بما وهبهم من الصفات الحميدة كالقناعة
في امور الدنيا وعدم الشره والتنزل لتعاطيها من غير حاجة ثم نزو فيهم لان ينوون
بها التقوي على عبادة الله لجميع امورهم عبادة وطاعة فقوله على نبينا الخ
متعلق بفضل ثم بين وجه ذلك بقوله بان جعل افعالهم كلها قربات وطاعات
اذا قصد بها التقوي على العبادة كما بيناه بعيده بسبب ما ذكر عن وجه المخالفة
وجه بمعنى الجهة والجانب بعد نفي ما ذكر عن مخالفة الطاعة ومخالفة امر الله
بمواقعة مكروه ورسم المعصية بالرا المهملة اي علامتها واثرها وبالواو
بمعنى السمة والعلامة ايضا والكل ظاهر وما تقدم الى هنا مطلق من غير
تقييد او مقيد بما بعد النبوة لقوله

فصل وقد اختلف

في عصمتهم عن المعاصي قبل النبوة ومجي الوحي لهم عليهم الصلاة
والسلام فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شا الله انه يجب التبرك
تنزيههم من كل عيب وعصمتهم عن كل ما يوجب الريب هو في الاصل الشك
والشبهة وهو غير مناسب هنا فكانه اريد به ما يحط مقدارهم لان شان النبوة
الشرف والعلو فاذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم في نبوتهم وحصلت له شبهة
فيهم فكيف انكار وتعجب اي لا يتاتى ما ذكر والمسالة اي وقوع الذنوب منهم
قبل النبوة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع
يعني ان الانبيا قبل النبوة معصومون اذا قلنا انهم غير مكلفين بشرع من
قبلهم وقلنا ان العقل لا حكم له في تحسين امر ولا تقبيحه كما هو الحق عند
الاشاعرة واهل السنة خلافا للمعتزلة القايلين بانه يجب الايمان بالله قبل
الشرع والبعض الماتريدية القايلين بان الايمان بالله وتوحيده واجب عقلا
دون غيره لئلا يلزم الدور كما تقرر في اصول الدين وما قاله المصنف جار على
المذهبين لان مراده بالمعاصي غير الكفر ولما كان الله لم يرسل الى خلقه الا من
هو اعقل اهل زمانه واقواهم فطرة واحسنهم خلقا وخلقا كانوا معصومين

قبل

قبل النبوة وبعدها ولم يقع ذلك منهم اصلا وان اختلف في جوازه عقلا فعلى منعه لا يبقى شي
وعند من جوزه قبل البعثة كالباقلاني وان لم يقل بوقوعه كذلك فالكل متفقون على
ان الله لم يبعث فاسقا ولا معروفا بالظلم والفجور وعدم الانصاف ولم يبعث الا تقيا
زكيا محبوبا للقلوب مهيبا في عيونهم له وقع عند كل احد وهذا بالنسبة للمعاصي
التي حدثت بعد نبوتهم وتشريعهم معلوم مشهور واما الكلام فيما تقرر قبل ذلك
وقد اختلف الناس في حال نبينا قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا الشرع قبله ام لا قيل
صوابه او لا لان ام لا تعادل هل وفيه نظر فقال جماعة لم يكن متبعا لشي من الشرايع
وهو قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول القايل بانه لم يتبع شرع من قبله غير
موجودة فلم تصدر منه بل لم تجوز عليه ولا معتبرة في حقه اي لم يكلف بها ولم
يؤاخذ بها حينئذ اذا قلنا انه لم يتبعهما ولم يكلف بها اذ الاحكام الشرعية انما
تتعلق بالاوامر تقدم الكلام عليها مرارا وانها جمع امر او امور او امرة والنواهي
من حيث الوجوب والحرمة والكراهية والندب ونحو ذلك وتقرر الشريعة اي تحققها
وظهورها ولم تكن بعد وجوده وقبل بعثته شريعة مقررة في زمن الفترة حتى
يتبعها ثم اختلف حجج القايلين بهذه المقالة الذي ارتضوها مذهبا لهم عليها
متعلق بحجج باعتبار ما فيه من معنى الاستدلال فذهب سيف السنة اي عالمها
الذي يقيم الادلة لنصرة طريقتهم استعارة السيف لانه يقطع الجدال كما يقطع
السيف الابطال والسنة ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ومقتدي فرق الامة
بعد نبيها للعبد اي امة محمد صلى الله عليه وسلم وفي نسخة الايمة القاضي ابي بكر
محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم الباقلاني صاحب التاليف الجليلة وحامل
لوا اهل السنة الثقة الذي يضرب المثل بسعة علمه وشدة ذكايه وانتهى له النظر
في الاصليين على اصل الاشعري وارسل الى ملك الروم وناظر احبارهم في قصة شهيرة
له وتوفي في ذي القعدة سنة ثلاث واربعماية وكانت له جنازة لم ير مثلها واما
مدحه وان كان نحو ذلك اشارة الى ترجيح هذا المذهب وانه لا ينبغي العدول
عنه وهو ايضا على مذهبه لانه مالكي لا شافعي كما قد يتوهم من اشعريته الى
ان طريق العلم بذلك اي اتباعه صلى الله عليه وسلم لشرع نبي قبل نبوته
النقل لانه لا يعلم بالعقل وموارد الخبر من طريق السمع اي يعلم من خبر مرد ونقل
يصل من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل الينا تعبده به ولما امكن كتمه
وستره في العادة التي جرت بين الناس في مثله من ان من تعبد بشرع يظهر وينقله
من اطلع عليه نقلا مستفيضا لا يخفى اذ كان نقله وبعد مركما انه من مهم امره
اي تعبده لشرع غيره مهم عظيم عند اهل ذلك الدين واولى اي احق ما اهتبل
به بها وتامننا فو فيه وموحدة مكي المهمول من الاهتبال وهو شدة
الاعتنا فهو عند هم من سيرته وصفاته الماثورة وافتخر به اهل تلك الشريعة
لان مثل هذا النبي العظيم كان من اهل ملتهم وفيه شرف لهم ولا احتجوا
به عليه اي استدل اهل تلك الشريعة بكونه عليه الصلاة والسلام كان
على شريعتهم اذ كان قبل نبوته تابعا لشرعهم وكذبتهم فيقولون اذ دعاهم

وهذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاتباعه اما كنت على ديننا فلم تنهنا عنه الان وتامرنا بتركه ما كنت توافقنا فيه وكم
يوثر اي ينقل شي من ذلك اي احتجاجهم عليه ولا نقل احد انه صلى الله عليه وسلم
كان متعبدا بشرع احد ممن كان قبله جملة اي بالكلية اصلا وكثيرا ما يستعمله
بمعنى كافة وعامة وكما اختلفوا في انه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة هل كان
على شريعة من قبله ام لا اختلفوا بعد البعثة هل كان يتبع شرع من قبله فيما لم
يوح اليه فيه شي ولم ينسخ وقد قيل ان هذا معلوم بالطريق الاولى كما فصل
في كتب الاصول وذهب طايفة الى امتناع ذلك اي تعبده بشرع من قبله عقلا
اي بدليل عقلي لا دخل للنقل فيه قالوا اي المدعون للامتناع العقلي لانه
يبعد ان يكون متبوعا مقتديا به فيما شرعه الله له وامره بدعوة الناس له
من كان قبل ميزة ورتبة متبوعا مبعوثا لغيره من عرف تابعا لشرع غيره
متعبدا به قبل بعثته على هذا القول وهذا القول بامتناعه عقلا مبني
على التحسين والتقبيح وفي نسخة ويبنوا هذا الخ اي على القول بان حسن
الشي وقبحه يعرف ويثبت به وهو قول المعتزلة فالتحسين والتقبيح العقليان
عبارة عن تعلق المدح والذم عاجلا والثواب والعقاب اجلا وهو محل النزاع
في هذه المسالة المشهورة في الاصلين واهل السنة يقولون لا يعرف حسن امر
وقبحه الا من جهة الشرع ولا دخل للعقل فيه وهي طريقة اي مذهب غير سديدة
اي غير صحيحة واسناد ذلك اي الاسند لا دليل عليه الى النقل عن الاثار وعن
اهل الشرع كما تقدم للقاضي ابي بكر الباقلاني قريبا اولى واظهر وهو القول
الصحيح المعول عليه وقالت طايفة اخرى بالوقف اي بالتوقيف من غير تعيين
لطرف في امره عليه الصلاة والسلام فقالوا لا نعلم حاله قبل البعث هل كان
على شريعة من الشرايع السالفة ام لا وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك
الحال المتعلق بعبادته وما كان عليه قبل بعثته اذ لم يحل احد الوجهين
منهما العقل اي لم يعده محالا لتساويهما عنده في الامكان ولا استبان وظهر
واتضح في احدهما اي احد الوجهين طريق النقل بان ينقل ما يعينه عمن
يوثق به وهو مذهب ابي المعالي عبد الملك الجويني المعروف بامام الحرمين
شيخ الامام الغزالي وعليه عمدة مذهب الشافعي وهو اظهر من ان يخفى
وقالت فرقة ثالثة انه صلى الله عليه وسلم كان عاملا في اموره وعبادته
بشرع من قبله من الانبيا ثم اختلفوا بعد القول بانه على شريعة منها هل
يتعين ذلك الشرع بتعيين صاحبه واحكامه ام لا فيقال كان على شرع لم يعلمه
فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم بحا مهملة وجيم بمعنى تاخر ونكص
فهمه ولم يجسر عليه لعدم دليل قام عنده على التعيين وجسر بعضهم
اي تجرا واقدم على التعيين وصمم اي جزم واقدم بلا تردد فيه ثم
اختلفت هذه الفرقة المعينة فيمن كان يتبع شريعته من الرسل عليهم
الصلاة والسلام الذين تقدموه فقيل هو نوح لانه اول الرسل اصحاب
الدعوة العامة في الجملة كما في البخاري وقيل ابراهيم لانه افضل الرسل

غيره

غيره بالاتفاق وابو الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقيل موسى لان كتابه اجل
الكتب قبل القران وقيل عيسى لانه اقرب الرسل زمانا اليه عليه الصلاة والسلام
فهذه جملة المذاهب المنقولة في هذه المسالة والاظهر الاقوى دليلا ما ذهب اليه
القاضي ابو بكر الباقلاني وهو القول الاول لما تقدم وابعدها مذاهب المعينين
كما تقدم لانه لم ينقل ومثله لا يخفى اذ لو كان شي من ذلك اي اتباعه لشرع
معين لنقل كما قدمناه لكنه لم ينقل فدل على عدمه ولم يخف حكمه اي لم
يستتر عن احد من جميع الناس ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلاة والسلام
اخر الانبيا فهو اقربهم اليه ولا نبي بينهما فهو اولى الرسل به كما ذهب اليه بعضهم
فلزمت شريعته من جا بعده ها لانه المتبادر بحسب بادي الراي قبل التامل
فيه فاذا تامل عرف ان شريعته لا تلزم من جا بعده لانه انما يلزم ذلك لو عمت
دعوته غير بني اسرايل من العرب اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى صلى الله عليه وسلم
بل الصحيح انه لم يكن لنبي من الانبيا دعوة عامة لجميع بني ادم الا لنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فانها عمت جميع بني ادم بل جميع المخلوقات من الجن والانس
كما تقدم ومن قبله اخذ عليهم الميثاق ان من ادركه يومن به وقوله بل الصحيح
اشارة الى انه قيل بعموم بعض من قبله كادم ونوح عليهما الصلاة والسلام
لقوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اذ لو لم يرسل لهم ما استحقوا
الهلاك لمخالفته وهذا ان سلم فهو عموم نسبي لا حقيقي كما لنبينا صلى الله
عليه وسلم ولا حجة ايضا كما لا حجة لما قبله للاخرين القايلين باتباعه لشريعة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا
اي مستقيما والملة الشريعة والدين وكانت العرب تقول لمن اتبع ابراهيم انه
حنيفي وانما لم يكن فيه حجة لان هذا الامر بعد ما اوحي اليه صلى الله عليه وسلم
والكلام فيما قبل البعثة وانما امرنا باتباعه في التوحيد واقامة الحجة برفق
على من خالفه لا في شريعته المتعلقة بالعبادة وهذه الاية لا تدل على مدعاه
ولا على تفضيل ابراهيم لان الافضل قد يتبع الفاضل فيما عرف من هديه وخلقه
ولا حجة للاخرين القايلين بانه صلى الله عليه وسلم كان على شريعة نوح في قوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية فلا حجة فيها لانه فسره بقوله ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه فهذا امر مخصوص باقامة امر دينهم باتفاق كلمتهم
لا بتفاصيل شرع على انه اشار لوجه اخر بقوله فحمل بصيغة المصدر وفي
بعض النسخ فحمل بميم وفي اخرى فيحمل مضارع هذه الاية التي احتجوا بها
انما هو على اتباعهم في التوحيد اي الايمان بالله وحده وما يتعلق بالعقا
الحقة مما يشترك فيه جميع الانبيا وليس الكلام في هذا انما الكلام فيما
تعبد به صلى الله عليه وسلم من الاعمال الصالحة فليس المراد بالاتباع التقليد
فيما ذكر وهو محل الخلاف الذي نحن فيه كقوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده فالمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد دون
فروع الشرايع فانه لا ينافي للكل وقد قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

ولا دليل فيما ذكر يثبت مدعاهم وقد سمى الله فيهما اي ذكراتهم في جملة الانبيا
المذكورين في هذه الاية في سورة الانعام المشار اليهم بقوله اولئك الذين الى اخره
من لم يبعث اي نبيا لم يرسل بشريعة مخصوصة وامر بدعوة الناس لها ولم
يكن له شريعة جديدة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه نبي
لكنه ليس برسول لشريعة امر بتبليغها ودعوة الخلق اليها فاتفق العلما على
ان يوسف نبي والجمهور ايضا على انه رسول لقوله لقد جاكم يوسف من قبل
بالبينات وانه يوسف بن يعقوب بن ابراهيم الكريم بن الكريم بن الكريم قال
ابن جريج بعثه الله رسولا الى القبط وقيل انه لم يكن رسولا له شرع وانما
كان على شريعة ابيه يعقوب او على ملة ابراهيم ويوسف المذكور في الاية هو
غيره يوسف بن ابراهيم بن يعقوب وهو نبي اخر ارسل لبني اسرائيل فاقام
فيهما اثني عشر سنة يدعوهم وفرعون يوسف قيل انه فرعون موسى اطال
الله عمره حتى ملكه في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وقد سمى الله جماعة منهم
اي من الانبيا في هذه الاية بسرد اسمايهم على التوالي ثم امره صلى الله عليه وسلم
باتباعهم بقوله فبهداهم اقتده وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها حتى يومر
باتباعهم جميعا في فروع الشرايع العملية التعبدية فلا يصح الاستدلال بها
على ذلك فدل اختلاف احكام تلك الشرايع المامور بالاقتدا بها على ان المراد ما اجمعوا
عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى العلمية التي لم يقع فيها اختلاف ونحوه
من اصول الدين ويعد هذا القول بان المراد ما اتفقوا عليه من العقايد فهل
يلزم من قال بمنع الاتباع اي اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم لشرع من شرايع
من قبله هذا القول اي ان يقول بهذا القول اي منع اتباع شريعة من الشرايع
السالفة في ساير الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول بمنع اتباعهم
لشرع غيرهم كما امتنع ذلك في حق نبينا صلى الله عليه وسلم او يخالفوا بينهم
اي بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين غيره من الانبيا فيقول ان نبينا لشرف
قدره لا يتبع في عبادته شريعة غيره وغيره يتبع من قبله اما من منع الاتباع عقلا
اي قال انه امر اقتضاه الدليل العقلي فيطرد اصله اي دليله او امره الذي
قرره ودليله يطرد في كل رسول لان الاحالة التي اقتضاها العقل من حيث هو
لا يختلف في رسوله دون غيره بلا مرية بكسر الميم وضمها بمعنى شك وشبهة لان
الامر العقلي لا يختلف باعتبار الاديان والاعصار ومرية براء مهملة وفي نسخة
مزية بزاي معجمة اي تفاضل بينهم فالمال واحد واما من مال الى الاتباع
والقول بالنقل اي قال انه لم ينقل لنا انه صلى الله عليه وسلم تعبد بشرع
من قبله ولو نقل صح لانه امر سماعي لا عقلي صرف كما ذهب اليه الباقلاني
رحمه الله فاينما بمثناه فوقية بعد التحتية ولو قرى بالنون صح ايضا تصور
له وتقرر بالبنا للفاعل او للمفعول اي حيث انه لا مقتضى للعقل ولا دخل
له فيه فاي شي نقل من منع او جواز اتبعه ولم يخالفه ولا داعي للخلاف فيه
ومن قال بالوقف من غير جزم بتعيين احد الطرفين فعلى اصله اي على مذهبه

في عدم التعيين في غيرهما المتساويين فيما ذكر لا فارق ومن قال بوجوب الاتباع
لغيره لانه امر ديني لا دخل للراي فيه لمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام
يلتزمه اي القول بالوجوب على غيره لازم له ايضا بمساق حجته اي بسبب ما اقتضاه
مساق حجته ودليله واجرايه في كل شي لاطراده وصدقه عليه قيل وهذا اي غير
النبي الذي بعث تحت دعوة كهارون مع موسى عليهما الصلاة والسلام فتدبر وقد
وقع لبعضهم هنا كلام تركه خير منه والله اعلم

ابن اشرس

فصل هذا

اي ما تقدم من العصمة قبل
حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد اي تعمد والمراد مخالفة
الشرع وهو اي العمل الذي خولف به عن قصد ما يسمى عرفا وشرعا معصية
لانه عصي الله به ويدخل تحت التكليف اي ما خولف فيه الشارع قصدا هو من
جنس ما كلف الله به عباده بحكم والحكم هو خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين
من الاحكام الخمسة وفي عبارته تسمح لان المندرج تحت التكليف ليس هو المعصية
بل تركها واما ما يكون من الاعمال المخالفة لامر الشارع بغير قصد وتعمد كالسهو
وهو الذهول وغيبة ما علمه عن القوة الحافظة بحيث يتنبه بادنى تنبيه
لبقايه في المدركة والنسيان وهو ذهول عما لم يبق صورته في القوة المدركة
والحافظة ويحتاج في حصوله لسبب جديد وهذا هو الفرق بين السهو والنسيان
على ما قيل وقد تقدم طرف منه في الوظايف الشرعية الوظايف جمع وظيفة وهي
ما وظف وعين من الاعمال الموقتة كالصلاة والصوم والحج ونحوه من العبادات
بخلاف السهو والنسيان مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وقسر عدم
تعلق الخطاب به بقوله وترك المواخذة عليه المواخذة بالهمز وبالواو مفاعلة
من الاخذ والمراد به العقاب او العتاب وغير المكلف اتباع وهو المجنون والمغمى
عليه والنايم والساهي والناسي ومن لم يبلغه الخطاب من الجهلة والمخطي
وقد تقدم الكلام على السهو والنسيان والغفلة قريبة من السهو وقد يرد
السهو والنسيان بمعنى ومنه السكران وان جرى عليه حكم العمد تغليظا
عليه كما قاله النووي وكذا المكره والملجا وفي الحديث رفع عن امتي الخطا
والنسيان وما استكرهوا عليه فاحوال الانبيا في ترك المواخذة به وكونه
ليس بمعصية لهم مع اممهم سوا اي هم واممهم مستوون في عدم
المواخذة به لانهم لم يكلفوا به لا قبل الشرع ولا بعده ثم ذلك الذي لم يواخذ
به من السهو والنسيان على نوعين احدهما ما طريقه البلاغ اي وقع منهما
ووقع فيما امر بتبليغه لمن ارسل اليه وتقرير الشرع اي ما يقرره الشارع
ليعمل به وتعلق الاحكام به امرا او نهيا وتعليم الامة بالفعل اي ما فعله
الرسل عليهم الصلاة والسلام لاممهم من الافعال الشرعية واخذهم
اي تكليفهم ومواخذتهم باتباعهم فيه اي بسبب الاتباع وعدمه وما
هو خارج عن هذا اي ما خرج عن طريقة البلاغ لعدم صدقه عليه ه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والذي راجعه تحته كلمة مما يختص بنفسه دون امته مما يجب او يمتنع ونحوه مما يختص
بالرسل انفسهم اما النوع الاول وهو ما طريقه البلاغ ونحوه فحكمه عند جماعة
من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب اي باب العصمة وحكمها وقد ذكرنا
قبل هذا الاتفاق على امتناع ذلك اي امتناع المخالفة في القول في حق النبي صلى
الله عليه وسلم وعصمته وحفظه من جوازه عليه فضلا عن وقوعه منه قصدا
او سهوا ونسيانا وتركه لعلمه بالطريق الاولى فكذلك اي كما قالوا في الاقوال
البلاغية قالوا في الافعال في هذا الباب المذكور لا يجوز طروّ بتشديد الواو
او بالهمز بعد واو ساكنة كما مر حدوث لفظا ووزنا ومعنى وفي نسخة
طريان بالمهملة بزنة ضرب اي اطراد المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها اي الافعال
بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وضبطه كالذي قبله هذه العوارض عليها
اي على افعاله صلى الله عليه وسلم بموجب التشكيك اي يستلزم وقوع الشك في
بقية افعاله هل فعلها بوحي من الله او مخالفة للوحي او سهوا ويوجب ايضا
تسبب المطاعن الطعن القدح مما يورث نقصا في افعاله صلى الله عليه وسلم
ولما ورد عليه انه وقوع السهو منه في افعاله صلى الله عليه وسلم مما ثبت في
احاديث صحيحة لا يمكن انكارها فكيف يسوي بينهما في الانتفاء اشار الى الجواب
عنه بقوله واعتذروا عن احاديث السهو الثابتة في صلاته صلى الله عليه وسلم
بتوجيهات نذكرها بعد هذا كما سيأتي عن قريب والى هذا المذهب في امتناع
المخالفة ووقوعها عمدا او سهوا مال الامام ابو اسحاق الاسفرايني اي رجحه
على خلافه وذهب الى اعتقاده وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة
في الافعال البلاغية التي امروا بتبليغها الاممهم والاحكام الشرعية علمية
وعملية سهوا او عن غير قصد منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم نسيانا او
غلطا فهو من عطف العام على الخاص وسهوا تمييزا وحال جائز عليه اي على النبي صلى
الله عليه وسلم لانه امر معفو عنه غير مؤاخذ به كما تقرر في احاديث السهو في الصلاة
الثابت في الصحيحين وغيرهما كما مر آنفا وفرقوا بالتشديد والتخفيف اي ذكروا
فرقا بين جواز وقوع ذلك في الافعال وبين الاقوال البلاغية اذ منعوا المخالفة
فيها عمدا وسهوا لقيام المعجزة اي لدلالة معجزة كل نبي من الانبيا التي تحدى
بها على الصدق اي صدقه في القول اي فيما يقوله ويبلغه عن ربه ومخالفة ذلك
اي مخالفة الصدق في القول سهوا ومن غير قصد يناقضها اي يناقض معجزته وينافيها
فلا تجتمع المعجزة وعدم صدقه فيما يبلغه عن ربه لا منه لان اجرا الله المعجزة
على يده في قوة قوله انه صادق فيما يبلغكم عني ودلالتها على ذلك دلالة
التزامية في قوة المطابقة كما تقرر في علم الكلام فالفرق مثل الصبح ظاهر
واما السهو في الافعال فغير مناقض لها اي للمعجزة ولا قادح في النبوة اي
لا يضرها بوجه من الوجوه لعدم منافاته لها بل غلطات الفعل اي وقوع
الغلط في الافعال وغفلات القلب عما يفعله حتى يصدر عنه ما لم يرده
من سمات البشر اي من صفاتهم اللازمة لهم حتى لا يخلو عنها انسان كما قيل

وانما

وانما سمي انسانا لنسيانه ● واول ناس اول الناس ●

كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن مسعود انما انا بشر
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني جملة انسى مستأنفة او خبر بعد خبر لانا
او صفة لبشر وضمير المتكلم يربطه واما كونه يقبح كما في قوله انا الذي سمتني امي حيدره
عند المازني فلانه ليس هنا الالتفات لانه لا يكون رابطا فلو صح هذا الزجر
كونه خبرا ايضا وظاهر الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم يجوز عليه
النسيان والسهو مطلقا وحاصل ما اشار اليه اولا واخرا ان ما افاده ظاهر
الحديث قد منعه بعضهم وجوزه آخرون بشرط ان لا يقر عليه وينبه عليه كما
يأتي واختلفوا هل يجوز تأخير تنبيهه ام لا وضعفوا جواز السهو عليه فيما هو
غير من الامور البلاغية واجابوا عما ورد من مثله وصححوا الاول وهو الجواز لانه
لا ينافي النبوة بل فيه فضيلة البيان وتقرير الاحكام واختلفوا فيما ليس طريقه البلاغ
من افعاله فجوزه الجمهور واما في الاقوال البلاغية فمجمع على منعه كما اجمع
على منع تعمده واما السهو في الاقوال المتعلقة بامور الدنيا مما ليس طريقه البلاغ
ولا من الاحكام واخبار المعاد وما لا يضاف لوحي فجوزه بعضهم اذ لا مفسدة فيه
وصحح المص منعه على الانبيا في كل خبر عمدا او سهوا لا في صحة ولا في مرض ولا رضى او
غضب ● ولم يزل الناس يتداولون اخباره صلى الله عليه وسلم عصرا بعد عصر من
غير استدراك احد لغلط فيها او وهم في شي منها ولو كان لنقل كما نقل في الصلاة
ونومه عنها واستدراك رأيه في تلقيح النخل ونحوه في امور الدنيا غير ممتنع
وهذا الحديث رواه الشيخان في باب السهو في الصلاة وانه قال صلى الله عليه
وسلم وقد صلى الظهر خمسا ثم سجد سجدتين واقبل بوجهه على الصحابة
وقال لو حدث شي في الصلاة انبأتكم به ولكني انما انا بشر الخ نعم العرب كثيرا
ما تزيد نعم في كلامهم اذا التفت لصغ له وكانه جواب سؤال مقدر كقول جحدر

● ● اليس الليل يجمع ام عمرو ● وايانا فذاك بنا تداني ● ●

نعم وارى الهلال كما تراه بل في حالة السهو والنسيان هنا اي في حالة البلاغية
في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم تستفيد منه امته وتقرير شرع
اي تحقيقه وتثبيته كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه في الموطا اني
لانسى او انسى بالهمزة المضمومة والتشديد مبني للمجهول للعلم بفاعله
اي ينسيني الله ويوجد النسيان في لاسن اي لاحدث لكم امرا شرعيا كتعليم
سجود السهو ونحوه بل قدر وفي هذا الحديث بوجه آخر وهو لست انسى ولكن
انسى لاسن الاول بفتح المتكلم المعلوم المخفف والثاني المجهول المشدد
وبأتي انه لا تنافي بين نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم في الرواية الاولى
ونفيه عنه في الحديث الاخر لان نسبته اليه باعتبار حقيقة اللغة ونفيه
عنه باعتبار انه ليس موجدا له حقيقة والموجد الحقيقي هو الله كما
تقول مات زيد واماته الله وفرق بين الفاعل الحقيقي بحسب عرف اللغة
والفاعل الحقيقي في نفس الامر كما تقرر في الاصول وتحقيقه في شرح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العضد للابهري بحيث اثبت له النسيان اراد قيام صفة النسيان به ونفيه باعتبار
انه ليس بايجاده ومن مقتضى طبعه والموجد له هو الله وقوله في حديث آخر
لا يقولن احدكم نسيت آية كذا بل هو نسي فكره نسبة النسيان لغير الموجد
الحقيقي المقدر لكل شيء اولان اصل النسيان الترك فكره ان يقال تركت القرآن لاشعاره
بالتهاون اختيارا وقوله نعم الخ استدراك عما قد يسال عنه بان نسيانه صلى
الله عليه وسلم ليس كنسيان غيره لما يترتب عليه من الفوايد الجليلة ۵
وتسويته بهم في الحديث باعتبار ظاهر الحال واليه اشار بقوله وهذه الحالة
اي ما يعرض له صلى الله عليه وسلم من النسيان ليس زيادة له مخصوصة
به صلى الله عليه وسلم في التبليغ للناس لما يحصل لهم من تعلم ما يفعله
الساهي في العبادة من امته وتمام عليه في النعمة بتتميم نعمة الرسالة
والبلاغ ببيان حال الساهين فيما بلغه لهم من العبادة فهي بعيدة عن
سمات النقص لان النسيان نقص في الجملة ولذا عده الاطباء من الامراض الدماغية
وهي في حقه باعتبار ما فيهما من عبارة الارشاد للعباد ولذا قال بعض
مشايخنا من الحنفية ان هذه السجدة سجدة سهو للامة وسجدة شكر له صلى الله
عليه وسلم وقد مدح في حقه وان لم يمدح بها سواه لكونه امتياز ترقي بينهما كما قال
الابوصيري رحمه الله تعالى

كفاك بالعلم في الامي معجزة ۞ وبالنزاهة والتاديب في اليتم

وبعيدة عن اعتراض الطعن اي فلا يعترض ولا يطعن فيه بما يعرض له من النسيان
وعلله بقوله فان القايلين بتجويز ذلك اي السهو والنسيان على الانبياء عليهم
الصلاة والسلام في الافعال البلاغية يشترطون في جوازه عليهم ان الرسل
لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه اذا عرض لهم ويعرفون
بالتشديد والبنا للمجهول منه وفي ينبهون حكمه كان الظاهر يعرفونه لانه
اخصر واظهر فكانه الحكمه اشارة الى انه كما يعرف بعد وقوعه يعرف بحكمه
كالسجود فالمعرف هو الله بالفور اي ملتبسا بالفور وهو عدم التمهل والتطوع
على قول بعضهم وهو الصحيح عند ايمة الاصول وقبل انقراضهم اي يمهلون
مدة الحياة فانما يلزم التنبيه قبل الموت وهو معنى لا انقراض على قول الاخرين
الذين لا يشترطون الفورية واما ما ليس طريقه البلاغ لامته ولا بيان الاحكام
الشرعية من افعاله صلى الله عليه وسلم وهو بيان لما وما يختص به من امور
دينية واذكار قلبية كتسبيحه وتحميده لربه وتفكره في معرفته بما لم يفعله ليتبع
فيه منه للجمهور ومنهم الشافعي الاكثر من طبقات علما الامة الطبقة علما لا عصر
منهم طبقة بعد طبقة على جواز السهو والغلط عليه فيهما اذ لا يلحقه صلى الله عليه
وسلم به نقص اصلا ولحوق الفترات اي عروضها جمع فترة وهي كما قال الراغب
سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة انتهى والغفلات بقلبه
بان يغفل عما هو فيه كما هو مقتضى البشرية وذلك اي لحوق ما ذكر من الفترة
والغفلة لا ضير فيه مما كلفه من مقاساة الخلق بنظره صلى الله عليه وسلم في احوالهم

وتدبير

وتدبير امورهم وسياسات الامة بتدبير امورهم والنظر في عواقبهم ومعاناة الاهل من العناية
او العنا بهم ومعناه الاشتغال بهم وملاحظة الاعدا بعضهم وهم والحذر منهم والتجسس على اخبارهم
ثم استدرك فقال لكن ليس نسيانه صلى الله عليه وسلم وسهوه على سبيل التكرار بكثرة
وقوعه منه والاتصال باستمرار ذلك لان مثله غير محمود عند الطباع السليمة بل
وقوعه منه على سبيل الندور وقلة الوقوع والنادر لا حكم له وقلما يخلو منه احد
كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى وتقدم
طرف من الكلام على هذا الحديث وان الغين بالمعجمة غيم رقيق وان المراد به ما يعرض له
من الخواطر التي تشغله عما يهمه من امر الاخرة وهو عبادة ايضا لانه يفكر في امور امته
وتدبير احوالهم وانما استغفر منه لانه مشغله عن الاهم عنده فهو بالنسبة لتعظيم مقامه
كانه ذنب لانه اشتغال بالعالي عن الاعلى فهو حاله كال لا نقص وليس في هذا السهو
النادر منه صلى الله عليه وسلم شي يحط اي ينزل قدره العلي من رتبته وعظمة مقامه
ونبوته فضل معجزته الدالة على صدقه وذهبت طايفة من العلما اي جعلوا هذا مذهبا
ومعتقدا لهم وليس هذا من الذهاب بمعنى الرجوع وان كان اصل معناه المنقول منه
الى منع هذه من السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم
جملة اي كلها لا يستثنى منها شي اصلا وهو مذهب جماعة المتصوفة اي اهل
التصوف واصحاب علم القلوب هو عطف تفسير له وهم الذين صفوا قلوبهم ۵
بالمجاهدة لا متكلفوا طريقة التصوف لان هذه الصيغة قد يراد بها المبالغة ۵
كالموحد في صفات الله تعالى والمقامات اي المراتب التي يعرفها مشايخهم ۵
ويتعاطون بها في سيرهما الى الله وتقدم الكلام عليهم مبسوطا ولهم اي
للعلما في هذه الاحاديث المروية في السهو والنسيان مذاهب اي اقوال ومعتقد لها
نذكرها بعد ان شا الله ۞

فصل في الكلام

على الاحاديث المذكور فيها السهو الواقع منه صلى الله عليه وسلم في
افعاله وقد قدمنا في الفصول السابقة قبل هذا الفصل ما يجوز عليه
فيه السهو وما يمتنع واحلناه اي جعلناه محالا فيما طريقه البلاغ في الاخبار
وما هو من قبيل الاقوال جملة من غير استثنا شي منها وفي الاقوال الدينية
اي التي ذكر فيها الاحكام الشرعية قطعا من غير تردد واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه متصلا قبل هذا من انه غير مناقض للمعجزة
وعدم قدحه في النبوة مع ندرته وما يترتب عليه من افادة علم وتقرير حكم ۵
واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه في هذا الفصل والصحيح
من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة احاديث
فمنها وهو اولها حديث ذي اليدين والسلام قطعا الصلاة من اثنتين
اي ركعتين من الظهر او العصر وما قاله ذو اليدين هو المقدم كما تقدم وقال
المص في الاكمال احاديث السهو كثيرة الصحيح منها ستة الخ وقد قدمنا الكلام

د لج

عليه الصلاة والسلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على حديث ذي اليدين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين بحينة بباء موحدة مضمومة وحاء مهملة وبعدها مثناة تحتية ونون بصيغة التصغير وهو عبد الله بن بحينة وبحينة امه وهي بحينة زوجة مالك والد عبد الله الازدي وعبد الله هذا حليف بني المطلب اسلم هو وابوه ولهما صحبة وانكر الحافظ الدمياطي صحبة مالك والد عبد الله وان يكون له رواية والاسلام واغا ذلك لعبد الله وفي تجريد الذهبي مالك ابن بحينة ابو عبد الله روى عنه حديث وصوابه عبد الله الازدي وامه بحينة قرشية وبحينة ام عبد الله زوج مالك لا ام مالك وفي اطراف المزي من مسند مالك بن بحينة حديث ايصلي الصبح اربعا وحديث السهو في الصلاة في مسند مالك ابن بحينة وفي الاستيعاب مالك بن بحينة الصحابي له في السهو وروى عنه ابن حبان وقال النسائي هذا خطا صوابه عبد الله بن مالك الثالث حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان عنه مسندا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له ازيد في الصلاة فقال وما ذاك قال صليت خمسا فسجد بعد ما سلم وليس قوله بعد ما سلم في رواية البخاري واخرج مسلم من حديث الاعمش ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم زاد او نقص الشك مني فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شيء قال لا قال صليت كذا وكذا فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم واقبل علينا بوجهه فقال انه لو حدث في الصلاة شيء انبأتكم به ولكن انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم فليتحر الصواب وليتم ثم ليسجد سجدتين وفي الحديث دليل على تداخل سجود السهو واما كونه بعد السلام او قبله فقد وقع فيه اختلاف بين الفقهاء كما اختلفت الرواية فيه وقيل سجود النقص قبل السلام وسجود الزيادة بعده وهو معنى ما قيل القاف بالقاف والدال بالدال وهذه الاحاديث التي ذكرها المص مبنية على السهو في الفعل اي ان ما طرافيها وقع في فعله لا في قوله الذي قررناه فيما مر قريبا وحكمة الله فيه اي اوجده الله فيه لحكمة ولو شاء صانه عنه وهي انه انما اوجده ليسن اي ليبين للامة حكمه شرعا به اي بسبب فعله فالسنة هنا بمعنى الطريقة ثم اشار الى جواب سؤال تقديره ان هذه الحكمة تحصل ببيانه بالقول بان يقول من سهى في صلاته فليفعل كذا من غير وقوع سهو في فعله فقال اذ البلاغ بالفعل اجلى بالجيم افعل تفضيل اي اظهر منه بالقول واظهريته لمشاهدة فعله وكيفيته في زمن قليل ولو قرره بكلامه احتاج لتفصيل ولا وجه لما قيل ان فيه خللا في صلاته بزيادة او نقص بخلاف وجوده بالقول اذا عصمه الله عنه فالحكمة انما هي لبيان ان هذا السهو انما هو من صفات البشر فاذا وقع من مثله فغيره اقبل له كما قال لا يضل ربي ولا ينسى وكقولهم سبحان من لا ينسى ولا يغفل وهذا مما استأثر به الله وارفع للاحتمال لانه لو قال من سهى فليسجد سجدتين

في آخ

ابن اقترس

في آخر صلاته احتمل ان يكون اراد من سها في امر من امور سواء كان سهوا في نفس الصلاة او في غيرها وشرطه اي شرط جواز السهو على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في افعالهم البلاغية ان لا يقر بالبنا للمفعول على هذا السهو اي لا يجعله الله قارا عليه من غير اعلامه بما صدر منه من زيادة او نقص بل يشعر به مجهول اي يعلمه الله به بواسطة الملك له ليرتفع الالتباس الحاصل لمن يراه هل هو سهو او نسخ لما كان وتظهر فائدة الحكمة فيه ببيان ما يلزم من سهى كما قدمناه قريبا فان السهو والنسيان في الفعل في حقه اي بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم اذا صدر وتحقق منه غير مضاد اي ليس ضدا منافيا للمعجزة المثبتة لنبوته واما السهو في القول البلاغي فينافيها لانها في قوة قول الله انه صادق في كل ما يخبركم به عن ربه فينافيها اخباره بما يخالف الواقع ودلالة المعجزة على صدقه في مقاله دون افعاله وفي اثبات ذلك كلام في علم الكلام وشبه لمنكري النبوات اجيب عنها بما لا يسعه هذا المقام ولا قادح في التصديق اي تصديق من آمن به صلى الله عليه وسلم من امته والاول بالنظر للنبي صلى الله عليه وسلم نفسه وهذا بالنظر لمن بلغه النبوة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم بيانه انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني اي نبهوني على سهوي او نسياني وقد تقدم بيانه مفصلا فتذكره وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها رحم الله فلانا هو كناية عن علم لم يرد التصريح به وهذا الرجل هو عباد بن بشر الصحابي وقيل هو عبد الله بن يزيد الانصاري قالت عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت قارئ يقرأ فقال من هذا قالوا عبد الله بن يزيد فقال رحمه الله لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن اي تركت تلاوتهن سهوا مني ويروى انسيتهن وهذا تفسير للرواية الاولى ولذا ذكرها المص ولم يعين احد الآية التي نسيها ولا عددها ولا سورتها لان كذا وكذا فيه خلاف للفقهاء في باب الاقرار فيما لو قال له علي كذا وكذا درهما معطوفا فقيل يلزمه احد وعشرون وقيل درهمان وليس هذا محله وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه في الموطأ كما تقدم اني لانسى بزنة انفي محقق معلوم او انسى بالتشديد وبناء المجهول اي ينسيني الله لاسن وتقدم بيانه قيل هذا اللفظ المذكور هنا معطوفا باو الفاصلة شك من الراوي لا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير الشك من معاني او غير مراد هنا وقد روي الحديث اني لانسى بلا النافية بعد لام التاكيد ولكن انسى بصيغة المجهول المشدد لاسن فقيل نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم فيما كان بسبب منه ونسبته الى الله فيما لا دخل له فيه وهذا لا ينافي كون النسيان غفلة لا فعلا من افعاله كما توهم وذهب ابن نافع بنون وفاء بعدها الف وعين مهملة وهو عبد الله بن الصائغ المالكي وليس هو قانع بقاف ونون وهو تحريف من الناسخ ظنه بعضهم رواية وهو مع اشهب يقال لهما العزيزان كما يقال لمطرف وابن الماجشون الاخوان كما قاله ابن مرزوق وعيسى بن دينار الغفيه الزاهد العابد الطليطلي الذي تفقه به اهل

ابن اقترس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاندلس واخذ الفقه عن ابن القاسم وتوفي بطليطلة سنة اثني عشرة ومائتين الى
انه ليس شكا من الراوي وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله ليس معناه
انه حسب الظاهر منسوب له وفي الحقيقة فعل الله بل المراد انه قد يكون بسبب
تعاطاه او بدونه لحكمة ارادها الله كما تقدم وقال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل
وجهين كما تقدم يحتمل لفظ الحديث ما قاله اي ابن نافع وابن دينار والاحتمال الاخر
وهو ان يريد اني انسى في اليقظة بفتحتين وتسكينه لحن في غير الضرورة كما مر
ضد النوم وهذا معنى النسيان المنسوب اليه بصيغة المضارع المخفف المبني
للمعلوم وانسى بصيغة المجهول المشدد في النوم الذي هو حالة تمنع الحس
والفعل الاختياري فاطلق على عدم الادراك في النوم نسيانا لاشتراكهما في عدم
الادراك ولا يخفى بعده وركاكته واما كونه صلى الله عليه وسلم اذا نام
لا ينام قلبه وان نومه ويقظته سوا فلا يابا ه كما توهمه بعضهم او المراد
بقوله انسى بالمعلوم ما هو على سبيل عادة البشر المجبول عليها طبعا بعم من
الذهول عن الشيء اذا غفل عنه والسهو عما هو بصدده لعروض ما يشغل
باله عنه وانسى بالمجهول المشدد معناه ذهوله عنه مع اقباله عليه
بمشاهدته او تلبسه به وتفرغه له باعراضه عن غيره لكن تنسيه الله ما هو فيه
بتجليه له الشاغل عما سواه بمحض منحه وفضله بقوله فاضاف احد النسيانين
بقوله انسى بالمعلوم الى نفسه لان تقديره انسى انا اذ كان له بعض التسبب فيه
بمباشرة ما هو كالسبب المفضي اليه ونفى الاخر عن نفسه اذ لم يسنده له اذا
هو فيه اي في حال التلبس به كالمضطر الملجأ الى الفعل ما ولما كانت التنسية نسيانا
جعلهما نسيانين وقيل انه تغليب ولا حاجة له مع وجود المعنى الحقيقي ٥
وذهبت طائفة من اصحاب المعاني الذين تقيدوا ببيان معاني الحديث وشرحه
كالبغوي والخطابي فقوله والكلام على الحديث عطف تفسير لما قبله الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى بنا على الفرق بين السهو
والنسيان فان منهم من قال انهما بمعنى ومنهم من فرق بينهما كما قاله
الحافظ العلائي كما مر وقال السهو جائز في الصلاة على الانبياء عليهم الصلاة
والسلام بخلاف النسيان لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال
فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها فكان يشغله عن حركات
الصلاة ما في الصلاة وياتي بيانه قال وهو ضعيف من جهة المعنى واللغة
فالاول ما ثبت في الصحيحين من قوله انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون والثاني
لتسوية ائمة اللغة بينهما اذ فسروهما بالغفلة وذهاب القلب عنهما
كما في التهذيب والصحاح والمحكم وقال الراغب السهو خطا عن غفلة
وهو على ضربين ما لا يكون الانسان فيه مكتسبا للتقصير اذ لم يتعاط ما يولده
والثاني ما يتعاطى ما يولده كما للسكر وفعل منكرا بلا قصد وهذا هو
المذموم وفي النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه
مع العلم وهو فرق حسن يرجع لما قاله الراغب وبه يظهر الفرق بين السهو

في الصلاة الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو عنه الذي ذم بقوله الذين
هم عن صلاتهم ساهون انتهى وقد تبعه بعض الشراح وانا اقول اما الفرق بينهما فلا
شبهة فيه فان السهو غفلة يسيرة عما هو في القوة الحافظة يتنبه له بادني تنبيه ٥
والنسيان زواله عنها بالكلية ولذا عد الاطباء من الامراض دونه الا انهم يستعملونهما
بمعنى تسامحا منهم واهل اللغة لا يدققون النظر في التعاريف اللفظية والآية
لان النسيان كما تقدم ذهول اي عدم علم وادراك وغفلة اي ان يذهب عن فكره
وادراكه بالكلية وآفة اي مرض يصيب القوى المدركة بنقص فيها وفي مناهجها
قال الفارق بينهما وانه يسهو ولا ينسى وفي نسخة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم
منزه عنها لانها نقص بخلقة الله والانبيا منزهون عنه والسهو شغل بامر يمنعه
عن ملاحظة ما هو فاعله وهو غير مذموم بل قد يمدح كاشتغال المصلي بتجليات
ربانية فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا ينساها ويذهل عنها لا
لاشتغاله بغيرها من امور الدنيا وانما يشغله عن حركات الصلاة لا عنها ما في الصلاة
بتمامه وقرة عينه شغلا بها اي بسبب ما فيها من تجليات نورانية لا غفلة عنها
بالكلية ولذا الحق حركات اولا واحتج من منع النسيان عليه صلى الله عليه وسلم
بقوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الاخرى لهذا الحديث اني لا انسى ولكن انسى
لنفي النسيان عنه وقد يجيء ومن سوى بينهما يقول انما نفى النسيان ايماء الى ان
الفاعل الحقيقي هو الله والمراد لا انسى كما تنسون كما تقدمت الاشارة اليه ٥
وذهبت طائفة هم مشايخ الصوفية اصحاب المقامات العلية كما صرح به في اخر
الفصل الذي قبل هذا الى منع هذا كله اي السهو والنسيان عنه اي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لتنزهه عنه وقالوا ان سهوه صلى الله عليه وسلم كان منه وقع منه
عمدا وقصدا لا غفلة وسهوا ونسيانا وانما قصده ليسن كما تقدم وهذا القول
بانه عن قصد دون غفلة قول مرغوب عنه لا فيه لانه مناقض للمقاصد لانه لو
فعل في صلاته ما فعل عمدا بطلت وفسدت صلاته فكيف يسن ما لا يجوز وقيل
لمناقضة السهو العمد واستحالة كونه عمدا لا حلا منه بطائل اي ليس فيه فائدة
وكبيرا مر حسن يرتكب مورد التحالفة المتناقضة له ولا بفتح المثناة التحتية
وسكون الحا المهملة ولام مفتوحة والف ومعول البرهان انه بضم اوله وبالحا
المهملة ثانيه وهم منه لانه في كتب اللغة كالاساس وافعال السرقسطي وغيره
انه يقال ما حليت وما حلوت منه بطائل اي ظفرت ففعله ثلاثي ورد ماضيه كعلم
وضرب وكذا هو في شروح التسهيل في الخطبة والطائل بمعنى الفائدة تقال
هذا لا طائل تحته اي لا فائدة يعتد بها وهذا الفعل اعني حلا قيل انه يختص
بالنفي وهو المشهور وصرح ابن السيد بخلافه ثم بين تناقضه بقوله لانه
كيف يكون صلى الله عليه وسلم متعمدا ساهيا في حال واحدة لان بينهما
من التضاد ما يمنع اجتماعهما ولا حجة لهم في قولهم انه صلى الله عليه وسلم
امر اي امره الله بتعمد صورة النسيان وليس بناسي ليسن لهم ما يترتب عليه
لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم قريبا اني لا انسى

او انسى لاسن فنقد وفي نسخة وقد بالواو والحالية اثبت في هذا الحديث له صلى الله عليه
وسلم احد الوصفين يعني النسيان والسهو الذي نفاها هولا القايلون بما ذكر وقيل المراد
بالوصفين النسيان من قبل نفسه او من قبل ربه ونفى مناقضة باضافته للضمير المتعلق
والفقد مفعول نفي وتعنيه يفهم من اثبات ضده الذي لا يجتمع معه وقال انما انا
بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ويجوز ان يكون النفي يفهم من الحصر
بانما قيل ما ذكره المص من ابطال هذا القول في غاية الظهور وانه لا يتخيله الا معذور
وكيف يتعمد ما صورته تخل بعبادته مع امكان البيان بالقول انتهى اقول هو كما قال
لكن ما تقدم عن السادة الصوفية يمكن توجيهه وقد مال الى هذا اي القول
بانه صلى الله عليه وسلم امر بتعمد النسيان عظيم اي كبير فان العظيم يكون بمعنى
الزيادة في القدر والكم كالكثير والمراد الاول من ايمتنا اي الاشعرية لا الفقها المالكية
كما قيل فان هذا العظيم الذي ذكره هو ابو المظفر الاسفرايني شافعي كذا في الشرح
الجديد بناء على ان ابا المظفر هو ابو اسحاق ابراهيم وان المص كناه بغير كنيته
المشهورة والذي يظهر ان الاول هو الصواب وهذه مجاز فة من قايلها ولم يرتضه
غيره منهم اي لم يقبل هذا القول احد غيره اي المظفر لانه كيف يؤمر بتعمد ما يبطل
الصلاة من غير ضرورة ولا ارتضيه لانه بعيد عن الصواب بمراحل ولا حجة لهاتين
الطايفتين القايلين بانه صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى وبان سهوه عمد
وقصد في قوله في الحديث اني لا انسى بالنفي في احدى الروايتين كما تقدم
تفصيله ولكن انسى بالتشديد كما بيناه اذ ليس فيه اي في الحديث على هذه
الرواية نفي حكم النسيان بالجملة اي جميعه بان لا يصدر منه صلى الله عليه وسلم
نسيان اصلا وانه اراد بحكمه معناه بقرينة قوله وانما فيه نفي لفظه باطلاق
اسناده له ومما قيل المراد النسيان الذي هو حكم بمعنى مدلول لفظه والاضافة
بيانية تعسف وكراهة لفظه هو بمعنى اسمه ولفظه المستعمل فيه وليس
المراد به احد اقسام العلم وهذا على مصطلح الاصوليين كقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث مشهور بيس ما لاحدكم وبيس من افعال الذم فاعله
ضمير مستتر مفسر ما وقوله ان يقول نسيت اية كذا هو المخصوص بالذم
ونسيت مخفف مسند لضمير المتكلم ولكنه نسي مجهول مشدد ورواه مسلم نسي
مخففا مع ضم النون وكذا روي من طرق فقد روي بتشديد السين وتخفيفها
مع البنا للمفعول فيهما فعلى التثقيل انه تعالى خلق فيه النسيان وعلى
التخفيف معناه ان ناسي القران نسيه الله اي تركه لا يلتفت له كقوله وكذلك
اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فاشار الى انه لا ينبغي ان ينسب
فعلا لنفسه وينسبه لخالقه تادبا وان جاز لانه كسبه فالذم لهذا فهو
عام في كل فعل او هو لما فيه من عدم الاعتنا بالقران لان نسيانه لتركه
تعهد تلاوته فهو مخصوص بالقران واختاره القرطبي وقيل النسيان المذموم
هنا بمعنى الترك وقيل فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم اي لا يقل
احد عني اني نسيت اية فان الله هو الذي انساني ما نسخه وليس بصنيعي

دفار

وقال الخطابي انه مخصوص بعصر النبوة فانهم انما ينسيهم الله ما قدر نسخه او نفي مصدر
معطوف على نفي لفظه اي انما فيه نفي الغفلة وقلة الاهتمام بجره معطوف على الغفلة
بامر الصلاة فاريد به نفي لازمه عن قلبه متعلق بنفي فلا انسى بمعنى لا يغفل قلبي
عن عبادة ربي وتوجهي اليه لكن شغل بها اي بالصلاة وما فيها من التجليات عنها
اي عن بعض اعمالها وعدد ركعاتها ونسي بعضها من اركانها الظاهرة ببعض ما
مما يشاهده فيها وتدبر ما يتلوه فيها ومما قيل ان هذه مرتبة لا تليق بارباب
التمكين الذين لا تعوقهم امورهم الباطنة عن ادب الظاهر كان عليه ان يتادب بتركه
ومثله من زخرف الاصطلاحات لا يجري في مقامات النبوة كما ترك صلى الله عليه
وسلم الصلاة الثابت في حديث الصحيحين يوم الخندق حتى خرج وقتها اي وقت
الصلاة المعين لها في كتب الفقه وهذا نظير لما هو فيه لا مثال له كما بينه بقوله
كما يا بي فشغل بطاعة عن طاعة وهذه تسمى غزوة الخندق وغزوة الاحزاب
لانه صنع فيها خندق براي سلمان الفارسي وتجمع فيها طوايف كثيرة كما هو مشهور
في السير والخندق معرب كنده بمعنى حفر وكانت سنة اربع وقيل سنة خمس على ما بينوه
واختلفوا في سببه الاختلاف فيه على اقوال منها انهم لما ارخوا من الهجرة وجعلوا
راس السنة المحرم الذي بعده فتفاوت ذلك بسنة وشغل بالتحرز من العدو عنها
اي عن الصلاة التي دخل وقتها حتى خرج لانه يخشى من هجوم العدو عليهم وهم في
الصلاة غير مستعدين للحرب ولم تكن صلاة الخوف شرعت لهم حينيذ فشغل بطاعة
وهي حفظ المدينة وارواح المومنين من بغتة العدو عن طاعة وهي ادا الصلاة
في الوقت وتلك اهم باعتبار حقوق العباد اذ لو فاتت لم يمكن تداركها بخلاف
هذه وهذا نظير لشغل عبادة عن عبادة وان لم يكن منها الا التسهيل والملهي عنه
اشتغاله عن العبادة حتى ينساها فلا يرد عليه انه يلزمه وقوع سهوه في افعال
العباد وهذه واقعة حال قدم فيها الاهم ولم يكن ناسيا وانما بدا ايه المفسدة
الذي هو اهم من جلب المصلحة وكان هذا عذرا في تاخير الصلاة قبل مشروعية
صلاة الخوف على انه قيل انه سهو ايضا فعلى هذا لا يتجه عليه شي وقيل القايل
له ابن مسعود كما رواه الترمذي والنسايي ان الذي تركه بالبنا للفاعل او للمفعول
اي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اربع صلوات خبران
الظهر والعصر والمغرب والعشا بدل منه ومما قيل من انه يجوز نصب اربع لتركه
على مذهب سيبويه لا وجه له هنا والصحيح ما في الصحيحين من انها صلاة
العصر وفي الموطا انه فاتته صلاتا الظهر والعصر وقال النووي يجمع بين
الروايات بان الخندق كانت في ايام وتعدد تركه للصلاة فيها وقيل ان تاخيرها
كان نسيانا واستدل بما رواه احمد انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب يوم
الاحزاب فلما سلم قال هل علم رجل منكم اني صليت العصر قالوا لا فصلاها
ثم صلى المغرب لانه ضعف روايته وهذا كان قبل نزول صلاة الخوف كما
مر والحديث مروي عن علي رضي الله عنه لما كان يوم الاحزاب قال صلى
الله عليه وسلم ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا كما حبسونا وشغلونا عن

شبكة الألوكة www.alukah.net

الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وبه استدل على ان الصلاة الوسطى صلاة العصر وفيه
اختلاف وقد افرد ذلك الحافظ بتاليف نفيس اوصل الاقوال فيه الى نحو عشرين وبه
اي بتركه صلى الله عليه وسلم هذه الصلوات احتج من ذهب الى جواز تاخير
الصلاة في الخوف اذا لم نتمكن من ادائها في وقتها الى وقت الامن من خوف العدو
وهو مذهب الشاميين اي بعض علما الشام وفقهائها المجتهدين
والمحدثين منهم الذين يرون ان صلاة الخوف كانت مشروعة قبل ذلك والصحيح
ان حكم صلاة الخوف اي فرضيتها كان بعد هذا اي بعد غزوة الخندق فهو
ناسخ له اي لجواز تاخير الصلاة عند الخوف وهو مذهب ابي حنيفة والجمهور
وصلاة الخوف على طرقها التي ذكرها الفقهاء مختلف فيها هل كانت مخصوصة
بعصره صلى الله عليه وسلم او بتحقق في حياته فلا تجوز الان او حكمها باق الى
الان وهل تختص بالجماعة ام لا والكلام عليه وعلى ادلته مفصل في كتاب
الاثار وشرحه للعيني وليس مما يهمنا تفصيله هنا وانما استطرد لما يناسب
ما هو فيه من تاخير الصلاة عن وقتها لعذر شرعي واورد عليه سؤالا فقال
فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن صلاته حتى خرج وقتها
كما اشار اليه بقوله عن الصلاة يوم الوادي كما رواه البخاري وغيره والصلاة
هي صلاة الصبح والوادي بطريق مكة وقيل ببطن تبوك وكان صلى الله عليه
وسلم عرس فيه ووكل بلالا بان يقوم عنده ليوقظه اذا طلع الفجر فاسند
ظهره لراحلته فغلبه النوم ولم يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى طلعت الشمس وكان اول من استيقظ ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فكبر
حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ البخاري عن ابي قتادة
قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم
لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال
انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فاستيقظ
النبي صلى الله عليه وسلم وقد طلع حاجب الشمس فقال يا بلال اين ما قلت
قال ما القيت على نومة مثلها قط فقال ان الله قبض ارواحكم حين شاء
وردها حين شاء يا بلال قم فاذن الناس بالصلاة فتوضا فلما ارتفعت الشمس
وابياضت قام فصلى ومثله في مسلم وتقدم ايضا لفظ البخاري في رواية
عمران بن حصين واستشكل الحديث بانه كيف يتاتى هذا والنبي صلى الله عليه
وسلم قد قال في حديث اخر ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فكيف نام عن
هذه الصلاة حتى قضاها وهذا الحديث في الصحيحين بطوله وفيه ان
عائشة رضي الله عنها قالت اتنام يا رسول الله قبل ان توتر فقال تنام عيني
ولا ينام قلبي وكذا سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ورد ايضا ولذا
ذهب كثير من ايمة الشافعية الى ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض
وضوءه وسيأتي الكلام فيه وقيل انه من خصائصه ونقل عن النووي واجاب
عن تعارضهما بقوله فاعلم ان للعلماء عن ذلك التعارض اجوبة منها ان المراد

بان

بان هذا اي تيقظ قلبه في نومه حكم قلبه اي حاله وصفته عند نومه وغيبته
عن الادراك في الجملة في غالب الاوقات اي في اكثر اوقات نومه وغيبته بغين معجمة
ضد الحضور قال البرهان ظهوره ليلا يتصحف بعينيه تثنية عين
باصرة ورد بانه معنى صحيح لا تحريف فيه فانه حينئذ معطوف على قلبه اي هذا حكم
قلبه وحكم عينيه غالبا وهو صحيح وقد يندر اي يقل والندرة اخص من القلة
لانها القلة المفرطة جدا منه غير ذلك بان ينام عينه وقلبه كنوم سائر الناس
كما يندر من غيره اي يقل من غير النبي صلى الله عليه وسلم خلاف عادته يحتمل ان يريد
خلافه لما يعتاده من اموره مطلقا ويحتمل خلاف عادته في نومه بيقظة قلبه
كالانبيا لكنه لا حكم له لندرته وعدم انضباطه ويصحح هذا التاويل اي جعله
متعينا بغالب امره وما اعتاده قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور اولا
في قصة الوادي لا حديث ان عيني تنامان كما توهم كما تقدم في الحديث اذ تعليله
نفسه اكده لئلا يتوهم ارادة جنس الحديث ان الله قبض ارواحنا قبض الارواح
عبارة عن غيبوبتها عن الحس لان الروح تفارق البدن كما في الموت ولذا كان النوم اخا
الموت وقول بلال فيه اي في الحديث المذكور كما مر من انه صلى الله عليه وسلم
امره ان يوقظه فغلبه نومه ولم يوقظه فلما قال له اين ما قلت يا بلال قال
ما القي على نومة مثلها قط اي لم ينم نوما ثقيلا مثل نومته هذه فهذا كله
يدل على انه استغرق في نومه على خلاف معتاده لان قبض الروح يدل على عدم
يقظة القلب وما وقع لبلال ايضا مخالف لمعتاده والشاهد فيما قبله او فيه ايضا
فتامله والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان لنومه حالتان والاغلب الاول
ثم بين وجه حالة المخالف لعادته بقوله ولكن مثل هذا المخالف لمعتاده انما
يكون منه اي يقع له بايجاد الله وخلقه لامر يريده الله مما يرضاه ويقدره من
اثبات حكم شرعي يبينه لمن طرا عليه وهو قضاء الصلاة ووجوبه فورا او بدونه
وتاسيس سنة اي طريقة من طرق الشرع يقتدى بها ويستمر سلوكها واظهار
شرع وفي بعض النسخ شرح وهو تصحيف كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الاخر الوارد في النوم عن الصلاة لو شاء الله عز وجل لايقظنا من منامنا قبل
خروج الوقت ولكن اراد الله بعدم ايقاظنا ان يكون بنا التاسي والمنهج للسنة
المفهومة من السياق اي تكون سنة لمن بعدكم من هذه الامة يقتدون بها
فيقضون ما فاتهم من الصلاة وهذه حكمة ان الله قوى النوم عليه صلى الله
عليه وسلم ونام قلبه على خلاف عادته لتظهر هذه السنة البديعة الثاني من
الاجوبة عن هذا السؤال ان معنى قوله لا ينام قلبي ان قلبه صلى الله عليه
وسلم لا يستغرقه النوم اي لا يستولي عليه ولا يغطيه عن الادراك بحيث
يغيب بالكلية عن احساسه كالغريق والاستغراق في كل شيء بلوغ نهايته
حتى يكون منه اي من صاحب القلب الحديث فيه المصير للنوم اي يقع منه لشدة
نومه حدث لا يشعر به من خروج شيء من احد السبيلين بنفسه وصوته
لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا اي محفوظا في نومه من ان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يصدر عنه مثله وانه صلى الله عليه وسلم كان ينام حتى ينفخ اذ النفخ بخا معجمة خروج
النفس بشدة لها صوت يسمع وحتى يسمع غطيطه بالبنا للمجهول والغطيط بغين معجمة
كالخطيط بخا معجمة ترديد النايم صوتا من النايم نفسه وهو معروف ثم يصلي ولا يتوضا
اي يقوم من شدة نومه الذي يسمع له فيه خطيط وغطيط ولا يجدد وضوء فهذا دليل
على انه صلى الله عليه وسلم محروس في نومه عن الحدث الناقض للوضوء اقامة للطفة
فيه مقام المنة ولولا ذلك لزمه الوضوء منه كغيره من الناس فعدم نوم قلبه
عبارة عن عدم استغراقه في نومه حتى لا يشعر بالحدث فليس يقظة حقيقية
كما في الجواب الاول فلا ينافي انه لا يشعر بخروج الوقت لافراط نومه وحديث
ابن عباس المروي في الصحيحين المذكور فيه وضوءه صلى الله عليه وسلم عند
قيامه من النوم لبلا مروي فيه نومه مع اهله اي احدى زوجاته وهي
في هذا الحديث ام المؤمنين ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس رضي الله عنهم
والاهل اصل معناه الاقارب والاتباع ثم اطلق على الزوجة اطلاقا صار
به حقيقة عرفية فلا يمكن الاحتجاج به اي بحديث ابن عباس المذكور على
وضوءه لمجرد النوم اي بسبب النوم وحده لكونه مع اهله اذ لعل ذلك الوضوء
لنقض وضوءه الاول لملامسة الاهل اي مسها من غير حايل او لحدث اخر مما هو
عند الشافعي من نواقض الوضوء فكيف يظن ان حديث ابن عباس هذا يناقض ما
تقدم من ان وضوءه لا ينقض لمجرد نومه ليقظة قلبه وفي اخر هذا الحديث
نفسه الذي رواه ابن عباس ثم نام حتى سمعت غطيطه تقدم بيانه وانه يقال
خطيطه بمعناه ثم اقيمت الصلاة وصلى ولم يتوضا وهو صريح في عدم نقض
النوم للوضوء وحده وقيل ولا حاجة لهذا ايضا فان في هذا الحديث انه قام من
نومه لقضا حاجته فوضوءه لانتقاضه بقضا الحاجة لا لمجرد النوم فالسؤال
ساقط من وجوه عدة وقيل في الجواب ايضا ان معناه لا ينام قلبه من اجل
ان يوحى اليه في النوم فانه وساير الانبيا عليه وعليهم الصلاة والسلام رؤياهم
وحي بلا شبهة فمعنى قوله لا ينام قلبي انه لا ينقطع عنه بنومه الوحي وامر
النبوة وهذا لا ينافي استغراقه في نومه وخروجه عن هذا العالم ثم اشار لجواب
اخر فقال وليس في قصة الوادي ونومه فيه عن صلاته الا نوم عينيه بانطباق
جفنيه عن رؤية الشمس وذلك انما يدرك بحاسة البصر وهي نايمة محجوبة عن
الحس الظاهر وليس هذا اي رؤية الشمس من فعل القلب لانه انما يدرك المعقولات
دون المحسوسات فلا منافاة بينهما كما مر ولا حاجة الى ان يقال لعله صلى
الله عليه وسلم كان تحت خيمة تمنعه الرؤية وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله قبض ارواحنا في منامها كما تقدم ولو شاء لردها الينا بايقاظنا من نومنا
الذي كان قبل في حين غير هذا اي في وقت لم يوح اليه فيه شيء ولم يرد رؤياه
التي هي وحي وقوله في حين الخ متعلق بقال لا بمعمول القول كما توهم وقد
تقدم ان الروح تقبض في المنام والممات لكنها ترد في الاول كما قال تعالى
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى قال علي كرم الله

اول الاية
الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فيمسك اه

وجهه

وجهه فما رانه نفس النايم وهي في السما هي الرؤية الصادقة دون غيرها وفي الحديث
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اينام اهل الجنة فقال لا النوم اخو الموت
فان قيل فلولا انه كان عادته استغراق النوم باستيلايه على حواسه وقلبه كغيره
لما قال لبلال كما ذكرناه في الحديث الذي في نومه بالوادي اكلا لنا بهمزة وصل في اوله
وهمزة ساكنة في اخره امر من الكلاة وهي المراقبة والحفظ لنا ان النايمين منهم الصبح
اي وقت طلوعه لتوقظنا للصلاة فلا تفوتنا كما سمعته قبل هذا فهذا ينافي ما قاله
من انه لا يستغرق في نومه لحد لا يشعر بما يحدث منه فيه من نواقض الوضوء فقيل في
الجواب عن هذا السؤال انه كان من شانه اي عادته صلى الله عليه وسلم التغليس
بالصبح اي التبكير به فيصليه بغلس وهو ظلمة تخالطها اول ضوء الفجر في اخر الليل
ومراعاة اول الفجر اي مراقبته للنظر له في اوله قبل انتشار الضوء بقرب الشمس
من الافق الذي لا تصح ولا تتبين ممن نامت عيناه سوا استغرق ام لا ولو كان
قلبه لا ينام اذ هو امر ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة ولا دخل للقلب والحواس
الباطنة فيه فوكل صلى الله عليه وسلم بلالا رضي الله عنه اي امره بان لا ينام
ويتقيد بمراعاة اوله اي مراقبته والنظر اليه ليعلمه بذلك اي بطلوع الفجر
كما لو شغل بشغل غير النوم في يقظته عن مراعاته اي مراعاة الفجر وقد
قيل ان هذا كله مبني على انه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام نوم غيبة اصلا
وهذا مما لا ينبغي وفي هذا المقام اجوبة كثيرة عن تعارض الحديثين في شروح
الصحيحين تركناها خوف الاطالة المورثة للملالة فان قيل فما معنى نهيه
صلى الله عليه وسلم عن قول نسيت في حديث لا يقولن احدكم نسيت اية كذا
وتقدم هذا الحديث بتمامه والكلام في معناه وقد قال صلى الله عليه وسلم
وهي جملة حالية مبينة للسؤال في تعارض نهيه عن قول نسيت مع قوله
اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال في حديث اخر قد تقدم
وفيه رحم الله فلانا لقد اذكرني اية كنت انسيتها بضم الهمزة مبني للمجهول من
الافعال اي انسانيها الله وتقدم الكلام على هذا الحديث مفصلا فاعلم اكرمك
الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ الواردة في النهي عن ذلك وغيره اما نهيه
عن ان يقال نسيت اية كذا فليس على ظاهره اذ هو كلام صادق لا مانع منه شرعا
فهو محمول على ما نسخ حفظه اي لفظه وتلاوته من القران وفي نسخة نقله
بنون وقاف بدل حفظه والمعنى واحد وعلى هذا فمعنى قوله لا يقل احدكم
نسيت تقديره انسيت والمسند اليه ضميره صلى الله عليه وسلم اي اذا
سمعتموني تركت في القراءة شيئا لا تقولوا ان النبي نسي اية كذا اي ان الغفلة
في هذا لم تكن اي توجد وكانت ناشية منه صلى الله عليه وسلم ولم يقع
ذلك اختيارا ولكن الله اضطره اليها اي الله عز وجل الجاه للغفلة ليمحو
ما يشا اي بنسخ ما اراد نسخه فينسيه له ويثبت ما لم يرد نسخه فلا ينسيه
وعلى هذا هو مخصوص بالرسول صلى الله عليه وسلم وبعضا بان نسخها
الله باذهابها الا بكل ما نسيه ولذا قال وما كان تركه من سهو او غفلة من قبله

عرضي

بكسر القاف وفتح البا الموحدة ولا مراي من جانب نفسه صلى الله عليه وسلم بمقتضى الجبلة
البشرية من غير الجا من الله له فذكرها صيغة غفلة اي خطرت بباله بعد نسيانها صلح اي
جاز ان يقال فيه انسي بضم الهمزة مجهول مخفف فانما يمتنع نسبة النسيان له فيما اذا
كان من القسم الاول فليس النهي على اطلاقه حتى يعارض الحديث الآخر وهذا النهي
خاص بزمنه صلى الله عليه وسلم حيث كان يقع النسخ فلو قيل فيه ذلك ربما يتوهم انه
اهمل من القران شيا حتى ضاع وصلح بفتح اللام وضمها والاول افصح وقيل في الجواب
عما تعارض هنا ان هذا يعني نهيه صلى الله عليه وسلم عن ان يقول نسيت منه صلى
الله عليه وسلم على طريق الاستحباب اي تعليما وارشادا لما هو مستحب فالنهي ليس
نهي تحريم بل للكراهية ان يضيف الفعل الى خالقه عز وجل ولا يضيفه لنفسه فانه
الفاعل الحقيقي وغيره آلة وهذا على مذهب اهل السنة والاخذ في الحديث الآخر الذي
اضيف فيه النسيان للعبد وقوله نسيت كذا ورد على طريق الجواز وخلاف الاولى من
غير النبي صلى الله عليه وسلم ومنه للتشريع فهو غير مكروه منه وجواز اضافته
له لاكتساب العبد فيه ضمنه معنى دخل اي لدخل العبد فيه باكتسابه فهو كالآلة
والموجد الحقيقي هو الله عند الاشعري واهل السنة خلافا للمعتزلة وبهذا جزم
ابن بطال فقال انه بالنهي اراد ان يجري على السنة العباد لنسبة الافعال لخالقها لما
فيه من الاقرار بالعبودية والاستسلام للقدرة وهو اولى من نسبتها لمكتسبها مع
انه جائز ايضا واسقاطه صلى الله عليه وسلم لما اسقط من هذه الايات التي قال
فيها انسيت آية كذا وكذا جائز عليه سهوا بعد بلاغ ما امر بابلاغه وتوصيله
الى عباده اما في حال تبليغه الاول فلا يجوز سهوه فيه وبعده يجوز ثم يستذكرها
صلى الله عليه وسلم من امته او من قبل نفسه لانه لا يقر على نسيانه الا ما قضى
الله نسخه ومحوه من القلوب فينسيه الله له ولا ينبهه عليه فيعلم بذلك انه نسخ
لفظه وتلاوته سوا نسخ معناه ام لا وترك اسند كان بصيغة المسند او الفعل
الماضي المجهول ولما فيه من البعد قال وقد يجوز ان ينسي النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله من القران بما يراد نسخه كرة اي حينا ما ويجوز ايضا ان ينسيه منه
اي الله ينسيه من القران قبل البلاغ لانه يجوز النسخ قبل البلاغ كفرض الصلاة
خمسين في ليلة المعراج وهذا منه ما لا يغير نظما اي نظم القران ترتيب كلماته
متناسقة على مقتضاها ولا يخلط حكما باخر لكل بحرمة مما لا يدخل خللا في الخبر
حتى لا يدري ما يراد به وهو بيان لقوله ما لا الخ ثم يذكره اياه اي يذكر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ما انساه مما لا يغير ولا يخلط ويستحيل دوام نسيانه له لمنافاته
للغرض المقصود منه لحفظ الله تعالى كتابه لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
كما تقدم وتكليفه بلاغه مجرور معطوف على حفظ الله اي كلف الله رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يبلغ كتابه من ارسل اليهم ودوام نسيانه فيه اشد المنافاة

فصل في الرد على من

اجاز عليهم الصغاير اي على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

والكلام

والكلام بالجر عطف على الرد على ما احتجوا به في ذلك اي جواز الصغاير عليهم والصغيرة
ما عدا الكبيرة والكبيرة منهم من عينها بالعد ومنهم من عينها بالحد فقيل هي ما ورد
فيه وعيد بنحو غضب لله ولعنه ودخوله النار في كتاب او سنة صحيحة وقيل ما فيه
حد وعقوبة معينة والصغاير كالكباير في توقف العفو عنها على مشية الله وكون
اجتناب الكباير مكفرا لها لا ينافي التوقف عليها وجوازها عليهم مطلقا او سهوا مشروط
بان لا تكون مشعرة بخسة ورذالة منفرة للطباع اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من الفقها والمحدثين ومن شايعهم اي تابعهم
ووافقهم على اعتقاد ذلك من المتكلمين اي علما الكلام وهو العلم الباحث عن العقايد
الدينية وسمي علم الكلام اما لان مسالة كلام الله من اجل مباحثه او لكثرة دوران الكلام
فيه بين السلف والمشايعة من الشيعة وهي فرقة من الناس تتبع غيرها وشيعة
الرجل اتباعه وانصاره ولو واحدا وخص في العرف بالمفضلين لعلي رضي الله عنه وكرم
وجهه وهذه المسالة من علم الكلام وذكرها في كتب الفقه والحديث استطرادي وقيل انها
من مسايل هذه الفنون بحيثيات متغايرة فالفقيه يبحث عنها من حيث انه يجوز
اعتقادها او يحرم او يكره والمحدث من حيث انه هل صح رواية صدورها منهم ام لا
والمتكلم من حيث اقامة الدليل على عصمتهم وامتناعها وعدمه ولبس في قوله
شايعهم ما يخالفه وانما عبر به لانه لبس من كتابه المسايل الكلامية احتجوا على ذلك
اي تجويزها عليهم بظواهر كثيرة من القران والحديث الجم لفظ ظواهر اشارة
الى انها ليست بحجة في الباطن ان التزموا ظواهرها اي ان قالوا بلزوم اعتقاد
الظاهر منها افضت بهم اي اوصلتهم الى تجويز الكباير عليهم واصل معنى الافضا
الادخال في فضا واسع ثم شاع فيما ذكر وخرق الاجماع اي مخالفة ما اجمع الناس
عليه وهو من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فاريد به لازمه وهو المجاوزة
وما لا يقول به مسلم اي افضت به الى راي لم يقله احد من المسلمين وهو تجويز
الكباير عليهم عمدا فانه لم يقله الا الحشوية واما سهوا فجوزه بعضهم
واختلفوا في امتناعه هل هو سمعي او عقلي كما تقدم فكيف استبعاد لتجويز
الكباير عليهم وكلما احتجوا به من الظواهر مما اختلف المفسرون في معناه هل يحمل
على ظاهره او يؤول وتقابلت الاحتمالات اي تخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة في
مقتضاه اي مقتضى ما احتجوا به من تجويز وقوع ما خرج به عن صلاحيته الاحتجاج
وجات اقاويل اي نقل وورد وجوه قالوا انها على خلاف ما التزموه واحتجوا به
واقاويل جمع اقوال جمع قول فهو جمع الجمع فيها للسلف بخلاف ما التزموا هم
اي استدلوا به فاذا لم يكن مذهبهم في تجويزها عليهم اجماعا اي مجمعا عليه
لكثرة من خالفهم فيه وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما لا حادثا بعد انعقاد
الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد به وقامت الدلايل على خطا قولهم في تجويزها عليهم
وصحة غيره في عدم الجواز وجب تركه جواب اذا والمصير الى ما صح من عدم التجويز
وها نحن ناخذ اي نشرع لا يخفى ان مقال المقاربة وها حرف تنبيه زايد على
المبتدا اذا كان الخبر اسم اشارة فان لم يكن كذلك كان نادرا كما هنا في النظر فيها

يجوز وقوع الصغاير عليهم

أي في أدلتهم التي احتجوا بظاهرها على تجويزها عليهم ان شاء الله تعالى فمن ذلك الذي
احتجوا به على تجويزها عليهم قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ووجه تمسك من جوز عليهم الصغائر بهذه الاية لنسبة
ذنب اليه مغفور لم يبينه فالظاهر انه صغيرة واللام للتعليل والمعلل الفتح أي
فتح مكة في قوله انا فتحنا لك الخ أي يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع
لك عز الدارين في العاجل والآجل وتخفيفه في التفاسير قال ابن عبد السلام
رحمه الله لم يخبر الله لم يحكم احدا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالمغفرة
ولذا قالوا في الموقف نفسي نفسي اذهبوا الى محمد فقد غفر الله له ما تقدم
وما تأخر وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم قلت وفيه نكتة اذ تسوي
المتقدم بالمتأخر يما الى انه مسألة في عدم الوقوع وانما هو خلاف الاولى مما
عده بالنسبة اليه ذنبا وسيأتي تفصيله وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات اعادة الجار اشارة لتغايرهما لان الاول ليس بذنب حقيقي كذا قيل
ولم يقل ولذنب المؤمنين اشارة لكثرة ذنوبهم حتى كان ذاتهم عينه الذنب
ووجه الاستدلال ما مر ومما استدلوا به ايضا قوله ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك الوضع الحط وهو بالعفو والوزر الحمل والثقل فاستعير
للذنب استعارة مرشحة وانقض بمعنى اثقل جعله نقضا وهو ما اتعب الجمل حتى
نقض لحمه وقال الازهري هو من نقيض الرحل وهو صوته لما وضع عليه والكلام
عليه كالذي قبله وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم خطابه في غزوة تبوك
سنة تسع وقد استاذنه من تخلف عنه فاذن لهم لبعد المشقة وشدة الزمان
ولذا اسرح صلى الله عليه وسلم بمقصده ولم يورِّ كما مر فاذن لقوم منافقين
اعتذروا له باعذار سمجة وهو على خلاف الاولى لا ذنب حقيقي بل قوله عفا الله
عنك ملاطفة له ومراعاة لخاطره وقدمه على ما صدر منه حتى لا يبداه بما يوهم
مؤاخذة ما ولذا احتطوا على الزمخشري فيما افترى به من قوله اخطأت وبئس ما صنعت
لما فيه مع تعبيره بغير المراد منه من سوء الادب وخطابه بما لم يخاطبه به رب
العزة وجعله كناية عن الجناية والجاني هو وقد مر الكلام في ذلك مبسوطا صدر
الكتاب ومما استدلوا به ايضا قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم وهذه نزلت في غزوة بدر وقد اسر صلى الله عليه وسلم من
قريش سبعين رجلا منهم العباس عمه صلى الله عليه وسلم وعقيل فاستشار
صلى الله عليه وسلم اصحابه في ذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
هؤلا قومك لعل الله يهديهم بك خذ منهم فدية تتقوى بها وقال عمر
رضي الله عنه اضرب رقابهم واخذ بارائهم فرضي صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر فنزل عليه قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى
الاية فجلس صلى الله عليه وسلم يبكي هو وابو بكر وقال عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة والكتاب السابق يأتي بيانه ومنه ما قيل هو احلال
الغنايم لهم دون الامم السابقة او انه لا يعذبهم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم فيهم او ما وعدهم به من مغفرة ذنوبهم وانه لا يعاقب المخطي في اجتهاده
وقوله عبس وتولى الاية عبس اي قطب وجهه وتولى اعرض والاعمى هو ابن ام
مكتوم رضي الله عنه مؤذنه واسمه عبد الله او عمرو على ما يأتي واسم ابيه زايدة
على ما قاله بعضهم وهو ابن خال خديجة ام المؤمنين رضي الله عنهما وسبب نزولها
انه اتاه صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش الوليد بن المغيرة وعتبة
وامية بن خلف وابو جهل لعنهم الله وقال له ارشدني وهو صلى الله عليه وسلم
يحادثهم استمالة لهم فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ولم يجبه لاشتغاله
بهم رجا اسلامهم للاسلام واستمالة من وراهم قيل وهو باطل من قايله
وجهله لان امية والوليد كانا بمكة وما تاكا قريش وابن ام مكتوم كان بالمدينة
ولم يحضر معهم فالاولى ان لا يذكر هؤلا ويقتصر على ابن ام مكتوم وقوم من
كفار الكفرة وتبعه لبعض الشراح وارتضاه وقد رده خاتمة المحدثين الشيخ
محمد الشامي في سيرته وقال انه كلام صدر من غير روية وتدبر فان
ابن ام مكتوم ابن خال خديجة كما ذكر واسلامه قديم وهو من المهاجرين الاولين
هاجر قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بعده وصحح الاول وسورة
عبس مكية بلا خلاف وقد نقل ما ذكر عن جماعة من الصحابة والتابعين فاي
مانع منه والعجب من صاحب الزهر اذ لم يتابع القرطبي ومن تبعه في هذا وكان
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه ابن ام مكتوم يبسط له رداه ويقول
له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ولذا كان استخلفه على المدينة مرارا القدوم
هجرته ولا ظهار توقيره ومما قيل من ان ضمير عبس وتولى للكافر في غاية
التعسف كما يأتي وهذا مما استدلوا به على مدعاهم في حق نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم واما في حق غيره فما قص في القران من قصص غيره من
الانبيا كقوله تعالى في حق ادم صلى الله عليه وسلم وعصى ادم ربه فغوى
فجعل مخالفة ما حذر عنه من اكل الشجرة ضلالا وغواية في ذنب صدر عنه
فعليه دليل لهم ظاهر والعصمة مع حوالها مشروحة في التفاسير وقوله
تعالى في حق ادم مع حوا فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما الاية
ضمير اتاهما لادم عليه الصلاة والسلام وحوا المتقدم في قوله الذي
خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها اي اتاهما ولدا صالحا سويا
اشركا فيما اتاهما غير الله فسموا عبد العزى وعبد مناف وحكى الزجاج
رحمه الله ان ابليس لعنه الله جا لحوا فقال اتدري ما في بطنك قالت
لا قال لعله بهيمة فان دعوت الله ان يجعله انسانا اتسميه عبد الحارث
وابليس اسمه الحارث وقيل كان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث
فسمته به فعاش وهذا من الغا الشيطان وقال ان الضمير لال قصي من
قريش وان القصة في حقهم لا في حق ادم والكلام عليه في التفاسير مشهور
وقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية اي من الدلايل التي استدل بها من
جوز الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما حكاه الله في الاية

قاله القرطبي

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن ادم عليه الصلاة والسلام وحوى من اعترافهما بصدور الذنب منهما وانما نهما كان سببا لخروجهما من الجنة وهو دليل على انه يجوز المعاقبة على الصغاير
ان لم تغفر خلافا للمعتزلة ومما استدل لوابه ايضا قوله تعالى في قصة يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني كنت من الظالمين لما ذهب مغاضبا قومه اذ لم يطيعوه فاعترف بانه ارتكب ظلما او معصية وما قصه الله من قصته في قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا وكان قد ضاق صدره في حمل اعبا النبوة والمغاضبة لقومه اذ لم يصبر ولم يحتمل توبتهم فخرج من بينهم واظلهم العذاب الذي اخبرهم به فتضرعوا الى الله وتابوا فرفعه الله عنهم ويونس عليه الصلاة والسلام لم يعلم برفعه عنهم وكان حقه ان لا يذهب الا باذن مجدد من الله عز وجل وهذا ما ذكره من قصته وما ذكره من قصة داود عليه الصلاة والسلام وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الاية وذلك انه راى ما فتنه الله من فضايل الانبيا قبله فسال ربه ذلك فقال انهم ابتلوا فصبروا فقال ان ابتليت صبرت فتمثل الشيطان له في صورة حمامة من ذهب عجيبة وكان صلى الله عليه وسلم في محرابه مشتغلا بصلاته فاراد اخذها فطارت فذهب خلفها وتبعها حتى اشرف على دار فيها امراة تغتسل لم ير مثلها فافتتن بها وسال عنها فاذا هي امراة اوريا وكان ارسله مع عسكر له فارسل يقول لرئيسهم ويعلمه ان يقدمه في الحرب وكان سيفا من سيوف الله فاستشهد وتزوج داود عليه الصلاة والسلام امراته فارسل الله له ملكين في صورة خصمين كما قصه الله في كتابه وعاتبه عليها وهذا انما عده هو لا ذنبا نظرا لظاهر الحال فتاب منه ولم يزل يبكي على ما صدر منه حتى نبت العشب من دموعه ومن ادلتهم قوله تعالى في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ولقد همت به وهم بها وما قص بالنبا المعلوم والمجهول من قصته اي يوسف مع اخوته وهو انبيا ايضا على الاختلاف سياتي بيانه وقصته معروفة والشاهد في قوله هم بها بنا على ما اشتهر من انه خلى معها مجلسا لعاجز واراد ما يريده اهل الاهوا وفيه مبالغات وامور يذكرها عنه القصاص وهو صلى الله عليه وسلم بري منها وانما يتوهم ما توهم ان لم يجعل هم بها جواب لولا بحسب المعنى والا فلا يتوهم شي من ذلك فان دليل الجواب معنى فيقتضي انه لم يصدر منه هم فضلا عما هو اعظم منه مع ان هم النفس له مراتب منها ما هو مقتضى الجبلة البشرية ومثله هو معفو مغفور ومن ادلتهم ايضا قوله تعالى حكاية عن موسى صلى الله عليه وسلم فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ضمير وكزه للقبطي الذي وجده موسى عليه الصلاة والسلام يخاصم رجلا من بني اسرائيل وكان دخل مصر نصف النهار فوجد قبطيا من جند فرعون يسخر بعض بني اسرائيل لحمل حطب ونحوه وكان موسى عليه الصلاة والسلام جسيما ذا قوة شديدة فدفعه عنه وضربه فقتله فقال رب اني ظلمت نفسي فهذا

الاعتراف

اعتراف بصدور ذنب منه وهو المراد هنا ومعنى وكزه ضربه بجمع كفه وقيل ضربه في صدره وقيل دفعه وقوله من عمل الشيطان اي هو شر من جنس اعمالهم ثم ذكر بعض ما استدل لوابه من الحديث فقال وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه المائور عنه اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وهو من دعا طويل رواه الشيخان كان يقوله صلى الله عليه وسلم اذا قام يتهجد وطلبه المغفرة من الذنوب المذكورة يدل على صدورها منه في الجملة وهو من دعاهم ونحوه من ادعيته صلى الله عليه وسلم المائورة وقد افردت بالتاليف كالحصن الحصين وغيره ومما استدل لوابه ايضا ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الموقف يوم القيامة ذنوبهم في حديث طلب الناس منهم الشفاعة واستعفائهم منها من هوله وطوله وحديث الشفاعة مشهور طويل رواه مسلم عن ابي هريرة فلا نطول به ومحل الشاهد فيه ان الناس اذا اشتد عليهم هول الموقف وكربه قالوا نذهب للرسل يشفعون لنا في الخلاص فيذهبون اليهم فردا فردا وكل يقول لست لها لي ذنب عظيم اخاف منه ودلالته على ما ادعوه غنية عن البيان ومما استدل لوابه ايضا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم مع شرحه انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وروي مائة مرة فالسبعين ليست على ظاهرها والمراد بها التكثير وهي فيه كثيرة حتى قال بعضهم تتبع لك الاجزاي كثيره فهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يصدر منه بعض الذنوب والا لم يكن لاستغفاره وجه وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام والا تغفر لي وترحمني الاية فطلبه المغفرة يقتضي سبق ذنب منه فهو حجة لمن جوز عليهم الصغاير وذلك ان الله نهاه عن ان يشفع في احد من اهله غير من اذن له في دخول السفينة معه فقال له الله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اي قضى الله بذلك عليهم فيشفع في ابنه كنعان وهو ممن قضى بهلاكه لظنه انه داخل في اهله فلما قيل له انه ليس من اهلك ندم على عدم استفصاله واستغفر لتركه الاولى لا لذنب ارتكبه واليه اشار بقوله وقد كان قال الله له ولا تخاطبني اي لا تدعو ولا تشفع في الذين ظلموا اي كفروا ان الشرك لظلم عظيم انهم مغرقون اي لانهم قضي عليهم وحكم بهلاكهم لكفرهم الذي قطع رحمهم وقرابتهم ومن ادلته ايضا انه تعالى قال حاكيا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني في القيامة يوم الجزا فهذا يقتضي صدور ذنب منه وهو ما تقدم من قوله فعله كبيرهم وما معه مما تقدم هو والجواب عنه وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام اني تبت اليك قاله بعد ما طلب الرؤية من الله عيانا فلما تجلى له ربه وخر صعقا ثم افاق فقال سبحانك تبت اليك وليس هذا بذنب ولكنه ساله بعد ما قال له لن تراني ولو ترك ذلك كان اولى والكلام على الرؤية وجوازها مفصل في علم الكلام وكذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذه الاية ومما استدل لوا به ايضا على جواز الصغاير عليهم قوله تعالى ولقد فتنا سليمان
الى قوله ثم اناب اي تاب فانه يقتضي صدور ذنب منه وكان الله فتنه اي ابتلاه بامر
اختلفوا فيه فقيل انه احتجب عن الناس فعاتبه الله على ذلك وقيل انه سبا بنت
ملك في غاية الجمال تسمى جرادة فاحبها وكان عندها صنم تعبده خفية فاطلع عليه
فاحرقه وقد ذكروا في قصته امورا لا يليق بمقام الانبيا عليهم الصلاة والسلام
الى ما اشبه هذه الظواهر اي ما ذكرته من الامور التي يدل ظاهرها على ما قالوه له
اشباه ونظاير كثيرة تركته لم يشرع في سرد الجواب عما ذكره من ادلة المجوزين الصغاير
عليهم فقال قال القاضي عياض المص رحمه الله في الجواب عما قالوه وتمسكوا بظاهره
قبل تحقيق النظر فيه فاما احتجاجهم المجوزين الصغاير بقوله ليغفر لك الله
ما تقدم الخ فهذا قد اختلف المفسرون فيه وفي تاويله فقيل المراد بما تقدم ما كان
قبل النبوة وبما تاخر ما بعدها اي بعد النبوة وهو عبارة كني بها عن انه
لم يقع منه ذنب لانه لا تكليف قبل النبوة اصلا والعقل لا يستقل بذلك
وقوله ما بعدها ذكر للتعميم كقولك اعط من تره ومن لم تره وقيل معنى
ما تقدم ما وقع لك من ذنب ومعنى ما تاخر ما لم يقع اعلمه بما حاصله انه
مغفور له غير مؤاخذ به لو وقع منه لكنه لم يقع منه ذنب كغيره ومما
يصدر عنه نادرا خلاف الاولى وقيل معنى ما تقدم ما كان قبل النبوة مما
لا يؤاخذ به لانه لا شريعة يلتزم احكامها والمراد بالمتاخر عصمتك بعدها
فمغفرته تجوز بها عن المعصية ووجه الشبه بينهما عدم اعتبار الذنب فيهما
فمن قال ان هذا من مقتضيات اللفظ مع انه معلوم قبل النبوة لم يفهم
مراده حكاه اي هذا الوجه احمد بن نصر الخزاعي الزاهد الشهيد قتله الواثق
في محنة خلق القران سنة احدى وثلاثين ومايتين وقيل المراد بذلك المذكور
من المغفرة امته اي يغفر الله لامتك ما صدر ويصدر منها فالمراد بخطابه
خطاب امته فاما فاقة الذنب له صلى الله عليه وسلم لا في ملابسة لانه يسوءه
ما يسوءهم وهو الشفيع لهم والمراد ان رحمة الله لهذه الامة اكثر فلا يرد
عليه ان مغفرة ما تاخر له شروط كان لا يكون حق عبد ونحوه وقيل المراد
بما تقدم ما وقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وغفلة والمراد بما تاخر
ما كان صادرا عن تاويل اي بيان لمعنى يحتمله النص فيحمل عليه باجتهاد منه ثم
تبين له انه الصواب او الاولى غيره لان التاويل بيان ما يؤول اليه فيناسب
ما تاخر فلا يرد عليه شيء والمراد انه لم يتم الاستدلال بالاية حكاه الطبري محمد
ابن جرير كما تقدم واختاره القشيري عبد الكريم شيخ الصوفية وغيره
كما تقدم في ترجمته وقيل المراد بما تقدم ما تقدم لابيك ادم عليه الصلاة
والسلام والمراد بما تاخر من ذنوب امتك فاللام للتعليل اي غفر لاجلك
ذنوب ابيك ادم لما توسل بك الى الله ويغفر لامتك لانك رحمة لهم حكاه
السمرقندي وقد قدمنا ترجمته والسلمي بفتح السين المهملة وفتح اللام
وهو الامام ابو عبد الرحمن الصوفي كما تقدم عن ابن عطا شيخ الطريقة

ابن الفرس

كما تقدم وهذا انما لا يليق بالراي وقد نقله مثل هؤلا وان كان خلاف الظاهر ومثله
اي بمثل هذا التاويل والذي قبله يتاول قوله تعالى خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيقال المراد استغفر لذنب ابيك ادم ولذنوب
امتك او استغفر عما صدر منك سهوا وغفلة او بتاويل منك وهذا لقوله لذنبك فقط
لا لقوله وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي تقدمت ترجمته مخاطبة النبي اي خطاب الله للنبي
صلى الله عليه وسلم هاهنا اي في قوله ليغفر لك الله وكثيرا ما يحمل عليه ما لا يناسبه
فيقال انه لامته وانما وجه له صلى الله عليه وسلم لنكتة ككونه بالطريق الاولى
الاخرى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول ما كنت بدعا من الرسل وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو بتقدير قل فلذا قال امر سر بذلك الكفار اي فرحوا
وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا مزية ولولا
انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله تعالى
ردا عليهم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية فقال الصحابة هنيا لك يا رسول
الله قد علمنا ما يفعل الله بك فما يفعل بنا فانزل الله تعالى واخبر بما للمؤمنين اي بما
يؤول اليه امرهم في الاخرة في الاية الاخرى بعدها اي ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات الاية وانزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين ما يفعل به صلى الله
عليه وسلم وبهم وهذا قول قتادة والحسن وغيرهما وعزاه المص لابن عباس بقوله
قاله ابن عباس رضي الله عنهما وانما قاله صلى الله عليه وسلم اولا قبل ان يعلمه الله
بعصمته وعموم مغفرته وهو في عام الحديبية ثم بين مجمل جوابه عمن
استدلالهم بقوله فمقصد الاية اي محصل ما قصد بها انك غير مؤاخذ بفتح
الهمزة او الواو المبدلة منها وفتح الخا المعجمة اسم مفعول بذنب ان لو كان اي وجد
فهي تامة وان بفتح فتكون زايدة ومثله كثير ونحو مر حل لطايف الرض نظيرا
له صلى الله عليه وسلم فلا يقوم لها حجة للمجوزين الذنوب عليهم وقريب منه
ما قال بعضهم المراد بما ذكر من المغفرة هاهنا اي في اية ليغفر لك الله ونحوه
تبرئة من العيوب بموحدة بعد التا الفوقية وزا مهملة قبل الهمزة
ولو قري بنون وزاي معجمة وياء تحتية ساكنة قبلها جاز والمعنى والرسم
متقارب يعني لا دليل فيها لهم لانه قد قيل ان المراد منها تنزيه الله له وتبعيده
من العيوب اي الذنوب او ما يؤدي لها فالمغفرة كناية او مجاز عما ذكروا اما الجواب
عما تقدم من استدلالهم بالاية المتقدمة وهي قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك كما بيناه اولا فقيل معناه ما سلف وتقدم من ذنبك قبل
النبوة اي بما هو في صورة تفريط وان لم يكن ذنبا لانه لم يكن قبل النبوة شرع
يخالفه معصية وقد عصمه الله تعالى عما كان عليه الجاهلية من العقايد ونحوها
من الديانات وهو قول ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المفسر
الزاهد المتقي المتقن توفي سنة اثنين وثمانين ومائة والحسن البصري وقد
تقدمت ترجمته وهو ايضا معنى قول قتادة اي معنى ما نقله عنه المفسرون
في تفسير هذه الاية من انه صدر منه بعض امور قبل النبوة وان لم يكن ذنبا

انك مغفور لك بالهمزة المفتوحة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حقيقة وقيل معناه اي معنى ومنع ونزه عنه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم اي
حفظه الله عن الاتصاف به ذاتا وابتدا وهو وجه حسن يتحمله اللفظ بلا تكلف
ولولا ذلك اي رفعها عنه لا ثقلت ظهرك وفي نسخة ظهره والظاهر انه حقيقة ويجوز
ان يكون استعارة كما قدمناه وفيه على هذا تقديره اي لولا انا حفظناك عنها اثقلت
ظهرك وهدمت قواك حكى معناه السمرقندي في تفسيره وقيل في تفسيرها ما حاصله
لا يبقى فيها حاجة لهو لا المراد بذلك المذكور من وضع الوزر الخ ما اثقل ظهرك اي
اتعبه واعياه من اعبا الرسالة جمع عبء بحمل لفظا ومعنى كما تقدم حتى بلغها
غاية لثقل المتحمل حتى يبلغه ويؤدي امانته فانه ما عليه الا البلاغ حكاه
ابو الحسن الماوردي الشافعي وتقدم بيانه والسلمي وقيل معناه حططنا
عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي لان ايام الجاهلية كانت خالية من الدين
والامن ايام هرج ومرج فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم بالدين القويم
سلم هو ومن اتبعه وشرح الله صدورهم بالاسلام وصفاهم من الاثام
فخفت ظهورهم وسددت امورهم وقيل معناه شغل سرك اي قلبه او
خواطر قلبه وحيرتك اي تحيرك في ابتدا امرك وطلب شريعتك اي طلبك
من الله شريعة تعمل بها حتى شرحنا ذلك لك بما اوحاه فاطمان قلبه وذهبت
حيرته حكى معناه القشيري في تفسيره وقيل معناه اي معنى ومنعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك خففنا عنك ما حملت اي كلفت حمل اثقاله من دعوة الخلق وتبليغ
امانة الرسالة التي لم يطق حملها الجبال حفظنا لما استحفظت يقال استحفظه
اذا استرعاه واعطاه امانة اي نحن حفظنا ما امرناك بحفظه عليك حتما عسر
عليك القيام به وجعلنا لك جلدا وصبرا صيرا اثقاله خفيفة عليك ولما ورد
حينئذ انه اذا خففها عنه لم يكن انقض ظهره اشار لدفعه بقوله ومعنى انقض
ظهره على هذا اي كاد اي قرب من انه ينقضه اي يتعبه ويثقله ولم ينقضه
بالفعل ويجوز على هذا ابقاؤه على ظاهره وان انقاضه بالفعل لكنه خففه عنه
اي خففنا عنك ما كان انقض وهو راجع لما قاله المص لا وجه اخر كما قيل
نوبين وجه دفع ما ذكر لما تمسكوا به تفصيلا فقال فيكون المعنى اي معنى
ووضعنا عنك الخ على قول من جعل ذلك الوضع مصروفا لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم وهو خبر يكون بامور فعلها قبل نبوته ونزول
وحي فيها اي اعتناؤه ببيان الله حكمها حتى لا يكون عنده هم وغم ولكنها
حرمت عليه بعد النبوة ولم يكن مكلفا بها قبلها وبعدها وزارا بعد ما
حرمت عليه وخشي المواخذة بها قبل ذلك فاطلاق الوزر عليها باعتبار
ما بعد النبوة والتشريع وثقلت عليه واشفق اي خاف منها ومن المواخذة
بها لشدة مراقبته لله وخشيته له فمعنى وضعها على هذا بيان انه غير مواخذ
بها وانها لم تكن وزرا عليه يخافه او يكون معنى الوضع للوزر عصمة الله تعالى
له وحفظ خلقته بطهارة فطرته وكفايته بتطهير عنصره عن التحرز من ذنوب
لو كانت اي لو وجدت وصدرت عنه لانقضت ظهره فهو امر على سبيل الفرض

مرضي

والتقدير

ابن افتوس

والتقدير بلا التخفيف والتقرير كما توهمه ولا يبعده قوله انقض مع هذا كما قيل
والوزر مجاز بمعنى الذنب وعلى ما قبله بمعنى الثقل كما في قوله او يكون من ثقل
امور الرسالة عليه وما في تبليغها من المشقة بجعل المعقول كالمحسوس او معنى
الوزر ما اثقل عليه واشفق وشغل قلبه من امور الجاهلية كما نقله انفا عن مكي
رحمه الله واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واسترعاه عليه
من امانته كما تقدم ثم اخذ في دفع شبهة اخرى تمسك بها المجوزون للصغائر
فقال واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم في التخلف عنه فالعفو كالمغفرة يقتضي
ثبوت ذنب كما قالوه وليس كذلك فان ما ذكر امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه
وسلم من الله فيه نهي فيعده اي يجعله ويعتقده معصية منه لمخالفة ما نهي
عنه ولا عده وصيره الله عليه معصية يستحق اللوم عليها بل لم يعده اهل
العلم اي احد منهم معاتبة بفعل خلاف الاولى مما ليس بمعصية وغلطوا من
ذهب الى ذلك اي عده وافقوا من قاله من المفسرين غلطا وهو قول منقول
عن قتادة وعتب الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في بعض ما لا يليق وان جاز
كما في قصة ابن ام مكتوم وقوله له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ليس بمراد
هنا وان كان لا محذور فيه فلا اعتراض على المص كما قيل قال نفطويه تقدم
الكلام عليه وعلى ضبط اسمه ومعناه وقد حاشاه الله تعالى اي براه الله ونزهه

ابن افيرس

واصل معناه جعله الله في حشا اي جانب من ذلك اي من فعل ما يستحق عليه
العتاب فضلا عن ان يجازيه بمعصية ارتكبها بل كان مخيرا اي خيره الله في
امرين وهما انه ان شا اذن لهم في التخلف وان شا لم ياذن قط قالوا اي العلما
من السلف وقد كان له صلى الله عليه وسلم كما علم من تتبع احواله ان يفعل
ما شا مما يرى انه مناسب لانه اذن له في الاجتهاد كما تقرر في الاصول فيما
لم ينزل عليه فيه شي من وحي يبين حكمه فكيف انكاره لانه معاتب وان لم يخير
في امور شي منها ما نحن فيه ولا يمكن انكاره وقد قال الله تعالى له في هذه
القضية فاذن لمن شئت منهم وهذا الامر وتعلقه بالمشية صريح في انه
صلى الله عليه وسلم مخير فلما اذن لهم كما امره الله اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم اي ما خفي عليه من امرهم او بما اسروه واستتر من ضمايرهم
وهو انه لو لم ياذن لهم في القعود والتخلف عنه لقعدوا لجزمهم بالقعود
ولو امروا بخلافه واعلمه بما اوحاه اليه في هذه الاية من انه لا حرج لا وزر
ولا اثم عليه فيما فعل من الاذن لهم كما توهم من ظاهر قوله عفا لانها
اشتهرت بمعنى غفر الذنب واشار الى ذلك بقوله وليس عفا هاهنا في هذه
الاية بمعنى غفر اي ستر وترك المواخذة والمعاقبة كما هو معناه المشهور
بل لها معان اخر منها ما ورد في الحديث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي عن علي كرم الله وجهه ورضي
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
فما نوا صدقة الرقة الحديث الا انه الذي رواه هولاء قد عفوت عنكم زكاة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخيل والرقيق والصنف رواه بلفظ آخر وقف عليه ومثله لا يعزى له العصا فاندفع
قول من قال لم أقف على هذه الرواية ولم يجب عليهم قط لأن زكاة الخيل والرقيق
لم تجب على مسلم قط حتى يكون العفو معناه إسقاط الوجوب كما أنه ترك عقوبة
لازمة هنا أي فالمعنى أنه لم يلزمكم ذلك أي زكاة الخيل والرقيق ونحوه معزو
للقشيري رحمه الله قال القشيري وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب كما هو
متعارف مشهور من لا يعرف كلام العرب فيقف على معانيه الواردة في كلامهم كعدم
اللزوم الذي سمعته في الحديث الوارد في كلام أفصح العرب وأصل معنى العفو
الترك وعليه تدور معانيه فيستقيم في كل مقام ما يناسبه فعفو الذنب
ترك العقاب عليه وعدم الالزام الزكاة ترك لها قال ومعنى عفا الله عنك في
هذه الآية لم يلزمك ذنبا فيما فعلته من الإذن قال الداودي رحمه الله من
أئمة الحديث وتقدمت ترجمته روي إلهاء أي قوله عفا الله عنك كانت تكرمة من
الله في خطاب نبيه عليه الصلاة والسلام أي تعظيما وتكريما يبدأ به الكلام
ونحوه ما قال مكي هو استفتاح كلام يوقعونه في أول خطابهم مثل أصلحك الله
وأعزك هي جملة دعائية يبدؤون بها الكلام إكراما لمن يخاطبونه وهو عادة أهل
التوسل في مكاتباتهم وهو قريب مما قبله بل معناهما واحد وهو ملاطفة في
المحاورة تدعو لاستماعه حتى كأنه باستماعه مستحق للدعاء له والقرآن جاء على
أساليب كلام العرب في جملة دعائية قصد بها إكرام المخاطب وحكى السمرقندي
أن معناه عافاك الله قيل أخرج لمنعقه لبعد أحدهما عن الآخر لفظا ومعنى
فكأنه غلط في المادة وهو من سوء الفهم لأن الراغب قال عفوت عنك قصدت به
إزالة ذنب وصرفه عنه ومفعوله متروك لأنه منفعة في الأصل يقال عفاه
واعتفاه وقولهم في الدعاء أسألك العفو والعافية أي ترك العقوبة والبلاء
وعفا النبت والشعر زاد انتهى فهذه الجملة إذا قصد بها الدعاء إكراما كان معناها
قواك الله حتى لا تبالي بمن تخلف عنك من عفا النبت والشعر إذا قوي وعافاك
الله يقال في الدعاء بمعنى قواك الله لأن العفو لا يكون مرتبيا وقال الجوهري
عافاه الله وعافاه بمعنى وهو دفاع الله عن العبد ما يكره فسقط ما قيل إنه
لا يساعده اللغة وكيف يعترض على هذا ولا يعترض على تفسيره بأصلحك الله
وأعزك فتدبر وأما قوله أي قول الله تعالى الذي استدل به من جوز التغاير
عليهم في أسارى بدر أي في حقهم وأسارى جمع أسير وهو معروف وبدر
اسم محل وقعت فيه تلك الغزوة المشهورة سميت ببدر من قريش وهو الذي
احتفرها بيرا لم يسم به مكانها وكان صلى الله عليه وسلم أسر من كبار
قريش نحو سبعين رجلا كالعباس وعقيل كما فصل في السير فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيهم الصحابة فأشار عمر رضي الله عنه بقتلهم
كما مر فإنه قلما يظفر بمثلهم فتضعف شوكة المشركين وقال أبو بكر رضي الله
عنه نأخذ منهم فدية نتقوى بها ونمن بإطلاقهم لعل الله يهديهم بعد
ذلك فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه وعمل به فأنزل الله فيهم

عوضي

عوضي

ابن اقترس

ما كان

ما كان لنبي أن تكون له أسرى الآيتين والأسير فعيل بمعنى مفعول من الأسر وأصله سير
يشد به الأسير ولذا يقال أخذه بأسره إذا أخذه بجملته ومعنى يثخن في الأرض يكثر
القتل وقيل معناه يتمكن في الأرض وما كان نفي الكون وجا بمعنى لا يليق ولا ينبغي
كما يأتي وبه فسره المستدل بهذه الآية على أن أخذ الفدية قبل قتل كثير من أعدائه
ذنب عاتبه الله عليه وهذه القضية مشهورة في السير والتفاسير فلا حاجة
للتطويل بإيرادها فلينظر فيه أي فيما ذكر في الآيتين الزام ذنب له صلى الله عليه وسلم
ومعصية صدرت منه باختيار الفدية التي لم تحل له كما فهمه المستدل بها بل ما ذكر
فيه بيان ما خص به أي جعله الله من خصايصه تكريما له وفضل به من بين سائر
الأنبياء وبقيتهم فكأنه عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي غيرك
أي لم يبح هذا الذي خصصت به من أجل أخذك الفدية ممن أسرته لنبي من
الأنبياء السالفة غيرك فإنه أحل لك وخيرك الله فيه بين الفدا أو القتل ونظيره
من خصايصه التي لم تكن لنبي قبله ما بينه بقوله كما قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح أحلت لي الغنايم وروي المغانم ولم تحل لنبي قبلي والمستدل
به يقول معناه ما كان لنبي أصلا لا أنت ولا غيرك أخذ الفدا قبل كثرة قتل أعداء
دينه ففيه مخالفة لما شرعه الله والمص رحمه الله قال ليس معناه هذا
حتى يتم الدليل وقال الخطابي من كان قبله صلى الله عليه وسلم من الأنبيا
على ضربين منهم من لم يأذن له في الجهاد فلم يكن له غنايم ومنهم من أذن له
فيه ولم يحل له الأكل من الغنايم فكانت تنزل عليه من السما نار تحرقه وكان
له صلى الله عليه وسلم التصرف فيها وفي الصيد قاله كيف شا إلا أنه قيل
ليس في الآية ما يدل على ما قاله المص بخلاف الحديث وهو مروي في الصحيحين
عن جابر رضي الله عنه وكذا أن تقول إن الفدا في معنى الغنايم لأنه مال
مأخوذ من الكفرة فذكره للحديث إشارة إلى أنه مؤيد لهذا التأويل وفي
المسائل الأربعين للرازي العتاب وقع هنا على تركه الأولى لأن الأفضل
في ذلك الوقت الإثخان وترك الفدا قطعا للأطماع ولولا أنه من باب الأولى
ما فوضه صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقال القرافي في حاشيته عليه المسماة
بالتقييد أنه وقع في الحديث أن عمر رضي الله عنه دخل عليه وهو وأبو بكر يبكيان
فقال ما يبكيكما فقال صلى الله عليه وسلم عرض علي عذاب قومك أدنى
من هذه الشجرة والأولى لا عذاب في تركه ولتفويضه للصحابة لأن الاجتهاد
كما يقع في الأولى يقع في الواجب بل لو استدل بهذا على أنه إعلام بأنه
الوجوب لم يبعد لأنه لم يكتف فيه باجتهاد نفسه فالصواب أنه فوض
له الاجتهاد في أمر الأسارى ففوضه لأصحابه فأفتى عمر رضي الله عنه بالقتل
وكان هو المصلحة وهو من إحدى موافقاته واجتهاد الصحابة بما لم
يود للمصلحة مخلص عمر ولم يؤاخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده
في اجتهاده فله أجر وقال فيما مر عذاب قومك دون عذاب الآخرة
من موجب العتاب ببذل جهده وإلى هذا ذهب فحول العلم وجمع من

ن

لذا ضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ظاهر الاية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة انتهى وهو حسن جدا ه
واحسن مما اختاره المص فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية سؤال
وارد على ما اختاره من انه امر اختص به بانه لو كان كذلك لما عوتب عليه بما ذكر من
الهمم بمحو اخذ الفدا وهو مال غاد ورايح وعرض فان لا ينبغي النظر اليه قيل
في الجواب عنه المعنى بكسر النون وتشديد اليا اي المقصود بالخطاب في قوله تريدون
لمن اراد ذلك اي عرض الدنيا منهم اي من الصحابة الحاضرين الوقعة وتجرد
اي خلص وتمحض غرضه بمعجمتين اي قصده لعرض الدنيا بمهملتين وبينه
وبين العوض تجنيس وحده اي منفردا عن قصد ثواب الاخرة وهو مؤكد
لما قبله والاستكثار منها باخذ ما يناله وليس المراد بهذا الخطاب النبي صلى
الله عليه وسلم لشرف نفسه عن النظر لها ولا علية بكسر العين ولام ساكنة
بعدها يا مخففة جمع على كفتية جمع فتى وصبي وصبية وقيل انه اسم جمع
اصحابه اي كبار الصحابة كابي بكر وعمر وغيرهم ممن حضر الوقعة وقد علمت
مما قررته العراقي انه صلى الله عليه وسلم ليس معاتبا ولا مخاطبا هنا اصلا
وانه هو التحقيق ثم ايد كون الخطاب ليس لهولا بما روي في سبب نزوله
فقال بل اضراب انتقالي قد روي عن الضحاك انها اي اية تريدون الخ نزلت
في امر اخر غير الفدا فلا يرد السؤال راسا وذلك حين انهزم المشركون يوم بدر
واشتغل الناس اي بعض منهم بالسلب بسين مهملة ولام مفتوحة ثم ما
يستلب اي يوخذ من القتيل من لباسه وما معه وقد بينه الفقهاء ه
واختلفوا فيمن يستحقه ممن له حق في الغنيمة او القاتل مطلقا وان
شرطه له الامام كما فصلوه والسلب ايضا شجر يتخذ منه حبال ولذا
يسمي العامة الحبال سلبا كما في بعض كتب اللغة وجمع الغنايم عن القتال
متعلق باشتغل حتى خشي عمر رضي الله عنه اي خاف على المسلمين ان يعطف
اي يرجع الكفار عليهم اي على المشغولين بما ذكر العدو والذين انهزموا ه
والعدو يقع على الواحد وغيره وكثيرا ما يقع في العساكر صور عظيمة
بمثل هذا او عمر رضي الله عنه ادرى بذلك ثم قال تعالى في هذه الاية
والقصة لولا كتاب من الله سبق تقدم على هذه القصة وتقدم بيان
المراد بالكتاب هنا وسياتي ايضا واختلف المفسرون في معنى هذه الاية
والمراد منها فقيل معناها كما نقله الطبري ما قاله محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب لولا انه سبق مني اي من الله فيما اوحاه لنبيه صلى
الله عليه وسلم الخ لا اعذب احدا الا بعد النهي ولم ينهم احد بعد نهيكم
على ما تعلم من اخذ الفدا الا انه لو كان منهيا عنه محرما استحق مخالفة
العذاب فالمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره فهذا التفسير ينفي
ويمنع ان يكون امر الاسرى اي فديتهم معصية لانه لم ينه عنه ولم
يحرم فلا ذنب في الاية لما مر وعلى هذا التفسير تكون هذه الاية
مخصصة لقوله فاقتلوا المشركين فلا وجه للاعتراض به على ما ذكره المص

قدامه

عرضي

وقيل

وقيل المعنى المراد من هذه الاية لولا ايمانكم بالقران وهو المراد بالكتاب السابق في قوله
لولا كتاب من الله سبق وقدر الايمان في النظم لان ذات الكتاب لا تمنع العذاب الا بالايمان
بما تضمنه من هذه الاحكام فاستوجبتم اي استحققتم به المنع اي العفو وعدم
المؤاخذة لعوقبتم على اخذكم الغنايم وما هو في حكمها من الفدية وهذا حكاه ابن
عطية في تفسيره وليس فيه تحصيل الحاصل كما توهم لما سياتي ويزاد براي معجمة
فعل مجهول من الزيادة هذا القول تفسيرا وبيانا وايضاحا بان يقال في تقرير
المعنى لولا ما كنتم مؤمنين بالقران بحقيقته وحقيقة ما فيه من الاحكام وما مصدرية
وقوله وكنتم ممن احلت لهم الغنايم معطوف على ما قبله لعوقبتم كما عوقب
من بعد انفتح التا الفوقية والعين والدال المهملتين المشددة داله قبل الالف
فعل ماض والكتاب على هذا بمعنى القران وسبقه لقدمه في الازل او لتقدم ما
نزل او حكم الله الذي كتبه وقدره وحاصله انه لولا ان الله انزل القران وما فيه
من الاحكام واحل لكم فيه الغنايم لمسكم العذاب واحل بكم العقاب كما عوقب من قبلكم
من الامم لتجاوزوا الحدود وتعدوا ما نهاهم الله عنه وهو اما تشريع ه
وامتنان عليهم بما احله لهم ولم يضيق عليهم كما ضيق على الامم السابقة او
هو ردع لمن اشتغل بالغنايم والسلب فقد روى ابو داود عن ابي هريرة انه لما
كان يوم بدر تعجل الناس الى الغنايم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الغنيمة لا تحل لاحد سود الرءوس غيركم وكان النبي واصحابه اذا غنموا الغنيمة
جمعوها فنزلت نار من السما فاكلتها فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق
الايتين واخرجه الترمذي وقال صحيح حسن ووقع في الشرح الجديد هنا
مؤاخذة على ما في الكشاف هنا مع ما فيها لا مساس لها بالمقام ناشية من عدم
التدبر وقيل معناه لولا انه سبق في الازل في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه
كل ما هو كاين الى يوم القيامة انها اي الغنايم حلال لكم لا انتفاع بها والتصرف
فيها لعوقبتم على اخذها فهذا المذكور في التفاسير كله ينفي الذنب والمعصية
فيما فعله باسرى بدر لان من فعل ما احل له على ما وجهه به لم يعص الله ولم
يعد ما صدر منه معصية حتى يستدل بما ذكر فيهما على تجويز الصغاير عليهم
ومما هو صريح في حله ما اشار اليه بقوله قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم اي
من غنايمكم حلالا طيبا فكلوا بمعنى انتفعوا به وليس المراد خصوص الاكل
وذكره لكثرته وغلبته على غيره من الانتفاع واستدل بهذا على ان الامر الوارد
بعد الحظر للاباحة وعليه الاكثر والقايل بان الاصل فيه الوجوب يجيب عنه
كما فصل في الاصول وفي الكشاف وتبعه القاضي في قوله لولا كتاب من الله سبق
الخ قيل لولا ما شا الله من ان يحل لكم الفدية واعترض عليه بانه يقتضي انه
صلى الله عليه وسلم لم يعلم بحل الغنايم له حين ذهب لبدر والظاهر
انه انما اقدم على ذلك ورغب فيه بعد علمه بحله له ولم يخرج لبدر الا طالبا
للغنيمة ولولا ذلك لم ياخذ عير قريش وهو وهم منه فانه لا يلزم من
علمه بحل الغنيمة علمه بحل الفدية وان كانت في حكمها وقد ورد عليه قوله لولا

ابن الفرس

بغ

عرضي

عرضي

انه سبق في اللوح المحفوظ الخ وهو غير وارد لان المعنى لولم تحل لكم الغنيمة وهو
يقتضي حل الفدية وتامل وقيل بل كان صلى الله عليه وسلم قد خير في ذلك اي في اخذ
الفدية من الاسرى وفي قتلهم فلما اخذها قيل له كان الاولى خلافه لكن بكاؤهما
السابق ورؤيته صلى الله عليه وسلم دنو العذاب منهم يأباه كما تقدم ويدل على
انه مخير في ذلك انه قد روي عن علي رضي الله عنه انه قال جا جبريل الى النبي صلى الله
عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ببدر ان شاؤا القتل وان شاؤا
الفدا اي اخذ الفدية والمال منهم على ان يقتل منهم في العام المقبل والسنة التي
تلي هذه السنة اي ان الله قدر عليهم ان اخذوا الفدية يقتل من الصحابة مثلهم
اي بعددهم فقالوا نختار الفدا ويقتل منا مثلهم رغبة في الشهادة وهذا
المذكور كله دليل على صحة ما قلنا من انهم لم يفعلوا في وقعة بدر من اخذ الفدية
الا ما اذن لهم فيه اي جوزه لهم فلا ذنب ولا معصية لكن بعضهم اي بعض
الصحابة الذي استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك مال الى اضعف
الوجهين من الفدية دون القتل باجتهاد منه فالاجتهاد يجوز من الصحابة
بحضرته صلى الله عليه وسلم كما صححه اهل الاصول مما كان الاصلح للاسلام
والمسلمين غيره وهو القتل وبينه بقوله من الاثخان والقتل الذي هو اعز الوجهين
فاختاروا الاذل لما خيروا فعوتبوا على ذلك من اختيار غير الاصلح وبين لهم ضعف
اختيارهم الفدية وصوب اختيار غيرهم وهو ما اختاره الفاروق وكلهم غير
عصاة ولا مذنبين لان كلا منهم قال ما اداه اليه اجتهاده ظانا ان الحق فيه والى نحو
هذا اشار الطبري رحمه الله وانما وبخوا وخوفوا وقوع العذاب بهم لان
المخوف منهم من مجرد نظره للمال في العاجل مثل الصديق رضي الله عنه ممن
فعله شفقة على قومه ورجا ان الله يهديهم للاسلام ويعز بهم الدين
في الآجل وقد حقق الله رجاه فلا اعتراض على هذا بانه لو كان كذلك ما وقع
توبيخ شديد ومن طالع السير وما وقع في هذه الغزاة علم هذا وتحققه
وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القضية لو نزل من السما عذاب ما نجا
منه الا عمر جواب عن سؤال ورد على ما قررته من انهم غير عصاة ولا مذنبين
وهو انه اشارة الى هذا المذكور من تصويب رايه اي راي عمر رضي الله عنه
وراي من اخذ بماخذه اي وافقه فيما قاله في اعزاز الدين وغيظ الكفرة بايقاع
القتل برؤسهم وارهاب قلوبهم في اول وافعة وقعت بينهم واظهار
كلمته بان تكون كلمة الله ورسوله هي العليا وتكون ظاهرة شائعة وابادة عدده
اي اهلاكه وافنائه لان الاسرا كانوا عظما ائمة الكفر فلو قتلوا لم يكن لهم
عود بعده وان هذه القضية اي قضية اسرى بدر واخذ الفدية منهم
واطلاقهم لو استوجبت عذابا اي اقتضت وقوع العذاب بمن فعلها
لمخالفتها لامر الله نجا منه اي من العذاب الذي اقتضته عمر لانه رضي الله عنه
لم يرض به ولم يره رايا صحيحا ومثله اي ونجا منه مثله ممن كان على رايه
وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه كما ورد في الحديث وعين عمرا بخصه

بالذكر

بالذكر مع ان جماعة منهم كانوا على رايه لانه اول من اشار بقتلهم جوابا لقول النبي
صلى الله عليه وسلم له كما في صحيح مسلم ما ترى يا ابن الخطاب فقال ما ارى راي ابي
بكر ولكني ارى ان تمكنا فنضرب اعناقهم الحديث ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك
اي في مقابلة رايهم بالفدية لحله لهم اي لان الله احله لهم وخيرهم فيما سبق هذه
الواقعة وقال الداودي تقدمت ترجمته والخبر بهذا لم يثبت اي لم يثبت المنع
من اخذ الفدية لا الحديث الذي فيه ما رآه عمر وغيره ولو ثبت لما جاز ان يظن ان
النبي صلى الله عليه وسلم يحكم بما لا نص فيه بوحي نازل عليه ولا دليل يدل
على ما حكم به مستنبط من نص سبق باجتهاده ولا جعل الامر فيه من الله مفوضا اليه
فانه وقع التفويض اليه صلى الله عليه وسلم في امور اذن له بالحكم فيها بها
كما صرحوا به وقد نزهه الله عن ذلك بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى والاجتهاد والتفويض بوحي وحي وقال القاضي بكر بن العلا امام
مذهب مالك كما تقدم اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
النازلة في اسرى بدر ان تاويله الذي قبله من ابي بكر رضي الله عنه في اختيار عدم
القتل وافق ما كتبه له اي حكم به وجوزه بقوله لولا كتاب من الله سبق في علمه
وحكمه من احلال الغنايم لهم واحلاله لهم اخذ الفدا وكيف لا تكون الفدية حلت
لهم قبل هذا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قبل هذا اي قبل
غزوة بدر فادوا اي اخذوا الفدا من المشركين في سرية عبد الله بن جحش التي
قتل فيها ابن الحضرمي لما مرت عير لقريش بتجارة من الطايف ومع العير عمرو بن عبد
الله الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله والسرية
فعيلة من السرى وهم ناس يرسلون للعدو من خمسة الى ثلاثمائة او اربع
مائة ولم يعين ابو حنيفة عددا لاقلهم وقال ابو يوسف تسعة فصاعدا
وقال الماوردي يطلق على الواحد سرية والظاهر انه مجاز فلا بد من عدد له
منعة وعبد الله بن جحش هو ابن رياب بن يعمر الاسدي وامه اميمة بنت عبد
المطلب عمته صلى الله عليه وسلم اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم
دار الارقم وهو من المهاجرين الاولين واستشهد باحد ودفن عند حمزة رضي
الله عنه وسريته كانت في رجب في السنة الثانية او في جمادى الاخرة ومعه
ثمانية من المهاجرين او اثنا عشر هو اميرهم وهو من تسمى امير المؤمنين
ويعرف بالمجدع في الله لجدع انفه واذنيه باحد وكان دعا الله بذلك وكانت
السرية قبل بدر بشهرين واكثر كما سياتي وبعث ليترصد عير قريش فساروا حتى
نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطايف فرمى واقد بن عبد الله الصحابي عمرو بن
الحضرمي فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسروا الحكم وعثمان وكانا اول
اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فقدموا المدينة بالعير والاسيرين فاسلم
الحكم وافتدى صاحبه عثمان بن عبد الله ورجع لمكة فمات بها كافرا وقد
فدى نفسه بالحكم بن كيسان وصاحبه عثمان بن عبد الله والبا متعلقة بقوله
فادوا لا بقوله قتل لان المذكور هنا ان الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اسرَ في هذه السرية اسره المقداد بَعْدَ قتل ابن الحضرمي فاراد عبدُ الله بن جحش ضرب
عُنقه فقالَ له المقداد دَعْه لنقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
قدم به اسلم وحسُن اسلامه وقتل ببير معونة وسياتي تفصيله فاعتب الله
عليهم اي على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في اخذ الفدية فلو كانت
ممتنعة وبخهم الله على ذلك والمراد بالعتب التوبيخ والانكار مجازا عن لازم
معناه اذ معناه لا يليق به تعالى لانه تستعمل فيما بين الاقران وانما عبر به
ليشمل خلاف الاولى وذلك اي ما وقع من الفدا في تلك السرية كان قبل بدر اي
قبل وقعتها بازيد من عام كذا في النسخ وهو سهو لان بدرا الاولى وقعت في ربيع
الاول بعد ثلاثة عشر شهرا من الهجرة فتكون هذه الوقعة في سنة اثنين من
الهجرة ثم في رجب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السرية ثم في
رمضان من هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى فبين هذه السرية وغزوة
بدر نحو ثلاثة اشهر فكان المص توهم انه هذه السنة سنة ثانية وليس كذلك
وحاصل قصة هذه السرية انه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش
ومعه ثمانية رهط من المهاجرين وكتب له كتابا وامره ان لا يقراه حتى يسير
يومين وان لا يستكره من اصحابه احدا فقتحه بعد يومين فاذا فيه اذا نظرت
كتابي فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطايف فترصد بها قريشا وتعلم خبرهم
فلما قراه قال سمعا وطاعة واعلمهم بما في كتابه صلى الله عليه وسلم فلم يخالفوه
وسلك الى الحجاز فلما كان بنجران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان
بعيرا لهما فتخلفا في طلبه فمضى ابن جحش واصحابه حتى نزلوا نخلة فمرت بهم
عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان
مولى هشام بن المغيرة فلما راهم القوم هابوهم ونزلوا قريبا منهم فاشرف
عليهم عكاشة بن محصن وقد حلق راسه فقالوا عمار لا باس عليكم منهم وذلك
في اخر يوم من رجب ثم تشاوروا فقالوا ان تركتموهم الليلة دخلوا الحرم
فامتنعوا به وان قتلتموهم قتلتموهم في الشهر الحرام ثم اجتمعوا على قتل من قدروا
عليه واخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي ابن الحضرمي بسهم فقتله
واستاسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان واعجزهم نوفل بن عبد الله
واقبل ابن جحش واصحابه بالعير والاسيرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل ان ابن جحش قال لاصحابه ان لرسول الله مما غنمنا الخمس وذلك قبل
ان يفرضه الله فقسم ذلك بين الصحابة وقال ابن اسحاق انهم لما قدموا عليه
صلى الله عليه وسلم قال ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام ووقف امر العير والاسيرين
ولم ياخذ من ذلك شيا فندم المسلمون على ما صنعوا وقالت قريش استحل
محمد واصحابه الشهر الحرام بسفك الدم واخذ المال والاسر فقال المسلمون
بمكة انما وقع ذلك في شعبان فلما كثر القيل والقال انزل الله تعالى يسالونك
عن الشهر الحرام قتال فيه الاية ففرح المسلمون بذلك وقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت قريش في فدا عثمان بن

عبدالله

عبد الله والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديهما حتى يقدم صاحباي يعني
ابن ابي وقاص وعتبة بن غزوان لخشية ان يقتلا قريش بمن قتل منهم فلما قدما
فداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه حتى استشهد ببير معونة واما
عثمان فلحق بمكة ومات كافرا كما مر وهذا المذكور كله يدل على ان فعل النبي صلى
الله عليه وسلم في شان الاسرى من الفدا وما وقع معه كان عن تاويل باجتهاد منه
صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة وبصيرة بالنظر الصحيح في انه فيه اعانة ورجا
لان الله يهديهم في الاجل الى الاسلام وكان كذلك وهو جار على ما قد تقدم قبل
اي قبل بدر مثله من وقوع الفدية في سرية ابن جحش ولم تعاتبوا عليه فلم يتكره
الله تعالى عليهم كما بيناه انفا لكن الله تعالى اراد بقوله تعالى ما كان لنبي ان تكون
له اسرى لعظم امر بدر وانها كسر شوكة المشركين وارعب قلوبهم فلو زادوا
ذلك بقتل من اسروه كان اتم وكثرة اسراها الواقعة فيها بما اداه اجتهادهم اليه
اظهار نعمته متعلق باراد اي ظهورها على المسلمين وانهم لو تركوا الفدية اغنا
الله عنها وتاكيد منته اي نعمته عليهم بتعريفهم ما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ
بقوله لولا كتاب من الله سبق على احد الوجوه المتقدمة واللوح المحفوظ
مبين في كتب الحديث والتفسير من حل ذلك لهم اي كونه حلالا ماذونا فيه لهم
لا على وجه عتاب اي لم يذكره للومهم بل لبيان شكره ونعمته وانكار عليهم
في اختيار الفدية او تذنيب اي نسبتهم لذنب ارتكبوه بما فعلوه هذا معنى
كلامه اي كلام القاضي بكر بن العلا وهو الذي اختاره المص خلافا لمن قال ان الحق
انه عتاب من الله وارتضاه بعض الشراح هنا وقال ان ما ذكر تكلف لا ينبغي
ارتكابه واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية اي ما يشعر
به ظاهرها من انه صدر عنه صلى الله عليه وسلم ما استحق عليه العتاب
واستدلال بعضهم بهذه الاية والقصة على تجويز الصغاير عليهم كما تقدم
اجمالا فليس فيها اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم ولا تجويزه عليه كما توهم
من استدل بها على ذلك بل اعلام له صلى الله عليه وسلم ان ذلك المتصدي بصيغة
اسم المفعول ونايب فاعله قوله له اي اقبل عليه وتوجه له واصله مقابلة الشي
كما تقابله الصدى وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه كما قاله الراغب
وفي التعبير به نكتة وهي ان كلامهم لا عبرة به كما قال المتنبي
انا الطاير المحكي والاخر الصدى
ممن لا يتزكى اي لا يسلم فيطهره الله من دنس الشرك وان الصواب والاولى والالبق
به صلى الله عليه وسلم لو كشف لك حال الرجلين اي ابن ام مكتوم ومن كان عنده
من المشركين والاقبال على الاعمى والاقبال على الاكفر كانوا جماعة كما ستسمعه الاقبال
ويقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو هذا هو
ابن قيس بن زايد بن الاصم على الاعمى دون غيره والاعمى هو عبد الله بن شريح
والذي تصدى له جماعة من كبار المشركين بمكة اختلفوا فيهم فقال مجاهد
كانوا ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وزاد بعضهم ابا جهل

بيان
الاقبال على الاعمى دون غير
والاعمى هو عبد الله بن شريح
ويقال عمرو بن ام مكتوم الي قول
ابن زايد بن الاصم والذي تصدى له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والعباس وامية بن خلف والوليد بن المغيرة وكان صلى الله عليه وسلم يرجوا اسلامهم واسلام
غيرهم وقد قدمنا عن القرطبي ان هذا باطل وجهل منهم قاله لان امية بن خلف والوليد
كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة لم يحضر معهم وماتا كافرين احدهما مات بمكة
والاخر ببدر ولم ياتيا المدينة وتقدم انه شنع على القرطبي فيما قاله فان سورة
عبس مكية وابن ام مكتوم اسلم قديما بمكة قبل الهجرة وكان مع النبي بمكة والمدينة وهاجر
قبل النبي صلى الله عليه وسلم مع مصعب بن عمير رضي الله عنه فكيف تجهل من نقل
هذه القصة من كبار المفسرين ثم اشار الى ان ما فعله صلى الله عليه وسلم ليس ذنبا
بل فعلا حسنا لانه تبليغ للرسالة ولطف في الدعوة بالاقبال على من كان من اهل
العناد والكبر فاعلم بحال الزنديق فقال وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل من
التصدي وما معه الذي اشار اليه بقوله وتصدى به لذلك الكافر تقدم وجه اوله
كان طاعة لله وتبليغا عنه فما فعله صلى الله عليه وسلم كان امر الامر ماله ه
وابتلاف له اي استمالة للكافر وتاليفه له رجا لاسلامه كما شرعه الله له وفرضه
عليه بامره بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه لا معصية كما زعمه من تقدم ومخالفة
له اي لما شرعه الله وما قصه الله عليه في هذه السورة اعلام بحال الرجلين المذكورين
وتوهين امر الكافر عنده اي تضعيفه وبيان لحاله لانه لا مقدار له يعتد به وارشاد
الى الاعراض عنه بقوله وما عليك ان لا يزكى لان معناه لا باس عليك من امره فلا تلتفت
اليه والضمير في قوله وما يدريك لعله يزكى لابن ام مكتوم وقيل ضمير لعله للكافر
يعني انك اذا طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتنفعه الذكرى الى قبول الحق وما
يدريك اي ما اطمعك في ان يتزكى بالاسلام كاين والاول هو الاولى لان ما في القران من
يدريك فهو مما اعلمه الله به وما فيه من ادراك لم يعلمه به وايضا فالكافر لم يسبق
له ذكر رجا ولا ضمنا وقوله وما عليك ان لا يزكى انه لا باس عليك بعدم اسلامه
تحضيض على اسلامه الحامل لك على الاعراض عن غيره تطييبا لخاطره الاولى تركه
لان ما عليك الا البلاغ وقد فعلته وقد تقدم تتمة لهذا فتذكره وقيل المراد
بصفة عبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المجلس
قاله اي هذا القول ابو تمام الشاعر صاحب كتاب الحماسة على ما ياتي وهو قول
في غاية الضعف لبعده من السياق والذي عليه المفسرون انه النبي صلى الله عليه
وسلم وفي الالتفات للكلام له بدون الخطاب اكرام له صلى الله عليه وسلم عن ان
يواجهه بالعتب لا لمبالغة في العتب لان فيه بعض اعراض كما قاله ابن عطية
واما قصة ادم عليه الصلاة والسلام والاسناد لان لها على نحو من التشابه
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى فاكلا منها اي من الشجرة بعد
قوله له ولزوجته حوى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين الى الغي لامر
الله ونهيه وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة شجرة الكرم او التين او
غيرهما كما بينه المفسرون وتصريحه تعالى بالحا المهملة وضمنه معنى الندا
فعداه تعالى في قوله عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي ضل
عما بينه له وقيل معناه جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره

جواب

جواب اما وهو جواب عما اسند لآدم لانه ارتكب معصية وذنبا بقوله ولقد عهدنا الى ادم
اي اخذنا عليه وبينا له ما يلزمه فتركه من قبل اي قبل اكله من الشجرة فنسي العهد المتقدم
ولم نجد له عزما ثابتا على ما عهد اليه لان العزم توطين النفس على فعل او ترك ونزيد
منه تفسيره بالصبر الاتي وعلى هذا فالذي نسيه هو نهي الله له عن الاكل من الشجرة وفعله
ناسيا لا يكون ذنبا لعدم المؤاخذة به وفيه انه لو كان كذلك ما جازاه الله باخراجه
من الجنة ونزع لباسه وقيل انه ذكر تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن عصيان قومه
لان مثل ادم اذا عصى ربه فما بالك بغيره وقال ابن عطية انه ضعيف لان جعل ادم
مثلا للكفار لا ينبغي والذي اراه انه ابتدا قصص وانه لما عهد له صلى الله عليه وسلم
ان لا يعجل بالقران فنسي سلاه بانه سبق مثله لادم فعفي عنه فلا لوم عليه ثم ذكر
وجها اخر فقال قال ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم في ترجمته
نسي عداوة ابليس له للحسد وعلى جعله تعالى خليفته فقيل وكان النسيان يؤاخذ
به المكلف ثم عفى الله عنه كما ياتي وبهذا اعلم الجواب عما تقدم ونسي ما عهد
الله اليه من ذلك اي من كون ابليس عدوا له ولزوجه وولده بقوله ان هذا
عدو لك ولزوجك الاية وحذره منه كما قصه في قصته وبينه المفسرون
قيل نسي ذلك المذكور من عداوته بما اظهر لهما اي لادم وزوجه من المخادعة
فدلاهما بغرور وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد
اليه فنسي واصله انسيان ووزنه افعلان قلبت ياؤه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
وحذفت الهمزة لالتقا الساكنين فالهمزة زائدة ولامه محذوفة وقيل انه من الانس
ووزنه فعلان وانما ذكر هذا توجيها للقولين المذكورين فلا وجه لما قيل انه لم يقع
موقعه لعدم مناسبته لما قبله ويدل لقول ابن عباس انه تصغيره انيسيان ولذا
قيل كما تقدم

وان اول ناس اول الناس

وقلت

ومن لم يكن ينسى لضعف والذي ... تقدم من حفظ فليس بناسي

وقيل في توجيه ما صدر من ادم عليه الصلاة والسلام انه لم يقصد المخالفة
لما نهاه عنه استحلالا لها اي لعدها حلالا حتى لا يكون ذلك معصية ولكنهما
اي ادم وزوجته اغترا بحلف ابليس لهما اي قسمه وقوله والله اني لكما لمن
الناصحين في تحسينه الاكل لهما من الشجرة وتوهمهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا
مخالفا للواقع وقد روي عذر ادم اي اعتذاره عما صدر منه بمثل هذا المذكور
من ظنه صدقه لاقسامه لهما في بعض الاثار المروية عن السلف او الاحاديث
وذلك انه رآهما في الجنة ونعيمها فبكى فقالا له ما يبكيك قال رحمة لكما
لزوال هذا النعيم عنكما فقالا فما ذا يكون مانعا عن زواله فزين لهما تناول
النهي وقسمه على ما قاله قالوا وهو اول من وقع منه الحسد والكذب في اليمين
وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما وخدعهما بان الاكل ليس فيه
مخالفة لما نهى الله عنه والمؤمن يخدع مبني للمفعول اي من شانه ان
يخدع بتصديقه من غره لسلامة صدره وظنه ان احدا لا ينافق ولا

ابن اقيس

يكذب وليس هذا الفعل له ادعاه بل لانه لكونه لا يفعل ذلك يعتقد ان غيره مثله ولذا قيل
ان الكريم اذا خادعته انخدعا وقد قيل في توجيه ذلك ايضا انه نبي ولم ينو المخالفة
للعهد الذي عهده الله له والنسيان مغتفر وفي تفسير الثعلبي ان النسيان كان مواخذا
به لشانه عن اسباب اختياره ثم نسخ ذلك فلذلك قال الله تعالى ولم نجد له اي
لادم عليه الصلاة والسلام عزما اي قصدا للمخالفة لنهيه فيما نهاه فان العزم التصميم
على فعل او ترك وهو مستلزم لما ذكر وتقدم فيه تفاسير اخر واكثر المفسرين على ان
العزم معناه المراد منه هنا الجزم وهو الاخذ بما فيه سداد بعد النظر التام فيه والصبر
حتى يتيسر له مراده من غير قلق واضطراب وقيل كان عند اكله سكران فلم يخالف قصدا
والسكر لم يكن حراما اذ ذاك والجنة ليست دار تكليف ايضا الا انه ورد ان خمر الجنة
ليس له سكر ولاخبال كخمور الدنيا ولا يخفى ان هذا الوجه في غاية الضعف فالاولى
تركه الا انه قول سعيد بن المسيب كما نقله البغوي واذ ما ذكر غير مسلم لا سيما
اذ قلنا ان الجنة ليست هي دار الخلد كما هو احد اقوال المفسرين فيها ولذا قال
المصنف وهذا القول ضعيف لانه تعالى وصف خمر الجنة بانها لا تسكر فبنا في هذا
الجواب وهو اشارة الى قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه فسر
بانها لا تذهب عقولهم من نزف عقله اذا ذهب والكلام عليه مفصل في التفاسير
فاذا كان ادم عليه الصلاة والسلام ناسيا على احد الوجوه السابقة لم يكن ما فعله
ادم معصية فلا يصح الاستدلال حينئذ بالاية وكذلك اذا كان ملبسا عليه يعني
تلبيس ابليس الذي غره به وقسمه له بانه ناصح له وانه يريد خلوده في الجنة وعدم
زوال نعمته عنه وان نهي الله له ليس بتحريمي مواخذ فيه كما يوخذ مما ياتي اي ما
وقع من ادم عليه الصلاة والسلام الغلط بقبوله تلبيسه وتغريره له بانه
لا اثم عليه في اكله اذ الاتفاق من ائمة الدين على خروج الناسي والساهي من حكم التكليف
يعني انه ليس مكلفا بنص القران والحديث فلا يكتب عليه ذنب وايضا انه كان في
جنة الخلد وليست دار تكليف الا انه قيل ان السهو والنسيان كان مواخذا به شرعا
ثم نسخ كما تقدم عن الثعلبي وايضا قيل ان الجنة انما تصير دار اباحة
دون تكليف بعد الحشر واما قبل فلا على انه فيه بحث اذ المراد به انه ليس فيها
تكاليف الدنيا كالصلوات الخمس والزكاة ونحوه مما علم من الاحكام الشرعية اما
اذا قال الله تعالى لاهل الجنة امرتكم بكذا او نهيتكم عنه فانه لا تجوز مخالفته
بلا شبهة وهذا مما لا ينبغي الغفلة عنه وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وهو
ابو محمد بن الحسين الاصبهاني امام اهل السنة والكلام وكان في عصره اجل من
تصدر للوعظ والتدريس والتاليف وله مصنفات كثيرة جليلة ومناظرات
عجيبة وله رحلة للهند وغيره ولما رجع الى نيسابور مات في الطريق سنة
ست واربعمائة فنقل لنيسابور ودفن بها وقبره بها يزار ويستجاب عنده
الدعا كما ذكره المورخون كابن خلكان وفورك بضم الفاء وسكون الواو وفتح
الراء وكاف وتقدم مفصلا لكتاب البزدوي انه مصنف او موضوع من الصرف
وغيره من العلما انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة وفي عصمتهم من الصغاير

قبلها

قبلها خلاف وقد جوز كثير ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه
ربه اي اختاره لنبوته فتاب عليه مما صدر منه قبل النبوة وهدى اي هداه الى علمه
وذكر ان الاجتبا والهدى مصدر بمعنى الهداية وليس على هذا الوزن مصدر الا الهدى
والسرى والتقى على كلام فيه في شرح سيبويه كانا بعد العصيان لعطفه بثم كما لا يخفى
فالمعنى ان الله ارتضاه للنبوة فانه لم يصدر عنه ذنب بعد ما نبي والاجتبا الا
من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته فالاجتبا جمعه للمعارف والعلوم اللدنية وقد قيل
عليه انه في غاية البعد لان ظاهر الحال من سجود الملائكة لادم واظهار فضله عليهم
ومخاطبته في حضرته يمنع هذا الاحتمال اذ لا معنى للنبوة غير هذا فالاستدلال
به على نبوته اولى مما استدل به المص رحمه الله وقيل في الجواب عما استدل به على تجويز
الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل اكلها ناسيا ولا لحل اكله وانه لا يصدر
عنه به معصية واشار لتاويله بقوله وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها بالبنا
للمفعول اي التي نهاه الله عنها في الاية لانه تاول نهي الله تعالى له بقوله ولا تقربا
هذه الشجرة اي لا ان الكلام من هذه الشجرة الاية بانه انما نهي عن شجرة مخصوصة لقوله
من هذه الشجرة لان اسم الاشارة موضوع لفرد معين مشاهد لا على الجنس اي انه نهي عن
جنس هذه الشجرة الشامل لجميع افرادها وبعضهم قال ان اسم الاشارة قد يشار به الى
الجنس مجازا او به صرح النحاة كما في اول شرح الكتاب والمراد بالجنس الكلي مطلقا فيشمل
الجنس والنوع وغيره ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له ولذا اي لاجل انه تاول
بما ذكر قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ قال الراغب التحفظ قلة الغفلة
وحقيقته تكلف الحفظ لضعف القوة الحافظة انتهى والمراد ترك التيقظ والتنبه
وقيل في الجواب وبيان تاويله انه تاول ان الله تعالى لم ينه عنها نهي تحريم
وانما هو نهي تنزيه عن خلاف الاولى وكونه لا يناسب قوله فتكونا من الظالمين
كما قيل سياتي ما يدفعه في كلام المص فان قيل فعلى كل حال مما ذكرته في توجيه ما
صدر من ادم كيف يكون لا معصية منه وهو مشكل فقد قال تعالى في هذه
القصة وعصى ادم ربه فاثبت له المعصية بما فعله وانت قررت خلافه وقال
فتاب عليه وهدى والتوبة انما تكون عن ذنب وقوله اي قول ادم المحكي عنه
في حديث الشفاعة في الحشر للخلق كما تقدم ويذكر ذنبه لما طلب الخلق منه ان
يشفع لهم في الخلاص من هول الموقف فقال لهم اذهبوا الى غيري من الانبيا فيذكر
ذنبه وانه يستحيي من ربه وقال اني نهيت عن اكل الشجرة اي عن الاكل من شيء منها
فعصيت بفعلي ما نهاني الله عنه فهذا كله يقتضي انه صدر منه ذنب ومعصية
قلنا فياتي ما وجهنا به فبيان الجواب عنه وعن اشباهه مما يقتضي ارتكاب الذنوب
مجملا مختصرا في اخر هذا الفصل ان شا الله تعالى واما قصة يونس بن متى
فقد سبق اي مضى الكلام على بعض منها انفا اي قريبا من قولهم استانفت الشي
اذا ابتداته وانف اسم فاعل منه صار بمعنى قريب وليس في قصة يونس المذكورة
في القران نص على ذنب صدر منه حتى يتمسك بها من جوزه عليهم وانما ذكر فيها
اي في قصته انه ابق اي فر وهرب وقد يفرق بين الاباق والهرب بعد تخصيصه

ختيار
ابن افيرس
ابن افيرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالعبد فيختص لا باق مما كان بلا خوف كما في القاموس وغيره ولذا اعبر به لما فيه من
المزايا هنا بخلاف الهرب وكان يونس كما تقدم دعا قومه فلم يطيعوه فوعدهم
العذاب فلما تاخر عن موعده خرج من بينهم وذهب مغاضبا اي غضبان فمغاضب
هنا كمسافر ليست كغيرها من المفاعلة وغضبه على قومه لا على ربه وان قيل به واوّل
وقيل انه خشي القتل وقد تقدم تفصيله كما اشار اليه بقوله وقد تكلمنا عليه
اي تقدم منا الكلام في يونس وقصته وقيل انما نقم الله عليه اي عاب فعله ولامه
عليه وكرهه ونقم بكسر القاف وقد تقدم خروجه عن قومه فارا من نزول العذا
ب بهم وهو بين اظهرهم فكان ينبغي له الثبات اعتمادا على ان الله ينجيه كما
نجى نوحا وغيره من انبيائه حتى يوحي اليه ما يريد وقيل بل لما وعدهم اي
قوم يونس العذاب استعمل الوعد مع العذاب مع انه يختص بالخير تهكما
كقوله فبشرهم بعذاب اليم فلا وجه لما قيل انه عام بحسب الوضع الاصلي ثم
عفى الله عنهم لانه لما وعدهم العذاب لثلاث وراوا مقدماته تضرعوا الى الله تعالى
ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد وتابوا وقالوا امنا بيونس
فعفى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم بذلك قال والله لا القاهم
بوجه كذاب ابدا لعدم علمه بما غابوه وخصهم الله تعالى بقبول توبة الياس
كما قال تعالى الا قوم يونس الاية وقيل بل كانوا اي كان من عادتهم انهم
يقتلون من كذب فخاف ذلك اي القتل لتخلف ما وعدهم به وقيل قايله وهب
ضعف عن حمل اعبا الرسالة اعبا بالمد جمع عب بكسر وهو الحمل الثقيل كما تقدم
وكان كما قال وهب في خلقه ضيق ولذا اخرجه الله عن اولي العزم بقوله
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت وقد تقدم الكلام
انه لم يكذبهم فان ما وعدهم به من العذاب نزل بهم حتى راوا غمامة فيها
دخان اظلتهم لكنهم لما تضرعوا الى الله كشفه عنهم وهذا المذكور في قصته
كله ليس فيه نص على معصية صدرت منه حتى يستدل به على ما ادعوه كما
تقدم الاعلى قولهم مغضوب عليه اي متروك لمنفعة وهو انه خرج من غير اذن
من الله في الخروج وترك القيام حتى ياذن الله له وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك
المشحون قال المفسرون اي تباعد والفلك يكون مفردا وجمعا ومعناه السفينة
والمشحون بمعنى المملوء وتفسير ابق بتباعد مذهب المبرد فاشار به الى ان
تفسيره بهذا يقتضي انه لم يعص الله ولم يخرج بغير اذنه كالعبد الابق من
سيده ولذا ذكره المص رحمه الله تاييدا لما قبله ومن لم يقف على مراده قال
ليس في ذكره هنا كبير فايدة فان كل ابق متباعد من سيده وانما محل الاستدلال
قوله فظن ان لن نقدر عليه وقد تقدم الكلام عليه واما قوله عز وجل
اني كنت من الظالمين فانه يقتضي انه صدر منه ذنب كما اشار اليه بقوله
فالظلم حقيقة معناه وضع الشيء في غير موضعه مطلقا فيشمل الذنب
وغيره ومنه ظلم السقا اذا شرب قبل ان يروبه فهذا اي جعله من الظالمين
اعتراف منه عند بعضهم بذنبه لتبادره من الظلم عرفا وشرعا لا لغة كما

تقدم فاما ان يكون ذنبه لخروجه عن قومه بغير اذن ربه في الخروج له من بينهم
على عادة الانبيا اذا ارادوا الهجرة كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى
المدينة وهو مفصل في الصحيحين او ذنبه ضعفه عما حمله من اعبا الرسالة لضيق
صدره كما تقدم او دعائه بالعذاب على قومه وهذا التوجيه ضعيف لان الدعا على الغير
اذا راى منه ما يسوءه لا يعد ذنبا والى هذا اشار بقوله وقد دعا نوح على قومه
بالهلاك فلم يواخذ اي لم ينقم الله ولم يعاقبه عليه وذلك قوله لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا وقد لعل هذا اعلى ان عده ذنبا لا يتجه وقال الواسطي رحمه الله تقد
م ترجمته في معناه نزه ربه تعالى عن الظلم بقوله سبحانك اني كنت من الظالمين ولم
يقل سبحانك على يا انك عن صدور ظلم منك واضاف اي نسب الظلم الى نفسه
اعترافا وابراة الله من مثله او لقصور البشرية حتى يجوز ذلك عليه ولا يبري نفسه
واستحقاقا لذلك وان لم يقع بالفعل فالحاصل انه ذكره هنا لنفسه وبيانا
لاستعداد البشر لمثله وانما يحفظهم الله بلطفه ومثل هذا في تنزيه الله وبيان قصور
نفسه قول ادم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا مع ما تقدم من بيان العذر فيما صدر
منهما وانما اضافا الظلم اليهما اذ كانا اي ادم وحوى السبب في وضعهما غير الموضع
الذي انزلا فيه اي انزلهما الله فيه قبل الاكل من الشجرة في الجنة واخراجهما من
الجنة اي جنة الخلد التي وعدها المؤمنون وقيل الهالجنة وبستان اخر في الدنيا
على خلاف مشهور فيه للمفسرين وانزالهما من الجنة التي هي فوق السما الى الارض
الدنيا وقوله وضعهما الخ اشارة الى ان الظلم فيه بمعناه اللغوي وهو وضع الشي
في غير موضعه مطلقا كما تقدم انفا فان قلت اذا كان دعا نوح ليس بذنب
فلم قال اذ طلب اهل المحشر منه الشفاعة اني دعوت على قومي فخشي ان لا تقبل
شفاعته قلت قد اجابوا عنه بانه ليس لانه ذنب بل لان لكل نبي دعوة عظيمة مستجا
بة وقد صرفها في الدنيا لما دعا عليهم لا لانه ذنب وقيل غير ذلك وعاتب الله يونس
دون نوح عليهما الصلاة والسلام لان يونس لم يصبر وعجل الدعا ونوح
دعا عليهم الف سنة حتى ملّ دعوتهم وييس منهم واما قصة داود صلى الله
عليه وسلم فلا يجب كان الظاهر ان يقول لا يجوز او لا يصح ان تلتفت الى ما
سطره فيهما اي كتب في كتبهم الاخباريون اي اصحاب القصص وينسب الى الجمع
على خلاف القياس لانه اراد به قوما معينين كانصاري وفلسفي العلم كانماري
وعدم الالتفات كناية عن عدم الاعتبار بذكر ذلك واعتقاده فانه لا يليق
ببعض الصالحين فضلا عن الانبيا لكنه اراد بعدم الوجوب الامتناع وعدل عن
الظاهر لنكتة وقوله عن اهل الكتاب متعلق بسطر لتضمنه معنى نقل
الذين بدلوا اي حرفوا كتبهم وغيروا ما فيها بادخالهم ما لا اصل له وهو علة
لعدم جواز النقل لما رووه ونقله بعض المفسرين في تفاسيرهم وكان ينبغي
لهم ان لا ينقلوه وذلك قولهم ان داود صلى الله عليه وسلم كتب الى ايوب
قايد جيشه ان ابعث اوريا اي زوج المراة الحسنا التي راها كما مر وهو
يصلي في محرابه فتعلق قلبه بها كما مر الى وجه العدو وقيل التابوت وكان

من يتقدم مع التابوت لا يجوز له أن يرجع حتى يفتح على يديه أو يستشهد فقدم ففتح على يديه فكتب له ثانيا البعثة لموضع كذا مرة بعد مرة حتى قتل فتزوج امرأته ولم ينص الله تعالى في قصته في القرآن على شيء من ذلك الذي ذكروه في قصصهم ولا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح يعتمد على روايته والمراد بالصحيح هنا ما يشمل الحسن فإنه كثيرا ما يستعمله الفقهاء بهذا المعنى والذي نص الله عليه في القرآن قوله وظن داود أنما فتناه إلى قوله وحسن مآب فهذا هو الصحيح مما ذكره لما ورد عليه أن في هذا النص ما يقتضي أيضا صدور ذنب وفتنة تاب منهما فما المراد بهما وما الجواب عنهما قال وقوله فيه أي في هذا النص أواب أي كثير الرجوع عما صدر منه إلى الله بالتوبة فهو مثل تواب في إيهام صدور ذنب منه فمعنى فتناه في هذه الآية اختبرناه أي جربناه وامتحناه والمراد فعلنا به فعل الممتحن ليظهر حاله للناس من فتنت الذهب إذا صفيته من غشه وهذا حقيقته فليست الفتنة هنا بإيقاعه فيما يضره من الآثام كما هو المعنى المتداول في عرف اللغة ومعنى أواب هنا كما قال قتادة في تفسيره مطيع لكثرة رجوعه لأمره وهذا التفسير أولى من تفسيره بتواب من الذنوب وهذا التفسير نقله البغوي عن ابن عباس أيضا وقال ابن عباس وابن مسعود في تفسيره لفتنة ما زاد داود على أن قال للرجل يعني أوريا زوج المرأة الحسناء التي رآها انزل لي عن امرأتك أي افرغ عنها وطلقها لأتزوجها لا أنه أرسله لما بعده حتى قتل وأكفلنيها أي ضمها إلي بالدخول تحت نكاحي ومنه الكفالة لأنها ضم ذمة إلى ذمة كما قصه الله في مرافعة الملكين له وقوله إن هذا أخي إلى قوله أكفلنيها وعزني في الخطاب مما ضربه الله مثلا لما صدر منه فعاتبه الله على ذلك الفعل الذي صدر منه ونبهه عليه على ما فيه من خلاف الأولى اللائق بمقامه عدمه وأنكر عليه شغله بالدنيا وما فيها من النكاح ونحوه وهذا الذي قاله ابن عباس وابن مسعود هو الذي ينبغي أن يعول عليه أي يعتمد عليه فيروى ويعتقد من أمره وأمر أمثاله من رسل الله عليهم الصلاة والسلام لا ما نقل عن أهل الكتاب وقد قيل إنه إنما خطبها أي طلب تزوجها على خطبته بكسر الخاء وهي طلب الزوجة وهو من الخطابة بالضم وكان داود صلى الله عليه وسلم لم يعلم بخطبته فلا ذنب أصلا وقيل بل الذي عتب الله أنه أحب قلبه أن يستشهد ليتزوج بامرأته لا أنه صرح به وباشر أسبابه كما مر وهو ميل قلبي لا يؤاخذ به لأنه خطر بقلبه أنه لو استشهد تزوجها لأنها أعجبته وعلى هذه الوجوه لا معصية فيه أما طلب النزول عن زوجته فكان جائزا عندهم كما كان في أول الهجرة بين الأنصار والمهاجرين وأما الخطبة على الخطبة فإنها وإن كانت حراما عندنا بغير رضى وفراغ فلعله جائز عندهم أو لم يعلم بها أعلمه الله به فلا حرج عليه وأما خطرات القلوب فلا يؤاخذ بها وما عداه لا يجوز نسبته لهم ولا التحدث به ولذا قال علي رضي الله عنه من حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذه القصة نظير قصة نبينا

فاستغفر ربه أي طلب غفران مولاه وخر راكعا أي وسقط للسجود بالخضوع والخشوع حال انتقاله من الركوع وأناب أي رجع من الغفلة إلى الحضرة فغفرنا له ذلك أي إن كان له ذنب وإن له عندنا لزلفى أي لقربى وحسن مآب أي مرجع إلى الجناب
علي القاري

صلى الله عليه وسلم مع زيد رضي الله عنه في زوجته أم المؤمنين زينب بنت جحش كما يأتي ذلك لما رآها إلا أنه صلى الله عليه وسلم لم يطلب من زوجها فراقها بل قال له أمسك عليك زوجك حتى زوجها الله له وفيه منقبة عظيمة له وقد ابتلى الله بالنساء ثلاثة من الأنبياء نبينا وداود ويوسف عليهم الصلاة والسلام ابتلاء لحكم خفية منه وبقية الكلام على هذه القصص مفصل في التفاسير وكتب الحديث فلا حاجة للتطويل بها هنا وكثرة القيل والقال كما فعل في الشرح الجديد وحكى السمرقندي في تفسيره وقد قدمنا ترجمته وأنه أبو الليث الإمام المشهور أن ذنبه الذي استغفر منه أي طلب من الله مغفرته والعفو عنه لم يكن ذنبا كما توهموه وإنما هو قوله لأحد الخصمين أي الملكين اللذين أتياه في صورة رجلين متخاصمين له لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وظلمه بتشديد اللام أي نسبه للظلم بقول خصمه أي بمجرد قوله من غير كشف لحال خصمه وتثبت في أمره وهو خلاف الأولى وقد قال ابن العربي إنه لا يجوز في ملة من الملل فما قاله السمرقندي لا يجدي هنا وأجيب عنه بأنه إنما قاله لأنه رأى خصمه سلم له مقالته ولم ينكر عليه فظنه رضي بما قاله وكلام الله مبني على غاية الإيجاز فكأنه قال فتمهل وعلم بسكوته رضاه أو هو بتقدير إن كان كما تقول فقد ظلمك وقال الحليمي إنه سمع قول المتظلم فاستعجل ولم يسأله عن ظلمه ولذا عاتبه ولم يرض فعله والأحسن ما قدمناه وإلى نفي ما أضيف في الأخبار أي ما نسب في الأخبار السابقة إلى داود من ذلك الذي رووه ذهب أحمد بن نصر وقد تقدمت ترجمته وأبو تمام قال البرهان هو حبيب بن أوس الطائي ونسبه معروف وأنه هو الشاعر المشهور صاحب الديوان وترجمته معروفة وبلاغته ورتبته معروفة في معرفته باللغة والعربية وهو في الطبقة العليا من المولدين متقدم العصر والرتبة على المتنبي لكن لم نر من عده من علماء الحديث والتفسير فهو غلط من اشتراك الاسم وقد نقل المصنف من هذا الكتاب كثيرا عن محمد الأبهري من علماء المالكية من أهل طليطلة وهو يلقب بأبي تمام وهو المراد هنا ه وأصحاب الحواشي من أنه أبو تمام الشاعر المشهور خطأ فإنا لم نسمع من نقل عن الشاعر شيئا مما يتعلق بالأمور الشرعية وإنما غرهم الاشتراك اللفظي وهذا مما لا شبهة فيه ويؤيده قوله وغيرهم من المحققين فإن عد أبي تمام الشاعر محققا مما لا يعرف فهو مؤيد للوهم فيه وقال الداودي تقدم الكلام عليه وترجمته ليس في قصة داود صلى الله عليه وسلم وأوريا خبر رواه المحدثون في كتبهم المعتمدة يثبت بفتح المثلثة وسكون الموحدة والمثناة فوقية أي يثبت بثبوت النقل فيه وأوريا هو ابن حنان زوج المرأة التي تزوجها داود بعده كما تقدم وهي أم سليمان نبي الله عليه الصلاة والسلام وأوريا قال الأنطاكي في حواشيه إنه بضم الهمزة وسكون الواو وكسر الراء المهملة ومثناة تحتية ومدة تليها همزة وضبطه غيره بفتح الهمزة الأولى وقال البرهان لا أعلم فيه نقلا فلا يظن بنبي محبة قتل مسلم كما قالوه ولا ينافيه

ما قدمه من قوله انه صلى الله عليه وسلم احب بقلبه ان يستشهد كما قيل فان المص
لم يرتضه بل رده بقوله وقيل الخ ما مر وما قيل من ان كلام الداودي طعن في الرواية
من غير دليل ليس بشيء فان ما ردوه فيه ما لا يليق بمقام الانبيا لا قدام عليه
من غير رواية صحيحة لا تليق والنافي لا يطلب منه دليل وقيل ان احد الخصمين
اللذين اختصما اليه بان ادعا احدهما على الاخر رجلان حقيقة لا ملكان في صورة
رجلين وهما جبرايل وميكايل في نعاج جمع نعجة وفي نسخة نتاج غنم على ظاهر الاية
من غير تاويل بانهما ملكان اتياه في صورة رجلين ينبهانه على ما صدر منه من
خلاف الاولى لا كما قاله اصحاب القصص وهذا وقع في بعض النسخ وليس في الام
والحاصل انه ما اشتهر بين القصاص واهل الكتاب واغتر به الحشوية
لم يثبت والذي قصه الله عنه ليس فيه ما يابا ه مقام النبوة واما قصة
يوسف عليه الصلاة والسلام وما نقله اهل القصص فيها مما يقتضي
قصد وورد ذنب منه كما تمسك به من جوز مثله على انبيا الله مما لا اصل له في
نص من القران ولا من الاحاديث الصحيحة واخوته ابنا يعقوب اثنا عشر من زوجتين
له واحدة ام يوسف عليه الصلاة والسلام وبنيامين تزوجها بعد اختها
ليا واسما اخوته مذكورة في التفاسير والتواريخ مع اختلاف في ضبط اسمايهم
واكبرهم اسمه روبيل فليس على يوسف فيها اي في تلك القصة تعقب اي اعتراض
مما يدل على اعتراض فيه او نقص ينسب اليه مما لا يناسب مقامه عليه الصلاة
والسلام وهو الكريم بن الكريم واصل التعقب ان يمشي على اثره
كانه يطا عقبه ثم استعمله المصنفون بمعنى الاعتراض فيقال تعقب كلامه اذا
اورد عليه ايرادا اما اي فلا اعتراض على يوسف نفسه فيما حكاه عنه كما بينته
المعتنون واما اخوته فالاعتراض على ما صدر منهم من القا يوسف في الجب وكذبهم
على ابيهم عليه الصلاة والسلام وعقوقهم له فلم تثبت نبوتهم حتى ينافي
ما فعلوه لانهم غير معصومين وقال السيوطي في رسالة سماها دفع التعسف
عن اخوة يوسف لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين نبوتهم ونقل عن
ابن زيد انه قال بنبوتهم وانكره اخرون والمعتبرون منهم من قال انهم انبيا
ومنهم من رده كالقرطبي والرازي وابن كثير ومنهم من حكى القولين فلا ترجيح
كابن الجوزي ومنهم من لم يتعرض له وفسر الاسباط باولاد يعقوب فحسبوه
قال بنبوتهم وسيا تي بيانه فيلزم بالنصب في جواب النفي الكلام فاعله على
افعالهم وتوجيهها وقوله ذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبيا
يوهم انهم انبيا وانما اراد ذرية يعقوب لا اولاد صلبه وهم من ولدهم
بغير واسطة لحصول من ما يخرج من صلب ظهره كما اشار اليه المص قال المفسرون
يريد من نبي بينا المجهول اي صار نبيا من انبيا الاسباط لا اولاده لصلبه كما
تقدم وقال ابن كثير لم يقم دليل على نبوتهم وظاهر القران خلافه ومنهم من زعم
انهم اوحي اليهم بعد ذلك لقوله تعالى والاسباط ولا دليل فيه لان بطون بني
اسرائيل يقال لهم اسباط كالقبايل في العرب والشعوب في العجم فلا يدل على

ابن اقبرس

ابن اقبرس

طوبى

حيث قال تعالى قولوا امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط

الله

الله اوحي اليهم باعيانهم بل على ان ذرية يعقوب انبيا ولا وجه لتفسير الاسباط باولاد يعقوب
لصلبه كما قال ابن تيمية واصل السبط الشجرة الملتفة الاغصان ثم اطلق على ولد يعقوب
لكثرتهم والسبط الحافد ايضا كما قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله اثني عشرة اسباطا امما صريح في ان الاسباط الجماعات الكثيرة مطلقا
فتخصيصه باولاد الصلب خطا ولم يكن فيهم نبي قبل موسى غير يوسف وفي الحديث
الكريم الثاني يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي
فلو كان اخوته انبيا شاركوه في ذلك وما في قصتهم من العقوق والكذب صريح في عدم
نبوتهم وانما نشا الغلط من لفظ الاسباط كما قاله ابن تيمية في رسالة له في ذلك وقيل
وهو احد الاقوال الثلاثة كما فصلناه انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما حكاه الله
عنهم في سورة يوسف صغار الاسنان جمع سن وهو زمان العمر اي اطفالا غير مكلفين
ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به بمصر لبعد العهد به اي لم يعرفوه لانهم
فارقوه وهم غير مميزين وفي عبارته لطيفة هنا ولهذا اي لكونهم حين صدر عنهم
ما صدر قالوا لابيهم ارسله معنا غدا نرتع اي نتجارى ونتسابق ونلعب واللعب
لا يليق بالرجال وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا الفعل على احد الاقوال المتقدمة
والله اعلم بحقيقة حالهم وهذه الدلالة بحسب الظاهر المتبادر فان الكبار قد يلعبون
ويتسابقون وهو على قراة نرتع ونلعب بالنون وعلى القراة الاخرى يرتع ويلعب
بالياء المثناة التحتية وهو بضمير الغيبة ليوسف دونهم فلا دليل فيه وكذا عدم
معرفتهم له انما يدل على صغرهم وبعد عهدهم به لان مدة مفارقتهم اربعون
سنة او ثمانون بحسب الظاهر اذ يجوز ان لا يعرفوه لتغيره وكونه بهيئة
الملوك ذوي الهيبة ولعدم قربهم من مجلسه ومثله من الامارات الظنية يكتفى فيه
لهذا القدر واما ما استدلوا به على وقوع الذنب والمعصية منهم وهو قول الله
تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ضمير همت لامراة العزيز وضمير
هم ليوسف عليه الصلاة والسلام والهم يكون بمعنى العزم المصمم على امر وبمعنى
ميل طبيعي غير اختياري وهمها بالمعنى الاول وهو ارادتها الفاحشة وهمه بالمعنى
الثاني وهو غير مذموم اذا كف عنه بل ممدوح يوجر عليه لو سلم فان قلنا بعدم
وقوعه لانه في المعنى جواب لولا ان جوز تقديمه عليها على ما ياتي او قايم مقامه
اي لولا رويته البرهان هم فيدل حينيذ على انه لم يهم بها وما وقع في القصص
من حل السراويل وما بعده كذب لا اصل له وبرهان ربه قيل انه راى يعقوب
عليه الصلاة والسلام عاضا على اصبعيه وهو يقول اتفعل فعل السفها وانت
مكتوب من الانبيا بان تصورت له صورته او راه حقيقة وروج له السقف
وقيل ضرب صدره بيده فنزعت منه شهوته وقيل نودي بصحف من ورا الحجاب
فقام هاربا ومضت خلفه وقيل انما تمثل له جبريل فصده فعلى طريقة جماعة
من الفقها والمحققين ان هم النفس لا يواخذ به مطلقا لانه امر اضطراري وفسره
بقوله وليس سيية اي خطية ومعصية لقوله صلى الله عليه وسلم نقلا عن
ربه يعني في الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه وهو حديث طويل اذا هم

عبدي بسيئة اي عزم عليها وقصدها فلم يعملها بان تركها خوفا من ربه كتبت له حسنة ه
لمجاهدته لنفسه فصرفها عما تريده فلا معصية في هذا اي في هم يوسف اذن اي على هذا
القول والتقدير واما على مذهب المحققين من الفقها والمتكلمين كابي بكر الباقلاني
الذين راوا تعارض النصوص فقد فقهوا النظر في التوفيق بينها فانهم فصلوا في ذلك
تفصيلا فان الهم الذي يخطر بالبال اذا وطنت عليه النفس عازمة على الفعل
اي صممت وجزمت عليه واصل معناه اتخذه وطنا ثم نقل لما ذكر بعد ما كان
مجازا لعلاقة ظاهرة يقال وطنت نفسي واوطنتها اذا حملتها على امر فاسمت سيئة
تكتب عليه فهو مرفوع خبر ان ونصبه خبر كان مقدرة بعيد واما ما لم توطن بالبنا
للمفعول عليه النفس من همومها جمع هم بمعنى نية وعزم وخواطرها عطف تفسير
فهو المعفو عنه لا ما قبله وهذا هو الحق فيكون ان شا الله هم يوسف من هذا القبيل
المعفو عنه فلا يتم الاستدلال لان هذه القصة على نحو من المتغاير والحاصل انه ذهب
كثير من العلما الى ان هم المرا وخاطر نفسه لا يواخذ به فلا معصية في ذلك على هذا
وذهب بعض الفقها والمحدثين الى ان الهم اذا لم توطن عليه النفس معفو عنه
واذا وطنت عليه وصممت كتب سيئة والنصوص فيه مختلفة فما تقدم في حديث
مسلم واحاديث اخر في معناه يدل على انه لا يواخذ به وقوله تعالى وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقوله يواخذكم بما كسبت قلوبكم ونحوه يدل
على خلافه والتوفيق بينهما ما قاله الغزالي من ان اول ما يرد على القلب كرونه امراة
على الطريق مثلا لها ويسمى حديث النفس وخاطرا والثاني ما يتولد منه من الرغبة
واعادة النظر وهو الميل الطبيعي والثالث حكم القلب بانه ينبغي ان يفعل ه
وينبغي اعادة النظر والرابع التصميم على ذلك وترك الصوارف عنه كالحيا والاول
لا يواخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذا هيجان النفس والميل والشهوة لانها
ليست اختيارية وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به
نفوسها وهي الخواطر التي لا يتبعها هم وعزم واما الاعتقاد وحكم النفس بانه
ينبغي ان يفعل فيكون اضطراريا ولا يواخذ به واختياريا فيواخذ به والرابع
يواخذ به فان لم يفعل نظر فيه فان تركه خوفا من الله وندما على همه كتب له
حسنة لمجاهدته لنفسه وان تركه لعايق وعذر غير خوف الله كتب عليه وفي
الحديث ما يدل على هذا التفصيل وهو كلام حسن وهم يوسف عليه الصلاة
والسلام كان عزما وتصميما امتنعه منه خوف ربه فهو حسنة لا معصية ثم
اشار الى الجواب عن سوال مقدر بقوله ويكون على تقدير انه معفو عنه
قوله وما ابرئ نفسي لانه معناه وتفسيره الذي بينه بقوله اي ما ابرئها
من هذا الهم يعني ما انزهها عنه لانه امر جبلي لا محذور فيه او يكون ذلك
اي قوله ما ابرئ نفسي صدر منه على طريق التواضع باطنا وانه غير منزه
عما يشين لان الكمال لله لا انه صدر منه مثله حتى يتمسك به والاعتراف بمخالفة
النفس اي ما ابرئها من الهم بالمعاصي وقد فعلت ولكني خالفتها وصرفتها
عن همها وهو امر حسن منه لما يكمل للام وتخفيف الميم زكي فتبل وبرى منه

في الايات السابقة وهذا انتباه الى قوله وما ابرئ نفسي من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام
وقد قيل انه من كلام امراة العزيز متصل بقولها ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ه
والوجهان مذكوران في التفاسير وعلى هذا الايراد السوال اصلا فكيف تاييده لما هو
بصدده من انه لا اعتراف بصدور ذنب منه في كلامه وقد حكى ابو حاتم قيل ولعله
ابن ابي حاتم في تفسيره عن ابي عبيدة معمر بن المثنى وقد تقدمت ترجمته وابو
حاتم الرازي هو الامام الحافظ الجليل محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلي احد الاعلام
في التفسير والحديث ولد سنة خمس وتسعين ومائة وتوفي في شعبان سنة سبع
وسبعين ومائتين ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم اي لم يقع منه هم
يعد معصية وان الكلام اي النظم القراني الذي نحن فيه فيه تقديم وتاخير اي
وبيانه لقد همت امراة العزيز به اي بيوسف وتكليفه بما ارادته ولولا ان راى
برهان ربه لهم بها قال الشريف المرتضى في كتابه الدرر والغرر انه على هذا يجري
مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك اي لولا تداركي هلكت وان لم تقع
هلاك واستشهد له بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك والهم لم يقع واستبعد قوم تقديم جواب لولا عليها وهو
اولى من حذفه وذكر شواهد استشهد بها على جواز تقديمه ردا على من قال
انه لا يجوز انتهى فما قيل ان جواب لولا محذوف لعدم جواز تقديمه غير
مرضي وهذا مذهب الزمخشري والزجاج لكن المرتضى علم من الايمة في العربية
وغيرها فلذا اختير قوله وتقدير لفظ ما قبلها ولو اوقع المعصية وامراة
العزيز اسمها راعيل وقيل زليخا كزليخا بفتح اوله وضمه خطا وقد قال
تعالى حكاية عن المراة المذكورة انفا ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
واسم زوجها قطفير والمراودة الطلب من راد يرود اذا جا وذهب اي طلبت
منه ان يضاجعها ومعنى استعصم امتنع لعصمة الله له وفيه دليل على انه
لم يقع منه هم بالمعنى الذي قالوه ومما يويده انه قد قال تعالى في حقه كذلك
اي عصمناه لنصرف عنه السو والفحشا اي لئلا يمتثل لنفسه لما اريد منه من
معصية الله والجار والمجرور في محل نصبه او رفع اي نجيناه نجاة لك او امرنا
كذلك والسو الزنا او الذكر القبيح او عقوبة الملك والفحشا مواقعة المراة
ونحوها مما يقبح وقال تعالى في هذه القصة وغلقت الابواب معطوف على قوله
راودته وغلق الباب قفله والتفعيل للتكثير وقفلها لتخلو به لما ارادته وقالت
هيت لك هيت اسم فعل مبني على الفتح واللام للتبيين كما في سقيا لك وقال الراغب
هيت قريب من هلم وقرئ هيت لك اي تهيأت لك ويقال هيت به اذا قلت له
هيت لك انتهى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية اي قال حين راودته
معاذ الله اي اعوذ بالله منك ومما اردته التجا الى الله دفع ما همت به وهو منصوب
على المصدرية والمثوى بمعنى المقام من ثوى بالمكان اذا اقام به وقيل في معنى
ربي هنا انه الله تعالى وقيل الملك بكسر اللام وهو زوج زليخا وضميرانه للشان
خبره ربي احسن مثواي والرب يطلق على الله وعلى غيره ومعناه المالك والسيد

مرضي وابن قتيبة

العزيز صح

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَالمرَبِّي وَالمنعم وَفي اطلاقه علي غير الله تفصيل في التفاسير مشهور وَتقدم مرارًا له
وَالنهي عن اطلاقه علي غير الله تنزيهي وَمعني احسن مثواي انه احسن القيام بي وتعهدي
باكرامه لي وَانعامه وَقيل معني همّ بها انه همّ بزجرها اليه نعها عن مراودته وعظها
بتخويفها من الله وَلحوق العار لها وَقد قال المفسرون كابن عطية انه وجه بعيد
لمخالفته للظاهر وَقيل معني همّ بها غمّها امتناعه عنها اى عن معاملتها بما ارادة
فهو من الهمّ بمعني الغم وَالبا للتعدية بمعني اهمها اذا اوقعها في همّ وحزن
وَهو بعيد وَان كان فيه مشاكلة وَتجنيس للتعقيد المعنوي فيه وَقيل انه
بعيد من اللغة لانه بهذا المعني متعد بنفسه يقال همّه الامر اذا احزنه
وَقيل معني همّ بها نظر اليها وَهو في غاية البعد وَقيل معناه همّ بضربها
وَدفعها حين امسكته وَهذا كله بتقدير مضاف وَالحاصل بمعناه وَالحامل علي
هذه التاويلات صرفه عما لا يليق بمقام النبوة وَقيل هذا كله كان قبل نبوته
بناء علي عدم العصمة قبلها وَقد تقدم بيانه وَقد ذكر بعضهم انه ما زال النساء
يملن الي يوسف عليه الصلاة وَالسلام ميل شهوة لما جبلت عليه طباعهم حتى
نباه الله تعالى اي جعله نبيًا فالقي عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من
يراه عن الاشتغال بالنظر الي حسنه وَجماله وَمهابة الانبيا امر معلوم كما يشاهد
في بعض العباد فضلًا عن الانبيا عليهم الصلاة وَالسلام وَاما خبر موسي صلي الله
عليه وسلم الذي استدل به علي جواز صدور الذنب من الانبيا وَما جري له مع
قتيله الذي وكزه وَهو رجل كافر كان طباخ فرعون لعنه الله وكان يسخر الناس
لحمل الحطب لمطبخ فرعون فسخر رجلًا من بني اسرائيل فاستغاث منه بموسي عليه
الصلاة وَالسلام وَكان بنو اسرائيل صارت لهم عزة وَمنعة بموسي عليه الصلاة
وَالسلام لما كبر وَكان موسي قويًا في جسمه فنهاه عن تسخيره فلم ينته فضربه
بيده لدفع ظلمه فمات وَالوكز وَاللكز بمعني وَهو الدفع وَمنهم من فرق بينهما
بان الاول في الصدر وَالثاني في الظهر وَقيل باطراف الاصابع وَقيل غير ذلك
وَهو امر سهل فقد نص الله تعالى في القران علي انه من عدوه اي كان كافرًا من
كفرة القبط وَموسي وجد قتل من بني اسرائيل اي من قوم بينهم وبين بني اسرائيل
عداوة وَمحاربة فلا يمتنع عليه قتله لدفع ضرره مع انه لم يقصد بضربه قتله
وَانما قصد دفعه وَدفع ظلمه وَمثله لا يحرم اشار الي ذلك بقوله وَقيل كان من
القبط علي دين فرعون اي كان كافرًا علي ملة امره بها من عبادته او غير ذلك والقبط
نبط مصر وَقوم فرعون وَهم جيل من الناس معروف وَذلك السورة اي
السورة تدل بمنطوقها في هذا كله اي فيما قصه الله من هذه القصة انه قبل
نبوة موسي فانه لما قتله فر خائفًا فكان ما كان له مع شعيب عليه الصلاة
وَالسلام اي جري له معه ما جري وَتزوج ابنته ثم تنبأ لما فارقه كما قصه
الله وَقبل النبوة لم يكن معصومًا من الخطا فما صدر عنه مثل هذا وان
لم يكن معصية لانه لم يضربه بالة جارحة فهو خطا شبه عمد وَلم يكن
ثمة شرع وَلذا قال وَقال قتادة وكزه بالعصا وَليست جارحة بل مثقل

وَلم

ولم يتعمد ضربه وَيقصد قتله فعلي هذا لا معصية في ذلك اي فيما فعله موسي في هذه
القصة حتى يستدل بها علي ما ادعوه وَقوله اي قول موسي المحكي عنه مما يقتضي انه
ما صدر عنه معصية هذا من عمل الشيطان اي هذا الذنب مما القاه الشيطان وَقوله
ظلمت نفسي بعمل ما قالوا انه معصية وَلذا قال فاغفر لي ما صدر مني فلولا انه ذنب لم
يطلب مغفرة الله له قال ابن جريج بصيغة المصغر وَهو عبد الملك بن عبد العزيز
ابن جريج ابو الوليد او ابو خالد القرشي مولاهم احد الاعلام الفقها قال موسي صلي
الله عليه وسلم ذلك المذكور من نسبة عمله للشيطان وَطلب مغفرته من اجل انه
لا ينبغي اي لا يصح وَيليق لنبي ان يقتل احدا حتى يؤمر بالبنا للمفعول اي يامره الله
او من له الامر وَلذا كان صلى الله عليه وسلم في اوائل امره لم يؤذن له في القتال
ثم اذن له في ذلك بعد ما هاجر المسلمون الهجرتين فموسي صلى الله عليه وسلم اذا
لم يؤذن له في ذلك فهو غير جائز وَقال النقاش في تفسيره لم يقتله موسي عن
عمد حال كونه مريدًا للقتل وَالمقصود بالنفي الحال وَانما وكزه وكزه مفعول
مطلق تؤكيد يريد بها دفع ظلمه للناس وَعدم تسخيرهم وَقد قيل ان هذا كان
قبل النبوة اذ لم يكن مامورًا بشرع وَهو مقتضي التلاوة اي ما يدل عليه نظم القران
المتلو وَقوله تعالى في قصته اي قصة موسي التي قصها الله في القران وَفتناك
فتونًا قال الراغب اصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته وَيستعمل
في ادخال الانسان النار قال تعالى ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وَتارة يستعمل فيما
يحصل منه العذاب كقوله الا في الفتنة سقطوا وَتارة في الاختبار نحو وَفتناك
فتونًا وَجعلت الفتنة كالبلا في انهما يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من شدة ورخا
وَهو في الشدة اظهر وَاكثر استعمالًا انتهي وَاليه اشار بقوله اي ابتلاك ابتلا
بعد ابتلا اشارة الي ان الفتنة هنا بمعني الابتلا اي الاختبار وَانه يكون بالخير
وَبالشر وَبالشدة وَان الفتون جمع فتن او فتنة علي تقدير عدم التا وَالاعتداد
بها فيدل علي التكرار فلذا قال ابتلا بعد ابتلا وَيجوز ان يكون مصدرًا له
كالقعود فالتكرار غير مراد او يؤخذ ذلك من السياق وَقيل ذلك الابتلا في هذه
القصة يعني قتله القبطي وَما جري اي وقع وَاتفق له اي لموسي مع فرعون
وَذلك ان فرعون راي رؤيا اولها له معبروها المعبرون وَالكهان بمولود من بني
اسرائيل يكون علي يديه زوال ملكه وَدينه فامر القوابل بان كل ذكر ولد منهم
ياتونه به وَيذبحونه ففعلوا ذلك حتى وقع في بني اسرائيل موتان عظيم
فقال له القبط تخشي فنا بني اسرائيل فلا يبقي لنا خدم فنحتاج الي استخدامنا
فامر ان تقتل الذكور منهم سنة وَيتركون سنة فولد هارون في سنة العفو
ثم وُلد موسي في سنة الذبح فخافت عليه امه فاوحي اليها اوحي الهام وَقيل
وَحيًا جا هَا فيه جبريل وَان لم تكن نبية لان الملك كان يراه غير الانبيا كمريم
ثم ارتفع ذلك بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلم فالقته امه في صندوق
وَالقته في النيل فدخل بيت فرعون وَاستوهبته امراته اسية وَكان له معه
ما اشتهر من ذلك وَهو المراد بالفتون اي ما وقع له فيه من الشدائد حتى نباه الله

موضعه

واتخذته كليما وصفيا وسمته آسية حين اتخذته ولدا موسى ومعناه ماء وشجر بالقبطية
لانه وجد في صندوق ملقى في الماء وقيل معنى الفتون على هذا القاؤه في التابوت اي
الصندوق الذي اتخذته له امه من خشب والذي صنعه لها خزقيل وهو مؤمن
آل فرعون واليم وهو البحر والمراد به النيل وغير ذلك مما جرى له معه كما تقدم
وقيل معناه اي معنى الفتون في هذه الآية اخلصناه اخلاصا اي ابتليناه
بامور شاهد بها قدرة الله ولطفه حتى صار مصنوعا له خالصا من كل امر لا يليق
برسله عليهم الصلاة والسلام فقربه واصطفاه لان الفتنة اصل معناها
ان يذاب الذهب حتى يصفى فيخرج به غشه كما قال ابن جبير ومجاهد في تفسير
هذه الآية وعلى هذا فهو مستعار من الغش قولهم فتنت الفضة في النار اذا
اذبتها وخلصتها من الفتن فاستعير لخلاصه من الكدورات البشرية والاخلاق
الرديئة حتى اجتباه واصل الفتنة اي حقيقتها التي وضعت لها الاختبار اي
امتحان الاشياء وتجربتها بما يعلم به حالها واظهار ما بطن اي خفي عن العيان
في المحسوسات كالذهب والفضة الا انه استعمل في عرف الشرع وهو ما عرف في
تخاطب اهله ومعاملتهم في اختبار يؤدي اي يوصل ويمر ويفضي الى ما يكره
الخبر بزنة المفعول وان كان عاما في اصله خص بما ذكر كما فصله الراغب وقد
سمعته آنفا وعلم مما ذكر ان الفتنة هنا ليس فيها ما يقتضي ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام تجوز عليهم المعاصي لما عرفته من التأويل المذكور وكذلك
مثل ما ذكر في تمسك بعضهم بما لا يسلم تمسكهم به ما روي في الخبر الصحيح الذي
رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه كما قاله السيوطي رحمه الله من
ان ملك الموت الموكل بقبض الارواح واسمه عزرائيل كما ورد في بعض الاحاديث
جاءه اي موسى عليه الصلاة والسلام كما يأتي غيره اذا امر به فلطم عينه اي ضرب
وجهه بيده مفرقعة ضربته على عينه ففقأها اي اخرج حدقته التي بها يبصر
بها بلطمته وهو مجاز وفقء العامة مفقوع بالعين خطأ في العين الحديث
بالنصب اي اقرأ الحديث الى آخره لانه اقتصر على محل الشاهد منه الدال على ان موسى
لم يطع الملك الذي ارسله الله اليه ومثله بحسب الظاهر معصية واجاب عنه
الاتم بقوله ليس فيه اي في الحديث المذكور كما قالوه ما يحكم على موسى عليه الصلاة
والسلام بالتعدي على الملك ومخالفته فيما امره الله به وفعل ما لا يجب له
بالرفع او الجر عطفا على ما او على التعدي وكان الظاهر ما لا يجوز له وعبر به
لنكتة كما امر مثله يترتب عليه ما ذكر بقوله اذ هو ظاهر الامر اي لا خفا فيه بين
الوجه اي توجيهه واضح جائز الفعل اي فعله جائز من مثله لان موسى عليه
الصلاة والسلام دافع اسم فاعل مرفوع او فعل ماض من المدافعة عن نفسه
من اتاه لاتلافها فهو من قبيل دفع الصائل المتعدي عليه ومثله جائز شرعا
وقد تصور الملك وظهر له في صورة آدمي لان الملائكة اجسام لطيفة مجردة
تتصور في اي صورة ارادت لاقدار الله تعالى ذلك كما قال تعالى فتمثل
لها بشرا سويا وكما كان جبريل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في

صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وفي تطور الملائكة والجن في صور مختلفة كلام لاهل الاصول
والحكما وتعرض له المحدثون فان صورهم الاصلية عظيمة جدا فاذا برزوا بصورة
اقل منها فهي صورهم تضامنت وتصاغرت كالقطن المنفوش اذا انضم وتضاغط من
غير ذهاب شيء منه وهو الظاهر وللامام الشهرستاني فيه تحقيق في بعض كتبه اذا
اذا افضت اليه النوبة اثبتناه مفصلا ولا يمكن انه اي موسى عليه الصلاة والسلام
علم حينئذ اي في وقت ضربه له انه ملك الموت لظنه انه آدمي نظرا لظاهر حاله وعبر
بعدم الامكان مبالغة في نفي العلم بملكيته ومراده انه لم يعلم بذلك فلا يرد عليه
ما قيل من ان له عدم الامكان غايته انه ظاهر فيه مع احتمال غيره كما كانوا يتصورون
للانبيا عليهم الصلاة والسلام ودافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب
عين تلك الصورة التي تصور له اي لموسى عليه الصلاة والسلام فيها الملك
امتحانا من الله له مفعول لاجله تعليل لتصوره بغير صورته اي اختبار لموسى
حتى يصدر عنه ما يقتضي امورا فيها حكم خفية فلما جاءه بعد اي بعد ما جاءه
اولا ولطمه واعلمه اي اعلم الله موسى عليه الصلاة والسلام حين جاءه ثانيا
انه اي ملك الموت رسوله اي رسول الله من ملائكته ارسله الله اليه لامر امره
به استسلم جواب لما اي انقاد له وسلم له فيما اراده بعد ما كان دفعه عنه
اشد دفع وهو استفعال من السلم والقاء قياده لغيره كالاسلام قال تعالى يحكم
بها النبيون الذين اسلموا اي انقادوا للحق وللمتقدمين والمتأخرين على هذا
الحديث اجوبة هذا الجواب الذي قرره من انه عليه الصلاة والسلام لم يعلم انه
ملك الموت امتحانا من الله اسدها عندي افعل تفضيل من السداد وهو
القوة فيما اريد به كما قال الشاعر

اعلمه الرماية كل يوم ... فلما استد ساعده رماني

على رواية استد بسين مهملة اي قوي وروايته اشتد بالمعجمة غير مقبولة
عندهم كما بيناه في شرح الدرة وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري
وهو الامام الرحلة الفقيه المحدث البارع في سائر العلوم وهو مالكي المذهب
واسمه ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي شارح المحصول وله شرح مسلم الذي
بنى عليه المصنف شرحه المسمى بالاكمال وله تآليف كثيرة مفيدة جليلة وهو منسوب
الى مازر بفتح الزاي المعجمة وكسرها وهي بلدة بجزيرة صقلية توفي في ثامن
ربيع الاول من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وعمره ثلاث وثمانون سنة رحمه
الله وقد تأوله اي حمله قديما اي قبل شيخه المذكور ابن عائشة وغيره فهو مما
ارتضاه علماء السلف على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته اصل الصك واللطم
الضرب بالراحة او كبسي عريض وجاء بمعنى مطلق الضرب لكنه كما قال النووي
في غاية البعد وان ساعده اللغة وابن عائشة هو عبيد الله محمد بن حفص
ابن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر القرشي التيمي البصري المعروف بالعيشي نسبة
لعيشة وهي لغة في عائشة او من تغييرات النسب لانه من ولد عائشة بنت
طلحة بن عبيد الله وهو احد العلماء الاشراف المحدثين المحتشمين وهو ثقة

اي ابن اقبوس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

روى عنه البغوي وخلق كثير توفي سنة مايتين وثمان وعشرين وهو متقدم على المازري
بزمان كثير فلذا قال المص قديماً وهو كلام مستعمل في هذا الباب المراد به الزام الحجة
بعد ابطال الحجة لخصم وما ارتضاه من الحجج في اللغة اي لغة العرب معروف في كلامهم
مشهور يقولون لطمه وصكه اذا غلبه في المحاجة وفقأ عينيه وعورها اذا افحمه
بحجته والزمه الزاماً لا يمكنه الجواب عنه بوجه من الوجوه لكن صريح الحديث
يأباه فان فيه ما يقتضي انه على ظاهره فان البخاري روى عن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال ارسل الله ملك الموت الى موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاءه
صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه وقال يا رب ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد
الله عليه عينه وقال له ارجع وقل له يضع يده على متن ثور وله بكل ما غطت
يده من الشعر بكل شعرة سنة فقال له ذلك فقال موسى ثم ماذا قال الموت
فقال الان وسال ربه ان يدنيه من الارض المقدسة مقدار رمية حجر فقال صلى
الله عليه وسلم لو كنت ثمة لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر
ونحوه في مسلم وهو ينافي هذا التاويل وكون العين متخيلة لا فقأ بها يقتضي
ان ما يراه الانبياء عليهم الصلاة والسلام من صور الملايكة لا حقيقة له وهو
مذهب السالمية كما قاله القرطبي مع انه لا يجدي نفعاً وارتضى القرطبي الجواب
بان الله تعالى كان اخبره بانه لا يموت حتى يخيره الله ويخيره بين الموت
والحياة فلما اتاه الملك بغتة ودخل عليه من غير استيذان شق عليه ذلك
وكان صلى الله عليه وسلم سريع الغضب ولذا لما رجع اليه وخيره بين الحياة
والموت انقاد له واستسلم قال وهو اصح الوجوه واما قصة سليمان عليه
الصلاة والسلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه اي مما تمسك به القايلون
بتجويز صدور الذنوب من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله عز وجل
ولقد فتنا سليمان فليس من الفتنة المنهي عنها انما هي بمعناها اللغوي
كما تقدم ومعناه ابتليناه اي عاملناه معاملة من يختبر حتى يظهر مما
خفي امره على الناس والابتلاء المراد منه ما حكي عن النبي يعني به سليمان صلى
الله عليه وسلم انه اي سليمان قال لاطوفن الليلة على ماية امراة او تسع
وتسعين امراة كن في نكاحه وكان ذلك جايزاً في شريعته وقال اللحياني
يقال اطوفن واطيفن ثلاثياً ورباعياً من الطواف حول شي انتهى وهو
كناية عن مجامعتهن تلك الليلة فقوله كلهن يأتين اي تاتي كل واحدة منهن
بحمل تحمله ثم تضعه بفارس اي راكب فرس يجاهد في سبيل الله اي في طاعته
التي يسلكها لقتال اعدا دينه وهو حديث صحيح روي في الصحيحين
وغيرهما من كتب الحديث وقوله الليلة منصوب على الظرفية ووقع
اختلاف في عدة النسا ففي البخاري مثل ما ذكره المص من انهن ماية او تسع
وتسعون على الشك وفي رواية غيره سبعين بالموحدة وفي رواية
تسعين فقط بالمثناة الفوقية وفي رواية للبخاري ستون وفي رواية
لوهب بن منبه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام الف امراة ثلاثماية

ممهورة

ممهورة وغيرهن سراري وجمع بين الروايات بانه عد في بعضها المهورات والغى
السريات وفي بعضها عد الكل وعلى القول بانه لا مفهوم للعدد لا ينافي الاقل الاكثر
وان معنى هذا القول فقال له صاحبه اي ملك كان معه او قرينه او رجل كان يصحبه
وقيل هو خاطره وهو بعيد وقيل هو اصف بن برخيا بفتح الموحدة وسكون الرا
المهملة وكسر الخا المعجمة ومثناة تحتية تليها الف قل ان شا الله فلا تجزم بما
قلته وفوضه الى مشية الله تبركاً وتيمناً حتى يتم فلم يقل ذلك لما وقع في رواية
انه نسي ولم يقله بلسانه اكتفاء بما في قلبه او جزماً به لانه من قوة رجايه
واعتماده على كرم ربه فنبه على انه ينبغي تفويض التمني كغيره الى الله فليس
في تركه المشية ذنب يعد عليه كما توهم لا سيما وهو ليس بخبر فلم تحمل منهن
اي ممن طاف بهن الا امراة واحدة دونما باقيهن والتي حملت منهن جاءت
بشق رجل اي بولد غير كامل كما سياتي والشق بمعنى النصف او البعض قال النبي
صلى الله عليه وسلم عند ما ذكر هذا والذي نفسي اي روحي وحياتي بيده اي
بقبضة قدرته وتصرفه ان شا احياها واوجدها وان شا اماتها واحياها وهو
قسم كان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقسم به لو قال سليمان عليه الصلاة والسلام
ان شا الله جاوا فرساناً جاهدوا في سبيل الله كما طلبه وفي رواية فرساناً اجمعون
وقول ان شا الله لا يستلزم الوقوع فقد لا يقع ما قرن به كقول موسى للخضر عليهما
الصلاة والسلام ستجدني ان شا الله صابراً وهو مستحب ويتخلف به مع اليمين
وفي الحديث ما يدل على قوة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقدرتهم على الجماع
لكمال بنيتهم ورجوليتهم كما كان لنبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوف
على جميع نسايه في الليلة الواحدة كما تقدم قال اصحاب المعاني المراد بهم
الذين يفسرون الاحاديث ويقفون على معانيها المرادة بها الشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه الذي كان يجلس عليه لاجرا احكام الملك فيه حين عرض عليه
اي حين اذ عرضته قابلته عليه ثم القته على كرسيه وهي اي هذه الفتنة
المذكورة عقوبته ومحنته بنون بعد الحا المهملة المعبر عنها بالفتنة وقيل
بل مات ولده فالقي على كرسيه ميتاً وهو الشق المذكور وقيل ولد له ولد
تام فاجتمعت الشياطين وقالوا ان عاش له ولد لم ننفك من البلا والسخرة
فقالوا نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر الريح ان تحمله على السحاب
خوفاً من الشياطين فعاقبه الله بان القاه على كرسيه ميتاً لخوفه من غير الله
وهو معنى قوله تعالى والقينا على كرسيه جسداً وقيل ذنبه حرصه على
ذلك وتمنيه اي على ان يرزقه الله ماية ولد يجاهدون في سبيل الله وليس
مثله ذنباً حقيقياً كما توهموه وقيل عد تمنيه ذنباً لانه لم يستثن
اي لم يقل ان شا الله في كلامه ومثله يسمى استثناً في اللغة لان حقيقته
كما قاله الراغب ايراد لفظ يقتضي رفع ما يوجبه عموم لفظ متقدم او رفع
حكمه لانه من الثني وهو الرجوع ومما يقتضي رفع ما يوجبه اللفظ قولك
لافعلن كذا ان شا الله انتهى فليس هذا مجازاً ولا يختص بما قاله النحاة فانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اصطلاح حادث خلافا لما يوهمه كلام بعض شراح الكتاب لما استغرقه من الحرص هو
استفعال من العزف وهو الرغبة في الشي وشاع في السرود وعموم الاوقات وغلب
عليه من التمني للاولاد المجاهدين وهو اشارة الى الاعتذار عن فعله وبيان لانه ذنبا لبيوم
حقيقيا كما قيل وانما هو ترك للاولى وقيل عقوبته ان سلب ملكه لانه صلى الله
عليه وسلم غزا جزيرة واخذ بنت ملكها كانت في غاية الجمال فاحبها ورآها حزينة
فسالها عن سبب حزنها فاخبرته بانه لمفارقة ابيها فسالته ان يصور لها الشياطين
صورة والدها صورته فالبسها لباسه وصورتها فكانت تذهب له تعبده مع جواريها
فاخبره آصف بذلك فكسر صورته وندم على ما جرى لها وفرش رمادا يسجد عليه
ويتضرع الى الله وكان له امراة من نسائه يضع خاتم ملكه عندها اذا دخل الخلاء او
اراد الغسل من جنابة حتى يلبسه على طهارة كاملة وكان ملكه في خاتمه فتمثل
لها شيطان يسمى صخرا بصورته واخذ الخاتم منها وجلس بهيئته على الكرسي اربعين
يوما عدد ما عبد الصنم في بيته وتغيرت هيئته حتى انكره الناس ثم وقع الخاتم
في البحر فابتلعته سمكة فاصطادها سليمان عليه الصلاة والسلام فوجد الخاتم
فيها فتختم به وعاد له ملكه وحبس صخرا والقاه في البحر فهو محبوس فيه الى الآن
في صندوق من حديد وذنبه انه احب ان يكون الحق لاختانه على خصمهم جمع ختن
بزنة جبل وهو الصهر او كل من يكون من قبل المراة كالاب والاخ وذلك كما قيل
انه كانت له امراة يقال لها جرادة وكان مغرما بحبها فقالت له ان فلانا من
اهلي له حق عند آخر وانا احب ان تحكم له اذا جاءك فاجابها صلى الله عليه وسلم
لذلك ولكنه لم يفعل فعاقبه الله على مجرد الميل فكان ما كان من وضع خاتمه
عندها واخذ الشيطان له كما سمعته آنفا وقيل او ذنبه فارقه بعض
نسائه هو ما تقدم من تصويرها الصورة ابيها واتخاذها له صنما تعبده في داره
وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم حتى اخبره آصف كما تقدم فليس ذنبا له في الحقيقة
واصل معنى الاخذ حوز الشيء كما مر فتجوز به عن المجازاة وهو المراد هنا قال
تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم فيقال اخذه وآخذه وواخذه لغة
غير فصيحة ولذا وجد في النسخ اخذ او واخذ وو وخذ وفارقه بمعنى اكتسبه
وفعله واصل العزف والاقتراف قشر اللحاء عن الشجر والجلدة عن الجرح واستعير
لما ذكر ولا يصح بحسب الرواية ما قاله الاخباريون اي اصحاب القصص والتواريخ
وتقدم ان النسبة للجمع على خلاف القياس وهو كالانصاري كما تقدم لاختصاصه
ببعض انواعه من تشبه الشيطان به اي تمثله بصورته حتى اخذ خاتم ملكه
من امراته وجلس على كرسي ملكه يحكم وانكروا سليمان لتغير هيئته كما مر
وفي بعض النسخ من خرافاتهم على فعله من تشبيه الخ وهو بضم الخاء المعجمة
وفتح الراء المخففة وفي كشف الكشاف عن الزمخشري انه سمع فيه خرافات
بالتشديد وجمع على خراريف ولم يسمعه من غيره فالعهدة عليه وتسلطه
على ملكه وسلطنته بالتصرف في امته بالجور في حكمه وظلمهم قال السيوطي
ما قاله المصنف انه من خرافات الاخباريين اخرجه ابن ابي حاتم بسند صحيح

عن

عن ابن عباس موقوفا لكنه ماخوذ من الاسرائيليات كما بينته في التفسير انتهى وفيه نظر
لان اول كلامه يأبى في اخره وخرافات جمع خرافة وهي الكذب كما في القاموس واصله اسم رجل من
عذرة خطفته الجن فلما تخلص منهم كان يحدث عنهم بعجايب رآها منهم ثم قيل لكل مستملح
وامر غريب خرافة وضربه ابن الزبعري مثلا للبعث فقال

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا ام عمرو

وقوله لان الشياطين لا يسلطون على هذا اي لا يقدرهم الله عليه لعصمته تعالى لانبيايه
منهم كما قال فقد عصم الانبياء صونا لهم عن مثله ولا منافاة لامر الرسالة وان سيل اي لانه منافي ح
سال احد من الناس لا استشكاله عليه فقال لم لم يقل سليمان عليه الصلاة والسلام
في القصة المذكورة حين تمنى الاولاد المجاهدين ان شاء الله فعنه للعلما اجوبة جمع
جواب كغراب واغربة وفي المصباح يقال في جمع الجواب اجوبة وجوابات الا ان ابن
الجوزي نقل في غلط العوام عن العسكري ان العامة تقول في جمع الجواب جوابات
واجوبة وهو خطا مثل الذهاب مصدر وقال سيبويه قولهم جوابات واجوبة
مولد انتهى فليحرر فان صاحب المصباح ثقة فلعله سمع نادرا ولم يقف عليه سيبويه
وفي نسخة جوابان احدهما الخ وهو الصواب لانه لم يذكر غير جوابين كما اشار لذلك
بقوله احدهما ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لحكمة ارادها الله
وانه نسي لينفذ امر الله تعالى وفي نسخة مراد الله في ارادته لعدم وقوع ما تمناه
امتحانا له لينبهه على الاولى به صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني انه لم يسمع
صاحبه الذي قال له قل ان شاء الله تعالى وشغل عنه بامر يشغله او لشدة توجهه
الى الله وقوة رجائه فيه الا انه قيل عليه ان ترك المشية ليست معصية حتى
يحتاج لمثل هذا فكان المصنف ذهب الى ان النهي في ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله نهي تحريم انتهى ولم نر من ذهب لهذا حتى يتبعه المصنف ولا حاجة له عوضي
فانه خلاف الظاهر لا سيما للانبياء الذين تقتضي مقاماتهم تفويض جميع امورهم
لله تعالى ولذا تاخر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يقله وقوله اي
سليمان عليه الصلاة والسلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قيل انه عوضي
جواب سؤال تقديره انك قلت ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون
من سائر الذنوب ومنهم سليمان عليه الصلاة والسلام فكيف هذا مع ما ناله
من الله اذ في نيته ملكا لا يكون لغيره وهذا يقتضي حبه للدنيا وتفرده بملك عظيم
لا يتيسر لغيره وفيه حرص وحسد لا يليق بزهد الانبياء في الدنيا وعدم رغبتهم
فيها فاجاب عنه بانه لم يفعل سليمان هذا اي طلبه لما ذكر غيرة بفتح الغين المعجمة
وتكسر في لغية والغيرة محبته امرا يأبى ان يكون لغيره على الدنيا اي على امور الدنيا
كالمال والملك ولا نفاسة بها اي عدها نفيسة عظيمة يضن بها عن الغير هذا
مراده وقال الراغب المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق
بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
انتهى وهو هنا من نفس بكذا اذا رغب فيه وبخل به على غيره لا ما ذكره الراغب
ولكن مقصده في ذلك اي في سؤال ما ذكر على ما ذكره المفسرون في معنى هكذا

الاية ان لا يسلط عليه بالبنا للمجهول احد نايب الفاعل اي ان لا يسلطه الله عليه وتسليطه عليه بان يمكنه من غلبته عليه كما سلط عليه الشيطان وهو صخر كما بيناه الذي سلبه اياه اي ملكه وعاد عليه لينتقم لذكره مدة امتحانه اي في مدة ابتلا الله له بتسليط الشيطان لما اخذ خاتمه عليه الصلاة والسلام من زوجته وظهر بصورته وتصرف في ملكه حتى انكر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان وجد خاتمه في بطن سمكة اصطادها كما مر الا ان الله لم يسلطه على زوجاته صلى الله عليه وسلم كما حكوه تطهيرا لحرمه على قول من قال ذلك من اهل القصص والسير وقد علمت انهم اخذوه من الاسرائيليات المنقولة عن اهل الكتاب وفي صحتها كلام للمحدثين وقيل في توجيه ما طلبه سليمان بل اراد بقوله هب لي ملكا الخ ان يكون له من الله فضيلة يفضل بها اهل زمانه وخاصة يختص بها من دون ساير رسل الله وانبيائه ويؤيده ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم من انه جاءه شيطان وهو يصلي اراد ان يقطع صلاته فاراد صلى الله عليه وسلم ان يقطع صلاته فاراد صلى الله عليه وسلم يمسكه ويربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح ويراه الناس ثم تركه وقال ذكرت قول اخي سليمان هب لي ملكا الخ فهذا يقتضي انه خاصية له خصه الله بها ولذا قال بعض الشراح هنا لا ينبغي للمصنف ان يمر على هذا ويحكيه بقيل كاختصاص غيره من انبيا الله ورسله بخواص منه اي من الله خصه بها دون غيره وهذا لا ينافي الافضلية لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل وقيل انما طلب هذا ليكون دليلا وحجة على نبوته لا رغبة في الدنيا ومنافسة فيها كالانة الحديد لابيه عليه الصلاة والسلام اي جعله لينا كالعجين يصنع منه الزرد ليستعين به على الجهاد واحيا الموتى لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة يوم القيامة كما تقدم ونحو هذا من خصايص انبيا الله ورسله التي اكرمهم الله بها وجعلها معجزة دالة على نبوتهم وقد تقرر انه لم يكن لنبي من الانبيا معجزة وخاصة الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها واعظم منها كما فصل في الخصايص وقد افردت بالتدوين واجل ما الف فيها خصايص للامام السيوطي وفي شرح المواقف طلب سليمان لملك لا ينبغي لغيره لم يكن حسدا منه ومنة بالملك بل لان كل نبي كان له ما يتحدى به اهل زمانه وكانوا جبابرة يفتخرون بالملك وكثرة الجند والمال وقوة الاعوان فاراد صلى الله عليه وسلم ان يكون له من ذلك ما لا يقدر عليه غيره فملكه الله ملكا عظيما ولم يجعله شاغلا له عن زهده وعبادته ليعلم الناس ان زخارف الدنيا لا تلهي خلص عباده عن خدمته ولذا قدم الاستغفار على طلبه فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا الخ وليكون ادعى للاجابة واما قصة نوح عليه الصلاة والسلام وما فيها مما يقتضي انه شك في وعد الله له بقوله انا منجوك الخ على ما ياتي ومثله يحسب لظاهره معصية ولم يذكر قصص الانبيا مرتبة بحسب زمان الوقوع لانه راعى فيها ما هو اظهر حجة لمن جوز على انبيا الله وقوع الذنب منهم فلا يرد عليه ما قيل انه كان الاحسن ان يذكرها مرتبة فيبدا بقصة ادم ثم نوح ثم وثم الخ القصص وظاهره اي ظاهر كلامه وملحظه رضي الله عنه وذكر الصيغ لتاويله بما ذكر العدة اي الاعتذار عن سوال ما ليس له به علم الا الشك في وعد من

لا علي

لا يخلف الميعاد كما ياتي وانه اخذ اي تمسك فيها اي في قصته بالتاويل اي تاويل ما وعده به بان يؤيد الله باهله ما يشمل ابنه وظاهر اللفظ بالجر عطفا على التاويل اي اخذ بظاهر تلفظه بقوله انا منجوك واهلك متعلق باللفظ الا انه قيل عليه انه سهو لان ما ذكر وقع في قصة لوط في سورة العنكبوت والذي في قصة نوح قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الاية وكونه حكاية بالمعنى يابى انه متمسك بلفظه وان ساواه في لفظ الاهل ولذا رايته ضرب عليه في بعض النسخ فطلب مقتضى هذا اللفظ اي لفظ الاهل من غير نظر لحقيقته فقال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق واراد بطلبه ذلك علم ما طوي عنه اي اخفي عن علمه فهو استعارة من الشي المطوي عليه لفافة تخفيه وقيل ان يطهر ما في داخلها من ذلك الامر اي امر ابنه ومخالفته في ركوبه لسفينة لا انا فيه كما توهم لا انه اي نوح عليه الصلاة والسلام شك في وعد الله له بنجاة اهله فبين الله تعالى عليه بين لا يتعدى بعلى فكانه ضمنه معنى نبه او نعى وهو تحريف من الناسخ انه ليس من اهله الذين وعده الله بنجاتهم منه ما تقدم فقد ذكره لكفره وعمله الذي هو غير صالح فان مثله قاطع للقرابة العزيزة ولذا منع الارث بالكفر واختلاف الملل وقيل سلمان منا اهل البيت وقد اعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون والظلم اطلق على الكفر في القران كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ونهاه عن مخاطبته فيهم اي شفاعته لهم وتكلمه في شانهم بالاية المذكورة وهو اشارة الى ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يسالون من الله شيا بغير اذن لهم في الكلام فاخذ وا بهذا التاويل اي جازاهم الله واخذهم بتاويلهم لا لاهل الموعود بنجاتهم كما قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم وعتب عليه اي عاتبه الله على مخاطبته له بقوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين فنسبه للجهل زجرا له ولله ان يخاطب خلص عباده بما اراد لا نه حين وعده بنجاة اهله استثنى من سبق عليه القول من الناجين لا سيما وابنه كان يمعن لمنه ففي دلالة الحال ما يغني عن السوال واشفق هو اي خاف نوح عليه الصلاة والسلام من اقدامه على ربه بسواله من ربه ما لم يوذن له في السوال فيه حيث لا يتكلم الا من اذن له ثم بين حذره بقوله وكان نوح عليه الصلاة والسلام فيما حكاه النقاش في تفسيره وهو محمد ابن الحسن الموصلي كما تقدم في ترجمته لا يعلم بكفر ابنه ولو علم ذلك لم يبرح من الله بحاله وقطع رحمه منه وقيل في الاية غير هذا التوجيه مما يقتضي تنزيه مقام النبوة مما لا يليق بها وقيل انه لم يكن ابنه وانما كان ابن امراته وقد قرى في الشواذ ونادى نوح ابنها والقول بانه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشده مردود بان فراش الانبيا منزه عن مثله واما قوله فخانتاهما فالمراد به خيانة الاذية والميل لاعدائه والا فلا يجوز ان تنسب زوجات الانبيا لشي من ذلك بالاتفاق وكل هذا المذكور في قصة نوح عليه الصلاة والسلام والاية المتلوة فيها لا يقتضي اي لا يحكم ويلزم الحكم على نوح عليه الصلاة والسلام بمعصية صدرت منه سوى ما ذكرناه هو استثنا منقطع اذ ليس فيما بعده معصية ومعرفة تلحقه وتنشين مقامه من تاويله لما وعد به واقدامه بالسوال فيما لم يوذن

ابن اقبرس

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

له في السؤال فيه ولم يحي عنه صريحا لانه لم يتحقق دخوله في الذين ظلموا اذ لو كان كذلك
كان معصية وما روي في الصحيح كما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان نبيا قرصته اي عضته
نملة وفي رواية للبخاري لدغته نملة نبدال وغين معجمة والقرص مخصوص ببعض صغار
الحشرات كالنمل والبرغوث ولذا قالوا قولهم الحلو في البراغيث مجاز واذا عبر عنه بضمير
العقلا وهذا النبي قال الطبري والحكيم الترمذي انه موسى عليه الصلاة والسلام
وقال المنذري انه عزير وقال البرهان ان في ابي داود مرفوعا لا ادري اعزير نبي
ام لا وصححه الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة ولكن ثبت انه نبي فكان الله اطلعه بعد
ذلك على نبوته فحرق قرية النمل القرية محل يجتمع فيه بيوت الناس ولا يطلق على مقر
غيره من الدواب وغيره قرية الا مجمع النمل لان اصله محل الاجتماع مطلقا من قري الما
في الحوض اذا جمعه فهي حقيقة لغوية او مجاز مشهور وفي كتب اللغة تفرقة بين الماكن
فقالوا يقال لمنزل الانسان وطن وبلد ومقر الابل عطن وللاسد عرين وغابة وللظبا
كناس وللذئب والضبع وجار وللطاير والزنبور عش ووكر لليربوع والنمل قرية
بنو على هذه الحقيقة فاوحى الله اليه احرقت امة من الامم الامة طائفة جماعة من
جنس واحد من المخلوقات فيه اشارة الى ان هذا النبي صدرت منه معصية
ففيه دليل لمن جوز على الانبيا صدور المعاصي منهم لمعاتبة الله له في ذلك
وقوله تسبح بيان لسبب النهي عما فعله لانه ما من شي الا يسبح بحمده وفي قتله قطع
لعبادته وايضا فانه لا يجوز الاحراق للحيوان كما ورد من انه لا يعذب بالنار الا خالقها
وقيل انما عاتبه الله لانه اهلك من اذاه وغيره لما في بعض الروايات هلا نملة واحدة
وسبب هذه القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام مر على قرية اهلكها الله اهلها
بذنب لهم فقال يا رب اهلكتهم وفيهم صبيان ودواب لم تذنب وفيهم الطائع
فاراد الله تعالى ان يبتهم على ما خطر بباله فاشتد عليه الحر ونزل تحت شجرة
فنام في ظلها فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذي يقال له نمل سليمان
وغيره يسمى ذرا ففعل بها ما فعل فاوحى الله اليه بما ظاهره العتاب ارشادا له
صلى الله عليه وسلم وقد قالوا انه كان جايزا في شرعه وقد قالوا ايضا يجوز
قتل كل موذ من ذوي الارواح اما بالنار فلا يجوز الا قصاصا لمن احرق بها انسانا
على ما فيه فليس فيما فعله معصية ولذا قال المص فليس في هذا الحديث ما
يقتضي وينص على انه اتى معصية وفي نسخة على ان هذا الذي اتى معصية
خبر ان وعايد الذي محذوف اي الذي اتاه معصية بل فعل ما رآه اي علمه
واعتقده صوابا بقتل من يوذي جنسه اي بني آدم وقد قال الفقها ان
قتل النمل جايز لاذيته وعبر بمن لمنعه [illegible] منه ايشبه فعل العقلا كقوله
والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ويمنع المنفعة اي الانتفاع بما اباح الله
تعالى كالاستظلال بهذه الشجرة وافساد ما ادخر من الاطعمة واوضحه بقوله
الا ترى اي تعلم وتتحقق ما هو كالمرئي المشاهد ان هذا النبي المتقدم ومحل
الرد انه موسى كما تقدم كان نازلا تحت الشجرة لينتفع بظلها والنوم فيه
فلما اذته النملة بقرصها والنملة واحدة النمل فيشمل المذكر والمونث تحول برحله من تحت

تلك

تلك الشجرة عنها اي من الشجرة ورحل الرجل متاعه الذي ياوي اليه وما يوضع على ظهر الدابة
ليحمل عليه مخافة تكرار الاذى عليه من جنسها وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب اي يقتضي
ويستلزم عليه معصية صدرت منه بل ندبه الى احتمال الصبر على ما يوذي اي حبه وترغيبه
من قولهم ندبه الى كذا اذا دعاه اليه وترك التشفي تفعل من الشفا وهو الانتقام بما يشفي
غيظه ويبرد صدره كما قال تعالى في مدح الصبر وانه مما يحب عليه ولين صبرتم لهو خير
للصابرين نزلت في غزوة احد وقتل حمزة رضي الله عنه وقد مثل به وحزن لذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما فصل في السير اذ ظاهر فعله اي هذا النبي انما كان لاجل
انها اي النملة اذته هو في خاصته دون غيره ممن نزل معه فكان فعله هذا انتقاما
لنفسه دون غيره وقطع مضرة يتوقعها في المستقبل من بقية النمل هناك بيان لوجه
احراق جميع النمل غير المؤذية له ولم يات اي لم يفعل ذلك النبي في كل هذا امرا
معضولة واوقع حار نهي عنه بل جايزا كما مر وقوله فيعصي به بالنصب في جواب
النفي ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك اي بانه اتى بمعصية ولا بالتوبة من ذنب اتاه
والاستغفار منه اي طلب مغفرته لذنب اتاه قيل انما قال اذ ظاهر فعله لانه في
الحقيقة انما وقع له ذلك لوما على ما قاله في القرية التي اهلكها الله اقول هذا على تقدير
تسليمه لا ينافي المقصود من انه لا معصية في هذه القصة وما حكاه ايضا لا ذنب فيه
لانه انما سال الله عن ذلك ليبين له حكمة ما فعله فان قيل فما معنى قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث ما من احد الا لم يذنب او كاد الا يحيى بن زكريا الخ وهذا الحديث
رواه الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ ما من احد الا وقد
اخطا او هم بخطيئة وسنده ضعيف واخرجه البزار عن ابن عمر مرفوعا كما قاله
السيوطي في مناهل الصفا اقول ومتابعه تقويه في الجملة فلا عبرة بمن انكره وروى
الثعالبي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل بني ادم يلقى الله عز وجل بذنبه يعذبه به او يرحمه الا يحيى بن زكريا
فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم اهوى صلى الله عليه وسلم الى
قذاة من الارض اخذها بيده وقال كان ذكره مثل هذه وقال قتادة وغيره
ان الله اجتبى قلبه بالطاعة والنبوة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية وهو غير
مناف لما رواه الثعالبي وحاصل ما هنا ان هذا الحديث يخالف ما مر من عصمة
الانبيا وبلا بير ما استدل به المخالفون في ذلك ومعنى الهم انه وقع منه ذلك قليلا
وكاد بمعنى قرب [illegible] بمعنى اهم في الرواية الاخرى وقوله او كما قال صلى
الله عليه وسلم اشارة الى انه وقع في [illegible] روايات مختلفة كما اشرنا اليه فالجواب
عنه اي عما وقع في هذا الحديث انه كما تقدم من ذنوب الانبيا التي وقعت من
غير قصد منهم وعن سهو وعن غفلة منهم ومثله لا يواخذ به ولا يلزم منه تفضيله على
من عداه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا انما وقع في بعض النسخ وسقط من
بعضها

فصل

معقود لدفع شبه ثالث
مما قدمه واذا انتفت عنهم اي عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذنوب والمعاصي عطف تفسير او هو من عطف المسبب على سببه لان الذنب الاثم المترتب
على المعصية لمخالفة امر الله بما ذكرته في الفصل الذي قبل هذا من اختلاف المفسرين في توجيه
ما صدر عنهم من وزلل بل المحققين لما هو معصية بحسب الظاهر فما معنى قوله تعالى وعصى ادم
ربه فغوى ومثل بحسب معصيته وما معنى ما يكرر في متون الانبيا الواردة في القران
والحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم كما انه من خوفهم ربنا ظلمنا انفسنا وتوبتهم
واستغفارهم كقول موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وبكاءهم على ما سلف منهم
كما روي عن داود عليه الصلاة والسلام انه بكى حتى بلت دموعه الارض واشفاقهم
اي خوفهم من الله وهل يشفق ويخاف ويتاب بنا للمجهول ويستغفر من لا شي اي
من غير شي صدر يخشى منه حتى يفعل ما ذكر فاعلم ايها السايل وفقنا الله واياك
جملة دعائية معترضة ان درجة الانبيا عليهم الصلاة والسلام والدرجة في الاصل
ما يصعد به لمكان عال ويراد به المنزلة الرفيعة نفسها وهو المراد به هنا في
الرفعة اي علو شانهم حسا ومعنى والعلو عطف تفسير والمعرفة بالله
فانهم اعرف به من غيرهم وسنته في عباده مجرور معطوف على ما قبله اي معرفتهم
لعادة الله في معاملة عباده في سخطه ورضاه وعظيم سلطانه اي علو شانه وانه
القاهر فوق عباده وقوة بطشه اي اخذه القوي الشديد اذا اخذ كل جبار
عنيد مما يحملهم اي يلجيهم بما يقتضيه اقتضا تاما على الخوف منه فان من كان
اعرف بالله كان اشد خوفا منه جل جلاله هذا الي موقعه مناسب غاية المناسبة
اي عظمته وهو مبالغة في وصفه بالعظمة في ذاته وصفاته والجليل
من اسمائه تعالى ابلغ من الكبير والعظيم لانه كمال الذات والصفات واسناده
مجازي كجد جده وفيه مبالغة فيريث في المعالي والاشفاق اي الخوف من
المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم فانهم لعلو مقامهم عند الله ورفعة شانهم
لانبيائهم بما يسامح به غيرهم لانهم اجل من ان يتهاونوا في شي من الاشيا ويفرطوا
فيه لخوفهم من الله اقوى من خوف غيرهم لانه خوف اجلال وانهم في تصرفهم بافعال
الصادرة منهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها لانها امور مباحة جايزة ثم
اوخذوا عليها اي لامهم الله عليها مع انها مباحة جايزة وعوتبوا بسببها
اوحذروا اي خوفوا من المواخذة بها اي ان يجازيهم الله عليها كاخذه صلى
الله عليه وسلم الفدية من اسرى بدر واذنه لمن تخلف عن الغزو كما تقدم
والتنبيه على الامة او انوها اي فعلوها على وجه التاويل لما ورد فيه
من نص فيحمل على محل غير ما اريد به لامر اقتضاه ومثله يعذر فيه ولا يعد
ذنبا او السهو اي او فعلوها على وجه وقع منهم لسهو منهم ومثله يعفو عنه
لهم ولغيرهم كما تقدم بيانه او تزيدا اي زيادة من امور الدنيا المباحة
لهم ولغيرهم كطلب سليمان عليه الصلاة والسلام ان يحمل جميع نسائه
ليرزقان يجاهد في سبيل الله كما تقدم [illegible] وطلب زيادة مباح [illegible] امور فيه خايفون
وجلون هو خبران في قوله انهم في تصرفهم وما بينهما اعتراض والوجل الخوف

والاحسن

والاحسن تفسيره هنا بالمعطوفين ليكون افيد وهي الامور المباحة المذكورة ذنوب بالاضافة
الى منصبهم اي بالنسبة لهم وان كانت مباحة في اصلها فالمراد بالمنصب مقامهم العلي
والمنصب هنا بمعناه المتعارف وقد تقدم بيانه ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم
لربهم ومنزلتهم لا انها ذنوب حقيقية كذنب غيرهم من الناس بل هي بالنسبة
لاجلالهم بحسب لا لاشفاق فقال فان الذنب في اصله وموضع مادته ماخوذ من الشي
الدني اي الخسيس الرذل اي الردي المحقر والاحذا الاشفاق البعيد وهو معنى قولهم
دايرة الاخذ اوسع من دايرة الاشتقاق ومنه ذنب كل شي اخره الذنب بفتحتين معروف
واذناب الناس رذالهم بضم الرا وهو جمع على فعال جاء في كلمات معدودة اي
اراذلهم ومنه اذل العرب لاخرة فكانت هذه اذناب الهم اي احقرها واخسها وكان
للتشبيه وفي نسخة وكانت هذه اي الامور التي نهوا فيها واسوا ما يجري ويقع
من ادنى العمر بجلالة قدرهم ونزاهة خلقهم وعصمتهم عن سفساف الامور وان
حماهم الله عن كل سوء في ذواتهم وصفاتهم بطهرهم وتنزههم عما لا يليق بهم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح في السر والعلانية والكلم الطيب الذي
تشغل به السنتهم وجميع اقوالهم من الكلام بالخير والتسبيح والتهليل وحمد الله
والذكر الظاهر اي ذكر الله جهرا والخفي بذكره سرا وجعله دايما مراقبا ملاحظا
في قلوبهم والخشية هي الخوف مع الاجلال والتعظيم لله تعالى واعظامه حق
تعظيمه وقدره حق قدره في السر والعلانية بالتخفيف مصدر كصلاحية وهي
مقابل السر بمعنى الخفي من الاعلان فمن كان هذا حاله اذا اشتغل بما لا يعنيه
من المباحات كانت سيئة بالنسبة لمقامه وما طبع عليه واما غيرهم من غير الخواص
فهو انما يتلوث اي يتدنس ويقال تلوث بالدم اذا تلطخ به ويقال به لوثة من
جنون قال

وانى على ما في من عنجهية ● ولوثة اعرابيتي لاديب

من الكباير اي كباير الذنوب وقد تقدم بيانها والقبايح اي ما يقبح شرعا
من الذنوب كبايرها وصغايرها والفواحش وهو ما ازداد قبحه وقد يراد
بالفاحشة الزنا ونحوه وهو اطناب هنا لانه تعميم الكباير ما يكون بالاضافة
اي بالنسبة والقياس اليه وفي نسخة الى هذه الامور التي صدرت من الانبيا
وما هذه موصولة وقعت بدلا من مجرور من اي غير الانبيا يتلوث من امور
هي بالاضافة لما عد ذنبا منهم كالحسنة لغيرهم كما قال المتنبي

انا الغريق من ترك القبيح به ● من اكثر الناس احسان واجمال

فلا وجه لما قيل ان حقه ان يقول بما يكون بالباء الجارة كما وقع في بعض
النسخ او يقول يلوث باسقاط التاء بتعدى بنفسه الحسنات جمع حسنة وهي
خصلة السو في حقه اذا وصف بها غير النبي وقيلت في حقه كالحسنات لان منها
ما هو مباح ومكروه كراهة تنزيه وجعلها حسنة لاخفائه وما قيل انه لم
يعهد ان يكون شي واحد ذنبا في حق شخص وغير ذنب في حق اخر في شريعتنا
ليس بشي بل مثله كثير فكم من شي وجب على الانبيا وعلى الخلفا والحكام وهو

دلجي

برعني

لايجب على غيرهم ... بالجنات لانها بفتح الهاء والنون والف ونا والهنة في الاصل
مطلق الخصلة ثم خصت بخصلة السوء قال في الاساس يقال هناه وهنوات وهنات
خصال سوء قال لبيد

اكرمت عرضي ان ينال بنجوة ان البرئ من الهنات سعيد

وما في بعض النسخ من الهيات جمع هيئة بتاء ساكنة وهمزة تحريف من الناسخ
كما قيل حسنات الابرار هم اتقيا الامة سيئات المقربين الى الله وهم الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وخلص الاوليا وليس هذا بحديث وانما هو من كلام ابي سعيد الخراز
من كبار مشايخ الصوفية اي يرونها ويعتقدونها بالاضافة الى علو احوالهم كالسيئات
وان لم تكن سيئة حقيقية فجعلها سيئات وحسنات ... الغزو مجاز وكذلك اي مثل
ما ذكر في معنى الذنب وكونه يكون بالنسبة لمن اتصف به العصيان الذي اتصف به
بعض المقربين كما في قوله وعصى ادم ربه فغوى معناه في اللغة الترك والمخالفة
لامر ما سوا كان واجبا ام لا فعلى مقتضى هذه اللفظة بحسب معناها التي وضعت له
كيف ما كانت اي على اي حالة وقعت من سهو وتاويل للامر الذي امر به فهي تسمى
مخالفة وتركا وان لم تكن معصية شرعية مذمومة عقلا وشرعا لانها مغفورة
غير مواخذ بها كالاجتهاد فليس كل عاص اثما وترك الطاعة اعم من فعل المعصية
وهو سوال تقديره قد قلتم بعصمة الانبيا وقد وصف الله بعضهم بانهم عصاة
وجوابه ظاهر وقيل هذا مبني على ان فعل الساهي حرام ومعصية لكنها مغفورة
وهو مذهب لبعضهم وقيل فعله لا يوصف بشي من الاحكام كفعل المكره
والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وقوله تعالى في حق ادم عليه الصلاة
والسلام غوى والغي الضلال والمعصية فاطلاقه يقتضي خلاف ما قرر
من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي جهل ان تلك الشجرة التي اكل
منها هي التي نهي عنها والغي معناه في اللغة الجهل فهذا معناه حقيقة ولغة
ولو قال لم [illegible] ... احسن والبق بالادب وقيل معناه اخطا ما طلب من
الخلود به وامر البقا كما ذكر في الاية اذ اكلها وخابت امنيته بضم الهمزة وتشديد
اليا اذ لم يحصل له ما اراده وهي ما يتمناه وجمعها اماني بالتشديد والتخفيف
وفسره اهل اللغة بالضلال والجهل والخطا بمعنى اخطا وهو تفسير باللازم
معناه وقال ابن الاعرابي معنى غوى فسد عيشه بتغير حاله وقد قيل عليه
ان ترتيبه بالفا بقوله عصى ادم ربه فغوى ينافي تفسيره بالخطا والجهل الا
ان يكون كان في شريعته غير معفو عنه ثم نسخ وفيه نظر لانه اذا فسر بمعناه
العرفي كما فسره المص لا يرد عليه ما ذكر على انه فسد به التهديد والتشديد
باعتبار اسبابه الناشئة عنها ثم استشهد لما قاله بقصة يوسف عليه
الصلاة والسلام فقال وهذا يوسف جعله كانه مشاهد لاشتهار قصته
قد اوخذ اي عوتب وجوزي بقوله لصاحب السجن اي لصاحبه في السجن
الذي ظن انه ناج فا منافيه لادنى ملابسة وفي نسخة لاحد صاحبي السجن
اذكرني عند ربك اي صف له قصتي واخبره بحالي فيخلصني من هذه الورطة

والمراد

ابن الاعرابي

والمراد به الملك والقضية غنية عن البيان فانساه الشيطان ذكر ربه المصدر مضاف
لمفعوله الثاني اي انساه ذكر يوسف لسيده فلبث في السجن بضع سنين البضع ما فوق
الثلاث الى السبع او التسع او العشر وقيل معناه انساه الشيطان اي يوسف عليه الصلاة
والسلام ان يذكر الله فابتغى الفرج من غيره تعالى غفلة منه واشار الى ذلك بقوله
وقيل انسى يوسف ذكر الله تعالى فالمراد بربه الله والضمير ليوسف عليه الصلاة
والسلام وقيل انسى صاحبه الذي كان معه في السجن وقال له اذكرني عند ربك
ان يذكره لسيده وهو الملك اي انسي الشيطان الساقي ان يذكر يوسف للملك
قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن جرير والطبراني عن ابن عباس
وابن مردويه عن ابي هريرة وابو الشيخ عن ابي الحسن مرسلا وكذا عن عكرمة
فهو حديث صحيح لولا كلمة يوسف اي قوله لصاحبه في السجن اذكرني عند ربك
وطلبه من غير الله للفرج ما لبث اي مكث وما نافية في السجن ما لبث اي مدة
لبثه فما مصدرية زمانية وقال ثمالك بن دينار ابو يحيى المصري احد الاعلام
الزاهد الثقة اخرج له الاربعة والبخاري تعليقا وتوفي في سنة مائة واثنين وثلاثين
واسمه محمد بن ابراهيم وله ترجمة في الميزان وهذا رواه الامام البغوي ... في تفسيره
واخرجه ابن ابي حاتم عن الحسن موقوفا لما قال ذلك يوسف اي قوله اذكرني عند
ربك قيل له اي قال الله تعالى له بوحيه كما يا خي اتخذت من دوني اي غيري
من عبيدي وكيلا اي من تكل اليه امرك وتعتمد عليه في خلاصك لاطيلن حبسك
اي مدة مكثك في الحبس فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى والمصايب من حين
القيت في الجب الى ان دخلت السجن فهذا ذنب عد عليه وعوقب به مع انه ليس
بمعصية شرعية لكن على مقامه يقتضي ان لا يذكر في الشدة غير الله ولا يعول
على مخلوق وقد قال الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل حين القي في النار
وقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا حسبي من سوالي علمه بحالي وقد روي
ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتاه في الحبس وبلغه ذلك في حديث طويل
نقلوه وقال بعضهم تواخذ الانبيا بمثاقيل الذر جمع مثقال وهو
وزن كل شي ومقداره والذر جمع ذرة وهي اصغر النمل ويقال للهبا الذي يرى
في شعاع الشمس ولا زنة له اصلا فهو مبالغة في الخفة والمثقال في العرف
الدينار وليس بمراد هنا لمكانتهم اي لقربهم ورفعتهم عنده ربهم ومن يحب
احدا ويعتني به لا يسامحه في ادنى شي يتعلق به ولذا قيل حسنات الحبيب ويجاوز عن سائر الخلق اي غيرهم وباقيهم لقلة مبالاته بهم قال ابن فارض
اشتبه على الاستحقاق لا بالحمية ذاتية قول ليلى الاخيلية

تبالي واباهم حاله بعد ما ... وردن وحول الما بالجم برتمي

وقد قالو اوليه المبالاة المبادرة للاستقا عند قلة الما فيستقي احدهم ويقطر
غيره فمعنى ذكره لا ابادر له ولا انتظر لعدم اعتدادي به انتهى من اضعاف
ما اثوابه في اثنائهم بما يزيد على ما اتى به المقربون بمثله وامثاله وضعف
الشي ما يزيد عليه بمثله او باكثر كما فصله في الكشاف تابعا للازهري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في تهذيبه من سوء الادب في حق خالقهم للتفضل عليهم بالنعم الجليلة التي حقها
ان يقابل بطاعته وشكره فعصوه وارتكبوا ما لا ينبغي من المعاصي وقد قال الشيخ
الذي اقام الحجة والدليل للفرقة الاولى القايلة بان الانبيا معصومون من جميع
الذنوب وان السهو والنسيان لا يواخذون به كغيرهم ما نسيا في حالهم على
سياق ما قلناه اي ما قررناه في بيان امرهم فاشكل عليهم ما قلته انفا من انهم
يواخذون بما لا يواخذ به غيرهم لعدم المبالاة بهم اذا كان الانبيا يواخذون
بهذا المذكور من مثاقيل الذر مما لا يواخذ به فلا يعاقب به ولا يعاتب غيرهم
اي غير الانبيا من اممهم من السهو والنسيان ونحوه من ما ذكرته من الامور المباحة
لهم وحالهم اي حال الانبيا المواخذين بما ذكر ارفع عند ربهم وهذه جملة
حالية وما في بعض النسخ فحالهم بالفا من تحريف الكتبة فحالهم اي حال الانبيا
اذن اي اذا وجدوا بها اشق من غيرهم عند الله لكثرة ماخذهم به وتشديده
عليهم فيما لم يشدد به على غيرهم مع انهم ليسوا كذلك وهذا من سوء
الفهم لتوهم قايله ان الاعظم عند ربه لا يواخذ بترك الاولى وليس كذلك
فان ذلك لحكمة والجواب هذه الشبهة وبيان الحكمة فيها اشار بقوله فاعلم
ايها السايل اكرمك الله بعد ابيك لوجه ما ذكرنا لا انثبت لك المواخذة اي
مواخذة الانبيا في هذا الذي اخذهم به دون غيرهم مواخذة اي على مقدار
غيرهم اي مواخذة غير الانبيا بما ارتكبوه من الذنوب بمعاقبتهم عليها
في الدنيا والاخرة بل نقول في الفرق بين مواخذتهم ومواخذة غيرهم
وهو اضراب انتقالي من نفي مواخذتهم كغيرهم انهم اي الانبيا والمقربين
رتبة يواخذون بذلك المذكور من مثاقيل الذر في الدنيا بما يبتليهم به
فيها ليكون ذلك المواخذ به زيادة في درجاتهم اي في علو مقاماتهم العلية
وجعله عين الزيادة وهو سببها مبالغة ويبتلون بذلك اي بالمواخذة به
في الدنيا على قدر مراتبهم عنده كما ورد اشد الناس بلاء الامثل فالامثل ليكون
استشعارهم الاستشعار طلب الشعور والمراد به ملابسته وهو من الشعار
وهو اللباس الملاصق للبدن سببا لنمائه مصدر ميمي بمعنى النمو وهو الزيادة
اي لزيادة رتبتهم اي علو مقاماتهم عند الله ثم استدل لما ذكره بقوله
تعالى فقال كما قال عز وجل ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه باعلا
رتبته عنده من جبى يجبي اذا جمع فانه جمع فيه من الصفات الحميدة
ما كان سببا لاصطفائه وقربه فتاب عليه وهدى اي قبل توبته
وارشده الى الاعتذار عما صدر منه والاستغفار فقال ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فالاجتبا بزيادة الرفعة بعد
النبوة وعطفه بثم اشارة لمزيد وزيادة مرتبته حتى كانه متراخ عنه وقال
الله تعالى لداود عليه الصلاة والسلام فغفرنا له ذلك اي ما صدر منه
في خطبة امراة اوريا كما تقدم فاذكر الاية الى اخرها من قوله وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب وهي صريحة فيما ذكره وقال عز وجل بعد قول موسى

سبحانك

سبحانك تبت اليك من سوال رويتك في الدنيا وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك
فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اي اخترتك وقدمتك على اهل زمانك برسالاتي
وبكلامي لك بغير واسطة وكيفية بكلام يسمعه من سائر الجهات وقال الله تعالى
بعد ذكر فتنة سليمان في القا الجسد على كرسيه كما تقدم وانابته اي رجوعه الى
الله وتوبته فسخرنا له الريح تجري بامره رخا الاية الى قوله وحسن ماب فهو تنبيه
على ذلك ما عدده من النعم يقتضي ان الفتنة التي اناب منها ليست معصية لانها
لو كانت كذلك لم تترتب عليها ذلك وكونه له زلفى اي قرب من الله وحسن ماب
مرجعه للجنة وهذا كله زيادة في درجاته وسماه لرتبته عنده به كما لا يخفى
وقال بعض المتكلمين ما يؤيد ما قررناه وارتضاه زلات الانبيا جمع زلة من زل
اذا سقط وتجوز بها عن الذنب اي ما عد زلة وذنبا لهم وان لم يكن كذلك في
الظاهر اي في ظاهر ما تدل عليه العبارة زلات وهي في الحقيقة اي في نفس الامر
وعند المحققين انما هي كرامات اكرمهم الله بها لانه ابتلاهم بها ليثيبهم عليها
وزلف بضم وفتح جمع زلفة اي قرب من الله تعالى باعلا منازلهم عنده واشارة
الى نحو ما قدمناه من حكايته تنبيها على ابتلايهم بها من انعام الله عليهم بنعم لا تخفى
وهذا لخصوصيته لا ياتي كونه مما اختصهم الله به لان مثل هذه النعم الجليلة
لا تكون لغيرهم فلا يرد عليه ان المومنين مثابون بمصايب الدنيا اذا صبروا
عليها ورضوا او نقول انه اشارة لعدم اختصاصهم بذلك بقوله وايضا
اي مثل ما ذكر من انه في الظاهر زلة وهو في الحقيقة نعمة وكرامة فلينبه
غيرهم من البشر اي يوقظه ويعلمه منهم اي الانبيا المذكورين انهم ليس
في درجتهم من الاتقيا الذين ليسوا بانبيا بمواخذتهم بذلك الباسببية
متعلقة بلينبه او هي بمعنى على لان نبه يتعدى بعلى او ضمن معنى يشعر
ويعلم وذلك اشارة لما امتحنوا به مما صدر عنهم من خلاف الاولى وليس
بذنب فليستشعروا الحذر اي يستشعرون بالحذر وهو الخوف من الشعور
او الشعار كما مر انفا وليس من قولهم ليت شعري فانه تكلف لا داعي له
وليعتقدوا المحاسبة على ذلك لان مواخذة غير الانبيا تقتضي مواخذتهم
بالطريق الاولى وان كان ما ارتكبوه مباحا لكنه خلاف الاولى وليلتزموا
الشكر على النعم المترتبة على ما ابتلوا به كما تقدم او على كونهم لم يمتحنوا
بذلك مع امتحان من هو اعظم منهم وليعدوا بضم اليا التحتية وكسر
العين وتشديد الدال اي يحضروا ويتهيوا الصبر ليستعينوا به على المحن
جمع محنة وهي البلية التي يمتحن الله بها صبره ورضاه كما قيل

لله در النايبات فانها ۞ صدا اللئام وصيقل الاحرار

ويتذكر ما في الصبر من الثواب لقوله انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب والمحنة كالفتنة تصفية المعادن من غشها فنقلت لما
ذكر وصارت فيه حقيقة وبلاحظتها وقع من مثل ما وقع وفي
نسخة بملاحظة باهل هذا النصاب اي المقام الرفيع من الانبيا والصحابة

ابن اقبوس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمعنى الاصل والحسب يقال فلان كريم المنصب والنصاب كما في الاساس ومنه نصاب السكين
المعصوم المحفوظ من الذنوب فكيف بمن سواهم اي غير الانبيا فاذا وقع التوهم لهم فنبه
غيرهم بالطريق الاولى لكنه من خلص عباد الله الذين يعتد بهم كما تقدم ولهذا اي
لما ذكر من الحكمة في مواخذة الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما لم يوخذ به غيرهم
قال صالح بن بشير وهو علم منقول من البشير مقابل النذير الواعظ الزاهد توفي
سنة اثنين وسبعين ومائة كما قاله ابن ماكولا المري بضم الميم وتشديد الرا المهملة
نسبة الى مرة قبيلة ذكر داود نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكران كان مصدرا
فهو مبتدا وقوله بسطة للتوابين خبره اي توسعة لمن يتوب ويكثر التوبة
والاستغفار لينبهوا على فضلها وان كان فعلا كالمعلوم او المجهول اي ذكره الله
فقوله بسطة منصوب مفعول له وقال ابن عطا ابو العباس بن محمد بن سهل بن عطا مبنيا
الاربلي شيخ الصوفية وله في فهم القران لسان اختص به توفي سنة تسع او احدى
عشرة وثلثمائة لم يكن ما نص الله تعالى عليه في القران من قصة صاحب الحوت يونس
ابن متى نبي الله صلى الله عليه وسلم نقصا له اي تنقيصا له بكونه ولى مغاضبا ولم
يصبر حتى ياذن الله تعالى له فيما اراد ولكن ذكره وقصته استزادة من نبينا صلى الله
عليه وسلم اي طلب منه ان يزيد صبره على قومه وقيل المراد انه زيادة في علمه بما دلجي
جرى للانبيا طلبها من ربه والصحيح الاول لانه المناسب لقوله ولا تكن كصاحب
الحوت اي في ضجره وفراق قومه حين كان ما ذكره الله في قصته وايضا فيقال لهم في
الجواب عما ادعوه من تجويز الصغاير على الانبيا لا الزاما لمن سال عن معنى قوله تعالى
وعصى ادم ربه ونحوه كما قيل انكم ومن وافقكم على هذا القول تقولون بغفران دلجي
الصغاير وان لم تجتنب منهما باجتناب الكبائر براي بسبب تركها كما ذهب اليه كثير من اهل
السنة تمسكا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم
وذهب كثيرون الى انها معلقة بالمشية كغيرها لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن
يشا والكلام فيه مشهور في كتب الاصول ولا خلاف بين من يعتد به في عصمة الانبيا
عن الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم متعلق بجوزتم هي مغفورة
على هذا القول والجملة خبر قوله ما وهي بمعنى الوقوع لانه بينه به بنا على
مذهب لو اي في الاكتفا بضمير ما لا يلتبس لمبتدا عن خبره كما قرروه في قوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن الاية او يجعل ما بمعنى الصغاير فما
معنى المواخذة لانبيا الله عليهم الصلاة والسلام بها اي بالصغاير اذ هي مع
اجتناب الكبائر عندكم انها القايلون بهذا الراي وما معنى خوف الانبيا وتوبتهم
منها اي من الصغاير وهي مغفورة بدون توبة منهما لو كانت اي وجدت منهم
فما اجابوا به عن هذا هو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو اي بما فعلوه سهوا
ونسيانا والتاويل اي ما فعلوه لتاويلهم الاوامر والنواهي الواردة فيه كما تقدم ابن اقبرس
فهو جواب الزامي والقول بانقطاعهم عن هذا انتقدم لعدم القول بذلك في حق
الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه في حق غيرهم وانه عليه ان يصحح النقل عنهم
بالتزامه في حق الانبيا بانه لا يعلم في حقهم بالطريق الاولى لانه جواب

جدلي

جدلي فتامله وقد تقدم ان التوبة لا يلزم ان تكون عن ذنب فقد ذكره واشار اليه المص
هنا بقوله وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم حيث استغفر الله يعني
من كما مر وتوبته اي قوله استغفر الله واتوب اليه وغيره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وان كانوا معصومين من ساير الذنوب فذلك انما هو على وجه اي على طريق ولاجل
ملازمة الخضوع اي التذلل باظهار انه مذنب والعبودية والاعتراف بالتقصير
في ادا حق مولاه شكرا لله على نعمه جمع نعمة ونعم الله لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها فمن عرف نعم الله عليه واظهر العجز عن شكرها فقد شكره تعالى
شكرا عظيما فان الشكر كما يكون باللسان يكون بالاركان كما تقرر عندهم وقد ورد انه
صلى الله عليه وسلم كان يقول في كل مجلس استغفر الله واتوب اليه اكثر من مائة
مع ما هو عليه من العصمة والعبادة فلا معنى لما قيل انه لا يصح ايراد ما ذكر ابن اقبرس
هنا على وجه الدليل في محل النزاع كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور
المتقدم الذي فيه انه اكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا
يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا
شكورا وقد ذكر شاهدا لاظهار العبودية شكرا لله وقد امن بضم الهمزة وكسر
الميم المشددة مبني لما لم يسم فاعله قال البرهان في الصحاح امنت فلانا فانا امن
وامنت غيري من الامن والامان وعلى هذا ينبغي ان يقول اومن انتهى يعني ان امن
بالتشديد لا يصح ان يكون من الامن والامان وانما هو بمعنى قال امين وليس كما قال
فانه يقال امنه بهذا المعنى ايضا وهذه الجملة حالية والمومن له هو الله اي
الصحابة الذين قالوا له ان الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر من المواخذة
بما تقدم وما تاخر مما صدر منه من ترك الاولى ونحوه الذي هو كالذنب
بالنسبة لمقامه او لو وقع وان لم يقع فقال صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا
شكورا اي كثير الشكر مبالغا فيه لعظم نعمه وكثرتها علي والاستفهام للانكار
من ظن ان كثرة عبادته تمحو من الذنوب وطلبا للمغفرة بها فقال وان كان الله
عمني برحمته ومغفرته فان اللايق بي شكر الله على ما اولاني والحديث مذكور
في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البخاري كما تقدم اني لاخشاكم لله اي اعظمكم له خشية والخشية الخوف
مع المهابة للعظمة واعلمكم بما اتقي وروي اني لاتقاكم لله واخشاكم له ومن
علم ما يتقي وحذره وعظمة من يخشاه كان اشد منه واحذر وقال الحارث
ابن اسد هو العالم الرباني الذي فاق اهل عصره في علم الظاهر والباطن
وهو المشهور بالمحاسبي لكثرة ما كان يحاسب نفسه ولزهده لما مات ابوه
وخلف له مالا عظيما لم ياخذ منه شيا مع احتياجه لان اباه كان قدريا
وقال لا يتوارث اهل ملتين وترجمته مفصلة في الميزان توفي سنة ثلاث
واربعين ومائتين خوف الملايكة من الله والانبيا عليهم الصلاة والسلام
خوف اعظام اي اجلالا وتعظيما لله وتعبدا لله اي يقصدون به العبادة
لانهم امنون من الله لاخباره لهم برضاه عنهم وانه يعطيهم في الدنيا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والاخرة من نعيم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وقد فعلوا ذلك اي الاستغفار والتوبة
ليقتدي بهم بالبنا للفاعل على التنازع في الفاعل او هو مبني للمجهول ونستن بهم
اي تتخذه سنة وعادة وقد قدم الم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد
الخوف من ربه لانه اعلم به وهو مناسب لما هنا وهو يشهد لما قاله امام اهل السنة
ابو الحسن الاشعري رحمه الله في كتاب الايجاز من انه صلى الله عليه وسلم كان
يخاف الله بالاخلاف الا انه عند اهل الحق كان قبل ما امنه الله من عقابه خايفا
من عقابه وبعده من عتابه ولومه في الدنيا كما في قصة ابن ام مكتوم وبعد تامينه
لا يجوز ان يخاف عقابه مع اخباره بتامينه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا
انه هو وساير الانبيا ما داموا مكلفين في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سوا امنهم
ام لا لنا انه لا يجوز ان يخاف من شي الا بعد تجويز وقوعه ومع القطع بعدمه
لا يجوز ذلك من عاقل لانه يودي الى الشك في خبره هل هو صادق ام لا وهو
باطل بالاتفاق انتهى اقول في فتاوى شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي ما ينافيه كما
مر فانه سئل عن الانبيا والملائكة والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون مكر
الله وعقابه بعد اخبار الله لهم بخلافه فاجاب بان نفي خوف العقاب عن هولا
مطلقا باطل مصادم للنصوص لوجوه منها ان حقيقة الخوف كما في الاحيا
الم القلب لتوقع مكروه وهو اما خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله
على ما ينبغي وهذا محقق في جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم
الامن من مكر الله ولا يامن من هذا احد والمامون منه الانسلاخ من النبوة والملكية
والايمان في العشرة وان جوز وقوعه والرجا والخوف متلازمان فان قلت
يلزمه الشك فيما ذكر قلت حقيقة الخوف ما مر والكمل على يقين من خبره
تعالى لكنهم لشهودهم بقدرة الله واستغنايه عن خلقه وانه لا يسال
عما يفعل ولا يجب عليه شي وخبره تعالى يجوز ان يكون مشروطا بما انطوى
عنا علمه وهذا مما يوجب الخوف وقد سال زيد بن اسلم الشافعي اتدخل
الملايكة في انهم لا يامنون مكر الله فقال نعم لما رواه ابن حاتم انه تعالى
قال للملايكة ما هذا الخوف الذي بلغ بكم هذا وقد انزلتكم منزلة لم ينزلها
غيركم قالوا ربنا لا يامن مكرك الا القوم الخاسرون وقد ذكر ذلك في الملايكة
والانبيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا فقال الله
لهما لم تبكيا وقد امنتكما فقالا لا نخشى ان يكون تامينك مكرا بنا وهذا هو الذي
قطع قلوب العارفين ويدل لهذا قوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقوله صلى
الله عليه وسلم في دعايه اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من
عقوبتك وفي ادعية مثله كثيرا ولو كان تشريعا قال قولوا اللهم اني والمراد
بتامينه الذي في الحديث المشار اليه فلا اكون عبدا شكورا احوفه من امور
الدنيا واستيصال امته واما من الله فلا انتهى ملخصا اقول هذا مما يشكل
على ما قاله الم ومشايخ الصوفية فيما نقله وعلى الاشعري لكنه موافق لما
قاله ايمتنا الحنفية والشافعية كما نقل في كتب الاصول والفروع من ان

الامن من مكر الله والياس من رحمته كبيرة او كفر على ما تقرر عندهم فانا لو قلنا بما نقل
عن الاشعري من ان الملايكة والانبيا والعشرة المبشرة امنون من المكر والمراد به العقاب
كان ما قرره الفقها غير صحيح على الاطلاق لكون الامن من المكر امر محقق بل واجب في حق
هولا ولو ادى بعض خلص المتقين الزاهدين انه اشبه هولا في امنه لم يكن به باس فضلا
عن ان يكون كبيرة او كفرا الا انه يقتضي على كل حال ان القول بانه كفر غير صحيح وايضا
استدلالهم بقوله عز وجل لا يامن مكر الله الخ ولا ييأس من روح الله الخ غير صحيح
لان معناه انه من صفات الكفار والخاسرين لا ان من اتصف به كافر وخاسر ومثله
يعرفه من يفهم كلام العرب وفي كلام ابن حجر فتنور يدركه من له ذوق وفكر سليم وهذا
بحث نفيس لم ار من حرره ومن لم يحم حول الحمى هنا قال ما قال مما لا يحتمل لو فعل
بالتواجد على ما سمعته كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا فمن علم ان الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدي الله
مشهده فحقه ان يطول حزنه ويبكي على نفسه وهذا من حديث اخرجه الشيخان وقد
تقدم وفيه من انواع البديع الطباق والموازنة وايضا اي مثل ما تقدم في توجيه
استغفار الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتوبتهم مع عصمتهم فان التوبة
والاستغفار الصادرين من الانبيا وممن اقتدى بهم من خلص عباده معنى اخر
لطيفا في غاية الحسن اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله اي طلب
ان يريد الله رضاه عنهم ومحبته لهم لما ورد في الحديث ان الله يفرح بتوبة عبده
المومن والفرح في حقه بمعنى الرضا عنه وانعامه عليه وتوبة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام مما صدر منهم من ترك الاولى ولما يخطر بقلوبهم من انهم
لم يودوا عبادته تعالى حقها فاذا فعلوا ذلك مع ما هم عليه من المجاهدة زاده
نعمه تعالى عليهم فلا يتوهم انه كيف يتوب من لا ذنب له وكيف يلبسهم الله
على ما ابدوه من خلاف الواقع وقول بعضهم انه كلام في محل النزاع من غير
دليل كلام ركيك تركه خير منه قال الله تعالى ان الله يحب التوابين اي
المكثرين من قول اتوب اليك وان لم يكن له ذنب هضما للنفس لتوهمه قصورا
ويحب المتطهرين هو اما على ظاهره والمراد به المحترزين من دنس المعاصي
وساقها الم رحمه الله ليكون دليلا على ما قاله قبله واحداث الرسل والانبيا
اي تجديد ايجاد الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة اي ارجاع امورهم
الى الله وهي الفاظ مترادفة ذكرها للتاكيد وللاشارة الى انها وقعت منهم كثيرا
بعبارات مختلفة تعبدنا في كل حين اي في غالب اوقاتهم واكثرها كما تقدم
استدعا اي طلبا وامثل معناه طلب الدعوة او الدعا فاستعمل مجازا مرسلا
في مطلق الدعوة ويجوز ان يكون استعارة لمحبة الله لهم والاستغفار فيه
معنى التوبة لانه طلب المغفرة وهي من الغفر وهو الستر اي ستر ذنوبهم
لفظا وبينهما عموم من وجه فمن اقلع عن الذنب نادما عازما على
عدم العود اليه من غير دعا بالمغفرة وتضرع تايب غير مستغفر ومن
استغفر ربه مع عدم اقلاعه مستغفر غير تايب ومن جمع بينهما مستغفر

ابن اقبرس

تاب وقد قال الله في القران لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر كما تقدم تفسيره وتاويله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وكررها فقال ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم لان التوبة الاولى عن اذنه لمن تخلف من المنافقين في غزوة تبوك والثانية عن ان قلوبهم كادت تزيغ لما قاسوه في غزوة العسرة اوذكر الاولى تفضلا منه والثانية عن الذنب المذكور وقال عز وجل ايضا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فامره باستغفاره وتسبيحه بحمده وقد ذكر انه كان تعليم التوبة عليه والكلام على هذا وانه نفي له نفسه معلوم في كتب التفسير والحديث وكان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العبادة بعد نزول هذه السورة ويقول كثيرا في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ويقول هذا امرت

فصل وقد استبان لك

اي تبين فيما قبل هذا والسين هنا للتاكيد وليست للطلب هنا لان ما يطلب من شانه ان يتنافس فيه وقيل انهما للاطالة كما قيل لعماد لو تنفست اي اطلت لان من تنفس يستانف القول ويسهل عليه الاطالة وفيه ما لا يخفى ايها الناظر ما قررناه ما في محل نصب مفعول ناظر وفي نسخة بما قررناه بالبا السببية واذا تاملته بان لك ماهو الحق وما هو فاعل استبان بمعنى تبين لك وظهر الحق والامر المحقق المقرر مما فصل من عصمته صلى الله عليه وسلم وحفظه وخلقه مبرا من النقايص لاسيما من الجهل بمعرفة ذات الله وصفاته كساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان فطرتهم على التوحيد والعلم به وبصفاته والاقرار بذلك وتبين لك عصمته من كونه اي وجوده وخلقه كساير الانبيا على حالة تنافي العلم بشي من ذلك اي من ذاته وصفاته كله جملة فهو لا يجهل شيا من ذلك اصلا لاسيما بعد النبوة ونزول الوحي عليه لقضاية بحيازته جميع الشرف والكمال لانه تعالى لا يصطفي الا من هو كذلك اجماعا من كل المسلمين وعقلا لاقتضا العقل السليم له وقبلها اي النبوة سمعا ونقلا لوروده في الاحاديث الصحيحة ولاتفاق ولاتفاق ايمة الدين على عصمتهم من ذلك قبلها ولو قال من عصمتهم كان احسن لعدم احتياجه للتقدير والمنصوبات تمييز وسمعا توكيد لقوله نقلا لحديث البخاري كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وهو معنى قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها كما تقرر في التفاسير وشروح الحديث وفي المواقف عصمة الانبيا لاسيما نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام من الجهل بالله وصفاته قبل النبوة وبعدها اجماع عقلي لانه كفر والكفر لا يجوز على الانبيا قبل البعثة وبعدها عقلا واجماعا وما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام لالزام الحجة وليطمين قلبه لا لشك منه كما تقدم وكذا كل ما يتشابه من قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا بشي معطوف على

قوله

دلجي

قوله بشي قبله اي ولا كونه على حالة تنافي العلم بشي مما قررناه من امور الشرع الذي اوحي اليه بتبليغه واداه اي اوصله وبلغه من ربه الوحي المامور بتبليغه لامته قطعا اي مقطوع به متيقن بلا خلاف عقلا وشرعا لانه مناف لارساله به وامره بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شي منه لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام معصومون عن ذلك لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما بلغوه عن الله لانه لو لم يكن كذلك كان افترا على الله وهو باطل عقلا وشرعا وظاهره انه لا يقع منهم ذلك سهوا ونسيانا ايضا وهو مذهب ابي اسحاق الاسفرايني وجوزه القاضي ابو بكر لعدم منافاته للمعجزة فانهم لا يقرون عليه وكلام المص على خلافه وعصمته من الكذب معطوف على عصمته في اول الفصل لما علمته من منافاة المعجزة له وخلف القول اي انه صلى الله عليه وسلم معصوم عما يخالف الواقع من قوله لئلا يتهم في تبليغه منذ نباه الله وارسله فلم يصدر عنه شي منه وهو مستحيل منه قصدا وغير قصد واستحالة ذلك اي الكذب والخلف عليه شرعا واجماعا من ايمة الدين ونظرا وبرهانا اي استحالته شرعا واجماعا مما دل عليه النظر والدليل العقلي فهو متحقق عقلا ونقلا وسقطت الواو العاطفة في بعض النسخ قبل قوله نظرا وهو احسن من تصوفها في لفظها وتنزيهه اي تبريته عنه اي عن الكذب قبل النبوة قطعا لتواتره وكان صلى الله عليه وسلم عندهم يسمى الامين كما مر لانه مامون في اقواله وافعاله وتنزيهه عن الكباير اجماعا لرفعة قدره عنها ولا ينافيه تجويز الحشوية له كما قيل لعدم الاعتداد بخلافهم وقوله اجماعا اشارة لرد قول المعتزلة انه عقلا لابتنائه على الحسن والقبح العقليين وعن الصغاير تحقيقا اي امرا محققا ولتجويز بعضهم لها لم يقل اجماعا ويجوز ان يريد بقوله تحقيقا قصدا بقرينة قوله وعن استدامة السهو والغفلة عطف تفسير للسهو لبعد ساحة التبليغ عنها فان وقع نبه عليه بسرعة كما مر وقد قيل يا سايلي عن رسول الله كيف سها

والسهو من كل قلب غافل لاهي ⁂ قد غاب عن كل شي سره فيها

عما سوى الله في التعظيم لله

وتقدم كلا مهم فيه وما فيه وعن استمرار الغلط والنسيان عليه حفظا له صلى الله عليه وسلم بايقاظ قلبه وتنبيهه فيما شرعه للامة لان استمراره مناف لتشريعه له وعصمته بالجر وتجوز رفعه في كل حالاته من رضي وغضب وجد بكسر الجيم ضد الهزل ومزح لانه صلى الله عليه وسلم كما ورد كان يمزح ولا يقول الا حقا كقوله صلى الله عليه وسلم لامراة لا تدخل الجنة عجوز لانهن يعدن لسن الشبوبية فيجب عليك ايها الناظر لانه خطاب له بغرضه ان تتلقاه اي تاخذه وتقلبه باليمين اي بالقبول واليمن والبركة لانهم ياخذون بها ما يعتنون به فانها جهة تسهل العمل بها عادة والعرب تقول لما تمتدح به اخذه بيمينه ولذا قال الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد ⁂ تلقاها عرابة باليمين

ابن افترى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتشدد عليه اي على ما ذكر من تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما ذكر بدل الضنين بضاد معجمة وبنونين كالبخيل وزنا ومعنى من الضنة وهي شدة البخل وهو استعارة تمثيلية بليغة كقول المتنبي وفوق شحيح ضاع في الترب خاتمه اي بخ من على جحفظ ما ذكر من تنزيهه قدره عما ذكر كحرص البخيل على ما في يده لشدة بخله به وخوفه من ذهابه منه وفيه مع اليمين مراعاة النظير وقد فسر اليمين بالقوة وهو غير مناسب هنا لما عرفته وتقدر بسكون القاف وكسر الدال وهو المنزلة الرفيعة كما في قوله وما قدروا الله حق قدره هذه الفصول المعقودة لبيان ما يجب اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم حق قدرها اي تعظيمها حق تعظيمها اللايق بها وتعلم علم فايدتها لانها مما يجب اعتقاده وتنال به عند الله مثوبة عظيمة وخطرها اي شرفها ومرتبتها واصله ما يعطى عند الرهان لمن سبق فاستعير لما ذكر فان من يجهل ما يجب اعتقاده للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز له مما يصح في حقه او يستحيل عليه او يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة ولا يعرف صور احكامه اي الحكم المتصور في حقه من الوجوب والجواز والحرمة لا يامن ان يعتقد في بعضها اي بعض الصور او الاحكام خلاف ما هي عليه فيعتقد في حقه ما لا يجوز اعتقاده ولا ينزهه عما لا يجوز في حقه وفي بعض النسخ عما لا يجب اي لا يجوز كذا فسره بعضهم وفيه نظر او يضاف اليه اي ينسب اليه ويوصف به فيهلك اي يقع في امر يكون سببا لهلاكه في الدنيا والاخرة من حيث لا يدري لعدم علمه بحقه وما يجب وما يجوز عليه ويسقط من هوة بضم الهاء وتشديد الواو وهو العميق كالبير الدرك بفتحتين وقد تسكن الرا وهو ما ينزل به الى الاسفل من دركات المنازل من النار المعرف في النار للعهد والمراد نار جهنم التي في الاخرة وهي هنا مجاز عن محلها وهي تستعمل كثيرا بهذا المعنى وهو عبارة عن عقابه اشد العقاب في الاخرة بسبب ما ذكر ولذا علله بقوله اذ ظن هو مصدر مبتدا مضافا لقوله الباطل به صلى الله عليه وسلم اي ظن ما ليس صحيحا في حقه واعتقاده على طريق الجزم به ما لا يجوز شرعا وعقلا عليه صلى الله عليه وسلم يحل بضم اليا وكسر الحا المهملة وتشديد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد اي يحل صاحبه اي ما يعتقد ذلك الاعتقاد دار البوار اي يحل في دار البوار يعني جهنم والبوار بفتح الموحدة هو الهلاك وهو من اسمائها وضبط البرهان يحل بفتح اوله وضم ثانيه وصاحبه كما علم على هذا وهو جايز ايضا ولا يتعين الابراوايته كذلك ولهذا المذكور كله من عظيم قدره وخطره ووجوب اعتقاد تنزيهه النبي صلى الله عليه وسلم عما ذكره وان اعتقاد خلافه يهلك صاحبه ويخلده في الدرك الاسفل لما يؤدي اليه من الكفران اراد تنقيصه بما ذكر احتاط عليه الصلاة والسلام وفي بعض النسخ ما احتاط وما زايدة كقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم والاحتياط افتعال من حاطه اذا اتخذ عليه حائطا ثم استعمل للمبالغة في الصيانة والحفظ وفي الاساس احتاط واستحاط في امره بالغ في الاحتياط وتفسيره بالتحري في طلب الحق خشية على من ذكر غير لايق هنا على الرجلين اللذين راياه ليلا اي في ظلمة

الليل وهو معتكف في المسجد يعني مسجده بالمدينة مع صفية ام المومنين وكانت جالسة تتحدث معه صلى الله عليه وسلم ثم قامت فقام معها يشيعها لبيتها فمرا به وابصراه فاسرعا وقوله في المسجد قيل انه متعلق برياه لا بمعتكف ومع صفية حال من فاعل اي رايا حال كونه مع صفية في بعض ازقة المدينة وقد جانه تزوره لا فاعل معتكف كما قيل والحديث في الصحيحين عن صفية بنت حيي بن اخطب بن سعيه بسين مهملة مفتوحة وعين مهملة ساكنة بعدها مثناة تحتية وها او نون وكانت تحت ابن ابي الحقيق اليهودي فلما قتله صلى الله عليه وسلم واسلمت تزوجها وقصتها في السيرة فقال صلى الله عليه وسلم لهما انها اي التي رايتماها تتحدث معي صفية زوجتي لا اجنبية وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لهما لما اسرعا على رسلكما اي تمهلا انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله صلى الله عليه وسلم ما ذكر لظنه انهما ظنا به ما لا يليق بمقامه وقد قال الحفاظ انهما لم يعرفا ولم يسميا في شيء من كتب الحديث الا ان ابن العطار تلميذ النووي قال في شرح العمدة زعم بعضهم انهما اسيد بن حضير وعباد بن بشير ووقع في رواية سفيان في البخاري فابصره رجل من الانصار بالافراد وفي اخرى وهما من الانصار فيحتمل تعدد القصة وقال ابن حجر لا اصل عدم التعدد وهو محمول على ان احدهما كان تابعا للاخر فاختص احدهما بخطاب المشافهة ثم قال صلى الله عليه وسلم لهما بعد ما قالاه ان الشيطان يجري من ابن ادم لوسوسته له في باطنه مجرى الدم وهو داخل عروقه وفي رواية اني خفت ان يظنا اني ظننا ان الشيطان الخ والمراد بابن ادم الجنس فيشمل النسا وجريانه مجرى الدم قيل انه على ظاهره وانه اقدره الله على الدخول في عروق الناس ويتصل بقلوبهم وقيل انه تمثيل لشدة اتصاله به ولزومه له واني خشيت عليكما ان يقذف اي يلقي ويوقع الشيطان في قلوبكما شيئا من الظن السيء فتهلكا وتقعا في اثم يهلككما الله بما يحل بكما من العقوبة على ذلك الذنب فخشي صلى الله عليه وسلم عليهما ان يغويهما الشيطان فيلقي في قلوبهما سوء ظن به وانه يتكلم مع اجنبية فيؤدي ذلك الى تنقيصه وهو كفر يستحق فاعله دخول النار فيهلكا فبادر لاعلامهما بنقذهما من الهلاك والحديث في البخاري وغيره كما مر وفيه جواز خروج المعتكف من المسجد لحاجة والارشاد للاحتراز من محل التهم وانه ينبغي للعالم ان يرشد غيره لما فيه خير له الى غير ذلك من الفوايد التي لا تخفى قال القاضي عياض المؤلف رحمه الله هذه اي معرفة ما يجب اعتقاده فيه صلى الله عليه وسلم من عصمته من سائر الذنوب لئلا يهلك اذا اعتقد خلافه اكرمك الله اي جعلك الله مكرما بما هداك له مما يجب عليك معرفته احدى فوايد ما تكلمنا عليه هو خبر هذه المبتدا وما بينهما من الجملة الدعائية اعتراض في هذه الفصول لصاد مهملة جمع فصل اي السابقة في بيان عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وما يجب لهم علينا ولعل جاهلا لا يعلم بجهله لانه هو الذي يخشى عليه من هذا التوهم ولعل هنا للاشفاق عليه وخوفه من هلاكه اذا سمع شيئا منها اي

من الاصول المعقودة لتنزيه الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن النقايص بري ويعتقد
ان الكلام فيها جملة اي جميعًا وهو منصوب على الحال من فصول العلم خبر ان جم وفضل
غلب على الامر الذي يعد عيبًا ومنه الفضولي ولذا انسب للجمع فيه وهو بضاد معجمة
بمعنى زيادته وان السكوت عن ذكرها اولى من ذكرها وهو جهل عظيم منه لانها
من اهم الامور وقد بان لك مما قررناه انه امر متعين واجب ذكره واعتقاده
للفايدة التي ذكرناها وهي ان فيها النجاة من الهلاك كما يرشدك اليه حديث سفينه
الذي ذكره وفيه فايدة ثانية غير الذي قدمه يضبط بالبنا للمفعول اي يحتاج
اليها احتياجًا شديدًا لانها من ضروريات الدين في اصول الفقه اي في القواعد
الفقهية او في علم اصول الفقه وتنبني عليها اي يترتب ويتفرع مسايل
لا تعد من الفقه اي مسايل الدين الشرعية وفروعه اي لا نعد لكثرتها الا ان
الانفعال من العد قليل في الاستعمال الا انه كما قيل لغة رديئة لا يكاد نعد
ويتخلص بها اي يخرج من عهدتها ويسلم من تشغيب تفعيل من الشغب بفتح
الغين المعجمة وسكونها وهو تهييج الشر والصياح في الخصومة مختلفي الفقها
اي اقوال الفقها المختلفة في عدة منها اي في عدة مسايل تتعلق بالاعتقاد فيما يجوز
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويجب لهم وهي اي الفايدة المضطر اليها
الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله التي هي معظم سنته الواردة
في حديثه لابهام صفاته واقواله وافعاله وتقريراته في جميع احواله من الغضب
والرضى والصحة والمرض وغير ذلك مما قاله المص ولابي شامة رحمه الله كتاب
مستقل في افعاله صلى الله عليه وسلم وما يجب الاقتدا به ويستحب فان منها
ما هو تعبد وضرورة وامور عادية وجبلية اختلفوا في لزوم الاقتدا به
فيها واستحبابه فيما لم يعلم انه قصد به التشريع فذهب الباقلاني والغزالي
الى انه يستحب التاسي به في الامور الجبلية ولابي اسحاق فيهما وجهان ففيها
اقوال ثلاثة بالندب والاباحة والامتناع كذا قاله ابن العيد من طريق ورجوعه
من اخرى وهذا كله فيما لم يعلم حكمه بنص منه او من الصحابة رضي الله عنهم
ولم يعلموا انه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وهو باب عظيم شانه
واصل كبير من اصول الفقه وقواعده المهمة لابتنا كثير من احكام الشرع
عليه ولابد من بنايه اي جعله مبنيًا على اساس وقاعدة يرجع اليها
وهي انه متفرع على صدقه صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه اي ما
يبلغه لامته ومن بعث لهدايته وارشاده وانه لا يجوز عليه السهو فيه
اي فيما بلغه عن ربه لعصمة الله له عنه لمنافاته لكونه صلى الله عليه وسلم
ارسل مشرعًا مبينًا لامر به وعلى عصمته من المخالفة في افعاله الصادرة
عنه عمدًا فلا يتوهم جوازه عليه ولا اعتقاده وبحسب سكون الصبي
اختلافهم على مقدار في وقوع الصغاير من الانبيا ملهم عليهم الصلاة
والسلام لا سيما منه صلى الله عليه وسلم وقع خلاف بين الفقها وفي نسخة
اختلاف في امتثال الفعل اي اتباعه لمجرد صدوره منه وعليه اكثر فقها

المذاهب

المذاهب وقد بسط اي فصل وبين وذكر بيانه في كتب ذلك العلم يعني الفقه واصوله
ولا نطول به الكلام في هذا الكتاب لانهم جزاهم الله خيرًا كفونا مونته فلا حاجة لاعا
هنا وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم اي القاضي وغيره والمفتي اي المجيب لسايل عن
الامور الشرعية من علما الشرع واحكامه فيمن اضاف بنسبته ووصفه للنبي صلى الله
عليه وسلم شيًا من هذه الامور التي تجوز او تجب او يمتنع عليه ووصفه بها
صريحًا او ضمنًا كلا او بعضًا فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه من الاوصاف ولم
يعرف ما وقع الاجماع فيه نفيًا او اثباتًا ولم يعرف ما وقع الخلاف فيه جوازًا او نفيًا
كيف يصمم اي يجزم او يعزم عليه في الفتيا في ذلك اي امر الانبيا عليهم الصلاة والسلام
منعًا وجوازًا وفي نسخة الفتوى وفي القاموس فتي في الامر ابانه والفتيا والفتوى
وتفتح ما افتى به الفقيه انتهى وفيه تفصيل في المصباح كغيره ومن اين يدري ويعلم
بالعقل والنقل هل ما قاله في حق الانبيا في فتواه او حكمه فيه نقص لهم او مدح
لهم حتى يقدم عليه حكمًا وافتا فاما ان يجتري اما بكسر الهمزة ومعناها مقرر
في كتب العربية والاجترا افتعال من الجراة وهي الاقدام على الشي من غير مبالاة بما
فيه من الضرر وبينه وبين الشجاعة عموم وخصوص كما بين في كتب الاخلاق على سفك
دم مسلم حرام بان يحكم او يفتي بكفره وقتله وهو غير مستحق لذلك والسفح والسفك
بمعنى الاراقة والصب تنبيه قال في العقايد العضدية لا يكفر احد من اهل
القبلة الا بما فيه نفي للصانع المختار او بما فيه شرك او انكار النبوة او انكار ما علم
من الدين بالضرورة او انكار مجمع عليه قطعًا او استحلال محرم واما غير ذلك
فالقايل به مبتدع وليس بكافر انتهى وسياتي بيان ذلك واعلم ان شيخ والدي
الشهاب ابن حجر الهيتمي قال في شرح المنهاج نقلًا عن الزركشي ان ما وقع
في كتب الحنفية وفتاواهم من التكفير بالفاظ كثيرة كان المتورعون من مشايخ
ينكرون اكثرها لمخالفتها لاصول ابي حنيفة وعقايدهم وليسوا من اهل
الاجتهاد فليحذرها من يراها منا ومنهم لانه يخاف على قايلها ان يدخل في
قوله صلى الله عليه وسلم من كفر مسلمًا لغير حق فقد كفر انتهى وفي
الفتاوى البزازية حكي عن بعض السلف انه قال ما في الفتاوى من التكفير
بكذا وكذا فذلك للتخويف والتهويل وهو كلام باطل وحاشا ان يلعب امنا
الله تعالى على الاحكام من الحلال والحرام ويكفر اهل الاسلام بل لا يقولون
الا الحق الثابت عن سيد الانام وما ادى اليه اجتهاد الامام اخذًا من نص كلام
الملك العلام او حديث سيد الرسل العظام انتهى وهذا يحتمل ان يكون تاييدًا
لما قاله ايمتنا بانهم لا يقولون الا ما نص الله عليه امام مذهبهم مستندًا
الى دليل من القران او الحديث الصحيح او هو اعتراض على الجواب بان المقصود
به التخويف والتهديد بانه لا يصح مثله من التاويل الا في الحديث والتنزيل
اما في كتب الفقه الموضوعة لبيان الحلال والحرام وتعليم الناس حتى
العوام فلا يصح فيها مثله لما فيه من اللبس او يسقط حقًا من حقوق النبي
صلى الله عليه وسلم بما يوهم نقصًا فيه او يمنع حرمة للنبي صلى الله عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبتلك اي امر مما امر الله صلى الله عليه وسلم كتجويز المعاصي عليه ونحوه مما لا يليق
به فلا يجوز لمسلم ان ينسب لنبينا وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام امرا نافي
عصمتهم عمدا وسهوا قبل النبوة وبعدها وهو الذي ارتضاه كثير من ايمة الدين واهل
الاصول كما مر ثم ان المص شرع في بيان عصمة الملايكة عليهم الصلاة والسلام
كما وردت به النصوص فقال وبسبيل هذا النبا بمعنى في اي مما جرى في طريق هذا
وفي نسخة وسبيل هذا ابدونا وهذا اشارة لما ذكر من عصمة الانبيا ما قد اختلف ارباب
اي اصحاب الاصول اي علما اصول الدين في العقايد وايمة العلما اي كبار علما الشرع
المقتدى بهم والمحققين اي اهل التحقيق من اعلامهم في عصمة الملايكة عليهم
الصلاة والسلام لانهم لا يعصون الله ولا يفعلون الا ما يومرون وهم مثلهم في
جريان الخلاف فيما هو لازم لهم والصحيح والصواب فيه

فصل في تجويز القول

في عصمة الملايكة جمع ملك والتا لتانيث الجمع وفي اشتقاق الملك خلاف
لاهل اللغة المشهور انه من الالوكة وهي الرسالة لانهم رسل الله برسلهم
لما يريد واصله مالك ثم قلب بدليل جمعه على ملايكة واختلفوا في حقيقتهم
والصحيح انهم اجسام لطيفة قادرة على التشكل وفي تشكلهم كلام ليس هذا
محله ولكن الحق منهم على الصحيح خلافا لمن ذهب الى انهم جنس واحد وقد
بيناه في حواشي التفسير وتقدم الكلام في معنى العصمة قال الجلال الدواني
العصمة عندنا ان لا يخلق الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور
اتفق المسلمون وفي نسخة اجمع المسلمون على ان الملايكة مومنون بالله ورسله
وشرايعه كما وصفهم الله في القران فضلا اي ذو قدر معظم مبجل واتفق
ايمة المسلمين من علما الملة الاسلامية على ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين
من البشر سوا اي مساوون لهم في العصمة وتنزيههم عما ينزهوا عنه
لشرف قدرهم مما ذكرنا عصمتهم منه من الكباير والصغاير كما تقدم تفصيله
والجار والمجرور متعلق بالعصمة قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا
قال الواحدي الملايكة منهم رسل كجبرايل واسرافيل وميكايل وعزرايل
ومنهم غير رسل وقال بعضهم كلهم رسل ارسل بعضهم لبعض منهم
وبعضهم الى الناس كجبريل والحفظة والمص تبع فيما قاله الواحدي
وهو المشهور وفي كلامه اشارة الى ان من انكر الملايكة ليس بمسلم
كالفلاسفة فانهم ذهبوا الى انكار ذلك الفلكيات وعقول لها العقولهم
الفاحشة فقالوا لا عقول روحانية كما فصل في كتب الحكمة ومطولات الكلام
والنصوص القرانية شاهدة بخلافه وانهم اي رسل الملايكة في حقوق
الانبيا من حيث الوساطة بين الله وبينهم والتبليغ اليهم فيما امرهم
الله ان يبلغوه اليهم من الوحي فحالهم معهم كالانبيا عليهم الصلاة
والسلام مع الامم في تبليغ الاحكام اليهم وبيان المصالح لهم حسبما

امرهم

امرهم الله به والمراد بعصمتهم انهم لا يخالفون امر ربهم فلا ينافي ان الله لم يخلق لهم
شهوة ودواعي كما في الطباع البشرية وهو ظاهر غني عن البيان خلافا لمن تصدى
للجواب عنه واختلفوا في غير المرسلين منهم اي من الملايكة هل هم مساوون لهم في
العصمة مما تقدم وعدمها فذهبت طايفة من ايمة الدين الى عصمة جميعهم من
الرسل وغيرهم من المعاصي جميعها لان الله تعالى لم يخلق فيهم شهوة ولا داعية
لها واحتجوا لعصمتهم من جميعها وفي نسخة احتجت اي الفرقة الاولى اولى
بايات كقوله لا يعصون الله ما امرهم منصوب على نزع الخافض اي فيما امرهم او
بدل اشتمال من اسم الله اي امره ويفعلون ما يومرون به اي يبادرون لفعله
من غير تنقيص ولا تاخير فعلى هذا هو تاسيس وان حمل على ظاهره فهو تاييد
والعطف بالواو يبعده فتدبر ولا دليل في هذه الاية لما ادعاه من العموم
لانه عايد الى خزنة النار فتلك في قوله عليها ملايكة غلاظ شداد وهم
التسعة عشر وبه فسر في الكشاف فكانه لاحظ عدم الفرق بينهم وبين
غيرهم ولا يخفى ما فيه وبقوله وما منا الا له مقام معلوم لا يتعداه لغيره
حسبما امروا وفيه حذف الموصوف اي ما احد منا او معشر او فريق وانا لنحن
الصافون اي الواقفون صفوفا كصفوف الصلاة في المقام المعين لنا ولما
امرنا به وتفسيره بالصافين اقدامنا في الصلاة لا وجه له هنا كما قيل وانا
لنحن المسبحون اي الملازمون لتقديس الله وتنزيهه عما لا يليق بشانه وقيل
معناه المصلون العابدون كما ورد في الحديث ان لهم صفوفا كصفوفنا
وبقوله ومن عنده اي الملايكة المقربون مكانة لا مكانا لتنزه الله عنه
لا يستكبرون عن عبادته اي يتذللون ويخضعون لعظمة الله ولا يستحسرون
اي لا يتعبون ويملون من العبادة التي امروا بها وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته الاية لتلذذهم بعبادته وقوله كرام بررة صفة سفرة
جمع سافر وهو الكاتب وهم الكرام الكاتبون من الملايكة والبررة جمع بار
وهو المطيع المتقي ربه واما البر فجمع ابرار وقوله لا يمسه الا المطهرون
هذا على ان المراد به لا يمس القران في اللوح المحفوظ او في غيره الا الملايكة
المطهرون من الكدورات الجسمانية والعلايق البشرية وقد فسر بانه لا يجوز
ان يمسه من الناس الا من تطهر من الحدث او لا يمسه الكفرة لنجاستهم كونهم
فهو نفي بمعنى النهي ولا شاهد فيه على هذا كما انه لا شاهد في قوله وما
منا الا له مقام معلوم اذ فسر بانه ما من احد من المسلمين الا له مقام في الاخرة
او يوم القيامة وقيل ايضا انه لا شاهد فيه على رسل الملايكة اذ لا تخصص
فيه وقد اشار الى عمومه في الكشاف ونحوه مما هو بمعناه من السمعيات
اي النصوص القرانية الواردة في حق الملايكة كقوله تعالى لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون او ما هو مسموع من الشارع من كتاب او سنة
وذهبت طايفة من العلما الى ان هذا اي ما ذكر من امر العصمة خصوص به
مخصوص كما وقع في بعض النسخ للمرسلين والمقربين منهم اي من الملايكة

دون غيرهم والمقربون هم الكروبيون بتشديد الرا وتخفيفها وانشد ابو علي
كروبية منهم ركوع وسجد ● وكافه مبدلة من القاف او اصله من كرب بمعنى قرب فقال
هو كرب الخلق اي قربه سموا به لقربهم او لصبرهم على العبادة او هو من الكرب لشدة
خوفهم من الله واحتجوا باشياء ذكرها اهل التفاسير نحن نذكرها ان شا الله وفي نسخة
تعد بالبناء للفاعل ونبين الوجه فيهما اي القول الموجه المرضي مستعار من الوجه
المعروف والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم اي كمال مقامهم الرفيع
العالي منزلته عند الله عن جميع ما يحط اي ينقص وينزل من حط الحمل اذا انزله
من مكان عال الى اسفل منه من رتبتهم ومنزلتهم هو مقامهم عن جليل مقدارهم
اي قدرهم الجليل فهم معصومون عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها ولا يجوز
ذلك عليهم ولا يقدرون عليه ورايت لبعض شيوخنا اشارا اي قال والاشارة
تطلق بهذا المعنى كثيرا الى ان بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة اي انه لا حاجة
بالفقيه الى الكلام وقيل الكتاب يعني للامام اي لا حاجة له الى الكلام في عصمتهم وقيل
اكتفا بما ورد واشتهر في حقهم ومدحهم من النصوص في القران والحديث وقيل
انه لكونهم غير مرتبين لنا ولم نومر بالاقتدا بهم بخلاف الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فانا متبعون لاقوالهم وافعالهم مقتدون بهم فلا بد من معرفة
عصمتهم واعتقادها للوثوق بهم حتى يجب امتثال اوامرهم ونواهيهم
للامم وقيل انما اراد انه يجب الكف عن الكلام في جميعهم لانه امر مشكل
لا يتكلم فيه الا بدليل قطعي لانه لا فايدة فيه وانا اقول ان الكلام في ذلك
اي في عصمة الانبيا لازم كالكلام في عصمة الانبيا وفي نسخة ان للكلام في ذلك
ما للكلام في عصمة الانبيا من الفوايد الثلاثة التي ذكرناها فانهم وسايط
بين الله ورسله وتبليغهم للرسل كتبليغ الرسل لاممهم فلو لم يكونوا
معصومين لم يحصل الوثوق للرسل بما بلغوه ويسري ذلك لنا فلا فرق
اذن سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال اي الفايدة التي ذكرها في اقوال
الرسل وافعالهم فهي ساقطة هنا اي في حق الملايكة لعدم اطلاعنا على اقوالهم
وافعالهم ولسنا مكلفين باتباعهم فيهما كالانبيا عليهم الصلاة والسلام
فلا داعي لعصمتهم فيهما جهلا ولا سهوا لعدم طرو ما لا يليق فمما احتج به
من لم يثبت عصمة جميعهم وقال بوجوب عصمة الرسل منهم فقط قصة
هاروت وماروت هما علمان لملكين ببابل ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة
ولو كانا عربيين من الهرت والمرت تصرفا وما ذكر فيهما اي القصة اهل الاخبار
وعلما التاريخ ونقله جمع ناقل مثل كاتب وكتبة مضاف لقوله المفسرين
اي من اعتمد على النقل من الصحف دون تحقيق وفي نسخة ونقله المفسرون
بفعل ماض وفاعل وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلايهما
بمحبة المراة وعقابهما على ما فعلاه كما ستسمعه قريبا مع ما فيه ردا
وقبولا وما وقع من السحر فتنة للناس وان السحر من اعتقده وعمل به
فقد كفر كما ياتي واما من تعلمه ليتوقاه ويتداوى منه فلا كما قيل ●

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ● ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ●
وللفقها فيه وفي قتل الساحر كلام طويل الذيل ليس هذا محل تفصيله فاعلم خطاب عام
لكل واقف على هذا الكلام طالب للعلم به اكرمك الله بهدايته للحق ان هذه الاخبار المذكو
في قصة هاروت وماروت لم يرو فيها شي ممن يعتد به من المحدثين لا سقيم اي ضعيف
ولا صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو اي ما تقدم من قصتهما
شيا يوخذ اي يستنبط بقياس وفي نسخة بالقياس اي ليس مما يجري فيه القياس على
غيره مما ورد من الايات والاحاديث الصحيحة فلا ينبغي الخوض فيه نفيا واثباتا وهذا
الذي ذكره من انه لم يرد فيه حديث ضعيف ولا صحيح رده كما نقله السيوطي في مناهل
الصفا في تخريج احاديث الشفا بانه ورد من طرق كثيرة منها ما في مسند احمد عن ابن عمر رضي
الله عنهما مرفوعا ورواه ابن حبان والبيهقي وابن جرير وابن حميد في مسنده وابن ابي
الدنيا وغيرهم من طرق عديدة وقال ابن حجر في شرح البخاري ان له طرقا تفيد العلم
بصحته وكذا في حواشي البرهان الحلبي وذكره مسندا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمعه
صلى الله عليه وسلم يقول لما اهبط الله ادم الى الارض قالت الملايكة اتجعل فيها
من يفسد فيها الاية قالوا ربنا نحن اطوع لك من بني ادم فقال الله هلما ملكين
يهبطا للارض قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا فتمثلت لهما الزهرة امراة حسنا
من البشر فراوداها عن نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك
فابيا فذهبت واتت بابن جار لها تحمله فراوداها فقالت لا حتى تقتلا هذا الصبي
فقالا لا نقتله ابدا فراوداها مرة اخرى فاتت بقدح خمر فقالت لا حتى تشرباه فشرباه وسكرا
فتكلما بكلمة الكفر وقتلا الصبي فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختار
عذاب الدنيا فعلقا بين السما والارض والزهرة بضم الزاي وفتح الها وتسكينها لحن
ولا مانع منه تخفيفا ويقال لها بالفارسية ناهيد وتخفف فيقال ناهيد وفي
رواية ابن عباس ان الله انزلهما حكمان بين الناس وان الزهرة قالت لهما اخبراني
بما تصعدان به الى السما قالا باسم الله الاعظم وعلماها اياه فطارت الى السما فمسخت
كوكبا وقد جمع الجلال السيوطي طرق هذا الحديث في تاليف مستقل فبلغت نيفا
وعشرين طريقا وقوله والذي منه اي من ذكر هذه القصة في القران اختلاف
سوال تقديره انك قلت ان هذه لم تثبت عنه صلى الله عليه وسلم فما تقول
في ذكرها في القران في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين
ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة الاية
فاجاب بقوله اختلف المفسرون في معناه اي معنى ما ذكر في هذه الاية فانكر ما قال
بعضهم فيه اي في معناه كثير من السلف كما سنذكره فلا حاجة لذكره هنا وهذه
الاخبار التي ذكرها بعض المفسرين منقولة من كتب اليهود في الاسرايليات
وافترايهم اي كذبهم على انبيا الله وملايكته عليهم الصلاة والسلام كما
قصه الله اي حكاه في اول الايات من افترايهم بذلك على سليمان وتكفيرهم
اياه اي نسبته الى الكفر الذي رده الله تعالى بقوله وما كفر سليمان الخ وقد

الطوت اي اشتملت والحنوث هذه القصة على شنع عظيمة بضم الشين المعجمة وفتح النون
وعين مهملة جمع شنعة اي قبيحة شايعة من شنع عليه اذا اشاع قبايحه وذلك
كما ياتي بيانه انهم كتبوا سحرا ونيرنجيات على لسان اصف بن برخيا وزير سليمان عليه
الصلاة والسلام ودفنوها تحت مصلى سليمان فنزع ملكه ثم لما مات استخرجوها
وقالوا انما ملككم بهذه فانكرها صلحاؤهم واقبل عليها السفلة ورفضوا كتب
انبيايهم ونسبوا سليمان عليه الصلاة والسلام للكفر والسحر وبراه الله منه
وهاك تحبيرا اي تحريرا حسنا من حبره بمهملتين بينهما موحدة اذا
حسنه وزينه وفيه تورية لانه يقال حبره اذا كتبه بالحبر ففيه ايهام لمعنى
كتبه لتبيينه في ذلك المذكور في قصة هاروت وماروت ما يكشف غطا هذه الاشكالات
اي ما يزيل لبسه واشكاله ببيان الحق فيه وفيه استعارة مكنية وتخييلية او
مصرحتان باستعارة الكشف للازالة والغطا للبس ان شا الله اي ان اراده بيمنه
وبركته فاختلف اولا في هاروت وماروت اي في حقيقتهما وجنسهما لان بيان
الحقيقة ينبغي تقديمه على بيان احوالهما وهل هما ملكان بفتح اللام اي
في جواب هذا السوال وهو تفسير للاختلاف وجهته او انسيان نسبة الى الانس
خلاف الجن اي من بني ادم وهل هما المراد بالملكين في قوله وما انزل على الملكين في الاية
بان يكونا بدلا منه امر لا وهل القراة ملكين بفتح اللام وهي قراة السبعة او ملكين
بكسرها وغيره كما ياتي وهي قراة شاذة منقولة عن الحسن البصري وغيره كما ياتي
وهل ما في قوله وما انزل على الملكين وفي قوله ما يعلمان من احد نافية او موجبة
اي غير نافية من الايجاب ضد النفي مبني على هذا موصولة او موصوفة وهو ظاهر
وكونهما ملكين بالفتح مذهب الجمهور وقراته متواترة وعلى قراة الكسر يلزم كونهما
انسيين تصورا بصورتهما الاصلية لانه المتبادر وكونهما من الملايكة امرهما
الله بالهبوط للارض والحكم بين الناس كما تقدم في الحديث فتصورا بصورة البشر
لقدرتهما على التشكل بعيد من دلالة اللفظ والاحتمال البعيد لا يعول
عليه فايراده هنا غير صحيح والقايل بانهما ملكين بالكسر استدل بظاهر حديث
رونه عايشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها انها رات رجلين معلقين
برجليهما وفيه الاحتمال السابق ايضا فالاحتجاج به غير تام فان
كانت ما في وما انزل نافية كان معطوفا على ما كفر سليمان اي لم يكفر ولم ينزل
على الملكين شي من السحر وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض
وما بينهما اعتراض وهو رد على اليهود لعنهم الله فيما افتروه على الانبيا
والملايكة والا فهي موصولة او موصوفة وقوله من احد ياتي كونها غير
نافية ولذا قال بعض الشراح انه لم يذكره احد من المفسرين وان المعنى
عليه غير ظاهر والكلام في ذلك مفصل في التفاسير فاكثر المفسرين يقولون
ان الله امتحن الناس بالملكين اي ابتلاهم وعاملهم معاملة المحنة
لامرهم حتى يظهر حالهم والملكين تثنية ملك بفتح اللام فانزلهما
لتعليم السحر لهما وتبيينه وان عمله كفر وفي نسخة عمله بتقديم الميم على اللام

وجعله

وجعله كفرا مبالغة لانه سببه فهو مجاز كرعينا الغيث والمطر فمن يعلمه ويعمل به معتقدا حله
كفر لاعتقاده ما هو حرام اجماعا حلالا ومن تركه امن اي دام وهو مؤمن على ايمانه اذ الكافر
بمجرد تركه السحر لا يصير مؤمنا وهذا مذهب مالك وعزاه المصنف في شرح مسلم الى سيدنا
احمد بن حنبل فهو عندهما كافر يقتل ولا يستتاب كالزنديق عنده وهو عند
كبيرة ان لم يكن فيه ما يقتضي الكفر فلا يقتل وتقبل توبته فان قتل بسحره قتل قصاصا
عنده وقيل تلزمه الدية والكفارة وعند غير الشافعية فيه خلاف ودليل مالك
ما قال الله عز وجل انما نحن فتنة فلا تكفر فان قولهما له على طريق النصح حين
روي ان يكرره سبع مرات يقتضي انه كفر وما قيل من انه لا دليل فيه لاحتمال ان الله
يعاقبه بسلب الايمان منه اي لا تفعله فانه سبب لسو الخاتمة خلاف الظاهر وتعليمهما
للناس تعليم انذار مبتدا وخبر والناس مفعول المصدر الاول وهو جواب عما
استدل له اي انما علموه لهم ليعرفوه ويحذروا منه فهو انذار وتخويف لهم من
وباله ثم وضحه بقوله اي يقولان يعني الملكين لمن جا يطلب تعلمه منهما لا تفعل
اي لا تتعلمه وفي نسخة لا تعلموا فانه يفرق بين المرء وزوجه اي هو سبب لذلك
بما يلقيه في قلبهما من البغض الموجب لمفارقة احدهما الاخر وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله اي بتقديره وارادته والسحر له تاثيرات غير ذلك وانما
خصه لكثرته والجمهور على ان السحر له حقيقة يحدث عند نطقه ببعض الكلمات
او فعل بعض الاشيا بخاصية اوجدها الله عنده وقيل انه تخييل باطل وانه
لا اثر له غير تفريق الزوجين والاول هو الصحيح كما قاله المازري ولا تتحيلوا
بكذا اي تفتعل من الحيلة بالحا المهملة اي لا تباشروا حيل السحرة التي يفعلونها من
التمويه والنفث في العقد ونحوه وروي لا تتخيلوا بخا معجمة من التخيل وهو ظن
الشي على خلاف ما هو عليه واكثرهم على الاول ويؤيده تعديه بالبا وهي سببية
فانه سحر اي امر غير محمود ولا جايز فلا تكفر ولا تفعل هذا لانه كفر او مؤد اليه
كما بيناه فعلى هذا اي ان تبيينه لانذار الناس من الوقوع فيه فعل الملكين
في السحر تعليمهما عنه وبيان ضرره وكفر فاعله طاعة لما فيه من النهي عن المنكر
ونصر فهما فيما امرا به اي امرهما الله باظهاره وبيان حاله للنبي معصية
يستدل بها على عدم عصمة بعض الملايكة وهو جواب عن سوال تقديره انما
فعلا ما هو غير جايز في نفسه بانه في حقهما جايز كالمفتي والواعظ الذي يتكلم
بكلمات الكفر ليتجنب وهو مامور بذلك فهو في حقه غير ممنوع وهي لغيرهما
فتنة وبلية تهلكه بعقاب الله له وروى ابن وهب هو الامام عبد الله بن
وهب المصري وقد تقدمت ترجمته عن خالد بن ابي عمران التجيبي التونسي
قاضي افريقية ومحدثها توفي سنة مائة وسبعة وثلاثين واخرج له
اصحاب السنن ووثقوه وكان مستجاب الدعوة وله تفسير فيه ذكر عنده
هاروت وماروت وذكر انهما يعلمان السحر من طلب تعلمه منهما فقال نحن
ننزههما عن هذا اي تعليم السحر وقرا بعضهم ردا لما قاله بانه
مخالف لظاهر قول الله وما انزل على الملكين الاية احتج لها بنا على الظاهر

وفي

٣ رضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من ان ما موصولة وعلى قراءة الجمهور بفتح اللام فقال خالد مجيبا له لم ينزل عليهما بالبنا للفاعل او المفعول وهو انكار لما قاله وانه ليس ما فهمه مراد الله وان لها معنى غير ما يظهر منها للناظر يليها وسيأتي ان شاء الله تعالى فهذا خالد على جلالته اي عظم قدره وجعله لشهرته كانه حاضر مشاهد عنده وعلمه بالتفسير والحديث نزههما اي الملكين عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انه مأذون لهما في تعليمه لان الله امرهما بتعليمه انذارا للناس وليس معصية في حقهما كما سمعته انفا بشرطه بمعنى شرط كما وقع في بعض النسخ ايضا ان يبينا انه كفر فيعلماه بما فيه من المحذور وانه امتحان من الله وابتلا عطف تفسير وغير خالد جعل ما موصولة ايجابية مثبتة لانزال السحر عليهما وهي عنده نافية كما ياتي ولكنه امر بتعليمه لانذارهم وتحذيرهم من مضاره وبيان انه ابتلا من الله فكيف لا ينزههما هو مضارع مسند الى خالد او له مثناة تحتية وقيل انه مسند وبالنون مسند للمتكلم وغيره اي كيف لا ينزه نحن الملكين عن الكبائر والصغائر كشرب الخمر وقتل النفس والزنا والكفر بالتكلم بكلمة الكفر ونحو المذكور في تلك الاخبار التي مر ورها كما سمعته وفصلنا قريبا فتنزيههما عن هذا يعلم من تنزيه خالد لهما عن السحر وتعليمه بشرطه المذكور بالطريق الاولى وقول خالد الذي نقله المصنف عنه لم ينزل عليهما بالتشديد والتخفيف مبنيا للمجهول الذي دل عليه قوله وما انزل على الملكين الخ يريد بقوله ذلك ان ما النافية في هذه الاية نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وبه اقتدى خالد وهو يقول كما في بعض الشروح ان المراد بالملكين جبريل وميكائيل وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض وغيره لم يذهب لهذا كما تقدم وهذا القول لم يقل به جمهور المفسرين والمحدثين كما عرفته قال مكي في تفسيره وقد تقدم ترجمته وتقدير الكلام عند ابن عباس وخالد اذا كانت ما نافية وانه معطوف على قوله وما كفر سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم يريد بالسحر الذي افتعلت الشياطين عليه اي افترته وكذبت في نسبته اليه قال في الاساس مفتعل مختلق مصنوع يعني لا اصل له قال ذو الرمة

غرايب قد عرفن بكل افق ٭ من الافاق تفتعل افتعالا ٭

فاتبعتهم في ذلك اليهود كما قيل ان الشياطين دفنت كتب السحر تحت كرسيه فلما مات وذهب علما ملته قالوا ان تحت كرسيه كنز فحفروا ما تحته فوجدوا الكتب فقالوا ان سليمان كان ساحرا فلما نزل القرآن بذكره قالت اليهود انه ساحر فنزلت الاية بتكذيبهم اي تكذيبا لهم كما رواه الطبري عن ابن جبير بسند صحيح لكن فيه ان الشياطين هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها فلما مات استخرجتها وقالوا هذا هو العلم الذي كتمه عن الناس وزاد ابن اسحاق انهم فنشوا خاتما كخاتم سليمان وختموا به الكتاب وعنوانه هذا ما كتبه اصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من دخاير كنوز العلم الذي

انزله

انزله الله على سليمان فاخفاه عنا دفترا واكتب السحر والكفر على الناس وقوله ما انزل على الملكين اي شيء من السحر وهذا بيان لانها نافية وهو قول ضعيف قال مكي هما اي الملكان جبريل وميكائيل كما تقدم ادعى اليهود عليهما المجيء به اي انهما نزلا بالسحر وتعليمه افترا عليهما كما ادعوا على سليمان عليه الصلاة والسلام انه ساحرا اعتقد السحر وعمل به افترا عليه فاكذبهم الله اي بين كذبهم في ذلك كله مما نسبوه لجبريل وميكائيل وسليمان بقوله ولكن اضراب ابطالي الشياطين كفروا بكذبهم على الله وملائكته ورسله وعلمهم السحر وتدوينه وهم الذين يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وبابل علم ارض ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث سميت بها لتبلبل الالسنة واللغات بها بعد الطوفان وهي بالعراق وما قيل انها بالمغرب فهو قول ضعيف جدا وقيدهما اي هاروت وماروت رجلان لا ملكان تعلماه اي تعلما السحر وهو قول مردود وبابل مضاف لهما على هذا وقال الحسن هو الحسن البصري وقد تقدم بيانه هاروت وماروت علجان تثنية علج وهو الغليظ من كفار العجم اي ما عدا العرب ويطلق على كل شديد من الكفار مطلقا من قولهم هو مستعلج الوجه اي غليظه واعتلجوا اضطربوا وقرا الحسن وما انزل على الملكين بكسر اللام كما تقدم بيانه وتكون ما ايجابا اي موصولة لا نافية على هذا القول والقراة والمعنى الذي انزل على هذين الرجلين وكذلك اي كما قرا الحسن قرا عبد الرحمن بن ابزي بكسر اللام وبه قرا في الشواذ ابن عباس والضحاك وعبد الرحمن هذا صحابي كما جزم به النووي والذهبي واختلف في ابيه فقيل انه صحابي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وصلى خلفه وقيل انه تابعي لم يدركه وابزي بفتح الهمزة وسكون الموحدة وزاي معجمة والف مقصورة يقال ابزي اذا وسع خطوه وقد اخرج له الستة وغيرهم كاحمد في مسنده وهو خزاعي ولكنه قال الملكان هنا اي في هذه الاية المراد بهما داود وسليمان صلى الله عليهما وسلم وكون ما نفيا على ما تقدم ولا شك انهما معصومان فلا تكون ما موصولة وقيل كانا ملكين على انه بكسر اللام في هذه القراة من بني اسرايل هو لقب يعقوب ومعناه صفوة الله واليه ينسب بنو ابراهيم فمسخهما الله بما وقع منهما حكاه السمرقندي وقيل انه بسكون الراء والنون وتقدم بيانه والقراة بكسر اللام شاذة كما مر والشاذ ما فوق العشرة على الصحيح وقيل ما فوق السبعة والكلام عليه في الاصول وعلم القراات مشهور فتحمل بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اي ما يحمل عليه وتفسر به الاية يعني قوله وما انزل على الملكين الخ على تقدير مكي بجعل ما نافية معطوف على ما كفر سليمان حسن على القول بانهما لم يومروا بتعليمه ابتلا وامتحانا كما تقدم وحسنه لانه ينزه الملائكة عن المعاصي ويذهب الرجس اي الاثم وجزاه عنهم ويطهرهم تطهيرا اي يبريهم عن المعاصي واوساخها وهو اقتباس واستعير فيه الرجس للمعاصي والتطهير للعصمة منها وتحقيقه في الكشاف وشروحه وقد وصفهم الله اي وصف الملائكة في القران بانهم مطهرون من ادناس العيوب كالمعاصي وهذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بناء على احد التفاسير فيها كما تقدم ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وقد تقدم بيانه واعلم ان ما ذكره المص في قصة هاروت وماروت من انها لا اصل لها
بحسب الرواية ولا من جهة الدراية على ما هو الاصح من ملكيتهم لانهم معصومون والملك
المعصوم لا يليق ان ينسب اليه ما ذكر من المعاصي ونحوها مما مر مردود اما الاول فلما
عرفته فيما مر من انه ورد في حديث من طرق كثيرة باسانيد كما قاله الحافظ ابن حجر
والسيوطي قال وجمعت طرقه في جزء مستقل الى اخر ما مر فالتردد فيه لا ينبغي واما
ما انكره من انه نسب للملائكة ما لا يليق بهم ولا يصح نسبته لهم فتحقيق الوجه فيه
ان الله تعالى لما جعل ادم عليه الصلاة والسلام خليفة والخلافة في اولاده
وقالت الملائكة سؤال استفسار اتجعلهم خلفا يفسدون في الارض فقال لو جعلت
فيكم ما فيهم من الشهوة كنتم مثلهم فتعجبوا من ذلك فامرهم باختيار من يحكم في الارض
فاختاروا هذين الملكين فاودع فيهما جبلة شهوة بشرية وتمثلا بصورة بشر فلما
اهبطهما وريا الزهرة فتنا بها وكان ما كان مما قصصناه عليك فاذا عرفت
هذا سقط هذا الاعتراض لانهما الوحوا لا عن الملكية واودع فيهما شهوة البشر لابتلاء
مثله منهما لان المعصوم الملك ما دام على اصل ملكيته فاذا اخرج عنها التحق بالبشر
فلا ينكر ان يصدر منهما ما يصدر منهم وهذا هو الحق الحقيق وما يذكرونه في الاستدلال
على ما ادعوه من ان الملائكة غير معصومين والمعصوم منهم الرسل فقط قصة ابليس
لما عصى الله وابى السجود لادم عليه الصلاة والسلام على القول بانه كان من الملائكة
وفيه خلاف مشهور كما اشار اليه بقوله وانه كان من الملائكة رئيسا فيهم ومن
خزان الجنة الى اخر ما حكوه من احواله وخزان بضم فتشديد جمع خازن كتركته
من الخزن وهو حفظ الخزاين والمراد به حفظتها وحراسها وانه استثناه الله
من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس والاصل في الاستثناء الاتصال المقتضي
لانه منهم ولو لم يكن منهم داخلا في امرهم بالسجود لم يكن مستحقا للطرد
وغيره وهذا ايضا لم يتفق عليه مبني للمجهول اي لم يتفق عليه العلما
حتى يتم الاستدلال به مع معارضته لقوله في اية اخرى كان من الجن وان اوله
الذاهبون الى الاول وهو منقول عن ابن عباس والكلام فيه مشهور غني
عن البيان بل الاكثر منهم ينفون ذلك ويقولون انه ابو الجن وهو المسمى
بالجان ايضا ومنهم من قال انه ابو الشياطين وان الجن جنس غيرهم والجان ابوهم
وان الشياطين لا يسلمون ولا يموتون الا معه والجن منهم مسلم وكافر ويموتون
كالبشر ويحشرون ويدخلون النار والجن كما ان ادم ابو الانس وهو اي هذا القول
قول الحسن وقتادة وابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتقدمت تراجم
هؤلاء كلهم وقال شهر بن حوشب شهر بمعجمة بزنة ضرب وحوشب بفتح الحاء
المهملة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وموحدة وهو ممن روي عنه
ووثقوه وضعفه بعضهم وتوفي سنة احدي عشرة ومائة وقيل في تاريخ
موته غير ذلك وله ترجمة في الميزان كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض
حين افسدوا فيها والاستثناء من غير الجنس وهو الاستثناء المنقطع شايع من

شاع

شاع الخبر اذا اشتهر بين الناس في كلام العرب سايغ بسين مهملة وغين معجمة اخره ومعناه
جايز من ساغ الشراب اذا سهل شربه وطاب استعيرلما ذكر يعني انه مسموع من اهل اللسان
غير ممتنع بحسب العقل والعلم ثم استدل بقوله تعالى ما لهم به اي الذين اختلفوا في قتل
عيسى من علم الا اتباع الظن والظن ليس من العلم وكذا اتباعه وقد اخرج منه وليس من
عرضي جنسه اي لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه وتاولوه بما يسكن اليه النفس بصحته ولا يجعله
متصلا كما قيل واما كون ابليس ملكا وجنيا او ان الجن والملك نوع واحد من عنصر
واحد والجن من نار يخالط الدخان والملك من صافي نوره كما قرره البيضاوي والكلام
على هذه الاقوال الثلاثة وعلى حقيقة الجن والملك لا يسعه هذا المقام ومما رووه
من الاخبار كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم عن يحيى بن كثير ان خلقا
اي طايفة من الملائكة عصوا الله فيما امرهم به وهذا بناء على عدم عصمة جميعهم فحرقوا
دحي منبطه بعضهم بالفاء من التحريق اي طردوا وصرفوا عن مقامهم وفي بعض الشروح
انه بالقاف من تحريق النار والراء المهملة مشددة فيهما مع بنا المجهول لكن قوله
وامروا ان يسجدوا لادم فابوا السجود له يأباه لانه بعد تحريقهم وفنائهم كيف
يؤمروا بالسجود له الا ان يقدر واخرون امروا بالسجود فحرقوا هو كالذي قبله
ولو ضبط الاول بالفاء والثاني بالقاف جاز على انه قصد التجنيس فليحرر واخرون
كذلك اي امروا بالسجود لادم فابوا فحرقوا حتى سجد له من ذكر الله في قوله تعالى
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس في اخبار اي ما ذكره الله في القران مع
اخبار اخر في معنى الاية لا اصل لها اي لا يعتمد عليها فقال لكل ما لا يصح هذا لا اصل
له فيكفي بنفي الاصل عن نفيها برد ها صحاح الاخبار المنافية لها والدلائل الدالة على
عصمة الملائكة كما في الايات المتقدمة فلا يستعمل بها

الباب الثاني فيما تخصهم

من الامور الدنيوية التي تختص بالانبيا من الصفات والتصابات التي تكون لهم
في الدنيا سوا كانت واجبة او مندوبة او مباحة اولا وفيما يطرا اي يحدث
ويوجد وهو مهموز الاخر وقد تبدل همزته بحرف علة يقال طرا عليه
كذا اذا عرض له فلذا فسره وبينه بقوله من العوارض جمع عارض واصل
معناه ما يبدو وعرضه ثم استعمل فيما يعرض ويحدث من سقم وغيره وقوله
البشرية تخصيص له لان العوارض تعرض للبشر من بني ادم وغيرهم لما ذكر في
الفصول التي قبل هذا مما يتعلق بالانبيا من عصمتهم من الكباير والصغاير
والحقه ببيان عصمة الملائكة وهو مما يتعلق بالامور الاخروية شرع فيما
يتعلق بهم من الامور الدنيوية لما بينهما من التقابل فقال قد قدمنا
في هذا الكتاب انه اي نبينا صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا والرسل اي
بقيتهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من البشر اي افراد كاملة من
هذا النوع ويجري عليهم ما يجري على غيرهم من لوازم البشرية وان جسمه
وظاهره الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم او للجسم والاول اولى خالص للبشر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يعني به انه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق ببشريته متمحض للبشرية لا يخالف غيره في
شيء منها ولذا قال يجوز عليه اي يجوز ان يطرا عليه من الافات جمع آفة كعاهة وزنا ومعنى
وهو ما يفسد ما اصابه وبضم قال السرقسطي في افعاله ان القوم أوفا اذا دخلت
عليهم مشقة وقد مر والتغيرات اي الانتقال من حال الى حال كالمرض والصحة
والالام بالمد جمع الم وهو كما قال الراغب الوجع الشديد ومنه عذاب اليم
اي مؤلم والاسقام جمع سقم بفتحتين وسقم بضم فسكون وهو المرض المختص
بالبدن لان منها ما هو نفساني ومشترك وتجرع كاس الحمام التجرع الشرب تدريجا
جرعة بعد جرعة وكاس بهمزة تبدل الفا قدح الشراب ما دام فيه والا فهو زجاجة
وقدح والحمام بكسر الحا المهملة الموت من حم الامر اذا قضي وقدر لانه تقضائي
وقدر وفيه استعارة مكنية مرشحة شبه بالمسكر كما في الحديث ان للموت لسكرة
لازالة العقل فاثبت له الكاس تخييلا واثبت التجرع ترشيحا وكون اضافة الكاس
كاضافة لجين الما ركيك وتاخيره عن الاسقام والالام واقع موقعه ما يجوز على
غيره من البشر لان المساواة في الجسمية تقتضي المساواة في قبول العوارض كما
تقرر في الحكمة وعلم الكلام وما موصولة فاعل ليجوز الاول وهذا كله اي ما يجوز
عليه وعلى سائر الانبيا من جواز ان يطرا عليهم كغيرهم العوارض البشرية من الالام
وغيرها ليس بنقيصة فيه لانه امور طبيعية غير كسبية لا يعد مثله نقصا الا عند
بعض العقول القاصرة كما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة اي بالنسبة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه
كما يتفاوت بعض افراد الناس ويفوق بعضهم بعضا بالفضائل والاخلاق الحميدة
وقد كتب الله اي قضى وقدر في الازل قضاء مبرما على اهل هذه الدار يعني دار الدنيا
انهم فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون الى البرزخ ثم الى منازلهم
في الاخرة وهذا وقع في القران خطابا لادم وحوى والمراد عمومه لهم ولغيرهم
ومنه اقتبس المص وخلق جميع البشر بمدرجة الغير مدرجة بفتح الميم اسم
مكان بمعنى الطريق قال الراغب يقال لقارعة الطريق مدرجة وفلان يتدرج
اي يتصعد درجة درجة ودرج مشى في محال المشي والغير بكسر الغين المعجمة
وفتح المثناة التحتية وراء مهملة يقال غير الدهر حوادثه المتغيرة من حال
الى حال وهو مفرد بزنة عنب او جمع غيرة وهي الامر المتغير وبا بمدرجة
بمعنى في او للملابسة وهذه فقرة بليغة لانه جعل دارهم الدنيا على طريق
يمر عليها حوادث الدهر والمراد انهم مستعدون لها لا محالة وفيه اشارة
الى ان الدنيا دار ممر لا مقر وفيه استعارة مكنية شبه حوادث الدهر بقوم
سالكون في طريق هؤلا سالكون فهو في غاية الحسن فقد مرض رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذا يحتمل انه اشارة الى ما كان يطرق عليه من الامراض مطلقا
كما رواه البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان يتوعك وعكا شديدا وذلك
ليزداد اجره ويحتمل انه اشارة الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض
موته والكلام عليه مفصل في كتب الحديث والسير فلا حاجة للتطويل بذكره

وصى

كما فعله بعضهم هنا وقوله واشتكى بمعنى مرض ايضا فيل وانما ذكره اشارة الى انه
ورد في الحديث تارة التعبير عنه بانه مرض وتارة بانه اشتكى وليبين المراد به ومعناه
المشهور لما يوثر من صبره والرضى بما يفعله الله به وروي ان جبريل كان يرقيه صلى
الله عليه وسلم في مرضه فيقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل
نفس او عين حاسد الله يشفيك واصابه الحر والقر والحر بفتح الحا المهملة
وتشديد الرا المهملة وهو شدة سخونة الهوى في الصيف وضده القر بضم القاف
وتشديد الرا وهو شدة البرد وتجوز فتح قافه للازدواج وادركه الجوع والعطش
وهو من الله ليزداد اجره بصبره ومجاهدته تعليما لامته ولو اراد خلافه لملا الله
له الدنيا رزقا ونعيما او في ذلك ايثارا منه بتصفي بها الذهن وتخف الروح لكنه
نظهر في صورة العجز تادبا مع الله تعالى ومخالفة لاهل الملل في ذلك لانه صلى
الله عليه وسلم قال لا رهبانية في الدين وهذا في بعض الاحيان وان كان يواصل
الصوم ويقول اني لست كاحدكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فان لكل
مقام حال بخصه وقد حققه المحدثون وابن سينا في مقامات العارفين في
اخر الاشارات ولحقه فعل ماض بلام وحا مهملة وقاف الغضب وهو ثوران
النفس لارادة الانتقام وكان غضبه صلى الله عليه وسلم اذا وقع من
غيره ما لا يرضاه والضجر بضاد معجمة وجيم وراء مهملة بمعنى القلق وقيل
انه الملل والسامة من الحاح بعض الناس من الاعراب والمؤلفة قلوبهم
وهذا كله ورد في الاحاديث الصحيحة ونا له اي حصل له صلى الله عليه وسلم
الاعيا والتعب هو عطف تفسير للاعيا فانهما بمعنى واحد فكان يعرض له
هذا كله كما يعرض لغيره من البشر ومسه الضعف في بدنه في اخر عمره والكبر
المراد به هرم الشيخوخة وهذه كلها امور جبلية تحدث لنوع الانسان لا يسلم
منها احد لا نبي ولا غيره ولا يعد ذلك نقصا فكان صلى الله عليه وسلم يصلي
قاعدا في تهجده كما رواه مسلم ولو قصد السجع فجعلها فقرات رابعة قدم
الضعف والكبر وسقط اي وقع صلى الله عليه وسلم من فوق فرسه فجحش
بضم الجيم وكسر الحا المهملة وشين معجمة مبني لما لم يسم فاعله اي خدش
والخدش والجحش جرح في الجلد وقال الخليل هو كالخدش او اكثر شقه بكسر
الشين المعجمة وتشديد القاف اي جانبه الايمن وهو في حديث من احاديث
الصحيحين وكان ذلك في ذي الحجة سنة خمس وفي البخاري عن انس انه صلى
الله عليه وسلم سقط عن فرسه فجحشت ساقه او كتفه وشجه الكفار في
وجهه فادموه والشج في الاصل ان يضرب الراس فيشق ثم استعمل في غيره من
الاعضا والذي شجه ابن قميئة فاسند ما وقع من البعض للكل كقولهم بنو
فلان قتلوا قتيلا كما تقدم وكسروا رباعيته بتخفيف اليا بزنة ثمانية
وهي السن التي بين الثنية والناب وتجمع على رباعيات وفي التعبير بالكسر
اشارة الى انفاذ هتمت منها فلقة ولم تسقط من اصلها وكان هذا في وقعة
احد فشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته السفلى وجحشت ركبته وسال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الدم على وجهه وهشمت الخوذة التي على رأسه الشريف كما فصل في التيسير وهو لا ينافي كون الله عصمه من الناس ان قلنا ان آية العصمة نزلت قبل والا فالعصمة انما هي عن القتل كما مر وقد فصله الامام الخيضري في خصائصه وسقي بالبنا للمجهول السم ببنية مثلثة وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر اهدت له زينب بنت الحارث اليهودية شاة مسمومة وكانت سألت اي اعضاء الشاة احب اليه فقالوا الذراع فاكثرت من السم فيه وقدمته اليه فلما مضغه صلى الله عليه وسلم لم يسغه واكل منه بشر بن البرا فمات بعد ذلك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امسكوا فانها مسمومة وقال لها ما حملك على هذا قالت ان كنت نبيا سلمت منها ومن بك والا اراح الله الناس منك فاحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله كما ياتي وروي انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها وفي رواية انه قتلها قال الواقدي رحمه الله وهو الثبت وجمع بينهما بانه تركها اولا ثم لما مات بشر بن البرا قتلها وقيل انها اخت مرحب اليهودي ولذا ترك قتلها اول الامر وتفصيله في التيسير وسحر بالبنا للمجهول والساحر له لبيد بن الاعصم كما مر ترك ذكره لشهرته او لخسته او لعدم تعلق الغرض به وهو يهودي من بني زريق وقيل انه منافق اسلم ظاهرا وارتضاه ابن الجوزي وكان ذلك في مرجعه من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع وقيل انه كان حليفا في بني زريق يحسن السحر فجعل له اليهود جعلا على ان يسحره صلى الله عليه وسلم فاثر فيه سحره اربعين ليلة وقيل ستة اشهر وقيل انه مكث سنة ويأتي في رواية يحيى بن يعمر ما يؤيد هذا الاخير وان السهيلي قال انه المعتمد ونداوي صلى الله عليه وسلم كما يتداوى غيره فهو من جملة ما لحقه من العوارض البشرية فتداوى من لدغة عقرب بما وملح لما لدغته في اصبعه وهو يصلي كما في مسند ابن ابي شيبة عن ابن مسعود فاتي بماء وملح فجعل فيه اصبعه الشريف واحتجم على كتفه لما مضغ من الشاة المسمومة كما تقدم وبالحجامة يخرج السم مع الدم او يضعف الدم فلا يوصل السم على القلب لا انه لم يزل به صلى الله عليه وسلم اثره حتى مات لاجل ان يرزقه الله الشهادة وفضلها كما روي في كتب الحديث والنشر افعال من النشر بنون وشين معجمة وراء مهملة وفي نسخة تنشر والنشرة بمعنى الرقية والتعوذ والتحقيق ان النشرة بالضم او الفتح ما يقرؤ عليه ادعية وتعاويذ ثم يغتسل بها من به مرض ونحوه سميت نشرة لنشر ما فيها وتعوذ بالمعجمة من العوذة وهي الرقية باعوذ بالله ونحوه ثم عطف ورقيته صلى الله عليه وسلم لنفسه ورقية جبريل له مروية من طرق كقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وغيره ثم بعد هذا كله قضى نحبه كغيره وقضاء النحب كناية عن الموت واصل معنى النحب النذر الواجب فيقال ذلك كانه للحتمية كان نذرا في ذمته يقضيه بموته كما يقال قضى اجله واستوفاه وقيل النحب الموت من النحيب

وهو

وهو البكا والتحقيق ما قدمناه فتوفي صلى الله عليه وسلم اي توفاه الله وألحق بالرفيق الاعلى وهم الانبيا والملائكة عليهم الصلاة والسلام والرفيق بمعنى المرافق يقع على الواحد وغيره قال تعالى وحسن اولئك رفيقا وقيل الرفيق المراد به الله لرفقه بعباده او لانه معهم اينما كانوا وعن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال عند موته بل الرفيق الاعلى وذلك انه خير بين بقائه في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عنده وتخلص بوفاته من الدنيا التي هي دار المحن وفي نسخة الامتحان والبلوى لما كان يقاسيه من اعدا الدين وتبليغ امانة الله وهذه الامور المذكورة التي كانت تصيبه صلى الله عليه وسلم من سمات البشر اي من صفاتهم وعلاماتهم المختصة بهم من السمة وهي الوسم والعلامة التي لا محيص عنها اي لا يتخلص منها احد من الخلق نبيا كان او غيره قال الراغب يقال ما لي محيص وما لنا من محيص من حيص بيص او من حاص بمعنى حاد عما فيه شدة هو مكروه واصاب غيره من الانبيا ما هو اعظم منها اي من الامور التي اصابت النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا قتيلا بغير حق كما وقع ليحيى بن زكريا والقتل وقع لبعض الانبيا كما قال تعالى يقتلون النبيين بغير حق ولبعض رسل الله الا ان الله عصمهم من القتل حين الدعوى وفي مقاتلة الكفار المامورين بها كما ذكره علما التفسير والاخبار ولقتل يحيى وانتقام الله ممن قتله بان سلط عليهم بخت نصر فقتل منهم سبعين الفا كما فصله المؤرخون وفي نسخة قتلوا تقتيلا والمصدر محقق لتاكيد القتل ورموا في النار كابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم رماه فيها بالمنجنيق من بنا غال نمرود فصارت النار عليه بردا وسلاما وكذا جرجيس كما في قصص الانبيا للثعالبي ونشروا بالمناشير جمع منشار ويقال ميشار بيا بدل النون وبالهمز وهي آلة من حديد معروفة يشق به الخشب وهو مشتق من النشر لتفريقه المنشور قطعا وفي المنشار لغات يقال نشره ووشره وفي جمعه مياشير ومواشير فيصح ضبط ما هنا بالياء وقول ابن قتيبة انه مناشير عامية كما نقل عنه لا ادري وجهه والذي نشر هو زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل الملك يحيى فوقع به ما وقع من قتل نبيه اذ سلط الله عليه عدوا فهرب زكريا من الملك فارسل خلفه من يطلبه وادركه الطلب فانشقت له شجرة فدخل فيها فامسك الشيطان هدب ازاره خارجا من الشجرة فدلهم الشيطان عليه فنشروا الشجرة وزكريا وقيل سبب هربه اتهامهم بمريم ومنهم اي الانبيا من وقاه الله اي صانه ذلك اي القتل والحرق والنشر وفي بمعنى حفظ ويتعدى لمفعولين وفي الحديث اتقوا بالصدقة وجه النار في بعض الاوقات كما وقع في يوسف عليه الصلاة والسلام لما نجاه الله من السجن وابراهيم عليه الصلاة والسلام من احراق النار ومنهم من عصمه وحفظه من القتل وان وقع له بعض ما يؤذيه كما عصم بعد مبينا على الضم اي بعد ما تسلط عليه الاعدا نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس كما قال تعالى والله يعصمك من الناس كما تقدم فلئن بكغ من كفه بكفه بالتشديد

تلمساني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويجوز تخفيفه بحرفه بحذف احرف كيرمي وهو الظاهر على النسخة الاولى نبينا صلى
الله عليه وسلم وهو مفعول مقدم ورابه فاعل مؤخر وفي نسخة عن نبينا
يدا ابن قمئة مفعول ثان وقمئة بالهمز بزنة فعلة من قمئ بمعنى صغر وذل
وهو عبد الله بن قمئة الذي جرح وجه الشريف صلى الله عليه وسلم لما
رماه وقال له خذها وانا ابن قمئة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقماك الله اي اذلك فرماه الله بتيس نطحه جبل لما انصرف فتقطع قطعا
وقصته في السير اليوم بمعناه الحقيقي والمراد به غزوتها كقولهم ايام العرب
لوقايعهم وهو بهذا المعنى مشهور ومنه وذكرهم بايام الله ولاحجبه عن عيون
عداه بكسر العين مقصور جمع عدو وفيه كلام في كتب اللغة والنحو عند دعوته
للاسلام اهل الطائف هي بلاد ثقيف بقرب مكة سميت بها لانها طافت على الما
في الطوفان او لان جبريل عليه الصلاة والسلام اقتطعها من الشام وطاف
بها البيت وقيل لانه بني عليها طوف اي حايط وهذا كان سنة عشر من النبوة
بعد موت ابي طالب وقد نالته منه صلى الله عليه وسلم قريش منالها فخرج
الى الطائف وحده او معه زيد بن حارثة يلتمس نصرة ثقيف له فقام على ناس
من اشرافهم ودعاهم للاسلام فابوا واغروا به سفهاهم فاطالوا عليه
وحصبوه حتى ادموا ساقيه وهو ذاهب ثم كفهم الله عنه وحجبهم (وحجبه عنهم)
عنه فجلس عند حايط كرم وكان ما فصل في السير من عرضه نفسه على
قبايل العرب فلقد اخذ الله عز وجل اي غطى وحجب على عيون قريش بعاد
احد على عينيه وعلى يده اذا كفه ومنعه فالعيون جمع عين بمعنى الباصرة
او بمعنى الربيئة والجاسوس وكان ذلك عند خروجه من مكة الى غار
بجبل ثور هذا هو الصحيح وفي نسخة الى ثور وهي غلط لانه انما يعرف
بثور وهو جبل معروف على يمين مكة لما تشاوروا في امره صلى الله عليه وسلم
بدار الندوة ثم اجمعوا على قتله فامر عليا كرم الله وجهه بالنوم على فراشه
فخرج صلى الله عليه وسلم وهو عند دارهم وقد اخذ الله على عيونهم ونثر (عليهم)
على رؤسهم ترابا وسمي ثورا لنزول ثور بن عبد مناف عنده وثور اسم جبل
ايضا بالمدينة كما في القاموس وغيره واهل المدينة تعرفه فلا عبرة بمن
انكره كابن عبد السلام وامسك الله عنه صلى الله عليه وسلم سيف
غورث بن الحارث الاعرابي كما في البخاري وغورث بغين معجمة على الصحيح
وقيل مهملة وواو وراء مهملة وثاء مثلثة وروي مصغرا وهو بزنة جعفر
وهو عند الخطيب بكاف بدل المثلثة وقيل اسمه دعثور بن الحارث والظاهر
انه غيره في قصة اخرى وكان في بعض غزواته ادركتهم القايلة فنزلوا
بواد كثير العضاه فنزل صلى الله عليه وسلم بظل شجرة علق بها سيفه
وتفرقوا عنه وناموا فبغتة حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتوه فاذا اعرابي جالس عنده فقال ان هذا اتاني وانا نايم فاخترط
سيفي فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني قلت الله

وقاهو

وقاهو حبايل ولم يعاقبه وهو من المشركين والغزوة ذات الرقاع وهو من غطفان
ومحارب وكان قال لقومه انا اقتل لكم محمدا وروي ان جبريل دفع صدره فسقط
السيف من يده فاسلم وذهب لقومه فدعاهم للاسلام وفي هذه القصة نزل قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الخ كما تقرر ذلك كله
وامسك الله عنه صلى الله عليه وسلم حجر ابي جهل بن هشام لعنه الله اذ اراد
ان يرميه صلى الله عليه وسلم به وكان قال لقريش لارضخنه غدا بحجر احمله
لا اكاد اطيق حمله فامنعوني من بني عبد مناف فارتقبه غداة يومه حتى اتى
المسجد يصلي فاخذ الحجر ومضى له فلما اراد رميه صلى الله عليه وسلم يبست
عليه يده ثم عاد متغير اللون فسألوه فقال عرض دونه فحل لم ار مثله عظما
هم ان ياكلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لاخذه
وامسك الله عنه صلى الله عليه وسلم فرس سراقة هو سراقة بن مالك بن
جعشم الكناني كان جعل له قريش دية من اخذ من ابي بكر ورسول الله صلى الله عليه
وسلم لما خرج مستخفيا للهجرة وهو من مدلج القافة وقصته في ذهابه خلفهما
فلما ادركهما ساخت قوايم فرسه في الارض وكادت تبتلعه فطلب الامان فامنه
ونجا وعاد الى اخر القصة المشهورة وهو شجاع شاعر مجيد اسلم وحسن اسلامه
ومات سنة اربع وعشرين في خلافة عثمان قلت ولما كف يده عنهما شرفه الله بالاسلام
والبسه سواري كسرى كما مر بيانه ولين لم تقه من سحر ابن الاعصم لبيد اليهودي
كما تقدم فلقد وقاه ما هو اعظم خطرا من سحره من سم اليهودية في قصتها التي
تقدمت قريبا وسياتي الكلام على سحره وهذا جواب عن سؤال تقريره انك قررت
ان الله ميزه عن ساير الانبيا بوقايته وجعله في حصن صيانته فلم يعصمه من ابن
الاعصم فاجاب بانه ابتلاه به لتكثير الثواب وتعظيم ما صرف عنه من مصابه
وقد وقاه مما هو اعظم منه وهو السم القاتل فلا وجه لما قيل من انه
لا فايدة فيه وسياتي بيان فايدته مع انه توطية لقوله وهكذا ساير انبيايه
اي عادة الله مع ساير انبيايه اي بقية انبيايه منهم مبتلى بالمصايب تكثيرا
لاجورهم ومنهم معافى تكريما لهم وحفظا وذلك اي ابتلاوهم او كون احوالهم
مختلفة من تمام حكمته الجارية في خلقه فانه ليظهر بابتلايهم مع صبرهم ورضاهم
في السرا والضرا شرفهم في هذه المقامات اي احوالهم المتفاوتة وتبيين
امرهم بصبرهم على ما لا يطيقه غيرهم وتتم كلمته فيهم بعين امره لهم بالصبر
على الاذى حتى تكون لهم العاقبة الحسنى وليتحقق بامتحانهم بما ابتلاهم به
بشريتهم اي انهم من جنس البشر الذين في دار المصايب ويرتفع وفي نسخة
يرفع اي يزيل الالتباس في امور الدنيا عن اهل الضعف اي من ضعف عقله
من العوام فيهم اي في انبيا الله لتوهمهم لضعف عقولهم انهم ليسوا
كغيرهم ممن يغشاه البلا ويعرض له الموت والفنا ولذا ارتد بعض جهلة
الاعراب لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتلاهم ليعرف الناس
انهم كغيرهم في العوارض البشرية لئلا يفتتنوا بفساد اعتقادهم فيهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بما يظهر من العجايب اي خوارق العادات وبديع المعجزات التي تظهر على ايديهم وتصدر
منهم بامر الله تاييدا كانشقاق القمر واحيا الموتى ونحوه فيقولون كيف يقدر على هذا
كيف يمرض او يسقم بسحر ويعرض له ما يعرض لضعفا الخلق ضلالا اي ضلالا كضلال النصارى
بعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لما راوا معجزاته جعلوه الها وقالوا ما قالوا
لجهلهم وعدم دقة نظرهم والنصارى على فرق تطول فيه الكلام في بيان اعتقاداتهم
الباطلة وتزييف ما قالوه وقد الف في ذلك عدة كتب اجلها كتاب ابن تيمية
والقرطبي ومقامنا يضيق عن الكلام عليها اذ المراد شرح ما قاله المصنف حتى تسهل
فهمه على المبتدئين وليكونوا في محنتهم مما ابتلاهم به الله تعالى تسلية لاممهم
فيقتدوا بهم اذا نزلت بهم المصائب ويصبروا كما صبروا وتوفر اجورهم الوفورة
الكثرة والزيادة عند ربهم اذا رجعوا اليه وجازاهم بما صبروا عليه وليعرفوا
نعمة السلامة والعافية تماما اي يتم ذلك بانعامه على الذي احسن اليهم اولا بنعمة
الوجود والصحة وغيرهما من النعم الدنيوية فيزيدها باعظم منها من النعم الاخروية
التي لا يعاد لها شي مجازاة لصبرهم وشكرهم وقال بعض المحققين هذه الطوارئ
جمع طارئ بالهمزة وتبدل يا وهي ما يطرأ اي يحدث ويتجدد والتغيرات اي تغير
احوالهم من صحة لسقم وسعة لضيق ونحوه المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية
دون ارواحهم ونفوسهم القدسية المقصود بها والغاية في ايجادها لهم
في اجسادهم مقاومة البشر اي ان يكونوا بطباعهم مساوين لاممهم فيها حتى يقدروا
على القيام بامورهم ومعاناة بني ادم بمباشرتهم ومخالطتهم لمشاكلة الجنس
اي مشابهتهم لهم في الخلق والخلق ولذا كانت الرسل من البشر دون الملائكة
ولو جعل خلقهم ملكيا لم يطيقوا اسبابا مما ذكر كما ترى بعض الناس لا يقدر
على عشرة العوام وينفر منهم لمنافرة الطباع واما بواطنهم اي امورهم التي
لا تحس من عقولهم وقواهم الروحانية وقلوبهم وحواسهم الباطنة وهو جمع
باطن خلاف الظاهر فمنزهة اي سالمة مبراة عن ذلك غالبا وقد يعرض لها
شي منه معفو عنه لكنها في غالب احوالها معصومة منه مطهرة عما يشينها
كتغير العقل وقد يعرض له احيانا ما لا يضره كالاغما الذي وقع له صلى
الله عليه وسلم في مرض موته فبواطنهم متعلقة بالملا الاعلى وفي نسخة
بالرفيق الاعلى وقد تقدم ان الرفيق فعيل بمعنى فاعل يستوي فيه الواحد
وغيره وهم ارواح الانبيا الساكنين في عليين والملائكة وهو عطف تفسير على
هذا الاخذ ها اي لاخذ البواطن وتلقيها وارجاع ضمير اخذها لاخبار السما
وغيرها بعيد عنهم اي الملائكة وتلقيها الوحي النازل عليهم لتبليغه
ما ارسل به منهم اي من الملائكة وما قيل عليه من انه حذف قوله غالبا
احسن بل واجب لا وجه له لما بيناه من بيان مراده به قال القائل بعض
المحققين المحكي عنه ما ذكر الى هنا وهو دليل لما قاله وقد قال صلى
الله عليه وسلم في حديث قد تقدم سنده ان عيني تثنية عين الناظر
مني عيني مضافة ليا المتكلم تنامان اي يعرض لهما النوم حتى لا يحسان

احساناً

احساسا ظاهرا متعارفا ولا ينام قلبي اي لا ينقطع شعوره وادراكه بالكلية وهذا باعتبار
الغالب من احواله صلى الله عليه وسلم اذ قد ينام نوما ينقطع به شعور عينيه وقلبه
كما تقدم في حديث الوادي نام فيه حتى فاتته الصلاة ولهذا علمت ان قوله غالبا في
محله كما مر وفيه دليل على ان ظاهره كغيره وقال صلى الله عليه وسلم اني لست كهيئتكم
اي ليس حالي كحالكم وتقدم ان المراد بالهيئة هنا اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني بضم
ياء يطعمني وفتح ياء يسقيني ويجوز ضمهما لانه يقال سقاه واسقاه بمعنى وهو في
صومه صوم الوصال على حقيقته او مؤول بما يتقوى به من وجه من المعارف الالهية
التي تقوم مقام الطعام والشراب في تقوية الروح التي تسري للبدن وفيه كلام
مشهور تقدم طرف منه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر اني لست انسى
ولكن انسى ليستن بي تقدم فيه ما يغني عن الاعادة فاخبر صلى الله عليه وسلم
في هذه الاحاديث ان سره اي ما خفي من امره وباطنه عطف تفسير لسره وروحه التي
لها الحياة وقيام البدن وهذا حقيقتها ولها معان اخر تخالف جسمه وظاهره
اي مخالفة لها فيما يعتريها من التغيرات والالام كغيره من سائر البشر كما قررته
في اول هذا الفصل والآفات جمع آفة وتقدم بيانها التي تخل ظاهره اي
ما يشاهد من جسده الشريف فقط وبينه بقوله من ضعف باختلال القوى لمرض
او كبر وجوع لفقد الغذا وما به قوام البدن من بدل ما يتحلل منه وسهر بفقد النوم
الذي به راحة البدن واستراحة الحواس ونوم يستريح به بدنه وقواه وقال
المعري وفضيلة النوم الخروج باهله عن عالم هو بالاذى مجبول لا يحل بفتح الحاء
المهملة من الحلول منها اي من هذه المذكورات كلها من التغيرات باطنه اي حواسه
الباطنة بخلاف غيره من البشر فانه يعرض له تغيرات في الظاهر والباطن تابعة
بعضه بعضا فيه في حكم الباطن اشارة الى محل المخالفة لتساويهما في الظاهر كما تقدم
ثم وضحه بقوله لان غيره من البشر بل سائر الانبيا ولم يصرح به لعلمه مما قدمه اذا
نام استغرق النوم بالرفع فاعل استغرق جسمه وقلبه مفعوله اي شغلهما
واثر فيهما تاثيرا تاما بتعطيل حواسه الظاهرة والباطنة بخلاف الانبيا فانه يشغل
ظاهرهم دون باطنهم فالاول كالميت كما قال ابن عروة رحمه الله تعالى

فيا نايم الليل هيئته   فقبل الممات سكنت القبورا

ولذا قيل النوم اخو الموت وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب
لعدم استغراقه في نومه وحضور القلب مجاز عن ادراكه وشعوره وغيره كان
قلبه فارقه او اريد به لازمه فهو استعارة او مجاز مرسل ومثله كثير في استعمال
لحاله صلى الله عليه وسلم في نومه كما هو في يقظته بفتح القاف وقد تسكن
في الشعر كما مر وهي ضد النوم اي حاضر الحواس والمشاعر فيهما كما ذكرناه سابقا
وتقدم انه باعتبار غالب احواله حتى قد جا اي روي في بعض الاثار اي الاحاديث
والاثر ورد بهذا المعنى وقد يخص بغيره من الاخبار انه صلى الله عليه وسلم
كان محروسا اي مصونا محفوظا واصل الحرس ملازمة من يحفظه من الناس فتجوز
به مما ذكر من الحدث هو ما ينقض الوضوء وطهارته كما هو معروف في الاستعمال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في حالة نومه لانه انما يحدث لعدم الشعور به كما قال صلى الله عليه وسلم العينان
وكا السه لكون قلبه يقظانا كما ذكرناه والحدث انما يعرض لعدم شعور القلب
والحواس الباطنة وقد ذهب الفقها الى ان نومه صلى الله عليه وسلم كان لا ينقض
وضوءه وعدوه من خصائصه كما مر واما نوم غيره فينتقض وضوءه ما لم يكن
جالسا متمكنا بشرطه على الصحيح ومن قال خلافه فليس معتمدا عليه كما بينته
الفقها في كتبهم وقد روي الحدثون باسانيد صحيحة كما تقدم انه صلى الله
عليه وسلم كان ينام حتى يسمع غطيطه ثم يقوم فيصلي من غير تجديد لوضوءه
وما قيل من ان فيه بحثا لانه اذا كان حاضر القلب فهو يقظان وهو حينئذ
ليس مظنة للحدث ونقض الوضوء حتى يجعل غاية لكونه محدثا ويستشهد
له بالانبياء ليس بشيء لانه اذا نامت حواسه الظاهرة يقتضي ذلك لان الاحكام
منوطة بالظاهر دون الباطن وكذلك اي كما ان نوم غيره ليس كنومه لكونه
غير محروس من الحدث غيره اي غير النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاع بترك
غذايه اكثر من معتاده ضعف لذلك اي لجوعه تضعف بنيته وجسمه وخارت
قوته بخا معجمة وراء مهملة اي ارتخت وضعفت من الخور وهو اللين والضعف
وقيل معنى خارت ذهبت او انكسرت فتعطلت بالكلية جملته اي جميعه ظاهره
وباطنه مخالفا للانبيا الذين تتعطل ظواهرهم دون بواطنهم وهو صلى الله
عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه اي يعرض له ذلك اي تعطل جملته لقوله
صلى الله عليه وسلم ولا ينام قلبي وانه اي حاله بخلافهما اي يخالف حال
غيره من البشر كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري في وصاله
الصوم ونهي غيره عنه وقولهم له انك تواصل صومك فقال لهم اني لست
كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني تقدم بيانه قال المصنف وكذلك
اي كما قال بعض المحققين ان التغيرات الطارئة على البشر تختص بظواهر
الانبياء دون بواطنهم فقوله انه صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال البشرية
كلها من وصب بيان للاحوال والوصب الالم الدايم وقد جا بمعنى التعب
وهو اولى هنا لئلا يتكرر مع قوله ومرض وان صح حمله على تفسيره او مؤكدا
وضجر هو قلق واضطراب من بعض الامور وغضب تقدم بيانه وانه صلى الله
عليه وسلم لا يغضب لنفسه بل لله اذا خولف امره لم يتجر بالجيم مضارع
بمعنى وقع وحدث على باطنه ما يخل اي يوقع خللا وتشويشا به صلى الله
عليه وسلم او الضمير لباطنه اي لم يحصل له من ظاهره ما يخل به ولا فاض منه بفاء
وضاد معجمة اي ظهر من فاض الانا بالما اذا امتلا منه حتى تدفق من جوانبه
على لسانه وجوارحه اي اعضايه الظاهرة جمع جارحة بمعنى عضو كما يقع
لبعض الناس في المه وغضبه ان يتكلم ويتحرك بحركات مختلفة لانه لا يملك نفسه
في بعض احواله ما لا يليق به اي لا يناسب علو مقامه كهذيان بعض المرضى وتحركاتهم
وشتم من غضب عليه كما يعترض اي يعرض لغيره من البشر اذا ابتلي بشيء من ذلك
مما ناخذ اي نشرع بعد بالتنا على الضم في بيانه اي ما نحن فيه فـ ..

فان

فان قلت فقد جات الاخبار الصحيحة كما في حديث رواه البخاري انه صلى الله عليه وسلم
سحر كما تقدم وهذا مما طعن به بعض الملحدين في عصمته من الناس كما حدثنا به الشيخ
ابو محمد الغساني بقرايتي عليه نسبة لغسان قبيلة باليمن فهو في الاصل اسم ما نزلوا
عليه فسموا به قال حدثنا حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم كما تقدم قال حدثنا
ابو الحسن علي بن خلف هو علي بن محمد بن خلف المعافري القروي وهو الحافظ القابسي كما
تقدم قال حدثنا محمد بن احمد هو ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا محمد بن
يوسف هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور وهو
غني عن البيان قال حدثنا عبيد الله بن اسماعيل الهباري توفي سنة مايتين وخمسين
قال حدثنا ابو اسامة حماد بن اسامة الكوفي توفي سنة احدى ومايتين وكان ثمانون
واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن هشام بن عروة عن ابيه تقدم الكلام عليهما
عن عايشة ام المومنين رضي الله عنها قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنا
المجهول وتقدم ان الذي سحره لبيد بن الاعصم وهو يهودي او منافق كان حليفا
لليهود وجمع بينهما بانه كان يخفي اليهودية ويظهر النفاق وكان في سنة سبع
واختلف في مدة سحره فقيل اربعين يوما وقيل ستة اشهر وقيل سنة كما تقدم
واعتمده السهيلي وجمع بينهما بان ذلك باعتبار ظهوره وشدة تاثيره حتى انه
صلى الله عليه وسلم ليخيل اليه اي يقع في خياله توهما لا اصل له وليس بمعنى
يظن لانه لا يتعدى بالى انه فعل الشيء وما فعله لما وقع به من الم السحر وفي
رواية اخرى لهذا الحديث حتى كان يخيل له انه ياتي النسا وما ياتيهن اي يتوهم
انه جامعهن وهو لم يجامعهن وهو المراد بالشيء في تلك الرواية لكنه لم يصرح
به تادبا لاسيما وراويه عايشة فاستحيت من ذكره الحديث اي اخر الحديث وادكره
بتمامه وتمامه كما هو في الصحيحين عن عايشة كان صلى الله عليه وسلم ذات
يوم او ذات ليلة وهو عندي دعا ثم قال اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته
فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما
لصاحبه ما وجعه قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم
في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بير ذروان فاتاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فدفنت ولم يستخرجها والكلام
عليه مشهور تقدم بعضه واذا كان هذا الامر المذكور من التباس الامر
على المسحور بتخيل فعل ما لم يفعله فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك الالتباس وعلى اي حال وقع له وكيف جاز عليه ذلك الامر الذي
جاز على غيره من تاثير السحر فيه وهو معصوم جملة حالية هي محل انكار
السايل الذي توهم ان مثله ينافي عصمته فالاستفهام هنا انكاري لاعتقاده
عدم طرو التغيرات الباطنة عليه وهذا مناف له فاجاب عنه بقوله فاعلم
ايها السايل عن سحره وفقنا الله واياك للوقوف على الحق وحقيقته وهي
جملة اعتراضية دعايية اشار اليه ان فمبدأه في كتابه هذا ارشاد طالبي
ايه تمامه ان هذا الحديث صحيح متفق عليه اي مما اتفق على صحته اهل الحديث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

او اتفق على روايته الشيخان وقد طعنت فيه الملحدة الطعن الضرب برمح ونحوه
استعير لاسناد ما لا يليق من النقايص والملحدة الطايفة من اصحاب العقايد الفاسدة
من الحد بمعنى حاد عن الطريق وفي للسببية اي طعنوا بسببه في مقام النبوة وتذرعت
به بذال مهملة معجمة وراء مشددة وعين مهملتين من الذريعة كالوسيلة وزنا
ومعنى واصلها نزك الصايد استعير لما ذكر ووجه الشبه ظاهر والباء سببية
وقال البرهان في المقتفي انه بدال مهملة اي لبست درعا اي تقوت به وطننة
دليلا بينفعهم لسخف عقولها بضم السين المهملة بمعنى رقتها وضعفها وتلبيسا
على امثالها ممن ضعف عقله فرجع عليهم الى التشكيك في الشرع اي يوقع لبعضهم
تعنتا في شك من احكام الشريعة بتوهم انه يخيل عليه فيها والى متعلقة بتذرع
وهو يعني انه بذال معجمة وقد نزه الله الشرع طاهره عما يشينه والنبي صلى الله
عليه وسلم عما يدخل بضم اوله في امره اي دينه وما يتعلق به لبسا اي شيا يصير
امره ملتبسا بغيره مما لا يليق به وانما السحر مرض من الامراض جعله مرضا مبالغة
لانه سبب لتغير المزاج والقعاله فينشا عنه امور غير طبيعية كالنسيان وهو
معدود من الامراض والامور الروحانية يسري للبدن نفعا وضرا والاطبا
يعترفون بذلك وعارض من العلل جمع علة والعارض هنا بمعنى العرض وهو
عند الاطبا ما يزول بسرعة من الامراض وهو عند المتكلمين والحكما ما لا يقوم بنفسه
يجوز عليه تخصيص له لاخراج ما لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم منها
كالجنون وكانواع الامراض التي تجوز وها عليه مما لا ينكر عروضه له صلى الله
عليه وسلم وعلى ساير الانبيا ولا يقدح اي لا يعد نقصا وعيبا قادحا
في نبوته صلى الله عليه وسلم من الامراض كالجذام والبرص وغيره مما صان
الله عنه انبياءه لخلقه لهم على اكمل خلق واتمه ومزاجه صلى الله عليه وسلم
اعدل الامزجة وهذا مبني على ان السحر له حقيقة موثرة ينشو عنه تغيرات
وامراض وهو مذهب الجمهور ويشهد له القران والسنة خلافا لمن قال انه
تخييل لا حقيقة له واليه ذهب ابن حزم وغيره والسحر عند الجمهور على انواع
منه ما لا حقيقة له وهو شعبذة ومنه ما له حقيقة بمعاونة الشياطين
وخواص لبعض الامور كما تقدم وياتي ايضا عن الراغب واما ما ورد في الحديث
السابق انه كان يخيل اليه انه فعل الشي وهو لا يفعله كما تقدم بيانه
فليس في هذا ما اي امر يدخل بضم اوله مضارع ادخل عليه صلى الله عليه
وسلم داخلة اي نقيصة وعيبا وفسادا كما يقال امر مدخول اي معيب
في شي من تبليغه او شريعته قال الراغب الدخول نقيض الخروج
والدخل كناية عن الفساد والعداوة كالدغل ودعوة النسب بفتح الخاء
قال تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم او يقدح اي يعيب في صدقه
فيما بلغه وشرعه كما توهمه الطاعنون به لانه يسري الى ان يقال ان
جبريل والملايكة التي كان صلى الله عليه وسلم يراها امورا متخيلة وحاشاه
من ذلك لقيام الدليل المؤيد بمعجزاته والاجماع من المسلمين وايمة الدين

على عصمته صلى الله عليه وسلم من هذا اي مما يدخل عليه داخلة في شرعه وتبليغه
عن ربه وهذا برمته من كلام المازري في المعلم قال انكر بعض المبتدعة هذا الحديث
وزعم انه يحط من منصب النبوة وقالوا كلما ادى الى ذلك فهو باطل وتجويزه يعدم الثقة
بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل على هذا انه صلى الله عليه وسلم يرى جبريل وليس
هو وانه يوحى اليه شي ولم يوح اليه وهو مردود لان الدليل قام على صدقه صلى
الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدة بصدقه
فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل انتهى واما هذا اي انه يخيل اليه فعل شي
لم يفعله ليس عاما بل في امور مخصوصة هي فيما يجوز طروه بالهمز وتركه اي
عروضه في امور دنياه التي لم يبعث بسببها من التوحيد والاحكام المشروعة وفي
نسخة امر مفرد او في اخرى من امور اي لا ما لا يتعلق بشرعه وتبليغه ولا فضل
بتشديد المعجمة وبنا المجهول من اجلها اي من اجل امور الدينية وانما هو برفعه
وزيادة اجره وهو صلى الله عليه وسلم فيها اي في امور الدنيا عرضة بضم فسكون
اي نوع من يحدث له فيه مستعد للافات اي التغيرات التي تلحقه كساير البشر
لعرض له ما يعرض لهم لحكمة تقدمت فغير بعيد اي اذا كان عرضة لها فلا يبعد
ان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم من امورها اي امور الدنيا التي لا تتعلق
بالتشريع فالفا فصيحة في جواب شرط مقدر ما لا حقيقة له مما يتوهم انه
فعله ولم يفعله ثم ينجلي عنه اي يزول وينكشف فشبهه بغمام او ضبا
ففيه مكنية وتخييلية وهو حقيقة عرفية فيه كما كان متعلق بينجلي
اي حاله لما كان عليه قبل ما عرض له او المراد كما كان حاله وهو مسحور وانما
اي كماد فع ما توهموه بما ذكر بين بوجه اخر فقد فسر هذا الفصل يعني
قوله يخيل اليه الشي الحديث الاخر هو فاعل فسر اي بين المراد به روايته
الثانية من قوله بيان لمفسر وهو حتى يخيل انه ياتي اهله يعني زوجاته
والاهل ورد بمعنى الزوجة كثيرا والحال انه لا ياتيهن يعني يتوهم انه
جامعهن وهو لم يجامعهن كقوله فاتوا حرثكم انى شئتم وهو تصريح بانه من
امور الدنيوية لا الشرعية فلا ضير فيه وقد قال سفيان اي ابن عيينة
كما صرح به في سنده في البخاري وهذا التخييل اشد ما يكون من السحر اي
غاية ما يؤثره تخييل انه فعل ما لم يفعله ولذا قالت عايشة رضي الله عنها
حتى كان يخيل الخ فان حتى للغاية فلا يبلغ اكثر من ذلك كقلب الاعيان ونحوه
من تغيير الماهيات وهذا مبني على ان السحر تخييلات لا حقيقة لها كالشعبذة
والمحققون على خلافه كما مر وقد قال الراغب انه على انواع منها هذا وهو
المشار اليه بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقوله سحروا اعين
الناس والثاني استجلاب امور بمعاونة الشياطين واليه يشير قوله ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والثالث فعل يفعلونه تتغير الصور
والطبايع فيجعل الانسان حمارا ولا حقيقة له عند المحصلين انتهى وقد
وقد تقدم ان الاول من جنس الامراض ولذا قال صلى الله عليه وسلم شفاني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله منه فانه المتبادر من الشفاء لبعضهم هنا كلام لا طايل فيه ولم يأته عن احد من
من المحققين في خبر منها اي من الاخبار المروية عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى
الله عليه وسلم نقل عنه في ذلك اي في قصة سحره قول بخلاف ما كان اخبر به من انه
قال انه فعله ولم يفعله اي لم ينقل عنه في حال سحره قول صدر عنه غير هذا الذي
فسر في الحديث وانما كانت الامور المنقولة عنه خواطر وتخيلات من قبيل الوسوسة
التي تعرض للعقلاء كثيرا من غير تاثير في عقولهم وعلمهم بمهمات امورهم فلا اعتراض
عليه في شيء كما توهم وقد قيل في الجواب عما استشكلوه ان المراد بالحديث المذكور
في سحره انه كان يتخيل له ويقع في خاطره الشيء انه فعله وما فعله بمجرد خطوره بباله
لكنه تخييل لا يعتقد صحته ليقظة قلبه وسلامة ذهنه التي لا تؤثر فيهما مثل هذه
التخيلات وهي سحابة صيف عن قريب تقشع فتكون اعتقاداته صلى الله عليه
وسلم كلها على السداد بفتح السين بمعنى الاستقامة وامور كلها مستقيمة كاملة
وادراكه لمعرفته صلى الله عليه وسلم بان ما عرض له تخييل لا يعتد به واما
بكسر السين فهو ما يسد به اسم آلة كحزام وركاب وفيه بيان في شرحنا الدرة الغواص
واقواله كلها جارية على الصحة فهي كلها صحيحة صادقة اذ لم يقع الخلف في شيء من
اقواله وقول عائشة السابق يخيل له فعل ما لم يفعله لا ينافي ما قررته لان
التخييل بمعنى التوهم وكون الخيال قوة باطنية مدركة مما اصطلح عليه الحكما
فهو وما يبتني عليه لا وجه لايراده هنا كما توهم هذا المذكور في جواب
ما وقع في هذا الحديث ما وقفت عليه لايمتنا المحدثين او الاشعرية او
الفقها المالكية في هذا الحديث الذي رونه عائشة عنه صلى الله عليه وسلم
وفي نسخة عن هذا وفي اخرى على هذا وهو ظاهر مع ما اوضحناه من معنى لايمتهم
في تفسيره وزدناه بيانا زاد هنا متعد لمفعولين من تلويحاتهم اي من
اشاراتهم له من غير تصريح به وكل وجه منها اي من الوجوه التي ذكرها
الايمة مقنع اسم فاعل بوزن مكرم اي كاف ومغن عن غيره لمن كان له قناعة
تغنيه عن الوجوه الضعيفة والاقوال الواهية والتكلفات الباردة
ويجوز فتح ميمه وكونه مصدر ميمي يقال هو مقنع في الامر بوزن جعفر
والاول هو الصواب من غير تكلف لكنه الضمير للشان والامر فقد ظهر لي
في هذا الحديث المتقدم في السحر تاويل وتفسير له اجلى اي اظهر من غيره
من التاويلات التي ذكروها وتقدم بعض منها وابعد من مطاعن ذوي
الاضاليل اي اكثر تبعيدا لمن له عقل سليم مما طعن به اهل الضلال مما تقدم
بيانه فالاضاليل جمع لا واحد له كالمذاكير او جمع لمفرد مقدر او موجود فقيل
جمع ضليل بكسرتين مشدد اللام صيغة مبالغة كشريب ولذا قيل لامرئ القيس الملك
الضليل وقيل جمع اضلولة بالضم وهو ما يضل به مرتكبه ولو قيل انه جمع
اضلال على خلاف القياس لم يبعد ويستفاد ويوخذ ذلك التاويل الاجلى
من نفس الحديث اي حديث السحر وهو ان عبد الرزاق بن همام الصنعاني
قد روى هذا الحديث اي رواه في مصنفه عن الزهري عن ابن المسيب

عوضي

واسمه سعيد كما تقدم وعن عروة بن الزبير تقدم ايضا وقال فيه اي في الحديث الذي
رواه عنهما اي عن سعيد وعروة سحر يهود بني زريق بتقديم الزاي المعجمة والتصغير
طايفة منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مفعول سحر وفاعله يهود وهو بلا تاعلم
لهم وقد يذكر وتدخله اللام فجعلوه اي السحر في بئر اي بئر ذروان كما تقدم حتى كاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي قرب من ان ينكر بصره اي ما ابصره او ينكر نفسه وفيه لتاثير السحر
فيه ثم دله الله على ما صنعوا باخبار الملك به وبالمحل الذي وضع فيه فاستخرجه من البير
على رواية وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر بدفنه ولم يخرجه من البير وكانوا امروا
غلاما من اليهود كان يدخل بيته صلى الله عليه وسلم فاخذ شعرات من شعر راسه
الشريف وسنا من اسنان مشطه فعقدوا فيه عقدا ودفنوه في تلك البير فلما انزل الله
عليه المعوذتين واستخرج السحر وحلت عقده شفاه الله والكلام عليه طويل مفصل
في شروح الصحيحين فلا نطيل به وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر كما رواه
عبد الرزاق ايضا ويعمر بفتح اليا التحتية وبالميم المفتوحة وتضم وهو ممنوع من الصرف
للعلمية ووزن الفعل ويحيى هو قاضي مرو وهو اول من نقط المصحف وتوفي سنة
تسعين قال فيه اي في مصنف عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عايشة بينا المجهول اي عن مجامعتها سنة هي مدة السحر كما تقدم عن السهيلي فبينا
هو نايم حقيقة او مضطجع بين النوم واليقظة كما في رواية وبينا للمفاجاة كبينما
وتضاف وتحتاج لجواب كما بينه النحاة اتاه ملكان هما جبريل وميكايل فقعد احدهما
عند راسه والاخر عند رجليه الحديث اي اذكره او اقراه الى اخره كما تقدم وقال
عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي منع من الجماع عن عايشة
خاصة سنة على احد الاقوال السابقة وخص منعه عنها دون غيرها لانها كانت احب
ازواجه اليه صلى الله عليه وسلم حتى انكر بصره يعني تغير قوته الباصرة عما كانت
عليه قبل ان يسحر لانه فقده بالكلية لما في بعض روايات الحديث السابقة حتى كاد
ينكر بصره اي قارب فقده ولم يفقده من قولهم نكرته فتنكر اذا غيرته فتغير كما في
الاساس ولم يعده مجازا وروى البيهقي صاحب السنن بسند ضعيف عن محمد بن سعد
هو كاتب الواقدي وصاحب الطبقات كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبس اي منع عن النساء اريد به الحبس لم يخالف
الرواية التي قبله والا خالفهما والطعام والشراب فكان لا يشتهي ولا يتناول شيا
منهما التفسير راجع كساير المرضى فهبط اي نزل من السما عليه ملكان هما ميكايل
وجبرايل وذكر القصة بتمامها وتقدم ان القصة انه صلى الله عليه وسلم قال
لعايشة ان الله اخبرني بداءي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ما البير
فاذا هو مثل نقاعة الحناء ثم رفعوا الراعوفة وهي صخرة في قعر البير فاخرجوا جفا
ومشاطة وهو شعر راسه الشريف واسنان مشط ووترا معقودا فيه احدى عشر
عقدة وتمثال صورته من شمع غرزت فيه ابر فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام
بالمعوذتين فكان كلما قرا اية منهما انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم
تعقبه راحة فاعترف لبيد بانه صنعه فعفا عنه فقد استبان لك اي تبين

الشاني

وظهر من مضمون هذه الروايات اي ما تضمنته واشتملت عليه ان السحر الذي سحر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما تسلط من التسلط وهي التمكن ممن يريد بقهر والمراد تأثر على
ظاهره اي ظاهر بدنه الشريف وجوارحه واعضائه دون باطنه لا على قلبه واعتقاده وعقله
اذ لم يتغير منه نقص اصلا وانه اي السحر انما اثر في بصره بتغيير ما لحقه كاد يتكرر كما تقدم
وحبسه عن وطي نسائه وعن طعامه فاضعف جسمه فامرضه فهو كسائر الامراض
لا ينكر عروضه للانبياء عليهم الصلاة والسلام ويكون معنى قوله يخيل اليه انه
ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه هذا جواب سؤال تقديره اذا قلت ان السحر
لم يؤثر الا في ظاهر بدنه يرد عليك ان تخيل ما لم يقع واقعا يقتضي خللا في الذهن
والادراك فهو مناف لما قلته وقوله معنى اسم كان وخبره مقدر يدل عليه ما بعده
اذ لا يصح اقتران الخبر باي المفسرة ومثله كثير في كلام المصنفين وفي الاساس رجل
نشيط طيب النفس للعمل ومتقدم عادته اي ما اعتاده صلى الله عليه وسلم قبل
السحر القدرة على النسا فاعل يظهر اي قدرته وقوته على جماعهن فاذا دنا منهن
اي قرب منهن ليجامعهن اصابته أخذة السحر بضم الهمزة وسكون الخاء وذال معجمة
وهي امر يتخذه السحرة يحبس المرء عن انتشار آلة الجماع تسميه العامة ربطا وهو
نوع من السحر ويقال به أخذة من الجن ايضا كانها اخذت قوته فلم يقدر على
اتيانهن كما يعتري اي يعرض ويغشى من اخذ قيل هو بضم الهمزة وتشديد الخاء المعجمة
وذال معجمة من التاخيذ وفي نسخة وخذ بالواو اي منع من الجماع كما قيل والظاهر
عليهما اي بغير بعض صنع له اخذة السحر السابقة واعترض بينا المجهول اي عرض له
عارض من مرض ونحوه والظاهر انه من العارض المعروف بين السحرة الذين يدعون
الجن وهو المناسب للاخذة ولعله المتبادر للسياق وفي نسخة يخذ فهو لمثل هذا اشار
سفيان بن عيينة فيما نقله عنه سابقا بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر
اي اعظم انواعه ان يخيل له فعل ما لم يفعله وقد تقدم ما فيه ويكون قول
عائشة في الرواية الاخرى من احدى الروايتين في الحديث اعني قولها انه يخيل
له انه فعل الشيء وهو ما فعله والشيء مبهم في روايتها دون الاخرى فيحمل
انه من باب ما اختل من بصره اي قوة نظره لا بنفس عينه وهو ما انكره كما ذكر في الحديث
من انه كان يخيل اليه الخ وبينه بقوله فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه
او شاهد فعلا من غيره انه فعله وصدر منه على وجه مخصوص ولم يكن صدر
منه على ما يخيل اليه وذلك لما اصابه في بصره وضعف نظره من الم السحر لا لشيء طرا
عليه في ميزه بفتح الميم وسكون اليا المثناة التحتية بمعنى تمييزه والمراد به
قوة عقله المميزة يقال مازه يميزه ميزا كسار يسير سيرا بمعنى ميزه وبينه
واذا كان هذا اي ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم على ما قررته لم يكن فيما ذكر
من اصابة السحر له في هذه المرتبة من غير زيادة فيه وتاثيره فيه بمجرد ضعف
بصره غير قادح ما يدخل لبسا عليه بان يؤثر في عقله وتمييزه او يسري لباطنه
ولا يجد به الملحد الزائغ عن الحق بطعنه في الانبيا عليهم الصلاة والسلام
المعترض به على انه يلزم من تاثير السحر فيه تخيل ما لا حقيقة له يورث شكا

رع

في ما يراه من الملائكة كما تقدم انفا اي امرا يبيننا لنبي به او هامه الفاسدة او يحدث
عنده علما ينقض به مقام النبوة من قولهم انتقضت منه كذا اذا علمته او ابصرته

فصل **هذه** الامور المذكورة في الفصل
المتقدم **حاله** صلى الله عليه وسلم في جسمه الشريف ظاهرا او باطنا
واما احواله في امور الدنيا اي الامور المتعلقة بها فنحن نسبرها بفتح النون وضمها
وسكون السين المهملة وضم البا الموحدة او كسرها وراء مهملة والضمير راجع لامور
الدنيا يقال سبره واستبره اذا اختبره كما في الصحاح واصل معناه ان يدس في الجرح
مرود الميل ليعلم عمقه ثم شاع فيما ذكر وهو عند اهل الاصول استقصا افراد امر كلي
واقسامه والمراد هنا نبينها على اسلوبنا اي نوردها على طريقنا المتقدم في هذا
الكتاب والاسلوب بضم الهمزة الفن والطريقة يقال اساليب الكلام لفنونه بالعقد
اي الاعتقاد متعلق بنسبر والقول والفعل اي نستوفي اقسامها النظرية
واللفظية والعملية اما العقد منها اي ما يتعلق من احواله صلى الله عليه وسلم
في امور الدنيا بالعلم بها والاعتقاد فقد يعتقد صلى الله عليه وسلم الشيء
من امور الدنيا على وجه اي وقوعه على وجه من الوجوه في بادي الراي ويظهر خلافه
اي يظهر له انه على خلافه في الواقع ونفس الامر او يكون منه اي من الشيء الذي هو من
امور الدنيا على شك فيه او يكون منه على ظن بان يترجح عنده احد طرفي الوقوع
وعدمه بخلاف امور الشرع فانه صلى الله عليه وسلم لا يتردد فيها لانه معصوم
عن الخطا وان قلنا بجواز اجتهاده فيها لانه مستند للوحي ايضا لمن ورد شاهدا
لانه قد يعتقد شيئا من امور الدنيا على خلاف ما هو عليه وهو حديث رواه مسلم
تقدمت الاشارة اليه مرارا فقال كما حدثناه ابو بكر سفيان بن العاصي تقدم
بيانه وغير واحد قراءة وسماعا اشارة الى انه رواه من طرق قالوا حدثنا ابو العباس
احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد بن عمرويه الكلام فيه
كالكلام في سيبويه في بنائه على الكسر واعرابه اعراب ما لا ينصرف وان المحدثون
يضمون ما قبل اليا ويفتحونها كما اشتهر عنهم قال حدثنا ابو سفيان ابراهيم محمد
ابن سفيان راوي صحيح مسلم عنه قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور
قال حدثنا عبد الله بن الرومي بن محمد او ابن عمر بن يزيد بغدادي ثقة حافظ توفي
سنة مائتين وست وثلاثين ولم يخرج له من اصحاب الكتب الستة غير مسلم وعباس
العنبري بن عبد الله بن اسماعيل بن توبة ابو الفضل العنبري البصري الحافظ توفي
سنة مائتين وستة واربعين واحمد المعقري هو احمد بن جعفر والمعقري بفتح
الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف وراء مهملة وياء نسبة وقيل بكسر الميم
وسكون العين وفتح القاف وقيل بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة
نسبة لمعقر ناحية من اليمن قالوا حدثنا النضر بن محمد الجرشي اليمني وله
ترجمة في الميزان قال حدثني عكرمة بن عمار وقد تقدم قال حدثنا ابو
النجاشي عطاء بن صهيب ثقة قال حدثنا رافع بن خديج بفتح الخاء المعجمة وكسر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وجيم توفي سنة اربع وسبعين من الهجرة واخرج
له الستة وهو انصاري صحابي شهد احدا قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
لما هاجر من مكة وهم يابرون النخل بضم البا الموحدة بعد الهمزة الساكنة والجملة
حالية وتابيرها ان يؤخذ من طلع النخلة الذكر ما يوضع في طلع غيرها حين ينشق
فتلقح ويقال ابرتها وابرتها بالتشديد وروي هنا يوبرون مشددا او القاحها
ان يخرج ثمرها صالحة لا شيصا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
راهم على رؤس النخل وهم يابرون كما في مسلم استفهام تقريري
قالوا نصنعه وهو التابير ليثمر ثمرا حسنا فقال لهم لو لم تفعلوا
اي لو تركتم التابير للنخل كان خيرا من تابيرها وروي ما اظن ذلك يغني
شيا فاخبروا بذلك فتركوه اي التابير فنقصت بنون وقاف وصحفه بعضهم
بنون وفا قاله ابن قرقول اي ثمرتها او تغيرت فصارت شيصا غير مستوية
فذكروا ذلك اي نقصها له صلى الله عليه وسلم فقال انما انا بشر اصيب واخطي
في امور الدنيا التي لم يوح الي فيها شي ولكن اذا امرتكم بشي من دينكم فخذوا
به اي تمسكوا به ولا تخالفوني فيه واذا امرتكم بشي من رايي اي يكون رايا
في امور الدنيا المحضة فانما انا بشر مثلكم فذا رايي رايا والامر بخلافه في امور
الدنيا فلا يجب اتباعه وفي رواية لمسلم عن انس انتم اعلم بامر دنياكم اي بجميع
احوالها واضاف الدنيا لهم لانه صلى الله عليه وسلم لا يريد شيا منها ولا يلتفت
اليه وفي حديث اخر رواه مسلم عن طلحة في هذه القصة انما ظننت بما قلته
لكم ظنا مني انه لا يلزم مما فعلتموه فلا تواخذوني بالظن اي لا تجدوا واعلي في
انفسكم كدرا فيما ظننته خيرا لكم فتبين خلافه قال ابن رشد في كتاب التحصيل
والبيان هذا الحديث روي بالفاظ مختلفة متقاربة معنى كقوله صلى الله عليه
وسلم ما انا بزارع ولا صاحب نخل ولا منافاة اذ كل حكى ما سمع وانما نفي الظن
بانه لا يلزم لاختصاصه بالحيوان ولم يكن ذلك عن وحي كما قاله الطحاوي وقال
ابو الوليد انه صلى الله عليه وسلم بين انه لا تاثير في الصلاح والافساد
لغير الله الا ان الله قد يجري العادة باسباب لذلك تعلم بالتجربة كالتابير
وهو صلى الله عليه وسلم لم يسبق له تجربة فيه وقيل عليه ان عدم علمه
به بعيد فالاولى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم نبههم على توكل الخواص
بترك الاسباب الذي هو من مقامات الانبيا دون غيرهم وقوله لا تواخذوني
الخ المراد انه ظنهم من اهل هذا المقام فلما اخبروه بحالهم ردهم لها وقال
لهم انتم اعلم بحالكم واستدل بهذا على ان الاجماع في امور الدنيا لا يعتد به
لرجوعه صلى الله عليه وسلم لقولهم كما رجع لهم في منزل بدر اي وتاتي
في كلامه قريبا كما في التلويح وقال ابن ابي شريف انه ممنوع وقول الرسول
صلى الله عليه وسلم حجة في الامور الدنيوية وغيرها لانه اما بوحي او باجتهاد
لا يقر على الخطا فيه ومراجعته كانت قبل استقرار اجتهاده والتلقيح من
ربط المسبب بالسبب ولو شا الله صلحت الثمرة بدونه وهذا اعتقادنا وقوله

انتم

انتم اعلم الابنا ونبه وفيه بحث فتدبر وفي حديث ابن عباس الذي رواه البزار بسند حسن
في قصة الخرص بفتح الخا المعجمة وسكون الرا وصاد مهملتين وهو الحزر والتخمين
لما على النخل والكرم من الرطب والعنب وتفسيره كما قال الترمذي ان الثمار اذا ادركت
من الرطب والعنب وجبت الزكاة وبعث السلطان من يحبسها لخمسها وقال يخرج
منها كذا او كذا فيبين قدره ومقدار عشره فيثبته عليهم فاذا جا وقت الجذاذ
اخذه وفايدته التوسعة على ارباب الثمار فيتناولوا منه ما ارادوا وهذا كان في
عهده صلى الله عليه وسلم وعلى عهد الخلفا ولذا جوزه بعضهم ومنعه بعضهم
لانه تخمين وفيه غرر واما الخرص بكسر الخا فاسم للمخروص فقال صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر اي انا مقصور على صفة البشرية التي تجوز عليها الاصابة وعدمها
وقيل هو قصر قلب خلافا لمن يعتقد او يظن ان الخطا في الامور الدنيوية لا يجوز
عليه فعكس اعتقادهم فيما لا تعلق له بالشرع والوحي فما حدثتكم عن الله
فهو حق لا يجوز الخلف فيه وما قلت فيه من امور الدنيا من قبل نفسي براي لا بامر
خطر على نفسي فانما انا بشر اخطي تارة واصيب اخرى فقيل هذا مما استدل به على
جواز خطايه في اجتهاده وقيل لا دليل فيه لانه لم يقله باجتهاد وانما هو ظن
سنح له وقد تقدم ما فيه قريبا وهذا اعلم ما قررناه من انه صلى الله عليه وسلم
قد يرى شيا من امور الدنيا على وجه يظهر خلافه كما اشار اليه بقوله فيما قاله من
قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها الا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه بالتخفيف والتشديد اي اظهره وبينه وسنه سنها وهذا كله
مبني على انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في بعض الاحيان وهو الصحيح كما
تقرر في الاصول واذا اجتهد لا يخطي ولا يقر على خطا وقد وقع له ذلك ولا
حجة لمن منعه في قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ونحوه لانه
اذا اذن له فيه كان وحيا مع انه الهام والهام الانبيا قسم من الوحي والمراد بالسنة
الطريقة المحمدية من اقواله وافعاله وسنها بمعنى جعلها امرا متبعا وطريقا
مهيعا لا ما يقابل الفرض فهي بالمعنى اللغوي وقوله فيما قاله من قبل
نفسه تخصيص مفروغ عنه مقرر في بحث الاجتهاد من كتب اصول الفقه فمن
قال انه تخصيص من غير مخصص مع ما اطال فيه من الزوايد وضرب في حديد
بارد غفل عن الرد وكما حكى محمد بن اسحاق رحمه الله في كتاب المغازي مما شابه
ما قبله من امور الدنيا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل في غزوة بدر وبدر
اسم ذلك المكان وبير فيه سميت باسم صاحبها كما مر بادنى مياه بدر اي
ابعدها واقلها ما وليس محل نزول ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي
والمسلمون بكثيب اعفر يسوخ فيه الاقدام وسبقهم المشركون الى الما
واحرزوه وحفروا لهم قلبا واصبح المسلمون وبعضهم على غير طهارة
محتاج للما واصابهم الظما ولم يصلوا للما ووسوس الشيطان لبعضهم في ذلك
والغزاة عنه فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشربوا واستقوا
وتطهروا وثبتت الاقدام وزالت وساوس الشيطان كما قال تعالى وينزل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليكم من السماء ما ليطهركم به الاية وكان صلى الله عليه وسلم لما نزل بادني مياهها
قال له الحباب بضم الحاء المهملة وموحدتين علم منقول من اسم الثعبان ابن المنذر
رضي الله عنه بن جموح بن زيد بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي الانصاري
الصحابي الذي يقال له ذو الراي توفي كهلا في خلافة عمر رضي الله عنه اهذا المحل
الذي انزلتنا فيه يا رسول الله منزل انزلكه الله عز وجل اي امرك بالنزول فيه
ليس لنا ان نتقدمه ولا نتاخر عنه ونتحول فيما هو اولى منه لانا لا نخالف امر الله بوحيه ام هو
الراي اي راي منك بلا امر من الله يجب اتباعه وليس تعريفه للاستغراق العرفي اي
انه هو الراي الكامل كما قيل لانه لا يناسب هنا والحرب اي ام هو محل مناسب
لمحاربة الاعدا والنصرة فهو مجاز بذكر المسبب وارادة السبب والمكيدة اي الكيد
والمكر لان الحرب خدعة والمكيدة مصدر ميمي بمعنى الكيد وهو الحيلة لايقاع
ما يريده من السوء ويسمى الحرب كيدا كقوله في الحديث لم يلق كيدا اي حربا فقال
صلى الله عليه وسلم مجيبا له رضي الله عنه لا اي لم يامرني الله بنزوله بل هو
الراي والحرب والمكيدة اي نزلت براي فيه لما ذكر فقال له الحباب ليس هذا المحل
بمنزل مناسب لما ذكر لبعده عن الماء وكثرة رمله المضر اي فقم من هنا وانتقل
حتى تاتي ادنى اي اقرب ماء من القوم وهم قريش فتنزل به اي تنزل فيه ثم نغور
ما وراءه اي نسده ونطمه حتى يذهب ماؤه الذي ينتفع به الاعداء وقوله
ما وراءه ما موصولة بالظرف مقصورة وروي ما بالمد ما بعده صفته من القلب
بضم القاف واللام وقد يسكن وهو جمع قليب وهو البئر الذي لم تطو اي لم
يبن اطرافها بالحجارة ونغور بضم النون وتشديد الواو بينهما غين معجمة
او مهملة كما في المقتفى وقال السهيلي انه بضم العين المهملة وسكون الواو
وفي حواشي التيسير لابي ذر الخشني من رواه بغين معجمة معناه نذهبه
وندفنه ومن رواه بمهملة معناه نفسده انتهى وفي اهماله مناسبة للعين
لا يخفى فنشرب اي المسلمون منه ولا يشربون اي الكفار فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للحباب اشرت بالراي اي بالراي الصواب الحسن وفعل صلى الله عليه
وسلم ما قاله الحباب من المنزل له فنزل على الماء وبنى حوضا يشربون منه الى اخر
ما ذكره ابن اسحاق في سيرته وروى ابن سعد ان جبريل نزل عليه صلى الله عليه
وسلم وقال له الراي ما اشار به الحباب ثم ذكر ما دعاه للمشاورة فقال وقد
قال الله له صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر الامر للندب لا للوجوب
وانما امره بذلك تطييبا لخاطرهم وقلوبهم ورفعا لمقدارهم لان كبرا العرب
كانوا اذا لم يشاوروا اشق ذلك على نفوسهم فامره بذلك رعاية لهم وتشريفا لمن
بعدهم وان كان صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا واسدهم رايا واختلف
في ذلك فقيل كان فيما لم ينزل فيه وحي ليجتهد فيه ويجتهدوا معه فان
الاجتهاد بحضرته جائز ايضا كما تقرر في الاصول وقيل انه مخصوص
بامور الدنيا ومصالح الحرب فانهم جربوها وقاسوا شدائدها وكلام المصنف
يومي لهذا ولذا قال واراد اي النبي صلى الله عليه وسلم مصالحة بعض عدوه

عائد

عائد ثمر المدينة الحاصل من نخلها وكان ذلك في غزوة الخندق لما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عوف المري وهما قايدا غطفان بان
يعطيهما ما ذكر فاستشار الانصار رضي الله عنهم اي شاورهم ليرى رايهم والمستشار
منهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فلما اخبروه برايهم في ذلك وهو ما قال له
سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهولا القوم على الشرك وعبادة الاوثان
لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها تمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا
الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة
والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم رجع عنه اي عن رايه في
اعطايهم وقال لسعد انت وذاك كما ذكره ابن اسحاق في مغازيه وساق القصة
بتمامها وذلك لما اشتد الامر على المسلمين وظهر من المنافقين ما ظهر بعث صلى
الله عليه وسلم اليهما بذلك واراد ان يكتب به صحيفة فلما استشار فيه السعد
قال له ابن معاذ امرك الله بهذا قال لا ولكن اردت دفعهم فقال له صلى الله
عليه وسلم ما ذكرناه انفا وتناول الصحيفة ومحاها وجرى ما جرى حتى هزم
الله الاحزاب وحده واعز جنده فمثل هذا المذكور من قصة الحباب والانصار
وغيره واشباهه مما يشابهه من امور الدنيا التي لا اعتنا له صلى الله عليه وسلم
بها ولا مدخل فيها لعلم ديانة اي امور متعلقة بالشرع والدين واحكامه
ولا اعتقادها ولا تعليمها بالجر عطف على قوله علم ديانة اي ليس مما امر صلى
الله عليه وسلم باعتقاده وتبليغه لامته وتعليمه لهم يجوز عليه فيه ما ذكر
من ان يعتقده على وجه فيظهر له خلافه لانه ليس من مهمات الدين والجملة
خبر قوله هذا اذ ليس في هذا كله نقيصة له صلى الله عليه وسلم لانه ليس
مهما عنده ولا محطة بحاء وطاء مهملتين من الحط وهو التنزيل لا سفل اي
لا حط على مقامه ولا بشينه وانما هي امور اعتيادية اي جارية على عادة الناس
فيها لا من العلم والاحكام يعرفها من جربها واعتنى بها وهو صلى الله عليه
وسلم لا يعتني بها ولا يخالطها مفضلا عن تجربتها وجعلها همه اي امرا يهتم
به ويعتني وهو صلى الله عليه وسلم لا يلتفت لها ويشغل نفسه بها اي
بامور الدنيا وعاناها وزاولها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب
اي قلبه مملو بمعرفة الربوبية وما يتعلق بها من اجلال وتكريم وتنزيه
وتعظيم لم يبق فيه محل فارغ لغيرها حتى يخطر بباله كما قيل

تملكت بعض حبك كل قلبي ... فان ترد الزيادة هات قلبا

كما تقدم ومشحون بمعنى انه مملو غير خال منها يقال شحن السفينة
اذا ملاها ملات الجوانح جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر وجعل معرفة
الله وصفاته ملى قلبه اشارة الى انها اول ما علمه وانها اعتقادات حقه
وهي اول ما يجب كما قيل

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وجعل ما علمه بعده فيما يتعلق بعلوم الشريعة ملا صدره لوروده عليه

عوض

بن

كرنا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نعدها وهو في غاية الحسن والاتقان وقيل كنى بالجوارح عن نفسه مجاز مرسل من اطلاق
الجزء على الكل ولا يخفى ما فيه معتد البال بمصالح الامة الدنيوية والاخروية والبال هنا بمعنى
الخاطر الذي يخطر على النفس لا بمعنى القلب وان ورد بهذا المعنى لانه اراد ان افكاره صلى
الله عليه وسلم وخواطره بعد معرفة الله تعالى وتلقي ما اوحي اليه لا تشتغل الا
بمصالح الامة المذكورة والمراد امورهم التي بها صلاح دينهم بتعليمهم ما يجب لهم
وعليهم من الطاعات والاعتقادات والمراد بالدنيوية ما يتعلق بدنياهم
في معاملاتهم ونحوها من الامور الشرعية ولله دره فيما اتى به مرتبا مع التفنن
في العبارة حيث ذكر ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم اولا من معرفته به مما قلبه
ثم ما يتعلق به من تلقي الوحي محلا صدره ثم جعل ما يتعلق بامته وتبليغهم وتعليمهم
خواطر وافكارا فاعرفه ولكن هذا اي ما يعتقده ويظهر خلافه انما يكون اي يقع
له صلى الله عليه وسلم ويتفق في بعض الامور الدنيوية العادية التي تعرف
بالتجربة وكثرة المزاولة ومع انه ايضا انما يجوز صدوره منه بخلاف ما هو عليه
في النادر ايضا والاقل لا مة عقله صلى الله عليه وسلم وشدة حذقه ثقتنا
انه اعلم الناس بامور دنياهم ايضا لانه اوفر الناس عقلا وقد اطلعه الله
على اسرار الوجود من مذموم ومحمود وقوله صلى الله عليه وسلم انتم اعلم
بامر دنياكم انما اراد به تطييب قلوبهم كما مر وان لا يزكي نفسه تواضعا منه
وما اذن منه وقوعه كان فيما سبيله اي طريق العلم به التدقيق اي تدقيق
النظر فيه بتكريره وصرفه في حراسة الدنيا اي حفظ امور الدنيا وصرفها واستثمارها
اي طلب زيادتها ونموها وثمرتها وهو امر ناشئ عن محبتها والحرص على تحصيلها
وهو صلى الله عليه وسلم لا يريد حرث الدنيا ولا يشغل بها خاطره ومع ذلك ما
وقع منه عدم العلم بها الا نادرا لا في الكثير من امورها المؤذن الذي يعلم كثرته
من اطلع عليه انه صدر بسبب البله والغفلة البله والبلاهة نقص في العقل
وهو صلى الله عليه وسلم اكمل الناس وارجحهم عقلا والغفلة دون البله
وهي كونه بعد مرحذقه يغفل عن بعض الامور وما ورد في الحديث من ان اكثر
اهل الجنة البله فالمراد بهم كما في النهاية الغافلون عن الشر لانهم مطبوعون
على الخير وحسن الظن بالناس لان نقص العقل لا يمدح به ولبعضهم في
بعض الحمقى وقد بني له دارا حسنة داركذا باهد اعد نتجنه وان اهل الجنة البله
وقد تواتر بالنقل تواترا معنويا كتواتر كرم حاتم وشجاعة علي كرم الله وجهه
عمن لا يمكن تواطيهم على الكذب في الجميع لا في مادة بخصوصها عنه صلى
الله عليه وسلم متعلق بتواتر من المعرفة بامور الدنيا واحوالها تفصيلا من
غير الامور المشروعة ومعرفة دقائقها اي الامور الدقيقة التي تخفى على
كثير منهم مصالحها اي حاجاتهم التي بها صلاح العالم في المعائش وسياسة
فرق اهلها عربا وعجما على اختلاف عقولهم وطبائعهم وعاداتهم والسنتهم
والسياسة حكم الناس وضبط امورهم الجارية بينهم حتى لا يتعدى بعضهم
على بعض يقال ساسه يسوسه اذا حكم عليه بما يجعله منقادا اما هو مأموره

او موعوظة فاعل تواتر معجز في البشر اي امور يعجز البشر عن مثلها والبشر بمواد وسموا
به لظهور بشرتهم اي ظاهر جلدهم من غير استتار بشعر ووبر كالحيوانات كما قد نبهنا
عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب كما تقدم تفصيله فلا حاجة لاعادته هنا
لانه صلى الله عليه وسلم لما فوض له الامامة العظمى على جميع الخلق والحكم
بينهم ودعوتهم لطاعته لزمه ان يعلم جميع احوال الناس دنيوية ودينية
ليتم امره ويتاتى له ما امر به فلا يخفى عليه الامور فلهذا لا يضره عدم العلم بها ولذا
كان صلى الله عليه وسلم يحكم بالسلطنة والقضاء والفتوى كما فصلوه وسبق التفرقة
بين احكامه فيها

فصل واما ما يعتقده

قال المصنف صلى الله عليه وسلم في امور احكام البشر اي ما يحكم به عليهم في امورهم
التي ترفع اليه من الامور الجارية على يديه اي الواقعة عنده فاستعار الجري
على يديه لهذا وقضايا هم اي امورهم التي ترفع اليه صلى الله عليه وسلم ليقضي
فيها بما اراه الله ومعرفة المحق من المبطل ضمن المعرفة معنى التمييز فعداه
بمن والمحق والمبطل اسما فاعل بمعنى من هو على الحق او الباطل وكونه اسم
مفعول كما قيل ركيك من غير داع له وعلم المصلح من المفسد اي اهل الصلاح
والفساد فبهذه السبيل الباطن فيه اي جاء في هذه الطريق السابقة في امور الدنيا
التي قد يظهر له منها ما الامر بخلافه احيانا ولا يضره لما سياتي وهو وان كان
لا يخفى الله عنه علمه اصلا كما قاله بعض العارفين يظهره الله منه لئلا تقتدي به
بعض امته لتوهمه انه يعلم الغيب فيقعون فيما وقع فيه النصارى فلذا كان
يستره كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى

لم يمتحنا بما تعيى العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان مسندا وابو داود
وغيره رواه المصنف لعلو سنده فيه كما مر وتقدمت الاشارة اليه مرارا انما
انا بشر لا اعلم الغيب وانكم تختصمون الي في امور عندي وتردون حكمها
الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض اي اعرف باقامة الحجة
وافصح في بيانها ممن يخاصمه واصل معنى اللحن الميل عن الاستقامة ومنه
اللحن في الاعراب لميله عن الصواب واللحن الطرب ومنه الحان الغزاة وفي
الاساس لحن بحجته فطن لها فتبصر فيها لمن تيقظ وفلان الحن بحجته من صاحبه
انتهى اي افصح منه واقدر على اقامة الحجة فاقضي له واحكم على نحو ما اسمع
اي على نوع وضرب مما يسمع من كلامه بحسب الظاهر منه فمن قضيت له من حق
اخيه بشيء ولو قليلا اي حكمت له بشيء ليس له حق فيه وانما هو حق خصمه
ويعبر بالاخ عن الخصم كقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
للاستعطاف والحث على عدم الحيف فلا ياخذ منه شيئا ليس حقه فانما اقطع
له بما اعطيه من حق غيره قطعة من النار فجعل ما ياخذه بغير حق قطعة من

نارجهنم مبالغة في حرمته عليه واستحقاقه للعذاب بمنزلة مترلة عذابه حقيقة
كما في قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وحاصله
ان حكم الحاكم بحسب الظاهر صحيح نافذ ولكنه ان خالف الواقع لا يحل حراما ولا يحرم
حلالا لانا نحكم بالظاهر وعند الله علم السرائر وهذه في الاموال والدما وغيرها
فالحكم ينفذ بحسب الظاهر ويبقى الباطن في الاخرة وقد وقع الخلاف بين الفقها
في بعض احكام الزوج كما لو شهد شاهدان زور على رجل انه طلق امراته وحكم
الحاكم بالفرقة بينهما وهو لم يقع منه طلاق في نفس الامر فهل يجوز له ان
ينكحها بعد الحكم المذكور ام لا فيه قولان كما في كتب الفروع حدثنا الفقيه
ابو الوليد رحمه الله تقدم بيانه قال حدثنا الحسين بن محمد هو الحافظ ابو علي
الغساني وقد تقدم قال حدثنا ابو عمر هو ابن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا
ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي كان ممن لقي ابن داسة واخذ
عنه وترجمه الذهبي قال حدثنا ابو بكر هو ابن داسة راوي سنن ابي داود كما
تقدم قال حدثنا ابو داود الامام المشهور صاحب السنن وقد تقدم قال حدثنا
محمد بن كثير بكاف مفتوحة ومثلثة مكسورة وتحتية ساكنة وهو ابن كثير
العبدي البصري الامام المشهور اخرج له الستة توفي سنة ثلاث وعشرين
ومائتين وعمره تسعون سنة وترجمته في الميزان قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا سفيان اي
الثوري لا ابن عيينة لانه الذي يروي عنه ابن كثير وبه صرح عبد الغني
فيحمل المطلق عليه عن هشام بن عروة عن ابيه عروة وقد تقدم الكلام
عليهما عن زينب بنت ام سلمة ام المومنين رضي الله عنها وزينب هذه بنت
ابي سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي صحابية تزوجها عبد
الله بن زمعة توفيت سنة ثلاث وسبعين عن ام سلمة ام المومنين المذكورة
واسمها هند وقيل رملة كما تقدم قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحديث المذكور يعني انما انا بشر الخ وقدم المتن على السند هنا وهو
جائز لانه مبين لما عقد له الفصل كالترجمة له وعدل فيه عن رواية
الصحيحين لعلو سنده في سنن ابي داود ولانه ضمه لما هو مشهور معلوم
تقوية له وفي رواية الزهري ابن شهاب الامام المشهور عن عروة تقدمت
ترجمته فلعل بعضكم وقع في هذه الرواية بالفا التعقيبية ابلغ من بعض
مكان الحن فهو من البلاغة ليوافق معنى الرواية الاخرى وما قيل انه من
البلوغ وهو الوصول اي اسرع وصولا للحجة مع انه غير مناسب مخالف
للظاهر فلا حاجة لتكلفه وقيل انه من المبالغة والزيادة في اجتهاده بترويج
حجته فاحسب انه صادق فيما ادعاه بحسب الظاهر وان وما بعده سادة مسد
مفعولي احسب فاقضي له اي احكم له بما اظنه حقه وهو صلى الله عليه وسلم
يجري بمثناة فوقية واحكامه مرفوع نائب مناب فاعله او بتحتية مضمومة
واحكامه منصوب مفعوله على الظاهر من الامر وما يقتضيه ويجري على
موجب بضم الميم وفتح الجيم اي ما يقتضيه غلبات الظن اي ما يغلب تحققه

في ظنه

في ظنه بحسب ظاهر الحال وجمع غلبات باعتبار تعدد الخصوم ما فيه تعريض بسبب غلبة ظنه
بما قضى به فقال بشهادة الشاهدين اي بسبب ذلك وبيمين الحالف اذا حلف فانه يغلب
على الظن صدقه والمراد اليمين الذي يقتضيه الشرع في محله ولذا قال الحالف من غير
تعيين فلا وجه لصرفه للعان من غير ما يشعر به في العبارة وظن بعضهم ان يمين الحالف
المراد بها اليمين مع شاهد واحد الذي حكم به بعض الائمة ولا حاجة لدعواه وبمراعاة
الاشبه اي ما هو اكثر شبها بالحق بما فيه من القرائن وظن بعضهم ان الاشبه المراد
به شبه الولد في الملاعنة ومما حكم فيه بالظاهر اللقطة وما فيها من معرفة العفا
وهو بكسر العين المهملة وفا مفتوحة مخففة قبل الالف وصاد مهملة وهو وعا
من جلد ونحوه يوجد فيه ما التقط والوكا بكسر الواو ما يربط به فاذا عرفهما وجا
طالبها يسال عن امارتها فان بينهما تدفع له لغلبة الظن بانه صاحبها وهو اشارة
لما ورد في الحديث الصحيح وعرفها سنة ثم احفظ عفاصها ووكاها فان جاءك
احد يخبرك بها والا فانتفع بها مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك اي اقتضت حكمة الله
تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ان يحكم بالظاهر ليقتدي به من بعده من
حكام امته ولو اراد ان يطلعه الله في كل قضية على حقيقتها لفعل ولكنه لا يتيسر
لمن بعده اتباعه في احكامه وهذه الاحكام وان خالفت الواقع لا خطا فيها
لانه مامور بالحكم به وليس من قبيل اجتهاده حتى يقال انه لا يخطي فيه ولا
يقر على الخطا فيما تقدم وهو ظاهر جدا فانه صلى الله عليه وسلم لو شا
لاطلعه الله على اسرار عباده اي ما خفي منها فاراد الله ان لا يطلعه وانه اذا
اطلعه لا يظهر لهذه الحكمة وخبايا ضمايرامته اي ما اضمروه واخفوه في انفسهم
مما لا يطلع عليه الا الله عالم الغيب وهي جمع خبايا اسم مفعول مشددة البا اي
مكتومة غير ظاهرة وخبايا الارض في الحديث الزرع لاستتاره اذا بذر وفي الحديث
ابتغوا الرزق في خبايا الارض وقال الشاعر

تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما ان تجاب وترزقا

فتولى الحكم بمجرد يقينه وعلمه يعني لو اطلعه الله على السرائر ليحكم بها كان
يحكم بعلمه فيها دون حاجة له في حكمه الى اعتراف اي اقرار من الخصم او بينة
تشهد عليه او يمين تتوجه على المنكر وشبهه اي مشابهة في الامر المحقق
كما تقدم والامر بخلافه لكن لما امر الله امته في اتباعه في احكامه التي
شرعها لهم والاقتدا به في افعاله المشروعة واحواله وقضاياه اي
احكامه صلى الله عليه وسلم التي قضى بها لامته وسيرته الماثورة عنه
صلى الله عليه وسلم في غزواته وغيرها وكان هذا الامر الذي امر باتباعه
فيه لو كان مما يختص صلى الله عليه وسلم بعلمه الذي اعلمه الله به مما خفي
على غيره ويوثره الله تعالى به اي يخصه صلى الله عليه وسلم به دون
امته لانه وحي منه او الهام له لم يكن للامة سبيل اي طريق لهم للاقتدا به
في شي من ذلك لعدم علمهم به لانه مما اثره الله به ولا قامت حجة بعده
صلى الله عليه وسلم بقضية من قضاياه في امر من الامور الدينية لاحد من حكام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

امته وخلفايه في شريعته واحكامه لانا لا نعلم ما اطلع عليه باطلاع الله له على ما خفي منه
هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك نا المكنون اي الخفي من اعلام الله له بما اطلعه
عليه من سرايرهم التي اخفاها عن غيره من الامة وهذا مما لا يعلمه الامة لانه تعالى لا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجرى الله احكامه الشرعية على ظواهرهم
التي يستوي فيها هو صلى الله عليه وسلم وغيره من البشر من امته في زمنه وبعده
وهذا باعتبار اكثر احواله والا فمن خصايصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له
ان يحكم بعلمه وقد اطلعه الله على كثير من السراير والمضمرات لكنه لم يومر بالحكم بها
للحكمة المذكورة وقد امر بعض الانبيا بالحكم بالامور الباطنية كالخضر على القول
بنبوته وهو الاصح كما مر لكنه لم يكن له امة تقتدي به ولذا انكر عليه موسى
عليه الصلاة والسلام قبل اطلاعه على انه اذن له فيه فلما علمه سلم له
وللسيوطي رسالة في ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان له الحكم بالباطن ايضا اذا لم
يخش من التهم وساقوا منها قضايا بالانطباق هاهنا وحكمه على الظاهر كان تارة
بالقضا وتارة بالسياسة والسلطنة اي الامامة العظمى وتارة بالفتوى كما
فصله ابن السبكي في قواعده مع الفرق بينهما فارجع اليه ان اردته ليتم اقتدا
امته في تعيين قضاياه التي وقعت في احكامه بين الناس وبين تفصيل التخييرية وما علمه
منهم تعود الى الله عز وجل واقتدا امته بالنصب معطوف على تعود ففيها وقع
اقتدا على الفاعلية وتنزيل احكامه على قواعد شرعه واجرايها في جزئياتها او لوا
ما اتوا بعض الحرج اي يفعلوا ما فعلوا من ذلك اي من قضاياه وتنزيل احكامه على
علم ويقين من سنته اي طريقته في شريعته التي يتبعها الامة اذ البيان بالفعل
الذي فعله في احكامه اوقع في النفوس واثبت طمانينة منه اي من البيان بالقول
وانما وقع لاحتمال اللفظ للتاويل والتجوز وتاويل المتاول بخلاف الفعل فانه
لا يجري فيه مثله مع موافقته للظاهر فلا خفا فيه وكان حكمه اي الفعل لا النبي صلى
الله عليه وسلم كما قيل على الظاهر اجلى بالجيم افعل تفضيل اي اظهر واوضح
عطف تفسير في البيان لكل احد يشاهده في وجوه الاحكام جمع وجه وهو ما يتوجه
منه ويحمل عليه كما يقال في هذا وجهان اي توجيهان وجعله من قبيل لجين الما
او الاستعارة المكنية والتخييلية كما قيل مصروف له عن الظاهر من غير داع له
واكثر فايدة لموجبات بفتح الجيم اي ما يقتضيه التشاجر وهو بضم الجيم مصدر
بمعنى الخصام الواقع في المنازعات والدعاوي من شجر بينهم كذا اذا وقع
وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي اي وقع بينهم من امور اقتضاها الاجتهاد
وانما كان الفعل اظهر لانه مشاهد محسوس وفي الحديث ليس الخبر كالمعاينة
فان الله تعالى اخبر موسى عليه الصلاة والسلام بما فعل قومه بعده فلم يلق
الالواح فلما عاين ذلك القاها رواه الطبراني وغيره وهو حديث صحيح وزعم
بعضهم ان القول اقوى لان الفعل قد يطول فيتاخر البيان ورد بان القول
قد يطول ايضا وليقتدي بذلك الفعل الصادر عنه حكام امته بعده
وليستوثق اي يتمسك بما يوثر عنه اي بما روي او ينتظم وينضبط على القواعد

الشرعية

الشرعية وفيه روايتان احداهما انه مبني للمعلوم بسين مهملة بمعنى انتظم وهو
استفعال من الاتساق قال تعالى والقمر اذا اتسق والثانية انه روي بمثلثة
بعد الوا ومبني للمجهول اي يتمسك بما يوثر عنه اي ينقل نقلا صحيحا ثابتا
وفي بعض الحواشي انه تصحيف وليس كما قال لانه المستعمل من الاول الاتساق
دون الاستفعال فكلاهما صحيح خلافا لمن رد الثاني وينضبط قانون شريعته
وهي القضايا الكلية المنطبقة على جزئياتها فيتعرف منها احكامها حلا وحرمة
وغيرهما ثم اجاب عن سوال مقدر فقال وطوى ذلك عنه اي اخفاه مستعار من طوى
المتاع في صوان له وفيه اشارة لجلالته ونفاسته وانما اخفاه لانه من علم الغيب
المغيب عن غيره الذي استاثر اي انفرد واختص به عالم الغيب عز وجل فلا يظهر
على غيبه احدا من خلقه الا من ارتضى لعله من رسول بيان للمرتضى فيعلمه منه
اي يطلعه على بعضه بما شا بوحي او الهام او فراسة ليكون معجزة له او كرامة
اكرمه الله بها وبما شا اي يختص بما شا مما طوي علمه عن غيره فانه لا يعلم جميع
المغيبات الا الله والرسول في الاية من البشر او رسل الملايكة وفيه كلام ذكرناه
في حواشي القاضي وقد اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على كثير من المغيبات
وحديث حذيفة بن اليمان في الفتن التي تحدث الى اخر الزمان حديث طويل
مشهور وخطبته صلى الله عليه وسلم التي ذكر فيها ما سيقع لامته مذكورة في بعض
كتب الحديث وقد فصله ابن كثير في كتاب الفتن ولا يقدح هذا اي عدم اطلاعه
على بعض المغيبات في نبوته صلى الله عليه وسلم وكونه مرتضى للرسالة ولا يفصم
بالفا والصاد المهملة قالوا هو الكسر من غير ابانة وفسر بالكسر والحل
والثاني انسب بقوله عروة من عصمته والعروة ما يدخل فيه الزر وما يعقد به
شبه عصمته وحفظه بلباس ساتر له عن عري وارد تمسكه بطريق الاستعارة
المكنية المخيلة لان للعصمة جهات يتمسك بها وهو دفع لشبهة وردت وهو
انه صلى الله عليه وسلم اذا حكم بظاهر مخالف للواقع توهم انه مخالف
لعصمته وليس كذلك لانه مامور به لحكمة تقدمت

فصل وأما أقواله

صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة بامور الدنيا التي لا تعلق
لها بالشرع من اخباره عن احواله التي لها تعلق به صلى الله عليه وسلم
في نفسه وساير اموره واخباره عن احوال غيره الدنيوية وما يفعله هو
في المستقبل او فعله فيما مضى مما صدر منه صلى الله عليه وسلم فقدمنا
ان الخلف هو بضم الخا وسكون اللام اعم من الكذب لانه يكون في الامور التي
يعتبر بها بجملة الشايبة فيها ممتنع عليه صلى الله عليه وسلم فلا
يصدر عنه امر يخالف نفس الامر لانه معصوم في اقواله وافعاله في كل
حال من احواله البشرية وعلى اي وجه من وجوه احواله التي يقع عليها
وبينه بقوله من عمد او سهو وصحة او مرض ورضى او غضب فانه صلى الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه وسلم معصوم منه اي محفوظ من الله عز ان يصدر عنه خلف في شيء من اخباره
هذا الامر الذي عصم فيه من اقوال فيما طريقه الخبر المحض اي طريقه التي ورد فيها قوله وخبره
اذا كان من الخبر المحض اي الصريح الذي ليس من قبيل المعاريض التي يراد بها التورية فيما يدخله
الصدق والكذب يعني الخبر فانه ما يحتمل الصدق والكذب في حد ذاته بقطع النظر عن
عوارضه فاما المعاريض جمع معراض من التعريض خلاف التصريح وهو النص الذي يحتمل
التاويل من القول يقال عرفته في معراض كلامه ومعرضه بتغيير الف وفي الحديث ان في
المعاريض لمندوحة عن الكذب الموهم ظاهرها وهو صريح لفظها الموضوع له خلاف
باطنها اي ما خفي منها مما يراد به لقصد التورية مجاز وردها بالتلفظ بها
وتقصد غير ظاهرها منه صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية دون الامور الشرعية
لا سيما لتقدم الكلام عليها وانها استثناء عند النحاة يكون ما بعدها اولى بالحكم مما قبلها
لقصد المصلحة اي اذا كان في اخفا المعاريض مصلحة ومنفعة كتوريته صلى الله
عليه وسلم عن وجه مغازيه اي جهته صلى الله عليه وسلم التي يتوجه اليها
في غزواته فان فيها مصلحة والتورية عندهم ان يكون اللفظ له معنيان قريب وبعيد
فيقصد البعيد وهي تفعلة من الورا كانه وراه لستر المراد منه بابهام غيره لئلا
ياخذ اي يتاهب العدو الذي قصد غزوه حذره بكسر الحا المهملة وسكون الذال المعجمة
فرا مهملة اي يتيقظ لما يحذره ويخافه فلا يفرط فيه وفي البخاري لم يكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها وفي قوله ياخذ حذره
دون يحذر كلام في الكشاف وشروحه وكما اي مثل توريته ومعاريضه في غزواته
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من ممازحته المزاح معروف ويسمى احماضا
ودعابته بضم الدال وبالعين المهملتين وموحدة وهي بمعنى الممازحة
وذكرها لوروده في حديث كان فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وقيل في علي ايضا
لولا دعابة فيه وانما كان يفعله احيانا للبسط امته اي لسرهم وشرح صدورهم
وقد ورد البسط بهذا المعنى في اللغة على طريق التجوز لان المعنى بعقد
اسارير وجهه وعند الفرح يبسطها فيتسع وفي امثال العامة البسط صدقة
وهو البشاشة وطلاقة الوجه وتطييب قلوب المؤمنين من اصحابه وفي نسخة
من صحابته ومن بيانية او تبعيضية اي جعلها طيبة مسرورة وتاكيدا في محبتهم
وفي نسخة تحبيبهم لان المرء انما يمازح من يحبه ويطرح التكلف بينه وبينه
ومسرة نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي
عن انس وصححاه لاحملنك على ابن الناقة وروي عن ابي هريرة ايضا وهو انه
صلى الله عليه وسلم قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه
صلى الله عليه وسلم بما عساه ان يكون ثم قال له انا حاملك على ابن الناقة فسبق
لخاطره من لفظ البنوة استصغاره فقال يا رسول الله ما يغني عني ابن الناقة
فقال صلى الله عليه وسلم ويلك وهل تلد الجمل الا الناقة وانما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك معهم اذهابا لوحشتهم ولما يعلمه صلى الله عليه وسلم
من مهابته في نفوسهم فيؤانسهم بذلك وليعلم الناس حسن الخلق في المعاشرة وما

ورد

ورد من النهي عن المزاح انما هو عن كثرته المفرطة واستعماله مع كل احد في غير محله فكان
صلى الله عليه وسلم يلاعب الاطفال ويمسح الماقي وخدودهم وافواههم والاخبار في هذا
الباب مبسوطة في كتب الحديث وامره صلى الله عليه وسلم مع البدوي الذي كان يسمى
زاهرا مشهور ثم اشار الى بيان ذلك بقوله وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
ابن ابي حاتم وغيره للمراة التي سالته عن زوجها كما اخرجه ابن ابي الدنيا عن زيد بن
اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له ان زوجي
يدعوك فقال لها من هو اهو الذي بعينه بياض فقال لها صلى الله عليه وسلم ما من
احد الا بعينه بياض يعني به البياض المحيط بالحدقة وهي توهمته غشاوة على حدقته
مضرة بالبصر واللفظ يحتملهما والاستفهام تقريري ثم اشار الى بيان ذلك بقوله
وهذا الذي قاله صلى الله عليه وسلم مداعبة كله صدق لان كل جمل ابن ناقة لصدق
الابن على الصغير والكبير وان تبادر منه صغره عرفا وكل انسان بعينه بياض يحيط
بحدقته وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي والطبراني
عن ابن عمر وابي هريرة بسند حسن اني لا امزح ولا اقول الا حقا ولفظ الحديث انهم قالوا
له يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني اذا داعبتكم لا اقول الا حقا فالنهي عنه في
قوله لا تمار اخاك ولا تمازحه وقول عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقول
ابن العاصي يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجترئ عليك محمول
على الكثرة منه في غير محله وعلى غير سنته صلى الله عليه وسلم فمثله مذموم
منهي عنه هذا كله اي ما صدر من ممازحته على وجه الحقية وغيرها فيما بابه
اي نوعه الوارد فيه الخبر اي الاخبار بما له نسبة خارجية كما مر فاما ما بابه غير
الخبر من الانشاء ان مما صورته صورة الامر والنهي المعروفين عند اهل العربية في
الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا القول بضد ورد منه لعصمته ولا يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو صلى الله عليه وسلم
يبطن خلافه فجملة حالية لبراءته من الامر والنهي بخلاف ما عنده وقد قال صلى
الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة
قلب ان تكون فاعل فعل اي ينبغي ان يكون الخ هذا هو الظاهر وكونه مبتدا تكلف
لا داعي له وخائنة مصدر بمعنى خيانة كالعافية وخائنة الاعين ان يضمر في نفسه
غير ما يظهر فاذا اراد اظهاره او ما بعينه ولظهوره من العين نسب لها قال تعالى
يعلم خائنة الاعين اي ما يخون فيه بمسارقة النظر والغمز وخائنة القلب
خيانته فاذا لم يجز له ان يشير بطرفه بخلاف ما في قلبه فكيف بهذا قالوا وهذا من
خصائص الانبياء انهم لا يجوز لهم هذا لما فيه من ارتكاب ما لا يليق بهم وهذا من حديث
رواه الحاكم والنسائي وابو داود وهو انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة
امرهم ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم وامر بقتلهم وان وجدوا
تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري وكان ممن اسلم
وهاجر وصار كاتب الوحي ثم ارتد وذهب لقريش وقال ما بلغه صلى الله
عليه وسلم من انه كان يكتب في الوحي بعض كلامه كما مر وكان اخا عثمان من الرضاع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعينه ثم اتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمان الناس فاستامنه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسكت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم
ما سكت الا ليقوم احد ليضرب عنقه فقال رجل من الانصار هلا اومات لنا يا رسول الله
فقال ما كان لنبي الخ ثم حسن اسلامه وهو احد النجبا الكرما العقلا فان قلت فما
معنى قوله تعالى في قصة زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي كانت خديجة رضي الله عنها
اشترته ووهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بمكة وهو اسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر او عشرين سنة فتبناه صلى الله عليه وسلم
حتى كان يقال له ابن محمد حتى نزل عليه قوله تعالى ادعوهم لابائهم وكان قدم ابوه وعمه
لفدايه فقالوا لرسول الله يا ابن عبد المطلب انتم اهل حرم الله وجيرانه وقد جيناك
في ابن لنا عندك قال من هو قالوا زيد قال فهلا غير ذلك قالوا ما هو قال اخيره
فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فهو لي فدعاه وخيره فاختار رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال انت مكان الاب والعم فقالوا ويحك تختار العبودية على
الفدية والحرية قال نعم قد رايت منه ما لا اختار عليه احدا غيره فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن حضر اشهدوا انه ابني يرثني وارثه الى اخر ما ذكر في السير
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الاية وهذا السوال وارد على قوله
انه صلى الله عليه وسلم لا يامر بخلاف ما في نفسه ولم يتبين منه خائنة قلب
لان قوله امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه مناف له بحسب الظاهر وانعام الله عليه بهدايته
للاسلام وما وسع عليه في الدارين وانعام الرسول عليه باعتاقه عليه الصلاة
والسلام وتقريبه ومحبته له وكانت زوجة زيد زينب بنت عمته عليه الصلاة والسلام
اميمة بنت عبد المطلب وكانت من اجمل النسا واشرفهن فاتى صلى الله عليه وسلم
زيدا لحاجة فلم يجده فوقع نظره عليها فاعجبه حسنها ووقعت في قلبه اعظم
موقع فقال سبحان مقلب القلوب وانصرف فلما جاها زيد اخبرته بذلك ففطن
زيد لوقوعها في قلبه والقى الله في نفسه كراهيتها فقال يا رسول الله اني
اريد مفارقة زوجتي قال له ما رابك منها قال ما رابني منها شي وما رابني صاحبي
منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي وتوذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه
وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فاتى وطلقها فاجاب عنه
الم بقوله فاعلم ايها السايل عن هذه القصة اكرمك الله عز وجل كما اكرمت
مقام النبوة ونزهته عما لا يليق به ولا تسترب اي لا تقع في ريبة وشك في شي من
اموره صلى الله عليه وسلم واصل الريب قلق النفس واضطرابها ثم نقل
للشك وفي الحديث الشك ريبة والصدق طمانينة اي لا تشك في تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر من الاية من انه صلى الله عليه وسلم اخفى
في نفسه امرا لخشية طعن الناس فيه بحبها وارادة طلاقها وامره بامساكها
وهو يريد خلافه كما قال وان يامر زيدا بامساكها في عقد نكاحه ولا يفارقها
وهو صلى الله عليه وسلم يحب تطليقه اياها لتزوجها كما ذكره جماعة من المفسرين

بانه

بانه اظهر خلاف ما في نفسه وامر بما لم يرده وانه خشي قالة الناس فيه كما نقل بعضهم عن قتادة
وابن عباس وهو غير لايق بمقامه واصح ما قيل في هذا الامر المذكور في هذه الاية ما حكاه بعض
اهل التفسير وفي نسخة رواة التفسير عن زين العابدين علي بن حسين بن علي بن ابي
طالب رضي الله عنهم وقيل المراد به علي بن الحسين بن طلحة بن ابي طالب احد الشيعة ان الله كان
قبل وقوع هذه القصة اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب بنت جحش ستكون من
ازواجه امهات المومنين بعد ما تزوجها زيد وهي تحت نكاحه فلما شكاها اليه زيد بانها
تتعظم عليه لشرفها وهو من الموالي قال له امسك عليك زوجك لانه فهم من شكايته
انه سيتاذنه في طلاقها واتق الله فلا توذها بوصفها بالتكبر وطلاقها بلا سبب
واخفى منه اي من زيد في نفسه لم يصرح له به حيا منه ان يطلع الناس على انه سيتزوجها وان
لم يكن فيه امر مستقبح وانما كتم سره وما اعلمه الله به من انه سيتزوجها وفي نسخة سيزوجها
الله له مما الله تعالى مبديه ومظهره بابرازه في الخارج بتمام التزويج وطلاق زيد
لها كما قال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم الاية قال
ابن العربي فان قلت فلم قال له امسك عليك بعد ما اخبره الله بانه سيزوجها له
قلت ليعلمه ما لم يعلمه من كراهية زيد لها ورغبته في طلاقها حتى لا يبقى في نفسه
شي منها وعلى هذا التفسير لم يبق اشكال في القصة اصلا وروي نحوه عن عمرو بن
فايد بفا والف وهمزة ودال مهملة وفي الاكمال انه بالفا والقاف وذكره الذهبي فقال
عمرو بن قايد الاسواري وقال الدارقطني وغيره انه ضعيف متروك الحديث معتزلي
قدري لا يقيم الحديث وهو بصري يكنى ابا علي قال البرهان وهو في النسخ التي وقفت
عليها بالقاف وفيه نظر عن الزهري بن شهاب كما تقدم قال نزل جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم يعلمه مضارع من الاعلام ان الله يزوجه زينب بنت جحش وقيدها
ببنت جحش ليخرج غيرها فان من امهات المومنين زينب اخرى هي بنت خزيمة ام
المساكين فذلك هو الامر الذي اخفى في نفسه لاستحيايه من اظهاره ويصحح هذا الذي
رواه الزهري قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا في اخر الاية وكان امر الله مفعولا
لافادته انه امر اراده قبل ذلك ونفى عنه الحرج في تزويج منكوحة من تبناه
لانه ليس كالولد الحقيقي اي لا بد لك ان تتزوجها لانه قدره ازلا وانما تزوجها
لحكمة رتب عليها احكاما شرعية ويوضح هذا الامر الذي قرره المفسرون ان الله لم يبد
اي لم يظهر من امره اي من شانه صلى الله عليه وسلم في هذه القصة معها اي مع
زينب رضي الله عنها غير زواجه لها اي تزوجه اياها فدل ما ابداه الله من امره
على انه اي تزوجها له بامر الله هو الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه
لانه اخفى في نفسه غير ما امر الله به وانما الذي اخفاه شي مما اعلمه الله به
لا غيره مما توهموه فانه تعالى لم يبد شيا غير زواجه لها فدل على انه هو
الذي اخفاه كما تقرر ولو كان امرا اخر لابداه وما في الكشاف من قوله فان
قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد ان افارقها وكان من
الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت الذي اراده تعالى منه ان
يصمت او يقول له انت اعلم بشانك انتهى نزغة اعتزالية في تعلق الارادة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاحد زها وقوله تعالى في القصة اي قصة زينب المذكورة ما كان على النبي من حرج الاية
فيما فرض الله له سنة الله والحرج في الاصل الضيق واريد به الاثم اي لا اثم عليك فيما
قدره لك ووسع عليك في امر النكاح وسنة الله منصوب على الاغرا او هو مصدر لفعل
علم من السياق اي سن ذلك سنة وطريقة شرعية كانت لمن قبلك من الانبيا في تزويج
من تريد او في تعدد المنكوحات وكثرتها كما وقع لداود وسليمان وغيرهما من الرسل
وفرض بمعنى قضى وقدر لا من الفرض مقابل السنة ففي ذكره مع السنة تورية وطباق بليغ
فيه من اللطف ما لا يخفى حسنه فدل ما ذكر من قوله ما كان على النبي من حرج على انه لم يكن عليه
صلى الله عليه وسلم حرج اي تضييق ولا اثم يقتضي العتاب عليه في الامر الذي فعله
وقد قدره الله له واعلمه به وقال الطبري محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته ما كان الله
اي ما فعل وقدر ان يؤثم نبيه عليه الصلاة والسلام اي يوقعه في اثم وذنب
فيما احل مثال فعله اي احل مثله لمن قبله من الرسل يعني ان الاية دالة على ان ما فعله
لا اثم فيه لانه قال تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي مضوا وتقدموا
اي من قبلك من النبيين فيما احل لهم فلما قال ان ما فعلته من سنن الانبيا الذين
قبلك دل على انه امر مشروع لا اثم فيه فدلت الاية على بطلان غير ما قيل لدلالة
الاية عليه بصريحها ظاهرا ولو كان الامر على خلاف ما ذكر وتفسير ما اخفاه بما ذهب
اليه غيره على ما روي في حديث عبد بن حميد عن قتادة وقوله فيما نقل عنه من
وقوعها اي زينب رضي الله عنها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي انه لما
راها وقعت في قلبه موقعا عظيما لشغفه بها عند ما اعجبته بحسنها الذي
راعه ومن محبته طلاق زيد لها ليتزوجها لتعلق قلبه بمحبتها لكان فيه اعظم الحرج
اي الاثم غير اللائق به والضيق على زيد بارادته مفارقة منكوحته وحاشاه من مثله
ولكان ايضا فيه ما لا يليق به اي لا يحسن صدوره منه ولا ينبغي له من مد عينيه
الى ما نهي عنه اي عن طلبه وتمنيه ومد العين اطالة النظر حتى لا يرده ه
لاستحسانه له فهو تعبير مصاف او تجوز في العين وهو كناية عن تطلب
الامر وارادته ارادة قوية وبين المنهي عنه بقوله من زهرة الحياة الدنيا
اي زينتها وزخرفها وبهجتها وهذا اشارة الى ما وقع في القران العظيم
تمثل به لانه نزل لما وردت سبع قوافل من بصرى فيها طيب وامتعة نفيسة
فقال المسلمون لو كان لنا هذا لتقوينا به وانفقناه في سبيل الله فانزل
الله عليه ولقد اتيناك سبعا من المثاني الاية اي هذه خير لكم من القوافل
السبع فلا تمدوا اعينكم نحوها وكل هذا لا يليق بمقامه وزهده في الدنيا
فما قيل من ان مجرد وقوعها في قلبه صلى الله عليه وسلم من غير ان يبدو
منه شي لا اثم فيه وكذا محبته وميله لطلاقها من غير تكلم به لا اثم فيه فكيف
يكون اعظم الحرج فيه نظر ولكان هذا اي لو كان ما اخفاه صلى الله عليه وسلم
في نفسه تعلق ما اعجبته زينب وارادة ان يطلقها اي لو صح هذا لكان من الحسد
المذموم لان الزوجة الحسنا نعمة من الله لزيد خصها بذلك من يريد والطاعنة
وقيد بالمذموم لان الغبطة حسد غير مذموم لان معناه ان يتمنى ان يكون له

عوضي

نعمة

نعمة كنعمة غيره من غير تمني زوالها وهذا في امور الدنيا لا في الدين وابلغ الحسد
تمني زوال نعمة لغيره لا تحصل له الذي لا يرضاه صفة الحسد ولا يتسم به اي لا يتصف
به من الوسم وهو العلامة والمثلها ان تكون بكي ونحوه كما مر الانبيا تنازعه برضي
ويتسم فكيف بسيد الانبيا الذي هو اعظمهم واشرفهم نفسا صلى الله عليه وسلم
والاستفهام للتعجب انكاري والمراد به استبعاد صدور الحسد منه ومنهم صلى الله عليه
وعليهم وسلم قال القشيري عبد الكريم بن هوازن صاحب الرسالة الامام المفسر
الزاهد شيخ المتصوفة ورأس الشافعية المشهور وهذا المنقول عن قتادة من انه
صلى الله عليه وسلم راها فاعجبته واراد طلاقها اقدام من قائله او لا دون حاكيه
عنه اي جراة على مقام النبوة وقلة معرفة بل عدم معرفة بحق النبي صلى الله عليه
وسلم الذي يجب ان يعتقد فيه وبفضله اي زيادته على غيره في الشرف وعلو الرتبة
عن امور الدنيا وكيف يقال انه صلى الله عليه وسلم راها فاعجبته مما يقتضي انه
لم يرها قبل ولا يعرفها وهي بنت عمته عليه الصلاة والسلام لانها بنت اميمة
بنت عبد المطلب كما مر ولم يزل يراها منذ ولدت الى ان بلغت وهو صلى الله عليه
وسلم يعرفها ويعرف حسنها وكيف لا يعرفها ولا كان النسا ولو اجنبيات يحتجبن
منه صلى الله عليه وسلم لمعرفتهن بعفته وعصمته وهو الذي زوجها لزيد
مولاه رضي الله عنه وانما جعل الله طلاق زيد لها اي لزينب بعد ما زوجها
له وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها بما قدره وامره به كما تقدم لحكمة
ولهذا لم يتزوجها قبل زيد ليعلمهم حكما شرعيا وهو ما اشار اليه بقوله لازالة
حرمة التبني اي اتخاذ ابن غيره ابنا له لئلا يظن الناس انه يحرم تزوج حليلة من
تبناه كما يحرم بين الاب وابنه الحقيقي حليلة كل على الاخر وابطال سنته اي الطريق
الجارية بين الناس في جعل التبني ابنا حقيقة يحرم منه ما يحرم منه كما كان في الجاهلية
وما قيل من ان القول الذي رده المص ثابت بالنقول الصحيحة ثم فسره بما ارتضاه
المص تخليط لا حاجة للاطالة به الا ان ايمة الشافعية قالوا انه من خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه يجوز له النكاح بغير الرضى وانه اذا رغب في نكاح امراة
لزم اجابته وحرم على غيره خطبتها فان كانت تحت زوج وجب عليه طلاقها لانه
يجب على كل احد ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه
واهله وولده كما قاله العراقي وقال ابن حجر في شرح البخاري الذي صح بالادلة
القوية ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر
اليها كما كان يدخل على ام حرام وينام عندها وتغسل راسه وهي اجنبية منه
وكان صلى الله عليه وسلم زوج زيدا زينب كما مر وساق مهرها من عنده
وكانت هي واخوها يابيان ذلك لشرف النسب وقرابة النبي صلى الله عليه وسلم
وكان لها رضي الله عنها حدة وشهامة كما قال تعالى في بيان هذه القضية
وما فيها من الحكم ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي ليس ابا حقيقيا لاحد
منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر وابنه ابراهيم مات
صغيرا لم يبلغ سن الرجولية ومن جوز ان يقال له ابو المومنين كما يقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لنسائه امهات المؤمنين فانما هي ابوة شفقة وتعظيم وكان زيد رضي الله عنه يقال له ابن
محمد فلما نزلت الاية لم يقل له ذلك فعوضه الله عنه بذكر اسمه في القران المتلو في المحاريب
ولم يقع هذا لغيره من الامة واما الحسن والحسين رضي الله عنهما فليست بنوتهما
حقيقية كما لا يخفى فلا يثبت لاحد حكم البنوة الحقيقية منه صلى الله عليه وسلم ولذا
قال الله عز وجل في هذه الاية لكيلا يكون على المؤمنين حرج اي تضييق في امر النكاح
وهو تعليل لقوله زوجناكها اي شرعنا لك ذلك تزويجا على الامة لا خاصية لك في
ازواج ادعيائهم جمع دعي بمعنى مدعو وهو من يلصق نسبه بنسب غيره وليس بينهما
بنوة حقيقية وقوله اذا قضوا منهن وطرا بالتزوج والنكاح ونحوه اي مثل ما ذكر
وبمعناه معز ولابن فورك تقدمت ترجمته وقال ابو الليث السمرقندي تقدم بيانه
ايضا فان قيل اذا كان الله قدر له صلى الله عليه وسلم تزوجها ورضيه له فما
فائدة امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها لقوله امسك عليك زوجك
فهو ان الله اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته صلى الله عليه وسلم
فنهاه اي نهى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا عن طلاقها واخراجها من زوجيته
اذ لم يكن بينهما اي بين زينب وزيد وهو تعليل لنفيه الالفة اي محبة لانها
لم ترض نكاحه لشرفها وكانت تطيل لسانها عليه فالقى الله في قلبه كراهتها حتى احب
فراقها ليقضي الله امرا كان مفعولا واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه قدر لها
نكاحها له وامره به فلما طلقها زيد خشي صلى الله عليه وسلم قول الناس باعتبار
ما اعتادوه في الجاهلية انه يتزوج امراة ابنه لتوهمهم ان التبني كالبنوة
الحقيقية واما خشيه وهو لا اثم فيه كراهة القيل لمن لا يعرف حقيقة الحال
كما هو حقيقة الاشراف فامره بزواجها ازالة لما يخشاه ليباح ذلك لامته اقتداء
به صلى الله عليه وسلم توسعة عليهم كما قال لكي لا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم فنفى عنهم الحرج لينفيه عنه بالطريق الاولى تطييبا لنفسه
صلى الله عليه وسلم وازالة لطعن الجهلة وحاصل تاويل ما وقع في هذه القصة
مما يخالف ظاهره ما يقتضيه مقامه لامره بما يريد خلافه ومحبته لها وهي تحت
نكاح غيره فاشار الى الجواب عما ذكر وقد قيل كان امره صلى الله عليه وسلم لزيد
بامساكها قمعا للشهوة اي منعا لها وزجرا لها يقال قمعه فانقمع اذا كفه ورده
والشهوة ميل النفس لما تستلذه ورد للنفس عن هواها اي عما تهواه من الصور
الجميلة وحكاه بقيل اشارة الى انه غير مرضي عنده فلا وجه لاستحسانه لانه
صلى الله عليه وسلم لم يكن في نفسه هوى وحاشاه من مثله وهذا اذا جوزنا
عليه صلى الله عليه وسلم انه راها فجاة واستحسنها لاسيما وقد مر انه صلى الله
عليه وسلم كان راها قبل وكان يعرفها ويعرف جمالها الا انه ليس بمنكر ولذا
قال ومثل هذا القيل على ما فيه لا نكرة فيه اي لا تنكر صحته في الجملة والنكرة
ضد المعرفة في اصطلاح النحاة واشملها كل ما لا يعرف فنقل وخص لما طبع
عليه ابن ادم من استحسانه الحسن من الصور وغيرها مما يشاهد وغيره ونظرة
الفجاة اي النظر الذي وقع بغتة من غير قصد والفجاة بضم الفاء والمد ويجوز

قصه

قصة بضم وسكون والفجاة بالفتح المرة منه معفو عنها اي لا حرج فيها ولا اثم لانها لم تقصد
وهو جواب عن سؤال تقديره كيف تطمح صلى الله عليه وسلم لغير محرم مشتهي ثم قمع نفسه
عنها بصيغة الماضي ويجوز ان يكون مصدرا وكذا في قوله وامر زيدا بامساكها في نكاحه
وتقوى الله فيها لتجد ذكر ما يعيبها وانما ينكر تلك الزيادات التي ذكرها بعض المفسرين
في القصة من انه تعلق قلبه صلى الله عليه وسلم بها واراد ان يطلقها واخفى ذلك
في نفسه ونحوه مما لا يليق بنزاهته والتعويل اي المعول عليه المعتمد في هذه القصة
على ما ذكرناه وهو القول الذي ارتضاه والقول بانه لا باس فيما قالوه لا وجه له
وهو الاولى وان جاز غيره لكنه لا يناسب مقامه وان كان جائزا فتنبه ما ذكرناه عن علي
ابن الحسين وهو الامام زين العابدين كما تقدم وحكاه السمرقندي في تفسيره كما
تقدم وهو قول ابن عطا رحمه الله وتقدمت ترجمته وصححه اي جزم بانه القول
الصحيح واستحسنه القاضي القشيري لما فيه من صيانة مقام النبوة عما لا يليق
واعتمده وعليه عول ابو بكر بن فورك تقدم ضبطه في ترجمته مع ما فيه وقال
انه اي هذا القول الذي اعتمده معنى ذلك اي المذكور في هذه الاية والقصة
عند المحققين من اهل التفسير قال اي ابن فورك رحمه الله والنبي صلى الله
عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك اي عن ان يظهر امرا في نفسه خلافه
وان كان امرا جائزا له والنفاق في الاصل معناه الاخفا ماخوذ من نافقا اليربوع
وهو جحره الذي يخفيه ثم نقل في الشرع لاخفا الكفر واظهار الاسلام واستعمل
بعد ذلك استعمالا شايعا لاخفا كل امر لا يرتضى ومنه الحديث ثلاث من كن فيه
فهو منافق وعد منها الكذب وغيره كما صرح به فلذا قال واظهار خلاف ما في نفسه
فهو عطف تفسيري موضح لما اراده فلا وجه لما قيل انها عبارة مستبشعة الى اخر ما
اطال فيه من غير طايل نعم لو تركها كان احسن لكنه حكاها عن غيره فلا عهدة عليه
فيها ومراد ابن فورك التغليظ على قائل هذه المقالة وتغليطه بان من يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم مثل هذا مثل من يجوز عليه الكفر والنفاق والمعتزض لم
يقف على مراده وقد نزهه الله عز وجل عن ذلك الذي قاله بعض المفسرين بقوله
تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي قضى وقدر من تزويجه صلى
الله عليه وسلم زينب فهذا صريح في رد ما قاله بعض المفسرين وصريح فيما
ارتضاه قال ابن فورك ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم اي انه وقع
في قلبه محبتها وارادته ان زيدا يفارقها واخفى ذلك في نفسه فقد اخطا خطا
فاحشا ولذا اجعل لمن نسبه له كنسبة النفاق له صلى الله عليه وسلم والتعبير به
للتشنيع على قائله وبعد تنزيهه عنه كيف يعترض عليه كما قيل
وما آفة الاخبار الا رواتها قال ابن فورك وليس معنى الخشية هنا بمعنى في قوله
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه الخوف بل معناه المقصود هنا وفي نسخة
معناها اي الخشية وعلى الاولى الضمير للفظ المذكور الاستحيا اي يستحيي منهم
اي من الناس ان يقولوا تزوج زوجة ابنه اي من تبناه وهو زيد وهذا اعني
قوله وعليه عول ابن فورك الى هنا سقط من بعض النسخ واستحياؤه لشرفه المقتضي

ابن فورك

ابن فورك

ان لا يسمع مقالة من احد وان لم يرض شرعا وتدنس عرضه وان خشيته اي استحياؤه
صلى الله عليه وسلم انما كان من ارجاف المنافقين واليهود اي اشاعة ما هو باطل
بزعمهم واصل الرجف الاضطراب وايقاعه اما بالفعل واما بالقول ويقال
الاراجيف ملاقيح الفتن كما قلت

السن الناس اذا ما انطلقت ... فهي بذر للبلايا والمحن
فاحذر الالسن مهما انطلقت ... فالاراجيف ملاقيح الفتن

وتشغيبهم من الشغب بغين معجمة ساكنة ومفتوحة وهو ما يؤدي الى
الشر من الاكاذيب على المسلمين بذكر ما ينقص نبيهم صلى الله عليه وسلم
فان ما يسوؤه يسوؤهم بقولهم تزوج زوجة ابنه لزعمهم انه غير جائز كالابن
الصلبي جهلا منهم وتعصبا بعد نهيه اي تحريما عن نكاح حلائل الابنا
جمع حليلة وهي الزوجة المنكوحة تلبيسا منهم بجعل المتبنى كالابن
الحقيقي وقد قال تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم كما كان اي وقع
من اراجيفهم وتشغيبهم فعتبه الله على هذا عتب محبة وتسلية لعدم
فنجه وتنزهه عن الالتفات اليهم والاعتداد بمقالتهم فيما احله له وقدره
من هذا النكاح من غير حرج فيه وهذا العتاب كما عتبه على مراعاة مرضي
ازواجه النازل ذلك العتب في سورة التحريم بقوله تعالى يا ايها النبي لم
تحرم ما احل الله لك الاية تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم كذلك
قوله هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فيما اخفيته مما الله مبديه ونحو
ذلك بلا حرج اي انه مثله في انه عتب ملاطفة وتسلية على ما استحيى منه لشرف
مقامه صلى الله عليه وسلم عن ان يصل اليه غبار الاوهام وقد روي عن الحسن
البصري رضي الله عنه اي رواه الترمذي وصححه وقدمه على قوله وعائشة
رضي الله عنها لانه هو الذي رواه عنها فقدمه على عادة الاسانيد فلا يقال
كان ينبغي تقديمها عليه لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي
اليه بمعاتبته لكتم هذه الاية اي اية التحريم لاية زيد وزينب كما قيل لانها
علة للكتم من عتبه صريحا وابدا اي اظهار ما اخفاه مما جرى بينه وبين ازواجه
فيهما وهذا الحديث فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يحب العسل والحلوى
فدخل على حفصة رضي الله عنها ومكث عندها اكثر من عادته فسال عنه
فقال اهدي لها عكة عسل فسقته منه فاتفقن على ان يقلن له نجد منك
رائحة المغافير وهو شيء كريه الرائحة اذا رعته النحل اثر في عسلها فقال
لا اعود له بعد هذا والقصة مفصلة في كتب التفسير والحديث

فصل فيما وقع له صلى الله

عليه وسلم في مرض موته مخالفا لما قدمه فان قلت سائلا عما
يخالف ما قررته قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله
في جميع احواله واوقاته وانه لا يقع منه فيهما اي في اقواله خلف اي

مخالف

مخالف للواقع ولا اضطراب اي اختلاف وتناف فهي كلها متساوية لا تختلف في جد وقصد
ولا سهو ونسيان ولا صحة في بدنه ولا مرض بتغير مزاجه الشريف ولا جد هو ضد الهزل
ولا مزح كما تقدم ولا رضى على غيره ولا غضب لوقوع ما لا يرضاه الله فما معنى
الحديث الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين في وصيته لاصحابه في
مرض موته الذي حدثنا به الشهيد ابو علي بن سكرة كما تقدم قال حدثنا القاضي
ابو الوليد الباجي وتقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا ابو ذر الهروي وقد
تقدم ايضا قال حدثنا ابو محمد بن حمويه السرخسي وابو الهيثم الكشميهني
كما تقدم ايضا وابو اسحاق المستملي وقد تقدم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو الامام البخاري قال
حدثنا علي بن عبد الله ابو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن المديني
الحافظ الامام العظيم روى عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي في سنة اربع وثلاثين
ومائتين وعمره ثلاث وسبعون والمديني بالياء نسبة لمدينة الرسول عليه الصلاة
والسلام قال ابن الاثير وهو في الاكثر يقال مدني والنسبة لمدائن اخر نحو سبعة
وفي الصحاح المدني نسبة لمدينة الرسول والمديني نسبة للمدينة التي بناها المنصور
وقال ابن الصلاح في المسلسل المديني نسبة الى مدينة اصبهان المسماة بجي
وقد تقدم الكلام فيه ايضا والمديني هذا له ترجمة في الميزان كما قاله البرهان
قال حدثنا عبد الرزاق بن همام الحافظ وقد تقدم عن معمر بن راشد بفتح
الميمين كما تقدم وهذا هو الصواب وما في بعض النسخ من قوله عبد الرزاق
عن همام خطا لان عبد الرزاق عن همام خطا لا يروي عن همام واسم ابيه همام
ويروي عن معمر عن الزهري محمد بن شهاب كما تقدم عن عبيد الله بن عبد الله
بحر العلم ابن عتبة الاعمى احد الفقهاء السبعة مشهور توفي في سنة ثمان ومائة
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتضر بالبناء للمفعول بمعنى حضره الموت وظهرت علاماته وهو محتضر اسم
مفعول بمعنى ذي موته وهو المراد ويقال لمن به مس من الجن وكان هذا يوم
الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بايام والحديث صحيح رواه البخاري
وغيره واحتضر يكون متعديا ولازما فيقال احتضره بمعنى حضره وفي
نسخة حضر والصحيح الاول وفي البيت يعني بيته صلى الله عليه وسلم رجال
من كبار الصحابة وقرابته رضي الله عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا
اي اقبلوا علي واصل معناه تعالوا وهذا اعلى من يلحق به الضمائر من تميم
واهل الحجاز يستعملونه مفردا مبنيا على الفتح للواحد المذكر وغيره قال
تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا بالبيان ما يهمكم في دينكم
ودنياكم حتى لا يقع بينهم اختلاف بعده والمراد امر بكتابته وجوز
بعضهم حمله على ظاهره وانه صلى الله عليه وسلم يكتب بيده وذلك معجزة
له وتقدم ما فيه مرارا لئلا تضلوا اي لا يقع منكم امر تضلون به بعده
اي بعد كتابته والعلم بما فيه والعمل به فقال بعضهم هو عمر رضي الله عنه

عمر رضي الله عنه كما سياتي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه اي اشتد وقوي
عليه الوجع اي الم مرضه وهذا هو محل الشبهة والسوال لانه يقتضي انه صلى الله
عليه وسلم في حال مرضه قد يصدر عنه ما يخالف الواقع وقد تقدم انه معصوم
في مرضه وصحته وساير احواله والحديث في رواية اخرى لهذا الحديث ائتوني اي
احضروا ما يكتب فيه اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا وهذه اكد من الاولى لقوله
فيها لن وابدا فتنازعوا اي وقع بينهم نزاع واختلاف في مجلسه صلى الله عليه وسلم
هل يكتبون ام لا فقالوا كما في البخاري ما له اهجر من الهجر بالضم وسياتي بيانه
قيل انه ظهر لعمر رضي الله عنه ان ما اراد كتابته ما فيه ارشادهم للاصلح وما لم
يجب لانه صلى الله عليه وسلم لم يترك مما يجب تبليغه شيئا وقد قال تعالى
ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل انه اراد كتابة امور شرعية على وجه يرفع الخلاف
بينهم وقال سفيان اراد ان يبين امر الخلافة بعده حتى لا يختلفوا فيها وياتي
في كلام المصنف حكاية غير منسوب ويؤيده ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال في اول مرضه لعايشة ادعي لي اباك واخاك اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى
متمن ويقول قايل ويابى الله عز وجل والمومنون الا ابا بكر واٴيد الاول
بقول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله وهو شاهد لهذا ايضا وقال الخطابي انما
ذهب عمر الى انه لو نص على شيء او اشياء بطلت اقوال العلماء والاجتهاد ورده ابن
الجوزي بانه لا يلزم ما ذكر لان الحوادث لا تنحصر وقال انما اراد عمر ان ما يكتبه في
المرض ربما يجد المنافقون سبيلا للكلام فيه وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم
اوتي جوامع الكلم فيجوز ان يكتب ما يشمل جميع الاحكام ويستخرج منه بسهولة
حتى لا يحتاج لاجتهاد مجتهد وتخريج عالم وهو معصوم من ان يقول في مرضه
ما يطعن فيه طاعن لاستقامة ذهنه في ساير احواله لا وجه له ولفظ الحديث
كما في البخاري لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه المرض وعندنا القران
حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم
كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف
قال قوموا وكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لاختلافهم ولغطهم وقال الشهرستاني
انه اول اختلاف وقع في الاسلام استفهموه اي قولهم اهجر بهمزة الاستفهام
الانكاري للهجر بضم الهاء استفهموا من توقف في امتثال امره بالكتابة اي
ايصدر عنه هجر وهو الهذيان وما يقبح من القول وهو صلى الله عليه وسلم
معصوم منزه عن مثله في ساير احواله وقال الراغب يقال هجر واهجر اذا
تكلم من غير قصد وقيل المراد استخبروه عما اراده اتركه اولى ام لا فقال صلى
الله عليه وسلم دعوني اي اتركوا النزاع عندي واللغط فانه لا ينبغي ان
يقع مثله عند نبي من امته فان الذي انا فيه من مراقبة الله والتاهب للقايه

واستنظار

واستنظار مثله الداعي لي للرفيق الاعلى خير من الاشتغال بامورك واستماع كلامكم
ولغطكم وفي بعض طرق اي طرق هذا الحديث المروية عنه فقال عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم يهجر بفتح اوله وضم ثالثه اي ياتي بهجر من القول وهو على تقدير الاستفهام
الانكاري وليس من الهجر بمعنى ترك الكتابة والاعراض عنها كما قيل وهذه رواية الاسماعيلي
من طريق رواية ابن خلاد عن سفيان وفي رواية كما في البخاري هجر مما من بدون استفهام
ويروى اهجر بالاستفهام والصعد والرفوع ويروى اهجرا بالاستفهام ونصب المصدر
اي الهجر هجرا بضم الهاء وفيه اي في هذا الحديث فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد
اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا بالبناء على الضم اي كافينا عن غيره مصدر بمعنى
اسم الفاعل اي محسب وكاف لنا وفي نسخة حسبنا اي هو كافينا وكثر اللغط وهو ارتفاع
الاصوات واختلاطها حتى لا تكاد تفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا
وابعدوا عني اراد ذهابهم من مجلسه حتى لا يشتغل بهم عما هو فيه وفي رواية
في الصحيح ايضا واختلف اهل البيت اي من كان في بيته صلى الله عليه وسلم من الصحابة
اذ ذاك او اقرباوه منهم كابن عباس رضي الله عنهما واختصموا اي نازع بعضهم بعضا
فمنهم من يقول قربوا الكتابة او الكتاب يكتب لكم بالرفع والجزم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابا لن تضلوا به فتهتدوا اي يامر بالكتابة ومنهم من يقول ما قال
عمر من قوله حسبنا كتاب الله شفقة وحكمة علمها ولذا لم ينكر عليه قوله كما سياتي
والروايات كلها تدل على انه استفهام ملفوظ او مقدر لكنهم اختلفوا في هاء
اهي مضمومة او مفتوحة والاول هو المشهور ولابن قرقول فيه كلام وقد افرد
بعضهم هذا الحديث بالتاليف مستقل له وفي بعض الحواشي ما يدل على انه يجوز
في هاء الهجر الضم والفتح وليس ببعيد ان ساعدته الرواية وفي كلام المصنف
ما يوافقه قال ايمتنا المالكية او الاشعرية او ايمة الحديث بل ايمة العلماء
في هذا الحديث المروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم
من الامراض التي تطرو عليه في ظاهر جسمه دون باطنه اذا لم تكن منفرة وما يكون
من عوارضها اي ما يعرض معها من الالام والتغيرات من شدة وجع يولمه
وغشي اي اغما خفيف ونحوه مما يعرض على جسمه وهو معصوم عن ان يكون
اي يوجد منه من القول اثناء ذلك اي في خلاله وما يتخلل منه وهو جمع ثني كما تقدم
ما يطعن في معجزته اي يقدح فيها من مخالفتها للواقع ويودي الى فساد في شريعته
لتطرقه للشك في اخباره واحكامه من هذيان اي كلام غير مفيد او اختلال في كلام
كما في غيره ومخالفته الواقع والعقل لنزاهته صلى الله عليه وسلم وعصمته
وكماله في جميع حالاته كما شوهد منه في مرضه الى ان سلم روحه الشريف
لمالكها وعلى هذا الامر الذي قررناه من عصمته في اقواله ونزاهته لا يصح رواية
من روى هجر بدون استفهام من الهجر بالضم والفتح اذ معناه هذى اي
تكلم بكلام كثير لا فائدة فيه ولا انتظام فقابله ممن لا يعرف قدره عليه
الصلاة والسلام لخلل في دينه او عقله او لقرب عهده بالاسلام فتوهم انه
يعرض له صلى الله عليه وسلم من المرض ما يعرض لغيره من تخليطه في كلامه

لخلل في عقله وحاشاه من مثله وتقدم هجر يهجر كنصر ينصر هجرا بفتح اوله وسكون
ثانيه كما في بعض الشروح وسياتي ما فيه اذا هذا بالذال المعجمة من الهذيان واهجر
مزيد كاكرم هجرا بضم اوله وبوزن قفل وهو اسم مصدر ومصدره الاهجار اذا
افحش اي تكلم بكلام قبيح عن قصد والاول بغير قصد والهجر بفتح الهمزة مزيد هجر كاكرم
وما في بعض الشروح انه بضم اوله وسكون ثانيه سهو من الناسخ وصوابه بفتح اوله
تعدية هجر اي ثلاثيه تعدى بالهمزة وقد قيل عليه ان هجر واهجر لازمان وصوابه
هجر واهجر بمعنى سوا الا ان يريد بتعديه تعديه عن الحد فيه وتجاوزه وهو
بعيد انتهى وما ذكره هو الذي يقتضيه كلام اهل اللغة واما الاصح اشارة
الى رد ما قبله وقد قيل عليه انه غير مسلم لانه ان اراد رده بحسب الرواية
فهو غير صحيح لانه ثابت في صحيح البخاري وان اراد بحسب المعنى فكذلك لانه
يقدر فيه همزة الاستفهام وحذفها كثير في كلامهم كقوله وتلك نعمة تمنها علي اي
اوتلك الخ وقول الشاعر

فوالله ما ادري وان كنت داريا • بسبع رمين الجمر ام بثمان

وكذا ان يجيب عنه بان مراده انه غير صحيح ان لم يقدر الهمزة وقوله والاولى
اي انه قدرت لان الاصل خلافه ولولا هذا لم يصادف قوله الاصح والاولى محزه
اهجر يعني بهمزة الاستفهام الانكاري حتى لا ينسب له ما لا يليق بمقامه وقايله قاله
على طريق الانكار على من قال لا نكتب ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتابته لانه لا يجوز مخالفته كما تقدم في كلام ابن عباس ردا على من اباه وعلله
بشدة وجعه وهو معصوم في مرضه وصحته والقايل لا يكتب عمر رضي الله عنه
والراد عليه بقوله اهجر بعض الصحابة ووجه ما قاله عمر ما تقدم وسياتي
تتمته وهكذا رويناه في صحيح البخاري اي ثبت عنده روايته بهمزة الاستفهام
ملفوظة عن مشايخه ثابتة من جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم ذكره قبل
وفي حديث محمد بن سلام هو الامام الحافظ الذي روى عنه البخاري وغيره
وتوفي سنة خمس وعشرين وثلاثماية وسلام بتخفيف اللام عند الاكثر كما قاله
الذهبي والمزي وغيرهما وجوز بعضهم تشديدها ايضا وعند بعضهم انهما
اثنان فالكبير منهما بالتخفيف والصغير بالتشديد وهو محمد بن سلام بن السكن
البيكندي وعلى كل حال فالاصح في هذا عندهم التخفيف عن ابن عيينة يعني
به سفيان لان اولاد عيينة عشرة منهم خمسة اشتهروا بالعلم والحديث
وخمسة لم يشتهروا بذلك ولذا قال ابن الصلاح انهم خمسة واكبرهم واشهرهم
سفيان وكذا ضبطه الاصيلي بهمزة وفتحات بخطه في كتابه يعني به صحيح
البخاري الذي رواه وضبطه نقله كما ذكر والاصيلي تقدم بيانه واصيل
بلد بالاندلس وكذا ضبطه بخطه غيره اي غير الاصيلي ممن روى البخاري
وكتبه ممن يعتمد عليه من هذه الطرق اي طريق الزهري وغيره وكذا
رويناه عن مسلم كما رواه البخاري في حديث سفيان بن عيينة يعني
في روايته ورويناه ايضا عن غيره اي غير مسلم فصح عنه من طرق بثبوت

دجي

دجي

تلمساني

الهمزة

الهمزة فيه ردا وانكارا على من ابى الكتابة اي الحيلة كغيره ممن يصدر عنه وهو صلى الله
عليه وسلم منزه عنه وقول عمر رضي الله عنه انما هو رد على من نازعه لا رد على النبي
صلى الله عليه وسلم كما يعلم مما ياتي وقد يحمل عليه اي على هذه بجعله بمعناه رواية
من رواه هجر بدون همزة فيجعل على حذف الف الاستفهام يعني الهمزة لانه يطلق عليها
الف كما في المغني وغيره والتقدير على هذا اهجر وحذفها وتقديرها جايز كما تقدم
والقرينة على حذفها عقلية للعلم بعدم اتصافه صلى الله عليه وسلم بمعناه او ان
يحمل ويوجه قول القايل هجر بغير استفهام او اهجر بالهمزة والاستفهام مما لا يتوهم
فيه اذ اثبتت هذه الروايات فاما صدرت منه دهشة اي حيرة تذهل من امر عظيم
يبغته من قايل ذلك اي قوله هجر ونحوه حيرة تشغله عما يقوله لعظم ما شاهده
من حال الرسول صلى الله عليه وسلم مما يشق عليه فيذهله عما يقوله وشدة وجعه
والمه المؤثر في قلوب محبيه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه اي شق عليه مخالفتهم
لهم فيما امر به وهول الامر الذي هم صلى الله عليه وسلم بالكتابة فيه اي هم بان
يكتب في شانه فانه انما يهتم في حال المه بكتابة امر الا وهو امر عظيم لم يظهر الى الان
فربما شق عليهم او خشي منه ومن عواقبه كامر الخلافة مثلا حتى ان القايل
لشدة دهشته لم يضبط لفظه بالتحري ومراعاة تحسين تعبيره وفي نسخة حتى
لم يضبط هذا القايل لفظه واجرى الخ بدل قوله او يحمل قوله على انه اجرى
الهجر بضم الها مجرى بضم الميم ويجوز فتحها ولا ينبغي الاول كما توهم شدة الوجع
اي استعمله مجازا في لازم معناه ولم يرد حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم
كما ورد في الحديث كان يوعك كما توعك الرجلان وزيادة المه للطعن بنيته
وكثرة ثوابه لا انه اي القايل اعتقد انه يجوز عليه الهجر بالضم اي الهذيان
كما حملهم اي دعاهم وحركهم الاشفاق اي الخوف عليه صلى الله عليه وسلم
لشفقتهم عليه ومحبتهم له على حراسته حذرا عليه من ان يصيبه مكروه
او عدو والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس فمع هذا لا حاجة
لحراستهم له لكن شدة المحبة دعتهم لذلك كما قيل

ان المحب بسوء ظن مولع • ونحو هذا مما فعلوه احترازا من غير حاجة له واما
على رواية اهجرا بهمزة الاستفهام وضم الها منصوبا منونا ويجوز فتحها
وقيل انه الصواب وفيه نظر وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح اي
صحيح البخاري لانه احد رواته وفي نسخة التسلمي ولم يتبين والمعروف
انما هو الاول والظاهر انه تحريف من الناسخ في حديث ابن جبير عن ابن عباس
من رواية قتيبة فقد يكون هذا اي الوصف بالهجر راجعا الى المختلفين
عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم فيكون بعض
الصحابة قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله
عليه وسلم من يكتب فهو على هذا استفهام فعل مقدر وتقديره اي
جئتم باختلافكم اي بسبب الاختلاف واللغط على رسول الله صلى الله عليه
وسلم متعلق باختلاف وبين يديه اي في حضوره هجرا بضم فسكون

حلبي

الهجر

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنكر من القول عطف تفسير وضحه بقوله والهجر بالضم الفحش في المنطق اي التكلم بما يقبح ولا يليق بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلما في هذا الحديث اي في معناه المراد به وكيف اختلفوا بعد امره صلى الله عليه وسلم لهم ان يأتوا بالكتاب ليكتب فيه ما لا يضلون بعده فقال بعضهم اي بعض المختلفين في بيانه وتأويله اوامر النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم انه جمع امر وامور هو جمع الجمع وما فيه يفهم ايجابها اي ما اريد به الايجاب منها من ندبها اي منه وفيها من اباحتها اي مباحها والعاطف فيه محذوف بقرائن قوية اي بالقرائن اللائحة من سياقه وان كان اصله الايجاب وليس هذا مبني على ان الامر مشترك بين هذه المعاني الثلاثة ولا يتعين لاحدها بدون قرينة كما هو قول لبعض اهل الاصول مع ما فيه وما عليه فلا نطول به فلعله قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم حين سمعه منه ما فهموا من ظاهره وهو فاعل ظهر انه اي امره صلى الله عليه وسلم بقوله هلموا لم يكن ذلك الامر منه عزمة اي امر عزم عليه عزما متحتما فيجب امتثاله بل هو امر رده الى اختيارهم فهو مشاورة مخبرا فيه ولذا اختلفوا فيه وراجعوه ولبعضهم اي لبعض الصحابة لم يفهم ذلك فظنه واجبا لا تجوز مخالفته فانكر على من خالف فيه فقال استفهموه اي استخبروه صلى الله عليه وسلم عما اراده بامره فلما اختلفوا فيما بينهم كف عنه صلى الله عليه وسلم فقال قوموا عني او كف القائل عن طلب الافهام منه اذ لم يكن بالياء والتاء اي توجد او هي ناقصة عزمة واجبة الامتثال بالرفع والنصب ولما راى صلى الله عليه وسلم الخلاف ولما بكسر اللام وتخفيف الميم ولا يجوز الفتح والتشديد وفي نسخة ولما راوه من صواب راي عمر في تركه لما عرفوه من شدة ما به وموافقته رضي الله عنه ثم هؤلاء القائلون بهذا الوجه قالوا وعلى هذا يكون امتناع عمر من كتابة ذلك الكتاب اشفاقا وحذرا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال اي حال وجعه والمه املا الكتاب او اشفاقه من ان يدخل عليه مشقة من ذلك الاملا كما يشهد له انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع فهذا صريح في شفقته عليه من التعب وتالمه مع علمه بانه صلى الله عليه وسلم لم يدع شيا الا علمهم به بكتاب الله وسنته ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليؤخر بيان امر من مهمات الدين وقد قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقيل خشي عمر ويخاف ان يكتب امورا يعجزون عنها ولا يوفونها حقها فيحملون اي يقعون في الحرج اي ما يضيق عليهم من الاثام بالمخالفة لما امرهم به وراي عمر رضي الله عنه برايه هذا ايضا ان الارفق بالامة اي الاسهل والاكثر نفعا بهم في تلك الامور التي اراد كتابتها لهم سعة الاجتهاد اي ما يتوسعون فيه باجتهادهم واستنباطهم من النصوص لتالفة وحكم النظر اي نظر من يجتهد في المقدمات التي يريد الاستنباط منها نظرا صحيحا معروفا بالشرائطه وطلبا للصواب بالنظر في الادلة والنصوص ومقتضياتها وموانعها فيكون المجتهد

المصيب

والمجتهد المخطي في الحكم الشرعي ماجورا اما الاول فلة اجران اجر اجتهاده واصابته الحق والثاني له اجر اجتهاده فقط لبذله جهده في طلب الصواب والجمهور هذا بنا على ان المصيب واحد منهما والقول بان كل مجتهد مصيب ليس مرضيا كما بين في كتب الاصول واجر المخطي انما هو على سعيه وطلبه للحق لا على خطايه لكنه لا اثم عليه في اجتهاده اذا كان من اهله على الصحيح وتفصيله في كتب الاصول وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر الشريعة اي انه صلى الله عليه وسلم قررها لهم وبينها لهم ولم يترك شيئا مما يحتاجون اليه وتاسيس الملة اي احكام قواعدها وما يبنى عليه احكامها المحكمة التي لم يهمل منها شي وعلم ان الله تعالى قال في اخر ما انزله اليوم المراد به الوقت الحاضر في اخر عمره صلى الله عليه وسلم اكملت لكم دينكم فلم يترك شيئا مما يحتاجون اليه لم يبينه لهم صريحا او ضمنا ولم يرشدهم لطرق استنباطه فلذا ترك ما اريد كتابته لحكمة هداه الله لها وهذه الاية نزلت يوم جمعة او ليلتها بعرفة في الحج الاكبر ولما قراها صلى الله عليه وسلم بكى عمر رضي الله عنه لان التمام يدل على انقضا امر الوحي وعلم عمر ايضا قوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بالتمسك بكتاب الله بامتثال اوامره ونواهيه والتادب بادابه وما فيه من مكارم الاخلاق وعترتي بكسر العين ومثناتين فوقيتين اولاهما ساكنة بينهما را مفتوحة مهملة وهم اهل بيته صلى الله عليه وسلم الذين يحرم عليهم الزكاة من بني هاشم وبني المطلب وهذا حديث صحيح رواه مسلم في خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم وسماهما الثقلين كما يأتي تعظيما لشانهما فقال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض وفي النهاية عترة الرجل اخص اقاربه وعترته صلى الله عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل اهل بيته الاقربون وهم اولاده وعلي رضي الله عنه وقيل عترته الاقربون والابعدون من قريش والمشهور انهم اهل بيته الذين تحرم عليهم الزكاة انتهى وما قيل من ان هذا يقتضي انه امر به صلى الله عليه وسلم لا فايدة فيه وهو بعيد وعلى انه ليس بشي لما علمته فتدبره وقول عمر حسبنا كتاب الله تعالى لكفايته عما عداه رد على من نازعه اي نازع النبي صلى الله عليه وسلم او عمر في امر الكتاب لا رد من عمر رضي الله عنه على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمن يكتب لهم كتابا وقد استبعد هذا من السياق جدا فالحق ما سياتي وليس فيه شي لعمر وشبهة تحتاج للدفع بهذا وقد قيل في الجواب عن قول عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تقدير تسليمه انه انما خشي عمر رضي الله عنه من تطرق المنافقين اي وصول لهم من طريق نفاقهم ومن وصول من في قلبه مرض لحقده على الاسلام واهله كاليهود لما كتب في ذلك الكتاب اي بسبب الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل اي ان يكذبوا باسنادهم ما ليس فيه له واصل معنى التقول تكلف القول وفسر بما ذكر قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل وجمع الاقاويل تحقيرا لما يقولونه او انه خشي ان يتاولوا ما يكتب فيه تاويلات باطلة كما وقع من بعض الزنادقة كادعا الرافضة الوصية

وهذا

ابن الاثير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى لعلي كرم الله وجهه وتسميتهم له الوصي لذلك
وان بعض الصحابة كتب ذلك وغير ذلك مما افتراه الرافضة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد ادعوا ان الكتاب الذي اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابته كان فيه الوصية بخلافة علي فلذا امتنع منه عمر وهو كذب منهم عليه
وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لرفضهم زيد بن علي لا موالاته فتلوها
وقيل لغير ذلك وهم فرق يطول ذكرهم وقيل في توجيهه انه اي امر كان
من النبي صلى الله عليه وسلم امر على طريق المشورة والتخيير تطييبا لقلوبهم
لا امر ايجاب لا تجوز مخالفته والمشورة بفتح الميم وضم الشين وسكون الواو
بزنة مثوبة في الافصح ويجوز سكون الشين وفتح الواو وقول الحريري في
الدرة انه خطأ لحن منه كما فصلناه في شرحها وهي اي المشاورة من شريعة العقل
اذا احتيج اليه والاختيار اي التخيير لا الايجاب ولينظر هل يختلفون على
ذلك الامر الذي اراد ان يكتب ام يتفقون عليه فلما اختلفوا فيه وتنازعوا
تركه وكفّ عنهم لانهم عصوا وفرطوا في امر لا بد منه وقالت طائفة اخرى
في معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا لما طلب منه اي كانوا
سألوه ان يعهد اليهم بما يكتبونه عنه فاجابهم بقوله هلموا الخ لا انه ابتدأ
بالامر به حتى يقال لا ينبغي مخالفته فيه بل اقتضاه اي طلبه منه بعض اصحابه
ممن كان عنده فاجاب رغبتهم اي ما رغبوا فيه وكره ذلك غيرهم اي غير من
طلبه كعمر لثقله عليه صلى الله عليه وسلم في مرضه شفقة منه للعلل
التي ذكرناها سابقا واستدل بالبناء للمجهول اي على صحة هذا التأويل في
مثل هذه القصة اي قصة الكتاب المذكور بقول العباس في حديثه رواه البخاري
لعلي بن ابي طالب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأله عن الخلافة
بعده فان كان الامر اي امر الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فينا اهل البيت علمناه
فلا ينازع فيه احد وان كان لغيرنا لم نطلبه ولم نرجه وكراهة علي رضي الله عنه هذا
اي ما قال له العباس رضي الله عنه له وقوله لعمه العباس والله لا افعل اي لا انطلق
ولا اسأل الحديث رواه البخاري مسندا وفيه ان عليا خرج من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه فقال له العباس كيف اصبح رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اصبح بحمد الله بارئا فاخذ بيده وقال له انت
بعد ثلاث عبد العصا واني والله اراه متوفى في مرضه هذا واني لاعرف وجوه
بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا اليه نسأله فيمن هذا الامر بعده فان
كان فينا علمناه لكن وان كان في غيرنا اوصاه بنا فقال انا والله لا اسأله ولو كان
فينا اعطيناه للناس بعده واستدل ايضا لما ذكر من انه كان مجيبا لا امرا الخ
امن بقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث دعوني فان الذي انا فيه
خير من ان يكتب الكتاب فانه لو كان امرا فيه بواجب لم يقل ان تركه خير منه اي
الذي انا فيه خير من ارسال الامر اي اهماله وتركه وخير من تركهم اي تركي
كلم او تركهم كتاب الوصية ومن بيان لما هو فيه وكتاب الله بالنصب مفعول له

معه اي مصاحبين لكتاب الله والتمسك به فانه حسبكم فاياكم ان تختلفوا فيه فتهلكوا
كمن قبلكم من الامم وتفشلوا ان تنازعتم فيه وقد قيل انه كان مراده صلى الله عليه
وسلم كتابة هذا شفقة عليهم وان تدعوني ان شرطية والجملة معطوفة على جملة
دعوني مما طلبتم اي من كتابة الكتاب الذي طلبتموه فاجبتكم والجواب مقدر اي فهو خير
لكم ونحوه فتدبرها وذكر بعض المحققين لان الذي طلب كتابته لهم امر الخلافة بعد
وتعيين ذلك اي تعيين من يكون خليفة بعده واعلم ان هذا هو الصواب كما قاله
ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض وانه ورد مفسرا به في الحديث المروي في الصحيحين
كما مر في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة ادعي لي اباك واخاك ولا يجوز غيره
لانه لا يخلو من ان يكون امرا واجبا اوحي اليه به قبل مرضه او اوحي اليه به في مرضه
والاول لا يصح لان فيه تأخير البيان عن وقت الحاجة وهو غير جائز والثاني لو كان
لبلغه من غير طلب كتاب ونحوه وحينئذ فانما قال عمر رضي الله عنه ما قاله لانه
علمه وعلمه غيره كعائشة وغيرها من كبار الصحابة ولو ذكره لذكر بعده عمر فربما
اشمأزت منه بعض النفوس القاصرة وقد علم ان الله منجز وعده فاخفاؤه في حياته
اولى وما سوى هذا القول لا وجه له فلذا اختم به هذا الفصل وكرر ذكره فيه
والقول بانه تعبدي لا وجه له ايضا

فصل

وفي ذكر
شبهة اخرى فيما قرر من عصمته صلى الله عليه وسلم في رضاه وغضبه فان قيل
فما وجه حديثه الذي رواه مسلم اي توجيهه بما يوافق ما قررتم ورواه المص
من طريقه مسندا ايضا اي المماثل للحديث الذي قدمه الذي حدثناه الفقيه ابو
محمد الخشني بقراءتي عليه قال حدثنا ابو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر
الفارسي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن سفيان تقدم رجال
رجال هذا السند كلهم قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال
حدثنا قتيبة بن سعيد كما تقدم قال حدثنا ليث عن سعيد هو المقبري وقد
تقدم ابن ابي سعيد اسمه كيسان كما تقدم عن سالم مولى النصريين بنون وصاد
مهملة وهو ابن عبد الله النصري روى له اصحاب الكتب الاربعة نسبة لجماعة
نسبوا للنصر كما بين في اسماء الرجال قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول تقدم
الكلام على ابي هريرة وعلى هذا التركيب من جهة العربية سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر الحمرة فيه اشاني ادعائي اي لبيت احوال
الا بحسبي احوال البشر الذي يطرأ عليه ما يطرأ عليهم من العوارض البشرية
وليس متبرئا منها فهو يغضب احيانا لله لا لنفسه كما يغضب البشر وعدل عن
التكلم الى الغيبة بذكر اسمه تواضعا منه لربه وفيه التفات على راي واني
اتخذت افتعال من الاخذ فتاؤه مبدلة لا اصلية كما تبين في العربية
عندك عهدا لا ينبغي انه صلى الله عليه وسلم عاهد الله عهدا بينه وبينه
لن تخلفنيه يعني وانك وعدتني بانجاز عهدي وانت لا تخلف الميعاد
وفي قوله اتخذت التفات من الغيبة للتكلم لبيان انه متلذذ بمناجاته
متوقعا لاجابته ثم فسر العهد الذي عهده بقوله فايما مؤمن اذيته اي فعلته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

معه شيا يوذيه وهو مستحق له لحد ولغير افتقناه فانه صلى الله عليه وسلم على
خلق عظيم لا يوذي احدا لا يستحق الاذية كما لا يخفى او سببته او جلدته هذا من
جملة الاذية فينبغي تخصيصها بغيرها ذكر لان الخاص لا يعطف على العام باو فاجعلها
ائته باعتبار المذكورات والفا في جواب ايما لتضمنها معنى الشرط كفارة له اي مكفرة
لذنوبه وفيه اشارة الى ان ما فعله في مقابلة ذنب صدر منه لا لحظ نفسه وهي
صيغة مبالغة ملحقة باسما الاجناس وقربة اي فعلة مقربة له تقربه بها اليك
اي تنيله بها ثوابا ترفعه بها منزلة عندك لانه تعالى منزه عن الجهة والقرب
المكاني لانه من صفة الاجسام يوم القيامة حين تعرض الاعمال وتحاسب العباد
وفي رواية اخرى لهذا الحديث فايما احد بالجر وما مزيدة ويجوز رفعه دعوت
عليه دعوة في حال الغضب عليه قال في المقتفي وفيه نظر لان هذا ليس من
حديث ابي هريرة وانما هو حديث اخر عن انس رضي الله عنه فمقتضى الظاهر ان
يقول وفي رواية انس ونحوه يعني ان سياقه يقتضي انه من رواية ابي هريرة
التي مرت وليس كذلك قلت الامر فيه سهل وذكر الرواية وتنكيرها يقتضي
مخالفتها لما قبلها سندا ومتنا وهو ظاهر فلا وجه لما قاله وفي رواية اخرى ليس
اي المدعو عليه او المذكور لها باهل اي مستحق لها اي لهذه الفعلة وهذا هو
المشكل لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل فعلا باحد الا ويستحقه وسياتي توجيهه
وفي رواية اخرى ايما رجل من المسلمين سببته وشتمته او لعنته اي دعوت
عليه باللعنة واصل معناها الطرد والابعاد مطلقا او جلدته فاجعلها اي
المذكورات له زكاة اي طهارة من ذنوبه او زيادة في حسناته لان الزكاة تكون
بمعنى الطهارة والنما فاستعيرت لما ذكر وصلاة ورحمة عطف تفسير او تفسر
الصلاة بالعطف والرافة فيتغايرا وهو محتمل في تفسير قوله تعالى اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة ثم بين وجه الشبهة والسوال بقوله وكيف يصح
ويجوز والاستفهام انكاري ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق
اللعن فعلا اي حال يصح صدور مثله عنه ويسب من لا يستحق السب
لقوله في رواية ليس لها باهل ويجلد من لا يستحق الجلد وقوله او بسكون
الواو وفتحها وهمزة الاستفهام يفعل مثل ذلك الامر المذكور عند الغضب
اي في حال غضبه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في جميع احواله كما تقدم
والجملة حالية من هذا كله في جميع احواله فاعلم شرح الله صدرك اي فسح
فيه ووسعه لقبول الحق فيما اعن فيه ولنورة يمحو فتنة والجملة دعائية
معترضة لتعرف الحق في هذا ان قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات
اولا فيما تقدم ليس لها باهل اي مستحقا لما فعله به اي عندك يا رب
اي في علمك مما هو باطن امره اي حقيقته التي تخفى على غيره وعند الله
في القران تكون تارة بمعنى علمه وتارة بمعنى حكمه والمراد هنا الاول كما بيناه
في حواشي القاضي البيضاوي فانه حكمه صلى الله عليه وسلم بين امته كما تقدم
على الظاهر من الحال غالبا كما قال صلى الله عليه وسلم من انه انما يحكم بالظاهر

كما

كما تقدم وللحكمة التي ذكرناها من انه تقتدي به امته ولو اوحي اليه ما في نفس الامر وحكم
به لم يمكن امته الاقتدا به في احكامه بعده كما مر فحكم صلى الله عليه وسلم بمقتضى الظاهر
بجلده او اذيته بسبه او لعنه اي دعا عليه باللعنة او طرده بما اقتضاه عنده اي
في ظنه او في علمه حال ظاهره الذي ظهر له ولغيره والدعا باللعن شرعا انما يجوز
على من كان غير معين كافرا كان او غير كافر كلعنة الله على الظالم او على معين ما
علم كونه واما على معين كافرا ولا فلا يجوز لجواز ان يسلم فلا يكون ملعونا اي مطرودا
عن رحمة الله الا انه قيل انه كان جائزا للنبي صلى الله عليه وسلم ولو على غير
الكافرين فهو اما من خصائصه او منسوخ ثم دعا صلى الله عليه وسلم لمن دعا
عليه بقوله اللهم اجعله كفارة له لشفقته على امته ورافته ورحمته للمومنين
التي وصفه الله تعالى بها بقوله بالمومنين روف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وخوفه وحذره بالجر عطف على شفقته اي خوفه ان يتقبل الله تعالى في من دعا
عليه دعوته بقوله اللهم اجعل الخ ان يجعل الله هو مفعول دعاه دعا عليه ولعنه
له رحمة لمن دعا عليه فهو معنى قوله ليس لها اي المدعو عليه ليس في علم الله اهلا اي
مستحقا لما دعا به عليه لا انه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب لله بمقتضى البشرية
اي يدعوه ويبعثه ويستفزه الضجر اي القلق وضيق الصدر ممن عصى الله وخالفه
اي يحركه بسرعة لان يفعل مثل هذا الدعا من السب واخوته فيمن لا يستحقه في
الباطن وان استحقه بحسب الظاهر من مسلم صدر منه ذلك وهذا معنى فتر به
الحديث وهو صحيح مستقيم مقبول لا يمنعه شي ولا يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله وبعثه على ما لا يجب فعله
اذ هو صلى الله عليه وسلم منزه عن مثله بل يجوز ان يكون المراد بقوله هذا
ان الغضب لله هو الذي حمله على معاقبته بلعنه او سبه كما ورد في الحديث انه
صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله او
يجاب بجواب اخر هو انه اي الذنب الذي عاقبه عليه وفي نسخ وانه بالواو وكان
مما يحتمل ويجوز عطف تفسير لحتمل عفوه صلى الله عليه وسلم عنه وترك
المعاقبة عليه بالسب ونحوه او كان ذلك الذنب مما خير فيه لنا المجهول اي
خيره الله بين المعاقبة والعفو عنه وفي نسخة اي العفو والثواب عطفه
بالواو لاقتضا التخيير لشيين ولا حاجة لجعل او بمعنى الواو وهذا الجواب
قريب مما قبله وقد يحمل الدعا الوارد في هذا الحديث على انه خرج مخرج
الاشفاق والخوف منه صلى الله عليه وسلم على امته وتعليم امته الخوف
من الله ومعاصيه من الصغاير والحذر من تعدي وتجاوز حدود الله
اي ما حده الله مما لا يجوز الخروج عنه وقد يحمل ما ورد من دعايه هنا
وما ورد من دعواته على غير واحد اي على كثير من الناس في غير موطن
اي في مواطن ومحال كثيرة صدرت فيها الدعا عليهم على ما صدر من غير
العقد اي العزم وتصميم القلب والقصد منه للدعا عليهم بل دعوات
صدرت منه بما جرت به عادة العرب في محاوراتهم يدعون على مخاطبهم

تحت تخير بالظاهر والله يتولى السرائر
علي القاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بنحو قاتله الله وويل امه ولا ابا له لمن قصد مدحه وتحسين فعله وهو مشهور في غير لسان العرب ايضا وليس المراد بها اي بهذه الدعوات الاجابة اي دعا عليه يطلبون استجابته بنحو وقوع ما دعوا به كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان تربت يمينك قال في النهاية ترب الرجل اذا افتقر كانه التصق بالتراب واترب اذا استغنى اما على همزة السلب او على معنى صار ماله كالتراب كثرة وقد ورد كل منهما بمعنى الاخر وروي يداك ويدك وينسب لليد لان بها الكسب وليس المراد به الدعاء عليه وقد صدر هذا منه صلى الله عليه وسلم مرارا فمرة لام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها كما في البخاري انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي من الحق هل على المراة من غسل اذا هي احتلمت فقال نعم اذا رات الماء فغطت وجهها وقالت او تحتلم المراة قال نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها ووقع في احاديث اخر ايضا كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن عباس لا اشبع الله بطنك قاله لمعاوية ولكن الذي رواه مسلم بطنه قال البيهقي فما شبع بعدها ابدا وكان رضي الله عنه مشهورا بالبطنة حتى قالوا الاكول كان في امعائه معاوية والحديث قد علمت انه عن ابن عباس ولفظه قال كنت مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف الباب فقال اذهب فادع لي معاوية قال فجئته وقلت هو ياكل فقال ثانيا اذهب فادعه فجئته وقلت هو ياكل فامرني فجئته وقلت هو ياكل فقال لا اشبع الله بطنه فحينئذ فيما قاله المص شيء لان الله استجاب دعاءه فيه فليس هذا من الباب الذي جرت به العادة من غير قصد وقوله صلى الله عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم عن عائشة عقرى حلقى وهذا قاله صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي ام المؤمنين رضي الله عنها في حجة الوداع وهو في البخاري ه بسنده عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى الله عليه وسلم ما اراها الا حابستكم الخ وهذا يقال للمتعجب بدون قصد الدعاء واصله صفة للمراة المؤذية المشؤومة واختلف في لفظه ومعناه فقيل معنى حلقى اصابها وجع في حلقها وقيل معناه تحلقهم اي تستاصلهم كما يستاصل الحالق الشعر وعقرى من العقر وهو عرقبة الدواب او من العقرة وهي مع التنوين ويجوز تنوينهما وعدمه على ان الفه للتانيث كسكرى وعلى جعلها الف للتانيث فكل منهما صواب ومحلهما رفع خبرا او نصب على المصدرية والمحدثون يروونه غير منون والمعروف عند اللغويين تنوينه وغيرها اي غير الدعوات المذكورة من المروي من دعواته صلى الله عليه وسلم التي لم يرد بها الدعاء على من خاطبه وانما يراد المدح او التعجب على عادة العرب في مخاطباتهم ووجهه كما قالوه في نحو قاتله الله انه يقصد به دفع العين عنه بجعله كالمذموم المدعو عليه فهو من قبيل الذم الذي يراد به المدح وقد ورد في صفته عليه الصلاة والسلام صلى الله عليه وسلم في غير حديث اي في احاديث كثيرة تقدم بعضها منها ما رواه وهو في صحيح البخاري وغيره انه لم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا صيغة مبالغة من الفحش وهو القبح والوقاحة في كلامه ومخاطباته

وقد

وقد كان صلى الله عليه وسلم يكني عن كل ما يستحيي منه وقال انس فيما رواه عنه البخاري ايضا لم يكن صلى الله عليه وسلم سبابا اي لا يقول ما هو سب وشتم ولا فاحشا اي لا يتكلم بما يقبح التصريح به ولا لعانا اي لا يقول اللعنة لاحد وكان عادته صلى الله عليه وسلم انه يقول لاحدنا عند المعتبة مصدر ميمي من العتاب وهو بالتاء المثناة من فوق مفتوحة ومكسورة من عتب عليه عند الغضب اذا لامه ساله اي اي شيء اقتضى ما فعله ترب جبينه الجبين واحد الجبينين وهما جانبا الجبهة وفي نسخة تربت يمينه بالتانيث لانه عضو مثنى او المراد به الجبهة لانه ورد بمعناها في قول زهير

يقيني بالجبين ومنكبيه ۝ وانصره بمطرد الكعوب

كما في شرح ديوانه فلا وجه لتخطئة المتنبي في استعماله بهذا المعنى وترب دعاء في الاصل بمعنى كبه الله على وجهه ولم يرد به الدعاء كقولهم تربت يداه فيكون محل الحديث برفع محل والمراد بالحديث ما ذكره اولا وهذا اعلى هذا المعنى اي انه جار على عادة العرب في ملاطفاتهم وقيل معنى ترب جبينه كثر سجوده فلا يكون دعاء عليه وهذا يقتضي ان المراد به الجبهة ثم اشفق اي خاف صلى الله عليه وسلم من موافقة امثالها اي الدعوات الصادرة اجابة اي ان يستجاب دعاؤه عليه بحسب ظاهره كما قال لبعضهم تربت نحرك فقتل شهيدا فخاف من مثله معاهد ربه كما قال في الحديث السابق ذكره اللهم من دعوت عليه ان يجعل ذلك القول له مما مر من سب ونحوه مما هو بمعنى القول او الشخص زكاة ورحمة وقربة كما تقدم بيانه مفصلا وقد يكون ذلك المذكور من دعائه لمن سبه اشفاقا على المدعو اي شفقة ورحمة بجعل دعائه عليه رحمة له وتانيسا له اي تالفا له ليطمئن قلبه لئلا يلحقه بما يقع في قلبه من استشعار الخوف اي الشعور بادراكه والحذر اي الوقوع فيما يحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم له ومن تقبل دعائه اي يخاف قبول دعائه عليه بلعنه وابعاده من رحمة الله تعالى ما يحمله على الياس والقنوط من رحمة الله وهما بمعنى جمع بينهما تاكيدا وقيل القنوط شدة الياس والياس من رحمة الله كبيرة وقيل انه كفر وفيه كلام في الاصول كما فصلناه في رسائلنا وتقدمت الاشارة الى شيء منه وهذا تاويل رابع في غاية الحسن وقد يكون ذلك منه صلى الله عليه وسلم شوقا الى ربه عز وجل اي قوله اللهم اجعله رحمة الخ لمن جلده او سبه متعلق بشوقا على حق وبوجه صحيح لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئا بغير وجه شرعي ان يجعل ذلك اي دعاءه عليه له كفارة لما اصابه اي فعله من الذنوب التي استحق السب والجلد بسببه محيا بالتشديد يمحيه من محاه اذا ازاله لما اجترمه اي فعله واكتسبه وان يكون عقوبته له في الدنيا خير يكون قوله سببا للعفو والغفران لانه تعزير له بالقول الذي يسوءه كما جاء في الحديث الاخر الذي رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت انه قال قال صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة للانصار بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب

من ذلك شيا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيا فستره الله عليه
فهو الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفى عنه وذكر في الحديث اشارة الى ما سبق في الحديث
من الذنوب التي يبايعهم على تركها مما بعد الشرك او هو عام مخصوص وهذا يدل
على ان الحدود كفارة فهو بعد قوله في حديث اخر لا ادري الحدود كفارة لاهلها اولا
فهذا كان قبل ان يعلمه الله بالحكم وفي كلام في شروح الصحيحين ولا يلزمه ان
يكون قوله في الدعا هنا بان يجعلها كفارة تحصيلا للحاصل ايضا كما توهم ثم اورد
شبهة اخرى على ما قرره ودفعها فقال فان قلت فما معنى حديث الزبير بن العوام
الصحابي المشهور وحديثه هذا رواه البخاري وقول النبي صلى الله عليه وسلم
له حين تخاصمه وتنازعه مع الانصاري الاتي ذكره وحين مضافة لمقدر تخاصم
وتخاصمه كان مع بعض الانصار الذين شهدوا بدرا كما في بعض كتب الحديث فقال ابن
بشكوال انه حاطب بن ابي بلتعة وقيل ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الا انه
لا شاهد عليه وقال النووي هو حاطب وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد
والقول بانه حاطب بن ابي بلتعة لا يصح لانه ليس انصاريا وقد ثبت في البخاري
انه انصاري بدري وكذا ثابت لانه ليس بدريا وقال الزجاج الخصم من قبيلة
الانصاري منافق ليس من المؤمنين منهم وفيه نظر لانه بدري وقد شهد
صلى الله عليه وسلم لاهل بدر بالجنة وثعلبة بن حاطب ليس بمعروف
في الصحابة وقوله في شراج الحرة هو المتخاصم فيه والشراج بكسر الشين المعجمة
وراء مهملة والف بعدها جيم مسيل صغير في السهل او الى السهل كما في
النهاية للما كالقناة جمع شرجة او شرج والحرة بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين
ارض صلبة تعلوها حجارة سود وهي مكان معروف بطيبة كان فيها وقعة
يزيد المشهورة اسق يا زبير اي بستانك من هذا الما وقول المص هنا حتى يبلغ
الما السائل الكعبين سهو منه كما قيل لانه صلى الله عليه وسلم لم يقله ابتدا
وانما قاله بعد غضبه من كلام الانصاري وكان قال له اولا لما ترافعا اليه
اسق يا زبير فقط فامره بمقدار من السقي من غير استيفا لحقه بتمامه كما
صرح به البخاري وقال فامره بالمعروف وكان اراد الانصاري ان يرسل
الما الى ارضه من غير حبس له اصلا مع انه يمر على ارضه اولا وله فيه حق
شرب تام فاجاب الانصاري فامره صلى الله عليه وسلم بمجرد السقي وقال
اسق فقط اي افعل السقي من غير استيفا لحقك ثم ارسل الما الى جارك
وامره بالمعروف بمعنى الجميل من الاحسان او العادة المعروفة ورعاية
الجار والمراد به الوسط المعتدل فقال له اي قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الانصاري الذي ذكرناه لما قال اسق الخ أن كان ابن عمتك
يا رسول الله بفتح الهمزة اي حكمت له لانه ابن عمتك لانه ابن صفية بنت
عبد المطلب لان ان المخففة مطرد معها تقدير حرف الجر ولو قصد به
الكلام كما يطرد مع المشددة كقوله تعالى ان كان ذا مال وبنين وحكى
الكرماني فيه كسر الهمزة على انها شرطية مقدرة الجواب وفي فتح الباري انه

غير

غير معروف في الرواية لكنه يؤيده ما في رواية ابن اسحاق وان كان ابن عمتك وهمزة
الاستفهام على هذا مقدرة ونقد الهمزة اتذكرت كما ذكره المص والقرطبي آن كان
ابن عمتك نحو قوله آلله اذن لكم وهي رواية عندهما من غير هذه الطريق وفي رواية
ابن معمر انه ابن عمتك فقال ابن مالك في توضيحه يجوز في هذه الرواية فتح همزة انه
وكسرها فاذا فتحت قدرت لام قبلها جارة واذا كسرت قدرت قبلها الف استفهام
لانها وقعت بعد كلام معلل بمضمون ما بعدها كقوله لا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وقد روي بما قلناه فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عرض
له لون غير لونه الذي كان له من حمرة الغضب لقول الانصاري المذكور وعلم انه شاه
وقيل انه كناية عن الغضب وانما سامحه صلى الله عليه وسلم في مقاله هذا
ولو صدر من غيره الان وجب قتله لانه كان من المنافقين المؤلفة قلوبهم
وكان له صلى الله عليه وسلم ان يعفو عن مثله كما قال لئلا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وهو خاص به وبعده يقتل قائله كما قاله النووي ثم قال
صلى الله عليه وسلم بعد ما غضب من قوله وكونه لم يرض بما هو اكثر من حقه
وقد حكم له بالعدل والحق فلم يرض بحكمه طمعا وبغيا منه اسق يا زبير حديقتك
نخلك ثم احبس الما اسد مجراه حتى يبلغ الما الذي حبسه الجدر الحديث اي
الى اخره المروي في البخاري والموطا وغيرهما وهذه رواية وفي الرواية الاخرى
هنا حتى يبلغ الكعبين وهما بمعنى وتقديم المص لها ليس في محله كما تقدم وفي
رواية الموطا حتى يرجع الى الجدر وهو بفتح الجيم وسكون الدال وبالراء المهملتين
بمعنى الجدار وروي بضم الجيم جمع جدار وروي بفتح الجيم وكسرها وذال معجمة
من جذر الحساب وجذر كل شي اصله والمراد به الحائط ولما كان ذلك مختلفا قدره
بما يبلغ الكعبين وبه قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير هذه القصة
وقيل المراد به ما يحفل من التراب حول الزرع وهو الظاهر والمعنى واحد كما تقرر
وحاصل السؤال انه صلى الله عليه وسلم حكم اولا بحكم ثم رجع عنه وهو تنبا في
العصمة في اقواله الذي قرر نحوه ولذا قيل انه يدل على ان الحاكم يجوز له
نقض حكمه ولا دليل فيه لما سياتي فالجواب عما ذكر انه صلى الله عليه وسلم
منزه اي مبعد ومبرء من ان يقع بنفس مسلم اي في فكره وذهنه منه صلى
الله عليه وسلم في هذه القصة التي قضا فيها وحكم بها على غيره امر
يريبه اي يوقع سامعه في ريب وشك في اقواله ويظن انه صلى الله عليه
وسلم يصدر منه قول من غير تامل وتثبت ثم يرجع عنه ولكنه صلى
الله عليه وسلم ندب الزبير اي دعاه وطلب منه اولا حين قال له اسق الى
الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط اي الاعتدال من غير افراط
ولا تفريط وعلى وجه الصلح بينه وبين الانصاري لانه كان مستحقا لغير
ذلك فلما لم يرض بذلك اي بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعطاه فوق حقه الاخر اي الرجل الاخر المخاصم وهو الانصاري
ولج اي ابدى اللجاج عنادا منه في خصومته للزبير رضي الله عنه وقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الجبة

ما لا يجب ان كان هذا بضم المثناة التحتية وكسر الحا المهملة وتشديد البا الموحدة
بنو ظاهر وان كان بفتحها وكسر الجيم فالحق ان يقول ما لا يجوز لكن مثله كثير في عباراتهم
وقد سبق مثله فالمراد به ما لا يجوز ايضا لان غير الواجب يصدق على الحرام والمباح
بل والمندوب فاريد به بعض افراده ايما الى انه يقتصر في حقه على الواجب له
فما بالك بحرام يقتضي الردة وما قيل من ان الوجوب بمعناه اللغوي وهو السقوط
كقوله تعالى وجبت جنوبها اي ما لا يسقط عن قائله حرمته حتى يجدده
اسلامه ويتوب عنه تكلف لا تؤديه العبارة بلا قرينة استوفى اي وفى وكمل
صلى الله عليه وسلم للزبير حقه من الشرب من غير مسامحة وقد ترجم البخاري
على هذا الحديث المذكور في هذه القصة والترجمة في الاصل كما تقدم
تفسير لغة باخرى فيكون بمعنى ايصال الكلام لمن لم يسمعه كما في قوله
قد احوجت سمعي الى ترجمان ٭ وفي عرف المصنفين عنوان الكلام يذكره اجمالا
مع لفظ الباب ونحوه وهو المراد هنا بقوله **باب**
بالتنوين اذا اشار الامام بالصلح بين خصمين فابى اي امتنع احدهما مما
اشار به حكم الحاكم عليه اي على من ابى الحكم بالحكم الحق الذي ابا ما هو اكثر من
حقه فالالف واللام في الحكم للعهد وهو الحكم البين فلا يقال انه سقط منه
لفظ البين المروي فيه كما قيل وذكر البخاري في اخر هذا الحديث المذكور
فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبه اي استكمله واصل معناه جعله
في الوعا فكنى به عن لازم معناه والضمير للحكم والرسول لادلى ملابسة او
للانصاري على زعمه تفكمابه ولو رجع للزبير في عبارته لزم عوده على متاخر
وروى انهما لما خرجا من عنده صلى الله عليه وسلم مرا على المقداد فقال
لمن كان القضا قال الانصاري لابن عمته ولوى شدقيه ففطن له يهودي كان
مع المقداد فقال قاتل الله هؤلا يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضا يقضي به بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى عليه
الصلاة والسلام فدعانا الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم فبلغ قتلانا
سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس ان
الله يعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقد جعل
المسلمون المراد بهم العلما الفقها وعبر بهذا لان المسلمين في العصر الاول
اكثرهم علما مجتهدون هذا الحديث اصلا اي قضية كلية وقاعدة مضبوطة
في قضيته اي قضية الزبير في منازعته مع الانصاري والمراد بالاصل
الماخوذ من هذه القضية انه يسقي حايطه حتى يبلغ الماء فيه الكعبين
من القايم ثم يرسله كله لمن يليه او يرسل ما زاد عن حاجته له كما في
التمهيد لابن عبد البر وقيل المراد انه اذا تحاكم خصمان فللحاكم ان
يصلحهما على امر فيه رفق وتوسعة فان اتفقا او احدهما امضى حكم
الله عليهما وفيه اي في هذا الحديث مما يؤخذ منه ويستنبط الاقتدا
به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله ما لم يعلم انه من خصايصه في حال

غضبه

غضبه ورضاه اما الرضا فظاهر واما الغضب فلعصمته صلى الله عليه وسلم ولانه لم
يكن يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله كما في هذه القضية وانه صلى
الله عليه وسلم وان نهى في حديث رواه الشيخان ان يقضي القاضي وهو غضبان
لانه غير معصوم فربما حمله الغضب على امر لا يرضى والحكمة الحالية بخلاف النبي
صلى الله عليه وسلم والنهي فيه محمول على الكراهة كما صرحوا به فانه في حكمه
في حالة الغضب والرضا سوا لكونه فيهما اي في الغضب والرضا معصوما حفظه الله
عن ان يصدر منه فيهما ما يخالف امر ربه وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في
هذا الامر الذي صدر من الانصاري انما كان لله تعالى لنسبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم للهوى الذي حماه الله منه مما يقتضي الردة والقتل ولكنه عفا عنه لما
كان لا لنفسه فانه لا ينتقم لها كما جا في الحديث الصحيح الذي قدمنا ذكره من انه
انما كان يغضب لله وانتهاك حرماته ومثل الغضب في كراهة حكم الحاكم فيه
كل ما يشوش الفكر من جوع ومرض وذهب بعضهم الى ان من غضب لله لا يمتنع
من الحكم ايضا لانه ممتثق فلا يرتكب امرا يخالف امر ربه قياسا عليه صلى الله
عليه وسلم وظاهر الحديث يقتضيه والمفتي قيل انه مثل القاضي ايضا وقد
يفرق بينهما وكذلك اي مثل ما ذكرنا رواه ابو نعيم في الحلية وهو الحديث
في اقادته عكاشة الاقادة افعال من القود للدابة مقابل السوق ثم استعمل
في الاقتصاص بالنفس وغيرها لان الجاني يقاد ليستوفى منه غالبا فاريد به
لازم معناه وصار حقيقة فيه والمصدر مضاف لفاعله وعكاشة معروف
من الصحابة وعينه مضمومة وكافه مخففة ومشددة وهو علم منقول
وامثاله العنكبوت وفي كتاب ليس لابن خالويه عكاشة صاحب النبي صلى الله
عليه وسلم واهل الحديث يخففونه وانما هو مشدد وعكاش اسم موضع
انتهى من نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم في قصة وقعت قبيل وفاته
صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه اذا جا نصر الله الخ قال لجبريل قد نعيت
فقال له الاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى فامر بلالا
ان ينادي الصلاة جامعة فاجتمع الصحابة في مسجده صلى الله عليه وسلم
فصلى بالناس وصعد المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب فقال
ايها الناس اي نبي كنت لكم فقالوا جزاك الله عنا خيرا فلقد كنت لنا كالاب
الرحيم والاخ الشفيق اديت رسالة الله وبلغت وحيه فجزاك الله عنا
افضل ما جزى نبيا فقال معاشر المسلمين انشدكم بالله عز وجل من كانت له علي
مظلمة فليقم فليقتص مني وكررها فقام شيخ يقال له عكاشة فتخطى المسلمين
حتى وقف بين يديه صلى الله عليه وسلم لولا امرك ما كنت لاقدم على شي
لما انصرفنا من الفتح حاذت ناقتي ناقتك فرفعت القضيب فضربت خاصرتي
ولا ادري اعمدا كان ذلك ام لا فطلب صلى الله عليه وسلم قضيبه ودفعه
لعكاشة وقال له اضرب اذ كنت ضاربا فقال ضربتني وانا حاسر عن بطني
فكشف له رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقبله وقال فداك ابي وامي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من يطيق ان يقتص منك فقال له اما ان تضرب او تعفو فقال قد عفوت رجاء ان يعفو
الله عني في القيامة فقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رفيقي في الجنة
فلينظر لهذا الحجل فجعلوا يقبلونه بين عينيه ويهنونه بذلك وهو حديث طويل ذكره
ابن الجوزي في الموضوعات وقال السيوطي انه اخرجه ابو نعيم في الحلية ولم
يقل انه موضوع ونحو تعقب له وعلى هذا اعتمد المص لم يكن ما صدر منه صلى
الله عليه وسلم في ضربه عكاشة لتعمد اي عن عمد منه حمله الغضب عليه اي على
فعله بغير حق بل وقع في هذا الحديث نفسه لا في حديث اخر ان عكاشة قال له
صلى الله عليه وسلم حين اراد القود منه وكان تعلق بزمام ناقته صلى الله عليه
وسلم فنهاه ثلاث مرات وضربني بالقضيب وهو عصا كان في يده الشريفة فلا
ادري امن بك هذا اكان عمدا تعمدا منك لمن يجامر اصابة لي خطأ وقد اردت
غيره وهو انك ضربت الناقة فاصابني ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اعيذك بالله اي اجعلك في حفظه يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضرب لم تستحقه وفيه التفات من التكلم الى الغيبة واصله ان
اتعمدك فاتى باسم الظاهر اشارة لعصمته صلى الله عليه وسلم مما قاله عكاشة
لان من هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه مثله وعكاشة هذا هو
ابن محصن صحابي بدري وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر
ان سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب ادع الله لي ان يجعلني منهم فقال انت
منهم فقال اخر مثله فقال له سبقك بها عكاشة فضرب مثلا كما في الاصابة
وكذلك اي مثل ما وقع لعكاشة ما وقع في حديثه صلى الله عليه وسلم الاخر مع
الاعرابي وهذا الحديث لا يعرف من رواه ويحتمل انه حديث عكاشة بعينه
حين طلب الاقتصاص منه صلى الله عليه وسلم لضربه فلما قال له اقتص مني
ومكنه من نفسه فقال الاعرابي قد عفوت عنك اي تركت ذلك برضى مني
وكان صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد
اخرى ففيه ترك ادب يستحق به الضرب تعزيرا فلم يكن ذلك الا بحق فلا يستحق
به الاقتصاص ولكنه صلى الله عليه وسلم فعله كرما منه وتطييبا لقلبه من
غير حق له ففي كان تاديبا وتشريعا مستحقا للحمد لا للعفو والنبي صلى الله عليه
وسلم نهاه عن تعلقه بزمام الناقة وسوء ادبه وعبر بالمضارع حكاية
للحال السابقة استحضارا لصورتها كما في قوله ويقول له اي للاعرابي
تدرك حاجتك اي اقضيها لك وتصل اليها فدع الزمام وهو يابى ارسال
زمام ناقته الحاحا منه فضربه بعد نهيه ثلاث مرات تعليما منه صلى الله
عليه وسلم وتحلا لابرامه عليه لم يبق الوجه في هذا وانه غير مناف لما
قرره من عصمته في غضبه ورضاه فقال وهذا الذي وقع منه صلى الله
عليه وسلم للاعرابي بعد نهيه لعدم امتثاله مجعل الامتثاله كالوقوف
فعليه استعارة وكذا في قوله بعد نهيه فهي مكنية تخييلية صواب
لا جور وخطأ يستحق به القود وموضع ادب في الحضور عنده يستحقه له

لم يرتفق

بتادب

يتادب فيه التاديب والحكم فيه مفوض له صلى الله عليه وسلم لكنه صلى الله عليه وسلم
اشفق اي رحم من ترك الادب عنه بعد ضربه بحق اذ كان بحق لنفسه علة لاشفاقه مع
استحقاقه للتاديب من الامر اي من الحال الذي وقعت فيه هذه القصة حتى عفا عنه
صلى الله عليه وسلم وان كان ما فعله من ضربه تاديبا له وزجرا عما فعله من سوء الادب
بعد تكرار نهيه له كما تقدم فلم يقع منه لغضبه امر يخل بعصمته ومراد المص بقوله
حق لنفسه انه امر يتعلق به صلى الله عليه وسلم وبذاته لعدم امتثاله لنهيه الا
له شرعا وليس المراد ان ما فعله انتقاما لحظ نفسه وهواها واعلم ان العلامة ابن القيم
قال في كتاب اعلام ان الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة قالوا ان الضربة واللطمة
لا قصاص فيهما شرعا وانما فيهما التعزير وادعى بعضهم فيه الاجماع الا ان لبعضهم فيه
خلافا اخرى فيه على خلاف القياس الا انه مقتضى النصوص وعليه عمل الصحابة لقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فاعتبر وعاقبوا ولا ريب ان
لطمه بلطمة وضربه بضربة اقرب الى المماثلة من التعزير بغير جنس اعتدائه وهو
هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين حتى عقد له المحدثون
بابا ترجموه بباب القصاص في الضربة واللطمة ورووا فيه اثارا انتهى اقول
الظاهر ما عليه الفقهاء وهو مقتضى القياس لانه لا يمكن ضبطه وقد يوجد فيه
تفاوت فاحش كمن ضرب شخصا على عينه ولم يضر بصره فربما تخرج عينه بضربه
القصاص وانما فعله الصحابة لورعهم فهم لعدم تجاوز افعالهم فلا تقبل نفسنا
عليهم فلا وجه لما قاله ابن القيم واما حديث سواد بن عمرو عن عطية الانصاري
الذي رواه ابو القاسم في معجم الصحابة وابن سعد وابن عبد الرزاق في جامعه
عن الحسن وسواد بن عمرو هذا انصاري صحابي وليس هو سواد بن غزية الا انه
وقع نقل مثل هذه القصة عنه وانه صلى الله عليه وسلم طعنه بالعصا
في خاصرته لكن لا على هذا الوجه كما ياتي وما وقع في بعض النسخ عمرو بن سواد
غلط من الناسخ وقال ابن الملقن في شرح البخاري بعد ما نقل ما في الشفا هذا
لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم فانه صاحب ابن وهب فان ثبت هذا فلعله
صحابي اخر وافق اسمه واسم ابيه لكن القصة معروفة لسواد بن عمرو والظاهر انه
انقلب عليه انتهى وذكر ابن عبد البر انه سوادة بزيادة الهاء قال سواد اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق جملة تخالبه اي متضمخ بالخلوق وهو
نوع من الطيب يخلط بالزعفران ولونه بين الحمرة والصفرة وقد ورد في بعض
الاحاديث النهي عنه وفي بعضها اباحته والنهي قيل انه متاخر ناسخ لاباحته
لانه معتاد في النساء والتشبه بهن غير جائز ولذا ذهب بنيخ والدي الشيخ
شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي الى حرمة الحنا على الرجال لغير التداوي
يعني في غير اللحية فقال ورس ورس خطخط الورس نبت اصفر باليمن
يصبغ به ويتعطر فهو منهي عنه كالخلوق والحنا وحكمه حكمه وهو حرام
للنهي عنه في الحديث وذكر وكرر للانكار عليه وورس بوزن ضرب وحط
امر له كرر تاكيدا ايضا وتقديره اعليك ورس فيجوز رفعه على انه مبتدا

بزم

شبكة الألوكة www.alukah.net

او خبر مبتدا مقدر وسكون الشين للوقف وتقديره وطاحط ساكنة او مفتوحة كما يجوز في كل امر مسند الاخر كرد وامثله اردد واحطط ويجوز ان لا يقدر فيه شي ويقصد به ما مر ايضا فتدبر وهو من طب النسا ايضا وغشبني بمعجمتين بمعنى ضربني وهو استعارة معروفة كما يقال جلله وقنعه بالسوط ومثله قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب بقضيب اي عصى كان عادته صلى الله عليه وسلم حمله في يده في بطني اي عليها وجعله لتمكنه منه كانه فيها له فاوجعني ضربه او هو يضرب به فقلت القصاص يا رسول الله اي اسالك او اطلبه منك فكشف لي عن بطنه لاضرب به اقتصاصا كما فعل بي وانما ضربه صلى الله عليه وسلم لمنكر راه عليه وهو تطيبه بما فيه تشبه بالنسا يستحق التعزير عليه وقيل انه كان محرما فيمتنع عليه الطيب فما فعله صلى الله عليه وسلم به امر مشروع له زجرا لفاعله بالفعل بعد القول ولكنه اجابه للقود تواضعا ولطفا ورحمة منه كما تقدم وقد كان المضروب يعلم انه منهي عنه ولعله صلى الله عليه وسلم لم يرد يضربه الا تنبيهه على ما راه منه مما لا يليق فاراد الاشارة اليه بقضيب في يده لينزعه ولم يرد ضربه اولا فمسه بشدة ولم يقصد ضربه فلما كان اي وجد منه ايجاع مؤلم له وهو لم يقصده يضربه اياه طلب التحلل منه بالقود حتى لا يبقى له عليه حق فدفع الشبهتين بوجهين احدهما انه تعزير مشروع له لكنه تكرم باجابته لما علم انه لم يقصد قوده وانما قصد تقبيل جسده الشريف والثاني انه خطا معفو عنه وفعله صلى الله عليه وسلم تعليما للامة وهذا جار على ما قدمناه في قصة عكاشة وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم عدل صفوف اصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به فمر بسواد بن غزية مستنصلا عن الصف فطعنه في بطنه بالقدح وقال له استو يا سواد فقال له اوجعتني يا رسول الله وقد بعثك الله بالعدل فاقدني فكشف له عن بطنه وقال استقد فقبل بطنه واعتنقه فقال له صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا قال حضر ما ترى فاردت ان يكون اخر العهد بك مس جلدي جلدك فدعا له صلى الله عليه وسلم

فصل قال القاضي

رحمه الله واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة بامور دنياه لا بالعبادة والعقايد فحكمه فيها من توقي المعاصي اي اجتناب المحرمات شرعا والمكروهات كراهة تنزيه بقرينة مقابلة المعاصي ما قدمناه خبر قوله حكمه المبتدا اي انه صلى الله عليه وسلم معصوم عنها فان وقع منه مكروه لبيان الجواز كشربه قايما فهو لتعليم امته فلا يكون مكروها في حقه وما قيل هنا من انه غير منهي عنه فلا حاجة لذكره لغو من الكلام لا حاجة للاطالة بمثله ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه

فانه

بن اقترس

فانه جوزه في العبادات فيعلم جوازه في هذا بالطريق الاولى وكله اي ما ذكر من السهو وما بعده غير قادح وغير ما زرى في النبوة بل احسن منه لما فيه من التشريع بل ان هذا مع انه غير متصف مرضد وره فيها اي في افعاله على الندور اي قليل جدا والنادر ما قل وقوعه ولا حكم له اذ عامة افعاله اي اكثرها واقع على السداد بفتح السين المهملة اي الاعتدال والقصد ويجوز ان يريد بالعامة الكل بجعل غيرها كالعدم والصواب وعدم الخطا بل اكثرها اي افعاله صلى الله عليه وسلم او كلها جارية مجرى العبادات والقرب بضم ففتح جمع قربة وهي العمل الصالح الذي يتقرب به الى الله على ما بينا فيما تقدم واما ان اكثرها كذلك فلان منها مباحات كالاكل والشرب ونحوه واما كون كلها عبادة فلانه محتو على تعليم الاباحة وتقوية الجسد للطاعة ونحوه مما يجعل العادة عبادة اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها اي من الدنيا او افعالها الا ضرورته اي مقدار يضطر اليه ويحتاج له وما يقيم به جسمه اي ما به قوام حياته اي بقيته وقوته والرمق معناه بقية الروح والحياة والقليل من العيش الذي يسد الرمق وفيه مصلحة ذاته اي ما يصلحها كما يدفع الحر والبرد ويدخل فيه طعامه ودوابه وخدمه ونساؤه ومؤنتهم التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته اي يضبطهم ويحكم عليهم لانه معنى السياسة لغة قال وكما نسوس الناس والامر امرنا وهذا بيان لجهة العبادة المقصودة بما قبله يقال ساس الرعية اذا احتفظها وقام امرها واما ما كان بينه وبين الناس من ذلك اي امور الدنيوية الجارية منه في معاملة امته وصحبتهم فبين معروف اي امر جميل حسن لان المعروف يراد به هذا وبين هنا للتقسيم كما يقال امري بين كذا وكذا اصنعه اي يوصله ويفعله لهم من احسانه وتكرمه عليهم وبر اي مبرة وعطا يوسعه عليهم باعطا ما يغنيهم او كلام حسن يقوله لهم مما يلطف به ويلين قلوبهم ويعظهم ونحوه او يسمعه بفتح اوله وتاليه اي يسمعه من غيره ويصغي له او بضم اوله وكسر ثالثه كما قيل وما قبله اولى لانه حينئذ لا فرق بينه وبين ما قبله الا بتكلف او تالف شارد اي نافر عن طاعة الله ورسوله كجفاة الاعراب المؤلفة قلوبهم بالعطا وجهات البر واللطف حتى يذيقه الله حلاوة الايمان ويهديه الله له او قهر معاند فيردعه ويزجره حتى يرجع قهرا عليه لما يريد او مداراة حاسد بملاطفته وتحمل اذاه والاغضاء عن قبايحه كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم مع المنافقين واهل الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الايمان مداراة الناس وكل هذا الامر الذي كان بينه وبين الناس لاحق بصالح اعماله اي ملحق بعباداته ومعدود منها ومثاب عليه لما فيه من المنافع والمزايا الدينية منتظم في ذلك وظايف عباداته اي معدود من عباداته الموظفة اللازمة كالصلاة فهذه الشدة حسن منافعه كانه من نفايسها المعدودة منها وفي سلكها وفيه استعارة مخيلة وترشيح

برهان

شبكة الألوكة www.alukah.net

بمعنى ناس وقد كان صلى الله عليه وسلم يخالف افعاله الدنيوية اي يخالف غيره فيما
يخصه منها بحسب اختلاف الاحوال التي تعرض له فيقتضي المخالفة لحال احزابه ويعيد
نعم اوله وكسر ثانيه وتشديد داله اي يجيء ويقدم بتداركه منه للامور التي
تستقبل اشباههما اي ما يناسبها ويشابهها فيركب في تصرفه اي حركته من مكان لاخر
لما قرب اي لمكان قريب حال اقامته الحمار لسهولة ركوبه مع ما فيه من عدم التكبر
وكان له صلى الله عليه وسلم حمار يسمى يعفور مذكور في السير ويركب في اسفاره
البعيدة الراحلة وهو من الابل ما يقوى على الحمل ذكرا كان او انثى وهاوه للمبالغة
لتحمله الرحيل وركوبه في السفر مناسب لتلك الحال لقوته وصبره وكان صلى الله
عليه وسلم له عدة ابل مذكورة في السير وقد يركب صلى الله عليه وسلم احيانا
قليلة البغلة في معارك الحرب اي في مواضع اوقات وقع فيها المعاركة والمقاتلة
في حروبه وذلك لقوة قلبه صلى الله عليه وسلم وشدة باسه وعدم خوفه
من عدوه وكان ذلك يحنين وقد اشتد الباس وبغلته التي ركبها هي دلدل
وكان منهيا ذكرا اهداها له المقوقس وله بغلة اخرى والكلام عليه في السير
دليلا على الثبات وانه لا يمكنه ان يفر ولا يريده اذ لو اراده ركب الخيل ومنه
دليلا على انه مفعول له او حال ولا يرد على الاول شيء لاتحاد فاعل العلة والمعلل
لانه الراكب والدال وكان صلى الله عليه وسلم كما مر اشجع الناس وقال علي كنا
اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيوم حنين لما راي
شدة العدو وان من اصحابه من يفر ركب بغلته فقصد امنه حتى لا يقال فر
وليشجع غيره لان البغل لا يصلح للكر والفر فانظر هذا ففيه معجزات له
تعلم مما في السير وكان صلى الله عليه وسلم يركب الخيل ايضا ويعدها اي
يهيئها ويحضرها ليوم الفزع اصل معنى الفزع الخوف ثم كني به عن خروج
الناس بسرعة لدفع عدو ونحوه اذا جاءهم بغتة وصار حقيقة فيه كما في
كامل المبرد فليس هو استعارة كما قيل واغاثة الصارخ هو المصوت
للاعلام بامر يطلب من يغيثه فهو معطوف على يوم او الفزع وفيه اشارة
لما وقع له صلى الله عليه وسلم بالمدينة من سماعه صراخا ظنه عدوا هجم
على المدينة فركب فرسا لابي طلحة كان قطوفا اي غير سريع المشي وذهب
وحده فلم ير عدوا ورجع فلقيه من خرج خلفه راجعا فقال لهم لن تراعوا
اي لا تخافوا فقيل له كيف وجدت الفرس فقال وجدناه بحرا اي واسع
الخطو فلم يسبقه فرس بعد قوله ذلك ويقال للفرس الواسع الخطو بحر
لان اصل معنى البحر السعة وكذلك اي كما ان ما بينه وبين الناس كان على
احسن نظام كان حاله في لباسه اي ملبوسه وسائر احواله وافعاله
كلها متناسبة من غير تكلف فيها وتصنع فكان يصنع كل شيء في محله وهو
معنى قوله السابق يعد للامور اشباهها كما قيل
فاقسم لكل محل ما يليق به ● فان للرجل حليا ليس للعنق ●
بحسب اعتبار مصالحه الخاصة به في نفسه ومصالح امته وكذلك كان يفعل

العقل

العقل من امور الدنيا وان لم يكن له فيه رغبة مساعدة اي معاونة لامته فهو منصوب
مفعول له وسياسة اي قد يفعله لاجل سياستهم اي حفظهم وكراهية لخلاف فيما
يفضي الى ما يضر والضمير للامة اي يفعل ما لم يرده احيانا جبرا لقلوبهم وتاليفا
بعدم مخالفتهم فيما يجوز وان كان قد يرى غيره كتركه او فعل امر المخالفة خيرا لامته
لانه احب اليه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا لامته وقد يفعل هذا اي ما يرى
تركه خيرا من فعله في الامور الدينية كما تقدم في امور الدنيا مما كان له الخيرة بكسر الخاء
وفتح المثناة التحتية كما في المقتفي وقال غيره انه بكسر الخاء وسكون المثناة اسم من خار
الله في كذا او ما قيل انه بفتحهما ليس بوجه اقول لا وجه لهذا فان فعله بكسر ففتح
مما ثبت في المصادر كخيرة وطيرة وفي الاسماء كحبرة كما صرح به النحاة في احد وجهيه
دون الاخر اي مما خيره الله في فعله وتركه ولولا ذلك لم يجر مثله في الامور الدينية
تمثيل له بقوله كخروجه صلى الله عليه وسلم باصحابه من المدينة لاحد اسم جبل
معروف كانت عنده الوقعة المذكورة في السير فخرج لمحاربة ابي سفيان وقريش وكان
اذ ذاك مذهبه اي رايه صلى الله عليه وسلم المختار عنده والمذهب يطلق على هذا
المعنى كما قال ابو نواس
ومن مذهبي حب الديار لاهلها ● وللناس فيما يعشقون مذاهب
التحصن بها اي عدم الخروج منها وذلك لان لبعض الصحابة رضي الله عنهم الذين
لم يحضروا غزاة بدر احبوا خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة للقتال
وكان صلى الله عليه وسلم راي رؤيا تدل على قتل بعض اصحابه وامور اخر فقصها
عليهم واولها لهم كما في السير واراد تركه الخروج فلم يطيعوه فيه فدخل منزله
فلبس درعه ولامة حربه فندموا على مخالفته وقالوا له لما خرج الراي لك
فقال ما كان لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ومضى
فكان ما كان من جراحته وقتل حمزة وغيره فهذه قصة دينية ترك فيها ما احبه
لما راه اصحابه وكلاهما امر جائز ومن ذلك تركه قتل المنافقين وهم المظهرون
للاسلام مع اخفاء الكفر وهو لفظ اسلامي لا تعرفه العرب قديما ماخوذ من نافقاء
اليربوع وهو مخرج يستره في جحره ليخرج منه اذا احس بما يؤذيه ويطلق على كل من
خالف ظاهره باطنه كما تقدم بيان ذلك كله وهو صلى الله عليه وسلم على يقين من
امرهم باخبار الله له به وبما يظهر من احوالهم من ايذائه وما يبلغه عنهم مما يظهر
الان اقتضى كفرهم وردتهم قتلهم ولكنه صلى الله عليه وسلم حكم
بظاهرهم مخالفة لغيرهم ممن يرجى اسلامه او خلوص ايمان من قريب
عهده بالاسلام ورعاية للمؤمنين من قرابتهم اسم جمع بمعنى الاقرباء كالصحابة
كما قاله ابن مالك فلا يحتاج لتاويل او تقدير كما توهم وبذلك يسر وليثبت
وتطمئن قلوبهم وهما مفعول لاجله وكراهة لان يقول الناس من اعدائه
قد خاطبهم ان محمدا يقتل اصحابه يتصدون به من يريد الاسلام عنه
كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في عبد الله بن ابي ابن سلول لما قال
في غزوة بني قينقاع لنخرجن الاعز منها الاذل وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك

تلمساني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقال لبعض الصحابة نقتله لنفاقه فقال صلى الله عليه وسلم فكيف اذا تحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه والحديث مشهور ومما كان يرتكبه فيه احد الجايزين تطييبا
للخواطر تركه بنا الكعبة على قواعد ابراهيم حين بناها مع اسماعيل عليه الصلاة
والسلام وكان مقدارا ذرع من الحجر ستة اوسبعة اوخمسة داخل فيها ولها بابان
ملصقان بالارض فلما بنتها قريش قبل البعثة لم تف نفقتهم ببنائها كذلك
فاخرجوا بعض الحجر منها وجعلوا لها بابا واحدا مرتفعا والكلام على ذلك وكم
بنيت وامتناعه وجوازه مفصل في محله وللسيد السمهودي فيه تاليف مستقل
تغيير مراعاة لقلوب قريش مفعول لاجله فانها لا ترضى بذلك ونقده تغيير
لماثرهم للتودد بعجز عنهم وتعظيمهم لتغييرها عما بنته اباؤهم وتخوفهم
من هدمها وحذرا من نفار قلوبهم عنه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقو ايمانه
ومن به بقية من الجاهلية وتركه حذرا من تحريك متقدم عهدا وعهدهم للدين
اي دين الاسلام واهله فقال صلى الله عليه وسلم لعايشة في الحديث الصحيح
الذي رواه الشيخان وغيرهما لولا حدثان قومك بكسر فسكون مصدر بمعنى
الحدوث ضد القدم اي تجدده وعدم رسوخه والمراد به هنا القرب اي لولا قرب
عهدهم بالكفر والشرك لاتممت البيت اي لبنيته على تمامه وكماله على قواعد
ابراهيم التي كان بناه عليها وعلى هيئته الاولى بادخال بعض الحجر الخارج منه
فيه والصاق بابه بالارض وجعل ارتفاعه على ما كان عليه ومن تركه احد
احد الجايزين ما يقاربه وتشبهه نبيه صلى الله عليه وسلم كان يفعل الفعل
الذي صدر منه ثم يتركه لكون غيره خيرا منه وان كانا جايزين له كانتقاله
من ادنى ابار مياه بدر وهي ارض معروفة اي قيامه برحله من منزله عنده
وقد اشار عليه الحباب بن المنذر به كما تقدم الى اقربها للعدو وذلك
العدو من كفار قريش الذين وقعت معهم غزوة بدر وتغوير ما استغني
عنه من العيون تضييقا عليهم لعتوهم وكفرهم وكان نزل اولا بادنى
الما فقال له الحباب بن المنذر ابوحي هذا ام راي قال راي فاشار عليه
بما ذكر ونزل عليه جبريل وقال الراي ما اشار به الحباب كما تقدم
وكقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما رواه الشيخان لو
استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي الى اخر الحديث والهدي
بفتح فسكون وبيا مخففة وتجوز كسر ثانيه وتشديد اليا وبهما قرئ وهو
ما يساق من الابل لينحر في الحرم ويتصدق بلحمه وهو انه صلى الله عليه وسلم
احرم بالحج مفردا وساق معه هديا فلم يحل له ان يلبس ويحل من احرامه
حتى يبلغ الهدي محله يوم النحر وكان اصحابه رضي الله عنهم تمتعوا بالعمرة
وفكوا احرامهم فلما علموا انه صلى الله عليه وسلم لم يتمتع كرهوا تمتعهم
بلباسهم ونسايهم خلاف رسول الله فقال لهم صلى الله عليه وسلم لو
استقبلت الخ اي وددت اني مثلكم اتمتع لو لم يمنعني سوق الهدي
وعقد النية وهذان امران جايزان فعل احدهما اولا وغيره احب اليه

بيانا للجواز واختلف ايهما افضل كما ذكر في كتب الفقه وقوله استقبلت من امري
المراد من امر احرامه ومعناه لو لم يتقدم مني ما صدر مما يمنع موافقتكم وهو سوق
الهدي واستقباله كناية عن عدم وقوعه وتقدمه واستدباره كناية عن وقوعه
لان ما وقع ومضى كان خلفك وما لم تفعله فقد امامك موجود ولو للتمني اي وددت
انه ما صدر مني من سوق الهدي كانه لم يكن حتى اوافقكم والشاهد فيه لما ذكر ظاهر
وكان صلى الله عليه وسلم يبسط وجهه للكافر والعدو وممن هو من اعدايه رجا
استيلافه اي ان يولف بينه وبين المسلمين بهدايته للاسلام وعدم تقويه لما يراه
من لطف الله به واظهار له ما يحبه وتقدم ان بسط الوجه عبارة عن البشاشة
واظهار المسرة لان غيره يقطب وجهه ويجمع اسارير جبهته وكان صلى الله عليه وسلم
يصبر للجاهل المراد به هنا غير متعارف فهم فانه في كلامهم بمعنى ذو العتو والغلظة
والتكبر الحامل على تجاوز تعقله ويجهل فوق جهل الجاهلينا اي يصبح ويقول
صلى الله عليه وسلم اذا بدا من مثله ما لا يريده وسيل عنه كما ورد في حديث رواه
الشيخان عن عايشة رضي الله عنها ان من شر الناس شر مخفف اسم تفضيل اي
اخبثهم واكثرهم شرا من اتقاه الناس اي توقوا منه وتجنبوه وسالوه وراعوه
خوفا منه لشره اي من اجله فان مثله يجتنب منه ويبذل بموحدة وذال معجمة اي
يعطى له الرغايب جمع رغيبة وهي ما يرغب فيه كالعطايا الكثيرة ونحوها ليجيب
اليه شر بعينه فان الجاهل ميله للدنيا فاذا راها منه احبه واطاعه فيما يامر به
من الشرع ودين يراه به من دانه اذا ساسه وقهره والفرق بين الدين والشريعة مشهور
ويتولى اي كان صلى الله عليه وسلم يباشر ويفعل بنفسه في منزله اي في داخل
بيته مع اهله ما يتولاه ويفعله الخادم تواضعا منه صلى الله عليه وسلم من
مهنته الضمير للمنزل او له وهي بفتح الميم وسكون الها وبالنون وقبل تا التانيث
الضمير وهي بمعنى الخدمة واصلها الابتذال والمسموع فيها الفتح والكسر خطا
وان كان هو القياس كالخدمة والجلسة كما نقله الزمخشري عن الاصمعي وفي
القاموس المهنة بالكسر والفتح وككلمة الخدمة والعمل وعن عايشة كان صلى الله
عليه وسلم يخصف النعل ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل احدكم في بيته
ويقم بيته ويحلب شاته وياكل مع الخادم ويعجن ويحمل حاجته من السوق
كله للتواضع وتعليمه للامة وهو من سنن الانبيا ويتسمت بفتح تا المضارعة
تفعل من السمت وهو التلبس بالهيئة الحسنة والسمت بسين مهملة
وهو القصد الحسن وقيل الهيئة والمنظر الحسن في نفسه ولباسه وفي القاموس
السمت الطريق وهيئة اهل الخير والسير على الطريق والقصد انتهى واهل
المعقول يستعملونه بمعنى المقابل للشيء والجهة وهو قريب منه ويرى
ملابيه في بعض النسخ بفتح الميم واللام وكسر الهمزة قبل الضمير وعليه اقتصر
الشارح الجديد وهو المناسب بما قبله من قوله في منزله اي كان صلى الله
عليه وسلم في منزله على نحو الخادم في خدمته وغيرها فان ابرز للملا
من اصحابه وجلسايه من الاشراف برز على هيئة حسنة متسترا بازاره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لشدة حيائه وادابه وقال البرهان وغيره انه في ملائه بضم الميم والمد جمع
ملاة وهي الملحفة وفي المطالع لابن قرقول انه مقصور مهموز ونقله النووي
عن المشارق للمنع قال هو غلط من الناسخ بلا شك والملا جماعة يملون العيون
مهابة وجلالة والاول انسب ايضا بقوله وحتى الخ وقال التلمساني انهما
روايتان اعني ملائه وملايه حتى لا يبدو اي لا يظهر منه شيء يكشفه من اطرافه
اي اطراف بدنه لكثافة وادامه كما هو عادة الاشراف المحتشمين في الخلوة
والنادي وحتى كان على رؤس جلسائه الطير اي لمهابته ولهيبته ذلك لا يرفع
احد عنده راسه ولا يطيل نظره اليه توقيرا له وتكريما لرزانة عقولهم
لان الطير لا يقع الا على ساكن من جذع وحائط ونحوه فشبهوا بذلك ووجه
الشبه ظاهر كما قلت في مقصورتي في مدحه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
كانما الطير على رؤسهم * من كل غصن في ربا المجد نما *
ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم اي بما كان لمن قبله من اوائلهم بحكاية
ما كان قبل الاسلام من حروبهم كيوم بعاث وغيرها لخلق العقول وقيل المراد
انه يتكلم بحديث اول متكلم منهم اي بما يناسبه لا انه يعيده لهم ويتعجب مما
يتعجبون منه لحسن صحبته ولا يعارضهم ولا ينكر عليهم تانيسا لهم وجبرا
لخواطرهم لكمال خلقه ولطفه ويضحك معهم مما يضحكون منه مما يقتضيه
حديثهم فلا يعبس كالجبابرة الان ضحكه صلى الله عليه وسلم على عادته
التبسم بلا قهقهة وبلا ابداء داخل الفم فلا ينافي قول عائشة ما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا اي ضاحكا بجميع فمه حتى تبدو
لهواته قد وسع الناس اي عم جميع من عنده بشره اي طلاقة وجهه وبشاشته
في وجوههم ووسعهم عدله وتسويته بين جلسائه او لا يحيف ويجور على احد
عنده او على احد من الخلق اصلا لا يستفزه اي لا يقلقه الغضب اي اذا صدر
من احد ما يغضبه لوقاره وشدة صبره على الاذى من بعض المنافقين وجفاة
الاعراب الواردين عليه قال تعالى واستفزز من استطعت اي ازعجه وهو
من الفز بمعنى الخفة ومع حلمه لا يقصر عن الحق فيوفيه حقه ولا يترك منه شيئا ولا
يبطن اي لا يخفي في باطن امره على جلسائه ممن هو عنده شيئا مما يؤيده ويقول
لاعلامهم بانه لا يخفى عليهم امرا ما كان اي لا ينبغي ولا يليق ولا يصح وما كان
لهذه المعاني لنبي ان تكون له خائنة الاعين اي ليس له ان يغمز ويشير بطرف
عينيه لاحد ان يفعل شيئا اخفاه ولم يتكلم به وقد تقدم ذلك في حديث
الفتح وارادته صلى الله عليه وسلم قتل ابن ابي سرح لما توقف عن مبايعته
ليقوم له من يضرب عنقه لانه صلى الله عليه وسلم كان اهدر دمه فلما
بايعه ومضى قال هلا قام اليه من يضرب عنقه فقيل له هلا اومات الينا
يا رسول الله فقال ما كان لنبي الخ وحرمة ذلك عليه عدت من خصائص
الانبيا كما مر وفي النهاية خائنة الاعين ان يضمر في نفسه ما لا يظهره
بلسانه فيومي له بعينيه وهو خيانة والخائنة مصدر بمعنى الخيانة

او

او اصله الاعين الخائنة وقد تقدم فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعا
في حديث رواه الشيخان وغيرهما عنها في الداخل عليها وهو عيينة بن حصن الفزاري
وقيل هو مخرمة بن نوفل القرشي وقيل انهما واقعتان تعددتا بئس ابن العشيرة
هو والعشيرة بنو الاب الادنون او القبيلة فلما دخل الان له القول اي تلطف بعد ما قاله
في حقه وضحك معه لمقاله الدال على حمقه فلما سالته صلى الله عليه وسلم عائشة
عن ذلك الذي فعله معه بعد ما قاله قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره
تقدم تفسيره قريبا وكيف جاز منه صلى الله عليه وسلم ان يظهر له خلاف ما يبطن
اي يخفيه عنه او مطلقا ويقول في ظهره اي في غيبته بعد ما ذهب وولى ظهره
ما قال في حقه من قوله بئس ابن العشيرة بعد الانة القول له وضحكه في وجهه
وقد مر او عيينة هذا من المؤلفة قلوبهم وكان قبل اسلامه دخل بغير اذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال له بلا اذن فقال
ما استاذنت على احد من مضر اي لانه كان رئيسا في قومه ويقال له الاحمق المطاع
في قومه ثم قال له ما هذه الحميرا فقال ام المؤمنين فقال الا انزل لك عن اجمل
منها فقالت يا رسول الله من هذا قال هو الاحمق المطاع في قومه وهو على ما
ترى سيد قومه ثم اسلم وله ترجمة فيها بعض اموره وقيل في الحديث دليل
على جواز غيبة الكافر والفاسق المجاهر ويأتي ما فيه وما فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم مداراة لا مداهنة والفرق بينهما مشهور ويأتي عن قريب
وقد قيل لو ذكر المص هذا اي الفصل الذي قبله كان اولى والجواب عما ذكر ان فعله
صلى الله عليه وسلم لما ذكر كان استيلافا لمثله من اجلاف العرب واشرارهم رجاء
لاسلامهم ودفعهم بالتي هي احسن حتى يلين قلبه ويحسن اسلامه وقد وقع وكان
معه من قومه اكثر من عشرة الاف والمراد بمثله من هو سيد مطاع كثير الاتباع
وهو انسب بما بعده وقول القرطبي ان هذا الحديث يدل على ان عيينة
كان له سوء الخاتمة لجعله في الحديث شر الناس لا وجه له لان الحديث عام غير
مخصوص بالمذكور حتى يدل على ما قاله فهو شامل لكل متصف بهذه الصفة
وتطييبا لنفسه حتى يذعن للاسلام فيهديه الله له حتى يشاهد معجزاته صلى
الله عليه وسلم ويشرق عليه من نوره ما يشرح به صدره ليتمكن ايمانه
اي يقر ويثبت في قلبه بحيث لا يقبل الزوال ويدخل بسببه كانه كان رئيسا
كثير الاتباع كما مر في الاسلام اتباعه لانقيادهم له وكونهم معه كظل لابعاد
ويراه اذا اسلم واطاع مثله من سادات العرب والجبابرة منهم فينجذب اي
ينقاد مذعنا الى الاسلام لما يراه من اتباع غيره له من الرؤسا فمثل هذا
اي من قوله لاحد من الناس في وجهه شيئا وذكره خلافه بعد ذهابه على هذا
الوجه يخرج فيقال انه في حق من تخل عيبته وانه لتاليف القلوب لما ذكر
من الفوائد قد خرج بهذا عن حد مداراة الدنيا اي عن المداراة التي هي
لاجل امور الدنيا الى السياسة الدينية اي التدبير بتاليف القلوب الداعي
لدخول الناس في الاسلام من غير ضرر وتعب فهو من جملة مصالح الدين ومهماته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سيتالفهم اي يطلب تالف قلوبهم للاسلام ببذل
اموال الله من الغنايم العريضة اي الكثيرة جدا والعرض مقابل الطول يستعار
لما ذكر كثيرا فيقال له مال وغني عريض ووجه الشبه ظاهر واختياره على الطول
ادخل في المبالغة لانه اذا عظم عرضه علم عظمة طوله التزاما كما لا يخفى وهذا
نحو ما وقع له صلى الله عليه وسلم انه اعطي بعضهم واديا مملوا بالغنم فاسلم
واسلم قومه لما قال لهم يا قوم انه يعطي عطا من لا يخاف الفقر فكيف لا يتالفهم
مع تالفهم بالاموال العريضة بالكلمة اللينة فانه يعلم بالطريق الاولى ويبعد عدمه
جدا والاستفهام انكاري يفيد الاستبعاد كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم وعطاياه صلى الله عليه وسلم وكثرتها للمؤلفة قلوبهم لا تخفى وهو
مداراة حسنة وقربة عظيمة والفرق بينها وبين المداهنة ان المداهنة ما فيه
رضي بامر غير مشروع لغرض فاسد والمداراة ما فيه تلطف بامر مشروع محمود
لمصلحة محمودة قال صفوان بن امية بن وهب الجمحي الصحابي احد الاشراف الفصحا
الاجواد اسلم بعد حنين وتوفي سنة اثنين واربعين واخرج له اصحاب السنن
وفي الصحابة من اسمه صفوان غيره ستة عشر لقد اعطاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي لما كان في قلبه من عداوته له صلى الله عليه وسلم
فما زال يعطيني من مواهبه الجزيلة من غير سوال حتى صار احب الخلق الي لما راه
من احسانه له من غير امتنان وعطف على ما كان منه في الكفر والعدوان ثم اشار
الى جواب سوال تقديره انك قلت ان قوله بئس ابن العشيرة لم يقله في وجهه
والذي خالفه قاله لمؤلفه وهذا غيبة محرمة شرعا فكيف صدر منه صلى الله
عليه وسلم ما حرمه الله تعالى بقوله وقوله صلى الله عليه وسلم فيه اي في حق
عيينة بن حصن الداخل عليه بغير اذن كما مر بئس ابن العشيرة هو في حقه
غير غيبة منهي عنها بل هو تعريف ما علمه منه من خصاله القبيحة المذمومة
لمن لم يعلم حاله ويعرف ذلك ليحذر حاله ويحترز منه باجتنابه ليسلم من شره
ولا يوثق بجانبه اي بما يكون من جهته من قول وفعل كل الثقة اي وثوقا
كليا لما علم من حمقه وجاهليته لا سيما وقد كان مطاعا اي سيدا مهابا في العرب
يطاع امره متبوعا اي له اتباع كثيرة من العرب اذا امرهم اطاعوه فيخشى
من شره ومثل هذا الذي صدر منه صلى الله عليه وسلم من ذمه له مع لين
قوله له اذا كان لضرورة اقتضاها الحال من دفع شر بلا ضرر عاجل منه
للمسلمين ليتوقى دفعه ودفع مضرة اي ازالة ضرر لم يكن ذلك بغيبة
منهي عنها شرعا حتى يعترض ويقال كيف تصدر مثله منه صلى الله
عليه وسلم وهو معصوم ثم انتقل على طريق الترقي في تنزيه مقام
النبوة فقال بل كان جايزا منه لتعريف حاله من غير قصد ذمه بل كان
واجبا عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين بعض عيوبه امته اذا اخشى
من لا يعرفها في بعض الاحيان جمع حين والمراد زمان توقع الضرر فلا
يجوز تاخير بيانه عن وقت الحاجة اليه كعادة المحدثين اي علما الحديث

النبوي في تجريح الرواة بذكر عيوبهم لئلا يعمل بما رووه كفلان كذاب او غير ثقة او اختل
عقله او دينه والجرح معروف استعير لذكر العيوب كقوله ولا يلتام ما جرح اللسان
وصار حقيقة فيه وكعادة المزكين في تجريحهم الشهود اذا سالهم الحاكم عنهم ليقبل
شهادتهم او لا فيجب عليهم ذكر ما يعلمون من حالهم خيرا او شرا وسمي مزكيا لانه
من التطهير بدفع المعايب ونفيها اشارة الى ان حق الانسان ان يتصف بالخير وشاع
في المعنى العام وكان هذا واجبا لما فيه من دفع الفساد عن الاحكام الشرعية ه
وصيانة حقوق الناس وقد استثنوا من الغيبة مع ما ذكر امورا اخر في صور
ستة ذكرناها في غير هذا المحل وجمعها بعضهم في قوله
القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقا ومستفت ... ومن طلب الاعانة في ازالة منكر
فقول المصنف الغالبية بغيبة يجوز تعاوه على ظاهره ان قلنا هذه لا تعد غيبة
شرعا لجوازها او وجوبها فان قلنا الغيبة ذكر المرء بما يكره في غيبته مطلقا فقيله
بغيبة مقدر اي ليست بغيبة ياثم قايلها ويمتنع عليه شرعا فلا يرد عليه شي
فان قيل فما معنى المعضل اسم فاعل من اعضل الامر اذا اشكل واعيي وكان
هذا امشكلا لما سياتي وليس المراد بالمعضل هنا مصطلح اهل الحديث واصل
الاعضال عسر الولادة فاريد به ما ذكر ووقع في نسخة الفصل بفا وصاد مهملة
الوارد في حديث بريرة رضي الله عنها الذي رواه الشيخان وبريرة بمعنى فعيلة
بمعنى فاعلة او مفعولة وكانت مملوكة لبعض الانصار او بني هلال او لهما وقيل
كانت لعتبة بن ابي لهب وقيل لبعض بني كاهل وكانت تخدم عايشة رضي الله عنها
قبل عتقها وتوفيت في زمن معاوية رضي الله عنه واختلف في جنس بريرة فقيل
كانت قبطية غير سودا وقيل حبشية سودا من قوله صلى الله عليه وسلم بيان
للحديث المعضل لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة اي المالكين لها ابوا بيعها
اي امتنعوا من بيعها واختلف في المخبر له صلى الله عليه وسلم هل هو عايشة
او بريرة او غيرهما كما وقع في روايات للحديث الا ان يكون لهم الولا اي ولا
العتاقة وهو معروف في كتب الفقه فانهم قالوا كاتبوها فعجزت واستعانت
بعايشة رضي الله عنها فقالت لها ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك واعتقتك
ويكون ولاوك لي فابوا ذلك وكانوا كاتبوها على تسعة اواق في كل سنة وللفقها
اختلاف في صحة بيع المكاتب مطلقا او اذا عجز كما بينوه فقال صلى الله عليه
وسلم لها اي لعايشة لما اخبرته بقولهم اشتريها منهم واشترطي لهم الولا
كما ارادوا ففعلت اي اشترتها بشرط ان الولا لهم اذا اعتقتها والولا
عصوبة شرعية معروفة لحديث الولا لحمة كلحمة النسب ثم قام صلى الله
عليه وسلم على منبره خطيبا على عادته فيما اذا اراد بيان امر للناس فقال
صلى الله عليه وسلم في خطبته ما بال اقوام اي ما شانهم وكان عادته صلى
الله عليه وسلم ابهام من صدر عنه ما لا يرضاه فلم يقل ما بال فلان ه
والاستفهام انكاري يشترطون شروطا غير جايزة ليست في كتاب الله ولا

ايضا

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولم يثبت عنها لهم من امور الجاهلية كل شرط ليس في كتاب الله ولا في حديث نبيه صلى الله عليه
وسلم الذي هو حكمه فهو باطل كشرط الولا هنا لهم والشرط على اقسام جائز وممتنع
ولغو وباطل وتفصيله في كتب الفقه لا حاجة للتطويل به هنا ثم بين وجه الاشكال
في الحديث بقوله والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها اي عائشة رضي الله عنها
بشرائها بالشرط لهم اي بشرط الولا لهم اذا اعتقتها وعليه باعوها اي على هذا
الشرط وقع بيعهم لها ولولاه اي شرط الولا بضمير متصل وهو جائز والافصح
انفصاله نحو لولا انتم وبيانه في كتب النحو والله اعلم جملة معترضة بتفويض
علمه لله تعالى تادبا ما باعوها من عائشة لانهم ابوا البيع بدونه كما تقدم
كما انهم لم يبيعوها قبل مبني على الضم اي قبل شرط الولا لهم حتى شرطوا
ذلك اي كون الولا لهم ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو اي والحال انه صلى
الله عليه وسلم حرم الغش اي التلبيس واخفا ما بينهم فقابل النصح والخديعة
فقال من غشنا فليس منا ولا خلابة اي لا خداع في المعاملة فكيف امر عائشة
بقبول ما لا يجوز ولولاه ما باعوها ففيه غش وخديعة فدفعه بقوله
فاعلم اكرمك الله كما اكرمت مقام النبوة بتنزيهه عما لا يليق به والجملة
دعائية معترضة لدفع الاعتراض ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه اي
متبرئ ومبتعد عما يقع في بال الجاهل بالحديث ومقام النبوة اي في فكره
او قلبه وخاطره لاشانه وحاله من هذا الامر الذي يتوهم انه غش وخديعة
ولاجل تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الذي يتوهمه جاهل بما ذكر
ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من الزيادة
اشترطي لهم الولا وانما انكروها اذ ليست في طرق الحديث هذا ما ذهب اليه
الخطابي وقيل ان الشافعي ذكر في الام وانه وقع في طريق لم يتابع عليها وهو
مردود وقد علمت ان الواقع في النسخ تنزيه بصيغة المصدر فما زائدة وهو
ظاهر ويراه بعضهم تنزهه مضارع فاعرب فاعلاه والظاهر انه من تحريف
الناسخ وعدم تثبت المقابل ومع ثبوتها وصحة روايتها وهو الذي عليه
الاكثر رواه الثقاة من طرق متعددة صحيحة فلا وجه لانكارها لكنه
اختلف في توجيهه بوجوه تاتي وحينئذ فلا اعتراض بها على هذا التقدير
لان ثبوت هذه الرواية هو الذي ذكره الجمهور وقالوا انه ورد من طرق صحيحة
وما قيل انه لم ترد الا من طريق واحد لم يتابع عليه مردود كما في شروح
الصحيحين والحامل عليه ما ذكر من الاشكال وهو مدفوع بوجوه منها ما اشار
اليه بقوله اذ يقع لفظ لهم بمعنى عليهم على ان اللام بمعنى على في كلام العرب
كعكسه والشاهد عليه ما قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة اي عليهم
وقال تعالى وان اسأتم فلها اي عليها كقوله ولهم سوء الدار فعلى
هذا التاويل بجعل اللام بمعنى على كما في الايتين يكون معنى الحديث
فاشترطي عليهم الولا لك يا عائشة فان الولا لمن اعتق لا لمن باع ويكون
على هذا التقدير قيام النبي صلى الله عليه وسلم على منبره ووعظه بقوله

مابال

ما بال اقوام الخ انكارا وزجرا لما سلف منهم اي لما تقدم من مواليها من شرط الولا على
بريرة بنت صفوان قبل ذلك اي قبل وعظه تاديبا لهم وارشادا لمن خالف كتاب الله وسنته
وهذا التوجيه منقول عن المزني واسنده البيهقي الى الشافعي رضي الله عنه وجزم
به الخطابي وصححه وانكره غيره وقال النووي انه ضعيف لانه صلى الله عليه وسلم
انكر اشتراطهم ذلك ولو كانت اللام بمعنى على لم ينكره وكون انكاره لارادتهم الاشتراط
لهم اولا يأباه سياق الحديث وقال ابن دقيق العيد رحمه الله اللام تدل على اختصاص امر
ما ضارا كان او نافعا كما تقول العقاب لزيد فلا حاجة لجعلها بمعنى على حيث لا لبس
وعلى كل حال فضعف هذا الجواب ظاهر ووجه ثان كما استشكلوه في هذا الحديث
بعد ثبوت روايته هكذا ان قوله صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية لعائشة
اشترطي لهم الولا ليس صادرا منه صلى الله عليه وسلم على معنى الامر فان صيغة الامر
ترد لمعان كثيرة كقوله كن فيكون كما بين في الاصول وان كان حقيقته المتبادرة
منه الامر الطلبي ثم استدرك ببيان المراد به على هذا فقال لكن انما ورد منه امر اشترطي
على معنى التسوية اي تسوية الاشتراط وعدمه وامثاله اشترطي ولا تشترطي كما يأتي
وهذا المعنى يرجع الى الاباحة والتسوية من معاني او وقد يضاف للامر ايضا
وجمع بينهما بانه يفهم من قرينة السياق فيصح نسبته لكل منهما ويؤيد هذا انه
قيل انه ضعيف جدا انه ورد في بعض طرقه اشترطي ولا تشترطي فانما الولا لمن
اعتق ولما كان هذا يتوقف على ان الموالي كانوا يعلمون ان هذا الشرط شرعا غير
معتبر اشار الى ذلك بقوله والاعلام بالجر عطف على التسوية بان شرط لهم اي شرط
الولا للموالي المذكورين لا ينفعهم ولا يفيدهم شيئا منه لعدم وروده وما يجوز
بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبني على الضم اي قبل وقوع هذه
القصة ان الولا انما هو لمن اعتق فكانه صلى الله عليه وسلم على هذا التقدير
قال لها اي لعائشة اشترطي ولا تشترطي فالاشتراط وعدمه سوا ويؤيده انه
روي هكذا كما مر وانما استوى هو وعدمه فانه شرط غير نافع لانه لغو لا يفيدهم
انتقال الولا لهم والى هذا التوجيه ذهب الداودي وهو الامام ابو الحسن عبد
الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود المعروف بالداودي كما تقدم في ترجمته وغيره
من العلما وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم اي تعييرهم بتقبيح فعلهم
على منبره وتقريعهم بلومهم بين الناس على ذلك اي على امتناعهم بدون اشتراط
الولا لهم يدل على علمهم به اي بعدم نفع اشتراطهم قبل هذا اي قبل
ما قاله صلى الله عليه وسلم لهم لانهم يكونون معذورين بجعلهم لهذا
غير مستحقين للتقريع والتوبيخ فسقط ما قيل انه مخالف للظاهر متوقف
على ثبوت علمهم بهذا الحكم قبل خطبته صلى الله عليه وسلم الوجه الثالث
في الجواب عن هذا الاشكال ان معنى قوله اشترطي لهم الولا اخبار ان مقدره
تقديره صحيح ونحوه اذ لا يصح اقتران الخبر باي في قوله اي اظهري لهم
حكمه من انه لمن اعتق لا يتخطاه لغيره وان شرط له وبيني لهم عندهم
سنته اي طريقته وما شرعه مبني بالمعنى اللغوي لا مقابل الفرض

ابن فرحون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان الولا انما هو لمن اعتق بفتح الجزم والتشديد يبدل من قوله ستنته ثم بعد هذا الذي
ذكره من عدم فايدة الشرط قام هو صلى الله عليه وسلم في خطبته مبينا ذلك الحكم
ومن خالفهم على مخالفة ما تقدم منه صلى الله عليه وسلم من ان هذا الشرط لا يجدي
نفعا وفيه اشارة لما قدمه من ان لهم علما بهذا الحكم قبل خطبته فيه اي في الولا او
في امر بريرة ولا يخفى ما في هذا الوجه من الاغلاق فان اراد قايله ان امر اشترطي
لبنى على ظاهره وانما هو مجاز عن معنى اظهري لهم حكم الاشتراط ويبني لهم حكم
الله فيه وطابق النبي صلى الله عليه وسلم وبشر بعتقه في انه انما هو لمن اعتق
ووجه المجاز فيه وعلاقته غير بينة وقد قيل في بيانه ان هذا الامر للتهديد
لهم كقوله اعملوا فسيرى الله عملكم لانه سبق بيانه وكان امرا معلوما لهم ولغيرهم
فطلبهم له بعد ذلك امر منكر يستحق للتوبيخ وقال الشافعي في الام الخصم لما
عصوا الله باشتراط ما قضا بخلافه امرها ان تشترطه لهم بحسب الظاهر حتى يزجرهم
ويردهم لان توبيخ من ارتكب المعصية بعد ارتكابها اقوى في زجره قبله واعظم
في النهي عنه فقال لها اشترطيه ليتاتى ردعه وقال بعضهم هذا الامر لترك
المخالفة والنزاع فالامر مجاز عن التخلية بينهم وبين ما ارادوا واظهار العدم
اقتنالهم للنهي السابق وهو ابلغ زجرا لاباحة وهذا ما قرره المفسرون في قوله
تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فعبر عن التخلية بينهم وبين
الاضرار مجازا وقال النووي انه حكم خاص بعايشة رضي الله عنها وفيه نظر
ثم استطرد ببعض ما وقع لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا لمخالفا لما قرره
من براتهم عما تقدم فقال فان قيل فما معنى فعل يوسف بن يعقوب نبي الله
عليهما الصلاة والسلام باخيه شقيقه بنيامين اذ جعل السقاية هي انا
من فضة او ذهب موضع او من برجد وفيه اقوال اخر كان يشرب او لامنه ثم جعل
صاعا يكال به ولها قصة عظيمة قد شهر بها يوسف او امر باجعلها في رحل اخيه
ليأخذه بها وكان من شرعهم اخذ من سرق والرحل رحل البعير والامتعة المشان
التي تحمل عليه واخذه اي اخذ يوسف اخاه باسم سرقته اي بسبب نسبته
لسرقة الصاع واقحم اسم اشارة الى انها تهمة لا اصل لها كما يقولون ما للان
من الامر الا اسمه وما جرى على اخوته في ذلك اي ما كان بينهم في تلك القصة
كما بينه المفسرون والمؤرخون وقوله اي يوسف صلى الله عليه وسلم انكم
لسارقون ولم يسرقوا فكيف يقول ما لا اصل له وهو نبي معصوم ففيه
اشكال يشبه ما في قصة بريرة فاعلم علما يزيل عنك الشبه اكرمك الله بما
من الله به عليك من العلم ان الاية التي في قصة يوسف تدل بظاهر النظم على
ان فعل يوسف مع اخوته كان عن امر الله تعالى له بوحي يعهد فيه قل لهم
كذا وافعل معهم كذا فلا يرد عليه اعتراض لانه بامر الله وبحكمه لقوله
تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله الاية
فاذا كان كذلك اي ما فعله بامر الله وتعليمه واذنه له فيه فلا اعتراض به
عليه فيما قاله وفعله وبما وقع من تكلمه بخلاف الواقع لانه يجب عليه

امتثال

كذلك اى مثل ذلك الكيد كدنا
ليوسف اى بينا الكيد له بان اوحيناه
اليه ليأخذ اخاه في دين ابيهم
لانه اولى من حكم غيره ما كان ليأخذ اخاه فيضمه الى نفسه في دين الملك
اى حكمه اذ كان في دينه ضرب السارق وتغريمه مثلي ما سرقه
دون الاسترقاق الا ان يشاء الله بان يجعل ذلك الحلم حكم ملك مصر
علي القاري

٢٤٥

امتثال امر ربه ولو كان ما امر به مخالف لشريعته فانه لا يسال عما يفعل وقد يامر بعض
انبيايه ان يحكم بالباطن لحكمة كما في قصة الخضر عليه الصلاة والسلام مع موسى وبه
استدل من ذهب من الايمة الى جواز الحيل كابي حنيفة واصحابه خلافا للشافعية
فان لهم فيها خلافا فاقمعنا كدنا ليوسف علمناه ما يكيد به اخوته حتى ياخذ اخاه منهم
والكيد قريب من المكر وهو اظهار ما يخالف الباطن للتحيل على امر يريده ودين الملك
بمعنى طاعته بانقيايه بمصر او ما كان من دينه من اخذ من سرق وقوله الا ان يشا الله
يدل على ان فعله باذنه ورضاه ولهذا اسقط الشبهة المذكورة وان كان فيه ما فيه
اي وان وقع فيه بما ذكر مما يخالف ظاهر الواقع ويقتضي الخديعة بما يليق بمقام
النبوة وايضا مما يجاب به عن هذه الشبهة فان يوسف لما كان اعلم اخاه بنيامين
حين اخذه من اخوته بكيده وتدبيره فقال له سرا وهم لا يعلمون باني انا اخوك
فلا تبتئس اي لا تحزن فيكون عندك بوسى وشدة حين اسند لك السرقة واخذك
عندي وامره ان لا يعلمهم بما قاله له فرضي وقال اذن لا افارقك بما كانوا يعملون
مما يقولون ويخافون وكان ما جرى عليه اي على اخي يوسف بعد هذا اي
بعد اعلامه بما ذكر من وفقه تعالى وفاق اي من الاتفاق جرى بينهما باسترة
في الاقامة معه وانه لا عقوق فيه لابيه وعلى يقين من عقبي الخير له به ايما تيقنه
ان هذه القصة بعقبها اخبر لهم ولابيهم باجتماع شملهم ويعفو عما سلف منهم
عاجلا وازاحة اي ازالة السوء والمضرة عنه اي عن اخيه بذلك اي بما علمه مما
سيكون بعد رغبته في اقامته عنده وان لم يعلم اخوته به واما قوله عز وجل
في حكاية القصة ايتها العير اي اصحاب هذه الدواب والابل الحاملة لكم من عار
بمعنى ذهب وجاء انكم لسارقون للصاع وهم لم يسرقوا حقيقة فهو افترا غير
لايق فليس من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وانما قاله غيره ممن لم
يقف على حقيقة الحال فلا يلزم هو شرعا على النبي فهو منفي ايضا اي فلا يلزم عليه
جواب لحل شبهة ترد عليه لانه كذب حقيقة وقوله لحل بلام جارة وفي
نسخة بالبا وفي اخرى مضارع والكل صحيح متقارب معنى الا انه قيل عليه
انه محتاج للجواب عن اقرار يوسف قايله على امر قبيح والاقرار على القبيح
قبيح كفعله فان كان يوسف لم يسمعه لم يحتج لذلك ولعل قايله الذي
هو غير يوسف ان حسن بيننا المجهول من التحسين له التاويل اي تاويل
اسناد السرقة لهم كانيا من كان غير يوسف لعدم عصمته وتنزاهته بخلافه
هو ظن على صورة الحال ذلك اي راي ظاهر حالهم كحال السارق لوجود ما ليس
لهم بين امتعتهم فظن سرقتهم له وان جاز ان يكون غفلة وسهوا
او وضعه فيها غيرهم وقد قيل في الجواب ايضا ان كان القايل يوسف
فمعنى قال ذلك نظرا لفعلهم قبل اي قبل هذه الحال الواقعة بيوسف
وبيعهم له من السيارة فانه في معنى السرقة وهذا انبا على انهم باعوه
بانفسهم لا من اخرجه من البير ولانهم لم يسرقوه وانما ذهبوا به باذن
ابيهم ولم يبيعوه وانما القوه في الجب لكنهم في فعلهم هذا وما كان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سيئاته كمن سرق محرلا وباعه فلا يرد عليه اعتراض بما ذكر ولا يلزم لنا ان نقول
بضم النون للمتكلم مع غيره وفتح القاف وتشديد الواو المكسورة وفاعله نحن مستتر
ومفعوله الانبيا انما اي يسند لهم عقابهم فلولا لم يكن اي لم يبرو وهو غير لايق بمقامهم
انهم قالوه مع انه يجوز ان يكون القايل غيرهم كما ذكره انفا حين يطلب الخلاص
منه بتاويله وصرفه عن ظاهره ولا يلزم احدا من العلما الاعتذار عنه لان غيرهم
اي غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام لعدم عصمتهم وجواز صدور مثله منهم

فصل في بيان حكمة الابتلا

لبعض الانبيا بالامراض ذكره بعد ما قرر عصمتهم ونزاهة ذواتهم وصفاتهم
واقوالهم وافعالهم عن كل نقص لانه ربما يتوهم جاهل ان الابتلا بمثله غير
لايق بهم ايضا فقال فان قيل مقوله مقدر تعذيبه هم معصومون عن النقايص
فما الحكمة جواب الشرط في اجرا الله الامراض والاسقام المولمة لابدانهم الطبيعة
وشدتها عليه صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وكانت صلى الله عليه وسلم امراضه اشد من غيره كما ياتي وسيل
عنه فقال انا كذلك يشتد علينا ويضاعف لنا الاجر وهو حديث صحيح رواه
ابن ماجه وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت احدا كان اشد عليه الوجع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا بدنه الشريف الطف من غيره واللطيف
يتاثر اكثر من تاثر الكثيف وما الوجه فيما ابتلاهم الله اي الانبيا به من البلا
بيان للضمير والوجه يكون بمعنى السبب الذي يوجبه تعالى ما وجهه اي ما
حكمته وسببه وامتحانهم بما امتحنوا به اي معاملتهم معاملة المحنة ليظهر
صبرهم ورضاهم والمراد بالمحن غير الامراض من المصايب كما سياتي كايوب اذ
ابتلاه بامراض شديدة ويعقوب في حزنه وشدة بكايه حتى ذهب بصره
ويحيى هذا امثال المحن لقتله وزكريا ابتلي بالقتل ايضا كما مر وعيسى ابتلاه
باليهود وكيدهم وابراهيم ابتلي بالقا نمرود له بالنار ويوسف ابتلي بفراق
ابيه له والقايه في السجن والجب وذا ابيال ويقال ذا النال ايضا وهو اسم اعجمي
غير منصرف بدال مهملة وما في بعض الكتب بضاد انه يعنون اعجامها لا اصل له
وقيل معناه الحكم لله وهو نبي غير مرسل كان في زمن بخت نصر وكان من اعز
الناس عنده فوشوا به له فالقاه واصحابه في الاخدود وهذا مما ابتلي به
وقصصهم مفصلة يطول ذكرها وغيرهم من الانبيا كنوح وغيره ممن
ذكره الله في القران وبينه المفسرون وهم خبر لمن تعلق بحال مبينة
لوجود وقد السوال والخيرة المختار المجتبى بسكون اليا وقد تحرك والاول
اسم والثاني مصدر وقيل الوجهان فيهما وقيل بالعكس والاول هو
المعروف واحباوه واصفياوه اي الذين يحبهم ويحبونه وهم الذين
اصطفاهم الله واختارهم لرسالته وقربه فاعلم وفقنا الله واياك
للوقوف على الحكمة في افعاله ان افعال الله تعالى كلها عدل فلا يظلم

احدا

احدا من خلقه وان كان لا يجب عليه شي وله ان يعذب كل من اراد لانه ملكه يتصرف فيه
كما يشا كما فصل في الكلام وكلماته اي اخباره ووعده صدق اي صادقة كلها لا مبدلة
لكلماته وهو السميع العليم فله ان يبتلي عباده كما قال عز وجل لهم ثم جعلناكم
خلايف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي ليظهر للناس اعمالكم فتجعلوا ه
استحقاقكم لما انعم به عليكم ويجازيكم عليه اعظم جزا وقال لهم ايضا الذي خلق
الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اودع فيكم اذا احياكم العقل والاحساس
الذي يصح به تكليف الاحكام وان يعاملكم معاملة المختبر فيجازيكم بما تستحقونه ولتقم
نبلو بمعنى نختبر العلوم علق عن جملة ايكم الخ او فيه تقدير يعلم كما فصله المفسرون
وفيه كلام مشهور في المغني وشروح الكشاف وقال لهم ايضا ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم نفي العلم والمراد نفي المعلوم الذي هو
الجهاد ولما نافية جازمة بمعنى لم مع زيادة توقع المنفي في الماضي فيما يستقبل
ويعلم الصابرين منصوب بان مقدرة وقرى بالرفع وقال لهم ايضا ولنبلونكم
بالجهاد والتكاليف حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على هذه المشاق ونبلو
اخباركم اي ما يخبر به من اعمالكم واخر الكم سياق المص هذه الايات لبيان حكمة الابتلا
وقوله لنعلم ولننظر وما في معناه مع تقدم علمه القديم وافعاله تعالى لا تعلل
بالاغراض عند بعضهم لبيان ما تعلق به علمه وانه لحكم تترتب عليه كالاغراض
الباعثة على الافعال والايات دالة على انه تعالى يبتلي بعض عباده ليظهر صبره
فيجازيهم اعظم جزا ففيه تسلية لهم وحث على الرضا بما قدره لهم فامتحانه
عز وجل لهم اي الانبيا عليهم الصلاة والسلام المذكور في هذه الايات
بضروب وانواع من المحن والمصايب التي ابتلاهم بها زيادة بالنصب مفعول
لاجله في مكانتهم اي منزلتهم العالية بالشرف عنده وكذا قوله ورفعة في
درجاتهم اي مراتبهم العالية حسا ومعنى ولاجل ان يكون اسبابا لاستخراج
اي لاظهار حالات الصبر المذكورة في طبايعهم من القوة الى الفعل حتى يعلمها
الناس وفي نسخة رفع اسباب وما عطف عليه على انه خبر مبتدا مقدر اي وهي
اسباب الخ والرضى في السخط والضر بما قدره الله تعالى والشكر على كل حال لما يترتب
عليه من الثواب الجزيل والتسليم بتفويض لكل ما حصل والتوكل على الله تعالى
والتفويض بجعل امرهم مفوضا اليه والدعا والتضرع منهم اي اظهار التذلل
والخضوع لله في كل حال وتاكيدا بالنصب والرفع وفي نسخة توكيدا وهي لغة
فيه لبصايرهم جمع بصيرة وهي القوة المدركة للمعاني كالباصرة في المحسوسات
فهم على بصيرة فيما ذكر ولكن الابتلا لبصايرهم لما ذكر مقو وموكد ومبين
لبصايرهم في رحمة الممتحنين اسم مفعول وهم من حلت بهم المحن والبلايا
غيرهم والشفقة على المبتلين بفتح اللام جمع مبتلى اسم مفعول وهو من
حلت به مثل بليتهم فانه لا يعرف الخطب الا من يقاسيه وتذكرة لغيرهم
وموعظة لسواهم اذ السعيد من بغيره اتعظ فانهم مع جلالة قدرهم
اذا لم يسلموا منها فكيف غيرهم ممن هو دونهم ليتاسوا اي يقتدوا بهم

الامتحان من الله ان يظهر من العبد ما كان منه في الغيب بعلم

ويكون لهم بهم اسوة في البلا الذي ينزل بهم ويتسلوا اي يكون لهم سلوة تذهب
حزنهم في المحن والمصايب بما جرى عليهم ورفع بهم ويقتدوا في الصبر على ما
اصابهم فيقولون اذا كان انبيا الله واحباوه ابتلوا بمثل هذا فما بالنا نحن ومن جملة
الحكم في ابتلايهم محو الهفوات جمع هفوة وهي الهفوة اليسيرة ويكنى بها عن القبايح
لكن ويالي ما في هذه اللفظة والمعنى الهفوات كفارة للصغاير وما يصدر عنهم سهوا
وامور تعد سيات بالنسبة لهم اذا فرطت منهم اي وقعت بسبب توبيخ يسير
منهم تطهيرا لهم ورفعا لهم عن مثلها وان كانت جايزة او غفلات بفتحات
جمع غفلة وغفلتهم لاستغلال قلوبهم بامور امتهم بسلفت لهم وتقدمت
منهم وقد غفرت ليلقوا الله بعد ابتلايهم وجعل مصايبهم مكفرة لما صدر عنهم
طيبين مبرئين من خبايث الذنوب ودنسها مهذبين اي مخلصين بما يشينهم
من التهذيب وامثله تنقية الاشجار بقطع الاطراف التي تزيده نموا وليكون
اجرهم اعظم عند الله واكمل فان ما يصيب المؤمن حتى الشوكة يوجر عليه
كما سياتي وثوابهم اوفر اي اكثر واجزل اي اعظم فيزيد كما وكيفا والاجر
والثواب بمعنى وقد يفرق بينهما بان الاجر ما كان في مقابلة العمل كالاجرة والثواب
ما كان تفضلا واحسانا من الله ويستعمل كل منهما بمعنى الاخر ثم ان المص رحمه الله
استشهد على كونه صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلا بحديث رواه الترمذي
والنسايي وابن ماجه والحاكم فقال حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو شيخه
ابن سكرة كما تقدم قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا ابو الحسين مصغرا وما في بعض
النسخ مكبرا غير صواب الصيرفي وقد تقدمت ترجمته وابو الفضل بن خيرون
تقدم ايضا قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي المعروف بزوج الحرة كما تقدم
قال حدثنا ابو عيسى الترمذي صاحب السنن المشهورة قال حدثنا قتيبة بن سعيد
كما تقدم قال حدثنا حماد بن زيد تقدم وفي بعض نسخ الترمذي شريك بدل حماد
عن عاصم بن بهدلة هو عاصم بن ابي النجود ابن بهدلة مولى بني اسد احد القرا
السبعة قال الذهبي هو ثبت في الحديث والقران توفي سنة ثمان وعشرين
ومائة وله ترجمة في الميزان وبهدلة بفتح البا الموحدة وسكون الها وفتح
الدال المهملة واللام وبعدها ها قال ثعلب اسم امه فرسم بالف ومعناه الخفة
واسراع المشي وعوام مصر تستعمله بمعنى الاهانة فكانه مجاز للزومه للخفة
والنجود بفتح النون وضم الجيم وسكون الواو وبعدها دال وهي الحمارة الوحشية
التي لا تحمل ويقال هي المشرفة قيل وكل عاصم في المحدثين ردي الحفظ هذا استقرا
من الذهبي عن ابن القطان عن مصعب بن سعد عن ابيه هو سعد بن ابي وقاص
مالك بن اهيب احد العشرة المبشرة بالجنة وهو ثقة نزل بالكوفة وتوفي سنة
ثلاث عشر ومائة واخرج له الستة قال سعد قلت يا رسول الله اي الناس
اشد بلا بالامراض وغيرها قال الانبيا عليهم الصلاة والسلام اشد الناس
بلا ثم يليهم في شدة البلا الامثل فالامثل الفا للترتيب في الشدة والامثلية
بمعنى الافضلية يقال هو امثل بني فلان وامائل القوم وساوهم من

المثالة وهي الفضيلة قال العباس
ابلغ لغير بني شهاب كلهم ... وذوي المثالة من بني عتاب
وقال الراغب الامثل يعبر به عن الاشبه بالافاضل والاقرب الى الخير وامائل القوم
خيارهم قال تعالى اذ يقول امثلهم طريقة وطريقة مثلى حسنة يبتلى الرجل على حسب
دينه الدين هنا بمعنى الطاعة اي بقدر طاعته وتقواه قوة وضعفا تكون بليته
فالاتقى اشد واكثر بلا فما يبرح البلا اي لا يزال نازلا بالعبد المومن حتى يتركه يمشي
على الارض وهو كناية عن وجوده او صحته اي يصيره كذلك فان تركه يكون بمعنا صيره
جزرا للسباع وهو حقيقة او مجاز من تركه بمعنى ابقاه كذلك وما عليه خطية
ظاهره ان تفضي الامراض والمصايب تكفر السيات وانها تكفر الصغاير والكباير لاطلاق
هذا الحديث وما جا في معناه وقيل انما يكفر الصغاير ونفسها لا تكفر وانما يكفر
الصبر عليها واحتسابها واليه ذهب ابن عبد السلام وسياتي بيانه وكما قال
الله تعالى مما يدل على ما دل عليه الحديث وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير
الايات يعني فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله
يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في
امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الاخرة والله يحب المحسنين ففي هذه الايات ما يدل على ابتلا الانبيا وصبرهم
وكثرة ثوابهم عليه وكاين بمعنى كم كما بينه النحاة ومن نبي تمييز لها له
والربيون جمع ربي منسوب الى الرب وفيه تغيير كتغييرات النسب وواحده
ربي بكسر الرا وقيل انه نسب للربة بمعنى الجماعة الكثيرة ويجوز اسناد قتل
للنبي وقال الحسن البصري وابن جبير لم يقتل نبي في حرب اصلا ووهنوا بمعنى
فتروا واستكانوا بمعنى ضعفوا واصله استكنوا او استكونوا من الكون وهذا
تعريض لما اصابهم من الارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم باحد وانه
لو كان حيا كان مثل ما وقع لغيره وانهم مع شدة جهادهم وصبرهم مدعون
بمغفرة ربهم وان لم يصدر منهم ذنب تواضعا وخشية وعن ابي هريرة
رضي الله عنه في حديث رواه الترمذي وصححه ما يزال البلا واقعا بالمومن
في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله اذا مات او حشر وما عليه خطية لان
ما اصابه يكفر سياته كبيرة كانت او صغيرة كما تقدم وعن انس بن مالك
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي ايضا
وحسنه واسناد هذا للنبي صلى الله عليه وسلم يشعر بان ما قبله موقوف
الا ان له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالراي اذا اراد الله بعبده الخير في
اخرته عجل له العقوبة في الدنيا بما يبتليه به فيها بما يمحو به عنه الذنوب
واذا اراد بعبده الشر في عقباه امسك عنه مصايب الدنيا استدراجا له
فلا يعافيه ويبتليه بل يتركه بذنبه والبا للملابسة ومفعول امسك
مقدر اي البلا يا بد فعها عنه حتى يوافي ربه ويلقاه بها اي بذنبه يوم
القيامة فيجازيه عليه ان لم يرد العفو عنه ويوافي بفا مكسورة مبني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

برهان

ابن اقبرس

للفاعل ومن فتحها وبناه للمجهول فقد تعسف وفي حديث اخر رواه الديلمي عن ابي
هريرة اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه اي دعاه متذللا لانه لمحبته لكلامه ومراجعته
والتضرع بمعنى الدعا ورد كثيرا وبه فسر لانه لازم فمن فسره بالتذلل والخشوع
وفسر ليسمع بمعنى يعلم لانه غير مسموع لم يصب وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم
على الله واحب اليه كان بلاؤه في الدنيا اشد واقوى من بلاء غيره فيهما اي يتبين فضله
في الاخرة او في الدنيا لمن لم يبصره وليستوجب الثواب اي يستحقه تفضلا من الله لوعده
به كما روي عن لقمان الحكيم انه قال لابنه اذ وصاه يا بني الذهب والفضة يختبران
بنا المجهول اي يعلم خلوصهما وعدمه اذا اذيبا بالنار ليعلم هل فيهما خبث ام لا والمؤمن
يختبر ايمانه وقوته بالبلا اي باصابته وصبره عليه وتضجره منه وقد حكي ان ابتلا
يعقوب بمفارقة يوسف وحزنه عليه كان سببه التفاته اليه اي الى يوسف في
صلاته ويوسف نايم عنده والتفاته محبة له مصنوعا اي لاجل محبته له فلما قطع
التوجه لله قطعه الله عنه بفرقته وهذا رواه القرطبي في تفسيره غير مسند
وقيل بل سببه ان يعقوب اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل بفتح الحا المهملة
والميم وهو الصغير من الضان لسنة او اقل مشوي وهما يضحكان جملة حالية
وكان لهم جار صغير يتيم فشم ريحه اي رايحة الحمل المشوي واشتهاه اي احب
الاكل منه وبكى على عادة الاطفال اذا ارادوا ما ليس عندهم وبكت جدة له
عجوز رحمة لبكايه وبينهما اي بين يعقوب واليتيم جدار حايل بينهما ولا علم
عند يعقوب وابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام للحايل المانع عنه فعوقب
يعقوب بسبب بكا اليتيم والعجوز بالبكا اسفا تاسفا وحزنا على يوسف لفقده
الى ان سالت وخرجت حدقتاه والحدقة سواد العين وبياضها وابيضت عيناه
من الحزن فلما علم يعقوب ببكا اليتيم وجدته كان بقية حياته مصنوعا على
الطريق اي عمل كله بعد ذلك يامر مناديا ينادي باعلى صوته على سطحه والندا
على المكان المرتفع يصل الى بعيد منه ويقول في ندايه الا من كان من الناس كلهم
مفطرا غير صايم فليتغد بدال مهملة مشددة من الغدا وروي معجمة ايضا
عند ال يعقوب اي اهل بيته او ال مقيم اي عنده وفي هذا الخبر ومن كان
صايما فليفطر عندهم وعوقب يوسف بالمحنة اي البلية التي قصها الله علينا
في القران من السجن وغيره وحكى هذا عن المحب الدميري رحمه الله في حياة الحيوان
وقال لا ينبغي له ذكره فانه لا صحة له وان رواه الطبراني عن انس عن شيخه ابي
جهم الباهلي وهو ضعيف الرواية جدا ورواه البيهقي في الشعب ومما يدل
على عدم صحته ان قوله سالت حدقتاه لا اصل له وانه مع قوله لا علم لهما
كيف يصح ان يعاقبا على ما لم يعلما كما ان قوله ابيضت عيناه بعد قوله سالت
حدقتاه كلام متناقض وجعله تفسيرا للتسيلان تعسف بارد والصحيح انه
لم يعم فان العمى لا يجوز على الانبيا وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل بغير
طايل وروي عن الليث بن سعد الامام وقد تقدم ان سبب بلا ايوب عليه
الصلاة والسلام انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه اي بسببه

واغلظوا

تلمساني

٢٩٨

واغلظوا عليه بشدة لوم له وموعظة الا ايوب عليه الصلاة والسلام فانه لم يغلظ
عليه لانه رفق به اي كلمه برفق ولين رجاء ان يتم كلامه لتخيره كما قال تعالى لموسى عليه
الصلاة والسلام فقولا له قولا لينا الخ مخافة على زرعه الذي في مملكته فعاقبه الله
ببلايه الذي ابتلاه به من الامراض وهذا لا ينبغي ان يقال في حق الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فليته لم يذكره ومحنة سليمان عليه الصلاة والسلام كما ذكرناه فيما مر
والمحنة كالمصيبة كما تقدم من نيته من كون الحق في جنبته اصهاره بفتح الجيم والنون
وتسكن ايضا وموحدة بمعنى الجانب والناحية وفي نسخة جهة وفي اخرى حبته
بنقطة فوق وهو تحريف من الناسخ كما في المقتفي قال الراغب الصهر الختن واهل بيت
المراة يقال لهم اصهار كما قاله الخليل وكل محرم اذ بليته انما كانت للعمل بالمعصية
في داره ولا علم عنده بما صدر منهم من المعاصي بما افتتن به اليهود من انه عليه
الصلاة والسلام قتل ملكا له بنت جميلة تسمى جرادة فكانت عنده واسلمت ثم كانت
تبكي على ابيها فامر الشياطين ان يمثلوا لها صورة ابيها ففعلوا فكسته واعدت
له بيتا فكانت تذهب اليه وتسجد لصورته وهو لا يعلم واستمر ذلك مدة اربعين
يوما فسلبه الله ملكه وابتلاه بما ابتلاه به وهو ما اشار اليه بالجواب الثاني
وقوله من كون الحق الخ جواب اخر وهو ان جرادة بنت صيدون الملك التي تزوجها
سليمان واحبها تخاصم عنده ناس مع اخرين من اقارب امراته فحكم بالحق لغيرهم
وتمنى ان يكون الحق لهم وهو وان لم يكن حراما في شرعنا وغيره لكنه بالنسبة
لمقامه يعد ذنبا وفي كتب القصص اسباب اخر لا ينبغي ذكرها وهذه الامور
المذكورة التي ابتلي بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليزدادوا بها هم وغيره
مما مر فايدة شدة المرض والوجع النازل بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان يوعك
كما يوعك الرجلان كما قالت عايشة في حديث رواه الشيخان عنها ما رايت الوجع
في الامراض على احد من الناس اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
تقدم من حكمته وعن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه لا ابن عمر رضي الله عنهما
كما قيل رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي كان يعرض له
وهو اي والحال انه يوعك بضم اوله وفتح عينه المهملة المخففة والوعك بفتح على
العين وسكونها شدة ابدا اي اشد الشكا من غيره اذا اصابه مثله فقلت له انك
لتوعك وعكا شديدا قال اجل بفتحتين بمعنى نعم وهو جواب له اي او من
كما يوعك اي احم كما يحم رجلان منكم ايها المسلمون او الصحابة او [illegible] ذلك
عبد الله بن مسعود قلت ذلك اي شدة وعكك وكونه كوجع رجلين وانا
بفتح فتشديدا [illegible] لك اجرين وفي نسخة الا [illegible] اي ليضاعف لك لي له ان
قال اجل [illegible] ان يضاعف كذلك [illegible] وفعله [illegible] له من خطاب
كما مر والاجر اي ان من قتل [illegible] واستحق وارثه الدية حصل له نفع دنيوي
وقد يرا بفعله فهذا ايضا مما جعله الله سببا للثواب عبده المؤمن رحمة له وتحننا
من عفوه كما يرى بعض كرام الناس اذا اذى احدا ينعم عليه جبرا لخاطره فكيف بالكرم
مثله من الله عز وجل وقد يزيد في ثوابه اذا صبر ورضي وفي كلامه شيء والذي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن الحديث مناسب فلا حاجة لما ارتكب في الجواب عنه من التعسف الذي لا داعي له وفي
حديث رواه ابن ماجه والحاكم عن ابي سعيد بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ان
رجلا وضع يده على جسد النبي صلى الله عليه وسلم كما يفعله العواد للمريض ليعلموا
حرارة جسده اشديده هي ام لا فقال والله ما اطيق اي ما اقدر ولا استطيع المبالغة
في شدة حرارته اضع يدي عليك وامس جسدك من شدة حماك بضم الحا المهملة
وفتح الميم المشددة اي حرارتها وتعاوتها الحمى وحمو والافصح الاول فقال له صلى الله
عليه وسلم انا معشر الانبيا بنصب معشر على الاختصاص والمدح كما بينه النحاة
في بابه يضاعف لنا البلا اي يزاد وضعف الشي مثله او مثلاه على كلام فيه في كتب
اللغة ان كان النبي من الانبيا المتقدمين بكسر الهمزة من ان المخففة من الثقيلة
لشهادة اللام في خبرها في قوله ليبتلى واسمها ضمير شان مقدر بالقمل بفتح فسكون
او بضم فتشديد وهو معروف حتى يقتله اي يموت من شدة ما الم به وفي سنن
ابن ماجه ان الرجل الذي وضع يده على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو ابو سعيد ايضا والمص رحمه الله رواه من طريق اخر لم يصرح فيهما باسمه
فلا وجه للقول بانه سبق قلم من الناسخ وان كان النبي من الانبيا ليبتلى بالفقر
الشديد وهو بحسب ظاهر حالهم وانما تركهم الدنيا زهدا منهم وان كانوا اي الانبيا
وان هذه كالتي قبلها اي عادتهم وجبلتهم ليفرحون بالبلا اي يسرون بمصائب الدنيا
لما يعلمون من الارتفاع لقدرهم وزيادة لاجرهم كما تقدم فالبلا بمعنى ما ابتلوا
به في الدنيا من الامراض وغيرها كما يفرحون بالتحتية او بتا الخطاب بالرخا
وهو سعة المعيشة وحسن الحال والمراد به مقابل البلا وذلك لشدة يقينهم
بربهم وعلمهم بما ادخره لهم في مقابلة ما نزل بهم وهذا تعبد وقوته فلا ينافي
الدعا بالعفو والعافية المعينة على الطاعة والقيام بما امروا به ولكل مقام
مقال ولا تعارض بينهما فان الامور بمقاصدها ولا ينافيه ايضا ما مر من انه صلى
الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان كما تقدم بيانه وعن انس بن مالك رضي
الله عنه في حديث رواه الترمذي وحسنه ان عظم الجزا اي الثواب مع عظم
البلا اي لا ينفك عنه مضاعفته كما مر وعظم بضم العين المهملة وسكون الظا
المعجمة او بكسر ففتح اي من كان بلاؤه اعظم كان جزاؤه اعظم عند ربه فمن رضي
بتلاه به الله فله الرضى من الله عنه بجزيل ثوابه ومن سخط اي كره قضا
في العالم ولم يرض به فله السخط اي غضب الله عليه وعقابه له فاذا صبر ولم
وقال لا لما اصابه به رضا بقضائه كان ذلك له مثوبة واجر فلا يتوهم انه ليس
جهوا... على عدم ... فان ما [illegible] الصبر وعدم الشكوى ... اما اخرته
كيف يصح ان يعاقب على ما لم يعلمه كما ان ... ابيضت عيناه ... ان العين لتدمع
حد قتادة كلام متناقض وجعله تفسير التسليان تعسف بارد وانا ذكر انه الم
لم يعم فان العمى لا يجوز على الانبيا وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل في ثواب
طايل وروي عن الليث بن سعد الامام وقد تقدم ان سبب بلا ايوب عليه
الصلاة والسلام انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه اي لتنبيه

واغلظوا

ابن ابوس

تلمساني

رضي الله عنه في حديث رواه البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يصب منه روي ببنا الفاعل والمفعول اي ينزل به مكروها ومصيبة في الدنيا ليثاب
عليها واختلف في اي الروايتين ارجح فقال ابن الجوزي الثاني وقال ابن حجر الاول
ولكل وجهة لان الاول فيه ادب لعدم اسناد المصائب لله والثاني فيه تسليم بجعل
كل شي منه واليه وما ذكر في الاية هو احد وجهين فيها فتكون في حق المؤمنين
وثوابهم على مصائبهم كما ورد في الحديث وقيل انها في حق الكفار ومعناها
كمعنى قوله وهل يجازى الا الكفور وهو مروي عن الحسن ويؤيده قوله بعدها
ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وتتمته في كتب التفسير وشروح البخاري
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في رواية عايشة فيه ما من
مصيبة تصيب المسلم اي مصيبة كانت قليلة او كثيرة وفي التجانس المغاير اذ احدى
كلمتي المادة اسم والاخرى فعل ومثله ازفة الازفة الا كفر الله بها عنه اي من
ذنوبه او يزيد بها في حسناته حتى الشوكة يشاكها في بدنه فانها مع قلتها يكفر
بها عنه تفضلا منه والمصيبة واحدة المصايب كل ما يصيب الانسان من خير
او شر وخصها العرف بالثاني وقيد الاول من صوب المطر والثاني من اصابة
السهم واجمعت العرب على همز المصايب واصله الواو وكانهم شبهوا الاصلي
بالزايد ويجمع على مصاوب وهو الاصل كل ما يصيب الانسان من خير او شر
وخصها العرف بالثاني وقوله حتى الشوكة يجوز جرها على معنى الى ورفعها
على الابتدائية وجوز نصبها بمقدر اي حتى تجد الشوكة وهو بعيد ويشاكها
بضم اوله اي تدخل في جلده بنفسها او بادخال الغير اي الشوكة عبر بها فيه
وصل الفعل لان الاصل يشاك بها وجوز بعضهم فتح يا يشاك التحتية وفيه
للجوهري ولا وجه له لانه مضارع شاك الرجل اذا كان له شوكة وقوة
وهو معنى اخر والشوكة مع قوة وهو في غاية القلة وكونها بمعنى ذات
الجنب وهو غاية في الشدة تعسف وروي الا حط الله بها عنه خطيئة او كتب
له بها حسنة او رفع له بها درجة واعلم ان العز بن عبد السلام المك ظن بعض
الجهلة ان المرء يوجر على نفس المصايب وليس كذلك فان الثواب انما يكون على
ما يفعله باختياره ولا دخل له في ذلك فثوابه انما هو على صبره ورضاه
بما قدر الله وعدم شكايته ورده السخاوي بانه مخالف للنصوص من
غير بيان لوجهه وقال القرافي لا يجوز ان يقال للمصاب جعل الله ذلك
كفارة لك لان الشارع جعله كفارة فهو تحصيل للحاصل وسوء ادب وانا
اقول ما قاله العز لا وجه له ولا يليق صدور مثله منه فانه تعالى له ان
يثيبه ابتداء وان يجعل ما اتفق له بغير فعله سببا لذلك ومثله من خطاب
الوضع الا ترى ان من قتل قتيلا واستحق وارثه الدية حصل له نفع دنيوي
بغير فعله فهذا ايضا مما جعله الله سببا لثواب عبده المؤمن رحمة له وتحننا
عليه كما ترى بعض كرام الناس اذا راى احدا ينعم عليه جبرا للخاطر فكيف باكرم
منه من الله عز وجل ويزيد في ثوابه اذا صبر ورضي وفي كلام الشيخ والدي

تلمساني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن حجر الهيتمي نص الشافعي في الام بما يصرح بان نفس المصيبة يثاب عليها فيتعين
بان كلا من المجنون والمريض المغلوب على عقله ماجور مثاب مكفر عنه بالمرض فحكم بالاجر
مع انتفا العقل المستلزم لانتفا الصبر وحمل النص على مريض صبر عند ابتدا مرضه
ثم استمر صبره الى ان زال عقله يرده انه سوى بين المريض والمجنون في الثواب
ومثل ذلك لا يتصور في المجنون فالحمل المذكور غلط منشاؤه الغفلة عما ذكر في المجنون
والحاصل ان من اصيب وصبر حصل له ثوابان غير التكفير لنفس المصيبة وللصبر
عليها وسئل له كتابة مثل ما كان يعمله من الخير وغيره لذلك مما ورد في السنة وان
من انتفى صبره فان كان لعذر كجنون فهو كذلك او لنحو جزع لم يحصل له من
ذينك الثوابين شيء انتهى ملخصا وما قاله الغزالي ليس بشيء ايضا فانه قد يقصد
الدعا بما هو حاصل لزيادة او تنبيه سامعه وغيره ولو قيل بمثله لم يجز
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعا له بالوسيلة والدرجات العالية
الرفيعة وهي محققة له وقد امرنا بالدعا بها كما تقرر في محله وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان من رواية ابي سعيد الخدري ما يصيب
المومن من نصب بفتحتين اي تعب ينال من سعيه في بعض اموره الحاجة له
ولا وصب اي وجع او لزومه او فتور في بدنه وقد فسر بهذه في اللغة ولا
هم بفتح الها وتشديد الميم وهو قريب من الغم معنى وقد يفرق بينهما بان الهم
يكون لما لم يقع والغم على ما وقع كما مر ولا حزن بفتحتين وبضم فسكون وهما
من امراض الباطن ولذلك ساغ عطفهما على الوصب ولا اذى يلحقه من تعدي
الغير عليه ولا غم واصله ما يمنع خروج النفس فاريد به ما ذكر حتى الشوكة
يشاكها تقدم بيانه الا كفر الله بها من خطاياه من زائدة او تبعيضية لان بعضها
لا يكفر بها كحقوق العباد وفي حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان ما من مسلم
يصيبه اذى اي امر يوذيه في بدنه او نفسه الا حات الله عنه خطاياه اصله
حاتت فادغم وحات وحت بمعنى ازال تقول حت بالحا المهملة المفتوحة بعدها
الف وتا فوقيه مشدودة واصله حاتت فادغم وحات وحت بمعنى ازال تقول
حت المني من الثوب اذا فركه ليزيله والورق تحات تتناثر وتساقط منه كما
تحات وفي نسخة كما تحت ورق الشجر هو كناية عن اذهاب الخطايا فشبه سقوط
ذنوبه بعفوها بتناثر ورق الشجر منها فائدة الصبر يكون على ثلاثة اقسام
صبر على المعصية فلا يرتكبها وصبر على الطاعة حتى يؤديها وصبر على البلية
فلا يشكو ربه فيها وعد علي رضي الله عنه من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو
وجعك ولا تذكر مصيبتك لغيره وقيل ذهبت عين الاحنف منذ اربعين سنة
ما ذكرها وقال شقيق البلخي من شكى ما نزل به لغير الله لم يجد لطاعة
الله في قلبه حلاوة ابدا وما احسن قول ابن عطا

ساصبر كي ترضى واتلف حسرة • وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري •

وسئل علي رضي الله عنه اي خصال المومن خير فقال ما عافى امر شيا اعظم
من الصبر والرضا والتسليم للقضا فذلك خير دنيا واخرى وسئل ايضا ما راس

العلم

العلم والحمل فقال الحلم والتواضع فمن تركهما كان علمه وبالا عليه وارشد من انشد

• فوحقه لاسلمن لامره • في كل نائبة وشدة خناق •
• موسى وابراهيم لما سلما • سلما من الاغراق والاحراق •

وفي حديث عائشة عند الطبراني في الاوسط بسند جيد من وجع اخر ما ضرب على امرئ عرق
الا حط الله به عنه خطيئاته وكتب له به حسنة ورفع له درجة وفي حديثها عند الامام
احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وجع فجعل يتقلب على فراشه ويشتكي
فقالت له عائشة لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه فقال ان الصالحين يشدد عليهم
الحديث وفي هذه الاحاديث بشرى عظيمة لكل مؤمن لان الادمي لا ينفك غالبا من الم
بسبب مرض او هم او نحو ذلك وحكمة اخرى في ابتلا الانبيا ونحوهم بالامراض والمصايب
اودعها الله تعالى اي جعلها لهم كالوديعة في الامراض المصيبة لاجسامهم دون بواطنهم
وحواسهم وتعاقب الاوجاع عليها اي على اجسامهم بتكررها ومجي بعضها عقب
بعض وشدتها عليهم كما مر عند موتهم اي يبتليهم الله بذلك اذا قرب موتهم
لتضعف قوى نفوسهم الروحانية بكثرة امراضهم وشدتها واذا وقع هذا فيسهل
خروجها اي خروج ارواحهم ومفارقتها لابدانهم عند قبضهم اي قبض ارواحهم
ووفاتهم فان ضعف البدن وقواه يعجز عن امساكها فيسهل ذلك عليهم ويخفف
عليهم مؤنة النزع اي اخراج الروح من البدن ومؤنة بميم مفتوحة وهمزة
مضمومة قبل واو ونون وشدة السكرات يعني سكرات الموت وغمرات شدايده
وما يلحق الميت من الغشي الشبيه بالسكر في غيبة الحس بتقدم المرض على الموت
والاحتضار وضعف الجسم والنفس بذلك ولو فوجيت شق عليها وصعب فكان
اشد عليه بخلاف موت الفجاة بضم الفا والمد وبفتحها والقصر وهو الموت بغتة
من غير مرض يقال فجاه الامر يفجوه اذا اتاه على غفلة منه واخذه له دفعة من
غير انتظار لاجل هو اشد عليه لشدة قواه المانعة عن تسليم الروح بسهولة
ولذا كرهه بعض العلما كما ياتي قريبا وقال انه مذموم وفي الحديث موت
الفجاة اخذه اسف اي غضب وقهر من الله كما ياتي وروي اسف بالمد اسم فاعل
لكنهم قالوا انما يكره لعدم التاهب له بالوصية ونحوها فمن لم يحتج لذلك يكون
في حقه رحمة وهو الصحيح لحديث موت الفجاة راحة للمؤمن واسف على الفاجر
وبه جمع بينهما كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين
والصعوبة والسهولة على تفسير لما قبله فبعضهم يعسر عليه ويشتد
عليه وبعضهم يسهل عليه حالة النزع فان قلت اذا كان توالي الامراض
لتخفيف الموت وسكراته فكيف قال صلى الله عليه وسلم ان للموت سكرات
حتى ذكر قواله حكمة وكيف يكون موت الفجاة لبعض الكفرة والفجرة قلت
تالمه صلى الله عليه وسلم بسكرات موته لانها في الحقيقة اخف من سكرات غيره وموت
الفجاة وان لم يكن فيه سكرات اشد من غيره لكونه كثيرا يحصل في قوته كما تقرر بعد
مع ما فيه من الموت على الغضب وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان عن كعب بن مالك وجابر مثل المؤمن اي حاله وصفته العجيبة مثل

اي بسبب ذكر المذكورين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خامة الزرع الخامة بخا معجمة وميم العود اللين الذي ليس بغليظ والغصنة الطرية وقال الخليل هي اول ما ينبت على ساق واحد والفها منقلبة عن واو ونقل عن الفرا انها بحا مهملة وقاو وفسرها بطاقة الزرع وعند احمد مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتخر احرى وروي بحمرة وتصرع احرى تفيئها الريح بضم التا الفوقية وكسر الفا تليها مثناة تحتية ساكنة ثم همزة والمشهور بتشديد اليا التحتية وروي بيا تحتية في اوله اي تميلها هكذا وهكذا اي للينها تميل يمينا وشمالا ولا تنكسر كما قال ابن خفاجه

اي والنكث هضبة ❁ اهتز للحسن قامة غصنا ❁
كانه غصن بانة خضل ❁ تعطفه الريح هاهنا وهنا ❁

وفي صحيح مسلم من رواية ابي هريرة من حيث اي من اي جانب اتتها الريح تكفوها بفتح اوله وثالثه وسكون ثانيه وهمزة اي تميلها والمراد تميلها ايضا فاذا سكنت الريح ولم تهب نعدلت اي انتصبت لانها لم تنكسر للينها وعدم غلظها وفي نسخة اعتدلت وكذلك المؤمن يكفى بضم فسكون وفتح وهمزة اي ينقلب من صحته لما انه كثيرا ما يمرض فلاعتياده الامراض لا تغيره ويهلكه بالبلا من حيث اتاه ووجه التشبيه ظاهر وفيه من البلاغة واللطف ما لا يخفى ومثل الكافر والفاجر العتل الغليظ كمثل الارزة لا تزال قايمة حتى تنقصم اي تنقصف من اصلها والارزة بفتح الهمزة وسكون الرا المهملة وزاي معجمة وروي فتحها وهو شجر الارز المعروف وقيل هو الصنوبر وقيل انه آرزة بالمد بزنة فاعلة وانكره ابو عبيد صما اي صعبة شديدة اليبس والعقوة معتدلة اي قايمة منتصبة لا تميل لغلظها ويبسها حتى يقصمها الله بقاف وصاد مهملة قبل الميم اي ياخذه بغتة من غير تقدم بلا والقصم بالقاف الكسر مع الابانة والفصم بالفا بدونها وفي العقد لابن عبد ربه قالت الحكما من تعرض للسلطان ارداه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضر مما لان من الشجر وما مال معها من الحشيش وما استعصت لها من الدوح العظيم قصفته ولابي تمام

ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت ❁ عيدان نجد ولم يعبا ن بالرتم ❁
بنات نعش ونعش لا كسوف لها ❁ والشمس والبدر منه الدهر في الرقم ❁
وفي كليله ودمنه الريح لا تقلع عود انابتا ❁ وتقلع الدوح العظيم الثابتا ❁

معناه اي هذا الحديث ان المؤمن مرزء بالتشديد والهمز اي لا يزال تصيبه الرزايا وهو من رزا الشيء اذا نقصه مصاب بالبلا بالمد اي تنزل به المصايب والامراض بتصريفه اي بتغيير احواله وقيل بتصريف الله فيه وله وتقلبه بين اقدار الله التي قدرها عليه من صحة ومرض وغيره منطاع لذلك اي منقاد مذعن مطيع مسلم والحق بصيغة الانفعال بالنون للدلالة على انه مطاوع لين الجانب برضاه اي لين جانبه يتقبل كل ما يرضاه الله كالشيء اللين الذي ينطبع لكل ما يختم به كما قيل ❁ ان المحب لمن يحب مطيع ❁

ووقع هنا في بعض الشروح برمضاه بميم بعد الرا من رمضا النار وحرارتها اي ما يصيبه من الالام ويزيله لينا واظنه من تحريف الناسخ كطاعة خامة الزرع

وانقيادها

وانقيادها للرياح عطف تفسير وتقابلها من عيدان تنكسر لهبوبها وتزيحها برا وحاء مهملتين بينهما الف من ترنح السكران اذا تمايل وفيه كلام في شرح مقامات الزمخشري من حيث ما اتتها من اي جهة كانت جنوبا وشمالا للينها فاذا ازاح الله عز وجل براي معجمة اي ازال عن المؤمن رياح البلايا استعارة مفسرة لما في الحديث كانه لما شبهه بالخامة شبه ما يطرا عليه بالرياح المعنوية عليه بتميله هنا وهنا فاعتدل اي برا من مرض ونحوه شبه صحته باعتدال الخامة اذا سكنت الريح واليه اشار بقوله صحيحا وهو حال او تمييز كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو بفتح الجيم وتشديد الواو وهو ما بين السما والارض مهب الرياح واصل معناه الداخل من كل شيء ومنه الجواني مقابل البراني رجع اي المؤمن الى شكر ربه على ما انعم به عليه من السلامة ومعرفة نعمة اذ انعم عليه بالخلاص مما يكره ويخشى برفع بلايه عنه ونجاته عنه منتظرا رحمته له راجيا احسانه وثوابه عليه اي على ما ابتلاه ووفقه لشكره وصبره لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فاذا كان المؤمن بهذه السبيل اي على هذه الحالة من اصابته بالبلايا والامراض لم يصعبه ويشق عليه مرض الموت اي المرض الذي كان سبب موته منه لاينلافه بالامراض المتوالية عليه ولا امر وله اي حلول الموت به ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه اي نزع الروح منه عند الموت لضعف قوة نفسه الدافعة له وهذا لا ينافي ما تقدم في حق الانبيا من انهم اشد الناس بلا لانه في حالة احرى وهي نزول المصايب بهم قبل حضور الموت لعادته اي اعتياده بها تقدم من الالام ومقاساتها ومعرفة ما له فيها اي المصايب التي تصيبه قبل موته من الاجر والثواب فان لعلمه بذلك يهون عليه وتوطينه نفسه على المصايب اذا اصابته اي اطمينان نفسه لها لعلمه بانه لا بد له منها فيرضى ولا يجزع ولا يقلق والتوطين اصله اتخاذ الوطن ثم تجوز به عن عدم القلق والضجر قال

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ❁ على نايبات الدهر حين تنوب ❁

وعلى رقتها وضعفها الصبي للنفس والرقة برا مهملة وقاف مشددة المراد بها الضعف فهو عطف تفسير وبحرص على الصابر للمصايب يمنا بنوا الي الدهر اي دوامه او نكوره او شدته اي قوته والمه فهذا حال المؤمن في حياته والكافر حاله بخلاف هذا الحال الذي اعتاده المؤمن فهو معافا من الامراض والبلايا في غالب حاله اي في حالها الغالب عليه والكثير فانه صحيح اي متنعم ومتمتع عليه ظاهر بصحة جسمه لعدم ابتلايه بالامراض ادا ملازمة حتى يقضي عليه بالموت ادا حزنة كالارزة الصما اي الغوية التي هي غير مجوفة فلا يزال كذلك حتى اذا اراد الله هلاكه بحضور اجله والنوامض عنه قصمه اي كسره لحينه اي لوقته الذي حضره فيه اجله على غرة بكسر اوله وهو الغين المعجمة وبرا مهملة مشددة وبتا فانيتا اي على غفلة وفي الاساس لم يزل يطلب غرته حتى اصابها اي يترقب غفلته ليهجم عليه ويتمكن منه واخذه بغتة وفجاة من غير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لكان ولا رفق به بل بشدة وعنف تضربه الملائكة فكان مؤنة اشد عليه حسرة
تمييز وذلك لعدم تأهبه له ومقاساة نزعه اي نزع روحه منه وقبضها
مع قوة نفسه وصحة جسمه لعدم ما يعتريه من الاسقام والالام اشد المقاساة عذابا
له في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد عليه مما قاساه في الدنيا في حال نزعه كانجعاف
الارزة هو انفعال من الجعف بجيم وعين مهملة وفا وهو القلع بشدة وفي
نسخة بتقديم العين على الجيم وكما قال الله تعالى في حق الكفار فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون اي غافلون باشتغالهم بامور دنياهم وعدم مبالاتهم
على عاقبتهم وكذلك عادة الله في اعدائه من القوم الكفرة جارية على اخذهم
بغتة كما قال الله عز وجل فكلا من القوم الكفرة اخذنا بذنبه فمنهم من
ارسلنا اي انزلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط والحاصب ريح تأتي بالحصبا وهي
حجارة صغار كما قال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وخسف ارضهم كما بينه
المفسرون ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وشعيب اتتهم صيحة واصوات
هائلة وصواعق فاهلكتهم الاية ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا
ففجا جميعهم ماض بمعنى اتاهم فجاءة بالموت على حال عتو بضم العين المهملة
ومثناة فوقية وواو مشددة اي تكبر وتمرد وتجبر منهم وغفلة عاجلهم
وصبحهم اي اتاهم في الصباح به اي بالهلاك على غير استعداد اي تهيؤ لما
يحل بهم لاستدراجهم بغتة ولهذا الامر الذي يأتي بغفلة وكونه من شان
الكفرة ذكر عن السلف من العلما والصالحين انهم كانوا يكرهون موت الفجاة لحيلته
على غير استعداد له بوصية ونحوها من المحو المكفر للذنوب وفي نسخة ولهذا ما
ذكره السلف موت الفجاة ومما يؤيد نسخة الاولى قوله ومنه اي مما ذكر عن السلف
ما روي في حديث ابراهيم هو النخعي كما في النهاية وقد تقدم ترجمته كانوا
يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب لان من غضب على احد يأخذه بغتة
بعنف وموت الفجاة يشبهه يريد باخذة الاسف موت الفجاة كما تقدم وتقدم
انه ليس على اطلاقه وانه قد يكون راحة للمؤمن وحكمة بالغة في مصايب
الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصالحين ان الامراض نذير الموت بنون
وذال معجمة اي منذر به ومنبهة لمن يحل به وفي نسخة نذير الممات وفي
اخرى بريد بموحدة وراء ودال مهملتين بينهما مثناة تحتية اي رسول يجي
من الموت يخبر بانه سيقدم وهو استعارة حسنة والبريد فارسي معرب
بريده دم اي بغل مقطوع الذنب كان يعد في المنازل لرسل الملوك وما
قيل من انه لو قال نذير بالموت كان احسن ليس بشيء وبقدر شدتها
اي شدة الامراض شدة الخوف من نزول الموت لانذارها بما هو اشد
منها فيستعد من اصابته الامراض اي ينبهها بالاعمال الصالحة دون هذه
في الدنيا الفانية وعلم تعاهدها له اي مجيئها له مرة بعد اخرى تقال
صديقي من يتعاهدني بسؤال وعني وبرتجي كأنه يذكر عهدا بينه
وبينه وفيه استعارة لطيفة كما قال بعض العرب

ابن اثير

اذا الرجال كثرت اولادها ، وجعلت امراضها تقتادها
فكأنه زرع قد دنا حصادها ، للقاء ربه عز وجل ولقاء الله كناية عن الانتقال
للدار الاخرة والموت ويعرض عن دار الاخرة بترك امورها الكثيرة الانكاد جمع نكد
وهو ما يغم المرء ويسوءه وهو من شانها ولا راحة لمؤمن فيها وفي القاموس النكد
الضيق والشدة ويكون قلبه اي فكره معلقا اي مشغولا مهتما بالمعاد اي الاخرة
وما بعد الموت وتعلق القلب عبارة عن كثرة الشغل والتقيد فيتنصل بنون
وصاد مهملة اي يخرج عن كل ما يجني ويجاف تباعته بكسر التا الفوقية والذي
في الصحاح فتحها وهو التبعية وما يترتب على الامر وتعقبه من المواخذات
واللوازم من قبل الله اي حقوقه التي هي من جانبه ومن قبل العباد اي حقوقهم
فيخرج من عهدتها باداها لئلا يعاقب عليها ويؤدي الحقوق التي في ذمته
الى اهلها اي اصحابها بايصالها لهم واعطا كل ذي حق حقه وينظر اي يتفكر ويتدبر
فيما يحتاج اليه من وصيته فيمن خلفه فعل ماض وظرف بسكون اللام اي ما
بقي بعده من مال وولد ونحوه وفي نسخة فيمن يخلفه او ينظر في امر بعده
اي يعرفه فيوصي به كالدين او يتعاهد ورثته عليه وهذا قلما يخلو منه احد
وما قيل من انه انما يليق باهل الدنيا الغافلين واما الانبياء فهم غير محتاجين
لذلك ليس بشي ولو سلم فهو بالنسبة لبعض المؤمنين ويؤيد الاول قوله
وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
اشارة لما في اول سورة الفتح اي لو كان منك ذنب سابق او يكون فهو مغفور
لا يؤاخذ به او ما بعده ذنبا من مثلك مغفور لك وفي الاية كلام في كتب
التفسير مشهور ومتى نزلت عليه صلى الله عليه وسلم في مرجعه من
الحديبية بعد بيعة الشجرة وما وقع فيها قد طلب التنصل اي التخلص
والخروج من عهدة ما في ذمته في مرضه اي مرض موته وعده في مرضه
لقربه من انه كما تقدم ووقع في خطبة خطبها قبل مرضه بايام فقال لمن
كان له عليه مال او حق في بدن كضرب وقع منه صلى الله عليه وسلم لبعض
اصحابه نحو عكاشة والاعرابي وتقدمت قصتهما واقاد من نفسه وماله
اي مكن من له حق في بدنه من القود منه يفعل مثل ما فعل وامكن من
القصاص منه وان لم يكن عليه حق في نفس الامر كما بيناه على ما ورد في
حديث مروي عن الفضل بن العباس عمه صلى الله عليه وسلم من انه
ضرب اعرابيا بقضيبه فلما خطب الناس وقال من له علي حق فليطلبه
فقام الاعرابي وقال يا رسول الله القصاص فلما كشف له عن بطنه
الشريف التزمه وقبله وقال انما اردت هذا وكما ورد في السير في
حديث الوفاة اي وفاته صلى الله عليه وسلم فانهم رووا فيه انه
صلى الله عليه وسلم قبيله استحل الناس فيما لهم عليه من الحقوق
كما مر وما قيل من ان هذا ليس في موقعه لان التنصل من الحقوق
مطلوب من ادنى المؤمنين فكيف باعلاهم عند وفاته ناش من عدم

الدنيا

مرضي

ابن اثير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفهم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن لامته عليه ما يجب عليه التنصل منه ولو كان
فهو مغفور ومع ذلك تنصل منه رعاية لظاهر الحال ورعاية للمؤمنين وهذه
اعلى المراتب واوصى صلى الله عليه وسلم في مرض موته بالثقلين بعده وقوله
بعده كتاب الله وعترته بدل من الثقلين او عطف بيان مبين للمجهول المراد بهما
والثقلين تثنية ثقل وهو ما يثقل من الثقل ضد الخفة وهما الانس والجن
فسماهما ثقلين تعظيما لشانهما وان عمارة الدنيا بهما كما تعمر بالانس والجن
ولرجحان قدرهما لان الرجحان في الميزان بثقل ما فيهما او لانه يثقل رعاية
حقوقهما والعترة بمثناة فوقية الاقارب الادنون واهل البيت واختلف
في المراد بهم فقيل من تحرم عليه الزكاة وقيل بنو عبد المطلب وقيل غير ذلك
وحديث الوصية رواه مسلم وفيه انه صلى الله عليه وسلم خطبهم وقال
ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك
فيكم الثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وحث على
ذلك ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ثلاثا والكلام عليه مستوفى
في شرحه واوصى بالانصار عيبته والعيبة بعين مهملة وياء ساكنة وموحدة مفتوحة هي
ما يجعل المرء فيه نفيس متاعه وفي حديث البخاري الانصار كرشي وعيبتي
ولما كان الكرش مقر الغذاء من الحيوان كالمعدة للانسان تجوز به عن موضع
اسراره التي تخفى وعبر بالعيبة عن مقر ما يظهر من مهماته وهو ابلغ كلام واوجزه
الذي لم يسبق اليه كما قاله ابن دريد وقد تقدم الكلام عليه مبسوطا وهذا ايضا
مما قاله صلى الله عليه وسلم في خطبته التي لم يخطب بعدها وبقيته وقد قضوا
الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ودعا
اي طلب صلى الله عليه وسلم من الصحابة في مرض موته الى كتب كتاب لئلا تضل
امته بعده كما تقدم بيانه وما فيه وانه اما في النص على الخلافة لمن هي بعده
وهو الاصح كما مر والله اعلم بمراده الذي اراد ان يكتب ثم راى صلى الله عليه وسلم
ذا يا حزم به وهو ان الامساك عنه وتركه افضل وخيرا من كتابته لانهم خالفوه
وامتنعوا مما اراده كما تقدم تفصيله وهكذا اي مثل ما وقع له صلى الله عليه
وسلم في آخر عمره من التنصل والوصية سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه
المتقين اي دابهم وطريقتهم ان يتنصلوا من الحقوق ويوصوا عند الموت
تاسيا به صلى الله عليه وسلم وهذا المذكور كله مما يفعل عند حلول الاجل
يحرمه غالبا الكفار وقد يقع لبعضهم ولا يفيده شيئا وانما حرموا هذا
لاملاء الله اي امهاله لهم حتى تنصرم اعمارهم وانما املى لهم ليزدادوا اثما
بكفرهم ومعاصيهم وغفلتهم عن حقوق الله وحقوق عباده واستدراجهم
اي تقريبهم من الهلاك درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون لغفلتهم
بما هم مشغولون به من امور الدنيا منهمكين في غيهم متقلبين في نعم الله
الدنيوية التي توهموا استحقاقها وانما هي لعظيم معذرتهم ومزيد عذابهم
بالكفر وكفران النعم حتى ياخذهم بغتة على غرة كما قال الله تعالى ما ينظرون

الا صيحة واحدة الآية تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
والمراد بالصيحة نفخة الصور الاولى والاخذ الاهلاك بغتة ويخصمون بمعنى يختصمون
في معاملاتهم وقد ورد ان الساعة تقوم على الناس وهم في الاسواق وهم يتعاملون
ويخصمون بفتح الخاء المعجمة وفيه كلام طويل في كتب القراآت والعربية ولذلك اي
لكون عادة الاتقياء التنصل من الحقوق والوصية عند الموت قال صلى الله عليه وسلم
في حديث تقدم مروي عن انس في رجل مات فجاة سبحان الله المقصود بها التعجب كما
تقدم بيانه والتعجب من موته فجاة كانه مات على غضب من الله ثم اشار الى ان المراد
بالغضب عليه انه محروم من الثواب ولطف العزيز الوهاب فعلا الحي ومن حرم وصيته
فانها مستحبة وذهب بعضهم الى وجوبها وقيل انها كانت واجبة اولا لقوله تعالى
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية الخ ثم نسخت وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح رواه احمد عن عائشة موت الفجاة راحة للمؤمن الذي ليس عليه
تبعة يحتاج للوصية بها لراحته من سكرات الموت واخذة اسف بغير مد بمعنى
غضبه وبه بمعنى غضبان ومنه فلما آسفونا انتقمنا منهم للكافر والفاجر اي
المنهمك في المعاصي واو للشك من الراوي وجوز بعضهم كونها من الحديث والمراد
بالفاجر المنافق فتامل وذلك اي كون موت الفجاة كذلك لان الموت ياتي المؤمن
وهو غالبا اي في اكثر احواله واوقاته او غالب المؤمنين ياتيه الموت حالة كونه
مستعد له اي متهيئا لاعماله الصالحة ووصيته وتنصله منتظر لحلوله به
غير غافل عنه وفي نسخة برفعهما فكان امره اي الموت عليه كيف ما جاءه في اي
حال يحل به وافضى اي اوصل الى راحته من نصب وتعب الدنيا ولو تركه وا و
وافضى كان اوضح واذاها من انكادها واكدارها كما قيل

خلقت على كدر وانت تريدها ... صفوا من الاقذاء والاكدار

كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الشيخان عن ابي قتادة في جنازة
مرت به فقال تقسيما للمؤمن عند موتهم ان منهم مستريح من اذى الدنيا
وتعبها اذ لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه ومنهم من هو مستراح منه اي يستريح
من ظلمه واذاه العباد والبلاد والشجر والدواب وقد ورد تفسير النبي صلى
الله عليه وسلم له بهذا وتشامته قد يمنع القطر ويحل البلا ويأتي الكافر
والفاجر منيته على غير استعداد لها والمنية الموت من منى بمعنى قدر لانها مقدرة
في وقت مخصوص ولا اهبة بضم الهمزة بمعنى التاهب والاستعداد ولا مقدمات
بفتح الدال وكسرها من قدم او من المتعدي وهو قدمه اي ما تقدمه من امراض
ونحوها منذرة من الانذار وهو الاعلام بما يخاف منه مزعجة اي محركة له على تدارك
ما يلزمه بل تاتيهم بغتة وفجاة فتبهتهم اي تدهشهم وتذهب عقولهم لحيرتهم
فلا يستطيعون ردها بدفعها ولا هم ينظرون اي لا يمهلون بعد مجيئها فلا
يؤخرون ساعة بعد انتهاء اجلهم الاول وهو اقتباس من الآية فكان الموت
اشد شيء عليهم لذلك وفراق الدنيا افظع بظاء معجمة وعين مهملة اي اشق
واكره واشنع امر صدمه اي اصابه بشدة وهو غافل عنه واكره شيء له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لانه كما ورد ايضا ان المؤمن اذا مات كان كالغايب يقدم على اهله يسر بقدومه وتغيره كالعبد
الابق يرد على سيده والى هذا المعنى المذكور اشار صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث
رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت من احب لقا الله بقدومه عليه عند موته احب
الله لقاه باكرامه له في جوار الملا الاعلى ومن كره لقا الله بسخطه وعدم رضاه بقبض
روحه كره لقا الله لانه كفر نعمته وعصاه ومن فيه شرطية او موصولة ويؤيده
رواية اذا احب الله الخ واحتمال الظرفية خلاف الظاهر وعلى الشرطية قال الكرماني
يحتاج للتاويل لان الشرط ليس سببا للجزا فالمعنى اخبر واعلم بمحبته لقايه اذ محبة
الله قديمة سابقة فالمراد ظهورها لنا وهو كلام حسن لا يرد عليه شي مما قاله ابن
حجر واقام الظاهر مقام المضمر تنويها بشانه ومسالمة تتمة واعلم ان العز بن عبد
السلام قال في كتاب فوايد المصايب ان لها فوايد تختلف باختلاف الناس كمعرفة
الربوبية وقهرها ومعرفة العبودية وذلها واليه الاشارة بقوله الذين اذا
اصابتهم مصيبة الخ اي اعترفوا بانهم عبيده وملكه ومرجعهم لحكمه وقضايه
لا محيد لهم عنه ومنها الاخلاص لله اذ لا يكشفها الا هو كما قال وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له الا هو والتضرع والدعا قال تعالى واذا مس الانسان ضر دعانا
وبين الصبر والحلم والعفو عمن جناها والفرح بها لاعتياد الثواب والشكر على
العافية ومحو السيات بها ورحمة المصايب بها غيره ومعرفة قدر النعمة الزايلة
عنه وترقب منافع خفية بها كما قيل كم نعمة مطوية كدفين اثنا المصايب
ومنعها من التكبر والخيلا والرضى بما قدره الله فلذا كان اشد الناس بلا الامثل
فالامثل الخ ما فصله

القسم الرابع من هذا الكتاب في تعريف وجوه

الاحكام وفي نسخة تصرف والمراد بيان وجوهها او سبب الاختلاف فيها
الذي اوجب تغييرها من قول الى اخر فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم
بذكر ما فيه تحقير له وغض من علي مقامه وسبه اي بذكر ما فيه سب وشتم
له صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل عياض المص رحمه الله قد تقدم
في هذا الكتاب من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله
عليه وسلم اي التي يستحقها لذاته وما يتعين له على امته بل الناس كافة من بر
اي احسان قول وفعل يتعلق به صلى الله عليه وسلم وتوقير اي تعظيم وتبجيل
وتعظيم واكرام لاحترام مقامه وبحسب هذا بفتح السين اي بمقدار اعتبار ما
يجب ويتعين له حرم الله اذاه في كتابه كما سياتي بيانه وهذه فذلكتها ه
واجمعت الامة على قتل منتقصه وسابه من المسلمين صلى الله عليه وسلم
وقيد بالمسلمين لاختلافهم في الفاعل لذلك من الكفار هل يقتل او ينتقض
عهده ويبلغ مامنه وياتي ذلك مبسوطا في فصل معقود له وقد
قيل ان في دعواه الاجماع في المسلم نظر لان مذهب الشافعي ان من تنقصه
بغير قذف من المسلمين وكذا سائر الانبيا يستتاب فان تاب لم يقتل
ومن قذفه فيه خلاف ايضا فقيل يقتل لان حد قاذف الانبيا القتل فلا

يستتاب

فلا يستتاب وقيل ان تاب فورا واسلم بعد الردة فيحد حد القذف ولا يقتل كما حكي
عن كثير منهم فلا ينبغي دعوى الاجماع فيه الا ان يريد اجماع اهل مذهبه من المالكية
او عدم الاعتداد بالمخالف فيه واقول ان مراده الاجماع على وجود موجب القتل فيه
لكفره وردته فان تاب وقبلت توبته خرج عما استوجبه الاجماع ولو صرح به كان اظهر
الا ان هذه العبارة عبر بها السلف كلامهم كما نقله السبكي في كتابه السيف المسلول
على من سب الرسول واشار الى ان الاجماع على كفره وردته الموجبة لقتله اجماعا
وان عرض ما يمنعه بعده وقال انه لم يخالف فيه احد الا ابن حزم القايل بعدم
كفر من استخف به صلى الله عليه وسلم ولم يتبعه احد عليه ولا عبرة به
فالمعترض لم يقف على مراد القاضي ولم يفرق بين الوجوب والوقوع وسياتي
ان شا الله بيانه ثم ذكر ما يؤيد ما قاله من الاجماع فقال قال الله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا
فيه استيناس لما ذكره لان من لعن في الدنيا والاخرة واعد له العذاب لا يكون
الا كافرا وقرن اذيته صلى الله عليه وسلم باذيته تعالى للدلالة على ان من
اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اذى الله فما قيل من انه لا يدل
على مدعاه من الاجماع كلام ناشي من عدم العلم بمراده وقال تعالى والذين
يؤذون الله ورسوله لهم عذاب اليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة
بخلود العذاب وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله بكل ما يكرهه
قولا وفعلا ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده اي بعد موته ابدا فتحريمهن
عليهم مؤبدة لانهن امهات المؤمنين ان ذلكم المذكور من الاذية والنكاح كان
عند الله عظيما القبيحة ومنعه شرعا واستحقاق فاعله الخزي في الدنيا والا[خرة]
وقال تعالى في تحريم التعريض له صلى الله عليه وسلم بما يؤذيه من غير تصريح
به يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذكر
ما يدل على المنع عن التعريض بعد ما يكون صريحا بترتيب حسن فالنهي عن
اذيته صلى الله عليه وسلم صريحا وتعريضا فيه دلالة على ما ادعاه بالطريق
الاولى والاقوى فالاعتراض بانه غير دال على ما ادعاه لا وجه له غير قلة
التدبر واراد المص بالتعريض الايهام والتورية بما يوهم ذلك وذلك ان اليهود
كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كلمهم بما لا يدرونه
راعنا اي ارع جانبنا وتمهل علينا حتى نفهم ما تقول فلما سمعهم اليهود
يقولون ذلك انتهزوا العزمة في تنقيص مقام النبوة فكانوا يقولون
له صلى الله عليه وسلم ذلك يقصد سبه اما لانها كلمة سب بلغتهم
بالعبرانية او يقصدون بها وصفه بالرعونة وهي الحمق فتفطن لذلك
بعض الصحابة فقال لهم لين لم تنتهوا عن مخاطبته بهذا لاضربنه بما
قصدتم فقالوا الستم تقولونها فانزل الله هذه الاية نهيا للمؤمنين
ان يقولوا ما يتوصل به اليهود لسبه صلى الله عليه وسلم كما اشار
اليه المص بقوله وذلك المذكور من التعريض وجهه ان اليهود لعنهم الله

اي لا يجوز ولا يصح امرهم

ابن اقوى

شبكة الألوكة www.alukah.net

تعالى كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك اي
ارع جانبنا بتوجيهك الينا والقا سمعك نحونا واسمع منا ما نتكلم به عندك وكانوا يعنون
بالكلمة يقصدهم معنى غير ظاهرها يريدون الرعونة اي يقصدون بها اسم فاعل من
الرعونة وهي خفة العقل فينصرف نه بمعناه نحو كذا اوصرف راعنا اي ذا رعونة
فنهى الله المومنين في هذه الاية عن التشبه بهم بقول مثل مقالتهم له صلى الله
عليه وسلم والادب بالتنبيه وفعل ما يشبهه من غير قصد وامروا ان يقولوا
ما يودي معناها من غير ايهام وهو انظرنا واسمع منا اي انتظر فهمنا وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها اي عن هذه الكلمة الموهمة والنهي للذريعة وقطع مصدر
او فعل ماض اي قطع الله الذريعة وسد بابها بهذا النهي والذريعة هي الوسيلة
الموصلة لامر غير محمود وسد باب الذريعة قاعدة عند الامام مالك مشهورة
تقدم الكلام عليها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه صلى الله عليه وسلم
والاستهزاء به فانهم كانوا يقولونها ويتغامزون وقيل بل نهي المؤمنون عنها
لما فيها من مشاركة اللفظ اي كونه مشتركا بين معنيين لانها اي هذه الكلمة
عند اليهود في لغتهم بمعنى اسمع لا سمعت دعاء عليه قال الراغب كانوا
يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به
وصفه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا اي احفظنا انتهى ومعناها الدعا
عليه كما سمع غير مسمع وهي عبرانية كانوا يتسابون بها واصلها راعينا وانظرنا
بمعنى انظر الينا بالحذف والايصال اي انتظرنا وتأن حتى نفهم ما تقول وقيل
بل نهوا عنها لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك اي ان راعيتنا راعيناك
لانها صيغة مفاعلة من الجانبين وسوء الادب فيها ظاهر فنهوا عن ذلك لما فيه
من ترك الادب معه صلى الله عليه وسلم اذ معنى بها اي مد لولها عندهم
الهم اي القائلين لا يرعونه ويحفظون حقه الا برعايته صلى الله عليه وسلم
لهم وهذا النهي مخصوص بزمان النبوة كما قاله الواحدي في الوسيط
وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية على كل احد بكل حال اي في كل
حال سواء راعى غيره ام لا والجواب الثاني قريب من الاول الا انه قيل ان
الثالث فيه نسبة ما لا يليق بالصحابة رضي الله عنهم لهم فانهم اعرف
بمقام النبوة واجل من وقوع تقصير منهم في التادب معه وهو صلى
الله عليه وسلم قد نهى الناس في الحديث المشهور عن التكني وتقدم
ان القاسم اكبر اولاده ولذا اكنى به واختلف فيه هل مات قبل البعثة او
بعدها والكنية ما صدر باب او ام واللقب ما اشعر بمدح او ذم
والعلم اعم منهما واختلفوا فيها هل تختص ام لا بكنيته الشريفة وهي
ابو القاسم كني باسم بعض اولاده فقال تسموا باسمي زاد فيه محمد لانه اشهر
اسمائه صلى الله عليه وسلم واشرفها والتسمية به مستحبة مستحسنة وورد
فيها احاديث كثيرة مشهورة وبركتها معروفة ولا تكنوا بكنيتي بفتح التاء

الفوقية والكاف وتشديد النون واصله تتكنوا بحذف احدى التاءين تخفيفا قياسا
وقيل اصله تتكانوا حذف فتحة الفاء لالتقاء الساكنين وهو تكلف من غير داع له وقيل
انه روي تكنوا مخففا مسكن الكاف والاول اشهر واظهر ورجح لا تتكنوا ايضا صيانة
لنفسه عن ان يشاركه غيره في كنيته الموهمة برفعة قدره وهو وما بعده مفعول
له منصوب وحماية اي حفظا عن اذاه اي ان يؤذيه غيره ثم بين علة المنع وتاديبه
بذلك بما وقع في الحديث الذي رواه البخاري بقوله اذ كان صلى الله عليه وسلم قد
استجاب اي اجاب والتفت لرجل نادى يا ابا القاسم من خلفه وهو في السوق فقال
له الرجل الذي نادى لم اعنك اي لم اقصدك بندائي هذا انما دعوت بهذا غير
لرجل ثمة وابو القاسم المذكور قيل انه رجل من الانصار فنهى صلى الله عليه
وسلم حينئذ اي حين اذ وقعت هذه القصة عن التكني بكنيته بضم الكاف
وقد تكسر من كنيته وكنيته واصل الكناية الستر لئلا ينادي باجابة دعوة
غيره الصادرة ممن لم يدعه اذ ظنه دعاه والتفت نحوه ويجد بذلك المنافقون
والمستهزئون من الكفرة ذريعة الى وسيلة وطريقا الى اذاه بتداعيهم اياه
لندائه واستماعاته والازراء به اي الاستخفاف تحقيرا به فينادونه بكنيته واذا
التفت صلى الله عليه وسلم لمن ينادي قالوا له حين اجابهم انما اردنا هذا مشيرين
لغيره قصد السوء ممن تكني بكنيته تعنيتا له اي ايقاعا له في العنت وهو
الامر الشاق فهو بمعنى مهملة ونون ومثناة فوقية واستخفافا بحقه اي تهاونا
وتحقيرا بالعدو وعن نحو قيره على عادة المجان بضم الميم وتشديد الجيم قبل الف
ونون جمع ماجن من المجون وهو الهزل والسخرية فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه
اي منع منه منعا تاما فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بكل وجه يفضي
اليه فلذا منع من المشاركة في كنيته فيعلم منه المنع مما يؤذيهم معنى فيجعا
بالطريق الاولى كقولهم راعنا ونحوهم شرع في بيان حكم التكني بكنيته شرعا
فقال فحمل محققو العلما نهيه اي جعلوا حكمه في المنع والنهي عن هذا المذكور
من التكني بكنيته على مدة حياته لان علة تاذيه بسماعه انما تصور في حياته
واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة المذكورة بموته صلى الله عليه وسلم
والنهي قد يرتفع بارتفاع ما علل به وينتهي بانتهائه فلا يقال ان عموم لفظه
ياباه وللناس من العلما في هذا الحديث يعني حديث تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي مذاهب ليس هذا موضعها الذي نذكرها فيه مفصلة لطولها وما
ذكرناه من تخصيصه بحياته لما تقدم هو مذهب الجمهور اي اكثر الفقها
والمحدثين وهو الصواب ان شاء الله من الاقوال وهي كثيرة احدها المنع
مطلقا سواء كان اسمه محمد ام لا وروي عن الشافعي الثاني الجواز مطلقا الثالث
لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره وعليه عمل السلف وصححه الرافعي وبالغ
بعضهم فقال لا يجوز ان يسمي احد ابنه القاسم لئلا يكنى بابي القاسم والرابع
منع التسمية بمحمد مطلقا والتكني بابي القاسم مطلقا واستدل بما يأتي
من ان عمر رضي الله عنه غير اسما جماعة تسموا بمحمد من اولاد الصحابة ونهى

ايضا عن التسمية باسما الانبيا اعظاما لهم عن ان يسبوا غيرهم لغيبتهم لكنه صحح كما
يأتي انه رجع عن هذا المنع لما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى به بعض من ولد
في حياته والخامس المنع مطلقا في حياته والتفصيل بعده بين من اسمه محمد واحمد
فيمتنع ويجوز في غيره والسادس انه يجوز في حياته لمن سماه النبي وكناه لما
يأتي من انه روي عن علي كرم الله وجهه انه قال له يا رسول الله ان ولد لي
ولد اسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم وهو محمد بن الحنفية المكنى بابي القاسم
ولذا قيل الاصح ان النهي مخصوص بحياته صلى الله عليه وسلم الا من اذن له
النبي صلى الله عليه وسلم فيه والظاهر ما قاله المص لدلالة الحديث عليه دلالة
ظاهرة ولبعضهم في نظم ذلك

في كنية بقاسم خلف وقع ... فالشافعي مطلقا لها منع
ومالك جوز والنهي حمل ... على الحياة والنواوي جعل
هذا هو الاقوى ما الرافعي ... يمنع من سمي محمدا فعي

وان ذلك المنع انما جا في حياته بكنيته فقط لانه كان لا ينادي باسمه تادبا على طريق
توقيره وتعظيمه في عدم المشاركة في كنيته كسائر الانبيا ولان معنى القاسم من يقسم
ارزاق الناس ونحوه مما لا يليق بغيره وانه ايضا انما منع على سبيل الندب
والاستحباب الندب اكد من الاستحباب لانه الاولى لا على التحريم لانه لا يلزمه التاذي
به حتى يقال كيف لا يحرم ما فيه اذية له صلى الله عليه وسلم ولذلك اي كونه ندبا
لا وجوبا لم ينه عن التسمية باسمه مع وجود العلة فيه لكنه دفع ذلك المحذور
بقوله لانه قد كان الله منع عن ندايه به وجعله لما فيه من ترك الادب بقوله
لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا اي كما ينادي احدكم غيره
باسمه فهو مصدر مضاف للمفعول او الفاعل اي كان يدعوكم باسمايكم فانه
يجاب له صلى الله عليه وسلم ويجب اجابته مطلقا حتى ذهب بعض الشافعية
الى انه يجب اجابته في الصلاة كسائر الانبيا ولا تبطل بها الصلاة بالنسبة
له صلى الله عليه وسلم وانما كان المسلمون يدعونه اي ينادونه ويخاطبونه
بقولهم يا رسول الله ويا نبي الله ولا يقولون يا محمد وكذا لا يقولون يا ابا
القاسم لما في الكنية من التعظيم وتوقف فيه صاحب الامتاع لما قدمناه وليس
محل توقف ولذا قال المص وقد يدعوه بيا الغيبة لاسناده للظاهر وفي نسخة
يدعونه فالظاهر بدل منه بكنيته يعني ابا القاسم لما فيها من الادب وشعار
التعظيم لبعضهم فاعل او بدل بعض كما تعرض في بعض الاحوال وهو لا ينافي
النهي عن التكني بها كما توهم بل يناسبه اتم مناسبة الا انه نقل عن الشافعي
انه حرم نداه صلى الله عليه وسلم بكنيته كما حرم نداه باسمه فسوى بينهما
لدخولهما تحت قوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا الا انهم كانوا
يتداعون بينهم بالكنى وقد يفرق بينهما فكان هذا هو الداعي لتوقف صاحب
الامتاع وفي الشرح لم اقف على ان احدا ناداه صلى الله عليه وسلم بكنيته بعد
هذا النهي الا ان يكون حديث عهد بالاسلام وقد روي في حديث رواه الحاكم

والبزار

والبزار وابو يعلى وحسنوه عن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل
على كراهة التسمي باسمه العلم وهو محمد وما يشمله وغيره وتنزيهه اي تبعيد
اسمه عن ذلك اي عن تسمية غيره به تكريما له والكراهة كراهة تنزيه لا تحريم اذ لم
يوقر اسمه او المسمى به اي يعظم فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم واصله اتسمون
بالاستفهام الانكاري الدال على كراهته لمن اعتاد سب اولاده باسمايهم وقال الحافظ
ابن حجر انه حديث ضعيف ولا دليل فيه للكراهة مطلقا وقد روي عن عمر رضي الله عنه
انه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى بالبنا للمفعول لا والفاعل احد باسم النبي صلى الله
عليه وسلم توقيرا له وخوفا ان يسب بما يوهم سب مسماه مطلقا حكاه عنه ابو جعفر
محمد بن جرير الطبري الا انه رجع عنه لما روي له ما ياتي انه صلى الله عليه وسلم
سمى ابن ابي طلحة محمدا وغيره فقال فلا سبيل اليكم يعني في المنع وروي سعيد
ابن المسيب احب الاسما الى الله عز وجل اسما الانبيا قال وانما كرهه عمر رضي الله عنه
لئلا يسب المسمى به فيسري له ذلك وحكي عن محمد بن سعد الواقدي الامام المشهور وقد
تقدمت ترجمته انه اي عمر رضي الله عنه نظر الى رجل هو ابن اخيه ابو عبد الحميد
ابن زيد بن الخطاب اسمه محمد ورجل يسبه ويشتمه بقوله فعل الله بك يا محمد وصنع
هو كناية عما يشتمه كما يقال فلان الفاعل الصانع فقال عمر لما سمع شتمه
باسمه لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا يسب بك اي بسبب بسبب
اسمك لما فيه من الايهام والا كلمة تنبيه مركبة من همزة الاستفهام الانكاري
ولا اراد النفي وتحقق ما بعدها ولذا تتلقى بما تتلقى به القسم كان والله
لا تدعى اي لا تسمى انت محمدا ما دمت انا حيا اي في مدة حياتي توقيرا له صلى
الله عليه وسلم وتعظيما لاسمه ان يتعرض لسب اسمه فغير اسمه محمدا وسماه
اي سمى عمر رضي الله عنه ابن اخيه الذي هو محمد عبد الرحمن فهو عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب العدوي وامه بنت ابي لبابة ولد في عهد النبي صلى الله
عليه وسلم وسمي محمدا فغير عمر اسمه واراد عمر رضي الله عنه في زمن خلافته
ان يمنع الناس ان يسمى احد باسما الانبيا صلى الله عليهم اجمعين اكراما
لهم اي للانبيا بذلك اي بمنع التسمية باسمايهم لئلا يسبوا بما يوهم ذلك
وغير اسما جماعة تسموا باسما الانبيا ثم امسك اي كف ورجع عن منع التسمية
لما مر وسياتي والصواب جواز هذا كله اي التسمية باسمه مع الكنية
وبدونها وكذا التسمية باسما الانبيا والملايكة لما مر خلافا لما منعه او
كرهه بعده اي بعد حياته صلى الله عليه وسلم لان وجه التاذي
بندايه وهو غير منصوص بعده بدليل اطباق الصحابة رضي الله عنهم
على ذلك اي على التسمية بما ذكر وجوازه وقد سمى جماعة منهم اي من
الصحابة ابنه محمدا وكناه بابي القاسم فجمع بين الاسم والكنية ولم ينكره
احد منهم مع كثرة الصحابة اذ ذاك فهذا كله يدل على انه غير ممتنع شرعا
والاطباق بمعنى الاجماع هنا من المطابقة وهي المحاذاة فقهية مستعار من
الاطباق بمعنى جعل شي فوق شي بقدره ومنه طابقت النعل ثم شاع

عليه الصلاة والسلام صح

وجاز بحقيقة عرفية وانما اختار هذا العقد التركي المستلزم للتعظيم ولما ورد في حديث رواه ابن وهب تسموا باسماء الانبيا واحب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن وسمى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وروي في حديث رواه ابو داود والترمذي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لعلي بن ابي طالب في ذلك اي في الجمع بين الاسم والكنية وذلك انه قال له يا رسول الله ان ولد لي ولد بعدك اسميه باسمك واكنيه بكنيتك فقال له نعم فهذا يدل على ان المنع مخصوص بزمانه وهذا الحديث رواه اصحاب السنن وصححوه كما قاله البرهان الا انه قال حفظت عن مشايخي انه روي انه عليه الصلاة والسلام قال لعلي سيولد لك ولد بعدي وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا يحل لاحد من امتي بعده انتهى فعلى هذا الاستشهاد فيه الا ان كبار الصحابة كابي بكر وابن عوف فعلوا ذلك وناهيك به حجة وذلك الموعود به كما مر هو محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب المشهور كنايته عن علم وقد اخبر صلى الله عليه وسلم في حديث روي عنه ان ذلك اي محمد وابو القاسم اسم المهدي وكنيته الذي يظهر في اخر الزمان بعد ما يظهر الفساد والجور فيملأ الارض عدلا وهذا ورد في حديث رواه ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيب هذه الامة بلا حتى لا يجد الرجل ملجا يلجا اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي وفي رواية من اهل بيتي يوافق اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي وكنيته كنيتي فيملأ الارض عدلا وقسطا ويكثر المطر والنبات ويعيش سبع سنين او ثمان او تسع وفيه احاديث كثيرة افردت بالتاليف ليس هذا محلها وقيل انه من ولد العباس رضي الله عنه وقيل غير ذلك فالشاهد فيما ذكر انه لو لم يكن جايزا بعده لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمى به من هو اصلح الناس واعلمهم واعدلهم في عصره ومما يدل على جواز التسمية باسمه انه قد سمي النبي صلى الله عليه وسلم جماعة منهم محمد بن طلحة التيمي جي به له صلى الله عليه وسلم فمسح راسه وسماه باسمه وكناه بكنيته وهو المعروف بالسجاد قتل في وقعة الجمل ومحمد بن عمرو بن حزم بن زيد لوذان الانصاري ولد سنة عشر وقتل في وقعة الحرة سنة ثلاث وستين وهو من الفقها روي عنه احاديث في السنن ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي اتى به ابوه النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه محمدا وهو ممن قتل بالحرة ايضا وروي عنه احاديث في السنن وغير واحد اي كثيرون سماهم النبي صلى الله عليه وسلم باسمه من اولاد الصحابة وكانوا اذا ولد لهم ولد ياتون به للنبي صلى الله عليه وسلم تبركا به فيمسح راسه ويسميه وقد يحنكه بتمر وقد ذكر منهم جماعة الحافظ الذهبي ونقلهم البرهان وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ما ضر احدكم ان يكون في بيته من اولاده الذكور محمد ومحمدان اثنان وفي نسخة وثلاثة واراد بنفي الضر النفع ولكنه لم يصرح به احترازا من التمدح ومثل هذه العبارة يكنى بها عن كثرة النفع كثيرا وقد فصلنا

الكلام

الكلام في هذا القسم الرابع على ما بين كما قدمناه في بيان التراجم اول الكتاب

الباب الاول

في بيان ما هو

اذا قيل في حقه عليه الصلاة والسلام اي بالنسبة اليه سب وشتم او نقص مما لا يليق به وان لم [illegible] شيئا من تعريض بطريق الكناية والايما او نص اي صريح لا يحتمل التاويل قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك لمعرفة [illegible] النبوة وما يجب له صلى الله عليه وسلم ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم بشتمه او عابه هو اعم من السب فان من قال فلان اعلم منه صلى الله عليه وسلم فقد عابه ونقصه ولم يسبه او الحق به نقصا في نفسه وذاته بتعلق بخلقه وخلقته او نسبه كان يفضل احدا على قومه واصوله وكان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يكن قرشيا فانه كفر كما صرح به الفقها وياتي ايضا في محله وليس من تنقيص النسب ما وقع من الاختلاف في اسلام ابويه كما هو ظاهر او دينه اي نقص شريعته او نسبه لقصور فيما يجب منها او خصلة من خصاله وصفة من صفاته كشجاعته وكرمه او عرض به اي قال في حقه صلى الله عليه وسلم ما لا يليق به تعريضا لا تصريحا او شبهه بشي غير حسن على طريق السب له بتنقيصه كما سياتي او الازرا عليه اي التنقيص له وان لم يكن قصد السب او التصغير لشانه اي تحقيره كتصغير اسمه او صفة من صفاته او الغض بمعنى اقل تنقيص وهو بغين وضاد معجمتين واصل الغض نقص في الصوت او الطرف كما قاله الراغب فاريد به مطلق النقص القليل او العيب له فهو ساب اي كالساب معنى وفي نسخة والعيب بالواو والحكم فيه حكم الساب الاتي من غير فرق بينهما من انه يقتل كما نبينه ولا نستثني بنون المضارعة اي لا يخرج منه فصلا اي قسما وصورة كما يقال المسالة على فصول لفصل بعضها من بعض من فصول هذا الباب جميع اقسامها ولا نمتري بنون ايضا اي لا نشك ولا نتردد فيه صريحا كان السب او تلويحا اي كناية وتعريضا وكذلك من لعنه والعياذ بالله او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه اي باصله وحسبه وهذا هو حقيقة المنصب كما قدمناه لا ما اشتهر بين العوام على طريق الذم له حاشاه منه او عبثه اي قال له على طريق الهزل والمجون في جهة العزة اي نسب له تعلق بجانبه الرفيعة بسخيف من الكلام اي امر سخيف رذل وهي بضم الها وفتحها وهو الفحش والقبيح وبمنكر من القول وزور او الكذب عليه بما لا يليق بجنابه الشريف او عيره بعين مهملة وياء مشددة تحتية اي نسب له صلى الله عليه وسلم ما فيه عار عليه بما جرى من البلا والمحنة عليه كذكر ما اتفق له صلى الله عليه وسلم مع العرب في ابتدا دعوته كما فصل في السير او غمصه بغين معجمة وميم وصاد مهملة اي نقص من قدره ببعض العوارض البشرية الجائزة عليه كالامراض ونحوها مما تقدم والمعهودة لديه اي المعتادة بينه وبين سائر الانبيا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذا كله غير جار من يثبت للعفاء في الدارين اجماع من العلماء وايمة الفتوى من فقهاء
المذاهب معروف متواتر بينهم من لدن عصر الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا
اي الى اخر الزمان وانقضا الدهر والعصر بعد عصر [illegible] قرن بلا خلاف فيه
وحكاية ابن حزم الخلاف فيه لا معول عليها كما يأتي وقد تقدم بيان الاجماع فيه وان
من اعترض على المص لم يفهم مراده وان هذه العبارة منقولة عن الايمة كلهم كما
في السيف المسلول على من سب الرسول للسبكي وفي نسخة من الصحابة واصحابه وهو
سهو من الناسخ حمل بعض المحشين على التكلف في توجيهها وقوله هلم جرا هو بدا
وتخليط لا يرد عليه ما مر من قول عمر رضي الله عنه في مرض موته صلى الله عليه وسلم
هجر فانه استفهام انكاري على الاصح فهو لم يصفه صلى الله عليه وسلم بذلك
حتى يقال كيف يعد كفرا وقد صدر من مثله ولا حاجة الى الجواب بانه لم يقصد تنقيصه
به ومثله ممنوع عقلا قال الزركشي كالسبكي انه لا يجوز ان يقال له صلى الله عليه وسلم
فقيرا ومسكين وهو اغنى الناس بالله لا سيما بعد قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى
وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا اراد به المسكنة القلبية بالخشوع
والفقر فخري باطل لا اصل له كما قاله ابن حجر العسقلاني وقوله ومن ورد علمت
انه اراد به الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بتعمد وصفه بما لا يليق به واما الكذب
عليه بنقل ما لم يقله فليس داخلا فيه لانه معصية لا كفر وقول الجويني [illegible] فيه
ان تعمد الكذب عليه مطلقا كفر لانه قد يؤدي الى استحلال الحرام وهو كفر قول شاذ
مردود وما علل به واه جدا وقوله الى هلم جرا هلم كلمة مركبة من ها التنبيه ولم
فعل ماض ثم جعلت بمعنى فتعال وفيها لغتان احداهما ان تكون اسم فعل يستوي
فيه الواحد المذكر وغيره والثانية ان تستعمل استعمال الافعال باتصال الضماير
وقد تتعدى باللام وجرا منصوب على الحالية او التمييز او المصدرية اي وجر جرا
واصلها ان يرسل الابل للرعي وهي سايرة ثم جعل كالمثل فصار بمعنى استدامة
الامر واتصاله فيقال كان كذا في عام كذا وهلم جرا الى اليوم واصل معناه سيروا
على هينتكم من غير استعجال وحث لكن في كلامه شي لم ينبهوا عليه وهو ادخال
الى على هلم مقابلة لمن الابتدائية الداخلة على لدن وهو غير مسموع بل غير صحيح
لانها تعمل في الحال او الاصل على اللغتين فكانه حذف مجرورها وامثاله الى وقتنا
هذا وهلم جرا وهذا ايضا غير جار على وفق كلامهم وقال ابو بكر بن المنذر تقدمت
ترجمته وانه محمد بن ابراهيم النيسابوري اجمع عوام اهل العلم هو جمع عامة بمعنى
جماعة كثيرة والمتقدمون كالشافعي رضي الله عنه يعبرون بهذه العبارة للعموم
وليس المراد العامي فانه غير صحيح اذ لا عبرة بهم وباجماعهم واهل العلم مناد عليه
لان العامي لا يكون اهل علم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل
مطلقا وممن قال ذلك اي حكم بقتله مطلقا مالك بن انس والليث بن سعد المصري
الامام المجتهد المشهور واحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه المشهور
وهو مذهب الامام الشافعي المنقول عنه في الاشهر قال القاضي ابو الفضل
عياض المص رحمه الله ورضي عنه وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه

ولم

ولم يقل وهو قول الصديق مع انه اظهر واخصر لما ذكره وعبر بالمقتضى لانه نقل
ما يدل عليه في عهد خلافته وسياتي ما يوضحه ولا تقبل توبته عند هولاء القايلين بوجوب
قتله مطلقا صونا للمقام النبوي كما قال المتنبي لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق
على جوانبه الدم وبمثله اي بمثل قول هولاء بوجوب القتل وعدم قبول التوبة قال ابو
حنيفة واصحابه محمد وابو يوسف وزفر واهل مذهبه والثوري سفيان بن سعيد الكوفي
الفقيه سيد اهل عصره وامير المؤمنين في الحديث والتقوى لم ير احفظ منه ولا اجل وارى
هو ايضا مثل نفسه وهو منسوب لثور وهي قبيلة توفي سنة احدى وستين ومائة واهل
الكوفة من عطف العام على الخاص لان الثوري وابا حنيفة كوفيان والاوزاعي عبد الرحمن
ابن عمرو الامام الجليل في الحديث والفقه والترسل والزهد والعبادة حبر هذه الامة
مات في جمادى سنة سبع وخمسين ومائة و[illegible] الاوزاع لقب لانه بطن من همدان
في المسلم خاصة دون الكافر وفي نسخة [illegible] قالوا هي ردة اي يرتد صاحبها
ويكفر بسببه وانث الضمير لتانيث الخبر على القاعدة وعلى هذا يستتاب كالمرتد وقيل
انه يمهل ثلاثة ايام ونقل هذا عن عمر رضي الله عنه واذا قتل تضرب عنقه وقال
الماوردي يضرب بالخشب ولا يحرق ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا المشركين وروى مثله
الوليد بن مسلم ابو العباس الدمشقي مولى بني امية عالم اهل الشام كما تقدم وانه
ولد سنة عشر ومائة وتوفي سنة خمس او اربع وتسعين ومائة في الحج [illegible] ويقال له كما
في نسخ ابن ابي مسلم والاول اصح عن مالك في احدى الروايتين عنه [illegible] الطبري
محمد بن جرير وقد تقدم مثله عن ابي حنيفة واصحابه [illegible] تنقصه [illegible] له
صلى الله عليه وسلم نقصا دون السب وبرى منه او [illegible] فيه
ما تقدم من حكم المرتد وقبول توبته وقال سحنون [illegible] المعروف العلية
وسنه المعجمة كما قاله المعري في كتاب ذكري حبيب وقال [illegible] في لسان الميزان
هو عبد السلام بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن [illegible] هلال بن بكار بن
ربيعة التنوخي ابو سعيد الفقيه المالكي غلب عليه [illegible] ابن وهب
وابن القاسم واشهب وغيرهم فقول ابي يعلى لم يرض [illegible] حفظه
كالفقه فيه فقالوا انه انتشرت امامته وسلم له [illegible] فضله
وتقدمه وانه اجتمع فيه خصال لم تجتمع في غيره [illegible] الزهد
والسماحة وولد في رمضان سنة ستين او احدى وستين ومائة و[illegible] وستة اربعين
ومائتين لتسع خلون [illegible] ابن ثمانين سنة انتهى فيهم [illegible]
ردة له حكمها كالزنديق [illegible] تزندق [illegible]
تعرب في امثله اختلاف [illegible] على معان
كالمانوية وعلى من لا يؤمن [illegible] والبقا
الكفر ويظهر الايمان و[illegible] بينه وبين الكافر
مشهور ايضا والفرق بين هم [illegible] ومن ال
انه يؤخذ منه الجزية لانه يقبل [illegible] قبل ال
يخفف بخلاف ما يظهرون وعا[illegible] تغير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتفصيله مع ادلته في كتب الفروع وليس هذا محل تفصيله وتنافي الاشارة الى شي منه وبنا
على هذا الذكر من قول سحنون وغيره انه وقع الخلاف في استتابته هل هي لازمة اولا
وتكذيبه [illegible] في الحكم بكونه يقاد كونه واكونه على الصحيح خلافا لمن جعل الاول من الكفار
وهو [illegible] مشهور وقد وقع الخلاف ايضا في قتله هل قتله حد لانه لمن قذف الانبيا وهم
جرا عليه كسائر الحدود وداموا هو كفر لانه كقتل المرتد بردته كما سنبينه في الباب الثاني
من القسم الرابع ونحن ان شا الله نبين ما فيه تفصيلا مع الفرق بينهما وما فيه
ولا تتلقى الركبان هنا ولا نعلم خلافا بين علما الاسلام في استباحة دمه اي انه
هدر لاستحقاقه القتل بسبه صلى الله عليه وسلم بين علما الامصار اي البلاد
العظيمة كمكة والمدينة وبغداد ونحوها وهم اعظم واعلم من غيرهم وسلف الامة
المتقدمين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان وقد ذكر غير واحد هو كناية
عن الكثرة عندهم الاجماع على قتل السكي اي الشاتم اي على كافر مستحقا للقتل واشار
بعض الظاهرية وهم قوم على مذهب داود الظاهري الذي كان يرى وجوب الاخذ
بظاهر الاحاديث والنصوص من غير تاويل وهو اي هذا البعض ابو محمد علي بن
احمد الفارسي وهو الامام العلامة المتبحر الحافظ المعروف بابن حزم بن غالب
ويتصل نسبه بابي سفيان بن حرب هو فارسي اموي الاصل قرطبي ظاهري كتابه
في مذهب داود المسمى بالمحلى كبير وقفت عليه في مجلدات ضخمة وولد بقرطبة
سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وترجمته وتصانيفه مفصلة في التاريخ
وقيل لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان الى الخلاف في تكفير المستخف
به صلى الله عليه وسلم بتصغير شانه او بشي يتعلق به من غير سب صريح وهو
قول مردود عليه والمعروف ما قدمناه من تكفيره وفيه اشارة الى عدم
الاعتداد باقوال الظاهرية النافين للقياس وفيه خلاف هل يجوز العمل
بقولهم [illegible] والصحيح عدم الجواز وما ذهب اليه ابن حزم [illegible] انه
قد وقع ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم لكثير من الاعراب ومن غيرهم
كالحلم ولم يقتلهم صلى الله عليه وسلم وجوابه ظاهر ولا يقاس حالنا
اليوم عليه لانه [illegible] الاسلام كان يتالف القلوب ويسامح اما اليوم
فلا [illegible] محل [illegible] الامام سحنون الذي سبق بيانه قرشيا وانه ايضا
من اجلة المالكية والمحدثين وله مصنفات عدة وتفقه على ابيه وكان
مفتي القيروان بعده وهو عظيم القدر [illegible] المناظرة اجمع العلما على
جماعة [illegible] عنه [illegible] كان احسن كافر
وليس المراد العاصي فانه غير مجمع عليه لسحنون وباجماع [illegible] له لقوله تعالى
لان العاصي لا يكون اهل [illegible] وحكمه عند النبي [illegible] اي امة الاجابة القتل
مطلقا وممن قال ذلك اي حكم لان الرضى [illegible] كفر ولتكذيبه للقران في
الامام المجتهد المشهور واحمد [illegible] اليم قال ابن حجر وما صرح
وهو مذهب الامام [illegible] هو ما [illegible] ايمتنا وغيرهم لكنه عندنا
عياض [illegible] رحمه الله ورضي عنه ان اصر وقتل ولو امراة فان اسلم صح اسلامه

ونزكر

وتركه اي ويأتي ذلك في محله فيد وفي جزمه بكونه بعد نقل الخلاف فيه نظر وكيف
يصح قوله من شك في كفره وعذابه كفر مع ذكر الخلاف فيه اولا فلذا قيل [illegible]
ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا او في نسخة على مثل [illegible] خالد
ابن الوليد مالك بن نويرة على من نصغير نار لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم
صاحبكم يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وفيه تنقيص له بتعبيره عنه بما
دون رسول الله ونحوه وانما قتله لهم دونه المشعر ذلك بالتبري [illegible] واتباعه
واستنكافه وهو في غاية الظهور ومالك بن نويرة هذا [illegible] على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شجاعا شاعرا [illegible] في قومه بني
تميم فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اخذ زكاتهم فمنعوها
بعده صلى الله عليه وسلم فارسل ابو بكر خالد بن الوليد [illegible] فقال له مالك
ابن نويرة انا اتي الصلاة دون الزكاة فقال له لا تقبل احداهما دون الاخرى
فقال قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال خالد اما تراه لك صاحبا [illegible] قال ابن حجر [illegible]
ضرب عنقك فقال [illegible] اريد لك امرك صاحبك [illegible]
ينكر عليه خالد [illegible] صاحبكم بعد ما وعده [illegible]
فضرب عنقه لانكاره قوله صاحبكم مرتين استصغارا [illegible]
وهو الذي [illegible] متهم بالفضيلة العينية التي [illegible] لانه معنوي لان الجزى
فلما تفرقنا كاني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا [illegible] من عدم التدبر
وهي فضيلة بليغة مشهورة وفيها ذكره [illegible] اشارة الى رد ما لقتل بمعنى اللعن
قدم للقتل قال لزوجته ما قتلني الا هذه يعني ان خالدا اراد بهما معنى
ليتزوجها ولما قتله جعل راسه اثفية قدر ثم بعد ذلك [illegible] ما لا يصح
فقال ابو وجنة السعدي [illegible] شعرا منه
فضل خالد يبغيا عليه لعرسه وكان له فيها هوى [illegible] هذا التعجيل
ولما انكروا عليه ذلك عند ابي بكر رضي الله عنه وقال [illegible]
قوله في ذلك وما كنت لا غمد سيفا سله الله عليهم [illegible] ولا [illegible] له لعدم
وممن شدد النكير عليه عمر رضي الله عنه وود لو [illegible] قتله وتاويله
ان قتله غير صواب لكن خالد رضي الله عنه لما اخذ منه [illegible]
الزكاة وقد قال له لا تفعل هذا فانك ان قلته [illegible] الحكم فامتنع
مع الله حكم بقتله وابو بكر رضي الله عنه اقتدى برسول الله [illegible]
وسلم فيما فعله لانه وقع له مثله في قصة بني خزيمة [illegible] الجاهلية
مع اسلامهم كما هو مذكور في السير فسقط ما قيل [illegible] للنبي
القضية لما اخذ بعد ذلك لانها امر منكر يحتاج للتاويل [illegible]
الخطابي هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب وله نسبة [illegible]
زيد بن الخطاب اخو عمر رضي الله عنه وهو بستي [illegible]
وثلاثمائة وهو امام جليل له تصانيف جليلة [illegible] الادب والعلم
لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا [illegible]

دقة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن اويس

في الكافر كما تقدم وقد قيل انه مقيد بعدم التوبة فانه محل الاجماع والله اعلم
من نظر وقد قدمنا لك ما يعلم منه الجواب عنه وقال ابن القاسم الامام عبد الرحمن
المصري صاحب الامام مالك رحمه الله عن مالك في كتاب محمد بن سحنون الذي
تقدم قريبا والمبسوط والعتبية تقدم انهما من اجل الكتب وبيانهما وحكاه
عبد الله بن مطرف وهو ابن اخت الامام مالك كما قدمناه في ترجمته في كتاب
ابن حبيب الذي تقدم بيانه ايضا من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل حدا ولم يستتب ولا تقبل توبته وقال ابن القاسم في العتبية تقدم
القاسم كتاب مستخرجة لمحمد بن احمد بن عبد العزيز بن عتبة الاموي القرطبي الفقيه
[illegible] الاندلسي من سبه او شتمه او عابه او تنقصه على سبه والمراد بالسب ذكر
ما يعيبه ويحقر شانه من الامور الذميمة وشتمه بنسبة ما لا يليق به صلى الله عليه
وسلم في ذاته مما لا يحقره بكونه جبارا او قهارا او نحوه لان المراد في بعض احدها
عن اسم [illegible] عند هم الاجماع هنا كما مر او نقصه اي نسب له نقصا وان لم يكن شتما
نقص الظاهرية وهم فرقة [illegible] فانه يقتل حدا وحكمه عند الامة اي في اعتقاد
بظاهر الاحاديث والنصوص وجوبا بلا ترديد كالزنديق اي كما يقتل الزنديق كما
احمد الفارسي وهو الا [illegible] على كل احد تو فيرها اي تعظيمه صلى الله عليه وسلم وبره
ويتصل نسبه بابي سفيان [illegible] على امته فمن خالف ما فرض الله عليه مما علم من الدين
في مذهب داود الظاهري [illegible] فيجب قتله ولا تقبل توبته وفي المبسوطة وفي نسخة
سنة اربع وثلاث [illegible] بن كنانة بكسر الكاف ونونين بينهما الف وهاء تانيث وهو ابو
وقيل لسان بن [illegible] ائمة المالكية له كتاب اسمه المبسوطة لم يشتهر توفي سنة ست
[illegible] صلى الله عليه [illegible] بعد كتب بستين سنة وقيل ثلاث وستين وهو احد الرواة
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا على
الاعتقاد ادبا قوا [illegible] تخيير الله ولم يستتب اي لم تقبل توبته والامام مخير في
لبثوا [illegible] ضرب عنقه في رواية ابي المصعب عن مالك ومصعب
[illegible] هو احمد بن ابي بكر ابو مصعب الزهري العوفي قاضي المدينة
[illegible] عن مالك وغيره وتوفي سنة اثنين واربعين ومائتين
[illegible] ابي اويس اسماعيل بن عبد الله ابن ابي اويس بن اخت
[illegible] كما يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] او عابه او تنقصه بنسبة نقص مما له حماه الله منه قتل
[illegible] كافرا ولا يستتاب لانه حد لا يسقط بالتوبة عنده قيل قوله
جماعة [illegible] للمسلم اما الكافر اذا تاب وتوبته اسلامه فتقبل توبته
وليس المراد العاسلام يجب ما قبله وقال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
لان العاصي لا يكلف ويتابى ما فيه وفي كتاب محمد بن ابراهيم المعروف بابن
مطلقا وممن قال كثيرة المشهور من احسن اصحاب مالك انه قال من سب النبي
الامام المجتهد المسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال
وهو مذهب الامام الاندلسي المالكي مفتي قرطبة الامام المعروف توفي سنة
عياض الله رحمه

سبع

سبع وتسعين و[illegible] لا ثمانية كما تقدم يقتل على كل حال كما بينه بقوله اسود لك
اي اخفاه عن بعض الناس واظهره وجهر به ولا يستتاب لان توبته لا تعرف فهل
هو كاينه كونه باخلاص او هي تقية خوفا القتل وقال عبد الله بن عبد الحكم
بفتحتين ابن اعين الفقيه المصري ثقة يروي عن مالك والليث وغيرهما
توفي سنة اربع عشرة ومائتين من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري الامام المشهور محمد بن جرير مثله عن اشهب
عن مالك رحمه الله واشهب هذا هو ابن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم ابو
عمرو العبسي العامري المصري الفقيه قيل اسمه مسكين واشهب لقبه روى عن مالك
والليث وغيرهما وهو ثقة توفي سنة اربع ومائتين وكان [illegible]
ابن وهب عن مالك رحمه الله وابن وهب هو ابو محمد بن وهب بن مسلم الفهري
المصري احد الاعلام روى عن مالك والليث والثوري [illegible] كثير [illegible]
للقضا فاختفى وانقطع في بيته وكان من الزهد والعبادة [illegible] قال ابن [illegible]
بمرتبة لم يبلغها غيره حتى بلغ حديثه [illegible] العا [illegible]
جليلة توفي في سنة سبع وتسعين ومائة في شعبان [illegible]
ومائة من قال ان ردا النبي صلى الله عليه وسلم ويروي [illegible] لكن من يصلد [illegible]
وسخ الوسخ والدنس معروفات واراد به عيطته اي قصد [illegible] دلالا معنوي لان الخزي
قتله فانه لم يعنه ذلك لم يقبل كما قال بعضهم [illegible] يهنا ناشي من عدم التدبر
وسمه اي مسودة من دنس العرق لانه يريد بذلك [illegible] القتل بمعنى اللعن
وسلم بلباسه وبدنه والمراد يعلم من سياق الكلام [illegible] ان المراد بهما معنى
اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه [illegible] مالا يمكن
الاية لا ينبغي كمثله ورواية عند العوام ولذا [illegible] تجري اللعن والد [illegible]
قال انه كان صلى الله عليه وسلم يدهن حتى كانت ثيابه [illegible] هذا التعجيل [illegible]
مروي في الشمائل وكذا اكل اذى بانه لا يكون كفرا لا اذيته وسلم [illegible] متجمه
صلى الله عليه وسلم ولذا لم يكفر الخايضون في الافك [illegible] لم ولا [illegible] له لعدم
عليه وسلم بنص القرآن كما صرح به السبكي في السيف المسلول جوز قتله وتاويله
قال ابن حجر الهيتمي بعد سياقه كلام المصنف ويؤخذ منه انه في [illegible] بالنسبة
او قصد الاخبار عن تواضعه لا يكفر وهو ظاهر في ارادة [illegible] العكس فاتفق
عند الاطلاق لانه ليس صريحا في النقص واذا قلنا بعدم [illegible] له [illegible]
التعزير البليغ لذكره ما يوهم نقصا واختلفوا فيما لو كان البر الطالب من الجاهلية
طويل الظفر والذي يظهر انه لو قال ذلك احتقارا له صلى الله عليه وسلم [illegible]
او استهزاء به او على جهة نسبة النقص اليه كفر والا فلا بل يعزر [illegible]
انتهى ملخصا وقال بعض علمائنا يعني المالكية اجمع العلماء تقدم الا [illegible]
في هذه المسالة على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل فقال ويلا الخ [illegible]
يدعى بها ومعناها الهلاك او البلاء والمصيبة والعذاب والمع [illegible]
عليه بشيء من المكروه مما يكرهه الناس ويشق عليهم انه يقتل بغير [illegible]
[illegible]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي لا تطلب توبته ولا تقبل وقال ابن حجر الهيتمي في فتاويه من خصايصه صلى
الله عليه وسلم ان من زنى بحضرته كفر وتطرفيه في الروضة واجيب بانه ظاهر
في الاستخفاف فكان كفرا فيؤخذ منه ان غيره من الانبيا كذلك وافتى القابسي ابو
الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني شيخ الحديث وفقه مالك الضرير الزاهد
العابد صاحب التصانيف الجليلة في الفقه والاصول عديم النظير توفي في سنة
ثلاث واربعماية فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال بفتح الحا المهملة
وتشديد الميم قبل الالف ولام وذلك لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشترى
شيا من السوق حمله بنفسه واخذ الفقيه من ارا الحمله قال رب المتاع اولى بحمله
كما روي في كتب الحديث يتيم ابي طالب لانه رباه بعد موت ابيه وجده عبد
المطلب بالقتل لما فيه من الاستخفاف والتحقير وضد قايله ذلك لقيام
[illegible] منة عليه كما سياتي قال ابن حجر والظاهر ان مذهبنا لا ياتي ذلك لما في
عن [illegible] عند علم الاجما[illegible]
نبعض الظاهرية وهم قو[illegible] الازرا فانه ذكر يتيم ابي طالب فقط لم يكن صريحا
بظاهر الاحاديث والنو[illegible] كان السياق يدل على الازرا كان كما لو جمع بين اللفظين
احمد الفارسي وهو الا[illegible] بابي محمد عبد الله القيرواني المالكي الذي انتهت
ويتحمل نسبة بابي سع[illegible] كتة بالمغرب ورحل اليه من الاقطار وكثر الاخذ عنه
في مذهب داود المق[illegible] وحاز رياسة الدين والدنيا حتى سمي مالك الاصغر
سنة اربع وثلث[illegible] ديقا سنة تسع وثمانين وثلاثماية بقتل رجل سمع قوما
وقيل لسان بن [illegible] ان بن كثون ويذكر بعضهم لبعض صفة النبي صلى الله
به صلى الله عليه [illegible] بة الحبشة الشريفة التي مر الكلام عليها اذ مر عليهم
نزل شرذود عليه [illegible] بدخل قبيح الوجه واللحية على غير هيئة مستحسنة فقال
الاعندم ادبا قوال[illegible] جماعة الذين يحدثون تريدون تعرفون صفته صلى
[illegible] لقيته فقالوا له نعم فقال هي في مثل صفة هذا المار
[illegible] وهيئة لحيته او كانت هيئته كهذا المار مستخبثة
[illegible] لا تقبل توبته لكفره وعظم جرمه قال ابن حجر ومذهبنا
اليوم عليه لانه [illegible] هذا الرجل في مقالته هذه لعنه الله واخزاه وقبح
فلا [illegible] ما قاله هذا الملعون من قلب سليم الايمان بل عديمه
[illegible] محمدان وقال احمد بن ابي سليمان هو من علما المالكية المعروفين
من اجلة المالكية [illegible] صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لون
متقي لقتير [illegible] ته اسود يقتل لانه صلى الله عليه وسلم كان من الحسن
جماعة لبيرته بصفة لا تخفى كما مر فهذا القايل قد كذب وافترى
وليس له التحلي الله عليه وسلم بما فيه اشعار بالتحقير لعنه الله
لانا الفقيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذا مما صرح به الفقها
مطلقا بانه قصد الكذب استخفافا فهو كما لو قال لم يكن قرشيا وقال
الامام سليمان ايضا في رجل قيل له وقد تكلم بشي لجماعة لم تقتلوه
وهو قاله وحق رسول الله اي عظمته وجلاله قدره عند الله وهو
عياض

قسم

قسم موكد لما قبله ومثل هذا اليمين المؤكد به والاستعطاف في لبس ملبسا شرعيا
وانما جاء على عرف التخاطب فالبحث عنه هنا لا وجه له فقال الرجل المخاطب بعد ما ذكر
فعل الله برسول الله كذا او كذا كناية عن كلام قبيح وصف به رسول الله صلى الله
عليه وسلم تركه لاستهجانه عما ذكر مفعول فذكر كلاما قبيحا لا يليق ذكره
فقيل له انكارا لمقالته ما تقول يا عدو الله جعله عدوا لله لتحقيره رسوله
صلى الله عليه وسلم فقال له اي لمن انكر كلامه كلاما في قبحه اشد من كلامه
الاول الذي سبق منه ثم قال بوجه كلامه القبيح وناقل له انما اردت بقولي
برسول الله الذي وصفته بصفات انكر عليها العقرب لان [illegible] تقول اذا رايتها
وشاهدها كما في قوله تعالى ويرسل الصواعق وهو احقيقة بمعنى الارسال
وهذا مما لا شك في معناه والكلام مكابرة لكنه لا يبعد من قايله ولا مقالته
الله مراده لان رسول الله صار في كلامهم لا يراد به الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ولا يخطر غيره بالاخذ فلذا لم يقبل تاويله قال ابن حجر ومذهبنا
لا ياتي ذلك فقال ابن ابي سليمان للذي ساله مستفتيا عنها [illegible]
بان يشهد [illegible] حاكم يجري عليه ما يستحقه وانا [illegible] لكن من تصلب [illegible]
مقدم تقديره فاذا قتل فلك اجر عظيم بريد في [illegible]
فيه الشركة قال حبيب بن الربيع هو يحيى بن حبيب [illegible] دلالة معنوي لان الخزي
ابن ابي سليمان وفتواه بقتله لان ادعاه التاو[يل] هاهنا نافي من عدم التدبر
وما دل عليه في لفظ صراح بهملان [illegible] الاول [illegible] القتل بمعنى اللعن
منه فالتاويل لا يقبل لبعده غاية البعد وصرفه ان المراد بها معنى
كما لو قال انت طالق وقال اردت [illegible] لحلوله غير مربوطة اي يقولون ما لا ينبغي
هذيانا لانه امتهان اي ابتذال وتحقير في المهنة [illegible] اللعن وال[illegible]
تحقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحسب [illegible] هذا التعجيل [illegible]
وهو اي قايله غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] معجمة
في اوله وزا مهملة في اخره ومعجمة اي غير معظم ولا موقر له لعدم
تادبه فوجب بسبب هذا اباحة دمه بجعله هدرا الوجوب قتله وتاويله
لا يسمع منه وافتى ابو عبد الله بن عتاب من فقها المالكية في [illegible] بالشد
وهو من ياخذ العشر وهو المكاس قال لرجل طلب منه المكس فامتنع كان
له انه ظلم لا يرضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المكاس
بفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة امر بمعنى اعط ما طلب منك في الجاهلية
الي النبي صلى الله عليه وسلم مني ومن ظلمي كله ومثله تحقير للنبي
عليه وسلم فالشرع يعقد كانه يقول لا قدرة له على دفعه لو كان شكاه
الان فلذا افتى فيه بوجوب القتل واشكل امر من الشكاية في الزمان
باخذ المكس قال اشكوك للنبي صلى الله عليه وسلم وقال [illegible]
الرجل وتحمل ان القايل ابن عتاب فتى في اخرى فيمن قال ادع [illegible] يا عتيق
التاو وجهلت انا امرا اسال عنه فقد جهل النبي بعض امور لان علم [illegible]

انا هو لله ونسأل الله العالم بعلمه النبي صلى الله عليه وسلم فافهم في هذا البيتا بالقتل لما
فيه من الاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم لتسويته بينه وبين نبيه واسناد
السؤال والجهد اليه فهذا مع ما قبله كلام واحد او كلامان كما اشرنا اليه قال ابن
حجر وبه ذهبنا فاحش بذلك انفا بل الذي يظهر ان مجرد قوله ادوا شكا الى النبي
صلى الله عليه وسلم لقصد عدم المبالاة كفر ايضا وافتى فقها الاندلس بفتح الهمزة
والدال المهملة وضم اللام كما مر علم ارض بالمغرب كان بها كبار العلما الاعجمي
وهي الان بيد النصارى وفي دخول ال عليها كلام وهي معربة بقتل ابن ابي حاتم
المتفقه اي الذي كان يدعي علمه بالفقه والتفقه فيه وهو رجل من اهل الاندلس
لم اقف له على ترجمة الطليطلي بضم الطا المهملة وفتح لام فبعد مثناة تحتية
ساكنة وطا مهملة مكسورة ولام وياء نسبة نسبة لطليطلة وهي مدينة مشهورة
بالاندلس وصلبه على جذع مرتفع الى ان يموت او ينزل فيقتل تشهيرا له تخويفا
لامثاله من الجراة بمثل [illegible] له مما يشهد به الجمهور عليه من استخفافه بحق النبي
نبعه [illegible] بكلام يشعر بتحقيره اي برفعة قدره الذي هو حق ثابت له على كل احد
بظاهر الاحا [illegible] اي تسميته ذلك الملعون انما مناظرته النبي صلى الله عليه
احمد الفارسي وهو الا [illegible] له يتيم او يتيم ابي طالب كما كان يقوله الكفرة استخفافا
ويتصل نسبه بابي [illegible] باسلوب مشعر بتحقير كان كفرا فان لم يشعر به جاز كما في
في مذهب داود [illegible] ديف [illegible] الله في البردة
سنة اربع و[illegible]
وقيل لسان بن [illegible] بان يتيم في الامي معجزة في الجاهلية والتاديب في اليتيم
[illegible] صلى الله عليه [illegible] يتيم [illegible] انه صغير لا اب له ومن الحيوان ما لا ام له ومن الطير ما لا
يقول شرد ود على [illegible] قال لبعضهم لم كان صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا
يكون عليه حق لاحد [illegible] منة وحكمة اخرى ظهرت في هذا البيت لان اليتيم من شانه
الادب [illegible] في النفس وقد تربى صلى الله عليه وسلم يتيما مع ما فيه من
[illegible] النفس التي لا يصل اليها احد من البشر ولذا قال ادبني ربي
فاحسن [illegible] كما رواه السمعاني ومن انه مات ابوه وهو حمل على الاصح
وقيل ابن [illegible] وقيل ابن سبعة وقيل ثمانية وقيل ثمانية وعشرين شهرا
فكان في كفالة عمه ابي طالب بعد جده وهو في البيت مدح كما في قوله عز وجل
الم يجدك يتيما فاوى فما قيل انه كان على الناظم ان يجتنبه لا وجه له ولو قيل
من افراد كالدرة اليتيمة مع عدم الحاجة اليه لا تاتي في البيت وليس مراده
معنى حيدرة اي قال الطليطلي انه ختن حيدرة اي ابوه وحته يعني فاطمة
جماعة ربه عنه صلى الله عليه وسلم استخفافا به فحكموا بقتله وقتل
ولبق لاهل الاندلس ايضا والختن كل قريب لامراة رجل كاب واخ والعامة
لان العرب زوج البنت كما في الصحاح وحيدرة معناه الاسد وهو هنا اسم
يطلقانه وهو لقب علي رضي الله عنه لشدة خلقه وكانت امه سمته
الاسد [illegible] ابيه لما ولدته باسم ابيها لانها فاطمة بنت اسد فلما قدم ابوه من سفره
وسماه عليا ولذا قال انا الذي سمتني امي حيدرة ومن عمه بتثليث الزاي المعجمة

يعني

بمعنى الظن وغلب استعماله في الباطل كما هنا ولذا قيل زعم مطية الكذب والضمير للطليطلي
ان زهده صلى الله عليه وسلم بترك الدنيا لم يكن قصدا منه واختيارا بل عجزا واضطرارا
وقال لو قدر على الطيبات اكلها ونحو ما قاله من الهذيان الى اشباه لهذا اي كلمات
اخر تشبههما في السخافة والقبح الذي كفر به وهذا اجرا منه بالله وقدرته وبالنبي
صلى الله عليه وسلم وقدرته ولو اراد ان يكون جبال مكة ذهبا لكانت وقد عرض عليه ذلك
فاباه

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وهو غني عن البيان قال ابن حجر وقد هنا الانبياء في ذلك بل [illegible] ذكر في الزهد
ينبغي ان يكون كافيا في كفره وهو ظاهر لنسبة النقص اليه صلى الله عليه وسلم وافتى
فقها القيروان كابن ابي زيد صاحب الرسالة والقيروان مدينة عظيمة بالاندلس
وهو لفظ معرب كاروان بمعنى القافلة لا الجيش كما توهم [illegible] وفتح
ونسبة اليها قيرواني وقروي على خلاف القياس وكذا افتى اصحاب سحنون بقتل
ابراهيم الفزاري نسبة لفزارة قبيلة مشهورة وكان شاعرا جيد البديع [illegible]
متفننا اي ذو فنون من العلوم الفلسفية وغيرها لكن من يضلل له [illegible] او معرفة
له فعلومه [illegible] ما له لجهله بما يجب لعلمه وكان ممن [illegible] ثم رد ذلك [illegible]
العباس ابن طالب للمناظرة اي للمباحثة في العلم وهو [illegible] دلالة معنوية لان الجزئي
الفكر في اقامة الادلة فرفع اي نقلت عنه كما انه [illegible] ههنا نا بين من عدم التدبر
معني شنع فعلاه بعلي بقوله عليه امور منكرة [illegible] القتل بمعنى اللعن
الدين في هذا الباب اي من نوع الكفر القبيح في الاستهزا بالانبيا يعني ان المراد بهما معنى
عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام اجمعين فافتى [illegible] الذين يقتلون ما لا بهم
يحيى بن عمر وهو قاضي القيروان وعالمها وغيره من الفقها في مجرى اللعن والحد
بقتله بعد ما حكم بكونه بما ثبت عليه في ملا من الناس و[illegible] يرد هذا التعجب [illegible]
ليقتل وصلب على جذع منكسا رجلاه اعلى وراسه اسفل [illegible] له تعالى ويخلف
ثم انزل عن جذعه المصلوب واحرق بالنار بعد موته وهذه [illegible] علا شيخ وكلهم
كما ذكره السبكي في كتابه السيف المسلول على من سب الرسول [illegible] اليهود
المؤرخين اي العلما بعلم التاريخ واخبار من سلف انه اي ابراهيم [illegible] والسلام
المصلوب لما رفعت خشبته التي صلب عليها وزالت عنها الايدي [illegible] الا انه
وذكر المعلمان ذلك الامر لفعلهم وانما هو امر الهي استدار [illegible] الجاهلية
عن ما كان متوجها اليه وحولته عن القبلة بعد ما كان متوجها لها [illegible] كعبا
غير مسلم وليس من اهل القبلة وكان ذلك اي تحوله عن القبلة [illegible] ورسول
علامة وعبرة للجميع اي جميع من حضر وجميع من كان على نهجه في الزمان [illegible]
وكبر الناس اي صاحوا الله اكبر تعجبا مما شاهدوه وجا كلب فولغ في دمه [illegible]
الذي جرى منه بحيث طعن بالسكين يقال ولغ الكلب والسبع يلغ [illegible]
ما يعالمسانه ولا يقال ولغ لغير ذلك فقال يحيى بن عمر القاضي حين [illegible]
ولوغ الكلب من دمه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما صدقه

بانه كرحه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا ابلع بفتح
اللام وكسرها والثاني هو القياس للطلب في دم مسلم تكريما له الا انه قيل انه لا يعرفه الحفاظ
فالظاهر انه لا اصل له لانه لم ينقله الثقات ونقل عن ابن حجر ايضا انه قال لا اصل له
ونقل المصنف له عن القاضي لا يدل على عدمه ووقوفه عليه في كلام غيره وقال القاضي ابو عبد الله
ابن المرابط هو من كبير بالثغور الاسلامية لحراستها وله فضايل عظيمة مذكورة
في باب الجهاد وابن المرابط هذا هو ابو مصعب ويقال المصعب كما مر ابن محمد بن خلف
ابن سعيد بن وهب توفي بعد ثمانين واربع مايه وهو من اجلة ايمة المالكية بالغرب
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب اي يطلب منه ان يتوب مما
قاله ويرجع عنه وهزم براي معجمة مبني للمجهول من الهزيمة وهي الفرار
من الزحف وهو كبيرة الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة كما في الاية وبيانه في
التفسير وكتب الفقه فمن قال انه صلى الله عليه وسلم فر من عدو وحوفا
نعنا في وقعة هوازن بحنين فقد كذب ونسب اليه ما فيه نقص وعار وقال
بظاهر قضيته [illegible] لا تكلم [illegible] الا ان قاله على قصد التنقيص لانه
احمد الكافر فيه لان الهزيمة قد تكون من الجبلات البشرية فان لم يقصد ذلك
ويحتمل تنبيه [illegible] البعير التشديد انتهى ولو قيل ان الفرار مما لا يطاق من سنن
في مذهب داود [illegible] ديقا [illegible] من هزم به القتل لم يبعد فان تاب قبلت توبته والا اي
سنة اربع [illegible] ان [illegible] نقص له صلى الله عليه وسلم واستهانة به وهو كفر وهذا
وقيل لسان بن [illegible] منتقصه صلى الله عليه وسلم يقتل ولا يستتاب فاما ان
به صلى الله عليه [illegible] بل لم يذهب في ها [illegible] ويقول الله مما ظنه كثير من الناس فاذا
نقول [illegible] على [illegible] ثانيه من الدهشة وانه لا نقص فيه مع كثرة العدو وقوته
لا عند [illegible] ادبا قبل [illegible] اي هزيمته صلى الله عليه وسلم عليه في خاصته اي
الاداب [illegible] تنفعه لا من خصه الله به وجبله عليه لا لقا الرعب منه في
فاحسن [illegible] وتثبيت الله له بقوة قلبه اذ هو صلى الله عليه وسلم طبعه
وقيل ابن [illegible] يعرف بها ان احدا لا يقدر على اصابته بسوء ويقين من عصمته
فكان [illegible] الله له بحفظه لقوله والله يعصمك من الناس ومر ما فيه من الكلام
[illegible] كرم كان شاكا فيما اخبر الله به ومر انه كان صلى الله عليه وسلم في حرب هوازن
من [illegible] الوطيس على بغلته البيضا وكان ابو سفيان بن الحارث اخذا بزمامها وهو
مقبلا [illegible] ● انا النبي لا كذب ● انا ابن عبد المطلب ●
حماه البخاري فركب البغلة وهي لا تصلح للكر والفر وفادي باسمه اعلاما الاعدا [illegible]
وليته ليقصد فاي ثبات وشجاعة اقوى من هذا وقد فر كثير من الصحابة لما
لانه وهموا بالسهام وقال حبيب بن ربيع من ايمة مذهب مالك كما تقدم
[illegible] وي مسنوب لعزته او للفقير وان على خلاف القياس كما تقدم مذهب مالك
الاصحابه ان من قال فيه اي في حقه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص لقايله
[illegible] عليه قتل دون استتابة هذا تعقب على ما قاله ابن المرابط لخالفته
لمذهبه وقد عرفت ما فيه وقال ابن عتاب من المالكية ايضا نص الكتاب والسنة

من

من الاحاديث الصحيحة وطريقة السلف موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم
باذى اي بما يوذيه ويسوءه او نقص اي ما فيه تنقيص له وتحقير سوا كان معرضا او مصرحا
وان قل فقليله وكثيره سوا او التعريض الايذا بما يوهم ذلك والتصريح بخلافه
فقتله واجب على كل حاكم رفع اليه امره لان من اذاه صلى الله عليه وسلم فقد اذى
الله وقد وقع وعيده في ايات عديده مشهورة مر بعضها وياتي بعضها ايضا
فهذا كله اي كل ما ذكر في هذا الباب مما فيه اذية او تنقيص له صلى الله عليه
وسلم مما عده العلما سبا او تنقيصا يجب قتل قايله لم يختلف في ذلك متقدمهم
ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه فيما تقدم من هذا
الكتاب ونبينه تفصيلا بعد اي بعد هذا فهو مبني على الضم وكذلك اي مثل
ما تقدم عن ايمة الدين اقول حكم من غمصه بغين معجمة وميم وصاد مهملة
اي حقره وعابه بما لا يليق به او عيره بتشديد اليا التحتية اي نسبه صلى
الله عليه وسلم لما فيه عار وهو يتعدى بنفسه في الفصيح وقد يتعدى
بالبا وانكار الحريري له في درة الغواص لا وجه له كما فصلناه في شرحها وتعليقنا
مع شواهده ومنه قوله برعاية الغنم وقال السيوطي في كتابه تنزيه الانبيا
عن تسفيه الاغبيا وهو كتاب جليل ينبغي الوقوف عليه [illegible] ذلك لسائل
اخر بانه راعي فقال له ما من نبي الا رعى الغنم [illegible] لا معنوي لان الخزي
قاضي القضاة المالكي لو رفع لي هذا ضربته بالسيا [illegible] ههنا ناشي من عدم التدبر
بانه يعزر بليغ تعزير لانه لا ينبغي ضرب احاد ال[illegible] القتل بمعنى اللعن
والمستدل بمثله قد يكون في مقام التدريس والا [illegible] يعني ان المراد بهما معنى
العلم لاهله لا ينكر عليه اما في مقام الخصام والتبري الذين يقولون ما لا ينبغي
او لغيره فهو محل الانكار والتاديب لا سيما بحضرة العو[illegible] في مجرى اللعن والحد
رد هذا التعجيل [illegible]
سب وقذف ولكل مقام مقال يناسبه وسيل الحافظ
المواله من الوعاظ بين العوام من ذكر الانبيا بما يخل با[illegible] له تعالى ويخلف
لسامعه رقة وحزن كغفلتهم ان الراضع لم ياخذه صلى الله عليه وسلم
لعدم ما له حتى اخذته حليمة شفقة عليه ويقولون انه كان يتيما [illegible] ه والسلام
ويلبسون في ذلك ● ● ●
● يا غنامه سار الحبيب لكي يرعى ● فيا حبذا راع فوادي له يرعى [illegible]
باجاب بانه ينبغي ان يحذف من الخبر ما يوهم نقصا وان لم يضره في الجاهلية
اتفق او وصفه بالسهو والنسيان او السحر اما الاخير فلانه لا يليق كعيبا
امتناعه واستخفاف قايله ما مر واما الاولان فيما صدر عنه [illegible] رسول
عليه وسلم نادرا كما تقدم لكنه لا يجوز وصفه به في سياق يوهم [illegible] له
لمقامه لانه يمتد منه نادرا للتشريع او اي ولا يجوز ايضا ذكره [illegible]
من جرح بالحا والرا المهملتين المفتوحتين والجيم موخرة اي ضيق وشدة
من اعدايه احيانا كما وقع له صلى الله عليه وسلم باحد من كسر رباعيته
وجرحه وفي بعض النسخ او جرح بالجيم المضمومة متقدمة ويكون الرا او هو [illegible]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لبعض جيوشه فلا يجوز ذكره وان لم يكن في ذاته كما تقدم لان اهانة اصحابه اهانة له
وذكرها او اذيته او اذى من عدوه له او لجنده او شدة في زمنه تصيبه او تصيب
اصحابه كقلة المعيشة وضيق الحال وخوف العدو او وصفه بالميل الى نسائه
ولا يجوز وان كان جايزا عليه لما فيه من النقص بالنسبة لجليل قدره فحكم هذا
المذكور كله وان كان فيه ما هو جائز عليه كالسهو لمن قصد به تنقيصه القتل فان لم
يقصده لم يمتنع كما تقدم في كلام السيوطي وغيره قال ابن حجر وما ذكره المص
ظاهر لقصد التنقيص وهو كفر كما مر وقد مضى في هذا الكتاب من مذاهب العلما
في ذلك ويأتي ما يدل عليه ويبينه وما موصولة او موصوفة تنازع فيها مضى
ويأتي قال السبكي رحمه الله تعالى بعد ما ذكر ما هنا في هذا الفصل ان كان هذا
عن سوء عقيدة فلا اشكال فيه اما اذا صدر عن مؤمن وقلنا الايمان هو التصديق
فقط والكفر الجحود فكيف يكون هذا كافرا واجاب نقلا عن امام الحرمين ان المسلمين
[illegible] تكفيره فكانه لانه [illegible] قضى بانه لا يصدر مثله الا ممن قضى الله
بطانه [illegible] معرفة الله من قلبه والعمل وان لم يكن ركن الايمان فالاقرار والانقياد
احد [illegible] بترك الاستكبار عن امتثال اوامره لا بد منه ولذا كفر ابليس بالاستكبار
ويتصل به [illegible] الايمان بمعنى التصديق لا بد ان يقترن به امر آخر هو طمأنينة القلب
في مذهب [illegible] والانقياد لها بقلبه وهو معنى الطمأنينة فمن استحق
سنة اربع [illegible] فانتفى [illegible] الوجود صورة بانتفائه فصار كالعدم
وقيل لسان [illegible] بجحود ككفر النصارى وكفر مع التصديق والمعرفة
[illegible] صلى الله عليه [illegible] كالعدم ككفر ابليس واليهود فاذا انتفى عنه
[illegible] تدبه منه وكفر السابّ والمنتقص من هذا القبيل وهو كافر
[illegible] التكفير من الفقهاء الذين لم [illegible] يخفى عليه ماخذه
الاداب [illegible] به له في تكفير الفقهاء [illegible] بعض الناس فتدبر
فاحسن [illegible]

في الحجة

اي في بيان الدليل
[illegible] عليه صلى الله عليه وسلم بذلك
القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والاخرة كما مر ولا يطرد
[illegible] عن رحمته تعالى الا الكافر المستحق للقتل وقرانه تعالى
[illegible] انه لا يحصل ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤذ به وجه
انه لا خلاف في قتل من سب الله تعالى فانه كفر بالاتفاق كما يأتي
[illegible] في ان اللعن اي الطرد من رحمة الله في الدارين انما يستوجبه اي
[illegible] وجوبا من هو كافر وهذه مقدمة من برهان منطقي على الحكم
وليته فالمقدمة الاخرى حكم الكافر القتل لانه غير معصوم الدم بالذات
لا عوض له ما يمنع من قتله ومن كفر بسبه اشد من الكافر الاصلي كما يعتقد
نفاق وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
واذية الله لا تمكن لانها انما تكون له وهو لا يتصور في حقه فذكر هو للا
لاذية الرسول صلى الله عليه وسلم فان من يؤذيه كمن يؤذي الله واللعن الطرد

من رحمة الله وهو انما يكون في الدارين للكافر كما تقرر وقال الله في القرآن في قاتل
المؤمن عمدا بغير حق مثل ذلك اي مثل ما قال في حق من يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم
ووصفه باللعنة فمن لعنته في الدنيا القتل اي لعنة القاتل في الدنيا قتله قصاصا
والذي يدل على ان لعنة الدنيا القتل ما قال الله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا اي لا يجاورونك
في المدينة الا ملعونين وثقفوا بمعنى وجدوا وقد ظفر بهم احد واخذوا
تقتيلا والاية تدل على ان معنى لعنة الدنيا هي القتل فتدل على قتل من اذاه لان
الله لعنه في الدنيا والاخرة وقال الله عز وجل في المحاربين اي الذين حاربوا
الله ورسوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الآية
المراد بهم قطاع الطريق جعل محاربتهم للمسلمين محاربة لله ولرسوله لعظم جرمهم
امرهما وحكمهم مذكور في كتب الفقه وانما ذكر المص هذا دليلا على ان اللعنة
كانت بمعنى القتل وقوله وذكر عقوبتهم بعينها في الدنيا بقوله ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض والجملة حالية او معترضة
ومقول قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم وذلك اشارة
للقتل وما بعده والخزي الذل والفضيحة وهو اسناد لا له معنوي لان الخزي
في الدنيا بمعنى اللعنة فيما قيل من انه قتل والجدوى هنا ناش من عدم التدبر
وقد ذكر هنا كلاما طويلا لا نعتبر طائل وقد يتبع في [illegible] القتل بمعنى اللعن
عكس ما تقدم فوقع كل منهما في موقع الاخر فيدل على ان المراد بهما معنى
واحد وقال تعالى قتل الخراصون اي الكذابون الذين يقولون ما لا يعلمون
تخمينا وتقديرا من انفسهم فالقتل بمعنى الاهلاك جرى مجرى اللعن والحد
في الدعاء وغيره وقاتلهم الله في الدعاء كلعنهم الله وقد يرد هذا للتعجب ايضا مرسل
فعل فعلا عجيبا ولو في مقام المدح وقد يرد على ظاهره كقوله تعالى [illegible]
الله اني يؤفكون اي يصرفون عن الحق اي لعنهم الله فوقع موقع [illegible]
والمعنى المجازي كالحقيقي ولانه لا فرق بين اذاهما اي اذية الله [illegible]
واذية رسوله صلى الله عليه وسلم واذية المؤمنين لان اذاه [illegible] والسلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتؤذيه في امته واذيته اذيتهم فدل على انه
وعدم الفرق في مطلق الاذى وان كان بين اذاهما واذى المؤمنين الجاهلية
بحسب الجزاء واليه اشار بقوله وفي اذى المؤمنين ما دون القتل اي كعقاب
من الضرب حدا وتعزيرا والنكال اي العقوبة بغير قتل كقطع يد [illegible]
تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا فكان حكم مؤذي الله تعالى ونبيه صلى الله عليه [illegible] بقتله
اشد من ذلك اي من جزاء اذية المؤمنين التي تكون بضرب ونحوه وقوله [illegible]
القتل راجع لحكم الاشد وحاصله الاشد لا لاعلى ان من سبه صلى الله عليه
وسلم يقتل والدليل عليه ايضا انه قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون [illegible]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لقطع الطريق بالتلهي بالحديث ونلعب تلهيا منا قل اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون
استفهام تعريض لتنزيلهم منزلة المعترفين توبيخا وتفضيحا لهم لا تعتذروا قد
كفرتم باستهزائكم بعد ايمانكم بحسب الظاهر اي لا تعتذروا فالعذر غير مقبول
لكذبكم والقايل ذلك وديعة بن ثابت لا ابن سلول كما قاله النقاش لانه لم
يشهد تبوك فهو خطا وقوله ان يعف عن طايفة منكم نعذب طايفة كانوا
ثلاثة تكلم اثنان وضحك الثالث وهو المعفو عنه واختلف هل هو مخشي بفتح
الميم وسكون الخا المعجمة وشين معجمة مكسورة ويا معجمة بنقطتين من تحت
مشددة او ابن مخشي او خاشن بن حمير بحا مهملة مضمومة وميم مفتوحة ويا
مشددة ورا مهملة تصغير حمار هو الاشجعي وهو مسلم وقيل منافق لكنه تاب
وحسن اسلامه وسال الله الشهادة فقتل باليمامة وطلب الشهادة لندامته على
ضحكه رحمه الله ورضي عنه وقال اهل التفسير في تفسير هذه الاية معنى
كفرتم بعد ايمانكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اذن فهو دليل على ان اذيته
صلى الله عليه وسلم كفر وهذا قول المفسرين في كفرهم واما الاجماع على كفره فقد
ذكرناه فيما تقدم وقد بيناه في الترتيب واما الاثار اي الاحاديث المسندة المروية
فمنها ما ذكره المص ورواه الطبراني والدارقطني عن علي رضي الله عنه وقدم
الاجماع لانه اقوى في الدلالة على ما اراده لاحتمال الاحاديث التاويل والتهويل
بقوله حدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون الخولاني القرطبي الاشبيلي
الزاهد العلامة في جميع الفنون الثقة العابد توفي سنة ثمان وخمسماية وله
تسعون سنة عن الشيخ ابي ذر الهروي الحافظ الفقيه المالكي نزيل مكة
وله معجم كبير وعاش سبعا واربعين سنة وهو ثقة عابد حافظ عارف
بالفقه واخذ الاصول عن الباقلاني وتوفي سنة اربع وثلاثين واربعماية اجازة
تقدم معناها والاجازة لغة فيها كلام في ابن الصلاح وحواشيه قال حدثنا
ابو الحسن الدارقطني علي بن عمر بن احمد البغدادي الحافظ المشهور صاحب التصانيف
[illegible]ه يروي عن البغوي وطبقته كما قاله الحاكم وكان اوحد عصره في
الفهم والورع وانتهت معرفة الحديث والعلل له وكذا اسما الرجال
[illegible]ق وصحة الاعتقاد والاطلاع على علوم كثيرة غير الحديث كالقراات
[illegible] والادب والشعر وهو لم يرمثل نفسه وقيل انه كان امير المومنين
[illegible] توفي سنة خمس وثمانين وثلاثماية وسنه ثمانون وهو منسوب
[illegible] الى محلة ببغداد وابو عمر بن حيوة الامام الحجة محمد بن العباس
[illegible] بن زكريا البغدادي وفي نسخة من [illegible] مضبوطة بالقلم بفتح الحا
[illegible] التحتية مضمومة وسكون الواو وفتح التحتية الثانية وكذا
[illegible] في الكتاب السابق ولفظه بحا مهملة مفتوحة ويا معجمة بنقطة
[illegible] من الاسم بقيا ايضا مخففة وهاتان ثبت وهو امام ثقة توفي سنة اثنين
[illegible] وثلاثماية عن سبع وثمانين وحيوة بفتح الحا المهملة وسكون اليا المثناة
[illegible] التحتية وفتح الواو وبعدها يا مشددة للنسبة لحيوة وهو علم على خلاف

القياس

القياس لان مقتضاه قلبها واوا وادغامها لكن الاعلام تركب وافقها خلاف قياسها
كما ذكره النحاة قال الا حدثنا محمد بن نوح قال حدثنا عبد العزيز بن محمد بن [illegible] زبالة
بفتح الزاي المعجمة وتخفيف الموحدة ولام قبل ها وهو من ايمة الحديث المشهورين وله
فيه كتاب متداول الان فيه امور اتوقف فيها المحدثون قال حدثنا عبد الله بن
موسى بن جعفر هو عبد الله بن موسى الهاشمي وفيه كلام فقيل ضعيف وقيل ثقة
توفي سنة اربع وسبعين وثلاثماية عن علي بن موسى المعروف بالرضا العلوي وهو في
الاكثر يروي عن ابيه موسى الكاظم بن جعفر الصادق توفي بطوس سنة ثلاث
وماتين وله خمسون سنة قال ويسند له امورا لا اصل لها كما يروي عن جعفر
الصادق ولا يتهما وانما الكلام فيمن نقل عنهما عن ابيه جعفر الصادق عن محمد
ابن علي بن الحسين عن ابيه وهو ابو جعفر الباقر ووالده زين العابدين عن الحسين
ابن علي بن ابي طالب عن ابيه علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه اي حد القذف وهذا الحديث
تقدم من رواه لكنهم قالوا ان سنده ضعيف ولم يروه اصحاب الكتب لكنه اعتضد
بالاجماع وقول ابن الصلاح انه حديث لا يعرف مردود عليه بروايته مسندا وفي
الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره مسندا امر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف وهو يهودي من يهود خيبر مشهور وقوله صلى الله عليه
وسلم في هذا الحديث من لكعب بن الاشرف جملة اسمية معطوفة على جملة امر
الفعلية اي قوله هذا ثابت ومن استفهامية اي من يقوم له ليقتله وهو
حث وحض على الانتصار بالانتقام كما تقول من لي بفلان في الاستغاثة
وطلب الاعانة ثم علل الطلب بقوله فانه يعني كعبا لعنه الله اذى الله
ورسوله وروي يوذي الخ لانه اعلن بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهجاه ورثى قتلى المشركين ببدر وذهب لمكة ليحرض اهلها على حربه واخذ
الثار فلما رجع وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعله قال من لي
بابن الاشرف الخ وروى ابن جرير عن ابن اسحاق بسند ضعيف ان كعبا صنع وليمة
جمع فيها اليهود ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقال لليهود
اذا حضر فاقتلوه فلما اتاه لدعوته نزل عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام
فستره بجناحه وخرج وهم لا يرونه فلما فقدوه تفرقوا وكعب هذا كان
من بني نبهان بطن من طي وكان شاعرا فصيحا وكان ابوه اصاب دما في الجاهلية
فالتجا لبني النضير وتزوج منهم عقيلة بنت الحقيق فولدت له كعبا
وكان وجيها جسيما فارسا فيهم ثم اشتد اذاه وهجوه على المسلمين ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يامرهم بالصبر فاشار سعد بن معاذ بقتله
فقتل في السنة الثالثة في ربيع الاول كما فصلت قصته في السير وكله
انه صلى الله عليه وسلم وجه اليه اي الى كعب اي ارسل له وامله الارسال
لجهة من قتله غيلة بكسر الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية ولام وها
اي خفية من غير شعور احد من الاغتيال وهو الخداع والاختفا للقتل دون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دعوة للاسلام والاخبر عن الكفر بخلاف غيره من المشركين من الكفرة فانه انما
يقتل بعد الدعوة والانذار وعلل صلى الله عليه وسلم قتله اي بين علة قتله باذاه
له كما امر بقوله في الحديث فانه يوذي الله ورسوله فدل بتعليله على ان قتله اياه
انما كان لغير الاشراك اي مطلق الكفر لانه من اهل الكتاب والاشراك وورد بهذا
المعنى ايضا بل كان قتله للاذي لله ولرسوله فدلت هذه القصة على ان من سب النبي
صلى الله عليه وسلم واذاه من الكفار يقتل واعلم ان محصل قصة كعب كما مر انه
لما اذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وحث اعداءه عليه وقال له سعد
ابن معاذ الراي فيه ان يقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقوم لقتله
قام من الانصار لذلك خمسة رجال فيهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال انا لك
به يا رسول الله فسكت ثم قال له افعل وشاور سعد بن معاذ فشاوره فاشار
عليه براي سديد فقال ابن مسلمة اني ساقول له شيئا فيك يا رسول الله فقال
قل ما تريد انه يقول في صفة الذم مما يخدعه به فتوجه اليه وكان بينهما صداقة
فشكى اليه الحاجة وطلب منه ان يرهنه وسقا او وسقين من الطعام لعياله ومعه
ابو نايلة وكان اخوه من الرضاع وشكاه النبي صلى الله عليه وسلم وقالا له انه
عنانا باخذ الصدقة منا وصار بلاء علينا فقال فما تريد فيه فقالا انا نريد ان نخذله
ولكنا نتربص حتى نرى ما يؤول اليه امره فقال قد سرني بهذا الامر يا ان لكم انكم
على الباطل ثم طلب رهنا فقال ما ترهن قال نساكم قال انك رجل جميل
الوجه شرب الشراب نخشى من فتنة النساء بك قال اولادكم قال نخشى العار فيهم
بان يقال هذا رهن وسق او وسقين ولكنا نرهنك السلاح واللامة يعني الدروع
فقبل وواعدهما فقالا لانأتي الا ليلا سرا حتى لا يدري احد وكان قد انا ليلا بعد ان رآهم
اذ اراهم مسلحين فلما خرجوا اليه شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبقيع الغرقد وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم عليه فلما اتوه نادوه
وهو مع امراته في حصنه فقالت له لا تخرج في مثل هذه الساعة اني لاسمع
صوتا يقطر منه الدم وهي فراسة عجيبة منها فقال انما هما صديقي واخي
والكريم اذا دعي ولو الى الطعن ليلا اجاب وهو بلا موكل بمنطقة ثم نزل
فوجدهما في نفر من الاوس وهو يفوح منه الطيب فقال لهم ابن مسلمة اني
سائشم طيب راسه فاذا رايتموني امسكت راسه فاضربوه فلما اتاهم متوشحا
قال له ابن مسلمة ما رايت كاليوم طيبا فقال عندي اطيب العرب واجملهم
فقال اتاذن لي ان اشم فقال نعم فشم هو واصحابه ثم قال له ايذن لي الشم
ثانيا فقال نعم فامسك راسه ثم قال اضربوه فضربوه وقتل لعنه الله تعالى
واصاب طرف سيف الحارث بن اوس فجرح فلما جا الى النبي صلى الله عليه وسلم
تفل على جرحه والتعبة فالتحم لوقته ولما ضرب اللعين صاح فذهب لهم
اليهود في طريق اخر فلم يجدوهم فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
فكبروا فقال لهم افلحت الوجوه فقالوا افلح وجهك يا رسول الله ورموا
راسه بين يديه صلى الله عليه وسلم فلما اصبح اليهود اتوه وقالوا فقتلت

سيدنا

سيد نا غيلة فقال اما علمتم صنيعه واذيته للمسلمين فلم ينطقوا بحرف خوفا منه صلى الله
عليه وسلم فدل هذا على جواز قتل الكافر المعاهد اذا سب الرسول صلى الله عليه وسلم
خلافا لابي حنيفة ولذا قال السبكي ان هذه القصة تشكل على مذهب ابي حنيفة الا ان
البخاري ترجم لهذه القصة بقتل اهل الحرب فكانه يشير الى ان اعلانه به وتحريك
الفتنة نقض للعهد يصير به في حكم المحارب فلا اشكال وفي هذه القصة اشكالان
احدهما هذا والثاني وهو ما اورده ابن المنير رحمه الله من ان الطعن في النبي
صلى الله عليه وسلم بلا اكراه كفر فكيف رخص لهم فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم ينقمه عليهم وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه ابن القيم بانه لما
اشتد اذاه وحرب بينه على قتالهم المؤدي للقتل وفي قتله خلاص منه كان كالاكراه
والالجاء على النطق بما ذكر للظفر به وهو غير قوي الا ان ابن السبكي ارتضاه في
قواعده وقال لبس زي الكفار والتكلم بالكفر من غير اكراه كفر الا لمصلحة مهمة
فاذا اشتدت الحاجة له صار كالاكراه وقد اتفق للسلطان صلاح الدين رحمه الله
انه لما اشتد عليه امر ملك صيدا امر اثنين من المسلمين ان يلبسا لبس الرهبان ويتكلما
بكلامهم ليغتالاه ففعلا ولم ينكر العلماء عليه والذي ارتضاه الامام محمد في كتاب
السير وتبعه كثير من جواز ذلك وقال السرخسي في شرحه يعني ان كلامهم انما كان
تعريضا وتورية ومثله لا يعد كفرا اذا قصد غير ظاهره وفي رواية انه قال ابن
مسلمة انا لك به مكث اياما لا ياكل ولا يشرب فدعاه صلى الله عليه وسلم وقال له
لم تركت الطعام والشراب فقال لقول قلته لا ادري اوفي به ام لا فقال انما عليك
الجهد وهكذا ينبغي لمن عزم على شيء ثم قالوا يا رسول الله نحن نقتله فاذن لنا
ان نقول فيك ما لا بد منه اي لنخدعه بالمعاريض باظهار التخلي منك فخرج اليه
ابو نايلة فحدث معه وتناشدوا الاشعار ثم قال كان قدوم هذا الرجل يعني
النبي صلى الله عليه وسلم علينا من البلاء واراد به النعمة فانه مما يبتلي به من نعمة
او نقمة قال تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي النجاة من آل فرعون ثم قال
حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وتقطعت السبل عنا حتى جهدت
الابدان وضاعت العيال واخذنا بالصدقة ونحن لا نجد ما ناكله فقال كعب
قد كنت احدث بهذا وان الامر سيصير له فقال معي رجال من اصحابي على رأيي
سآتيك بهم لتبتاع لهم طعاما او تمرا ثم ذكر شيئا مما تقدم بمعناه وقيل
ان ذاك تحققه صلى الله عليه وسلم قبله ان يرخص فيه وكذلك اي مثل قصة
كعب وقتله غيلة ما رواه البخاري من انه صلى الله عليه وسلم قتل ابا رافع
وفي نسخة بالاضافة لابي قال البراء بن عازب رضي الله عنه وكان ابو رافع
من يهود المدينة يؤذي ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغضه
ويعين عليه اعداءه بحضهم على قتاله وابو رافع اسمه عبد الله او
سلام بن ابي الحقيق وكان الخزرج والاوس يتناظران في الخير فلما قتل
الاوس كعبا قالوا نقتل رجلا ممن يعادي رسول الله لئلا تفضلنا الاوس
فذكروا ابن ابي الحقيق بخيبر وكان ذلك في سنة ست في رمضان وقيل في ذي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحجة سنة اربع او خمس او في رجب سنة ثلاث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخزرج عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة ومسعود بن سنان وعبد الله بن انيس وابو قتادة وابن الاسود وكان ابو رافع يعين بالمال مشركي العرب وكان له حصن فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال ابن عتيك لاصحابه امكثوا لانطلق واتلطف بالبواب فاتى الباب وتقنع بثوبه كانه يقضي حاجة والناس دخلوا فقال البواب له يا عبد الله ان كنت داخلا فادخل فاني اغلق الباب فدخلت واغلقت المغاليق فقمت واخذت المفاتيح وكان ابو رافع يسمر في علالي له فلما ذهب عنه سماره صعدت وجعلت كلما فتحت بابا اغلقته علي من به حتى لا يلحقني احد منهم بعد قتله فانتهيت اليه وهو في بيت مظلم مع اهله لا يدري من هو واين هو فقلت ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت وانا دهش وضربته فما اغنيت شيئا وخرجت ثم عدت وقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال لامك الويل ان رجلا ضربني بسيف فاهويت نحوه فضربته حتى اثخنته ولم اقتله ثم اتيت اليه فوضعت السيف في بطنه حتى نفذ من ظهره فقتلته ثم فتحت الابواب بابا بابا وتلطفت حتى انتهيت الى درجة ظننتها الارض فاذا هي ليست كذلك فوقعت وانكسر ساقي فوقعت عند الباب لاتحقق الخبر وانه مات فلما صاح الديك قام رجل على السور ينادي انعي ابا رافع تاجر الحجاز فانطلقت لاصحابي وقلت النجاة النجاة فقد قتل الله ابا رافع ثم انتهيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثته الحديث فقال امدد رجلك فمددتها فمسحها بيده الشريفة فكاني لم اشتكها قط وكذلك اي مثل امره صلى الله عليه وسلم بقتل من ذكر من الكفرة امره بقتل بعضهم يوم الفتح اي يوم فتح مكة كامره بقتل ابن خطل لانه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة امن الناس الا اربعة رجال وامراتين امر بقتلهم ولو دخلوا تحت استار الكعبة مستجيرين بها لانهم كانوا اظهروا عداوته واكثروا من ذمه وهجوه صلى الله عليه وسلم وكان لابن خطل قينتان يغنيان بهجوه كما ذكره المص وهو في السير كالصحيحين باسانيد وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اختلف في اسمه وقاتله فقيل اسمه عبد الله وقيل هلال وقيل عبد العزى وقيل غالب وخطل بن عبد مناف بن اسعد بن جابر بن كثير بن تيم بن غالب قاله ابن الكلبي وقتله سعيد بن حريث المخزومي وقيل ابن حريث وابو برزة الاسلمي وقيل ابن الزبير وفي مناسك الطبري انه عبد العزى بن زيد فيحتمل انهم اشتركوا في قتله والاقوال في قاتله خمسة وامره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ايضا بقتل جاريتيه اي جاريتي ابن خطل وهما المراتان الذي امر بقتلهما اللتين كانتا بمكة تغنيان بسبه وهجوه صلى الله عليه وسلم واسمهما فرتنا وقريبة قال ابن سيد الناس فقتلت احداهما وقال السهيلي اسمهما سارة وفرتنا واسلمت الاخرى فامنت فعاشت الى زمن عمر ووطئها فرس فماتت وفرتنا بفا مفتوحة وراء مهملة ساكنة ومثناة فوقية ونون والف وقريبة بضم القاف كمصغر قربة بالموحدة وقيل بفتح القاف بزنة فعيلة

وكان

وكان ابن خطل اسلم اولا فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومعه رجل من الانصار ومولى مسلم يخدمه فنزلوا منزلا فامر الخادم ان يذبح له تيسا ويصنع طعاما فنام ولم يصنع شيئا فقتله ثم ارتد مشركا فكانت قينتاه تغنيان له بهجو النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث اخر لا يعرف من رواه ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من يكفيني في قتل عدوي الذي اظهر عداوته بسبه له اي من يكون كافيا في قتله فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه انا اكفيكه مما اهمك من قتله فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم له فقتله باعانة الله له عليه وكذلك اي مثل ما ذكر في قتل من سبه صلى الله عليه وسلم لم يقل من الاقالة وهي الترك يقال اقال عثرته اذا اعفى عنه فهو بضم اوله وكسر ثانيه او فتحه ان بني المفعول وفاعله ضمير النبي وجماعة مفعول له او مرفوع نائب الفاعل ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه فدل هذا على انه لا فرق بين المسلم والكافر في وجوب قتله بالسب الا ما لما روي عن ابي حنيفة وغيره من عدم قتله لان كفره اشد منه كما ياتي كالنضر بن الحارث بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة وهو النضر بن الحارث بن كلدة ابن علقمة القرشي من بني عبد الدار وقد كان شديد العداوة والاذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله صلى الله عليه وسلم ببدر وهو الذي قالت فيه اخته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله له ابياتا منها

ما كان ضرك لو مننت وربما • من الفتى وهو المغيظ المحنق

وذكر بعض المحدثين كابن منده وابي نعيم عن ابن اسحاق ان النضر هذا له صحبة وشهد حنينا وكان من المؤلفة قلوبهم وهو غلط فاحش باتفاق الحفاظ والذي له صحبة انما هو علقمة بن كلدة كما ذكره الزبير وابن الكلبي وغيرهما فغلطا لاشتراك كل منهما في انه ابن كلدة والظاهر انه قال النضير بالتصغير وهو اخو النضر بن الحارث المذكور وهو ممن اسلم وهاجر وقيل انه من مسلمة الفتح فالغلط بسببه وهو سهل وعقبة بن ابي معيط بعين وطاء مهملتين بصيغة التصغير وكان اسر ببدر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر بمحل يقال له عرق الظبية فقال يا عاصم اضرب عنقه فضرب عنقه ولما قدم للقتل الاتي في كلام المص قال لم تقتلني يا محمد فقال بعداوتك لله ولرسوله فقال من للصبية قال النار فلما ضربت عنقه قال الحمد لله الذي قتلك واقر عيني منك اي لانه كان اشد الناس عداوة واذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد صلى الله عليه وسلم اي وصى الصحابة عند قدومه للفتح بقتل جماعة منهم اي من الكفار الذين كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويجترئون على مقاتلته قبل الفتح اي قبل فتح مكة وهو قادم له وبعده حين قدم لشدة عداوتهم له وعلمه بانهم لا ينتهون ولا يرجى خيرهم واسلامهم فقتلوا واراح الله منهم المسلمين الا من بادر الى اسلامه وتقدم باسلامه قبل القدرة عليه باخذه واسره كابن ابي سرح وكعب بن زهير وقد روى البزار من ائمة الحديث كما تقدم لكن رواه بسند فيه ضعف عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط لما قدم ليقتل نادى رافعا صوته يا معشر وفي نسخة يا معاشر جمع معشر وهم الجماعة الذين لهم عشرة واختلاط فقريش هم القبيلة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعروفة من ولد المضرب بن كنانة وانما ذكرها بيانا لجهته في عدم الفرق بينه وبين غيره او
ليعطف عليه المسلمون منهم ما لي اقتل من بينكم استفهام انكاري اي دون غيري منكم
ومثله يستعمل للاختصاص كما يقال اعطاه من بين اهله صبرا الصبر اصل معناه الحبس
ويقال لمن قتل في غير حرب ودون غفلة منه بان يقدم ليقتل قتل فلان صبرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم تقتل صبرا بكفرك وافترائك اي تعمدك الكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو احد المستهزئين وهو الذي القى سلا الجزور عليه
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فدعا عليهم فالقوا بلعنة الله في قليب بدر كما
هو مشهور في السير وهو من بني امية بن عبد شمس وذكر عبد الرزاق بن همام
الحافظ ابو بكر الصنعاني صاحب التصانيف الجليلة وقد تقدمت ترجمته في جامعه
ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل من اجلاف العرب فقال من يكفيني عدوي
الذي اظهر عداوته بسبه له فقال الزبير بن العوام انا اكفيكه بقتله فبارزه فقتله
الزبير والمبارزة ان يخرج رجل من طائفتين تقابلتا وينادي من يبرز لي من الصف
لاقاتله فيعلم ايّنا اقوى واشجع وايّنا القاتل والمقتول وهذا انما يفعله من
زادت قوة قلبه وشجاعته وروى عبد الرزاق في جامعه عن عكرمة ايضا كما روي
ما قبله ان امراة مشركة كانت تسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفيني عدوتي
ليقتلها فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها ووقع بتونس ان رجلا قال لآخر انا عدوك
وعدو نبيك فعقد له مجلس فافتى بعض ائمة المالكية بانه مرتد يستتاب واخذ
كونه من قوله تعالى من كان عدوا لله الآية وافتى بعضهم بانه كره كفر تنقيص
فلا يستتاب واخذ ذلك من كلام المصنف هنا في هذه المراة السابقة ومن قضية خالد
السابقة ومن افتى ابن عتاب السابق واعترض بعض ائمتهم من مال الى الاول
بانه نص في ان كل ساب عدو ولا شك فيه وانما الكلام في عكس هذه القضية وهي
لا تنعكس كنفسها بل قوله انا عدوك وعدو نبيك ربما اشعر بترفيع القول له
ذلك لانا نجد الوضعاء يجعلون لانفسهم منزلة بذلك يقول الواحد منهم انا عدو
الامير والامير عدوي وقصده به رفع نفسه لانه في نسبة من يعادي الامير وبان
قتل خالد المراة المذكورة مذهب صحابي وافتى ابن عتاب انما هو لان ما ذكر في قضيته
صريح في التنقيص فالمتحقق ان قائل ما ذكر مرتد لا منقص هذا الملتفة على قواعدهم
من التفرقة بينهما اما على قواعدنا فالذي يظهر انه ردة قاله ابن حجر ملخصا
في الاعلام ويروى رواه عبد الرزاق في جامعه ايضا عن سعيد بن جبير
ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم والمراد انه اسند اقاويل فيها
تنقيص له والا فمجرد الكذب عليه لا يوجب القتل كمن روى حديثا وضعه
فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه لم يقل قتلاه لانه اساءه لما رواه البيهقي
عن ابن جبير ان رجلا اتى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارسلني وامرني ان تزوجني فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فارسل عليا والزبير فقال اذهبا الى فلان فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما
تدركانه فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته ورواه متصلا من وجه

اخ

دق

اخر وسمى الرجل الذي كذب جد جد الجندعي فان كان المصنف اراد هذا فهو مشكل لان مجرد الكذب
عليه ليس موجبا للقتل والكفر وانما هو اذا نسب اليه افتراه فيه نقص له ككونه ساحرا ونحوه
ويشد الجويني كما مر فذهب الى ان كل كذب عليه كفر وقد لم يقتله غيره ولعله كان علم منه
امرا آخر افتراه كما علم قتل الحية له او لعله مخصوص به لما فيه من جنايته من افساد
امر الدين واما قول الكرامية انه يجوز وضع الحديث عليه لمصلحة دينية فهو قول
باطل رده الخطابي بعد ما اطال بذكر ادلتهم ككونه كذبا له لا عليه وهو غني عن
الرد لظهور فساده وروى ابن قانع هو الامام الحافظ عبد الباقي بن قانع بن مرزوق
ابن واثق ابو الحسين الاموي كما تقدم وقانع منقول من اسم فاعل القنع بقاف
ونون ان رجلا من الصحابة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا لما فيه من ذمه والطعن فيه فقتلته فلم يشق ذلك
على النبي صلى الله عليه وسلم اي لم يصعب عليه لكراهته له ولو لم يكن قتله مشروعا
لانكره كبيرة بعد الكفر لما فيه من القتل والعقوق قيل وهذا الرجل هو ابو عبيدة
ابن الجراح ولست على ثقة منه فان للحافظ الحلبي قال لا اعرفه كالمراة التي تقدم ان
خالد بن الوليد قتلها وسيأتي ما يشبه قصتها في ابن رواه ابن سعد وابن عساكر
فيه انه بلغ المهاجر بن ابي امية المهاجر بزنة اسم الفاعل اسمه حد بعقه على الصحيح
وقيل سهيل وقيل هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان اسمه الوليد
فكرهه النبي صلى الله عليه وسلم وسماه المهاجر فالتسمية به مكروهة لانه
اسم فرعون مصر وهو اخو ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها ارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اليمن الى الحارث بن عبد كلال الحميري واستعمله على الصدقات
ثم بعثه ابو بكر رضي الله عنه في خلافته الى قتال المرتدين باليمن ففتح الفتوح
وله آثار جميلة باليمن فكان رضي الله عنه امير اليمن منصوبا لابي بكر فنزل
له على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امراة هناك اي باليمن
في الردة اي في زمن ردة بعض اهل اليمن في خلافة الصديق غنت بسب النبي صلى
الله عليه وسلم وهجوه اي بشعر فيه ذلك فقطع مهاجر يدها ونزع ثنيتها
هي السن المتقدمة فبلغ ابا بكر ذلك اي قطعه ليدها ونزع ثنيتها فقال ابو
بكر رضي الله عنه لولا ما فعلت بالمراة لامرتك بقتلها لان حد قذف الانبيا
ليس يشبه الحدود وهذا مبني على انه لا يجب قتل الساب من الكفرة وانما هو
مفوض الى الامام فله ان يغلظه ويزيد فيه بالتنكيل وقتل فلما سبق من
مهاجر تنكيله بها لم ير ابو بكر رضي الله عنه ان يجمع فيه بين حدين وهذا
مذهب نقله ابن تيمية في الصيف المسلول لان ابا بكر رضي الله عنه كره ما فعله
لما فيه من زيادة التعذيب لانه ليس اشد من القتل قال ابن تيمية هذا هو
الذي يسميه الفقهاء سياسة وهو الحد الذي رخص للامام في تغليظه اذا
اقتضاه الحال ومن لم يتعقب على هذا قال انه مشكل لان المثلة منهي عنها
وهي اما ان تكون تابت وقلنا بقبول توبة الساب اولا فاما ان تترك او تقتل
وما قاله ابو بكر رضي الله عنه يقتضي الاجتهاد في الحدود وقوله لان حد

رد على العرضي

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الانبيا الخ لا يلتيم معه قاطال فيه من غير طايل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
هجت امراة من خطمة بكسر الخا المعجمة وفتح الطا المهملة وميم وهو اسم قبيلة وفي
القاموس بني خطمة كجهينة ابنا سعد بن ثعلبة وخطمة من الانصار بنو عبد الله
ابن مالك بن اوس النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من لي بها
اي من يقوم لاجل حقي عليه بقتلها فقال رجل من قومها اي من قبيلتها انا اقتلها
يا رسول الله فنهض اي قام بسرعة لتجد مقاله فاتاها فقتلها فاخبر النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك اي بقتلها فقال لا ينتطح فيها عنزان اي ذهب دمها
هدرا من غير قبا لاة احد به وهو مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للامر الذي
يقع من غير خلف فيه ولا نزاع لان العنزين لا ينتطحان وانما يتيسا ما ونفترقا
والنطاح انما يكون بين التيوس والكباش واول من تكلم به النبي صلى الله عليه
وسلم كما تقدم وهذه المراة عصما بنت مروان من بني امية بن زيد زوجة يزيد
ابن حصن الخطمي وكانت شاعرة تؤذي المسلمين وتهجو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتحرض عليه والذي قتلها عمير بن عدي بن خرشة بن امية الخطمي فلما
سمع قولها وهو ببدر معه صلى الله عليه وسلم نذر ان رجع الى المدينة ليقتلها
وقال ابن عبد البر رحمه الله انها اخته وقيل امه وكان اعمى وهو امام قومه
وقاريهم فدخل عليها في جوف الليل وهي ترضع ولدها فنحاه عنها ووضع سيفه
في بطنها حتى نفذ من ظهرها ثم خرج وصلى الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنظر له وقال اقتلت بنت مروان قال نعم ثم خشي ان يكون عليه شي فقال
يا رسول الله اعلي شي فقال له لا ينتطح الخ ثم قال صلى الله عليه وسلم ان
اردتم النظر لرجل نصر الله ورسوله فانظروا العمي وسماه البصير والقصة
بطولها في السير ومن فقهها انه يستحب ان يقال للضرير البصير وهذه المراة
قيل انها كانت يهودية وهو الظاهر من سبها فقتلها غير معصومة الدم لكفرها
واظهار سبها ولبعضهم هنا كلام لا فائدة فيه مع كثرة خبطه فيه وعن ابن
عباس رضي الله عنهما فيما رواه ابو داود والحاكم والبيهقي وصححه ان شخصا
اعمى كانت له ام ولد لم تسلم وكانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها
اي يمنعها وينهاها بزجر منه فلا تنزجر ولا ترجع عما هي فيه لشقاوتها وكان له
منها ابنان مثل اللؤلؤتين فلما كان ذات ليلة نحو رفع ذاته ونصبه على الظرفية
وكذا ضبط اي ساعة من ليلة كذا ان يوم وهو مبين في النحو وقيل معناه ليلة
من الليالي جعلت اي شرعت واستمرت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
وفي نسخة تشتمه وهو عطف تفسير لتقع لانه يقال وقع فيه اذا ذمه وهو
مجاز مشهور فقتلها سيدها وفي رواية فما صبر ان قام الى معول فوضعه
في بطنها ثم اتكى عليها حتى انفذه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
اي بقتلها وفي رواية عن ابن عباس فلما اصبح قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقام الاعمى فقال يا رسول الله انا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فانهاها
فلا تنتهي وازجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت رفيقة

تجي

بي فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فقتلتها فاهدر صلى الله عليه وسلم
دمها اي قال له انه هدر لا اثم فيه ولا عقوبة ولا شي يجب منه وفي الرواية السابقة
فقال صلى الله عليه وسلم الا اشهدوا ان دمها هدر وقوله ام ولد صريح في انها
جارية مملوكة له لا منكوحة حتى يقال انها مشركة وكيف حلت له وهو مسلم وحينئذ
فلا حاجة في ذكره من غير داع له وفي حديث ابي برزة الاسلمي نسبة لاسلم قبيلة وهو
نضلة بن عبيد بن الحارث اسلم قديما وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
المشاهد وتوفي بالبصرة سنة اربع وستين وهذا الاثر رواه ابو داود والحاكم والبيهقي
وصححوه قال كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق في زمن خلافته فغضب ابو بكر
رضي الله عنه على رجل من المسلمين صدر عنه ما اغضبه ثم بين هذا بقوله حكى
القاضي اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد البغدادي المالكي الحافظ وقد
تقدمت ترجمته وغير واحد هو كناية عن الكثرة من الايمة في هذا الحديث المراد
بالحديث اثر الصحابي لان له حكم المرفوع هنا انه سب ابا بكر رضي الله عنه سبا فاحشا
ورواه ايضا النسائي ابو عبد الرحمن شعيب الحافظ احد الايمة الستة كما تقدم
ولفظه عن ابي برزة قال اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل اي شدد نكيره عليه
لغضبه منه فرد عليه كلامه بغلظة منه قال ابو برزة فقلت يا خليفة رسول
الله دعني اي اتركني ولا تمنعني من ان اضرب عنقه لسوء ادبه على اعظم الخلفا بسبه اياك
وقام لضرب عنقه فقال له ابو بكر اجلس ولا تفعل فليس ذلك اي قتل من سب احدا
لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الا لمن سبه كما تقدم قال القاضي
ابو محمد بن نصر هو القاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي الاديب وهو من شعرا
اليتيمة له الاشعار الفايقة والفضايل الباهرة وقد ذكره الثعالبي واثنى عليه
وذكر من اشعاره جملة ولم يخالف عليه احد اي ان ابا بكر لما ذكر هذا بمحضر من
الصحابة لم يخالفه فيه احد منهم فدل على ان قتل من سب النبي صلى الله عليه
وسلم اتفقت عليه الصحابة كما تقدم فاستدل الايمة بهذا الحديث الذي قاله
ابو بكر ولم ينكره احد من الصحابة الحاضرين عنده على قتل من اغضب النبي صلى
الله عليه وسلم بكل ما اغضبه من قول او فعل قل او كثر او اذاه او سبه بما فيه
تنقيص لقدره وتشنيع على ما صدر منه كما تقدم لا مطلقا ومن ذلك القبيل
والمعنى الذي افاده كلام ابي بكر رضي الله عنه كتاب عمر بن عبد العزيز بن مروان
الخليفة العادل الى عامله بالكوفة وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد
ابن الخطاب وقد استشاره ليهديه للحكم في قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فكتب عمر بن عبد العزيز جوابا لعامله انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس
من حيث هو سب له فان اقتضى كفرا فلا مر آخر الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن سبه صلى الله عليه وسلم فقد حل دمه اي حل اراقة دمه وهو
كناية عن قتله وكذا حكم سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ياتي وسال
هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور لما لكا امام دار الهجرة وكان الرشيد اخذ
عنه الحديث واجله بما هو حقه في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له

اي الرشيد لمالك حين سئل اي مالك عما ذكر ان فقها العراق استفتاهم فافتوا بجلده حد
القذف فغضب مالك على من نقل عنه ذلك حمية وصيانة لمقام النبوة وقال يا امير
المؤمنين ما بقا للامة بعد شتم نبيها اي ان شتم نبيها مفن لها ومهلك فلا يحل
لاحد سمعه الا قتل قايله وبذل روحه في جهاده ثم بين مالك له الحكم فيه فقال
من شتم الانبيا قتل لان ذلك حد تنا المتهم ومن شتم اصحاب النبي جلد حد القذف
وهكذا مذهبه من غير فرق بين كافر ومسلم وبين التايب وغيره وقال القاضي ابو
الفضل عياض المص رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية الواقعة بين الرشيد والامام
مالك رواها غير واحد ممن ذكر مناقب الامام مالك وفي نسخة في اصحاب مناقب
مالك اي ممن اعتنوا بمناقبه ودونوها ومولفي اخباره وغيرهم من اصحاب
التواريخ ولا ادري من هولا الفقها بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر من جلده
وحده لحد غيره مما لم يذهب اليه احد من اصحاب المذاهب لا سيما اذا حمل على
ظاهر اطلاقه وقد ذكرنا فيما تقدم مذهب العراقيين وفتواهم بقتله ولعلهم
ممن لم يشتهر بعلم للاحكام الشرعية واني بل لعل لبعد استفتا الخليفة من
مثله او ممن لا يوثق بفتواه ممن لا علم عنده او يميل به هواه الباطل ممن
هو من اصحاب البدع والزندقة والهوي ما يجي من غير تحقيق وتطلع للحق قال
تعالى وما ينطق عن الهوي وضبطه بعضهم بهواه بميم في اوله وقال هو
مفعل من الهوي وهو الغي والضلال ولذا قالوا اذا كان في المسلة قولان لا يجوز
للمفتي ان يفتي العامة بالتشديد وللخاصة بالتخفيف فانه خيانة للشريعة
او يكون ما قاله مفتي العراقيين محمل على غير السب الموجب للقتل بذكر امر ما عن
غير عمد في حقه او يمكن حمله على وجه شديد فيكون الخلاف الواقع فيه بين
المفتيين محتمله وما له هل هو سب لتنقيصه له ام غير سب لعدم تنقيصه
له او يكون المستفتي فيه رجع وتاب عن سبه وهولا يقولون توبة مثله مقبوله
في مذهبهم فيصح كلامهم في الجملة فلم يقبله اي لم يقبله الرشيد لمالك حين
سأله عنه على اصله اي على الوجه الذي ورد ووقع عليه واستفتي فيه فاجيب
بما قالوه والا اي وان لم يكن شي من هذه الاحتمالات لا يصح ما نقله الرشيد
فالاجماع منعقد على قتل من سبه كما قدمناه مفصلا في اول هذا البحث فكيف
يفتي بخلاف ما اجمع عليه وقوله رجع وتاب بنا على ان من تاب لا يقتل فلا ينافي
ما تقدم وما قدمه يدل على قول السلف والاجماع على قتله ويدل ايضا على
قتله من جهة النظر اي التفكر فيما يدل عليه عقلا والاعتبار اي التامل
في موجبات القتل شرعا ليعلم من تتبعهما ان النظر والعقل السليم يدل عليه
والمراد به هنا القياس المرادف به ما تقدم من الايات والاحاديث واجماع الامة ليفيد
انه ثابت بجميع الادلة والقياس يسمي اعتبارا في القران في قوله تعالى فاعتبروا
يا اولي الابصار فان الاصوليين اثبتوه بهذه الاية والبيان انظر المص من طرف
خفي ان من سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم محمدا وكذا ساير الانبيا كما مر
فقد ظهرت علامة مرض قلبه اي سو عقيدته وكفر المضمر لان المومن يحبه

وجله

ونحله صلى الله عليه وسلم فخلاف ذلك يدل على عدمه كما عرفته فيما نقلناه عن السبكي
وظهر من تنقيصه ايضا برهان ودليل محقق على سو طويته اي ما اخفاه في نفسه
واضمر في قلبه والطوية يعبر بها عما اخفي كانه شي طوي ولف عليه ما يستره فهو
استعارة شاعت وصارت حقيقة فيما ذكر وفيه ترق من العلامة وهي ظنية الي البرهان
القطعي فلا يرد عليه ان حقيقة الايمان التصديق القلبي عند الجمهور وهذا
لا ينافيه كما قيل وكفره لا لانه ردة عندهم ولهذا المذكور من دلالته على ما استقر في
نفسه ما حكم له اي على الساب والمنتقص وما لا بيده واللام بمعني على او موصوفة
واللام تعليلية اي حكم لاجله كثير من العلما بالردة وهي الخروج من الاسلام
بقول او فعل او اعتقاد قام عليه دليل وهذا اذا كان مسلما لا كافرا اصليا
كما لا يخفي وهي رواية الشاميين اي علما الشام الاخذين عن مالك فان
لمذهبه طرقا متعددة وهي ايضا رواية الشاميين عن الاوزاعي عبد الرحمن
ابو عمرو وهو صاحب مذهب كما تقدم في ترجمته وبه اي بهذا القول في ردته
وقتله قال الثوري سليمان بن سعيد كما تقدم وابو حنيفة فانه ذهب اليه
في المسلم فقط والكوفيون من عطف العام على الخاص والقول الاخر في رواية
عن هولا انه اي السب والتنقص دليل على الكفر المضمر فليس نفسه كفر يرتد به
وانما هو علامة عليه فيقتل على هذا حدا لانه حد من قذف الانبيا كما ورد
في الحديث الذي تقدم وان لم يحكم له اي عليه بالكفر حقيقة الا ان يكون الساب
متماديا اي مستمرا في مدى وهدة طويلة على قوله الذي سب به غير منكر لما
قاله ولا مقلع اي راجع عنه فهذا كفر محقق منه مستوجب لقتله كفرا فانه جحد
واعلم بانه كفر ولم ينزجر كان راضيا به ومقرا بكفره وهو كفر بلا شبهة وهذا
مستثني من قوله لم يحكم له بالكفر فمعناه انه حينئذ يحكم بكفره من فصل قوله
المطلق فقال وقوله الصادر منه اما صريح كفر كالتكذيب له صلى الله عليه وسلم
بانكار نبوته او انكار ما جا به لا الافترا عليه ونحوه مما هو في معني التكذيب الصريح
او من كلمات الاستهزا به تحقيرا له او الذم بسب او هجو له فاعترافه بها اي
بكلمات الاستهزا وتركه توبته برجوعه عنها دليل استحلاله اي عله حلالا
لذلك الاستهزا والذم وهو اي الاستحلال من حيث هو استحلال لما لا يحل
كفر ايضا كما ان ما قاله كفر فهذا القايل المستحل معني كافر بلا خلاف بين المسلمين
وايمة الدين في كفره وهذا بنا على انه فرق بين قتل المرتد وقتل الحد المذكور وقال
السبكي في السيف المسلول على من سب الرسول المرتد يقتل بالنص والاجماع وتوبته
مقبولة عند الاكثر ان لم يكن زنديقا وليس قتله كقتل الكافر الاصلي كما فصله
الفقها فعلم من هذا ان علة قتله ليس مطلق الكفر بل خصوص مطلق الردة
ولذا جعلها الغزالي من الجنايات الموجبة للعقوبة كالبغي والسرقة وحكوه
عن غيره وقالوا قتل المرتد حد يسقط بالاسلام وهو التحقيق ومن ظن
ان من سماه حدا فهو عنده لا يسقط بالاسلام فهو مخطي والحد هو العقوبة
المقدرة من جهة الشارع وهل المعاقب عليه في الردة خصوص الكفر بعد الاسلام

تلمساني

ابن افنوس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

او قطع الاسلام بالكفر وهو بمعنى غير الاول فالساب المسلم مرتد فقتله حد وكذا الكافر فالخلاف في قتله هل هو حد او كفر لفظي لم يظهر له فايدة انتهى ما قاله ملخصا قال الله تعالى في مثلها اي مثل المعترف بالاستهزا والذم يحلفون اي المنافقون بالله ما قالوا الاستهزا الذي قالوه في غزوة تبوك من ان من يزعم انه سيفتح قصور الشام وحصونه بشر من الحجر هيهات هيهات ولقد قالوا كلمة الكفر وهي هذه المذكورة وكفروا اي اظهروا كفرهم بعد اسلامهم الذي اظهروه ولبعض من هذا اشار بقوله قال اهل التفسير في هذه الاية ان كان ما يقول محمد من فتح حصون الشام حقا محقق الوقوع لنحن شر من الحمير اي اجن منها حمقا وبلادتنا فان الحمير توصف بذلك وكان القايل ذلك الجلاس بضم الجيم ابن سويد او وديعة بن ثابت فقال له عامر بن قيس الانصاري اجل والله ان محمد الصادق مصدق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجا الجلاس فحلف بالله عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم انه ما قال وان عامرا لكاذب وحلف عامر لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك الصادق شيا يصدقني فنزلت الاية فتاب الجلاس وحسنت توبته وفي الذي سمعه اقوال اخر فقيل حذيفة وقيل عاصم بن عدي وقيل ولد امراته عمير بن سعد وانه هم بقتله كما فصل في التفسير والسير وهذا التمثيل لما هو فيه لان من ذكر ليس معترفا مصرا فلا يرد عليه ما قيل انه ليس مناسبا هنا وقيل بل انما هذه الاية في قول بعضهم وهو رئيس المنافقين عبد الله بن ابي ابن سلول ما مثلنا اي حالنا وصفتنا ومثل محمد اي حاله وصفته الا كما قال من وقع فيه كقول القايل في مثل قديم يضرب لمن يحسن لاحد فيسي اليه سمن كلبك ياكلك لان الكلب اذا شبع واستغنى عن صاحبه قد يتجرا عليه كالاسد الضاري ولين رجعنا من سفرنا هذا الى المدينة ليخرجن الاعز يعني نفسه منها اي من المدينة الاذل يعني اذله الله المومنين كلهم وكان هذا في بعض غزواته تبوك او بنو المصطلق واختلف فيمن بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة والمشهور انه زيد بن الارقم وكان سببه هذه المقالة ان رجلا من المهاجرين ورجلا من الانصار جرى بينهما امر فصاح الانصاري يا للانصار والمهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها فانها جاهلية مستقذرة فقال ابن ابي او فعلوها ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم وطعامكم اما والله لو امسكتم عنهم لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عن محمد فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عنه الى اخر ما حكاه الله فلما بلغ زيد رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاله انكر وحلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقه وحزن زيد حتى نزل القران بتصديقه فقال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنقه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكرم بكفه عنه لاجل ولده فلما اراد دخول المدينة منعه

ابنه

ابن اقبرس

ابنه رضي الله عنه وقال لا تدخلها حتى تقول انك الاذل ويأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم والا ضربت عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى الجد منه قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمومنين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المومنين خيرا وقد قيل ان قايل مثل هذا الذي قاله ابن ابي وغيره انه كان مستترا به عن المسلمين بحيث لم يظهره لهم وسمعوه منه وفي رواية مستترا استغفالا من السراي مختفيا حتى مقاله عن المسلمين والتستر خلاف العلانية ان حكمه حكم الزنديق وهو انه يقتل لانه مثله في اخفايه الكفر واظهاره الايمان بقيه فيقتل لذلك ولانه قد غير دينه بما قاله فصار كالمرتد وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه باظهار ما يخالفه فاضربوا عنقه ان لم يتب وقيل يقبل توبته برجوعه لدينه واستدل بهذا الحديث على قتل الزنديق من غير استتابة وقال الشافعي تقبل توبته مطلقا كالمرتد وعن ابي حنيفة فيه روايتان وقيل كمالك واستدل القايل بقبول توبة من اخفى كفره بحديث ابن عمر في الصحيح الاتي في كلام المص مع الكلام عليه انه صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله يعني فيما يستترون به وفيه دليل على ان من ظاهر حاله الاسلام لا يتعرض له وتقبل توبته قالوا وعليه اكثر العلما الا مالك واحمد بن حنبل فانهما لم يقبلا توبته وهذا هو ان زنديق على القول بانه من يظهر الاسلام ويبطن الكفر لا من لا ينتحل دينا وقد اختلفوا فيه كما مر على اقوال منها ما ذكر وتعلة قاضي خان كما تقدم والكلام عليه مفصل في الفقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة اي في احترامه وتوقيره وصيانة جانبه مزية بفتح الميم وكسر الزاي المعجمة وتشديد اليا التحتية وهي زيادة الفضيلة وقال العلامة لا يبنى منه فعل لكن تقدم عن الاساس تميز عليه زاد على امته فلا يسوى بينه وبينهم فيما يحمته فيزاد في جزا من سبه على حد غيره لرفعة محله وساب الحر لا العبد من امته يحد حد قذف وسب وطه الا استحقه والا يعزر واطلقه لظهوره او تسمح فادخل التعزير في الحد وفي نسخة يحد بجيم ولا ادري ما معناه والظاهر انه تحريف من النساخ فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم او سب غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام القتل رعاية لعظيم قدره فتعظمه بعظم الذنب فيه وتشرف منزلته على غيره بشين معجمة وفاء اي زيادتها يقال شرف عليه اذا زاد فالطاء القطاع وهو بمعنى النقص ايضا من الاضداد والعزتية مانعة منه هنا اي لزيادة مرتبته العالية بشرفه صلى الله عليه وسلم تسليما وزاده تشريفا وتعظيما وهذا اعظم الى الاعظم الخلق واحتمال ان يراد به وقد القتل لا يرد عليه كما قيل

فصل في دفع الشبهة

الواردة على ما قدمه في هذا الفصل فانه قلت اذا كان سبه صلى الله عليه

بق

ابن اقبرس

وسلم ومنتقصيه مقتضيا للقتل فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي
الذي قال له السام عليكم وهذا دعا عليه واذية له ولم يعاقب قائله فيرد على ما
قررتم اولا والسام بمعنى الموت فيوهمون انهم قالوا السلام وانما ارادوا الدعا عليه
بموته ومثله مما يوذيه وهذا رواه البخاري وغيره وقالوا ان عايشة رضي الله عنها
تفطنت له فكانوا اذا قالوا السام عليك يا ابا القاسم قالت عليكم السام والذام
واللعنة ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
ردا لمقالتهم عليهم الا ان الخطابي قال انه روي بالواو ورواه ابن عيينة بدونها
وهو الصواب لابد ان الواو التي لمطلق الجمع بالاشتراك بينهما قلت لا محذور
فيه لانه صلى الله عليه وسلم قصد الاشتراك في معنى غير الذي قصدوه
اي الموت مقدر علينا وعليكم كما ياتي بيانه فيكون من القول بالموجب البديعي
كقوله

وقالت انت عندي مثل عيني ۞ فقلت نعم ولكن في السقام

ولذا ذهب كثير الى جواز اثبات الواو وحذفها وان الخطابي رجع عما قاله والسام
مفسر بمعنى الموت ويجوز ان يكون مهموزا من السامة والذام بالمعجمة
بمعنى الذم والعيب ويجوز اهمالها من الدوام والقايل جماعة من اليهود
وقيل واحد منهم اسمه ثعلبة بن الحارث وجمع بين الروايتين بتعدد
القصة او بان الداخل جماعة والقايل منهم واحد ولا قتل الرجل الاخر وهو
ذو الخويصرة الذي سبق ذكره وبالجوابه الذي قال له صلى الله عليه وسلم
في قسمة قسمها من مال الغنايم ان هذه القسمة التي قسمها بين الغزاة
وفي نسخة ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله اي خالصة لله جارية على
العدل كما فرضها الله وهذا في حديث رواه البخاري ايضا فلم يقتله صلى
الله عليه وسلم والحال انه صلى الله عليه وسلم قد تاذى من ذلك اي من
قوله الذي قاله ونسبته فيه الى الجور وهو اذية مسلم له وافترا عليه
فيقتضي قتله فلم لم يامر بقتله وقال الحافظ الذهبي هذا الاخر لا اعرفه وفي
الصحيح انه من الانصار وقال انه معتب بن قشير في الذي قال له اعدل ذو
الخويصرة التميمي الخارجي الذي قتل يوم النهروان ويقال له حرقوص وكانت
هذه القسمة يوم حنين زاد فيها بعضهم لمصلحة وهو تاليفهم ومع
ذلك فلم يقتلهم صلى الله عليه وسلم حين اذوه بل قد قال اوذي موسى
من قومه باكثر من هذا الذي اوذيته فصبر على اذيتهم ولم يقتل احدا
ممن اذوه فلي اسوة به واذيته موسى انهم رموه بالبرص والادرة والقموه
بقتل اخيه هارون وخالفوه في امور كثيرة قصها الله في القران عنهم
ولا قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان وروي في كل الاحيان
والاول اظهر واشهر واذية المنافقين له تقدم بعضها قريبا فهذا كله
يدل على ان من اذاه او من ذمه او ذم غيره من الانبيا عليهم وعليهم الصلاة
والسلام لا يستحق القتل فكيف هذا مع ما تقدم من الادلة والاجماع الذي

حكاه

حكاه ثم شرع المص في الجواب عن هذا الاشكال بقوله فاعلم ايها السايل عما اشكل عليك وفقنا الله
تعالى واياك لتعلم ما لم تعلمه وهي جملة دعايية معترضة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اول الاسلام اول مصدوب على الالفة اي في ابتدايه بتالف عليه الناس اي يطلب الفتهم
وتانيسهم لقرب عهدهم بالاسلام وفيهم الاعراب الجفاة حتى يثبتهم على الاسلام
ويداوي امراض قلوبهم بعفوه وكرمه ولم يقل اول الهجرة لان هذا كان بالمدينة بعد
هجرته لان ابتدا التاليف ببعض انواعه كان قبلها واستمر ذلك الى الهجرة كما يدعي اليه
قوله كان الدال على الاستمرار فلا اعتبار فيه كما قيل لو قال اول الهجرة كان اولى وفي
نسخة يستالف بسين مهملة ساكنة بين اليا والتا ويميل قلوبهم اليه اي الى الاسلام
وخلوص الايمان بمحبته والاذعان له وياوه الثانية مخففة مضارع امال ويجوز
تشديدها والاول اولى ويحبب اليهم الايمان ليتمكن في نفوسهم ويزينه في قلوبهم
اي يحسنه بترغيبهم فيه ويداريهم بموحدة وقبل الها اي يعاملهم بما لاطفهم
له ويرفق بهم ويقول لاصحابه اي خلصهم الذين سبق ايمانهم وعلم اخلاصهم
انما بعثتم ميسرين تغليبه اي انما بعثت معكم او هو مجاز عن امرتم وعلمتم او هو
بمعناه اللغوي اي جيتم لدار الهجرة وارسلتم لها لتكونوا ميسرين بسين وراء
مهملتين اي مسهلين مسامحين لا معسرين مشددين على من قرب عهده بالاسلام
ولم تبعثوا وترسلوا منفرين للناس عن الاسلام اي بشدة وغلظة تحمل
الناس على نفورهم عنكم بمفارقتهم وتشتتهم عنكم وكان الظاهر ان يقول
معسرين ليطابق قوله ميسرين لكنه عدل المطابقة الحقيقية لانها ابلغ لان التيسير
يقتضي تالفهم وعدم تفرقهم عنهم فاتى بلازم المقابل لانه ابلغ واكثر كما
في قول المتنبي ۞ كانك مستقيم في محال ۞ اذ لم يقل في اعوجاج وليس هذا
لاجل القافية كما قيل ويجوز لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وكان صلى الله
عليه وسلم يقول لاصحابه ايضا يسروا الناس بكل خير ولا تعسروا اي لا تشددوا
وتغلظوا عليهم وسكنوا اي اقروا الناس على ما هم عليهم ولا تكلفوهم بما لم
يالفوه ولا تنفروا الناس عنكم فيتفرقوا ويبعدوا اي لا تثقلوا عليهم وتلجوا
فيملوا منكم وهذا فيما لم يجب عليهم والا فمثله لا يسامح فيه وكان صلى
الله عليه وسلم يقول لاصحابه كما مر في قصة ابي بن سلول والمنافقين لما
بلغه ما قالوه فقالوا له دعنا نضرب عنقه فاني لا يتحدث الناس فيما بينهم
فيقولوا ان محمدا يقتل اصحابه وهذا اذا شاع عنه صلى الله عليه وسلم منع
بعض الكفرة من الدخول في الاسلام وحمله المشركون واعدا الدين وسيلة
للطعن فيهم ومثله مما ينبغي الاحتراز عنه لما فيه من الفوايد وهذا قاله
صلى الله عليه وسلم لعمر لما قال في قصة ابي بن سلول دعني اضرب عنقه
كما تقدم مفصلا وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ۞
بتلطفه بهم واحسانه وعفوه عنهم والفرق بين المداراة والمداهنة
مشهور تقدم مرارا ايضا فالمداراة التلطف ولين القول لدفع الضرر
وجلبا لنفع له او لمن داراه كامره بنصح ورفق وبيان ما في حاله من محذور

وسوء عاقبة والمداهنة تحسين القبيح وقوله له ما هو باطل وكذب مما يغره ويحثه على
ارتكاب الفواحش والاول محمود شرعا والثاني مذموم غير جائز وتحمل صحبتهم بضم
المثناة التحتية وسكون الحاء وكسر الميم ثم لا مر من الجميل الحسن قولا وفعلا وقيل تحمل
بمعنى يحمل بحذف احدى التائين وهو بعيد ركيك وتغضي عنهم الاغضاء العفو والتجاوز
والسكوت وغض البصر عما لا يليق وحمله على بعض المحامل وترك ما فيه من العيب
وفعله اغضى يغضي وهو متعد بعلى وفي المصباح اغضى الرجل قارب بين جفنيه ثم
استعمل في الحلم وتحتمل من اذاهم اي تتحمله وتعفو عنه قال في المصباح حمل
الشيء واحتمله بمعنى عفى عنه وهو في اصطلاح الفقهاء يستعمل بمعنى الوهم والجواز
فيكون لازما وبمعنى الاغضاء والتمني فيتعدى ومن زائدة او تبعيضية
وسيأتي ما فيه وتصبر على جفائهم اي غلظة طباعهم المقتضية لعدم الادب
في الاقوال والافعال ويقال لاهل البادية اهل الجفا ما لا يجوز لنا اليوم الصبر
عليه ما موصولة مفعول تحتمل فمن بيانية مقدمة على المبين وقد جوزه
النحاة والمراد باليوم ما بعد عصره صلى الله عليه وسلم فان مبدا الاسلام
وقواعد الاسلام لم يكن على ما هي عليه الان من القوة التي لا يتسامح فيها
لاحد ما كان يتسامح فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لمصلحة تمت بذهاب
اسبابها فما فعله صلى الله عليه وسلم من عدم قتل بعض لا يجوز لنا الان
المسامحة فيه اصلا كما يأتي في قوله فلما استفحل الخ وهذا هو الجواب عن
السؤال مع انه يحق له صلى الله عليه وسلم تحقق له العفو عنه لانه ممتنع
علينا الاغضاء عن اهانته صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم
يرفقهم اي يصلحهم وينفعهم بالعطا تكرما عليهم والاحسان اليهم بكرمه
ولين قوله ليؤلف قلوبهم ومحبتهم لان النفوس جبلت على حب من احسن
اليها فيرفق بزنة يفعل مضارع رفق او يرفق بكرم مضارع ارفق وفي الصحاح
الرفق ضد العنف وقد رفق به يرفق وحكى ابو زيد رفقت به وارفقته بمعنى
ترفقت به ويقال ارفقته بمعنى نفعته وقال ابن القطاع رفقته رفقا
وارفقته نفعته من الرفق كذلك فهو ثلاثي ورباعي وبذلك المذكور من
مداراتهم وعطاياهم ورفقه بهم امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع
على خائنة منهم اي على طائفة خائنة او خيانة تصدر منهم في حقك كما
صدر من اسلافهم مع رسلهم فلا يخرج ذلك اساتهم كلك والمراد فعلة خائنة
او نفس خائنة ويقال في المبالغة رجل خائنة كراوية وقرى على خيانة
الا قليلا منهم لم يخن فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين الذين
يجزون السيئة بالحسنة ويتجاوزون عما سلف وهذه الاية نزلت في اليهود
الذين كانوا في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بيانا لان الخيانة من شانهم
الخيانة وانه موروث ابائهم وامر بالعفو عنهم بشرط المعاهدة او نحوها
او هذه الاية منسوخة والقليل المستثنى من امن به صلى الله عليه وسلم
منهم كابن سلام وقال الله تعالى امرا نبيه صلى الله عليه وسلم بما مر

ادفع

ادفع بما تراه من السيئات بالتي هي احسن وهي الاحسان لمن اساء اللطف به فاذا الذي بينك
وبينه عداوة من الكفار كانه ولي حميم اي لا يزال احسانك اليه حتى يصيره كالصديق الذي
بينك وبينه مصافاة وموالاة والولي من يتولى نتابع والحميم الصديق المصافي نزلت
فيمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي سفيان وقيل المراد بالتي هي احسن
المصافحة وهي مستحبة وقيل ان هذه نسخت باية السيف وذلك اي ما ذكر من مداراته
صلى الله عليه وسلم كان منه لحاجة الناس للتاليف لقلوبهم وجلبها له في اول الاسلام
ومبادي الهجرة والحاجة في اول الامر الى جمع الكلمة باتفاق ارائهم معه صلى الله عليه
وسلم وعدم مخالفتهم له فانه يحصل بالملاطفة والملاينة ما لا يحصل بغيرها
فلما استفحل فيه ضمير مستتر للاسلام اي لما قوي وثبت واظهره اي اظهر الله دين
الاسلام اي علاه ورفعه على الدين كله اي على كل دين وملة بحيث غلب اهله وقهرهم
والدين في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد وغيره قتل من قدر عليه ممن اظهر
عداوته وطعن فيه وفي دينه اذ لم يبق حاجة للمداراة التي كانت لمصلحة اتمها
الله واشتهار امره كفعله صلى الله عليه وسلم بابن خطل يوم الفتح حين امر بقتله
يوم فتح مكة ولو وجد متعلقا باستار الكعبة وقتل ايضا بامره بذلك من عهد
اي اوصى المسلمين بقتله يوم الفتح اي يوم فتح مكة كما تقدم مفصلا وقتل ايضا
من امكنه قتله غيلة بكسر الغين المعجمة وهو القتل خفية ومخادعة كابن
الاشرف وابن ابي الحقيق من يهود هو اسم للطائفة المعلومة وغيرهم اي غير
اليهود من الكفرة او غلبة اي وقتل ايضا من امكنه قتله من غير اختفا اي
بطريق الغلبة والقهر كابي عزة الجمحي كما مر ممن لم ينتظمه قبل اي لم يدخل قبل
قتله بسلك صحبته صلى الله عليه وسلم باسلامه ومتابعته له صلى الله عليه
وسلم والسلك خيط ينظم فيه لؤلؤ ونحوه والنظم ادخاله فيه فاستعير للجمع
وجعل محل الجمع او ما يقتضيه بمنزلة السلك وسلك صحبته كلجين الماء وهو
استعارة ايضا والانخراط في جملة مظهري الايمان به من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
وقد فسر الانخراط بالدخول يقال انخرط في السلك اذا انتظم وقد وقع ذلك
في كلام الفصحاء الثقات كالسكاكي والزمخشري وفسر بما ذكر الا اني لم اجده في
كلام العرب قديما ولا في كتب اللغة بهذا المعنى بل الموجود خلافه كخرط العتاد واخترط
السيف سله وفتشت عنه فلم اظفر به وغاية ما يمكن في توجيهه انه من اخترطه
اذا جعله في الخريطة وهي الكيس فتجوز به عن جعله في العقد قال ابن عباد في
محيط اللغة الخريطة مثل الكيس يشرج من ادم او خرق ويقال اخرطت الخريطة
اخراطا انتهى وتقدم التنبيه على ذلك ايضا وقوله ممن كان يؤذيه من
الكفرة بيان لمن الذي تقدم كابن الاشرف وابي رافع تقدم بيانهما مفصلا والنضر
ابن الحارث الذي تقدم تقدم بيانه وعقبة بن ابي معيط وتقدم ايضا
وهذا تمثيل لمن قتله صلى الله عليه وسلم مطلقا غيلة وغلبة فلا
وجه لما قيل انه ذكر ابن الاشرف مع قتله غيلة نظرا لقتله غيلة وكذا
اي مثل قصة من ذكر ممن قتله نذر دم جماعة من الكفار سواهم اي سوى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من ذكر من كعب واضرابه ونذر بنون وذال معجمة وراء مهملة اي اوجب قتله على من عنده من اصحابه قال في الاساس نذر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا اوجبه على نفسه وهو من كلام اهل الحجاز انتهى فقول بعض الشراح انه بدال مهملة بمعنى اسقط واهدر ليس بشيء ككعب بن زهير بن ابي سلمى بضم السين وسكون اللام ربيعة ابن رباح بكسر الرا وبالمثناة التحتية ابن قرط المزني وهو واخوه شاعران مجيدان غير مكثرين واخوه اسلم قبله وكان كعب قال بعد اسلام اخيه شعرا يعرض فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه اخوه كتابا يقول فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدر دما قوم كهبيرة بن ابي وهب وابن الزبعرى فان كان لك حاجة في نفسك فطر اليه فانه صلى الله عليه وسلم يقبل من اتاه تائبا فضاقت الارض عليه وارجف الناس بانه مقتول فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي الصبح فلما فرغ جلس بين يديه ووضع يده في يده وقال يا رسول الله ان كعبا جاءنا تائبا مسلما اتقبله قال نعم وهو لا يعرفه فقال انا كعب فوثب عليه رجل من الانصار وقال يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال دعه فانه جاء تائبا فغضب كعب على الانصار لانه لم يقل فيه احد من المهاجرين الا خيرا واستأذن صلى الله عليه وسلم فنشد قصيدته المشهورة والبسه بردته التي يتوارثها الخلفا بعده وكان معاوية رضي الله عنه طلبها منه فقال ما كنت لاوثر احدا بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات اخذها من اولاده بعشرين او ثلاثين الف درهم نفقة وفقه هذه القضية ان من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم العفو عمن سبه من الكفرة وان اجازة الشعرا مسنونة من مكارم الاخلاق كما قال العزي

محمود فضيلة الشعراء مني ✿ وتحسين المديح من الرشاد
محت بانت سعاد ذنوب كعب ✿ واعلت كعبه في كل نادي
وما احتاج النبي الى مديح ✿ وتشبيب بشيء من سعاد
ولكن سن اسدا الايادي ✿ وكان الى المكارم خير هاد

وابن الزبعرى هو عبد الله بن الزبعرى بن سعيد بن سهم القرشي وهو بكسر الزاي المعجمة او فتحها وكسر البا الموحدة وسكون العين المهملة مقصورة علم منقول من سيئ الخلق او كثيف الشعر وكان شاعرا مجيدا شجاعا من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يطول لسانه وسفهه ولا عقب له اسلم بعد الفتح وحسن اسلامه وكان فر هو وزوج ام هانئ بنت ابي طالب الى نجران فقالوا له ما وراك فقال ان محمدا قتل قريشا وفتح مكة وارى امرا سايرا لكم فاصبح بالحارث وكعب منهم ما رث من حصنهم وجمعوا اماشيتهم فارسل له حسان رضي الله عنه شعرا يقول فيه

غضب الاله على الزبعرى وابنه ✿ وعذاب سوء في الحياة مقيم

فلما بلغه قال ما لي وبني الحارث وترك داري وقومي ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه فلما راه قال هذا ابن الزبعرى في وجهه نور الاسلام فوقف عنده وقال السلام عليكم اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا

عبدالله

عبد الله ورسوله والحمد لله الذي هداني للاسلام وقد اجلبت على عداوتك حتى هربت الى نجران وانا اريد ان لا اقرب الاسلام ابدا ثم اراد الله بي خيرا فالقاه في قلبي وحببه الي وذكرت ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ولا يعقل من حجر يعبد ويذبح له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام ان الاسلام يجب ما قبله وقلت في ذلك

رايت اسلام قوم يجب ما كان قبله ✿ وكم حصر اراه بالكفر في شر ملة

وغيرهما اي غير كعب وابن الزبعرى ممن اذاه صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه نثرا او نظما ثم تاب باسلامه فقبلت توبته وعفي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في السير حتى القوا بايديهم اي انقادوا له وسلموا وهو مجاز عما ذكر واصله وضع يده في يد غيره ممن يمسكها لانقياده اتم انقياد وتفويض امره له ولعفوه عليه الصلاة والسلام مسلمين فعفي عنهم وامنهم واحسن اليهم واما من نافقه فنبوا من المنافقين وما فيهما من الكفر مستورة غير معلومة لغيرهم وحكمه صلى الله عليه وسلم انما كان على الظاهر وهو الاسلام المانع من قتلهم وهذا الاجل التشريع لامته بعده وان اطلعه الله على سرايرهم ومع ذلك اكثر الكلمات التي قصد المنافقون بها تنقيصه صلى الله عليه وسلم وذمه انما كان يقولها القايل منهم اي من المنافقين خفية مع امثاله من المنافقين ولا يقع عليها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وخفية بضم اوله وكسره وفي نسخة زيادة واو قبل مع ويحلفون عليها اي يحلفون انهم ما قالوا ما نسب اليهم وهذا انما يعلم مما سيأتي وقد مر هذا في قصة ابن ابي وابن سويد من المنافقين اذ انميت اليهم اي نقلت وبلغت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم من نمي الحديث بالتخفيف والتشديد والمشهور ما قاله ابو عبيد بن انه بالتخفيف ما نقل على وجه الاصلاح وبالتشديد ما كان على وجه الافساد وهو النميمة وكذا قاله ابن قتيبة وغيره لكن رواية اكثر المحدثين بالتخفيف هنا تدل على خلافه ويتكلمون بها اي بهذه المقالة ويحلفون بالله ما قالوا ما نقل عنهم ولقد قالوا كلمة الكفر اي الكلمة التي يكفر بها قايلها او التي انما تصدر عن الكفرة واعدا الدين مما نقلناه سابقا وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا اي مع ما قالوه من كلمة الكفر يطمع في فيئتهم بكسر الفا وفتح الهمزة قبل التا الفوقية اي رجوعهم وروي فيئتهم بفتح الفا وسكون اليا قبل الهمزة من فاء اليه اذا رجع ومنه الفيء للظل بعد الزوال ورجوعهم الى الاسلام عطف تفسير اي دخولهم فيه فهو مجاز مرسل من اطلاق المقيد على المطلق كقوله وان عدتم عدنا وتوبتهم من نفاقهم وكفرهم الخفي فيصبر صلى الله عليه وسلم على اذيتهم ونفاقهم وذمهم الذي علمه منهم وبلغه عنهم وعلى هناتهم بفتح الها والنون الخفيفة وفي المصباح الهن خفيف النون كناية عن كل اسم جنس والانثى هنة بالتخفيف ولامها محذوفة وفي لغة هي ها فتصغيرها هنيهة ومنه مكث هنيهة اي ساعة لطيفة وفي لغة هي واو فتصغر في المونث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على هيئة بتشديد الياء والهمز خطأ اذ لا وجه له وجمعها هنوات وربما جمعت على
هنات مثل جمات والمذكر هن او به سمي وكني به عن الفرج انثى وهو احد الاسما اخوات
اب واخ وكني به هنا ايضا عن قبائحهم وكان صلى الله عليه وسلم يصبر ايضا على
جفوتهم اي ما يصدر عنهم من الاقوال والافعال القبيحة لغلظة طباعهم وسوء
ادبهم كما صبر اولوا العزم من الرسل وهم الذين كانوا ذوي عزيمة قوية وثبات
في دعوة الناس الى الدين ومراده فقد اختلف فيهم فمنهم من قال هم خمسة نوح
وابراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقيل هم
المذكورون على التوالي في الشعرا والاعراف وهم نوح وهود وصالح وسليمان
ولوط وموسى لصبرهم على اذى قومهم وما ابتلوا به ومنهم من عد منهم
اسمعيل ويعقوب وايوب وقيل كل من امر بالجهاد والقتال وقيل ثمانية عشر
ذكروا في الانعام وعنيهم الله بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقيل كل الرسل وقيل الا يونس لقوله ولا تكن كصاحب الحوت فهو لا صبروا على
اذى الناس ومواجهتهم بما يكرهون وقد امر صلى الله عليه وسلم بالاقتدا
بهم في الصبر على الاذى والعفو فلم يزل يفعله في ابتدا الهجرة حتى فاء كثير
منهم باطنا اي رجع عن نفاقه فخلص ايمانه في قلبه كما فاء ظاهرا اي كما كان
ظاهرا في الرجوع الى الايمان بعد الكفر واخلص ايمانه بالله ورسوله صلى
الله عليه وسلم سرا فيما اسره واخفاه في قلبه وبينه وبين قومه كما
اخلص جهرا اي فيما جاهرهم به من مقاله فتواطا باطنه وظاهره وسر وجهر
ونفع الله بعد بكثير منهم اي نفع بهم بعد اخلاصهم وهداية الله لهم
وقام منهم اي من هؤلا الذين تالفهم وعفا عنهم للدين واهله وزراء
واعوان عطف تفسير لان الوزير من الوزر وهو المعاونة والنصرة فتقوى
وتعاضد بهم اهل الاسلام وحماة وانصار فهم حامون للدين وناصرون
لاهله كما جات به الاخبار الثابتة فكم من منافق وكافر حبب الله له الايمان
واعزه الله به وهو مذكور في كتب الحديث غني عن البيان وهذا الجواب
المذكور اجاب بعض ايمتنا المالكية رحمهم الله عن هذا السوال السابق
عن قول اليهود السام عليكم وعنه اجوبة اربعة ذكرها في السيف المسلول
بعد ما ذكر في حقهم واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في
انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير
فاخبر الله عنهم بانهم كانوا يحيونه بتحية منكرة ويقولون لو كان نبيا لعذبنا
الله بقولنا له السام عليكم واشار الى انه لا حاجة لعذابهم لانه يكفي من لم
يتب منهم عذابه في الاخرة فاجيب عن السوال الذي تقدم من انه لم لم
يقتلهم ونهى عايشة رضي الله عنها عن قولها بل عليكم السام والذام
واللعنة كما مر فقال لها مهلا فان الله يحب الرفق في الامر كله وحاصله
انه كان لحكمة وهو انه وقع والاسلام لم يقو القوة البالغة فصبر لعل الله
يهديهم ويقوى بهم الدين وقد وقع ذلك لكثير منهم وكان الصبر عليهم

والعفو

والعفو عنهم تجاوزا له صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني عنه انهم كانوا يخفونه
ويلوون به بمجلسه وخفض صوت ولا يطلع الناس عليه والعقاب على الكفر انما يكون على الظاهر
دون الخفي وقال بعض ايمة الحديث لهذا وفي نسخة وقيل لعله اي قولهم السام للدعا
عليه لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من قولهم اي اليهود ما رفع بالبنا للمجهول
من رفع الكلام بمعنى اوصله وبلغه وانما نقله له صلى الله عليه وسلم الواحد الذي
لم يتم به نصاب الشهادة ومن لم يصل اي لم يبلغ رتبة قبول الشهادة في هذا
الباب اي النوع المقتضي للقتل من صبي صغير لا تسمع شهادته شرعا وعبد مملوك وامراة
شهادتها غير مسموعة في مثله مما ينبني ويدفع بالشبهات وهو الحدود والدما
لا تستباح الا بعد الثبوت بعدلين ذكرين حرين واعلام الله له بعد حكمه بالظاهر
ونفوذ حكمه لا يخالفه مما قيل من انه عجيب من المص مع تكذيب الله لهؤلاء
واعلامه بحالهم في القران ليس بشي لا سيما وهو ناقل ثقة وما على الرسول
الا البلاغ وعلى هذا الذي ذكره بعضهم في الجواب يحمل امر اليهود وفي نسخة
اليهودي في السلام وفي نسخة السام وهما بمعنى لان المراد بالسلام سلام اليهود
وهو قولهم السام وانهم لووا بواوين مخففتين والتشديد وان صح غير
مناسب هنا لانه للمبالغة ولم تقصد هنا والتي فتل الالسنة ولفها بسرعة
حتى يخفى ويظن انهم قالوا السلام السنتهم جمع لسان وهو الجارحة المعروفة
ولم يبينوه اي سلامهم وهو تفسير للمراد بلي الالسنة الاتي ما حقق
ما قيل وتوضحه كيف نبهت عليه اي على قولهم هذا عايشة رضي الله عنها
حيث ردته عليهم بقولهم المتقدم السام عليكم والذام واللعنة ونهاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرها بالرفق وقال اني ارد عليهم
فيستجاب لي ولا يستجاب لهم لكن قال ابن تيمية ان قوله صلى الله عليه وسلم
اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي ردوا الذي يقولونه لكم عليهم
وتقرير الصحابة له بعده يدل على عدم اختصاصه باول الامر وبدء الاسلام
وانه لم يخف عليه فتامل ولو كان اليهودي الذي قال للنبي صلى الله عليه
وسلم السام عليك صرح بذلك من غير اخفا ولي السنة لم تنفرد بها وفقته
اي عايشة رضي الله عنها بعلمه دونه صلى الله عليه وسلم ولهذا اي لكونهم
لم يصرحوا بما يعلمه كل احد او لكون اليهودي لم يصرح بالسام بل اخفاه
خبثا ولامه نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم اي فعل اليهود
القبيح الذي اتوا به بقولهم السام عليك وقلة صدقهم في كلامهم وجعل قولهم
السام موهمين انهم قالوا السلام كذبا لجعلهم ما ليس بتحية تحية فهو
باعتبار خبر تضمنه كذب مخالف للواقع وخيانتهم في ذلك لله ولرسوله صلى
الله عليه وسلم ليا بالسنتهم بتحريف مقالهم وكذبهم وعدولهم عن سنن
الصواب وطعنا في الدين اي دين الاسلام واهله وفيه اشارة الى الاية اعني
قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الاية وهي نزلت في حق
اليهود وقولهم راعنا واسمع لكن لما كانا من قبيل واحد في التحريف والعدول

ابن اقبرس والدجي

عن الظاهر فتنبيها المصم هنا وانما كان هذا طعنا في الدين لانهم قالوا لو كان نبيا لعلم بمقالتنا
وعذبنا الله عليها كما مر ولا يتوهم انه كيف يكون هذا طعنا في الدين بمجرد ذكر السام
بمعنى السلام فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه منبها لهم ان اليهود اذا سلم احدهم
فانما يقول السام عليكم فقولوا في رد سلامهم عليكم وفي رواية وعليكم بالواو
وقد تقدم الكلام عليه مفصلا وقد قال الفقهاء لا يبدؤوا بالسلام الكفرة وانما يرد
سلامهم بقول وعليكم وفي رواية عن الشافعي جوازه وكذلك قال بعض اصحابنا
البغداديين كالقاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي وقد تقدم بيانه ان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم وبما في نفوسهم مع انه عالم بهم
واطلعه الله على سريرة نفاقهم وان كان له صلى الله عليه وسلم ان يقضي بعلمه بل
اختلف الفقهاء في القاضي هل له ان يقضي بعلمه في زمان قضائه او في مجلس حكمه
وانما المانع عنه انه امر بالعمل بالظاهر في اكثر احواله بستر على الامة وكان ذلك
في ابتدا الاسلام بالتالف للقلوب حتى يهديهم الله ولا تنفر قلوب من يريد الدخول
في الدين وتكف السنة الطاعنين بقولهم انه صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه
والحكم تتعاضد والمصالح لا تتزاحم فلا تعارض بين الاحاديث كما توهم ولم يات
انه لم ينقل في الاحاديث انه قامت بينة عنده صلى الله عليه وسلم على نفاقهم
فلهذا اي لكونه لم تقم عنده بينة على نفاقهم وهو مامور في اكثر الاحكام ان
يحكم بالظاهر وبالصبر كما صبر اخوانه اولو العزم تركهم من غير ان يقتلهم ولم يحكم
بعلمه وان اعلمه الله به في سورة المنافقين وسورة براءة اجمالا من غير ذكرهم باعيانهم
فمن قال كفاك ما فيهما من تفضيحهم بينة لم يصب وهذا مبني على ان الحاكم
لا يجوز له ان يحكم بعلمه مطلقا او في الحدود او في حقوق الله وفيه كلام
للفقهاء ليس هذا محله واقامة البينة على النفاق تتصور بان يشهد على اقراره
والا فما في قلبه لا يمكن الاطلاع عليه لغير علام الغيوب وايضا مما يقتضي
عدم قتلهم فان الامر اي نفاقهم كان سرا وباطنا يخفى على الناس فكيف تقوم
عليهم بينة وظاهرهم الاسلام والايمان هما بمعنى وقد يفرق بينهما
بحسب المفهوم وان اتحدا فيما صدقا عليه والامر فيه معلوم وان كان المذكور
الذي لم يحكم بقتله من اهل الذمة بكسر الذال المعجمة هي العهد والامان
هنا قال في المصباح الذمة تفسر بالعهد والامان وسمي المعاهد ذميا نسبة
الى الذمة بمعنى العهد وقولهم في ذمتي كذا معناه في ضماني انتهى كما اشار
اليه بقوله بالعهد وهو الميثاق بان لا يغدر به والجوار بكسر الجيم وتضم
وهو الامان من جاره يجيره اذا امنه لعهد بينهما والامان يكون لمعين
وغيره كاهل بلدة واقليم فان كان لجماعة معينة فهي الهدنة وان لم يكن
فهو الجزية وهم اهل ذمة اي امان وهذان يختصان بالامام بخلاف
مطلق الامان لزمن قريب فلا يختص به لحديث المسلمون يسعى بذمتهم
ادناهم والناس قريب عهدهم بالاسلام اي دخولهم في الاسلام كان
قريبا في ابتدا الاسلام والهجرة لم يتميز بعد بالضم اي تظهر قرب عهدهم

الخبيث

ابن اقيرص

دلجي

الخبيث من الطيب منهم اي لم يعلم من خلص اسلامه فطابت سريرته او لم يخلص
ايمانه فبقيه بقية من خبث الكفر لم تظهر لغيره وقد شاع اي سمع واشتهر بين الناس
من المذكورين اي من كان منافقا يظهر اسلامه في العرب المجاورين لهم المشاهدين لهم
كون من بينهم بالنفاق اي بتهمة مخلص المؤمنين المهاجرين الذين نور الله بصائرهم
من جملة المؤمنين اي معدة منهم وبالنظر لظاهر حالهم ومن متعلقة بشاع وصحابته
بفتح الصاد اسم جمع لصاحب وهو في الاصل مصدر كالقرابة سيد المرسلين لكونهم
معه تابعين له وشاع ايضا انهم من جملة انصار الدين الذين نصروا رسوله صلى
الله عليه وسلم على اعدائه ظاهرا وهذا انما هو بحكم ظاهرهم اي ما يظهر من حالهم
لانا لا نطلع على سرائرهم فلاجل هذا لم يقتلهم صلى الله عليه وسلم وقال
لعمر وغيره ممن قال في بعضهم دعني اضرب عنقه لا لئلا يتحدث الناس بان محمدا
يقتل اصحابه كما تقدم فقعدوا من اصحابه نظرا للظاهر حالهم فلو قتلهم النبي
صلى الله عليه وسلم بما علمه من حالهم ونفاقهم الذي اطلعه الله عليه
دون غيره وما يبدر منهم بفتح التحتية وسكون البا الموحدة وضم الدال
والرا المهملتين بمعنى يسرع ويخرج منهم بعجلة وفي نسخة يبدو بالواو
بدل الرا وفي نسخة يندر بالنون مع الرا وهي صحيحة ايضا وان خالف رواية
الشراح قال في المصباح ندر من قومه اذا خرج ومنه النادر لخروجه عن
امثاله فتسميته نادرا لمخالفته ظاهر حالهم وهو الاكثر منهما فلا بعد فيه وعلمه
مجرور معطوف على نفاقهم اي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
اسروا اي اخفوا من الكفر في نفوسهم من النفاق لوجد المنفر جواب لو اي
لوجد الذي يقصد تنفير الناس وصدهم عن الدخول في الاسلام من المشركين
واعدا الدين ما يقولونه اي امرا يقولونه لمن يريد الدخول في الاسلام بان يقول له
انه سفاك يقتل اصحابه اذا خالفوه والمرء لا يخلو من زلة والارتياب للشارد
اي وقع في ريبة لخوفه من القتل من كان شاردا عن الدين من الاسلام من الجاهلية
والاعراب ابا الحكيم من شرد البعير اذا نفر وذهب في الارض وفي الحديث
لتدخلن الجنة الا من شرد على الله اي خرج عن طاعته وفارق الجماعة وهو في
الاصل استعارة وارجف المعاند او اتى بالاقوال الكاذبة التي يقصد بها التشنيع
على الاسلام من كفر عنادا كبعض المشركين الذين كانوا يحبون اشاعة مثله
وارتاع اي خاف من يسمع الاراجيف وعلم بالقتل من الروع وهو الخوف من
صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وارتاع ايضا من الدخول في الاسلام خوفا
من ان يقتل كمن قتله غير واحد اي كثير ممن يريد الاسلام ممن ضعف
قلبه ولم ينظر ببصيرة صادقة ممن امتثله الله ولزعم الزاعم اي وجد
وصلة لكذبه من اراد الافترا على الله ورسوله وطعن العدو للاسلام واهله
الظالم لنفسه وغيره من صده عن سبيل الله وسعادة الدارين وهذا
تنازع انه بعين مهملة من العداوة وقال البرهان انه في الاصل العد
بالواو الذال المعجمة مشددة بمعنى المنفرد والاول صحح في الهامش انتهى والمعنى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان هذا انما هو فرد من الناس او ظاهر ان القتل الذي اوقعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم باهل النفاق والشقاق المقتولين بالاستحقاق انما كان للعداوة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن قتله وطلب اخذ الثرة اي اخذ ثاره عند من قتله من العرب
وهو بكسر المثلثة الفوقية وفتح الرا المهملة والها كالعدة والها عوض عن الفا المحذوفة
من الوتر وهي تبعة وامر كان اولا انتقم منه والوتر قتل من له عنده دم فهو قتل
القاتل واما الثار بمثلثة وهمزة تخفف تبدل الفا فهو بمعناه ايضا وان كان
من مادة اخرى وقولهم يا لثارات فلان حث على طلب الدم ممن هو عنده فهو مثلثة
ومثناة ايضا والمعنى واحد فلا مغارمة بين ما في القاموس والنهاية
الاثيرية كما توهم وكم من لفظ من مادتين بمعنى مثله فلا حاجة للتطويل بمثله
وقد رايت معنى ما حررته اي هذبته من ان النبي صلى الله عليه وسلم ترك قتل
المنافقين الذين علم نفاقهم لحكمه بالظاهر تشريعا للامة ولهذه المصالح من تاليف
القلوب ودفع طعن الطاعنين ليدخل الناس في دين الله افواجا افواجا مسندا
الى مالك بن انس امام دار الهجرة رحمه الله ولهذا المعنى الذي ذكره وحرره قال صلى
الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم لمن قال دعني اضرب عنقه كما مر لا يتحدث
الناس في مجالسهم ويشيعون ان محمدا صلى الله عليه وسلم وذكره باسمه حكاية
لما يقولونه يقتل اصحابه لغرض اخر من ثرة وامر سابق لا لنفاقهم فيقصدون
بذلك افساد الناس وصدهم عنه كما كان عادة المشركين وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث اخر لم يخرجه اولئك المنافقون الذين لم اقتلهم مع العلم بنفاقهم نهاني
الله عن قتلهم لحكمة علمها وفائدة عظيمة من مصالح الدين والحديث الذي قبل هذا
في الصحيحين كما علم مما مر وهذا المذكور من عدم القتل بالنفاق المظهر بخلاف
اجرا الاحكام الظاهرة عليهم اي المنافقين او الناس من بيانيه لما تعدها حد ود
الزنا جميعها لتعدد من زنا او تعددها برجم وجلد وتغريب والزنا بالمد وتخفيف
بمعنى وهما لغتان وقيل الممدود فعل اثنين والمقصور من واحد وفعله
حقيقة في الرجل لانه فعل صدر منه دون المراة قاله المعري والعصر اقبح
والقتل قصاصا ونحوه وشبهه كحد القذف وشرب الخمر والسرقة لظهورها
بالشهادة الشرعية واستوا الناس في علمها لا لخفا الامور الباطنة وقال محمد بن المواز
بفتح الميم وتشديد الواو والف وزاي معجمة وهو مشهور من ايمة المالكية
كما تقدم لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا
توضيح لما قبله فلا يرد عليه ما قيل انهم اذا اظهروه يكونون كفارا ومرتدة لا منافقا
وفيه نظر وقاله ايضا القاضي ابو الحسن بن القصار المالكي الذي تقدمت
ترجمته وقال قتادة في تفسير قوله عز وجل لئن لم ينته المنافقون من
النفاق المعروف وهو لفظ حدث في الاسلام من نافقا الضب وهي جحر
يخفيه اذا اريد صيده خرج منه وفر وقيل انه ماخوذ من النفق وهو
السرب والذين في قلوبهم مرض اي فساد حقيقة سماه مرضا استعارة
والمرجفون في المدينة من الارجاف وهو اشاعة الافترا والكذب للافترا

عرضي

واعنوا

واعنوا الاعدا لنغرينك بهم اي نامرك بقتلهم ونكالهم من الاغرا وهو الحث والتحريض
على سبيل الاستعجال ثم لا يجاورونك فيها اي لا يتيسر لهم الاقامة فيها القتلهم او طردهم
وهو عطف على لنغرينك الجواب للقسم الا قليلا اي زمانا قليلا لوقوع ما اغريناك بهم
من القتل او الاجلا ملعونين نصب على الشتم او الحال اي مطرودين ومبعدين عن رحمة
الله في الدنيا اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في موضع الاية مصدر موكد
اي سن الله في الذين خلوا من قبل ممن كان قبلكم بمنافقي الانبيا ان يقتلوا اينما وجدوا
وظفر بهم ولن تجد لسنة الله تبديلا اذ هي جارية على سنن واحد في جميع الامم قال
اي قتادة معناه اي معنى ما ذكر من الاية اذا اظهروا النفاق لانه صلى الله عليه وسلم
امر بجهاد المنافقين وهو انما يكون اذا اظهروه لانهم قبل اظهاره مسلمين دماوهم
معصومة ومعنى ثقفوا وجدوا اخذوا وتمكن منهم اذا وجدوا والذين
في قلوبهم مرض هم المنافقون والمرض ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال ونحوه
اختلال افعاله فيجوز به عن الاغراض النفسانية المانعة لكماله كالحسد وسو
العقيدة والمرجفون هم المنافقون لانهم كانوا يشيعون اخبارا تسو المومنين
كقوة عدوهم واصابة بعض سراياهم وقال ابن عباس اشاعة الكذب التماسا
للفتن وهو من الرجفان وهو الاضطراب بزلزلة ونحوها فاستعير لما ذكر وقيل
ما قاله قتادة مخالف للظاهر وانما المراد نهيهم عن اذية رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمومنين يعني ان جهادهم لا ينطبق لما مر ولذا قال الثعلبي في
تفسيره ان ابن مسعود قال جهاد المنافقين الانكار عليهم والتعبيس في وجوههم
وترك الرفق بهم وقيل انها نسخت العفو عنهم ولذا قال وحكى محمد بن مسلمة
تقدمت ترجمته في المبسوط اسم كتاب له عن زيد بن اسلم تقدم بيانه ايضا
ان معنى قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخ ما كان قبلها
اي قبل نزولها من العفو والصفح عن اذيتهم له صلى الله عليه وسلم الذي
كان قيل في قوله تعالى فاعرض عنهم وتوكل على الله فانه يحيا ولا عن قتل المنافقين
فنسخ لهذه الاية كما قاله الواحدي في سورة النسا ومجاهدة المنافقين عند
الحسن وقتادة اقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وافشا اسرارهم
ومن ذكر هذا او قال لا نسلم انها منسوخة لم يصبه لانه ممنوع للنقل وهو خطا
ونوقل تاويل الجهاد في الاية فقوله واغلظ عليهم اي شدد وعيدهم وانهم اجمعوا
على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل احدا من المنافقين الى ان توفاه
الله تعالى وقال بعض مشايخنا من الفقها المالكية وقيل من متكلمي الاشعرية
لعل القايل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قسم بعض الغنايم هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله اي لم تقع على وجه العدل بين الغزاة يعني انها
قسمة جايرة ولعل القايل له اعدل اي سو بين المسلمين في القسمة قال البرهان
الحلبي ظاهره ان قايلهما واحد وليس كذلك فكان ينبغي ان يقول وقول الاخر والاول
هو ذو الخويصرة كما في مسلم ويقال له حرقوص بضم الحا المهملة وبرا
وصاد مهملتين ايضا بينهما قاف مضمومة كما تقدم وهو ذو الثدية

ابن اقيرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

راس الخوارج وهو ذو الخويصرة التميمي وهو البايل في المسجد ولهم ثالث ايضا لم يعهم
النبي صلى الله عليه وسلم منه اي من قوله هذا الطعن عليه في قسمته اي لم يقصد
به ذمه وتنقيصه ولا التهمة له فيها اي لم يظن به سوا قال في المصباح التهمة
بسكون الهاء وفتحها الشك والريبة واصلها الواو لانها من الوهم انتهى وانما اراها
اي فهم من كلمته هذه انها صدرت من وجه الغلظة اي صدرت منه لغلظة طبعه
وعدم ادبه كما هو عادة الاعراب وفي نسخة الغلط في الراي الذي يراه جفاة
العرب كما هو راي امثالهم في امور الدنيا لحرصهم عليها والاجتهاد في مصالح اهلها
الذي يرون ان تغليط المقال يحصلها كما ينال الامر بحصل ويعدون الوقاحة
سلاحا لهم فلم يرد بذلك الكلام الذي واجهه به سبا وتنقيصا له فهو بسين مهملة
وبا موحدة مشددة وروي بشين معجمة ومثناة تحتية مشددة او خفيفة
بعدها همزة قال البرهان والاول اصوب وعلى الثاني لم يرد شيا يعتقد به
او ينقصه قيل ويبعد هذا انه تغير وجهه الشريف وقال يرحم الله اخي موسى
لقد اوذي باكثر من هذا فصبر كما تقدم فلذلك لم يعاقبه صلى الله عليه وسلم
وفي نسخ ذكر هذا البعد قوله الاتي والصبر عليه وقيل انه انما لم يعاقبه لئلا
لئلا يقول الناس انه يقتل اصحابه كما صرح به الحديث المار ولما قيل انه حقه
صلى الله عليه وسلم له العفو عنه واليه اشار بقوله وراي انه من الاذى
هو الشر القليل كما فسره به السبكي فيما ياتي الذي له العفو عنه لقلته او
لانه حقه وهو لا ينتقم لنفسه والصبر عليه تاليفا لقلوب الناس وقد عد
ابن تيمية هذا جوابا اخر في كتابه السيف المسلول وكذلك اي كما قيل في
الجواب عما ذكر يقال في اليهود اذ قالوا له في الحديث السابق السام عليكم الدعا
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه ليس فيه صريح سب يوجب عقابهم
عليه ولا دعا عليه بما لا يصح من احد بشي من الاشيا الا بما اي بما لا بد منه
اي لا يسلم منه احد من الموت الذي كتبه الله على العباد وقدره ولا بد من
لحاقه جميع البشر لان كل نفس ذايقة الموت فالسام على هذا معناه الموت فهو
معتل العين كما مر وقيل بل المراد والمعنى الذي قصدوه انكم تسامون
دينكم اي تضجرون من مشاقه فتملونه وتتركونه فهو اما دعا بهذا او
وطعن في الدين لا اعتدا اعتنا اي عن اليهود ايضا في قولكم السام عليكم
كما توهم ثم بين وجهه بحسب اللغة بقوله والسام بفتح السين والهمزة
والسامة بمد الهمزة بزنة الفناحة الملال وهي الضجر والقلق المودي
للترك فهو على هذا مهموز العين ابدلت همزته الفا لانه من سئم مهموزا
بما قيل الرواية بلا همز لاختلاف صيغتهما واوا وهمزا ليس بشي وهذا
على هذا القول دعا على سامة الدين سامة بالمد مصدرا او بدونه جمع سايم
نحو كتبة جمع كاتب ولعل هذا السب بقوله ليس فيه صريح سب له صلى
الله عليه وسلم فلذا لم يعاقب قايله ولهذا اي لاجل كونه ليس بسب
صريح ترجم البخاري في صحيحه على هذا الحديث بقوله باب بالتنوين وتركه

اذا عرض اي ذكر بطريق التعريض دون التصريح فهو مشدد الرا الذمي او غيره من المسلمين
او المستامنين من اهل الحرب بسب النبي صلى الله عليه وسلم والترجمة الباب والعنوان
في اصطلاح المصنفين واصله ذكر لفظ بلغة بلغة اخرى او ابلاغ كلام الغير لمن لم يسمعه
كما في قوله

ان الثمانين وبلغتها ۞ قد احوجت سمعي الى ترجمان

فتجوز به عما ذكر لانه اجمال يفيد ما بعده كما تقدم وقد قيل ان السام غير عربي
وهو على هذا تعريض بالنقص لا بالسب وقد تقدم ان التعريض له حكم التصريح ولذا
عقبه بقوله وقال بعض علمائنا المالكية وليس هذا اي الذي قاله اليهود بتعريض
بالسب لانه الذم بصفات النقص التي لا تليق وانما هو تعريض بالاذى اي بما يؤذي
ويولم وقال السبكي الاذى الشر الخفيف فان زاد فهو ضرر كما قاله الخطابي وغيره
انتهى لان الموت والملل من لوازم البشرية لا تنقيص لكن ذكره ممن لا يقصد به حقيقته
يؤذي ويولم قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله قد قدمنا في هذا الباب
ان الاذى والسب في حقه وصفه صلى الله عليه وسلم بشي منهما سوا في الحكم من قتل
ونحوه وقد قال القاضي ابو محمد بن نصر الذي قدمنا ترجمته مجيبا عن هذا الحديث
في قصة سلام اليهود عليه ببعض ما تقدم من الاجوبة ثم قال ابن نصر ولم يذكر في
الحديث المذكور هل كان هذا اليهودي الذي صدر عنه من اهل العهد اي ممن وقع
بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم امان وهو الهدنة كما تقدم والذمة
في امان كما تقدم او الحرب اي من المحاربين واعدا الدين الذين لا عهد ولا ذمة
لهم فينتقض عهده او يهدر دمه ولا يترك موجب الادلة الدالة على تعين
قتل من سب مطلقا للامر الذي علم من قصة هولاء اليهود المحتمل الذي لم يعلم
منه انهم معاهدون او محاربون والامر الذي فيه احتمال لا يثبت به الاستدلال
ويعارض الادلة اليقينية والاولى في الجواب عن تركه صلى الله عليه وسلم
قتل من سبه واذاه من انه لازم في ذلك كله اي توجيه ما ورد مما يخالفه كله
والاظهر من هذه الوجوه التي وجهنا ما ذكرنا مما اشكل على الايمة مقصد الاستيلا
اي لاجل انه قصد الاستيلاف لهم اي قصد تانيسهم وتاليف قلوبهم
والمداراة على الدين لعلهم اي انه باسيما التهم بالعفو عنهم يرجوا انهم يؤمنوا
به صلى الله عليه وسلم ويدخلون في دينه ولذلك اي لبيان ذلك وانه انما
فعله للمداراة لا لانه غير جائز ترجم البخاري اي جعل الامام البخاري في
صحيحه عنوان الباب الذي ذكر فيه هذا اضبنا على حديث القسمة اي الحديث الذي
ذكر فيه قسمة الغنايم وقد قال له صلى الله عليه وسلم بعض المنافقين اعدل
ما هذه قسمة اريد بها وجه الله كما تقدم والحديث الذي فيه ذكر الخوارج
كذي الخويصرة واصحابه فجعل ترجمته باب من ترك قتل الخوارج للتاليف
اي لاجل ان يولفهم ليثبتوا على الاسلام ولئلا ينفر الناس عنه اذا راوه يقتل
من اذاه وتركه قتلهم ايضا لما بكسر اللام وتخفيف الميم ذكرنا معناه عن الامام مالك
من انه تركه لئلا يرجف الناس ويتنازعوا ولئلا يجد الطاعن في الدين طريقا للطعن فيه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقبرناه قبل اي قبل هذا كما سمعته انفا وقبل مبني على الضم والخوارج جمع خارج
على خلاف القياس او خارجة بمعنى طايفة خارجة سموا بذلك لانهم خرجوا من احكام
الدين او لانهم خرجوا على علي كرم الله وجهه وقصتهم معه بعد وقعة الجمل
مشهورة وليس المراد بهم الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه حتى قتل كما ذكره الرافعي
في شرح الوجيز ولم يكن خروجهم في حياته صلى الله عليه وسلم لكن المذكورون
في حديث المسعود والثدية كان رئيسهم واشار صلى الله عليه وسلم لقصته
في هذا بهم من معجزاته في اخباره بالمغيبات وقصة الخوارج مفصلة في التواريخ
ولهم عقايد باطلة وكان المعترض على قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو ذو الثدية ولما قال ما قاله قال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنقه فقال
دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية وفيه نزل قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات
الاية وقد صبر صلى الله عليه وسلم على اعظم من السب والاذى فصبر لهم على
سحر الذي فعله اليهود كما مر وسمه اي سم المراة اليهودية له صلى الله عليه وسلم
في ذراع شاة اكل منها وقصة السحر والسم تقدمت وهي لشهرتها غنية عن البيان
وهو اي ما صبر عليه مما ذكر اعظم في الاذية له من سبه اي سب اليهود له تعريضا
كما مر حتى نصره الله عليهم واذن الله له صلى الله عليه وسلم بعد ما امره
بالعفو والصفح عنهم في قتل من عينه منهم اي ممن سبه واذاه من المنافقين
واليهود وعينه بفتح العين المهملة وتشديد اليا المثناة التحتية ونون وها
الضمير اي بين عينه وشخصه مثل كعب بن الاشرف وفي نسخة حينه بحا مهملة
مكان العين اي قتله واهلكه من الحين بفتح الحا وهو الهلاك وفي اخرى خيبه
بخا معجمة وبا موحدة مكان النون اي اظهر انه خايب خاسر في تفاخره وكلامه
في الدارين وانزلهم من صياصيهم اي اخرجهم من حصونهم وقلاعهم ومساكنهم
العالية لها وكل ما يتحصن به من الاعدا يسمى صيصية بصادين مهملتين
مكسورتين ومثناتين تحتيتين اولاهما ساكنة والثانية مفتوحة خفيفة
ويقال لقرن البقر وشوكة الديك كما قاله الراغب والذين انزلهم من حصونهم من صياصيهم
بنو قريظة كانوا عاهدوه صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
عدوا فلما تجمعت الاحزاب نقضوا العهد وكان ابن اخطب من بني النضير اتى
كعب بن اسد القرظي رئيس قريظة الذي عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما اتاه ابن اخطب قفل باب حصنه فناداه افتح فقال اذهب فانك مشوم
وقد عاهدت محمدا عهدا لا انقضه وانه يفي بعهده فلم يزل يحتال عليه حتى ادخله
حصنه ولم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى نقض عهده فلما بلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث السعدين مع جماعة لينظروا اهل
نقضوا عهدهم اولا فلما اتوهم وقالوا لهم نبذتم عهد رسول الله قالوا
من رسول الله وشاتموهم فاتوه عليه الصلاة والسلام فاخبروه
بخبرهم وانهم ظاهروا ابا سفيان فاتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام

وقال

وقال له انهض لبني قريظة فاني تركتهم في زلزال وبلبال فاتاهم وناداهم
يا اخوة القردة والخنازير كما ياتي فقالوا يا ابا القاسم ما كنت فحاشا فنزلوا على حكم
سعد بن معاذ رضي الله عنه لحلف كان بينه وبينهم فظنوا انه يلطف بهم فحكم
فيهم بقتل المقاتلة منهم وسبي الذرية وان يعطي عقارهم المهاجرين دون الانصار
لانهم لا عقار لهم اذ ذاك فقال صلى الله عليه وسلم قضيت فيهم بحكم الله فاتي
بهم سوق المدينة وضرب اعناقهم وهم قريب من تسعماية وقذف في قلوبهم الرعب
اي القى الله في قلوبهم الخوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه مما نصره الله
به فقال نصرت بالرعب وكتب اي قدر الله على من شا منهم الجلا بفتح الجيم ممدود
اي خروجهم من بلادهم واصله بمعنى الكشف الظاهر يقال جليت القوم من
منازلهم فجلوا اي ابرزتهم ونفيتهم فهو له واخرجهم من ديارهم وهم بطون بني نضير
والذين اجلاهم بنو النضير لما نقضوا العهد بهمتهم ان يلقوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم حجرا فاخبره جبريل بذلك فقام من عندهم كما مر ثم رجع لهم
وحاصرهم اياما ثم القى الله في قلوبهم الرعب فسالوه صلى الله عليه وسلم ان يجليهم
ويبيح لهم مقدار ما يحملوه معهم فاجابهم وفيهم نزلت سورة الحشر فكان
احدهم يخرب بيته بيده كما قال ويخربون بيوتهم التي سكنوها بايديهم وايدي
المومنين بهدمها وقطع اشجارها وهدم حصونهم حتى لم يبق باطراف المدينة
دار ولا ديار وهذا كله من الايات النازلة في حق اليهود حين ومن قرب منهم
وكاشفهم اي واجههم بالسب اي سب صريح تذليلا لهم وكذا باللعن الوارد
في القران والحديث تذليلا لهم ايضا فقال لهم يا اخوة القردة والخنازير
اي المشابهين لها في الخسة وقبح المنظر وان منهم من مسخ قردا وخنزيرا
كما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وحكم فيهم بالتشديد مجازا
بمعنى سلط عليهم سيوف المسلمين اي سلط المسلمين بسيوفهم على من قتل
من بني قريظة واجلاهم اي اخرجهم والجلا اخراج جماعة مع اهلهم كما علم
مما مر من جوارهم لان ارضهم كانت مجاورة للمدينة المشرفة واورثهم
اي المسلمين ارضهم من مزارعهم وحدايقهم اي ملكها لهم كما مر وديارهم
اي مساكنهم واوطانهم واموالهم اي امتعتهم ونقودهم وكل منقول لهم
لتكون كلمة الله اي دينه وامره فيما تصرف فيه هي العليا اي نافذة وكلمة
الذين كفروا السفلى اي ملغاة مهملة فكانها مرمية على الارض فان قلت
كيف تقتله رسل الله صلى الله عليه وسلم من اذاه فقد جا في الحديث الصحيح
الذي رواه البخاري وغيره عن عايشة ام المومنين رضي الله عنها انها قالت
فيه انه عليه الصلاة والسلام ما انتقم لاحد لنفسه اي لاجل حقوقه صلى
الله عليه وسلم في نفسه في شي يوتى اليه مبني للمجهول اي يا اتى اليه احد
ويفعله ويواجهه به فلم يعاقب احدا على مكروه قط الا ان يكون ما فعله
وانهى امرا تنتهك فيه حرمة الله ما يحترم ويراعى من حدوده واحكامه
اي يهان ويفعل بها ما لا يجوز وفي المصباح هتك الستر هتكا بالغ فيه وهتكه

السلطان عقوبته اي بالغ فيها والهتكة لغة فيه وانتهكت الحرمة تناولها بما لا يحل انتهى
فان وقع من احد تعدي حدود الله فينتقم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله اي لاجل الله لا لنفسه فهذا الحديث يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لا ينتقم
ممن اذاه او سبه وهو مناف لما تقدم فاعلم ايها السائل ان هذا المذكور في
الحديث من انه لا ينتقم لنفسه لا يقتضي اي لا يدل دلالة لازمة انه لا ينتقم
ممن سبه او اذاه او كذبه اي نسبه للكذب وقد تقدم منا بيانه مفصلا
واما المراد بالكذب فيه فان هذه الامور المذكورة من سبه صلى الله عليه وسلم
واذيته وتكذيبه من حرمات الله لان اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذية لله بمعنى انه لا يحبها كما ان طاعته طاعة لله ومحبته محبة لله بالنص
فهو حق مشترك بين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانتقام رسول الله
تارة رعاية لحق الله وعفوه تارة رعاية لحق نفسه وهكذا الحقوق الشرعية
منها ما هو حق العبد ومنها ما هو حق الله ومنها ما هو مشترك وهو
على قسمين ما الارجح فيه حق العبد وما الارجح فيه حق الله وربما يتساويا
ولكلٍ احكام ليس هذا محل تفصيلها فالمراد بقوله انه من حرمات الله انه
مما راعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الله دون حق نفسه
فلا يرد عليه انه مشترك كما قيل ولا يرد عليه النصوص الناهية عن اذيته
صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله التي انتقم لها ممن صدرت منه لانه
راى رعاية حق الله فيها ارجح عنده كما في قصة كعب بن الاشرف ونحوه
وانما يكون ما اي الامر الذي لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او سوء معاملة
معه لانه حقه فله العفو عنه ويبينه بقوله من القول الذي يخاطب به او الفعل
الذي يفعلونه مما يتعلق به ويكون في التفضل في نفسه وذاته الشريفة
والمال الذي يعطيه لهم من الغنايم كما تقدم في القسمة مما لم يقصد فاعله
وقايله به صلى الله عليه وسلم او بالفعل اذاه وادخل القول في الفعل
اختصارا لانه فعل اللسان لكن صدر عنه لجهل منه وغلظة طبع مما
جبلت وطبعت عليه الاعراب سكان البوادي الذين لا ادب لهم من الجفا
اي غلظة الطباع والجهل بحقوق الله وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم
وعدم معرفتهم باداب الصحبة او جبل عليه البشر كلهم من الغفلة غالبا
عليهم فان الناس قلما يخلو عنها وفي نسخة من الشفا كجبذ الاعرابي بردائه
صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بازاره والمعنى واحد وجبذ وجذب
بمعنى وقيل جبذ مقلوب من جذب وقيل الصواب رواية ردايه وهو
ما يكون على العاتق والظهر والازار ما يكون تحته في وسطه الاسفل وجذبه
يفضي لكشف العورة وصحة هذه الرواية يقتضي انه مجاز مرسل بمعنى الردا
قرينة ظاهرة عليه وقد ورد ايضا هذا المعنى في كتب اللغة وكان بردا نجرانيا
غليظا وروي انه انشق من شدة جذبه وكرفع صوت الاعرابي لاحد

ابن اقبرس

ابن اقبرس

عنده

عنده حتى ناداه او حين كان يكلمه وهو ثابت بن قيس بن شماس كان جهير الصوت كما تقدم
فلما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لزم بيته فافتقده صلى
الله عليه وسلم فقال سعد بن معاذ انا اعلم علته وهو خوفه من الله لذلك وقيل
انما هي في وفد بني تميم لما نادوه من وراء الحجرات صلى الله عليه وسلم وقيل هو
الاقرع بن حابس وقيل غير ذلك وكجحد الاعرابي اي انكاره شراه صلى الله عليه
وسلم منه اي من الاعرابي فرسه التي شهد فيها له انه اشتراها خزيمة والاعرابي
هو سواد بن قيس المحاربي كما قاله الذهبي وقال الخطيب انه سواد بن الحارث
وفي السير ان تلك الفرس فرسه صلى الله عليه وسلم البيضا واسمها المرتجز
او الظرب بفتح الظا المعجمة وكسر الرا واحد الظراب وهي الجبال الصغار سمي به
لقوته وصلابة حافره او لكبره وسمنه وهو الذي اهداه له فروة بن عمرو الجذامي
او غيره او النجيب وامضى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة وحده
وجعلها شهادتين كما مر وليس هذا قضا بعلمه لعصمته صلى الله عليه وسلم
لان قوله في الحديث من شهد له خزيمة فهو حسبه يبطله وهو من خصايصه
وخزيمة هو ابن ثابت الانصاري بن عمارة وهذا الحديث رواه البخاري وغيره
وفيه انه تبعه ليقضيه ثمنه وجعل الناس يساومونه فقال ان كنت مبتاعا فاشتر
والا بعته فقال له صلى الله عليه وسلم اوليس قد ابتعته منك فقال هلم
شاهدا فقال خزيمة انا اشهد فقال بم تشهد قال بتصديقك يا رسول الله
فجعل شهادته بشهادة رجلين وتمسك به بعض المبتدعة في قبول شهادة
من عرف صدقه مطلقا كما بينه الخطابي ورده وهو لاهم الخطابية
فرقة من الرافضة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه صلى الله عليه وسلم
وهما عايشة وحفصة او غيرهما كما تقدم والتظاهر الاتفاق على معاونة
كل منهما الاخرى بنصرة بينهما فيما يقوله وهو من الظهر لاستناد كل منهما
للاخرى وكان مكثه صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش فسقته
عسلا فاتفقتا على انه اذا جا قالت له احد منك ريح مغافير وهو بقل
او صمغ كريه الرايحة وكان صلى الله عليه وسلم لا يحب الرايحة الكريهة للغاية
للملك فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا اعود كما فصل في التفسير والسير
واشباه هذا المذكور مما يحسن الصفح عنه اي العفو واصله ان يميل صفحة
وجهه لجانب اخر فكنى به عما ذكر لانه امر يعفو عنه ولم يبينها عن تهاونه
وقصد تنقيص له وانما كان لامر اخر وقد قال بعض علمائنا اي علما المالكية
او اهل العلم مطلقا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل
مباح ولا غيره اما غيره فيجوز بفعل مباح لا يجوز للانسان فعله وان
تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى كما تقدم الكلام عليه ان الذين
يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة استدل باطلاقه
ما يوذي ولعنة فاعله في الدارين على انه كبيرة ومثل المباح بقول بعض
زوجاته له صلى الله عليه وسلم كما مر وقد كان الناس يتحرون بهداياهم

كبيل والد الجبل الاكل اصل الايام الاربعة
الاظفر ذكره هو الذي ...
والتالي الظاهر

ابن اقبرس
عوجي

يلم

يوم عائشة مرهم بالاهدا في بيت غيرها فقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في
عائشة فان الوحي ما نزل علي في لحاف امراة غيرها فلما علمن تاذيه تركن ذلك فهو
مقيد بمن لم يعلم تاذيه بالمباح وان علم فهو حرام كغيره وهو ظاهر ثم ذكر المص
هنا في بعض النسخ حديث البخاري لما اراد علي رضي الله عنه ان يتزوج بنت ابي جهل
على فاطمة الزهراء رضي الله عنها فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وذكر
ما ياتي بقوله وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة انها بضعة مني
بكسر الباء اي قطعة لحم مني اي كقطعة من بدني يؤذيني ما يؤذيها هذا ترشيح
للاستعارة لان البدن كله يتالم بما يولم بعضه وفي نسخة ما اذاها الا واني لا احرم
ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنت رسول الله وابنة عدو الله وهي بنت ابي جهل
واسمها جويرية وقيل غيره تحت رجل ابدا فلا ينبغي نكاحها على بنت
حبيب الله والحديث يدل على ان اذية غيره محرم ايضا كاذية فاطمة وكذا
اذية احد اولادها والكلام عليه مفصل في شروح البخاري وفضائل اهل
البيت رضي الله عنهم او يكون هذا المذكور وان قصد به الاذى مما اذاه به كافر
رجا صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي او مصدر منصوب وفي نسخة ورجاويا
ما فيهما بعد ذلك الذي صدر منه من الاذية اسلامه فيعفو عنه استمالة له
حتى يدخل في دين الاسلام فاذا علم ذلك جاز له صلى الله عليه وسلم العفو عنه
كعفوه عن اليهودي الذي سحره في قصته التي تقدم تفصيلها وانه لبيد بن
الاعصم فكان يرجو اسلامه وعن الاعرابي الذي اراد قتله صلى الله عليه وسلم
وهو نازل تحت شجرة في بعض اسفاره كما تقدم وتقدم انه اسلم وكعفوه عن
اليهودية التي سمته الا انه اختلف في قتلها وقد قيل انه قتلها ببشر بن البراء
الذي مات من سمها ومثل هذا المذكور مما اوذي به مما بلغه وفي نسخة يبلغه
من اذية اهل الكتاب من اليهود والمنافقين الذين جاوروه بالمدينة كابن سلول
فصفح عنهم وعفا تكرما منه رجا استئلافهم باسلامهم للاسلام واستئلاف
غيرهم اي بسبب ما يبلغه من كرمه صلى الله عليه وسلم وعفوه كما قررناه
قبل اي قبل هذا فيما سبق في هذا الكلام وبالله التوفيق هذا اتما دعا لنفسه
في ختم كلامه كما هو عادة المصنفين او هو تتمة لما قبله اي وما توفيق هؤلا
للايمان واستئلافهم الا بقدرة الله ولطفه او هما مرادان معا واعلم انه وقع
في بعض النسخ بدل قوله رجا اسلامه وجا بواو عاطفة بعدها جا وفعل ماض
من المجي فقال البرهان وتبعه بعض الشراح ان ظاهر عبارته يقتضي ان هؤلاء
الثلاثة اسلموا اما الذي سحره صلى الله عليه وسلم وهو لبيد بن الاعصم فلا
استحضر خلافا في انه لم يسلم ولم تعلم من قاله الا ما هنا واما الاعرابي الذي
اراد قتله صلى الله عليه وسلم فهو غورث بن الحارث ولم يذكره احد في الصحابة
وقد قيل انه دعثور وتقدم ما فيه واما اليهودية التي سمته صلى الله عليه
وسلم فهي زينب بنت الحارث ولم يذكرها احد في الصحابة وذكر شيخي الحافظ
ابو جعفر الانصاري ان معمر بن راشد قال في جامعه عن الزهري انه قال انها

اسلمت

اسلمت فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معمر كذا قال الزهري والناس
يقولون انه قتلها وانها لم تسلم لكن رايت في بعض النسخ رجا بعد ذلك اسلامه بالراء
وهو الصواب والتي فيها جا تصحيف انتهى

فصل قال القاضي ابو الفضل

عياض المص رحمه الله تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه اي في حكمه واذيته
والاحتجاج لاهانته والازرا به بتنقيصه وغمصه بغين معجمة مفتوحة وسكون الميم
وصاد مهملة يليه ضميره صلى الله عليه وسلم والازرا افتعال من ازرى به اذا
احتقره وعابه فابدلت تاؤه دالا لمجاورتها الزاي المعجمة كما بين في علم التصريف
وقيل الازرا العيب لغة قليلة واكثر اهل اللغة فسروه بالعيب مطلقا باي وجه كان
وباي طريق وقع في حقه من ممكن وجوده او محال ممتنع عادة او عقلا وشرعا
والاول كبعض العوارض البشرية والثاني كنسبة الكذب ونحوه مما يمتنع شرعا
بدلالة المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم فهذا المذكور وجه بين مما قدمه
ولا اشكال فيه ولا في حكمه من قتل متعاطيه الوجه الثاني في امور تتعلق بما
هو فيه لاحق به اي بما في الوجه الاول لكونه قريبا منه لما الحقه له
في البيان اي الظهور والجلا بكسر الجيم وفتحها اي الوضوح وهو ان يكون القايل لما
قال مما فيه نقص مما في جهته عليه الصلاة والسلام اراد في حقه وعبر بالجهة
اشارة لنزاهته عن الاتصال به فلفظه ذم غير قاصد بما قاله للسب والازرا الا
والاستخفاف ولا معتقد له ولم يحبه ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم
بكلمة الكفر التي يكفر بها من لعنه او سبه او تكذيبه في شي مما جا به او اضافة ما لا
يجوز عليه من نحو ما ذكر او نفي ما يجب له على امته من حقوقه وذلك كله مما هو
في حقه صلى الله عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة وقد
عصمه الله عنها وعن سائر النقايص او مداهنة اي مداراة للكفار في تبليغ
الرسالة او مداهنة للناس وهو في حكم بين الناس او يغض بغين وضاد مشددة
معجمتين اي ينقص نقصا قليلا من مرتبته اي شرف مقامه صلى الله عليه وسلم
او يغض ويطعن في شي من شرف نسبه وهو كما قيل

لنسب كان عليه من شمس الضحى ... نورا ومن فلق الصباح عمودا

او يغض من وفور علمه اي كثرته وزيادته او من زهده في الدنيا وامورها
او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه
بحيث يحصل اليقين بها فيتكلم بخلافها عن قصد لرد خبره صلى الله عليه وسلم
المتواتر قال ابن حجر وقوله وتواتر الخبر بها عنه اي لفظا وهو موجود خلافا
لمن زعم نفيه او معنى ولا نظر في ذلك خلافا لمن زعمه او ياتي بسفه اي خفة
عقل وسوء ادب من القول او قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته اي في حقه
صلى الله عليه وسلم او انه ظهر لمن سمعه بدليل ظاهر حاله انه لم يعتمد اي لم
يقصد ذمه بما قاله ولم يقصد سبه ولما كان مخالفة الظاهر غير ظاهر قال

نتقاص

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اما الجهالة اي لشدة جهل قايله جهلته جهالته لما صدر منه مما لا يعرفه لغرب عهده
بالاسلام ونحوه او لضجر اي قلق وضيق صدر حمله على مقالته او سكر اضطره اليه وغيبة
عقل فلا يعرف هذيانه او قلة مراقبة لله لكونه من اهل الخلاعة والمجون المعتاد
لهذا اللسان وعدم ضبط لسانه اذا تكلم يجري على عادته به وسبقه لسانه بلا قاله
وعجرفة اي مجازفة وتكلم من غير تامل كما نشاهده من كثير من الجهلة وتهور
في كلامه التهور الخروج عن الاعتدال بحدة تعتصده ونحوه وكل شيء له مراتب
ثلاثة المحمود اوسطها التهور لا الاعتدال وما انقص منه تفريط وما زاد تهور
وامثله تقدم التباحث فيها وينفع فحكم هذا الوجه الذي يلزم شرعا حكم
الوجه الاول وحكمه كما تقدم القتل دون اي غير تلعثم بمثناة في اوله ولام
مفتوحتين وعين مهملة ساكنة ومثلثة مضمومة وميم اي توقف وتردد
في وجوب قتله شرعا يقال تلعثم في الامر اذا مكث وتراخى وقد يقال
تلعذم بدال معجمة بدلا او اصلا اي تبادر له بلا تامل فيه اذ لا يعذر
احد في الكفر بالجهالة فانه يجب عليه علم امور دينه وتعلمها ولا يعذر ايضا
بدعوى زلل اللسان وخطئه في مقاله ولا يعذر بشيء مما ذكر من الضجر
والتهور والسكر ونحوه مما سمعته انفا اذا كان عقله في فطرته اي ابتدا
خلقته وجبلته التي ولد عليها سليما من الافات وعنده من العلم ما يمنعه
من الوقوع في الكفر فلذا لم يعذر الا من اكره على الكفر فنطق به وقلبه مطمئن
بالايمان اي قادر عليه قهرا غير منقاد مصدق يقينا من غير ريبة فيه
وتردد والاكراه حمل الغير على ما لا يريد وهو ملجئ وغير ملجئ والكلام
عليه مفصل في كتب الفقه والاصول فاذا تكلم بكلمة كفر مكرها لم يكفر
وهذه رخصة من الله من بها على عباده المؤمنين وقوله اذ لا يعذر
بالجهالة مقيد بمن نشا مسلما في دار الاسلام فلو كان قريب عهد به او
نشا ببادية لم يخالط غيره عذر لانه يخفى عليه علم ذلك ولذا قال ابن حجر
بعد سياق كلام المص وما ذكره ظاهر موافق لقواعد مذهبنا اذ المدار
في الحكم بالكفر على الظواهر ولا نظر للمقصود والنيات ولا نظر لقراين حاله
نعم يعذر مدعي الجهل ان عذر لقرب عهده بالاسلام او بعده عن
العلما كما يعلم من كلام الروضة انتهى واقحم لفظ دعوى في قوله دعوى
زلل اللسان لان مراده انه اذا تكلم بذلك وشهد ظاهر حاله على فضله
ثم قال انما قلته زللا لا يقبل منه قوله فلا يرد عليه ان الله رفع عن
هذه الامة الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه كما في الاية والحديث
الصحيح وكذا يعتقد انكار ما تواتر بانه يكون مما يعلم من ضرورة من
الدين كانكار وجوب الصلاة بخلاف ما لو جحد احد حديثا وجاه صلى
الله عليه وسلم ونحوه وبهذا افتى من العلما المالكية الاندلسيون
نسبة الى الاندلس بفتح الهمزة والدال وضمهما اقليم معروف نفتيهم
ببيانه على ابن حاتم مقصور لا فتي وتقدم بيان حاله في بقيه الزهد

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فافتوا بقتله وايده الذي قدمنا في هذا الباب
وقال محمد بن سحنون تقدم بيانه وبيان ابيه ايضا في الماسور الذي اسره الكفار بدار
الحرب يسب النبي صلى الله عليه وسلم في حال اسره في ايدي العدو والكفار اي في
دارهم ونص فهم يقبل هذا القول ابن سحنون ولا يعذر بكونه اسيرا الا ان يعلم تنصره
بتوثق وشاهد ممثلة اي انه ارتد ودخل في دين النصارى او اكراهه اي يعلم انهم اكرهوه
على السب فيقوله يقتل اي من غير ان يستتاب فان ارتد ثم سبه لا يقتل الا انه بل
يستتاب فان تاب ترك والا قتل وكذا لو علم اكراهه لم يقتل ايضا فان لم يعلم ذلك
وقال كنت مكرها ففيه خلاف تنبيه قال البرهان رحمه الله في قوله الا ان يعلم
تنصره الى هذا الكلام ينبغي ان يسال عنه المالكية وينص عليه ليسال وهو مما لا خفا فيه
وسببه انه وقع عنده بنصره بالبا الموحدة فظن ان معناه يعرف بالنصارى فلا يخوض
حوله الحي المنيع بامر شنيع وانما هو بالنون فانه عند المالكية ان الاسير اذا ارتد ثم
وقف ثم رجع للاسلام فهو في حكم المرتد كما يجيء ولو قيل انما مراده ان تفصيل هذه
المسئلة لم يحضره وحسن الظن به كان الينفى الا ان يقال انه له رواية فيه وهو بعيد
وعن ابي محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة الامام المالكي المشهور لا يعذر احد بدعوى
زلل اللسان بكلمة نطق بها كما تقدم بيانه انفا في مثل هذا اي في قذف النبي صلى
الله عليه وسلم وقد يعذر في غيره وقال ابن حجر بعد ما مر عنه ولا يعذر ايضا فيما
يظهر بدعوى سبق اللسان بالنسبة لدرء القتل عنه وان لم يعذر فيه بالنسبة
لوقوع طلاقه وعتقه والفرق ان ذلك حق الله تعالى وهو مبني على المسامحة
بخلاف هذين وافتى ابو الحسن القابسي تقدم بيانه فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
في سكره وغيبة عقله بانه يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في حال
صحوه الصحو عبارة عن حضور العقل وعدم غيبته بسكر وغيره وصحو السما
خلوها من الغيم المانع لظهور الشمس والكواكب وهذا مثله لستر السكر بالابخرة
المتصاعدة للدماغ بانارة الحرارة لها عقله والمرء اذا سكر غاب ولا يستر ما يضمره
ويخفيه عن غيره من خير او شر كما قيل

الراح كالريح ان مرت على عطر ... طابت وتخبث ان مرت على الجيف

والى هذا اشار المص بقوله وايضا فانه حد لا يسقطه السكر لانه متعد بسببه فلا
يعذر به كالقتل والقذف وسائر الحدود لا تسقط بالسكر كما هو مقرر في الفروع
لانه ادخله على نفسه اي هو الذي شرب باختياره فسكر سكرا اوجبه فلا يعذر
كمن اعمى عليه او جن فهذا لانه لم يصبه ذلك باختياره فيؤاخذ به لان من شرب
الخمر على علم اي متيقن ذلك حتى كانه مشتمل عليه وفيه استعارة تبعية كقوله
تعالى على هدى من ربهم وان عقله بسبب سكره بها اي بالخمر فالهام موتة سماعا وابا
ما ينكر منه من الافعال القبيحة فهو كالعامد القاصد لفعله بعد سكره لتعمده
الشرب الذي يعلم انه سببه وتعمد السبب كتعمد مسببه لما يكون بسببه من
كل جناية وامر منكر فلذا يؤاخذ به شرعا وعلى هذا اي ولاجل هذا المذكور
او على هذا القول الزمناه الطلاق فيقع طلاق السكران والعتاق اي عتقه في سكره

والقصاص اذا قتل في سكره والزمناه تشابه الحدود كحد القذف والزنا والسرقة قيل عليه
ان قالهم ان غير الحدود ساقط عنه كذلك فانه مؤاخذ بجميع اقواله وافعاله
وليس كما قال فان بعض تصرفاته غير صحيحة ولا يلزم من مؤاخذته ان يكون مكلفا
وان نقل عن الشافعي فيه خلاف فان الصحيح كما قرره ابن الحاجب في اصوله انه غير
مكلف ولا يرد على قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى انه مكلف بالصلاة وقد نهى
عنها فان نهيه انما هو عن سكره وهو امر بازالة ما يمنعه منها كما لو امر من عليه
نجاسة او حدث بها لاستلزامه ازالة مانعها بنحو قوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون
وهذا ليس خطاب تكليف وانما هو خطاب وضع كما قاله ابن الحاجب فلا اشكال فيه
اصلا ولا حاجة لما قيل عليه ولا يعترض على هذا المذكور من ان السكران يؤاخذ
بما صدر به عنه حال سكره لتعديه بتعاطي سببه بما رواه البخاري ومسلم
وغيرهما من حديث حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيد الشهداء
وقوله اي حمزة رضي الله عنه وهو سكران للنبي صلى الله عليه وسلم وقد جلس شرب
وعنده دار ناقتي لعلي يريد ان يحمل عليهما اذخرا لحاجة له وعنده قينة تغنيه
الا يا حمز للشرف النواء فخرج ونحرهما وجب سنامهما وبا كلوا على شرابهم فاخبر
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فجاءه فلما راه حمزة رضي الله عنه
صعد نظره اليه وقال له هل انتم معاشر قريش الا عبيد لابي فقال ما لكم يحل لي
وهذا فيه ما ينكر في حق النبي صلى الله عليه وسلم قال فعرف النبي صلى الله عليه
وسلم انه اي حمزة ثمل بفتح الثاء المثلثة وميم مكسورة قبل لام اي سكران
زائل العقل وله افعل ما فعل وقال ما قال فانصرف صلى الله عليه وسلم
عنه ولم يؤاخذه بما قاله في سكره وهذا لا ينافي ما قدمه لان الخمر كانت
حينئذ اي حين اذ شربها حمزة غير محرمة على المسلمين حتى نزلت الاية فيهما
فلم يكن في جناياتها اي فيما يجنيه شاربها اثم لعدم تعديه بتعاطي سبب
محرم وكان حكم ما يحدث عنها اي عن شربها والسكر منها معفوا عنه لحل
سببه كما يحدث من بعض الجنايات الحادثة من النوم اي بسبب النوم
وشرب الدواء المزيل للعقل وما يحدث عنه من الجنايات المامون اي الذي
يامن شاربه من ضرره وازالة عقله اذا ازال عقله من غير علم بانه يزيله
فانه اذا ازاله فوقع منه امر من الامور لم يترتب عليه لم يكلف بالنهي عنه
بخطاب الوضع فلا فرق بينه وبين النائم في انه غير مكلف بضمان وجناية اصلا
وقيد بالمامون لان ما يعلم ضرره لا يجوز تناوله فان غاب به عقله فحكمه
حكم السكران وقد قيل عليه ان كلامه يقتضي ان علة عدم المؤاخذة
كونه غير محرم ودون غيبوبة العقل الذي هو مناط التكليف وكونه من
خطاب الوضع لا بد له من دليل وهو كلام لا طائل تحته كما يعرفه من
له ادنى تامل وما قيل من ان الخمر وان لم تحرم حينئذ فالسكر حرام
فقد قيل انه لم يصح نقله وان اشتهر فيه تامل وكون حمزة رضي الله عنه
ضمن لعلي ثمن ناقتيه او لم يضمن لا يهمنا هنا والقصة مفصلة في

الشرح

الشرح

فصل الوجه الثالث

فيما وقع من سبه صلى الله عليه وسلم او اذيته وتنقيصه ان يقصد احد من
الناس الى تكذيبه صلى الله عليه وسلم اي يتعمد نسبته الى الكذب فيما قاله له
وقصد يتعدى بنفسه وباللام والى كما في القاموس او يقصد تكذيبه فيما
اتى به اي فيما اوحي اليه وامر بتبليغه للناس او ينفي نبوته اي يقول انه صلى الله
عليه وسلم ليس بنبي او ينفي رسالته بان يقول ليس برسول من الله او وجوده
في زمن من الازمنة او يكفر به سواء انتقل بقوله ذلك الذي كفر به الى دين اخر بان
تهود او تنصر غير ملته ام لا اي لم ينتقل لملة اخرى فهذا كافر باجماع المسلمين
واصحاب المذاهب يجب قتله من غير خلاف وانما الكلام في توبته فلذا قال ثم
ينظر في حاله او مقاله فان كان مصرحا بذلك الامر الذي كفر به كان حكمه الجاري عليه
شرعا اشبه بحكم المرتد وانما جعله اشبه بالمرتد لانه لم يتعين امره وقوي الخلاف
في استتابته اي في انه هل يستتاب وتقبل توبته ام لا كما تقدم وعلى القول الاخر
القائل بانه يستتاب لا يسقط القتل عنه توبته لانه حد لا يسقط بالتوبة
كالقذف والسرقة لكنه يثبت له حكم المسلمين في ميراثه ودفنه في مقابر المسلمين
لحق النبي صلى الله عليه وسلم لان حق العبد لا يسقط بالتوبة وانما يسقط بها
حق الله ان كان ذكره بتنقيصه اي بنسبته لامر فيه نقص له صلى الله عليه وسلم
وهو اكمل الخلق واعظمهم فيما قاله هذا المذكور من كذب او غيره مما نسب
له وان كان مستترا بذلك اي بما قاله من تنقيصه اي مخفيا لما قاله فهو افتعال
من الستر وفي نسخة مستسرا افتعال من السر والاسرار المقابل للاعلان كما هو
مقابل هنا للتصريح في كلامه ومن فسره بالسرور اي ذا سرور فقد حرف واخطا
فحكمه حكم الزنديق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر بخلاف المرتد لا يسقط قتله
التوبة عندنا اي في مذهب مالك رحمه الله كما سنبينه ونوضحه تفصيلا
لاحكامه فهذا مذهب مالك وفيه خلاف لغيره مفصل في كتب الفقه وقال
ابو حنيفة واصحابه كالامام محمد وابي يوسف وغيرهما من برئ بريئة علم
مهموز من التبري اي من تبرا من محمد صلى الله عليه وسلم بان قال انا بريء
منه اي تارك له ولدينه غير معترف به ولا متبع ولا ممتثل لامره ونهيه
او كذبه اي قال انه كاذب فيما ادعاه وفي نسخ او كذب به فهو مرتد عن دينه
بمقالته هذه حلال الدم اي دمه هدر حلال اراقته وهو عبارة عن لزوم
قتله شرعا الا ان يرجع عما قاله فيتوب ويعترف بخلاف ما كان قاله اولا
فهو عنده حكمه حكم المرتد فتقبل توبته لقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف والحديث اذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها واحكام
المرتد عندنا مفصلة في كتب الفقه غنية عن البيان وقال ابن القاسم عبد
الرحمن المصري الامام المشهور صاحب مالك في المسلم اي في حق الرجل المسلم
اذا قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي او لم يرسل من الله للناس كافة

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يتول عليه فزاد وحي من الله وانما هو نبي تقوله اي شيء وامر افتراه على الله وهو صلى
الله عليه وسلم حماه الله مما ينطق عن الهوى وقد اتى بملته البيضاء النقية فمن قال
مثل هذا يستحق ان يقتل ويلعن في الدارين قال اي ابن القاسم ومن كفر برسول الله بانكار
نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين بان انكر وجوده كما تقدم
واما الكفار فحكمهم سيأتي وقيد بهذا لقوله فهو في احكامه بمنزلة المرتد يقتل ان لم يتب
وكذلك الحكم فيمن اعلن بتكذيبه اي اظهره جهرا فهو كالمرتد يستتاب اي تقبل توبته
فان لم يتب قتل وكذلك قال ابن القاسم فيمن تنبأ وزعم انه نبي يوحى اليه اي
يقتل ان لم يتب ومحل ذلك اذا زعم انه يوحى اليه بنزول الملك عليه والا فالذي
ينبغي انه لا يكفر كما قاله ابن حجر وقاله اي ذهب الى مثله من ائمة المالكية سحنون
تقدم بيانه وان المشهور فيه ضم اوله وقد قيل الفاء تفتح وتكسر فهو ممنوع فعلول
او فعلول من السحنة وهي بشرة الوجه ولونه وهيأته وانه ممنوع من الصرف
للعلمية وشبه العجمة كما قاله ابو العلا المعري في شرح ديوان البحتري وقال
ابن القاسم فيمن تنبأ انه كالمرتد سواء كان يدعو الى ذلك اي الى متابعة نبوته
سرا كان او جهرا كمسيلمة لعنة الله وقال اصبغ بن الفرج هو اي من زعم
انه نبي يوحى اليه كالمرتد في احكامه لانه قد كفر بكتاب الله لانه كذبه صلى الله
عليه وسلم في قوله انه خاتم النبيين ولا نبي بعده مع الفرية على الله بكسر الفاء
اي الكذب عليه بقوله ان الله اوحى الي وارسلني وقال اشهب في حق يهودي تنبأ
اي زعم انه نبي وزعم انه ارسل من الله الى الناس ليبلغهم عن الله او قال وزعم
ان بعد نبيكم نبي سيأتي من الله ببعثه فقال انه يستتاب كالمرتد ان كان
معلنا بذلك اي مظهرا له لا اذا اخفاه فان تاب ورجع عما قاله والا قتل
ان لم يتب وذلك اي قتله لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله الذي
نقله عنه الثقات لا نبي بعدي اي لا يتنبأ احد بعد نبوتي ومفتر متعمد للكذب
فيما زعم على الله في دعواه الرسالة والنبوة لانه يقول ان الله اوحى اليه فدخل
في ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا الحديث رواه البخاري وقد قال
صلى الله عليه وسلم لعلي لما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك وقال له
اتتركني في النساء والصبيان اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا
انه لا نبي بعدي واما عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فلم يتنبأ بعده
وانما يجيء تابعا له صلى الله عليه وسلم مؤيدا لدينه كما شرعه في اخر الزمان
اربعين سنة فان قلت ما تقول في قول الغزالي في كتاب الانتصار ان بعضهم اول
قوله خاتم النبيين بان معناه خاتم اولي العزم منهم ويكفي نقل القرطبي له قلت
قال الغزالي في الجواب عنه ان كتابه هذا عقده لبيان اقوال الملحدين فذكره هذا للتنبيه
على فساده وانه مما لا يلتفت له نعم تركه اولى من ذكره فان تعبيره بالنبيين دون
المرسلين مناف له وقال محمد بن سحنون تقدم بيانه من شك في حرف مما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم عن الله اي في شيء مما اوحي به اليه وعبر بالحرف مبالغة
فهو كافر جاحد لشكه في الوحي المتواتر والجحد الانكار لما يعلمه عنادا او تعنتا

ولا

ولا يرد على هذا ما تقدم انكر البسملة في اول السورة فانه لا يكفر فيها لانهما والمراد انكار ما لم
يختلف فيه واما ما ينقل عن ابن مسعود رضي الله عنه من ان المعوذتين ليستا من القرآن
فهو غير صحيح بالاتفاق وانما غلطوا فيه لعدم كتابتهما في مصحفه اعتمادا على شهرتهما
فان قلت فهل هناك جواب على تقدير الصحة قلت الجواب عنه انه لم يسبق الاجماع
عند انكاره على كونهما قرآنا واما الآن فقد استقر وصارت قرآنيتهما معلومة من
الدين بالضرورة فكفر نافيهما عامدا كان او مخالطا للمسلمين وسيأتي في اخر الكتاب عن
محمد بن سحنون هذا فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله ان يضرب عنقه الا ان
يتوب مع الكلام عليه بالبسط مما هنا وقال ابن سحنون من كذب النبي صلى الله عليه
وسلم اي نسبه للكذب او انكر شيئا مما جاء به كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن
ابي سليمان صاحب سحنون الذي تقدمت ترجمته من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لونه اسود قتل لكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولون السواد يزري
فيه تحقير واهانة له ايضا اذ لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اسود وانما كان
ازهر اللون مشربا بحمرة كما تقدم في حديث الحلية الطويل وقال بعض المتاخرين كلامه
يوهم ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد
من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك كما في مسئلتنا هذه لان الاسود لون ممقوت انتهى
وقد علمت انه لا فرق لان اثبات صفة له صلى الله عليه وسلم غير صفته لا تكون الا
مشعرة بنقص لان صفاته لا يتصور اكمل منها بل ما اثبته له غيرها كان نقصا بالنسبة
لها فالاعتراض حينئذ ليس في محله وقال نحوه اي مثل هذا ابو عثمان الحداد كان
اولا مالكيا ثم صار شافعيا وهذا لقبه واسمه سعيد قال لو قال احد انه صلى الله
عليه وسلم مات قبل ان يلتحي صغيرا او انه كان مقره ومسكنه بتاهرت البارحة
بعدها مثناة فوقية مفتوحة والف وها مضمومة او مفتوحة ورا مهملة ساكنة
وتا مثناة فوقية اخرى وهو اسم قلعة او مدينة بنواحي تلمسان منها بكر بن حماد
التاهرتي وهي بالمغرب نسبها قوم من العرب نزلوها كما ذكره المسعودي في اخبار
الزمان وقيل انها نهاية العمور من العرب وقال انه صلى الله عليه وسلم
لم يكن بتهامة نكبر لتهامة اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز وقال ابن فارس
انها ماخوذة من التهم بفتح التاء والها وهو الحرور وركود الريح او بمعنى التغير
من تهم الدهن اذا تغير ريحه سميت بذلك لتغير هوائها قتل من قال انه
صلى الله عليه وسلم مات قبل ان يلتحي او لم يكن بتهامة من الحجاز لان
هذا المذكور وان لم يتعين انه سب لكن هو نفي لوجود النبي صلى الله عليه
وسلم لنفيه صفته المعروفة قال ابن حجر وما قاله متجه لكن محله كما يعلم
من اخر كلامه فيمن طالت صحبته للمسلمين حتى ظن به علم ذلك وبه يعلم رد
ما نقله العز بن عبد السلام عن ابي حنيفة وقرره من ان من قال اومن
بالنبي واشك في انه المدفون بالمدينة او الذي بمكة لا يكفر لانه وان
كان معلوما بالضرورة الا انه ليس من الدين لانا لم نتعبد به فيكون كجاحد
بجاحد بغداد ومصر انتهى ووجه رده ان الشك في ذلك من المخالط للمسلمين يستلزم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تضليل الامة وغير ذلك من العظايم في الدين وقال حبيب بن ربيع من ايمة المالكية تبديل
صفته المشهورة كوصفه بلون غير لونه ومواضعه التي كان مقرها بها كتهامة ومكة والمدينة
كفر قال ابن حجر وهذا يشمل انكار الحجر وكونه كان اولا بمكة واخرا بالمدينة وغير ذلك
مما يشاكله وهو متجه والمظهر لها كافر لعله اذا قصده من لم يعذر في جهله به وفيه
اي في الكفر بما ذكر الاستتابة اي انه تقبل توبته والمسر له الذي لا يظهره لغيره
زنديق اي حكمه كالزنديق يقتل دون استتابة لانه باخفائه يدل على قصده
نفي وجوده بنفي صفاته المعلومة تواترا لكل احد

فصل معقود لذكر بعض انواع ما تخف

بعده الوجه الرابع من اقسام هذه المسالة ان ياتي من تكلم به من الكلام
مجمل اسم مفعول من الاجمال وهو في اللغة مقابل للتفصيل ومنه جملة العدد
وفي اصطلاح اهل الاصول ما لم تتضح دلالته على مراد من تكلم به وهو المراد
هنا والمناسب لقوله وان ياتي بلفظ من القول مشكل وفي نسخة او بلفظ من القول
مشكل والمشكل في الاصل ما له اشكال اي اشباه ونظاير وهو ايضا ما لا يظهر
معناه قال الراغب المشاكلة في الهيئة والصورة والند في الجنسية والشبه في
الكيفية والشيء اذا كان له اشكال يلتبس فالمراد ما فيه التباس لغيره يمكن
حمله بما يفهم منه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غيره ممن يمكن حمله
عليه او يتردد اي يشك في المراد به ما قصده المتكلم به من سلامته من الكفر
او سلامته من شره الذي لا يليق به صلى الله عليه وسلم وهو معطوف على
سلامته فهاهنا اي في المقام الذي يورد فيه ما يحتمل قصده وعدمه متردد
النظر بزنة المفعول اسم مكان اي محل التردد في حكمه اي نظر الحاكم فيه وحيرة
العبر بزنة عنب بعين مهملة وموحدة جمع عبرة وهو ما يعتبر ليستدل
به على غيره ومظنة بكسر الظا المشالة اي محل الظن الذي يظن فيه امر اقتضى
اختلاف المجتهدين في حكمه لاحتماله انه في حقه فيجري عليه حكمه لنقصه
او في حق غيره فلا يكون مقتضيا القتل فايله فهو محل تامل ونظر ووقفه
معطوف على متردد استبرا بالمد اي طلب براة المقلدين لهولاء المجتهدين
يعني ان المجتهدين تعلو قدر النظر في استخراج حكمه ويتحيرون فيه لاشكاله
عليهم والمقلد لهم يقف حتى يعلم حال من قلده فيتبعه ويتبرا من عهدته
ليهلك من هلك عن بينة اي ليكون من حكم بكفره بمقالته وقتله بعد ذلك
واضح لان اراقة الدما لا يجازف فيها ويحيى من حيي امثله حيى فادغم
عن بينة اي يكون نجاة من لم يقتل بدليل ظاهر لانه لا ينبغي المسامحة
فيما يتعلق بمقام النبوة وحمايتها من طعن الطاعنين فيه وهو اقتباس
لبيان علة التردد والتوقف في الامور المشكلة فمنهم اي من المجتهدين
في مثل هذا من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم اي احترامه وصيانته
وحمى حمى عرضه اي صان عرضه وحمى الاول ماض كرمي والثاني بكسر الحا

اسم

اسم وهو ما يجب حمايته ورعايته والعرض كل ما يلزم رعايته من الصفات ويلوم صدده
ويكون بمعنى الجانب والذات ايضا وفيه كلام لاهل اللغة طويل لا حاجة لنا به هنا اي
منع ان يهجم احد على مقام النبوة ولو بالاحتمال فان من حام حول الحمى يوشك ان
يقع فيه فجسر اي اقدم من غير مبالاة على القتل اي الحكم بقتله وان احتمل كلامه ومنهم
من عظم حرمة الدم فلم يجسر على القتل ودرا بدال وراء مهملتين وهمزة كدفع وزنا
ومعنى الحد وهو هنا القتل بالشبهة فيما قاله لاحتمال عدم قصده لما يوجبه وهو
اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم ادرءوا الحدود بالشبهات وهو حديث ورد بمعناه
كحديث ابن ماجه ادفعوا الحدود ما استطعتم وكذا هو في الترمذي وغيره واما هذا
اللفظ بعينه ففيه كلام في تخريج احاديث الهداية لابن حجر وبين الشبهة بقوله لاحتمال
القول الصادر منه لامرين احدهما يقتضيه والاخر يمنعه فعمل بالثاني احتياطا والشبهة
على انواع ذكرت في كتب الفقه والاصول وفي بعض النسخ وقد اختلف ائمتنا يعني الفقهاء
اي المهلكات للقايل في الدنيا والاخرة لما ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
قال لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مؤمن بغير حق وقد اختلف ائمتنا يعني الفقهاء
المالكية في رجل اغضب غريمه يعني من له عليه حق طالبه به فقال له غريمه في حال
غضبه ومخاصمته له صل امر بالصلاة على محمد يريد به دفع غضبه بذكره صلى الله عليه وسلم
فقال له اي لغريمه الذي امره بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الطالب من
غريمه حقه الذي خاصمه لاجله لا صلى الله على من صلى عليه لتهوره وعدم
تدبره فقيل لسحنون اي استفتي في هذا القايل هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم صريحا في غير حال الغضب لنفيه رحمة الله وصلاته عمن صلى عليه او شتم
الملايكة الذين يصلون عليه لدخولهم في قوله من صلى عليه قال سحنون لمن ساله
لا اي ليس هو كمن شتم هولاء اذا كان هذا القايل كما بينا على ما وصفت اي ما ذكرته وحكيته
عنه وتا وصفت مفتوحة ضمير المخاطب من الغضب الذي اغضبه به غريمه لان الحد
يحمل المرء على ان يصدر عنه ما لا يرضاه لانه لم يكن مضمرا اي ناويا في سريرته الشتم
وفي نسخة الشتم لاحد مما ذكر وانما سبق لسانه له من غير فكر وقد جرت عادة
الناس انهم يتقولون عند الغضب مثل على النبي ونحوه وقال ابو اسحاق
البرقي بالموحدة المفتوحة وسكون الرا المهملة والقاف ابراهيم بن عبد
الرحمن بن عمر بن ابي الفياض وتوفي سنة خمس واربعين ومائة واصبغ بن الفرج
تقدم بيانه لا يقتل هذا القايل لانه انما شتم الناس لا النبي صلى الله عليه وسلم
ولا الملايكة لان من وان عم يخص باعتبار متعارف الناس في قصد جنسهم دون
غيرهم ممن لا يخطر بباله في عرف التخاطب وليس ثم قرينة تصرف الشتم له صلى
الله عليه وسلم ولا الى الملايكة الذين يصلون عليه كما ياتي وقد يقال ان
المتبادر من قوله من صلى عليه الامر له او نفسه اذ صلى عليه لتسكين غضبه
فكانه قال ان صليت انا او انت لدفع الغضب فلا صلى الله عليك او علي وهو
في غاية الظهور وهذا الذي اجاب به البرقي واصبغ نحو قول سحنون الذي
ذكره يعني مؤداهما واحد لانه اي سحنون في قوله اذا كان انح لم يعذره

مفتوحتين

ثقات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالعصيان نسبه في شتم النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا عذر فيه لاحد ولكنه لما احتمل
الكلام المذكور عنده اي عند سحنون في اعتقاده لشتم الناس وما يوهمه من خلافه ولم
تكن معه قرينة فيما قاله وفي حالة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة
بدخولهم تحت من ولا مقدمة اي اي متقدم على كلامه يحمل عليها كلامه اي قرينة دالة
بانه قصد النبي او الملايكة بل القرينة الحالية في خصامه تدل على ان مراده الناس
الذي خصامه وكلامه معهم كما تقول العامة اي الملايكة والحدادين غير
هؤلاء اي الملايكة ونحوهم لاجل قول الاخر وامره له صل على النبي فرد عليه بما يفيد
ان قصده بقوله لا صلى الله على من صلى عليه اي عليك او علي او على من عندك
ممن يعارضني ويريد دفع غضبي من غير استبعاد حتى منه يحمل قوله وسبه لمن يصلي
عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه فمن اي يخطر بباله عند الغضب النبي
او الملايكة وهو في غاية الظهور في عرف الناس هذا التاويل معنى قول سحنون الذي
تقدم وهو موافق بحسب المعنى لقول صاحبيه البرقي واصبغ وذهب الحارث بن مسكين
القاضي هو ابو عمرو المصري مولى مروان الثقة الحجة المحدث المالكي اخرج له اصحاب
السنن وحمل لبغداد في محنة خلق القران فحبس الى ان تولى المتوكل فاطلقه وولاه
قضا مصر فلم يزل قاضيا بها الى ان توفي في سنة مايتين وخمسين وعمره يزيد على
تسعين سنة وكذا ذهب غيره في مثل هذا القايل لا صلى الله الخ الى القتل لشموله
من ذكر من النبي والملايكة قال ابن حجر واللايق بقواعدنا الاول لان اللفظ ليس صريحا
في شتم الملايكة ولا الذات المقدسة وانما هو ظاهر في شتم نفسه ان صلى او غيره من الناس
ومع عدم التكفير يعزر التعزير البليغ وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل
قال كل صاحب فندق بضم الفا وتفتح وهو لفظ معرب معناه الخان الذي ينزله ابناء
السبيل والتجار والغربا والنون زايدة او اصلية وفي عباب الصاغاني فندق
جمع كالسندق وهو ايضا بلغة اهل الشام خان من هذه الخانات التي ينزلها
الناس ويكنيه اصحاب الدول من اهل الحيران فرنان بفتح اوله وزنه فعلان
او فعالة وهو دنم بمعنى الديوث وهو الذي يجمع الرجال الاجانب مع زوجته
او بعض محارمه كاخته وبنته ونحوهن وقال الزبيدي هو الذي يدخل الرجال
على امراته وقال الجوهري هو الذي لا غيرة له وهي متقاربة والقواد من يجمع
بين الرجال والنسا مطلقا جمعا حراما وكذا من يجمع بينهم وبين المرد والقرطبان
ويقال قلتبان الذي يعرف من يجتمع بزوجته وبنته وفي معناها محارمه
ونحوهن وصاحب الفندق اي الخان كل من يجمع المال سوا كان له خان ام لا ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه ليمسك ويحبس <اي صاحب كل فندق>
حتى ينظر امره ويستفهم البينة اي يبينوا لهم عما قاله عن جملة الفاظه
اي بجميعها ليفهم منه مراده وما يدل على مقصده وما اراده هل اراد
اصحاب الفنادق الان اي الموجودين في زمنه فمعلوم انه ليس فيهم نبي
مرسل الان فيكون امره اخف من ان يقصد عمومه للموجودين وغيرهم ممن
تقدمه قال القابسي ولكن ارادة الموجودين الان بعيد لان ظاهر لفظه

العموم

العموم لان لفظ كل تقتضيه منوعا لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين من الموجودين
ومن بعدهم ونوزع فيه بعض له وقد كان فيمن تقدم من الناس من الانبيا والرسل صلى الله عليه وسلم
عليهم اجمعين من اكتسب المال وقد علمت ان صاحب الفندق كناية عمن له مال كبير اكتسبه
لانه لا يبنيه ويملكه الا من هو كذلك نحو كثير لهم طويل النجاد بمعنى طويل القامة
قال القابسي ودم المسلم المعصوم لا يقدم عليه الا بامر بين فكيف بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام وكيف يتجاسر على الحكم بالقتل وما ترد اليه التاويلات اي تاويل ما يخالف الظاهر
لا بد من انعام النظر فيه وفي نسخة امعان وهما بمعنى والمراد تدقيق النظر واطالة
التدبر والتفكر يقال امعن النظر وانعمه واصله من امعن في الطريق اذا اتجه وسار
سيرا طويلا هذا معنى كلامه في هذه المسالة رواه بمعناه دون لفظه وكانه يريد بهذا
انه غير ظاهر لانه احال علمه على ارادته وهو امر لا يطلع عليه وتفصيله بين ارادة
العموم وارادة اهل زمانه فيه ما لا يخفى ولذا قال ابن حجر بعده والظاهر ان
لفظه ليس صريحا في ذم الانبيا ولا يبهم فيكون مجرد هذا اللفظ بل يعزر التعزير الشديد
وحكي عن الشيخ محمد بن ابي زيد القيرواني وقد تقدم مرارا فيمن قال لعن الله العرب
ولعن الله بني اسرايل ولعن الله بني ادم من غير تعيين لاحد منهم واسرايل لقب
يعقوب معناه عبد الله او صفوة الله وذكر انه لم يرد الانبيا منهم وقال لما انكر ذلك
عليه انما اردت الظالمين منهم دون الصالحين والانبيا والرسل منهم فقال ابن ابي زيد
انه يحكم بان عليه الادب اي التعزير والزجر لما في كلامه من الايهام بقدر اجتهاد السلطان
اي بقدر ما يؤدي اليه اجتهاده من ضرب وامر غيره دون القتل وهذا مبني على
قاعدة هي ان العام اذا ذكر من غير قرينة على الخصوص هل يصدق في قوله اردت
الخصوص فيقبل ويصدق اذا غلب على الظن انه لم يرده وفيه كلام في الاصول
ليس هذا محله وكذلك افتى ابن ابي زيد اي كما افتى في المسلة السابقة افتى
ايضا فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وهذا بظاهره يقتضي الكفر والقتل
لان الذي حرمه هو الشارع وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقال لم اعلم من
حرمه وسياتي حكمه مع ما بعده وهو قوله وافتى ابن ابي زيد فيمن لعن حديث
لا يبيع بيع حاضر معناه المقيم وهو يكون مفردا واسم جمع كالتاجر لباد وهو
من ياتي من البادية كالبدوي ولعن الحديث لا معنى له الا لعن قايله او راويه
ولعن من جابه اي بالنهي عن بيعه والذي جابه قايله اولا او راويه وهذا مما
اختلف فيه فقيل انه حرام لتغريره صاحبه فانه ياخذه منه بثمن قليل ثم يبيعه
تدريجا باكثر وقيل انه نسخ وقيل الكراهة تنزيهية ومن ذهب الى حرمته
كبعض الشافعية شرط فيه شروطا من علمه بالنهي وكون المتاع مما تعم الحاجة
اليه وان لم يكن ماكولا والمعنى في النهي بما لتضييق على الناس والحديث في الصحيحين
وغيرهما مع اختلاف في بعض الفاظه ففي رواية لا يبيع حاضر لباد وان كان اخاه
او اباه دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض انه كان يعذر بالجهل لقرب
عهده بالاسلام وقد علمت انه شرط عند القايل بحرمته وعدم معرفة السنن
جمع سنة اي الاحاديث الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم فعليه الادب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الوجيع الادب بمعنى التاديب وهو التعزير والوجيع بمعنى الموجع واسناده مجاز عقلي
وذلك انه هذا لم يقصد بظاهر حاله اي بسبب ظاهر حاله وما يظهر من كلامه وفحواه
سب الله لانه هو الذي حكم به واوجده ولا سب رسوله صلى الله عليه وسلم لانه الذي
جا به وبلغه للناس وانما لعن من حرمه من الناس اي العلما المجتهدين الذين افتوا
بحرمته لما صح عندهم من الحديث وهو على نحو فتوى سحنون واصحابه من المالكية في
المسيلة المتقدمة في قول القايل لا صلى الله على من صلى عليه كما مر اتفاقا قال ابن
حجر بعد كلام المص وهو ظاهر ولا بد من تقييد لاعن محرم المسكر بان يكون ممن
يجهل ذلك ايضا او يعذر بالجهل به بان يكون قريب عهد بالاسلام ولم يكن مخالطا
للمسلمين والا فتحريمه معلوم من الدين بالضرورة ولو كان لعنه من جا بالحديث المذكور
بعد قول احد له هذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك كان ذلك
كفرا ولا يقبل قوله ما اردته لان لفظه ظاهر في تكذيبه فليؤدب والا فليقتل
ومثل هذا المذكور في حكم هذه المسيلة ما يجري اي يتعدد ويقع في كلام سفها
الناس ممن لا تدبر عنده في امور من قول بعضهم في مخاطبته لبعض فيما يقع
في مخاصماتهم يا ابن الف خنزير واراد بالخنزير من تقدم من ابايه واجداده
بطريق الاستعارة وابن مائة كلب اي رجل خسيس دني كالكلب ويشبهه مما يصدر
عن سفهاء العوام من هجر القول بهم فيسكون معناه الفحش في المنطق والقبح
كما تقدم ومراده بالالف والمائة التكثير دون العدد فلا شك انه يدخل في مثل
هذين العددين اي الالف والمائة وفي نسخة العدد من ابايه واجداده جماعة
من الانبيا كنوح واسماعيل ويعقوب عليهم الصلاة والسلام ولعل بعض
هذا العدد المذكور وهو الالف والمائة منقطع الى ادم الظاهر انه بمعنى
منقطع منتهي قال في المصباح منقطع الشي بصيغة البنا للمفعول حيث ينتهي
اليه طرفه نحو منقطع الوادي والرمل والطريق والمنقطع بالكسر الشي نفسه
فهو اسم عين والمفتوح اسم معنى انتهى فقول بعضهم انه بمعنى متصل من
انقطع اليه ولم يركن الى غيره ومن ثم عداه بالى وليس بمعنى منفصل اذ
لو كان بمعناه لعداه بعن انه تكلف لا تساعده اللغة والحامل له عليه
ما راه من عدم صحة معناه بحسب الظاهر والصواب ما سمعته اولا فينبغي
لما ذكر من احتمال دخول بعض الانبيا فيه وان الحامل على ذلك سفاهة قايله
الزجر عنه وهو المنع بعنف ولوم وتبيين ما جهله قايله منه لئلا يعود
فيقال له انه يدخل في كلامك بعض الانبيا فتب عنه ولا تعد لمثله وشدة
الادب فيه اي تاديب قايله بلومه وتقريعه وتعزيره ولو علم بالبنا للمجهول
اي علم الحاكم انه اي القايل قصد سب من في ابايه في سلسلة نسبه من
الانبيا على علم اي علم قايله بانه فيهم انبيا فقصد دخولهم في عموم كلامه
لقتل لردته او حدا كما هو حكم ساب الانبيا واللام كالخلة في جواب لو
وحاصل ما ذكره انه لا يكفر بهذا اللفظ وان شمل جماعة من الانبيا ما لم
يعلم انه قصد سبهم وما ذكره فيه نظر لان ظاهر هذا اللفظ المبالغة

دجي

في نية المخاطب دون غيره لكن يعزر ويبالغ في تعزيره كما مر وقد يضيق القول في
نحو هذا اي يزاد في التشديد على قايله فيما لو قال احد من الناس لرجل هاشمي اي من
بني هاشم بن عبد مناف بن قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم لقب به واسمه عمرو
لهشمه خبزا او لانه كان يهشم الثريد لاطعام قومه كما فصل في السير لعن الله بني هاشم
فيعني منه لم ادخل النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته فيه دخولا اعتبار انما اريد بها
فلعن كالذي قبله ولذا اشتد على قايله وقال اردت الظالمين منهم والكفرة كابي لهب
وابي جهل ولا قرينة منه على تخصيصه بعد الاطلاق ولا قرينة تشهد له في دعوى
الخصوص ولو ظهرت القرينة ككون المخاطب من ظلمتهم درئ عنه الحد بالشبهة فلا يقال
انه مناف لما تقدم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم او من نسله
او من ولد له من فاطمة او ولده من السادة الاشراف وينبغي تخصيصه لولد من قرب
نسبه منه صلى الله عليه وسلم كالحسن والحسين والنسل ممن بعدهم فان عطف
المترادفين باو غير صحيح خلافا لابن مالك في تجويزه كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما
ووقع في بعض النسخ وولده بالواو ولا اشكال فيه على علم منه اي وهو يعلم ويتحقق
انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرينة قايمة في المسيلتين اي مسيلة
بني هاشم ومسيلة الذرية تقتضي تخصيص بعض ابايه بما ذكر من السب واخرج النبي
صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم بلفظ يخصه او نحوه من توجيه خطابه قال ابن
حجر وظاهر كلامه انه لا يقبل تخصيصه بارادة غير النبي صلى الله عليه وسلم من غير
قرينة وهو محتمل لعموم لفظه لكن الاقرب الى قواعدنا قبوله مطلقا لان اللفظ
موضع لا ينافي تلك الارادة لكن يبالغ في تعزيره وقد رايت لابي موسى عيسى بن
مناس بفتح الميم والنون المخففة والف وسين مهملة وما في بعض النسخ من كسر
ميمه لم يثبت وهو من اصحاب سحنون ومن اهل قيروان ويقال مياس بمثناة تحتية
فيمن قال لرجل يخاصمه ويشاتمه لعنك الله وآباك الى ادم انه ان ثبت عليه
ذلك القول قتل لدخول بعض الانبيا فيه كنوح عليه الصلاة والسلام وقيل
الظاهر انه يؤدب ولا يقتل لاحتمال ان يريد ان اللعنة تستمر عليه الى ان يلقى
ادم لا سيما ودخول الغاية غير متعين فتدبر وقال ابن حجر بعد كلام المص وقضية
قواعدنا خلافه لما اخذ منه من ان لفظه ليس صريحا في سب نبي لاحتماله الى ان يلقى
ادم في القيامة بل لو قال لعن الله اباه الى ادم كان عدم التكفير اقرب ايضا
ان ادعى ارادة غير الانبيا منهم لاحتمال ما ادعاه وعدم صريح يدل على خلافه
ولا يقال كلامه بيننا ولا ادم للخلاف المشهور في دخول الغاية انتهى قال القاضي
ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا من علما الغرب المالكية
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشي من الحقوق ادعي به عليه ثم قال ذلك
الشاهد له اي للمدعى عليه وقد اتهمته في شهادته تتهمني بحذف همزة الاستفهام
اي اتتهمني اي تنسب الي سوا امرا يقتضي عدم قبول شهادتي والتهمة سو
ظن كما تقدم فقال له الاخر المشهود عليه بحق الانبيا يتهمون يعني الجحود
اي ينسب لهم التهمات وهذا مقول القول فكيف انت اي انت اولى بان تتهم

ابن افترى

لبعد مقامكم عنهم وكيف استفهام انكاري استبعادي نحو كيف تكفرون بالله وكان شيخنا
الامام ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر تقدمت ترجمته يرى قتله اي يعتقد وجوبه لبشاعة
ظاهر اللفظ اي قباحته بحسب الظاهر المقتضي لانهم وقع منهم ما يقتضي سوء الظن
بهم وبشاعة بموحدة وشين معجمة وروي شناعة بمعجمة ونون وهما متقاربان
قيل وتعبيره بالمضارع في يتهمون الدال على الاستمرار التجددي هو المستبشع
ولو عبر بالماضي لم يكن فيه كبير استبشاع لانه قد وقع اتهامهم من جهلة الكفرة
الفجرة وان احتمل انه لحكاية الحال الماضية من اتهامهم بالكذب والسحر وغيره وكان
القاضي ابو محمد بن منصور اسمه عبد الله بن محمد بن منصور ومنصور جده عبد الله
ابن محمد بن منصور بن ابراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي ولد سنة ثمان وخمسين
واربعمائة وتوفي في شعبان سنة ثلاث عشر وخمسمائة وهو امام محدث مالكي
المذهب يتوقف اي تردد عن القتل فلا يقدم على الحكم به لاحتمال اللفظ المذكور عنده
ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار الذين اتهموهم بما لا يليق بهم كمن كذبوهم
وهذا اتهام وقع وقائله لا يعتقد ما قالوه قال ابن حجر وهذا الثاني هو الاوجه
وافتى فيها اي في هذه المسألة المتقدمة قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو
هذا الذي افتى به ابن منصور من التوقف فيه وهو محمد بن احمد بن خلف بن ابراهيم
التجيبي المالكي العلامة المحدث الشهيد ولد سنة ثمان وخمسين واربعمائة
وقتل وهو ساجد بجامع قرطبة قتله رجل مجنون يقال ضربه بسكين في خاصرته
فقتله ودفنه في الموضع الذي قتله فيه العامة سادس عشرين من شهر رمضان
ودفن بعد العصر في مشهد عظيم وليس ابن الحاج هذا صاحب المدخل وشدد القاضي
ابو محمد بن منصور المذكور انفا تصفيده اي جعله في صفد وهو القيد يقال اصفدته
وصفدته بالتشديد اذا قيدته واصفده اذا اعطاه ففرق بين المعنيين وقيل
الصفد في العطية مأخوذ من القيد كما قيل ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفيه
كلام فصلناه في حواشي البيضاوي واطال سجنه بفتح السين مصدر ويجوز
كسرها لتقييد بمدة سجنه ثم استحلفه بعد بالضم اي بعد تصفيده وسجنه
حلفه يمينا على تكذيب ما شهد به عليه اي امره ان يحلف على انه ما قال ما نسب
اليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه ضعف ورهن العقود منه وهن
اي ضعف فحلفه وهذا احتياط في حق النبوة والا فلو نقله اخبارا عما وقع من
الكفرة من غير اعتقاد لما قالوه وهو امر واقع يكفي في عدم استحقاقه للقتل
ثم اطلقه لحكمه ببراءته مما نسب اليه وشاهدت شيخنا اي عاينت وانا حاضر
عنده ابا عبد الله الامام محمد بن عيسى بن حسن التميمي ولد سنة تسع وعشرين
واربعمائة وتوفي سنة خمسين وخمسمائة صبيحة يوم السبت لعشر بقين من
جمادى الاخرة كما تقدم ايام قضائه اتي برجل ادعي عليه عنده هاتر وفي
نسخة بهاتر والهاتر الشفاهة في القول يقال لهاتر الغيان اذا تلاحيا
في القول من الهتر بفتح الهاء وكسرها وهو الباطل والسقط من الكلام
وهاتر وهتر اذا لم يبال ما صنع وما قال وقيل هو بالفتح تمزيق العرض

ابو ذري

وبالكسر

والكسر السقط من الكلام والنهاية نوع من الحمق والجهل وهو ايضا العجب والداهية رجلا
اسمه محمد والمراد انه خاصمه ثم قصد اي توجه الى كلب كان ثم بيانا منه فضربه برجله وقال له قم
يا محمد وقصد بذلك تحقير خصمه المسمى بهذا الاسم لكن لمشاركته له صلى الله عليه وسلم
في الاسم لا ينبغي ذكره لايهامه ما لا يليق فانكر ان يكون قال ذلك الذي نقل عنه وشهد عليه
باثبات ما انكره لفيف من الناس اي جماعة اجتمعوا ليشهدوا عليه بما وقع منه قال
تعالى جئنا بكم لفيفا اي مجتمعا بعضهم الى بعض من لفه اذا طواه فامر القاضي ان
يمضي به الى السجن ليحبس فيه وتقصى بفتح التاء الفوقية والقاف والصاد المهملة
المشددة قبل الف اي سأل عن حاله في دينه والتقصي هو البحث والتفتيش الشديد
كانه بلغ اقصاه قال ابو تمام يا صاحبي تقصيا نظريكما وانه هل يصحب
احدا ممن يستراب بدينه اي من الناس ريبة وشك في دينه ممن يتهم بالالحاد فان
المرء على دين خليله فان كان كذلك يعلم انه قصد بكلامه حقيقته فاكثر السؤال عنه
وعمن يخالطه فلما لم يجد ما يقوي الريبة من حاله وحال اصحابه ممن يتهم باعتقاده
ضربه بالسوط تعزيرا له وزجرا عن العود لمثله واطلقه قال ابن حجر وما دل عليه
كلامه من عدم كفره بذلك هو الصواب

فصل الوجه الخامس

من اقسام ما نحن بصدده ان لا يقصد بكلامه الذي اتى به نقصا اي ما يدل
على ام بنقصه ولا يذكر عيبا اي امرا معيبا قبيحا ولا سبا اي ما يسب به
ولكنه ينزع اي يميل ويلمح من قولهم نزع الى وطنه يقال نازعته نفسه الى كذا
اي مالت له ميلا شديدا كما قاله الراغب وغيره بذكر بعض اوصافه صلى الله عليه
وسلم او يستشهد ببعض احواله التي كانت له صلى الله عليه وسلم اي ان يأتي
بها شاهدا اي نظيرا لامر وقع له الجائزة عليه في الدنيا فيذكره به لان ما لا يجوز
عليه نقص له على طريق ضرب المثل بحاله وتمثيله به ليقاس عليه غيره او الحجة
لنفسه او لغيره ليتأسى به لقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
او على طريق التشبيه به صلى الله عليه وسلم ان التشبه بالكرام فلاح او عند
هضيمة وفي نسخة عظيمة اي واقعة عظيمة والهضيمة من الهضم واصله كما قال
الراغب شدخ ما فيه رخاوة ثم استعير للظلم والجور قال تعالى لا تخاف ظلما
ولا هضما اي مظلمة نالته اي اصابته او غضاضة لحقته اي تنقيص تنال
غض منه اذا انقصه ليس على سبيل طريق التأسي اي الاقتداء به في مثله ولا
على طريق التحقيق لانتصاف النبي صلى الله عليه وسلم به على مقصد الترفيع
اي التعظيم لنفسه ان كان ذلك وقع له او لغيره ممن وقع له او يذكره على
سبيل التمثيل به وجعله مثله فيما اتفق له وعدم التوقير لنبيه صلى الله
عليه وسلم لتشبيه نفسه به وابن الثريا وابن الثرى او على قصد الهزل
واللعب سفاهة منه والتندير بقوله بمثناة فوقية ونون ودال وراء
مهملتين اي الاتيان بامر نادر شان وقوعه فيذكره على سبيل التندر

لا التشهير والترفع وقيل معناه الاسقاط اي اسقاط حرمة مقامه وقيل انه
بشعجمة بمعني التكلم بما فيه تعنيت وتشهير وفيه نظر والظاهر انه بيا موحدة ودال
معجمة بحوه بمعني السفاهة واللغط بما لا يليق به كقول القايل ان قيل في السو
فقد قيل في النبي صلي الله عليه وسلم وفيه سوادب لا يخفي او ان كذبت اي نسبت
الي الكذب فقد كذب الانبيا وهذا فيه تسوية لنفسه بهم وان اذنبت اي وقع
مني ذنب وخطيئة فقد اذنبوا وهذا اسوادب منه فانهم عليهم الصلاة والسلام
معصومون ولو قيل بحمله علي غير الصحيح فذنوبهم حسنات بالنسبة لغيرهم
فهذا جهل من قايله او انا اسلم من السنة الناس اي من طعن السنتهم وعيبهم
ولم تسلم منهم انبيا الله ورسله فكيف بغيرهما او قد صبرت علي ما ابتليت به
كما صبر اولوا العزم من الرسل تقدم بيانهم قريبا فان الحقيق بالصبر او
اي صبرت كصبر ايوب عليه الصلاة والسلام وتقدم بيان ما صبر عليه او قد
صبر نبي الله علي عداه بكسر العين جمع عدو وحلم بزنة علم من الحلم اي عاملهم
مع ما وقع منهم بالحلم والعفو عنهم علي اكثر مما صبرت انا عليه ففي كل هذا
من ترك الادب ما لا يخفي قال ابن حجر مثل كلامه بل صريحه عدم الكفر في هذه
المسايل وهل يحرم ذلك الذي يظهر انه ان قصد به الترفع وانه شاركهم في
اصل هذه الفضايل كان حراما شديد التحريم وان قصد هضم نفسه علي
طريق المبالغة بمعني انه لا نسبة لي باتباعهم وقد وقع لهم ذلك فوقوعه لي
اولي لو لم يكن حراما وما هذا يحمل ما وقع لبعض الاكابر من استشهادهم علي ما حصل
لهم بنحو هذه الكلمات في خطبهم وغيرها نعم قوله ان اذنبت فقد اذنبوا
شديد التحريم لا يجوز الاستشهاد به بحال وقال بعض المالكية من قال ان
كان قيل في حقي او حق فلان او ان جري له كذا فقد قيل في حق الانبيا او
جري لهم حرم عليه اطلاق ذلك لان ما انتقص به بصيغة للانبيا فيؤدب
وفهم بعضهم من كلام المصنف هنا انه يكفر بذلك وليس كما فهم وليس في مذهبنا
ما يوافق القول بالتكفير لا تصريحا ولا تلويحا وليس لمن قال به دليل وتعليله
بان القصد التشبيه والانتقاص فاسد اذ لا يقصد ذلك من في قلبه اسلام
بل المراد كيف لا يتكلم في حقي مثلي وقد تكلم في الاكابر قال بعض المتاخرين بل
اطلاق التحريم في ذلك بحيث مذهبنا منظور فيه انتهى والوجه عدم التحريم
حيث كان المراد ما ذكروا طلق النهي ملخصا ثم استطرد بما وقع من هذا القبيل
لبعض الشعرا فقال وكقول المتنبي ابو الطيب احمد بن الحسين الشاعر المشهور
وشهرته تغني عن ذكره وترجمته مستوفاة في التواريخ انا في امة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود الامة اقوام في ازمان يبعث اليهم ويكون بمعني
الجماعة مطلقا ومعني تداركها الله ادركها بلطفه او باهلاكه ثمود دعا لهم او
عليهم وصالح نبي الله ثمود امته والغربة الخروج عن الاهل والوطن فالتعلل
لعدم المناسبة والالفة كما يقال الكريم غريب بين اهله وهو علي طريقة الشعرا
في الادعا قال ابن حجر وكلامه محتمل لقصده تشبيه حاله في الغربة بحال صالح

فيكون

يكون من قصد الترفع او تشبيه حال من هو فيهم بحال ثمود من المشاقة وعدم الطواعية
او فيكون مستلزما للترفع صريحا في سبهم وعلي كل هو غير كافر والبيت من قصيدة له وقيل انه
لقب بالمتنبي لهذا البيت وفيه اقوال اخر ونحوه اي نحو قول المتنبي هذا او ما في معناه
مما وقع في اشعار المتعجرفين في القول الذي يقعقع لونه والعجرفة تجاوز الحد والخروج
عنه والعجز فقد ارتكاب ما لا يليق من غير مبالاة به ويروي في الشوك بدل القول فهم
المتهورون وكاف اي الحماقة المتساهلين في الكلام يقال تساهل وتسامح اذا لم
يتدبر ويتامل ما فيه ضرر لدينه او عرضه كانه يعد الصعب سهلا كقول ابي العلا
المعري نسبة لمعرة النعمان البلدة المشهورة وهو احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي
الشاعر المشهور وهو عفا الله عنه كان اعمي من بيت علم وعراقة ومرتبة
في الذكا وسعة العلم بالعربية وغيرها وفصاحته في النظم والنثر اشهر من قفا
نبك الا انه ممن اضله الله علي علم كان متهما بالزندقة وكلامه في ديوانه لزوم
ما لا يلزم شاهد عليه لا يتردد فيه فكما اعمي الله بصره اعمي بصيرته ولولا خوف الاطالة
اوردت كثيرا من كلامه ذكرا وعزرا

كنت موسي وافته بنت شعيب ○ غير ان ليس فيكما من فقير

وهو من قصيدة له في سقط الزند اولها

انفي نعمة بقا الدهور ○ نافذ الامر في جميع الامور بشير لقوله تعالي رب
اني لما انزلت الي من خير فقير وتوفي سنة تسع واربعماية ومما ينسب ليسلي به
نفسه عن العمي

لو ابصرت عيناك هذا الوري ○ لم تر انسانك انسانا

والانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يوصفون بالفقر ولا يجوز ان يقال النبي
فقير وقولهم عنه الفقر فخري لا اصل له كما تقدم علي ان اخر هذا البيت
شديد في جرانه عند تدبره وداخل في باب الازرا والتحقير لانه لم يرض لممدوحه
ان يكون مثل نبي الله اذ مراده لولا هذا استهتك به ولتفضيل حال غيره عليه
كما يعرفه من له المام بالادب قال ابن حجر ولا يستنكر قوله هذا الدال
علي الازرا والتحقير لموسي صلي الله عليه وسلم علي نبينا وعليه فانه كان
زنديقا كافرا وقد اتي في كثير من شعره بمدايح الكفر وقد تخلص في زيادة
القبح والتصريح بالكفر في شعره ابن هاني الاندلسي كما ياتي وكذلك قوله
اي المعري الذي ليس صريحا في الكفر في قصيدة اخري

لولا انقطاع الوحي بعد محمد ○ قلنا محمد عن ابيه بديل

وهو من قصيدة له في سقط الزند مدح بها علويا اسمه محمدا اولها

ليس التجمل من دراك حلوك ○ والسير علي حلب لديه جميل

ومنع صرف محمد الثاني للضرورة وقال صدر الافاضل انه علي مذهب
الكوفيين في تجويز منع الصرف بالعلمية وحدها كقوله بفوقان مرداس في

هو مثله في الفضل الا انه ○ لم ياته برسالة جبريل

وفيه من ترك الادب ما لا يخفي فصدر البيت الثاني وهو نصفه الاول

حه

مجمع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من هذا الفضل لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم وحاشاه من
ان يرمي به من له اسلام او ذوق فانه كفر بغير لذة والعجز محتمل لانه اخف من صدر الوجهين
احدهما ان هذه الفضيلة اي اتيان جبريل له بالوحي نقصت الممدوح عن درجة
المشبه به فكانه قال لولا هذا اقلت له انه مثله والوجه الاخر استغنا وه عنها هذا
ان قصد انه مثله وان كان كذبا فانه قصد هذا فهذه اشد في كفره ومجازفته وما كان
اغناه عن مثل هذا الهذيان ابن حجر فقال وانما لم يكن كفرا لان ظاهر قوله
الا ان الممدوح نقص لفقد ذلك فان اراد انه استغنى عن ذلك فلا احتياج اليه
في المماثلة كان اقرب الى الكفر بل كفرا ونحو منه اي مثل ما ذكر قول الاخر في
الكفر واذا ما رفعت راياته خفقت بين جناحي جبرين
هو من قصيدة للاديب زيد بن عبد الرحمن بن معانا الاسيوفي المغربي من
شعرا الذخيرة قال هو من شعرا غربنا المشاهير ينبي عن ادب غزير تصرف
فيه تصرف المطبوع بين الجيد من في شفوان شبابه وابتدا حاله ثم تراجع
طبعه عند كماله وهو من قصيدة له في ابن حمودة تداولها القوالون لعذوبة
الفاظها وسلاستها واولها
البرق لايح من اندرين ذرفت عيناك بالدمع المعين
ولصوت الرعد زجر وحنين ولقلبي زفرات وانين
ومنها
ملك ذو هيبة لكنه خاشع لله رب العالمين
واذا ما رفعت راياته خفقت بين جناحي جبرين
واذا اشكل خطب معضل صدع الشك بمفتاح اليقين
والنون فيه ساكنة لانه يلزم اختلاف حركات الروي لوقوع بعضها مرفوعا
ومنصوبا ومجرورا ولولا ذلك جاز تحريكها لانه احد صور وبه وقوله خفقت
اي تحركت واضطربت وهكذا رواه ابن بسام وفي نسخة مصححة صفقت وهي
رواية اخرى حسنة وفيه انه ليس فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وما قيل
من انه فيه اجترا على ملك معظم فيه ايضا انه ان قصد الرايات رفعت
للجهاد ونصرة الدين فصحبة جبريل لها ليس فيه تحقير له وجبرين لغة في
جبريل وفيه لغات منها هذه ومن العجب ما قيل انه اذا اراد تثنية
جبريل ففيه ما لا يخفى وان اراد افراده فهو في غالب النسخ بياين انتهى
وهو خلط وخبط عجيب منه وقول الاخر من شعرا اهل العصر فر من الخلد
واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وفيه بحرقة لجعله رضوان وهو من
الملائكة الزبين كانه يهوى هذا الحوري بحيث لا يقدر على فراقه ومثله
قول ابن النبيه
ساق سها رضوان عن حفظه ففر من جملة حور الجنان
وقوله في حسن يوسف الا انه ملك
فلا يباع ببخس النقد معدود والمراد المبالغة في وصفهم بالحسن لانه

دحية

ابن الاثير

يقال لمن وصف بالحسن انه حوري وملك ومنه قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم
ولقول حسان المصيصي بصادين مخففتين مهملتين نسبة لمصيصة بلدة بالا
وقيل يجوز فيه فتح الميم وكسرها وتشديد الصاد وتخفيفها وايضا مصيصي
ثغر من الثغور الشامية قال ابن بسام في الذخيرة هو الوزير الكاتب ابو الوليد
حسان بن المصيصي رفيق الوزير بن عمار من عظما الدولة العبادية وله اشعار
بديعة اكثر قصايده في مدايح المعتمد وله تصانيف جليلة ومعان رايقة كقوله
اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له بعصفر الدنيا فليس بزاهد
من شعرا الاندلس تقدم انه اقليم وضبط لفظه في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد على الله على عادة الخلفا في الالقاب وقد تولى الخلافة بعد ان كان
قاضيا قال في الذخيرة القاضي بن عباد هو القاسم بن محمد بن ذي الوزارتين
ابن الوليد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن عمرو بن عطاف بن نعيم وعطاف هو
الداخل الى الاندلس وكان من اهل حمص وكان عباد يلقب بالمعتضد وابنه
يلقب بالمعتمد وحده ثم تغلب وتولى بعد ذلك الخلافة وله وقايع وامور
عزيبة وفي وزيره ابي بكر بن زيدون وابن زيدون هو ذو الوزارتين
الشاعر البليغ وكان مع ابن عمار فرسي رهان
كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت محمد
اي كان وزيرك ايها الممدوح ابو بكر بن زيدون ابو بكر الصديق وكان
شاعرك حسان المصيصي حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا من جهله بمقام النبوة ومجازفته وان كان المشبه دون المشبه
به كما قيل
ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكي
لكن لا وجه للتشبيه بمن ليس له شبيه وللشراح هنا كلام تركه خير من ذكره
فلذا اضربنا عنه صفحا الى امثال هذا المذكور من الكلام وانما اكثرنا اي اتينا
بكثير منها لنشاهد بها المراد به ما يشهد لما ادعاه من ان الناس تهاونوا
في امثالها بما لا ينبغي وانما كون الشاهد ما يذكر لاثبات حكم والمثال ما يذكر
لايضاحه فكان عليه ان يعبر بمثالها فامر اصطلح عليه اهل العربية
وليس مرادا هنا فليس ما ذكره شيئا مع استثقالنا حكايتها اي عده ثقيلا
لما فيه من ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما لا يليق بهم اي روايتها
وذكرها للتعريف الناس امثلتها اي امثالها بما يقع من امثالهم ولتساهل
كثير من الناس في التكلم بمثله فذكرها رحمه الله ليحذر الناس من مثلها كما
قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
في ولوج اي دخول هذا الباب الضنك اي الضيق الذي لا ينبغي دخوله لمن له
دين واستخفافهم قادح هذا العب اي عدهم له ثقيلا والقادح بقاف ودال
وحا مهملتين هو الثقيل والشديد من الحمل ومعناه مهموز الاخر وقلة
علمهم بتعظيم ما فيه من الوزر اي الاثم والخطيئة والمراد بالقلة العدم

ندلس

وكلامهم بالجر معطوف على ثنا هل اي تكلمهم فيه اي في هذا الباب فيما ليس لهم به علم من حقوق الرسل والملايكة عليهم الصلاة والسلام ويحسبونه هينا سهلا وهو عند الله عظيم لانه من الكباير وهو اقتباس من قصة الافك وقد اكثر الناس منه لاسيما الشعرا فانهم ظنوه مبالغة في مدايحهم وتغزلاتهم وهو قبيح جدا واشدهم فيه تصريحا اي الاتيان به صريحا لرقة دينه وللسانه تسريحا اي اطلاقا وارسالا قال تعالى او تسريح باحسان اي طلقوهن ومنه تسريح الشعر بالمشط ولذا قال ابن نباتة فيمن يسرح لحيته

فليس يمسك امساكا بمعرفة • ولا يسرح تسريحا باحسان

وفي التصريح والتسريح تجنيس ابن هاني بزنة فاعل مهموز الاندلسي وصفه به لان ابا نواس يقال له ابن هاني ايضا وهو ابو الحسن او ابو القاسم محمد بن هاني الاندلسي الاشبيلي ولد بمدينة اشبيلية ونشا بها واشتغل بعلوم الادب والعربية ففاق فيها اهل عصره الا انه كان يميل لمذهب الفلاسفة ومن هنا وقع له ما وقع حتى طعن فيه وديوانه مشهور في غاية البلاغة لكنه لا يخلو من تكلف كالمعري وقد كتب عليه النيفاشي كتابا سماه الديباج الخسرواني في شعر ابن هاني وارتحل لمصر ثم عاد منها فلما نزل ببرقة وجد ميتا لم يعرف من قتله وكان ذلك في يوم الاربعا لسبع بقين من رجب سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وسنه اثنين واربعين او ست وثلاثين وهو من اهل ازد بقية من نسل ابي صفرة الازدي وابو العلا بن سليمان المعري الذي تقدم قريبا بيانه وسليمان جده وهم ينسبون الى الجد اذا اشتهر كقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص اي تنقيص من هو كامل والاستخفاف يتجوز به عن التحقير وصرح الكفر لحوهم في حق الانبيا ونحوهم وقد اجبنا عنه كما بينه فيما تقدم وغرضنا اي قصدنا الكلام في هذا الفصل فيما وقع للشعرا ونحوهم الذي سقنا امثلته قريبا بقيم شي منه له فان هذه الامثلة كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملايكة والانبيا نقصا اي ما ينقص مقامهم ولست اعني بكلامي هذا الجزي بيتي المعري فقط بل جميع ما ذكر من الامثلة ولا قصد ما ثني معطوف على قوله اضافت قايلها ازرا اي ازدرا ولا غضا اي نقصا لانه انما ضرب به المثل لامور ذكرها قبل هذا مما وقع بغاف اي عظم النبوة ولا عظم الرسالة اي مقدارهما ووصف النبوة بالتوقير والرسالة بالتعظيم تفننا واشارة الى ان مقام الرسالة لظهوره لهم اليق بالتعظيم ولا غرر حرمة الاصطفا عزر بمعجمتين بمعنى كثر وقوي وحرمتها احترامها والاصطفا اختيار الله لهم لرسالته واداء امانته ولا عزر خطوة الكرامة بمهملة ومعجمتين اي جعلها عزيزة محترمة والخطوة بضم الخا المهملة وكسرها وسكون الظا المعجمة بمعنى القرب اي قربهم من الله بسبب كونهم مكرمين عنده بالرسالة حتى شبه من شبه اي شبه احد الشعرا من شبهه من الممدوحين له في كرامة اي بسبب

كرامة

كرامة نالها اي امر وصل له مما يكرمه عند مادحه او شبه بسبب معرة اي امر يشق عليه ويكرهه قصد الانتفا منها صفة معرة اي اراد التخلص والتبري منها او شبه ممدوحه بما لا يليق به بضرب مثل ببعض الانبيا او الملايكة لتطييب مجلسه اي لتطييب المجلس او المجالسة والمحاورة معه او يقصد بما شبه اغلا بالمعجمة اي غلو ومبالغة في وصفه لممدوحه او لغيره ويريد بقوله انه وسيلة لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره بفتح الخا المعجمة والطا والرا المهملتين وهو القدر والمنزلة وشرف قدره كانبيائه وملا وهو عطف تفسير والزم اي اوجب توقيره اي تعظيمه والتادب معه وبره اي صلته بزيارة ونحوه والدعا له ورعاية من ينسب له ونحو ونهى من راه عن جهر القول له بقوله لا تجعلوا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ورفع الصوت عنده اي اعلاوه لما فيه من قلة الادب وعدم المهابة فحق هذا القايل من غير قصد لسب وتنقيص لقدره بل لامر مما ذكر ان درى بضم الدال وكسر الرا المهملتين فعل مبني للمفعول اي دفع عنه القتل فلم يقتل الادب اي التاديب بضرب اولوم وزجر والسجن اي الحبس مدة بفتح السين وكسرها وقوة تعزيره بحسب بفتح السين اي بمقدار شنعة مقالة اي قباحته ومقتضى قبح ما نطق به اي تقدير قباحة لفظه الذي قاله وتقدير تعزيره براي الحاكم فيه ومالوف عادته لمثله اي ان الفه واعتاده بتكرر صدوره منه كابي العلا المعري او ندورة اي وقوعه نادرا قليلا فكثرته تدل على سو اعتقاده وعدمها لانه يقوله تدل على انه خطا وغفلة من غير اعتقاد له او قرينة كلامه القايمة على قصده الاستخفاف ونحوه او لا وتندمه الذي يظهر على ما سبق منه في كلامه من غير قصد لتحقير واستخفاف ولم يزل المتقدمون من السلف وكبار الايمة ينكرون مثل هذا الكلام ممن جاء به وقاله عندهم فليحذر الشاعر وغيره من ارتكاب هذه القبايح الشديدة الوزر العظيمة الاثم فانها ربما جرت الى الكفر نعوذ بالله من ذلك وقد انكر الرشيد هارون بن المهدي محمد بن منصور بن عبد الله ابن عباس الخليفة المشهور على ابي نواس الحسن بن هاني بن عبد الاول بن الصباح الحكمي الشاعر المشهور بالفصاحة والبلاغة ولد بالبصرة ونشا بها ثم ارتحل لبغداد واتصل بالخلفا ومدحهم وتوفي بعد تسعين ومائة سنة خمس وقيل ست او ثمان وفضايله واحواله اعرف من ان توصف ونواس بضم النون وفتح الواو ولا يهمز لانه سمي به لانه كانت له ذوابتان تنوسان على راسه اي تتحرك كان في قوله في قصيدة مدح الرشيد بها ومنها

فان يك باقي سحر فرعون فيكم • فان عصى موسى بكف خصيب

هذا بيت من قصيدة له في المديح اولها

وخصيب عبد للرشيد ولاه مصر وقيل في سبب توليه لها انه قرا يوما ما حكاه الله عن فرعون اليس لي ملك مصر الاية فقال ما افتخر به فرعون لاعطينه عبدا من عبيدي فولاه مصر وكان لابي نواس فيه مدايح كقصيدته هذه وقصايد اخر منها قصيدة اولها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انت الخصيب وهذه مصر ❊ فتدفقا فكلاكما بحر

وفي هذا البيت حكاية لولادة ذكرها في قلايد العقيان والخصيب بخا معجمة وصاد مهملة من الخصب بكسر الخا ضد الجدب لقب له وهو معروف مشهور ومعنى البيت انه خاطب اهل مصر لما تولى عليهم فقال يا اهل مصر ان كان عندكم بقية من سحر فرعون فقد ولي عليكم امير المومنين من يبطله فاستعار سحر فرعون لكيدهم وتجبرهم على حكامهم وعصا موسى لسياسة حاكمهم وقمع ظلمتهم ففيه استعارة وتشبيه تمثيل بديع لكن فيه سوء ادب لما فيه من جعل العصا التي هي معجزة لرسول بكف عبد من عبيد الخلفا وجعل ذلك العبد كرسول من اولي العزم ومما يتعجب منه قول من لم يعرف معنى البيت ولم يقف على كتب الادب واو وينهم ان المراد بخصيب رجل كثير الخير وانه هنا عبارة عن الرشيد نفسه وقال معناه ان اعدا امير المؤمنين الكفرة الذين عندهم بقية قليلة من سحر فرعون سحروا انها جيش امير المؤمنين الجواد الكثير خيره ستلقف جنوده ما صنعوا ويلقي كيدهم في نحورهم ثم اطال بذكر عصا موسى وما كان فيهما من معجزاته فخبط بها هشيم معان لا وجه لها وزاد في الطنبور نغمة من قال كف منون وخصيب صفته وترك تنوينه لكثرة الاستعمال وتشبيه النون بحرف العلة وانه روي خصيب بمعجمتين واعجب منه قول القايل انه بخا وصاد معجمتين واكلف الخصيب اسم نجم وكذا عصا موسى وهذا كله مما يقضي منه العجب ومثله في كلام البرهان ايضا ولولا ان من السكوت ما هو بلاغة لذكرنا كلامهم وكررنا عليه بالابطال لكني خشيت من السامة والملال ❊ وقال له اي الرشيد لابي نواس لما انشده البيت يا ابن اللخناء هذا مما تشتم به العرب واللخنا هنا امه من اللخن وهو النتن فاستعير للفاحشة او للمراة التي لم تختتن اي يا دني الاصل ولييم الام انستهزي بعصا موسى بجعلها في كف عبد من العبيد وهي معجزة نبي عظيم وامر باخراجه وطرده من عسكره من ليلته التي انشده فيها قصيدته اي امر بالمبادرة لطرده من غير امهال الى الصباح صونا لمقام النبوة ولكن ابو نواس لم يقصد بما ذكره سبا وتنقيصا وانبع الناس في قولهم لكل فرعون موسى قال العتبي يعني عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد قدمنا ترجمته ان مما اخذ اي ذكر وعد عليه اي على ابي نواس وكفر فيه اي نسب فيه الى الكفر او قارب اي قرب من الكفر وان لم يكن كفرا لشدة قبحه قوله في قصيدة في مدح محمد الامين اي ابن هارون الرشيد الذي استخلف بعد موت ابيه سنة ثلاث وتسعين ومائة وقصته مفصلة في التواريخ وكذا قصة خلعه وتشبيهه اي تشبيه ابي نواس للامين بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله في قصيدة طويلة مدحه بها وفيها تنازع

الاحدان الشبه فاشتبها ❊ خلقا وخلقا كما قد الشراكان

شبه تشابههما في الخلقة والاخلاق ببردا ومنا ه تنازعاه اي جذبه كل واحد منهما او طلبه وهو عبارة عن شدة الشبه بينهما والاحدان مثنى احمد بمعنى كثير الحمد وهما ابن عمه العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم

والامين

الامين واراد ان يقول المحمدين فلم يساعده النظم وقيل انه تغليب ولا وجه له ثم اكد شدة تشابههما بقوله كما قد الشراكان فجعلهما كشراكين اي سيرين قطعا من جلد اديم واحد بمقدار واحد فهما كشيء واحد لا يميز احدهما عن الاخر وهذا كقولهم هما كركبتي البعير وكالحلقة المفرغة وفيه من سوء الادب ما لا يخفى لتشبيهه رجلا فاسقا سخيفا لعقل باكمل الخلق واجلهم عليه الصلاة والسلام وجعلهما كالشراكين وهما يوضعان في النعال كفر على كفر وشبه بكس فسكون بمعنى شبه بفتحتين قال ابن حجر وهو وان كان في غاية القبح الا انه لا يكون كفرا على قضية مذهبنا الا ان قصد المشابهة المطلقة وقد انكروا عليه ايضا اي على ابي نواس كما انكروا ما قبله قوله في قصيدة اخرى هي من غرر قصايده اولها

ايها المنتاب من عضره ❊ لست من ليلي ولا سمره

ومنها ❊ كيف لا يدنيك من امل ❊ من رسول الله من نفره

خاطب نفسه على طريق التجريد اي كيف لا يقربك مما ترتجيه وتامله كريم منسوب الى اكرم الخلق وهو معنى حسن الا انه اساء في العبارة لانه جعل الرسول اي رسول الله صلى الله عليه وسلم على من يذكر من امنه وموجب تعظيمه بفتح الجيم ويجوز كسرها اي ما يوجب الترغيب في تعظيمه وانافة منزلته اي رفعها على غيرها ان يضاف غيره اليه فيقال هو من نفر رسول الله ولا يضاف هو لغيره كما فعل ابو نواس قال ابن عبد ربه في العقد فالواجب من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف هو لغيره ولو انسع متسع لكان له مجاز حسن وذلك لانه كقول القايل من بني هاشم لغيره من اقربائه منا رسول الله يريد انه من القبيلة التي نحن منها كقول حسان رضي الله عنه

وما زال في الاسلام من ال هاشم ❊ دعايم عز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن امه ❊ علي ومنهم احمد المتخير

فقال اللهم كما قال هذا من نفر انتهى اقول يعني ان اللوم انما جاءه من قوله من نفره لنفرة السمع عنها لكن من عرف نهج ابي نواس في الناس كلامه ديباج كلام غيره من القدما عرف انه لا فرق بينه وبين حسان المذكور وانما نفروا من نفره لانه بمعنى التابع والخادم وهو في كلام القدما مما يفتخر به من المنافرة وهي المفاخرة والعرب تفتخر بالاباء والقبايل وافتخارهم باحدهم امدح عندهم فهو لم يقصد ما نحوا نحوه لكنه كما قيل اساء سمعا فاساء اجابة وقال ابن هلال في كتاب الصناعتين انه تبع قول حسان

اكرم بقوم رسول الله شيعتهم ❊ اذا تفرقت الاهوا والشيع

تنبيه قال السهيلي في الروض لا نعني في رسالة المهلهل بن المزرع قال علي بن الاصغر وكان من رواة ابي نواس لما عمل ابو نواس هذه القصيدة واتى بهذا البيت وقع لي انه كلام مستهجن اذ حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف الى احد فقلت له اعرفت هذا البيت فقال ما يعيبه الا جاهل بكلام العرب انما اردت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذي هو الممدوح منه اما

عوضي

عوضي

تلمساني

ابن افترس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سمعت قول حسان الكرام الخ وليس هذا بعيب لانها اضافة تشريف لا لتعريف بخلاف قول ابي
نواس لانه ذكر واحدا واضاف اليه انتهى وقد عرفت ما فيه وقيل انه اراد بنفرة منافرته
وتخوفه وبه ذو نوع والاولى ترك مثله فالحكم في مثل هذا اي في قايله وفي نسخة في امثال
هذا ما بسطناه اي بيناه مفصلا مبسوطا في طريق الفتيا اي يفتى فيه بما يستحقه على
قدر شناعة قوله قال في المصباح الفتوى بالواو وبفتح الفا وبالبا فتضم اسم من
افتى العالم اذا بين الحكم واستفتيته سالته بيانه وهو من الفتى وهو الشاب القوي
وجمعه فتاوى بكسر الواو على الاصل وتجوز فتحها للتخفيف وعلى هذا المنهج اي
المسلك الذي سلكه نجات فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه هو مجاز عمن اقتدى
به في مذهبه ففي النوادر اسم كتاب في فقه مالك من رواية ابن ابي مريم هو ابو بكر
سعيد بن الحكم بن ابي مريم الجمحي المصري الحافظ الثقة روى عنه البخاري والستة
توفي سنة اربع وعشرين ومايتين عنه اي رواية عن مالك في رجل عير اي عاب
ونسب للعار رجلا بالفقر فقال الرجل تعيرني بالفقر بحذف الهمزة اي العير في هذا
وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم باجرة لاحتياجه فقال مالك رحمه الله
مجيبا لمن ساله قد عرض اي نقص تعريضا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير
موضعه لتمثيله له بحال غيره بما اري ان يؤدب اي يعزر لينزجر غيره عن مثله قال
مالك ولا ينبغي لاهل الذنوب اي من صدر منهم ذنب اذا عوتبوا على ذنوبهم بعذرها
ان يقولوا اعتذارا عما صدر منهم قد اخطات الانبيا قبلنا فشبه نفسه بالانبيا ونسب
الانبيا لصدور الذنوب منهم وكلاهما مما لا يليق التكلم به وقد يؤدي الى القتل لانه
ردة وهم معصومون من الذنوب كبايرها وصغايرها كما مر وما نسب اليهم حسنات
لغيرهم ولو سلم فهو مغفور فكيف يجعل ذنوب غيرهم كذنوبهم فمثله لا يعبد ممن
يعرف مقامهم وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي العادل الذي تقدمت ترجمته
لرجل انظر لي كاتبا يكون ابوه عربيا انظر هنا بمعنى ابتغي به وعلى هذا اجرى الاستعمال
فهو مجاز او كناية ومراده كاتب يكتب في الديوان وشرط ان يكون عربيا ليكتب كتابة
صحيحة ويعرف احوال الناس فقال له كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم
كافرا انما اجابه بهذا وهو لم يقل له مسلما لان الكتبة في العصر الاول كانوا من الروم
والعجم نصارى وصابيه لمعرفتهم بالحساب لانهم اهل كتاب فقال عمر له اي للكاتب
الذي اجابه بهذا جعلت هذا الذي قلته مثلا اي جعلت كفر ابي النبي صلى الله
عليه وسلم مثلا وشاهدا لكن على انه لا يشترط في الكاتب العربية والاسلام وتحقير
ابي النبي صلى الله عليه وسلم ولو سلم كفره فانه فيه تعريض باذية النبي صلى الله عليه
وسلم فسقط ما قيل انه حماقة وجهالة اذ لا مناسبة بين عربية الكاتب وكفر
ابي النبي صلى الله عليه وسلم فعزله من كتابته وقال لا تكتب لي ابدا وهذا
تاديب له وتعزير حتى ينزجر امثاله عن امثال هذه المقالة وفي ذلك اشارة الى
اسلام ابوي النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وهذا هو الحق بل في حديث صححه
غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله احياهما له فامنا به خصوصية
لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القران والاجماع لكن

في

في محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قران ولا اجماع وكون
الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة وما احسن قول الموفقين
في هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم
لحديث الطبراني لا تؤذوا الاحيا بسبب الاموات انتهى وحديث مسلم قال رجل يا رسول
الله اين ابي قال في النار فلما قفى دعاه فقال ان ابي واباك في النار يتعين تاويله
والظاهر تاويله عندي انه اراد بابيه عمه ابا طالب لان العرب تسمي العم ابا فانه عمه
الذي كفله بعد موت جده عبد المطلب ولانه صلى الله عليه وسلم انما قصد بذلك
ان يطيب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد لو قرع سمعه اولا ان اباه في النار بدليل
انه انما قال له ذلك بعد ان ولى او كان ذلك قبل ان ينزل عليه قوله تعالى وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اطفال
المشركين فقال هم مع ابايهم ثم سئل عنهم فذكر انهم في الجنة انتهى ملخصا وقد كره
سحنون تقدم انه فقيه مذهب الامام مالك عبد السلام التنوخي الامام الزاهد
المحدث تلميذ ابن وهب واشهب وانه توفي لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومايتين
وهو ابن ثمانين وثمانين سنة ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب من
امر مستحسن معجب منه كما هو عادة العوام الاعلى طريق ان يقصد بصلاته عليه
الثواب والاحتساب اي ان يقول له امتثالا لامر الله بقوله تعالى صلوا عليه توقيرا
له صلى الله عليه وسلم وتعظيما كما امرنا الله تعالى لا لقصد التعجب ولا لدفع
العين عما يتعجب منه فانه ليس محلا لذلك وقد تقدم الكلام عليه وان فيه كلاما
للفقها وسئل القابسي تقدم بيانه عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كانه وجه
وجه نكير اي نكير ومنكر الملكان المعروفان اللذان ياتيان الميت في قبره حين
يدفن عن اعتقاده وسئل عن رجل قال لرجل عبوس تقدم ان العبوس ان يقطب الرجل
وجهه ولا يبدي بشاشة كانه اي كان وجهه وجه مالك الغضبان مالك اسم ملك خازن
النار ويوصف بالغضب لانه موكل بمن غضب الله عليه فيتلقاهم بصورة الغضب فقال
القابسي في جوابه اي شيء اراد القايل بهذا الكلام الذي قاله ونكير اسم احد فتاني
القبر وهما ملكان خلقهما الله تعالى للسؤال والفتانان هما ملكا السؤال
سميا فتانين في الحديث من الفتنة واصل معناها الامتحان والاختبار لانهما يختبران
ما في قلب الميت من عقيدته وايمانه فما الذي اراد القايل بكلامه اروع اي خوف
وفزع دخل عليه اي وقع في قلبه حين راه لشدة قبحه من وجهه متعلق
بدخل او بروع اي من رؤية وجهه ام عاف النظر اليه بعين مهملة وفا اي كرهه
واستقذر منظره فكره النظر اليه لدمامة بدال مهملة وميمين بينهما الف بوزن
قباحة ومعناها وهو المراد والذمامة بالمعجمة من الذم وذكر المعايب وهو
جائز هنا ايضا يقال رجل ذميم وذميم بمعنى قبيح ومذموم خلقه بفتح
فسكون اي خلقته فان كان هذا المذكور من انه عافه وكرهه فهو شديد بالفتح
فتح تاقيله لانه جرى مجرى التحقير والتهوين بمثناة فوقية وها وواو ومثناة
تحتية ساكنة ورا مهملة الوقوع في امر بغير مبالاة به وفي نسخة بنون

لعمو

اي كان وجهه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بدل الراو هي غير مناسبة لانه حينيذٍ يكون من الاهانة لكن ورد التهوين بهذا المعنى نظر فهو مجاز وفي نسخة الهوين بتقديم الواو على الها ومعناه التضعيف من الوهن وعلى كل حال فيه ركاكة لا تخفى فهو اشد عقوبة من اراد انه حصل له فزع منه لما فيه من تحقير ملك من الملايكة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما شبهه به في انه كرهه ولا شك في ان كل احد يكره الموت وما معه بالطبع في اكثر العوام وليس في مثل هذه الكراهة تحقير واما السب واقع على الرجل المخاطب بهذا الكلام لا على الملك وليس قوله كان وجهه مواجهة بالخطاب فاما ان يكون قال له كان وجهك فحكى القابسي معناه او المص تجوز به عن الكلام الملقي في حق غيره مطلقا ممن يصلح للخطاب وفي الادب اي التاديب بمعنى التعزير بالسوط اي الضرب به والسجن بفتح السين وكسرها كما مر اي الحبس نكال السفها فهو على انواع مفوضة للحاكم والنكال العقوبة والسفها جمع سفيه من السفه وهو الخفة ممن عقله سخيف قال القابسي واما ذاكر مالك خازن النار بما تقدم وذاكر اسم فاعل من الذكر بمعنى قايل ما تقدم من تشبيه المعبس وجهه به فقد جفا اي غلظ طبعه وقل ادبه او هو من جفا القدر اذا رمت زبدها وسخها اي رمى الملك الذي ذكره بما قاله من ان وجهه كوجه مالك الغضبان عند ما انكر من عبوس الرجل الاخر المقول له ما مر الا ان يكون الرجل المعبس له يد اي قدرة وتسلط بالقهر كالسلطان فيرهب ببنا الفاعل او المفعول فيشبه القايل كان وجهه عبسته وفي نسخة لعبوسه اي يخاف منه اذا عبس وفي نسخة فشبهه على طريق الذم لهذا الذي له يد او لهذا الامر لان شر الناس شره في فعله ولزومه في ظلمه في نسخة في صفته والظاهر انها هي الصواب لان الظلم الاناب فقوله انه اتى عليه صفة مالك الملك خازن النار المطيع لربه في فعله لان الملايكة كلهم لا يعصون الله ما امرهم ولا يفعلون الا ما يؤمرون فيقول اذا عصاه احد كانه لله يغضب غضب مالك اي كغضب مالك فانه لا يغضب الا على من غضب الله عليه واراد عقابه فيكون اذا فقد هذا ما قاله اخف واقل وزرا من غيره ولما استشعر انه اذا اراد ان يغضب لله لا قبح فيه اصلا اجاب بقوله وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا وفي نسخة التعريض بمثل هذا والذي ينبغي ترك التشبيه بالملايكة لاحاد الناس ولو كان هذا القايل اتى على العبوس بفتح العين صيغة مبالغة لجهول لعبسة واحتج بصفة مالك وهي عبوسه كان قوله هذا اشد مما قبله ويعاقب عليه المعاقبة الشديدة لجرمه الشديد وليس في هذا الكلام مطلقا او فيما اتى به احتجاجا بصفة الملك ذم للملك وقصده ذم من خاطبه لا غيره ولو قصد ذمه اي ذم الملك لقتل هذا مذهب مالك وعند غيره يؤدب ويستتاب فان تاب والا قتل ولا يخفى ما في كلام المص هنا وانه كلام مشوش محتاج للتنقيح والتهذيب بان يقول وعن القابسي فيمن قال لقبيح كانه وجه نكير ولعبوس كانه وجه مالك الغضبان انه لا يكفر اذ لا تصريح فيه بسب الملك وانما السب فيه للمخاطب بل يعاقب لعقاب الشديد فان قصد ذم الملك قتل وما ذكره ظاهر ويؤخذ من كلامه هنا ان ذم بعض الملايكة وتنقيصه كذم الانبيا

وتنقيصهم

وتنقيصهم وهو ظاهر وصرح به اخر الكتاب وقال ابو الحسن القابسي ايضا كما قال في المسلة المذكورة في شاب معروف بالخير اي الصلاح والدين وصفه بهذا ايمانا للواقع وانه لم يقصد تحقير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الاتي قال لرجل شيا يتعلق بالعلم والدين فقال له الرجل اسكت زجرا له عن قوله فيما لا يعلمه الا العلما فانك امي بضم الهمزة وقد تكسر وتقدم انه هو الذي لا يكتب ولا يقرا والخط نسبة الى امة العرب لاشتهارهم بذلك او الى الام لانه كانه خرج من بطن امه فقال الشاب اليس كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا وهو اعلم الناس والاستفهام فيه تقريري فشنع ببنا المعلوم وفاعله ضمير الرجل او الناس على الشاب او المجهول اي قبح وذم مقالته انه امي وكون الناس بمقاله هذا جهلا منهم بما اطلقوه واشفق الشاب اي خاف على نفسه ودينه لانه كان صالحا دينا مما قال واظهر الندم عليه اي على صدور هذا المقال منه خوفا مما يترتب عليه في الدنيا والاخرة فقال ابو الحسن القابسي لما سيل عنه اما الاطلاق القول بالكفر عليه فخطا لان الله وصفه صلى الله عليه وسلم به في القران في قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وهو لم يقصد بذلك ذما ولا تنقيصا لكنه مخطي في استشهاده اي اتيانه بشاهد اي نظير لحاله بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وهي كونه اميا مثله في صفته وبينهما من الفرق ما بين السما والارض ولذا قال وكون النبي صلى الله عليه وسلم اميا اية له معجزة باهرة وفضيلة ظاهرة وكون هذا الشاب المذكور اميا نقيصة فيه اي صفة نقصية بجهله وجهالة لعدم علمه وقراته ويا لي بيانه مبسوطا اي ولو كان كاملا فاضلا قارا وكاتبا فكيف شبه صفته الناقصة بصفة النبي صلى الله عليه وسلم الكاملة ومن جهالته الظاهرة استشهاده وتمثيله واحتجاجه على حسن اميته وعدم منافاتها للخوض في العلوم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تستوي اميته بامية غيره وقد اتى بعلوم لا تحصى واخبر عما سلف من احوال الامم وعما هو ات وهو في امة امية ولم يخرج من بينهم ولا تعلم من احد ولذا كان ذلك من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم كما قال

كفاك بالعلم في الامي معجزة ۞ في الجاهلية والتاديب في اليتم

وتقدم ما فيه فاستشهاده بذلك لجهله فهو معذور لا يكفر بقوله هذا لكنه استغفر الله لعلمه بانه مذنب وتاب بندمه وعزمه على ان لا يعود لمثله واعترف بذنبه وانه مخطي ولجا اي استند ورجع الى الله هاربا وفارا للحق بتركه ولا يؤاخذ ولا يعاقب ويزجر لان قوله هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا من غير قصد تنقيص لا ينتهي ويصل الى حد العقوبة بالقتل وما طريقه الادب اي ما يستحق فاعله التاديب دون القتل فطوع اي فطوع فاعله بالندم عليه مبادرا معترفا بخطايه والتوبة والندامة يوجب الكف عنه وتركه من غير معاقبة له ونزلت اي وقعت والنوازل الحوادث التي تطرا وايضا هذه مسالة استفتي فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور الذي تقدمت ترجمته في رجل تنقصه اخر بشي اي عابه وذمه

اي مي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

به فيقال له انما تريد نقصي بذلك الذي قلته وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى
النبي صلى الله عليه وسلم فانه بشر يلحقه ما يلحقهم والكمال المنزه عن النقص انما هو
لله عز وجل فافتاه اي افتى في هذا القايل باطالة حبسه في سجنه زجرا له ولامثاله
وايجاع ادبه اضافة الايجاع وهو الايلام بمعنى به تعزيرا له الى ادبه بمعنى تاديبه
من اضافة المصدر لفاعله او هو من اضافة الخاص للعام اذ لم يقصد بما قاله السب
لكنه اخطا في استشهاده كما مر وكان يقتضي فقهنا الانه لسل فتي بقتله لخالفه ورد فتواه

فصل الوجه السادس

من وجوه ذكر ما فيه تنقيص له صلى الله عليه وسلم ان يقول القايل ذلك
حاكيا له عن غيره وآثرا بمد الهمزة ومثلثة مكسورة وراء مهملة اي ناقلا له
عن سواه من قولهم اثرت الحديث اذا رويته ونقلته فهذا الحاكي الناقل ينظر في
صورة حكايته الظاهرة من سياقه وقرينة مقالته القايمة على قصده عند نقله
ويختلف الحكم الذي حكم به باختلاف ذلك المتقدم والقراين على اربعة
وجوه من الاحكام الوجوب والندب والكراهة والتحريم وهو بدل مما قبله بدل
بعض او كل ويجوز رفعه ونصبه وهذا اجمال فصله بقوله فان كان هذا الناقل
اخبر به على وجه الشهادة اثباتا او نفيا والتعريف بحال قايله وصفته والانكار
عليه فيما قاله والاعلام بقوله ليحكم عليه بما يقتضيه والتنفير منه حتى يجتنب
ويطرد والتجريح له بالطعن فيه وبيان عيوبه وروي التجريح بتقديم الحا المهملة
على الجيم اي التضعيف والتاثيم فهذا اي النقل على هذه الوجوه المذكورة مما
ينبغي امتثاله اي الانقياد له وقبول نقله ويحمد فاعله اي يعد محمودا
في فعله وكذلك حكمه ان حكاه في كتاب الفه او رسالة لغيره او حكاه في مجلس
مجمع الناس على جهة الرد له ببيان انه مخطي فيه قايل لما لا ينبغي والنقض على
قايله بضاد معجمة اي الابطال لمقاله بالحجج او ذكره للفتيا بما يلزمه ببيانه شرعا
وهذا المذكور للرد والنقض والافتاء بما يلزمه بيانه منه ما يجب ذكره وبيان حكمه
ومنه ما يستحب بيانه بحسب بفتح السين اي على قدر حالات الحاكي لذلك
فيما يحكيه والمحكي عنه بحسب ما يعلم من حاله وقراين مقاله وهذا الى هنا اجمال للحالات
الاربعة وهي معلومة منه ومما قيل من انه لا يعلم منه الوجوب صريحا وقوله
حكاه في كتاب او مجلس لا يتناسب كلام وانه غني عن الرد ثم فصله بقوله فان كان
القايل ممن حكاه او حكي عنه وفسره بعضهم بالحاكي والاخر بالمحكي عنه والاولى
تعميمه لهما كما يقتضيه ما بعده لذلك القول المذكور ممن تصدى اي
انتصب وتعيد لان يؤخذ عنه العلم لانه من اهله الذين يتلقى عنهم لكونه شيخا
او مفتيا او رواية الحديث عنه لاخذه له عن اهله او يقطع بحكمه لانه حاكم مفوض
اليه الحكومة او شهادته لشهرة عدالته او فتياه في الحقوق لفقاهته وتصديه
للافتا فحق وجب على سامعه اذا سمع مقاله حكما او افتا الاشادة بما سمع منه
برفع ذكره والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة اي الاشهار بذكره

وتشيعه

وتشيعه بين الناس واشاده برفع النا اذا استعمل في الصوت وتوسع فيه فاريد به الشهرة
مطلقا فسقط ما قيل من انه ينبغي ان يقول الاعلام الذي هو اعم من الاشادة وتنفير الناس
عنه تحذيرا منه والشهادة عليه بما قاله ليجتنب ويجري عليه احكامه ووجب على
من بلغه ذلك الذي سمعه منه من ايمة المسلمين انكاره وبيان كونه لسبب مقاله وفساد
مقاله وفساد قوله لبطلانه ويقطع هذا وشاع لقطع ضرره عن المسلمين بزجره وغيره
مما يستحقه وفيا بما يحق سيد المرسلين للانتصار له والانتقام ممن قصر في حقه
وكذلك يجب ما ذكر ان كان قايله ومبلغه ممن يعظ العامة ويذكرهم بنصحه لهم
او يؤدب الصبيان بتعليمهم القران ونحوه فان من هذه الخصلة التي تنقص بها سوء
اي مما يضمر في نفسه فيرسخ بها كلمانة وكلا انا بالذي فيه يرسخ لا يؤمن على القايل
ذلك في قلوبهم اي قلوب من ذكر من العامة او الصبيان الذين يقبلون ما يلقى اليهم
لعدم معرفتهم وتنقد بصيرتهم فاذا كان من صدر عنه هذا الحاله فيتاكد من هؤلاء
الايجاب اي ايجاب انكاره واشاعة فساده لحق النبي صلى الله عليه وسلم على كل
احد لا سيما الحكام ولحق شريعته التي يجب الذب عنها وحمايتها ما امكن
وان لم يكن القايل بهذه السبيل اي لم يكن ممن يؤخذ عنه العلم والحديث
والفتوى فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب ذما عن مقام النبوة
وتعظيم منزلتها وحماية عرضه الشريف متعين لايتهاون فيه مسلم ونصرته
منه مقتضي حمايته فلذا قال عن الاذى اي ما يؤذيه حيا وميتا اي في حال موته
وحياته مستحق بصيغة المفعول اي واجب على كل مؤمن وهو فرض على كل من
بلغه خلافه لكن اذا قام بهذا المذكور من الحماية والذب عنه من ظهر به الحق
بقدرته على اجرا حكمه فيه وفصلت به القضية اي وقع حكم له فاصل بين الحق
والباطل بعقوبته وبان به الامر اي ظهر ما يستحقه واقيم عليه ما يستوجبه سقط
عن الباقي اي عن بقية الناس الفرض الذي وجب عليهم لانه فرض كفاية لا فرض
عين وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه على من صدر منه مثله مما لا يليق
وعضد بتكوين الضاد المعجمة من عضده اذا قواه ونصره التحذير منه اي
من قايله وقوله وهذا احد الاقوال في فرض الكفاية اذا قام به البعض من
غيره ويسقط عنه الوجوب هل يبقى استحبابه وندبه او اباحته وجوازه
وهذا مبني على انه هل يجب على الجميع ابتدا او على البعض غير معين والكلام
فيه مقرر في كتب اصول الفقه وليس هذا محل تفصيله وقد اجمع السلف
المتقدمون من علما المحدثين على بيان حال المتهم بالكذب في الحديث النبوي
من رواته فكيف بمثل هذا المتهم بالنقص من مقام النبوة وتنقيصها والازرا
بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم الزم منه تحذيرا به وقد سيل الشيخ
ابو محمد بن ابي زيد تقدمت ترجمته عن الشاهد اي من تقبل شهادته
يسمع مثل هذا الكلام الذي يستحق قايله ما مر في حق الله تعالى السبعة
اي الحلاله ويجوز فهو مجاز بتشبيه فقوله ان لا يودي شهادته يحمل ذا
سعة اي ان لا يقيم الشهادة عليه عند حاكم يقضي عليه بما يستحقه قال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن الجوزي بعد ان رجا اي ظن ظنا راجحا او علم نفاذ الحكم اي ان يمضي الحاكم بشهادته عليه
فليشهد اي يلزمه الشهادة بما سمعه وكذلك يلزمه الشهادة ان علم ان الحاكم الذي
تقام عنده الشهادة لا يرى القتل بما شهد به اي مذهبه ان القايل لا يستحق القتل
عنده ويرى انه انما يستحق الاستتابة اي طلب التوبة منه والادب اي التعزير
دون القتل وقوله فليشهد ويلزمه ذلك تاكيد لما فهم من قوله كذلك وهذا
مذهب الامام مالك ومذهب غيره انه يلزمه الشهادة مطلقا وان لم يكن مدعي
عليه لانه لا يلزم طلب الشهادة في حقوق الله تعالى وما ورد من الذم في حق
من شهد ولم يستشهد محمول على حقوق العباد واما الاباحة لحكاية قوله الذي
فيه سب وتحقير للانبيا عليهم الصلاة والسلام اي جوازها وحلها للغير هذين
القصدين من الانكار والتنفير عنه والتجريح والنقض والا فنا كما تقدم فلا
اي فاعتقد لها مدخلا في الباب الذي يجب به صيانة مقام النبوة فليس التفكه
اي التحدث على طريق التلهي به واجرا المصاحبة مستعار من تناول الفاكهة ولا
يا باه ورود بمعنى التعجب والتندم وان سلم عدم ثبوته بهذا المعنى فلا
وجه لما قيل انه ينبغي ان يعود الفكاهة بالضم لا بالفتح كما في المصباح بعرض
النبي صلى الله عليه وسلم والعرض ما ينبغي صيانته من كل احد والتمضمض
اي اجرائه على فمه ولسانه مستعار من تمضمض بالما اذا غسل به داخل فمه
فشبه الكلام بالما وادارته في فمه بالمضمضة وهو احسن من قول العرب تمضمضت
عنه بالنعاس كما في الاساس بسوء ذكره اي بما فيه سوء لاحد متعلق بمقدر
اي جايزا لاحد لانه يجب تعظيمه واحترام مقامه حماه الله عن كل سوء لا ذاكرا
له بلفظه ولا امرا اي ناقلا وراويا له عن غيره لغير غرض شرعي كالرد
والتنفير ونحوه مما تقدم بمباح وجايز وهو متعلق بذاكرا والخبر لاحد
او هو خبر والبا زايدة لتاكيد النفي وهذا اولى واما ذكره للاغراض المتقدمة
من الشهادة عليه عند الحاكم والانكار ونحوه مما تقدم بيانه فمتردد
اي داير ومنقسم بين امرين الايجاب اي كونه واجبا عليه والاستحباب
اي كونه مستحبا لعدم قصد قايله او قيام غيره به ودخل منه الكراهة
لانها تعلم من الاباحة بالطريق الاولى فلا يتوهم انه لم يستوف الاقسام
الاربعة التي ذكرها ثم استدل على ما ذكره فقال وقد حكى الله تعالى
مقالات المفترين الذين كذبوا عليه وعلى رسله في كتابه الكريم في مواطن
كثيرة على وجه الانكار لقولهم الذي اختلقوه وعلى وجه التحذير من
كفرهم منه ومن مثله وعلى وجه الوعيد عليه بعقابهم في الدارين
وعلى وجه الرد عليهم بابطاله ونقضه بما تلاه اي ذكره سبحانه تنزيها
ولا يخفى موقعه هنا علينا في محكم كتابه اي كتابه المحكم الذي لا يقبل التغيير
والتحريف وذكره هنا لانه لا يقبل النسخ كالقصص وكذلك اي كما وقع في
القران وقع من امثاله وفي نسخة في امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه
وسلم الصحيحة اسنادا ومتنا على الوجوه المتقدمة من الانكار والتحذير

ابو الغيرس
رد آخر عليه
ابن الغيرس

ونحوه او الوجوب واخواته واجمع السلف والخلف من ايمة الهدى الذين هدوا واهتدوا
على حكايات مقالات الكفرة والملحدين المايلين عن الحق من الزنادقة والمنافقين في كتبهم
اي كتب الايمة التي صنفوها وفي مجالسهم اي مجالس وعظهم ومحادثاتهم ليبينوها حتى يعلموا
ما فيها من الفساد فيجتنبوها ويبطلوا اي يبطلوا شبهها جمع شبهة ويردوها عليهم
وان كان ورد اي نقل ما يخالفه للامام احمد بن حنبل ايضا اي كما نقل عن غيره انكار لبعض
هذا اي انكار حكاية هذا المذكور عن الكفرة واما لهم مطلقا مما اجازه غيره على الحارث
ابن اسد وهو المعروف بالمحاسبي صاحب التاليف المشهورة وقد قدمنا ترجمته فقد
صنع الامام احمد مثله اي ذكر مثل ما صنع المحاسبي من ذكر مقالات هولا في كتاب الرعاية
له في رده اي الامام احمد على الجهمية وهو جهم بن صفوان واصحابه من المبتدعة
واصحاب المذاهب الباطلة والعقايد الفاسدة وجهم هذا هلك في اخر عصر التابعين
قال الذهبي في الميزان ما علمته روى شيا لكنه زرع شرا عظيما وجهم يلقب بابي محرز
وهو سمرقندي وكان جبريا يرى ان الانسان لا يقدر على شي ولا استطاعة له ولا اختيار
وافعاله يخلقها فيه وتنسب اليه مجازا ويقول ان الجنة والنار يفنيان وعلى القايلين
بالخلق وفي نسخة بان القران مخلوق من المعتزلة وفي كثير من النسخ وبالمخلوق وذكر
فيها التلمساني احتمالات منها مخلوقية القران ومنها انه يراد ان المخلوق قديم وهو
قول الفلاسفة والظاهر ان المراد خلق افعال العباد من غير كسب وهو الجبر وما ذكره
المحاسبي في هذه الوجوه السايغة بسين مهملة وغين معجمة اي الجايزة الحكاية
عنها هو مرفوع فاعل السايغة كمقالات الكفرة ولا وجه لانكار هذه الحكاية فاما
ذكرها اي الاقوال السايغة على غير هذا الوجه من الرد والابطال ونحوه مما مر
من حكاية سبه صلى الله عليه وسلم ممن وقع منه والازرا اي الاحتقار بمنصبه
العلي ومقامه الرفيع على وجه الحكايات اي القصص التي يقصها عوام الناس
والاسمار اي التلهي بها جمع سمر وهو الحديث ليلا للمنادمة والمحاورة واصله
ظل القمر لانهم كانوا يتحدثون فيه ويجوز بعضهم كسر همزته مصدر لانه يقال
سمر واسمر بمعنى والطرف بطا وزا مهملتين وفا بوزن غرف جمع طرفة وهي الامر
المستطرف اي المستحسن المستجاد وهو حقيقة في الكلام مجاز في غيره كالمال
المستفاد مما لم يسمع مثله وقيل انه بفتحتين بمعنى طلاقة اللسان وهو تحريف
واحاديث الناس جمع احدوثة وهو ما يتحدث على طريقه فيكون جمع حديث على
خلاف القياس والمناسب هنا الاول ومقالاتهم في الغث والسمين اي في المعتد به
وغيره واصل الغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة معناه المهزول
ضد السمين فاستعير لما ذكر وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما غثك خير من سمين
غيرك قاله لابنه حين قال له اذهب لابن عمك عبد الملك وهو الكلام الجامع
لاختلاف الدلالات حسنا وقبحا اذ الغث الهزيل كما مر ومضاحك المجان جمع
ماجن وهو الذي يعتاد الهزل والسخرية من غير مبالاة واصل المجون غلظ
الوجه ومضاحك جمع مضحكة وهو ما يضحك منه ونوادر السخفا جمع نادرة
او نادر وهو الامر المستغرب لقلته وقوعه والسخفا بخا معجمة وفا جمع سخيف

د لجب

وهو الرقيق العقل والدين والخوض في قيل وقال وفسره بقوله وما لا يعني بفتح اوله اي
ما لا يهم ويعني به وفي الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال في النهاية في الحديث
نهى عن قيل وقال اي عما يتحدث به فيقال كان كذا وقيل كذا مما يتقولان من فعلي ماضيين
فيحكي على انه فعل مع الضمير ويعرب فتدخل عليه الالف واللام ومعناه كثرة الحديث
بما لا يعني وقيل قال ٣ لا ابتدا وقيل الجواب والمعنى ما لا يعلم ولا حقيقة له وقيل
هما مصدران يقال قال قولا وقيلا بمعنى فهما اسمان ومنه كلام في المطالع
فيجوز فتحهما وجرهما منونين والخوض اصله دخول الما فاستعمل بمعنى مطلق
الدخول فكل هذا المحكي من السب وما بعده ممنوع غير جائز شرعا وبعضه اشد
في المنع والعقوبة من بعض باعتبار شدة قباحته تتفاوت مقاماته فما كان من
قائله الحاكي له عن غيره على غير قصد به للسب او غير معرفة بمقدار ما حكاه في
قباحته شديه واشدته او لم تكن عادته حكايته وانما وقع منه نادرا او لم يكن الكلام
الذي حكاه من البشاعة بما موحدة اي القبح حيث هو حيث هنا مضافة لجملة خبر
محذوف اي هو كريه ومستقبح وحيث ظرف مكان ولا يضاف الى الجملة من ظروف المكان
غيره اي يكون في مقام لا يقتضي بشاعته للعلم بانه لم يقصد به ازرا وان كان ظاهره
كذلك ولم يظهر على حاكيه استحسانه وانما ذكره للانكار والتنفير عنه واستصوابه
اي عده صوابا يعتقده فاذا كان كذلك زجر ووبخ حاكيه عن ذلك اي حكايته له
ونهي عن العود اليه وان لا يتلفظ به مرة اخرى صونا لمقام النبوة وان قوم مشدد
الواو مبني للمجهول اي ارشد للاستقامة فيما يحكيه ببعض الادب اي بتعزير
خفيف يليق به غير الرجم فهو مستوجب اي مستحق له اي للتاديب لتكلمه بما لا يليق
بمنصب النبوة وان كان حاكيا عن غيره وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الادب اشد وقد حكى ان رجلا سال مالكا رحمه الله عمن يقول القران مخلوق وهو
بمعنى الالفاظ المتلوة عند الاشعري كذلك لكنه يوهم انه من الاختلاق بمعنى
الافترا فقال الامام مالك قايله كافر فاقتلوه وقد نهي عن هذا السلف لان
ظاهره انه ليس كلام الله ففيه تعريض بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والكلام
في هذه المسالة لشهرته غني عن البيان وياتي الكلام عليه ايضا في الباب الثالث
عند ذكر المصنف لكلام مالك جازما به فقال ذلك القايل انما حكيته عن غيري
وحاكي الكفر ليس بكافر فقال مالك انما سمعناه منك فانت متلبس بالحكاية
لما لا يليق يحتمل انك تظهر به سريرتك وهذا المذكور من كلام مالك رحمه الله
على طريق الزجر والتغليظ اي التشديد في الانكار عليه بدليل انه لم ينفذ
بالمعجمة قتله اي لم يحكم به حكما قطعيا فان المذهب انه لا يقتل مثله وانما يقتل
من انكر امرا معلوما من الدين بالضرورة وما روي من حديث من قال القران
مخلوق فهو كافر لم يثبت مع انه لو ثبت فهو ما ول عندهم وان اتهم هذا الحاكي
فيما حكاه بانه اختلقه اي اخترعه ولم ينقله غيره فيحكي عنه وهو يعتقده
ونسبه الى غيره بحكايته عنه خوفا من المواخذة به او كانت تلك عادة له
بان يكثر من ذكره ويزعم انه حاكي له او ظهر حاله نقله استحسانه لذلك وانه

لا يحذور

لا يحذر فيه او كان مولعا بمثله بفتح الميم اسم مفعول والولع بالشي الاكثار منه مع اظهار
الميل له وانه يحبه والاستخفاف له اي عده هينا عنده لا يحذر فيه او التحفظ اي حفظه
كثيرا لمثله مما هو قبيح كريه او طلبه ممن يعرف حرصا عليه وكثرة روايته اشعار هجوه
صلى الله عليه وسلم الذي هجاه به المشركون مما ذكره اهل السير ونسبه المنقول عن
المشركين فحكم هذا الحاكي حكم الساب من غير حكاية له لنفسه لا حكم الحاكي وحكمه انه يواخذ
بقوله بما يستحقه الساب ولا تنفعه نسبته لغيره ما حكاه فيبادر بقتله كالساب
وما ذكره من المبادرة بقتله اي انه لم يستتب ويعجل الى الهاوية اي يعجل بدخوله النار
والهاوية من اسما جهنم ويقال هوت امه في الدعا بالهلاك وقوله امه فيها اقوال
فقيل معناه ماواه لانها كالام التي ياوي لها او راسه لانها ام دماغه وهي تهوي منه
ونكس وهو نايب فاعل مرفوع او مجرور بدل من الهاوية وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام
بتشديد اللام وقد تقدمت ترجمته من حفظ شطر بيت اي نصفه مما هجي به النبي
صلى الله عليه وسلم فهو كفر اي هجوه كفر فالضمير راجع لما علم من هجي او كفر بمعنى كافر
مبالغة وما ذكره من الكفر ظاهر عند الرضى بذلك او استحسانه لا ان قصد به غير ذلك
قاله ابن حجر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اي الفه لفا جمع فيه ما وقع عليه الاجماع
من المجتهدين وايمة الدين اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم وكتابته وقراته وحده او مع غيره وتركه متى وجد معطوف على رواية
اي تحريم ان لا يمحى فيتركه دون محو اي ازالته مما كتب بمحو ونحوه كاحراقه وما ذكر من
الاجماع محله في روايته لغير غرض مسوغ لذلك ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين
اي الذين يحذرون مثله خوفا منه فهم صاينون لدينهم اي يحفظونه فقد اسقطوا
من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله اي الاشعار التي وردت على هذا
الطريق اي متضمنة لهجوه كما في سيرة ابن اسحاق وغيره من المتقدمين وتركوا
روايته صونا لالسنتهم من النطق بمثله وكتابته الا اشيا ذكروها يسيرة اي قليلة
وغير مستبشعة اي لا قبح فيها ولا سب ولا هضم للمقام كما في سيرة ابن هشام وفي
نسخة مستشنعة بنون بعد الشين المعجمة على نحو الوجوه الاول اي ذكرت
حتى يعرفوا ويحذروا من قايلها كما تقدم مرا ولا ليروا نعمة الله تعالى بضم اليا التحتية
والرا اي ليظهروا بما ذكر معها انتقام الله من قايلها كاصحاب القليب وغيرهم واخذه
اي اخذ الله بهلاكه المفتري عليه لما في هجايه بذنبه وهو هجوه وذكره بما لا يليق
قال بعض الناظرين فخرج من كلامه ان ذكر الاحوال المدخولة حكاية كانت او استشهادا
غير ممتنع اذا اقترن بالذكر قصد جميل كالتاسي والتحقيق في الاستشهاد والرد
ويبين ما لله عز وجل في ذلك من الحكمة في الحكاية انتهى وهذا ابو عبيد القاسم بن
سلام جعله كالحاصل لشهرة كتبه فاشار اليه قد تحري بالحا المهملة اي تثبت فيما
اضطر الى الاستشهاد به اي التجا اليه للضرورة المقتضية لذكره لتوقف امر عليه فيما
نقصه من اهاجي جمع اهجية وهي ما هجي به من القصايد اشعار العرب في كتبه
التي الفها والمراد غير هجو النبي صلى الله عليه وسلم فكنى عن اسم المهجو ليس المراد
بالكناية هنا مصطلح اهل المعاني ولا التورية عنه كما توهم بل عادتهم كما في شعر

قال ابن حجر

دجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المتنبي وغيره انه يعبر عن عنبه مثلا بفعله الذي هو ميزانه التصريفي وهو كثير في
الشعر يعرفه من له المام بالادب فالكناية بمعناها اللغوي وقد ذكره الرضي في باب
الضماير فلهذا قال بوزن اسمه لقول المتنبي

كان فعلة لم تملا مواكبها * ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

اراد بفعلة خولة استبرا لدينه اي طلبا لان يكون دينه بريا من تنقص احد ه
والحق من في عرضه بالتعيين وتحفظا اي حفظا وصيانة لنفسه من المشاركة في ذم
احد ممن هجي بروايته لما هجي به او نشره اي اشاعة ذكره وهذا في حق احاد الناس
فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر المبرا من دنس النقائص صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم وهذا كما يقال سبك من بلغك والحاكي احد الشاتمين

فصل الوجه السابع

ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم بما ليس فيه نقص له او ما
يختلف في جوازه عليه من بعض العوارض البشرية به كما قال وهو ما يطرؤ اي
يحدث عروضه له من الامور البشرية به ويمكن اضافته اي وصفه ونسبته
اليه على وجه يليق به وفي نسخة اضافتها او يذكر ما امتحن به اي ابتلي به من
امور الدنيا زيادة لاجره وصبر في ذات الله اي لاجل الله ابتغا لرضاه لا لحظ منه
ولا لغرض اخر هذا معنى هذا اللفظ والمراد به هنا وتحقيقه ان ذات في تخفيف
ذات وصفه مؤنث ذو بمعنى صاحب ثم توسع فصحا العرب فيه قديما فاستعملوه
بمعنى الجهة والجانب الذي يقصد ويتوجه اليه كانه صاحب لقصد لتعليقه به
ثم شاع في كل ما يتعلق بشي ما ومنه الحديث الوارد في حق ابراهيم الخليل المتقدم
لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات في ذات الله اي فيما يتعلق بالرب جل وعلا ولاجله
مجازها من هنا بمعنى التعليل ومنه قول خبيب رضي الله عنه الذي رواه البخاري
في صحيحه وغيره

ولست ابالي حين اقتل مسلما * على اي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا * يبارك على اوصال شلو ممزع

كذا حققه ابن السيد وغيره من ايمة اللغة وهو المعول عليه واما استعماله
في النفس والحقيقة فلم يصح عن العرب ولذا قيل انه غير صحيح والحاقه
على التمع انه يؤنث غير جائز وقولهم في النسبة اليه ذاتي خطا كقولهم
صفاتي وهو من اصطلاح المتكلمين وغلطهم وقول ثعلب في قوله تعالى
ذات بينكم معناه عند الكوفيين حالة بينكم وقال الزجاج حقيقة
وصلكم لا دليل فيه لما استعمله المتكلمون فلا يصلح للرد على من خطاهم فيه
كما توهم وتفسيره به هنا غير مستقيم فاسد ومن فسره بطاعة الله
والانقياد لما يريده لم يبعد عن الصواب على شدته من مقاساة
اعدائه اي صبره على شدائد قاسية اعدا الله وايذاهم له اي شدة اذيتهم
له صلى الله عليه وسلم ومعرفة ابتدا حاله حين بعث ودعا الناس الى الله

وسيرته

وسيرته وما لقيه من بؤس زمانه اي شدايده ومر عليه من معاناة اي عناء وتعبه
في معيشته او معاناته بمعنى ملابسته ومباشرته والمعيشة ما يعاش به بمعنى تحمله
وصبره على لأوايها وضيقها كل ذلك اي فذكر هذا على طريق الرواية ومذاكرة العلم
يقتدى به وتعلم شرف نفسه ومعرفة ما اي امر صحت منه العصمة للانبيا لحفظ الله
لهم عن كل سوء وتبرئتهم من كل نقص والعصمة تقدم انها خلق ما يمنعه عن المعصية
باختياره لا بالجائه ولذا قال الماتريدي انها لا تزيل المحنة اي الابتلا فانها مجرد لطف
من الله كما فصل في علم الكلام وما يجوز عليهم فيذكر ليعرفه لا للازرا به فهذا المذكور
هنا خارج عن هذه الفنون الستة التي ذكرت قبله والفن بمعنى النوع اذ ليس فيه غمض
ولا نقص تفسير للغمض بغين معجمة وميم ساكنة وصاد مهملة اي شين وعيب ولا ازرا
ولا استخفاف اي اهانة وتحقير لا في ظاهر اللفظ الذي قاله ولا في مقصد اللافظ به على
الوجه الذي بينه لكن يجب ان يكون الكلام فيه اي في ذكر ما قاساه صلى الله عليه وسلم من الشدة
والبؤس في ابتدا امره مع اهل العلم الراسخين فيه بحيث لا تزل لهم السنة وطلبة الدين وممن
يزنه على ما جمع فهما او فهيم اي الشديد الفهم الذي يعرف حكمة ذلك وانه لا ضير عليهم ه
لعلمهم بمقاصد الدين القويم وممن يفهم مقاصده ما قصد منه من الحكم ويحقق فوائده
اي يتحققها لانه على بصيرة في مقامات الانبيا وجلالة قدرهم ويجنب بتنا المفعول
اي يبعده ويقصيه عن ذكر ذلك الذي ذكر من احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام
من عساه لا يفهمه الجر على الاستبعاد فهمه ومن موصولة او بمعنى به اي يذكر
له فتنته بوقوعه فيما لا يرضى في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام وقال
ابن حجر وما اقتضاه كلامه من حرمة ذكر ما مر للعوام ظاهر ان ظن بقرينة حالهم
تولد فتنة لهم منه او استخفاف او نحوهما والا فالذي ينبغي الكراهة ثم وجه بقوله
فقد كره بعض السلف تعليم النسا سورة يوسف لما انطوت اي اشتملت عليه من تلك
القصص جمع قصة اي ما فيها من ذكر شغف النسا بالصور الجميلة ومراودتهن
والتحيل منهن للمواصلة لمن يحببنه لضعفهن ومعرفتهن بالامور وما يترتب عليها
ونقص عقولهن وادراكهن اي وصولهن للدركات وقد ورد في الحديث انهن ناقصات
عقل ودين ثم بين جواز ذكره لغير العوام فقال فقد قال صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح سيأتي مخبرا عن نفسه حال من فاعل قال باستيجاره اي ايجاره نفسه
لقريش في صغره لرعاية الغنم اي اخذها للسرح في المرعى في ابتدا حاله اي صغر سنه
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ما من نبي الا وقد رعى الغنم
ذكر هذا لاصحابه العارفين بنور الايمان الحكم فيما ذكر وعلمهم بمقداره وشرفه ولئلا
لما قدمه وبقية الحديث فقال له اصحابه وانت يا رسول الله فقال نعم كنت ارعاها
على قراريط لاهل مكة وقراريط جمع قيراط جزء من الدراهم وقيل اسم مكان وتقدم
ما في ذلك وتفصيله في شروح الصحيحين واخبر الله في القرآن بذلك اي برعي
الانبيا عليهم الصلاة والسلام للغنم عن موسى عليه الصلاة والسلام في رعيه
لشعيب عليه الصلاة والسلام في قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين الاية
وقصته مفصلة في كتب التفسير وهذا لا غضاضة فيه اي فيما ذكر من الرعاية

للغنم وهي مجمان متفتوحتان بمعنى النفس وهو مستعار من نفض البص وكعه مطرقا
فكني به عما ذكر لانه انما يكون بما يستحيي منه صاحبه جملة واحدة اي ليس في شيء منه
اصلا غضاضة لمن ذكره على وجه من مذاكرة اهل العلم لما مر بخلاف من قصد به
الغضاضة والتحقير هو عطف تفسير بل كانت رعاية الغنم عادة جميع العرب حتى
اولاد اشرافهم وقد نشا صلى الله عليه وسلم بينهم غير مخالف لاحوالهم المباحة
تواضعا منه وتاسيا باخلاقهم فيما لا يضير ثم استشعر سؤالا مقدرا كانه قيل
ما حكمة وقوع ذلك وتقديره الله له فاجاب بقوله ثم في ذلك للانبيا حكمة بالغة
قوية ظاهرة فثم جواب السؤال المقدر وكثيرا ما تقحمه العرب لتاكيد الكلام في
ابتدايه كقول جحدر

اليس الله يجمع ام عمرو * وايانا وذاك بنا تداني
نعم وارى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علاني

والبلوغ الموصل الى اقصى الامر ومنتهاه وقوله تعالى ام لكم ايمان علينا بالغة
اي في غاية التوكيد قاله الراغب فكانها بلغت غاية الصواب ومنتهاه وتدريج
لله تعالى لهم الى كرامته اي اكرامهم بالنبوة والرسالة وهو وما بعده تفصيل
للحكمة ولذا عطفه كانه يغايرها وتدرب بمهملتين اي تعويد له فيكون له
دربة وخبرة برعايتها السياسة اممهم اي ضبط امورهم وحفظها من خليقته
فيسوس الامم كما يسوس الغنم بما سبق لهم اي للانبيا عليهم الصلاة والسلام
من الكرامة باصطفائهم للرسالة في الازل ومتقدم العلم اي علم الله تعالى فانه
اعلم بمن يجتبيه كما في الاية الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن حجر في شرح
البخاري حصل لهم عليهم الصلاة والسلام التمرن برعيها على ما يكلف به من القيام
بامر الامة والشفقة عليهم كما يصبر الراعي على سوق غنمه وجمعها اذا تفرقت
وحفظها عن سبع وذيب وسارق وسوقها لما فيه نفعها في مرعاه وتفرده
بامورها منقطعا عن الناس غير مشارك في امره ولا مستوحش فيتقلب امور
الناس بعد الرسالة على هذا المنوال ولذا قال كلكم راع ومسؤول عن رعيته
مع ما فيه من تواضعه وكسبه فقد امتثل فعلي صريه له وكذلك اي مثل ما ذكر
الله عن موسى لرعايته من غير تنقيص فيه قد ذكر الله عز وجل يتمه اي كونه
توفي بغير ابوين صغيرا او مرضه حكته وعيلته اي كونه في القيام على اهله
وعايلته في قلة معيشته قال تعالى الم يجدك يتيما فاوى الاية على طريق المنة
عليه اي تعداد النعمة عليه لا لتحقيره صلى الله عليه وسلم والتعريف للناس
بكرامته له اي باكرامه وتشريفه واليتيم في اصله بمعنى الانفراد وهو في
الادمي من لا اب له وفي الحيوان من لا ام له وفي الطير من لا ام ولا اب له كما
مر وتوجيهه ظاهر ومر ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو جنين
او في المهد وان امه ماتت وهو ابن ثمان وقيل اليتيم بمعنى منفرد لا نظير
له كالدرة اليتيمة والعايل الذي لا مال له يقال عال يعيل عيلة اذا افتقر
قال احيحة * فما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل

اي

اي يتيم والعيلة الفقر فذكر الله ذكر لها اي لما مر من احوال نبينا وكذلك الانبيا عليهم
عليهم الصلاة والسلام الجارية عليهم على وجه وطريق تعريف حال في ابتدا امره والحكم
عن مبتدايه بالمذاكرة به للعلما والتعجب من منح الله تعالى جمع منحة وهي العطية
قبله بكسر وفتح اي عليه وفي حالته وعظيم منته عنده بما افاضه عليه بعد ما كان
عليه ليس فيه على هذا الوجه غضاضة نقص من مقامه وتنقيص له واهانة
لعدم قصده لذلك بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته لما اكرمه الله به بعد
عدمه وكسبه له اذ اظهره الله تعالى فقواه وتنشر ذكره بعد هذا الذي كان عليه في
ابتدا امره على صناديد العرب جمع صنديد وهو السيد الشريف في قومه الجامع بين
الشجاعة والحماسة او الجواد الغالب لمن عاداه وناوشه ومن ناواه اي عاداه واصله
الهمز من النوء وهو النهوض من اشرافهم شيا فشيا اي بطريق التدريج حتى اظفره
الله بهم وذللهم واباد من اصر على عداوته وفتح ديارهم ومن عليهم كما وقع
له صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وهو متعلق بقوله اظهره الله ونمى اي
زاد واشتهر امره اي شان نبوته حتى قهرهم واذلهم فانقادوا وخاضعين له وتمكن
اي وصل من ملك مقاليدهم جمع مقلد بكسر الميم وهو المفتاح وملكها كناية عن حيازة
ممالكهم والتصرف فيها كما يريد واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم اي غير العرب
كالروم والعجم جمع مملكة وهي الاقاليم المملوكة اي جعلها مباحة مفوضا له صلى
الله عليه وسلم ولاصحابه جميع ما فيها باظهار الله تعالى له واعلاء كلمته ودينه
وتاييده وتقويته بنصره وما النصر الا من عند الله وبالمؤمنين الذين اتبعوه
وجاهدوا في سبيله والف بين قلوبهم المحبة بعضهم لبعض وزوال ما كان بينهم
في الجاهلية من التباغض والعصبية ولا يقدر على تاليف القلوب غير الله كما قال
تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم وامداده اي ارساله
مددا ابو مديده وغيره بالملايكة المسومين اي الذين لهم سمة وعلامة تميزهم
عن غيرهم وذلك كان بعمايم صفر مرخية بين اكتافهم وفي نواصي خيلهم واذنابها
صوفا ابيض وهو بكسر الواو وفتحها لان لهم سمة وقد سوموا خيولهم بما ستر
وغيره ولو كان صلى الله عليه وسلم ابن ملك بكسر اللام اي سلطان او ذا اشياع
اي صاحب جنود واتباع جمع شيعة وهي الفرقة العظيمة من الناس منتقدمين
على من تظهرون بان كانوا اتباعه من ابيه وجده لحسب اي ظن كثير من الجهال
ومن لا بصيرة لهم ان ذلك اي ملك ابيه واشياعه سبب ظهوره على غيره وتغلبه
اسم فاعل اي موجب علوه في شانه وقدره كغيره ولهذا اي لاجل ما ذكر من انه
لو كان كذلك ظن الجهلة فيه ما تقدم قال هرقل ملك الروم لما سال عنه لما
بلغه خبره وهو بكسر اوله وفتح ثانيه وسكون ثالثه كدمشق ويجوز اسكان
ثانيه وكسر ثالثه كخندف والاول هو المشهور والثاني حكاه الجوهري وغيره
ولقبه قيصر وهو اول من ضرب الدنانير وملك الروم احدى وثلاثين سنة
وفي ملكه توفي النبي صلى الله عليه وسلم حين سال ابا سفيان رضي الله عنه
وكنيته بتثليث السين يكنى ابا حنظلة وان اسمه صخر بالمهملة ثم المعجمة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن حرب بالمهملة المفتوحة والرا الساكنة ثم الموحدة ابن امية ولد قبل الفيل بعشر
سنين واسلم ليلة الفتح وشهد الطايف وحنينا وفقيت احدى عينيه في الاولى
والاخرى يوم اليرموك وتوفي بالمدينة سنة احدى او اربع وثلاثين وهو ابن ثمان
وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم بايليا
وقال له صفة مشبهة هل كان في اباىه من ملك بمن الجارة لملك بكسر اللام صفة
مشبهة في الاصل او من موصولة وملك ما من بفتحها صلتها ثم قال هرقل له
بعد جوابه ولو كان في اباىه ملك لقلنا رجل يطلب بظهوره وعلوه ملك ابيه كعادة
ابنا الملوك وقال ابيه دون اباىه ليكون اعذر في طلب الملك او المراد بالاب ما هو اعم
من حقيقته ومجازه والحديث في الصحيحين وهو مشهور واذا اليتيم بضم اوله وكون
ثانيه وتقدم تفسيره من صفته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة كالتوراة
والانجيل واخبار الامم السالفة المتقدمة التي تلقوها عن انبيايهم كما في
قصة تبع وكذا وصفه باليتيم ووقع ذكر هذه الصفة في كتاب ارميا بن حلقيا
نبي الله وكان له صحف الهية وهو من بني اسرايل ذكره مفصل في التواريخ
وهو بفتح الهمزة وجوز كسرها وسكون الرا المهملة ومثناة تحتية والف
مقصورة كذا في الجواني وفي مراة الزمان ان ارميا بضم الهمزة كما قراته على شيخي
ابي منصور اللغوي يعني الجواليقي وقال ان ارميا كان من ابنا الملوك وانه
اوحي اليه فلما انذر قومه حبسوه فسلط الله عليهم بخت نصر وساق قصة
طويلة له وكذا اي اليتيم وصفه ابن ذي يزن ملك اليمن ويزن ممنوع من الصرف
وفيه كلام للصاغاني في الذيل والقصة لعبد المطلب جده حين ذهب اليه مع
اشراف قريش ليهنوه باخذ ملكه من الحبشة فاختلى به وبشره بعده وهو بني عظيم
وانه لا اب له وانما يكفله جده وعمه وقد تقدم طرف من قصته معه واكرامه له
وكذا وصفه بحيرا الراهب لابي طالب حين ذهب معه للشام كما تقدم وفي كلامه
يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وبحيرا هو بفتح الموحدة وكسر الحا المهملة
ويمد ويقصر ويقال بحير بلا الف وفي خبره ان الراهب ساله عنه لما راى
السحاب تظله فقال له انه ابني فقال انه لا ينبغي ان يكون له اب كما نجده في
كتبنا فاخبره بموت ابيه فصدقه وكذلك اي كوصفه باليتيم وصفه اذا وصف
بانه امي لا يقرا ولا يكتب كما وصفه الله تعالى به في قوله فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي لانه هو مدحة له وفضيلة ثابتة فيه لما سياتي وقاعدة معجزته
اي مثبتة ومقوية لاساس البنيان اذ معجزته العظمى الفايقة لساير المعجزات
من القران العظيم والاخبار عما هي متعلقة بدقايق المعارف والعلوم التي وصلت
اليه مما لم يتفق ولا يمكن لغيره مع ما منح اي اعطي صلى الله عليه وسلم
وفضل به على ساير الخلق من ذلك اي من علومه ومعارفه التي لا تصل اليها
عقول البشر كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا
الخط ولم يكتبه في عمره حرفا ولم يدارس اي لم يقارن احدا يدرس عنده ما يتعلمه
من الافواه ولا لقن اي لم يلق اليه احد شيا منه يقتضي العجب اي موجب له

ومنتهي

ومنتهى العبر اي غاية ما فيه عبرة لمن يقف عليه ومعجزة البشر التي اعجزتهم عن مثله واذا
كان كذلك فليس في ذلك اي كونه اميا نقيصة له صلى الله عليه وسلم بل فيه من الشرف
والفخر ما يعجز عنه الوصف والمطلوب المقصود من تعلم الكتابة والقراة المعرفة
بما يحتاج اليه من العلوم والمعارف فليست مقصودة لذاتها وانما هي اي القراة والكتابة
الة لها او واسطة موصلة اليهما غير مرادة في نفسها اذ لا فايدة لها في نفسها فاذا
حصلت الثمرة والمطلوب بالذات والثمرة فاكهة الاشجار ونحوه لقطع كل فايدة مترتبة
على امر من الامور استغني عن الواسطة والسبب الذي يراد لاجلها فهي فيه كمال
وفضيلة والامية في غيره ممن لم يصل الى العلوم نقيصة معيبة فيه لانها
حينئذ سبب الجهالة بالعلوم والمعارف وعنوان اي دليل ظاهر على الغباوة
بغين معجمة وموحدة وهي عدم الفطنة والة كالبلادة والحماقة والعنوان
ما يكتب على ظهر الكتاب ليعلم لمن هو وما هو فاريد به كل ما يدل على فعل خفي
وعينه تضم وتكسر لانه يعلم من اميته انه لبلادته لم يقدر على التعلم وقد علم
مما قبله انه مخصوص بمن يظهر عدمه فلا حاجة الى ان يقول الامي حصته الله
بعلومه ولحقا كما قيل وفي العنوان لغات يقال عنوان وعلوان وفيه كلام في شرح
الفصيح سبحان من باين امره صلى الله عليه وسلم اي فصله وميزه وبعده من امر
غيره من الناس فجعله في اعلا مراتب من الكمال لا يحتاج لوسايط والات وجعله
ما به يمدح في غيره يعاب بنقص وهذا امر عجيب فلذا قال سبحان وهي تنزيه لله
يستعمل للتعجب كثيرا كان هذا الامر العجيب لا يقدر عليه سواه وجعل شرفه اي علو
مقامه وقدره فيما فيه محطة سواه الخط تنزيل شي من علو لسفل ومحط مصدر ميمي
والمراد ان بعض ما زاد به شرفه صلى الله عليه وسلم فيه نقص وتنزيل لغيره وهو
اشارة لما قدمه من بيته الذي يبين به ان ربه ادبه فاحسن تاديبه ورباه من غير منة
لمخلوق عليه فكان صلى الله عليه وسلم بهذا مباينا لغيره ممن تربى يتيما وجعله
ذا عيلة ليعلم انه غني بالله وانه لم يتبعه من تبعه لامر دنيوي وجعله اميا ليعلم ان
علمه لدني وهذا غاية الشرف وهو في غيره نقص وشين وجعل حياته فيما فيه هلاك
من عداه هذا اقوى مما قبله لانه قد يتيسر لبعض الخواص واما هذا او هو شق قلبه
فان الحكما متفقون على ان القلب به قوام الحياة والادراك وهو رئيس الاعضا
ولا يحتمل جراحة ولا خروجا من محله فكيف يعيش من يخرج قلبه ويشق وقد وقع
له صلى الله عليه وسلم مرارا او لها وهو صغير عند مرضعته كما تقدم بيانه
واخراج حشوته بضم الحا المهملة وكسرها وسكون الشين المعجمة والمراد ما في
داخله من العلقة السودا كما تقدم وبيان حكمته واصل الحشوة الامعا والكرش
والمراد به هنا ما ذكرناه تجوزا فكان فيما فيه هلاك غيره تمام حياته لانه اخرج
منه ما يتعلق به وسوسة الشيطان وملي علما وحكمة ففيه تمام الخلقة
بازالة منشئ السودا والمعنوية بالعلم الذي له بمنزلة الروح وغاية قوة
نفسه لان قلبه نطق واودع ما فوراه على تلقي الوحي ورؤية الملايكة وتلك
الادعان والفطنة وتبات روعه بضم الرا المهملة قبل واو ساكنة وعين مهملة

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو القلب والادراك فاريد بشقه ان يجعل فيه ما يثبته على تلقي الوحي وملاقاة
الملائكة كما ورد في الحديث ان روح القدس نفث في روعي اي قلبي وخلدي وبه فسر
وهواي شق القلب اذا وقع فيمن سواه من الناس كان منتهيا اي غاية فتسوي ومن اقوى
اسباب هلاكه باخراج روحه سريعا وحتم بفتح الحا المهملة وسكون المثناة الفوقية
وميم اي وجوبه بحسب العادة يعنيه قطعا موته اي ذهاب حياته وفنائه
بذهاب روحه وما يتبعه وحديث الشق وتعدده رواه الشيخان وغيرهما
وتفصيله في شروحهما وهلم جرا تقدم الكلام عليها مبسوطا اي وغير ذلك
مما خالف فيه غيره مما يضاف الى سائر ما روي من اخباره وسيره في كتب الحديث
مما يباين حال غيره ويعلله من امور الدنيا في جميع احواله كما تقدم ومن الملبس
والمطعم والمركب تفصيل لامور الدنيا التي تصنع فيها وتواضعه للخلق مع علو
قدره وشرفه ومهنته بفتح الميم وكسرها وذهب الزمخشري تبعا للاصمعي انها
لا تكسر كما مر وهو مصدر بمعنى الابتذال والخدمة وفعله لنفسه مفعوله
في امور الدنيا كخصف نعله وخدمة بيته بنفسه وانما كان ذلك منه زهدا
في امور الدنيا بتركها ورغبة عن الدنيا لا فيها ولتسويته بين حقيرها وخطيرها
اي عظيمها عند غيره لشرف نفسه عنها لسرعة فنا امورها وعدم بقائها وتقلب
احوالها من حال الى حال بحيث لا تدوم على حال ابدا وكل هذا المذكور من فضائله
التي فضله الله بها على غيره ومآثره جمع مأثرة بالضم وهي ما استاثر به اي
اختص به من الشرف والمكارم مما يوثر عنه وشرفه كما ذكرناه فيما تقدم من هذا
الكتاب فمن اورد اي ذكر شيئا منها مورده اي في محله الذي ينبغي واصله من ورد
الما اذا ذهب ليسقي منه فاستعير لما ذكر وقصد بها مقصده اي يليق بقدره
وشرفه كان حسنا يمدح به ويثاب عليه عند الله ومن اورد ذلك على غير وجهه
اللائق به لايهامه تحقيرا وتنقيصا له وعلم منه بذلك الايراد على غير وجهه سوء قصده
بتنقيص وشين لحق بالفصول الستة المتقدمة جمع فصل بصاد مهملة التي قدمناها
في هذا الباب وكذلك اي مثل هذا مما ورد على غير وجهه ما ورد من اخباره صلى الله
عليه وسلم واخبار سائر الانبيا صلاة الله وسلامه عليهم اجمعين في الاحاديث
التي يرويها القصاص مما ظاهره اشكال لمخالفته لما تقرر من احوال عصمتهم عنها
مما يقتضي امورا منقصة لهم ولا تليق بهم بحال من الاحوال ويحتاج الى تاويل
لها يصرفها عن ظاهرها وتردد احتمال اي تردد سامعها لاحتمالها الوجوه احد فلا
يجب اي لا يجوز كما مر ان يتحدث منها بنقلها وروايتها الا بالصحيح رواية عن
الثقاة ولا يروى منها الا المعلوم معناه الثابت نقله عن الائمة رحمهم الله
عز وجل مالكا امام دار الهجرة فقد كره التحدث بمثل ذلك الذي فيه اشكال
يحوج لتاويله من الاحاديث الموهمة اي الموقعة في فهم سامعها وهمه
للتشبيه اي تشبيه الله بغيره وهي ما يذكره المجسمة كحديث ان الله خلق ادم
عليه الصلاة والسلام على صورته والمشكلة المعنى كحديث ينزل ربنا كل ليلة
الى سما الدنيا في الثلث الاخير ونحوه مما ذكره الامام ابن فورك في كتاب المشكل

بمعنى

له

له الى بيانه وهو كتاب جليل وقال الامام مالك ما يدعو الناس اي ما يقتضي نقل مثله
والى التحدث بمثل هذا الموهم المشكل معناه فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها ويرويها
للناس وهو الامام الثقة المحدث ابو عبد الله محمد بن عجلان الفقيه المدني اخرج له مسلم
وغيره روى عن ابيه وعن انس وغيرهما واخراج مسلم له انما هو في الشواهد وتوفي سنة
ثمان واربعين ومائة وقيل ان امه حملت به ثلاثة اعوام فشق بطنها واخرج وقد
نبتت اسنانه وله ترجمة في الميزان وكان مالك لا يرى التكلم في المتشابهات وهذا محمود
على نقلها عنده لعوام الذين لا يعرفون مثلها فلا وجه للاشكال بانه كيف يجوز ان يكتم
ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من غير نهي عن نقله ولو كان مما يجب تركه لم يحدث
به اصحابه الى اخر ما اطال فيه بغير طائل فقال مالك لم يكن ابن عجلان من الفقها الذين
يعرفون ما في الحديث من الاحكام والدقائق وكان يحدث الناس بحديث ان الله خلق ادم
على صورته وهو من المتشابه المشكل وفيه تاويلات فقيل ان الضمير لمن ضرب على وجهه
لا لله وقيل ان الصورة لها معان كالحقيقة والصفة كما يقال صورة المسألة كذا وفيه
كلام لهم مشهور وليت الناس وافقوه اي وافقوا الامام مالكا على ترك الحديث اي
ترك التحدث بها اي بالمتشابهات المشكلة وساعدوه المساعدة المعاونة والمراد بها
هنا الموافقة عليه اي على رايه في تركها وعدم ذكرها واشار لكثرها اي الاحاديث
المتشابهة المشكلة ليس تحتها عمل اي ليس مدلولها ما تحت الالفاظ التي تلفظ بها كما
يقال ليس تحت هذا الامر فائدة لانها ليس فيها احكام شرعية وقد علمت ان هذا
مذهب لمالك في كراهة الكلام على متشابه الحديث كما ذهب اليه بعضهم في متشابه
القران وقد قيل انه لم يوافقه عليه احد فانه لو كان كذلك لم يحدث بها النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه ولم يقل بلغوا عني وانما هو ابتلا للراسخين في العلم
ليتعبوا افكارهم ويعملوا انظارهم فيها حتى يطبقوها على الحكم وقد فعلوا اجزاهم
الله خيرا وقد حكي عن جماعة من السلف المتقدمين من الصحابة والتابعين بل حكي
عنهم اي السلف على الجملة اي جميعهم انهم كانوا يكرهون كراهة تنزيه الكلام
على ما ليس تحته عمل مما لا يشتمل على الاحكام الشرعية ثم اشار الى جواب سؤال
مقدر فقال والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها اي حدث بها موردا لها على
قوم من الصحابة فهو جواب عما اشرنا اليه من انها لو كانت كذلك ما حدث بها عرب
بوزن قفل وجمع اي من صميم العرب واهل اللسان فهم يفهمون كلام العرب يعني
ومن جملة ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم على وجهه الذي اريد به من غير
التباس وتصرفاتهم بالجر والنصب في حقيقته وما وضع له ومجازه الذي يجوز
به عنه مجازا لغويا او عقليا واستعارته من عطف الخاص على العام لانه مجاز
علاقته المشابهة وبليغه اي ما يورد من فصيحه على مقتضى الحال والمقام
وايجازه اي ايراد معانيه الكثيرة بالفاظ قليلة فلم تكن تلك الاحاديث في حقهم
مشكلة لانها لا تخفى عليهم مقاصدها ثم جا بعدهم من هذه الامة من غلبت
عليه العجمة لمخالطته العجم ودخول غير لسان العرب فقلما تجد عربيا
فصيحا بين اظهرهم والعجمة عدم الفصاحة وداخلته الامية اي الجهل بلسانه

ابن الجوزي

للراسخين

كلامه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العرب فليس المراد به الامي بالمعنى المشهور فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب في كلامهم
الخرفي الا القليل وتعني به صريحها دون دقايق رموزها فهو عطف تفسير ولا
يتحقق اسرارها اي لا يفهم دقايقها وتلويحاتها الى غرض الايجاز المقصود منه
ومن عدم بسطه وتوجيهها نحا مهملة واصل معناه الرمز قال وحيا لملاحظ
خيفة الرقبا وغرض تبليغها السامع معها بلا تصريح وتلويحها التلويح هو التعريض
والاشارة فتفرقوا اي تاويلها اي صاروا فرقا مختلفة لما ذكر في خفا المراد منها فذهب
طايفة الى نفيها او تاويلها بما ينبغي لمعناها او حملها على ظاهرها من غير تاويل
لها شذر مذر اسمان ركبا وبنيا على الفتح كخمسة عشر بشين وذال معجمتين
وراين مهملتين مع فتح اولهما وكسرهما وابدال ميمه با وقيل هو الاصل من
التبذير وهو التفريق ومعناه متبددة متفرقة اي ذهبوا في المتشابه الى
مذاهب وجهات فمن قايل تاوله ومن قايل نبقيه على ظاهره ومن قايل نؤمن
به من غير تعرض لمعناه وكشف قناع وجهه فمنهم اي ممن تفرق شذر مذر
من امن به اي صدق به وبانه حق وتنزهه عن ان يراد به ظاهره ويفوض معناه
الى الله تعالى فيقف على قوله الا الله وهم كثير من السلف وهو اسلم ومنهم
من اوله بما يليق به وهو اعلم كحديث ينزل ربنا الى السما الدنيا والقلوب بين
اصبعين من اصابع الرحمن ومنهم من كفر بسببه للخوض فيه بما لا يصح ابتغا الفتنة
واضلال الناس وفيه لف ونشر فمن امن راجع للتاويل ومن كف للحمل على الظاهر
ونفي مذهب الوقف وهو معلوم مما تقدم واعلم ان الكلام على المتشابه من
الكتاب والسنة وقع هنا استطرادي اذ ليس مما نحن فيه لانه بصدد وصف
النبي صلى الله عليه وسلم بما يجوز وما لا يجوز وليس من المتشابه في شي لكنه
يشبهه في تاويل بعضه ومنع الخوض فيه لبعضهم فاما ما لا يصح لعدم صحة
سنده من هذه الاحاديث المشكلة فواجب ان لا يذكر منها شي لعدم صحتها وعدم
صحة معانيها سوا كانت في حقه تعالى او في حق انبيايه كما قال في حق الله
تعالى ولا في حق انبيايه ولا يحدث بها وايه ونقلا لا حفا الا ما كذب فيجوز
نقله الا لبيان انه كذب وموضوع ولا يتكلف بعد نقلها الكلام على معانيها
بتفسيرها وتوجيه تاويلها والصواب طرحها اي تركها وترك الشغل بها
اي الاشتغال بذكرها وتاويلها والشغل بفتح الشين وضمها وسكون عينه
وضمها اتباعا الا ان يذكر على وجه التعريف والتبيين لمن لا يعرفها وانها مقعدة
المقاد بفتح الميم والقاف والف ودال مهملة من قدت الدابة في سيرها وهو
اسم مكان منه استعير لطريق روايته وفي نسخة المقالة واهية الاسناد اي
اسنادها شديد الضعف ساقط عن درجة الاعتبار من وهي بمعنى وهن
وضعف وقيل انه من وهي الثوب اذا تخرق وقد انكر الاشياخ جمع شيخ
بمعنى العالم المعتد على الامام ابي بكر بن فورك وهو الامام محمد بن الحسن
ابن فورك الشافعي المحدث الاصولي وفورك بضم الفا وراء مهملة وقد اختلف
في صرفه وعدمه كما تقدم توفي سنة ست واربعماية ودفن بنيسابور

تكلمه

تكلمه متعود لكن في مشكله اي في كتابه الذي سماه مشكل الحديث في المتشابه الكلام
مقعول تكلف اي المتكلم على احاديث ضعيفة موضوعة الظاهر او موضوعة لا اصل لها
اي لا نقل لها ولا سند صحيح يقال كلام لا اصل له اي كذب او منقولة عن اهل الكتاب
اي اليهود والنصارى كبعض قصص الانبيا الذين يلبسون بتخفيف البا الموحدة
وتشديدها اي يخلطون الحق بالباطل الذي اختلقوه وافتروه كان يكفيه طرحها اي
تركها ذكرها ويغنيه عن الكلام عليها بتاويلها وتوجيهها التنبيه على ضعفها وان
روايتها لم تنقل عمن يعتد به اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها مما يخالف ظاهره
الصواب ازالة اللبس بها اي التباسها على من لا علم عنده واجتثاثها اي قلعها وقطعها
بجيم ومثناة فوقية وثا بين مثلثتين واصلها قطع اصول الشجر فاستعير لما ذكر
وقوله من اصلها ترشيح فيه تورية وطرحها اي تركها راسا اكشف اي اظهر وابين
للبس من ذكرها وتاويلها واشفى للنفس اي اكثر شفا من تاويلها وهذا الخامل منه
فانه لعد شي مما لابد من بيانه حتى لا يغتر بها الجهلة وفي كتاب ابن فورك زوايد
جليلة ومعان بديعة لا يعرفها من وقف عليه مع ان في كتابه احاديث منها ما هو
صحيح كحديث نزول الرحمن ومنها ما هو ضعيف نبه على ضعفه كما ذكر في كتابه

فصل وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى المُتَكَلِّمِ

على ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز عليه كما تقدم
بيانه والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل الذي ذكر قبل هذا على
طريق الذاكرة مع اقرانه والتعليم لمن هو دونه من طلبة العلم ان يلتزم فاعل
يجب اي يلازم من غير ترك في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك
الاحوال التي وقعت له الواجب من توقيره وتعظيمه بما يليق به ويراقب المتكلم
في كلامه الصادر منه حال لسانه بتعبيره بعبارة حسنة ولا يهمله اي لا يترك توقيره
وتعظيمه بتحتية مضمومة او فوقية مفتوحة علامات الادب تجوز نصب علامات
ورفعها عند ذكره حالا او مقالا فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد كما وقع له صلى
الله عليه وسلم في ابتدا دعوته واذاية المشركين له ظهر عليه الاشفاق عليه صلى
الله عليه وسلم باظهار شفقته عليه مما اصابه والارتماض اي احتراقه ولوعته
وهو بالضاد المعجمة يقال ارتمض الرجل من كذا اذا اشتد غمه واقلقه والغيظ
على عدوه باظهار غضبه وعداوته لعدوه وظهر عليه تودده اي تمني الفدا للنبي
صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه اي على ان يكون فدية له بنفسه واهله وماله
من جميع المكاره اي ان يسلم ويحل به ما حل به عوضا عنه والفدا اذا كسر مد وفتح
وقد ينون اذا جاور لام الامر وفدا لك كما في الصحاح فان فتح قصر ونصب ورفع
وهو دعا له ومن الله تعظيم وتوقير لتنزهه عن معناه والنصرة له صلى الله عليه
وسلم لو امكنه نصره وكان معه واذا اخذ اي شرع في التكلم في ابواب العصمة اي
انواع ما عصمه الله منه وصانه وتكلم على مجاريه اي ما جرى من اعماله الصادرة عنه
واقواله الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم تحرى بمهملتين اي قصد احسن اللفظ

وادب بهمزة ممدودة فبدال مهملة وموحدة افعل تفضيل العبارة التي يعبر بها اي
اكثرها ادبا او توقيرا ما امكنه اي بقدر امكانه في بذل جهده وقدرته واجتنب اي ترك
في جانبه تشنيع ذلك بباء موحدة وشين معجمة اي ما فيه بشاعة وقباحة تمجها السمع
وهجر اي ترك من العبارة ما يقبح كلفظ الجهل والكذب والمعصية فلا يتكلم بمثلها ولو
حكاية صونا للمقام المصون ثم وضح هذا او بينه بقوله فاذا تكلم في الاقوال اي فيما
يتعلق باقواله صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز عليه صلى الله عليه وسلم الخلف
في القول والاخبار بكسر الهمزة مصدر اخبر بخلاف ما وقع سهوا او غلطا سبق به لسانه
ونحوه من العبارات من غير تعمد وقصد فانه لا يؤاخذ به وتقدم ان الخلف المخالفة
في الوعد قال ما اخلفنا موعدك بملكنا والمراد به تخلف القول مطلقا لا يقول هل
يجوز عليه الكذب بل لفظ الكذب جملة واحدة اي بجميع الفاظه من مصدر وفعل
واسم فاعل وكذا مرادفه كمين واذا تكلم على العلم وما يتعلق به في وصفه به نفيا واثباتا
بالنسبة في حقه صلى الله عليه وسلم هل يجوز عليه ان لا يعلم الا ما علم بالتشديد وبنا المجهول
اي ما علمه الله عز وجل وهل يمكن ان لا يكون عنده اي في نفسه وعلمه كقوله اولئك
عند الله هم الكاذبون علم ببعض الاشياء التي يمكن علمها حتى يوحي اليه بها ولا يقول
في التعبير عن هذا بجهل وان كان وان كان الجهل عدم العلم لقبح هذا اللفظ وبشاعته
اي استهجانه في السمع قال الباقلاني يجوز عقلا كون النبي غير عالم ببعض شرايع
من قبله وبعض المسايل التي يعرفها الفقها والمتكلمون اذا لم يخل بمعرفة التوحيد
وكونه غير عالم باللغات غير قومه وبعض امور الدنيا كالحرف والصنايع وقيده ابن
الهمام بما لم يخل بما لهم فان خطرت بما لهم فلا بد من علمهم بها ولو احتهادا ابا على
ان لهم الاجتهاد وانهم لا يقرون على خطا فيه فتامل واذا تكلم في امر الافعال اي
افعاله صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز منه في بعض الاوامر التي امره الله
بها والنواهي التي نهاه الله عنها ومواقعه اي وقوع بعض الصغاير منه بقي
اولى وادب بالمدح اي اكثر ادبا من قوله هل يجوز ان يعصي ويذنب او يفعل كذا
وكذا كناية تادبا عما يكون من انواع المعاصي فهذا اي ترك الالفاظ القبيحة
والتعبير بغيرها من توقيره صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وما يجب له
من تعزير بزاي معجمة وراء مهملة اي تعظيم في نفسه واعظام عند غيره
زاده الله شرفا وتعظيما وفي قوله من توقيره اشارة الى ان كل تعظيمه
لا يمكن ان يحيط به العبارة قيل ولبته اتى به في تسمية كتابه فقال الشفا في
تعريف حقوق المصطفى وفيه نظر وقد رايت بعض العلما لم يتحفظ من هذا
اي لم يتركه فقبح بالتشديد ويجوز تخفيفه ولم استصوب عبارته فيه مما
يتحفظ منه اي لم اعده صوابا ورايت بعض الجايرين بالجيم اي المايلين عن
الانصاف وجوز بعضهم اهماله من الحيرة فقوله بتشديد الواو من التقول
وهو تكلف القول والافترا عليه لاجل ترك التحفظ في العبارة باتيانه
بعبارة قبيحة ما لم يقله مصدر لقوله فقوله من معناه اي قولا لم
يقله وشنع ذلك البعض عليه اي على من لم يتحفظ بما اتاه اي يمنعه

بحقه

بحقه صلى الله عليه وسلم ويكفر قائله اي ينسبه للكفر حجرا منه عليه واذا كان مثل
هذا من رعاية الادب جاريا بين الناس في محاوراتهم ومصاحبتهم مستعملا في ادابهم
في مخاطباتهم ومكاتباتهم وحسن معاشرتهم اي اختلاط بعضهم ببعض كالعشاير
وخطابهم الجاري بينهم فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب اي احق
واولى وحمله بعضهم على ظاهره فقال انه فرض ثم ذكر هنا الخلاف بين الشافعية
والحنفية في الفرق بين اللزوم والواجب والعقود تراد فيها وليس هذا محله وما ذكره
ينافي ظاهر كلام المصنف في عده من الاداب والتزامه اكد بالمد افعل تفضيل من التوكيد
او التاكيد بابدال الهمزة الفا فجودة العبارة بفتح الجيم مصدر جاد الشيء فهو جيد
كانه لم يدخر شيئا من حسنه الا ابداه تقبح الشيء اي تجعل الحسن قبيحا وتحسن العبارة
او تحسنه اي تجعله حسنا وان اتحد معناهما وهذا مما ذكره اهل المعاني والبلاغة
كما قيل في العسل

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ❁ وان تعبه تقل قيء الزنابير

وتسميه اهل المنطق المعاني الشعرية والشعر عندهم الامر المبني على التخييل نحو الخمر
جوهرة مذابة كما بينه ابن هلال في كتاب الصناعتين وتحريرها اي جعل العبارة محررة
منقحة ولقد بينهما اي تحليتهما بما لا يحسن فوله يعظم الامر اي يصيره عظيما وان كان
هينا او يهونه اي يجعله هينا وان كان عظيما في نفسه كمدح الموت او القتل الواقع في
كلام شجعان العرب فكم حمل على الالقا في التهلكة ومدح المال المحسن للشح به وللثعالبي
والجاحظ كتاب في مدح كل شيء وذمه وهو معروف بين اهل الادب ولهذا اي لاجل
ان جودة العبارة تحسن القبيح وتقبح الحسن قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
ان من البيان لسحرا البيان بمعنى الفصاحة واللسن من له ذكا وفطنة وقيل هو الكلام
المفتح التركيب الى الافهام المبين له احسن تبيين واقربه والسحر كما قال الراغب يطلق
على معان احدها خداع وتخيلات لا حقيقة لها كالشعوذة قال الله تعالى يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى ومنه ما يكون بمعاونة الشيطان وما قيل من انه يغير الصور
والطبايع لا اصل له وقيل انه ثابت واما في الحديث فهو استعارة اي كالسحر في الدقة
وسرق العقول والاسماع ولذا قيل فيه انه هنا يحتمل المدح والذم فقال ابن قتيبة انه
اورده مورد الذم لتشبيهه بعمل السحر في قلب القلوب وجلب الافئدة وتحسين
القبيح وتقبيح الحسن وامثلة في كلام العرب الصرف يقال سحره اذا صرفه وصيره
كمن سحره ويشهد له قوله في الحديث لعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض
فيكسب به من الاثم ما يكسبه الساحر بعمله فهو ذم وقيل انه ورد مورد المدح
اي يميل به القلوب ويرضي به الساخط ويستنزل به الصعب وقيل له السحر
الحلال ويشهد له قوله ان من الشعر لحكمة وقد ادخل مالك الحديث في باب ما يكره
من الكلام والظاهر انه في الحديث يحتمل الامرين وبه يحسن سياق المصنف ويقع في
محزه واعلم ان ما ذكره المصنف باب عظيم من ابواب البلاغة وهو ان الكلام المتحد المعنى
يختلف باختلاف العبارة كما حكي عن الرشيد انه راى في منامه ان اسنانه كلها
وقعت وتعبيره ذهاب الاعوان والانصار فطلب معبرا يعبره رؤياه فاتى له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بحلاعابن فقال بموت اولادك واحبابك وترى مصيبتهم فامر بقلع اسنانه ثم اتى
باخر فقال تموت اطول من عمر اهلك وحواشيك واحبابك فامر ان يحشى فوه درا وله
نظاير كثيرة في كتب البلاغة ولكل لفظ موضع لا يقع فيه مرادفه كما بينه الثعالبي
في كتاب فقه اللغة فاما ما اورده اي المتكلم في حقه صلى الله عليه وسلم مما
لا يجوز عليه على جهة النفي عنه اي ان يكون منفيا عنه والتنزيه له بنفيه عنه
فلا حرج اي لا ضرر ولا تضييق فيه مع نفيه في تسريح العبارة اي اطلاقها من غير
احتراز وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة اي في جميع احواله واقواله
فذكر الكذب مع النفي لا منع فيه ولا اتيان الكباير بوجه من وجوهها فذكر الكباير مع
النفي لا ينافي الادب ولا يمتد دعنه الجور في الحكم على حال من الاحوال كالرضى والغضب
ولكن مع هذا اي تجويز مثله في النفي يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكر
مثل هذا الكلام في النفي وقد وجب توقيره مع ذكره مجردا من صفات لا تليق به فكيف
بهذا فيعلم بالطريق الاولى وقد كان السلف تظهر منهم حالات شديدة عند مجرد
ذكره صلى الله عليه وسلم من بكاء ورعدة لمهابته وتغير لون وتواجد كما قدمناه
في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك التوقير والتعظيم عند تلاوة اي
بالمدجج آية من القرآن حكى الله فيها مقال عداه المنبئين تعالى فهو تنظير
لا تمثيل ويجتنب عوده للنبي صلى الله عليه وسلم اي ما ذكر فيه اعداء رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووقايعه فهو تمثيل لما نحن بصدده وذكر من كفر بآياته اي
آيات الله عز وجل او معجزات رسله فالضمير له ايضا وافترى عليه الكذب اي
اخترعه واختلقه فكان يخفض بهما صوته في الآيات التي حكى فيها ذلك كانه خايف
من اظهاره اعظاما لربه واجلالا لانه بتوقيره واشفاقا اي خوفا على نفسه وحذرا
من التشبيه بمن كفر به في اجراء ما ذكر على لسانه او تلبسه بما تلبسوا به وفي نسخة
سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم المتعالي عما يقوله الجاحدون علوا كبيرا وخفض
الصوت المذكور يحكى عن ابراهيم النخعي رحمه الله كما في التبيان وما قيل من ان
سبب العيب تعتني فابليته وانه من شانه مما لا ينبغي ذكره كما لا يخفى

الباب الثاني من هذا القسم الرابع

في حكم سابه شرعا وشانيه اي مبغضه والمراد من يعيبه لبغضه وعداوته له
ومنتقصه اي ذاكر ما فيه نقص له صلى الله عليه وسلم ومؤذيه وفي ذكر
عقوبته التي يستحقها وذكر استتابته اي هل تقبل توبته ام لا ووراثته
اي هل تورث امواله ام لا قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رضي الله عنه
قد قدمنا في هذا الكتاب ما هو سب واذى في حقه صلى الله عليه وسلم
وذكرنا فيما تقدم ايضا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك المذكور من السب
والاذية وتقدم ايضا الكلام على هذا الاجماع وقايله اي من نقل له وتكلم
به وتخيير الامام في قتله بالسيف او صلبه تشهيرا له بين الناس على منوال
ما ذكرناه مفصلا وقررنا اي ذكرنا الحجج اي الادلة من الكتاب والسنة القاطعة

عليه

عليه وبعد مبني على الضم اي بعد ما ذكرناه فاعلم ايها المخاطب بما ذكرناه من كل من يقف
عليه ان المشهور من مذهب الامام مالك واصحابه من اهل مذهبه وقول السلف
من الصحابة والتابعين وجمهور العلماء اي اكثرهم قتله حيرانه وهي وما بعدها
سادة مسد مفعولي اعلم حدا لانه حد قذف مخصوص بالانبيا كما تقدم لا كفرا اي
لا يقتل بسبب كفره لانه ردة ان اظهر التوبة منه اي مما قاله لانه ان اصر عليه يكون
كافرا ولهذا اي لكون قتله حدا لا تقبل توبته عندهم لان الحدود لا تسقط بالتوبة
وانما تنفعه توبته في الآخرة ان اخلص فيها ولم تكن تقية ولا تنفعه استقالته
اي طلبه الاقالة من ذنبه ومما قاله وهي في معنى التوبة ولا فيئته بالفاء والهمزة
المفتوحتين بينهما يا ساكنة وبا التانيث اي رجوعه عما صدر منه كما قدمناه
قبل اي قبل هذا وحكمه شرعا حكم الزنديق وهو مظهر الاسلام ومسر الكفر اي مبطنه
ومخفيه في سره وباطنه في هذه القولة الذي قاله من السب وقيل المراد به القول المشهور
عن مالك واصحابه ومن وافقهم عليه وغيرهم بقول تقبل توبته ولا يقتل وسوا
كانت توبته على هذا القول المشهور عن مالك بقتله حدا بعد القدرة عليه باخذه
من جانب الحاكم والشهادة عنده على ثبوت قوله الذي استحق به القتل او جا تايبا
من قبل نفسه بدون اخذ له وقبل بكسر القاف وفتح البا الموحدة بمعنى جهة لانه
حد وجب عليه شرعا بسبب قذفه والحد لا تسقطه التوبة كساير الحدود مثل حد
الزنا والسرقة وكون الحدود لا تسقط بالتوبة ليس على اطلاقه متفق عليه وانما
هو فيما اذا كان محض حق الادمي اما ما هو حق لله ففيه خلاف وسياتي تفصيل
هذا الحكم ان شا الله تعالى وقال الشيخ ابو الحسن القابسي الذي قدمنا ترجمته
اذا اقر بالسب له صلى الله عليه وسلم او لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وتاب منه برجوعه عنه وندمه واظهر التوبة وقبلت منه قتل بالسب اي
بسببه صلى الله عليه وسلم لا بالكفر اذ هو حده اي حد هذا السب المخصوص
بالانبيا وقال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله القيرواني المالكي شيخ المذهب
كما تقدم في ترجمته مثله اي مثل قول القابسي واما ما بينه وبين الله تعالى في
الآخرة اذا اخلص في توبته فتوبته تنفعه عند الله تفضلا منه فانه يقبل التوبة
عن عباده وقال ابن سحنون تقدم بيانه ايضا من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
بذكر ما فيه نقص لمقامه الشريف من الموحدين المراد بهم المسلمين فيخرج اهل
الكتاب ثم تاب عن ذلك ورجع عنه لم تزل توبته اوله مضارع ازال التوبة عنه
اي عن فاعله القتل لانه حده كما تقدم وكذلك اي كما اختلف فيمن سب قد
اختلف في الزنديق اذا جا تايبا من نفسه قبل الاخذ فحكى القاضي ابو الحسين
ابن القصار تقدمت ترجمته في ذلك الذي جا تايبا قولين في مذهب مالك
قال ابن القصار من شيوخنا وفي نسخة منهم اي من اصحاب مالك من قال
اقتله وجوبا باقراره بسببه او بانه زنديق لانه قبل اقراره يقدر على ستر
نفسه باخفا حاله ومقاله فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه بالاطلاع
على حاله فبادر اي اسرع قبل اخذه لذلك الاعتراف تقية لا رجوعا وندما

شبكة الألوكة www.alukah.net

علي ما صدر منه ومنهم اي من مشايخنا من ايمة المالكية من قال اقبل توبته لاني استدل
حكاية للفظ هو لا على صحتها اي توبته لمجيئه بنفسه من غير طلب فكاننا وقفنا نظاهر حاله
علي باطنه وما اسر في قلبه بخلاف من اسرته البينة اي شهدت عليه والزمته حق
لانه اسير شدي وثاق قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله وهذا
القول الثاني قول اصبغ من المالكية ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى
في حكم القتل من مسالة الزنديق لانه حق الله وهذا ترجيح منه للقول الثاني
لتنوية الاول بينهما لا يتصور فيها الخلاف الذي في الزنديق على الاصل والقاعدة
الفقهية من المشاحة في حقوق الادمي المتقدم بيانه لانه اي سب النبي صلى الله
عليه وسلم حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم وحق لامته بسببه لانهم كورثته
في ارث حقوقه لا تسقطه التوبة كساير حقوق الادميين التي لا تسقط الا برضى
الخصم والزنديق حكمه اذا تاب بعد القدرة عليه باخذه بعد العلم بانه زنديق
فعند مالك والليث بن سعد واسحاق بن راهويه واحمد بن حنبل لا تقبل توبته
ولا يسقط بها قتله وعند الشافعي تقبل توبته وما نقله المص عن الشافعي
هو الصحيح من اقوال خمسة مفصلة في كتب الفقه واختلف اي اختلف النقل
فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف من اصحابه وترجمته مشهورة لا حاجة للتطويل
بها وحكى ابو بكر بن المنذر الامام الحافظ المشهور كما تقدم عن علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه انه اي الزنديق يستتاب اي تقبل توبته ان تاب بعد
القدرة عليه والا قتل وقال محمد بن سحنون ولم يزل بفتح اوله وضم ثانيه
مبنيا للفاعل مضارع من الزوال اي لم يذهب ويسقط القتل عن المسلم الذي
سب النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة والرجوع عن سبه بعد صدوره منه
لانه لم ينتقل من دين هو حق الى غيره هو دين باطل فليس مرتدا وانما هو على
دين الاسلام لكنه صدر عنه ما يوجب الحد عليه وانما فعل شيا وهو السب الموجب
للحد وحده عندنا القتل والحدود لا تسقط بالتوبة كما تقدم لا عفو فيه
لاحد لان حدود الله لا يسامح فيها بشيء من هذا الوجه كالزنديق المظهر للاسلام
لانه اي الزنديق لم ينتقل من ظاهره الحقيقة الى ظاهره في الباطلية غيره لبقاء
ظاهر اسلامه على حاله فتبد في تعليله هذا نظر لانه ان اراد انه لم ينتقل لدين
نبي اخر كموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام يرد عليه انه لو صار مشركا
تقبل توبته وظاهره ان من لم ينتقل لدين لا تقبل توبته وفيه نظر وحكم الزنديق
مفصل في الفروع والمص لم يفصل في السب بين القذف وغيره والشافعية
لهم فيه تفصيل وفرقوا بينهما الا ان المص نقل ما في مذهبه وهو نفسه
فيه لا يعترض عليه بمذهب غيره وسيفصله في اخر هذا الباب بما يشفي
الصدور وقال القاضي ابو محمد بن نصر تقدم بيانه محتجا لسقوط اعتبار
توبته اي توبة من سب النبي صلى الله عليه وسلم والفرق بينه وبين من
سب الله تعالى فانه تقبل توبته وكان الظاهر خلافه لانه اشد والله تعالى
اجل واعظم وقد ذهب الاكثر الى قبول توبة من سبه على مشهور القول باستتابته

وقبول

ويقبل توبته والفرق على هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس من شانه
في الجملة انهم يلحقهم المعرة وهي النقيصة التي يلحق صاحبها عار قال في المصباح المعرة
المساءة والاثم من قولهم عره بالشر يعره من باب قتل كلطخه او هو من العر بمعنى الجرب
واستعير لما ذكر فهذا يجوز ان يلحق بعض البشر الا من اكرمه الله بنبوته فانه وان
كان من البشر لكن الله عصمه وحفظه عن ان تلحقه معرة ونقص كغيره من البشر والباري
بمعنى الخالق وهو الله تعالى منزه ومبرؤ عن جميع المعايب قطعا اي بدليل عقلي
لا يتردد فيه عاقل وليس من جنس اي ليس له جنس يكون منه لانه واحد احد
في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء ولا ماهية له ولا يحد فلا يكون من جنس تلحق
المعرة جنسه بلحوق بعض افراده المعرة فيتوهم نسبة نقص له فلكونه معلوم الانتفا
لم ينظر اليه وجاز قبول توبة من سبه بخلاف البشر وليس هذا الكون سب الله اهون
من سب غيره وهو مناف لقوله في نسبة الولد له تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض كما توهم بل لانه لظهور تقدسه وتنزهه لا يلحقه بكلام بعض من لا عقل
له نقص ولو عند العقول القاصرة فلا يبالي بمثله وهو مذهب ابن الهذيل ان وهذا
مكابرة فيما افرده الفقها ناشئ من عدم الاذعان وهو ان هذا احق الله اكرم الاكرمين
وحقوق الله تقبل العفو وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول
فيه التوبة وسبه لا تقبل فيه التوبة على قول كما تقدم لان الارتداد اي خروجه
عن دينه معنى ينفرد به المرتد اي يختص به في نفسه لا حق فيه لغيره من الادميين
يتوقف قبوله على رضاه فقبلت توبته اي المرتد لهذا ومن سب النبي صلى الله عليه
وسلم تعلق فيه اي بسبب سبه حق لادمي وهو النبي صلى الله عليه وسلم فكان
من سب النبي صلى الله عليه وسلم كالمرتد يقتل بفتح الفاعل اي يقتل المرتد رجلا
اخر حين ارتداده وفي نسخة حال ارتداده فحينئذ يتعين قتله لحق الادمي الذي قتله
قصاصا او يقذف المرتد الذي يقذف حال ردته فلا بد من اقامة الحد عليه لتعلق
حق الادمي به حينئذ فان توبته اي توبة المرتد الذي قتل او قذف حين ردته
لا تسقط توبته عنه حد القتل والقذف لانه حق ادمي غيره وهذا هو الاصح
في المرتد انه لا بد من استتابته والكلام عليه مفصل في الفروع وفيه خلاف
لبعضهم وايضا مما يدل على الفرق بين المرتد والساب فان توبة المرتد اذا
قبلت فاسقطت قتله من حيث هو مرتد لا تسقط توبته ذنوبه من غير الردة
من زنا او سرقة او غيرهما من حقوق الادميين وانما تثبت اسلامه ولم تقبل ساب
النبي صلى الله عليه وسلم لكونه فيكون ردة كما قيل لكن لمعنى يرجع ويعود
الى تعظيم حرمته وحفظ مقامه باحترامه وتوقيره وترجع اليه وازال المعرة والنقص
اللاحق به وذلك لا تسقطه التوبة لانه متعلق بعرضه فهو حق له كحقوق الادميين
وهذا هو القول الصحيح عند ابي حنيفة والك وغيرهما وفي قول انها
تسقطه ايضا لقوله في الزنا فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب
من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ولا خلاف في سقوطها فيما بينه
وبين الله بعدم مؤاخذته بها وعليه يحمل ما ذكر وقال النووي في الروضة

سقوط الحد بالتوبة فقول ضعيف قال القاضي ابو الفضل عياض المص رحمه الله تعقيد
لما تقدم من ان سبه صلى الله عليه وسلم ليس بكفر بزيد والله اعلم لان سبه صلى
الله عليه وسلم لم يكن بكلمة تقتضي الكفر كانكار نبوته ونحوه فهذا ليس محل الخلاف
وعليه يحمل ما ورد من الحكم بكفره واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من نفسه فمعناه لا يكمل اسلامه كغيره من النصوص فمن توهم هنا فانه
لما ذكره المص فقد قصر فالسب له مراتب تختلف بها احكامه ولكن المراد بالسب المذكور ما
يكون بمعنى الازرا او الاستخفاف اي يذكر فيه تنقيص لمقداره واذية غير شديدة
اولان من صدر عنه ذلك القول بانه كفر بتوبته ورجوعه عما قاله واتابته اي
رجوعه الى الحق ارتفع عنه اسم الكفر كالمرتد اذا اسلم لا يسمى كافرا ظاهرا ونحن
انما نحكم بالظاهر والله تعالى اعلم بسريرته فان الله عز وجل هو العالم بالسرائر وبقي حكم
السب عليه لم يرتفع فيقتل حدا فلو اصر فهو كافر وفي قوله ازرا واستخفاف
نظر لان الازرا به صلى الله عليه وسلم والاستخفاف به كفر بل من اعظم الكفر فاستدراكه
ليس في محله ثم انه قيل انه اذا كان حدا كيف يترك والحدود لا يتسامح فيها كما تقدم
وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل بعض من سبه واذاه الا ان تعالى انه من خصائصه
جواز تركه اذا كان له فيه حق الا ان هذا يعود على الدليل بالنقض فلا يتم الجواب به
ولا يلزمه ان يكون مقتولا بالكفر الباطن وهو لا يحكم به كما قيل وقال ابو عمران القابسي
وفي نسخة القاسي وقد تقدم بيانه من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
عن الاسلام باطنا او خرج منه قتل ولم يستتب اي لم تطلب توبته ولم تقبل لان
السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد وان تاب لكن توبته ان اظهرها
والحلم فيها تنفعه في الاخرة وكلام شيوخنا المالكية هولاء المنقول عنهم انفا
وغيرهم مبني على القول بقتله اي الساب حدا في قذف الانبيا لا كفرا بردته
الا انه مجرد هذا لا يكفي في تحقيق ما قالوه وهو يحتاج الى تفصيل اكثر مما قالوه
وهذا مبني على عدم كفره والفرق بين القتل حدا وكفرا وكلاهما مشكل وقال السبكي
في السيف المسلول ان قتل المرتد عقوبة خاصة رتبها الشرع على خصوص الردة
كالرجم على الزنا فقتل المرتد حد وسقوطه بالتوبة لا ينافيه فان الرجم حد
بالاتفاق مع الاختلاف في سقوطه بالتوبة ومن ظن ان من سماه حدا لا يسقطه
بالاسلام فهو غالط فالساب المسلم مرتد والكلام فيه كالكلام في المرتد وان قتل
كقتله حدا انتهى ومنه يعلم ما في كلام المص في هذا الفصل وانه فرق بين الحد
وقتل الكفر وهو غير مسلم ايضا واما استشكاله بانه كيف يكون حدا مع انه
صلى الله عليه وسلم ترك قتل بعض الناس ممن سبه والحدود لا يمكن تركها
فغير مسلم على الاطلاق فان ما لا يعفى عنه منها ما هو حق الغير واما حق نفسه
صلى الله عليه وسلم فليس كذلك كما مر واما على رواية الوليد بن مسلم الذي
قدمنا ترجمته عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن وافقه لمالك وللوليد
ممن ذكرناه فيما تقدم وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه اي سب
الرسول صلى الله عليه وسلم ردة وكن قالوا ويستتاب منها فتقبل توبته

كغيره

ابي الفرس

عرضي

كغيره ممن ارتد فان تاب نكل ببنا المجهول مشددا اي عوقب بتعزيره وضربه ونحوه وان
ابى التوبة فلم يتب قتل حكم له بحكم المرتد مطلقا اي باي وجه كانت الردة فحكمهما ماذكر
وفي هذا الوجه على هذا القول الذي رواه الوليد عن مالك والوجه الاول من انه
يقتل حدا لا كفرا اشهر واظهر لما قدمناه في توجيهه ونحن نبسط الكلام اي نفصله
ونوضحه فيه اي في سبه صلى الله عليه وسلم فنقول من لم يره اي من لم يعتقد ويذ
الى انه ردة ولكن هو يوجب القتل فيه حدا لا كفرا وانما يقول ذلك مع فصلين اي في
وجهين وصورتين مخصوصتين نفصله ونميزه عن غيره اما مع انكاره ما شهد به
عليه من سبه صلى الله عليه وسلم ولاجل انكاره لم يحكم بكفره لكن لما قامت البينة العا
عليه او مع اظهاره الاقلاع افعال من القلع وهو النزع اريد به الترك بالكلية والرجوع
عنه والتوبة عنه هو عطف تفسير فنقتله حدا كما تقدم لثبات كلمة الكفر عليه
بشهادة امضاها الحاكم عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم بسبه له فيحد حد
قاذف الانبيا وهو القتل وتحقيره ما عظم الله من حقه الذي اوجبه على عباده
واجرينا حكمه اي حكم الساب المنكر في ميراثه وغيره [illegible] لظاهر اسلامه وغير
ذلك من حقوق المسلمين حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب ثم استشعر سؤالا
بانه كيف لا يحكم بكفره بعد ثبوت تكلمه بكلمة الكفر واجاب عنه بقوله فان قيل كيف
تثبتون عليه الكفر ويشهد ببنا المفعول اي يشهد الشهود وفي نسخة ويشهدون
عليه بما قاله من تلفظه بكلمة الكفر في سبه للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تحكمون عليه
بحكمه اي بحكم الكافر المرتد من الاستتابة وتوابعهما من ترك قتله اذا تاب ونحوه
قلنا في الجواب عن هذا السؤال نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل اي في قتله
كالمرتد فلا نقطع اي نجزم بالحكم عليه بذلك اي بكفره لاقراره بالتوحيد واتيانه
بكلمته واقراره بالنبوة اي بان محمدا نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانكاره
ما شهد به عليه من السب والتحقير او زعمه بتثليث اوله اي ادعائه ان ذلك الذي
صدر منه كان منه وهلا اي خطا وذهولا منه وهو بفتحتين من وهل الى الشيء
يهل بالكسر كيعد اذا ذهب وهمه اليه او من وهل بالكسر يوهل اذا غلط وسها
ومعصية اي زعمه انه معصية لما سبق اليه وهمه من غير تعمد منه وانه مقلع
عن ذلك اي راجع عنه نادم عليه اي على ما صدر عنه واجاب عن سؤال
تقديره فكيف يثبت له احكام الكفر مع اسلامه بقوله ولا يمتنع شرعا اثبات
بعض احكام الكفر كالقتل على بعض الاشخاص وان لم يثبت له خصايصه اي
ما يختص بالكفر في ميراثه وغيره كقتل تارك الصلاة عند القايل به كالشافعي
رضي الله عنه وهذا اذا تركها كسلا وتهاونا لا جحدا لها فانه كفر بالاتفاق
وعلى ما تقرر من مذهب الشافعي قال السبكي في طبقاته للمزني فيه اشكال
صعب فان هذا لا يتصور لانه اما ان يكون على ترك صلاة مضت او لم
تات والاول باطل لان القضية لا تقتل تاركها والثاني كذلك لانه له التاخير
ما لم يخرج الوقت فعلام يقتل وقد اجيب عنه بوجوه الاول انه وارد
في التعزير والضرب فالجواب الجواب وهو جدي الثاني انه على الماضية

هب

دلة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لانه تركها بلا عذر وَرُدَّ بان القضا لا يجب على الفور وبان الشافعي لا يقتل بالمقضية مطلقا
ومذهب اصحابه انه لا يقتل بالامتناع عن القضا الثالث انه يقتل بالمؤداة في اخر وقتها
ويلزمه ان المبادرة الى القتل لتارك الصلاة احق منها الى المرتد اذ يستتاب وهذا
لا يستتاب ولا يمهل اذ لو امهل صارت مقضية وقد مر ما فيه انتهى اقول قد يقال
مراده من اعتبار ذلك بقطع النظر عن كونها ادا او قضا المنافيه من تهاونه بما هو عماد
الاسلام والمعترض فرضها في صلاة واحدة معينة فتدبر واما من علم انه سبه
صلى الله عليه وسلم معتقدا استحلاله اي وهو يعتقد ان سبه يحل له مع حرمته
اجماعا فلا يشك في كونه بذلك اي باعتقاده حل ما حرمه الله وما ذكره من ان سبه
انما يكون كفرا اذا استحله صحح بعضهم خلافه وقال الصحيح انه يكفر مطلقا وهو
اظهر وكذلك لا يشك في كونه ان كان سبه كفرا اي ما سبه فان انواع السب متفاوتة (١)
كتكذيبه اي ادعا كذبه فيما بلغه عن ربه وتكفيره اي قوله انه صدر منه كفر ونحوه
فانه متضمن لعدم الايمان به صلى الله عليه وسلم وهو عين الكفر فهذا مما لا اشكال
فيه اي في الحكم بكفره لما عرفته ويقتل ان لم يتب بل وان تاب منه لكن قتله مع عدم
موزته لردته به لانا لا نقبل توبته فهو لا يدفع عنه القتل ونقتله بعد التوبة
حدا لا كفرا لرجوعه عنه وانما نقتله لقوله الذي صدر منه ومتقدم كونه قبل
توبته صيانة لمقام النبوة لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
وهذا الحد المذهبين فيه عند الشافعي والاحناف اذا قبلت توبته واقلاعه
لا يقتل وهذا حكمه في الدنيا وامره بعد اي بعد قبول توبته في الاخرة مفوض الى
الله المطلع على صحة اقلاعه واخلاص طويته في توبته العالم بسره وما اضمر في قلبه
من عقيدته وكذلك من سبه ولم يبادر لتوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم
اي بقي ثابتا ملازما لقوله عليه فهذا كافر بلا خلاف في كونه وقتله بقوله الصادر
عنه وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم والحرمة
ما يجب احترامه وتوقيره وهتكها بتركها او اظهار ما يخالفها يقتل كافرا بلا
خلاف في كفره وقتله فعلى هذه التفصيلات المذكورة خذ كلام العلما اي اعلم واعتقد
ما نقل عن علما الامة من اصحاب المذاهب على الاصح عندهم فهو وما بعده امر نحا
وذال معجمتين من الاخذ وقيل انه بجيم مفتوحة ودال مهملتين مشددة اي
اعتبر حدوده ونزل اي احمل مختلف عباراتهم المنقولة عنهم في كتبهم في الاحتجاج
عليها فعدم القتل ينزل على بعض المتوب ووجوبه ينزل على بعض اخر مما فصله
واجر اختلافهم المنقول عنهم في الموازنة اي تعيين احكامها وتطبيق بعضها على
بعض كما تعلم المقادير موازنها وفي نسخة والموازنة وغيرها مما يخالفها التعرض
لغيره على ترتيبها اي ترتيب التفصيلات المتقدمة يتضح لك مقاصدهم نفيا
واثباتا بالتوفيق بينهما ان شا الله تعالى

فصل

اذا قلنا بالاستتابة لمن سب النبي صلى الله عليه
وسلم وساير الانبيا حيث تصح اي في محل حكم بصحتها فيه الفقها فالاختلاف

فيها

فيها اي الاستتابة على الاختلاف في توبة المرتد لاشتراكهما في الكفر بعد الاسلام لا فرق
بينهما عند مالك واصحابه ولو قال استتابة المرتد كان احسن لانه اذا جا تائبا من
نفسه لم يجر فيه هذا الخلاف وقد اختلف في وجوبها وصورتها اي كيفية الاستتابة
على اي وجه تكون ومدتها التي يمهل فيها فذهب جمهور العلما اي اكثرهم الى ان
المرتد يستتاب اي يطلب منه التوبة عن ردته وحكى ابن القصار من ايمة المالكية وقد
تقدمت ترجمته انه اجماع من الصحابة في زمنهم رضي الله عنهم اجمعين ثم بين الاجماع
بانهم اتفقوا على تصويب قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاستتابة حتى حكم بها
ولم ينكره واحد منهم ولم يخالفه فيه احد وهو قول عثمان بن عفان رضي الله عنه
وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه وابن مسعود من الصحابة رضوان الله عليهم ثم ذكر
من تابع الصحابة عليه من كبار التابعين ولذا اعتبر اسلوبه فقال وبه قال اي افتى
واعتقد عطا بن ابي رباح كما تقدم وابراهيم النخعي بفتح الخا المعجمة وسكنها
بعضهم تخفيفا وسفيان الثوري ومالك واصحابه والاوزاعي نسبة للاوزاع
قبيلة كما تقدم والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه واصحاب
الراي قال النووي المراد باصحاب الراي في عرف اهل خراسان من الشافعية ابو حنيفة
واصحابه وهي عبارة غير لايقة ان قصد ذمهم لانهم يتبعون اراهم ولا يتقيدون
بنصوص الاحاديث فان اريد بها شدة ذكايهم في استنباط الاحكام كما قال المتنبي

الراي قبل شجاعة الشجعان ... هو اول وهي المحل الثاني

فلا باس به وذهب طاوس بن كيسان اليمني ومحمد بن حسن وعبيد بن عمير بن قتادة
ابن سعد اليمني وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اربع وسبعين ومائة والحسن
في احدى الروايتين عنه والاخرى موافقة للجمهور فيه الى انه لا يستتاب فيقتل
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة بفتحتين وهو المعروف بالماجشون كما تقدم
وهو امام معظم مشهور توفي سنة اربع وعشرين ومائة وليس هو عبد العزيز
ابن ابي سلمة العمري وذكر عن معاذ بن جبل الانصاري الصحابي اي رواه عنه
وانكره سحنون عن معاذ اي انكر روايته عنه وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر اي من مذهبهم الاخذ بظاهر الادلة وهو مذهب داود
ابن محمد الظاهري ومن تبعه كابن حزم قالوا وان لم يستتب تنفعه توبته عند
الله في الاخرة لانه ليس بكافر ولكن توبته لا تدرا اي تدفع وترفع عنه القتل
عند الحاكمين بقتله حدا لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن
ابن عباس من بدل دينه فاقتلوه وظاهره يقتضي المبادرة لقتله من غير استتابة
والقايل بخلافه يقول ان لم يتب لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف الى غير ذلك من الادلة وحكى ايضا عن عطا بن ابي رباح ان كان
المرتد الشاب ممن ولد في الاسلام بان ولد مسلما وكان بين اظهر المسلمين لم يستتب
لانه غير معذور في مثله ويستتاب الاسلامي اي من ولد كافرا ثم طرا عليه الاسلام
لقيام شبهة عنده بما كان في طبعه من الكفر فيعذر ويتالف وجمهور العلما على
ان المرتد والمراة المرتدة في ذلك اي في القتل بالردة سوا لا فرق بينهما وروي عن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

علي رضي الله عنه موقوفا عليه وهو مذهبه لا تقتل المرتدة وتسترق او تحبس لما ورد
في الحديث من النهي عن قتل النسا وقاله عطا وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النسا
في الردة اي بسببها ولاجلها وبه اي بهذا المذهب قال ابو حنيفة وروي عن مالك
اي هذا القول به وفي نسخة وقال مالك رحمه الله وقد علمت ان مذهب ابي حنيفة
انها لا تقتل بل تحبس ودليله ما ورد في الحديث من النهي عن قتل النسا وغيره
حمله على الكافرة الاصلية لان قتل الكافر لدفع ضرره ونكايته والمراة لا تخشى
نكايتها وغيره يقول العلة الكفر والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك الحكم
سوا فيقتلون جميعا واما مدتها اي مدة الاستتابة عند القايلين بها
فمذهب الجمهور من العلما فيها وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تقدير
المدة انه يستتاب ثلاثة ايام ويحبس فيها فان تاب اطلق والا قتل وقد
اختلف فيه اي في هذا المذهب المروي عن عمر في المدة المذكورة وهو احد قولي
الشافعي والقول الاخر انه يستتاب في الحال فان تاب والا قتل وهو قول احمد
ابن حنبل واسحاق بن راهويه ايضا واستحسنه الامام مالك بن انس وقال
مالك في وجه استحسانه لرجحانه عنده لا ياتي الاستظهار اي الاحتياط بالتاخير
والتثبت حتى يظهر لاولي الامر اي التاني وعدم العجلة خير في مثل هذا
وليس عليه اي على هذا القول بالتاخير والتاني جماعة الناس اي فالجمهور
على خلاف هذا القول قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد من المالكية وقد قدمنا
ترجمته يريد في الاستينا اي التاخير وهو استفعال من التاني والاناء واصله
من الاني وهو الزمان كما قال تعالى للذين امنوا ثلاثا من الايام كما تقدم
وقال مالك ايضا الذي اخذ به اي اعمل به واتخذه مذهبا في حكم المرتد قول عمر
رضي الله عنه وهو انه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه في كل يوم التوبة والرجوع
بوعظه ونصيحته فان تاب اطلق والا قتل وقال ابو الحسين بن القصار من
المالكية كما تقدم وفي تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك التاخير واجب
على الحاكم فلا تجوز المبادرة لقتله او مستحب فيجوز قتله قبلها واستحسن الاستتابة
والاستينا بالمدة اي التاخير ثلاثا اهل الراي اي القياس والمراد ابو حنيفة
واصحابه كما مر بما فيه وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب
اي طلب توبة امراة ارتدت واسمها ام قرفة وهي من بني فزارة فلم تتب فقتلها
لانه لا فرق عنده بين الذكر والانثى وقال الشافعي مرة اي يستتاب مرة واحدة
فقال ان لم يتب قتل مكانه اي في محله الذي عرض عليه التوبة فيه واستحسنه
المزني من ايمة الشافعية وهو القول الاصح في مذهبهم وقال الامام ابو بكر محمد
ابن مسلم بن شهاب الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات في وقت واحد او في يوم واحد
ويحتمل انه في ثلاث ايام وهو خلاف الظاهر فان ابى التوبة قتل وروي عن علي
انه يستتاب شهرين فان ابى قتل وقال النخعي يستتاب ابدا المراد به زمنا
طويلا وبه اخذ سفيان الثوري الا انه قال زيادة ما رجيت توبته فزاد قيدا
فسر به كلام النخعي بان المراد بالابد ما دامت التوبة ترتجى منه وربما يكون كلام

ابن وهب الا في عن مالك مفسرا لهذا وحكي ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث
مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع جمعة في كل يوم او في كل جمعة مرة هذا اما تخيير من
ابي حنيفة او شك من ابن القصار او من المص وفي كتاب محمد المعروف بابن المواز من
المالكية عن ابن القاسم واسمه عبد الرحمن كما تقدم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات
في ثلاثة ايام كما هو مذهب مالك فان ابى الرجوع ضربت عنقه بعد دعوته واختلف
على هذا اي باستتابته وتاخير قتله هل يهدد بزجره ووعيده بالقتل ونحوه او يشدد
عليه بتضييق حبسه ووضعه في الاغلال ونحوه في مدة ايام الاستتابة ليتوب
بسبب تهديده والتشديد عليه ام لا فيكتفي بحبسه فقال مالك ما علمت ان في زمن
الاستتابة تجويعا ولا نعم ايصال الطعام ولا تعطيشا بترك سقيه الما ويوتي من
الطعام بما لا يضره فلا يوتى ما هو شديد المرارة او مستقذر ايكرهه وقال اصبغ يخوف
ايام الاستتابة بالقتل ليرجع ويعرض عليه الاسلام فيقال له اسلم تسلم وفي كتاب
ابي الحسن الطابثي بفتح الطا المهملة والف بعدها با موحدة ثم ثا مثلثة ويا
نسبة لطابث وهي قرية قريبة من البصرة وهذا من جملة العلما المشهورين
وفي نسخة ابي الحسين انه يوعظ في تلك الايام التي امهل بها ويذكر بالجنة ودخولها
اذا تاب ويخوف بالنار ووعد الهبا اذا لم يتب ويرجع عما هو عليه وقال اصبغ واي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس المحبوسين فيها بسبب ما او حبس وحده
في سجن مخصوص به اذا استوثق منه وفي نسخة اذا اوثق اي حفظ حتى لا يهرب اذ
المقصود حفظه حتى يتبين حاله فكل سجن في حقه سوا لحصول المراد به ويوقف
مع ذلك ماله اي كل شي يملكه يجعل محفوظا بيد غيره ويجوز جعله بالموصولة
ولهجاز ومجرور صلة لها خيفة بالنصب مفعول له وفي نسخة اذا خيف ان يتلفه
على المسلمين اي لئلا يتلفه عليهم وهذه علة لا يلزم اطرادها فلا وجه للاعتراض
بانه يقتضي انه لا يوقف ان لم يخش اتلافه لان وقفه لاجل انه فيء لردته ويطعم منه
اي من ماله ويسقى اي ينفق عليه مدة حبسه من ماله يعني ان ماله موقوف لم
يزل ملكه عنه فان اسلم تبين انه باق على ملكه والا كان فيئا كغيره من اموال الكفرة
فيوضع في بيت المال والكلام عليه مفصل في كتب الفقه وكذلك اي مثل ما تقدم
من المدة تفصيلا كلما رجع وارتد لردته ثم تاب اي اذا تكررت ردته ابدا اي ثم
استدل بقوله وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان بفتح النون
وسكون البا الموحدة وها وهو فعلان من نبه ونبيه وفي الصحابة من اسمه
نبهان ثلاثة احدهم نبهان التمار وكنيته ابو مقبل وسمي تمارا لان امراة
جميلة باعته تمرا فقال في بيتي اجود منه فذهبت معه فضمها وقبلها
فقالت له اتق الله فتركها ثم ندم واخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل فيه والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقال البرهان في الصحابة ثلاثة
اسم كل منهم نبهان لا اعلم الذي ارتد منهم اربع مرات او خمسا اهو ابو مقبل
التمار الذي روى عنه مقاتل وغيره او نبهان الذي ذكره ابن شاهين وروى
عنه ابنه والثالث نبهان الانصاري قال الذهبي ولعله احد هذين وذكر

دجى

يستتاب مي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

البيهقي من ارتد واسمه نبهان ولم يعينه ولم يذكر ابن الجوزي من اسمه نبهان من الصحابة غير الاول وقال ابن وهب المصري المالكي وقد تقدم عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع الى ردته وتكررت منه وهو قول الشافعي واحمد بن حنبل وقاله ابن القاسم وقال اسحاق بن راهويه يقتل في الردة الرابعة دون استتابة لانه علم بها عدم ثباته على الاسلام وقال اصحاب الراي يعني الحنفية ان لم يتب في الردة الرابعة من نفسه من غير استتابة قتل دون استتابة اي لا نطلب توبته منه ولا نعرضها عليه وان تاب بنفسه في الرابعة ضرب ضربا وجيعا شديدا مولما زجرا له على تكرر ردته ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة بانكساره وندمه وتذلله وهذا لا يخالف قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانه في حق الكافر الاصلي مع انه لا ينافي مغفرة الله له اصلا قال ابو بكر محمد بن المنذر الذي تقدمت ترجمته ولا نعلم احدا ممن يعتد به من العلماء اوجب على المرتد في المرة الاولى من ردته المتكررة ادبا اي تاديبا بضرب وسجن اذا رجع عنها بنفسه الى الاسلام وهو مذهب مالك والشافعي وابو حنيفة الكوفي نسبة الى الكوفة مدينة معروفة وفي تقييده بالاولى اشارة الى ان في غيرها خلافا كالثالثة

فصل قال القاضي

ابو الفضل عياض لمؤلف رحمه الله هذا المذكور كله حكم من ثبت عليه ذلك الذي قدمه من السب والردة بما يجب وتحقق ثبوته شرعا من اقرار واعتراف بما صدر منه او عدول اي شهادة شهود عدول لم يدفع فيهم بينا المجهول اي لم يطعن بتهمة في عدالتهم فاما من لم يتم الشهادة عليه اي نصابها او لم تقبل انما شهد عليه الواحد فقط او اللفيف اي الجماعة والطائفة الملتفة من الناس الذين لا تقبل شهادتهم وقيل المراد باللفيف اشخاص مختلفة لهم عليه حمية وعصبية او اهل التزوير او ثبت قوله الصادر عنه لكن احتمل معنى اخر لا يقتضي الكفر ولم يكن صريحا في السب او الكفر وكذلك اي مثل ما لم يتم من الشهادة ان تاب ورجع بنفسه على القول بقبول توبته كما تقدم نقله فهذا يدرا اي يدفع ويمنع عنه القتل ويتسلط اي يمضي عليه اجتهاد الامام فيفعل ما يقتضيه رايه من زجر وضرب ونحوه بقدر شهرة حاله وتبذله بشهرة ديانته وحفظ لسانه ونحوه مما علم منه وقوة الشهادة عليه لكونهم غير معروفين بالكذب والغفلة ونحوها وضعفها بكونهم على خلاف ذلك وكثرة السماع عنه بكثرة ما يعزى اليه وصورة حاله اي ظاهره من التهمة في الدين اي كونه متهما في دينه معروفا بالفسق والتهاون والنبز بفتح النون وسكون البا الموحدة وزاي معجمة اي وصفه بين الناس وشهرة ذكره بالسفه اي الخفة في العقل والدين وكثرة لغطه بما لا يعني والمجون اي سخريته وهزله وعدم مبالاته بما يتكلم به واصل النبز اللقب الذي قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب يقال نبز وتنزب اذا دعى غيره بسوء فاريد به هنا شهرة اتصافه به حتى كانه صار علما له والسفه اصله لغة الخفة كما علم

والمجون غلظ الوجه فاريد به ما مر ولا يرد على هذا انه اذا لم يتم انتفى حكمه فكيف يتسلط عليه حكم الحاكم لانه امر يرجع لاجتهاد الحاكم صيانة لامر الدين فمن قوي امره نظر ما نسب اليه مما يقتضي الكفر لكونه معروفا بقلة دينه وكثرة تمرده وما يشتهيه منه اذا اي فعل به الحاكم ما يقتضيه حاله من شديد النكال اي العقوبة الشديدة المانعة له عما فعله والاذاقة في الطعام استعيرت لمس الالام كما تقرر عندهم من التضييق عليه بحبس في السجن ونحوه وهو بيان للنكال والشد اي الربط في القيود الى الغاية والنهاية التي هي منتهى طاقته اي ما يطيقه ولا ينكله بشي ما اي من امور من انواع الشد والتضييق بحيث لا يمنعه القيام لضرورته اي فعل اموره الضرورية التي لا بد له منها في وجوده ولا يقعده عن صلاته اي يعوقه عنها او عن اداء اركانها على التمام فليس القعود عنها ضد القيام بل العوق عنها مجازا وفيه ابهام وتورية لجواز ارادة ان يصلي قاعدا لكنه غير مراد وهو اي النكال المذكور حكم كل من وجب عليه القتل لوجه من الوجوه لكن وقف بفتح الواو اي يوقف الحاكم عن قتله لعدم المبادرة له لمعنى اي سبب عن وقصد اوجبه اي التوقف في قتله وتربص بفتح الواو اي اخر وانتظر في امره لاشكال اي لامر اوجب التردد فيه وعائق اي امر عاق عنه اقتضاه اي اقتضى التربص والتاخير امره اي حاله وشانه وحالات الشدة عليه في نكاله وعقابه تختلف شدة وضعفا بحسب اختلاف حاله في الظهور والقوة وعدمها وقد روى الوليد بن مسلم كما تقدم عن مالك والاوزاعي انها اي مقالته غير الصريحة ردة فاذا تاب ورجع عنها نكل بفتح الواو والتشديد اي عوقب ولمالك في العتبية اسم كتاب كما تقدم من رواية اشهب عن الامام مالك اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه يقتل وغيره وقاله سحنون رحمه الله تعالى وافتى ابو عبد الله بن عتاب من المالكية فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان بانه سب لكن عدل احدهما دون الاخر بالادب اي افتى بتاديبه فهو متعلق بافتى وما بينهما اعتراض الموجع المولم والتنكيل لعقوبته والسجن الطويل مدة حتى يظهر عليه توبته اي علاماتها وقال القابسي مثل هذا الذي قاله ابن عتاب بعينه ومن كان اقصى اي غاية امره في الحكم عليه القتل فعاق عائق عن قتله كما مر اشكل منه عائق في القتل متعلق بهما على التنازع وقوله لم ينبغ لم ينضبطه احد ممن تكلم عليه هنا الا انه وقع في النسخ بنون بعدها موحدة وغين معجمة وهو بكسر الغين مجرد واصله ينبغي ولو قيل انه بسكون الغين صح لكنه بعيد من نبغ وهو اذا اسند لغير العقلا كان بمعنى ظهر يقال نبغ الامر اذا ظهر فهو ظاهر هنا وان لم يولف استعماله ويقال نبغ فلان اذا قال الشعر وبه سمي النابغة ان يطلق من السجن اي لا يظهر اطلاقه منه بل يبقى فيه مدة ولكن يستطال سجنه وفي نسخة ولا يستطال سجنه وينبغي ان يعطف على يطلق او لا ينبغي انه لا يستطال سجنه ليتفق معناهما ولو كان فيه اي في السجن من المدة الطويلة ما عسى ان يقيم في السجن اي ولو طال جدا ويحمل عليه من القيد ما يطيق اي غاية ما يطيقه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا يكلف فوق طاقته وتحمله وكل هذا التعزير له براي الحاكم لتهمته وان لم يثبت عليه ذلك
ومثله كثير في الاحكام الشرعية فلا وجه لانكاره والقول بانه لا يلزم من عدم ثبوت
ما يوجب القتل ثبوت ما يوجب التعزير لا سيما على مذهب مالك في سد الذرايع لا وجه له
فالدندنة بمثله والاطالة فيه من ضيق العطن وقلة الفطن وقد كررته وحسبنا
منه تفرد به وقال القابسي في مثله من اشكل امره ولم يظهر حاله يشد في القيود
شدا وثيقا ويضيق عليه في السجن اي يضيق بسجنه او يضيق سجنه حتى ينظر اي يعلم
فيما يجب عليه من تنكيل او قتل او اطلاق وقال القابسي في مسئلة اخرى مثلها ما ساقني
لها ولا اهراق الدما اي نصب من الاراقة والهاء زيدت فيه وفيه كلام مفصل في كتب
العربية واللغة ليس هذا محله الا بالامر الواضح الذي لا اشكال فيه لان الدما مصونة
شرعا حتى يظهر ما يقتضيها وفي الادب اي التاديب بالضرب بالسوط والادب بالنفي
نكال للسفها وزادع لهم عن التكلم بما لا يليق مغن عن اراقة الدما والجراة على
الحدود المدروة بالشبهات ويعاقب عقوبة شديدة تردعه عما جناه من مقاله فاما
ان لم يشهد عليه سوى شاهدين لانحصار الشهادة فيهما فاثبت المشهود عليه من
عداوتهما اي اثبت ان بينه وبينهما عداوة تقتضي ان لا يقبل قولهما في حقه والمراد
بالعداوة العداوة الظاهرة الدنيوية بحيث يسره ما يسوءه ويتمنى له المكروه ويعلم
انه لو قدر على ايصال ضرر له فعل كما بين في كتب الفقه او جرحتهما اي بيان
الجرح ما اسقطهما اي اسقط شهادتهما وعدم قبولها لفسق ونحوه وعرفا عند
الناس فاسقط قبول شهادتهما عنه ولم يسمع ذلك الامر الذي شهدا به من غيرهما
من تقبل شهادتهما فامره اخف في المسامحة في امره وترك قتله لسقوط الحكم عنه
بعدم قبول الشهادة عليه شرعا وكانه لم يشهد عليه شاهد اصلا لان الشاهد
اذا سقطت شهادته كالعدم الا ان يكون المشهود عليه ممن يليق به ذلك الامر
الذي نسبه الشهود اليه لانه معروف بعدم الديانة والاستخفاف بالدين
فيكون مظنة لما شهدوا به ويكون الشاهدان عليه اللذان اثبت عداوتهما
وجرحتهما من اهل التبريز من برز اذا فاق اقرانه اي يكونان معروفين
بالعدالة والتصدق ولم يعهد لهما اهانة احد من الناس ولو كان عدوا لهما
فاسقطهما اي اسقط شهادتهما بالطعن بعداوة معروفة بينهما قبل فهو اي
المشهود عليه او الامر والشان وان لم ينفذ الحكم عليه بموجب ما شهدا به من
سب ونحوه مما يوجب القتل بشهادتهما لثبوت العداوة المانعة لقبول
الشهادة فلا بد مع الظن القوي بصدقهما فيما شهدا عليه لظهور عدالتهما
والجملة الحالية في قوله فلا بد مع لكونهما منفية يجوز دخول الفا عليها
وهي فعلية وقيل الفا لتنفيذ مبتدا اي فهو لا بد مع الخ كقوله ومن عاد
فينتقم الله منه وفيه نظر وللحاكم هنا في هذه المسالة الجارية على هذا المنوال
في تنكيله اي عقوبته بغير القتل من التعزير الشديد موضع اجتهاد والله
ولي الارشاد فيفعل به ما يقتضيه اجتهاده من غير ابطال للحكم بالكلية قيل
انه شبه تنكيله بما كان نزجر فاستعارة له وفيه نظر والتعزير ومراتب مشهورة

في كتب

في كتب الفروع فلا حاجة للاطالة بها هنا ولا غبار على عبارة المص كما توهم فاعرفه ولما
فرغ من بيان حال من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين شرع في بيان حال غيره
فقال

فصل قال القاضي

ابو الفضل عياض المص رحمه الله هذا المذكور قبل حكم المسلم اذا سب الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فاما الذمي اي الكافر الذي ليس حربيا والذمة هي الاحترام
لان دمه وولده وماله محترم لادايه الجزية اذا صرح بسبه صلى الله عليه وسلم
او عرض اي قاله بطريق التعريض والايهام بلا تصريح به او استخف اي اهان وحقر
بقدره الرفيع العلي او وصفه صلى الله عليه وسلم بغير الوجه الذي كفر
به اي غير الذي كان كافرا بسببه كانكار بعثته او عموم دعوته بان وصفه بشيء مما مر
فلا خلاف عندنا اي عند المالكية في قتله ان لم يسلم فاذا اسلم لا يقتل عند
الامام مالك لان الاسلام يجب ما قبله لانا معاشر المسلمين لم نعطه الذمة
مراده بالذمة العقد الذي عقد عليه في دار الاسلام وضرب عليه صونا
لدمه واهله وماله فالذمة اي احترام ما ذكر والعهد الذي عوهد عليه
حين عقد له الذمة يشير الى ما وقع من عمر رضي الله عنه من الشروط التي شرطها
على اهل الذمة وهي مشهورة وسنذكرها ان شا الله وفي نسخة مشهورة او
العهد باو الفاصلة والاولى اولى ويحتمل ان المراد به المستامن المعاهد
ان قلنا حكمه حكم الذمي وهي للتقسيم او بمعنى الواو وعلى هذا اي لم نرخص له
حين عاهدناه في سب النبي صلى الله عليه وسلم او الاستخفاف به وهو قول
عامة العلما اي جميعهم او اكثرهم الا ابا حنيفة النعمان بن ثابت والثوري
سفيان بن سعيد وهو صاحب مذهب مجتهد واتباعهما يعني من قلدهما
واتبع مذهبهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل بسبب ما ذكر لان ما هو
عليه مرتكب له من الشرك المراد به مطلق الكفر فانه استعمل بهذا المعنى ايضا
اعظم مما صدر منه من السب وقالوا ولكن يعزر ويؤدب تعزيرا دون الحد
حتى ينزجر ولا يعود لمثل ما صدر منه وما ذكر من مذهب ابي حنيفة هو
المشهور وقد خالفه بعض المتاخرين منهم وقال ابن تيمية في كتابه السيف
المسلول على من سب الرسول قال ابو حنيفة واصحابه لا ينتقض العهد
بالسب ولا يقتل الذمي به لكنه يعزر وحكاه الطحاوي عن الثوري ومن
اصولهم ان ما لا قتل فيه عندهم للامام ان يقتل فاعله ويزيد على الحد
المقدر اذا راى المصلحة في ذلك ويحملون ما جا عن النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه من القتل في مثله على ذلك ويسمون هذا القتل سياسة كتغليظ
الحد في الجرايم اذا تكررت وشرعوا القتل في جنسها وبهذا افتى اكثرهم فقالوا
يقتل من اكثر من سب النبي صلى الله عليه وسلم سياسة وهو متجه على
اصولهم انتهى وهو كلام حسن واستدل بعض شيوخنا من ايمة المالكية
على قتله اي الذمي اذا سب بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي نقضوا ما عهدناهم عليه وطعنوا في دينكم اي عابوه وذموه فقاتلوا ايمة الكفر
اي كبار الكفرة ورؤساهم الاية انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون وفي الاستدلال
بهذه الاية بحث لانه معلق بنقض العهد وابو حنيفة على قوله المشهور عنه لا يرى
السب نقضا للعهد لاسيما والاية نزلت في كفار قريش لما نقضوا ما عاهدهم عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في القصة المشهورة وفي هذه
الاية للتاويل الذي ورد في تخصيص المقاتلة بايمة الكفر ناظر لهذا والقول بان غيرهم
يلحق بالطريق الاولى محل تامل فليحرر ويستدل ايضا اي كما استدل بالاية عليه
اي على قتل من سب ويستدل بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف اليهودي
وقد تقدمت قصته مفصلة واشباهه من الكفرة المعاهدين الذين قتلهم صلى
الله عليه وسلم بسبهم له وفي الاستدلال بهذه القصة ايضا نظر لان النبي صلى
الله عليه وسلم صالحه وغيره من اليهود فنقض ابن الاشرف عهده ومضى لكفار
مكة وحثهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجا النبي صلى الله عليه
وسلم وآذى المسلمين اشد الاذى فليس قتله لمجرد سبه ولانا لم نعاهدهم اي
اهل الذمة واشباههم ولم نعطهم الذمة اي العقود والعهود على هذا اي سب
الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نرخص لهم في مثله ولا يجوز لنا معاشر المسلمين
ان نفعل ذلك اي المذكور من المعاهدة على ترك المؤاخذة بمثله معهم فيما بيننا
وبينهم فاذا اتوا اي فعلوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة بفعل ما نابها
فقد نقضوا ذمتهم وابطلوا عهدهم وصاروا اهل حرب اي مثلهم في انهم يقتلون
بكفرهم وايضا فان ذمتهم وعهدهم وان لم ينتقض لا يسقط حدود الاسلام
عنهم اي الحدود الشرعية وهذا حد قذف الانبيا وهو القتل فلا يسقط كسائر
الحدود من القطع في سرقة اموالهم اي اموال المسلمين والقتل لمن قتلوه منهم
وان كان ذلك حلالا عندهم اي في اعتقادهم الباطل باباحة اموال المسلمين
ودمائهم لانا مامورون باجرا احكام شرعنا عليهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله
عليه وسلم يقتلون به حدا لا كفرا وهذا جواب عن قولهم ما هم عليه من الكفر
اعظم فان كونه اعظم لانا في اجرا حكم غيره عليهم ووردت اي نقلت لاصحابنا
من المالكية ظواهر اي امور تدل بحسب الظاهر على ما يقتضي الخلاف في قتل
الذمي بسبه للنبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به كانكار
نبوته وبنوته ستقف عليها في هذا الكتاب فتعرفها من كلام ابن القاسم
وابن سحنون بعد اي بعد هذا فيما ياتي وحكى ابو المصعب الزهري بن احمد
ابن ابي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف المدني
الفقيه قاضي المدينة كما تقدم الخلاف فيها اي في مسئلة القتل بما كفر به
عن اصحابه من اهل مذهبه المالكية المدنيين اي فقها المدينة واختلفوا
في الذمي اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فقيل يسقط بضم اوله وقع صح
اي يمنع اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله اي يقطع ويبطل حكم
ما قبله من سائر المعاصي وهذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم في حديث

صحيح

صحيح تقدم بخلاف المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم تاب فان توبته لا تمنع قتله
باسلام الكافر كما تقدم والخلاف مبني على ان قتله حدا او لنقض العهد وفي سقوط
بعض الحدود بالاسلام كالزنا خلاف لبعض الشافعية ويجب الاسلام ما قبله
انما هو في حقوق الله خاصة كما مر وانما منع الاسلام قتله لانا نعلم باطنه
الكافر الذي في قلبه بكفره في بغضه وعداوته الدينية له صلى الله عليه وسلم
وتنقصه له بقلبه لانه شان كل كافر كما قيل

كل العداوة قد ترجى مودتها ... الا عداوة من عاداك في الدين

لكنا منعناه من اظهاره اي اظهار ما في قلبه لكونه مقهورا مذللا بين اظهرنا
فلم يزدنا ما اظهره من كفره بسبب ويحفظ علما بحاله الا مخالفة للامر اي لامرنا له حقيقة
او حكما بكتم كفره ولم يزدنا علما الا نقضا للعهد الذي عقد عليه عقد الذمة
فاذا رجع باسلامه عن دينه الاول وهو الكفر وفي نسخة ذنبه بمعجمة ونون
وموحدة الى الاسلام سقط ما قبله من الكفر وحكمه قال الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف امر الله تعالى ان يقول لهم هذه المقالة بهذا
اللفظ او بغيره فالغيبة لانهم ليسوا بمخاطبين فيما امر به ويجوز الخطاب على حكاية
ما يقول لهم لذلك وقرا ابن مسعود بالخطاب وما قد سلف الكفر وما وقع معه
من المعاصي والمسلم حاله بخلافه اي بخلاف حال الكافر اذ كان ظننا بباطنه
وما في قلبه امر مطابق حكم ظاهره وهو الاسلام ظاهرا وباطنا وخلاف ما بدا
بالالف اي ظهر او بالهمز بمعنى حدث وابتدا منه بما صدر عنه مما يقتضي كونه
مخالفة باطنه لظاهره الا ان حين ظهر حاله فلم نقبل بعد رجوعه ما اظهر من توبته
وبعد مضمومة ورجوعه مرفوع نايب الفاعل ويجوز الفتح والاضافة ولا
استنمنا بسين مهملة ساكنة بعد الهمز ومثناة فوقية قبل نون ساكنة قبل
ميم مفتوحة ونون مشددة اي اطمانتا وهو استفعال من النوم اي لم نطمين
وبالنون وتركن الى باطنه فالسين والتا زايدتان او هو من السنام اي اشرفنا
وعلونا عليه لنقف على حاله وفي استنامنا اي طلبنا الامن منه لسوء الظن
به اذ قد بدت سرايره بظهوره ما اخفاه في قلبه على خلاف ظننا فيه وما ثبت
عليه اي على المسلم من الاحكام اللازمة شرعا باقية انتهى باعتبار معنى ما عليه
لا يسقطها شي لتعديه بما خالف اسلامه بانتهاك حرمة النبوة وحاصله
الفرق بين المسلم والكافر وهو ظاهر وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب
له صلى الله عليه وسلم قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم فهو من
حقوق الادميين وهي لا تسقط بالاسلام كما تقدم كما انه لا يسقط بتوبة
المسلم وجب عليه لانه حد من حدود الله لانتهاكه اي الساب حرمته ومعناه
تناوله بما لا يحل بحال وقصده الحاق النقيصة وقصده بالجر ويجوز رفعه
ورفع الحاق والجملة حالية وفي نسخة الحاقه النقيصة بنصب النقيصة
والمعرة به اي المذمة والعيب به صلى الله عليه وسلم وحاشاه منهما
فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه لجنايته كما وجب عليه من حقوق

المسلمين قبل اسلامه من قتل وقذف بيان لما وجب فلا يسقط باسلامه القصاص
وحد القذف وقوله كما الخ خبر مبتدا مقدر اي وهو كما الخ فلا وجه لاستشكاله واذا
قلنا لا تقبل توبة المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم فانه لا تقبل توبة الكافر
اولى الا ان ما قاله غير متجه لان الاسلام يجب ما قبله بنص الحديث المار والفرق
بينه وبين توبة المسلم في غاية الظهور غني عن البيان بل قالوا انه يثاب
على كل ما فعله من الحسنات حال كفره اذا اسلم وسبه صلى الله عليه وسلم فيه حق
لله وللادمي فيغلب الاول اذا اعتمد باسلامه وفي نسخة واذن كما الخ واذن
هذه قيل انها اذا الشرطية حذفت الجملة المضافة اليها وعوض عنها التنوين
وهذه وان لم تشتهر فان الزركشي نقلها في البرهان وقد رايت غيره صرح بها
ايضا قال مالك فيما نقل عنه في كتاب ابن حبيب وهو احد من روى عنه
وكتابه يسمى الواضحة والمبسوط اسم كتاب في الفقه وقال عبد الرحمن بن
القاسم احد اصحاب مالك كما تقدم وابن الماجشون عبد الملك بن عبد
العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون التيمي الفقيه صاحب مالك
توفي سنة اثنتي او اربع عشرة ومايتين واخرج له السنة والماجشون
معناه الابيض المشرب بحمرة وهو معرب ماه كون ومعناه لون القمر وله
تفصيل في كتب اسما الرجال واسمه ميمون او يعقوب وهو مدني وابن
عبد الحكم وهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن عثمان او
اعين بن الليث توفي في ذي القعدة سنة ثمان او تسع وستين ومايتين
وهو امام جليل وله اخوة ثلاثة من العلما واصبغ بن الفرج كما تقدم
فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبيا
غيره عليهم الصلاة والسلام قتل الا ان يسلم فلا يقتل لما مر وقاله اي
قال قول مالك هذا ابن القاسم في العتبية الكتاب المشهور في فقه مالك
وعند محمد بن المواز وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم
ولا لا تسلم المراد انه لا يكلف بشي يتعلق بالاسلام اذ لا يقال له لا تسلم ولكن
ان اسلم من قبل نفسه بلا تكليف له فذلك اي اسلامه يكون له توبة مقبولة
تدرا الحد عنه وقد قيل هنا ان ما وقع من مخالفة اصحاب مالك له مع انهم
مقلدون له بنا على اعتبار المصالح المرسلة عنده على ما تقرر في علم الاصول
فان المصلحة اذا اقتضت امرا يرجع اليه وفيه تفصيل لا حاجة لنا بالاطالة
به هنا فان اردته فارجع الى ما في كتاب ابن الحاجب وشروحه وفي كتاب محمد
ابن المواز المالكي اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب اي لم تطلب منه
توبة ولم تقبل لو تاب هذا مراده فلا وجه للتردد فيه وقوله من مسلم او
كافر اما المسلم فعدم قبول توبته هو الصحيح واما الكافر فالصحيح قبول
توبته باسلامه ويدل له قوله وروي بالبنا للمجهول لنا عن مالك الا
ان يسلم الكافر فلا يقتل على الصحيح وصحح بعضهم ان المسلم تقبل توبته

وقد

وقد تقدم وقد روى ابن وهب واسمه عبد الله كما تقدم عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان زاهدا وهو العابد المنقطع عن الناس من النصارى تناول النبي صلى الله عليه
وسلم وتقدم ان التناول معناه الاخذ باليد تجوز به عن الكلام في حقه صلى
الله عليه وسلم بما لا يليق فهو استعارة فقال ابن عمر فهلا حرف معناه التندم
على فوت ما يمضي عليه قتلتموه ولم يذكر فيه استتابة وروى عيسى بن ابراهيم
الغافقي الامام الفقيه المحدث توفي سنة احدى وستين ومايتين عن ابن
القاسم عبد الرحمن المصري الفقيه كما تقدم في ذمي قال ان محمدا صلى الله عليه
وسلم لم يرسل الينا يعني اهل الكتاب انما ارسل اليكم اي الى العرب فانكر عموم رسالته
صلى الله عليه وسلم وانما نبينا الذي يجب علينا اتباعه موسى او عيسى عليهما الصلاة
والسلام ونحو هذا من انكار عموم الرسالة لا شي عليه من قتل وغيره وفي نسخة
لا شي عليهم وتوافقها قوله لان الله تعالى اقرهم على مثله من الكفر بضرب الجزية
اذا لم يحاربوا كما هو مذكور في سورة براة واما ان سبه فقال تغيير لسبه
هذا ليس بنبي ولم يرسل الى احد وهو تكذيب له او لم ينزل عليه قران ووحي
وانما هو اي القران شي تقوله من عنده ويخترعه او نحو هذا من نوع الانكار
بجحده لما جا به صلى الله عليه وسلم فيقتل لان هذا الملعون كذب الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وقال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم
وانما دينكم دين الحمير يعني بذلك قاتله الله ولعنه انه انما يتبعه احمق لا عقل
له او نحو هذا من الكلام القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله استهزا منه بما من الله به علينا في ان جعله رسولا
لنا صلى الله عليه وسلم يعني انه مناسب لمثلكم ففي هذا الكلام وما يشبهه
عند ابن القاسم يستحق قايله الادب اي التاديب بالضرب الموجع وفي نسخة
الوجيع والسجن الطويل مدته زجرا له ولامثاله لانه ليس صريحا في الشتم
قال واما ان شتم ذمي النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف انه شتم صريح
فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة اي مرارا عديدة ولم ينقل عنه
فيه غيره ولم يقل يستتاب بل اطلقه فيحتمل انه ان تاب لم يقتل ولذا
قال ابن القاسم ومحمل قوله اي مالك عندي ان اسلم بنفسه طايعا من غير
اكراه له وهو مخالف لما تقدم في غير هذه الرواية وهذا بنا على انه لا يصح
الاكراه على الاسلام وعند الشافعي يصح اكراه الحربي عليه دون الذمي
وفي قول يصح اكراه الذمي هنا لانه بشتمه صلى الله عليه وسلم نقض العهد
فيصير حربيا والكلام عليه مفصل في كتب الفقه وقال ابن سحنون في جواب
سؤال انه سليمان بن سالم في اليهودي وفي نسخة حذف في فهو مبتدا خبره
قوله يقول للمؤذن اذا تشهد اي قال في اذانه اشهد ان محمدا رسول الله
كذبت انكارا للرسالة له يعاقب العقوبة الموجعة بالضرب الشديد والسجن
الطويل ولا يقتل لانه مما كفر به وفي النوادر اسم كتاب لابن ابي زيد صاحب
الرسالة المالكي من رواية سحنون عنه اي عن مالك من شتم الانبيا عليهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصلاة والسلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر واضربت عنقه كما
مر الا ان يسلم فلا يقتل لان اسلامه توبته مقبولة والاسلام يجب ما قبله قال
محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته اي الذمي في سب النبي صلى الله عليه وسلم
اي بسبب سبه له صلى الله عليه وسلم ومن دينه اي اعتقاده وعادته سبه
وتكذيبه بانكار بعثته صلى الله عليه وسلم وهذا مما كفر به قيل في جوابه
لانا لم نعطهم العهد على ذلك اذ ضربت عليهم الجزية بشروط منها ان لا يطعنوا
في ديننا فهو نقض عهد منه ولا اي لم نعطهم العهد على قتلنا اي قتل احد منا
ولم نعطهم العهد على اخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من
دينه استحلاله اي استحلال قتلنا واخذ اموالنا فكذلك ينتقض عهده باظهاره
لسب نبينا صلى الله عليه وسلم فانا شرطنا عليهم ان لا يطعنوا في الدين وان
لا يظهروا كفرهم لما فيه من نكاية اهل الاسلام وان كان ذلك من اعتقادهم
الباطل قال سحنون حاله هذا في الحكم كما لو بذل لنا اهل الحرب اي اعطوا بعد
امننا اياهم ومحاربتهم لنا الجزية على شرط اقرارهم على سبه اي على ان نقرهم ولا
نمنعهم من سبه صلى الله عليه وسلم لم يجز لنا ذلك اي اخذ الجزية وتقريرهم
على سبه في قول قائل اي لم يقل بهذا احد من المسلمين وائمة الدين وان كانوا
يستحلونه لكنا لا نقرهم على اظهاره وهذا مما يوضح انا لم نعطهم العهد على اظهار
مثله كذلك كما انه لا يجوز مصالحة الحربي واقراره على السب ينتقض عهد من
سب منهم اي من اهل الذمة ويحل لنا دمه اي قتله لانه لانتقاض عهده صار
حربيا مباح الدم وكما لم يحصن اي يصون ويحفظ الاسلام من سبه من المسلمين
كذلك لا تحصنه الذمة فكيف يقرّ على مثله الكافر وسمي الحصن حصنا لصيانته
لمن فيه وفي هذه المقدمة امر لا يخفى فان الاسلام يعدم بالسب لانه مخالف
لدينه وكفر منه واما الذمي الكافر وان خالفه اظهاره السب عقد الذمة
وعهدها فهو موافق لاعتقاده فالقياس مع الفرق الجلي غير ظاهر فكان امر
اقناعي ومقدمته جدلية على طريق التمثيل وفيه ما فيه وكونه اولى غير
مسلم قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه سحنون من انه يقتل بمثل ما ذكر مما كفر به واستحله في
دينه مخالف لقول ابن القاسم الذي تقدم نقله عنه فيما خفف عقوبتهم فيه
اي افتى فيه بعقوبة خفيفة غير القتل مما به اي بسببه كفروا اي ثبت
كفرهم به عندنا وعلمنا به حين من بنا عليهم الجزية ودرئ عنهم الحد فتامل
وجه التامل الذي امر به على عادة المصنفين في ذكره فيما يمكن توجيهه
انا انما اقررناهم على كفرهم بشرط عدم اظهارهم لما فيه طعن في الدين وكيد
للمسلمين بمواجهتهم باهانة نبينا سيد المرسلين والمخالفة بينهما ان ابن
القاسم فيما نقله المص عنه يقول ان من شتم احدا من الانبياء يقتل الا ان يسلم
ولم يفرق بين ما كفروا به وغيره وسحنون في جواب سليمان الزمه العقوبة
والسجن لانه مما كفروا به وقيل المخالفة بينهما في قول ابن القاسم انه قال فيمن

قال

قال دينكم دين الحمير انه يؤدب بالموجع والسجن الطويل وهو تخفيف في العقوبة وسحنون
وابنه قالا في تكذيب اليهودي للمؤذن انه يعاقب بالعقوبة الموجعة والسجن الطويل
وليس بسب ويدل على انه اي ما قاله سحنون وابنه وقيل الضمير راجع لقول ابن القاسم
الصواب الاول وهو الذي عليه الشراح خلاف ما روي عن المدنيين اي اصحاب مالك
من اهل المدينة وهم اعرف بمذهبه في ذلك المذكور مما اختلفوا في قتله وعدمه
وقيل المراد بالمدنيين علماء المدينة واهلها مطلقا وهو ما قاله مالك من احتجاجه
بعمل اهل المدينة لانها قبة الاسلام ومهبط الوحي ومستقر الدين وفي هذه المسالة
كلام لاهل الاصول ولابن حزم في كتاب الاحكام كلام لا يسعه هذا المقام فحكى ابو مصعب
الزهري اي احمد بن ابي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن
ابن عوف الزهري المدني الفقيه قاضي المدينة كما تقدم وفي نسخة ما حكى بدل
قوله فحكى وهو الصواب كما نبه عليه التلمساني قال ابو مصعب اتيت بنصراني
ببناء المجهول بنصراني قال والذي اصطفى اي اختار وفضل عيسى على محمد
عليهما الصلاة والسلام فاختلف ببناء المجهول علي فيه اي اختلف كلام الناس
فيه او اختلف راي فيه واضطرب نظري في امره وحكمه فضربته حتى قتلته بشدة
الضرب من حينه او عاش يوما وليلة بعد ضربه ومات وامرت من جر اي جره
وسحبه برجله من محله الذي مات فيه وطرح ببناء المجهول على مزبلة اي محل يلقى
البلد يطرح فيه الزبل والقاذورات ومزبلة بفتح الميم لا بكسرها كما قيل وباؤه
مثلثة اسم للمكان المذكور فاكلته الكلاب لانه لم يدفن حتى اكلته كما تاكل سائر الجيف
وهذا مما كفر به وهو مخالف لما تقدم وعدم دفن من قتل من الكفرة مما لا يشرع
فكان هذا كله مما ادى اليه اجتهاده وتشدده في دينه وسئل ابو المصعب السابق
ذكره عن نصراني قال عيسى خلق محمدا لزعمه الفاسد في ادعاء الوهيته فقال
مجيبا للسائل انه يقتل لاختلاقه الكذب على الله وجعله عيسى عليه الصلاة
والسلام افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم وقصده تنقيصه وليس مما
كفر به وقال ابن القاسم من اصحاب مالك كما مر سالنا مالكا عن نصراني بمصر
شهد عليه انه قال مسكين محمد اراد بذلك تحقيره صلى الله عليه وسلم واظهار
التحنن والرافة عليه ومسكين بكسر الميم مكسورة وقد تفتح في غير الفصيح والهاء
فيه اصلية او زائدة وفيه كلام في الشرح يخبركم انه في الجنة اي يقول انه
سيدخل الجنة وانه يتحقق له دخولها ماله لم ينفع نفسه هو كناية عن انه
لا يقدر على نفع نفسه في الدنيا اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح
منه الناس هذا بناء على اعتقاده الفاسد قاتله الله اي حصل لهم منه بزعمه
الباطل انه اغنيهم بكثرة اعدائه الذين القوا المسلمين تعبا لهم وانه الغث
الكذب بقتاله لهم وقوله لو قتلوه متعلق بما بعده معنى ويجوز تعلقه
بما قبله وما بعده وشبهه اهل البديع التجاذب وقد اشبعنا الكلام
عليه في الشرح قال مالك ارى ان تضرب عنقه وترمى جيفته حتى
تاكله الكلاب جزاء له بما قاله قال مالك ولقد كذب اي قارب انه لا يتكلم

فيها أي قريب من ترك الكلام في هذه المسألة التي سئل عنها ثم رأيت أي بدا لي رأي اقتضاه
الدليل أنه لا يسعني أنه لا يجوز لي ولا يجمل الصمت السكوت عن هذه المسألة وعدم التكلم
فيها بالحق الذي يستحقه هذا الخبيث وشبه الصمت بمكان فيه سعة تضييق على من
صمت فكأنه لا يدخله لما وجب عليه من إظهار الحق فسكت عن المشبه به ودل عليه بروادفه
تخييلا ففيه تخييلية ومكنية وإنما كان مالك رحمه الله أراد السكوت عن هذا لأنه
كذب لا يروج على أحد في حق من عصمه الله وحماه عن أن تصل إليه يد أحد ممن
يؤذيه وكأنه تلميح لما وقع له صلى الله عليه وسلم حين عرض نفسه على القبائل
ثم رجموه حتى أدموا ساقيه وكان ذلك من أولاد عبيد يا لبل كما فصل في السير
أو لما وقع له صلى الله عليه وسلم بأحد وهو مشهور أيضا قال ابن كنانة تقدمت
ترجمته في المبسوط اسم كتاب كما تقدم من شتم النبي صلى الله عليه وسلم بسببه
مرتكبا من اليهود والنصارى بيان لمن فارق أي أعتقد وأفتي للإمام أي السلطان
لأنه أحد معانيه وكذا المنصوب من جانبه ممن له تنفيذ الأحكام أن يحرقه بالنار
أي يلقيه فيها وهو حي وهذا إنما لم يخرج على الشرع لما ورد في الحديث أنه لا يعذب
بالنار إلا الله أو خالفها ولذا قال وإن شاء أي الإمام قتله بضرب عنقه ثم حرقت
بالتشديد وفي نسخة فحرق بحذف التاء جثته أي أحرق بدنه بتمامه بعد موته وإن
شاء الإمام أحرقهم بالنار أحياء وإن شاء أحرقه بالنار حيا وهذا مذهب مالك يجوز
إحراق من استحق القتل وغيره من العلماء يأباه وهو مثلة ومذهب الشافعي
أنه لا يجوز إلا قصاصا لحديث من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه واستدل
مالك لما قاله بأن عليا كرم الله وجهه فعله وبقوله صلى الله عليه وسلم
في حق من إن تدان وجدتموه فأحرقوه وغيره يقول إنه منسوخ كما نسخت
المثلة لقوله تعالى فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وهو مذهب أبي حنيفة
إذا تهافتوا في شيء أي وقعوا فيه والمراد أنهم أكثروا منه علنا وأصل التهافت
السقوط شيئا فشيئا ثم استعير لما ذكر وهو لا يستعمل إلا في الشر القبيح وفيه إشارة
إلى أنه مثله لشدة ردعهم يقال تهافت في كذا إذا انهمك فيه وبالغ وقال ابن
كنانة ولقد كتب بهذا المجهول إلى مالك من مصر يستفتونه وذكر ابن كنانة
مسألة ابن القاسم المتقدمة آنفا التي سئل عنها في نصراني شهد عليه أنه قال
مسكين محمد إلخ كما مر قال ابن القاسم فأمرني مالك فكتبت إليه بأن يقتل
وأن تضرب عنقه كضرب العنق كرمي الرأس عبارة عن قتل مخصوص والأولى
في التعبير أن يقول فأمرني مالك أن أكتب بدليل قوله فكتبت ما قاله مالك لأرسله
للسائل ثم قلت له أي لمالك يا أبا عبد الله هي كنيته وأكتب بعد ما قلته ثم
يحرق بعد قتله بالنار فقال مالك إنه لحقيق بذلك أي إحراقه بالنار
عفوا أن الخلود فيها وما أولاه أفعل تفضيل بمعنى أحقه به أي بالإحراق
فكتبت أن الذي قلته ذلك بيدي تأكيد لرفع توهم التجوز به بين يديه أي عنده
في مجلسه وهو كناية عن ذلك فما أنكره أي ما قلته من إحراقه بعد قتله
ولا عابه عليه لأنه ارتضاه ونفذت بهذا المجهول والتشديد والذال

المعجمة

المعجمة أي أرسلت الصحيفة وهي الورقة التي كتب فيها جواب السائل بذلك الذي قاله مالك
فقتل وحرق عملا بما قاله الإمام مالك رضي الله عنه وأفتى من أئمة المالكية عبيد
الله بالمستغير يحيى بن يحيى يكنى بأبي مروان الليثي فقيه ثقة عمدة في مذهب مالك
وهذا هو يحيى بن يحيى الذي روى عنه الموطأ كما تقدم وابن لبابة بضم اللام وبائين
موحدتين مخففتين بينهما ألف وهو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبي ولد
سنة خمس وعشرين ومائتين ومات ليلة الاثنين لأربع بقين من شعبان سنة أربع
عشرة وثلاثمائة ولهم أيضا ابن لبابة آخر وهو محمد بن يحيى بن لبابة أبو عبد الله وأخو
وهو أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة أبو محمد القرطبي توفي في نصف صفر سنة خمس وعشرين
والمراد هنا الأول في جماعة سلف أصحابنا يعني المالكية وفي هنا بمعنى مع استعارة
تبعية لتمكنه بينهم الأندلسيين تقدم ضبطه وإنما هم في المذهب دون الزمان
وأفتى هؤلاء كلهم بقتل امرأة نصرانية استهلت أي صرخت رافعة صوتها من قولهم
استهل المولود إذا صرخ والمراد أنها أعلنت وأظهرت بنفي الربوبية بضم الراء
مشددا كالخصوصية وبالنسبة للتأكيد وبنوة عيسى لله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا وبنوة بتقديم الباء الموحدة على النون مشددا أيضا أي أعلنت
بنفي بنوة عيسى أي أنه ليس ابنا لله بل هو الله أو هو معطوف على نفي أي نفت ابن اقبرس
الربوبية وقالت إن عيسى ابن الله فالمراد بنفي الربوبية نفي الوحدة والانفراد
بها وحرف بعضهم البنوة بالنبوة بتقديم النون على الموحدة وقال فيه قلاقة
لأن نفي الربوبية يقتضي نفي فروعها من النبوة والرسالة ثم إن البنوة والولادة
تستلزم نفي الربوبية وهو خبط عجيب منه وأوله بنا في آخره واستهلت أيضا
بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في دعواه النبوة وأفتى أيضا بقبول إسلامها
إذا أسلمت بعد قولها هذا ودرء القتل عنها به أي بالإسلام لأنه يجب ما قبله
وبه قال غير واحد من فقهاء المالكية المتأخرين منهم القابسي وتقدمت ترجمته
وابن الكاتب أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن محمد الإمام المالكي الجليل عرف بابن
الكاتب وفي نسخة وبقبول إلخ بدل قال غير واحد وقال أبو القاسم بن الجلاب
بفتح الجيم وتشديد اللام وبالموحدة بعد الألف وهو إمام جليل اشتهر
بكنيته وفي اسمه أقوال وهو صاحب القاضي أبي بكر الأبهري وله تآليف جليلة
وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وهو عبد الله أو عبد الرحمن بن الحسين
البصري في كتابه الذي صنفه في فقه مالك رحمه الله من سب الله تعالى أو سب
رسوله صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر بيان لمن وتعميم قتل ولا
يستتاب أي لا تطلب منه توبة ولا يقتل وهو على أحد الأقوال في الكافر وحكى
القاضي أبو محمد المعروف بابن نصر وهو عبد الوهاب كما تقدم في الذمي
يسب ثم يسلم روايتين عن مالك في درئه أي دفع القتل عنه بإسلامه
إذا أسلم وهو توبته فيقبل إسلامه ولا يقتل وفي أخرى عنه يقتل حدا وإليه
أشار بقوله وقال ابن سحنون في وجه قتله أنه حد وجد القذف فهو شبهه
من الحد وكحد السرقة والزنا من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي بإسلامه

وفي نسخة لا يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله تعالى لأنها
مبنية على المسامحة لكرم الله وعفوه بحلمه وأما حد القذف بحق للعباد لا يسقط
بالتوبة سواء كان ذلك لنبي أو غيره ممن يحترم بصيانة عرضه فأوجب الله عز وجل
أو ابن سحنون على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم بعد قذفه
حد القذف ولم يسقطه عنه توبته وإسلامه وقذف الأنبياء حده القتل
كما تقدم ومن غفل عن هذا قال حد القذف ثابت بالكتاب ولم يجعل الله
فيه القتل إلى آخر ما قاله مما لا فائدة فيه وكيف يخفى عليه هذا مع قول
المص رحمه الله ولكن انظر أمر لكن من يتأتى منه النظر والفكر في المسائل المذهبية
ماذا يجب عليه أي على من قذف الأنبياء هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه
وسلم خاصة وهو القتل لا الجلد كحد غيره لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
أي احترامه وتوقيره على غيره من أمته لا غيره من الأنبياء وإليه ذهب بعض الشافعية
فإن الحدود قد تتفاوت كما قال تعالى في أمهات المؤمنين من يأت منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين أم هل يسقط القتل عنه بإسلامه ويحد
ثمانين حد القذف فتأمله أمر بالتأمل لما فيه من الشبهة وقوة الخلاف فيه
فمذهبه كمذهب الشافعية قال إمام الحرمين قذف النبي صلى الله عليه وسلم
كفر بالاتفاق وقال أبو بكر الفارسي لو تاب لا يسقط عنه القتل لأنه حد
قذف النبي صلى الله عليه وسلم وحد القذف لا يسقط بالتوبة وحكى فيه
الإجماع وخالفه الصيدلاني وغيره وقال يحد ثمانين إذا أسلم وذكر فيه الإمام
مباحث طويلة وقال إن ما قاله الفارسي مع بعده حسن وهذا ما جنح إليه الم
ومن لم يتفق عليه قال ما قال لعدم وقوفه على حقيقة الحال

فصل في حكم ميراث

من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء وغسله والصلاة
عليه وكفنه اختلف العلماء من أئمة الدين في ميراث من قتل بسبب سب
النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون من المالكية إلى أنه أي ميراثه
في حق لجماعة المسلمين يوضع في بيت المال كالفيء من قبل بكسر القاف وفتح
الباء الموحدة تقليلا أي من جهة أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه الزندقة
لظاهر إسلامه وخفي كفره الذي دل عليه شتمه فميراثه كميراث الزنديق عنده
وشبه بوزن مثل ومعناه وفي نسخة يشبه مضارع وليس بزنديق حقيقة
لما مر من معنى الزنديق وإنما هو يشبهه فحكمه حكمه عنده وقال من أئمة
المالكية أصبغ بن الفرج كما تقدم ميراثه حق لورثته من المسلمين كغيره إذا كان
مستترا أي مختفيا من الستر وهو الخفي وفي نسخة مستترا بذلك المقال الذي
قاله بأن لم يظهره علنا فإن كان متظاهرا له أي لسبه وشتمه ومستهلا أي معلنا
به لا يكتمه وأصل معنى الاستهلال الصراخ كما مر بيانه فميراثه للمسلمين
كالفيء كما تقدم ويقتل على كل حال أي سواء تاب أم لا ولا يستتاب لا يطلب منه

توبة

ابن افترس

ابن افترس

توبة ولا تقبل وليس المراد بالستر أن يخفيه في قلبه لأنه لا يطلع عليه وإنما المراد أنه يقوله
في خلوته لمن لا يفشي سره لعامة الناس حتى يطلع عليه الحكام وهذا كله في المسلم فمن
تزهمه على ماله وللكفر فقد غفل وقال أبو الحسن القابسي تقدمت ترجمته إن قتل
وهو منكر للشهادة عليه أي لما شهد به عليه من السب فالحكم في ميراثه شرعا على ما
أظهر من إقراره يعني أنه أي ميراثه لورثته المسلمين لأن إنكاره لما شهدوا به عليه إقرار
بأنه مسلم معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تلغى الشهادة ولا الإقرار
والقتل إنما هو حد أي لقذف الأنبياء لا الكفر وردته ثبت عليه الحد وحكمه فليس من
الميراث في شيء فلا يمنعه وكذلك أي مثل ما قاله القابسي في هذه المسألة لو أقر بالسب
أي سبه صلى الله عليه وسلم وأظهر التوبة لقتل جواب لو إذ هو أي القتل حده
أي حد سب الأنبياء كما تقدم وحكمه أي المقتول حد الارتداد وكذا في ميراثه فيعطى
لورثته وأسبابه وفي سائر أحكامه من غسله والصلاة عليه حكم الإسلام لأنه مسلم
كسائر المسلمين ولو أقر بالسب للنبي صلى الله عليه وسلم وتمادى أي استمر في
بدي بعيد وهو استعارة وبعد إخالعه ما قبله وأبى التوبة أي امتنع من أن يتوب
منه أي من السب فقتل على ذلك المذكور من السب الذي استمر عليه كان المستمر على
سبه كافرا مرتدا وميراثه كالفيء حق للمسلمين لا لورثته لأن الكفر من موانع الإرث
ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن كفنا تاما كالمسلمين وإنما تستر عورته
ويوارى أي يدفن ويستر جثته بالتراب كما يفعل بالكفار أي بغيره من الكفار
الأصليين فلا يدفن في مقابر المسلمين وجوز الشافعية غسله وتكفينه كما
روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا لما مات أبوه أبو طالب أن
يغسله ويكفنه ويدفنه وقد ضعفه البيهقي ولا يصلى عليه إجماعا وأما
صلاته صلى الله عليه وسلم على ابن سلول فلأنه منافق مع أنه نهي عن ذلك
بعده بقوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا وقول الشيخ أبي الحسن القابسي
في المجاهر أي المعلن المظهر للسب المتمادي أي المستمر على إظهاره من قبله وكون ميراثه
فيئا بين أي ظاهر لا يمكن الخلاف فيه ولا شبهة لأنه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع
أي غير راجع عن كفره وردته وهو مثل قول أصبغ بن الفرج في المظهر المستهل
كما تقدم وكذلك أي مثل قول أصبغ هذا وقع في كتاب ابن سحنون الذي قاله
في الزنديق أي الذي يتمادى ويستمر على قوله المتمادي عنه بما كذب به ومثله أي
مثل قول أصبغ وابن سحنون قول لابن القاسم في العتبية الكتاب المشهور وكذا
هو قول لجماعة من أصحاب مالك يعني من علماء المالكية في كتاب عبد الملك بن
حبيب فيمن أعلن أي أظهر مثله أي ما ذكر وقال ابن القاسم في المذكور وحكمه حكم
المرتد في أنه لا ترثه ورثته من المسلمين لأنه كافر ولا ترثه أيضا ورثته من أهل
الدين الذي ارتد عن الإسلام إليه أي إلى دين آخر كاليهودية والنصرانية
لأنه فارقهم للدين الحق فتعلق به حق أهله فلا يعود إليهم بعوده لأنه
لا يقر عليه وماله صار فيئا يستحقه المسلمون ولا تجوز وصاياه لأن ماله
خرج عن ملكه بردته وصار موقوفا ولا ينفذ عتقه أيضا لما ذكر وكذا أسباب

عرض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بترقانه كبيع وهبة ووقف وغيره فانه محجور عليه لما ذكر وهذا الكلام مذهب الامام مالك
واما مذهب غيره فالكلام عليه مفصل في كتب الفقه وليس هذا محل تفصيله وقاله اي
قال مما قاله ابن القاسم اصبغ بن الفرج من ان حكمه حكم المرتد لا يورث سوا قتل على ذلك او
مات عليه اي على اعلانه الكفر وقال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة المالكي الامام
المشهور واما يختلف في ميراث الزنديق الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام وفيه كلام تقدم
الذي يستهل بالتوبة اي يظهرها واصل معناه الصياح كما تقدم فيكتفي به عما ذكر ولا
تقبل منه توبته لان توبته لخوف القتل وهذا مذهب مالك وذهب غيره الى قبول
توبته وانه يجري عليه احكام الاسلام في الميراث وغيره فاما المتمادي اي المستمر على
زندقته واعتقاده الباطل فلا خلاف في انه لا يورث عنده وقال ابو محمد هو ابن
ابي زيد رحمه الله المذكور انفا فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل بفتح الجهول
وتشديد الدال المهملة اي لم تقم عليه بينة زكيت وعدلت او لم تقبل اي او اقيمت
عليه بينة ولم تقبل او ثبتت زندقته باقراره لكنه لم يقبل انه يصلى عليه ويرثه
المسلمون ويدفن في مقابرهم فتجري عليه احكام المسلمين لانه لم يحكم بكفره وروى
اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي نسبه الى الكذب في شيء مما اوحي اليه وهو من المسلمين لان الكلام فيهم وفي نسخة
فيمن كذب برسول الله او اعلن اي اظهر دينا اي اعتقادا ونحلة مما يفارق فيه الاسلام
لكفره به والذي في نسختنا مما بما الموصولة وفي نسخة الشارح الجد بيد ممن يفارق
به بمن الموصولة فقال انه او قع من على ما لا يعقل من غير نكتة وتغليب ولا
يجوزه اهل العربية غير قطرب وهو قول ضعيف فكانه تبعه فيه وكذا ان نقول
ان صحت هذه الرواية فالمعنى مندرجا او متلبسا لدينه ممن يفارق الاسلام ان
ميراثه اي ما يورث من ماله وغيره فيء يوضع في بيت المال ويصرف للمسلمين وقال
ربيعة ابن ابي عبد الرحمن في قوله ان ميراث المرتد يصرف للمسلمين ولا يرثه ورثته
من اهل الاسلام ربيعة بن ابي عبد الرحمن بن فروخ فقيه المدينة ومحدثها
الذي روى عنه مالك والليث وغيرهما واخرج له الستة ووثقه احمد وغيره
توفي سنة ست وثلاثين ومائة وقال بقوله ايضا الامام الشافعي وابو ثور ابراهيم
ابن خالد الكلبي البغدادي احد المجتهدين الثقة المحدث روى عنه خلق كثير
واخرج له اصحاب السنن وتوفي في صفر سنة اربعين ومائتين وابن ابي ليلى
وهو القاضي ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى الانصاري احد
اعلام الدين في الفقه والحديث واخرج عنه اربعة من اصحاب السنن ووثقوه
وقال بعضهم انه سيئ الحفظ توفي سنة ثمان واربعين ومائة وله ترجمة في
الميزان واسمه بيسار بمثناة تحتية والمراد انه وافق اجتهاده اجتهادهم لانهم
قلدوه اذ المجتهد لا يقلد غيره وهذا معنى قولهم في امثاله كالشافعي في
الزايد مع زيد واختلف فيه اي القول به الرواية عن احمد بن حنبل فقيل
قال به وقيل لم يقل به واما مذهب الصحابة فيه فقال علي بن ابي طالب
وابن مسعود وقد ذهب غيرهم من اهل العصر الاول مثل سعيد بن المسيب والشعبي

الاسلام

والحسن

والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي الامام المشهور والحكم بفتحتين
ابن عتيبة مصغر عتبة بمثناة فوقية الكندي فقيه الكوفة الامام العابد الزاهد
توفي سنة خمسة عشر ومائة واخرج له الستة وتوافقه في اسمه واسم ابيه دون جده
الحكم قاضي الكوفة وليس من رواة الحديث ووهم البخاري في تاريخه فجعلهما واحدا
كما ذكره الحلبي والاوزاعي والليث بن سعد واسحاق بن راهويه وابو حنيفة النعمان
ترثه ورثته من المسلمين لتعلق حقهم به قبل موته وقيل مذهب ابي حنيفة في ذلك
التفصيل فترثه ورثته منهم فيما كسبه قبل ارتداده لتعلق حقهم به
وما يكسبه في الارتداد اي في زمن ارتداده فيء للمسلمين لانه مال كافر والكلام
عليه وعلى ادلته مفصل في شروح الهداية وغيرها قال القاضي ابو الفضل
عياض المصنف رحمه الله وتفصيل ابي الحسن القابسي في هذه المسئلة في باقي جوابه
كما مر انفا حسن بين ظاهر واضح وهو قوله ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم
في ميراثه على ما ظهر من اقراره الخ وهو على راي اصبغ في ان ميراثه للمسلمين ان
كان مسترا فان اعلن فهو فيء وخلاف قول سحنون بانه للمسلمين كالزنديق واختلافهما
اي اصبغ وسحنون مبني على قول مالك في ميراث الزنديق هل ينظر لظاهر حاله
او لباطنه لان الله ردآه بردا سريرته فمن ورثه ورثته من المسلمين سوا قامت
عليه بذلك المقال الذي قاله بينة او اعترف بذلك مع البينة او بدونها
واظهر التوبة عما صدر منه وقاله اصبغ بن الفرج المصري ومحمد بن مسلمة وقد قدمنا
ترجمته وغير واحد من اصحابه اي كثير من اصحاب الامام مالك ودليله ما قاله
بقوله لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته بعد اعترافه ونحن انما نحكم بالظاهر
وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في
زمنه او المراد انهم على ما عاهدوه عليه من الاسلام فالعهد على الاول بمعنى
الزمان او المعهود المعلوم فانه صلى الله عليه وسلم كان يعامل المنافقين
معاملة المسلمين في ميراثهم وغيره تاليفا لقلوبهم وقلوب من قرب عهده
بالاسلام لئلا يقول الاعدا انه يقتل اصحابه حتى اعلمه الله بذلك فكان
لا يصلي على بعضهم لان صلاته صلى الله عليه وسلم شفاعة لهم واسر
لحذيفة امرهم فكان عمر رضي الله عنه يصلي على من مات منهم اذا صلى عليه
حذيفة واجرا احكام الاسلام عليهم نظرا لظاهر حالهم وروى ابن نافع عنه في
العتبية الكتاب المشهور وهو عبد الله بن نافع الصايغ المدني المحدث مولى
بني مخزوم وهو ثقة وقيل في حفظه شيء ووثقه ابن معين وهو صاحبه
الذي كان يلازمه وروى عنه كثيرا واخرج له اصحاب السنن وترجمته في الميزان
توفي سنة ست ومائتين وكتاب محمد بن المواز ان ميراثه فيء يصرف لجماعة
المسلمين لان ماله تبع لدمه ودمه هدر فماله غنيمة وفيء وقال به اي
بهذا القول جماعة من اصحابه اي اصحاب مالك وقاله من اتباعه ايضا اشهب
والمغيرة بضم ميمه وكسرها اتباعا وهو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث
ابن عياش بمثناة تحتية وشين معجمة توفي يوم الاربعا سنة ثمان وثمانين

ومائة وولد سنة اربع وعشرين وعبد الملك بن حبيب او المعروف بابن الماجشون
ومحمد بن المواز وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه اي المرتد او الزنديق
ان اعترف بما شهد به عليه وتاب ولم تقبل توبته فيقتل فلا يورث لانه حكم بكفره
وقتل فلا تنفع توبته حكم في الدنيا فلا وجه لما قيل انه عجيب كيف لا يورث وقد تاب
ولا وجه لما قيل انه كيف لا يعمل بمقتضى الشهادة وان لم يقر وقد شهد عليه حتى قتل
او مات حتف انفه ورثت ورثته المسلمون وهو مخفف او مشدد لان الاصل بقاؤه
على الاسلام قال ابن القاسم وكذلك اي مثل من لم يقر حتى قتل او مات كل من اسر
اي اخفى كفرا باي وجه يكون ولم يظهره حتى مات فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام
فيجري عليهم احكام الاسلام نظرا لظاهر حالهم وسئل ابو القاسم بن الكاتب تقدم
بيانه عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل بذلك هل يرثه اهل دينه
النصارى ام المسلمون فاجاب بانه اي ميراثه فيء يصرف للمسلمين لانه طعن في الدين
ونقض للعهد فماله كمال الحربي عنده وليس ما اخذه المسلمون على جهة الميراث لانه
لا توارث بين مسلم وكافر ولا توارث بين اهل ملتين كما ورد في الحديث الصحيح ولكن
لانه اي ماله من فيئهم الذي افاءه الله عليهم لنقضه العهد بسبه له صلى الله عليه
وسلم لانه طعن في الدين وليس مما كفر به وهذا معنى قوله اي قول ابن الكاتب ولخصنا
اي ايراده بعبارة اخصر من عبارته ولذا لم ينقل لفظه بعينه وحكم نصرانيه
مفصل في كتب الفقه

الباب الثالث من هذا القسم

في حكم من سب الله بذكر ما هو عز وجل منزه عنه وحكم من سب ملائكته وانبيائه
عليهم الصلاة والسلام وكتبه المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام
وسب آل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه رضي الله عنهم اجمعين اما
الملائكة فجمع ملك واصله مالك من الالوكة وهي الرسالة فقلب وخفف كما
مر وحقيقتهم عند المتكلمين اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة
والفلاسفة واوائل المعتزلة لا ينكر وجودها لكنهم اثبتوا جواهر روحانية غير
جسمانية سموها عقولا واهل الشرع سموها ملائكة واثبتوا الجانة في العالم
ومثلها الجن وانكر الفلاسفة وبعض المعتزلة الملائكة والجن بالمعنى الذي فسرها
به المتكلمون من انها اجسام من النور والريح قادرة على التشكل كما قاله الامام
في المحصل لانها ان كانت لطيفة كالهوا لم تقدر على الافعال القوية وان كانت
كثيفة لزم ان نشاهدها والا لزم ان يجوز وجود جبال لا نشاهدها عندنا لا نشاهدها
وقالوا الجن الارواح البشرية المفارقة لابدانها فهم لا ينكرونها اصلا كما
يتوهمه بعض الناس فيقول انه مخالف لنص القرآن والحديث واجيب عما
قالوه كما ذكره الكاتبي في شرح المحصل بان اللطيف له معنيان ما لا لون له
كالبلور وما هو رقيق القوام كالريح فالمراد الاول فيقوى على الاعمال
الشاقة ولا يرى او الثاني ولا يرى لانها شفافة والشفاف لا يرى او لان

للرؤية

دلجي
ابن افيرس

للرؤية شرطا ومانعا او لان الله لم يخلق رؤيتها لغيرها وقيل الجن والملائكة جنس واحد
والكلام على هذا مفصل في كتب الحكمة والكلام وقد تقدم الكلام على الآل وهم الاقارب والصحب
اسم جمع لصاحب وهو معروف قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله لا خلاف
في ان ساب الله تعالى كافر حلال الدم اي مستحق للقتل شرعا وهو كناية عما ذكر بعزتيه
ان الحل والحرمة من صفات الافعال دون الذوات والمراد اذا سبه بما لم يكفر به كاثبات
الولد والشريك فانه لا يقتل به الا اذا اظهره فانه نقض للعهد والظاهر ان المراد بالسب
ما هو سب عندهم فيخرج هذا عنه ولا حاجة للجواب عنه كما قيل واختلف في استتابته
اي طلب التوبة منه وقبولها فقال ابن القاسم في كتابه الذي سماه المبسوط وفي كتاب
سحنون ومحمد بن المواز وروى ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق بن يحيى من سب
الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب اي لا تقبل توبته ولعظم جرمه لا تطلب منه
توبة لانه قد يتوب ويتردد في قتله الا ان يكون سبه افتراء على الله بارتداده الى دين
غير الاسلام دان به اي اتخذه دينا اطاعه واظهره ولم يخفه فيستتاب اي يؤمر
بالتوبة ورجوعه للاسلام واذا ارتد لدين لم يظهره لم يستتب ويقتل لانه زنديق
لا يوثق بتوبته والافترا الكذب عمدا وسمي فعله هذا افترا مجازا او لاستلزامه له وقال
في المبسوطة مطرف مشدد بزنة اسم الفاعل وهو ابن اخت الامام مالك كما تقدم
وعبد الملك بن حبيب او ابن الماجشون مثله بالضبط مثل ما مر تفصيله وقال
المخزومي ومحمد بن مسلمة تقدم بيانه وابن ابي حازم بحاء مهملة وزاي معجمة وهو
عبد العزيز بن سلمة بن دينار بن ابي حازم توفي في سنة اربع او خمس او ست وثمانين
ومائة وهو ساجد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل المسلم بالسب
اي سب الله الذي كفر به حتى يستتاب فان تاب والا قتل واليه ذهب الشافعي وغيره
وكذلك اليهودي والنصراني اذا سب الله تعالى واحد منهما لا يقتل حتى يستتاب
فان تابوا قبل منهم الاتيان بالتوبة وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة
قبل قتلهم وهذا حكمهم الان اذ قويت شوكة الاسلام بخلاف زمنه صلى الله عليه
وسلم اذ لم يقتل اليهود الذين قالوا يد الله مغلولة لما نزل اقرضوا الله قرضا حسنا
فلم يستتبهم دفعا للفتنة وكذلك ان ما تقدم من سب الله كله كالردة في حكم الاستتابة
وهو اي حكمه المذكور الذي حكاه القاضي ابن نصر تقدمت ترجمته عن المذاهب اي
مذهب الامام مالك ولبعض الشراح هنا كلام طويل بلا طائل وكيف يسوغ له
البحث في مسائل الفقه التي ينقلها مثل المص عن مذهبه ووافق الشيخ ابو محمد بن
ابي زيد امام مذهب مالك المشهور فيما حكي بخبرنا المجهول عنه في رجل لعن رجلا
اجمعوا عليه باللعنة ولعن الله تعالى عز وجل فقال معتذرا انما
اردت ان العن الشيطان فزل لساني اي سبق خطأ لما قلته فقال ابن ابي زيد
في فتواه يقتل بظاهر كفره بما قاله ولا يقبل عذره لمخالفته للظاهر واما حاله في
الآخرة فيما بينه وبين الله فمعذور ان صدق وترك هذا القيد لظهوره فلا
اعتراض عليه وبهذا افتى الشافعية لان مخالفة الظاهر الصريح لا تعتبر بدون
قرينة وهي قاعدة مقررة عند الفقها هذا وفي كلام ابن حجر بعد قول المص

دلجي
ابن افيرس
ابن افيرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا يقبل عذره وقضية مذهبنا قبوله وافتى فقها قرطبة مدينة بالاندلس معروفة
بفتح القاف والطا المهملة وموحدة في مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه
الذي تقدمت ترجمته واخوه هارون لايعد من العلما بل من الامرا وكان ضيق
الصدر اي في نفسه ضيق ومرق كثير التبرم اي الضجر والقلق مما يسيه كما
شرح به في الصحاح وكان هارون قد شهد بينا المجهول عليه بشهادات في امور
مقتضي تكفيره منها انه قال في استقلاله اي في زمن افاقته وقيامه من
مرض اصابه من فوقهم استقل اذا ارتفع والمراد انه بري منه فقال لما بريه
لقيت في مرضي هذا ما اي امرا لو كنت قتلت ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي نسخة
ما قد لو قتلت الخ ما استوجبت اي استحقيت هذا الذي لقيته كله فافتى ابراهيم
ابن حسين بن خالد من اجلا فقها المالكية بقرطبة توفي في سنة ثمان وخمسين ومايتين
بقتله لان مضمن قوله هو بالتشديد بزنة اسم المفعول اي ما تضمنه تجوير الله
بجيم ورا مهملة اي نسبته للجور والتظلم منه اي القول بانه ظلمه بما فعله
والتعريض فيه اي في نسبة الله تعالى لما لا يليق به كالتصريح اي كحكمه في التكفير
وايجاب القتل ومعنى التعريض ما يقابل التصريح وهو من الكناية وليس
هذا المحل بيانه وقوله المصرح التعريض كالتصريح هل نقل عن ايمة المالكية
فلا وجه للاعتراض عليه بان الفقها قالوا في كتب الفقه ليس حكمه حكم الصريح
ونقله عن الشافعية وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب الذي تقدمت ترجمته
وابراهيم بن حسين بن عاصم وصحح في بعض النسخ حسين بالتصغير بدله وهو
الفقيه الجليل القرطبي توفي في رمضان سنة سبع ومايتين وسعيد بن
سليمان القاضي بطرح القتل عنه اي دفعه واصل معنى الطرح الرمي للمجرات
فهو التعبير به ايما الى ان قتله جايز ولكنه دري عنه الا ان القاضي راى عليه
التثقيل بوضع القيود والاغلال في الحبس والشدة اي التشديد في الادب
والنكال لاحتمال كلامه لما ذكر من نسبة الله تعالى للجور والظلم وصرفه الى
التشكي من المرض لتالمه به لا الشكاية من الله ولهذا الاحتمال دفع عنه القتل
وذكر النووي القولين في الروضة من غير ترجيح وقال شيخ الاسلام زكريا
في شرح الروض الذي رجحه المحب الطبري انه لا يكفر قال ابن حجر والذي عندي
ان يفصل فيقال ان اراد بذلك ان الله شدد عليه ذلك لذنوب سبقت له او
نحو ذلك لم يكفر وان اراد انه لم يفعل معه الاصلح في حقه فان كان مع اعتقاد
ان ما فعله معه جور كفر او انه تعالى لا يجب عليه الاصلح او اطلق لم يكفر انتهى
وليس ما ذكر مبني على مسالة وجوب الاصلح على الله وعدم وجوبه على الخلاف
المذكور في الاصل كما توهم واعلم ان ابن مفلح قال في كتاب الاداب الشرعية
ان ابن عقيل رحمه الله قال الرضا بقضا الله في الامراض ونحوها من
المصايب واجب وقال الشيخ تقي الدين انه ليس بواجب على الاصح وانما
الواجب الصبر وفيه كلام اطال فيه والحاصل ان المصايب والامراض
ليست بذنب سبق من العبد وانما هي ابتلا من الله يثيب عليه كما ورد

في الاحاديث

في الاحاديث وقد تقدم شي منه فيما يصيب الانبيا وقوله هذا القايل يقتضي انه يعتقد
ان ما اصابه بذنوب سلفت منه وهذا اجهل منه ووجه قول من قال في مسالة لنبه
بالاستتابة اي انه يطلب منه التوبة فان تاب والا قتل انه اي السب كفر وردة
محضة اي خالصة ظاهرة لم يتعلق بها لحق لغير الله تعالى من عباده وحق الله تعالى
وغناه مبني على المسامحة فاشبه الكفر بغير سب الله في ان كلا منهما ردة
واشبه اظهارا لانتقال عن دين الاسلام الى دين اخر من الاديان كالنصرانية المخالفة
للاسلام سوا اظهره ام لا ووجه قول من قال بتركه استتابته كما تقدم نقله عن
بعض ايمة المالكية وفي نسخة ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك السب
المقتضي للكفر بعد اظهار الاسلام وقبل غايته مبني على التهم اي السب الذي صدر منه
اتهمناه جواب لما اي صار له تهمة في الكفر وظننا انه لم ينطق به الا وهو معتقد له
متهم عليه بقلبه لفساد عقيدته اذ لا يتساهل اي بعده سهلا هنا يتكلم به من
غير تدبر في هذا اي سب الله تعالى شانه احد له عقل ودين فحكم له بحكم الزنديق
لان ظاهره الاسلام وباطنه مضمر لخلافه بدليل ما صدر منه والزنديق لا يستتاب
فلما اشبهه حكم له بحكمه وهذا لا يقتضي ان سب الرسول صلى الله عليه وسلم ليس
ردة محضة حتى يشكل جريان الخلاف فيه كما قيل بل لان حق الله له حكم يختص به
كما تقرر عند الفقها ولم تقبل توبته لاخفائه الكفر فالظاهر استمراره عليه
وان توبته انما هي ليتخلص من القتل وهذا الظاهر في ان معنى الزنديق من يظهر
الاسلام ويخفي الكفر كالمنافق وقيل هو من لا ينتحل دينا كما تقدم واذا انتقل
من دين الى دين اخر واظهر السب بمعنى الارتداد اي بمعنى يقتضي انه صار مرتدا
فهذا المنتقل من دين لاخر بسبب ردته قد علم بفعله هذا انه خلع ربقة الاسلام
من عنقه اي خرج من الاسلام وجاهر الى الكفر وهو استعارة لان الربقة
عروة في حبل تربط بها البهايم وتشد فاذا خلعها اي رمى بها من عنقها شردت
وذهبت فان فيجعل احكام الدين وحدوده المانعة بالتزامها عن المعاصي والكفر
كالحبل الذي يربط به وفيه اشارة الى انه ملحق بالحيوانات العجم لانهم الا كالانعام
بل هم اضل وهو مقتبس من الحديث الاتي من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه والجماعة اهل السنة والربقة بكسر فسكون وجمعه
رباق بخلاف الاول المتمسك به اي بالاسلام فانه بمجرد سبه الله تعالى شانه
لم يعلم انه خلع ربقة الاسلام لتمسكه به ظاهرا فاشبه من قصد الكفر بغير سب
وحكم هذا الذي انتقل من دين الى اخر واظهر السب حكم المرتد الذي خلع ربقة
الاسلام من عنقه يستتاب فان تاب قبلت توبته والا قتل على مشهور مذهب
اكثر اهل العلم من اكثر علما الحنفية والشافعية والحنبلية وهو مذهب
مالك واصحابه في كتبهم على ما بيناه قبل في الباب الاول وذكرنا الخلاف مفصلا
في فصوله الاتية بعد

فصل

ولما من اضاف الى الله تعالى اي نسب اليه ما لا يليق به اي لا ينبغي ان يعتقد

مرضي

مرضي

ابن اقبرس

نعام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

احد في حقه ليس على طريق السب اي لم يذكره قايله بقصد السب بحمل ما قصد به
امر كمن حلف في طريق بمرتبه ذلك الامر هو مجازا او كناية عما ذكر ولا الردة اي ليس
ذكره له على طريق الردة اي على وجه يقتضيها او قصد الكفر اي قصد ما يعد كفرا
ولكن كان ذكره لما لا يليق على طريق التاويل اي قصد غير ما يظهر منه والاجتهاد
اي يعفو له اجتهاد ابراية فيه والخطا في اجتهاده المفضي بغا وضاد معجمة الى
الهوى اي قوله المودي الى امر من هوى نفسه من غير نظر للحق وتحقيقه والبدعة
اي اختراع امر لم يسبق اليه ولم يرد في الشرع والمراد البدعة التي هي ضلالة فان
البدعة قد تستحسن لعدم مخالفتها الشرع وقد تكون واجبة كما فصل في محله
ومقصوده بهذا الفصل بيان حكم من خالف اهل السنة من الفرق الذين لهم مذاهب
مذكورة في الاصول كالمعتزلة ومن ضاهاهم من تشبيه اي تشبيه الله تعالى
بغيره كاثبات يد له وجسم وهذا بيان لما لا يليق او نعت اي وصف لله سبحانه
وتعالى بجارحة اي باثبات جارحة له والجارحة العضو من اجترح وجرح
بمعنى اكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم كاليد والعين والوجه ونحوه مما
ورد في الايات والقران ومن لم يقصد ظاهره كالاستوا على العرش مما هو مصروف
عن ظاهره كما سيأتي بيانه او نفي صفة كمال كنفي المعتزلة للصفات فرارا
من تعدد القدما والحدوث وانما هو في اثبات ذوات قدما لا ذات وصفات
واحترز بقوله كمال عن الصفات السلبية فلا وجه لما قيل انه لم يحترز به
عن شي لان صفاته كلها كمال فهذا المضاف اليه تعالى مع تاويله مما اختلف
السلف المتقدمون والخلف المتاخرون في تكفير قايله ومعتقده اي جعله
كافرا فذهب الاشعري الى عدم تكفير اهل الاهوا والمذاهب المردودة وعلى ذلك
اكثر الفقها من الحنفية والشافعية وليس على اطلاقه كما ستراه واختلف
قول مالك واصحابه في ذلك اي في تكفير اهل الاهوا ولم يختلفوا في قتالهم
اذا تحيزوا فية اي فارقوا اهل السنة وانفردوا بمكان يختص بهم لاظهار
المخالفة وخشية اضلال العامة والخروج اذا قويت شوكتهم ولم يختلفوا
ايضا في انهم يستتابون اي تطلب توبتهم ورجوعهم عما قالوه واعتقدوه
فان تابوا ورجعوا عما هم عليه قبلت توبتهم والا قتلوا دفعا لشرهم
واضلالهم لغيرهم وانما اختلفوا اي مالك واصحابه في المنفرد الذي ليس معه
جماعة يتحيز بها عن غيره منهم اي ممن نسب له ما ذكر فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم للنهي عن تكفير اهل القبلة وترك قتالهم
لتاويلهم ولرجا توبتهم ورجوعهم ولعدم ضررهم لغير انفسهم وفي
نسخة وترك قتالهم والمبالغة في عقوبتهم اي تشديد عقوبتهم واطالة
سجنهم بفتح السين اي حبسهم مدة طويلة حتى يظهر اقلاعهم اي رجوعهم
عما هم فيه من القلع بمعنى النزع والازالة اريد به ما ذكر وتشتيت اي
تظهر توبتهم ورجوعهم للحق كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ
بفتح الصاد المهملة وكسر البا الموحدة وسكون المثناة التحتية وغين

معجمة

معجمة وهو رجل من بني يربوع اسمه صبيغ بن شريك بن عسل بكسر العين وسكون السين
المهملتين قال ابن ماكولا كان يتتبع مشكل القران ومتشابهه فامر عمر رضي الله عنه
بضربه ومنع الناس من مجالسته وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك
ابن الماجشون وهم جماعة كانوا مع علي كرم الله وجهه في صفين ثم خالفوه وخرجوا
عليه لانكارهم التحكيم وقولهم لا حكم الا لله ولهم عقايد مخالفة للسنة كتكفير
مرتكب الكبيرة ووجوب الخروج على الامام اذا خالف السنة ومع ذلك كان لهم من
العبادة والشجاعة والتصلب فيما يعتقدونه امور عجيبة وقد اخبر النبي صلى
الله عليه وسلم بهم قبل ظهورهم وقصتهم مع علي رضي الله عنه وقتاله لهم مشهور
في التواريخ وهو ايضا قول سحنون في جميع اهل الاهوا من الفرق الضالة المضلة
المفصلة في محلها فتشدد عقوبتهم ولا نقتلهم بل يطيل سجنهم حتى يتوبوا
وبه اي بما ذكر فسر قول مالك في الموطا كتابه المشهور وفسر قول مالك بقوله
وما رواه مالك وفي نسخة ما رواه بدون واو بدل من قول مالك اي فسر بعض اصحابه
ما قاله رواية عن عمر بن عبد العزيز عن جده مروان بن الحكم وعمه عبد الملك
ابن مروان من قولهم بيان لما في القدرية يستتابون فان تابوا تركوا والا قتلوا
لكونهم بما مر وهؤلاء طايفة قالوا بنفي القدر وان الامر انف لم يسبق تقديره
وتسميتهم بالقدرية للملابسة السلبية وقد ورد في الحديث انهم مجوس هذه الامة
شبههم بهم لاضافتهم الامر لغير الله من النور والظلمة والكلام عليهم وعلى عقايدهم
مفصل في كتب الاصول وهم اصحاب واصل بن عطا الغزال وهم يقولون يقع في
ملكه ما لا يريد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال عيسى بن ابراهيم كما تقدم
وقيل هو ابو موسى الغافقي عن ابن القاسم تقدم بيانه في اهل الاهوا اي
الارا الفاسدة الذين اتبعوا فيها هواهم الفاسد من الاباضية بكسر الهمزة والبا
الموحدة والضاد المعجمة جماعة من الخوارج اصحاب عبد الله بن اباض ظهروا
في خلافة مروان بن محمد اخر بني امية زعموا ان من خالفهم كافر غير مشرك
يجوز مناكحته والقدرية وشبههم في عقايدهم الباطلة ممن خالف
الجماعة اي اهل السنة فان الجماعة عند الاطلاق ينصرف لهم لاجتماعهم على
الحق من اهل البدع اي الضلالة كالنصرية والاسماعيلية وغيرهم ممن فصل
في كتاب الملل والنحل والتحريف لكتاب الله بتفسيره وتاويله بالتاويلات
الباطلة يستتابون اي تطلب منهم توبتهم ورجوعهم عن اعتقاداتهم
الفاسدة سوا اظهروا ذلك الاعتقاد حتى اطلعنا عليه او اسروه اي اخفوه
بحيث لا يطلع عليه الا من هو منهم فان تابوا قبلت توبتهم وعفي عنهم
والا اي ان لم يتوبوا قتلوا وميراثهم لورثتهم من المسلمين لانهم يقولون
انهم على الاسلام دينا ولورود النصوص الدالة على خلافه وانما قتلوا لاصرارهم
على البدع المخالفة للحق كما يقتل تارك الصلاة لا للحكم بكفرهم فلا يرد عليه
ما قيل انهم اذا قتلوا لكفرهم كيف يرثهم المسلمون مع ما فيهم من مانع الارث
ولا فرق بينه وبين المرتد والفرق مثل الصبح ظاهر وقال مثله اي مثل قول عيسى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ايضًا تاكيد لمثلوم ابن القاسم في كتاب محمد بن المواز في اهل القدر وغيرهم من اهل
البدع المخالفين في العقايد لاهل السنة قال اي ابن القاسم او محمد واستتابتهم
معناها ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه من العقايد الباطلة فان لم يتركوا اقتلوا
ووبخهم وتثبتهم كما تقدم ومثله اي مثل قول ابن القاسم في كتاب محمد المنسوب
له في كتاب المبسوط في حق الاباضية والقدرية الذين بيناهم وساير اهل البدع
من الفرق الضالة فليستتابوا والا قتلوا قال ابن القاسم وهم مسلمون لاظهارهم
الاسلام وشعايره وانما قتلوا جواب سؤال مقدر تقديره فلم قتلوا مع كونهم
مسلمين فقال في جوابه لرايهم اي ما رواه من العقيدة السوء بفتح فسكون
اي الشي المخالف لجماعة السنة واهل الحق وبهذا اي بما يوافق ما قاله
ابن القاسم عمل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم اي عمل به
وحكم في زمن خلافته به وقد استشكل بعض الشراح كلام المص فيما نقله
عن ابن القاسم بان القدرية اطلقوا تارة على من ينفي القدر كله ويقول ان
الامور انف اي مستانفة ليس فيها لله قدر ولا علم بها وهو لا كفر كما في
الحديث المار انهم مجوس هذه الامة وهذه الطايفة كانت في اخر الدولة
الاموية وانقرضوا فان فسروا بهم فلا يصح قوله وهم مسلمون وتارة على
المعتزلة القايلين بان الشر ليس بارادة الله وتقديره وهولاء لا يحكم بكفرهم
قلت اذا حمل على هذا فلا اشكال فيما قاله ابن القاسم وان كان هو لم يبين مراده
لانهم لكونهم انقرضوا كان كلامه منصرفا اليهم بقرينة خارجية وقال ابن القاسم
من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما مصدر مؤكد لنفي احتمال التجوز فيه
استتيب بطلب توبته ورجوعه عما اعتقده فان تاب ورجع عن انكار كلام
الله قبلت توبته والا قتل لانكاره لما اخبر الله به في كلامه الكريم المتواتر فان
اراد ابن القاسم انه يكفر لانكاره القران وتكذيبه لما قاله اصدق القايلين
من غير تفصيل فيه فله وجه وان اراد ان ما ذهب اليه المعتزلة من ان ما سمعه
موسى عليه الصلاة والسلام خلقه الله في الشجرة لانه صوت وحروف
حادثة صدرت منه لان ذاته لا تقوم بها الحوادث والكلام النفسي لا يسمع عندهم
فتكفيرهم لهذا غير مسلم والكلام على مسئلة الكلام مفصل في كتب الاصول
لا يسع تفصيله هذا المقام وقد افردوه بالتاليف وابن حبيب وغيره من
اصحابنا المالكية فمعنى صحبتهم موافقتهم مذهبا لا صحبة حقيقية يرى
اي يعتقد تكفيرهم اي انهم كفروا بمقالتهم هذه ويرى تكفير امثالهم من اهل
البدع والعقايد الفاسدة من الخوارج بيان لامثالهم وقد تقدم بيان الخوارج
والقدرية الذين تقدم ذكرهم والمرجية مهموز بزنة اسم فاعل من الارجا وهو
التاخير والامهال وهم فرق جمع ذهبوا الى انه لا تضر معصية مع الايمان كما
لا تنفع طاعة مع الكفر وتكفيرهم لانكارهم النصوص المتواترة وما علم من الدين
بالضرورة قيل كان ينبغي ان يسموا المنزلة لدلالته على انه لا عذاب اصلا مع
موافقته لقولهم الفعلة التركة وهو كلام في غاية الركاكة واللغة لا تعلل والتاخير

ومعنى نتبعا
لابن افقوتي

ابن افقبرك

براده

مراده به الترك كثيرا وقد علمت ان المرجية بالهمز وتركه لديا والقدرية بفتح القاف وتسكينها وقد روي ايضا عن سحنون مثله اي مثل قول ابن حبيب في التكفير فيمن قال
ليس لله كلام انه كافر لانكاره ما ثبت بالتواتر وما يلزمه من تكذيب الله ورسله فتكفيره
ناشئ عن ظاهر كلامه واطلاقه صيانة للشرع لئلا يخرق السياج فلو قال اردت بذلك انه ليس
بكلام بحروف واصوات حادثة كالبشر لتنزهه عن قيام الحوادث به عند غير الكرامية وهم
من الفرق الضالة فهذا انما ذهب اليه كثير من اهل السنة كالاشعري المثبت للكلام النفسي
فلا يكفر قايله وان ذهب الى قدم الالفاظ كثير من السلف كالحنابلة واول الشهرستاني
كلام الاشعري في رسالة له لخصها الشريف في شرح المواقف والكلام فيه مشهور بين
العلماء وفيه تاليف مستقل واختلفت الرواية عن مالك في اهل البدع والاهواء
فاطلق القول بتكفيرهم عن مالك في رواية الشاميين اي من اتبع مذهب مالك
من اهل الشام اي مشهور بزنة اسم فاعل بسينين ساكنة وراء مهملتين بينهما الف مكسورة
بدل من الشاميين وهو عبد الله بن مسهر الغساني المالكي كما تقدم ومروان بن
محمد الطاطري الدمشقي والطاطري بطاءين مهملتين مفتوحتين وراء مهملة
نسبة الى ثياب بيض كان يبيعها وهي تعرف بالطاطرية بمصر والشام وهو امام
محدث ثقة اخرج له مسلم وغيره وله ترجمة في الميزان وهو من زهاد العلماء توفي
سنة ست عشر ومائتين الكفر عليهم اي قال بكفرهم مطلقا او سماهم كفرة واطلق اسم
الكفر عليهم وقد شاوره بعينا المجهول اي شاور مالك واستشاره بعض الناس في
تزويج القدري اي عقد النكاح له من نساء اهل السنة فقال لا تجيزن تزوجه
لانه كافر عنده ومثله لا يحل تزويجه بمسلمة وقد قال الله تعالى ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم اي العبد المؤمن وان كان فقيرا خير من المشرك وان كان
غنيا وفيه ترغيب وترهيب وفي الاية كلام في كتب التفسير وروي عنه اي عن
مالك ايضا اي كما روي عنه فيما مر انه قال اهل الاهوا اي البدع والعقايد المخالفة
لاهل السنة كلهم كفار لعقايدهم الباطلة وقال مالك ايضا من وصف شيئا من
ذات الله اطلاق الذات بمعنى النفس على الله مشهور وفيه كلام تقدم واشار حال
وصفه له الى شي من اعضا جسده يد بدل من جسده بدل بعض من كل او سمع او بصر
او نحوه قطع ذلك العضو منه الذي اشار له حال وصفه واشارته كناية عن ان ما
ذكر من الاعضا حقيقي كالجوهر المشار اليه وانما عوقب بذلك لانه شبهه بشين معجمة
من التشبيه فهو باشارته شبه الله بنفسه في اثبات الاعضا والتجسيم له ومثله
من المتشابه وللسلف فيه خلاف فبعضهم نهى عن الخوض فيه وتاويله لانه مما
استاثر الله في حقه وذهب بعضهم الى تاويله بما يصح في حقه كتفسير اليد بالقدرة
والتصرف ونحوه ومنهم من قال انها صفات له لا يعلم حقايقها وسماها
الصفات السمعية وعلى كل حال فالتشبيه غير صحيح ليس كمثله شي وهو السميع
البصير وقيل انما الكافر قصد بكلامه هذا الزجر الشديد لا القطع حقيقة
لانه عقوبة لم ترد في الشرع او اراد الدعا عليه بذلك فانه احل من ان يقول
مثله حقيقة انتهى ولا يخفى ان ما قاله خلاف الظاهر واذا كان عنده هذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كذا وهو مستحق للقتل فاي مانع من عقوبته بمثل ما ذكر وما وجه استبعاده وقال
مالك فيمن قال القران مخلوق هو كافر فاقتلوه اعلم ان هذه المسلة مما ابتلي بها السلف
حتى اختار بعضهم السجن والضرب ولم يرضوا بان يقولوا ذلك ومن الغز ورمي
في كلامه فقال لفظي بالقران مخلوق وقال بعضهم التورات والانجيل والزبور والقران
وعدها بامامايعه وقال هذه الاربعة مخلوقة الي غير ذلك والقران يطلق علي الكلام
النفسي والصفة المعنوية القايمة بذاته تعالي وعلي الكلام القايم بذاته عند من
قال بقدم الالفاظ كالحنابلة والشهرستاني وعلي مايقروه الناس ويكتبونه والاول
قديم والثالث حادث مخلوق لكنه منع من قوله تادبا وتنزيلا للصورة منزلة ذيها
ولئلا يتوهم معني الاختلاف الذي هو بمعني الافترا والكذب قال ابن طلحة في كتاب اداب
حملة القران اول من قاله الوليد بن المغيرة وقد فسر قوله تعالي قرانا عربيا غير
ذي عوج بغير مخلوق وورد في الحديث القران كلام الله ليس بمخلوق وعليه انعقد
الاجماع قبل ظهور المعتزلة وحكم من قاله انه يؤدب ثم يستفصل فان قال اردت
الحروف والاصوات ترك ولا يقتل وان قال اردت المعني القايم بالله ان قتل
مطلقا اوان لم يتب قولان وهل يعذر لجهله امر لا فيه خلاف وموسي سمع كلام
الله من غير صوت ولا حرف كما نري الله في الجنة من غير جهة وتجسم ولا يجوز التورية
عنه كما مر الا اضطرارا انتهي وهذه الرواية عن مالك بناء علي انه يجوز التعزير
بالقتل وهو الذي يسميه بعض الفقها سياسة لا مايفهمه الناس من انه مامور
بفعله الامام علي خلاف الشرع وبه صرح ابن تيمية في الصيف المسلول كما مر
وعليه حمل ما مر من قتل اهل الاهوا فلا اشكال فيه كما قيل وقال ايضا الامام
مالك في رواية ابن نافع عن مالك انه يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب
وهذا هو الصحيح وابن نافع تقدم ترجمته وفي رواية بشر عن مالك وهو
بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وراء مهملة ابن بكر التنيسي بكسر التا
المثناة الفوقية وتشديد النون المكسورة ومثناة تحتية وسين مهملة
وتنيس قرية كانت بقرب دمياط ينسج فيها ثياب مشهورة بغاية الجودة وهي
في جزيرة صغيرة تنسب نونة اهلها البحر وتا وها مكسورة علي الصحيح وجوز
بعضهم فتحهما وبشر بن بكر هذا امام محدث جليل ثقة اخرج له اصحاب
السنن وتوفي سنة خمس ومايتين وله ترجمة في الميزان عنه اي عن مالك
انه يقتل ولا تقبل توبته والصحيح ما تقدم وقال القاضي ابو عبد الله
البرنكاني بن نة الزعفراني بباموحدة وراء مهملة ومثناة فوقية وكاف
ونون بعد الالف ويا نسبة الي نوع من الاكسية والقاضي ابو عبد الله التستري
في اصحاب مالك نسبة لتستر بتاين مثناتين فوقيتين كما تقدم من ايمة
المالكية العراقيين نسبة لعراق العجم قليم معروف وجوابه اي جواب
مالك في هذه المسالة مختلف روايته عنه في القتل وعدمه بقتل المستنصر
بصاد وسين ساكنة وصاد وراء مهملات قبلها مثناة ونون اي من له اعوان
ينصرونه وقيل انه بباموحدة اي من له بصيرة في اقامة الادلة علي مراده

كذا

ابن الفجرى

تلمساني

كذا في الشروح والاول انسب بقوله الداعية بدال وعين مهملتين الذي يدعو الناس
لمذهبه ويطلب ظهوره والتا للمبالغة لا للتانيث كعلامة فهذا اشد فتنة فلذا رأي مالك
قتله دفعا لغايلته بخلاف غيره وبني علي هذا الخلاف في الرواية عن مالك المبني
علي انه كان داعية امر لا انه اختلف قوله اي مالك في اعادة الصلاة اذا صليت خلفه
اقتدا بامامهم فتارة قال يعيد وتارة قال لا يعيد وهو مبني علي ان الامام هل هو
داعية امر لا او المبني علي التكفير وعدمه ومذهب ابي حنيفة والشافعي صحة الاقتدا
باهل البدع والاهوا مطلقا والادلة مفصلة في كتب الفقه وحكي ابو بكر بن المنذر
هو امام جليل ادعي الاجتهاد وعد في اصحاب الشافعي وهو حافظ ثقة كما
تقدم وانه عن الشافعي رضي الله عنه لا يستتاب القدري لكفرهم ونفيهم
تقدير الله كما مر واكثر اقوال السلف تكفيرهم اي جاز بالحكم بتكفيرهم وفيه
خلاف وممن قال به اي اعتقد كفرهم الليث وابن عيينة وابن لهيعة بفتح فكسر
وهولاء كلهم ثقات تقدم تراجمهم وروي عنهم اي عمن ذكر من السلف ذلك اي تكفيرهم
كما روي عنهم فيمن قال بخلق القران وقد سمعت ما فيه وقاله ابن المبارك
اسمه عبد الله كما تقدم والاودي بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الدال المهملة
منسوب للاود قبيلة وهو عثمان بن الحكم ووكيع ابو سفيان بن الجراح الرواسي
كما تقدم وحفص بن غياث بكسر الغين المعجمة وفتح اليا المثناة المخففة والف
تليها مثلثة ابو عمرو النخعي قاضي الكوفة الامام الحافظ اخرج له الستة وترجمته
في الميزان توفي في سنة اربع عشر ومائة وابو اسحاق الفزاري ابراهيم بن الحارث
ابن اسما بن خارجة الفزاري احد العلما الاعلام اخرج له ايضا الستة وتوفي
سنة ست او ثمان وثمانين ومائة وهشيم بن بشير السلمي الواسطي الحافظ الفقيه
توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان وعلي بن
عاصم بن صهيب الواسطي احد الايمة الاعلام الذي اخرج له اصحاب السنن كما
في ترجمته في الميزان وتوفي سنة احدي ومائة وعمره سبع وتسعون في اخرين
من الايمة الذاهبين لهذا او هو اي ما قاله هولا من قول اكثر المحدثين اي ايمة
علم الحديث والفقها والمتكلمين فيهم متعلق بقوله اي في المبتدعة وفي الخوارج
والقدرية واهل الاهوا اي المتبعين لهوي انفسهم في العقايد الفاسدة
المضلة بزنة اسم الفاعل ويجوز كونه اسم مفعول ايضا واصحاب البدع
المتاولين للنصوص تاويلات باطلة وهو قول احمد بن حنبل في هولا وكذلك
اي مثل هذا القول قالوا اي قال من الايمة الذاهبين للتكفير في الوقفة الواقعة
بالقاف والفا وفي نسخة العاقفية بيا النسبة وفي الفرقة الشاكة في هذه الاصول
متعلق بالواقفة والشاكة علي التنازع او التجاذب والمراد بالواقفة قوم توقفوا
في اتباع البدعة او السنة لجهلهم او لتعارض الادلة عليهم فلم يقولوا القران
مخلوق او غير مخلوق وكذا الشاكة فرقة شكوا في ذلك وقال بعض الشراح ليس
المراد بهم كل من توقف او شك بل هم طايفة من الامامية لهم اعتقاد انه فاسد
وتوقفوا في كثير من احكام الدين واخرجوها عن اصوله ووافقوا لهم في الامامة والقا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاولادعلي وقالوا بالرجعة بعد الموت في الدنيا وغيبة الامام في جبل رضوى ونحو ذلك
ارادة كل من سلك ولم يتبع الحق ولم ينظر في اصول اهل السنة عنادا منه والحادا
وممن تروى بيننا الجهول لعنتهم معنى القول الاخر المخالف لهذا القول بترك تكفيرهم
اي تكفير اهل البدع والاهوا من الفرق المذكورة علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر بن الخطاب
والحسن البصري وهو اي القول بترك تكفيرهم راي جماعة من الفقها كالشافعي لقوله
رضي الله عنه لا اكفر احدا من اهل القبلة الا الخطابية كما حكاه النووي في الروضة
والنظار جمع ناظر ككفار جمع كافر اي اصحاب النظر والمعرفة بالادلة والقادرين
على المناظرة والمتكلمين من علما اصول الدين واحتجوا اي استدلوا على عدم التكفير
بتوريث الصحابة والتابعين اي حكمهم بتوريث ورثة اهل حروراء من ابائهم واقاربهم
وحروراء بفتح الحا المهملة وراء مهملة مضمومة قبل واو واخرى مهملة بعدها الف
ممدودة وهمزة ونحوه قصر على فرسخين من الكوفة اجتمع فيها الخوارج الذين
اجتمعوا على حرب علي رضي الله عنه وتعاقدوا على ارائهم الفاسدة وعلى قتاله فنسبوا
لمحلهم وارا وهم واعتقاداتهم مفصلة في المبسوطات وورثوا من عرف بالبدعة
وكان من القدرية وورثته ممن مات منهم اي من الخوارج والقدرية ودفنهم في
مقابر المسلمين لعدم تكفيرهم وجري مصدر جرى ورسمنا في قوله احكام المسلمين
عليهم بصيانة دمائهم واموالهم وغير ذلك قال اسماعيل القاضي هو اسماعيل بن
اسحاق الحافظ كما تقدم في ترجمته وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع
جوابا عن مخالفة قول مالك لمذهب هؤلاء مع قوته وذهابا لسلف اليه من الصحابة
والتابعين وعلما الدين واهل الاصول فقول مالك انهم يستتابون اي تطلب
منهم التوبة فان تابوا قبلت توبتهم والا اي ان لم يتوبوا قتلوا الحكم بقتلهم ليس لكفرهم
بل لانه اي اعتقادهم الباطل من الفساد في الارض وهو مما يجب دفعه فان لم
يندفع الا بالمقاتلة والقتل قتلوا لما يلزمه من اضلال الناس وافساد عقايدهم
كما قال مالك في المحارب من البغاة الخارجين على السلطان وعقايدهم غير باطلة
ان راي الامام قتله مصلحة لدفع فساده وان لم يقتل ذلك المحارب احدا قتله
وليس قتله لكفره بل لدفع فساده وفساد المحارب انما هو في الاموال التي يأخذها
او يفسدها ومصالح الدنيا التي يعود نفعها بتغلبه على البلاد واهلها لقوله
تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الخ فالساعي
بالفساد يستحق القتل فليس كل قتل للكفر فمذهب مالك يخالف قول غيره في
قتل اهل البدع لانه يوافقهم في عدم تكفيرهم وفي شرح المواقف اعلم ان عدم
تكفير اهل القبلة موافق لكلام الاشعري والفقها لكنا اذا فتشنا عقايدهم وجدنا
فيها ما يوجب الكفر قطعا مما يقدح في الالوهية او النبوة انتهى فقيل فعلى هذا
لا ينبغي اطلاق القول بالتكفير وعدمه وفيه بحث وما قيل من ان ما قاله الا
غير مستقيم لانه ان قيد بالكفر في حكمه كفر والا فلا حاجة للالحاق مع انه يقتضي
استحقاق كل من ظهر فساده للقتل كلام لا وجه له لمن له ادنى تامل وقول المص وان
كان افساد الساعي بالفساد قد يدخل ايضا اي كما يفسد الدنيا معناه انه قد

بؤود

يؤول فساده للدخول في امر الدين اي قد يؤول فساد الدنيا الى الافساد في الدين فلذا منعه
مالك بناء على قواعده في الذريعة وسدها ويعني ذلك بقوله من سبيل الحج والجهاد اي
لفساده بفساد سبيل الحج والجهاد بما يمنعه فلهذا الجائز قتله للايسري فساده
للدين وفساد اهل البدع معظمه اي اكثره وجود اراجع وعايد على الدين لعقايدهم
الفاسدة التي يضلون بها الناس وقد يدخل في امور الدنيا فحالهم عكس حال المحارب
الذي معظم فساده في الدنيا وقد يدخل في امور الدين فيعلم جواز قتله بالطريق الاولى
ويبين دخوله في الدنيا بقوله بما يلقون بضم اوله المنازع التي بمعنى رمي وطرح
وهو كناية عن ظهوره بين المسلمين من العداوة الدينية التي تسري لدنياهم ره
بالمقاتلة والمحاربة ونهب الاموال وتخريب الديار والله الموفق للصواب من
اتباع الحق وترك الباطل وكسر شوكته وهذا بناء على عدم تكفير الخوارج وفيه
خلاف مشهور سيأتي بيانه والبغاة امرهم مفصل في كتب الفقه والله اعلم

فصل في ذكر ما قبله

تحقيق القول في اكفار المتاولين من اصحاب البدع والاهوا الذين اولوا
عقايدهم الباطلة بما يجعلها صحيحة واولوا بعض النصوص لمشكل ظاهرها
قد ذكرنا في الفصل الذي قبل هذا مذاهب السلف من الصحابة والتابعين
ومن تبعهم من المتقدمين في اكفار اصحاب البدع والاهوا من الفرق الضالة
المتاولين لمقالاتهم الباطلة حتى لا يقتلوا ممن قال قولا يؤدي بضم التحتية
وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اي يوصل ويفضي مساقه مصدر ميمي اي سوقه
وسوق الكلام وسياقه ما يدل عليه بواسطة ما ذكر معه الى كفر متعلق بيؤديه
اي يؤدي اليه كقول المعتزلة انه لا يفعل القبيح ولا يريده وانه يؤدي الى
ما لا يليق من عدم القدرة ونحوه وهم يأولونه بانه بتمكينه وخلقه القدرة ونحو
فعل القبيح قبيح والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وهو اي القايل اذا
وقف عليه اي على ما يؤدي اليه كلامه لا يقول اي لا يعتقد اعتقادا جازما
بما يؤديه قوله اليه من الكفر ومعتقد مانه وقوله وقف عليه كناية عن الاطلاع
عليه والعلم به وليس تعديته بعلى لهذا كما قيل فانه يتعدى بها كما يقال
وقف على الارض وبناء على اختلافهم اي السلف اختلف الفقها والمتكلمون في ذلك
اي في تكفيرهم وعدمه بناء على مسالة اصولية وهي ان لازم المذهب هل هو
مذهب ام لا فمنهم اي الفقها والمتكلمين من صوب بتشديد الواو اي
عده صوابا صحيحا والتصويب ضد التخطية التكفير اي القول بكفرهم الذي قال
به الجمهور من السلف اي اكثرهم نظرا لما يؤدي اليه صونا لخطاب القدس وحما
لجانب الربوبية والتكفير والتكفار بمعنى ومن قال الاول انما هو من
الكفارة فقد اخطأ كما في المغرب وغيره من كتب اللغة ومنهم من اباه اي منع تكفيره
بمثله ولم ير اخراجهم اي اخراج هؤلاء القائلين بما ذكر من سواد المسلمين
وفي نسخ المؤمنين صونا لاهل القبلة للاحاديث الواردة في النهي عنه كالحديث

لون

تلمسانی

ية

ابن الجوزي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا في قريبًا امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم ونحو من الاحاديث الصحيحة والسواد هنا بمعنى الجماعة قال في الاساس سواد
المدينة ما حولها والسواد الاعظم جماعة المسلمين ويقال كثرت سواد القوم وسواده
اي جماعتهم وشخصي وقلت لما تغلب سود الحبشيان على ارض مصر في الدولة الابراهيمية
المزودية

سواد وجه الملك سود عبيده • بتسويده دون البرية سودها
فقد غلط الدهر الذي بفعله • فظن سواد المسلمين عبيدها

وورد سواد الناس بمعنى عامتهم وليس بمراد هنا وان جاز على بعد
وهو قول اكثر الفقهاء وقد علمت انه بناء على الظاهر والكثير وليس على اطلاقه وذكره
لانه لتعلقه بذلك من مسايل الكلام من وجه ومن مسايل الفقه من وجه وقالوا
هم اهل البدع فساق ككفار جمع فاسق وعصاة لارتكابهم كباير من فساد العقايد
والاهواء ضلال بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال ونوارثهم منا اي
بنون العظمة او الجماعة من المسلمين اقاربهم اي نحكم بارث المسلمين لهم ومنهم
ونحكم لهم باحكامهم فيما لهم وعليهم لعدم تكفيرهم ولهذا القول قال سحنون
ولا اعادة للصلاة على من صلى خلفهم لصحة الاقتدا بهم وصحة صلاتهم وفي بعض
النسخ في وقت واحد ولا في اكثر الاوقات وذكره فعالنوهم انه قد تسقط
الاعادة في الاوقات الكثيرة دون غيرها المشقة فيها قال سحنون وهو اي هذا
القول وعدم اعادة الصلاة قول جميع اصحاب مالك كلهم وفي نسخة منهم
المغيرة وابن كنانة واشهب وقد تقدمت تراجمهم قال سحنون لانه اي المبتدع
مسلم وذنبه الذي ارتكبه من بدعته لم يخرجه من الاسلام لتصديقه بالله
ورسوله والتزام احكام الدين في ظاهر حاله واضطرب اي تردد وشك اخرون
في ذلك الحكم من تكفيرهم وعدمه ووقفوا عن احد الطرفين فلم يحكموا باسلامهم
ولا بعدمه عن القول بالتكفير وضده وهو الاسلام وقول رابع وهو
التفصيل كما تقدم واختلف قول مالك في ذلك فله قوله بتكفيرهم وقول
بخلافه فلذا اضطرب بعضهم وتوقف اخرون فيهم وفي نسخة واختلاف
قولي مالك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه اي من هذا القبيل الذي
اختلف فيه فقوله فتارة قال يعيد وتارة قال لا يعيد والى نحو من هذا
التوقف المنقول عن مالك ذهب القاضي ابو بكر الباقلاني من ايمة اهل
الاصول امام اهل التحقيق والحق ومعتمدهم في الاصول والفروع ولا يلزم
من توقفهم اثبات منزلة بين المنزلتين كالمعتزلة كما توهم وقيل انه اشكل
لتعطيل كثير من الاحكام فان امرهم في الاخرة الى الله وقد قيل من قال لا ادري
فقد افتى وكم توقف المجتهدون في مسايل من امور الدين لم ترتهم ولا غيرهم
والقاضي ابو بكر الباقلاني اشتهر انه شافعي وقيل انه مالكي وصححه بعضهم
وسيصرح به المصنف فهو الاصح وقال القاضي ابو بكر المذكور انفا اي هذه الجملة
من المسايل المعضلات اي المتعبة المشكلة لتوقع الاراء المتعارضة فيها

وهو

وهو بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الزاي المخففة وصاد مهملة وضبطه بعضهم
بفتح العين وتشديد الزاي وهو من قولهم اعتاص اذا التوى والعويص ما لا يفهم
من الشعر وغيره ويصعب استخراجه اذ القوم حين ارتكب البدعة لم يصرحوا بالكفر في
شيء مما قالوه وانما قالوا ما يؤدي اليه اي ما يلزمه الكفر وظن بعضهم ان القوم
هم علماء السلف والمراد انهم لم يطلقوا عليهم اسم الكفر وما نجده يابائه واضطرب قوله
اي قول القاضي في المسئلة فهو مختلف على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس وهذا
صريح في انه مالكي المذهب وبه صرح الزناتي في طبقاته فقال ابو بكر محمد بن الطيب المعروف
بابن الباقلاني الاصولي الاشعري المالكي مجدد الدين على راس المائة الرابعة على الصحيح
انتهى الا انه يحتمل ان يريد ابو بكر بن العربي المالكي الا ان في العبارة ما ياباه ظاهره
فتدبر تدبره حتى قال القاضي ابو بكر في بعض كلامه انهم على راي من كفرهم بالتاويل
في اقوالهم لا تحل مناكحتهم اي تزوجهم المسلمات ولا اكل ذبايحهم كالمشركين
ولا الصلاة على ميتهم لانهم كفرة عنده ويختلف في موارثتهم على الخلاف المتقدم
في ميراث المرتد وقال القاضي ايضا انما يورث بالتشديد والتخفيف ميتهم اي يعطى
ميراث من مات منهم ورثتهم من المسلمين تقديما على بيت المال لعلاقة الاسلام
السابقة ولا يرثون هم اي لا نعطيهم ميراث من مات من اقاربهم من المسلمين
لانقطاع علاقة الارث بينهم عند استحقاق الارث واكثر ميله اي القاضي
الى ترك التكفير لاهل البدع بالمال اي بما يؤول اليه كلامهم لان لازم المذهب
ليس بمذهب عندهم وكذلك اي مثل ما اضطرب قول القاضي اضطرب قول
شيخه ابي الحسن الاشعري وهو شيخه في الاصول وقدوته وهو لم يره
وانما روي عنه بواسطة كذا قيل واكثر قوله مما نقل عنه اي ترك التكفير
لهم وان التكفير انما يلزم بخصلة اي صفة واحدة وهو ذكره نظرا لمعنى الوصف
الجهل بوجود الباري تقدس وتعالى لقوله في الحديث حتى يقولوا لا اله
الا الله كما تقدم بان لا يعرف الله ولا يقر به ولا بوحدانيته وقال الاشعري
او القاضي مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم كالمجسمة والنصارى او المسيح
بالرفع اي قال ان الله هو المسيح عينه او حل فيه او قال ان الله بعض من
يلقاه في الطرق فليس بعارف به اي جاهل بالله لا يعرفه لقوله لمن ليس
بالله هو الله فهو اعظم جهل به وهو سبب ما قاله كافر لان كل من لم يعرف
الله كافر كما قدمه ومثل هذا القول الذي قاله الاشعري ذهب ابو
المعالي عبد الملك بن يوسف امام الحرمين كما تقدم في اجوبته لابي محمد عبد
الحق لما سال عنه قال الحافظ الحلبي هو الحافظ عبد الحق الاشبيلي
صاحب كتاب الاحكام وغيره لانه من اهل المائة الخامسة واما الحرمين من
اهل الرابعة فليس من اهل عصره وفي بعض النسخ ذهب ابو الوليد سليمان
في اجوبته لابي محمد عبد الحق وهو لا يصح ايضا لاختلاف عصريهما وقال
التلمساني هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي توفي سنة ست وتسعين
واربعمائة ومن العجب ما قيل ان عبد الحق هو الاشبيلي والسهمي واللام في

عياضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قوله لابي محمد ليست متعلقة باجوبته وانه هو السائل بل المراد في اجوبته الكاينة
لابي محمد اي الذي جمعها وصنفها كما يقال اجوبة مالك لابن سحنون والجار والمجرور
ليس لغوا وهو تعسف لا معنى له ولا يخطر ببال وكان ابو محمد بن عبد الحق سأله
عن المسئلة المذكورة في اهل البدع فاعتذر له عن ترك الجواب له بان الغلط فيها
اي في هذه المسئلة يصعب ويشكل علي من خاف اذ يعود في الشرع ما ليس منه لان
ادخال الكافر في الملة اي ملة الاسلام وهو ليس من اهله لكفره او اخراج مسلم منها اي
من ملة الاسلام امر مشكل عظيم في الدين لما فيه من خطر الجانبين فلذا لم يجبه في هذه
المسألة لخوفه من الله تعالى واعلم ان الاشعرية قالوا ان المجسمة منهم من قال انه
جسم بلا كيف اي ليس جسما كالاجسام في المادة وهذا مذهب الحنابلة وبه صرح
ابن سمعة وقال معف فقولنا جسم انه ليس بعرض وهذا هو البلكفة وهؤلا ليسوا
بكفار عندهم بل مبتدعون ومنهم من اثبت له الجسمية بلوازمها وهؤلا كفار
كما صرح به الرافعي في الشرح وقيل ليسوا بكفار مطلقا والاصح الاول ومن
لقي رجلا في الطريق فقال هو الله هم بعض الجهلة من الحلولية وليس منهم
مشايخ الصوفية كابن عربي وابن الفارض نفعنا الله ببركاتهم وما لهم مما نسب
اليهم فلا يغتر بمن تعصب عليهم من ظاهرية الفقها وقال غيرهما اي غير الاشعري
وابي المعالي من المحققين الذي يجب الوصول مبتدا خبره الاحتراز اي الحذر
والوقوع من التكفير في اهل القبلة من اهل التاويل الذين اولوا مثلا الا انهم
بما يوافق الشرع وان لم يقبل تاويلهم فان استباحة دما المسلمين وفي نسخة
بدل المصلين الموحدين خطر اي امر عظيم يخشى منه غضب الله والخطا في ترك
قتل ابيه كافر اهون اي اخف واقل عند الله من الخطا في سفك اي اراقة محجمة
بكسر الميم اسم آلة يوخذ فيها دم الحجامة المعروفة من دم مسلم واحد بحسب
الظاهر لم يحكم بكفره وحاله عند الله وفيه مبالغة لانه كناية عن قلة القتل
وتوهم ان نفس اراقة دم محجمة واحدة بالحجامة لا القتل اهون من قتل
الف كافر وليس بمراد وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه
البخاري وغيره امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة فاذا قالوها يعني صلى الله عليه
وسلم كلمة الشهادة بوحدانية الله وبرسالة رسوله صلى الله عليه وسلم
ولم يقل واقاموا الصلاة واتوا الزكاة لان من قالها التزم احكام الاسلام فدل
عليه بالالتزام ولذا ادخله بعضهم فيه ولانه لا ينفك وان جاز قتله غالبا
عصموا اي حفظوا وصانوا مني دماهم جمع دم اي لم يقتلوا واموالهم عن اخذها
منهم كالفي والغنيمة الا بحقها استثنا مفرغ اي بكل سبب الا بسبب يقتضي
قتلا واخذ مال كقتل او غصب وحسابهم عما عملوه في الآخرة على الله اي حسابهم
مفوض الى الله المطلع على اعمالهم وسرايرهم وما في قلوبهم من كفر ونفاق
وغيره واما النبي صلى الله عليه وسلم فانما امر ان يحكم بالظاهر والله يتولى
السراير فعلى ليست تدل على الايجاب لانها بمعنى الى خلافا للمعتزلة القايلين

بوجوب

بوجوب الاصلح على الله او نقول هي على ظاهرها على طريق تنزيله منزلة الواجب عليه لعدم
تخلف ما سبق في علمه وتقديره او لانه وعد منه وهو لا يخلف الميعاد فصار كالواجب شرعا
ولا معنى للايجاب على الله عند تدقيق النظر الا هذا كما ذكره الجلال الدواني في شرح
العقايد العضدية وظاهر الخبر يقتضي ان التلفظ بكلمتي الشهادة لا يتحقق الايمان
بدونه كما ذهب اليه بعض اهل السنة وذهب الاشعري وبعض الماتريدية الى انه
انما هو لاجرا احكام الشرع عليه في الدنيا وكف القتل عنه فمن امن بقلبه ولم
يلفظ بهما فهو مومن عندهم بدليل قوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل
الايمان في قلوبكم ونحوه والخلاف فيمن لم يابى التلفظ بهما وهو قادر لكن العاجز مومن
اجماعا والقادر الآبي المصر على الترك كافر اجماعا لدلالة ذلك على عدم خلوص سريرته
فالعصمة للدما والاموال مقطوع بها مع الاتيان بالشهادة بتلفظه بانه لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وهذا عام مخصوص بغير اهل الذمة والمعاهد والمستامن
بما نطق به من الآيات والاحاديث وهل هو ناسخ للعموم او مقيد خلاف لفظي مذكور
في اصول الفقه ولا ترتفع العصمة اي تزول ويستباح خلافها من دم او مال الا بدليل
قاطع برفع ما قطع به ولا قاطع في حق المبتدعة من شرع ورد به في كتاب او سنة
ولا قياس جلي عليه اي على القاطع الشرعي والفاظ الاحاديث الواردة في هذا الباب
الدالة على تكفير اهل البدع والاهوا الذي تمسك بها من ذهب لتكفيرهم وهو جواب
عن سوال تقديره كيف لا تقول بتكفيرهم وانه لم يقم عليه دليل ولا قياس وقد وردوا
ما يدل على خلافه فقال انها معرضة بزنة اسم المفعول مشددة الرا وفي نسخة عرضة
اي انها قابلة للتاويل فلا تعارض الادلة القاطعة بخلافه فشبهها بهدف في توضع
لاصابة سهام التاويل ففيه استعارة مكنية تخييلية وذلك لعدم صراحتها فمما
جامنها اي من الاحاديث الدالة على كفرهم في التصريح بكفر القدرية وانهم مجوس هذه
الامة كما تقدم وقوله صلى الله عليه وسلم لا سهم لهم اي للقدرية في الاسلام
والسهم اما ان يراد به ما هو من سهام الغنايم لانه انما هو للمسلمين او بمعنى النصيب
والمعنى لا اسلام لهم كقول ابن الفارض

على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له منها نصيب ولا سهم

وتسميته الضمير له صلى الله عليه وسلم الرافضة بالشرك اي اطلاقه عليهم
انهم مشركون وقيل وهذا لا نعرف روايته وسياتي ما يرده قريبا واطلاق اللعنة
اي الطرد والبعد من رحمة الله عليهم اي على الرافضة بقوله انهم ملعونين
وانما يلعن الكافر وكذلك ما ورد في حق الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله
عنه وغيرهم من اهل الاهوا اي الآرا الفاسدة كالشيعة فقد يحتج بها اي
هذه الاحاديث من يقول بالتكفير لهولا بنا على ظاهرها وقد يجيب عنها الآخر
الذاهب لعدم تكفيرهم فلذا قال انها قابلة للتاويل بانه متعلق بيجيب
والضمير للشان قد ورد عنهم ومن ذا شبها متعارفا فيما بينهم لا ينكره الا
جاهل بل قد ورد في الاحاديث مثل هذه الالفاظ المذكور فيها الكفر واللعنة
في حق غير الكفرة من عصاة المسلمين مع القطع بعدم كفرهم اجماعا على طريق التغليظ

د بجلي وغيره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي المبالغة والتشديد في الزجر تخويفا لهم فهو مجاز او كناية بانهم مستحقون
لعذاب الكفر ومتصفون بصفات تليق بالكفر ومثله كثير في الايات والحديث وكفر
دون كفر اي اهون منه واشراك دون اشراك اخف منه واهون لتفاوت مراتبه وبعض
الشر اهون من بعض وظلم دون ظلم كما في الاثر يعني انه صلى الله عليه وسلم كما
سمى الطاعات ايمانا سمى بعض المعاصي كفرا وشركا وسمى الله الكفر في القران ظلما كقوله
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقال ان الشرك لظلم عظيم وخلص المؤمنين يرون التوحيد
اي لا يرى في الوجود غير الله ولا يرى لغير الله شيا من الامر ويعدون غير هذا اشراكا
خفيا بل ظاهرا كما قال ابن عطاء الله كلك شرك خفي وكما قال بعضهم مهنيا بعيد

عيدي شهودي وعيدي انت يا عيني • والعيد عندي دوام المحو عن عيني
اثبات غيرك شرك في عقيدتنا • ترك السوى ديننا يا قرة العين

وصاحب البرهان يرى الدنيا كلها صفرا وهذا مقام شهود وكشف يعرفه من ذاق
حلاوة الايمان ومنكره مريض القلب الذي يتوهم العسل مرا لعدم صحة ذوقه اللهم
ارزقنا من الشوق للقائك ما يحلو به الصبر على مر بلائك • واعلم ان البيهقي
روى في الدلائل عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه عنه صلى الله عليه وسلم
انه يكون في امتي قوم اخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ورواه
من طرق عدة وقوله في امتي فيه ايما للتاويل وان حمل على الهم في عدادهم
وبينهم او المراد بالامة امة الدعوة واما الاحاديث في الخوارج فصحيحة في مسلم
وغيره وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب وسياتي في كلام المص
الاشارة لها ولسند كره هناك فمن قال حديث الرافضة لا يعلم من رواه فقد
قصر وقد ورد مثله اي مثل الحديث الوارد في تكفير الرافضة وغيرهم من اهل
البدع في الريا براء مهملة وياء مثناة تحتية ممدودة وهو فعل العبادة ونحوها
لاجل الناس هكذا ضبطه الحافظ الحلبي والاحاديث في الريا مشهورة وكذا اطلاق
الشرك عليه فانه يقال له الشرك الخفي وهو انسب بقوله السابق شرك دون
شرك وفي الشرح الجديد انه الربا بالقصر وبا موحدة ويكتب بالالف والواو والياء
وهو فضل احد المتجانسين على الاخر بالمعيار الشرعي من كيل ووزن ونحوه
والكلام فيه معروف وغني عن البيان وهو اشارة لما في حديث مسلم لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهده وفي نسخة الزنا
بزاي معجمة ونون وهو اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين
يزني وهو مؤمن وعليه بعض الشراح والكل صحيح وعقوق الوالدين الاب
والام وان عليا وهو من الكبائر ايضا والعقوق من عقه بمعنى قطع وشق
وهو فعل كل ما يؤذيهما ويسوؤهما وترك صلتهما وضده البر وقد جمع الله
ما يبلغ لفظ في قوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وما
احسن قول السراج الوراق في بر ولده له

بني اقتدا بالكتاب العزيز • فزدت سرورا وزاد ابتهاجا
وما قال لي اف في عمره • لكوني ابا ولكوني سراجا

وفي

وفي العقوق احاديث كثيرة تدل على ما قاله المصنف والزوج اي ومخالفة المرأة زوجها وفي
الحديث من باتت زوجها ساخطا عليها لم ترح رائحة الجنة وهذا من صفة الكفار وفي
بعض النسخ والزور اي شهادة الزور اي الكذب وسمي به لميله عن الحق ومنه تزاور
عن كهفهم وغير معصية واحدة اي جا في حق معاص كثيرة وصفها في الحديث بانها
كفر وشرك مع علم كل احد بان فاعلها لا يكفر فدل هذا على ان المراد تغليظ زجره
لانه كفر حقيقة فما ورد من تكفير المبتدعة واهل الاهوا مثله واذا كان ما ورد
في حقهم من الكفر محتملا للامرين اي كونه على ظاهره وكونه مبالغة في زجرهم تخويفا
لهم فلا يقطع على احدهما اي احد الامرين الكفر وعدمه الا بدليل قاطع لصعوبة
اخراج احد من الاسلام وادخاله في الكفر كما تقدم وعدي يقطع بعلى لتضمينه
معنى يعول ويعتمد لانه يتعدى بالباء فقطع به اذا جزم وقوله صلى الله
عليه وسلم في الخوارج هم من شر البرية اي الخلق من برا بمعنى خلق مخفف وشر
افعل تفضيل مخفف اشر كما سمع نادرا وبه قرى في قراءة شاذة لابي قلابة وكذا
خير والخوارج جمع خارج او خارجي كما مر وهذه الصفة وهي شر البرية صفة
الكفار وصفهم الله تعالى بها في القران في قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين الى قوله اوليك هم شر البرية فوصفهم بصفتهم يقتضي كفرهم ان لم تقل
الادوام هذه الصفة والغالا تليق بمسلم وهذه العبارة في حديث في الصحيحين
وغيرهما ورواه احمد عن عائشة بلفظ الخوارج شرار امتي يقتلهم خيار امتي
وفي مسلم هم ابغض الخلق ونحوه وقال صلى الله عليه وسلم في الخوارج في
الحديث شر قتيل بفتح القاف وبا موحدة ومثناة تحتية ولام وهم الجماعة
والقبيلة جماعة لاب واحد وبعضهم ضبطه بمثناة فوقية تحت اديم السما
الاديم الجلد والنطع منه وهو تشبيه لها بجلد ممدود اي تحت السما وهو
يستعار للارض ايضا وفي الاساس اديم السما ما تحتها ومن العجب ما قيل
ابن فارس
انه مشكل لان اديم السما الارض قال الجوهري يسمى وجه الارض اديما فظاهره
انه تحت الارض وما افة الاخبار الا رواتها طوبى لمن قتلهم او قتلوه اي
طوبى لمن قتلوه لانه شهيد وهي كلمة مدح وقد يقصد بها التبشير بالجنة
والسعادة لانها اسم الجنة او شجرة فيها ويقال طوبى له وطوباه وهي فعلى من
الطيب وفي الحديث طوبى لاهل الشام لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها
وفي الحديث بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا وطوبى للغربا
وقد قتلهم علي كرم الله وجهه يوم النهروان وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري اذا وجدتموهم فاقتلوهم
قتل عاد وفي رواية ثمود وهم كفرة كما في القران فظاهر هذا الحديث
الكفر اي كفر الخوارج ولذا ذهب اليه اكثر العلما كالطبري والسبكي
لا سيما اي انه يدل على الكفر لا له واضحة مع تشبيههم بعاد اشارة
الى ان في الكلام معنى التشبيه اذ المعنى اقتلوهم قتلا كقتل عاد والمراد
تشبيههم بهم في افنائهم واستيصالهم بحيث لا يبقى لهم اثر ومن هذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الوجه دل على المبالغة فلا يرد عليه ما قيل ان عادا اهلكوا بريح صرصر لا بسيف ونحوه
ففي التشبيه اشكال فانه ناش من قلة التدبر فيحتج به اي بالحديث او بالتشبيه من
يري تكفيرهم لامره صلى الله عليه وسلم بقتلهم وتشبيههم بالكفرة فيقول له
الاخر الذي لا يري تكفيرهم مجيبا له انما ذلك المذكور في الحديث من قتلهم لخروجهم
على المسلمين وبغيهم عليهم اي جورهم وتعديهم على المسلمين كالبغاة ومن قوله
من قتلهم قتل الفا تعليلية اي من اجل قتلهم لانهم قتلوا المسلمين لما خرجوا
ما في القصة المشهورة ويتمسك بدليله وفي نسخة وبدليله الذي استدل له من
الحديث نفسه من غير حاجة لدليل آخر لقوله صلى الله عليه وسلم فيه يقتلون
اهل الاسلام فانه يدل على انهم انما قتلوا لقتلهم لا لكفرهم فقتلهم اي الخوارج
هاهنا حد وقصاص ودفع لشرهم لا كفر كما فهمه القايل به ثم استشعر سوالا
بانه حينئذ لم شبههم بعاد فقال وذكر وفي نسخة وقتل عاد تشبيه للقتل
وحله اي القتل لا للمقتول خصوصه من الخوارج وقوم عاد ثم وضحه بقوله
ولينبني كل من حكم بقتله شرعا حكم بكفره كالقاتل وتارك الصلاة عند الشافعي
وقطاع الطريق وقتل علي كرم الله وجهه للخوارج ذهب كثير الى انه لانهم
بغاة كما ذهب بعضهم الى انه لكفرهم ويعارضه بقول خالد بن الوليد رضي
الله عنه والمعارضة اقامة دليل يدل على خلاف ما قاله وتبين ارجحيته
على ما قاله في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في
حق رجل اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه سيقصد عنه شي من امر
الخوارج دعني اي اتركني وهو كناية عن الاذن له فيما ذكره اضرب عنقه اي
اقتله وهو محل وفي جواب لامر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعله يصلي فجعل الصلاة واظهار شعاير الاسلام مانعة من التكفير
والقتل بسببه ولعل للتعليل او للترجي وهو في كلام الله ورسوله للتحقيق
ووقع في رواية ان القايل في هذه القصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجمع
بينهما بان القول وقع منهما والرجل الذي اريد قتله ذو الخويصرة فان احتج
اي القايلون بكفرهم بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه
البخاري في حق الخوارج وقوله فيه انهم يقرون القران لا يجاوز حناجرهم
اي لا يتعداها ولا يذهب منها جمع حنجرة وهي راس الحلق الخارج منه الكلام
وهي الحلقوم ومجرى النفس وطرف المري مما يليه والمراد انه لا يصل لقلوبهم
لعدم الفهم والعلم بما فيه من الايمان والعقايد وبعض رواية مسلم
لا يجاوز ايمانهم حلاقيمهم فهم يؤمنون باللسان دون القلب ولهذا
عقبه بقوله فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله
عليه وسلم يمرقون اي يخرجون من الدين فالمروق الخروج بسرعة مروقا
مثل مروق السهم من الرمية فعيلة هي فعيلة بمعنى مفعوله اي ما يرمى
من صيد ونحوه كذا اشترق هنا كلهم والظاهر ان المراد به القوس والوتر
وما يرمي به لقوله بعد ثم لا يعودون اليه اي الى الدين حتى يعود السهم الى

فوقه

فوقه بضم الفاء والواو ساكنة وقاف وهو موضع السهم من الوتر فان الظاهر انه شبه خروجهم
بخروج السهم من قوس راميه الذي لا يمكن رجوعه حين يرميه اليه وهكذا هو في امثال
الناس يقولون لما لا يعود سهم رمي ويؤيده تانيثه الا انه لو اراد اللهم الا ان يقال السهم
الذي يخرج مما رمي به لا يعود لقوسه ايضا فهو ابلغ في المعنى المراد وهذا هو المراد كما
سياتي والحديث كما في البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج ناس من قبل المشرق
يقرون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم
لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى الرمية الخ وفيه ان سيماهم انهم يحلقون رؤسهم
لان حلق شعر الراس في عهده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يفعلونه لنسك او حاجة
اما الان فصار عادة لا تنكر وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما فيه من
الاخبار عن المغيبات وكذلك يحتجون بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان وفي نسخة وكذلك قوله سبق اي السهم بخروجه سريعا الفرث والدم قال
الراغب الفرث ما في الكرش ويقال فرث كبده اي فتتها وافرث فلان اصحابه اوقعهم
في بلية جارية مجرى الفرث انتهى يعني انه لا تعلق لهم بالاسلام ابدا لسرعة خروجهم
منه كما ان السهم النافذ من حيوان رمي به يخرج قبل ما في باطنه من الفرث والدم
فانه يخرج بعده وهذا المذكور في الحديث يدل على انه اي الخارجي لم يتعلق من
الاسلام بشي كالسهم السريع النفوذ وقوله اجابه جواب قوله فان احتجوا الخ
اي فان عارضوهم به اجابهم الاخرون القايلون بعدم كفرهم بان معنى قوله في
الحديث لا يجاوز حناجرهم الذي تمسكوا به انهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم
فلا يمتثلون اوامره ونواهيه فهم عصاة لا كفار ولا تنشرح له صدورهم كغيرهم
من المتقين ولا تعمل به جوارحهم اي اعضاؤهم الظاهرة فهم لا يتدبرون القران
ولا واظبوا على تلاوته وحسنوا به اصواتهم وبالغوا في عباداتهم وعارضوهم معطوف
على اجابه بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى اي يتردد السهم في موضعه من
الوتر في الفوق لسقط السابق فهذا التشبيه يقتضي التشكيك في حاله وانه لا يحكم
بكفره وفيه كلام في شروح البخاري وان احتجوا اي المكفرون بقول ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه في هذا الحديث ومقوله قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يخرج اي يظهر في هذه الامة فجعلهم فيهم لا منهم ولم يقل يخرج من هذه
الامة فانه يقتضي انهم منهم لا مفارقتهم لمخالفة دينهم ورجحوا هذه الرواية
بقوله وتحرير ابي سعيد اي تهذيبه وتنقيحه الرواية واتقانه اللفظ بقوله
في دون من وهو يدل على دقة نظره رضي الله عنه وهذا بحسب الظاهر اذ يجوز
ارجاع كل منهما الى الاخر لان حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض والامة تحتمل
امة الدعوة والاجابة كما مر واشار الى الجواب بقوله اجابهم الاخرون الذين
لا يرون تكفيرهم بان العبارة اي التعبير بفي لا يقتضي وتستلزم نفيهم بحثا
لكونهم من غير الامة لان بعضهم فيهم وان كان خلاف الظاهر لتخصيص
الامة وتاويلها بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض المصرحة بكونهم من الامة
ولا يخفى ما فيه مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم ممن

رواه في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي بلفظ من وهو صحيح في الهم منهم
وان الروايتين متوافقتين معنى وحروف المعاني كحروف الجر لا المباني مشتركة اي لها
معان متعددة وموضوعة لها ويجوز نيابة بعضها عن بعض بتضمين ونحوه واذا كان كذلك
فلا لغو بل اي لا اعتماد على اخراجهم من الامة بتكفيرهم بفي اي بسبب قوله في ولا على ادخالهم
فيها الا على تعبيره بمن لاحتمال غيره لكن بالتشديد ابا سعيد الخدري رضي الله عنه في
روايته هذه الحادثة اي جودة عظيمة في التنبيه الذي نبه عليه باتيانه بفي الدالة
على اخراجهم وهذه العبارة معروفة في المبالغة كانه يقدر على الجودة في كل ما يريد
وما مصدرية او موصولة وهذا اي تحرير العبارة وجودتها رعاية للمعاني المرادة مما
يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم اجمعين اي شدة فهمهم لمقاصد الكلام
ودقة نظرهم وتحقيقهم المعاني بما يناسبها من حسن لباسها واستنباطها اي
استخراجها من الالفاظ الدالة عليها وضعا وتحريرهم لها بتهذيبها او توقيتهم
اي احترازهم واجتنابهم في الرواية عما لا يليق في روايته من وفي كلاهما في الصحيحين
هذه المذاهب المعروفة في هذه المسألة لاهل السنة واما ما لغيرهم من الفرق كالمعتزلة
والشيعة فورد عنهما فيها مقالات اي اقوال كثيرة مضطربة متعارضة غير محررة محققة
اي ركيكة صعبة لا يعقل عليها واقربها اي اقرب اقوال غير اهل السنة قول جهم
ابن صفوان من المعتزلة ومحمد بن شبيب هو من المعتزلة ايضا وقيل مرجي قدري ان
الكفر بالله معناه الجهل به بان لا يعلم الله ووجوده وسياتي بسط هذا مع رده عن
القاضي ابي بكر الباقلاني ولا يكفر احد بغير ذلك اي بغير الجهل بالله وهذا قول غير صحيح
ان حمل على ظاهره لانه يقتضي ان من عرف الله ووحده وانكر نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم او انكر شريعته وكتابه المنزل عليه لا يكفر فان اراد الجهل بالله وما يستلزمه
لم يكن مخالفا لغيره وكانه مراد القايل انه يلزمه تكفير سائر الفرق المسالة فان لم
يرد هذا فلا وجه له وقال ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة اخذ عن
عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطا رئيس المعتزلة وهو القايل بفنا مقدورات
الله تعالى وان الجنة والنار يفنيان لانهما حادثان وما ليس له اخر فلا بد عنده كما
ان ما ليس له اول قديم ايضا توفي سنة ست وعشرين ومايتين وقد ازبى على المائة
وهو بصري ان كل متاول بتشديد الواو والمكسورة اسم فاعل ولا وجه لفتحها
كما صحح في بعض النسخ لانه يتاول ما بعده كان تاويله تشبيها لله بخلقه بان يثبت
له جسما وصورة وجهة ونحو مما هو من صفات الخلق المحدث فان اراد هذا فهو
صحيح لكن العلما لهم خلاف في تكفيرهم وعدم صحة الصلاة خلفهم كما تقدم وما
قبل من ان مراده من قال بتاويل المتشابهات من اهل السنة غير ظاهر من هذه
العبارة وان اطال فيه بغير طايل ونحو ذلك له تفصيل من الجور بجيم وراء مهملة
ضد العدل واصله الميل عن الاستقامة ونسبه له اي نسبة الله الى الجور
في تاويله وقد قيل مراده ايضا الرد على اهل السنة في قولهم ان الله يريد
الخير والشر والمعاصي لان ارادته المعاصي وعقاب فاعلها جور عندهم تعالى
سبحانه عنه وردة والكلام عليه مفصل في محله وعندهم الرضى والارادة بمعنى

وتكذيبا

لا يكفر احد بعقيدة ذكره

عرضي

عرضي

وتكذيبا لخبره اراد قوله وما الله يريد ظلما للعباد وقد نسبه للجور كما سمعته انفا فيلزمه
تكذيبه في قوله هذا فهو كافر بالتشبيه ونسبته للجور وتكذيب خبره وهذا احق اريد به باطل
فان تبيته بحسب ظاهره فتامل وقال ابو الهذيل كل من اثبت شيا قديما لا يقال له الله
فهو كافر وهو رد ايضا على اهل السنة في قولهم بقدم الصفات فرارا من عدمها وقيام
الحوادث بذاته وهم ينفون الصفات هربا من تعدد القدما وعندنا الممنوع تعدد
ذوات قدما لا ذات وصفات كما مر وبين في الاصول وليس هذا محل تفصيله وقال بعض
المتكلمين ان كان المتاول ممن عرف الاصل وبنى عليه اي علم اصول الدين وفرع عليه
تاويله الذي يقتضي ما تقدم من التشبيه وما بعده وكان تاويله فيما هو من اوصاف
الله التي لا تليق به فهو كافر لانه قال ما قاله عن علم به وان لم يكن من هذا الباب
اي لم يكن ما اوله من اوصاف الله فهو فاسق غير طايع لله لارتكابه كبيرة باعتقاد ما ليس
بحق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل اي الاصول الدينية وانما قال ما قاله لجهله
فهو مخطي غير كافر اي غير مصيب للحق لذهابه لغير الحق من غير بنائه على اصل من
اصول الدين وهذا كله من كلام المعتزلة ودسايسهم مما يوهم ظاهره الخير وهو شر
محض وذهب عبيد الله بالتصغير بن الحسن العنبري منسوب لبني العنبر فوم
من تميم ويقال لهم في غير النسب بلعنبر وهو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن
مالك بن الخشخاش بمعجمات ومالك والخشخاش صحابيان وللخشخاش رواية
دون مالك وعبيد الله فقيه بصري تولى قضا البصرة بعد سوار بن عبد الله
وكان على المسالة روى عنه غير واحد واخرج له مسلم توفي سنة ثمان وستين
ومائة وكان يرى جواز التقليد في العقايد والعقليات وخالف في ذلك العلما وذهب
الى تصويب اقوال المجتهدين اي القول بانها صواب في اصول الدين مما يتعلق بالاعتقاد
كالاجتهاد في الفروع فيما كان عرضة اي قابلا للتاويل وفي الاساس فرس عرضة
للسباق اي قوية عليه مطيقة له انتهى كانه لقابليته تعرض له وفارق اي
خالف العنبري في ذلك القول الذي قاله في تجويزه الاجتهاد في اصول الدين فرق
الامة من علما الشرع والسنة والمتكلمين فانها امور سمعية لا بد فيها من نقل
صحيح اذ اجمعوا اي علما الامة سواه اي غير العنبري على ان الحق في اصول
الدين والعقايد في واحد لا يقبل التعدد لبراهينه القطعية فليس كالفروع
التي هي محل الاجتهاد وذهب بعضهم الى ان كل مجتهد فيها مصيب وفي نسخة
في الواحد والمخطي فيه الذي لم يصادف الحق الواحد اثم عاص فاسق لعدوله
عن الحق برايه وانما الخلاف في تكفيره باجتهاده المخطي فيما ليس محل الاجتهاد
وانما محله الفروع العملية فهو مثاب في اجتهاده سوا قلنا المصيب واحد
ام لا على ما اشتهر في الاصول واما في اصول الدين فالمصيب واحد قطعا فلا وجه
للاجتهاد فيها وان بذل وسعه وجهده وذهب الجاحظ كما ياتي والعنبري
الى جواز الاجتهاد فيها وانه اذا اخطا لا ياثم لكنه مقيد بالاسلام على الصحيح
قالوا لان قصدهم تعظيم الله وتنزيهه ولذا لم يبحث الصحابة عن الالفاظ
الموهمة للتشبيه وهو كله واه غير سديد وقد حكى القاضي ابو بكر بن الطيب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المالكي لنا قلابي مثل قول عبيد الله العنبري في جواز الاجتهاد في الاصول عن داود
الاصبهاني اصبهان تقال بالباء والفاء اسم بلدة مشهورة وهو فارسي معرب وداود
هذا هو ابن علي بن خلف ابو سليمان الاصبهاني البغدادي وطنا صاحب مذهب
الظاهرية ولد سنة مائتين او اثنتين ومائتين وتوفي سنة سبعين وكان
اماما جليلا زاهدا ورعا قلد الشافعي رضي الله عنه اولا ثم صار صاحب مذهب
مستقل وكان صدر الرحلة في عصره حتى رجح على بعض المجتهدين واختلفوا في
انه هل يعتد بخلافه ام لا على اقوال في الاصول ومن اجل اتباعه ابن حزم
قال وحكى قوم عنهما اي عن داود والعنبري انهما قالا كل اي جواز الاجتهاد
في الاصول الدينية في كل من اي رجل علم الله من حاله وما يظهر من امره استفراغ
الوسع فيهم فيكون اي يبذل قدر جهده وطاقته وهو في الاصل استعارة
بتشبيه قريحته ببير وما يستخرج بفكره بما يخرج منها ثم صار حقيقة
عرفية فيما ذكر في طلب الحق الذي قصده وان اخطا في الواقع من اهل ملتنا
المسلمين او من غيرهم من الكفرة وقال نحو هذا القول الجاحظ عمرو بن بحر
ابن محبوب ابو عثمان الكناني الليثي البصري العالم المشهور صاحب التصانيف
الجليلة وجامع العلوم الغريبة وهو معتزلي صاحب مذهب في اصول
الدين ومن اجل تصانيفه كتاب التبيان وكتاب الحيوان لقب بالجاحظ لجحوظ
عينيه اي نتوهما واصابه في اخر عمره وقيل ناهز التسعين فالج وحمر بود
ومنه توفي سنة خمس وخمسين بالبصرة ومن الغريب ما قيل ان حالقيه
ويعرف يحيى بالجلا لعضو وقيل انه لا وجود له وثمامة بضم المثلثة
ابن نكاسة وهو ثمامة بن اشرش بن معن النميري كان كما قال الذهبي
من كبار المعتزلة ورؤوس الضلالة وله نوادر وملح واتصل بالرشيد
والمامون ومن مذهبه ان المقلدين من اهل الكتاب وعباد الاصنام
لا يدخلون النار وانهم يصيرون ترابا وان الاطفال كذلك يصيرون
وهو احد الاقوال العشرة في اطفال المشركين في ان كثيرا من العامة
اي عوام الناس وجهلتهم والنساء ذكرهم لان اكثرهم يغلب عليه الجهل
والبله بضم فيكون جمع ابله المراد به من قل فهمه وغلب عليه الغفلة
وقلة العلم وما في الحديث من ان اكثر اهل الجنة البله فالمراد بهم من غلب
عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس فاغفلوا امر دنياهم واقبلوا
على اخرتهم وقريب منه قول الزبرقان خير اولادنا الابله العقول
اراد انه مع عقله لشدة حيائه كالابله ومقلدة النصارى واليهود
الذين كفروا تقليدا من غير معرفة دليل وحجة وغيرهم من جهلة الكفرة
المقلدين لرؤسائهم لا حجة لله عليهم لانه عندهم لم يوتهم نظرا في الحجة
والادلة مما اذا خالفوه بعد العلم به عنادا كانوا اهل ضلال كما
يستحقون العقاب اذ لم يكن لهم وفي نسخة اذا اي لم توجد بخلق
الله فيهم طباع بزنة رجال مفرد بمعنى طبيعة او جمع طبع وهما قولان

لاهل

لاهل اللغة فهو مؤنث وقيل انه اسم مؤنث على وزن مثال لا جمع طبع وهو مصدر
فقولهم متناقض والتحقيق ما ذكرناه كما في شرح ادب الكاتب يمكن لهم معها اي مع
وجودها فهم الاستدلال اي اقامة دليل وحجة توصلهم لمطلوبهم فاذن هم معذورون
ولا حجة لله عليهم يعاقبهم بها وهو قول باطل لانهم مكلفون عقلا لا سيما من نشا
بدار الاسلام وعلى كل حال فهم متمكنون من النظر ومعرفة الادلة والتفكر في خلق
السموات والارض وقد قرع اسماعهم ما تواتر من ارسال الله رسله وما ظهر من المعجزات
الباهرة الظاهرة ظهور الشمس لمن له عينان فاي عذر لهم تدحض به حجة الله عليهم
وقد نحا الغزالي رحمه الله تعالى قريبا من هذا المنحى نحا وانتحى بمعنى ذهب
وقصد اي قال قولا قريبا بحسب المعنى من هذا القول وهو الامام العلامة الزاهد
العابد ابو حامد احمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي صاحب المؤلفات الجليلة الة
على اهله فقه الشافعي والاصلان ولد بطوس سنة خمسين واربعمائة واشتغل بها
ثم جال في البلاد لاخذ العلم ودخل بغداد فصار مدرسا بالنظامية واقام بدمشق
بجامعها بالمنارة الغربية عشر سنين بعد ما اخذ العلم عن امام الحرمين واخذ عن
الشيخ نصر المقدسي بزاويته المعروفة بالغزالية ثم انتقل لمصر والاسكندرية
ثم رجع لبغداد وعقد بها مجلس وعظ وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادي
الاخرة سنة خمس وخمسمائة عن خمس وخمسين سنة ودفن بطوس وقيل
بقصبة طابران وقال ابن تيمية بضاعته في الحديث مزجاة ولذا اكثر من
ايراد الموضوعات في كتبه واكثر في كتبه من مقالات الفلاسفة حتى قال
صاحبه ابو بكر بن العربي مع شدة تعظيمه له شيخنا ابو حامد دخل في بطن
الفلسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر قلت كتاب التهافت والاحيا ينادي بان
على خلافه وهو بتشديد الزاي المعجمة في المشهور واصله الغزالي بغير نسبة
فزادوا فيه يا النسبة تاكيدا كالعصاري على عادة اهل جرجان وخوارزم
وقيل نسبة لغزالة بنت كعب الاحبار جدته وقيل انه بتخفيف الزاي
نسبة لغزالة قرية من قرى طوس كما ذكره النووي في التبيان وانكر
ابن الاثير تخفيفه قال ابن العربي لقيته في الطواف وعليه مرقعة فقلت
له اولى لك من هذا غير هذا فانت صدر بك يقتدى • وبنورك الى معالم المعارف
يهتدى • فقال هيهات • لما طلع قمر السعادة • في فلك الارادة • اشرقت
شموس الافول على مصابيح الاصول • فتبين الخالف لارباب الالباب والبصاير
اذ كل لما طبع عليه راجع وصابر • وانشد

تركت هوى ليلى ولبنى بمعزل • وصرت الى مصحوب اول منزل
ونادتني الاكوان حتى احبتها • الا ايها الساري رويدك فانزل
فغرست في دار الندى بعزيمه • قلوب ذوي التعريف عنها بمعزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد • لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

واذا سمعت هذا فكيف يظن به اتباع محض فات الفلاسفة وقد راى بعض
المشايخ الغزالي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو من شخص طعن فيه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه بالسياط فانتبه وبه اثر الضرب
والمه في كتاب التفرقة اسم كتاب له في الاصول قال ابن حجر وما نسبه المص للغزالي
شرح الغزالي في كتابه الاقتصاد بما يرده وعبارته التي اشار اليها المص على
تقدير كونها عبارته والا فقد دس عليه في كتابه عبارات حسدا لا تفيد ما فهمه
المص ولا تقرب مما ذكره وعبارته وصنف بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم
ولم يبلغهم مبعثه ولا صفته بل سمعوا ان كذابا يقال له فلان ادعى النبوة
فهولا عندي من الصنف الاول اي من الذين لم يسمعوا اسمه اصلا فانهم لم
يسمعوا ما يحرك داعية النظر انتهى فانظر كلامه تجده انما عذرهم لعدم بلوغ
دعوته صلى الله عليه وسلم وهذا لا ينحو منحى ما ذكره المص وقد قال ابن السبكي
وغيره لا يبغض الغزالي الا حاسدا وزنديقا انتهى وفي الشرح الجديد بعد ما ذكر
المص هذا الكلام غير سديد الغزالي بري من مثله والذي في كتاب التفرقة خلافه
فانه قال فيه من لم يبلغه اسم محمد معذور وكذا ان سمع ضده اوصافه وفي
معناه مدعي النبوة كذابا فان سماع مثله يمنع دواعي النظر والطلب وكذا من بلغ
بعثته ومعجزاته المتواترة وادركه الموت قبل التحقيق فهو مغفور له تشمله
الرحمة الواسعة وقال في المستصفى ذهب الجاحظ الى ان مخالف ملة الاسلام
من اليهود وغيرهم وذريتهم ان كان معاندا فيما يخالف انتقاده فهو اثم
وان نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير اثم وان لم ينظر لكونه لم يعرف وجوب
النظر فهو معذور غير اثم وانما الاثم المعذب المعاند فقط ولا يكلف الله نفسا
الا وسعها وهولا عجزوا عن درك الحق فلازموا عقايدهم خوفا من الله اذ لا
ينسد عليهم طرق المعرفة وما ذكره ليس بمحال عقلا لو ورد الشرع به
فهو جايز لو ورد التعبد بذلك لكن الواقع خلافه وما ذكره العنبري باطل
بادلة سمعية ضرورية فانا كما نعلم امره صلى الله عليه وسلم بالصلاة ونحوها
ضرورة نعلم امر اليهود وغيرهم بالايمان واتباعه وذمهم وقتالهم وقتلهم
وتعذيبهم ونعلم قطعا ان المعاند تقليدا لابايه مع الايات التي لا تخفى
الدالة على خلافه وفي القران التصريح به وقول العنبري كلفهم ما لا يطيقون
الضرورة قايمة على انه اقدرهم بما رزقهم من العقل ونصب لهم من الادلة
وبعث الرسل المؤيدة بالمعجزات حتى لم يبق لهم حجة عليه وقوله كل مجتهد
في العقليات مصيب كالفروع باطل لان الحرمة والحل يختلف بخلاف العقايد
وقد انكره اصحابه وقالوا انه اقبح من مذهب الجاحظ الى اخر ما فصله
فيه وزيف به مذهب هولا فكيف مع هذا يقول المص رحمه الله انه نحى
نحوهم وحاشاه منه وانما اوهمه ذلك قوله انه جايز عقلا ولا يلزم
من مجرد الجواز العقلي قبل النظر في الادلة واستماع ما قاله الله ورسوله
انه يجوز شرعا فكم من جايز عقلا ممتنع شرعا ونقلا واي محذور
في مثله وانما ذكره بيانا للمنشى غلطهم الذي اضل عقولهم في بوادي
الجهالة وهو كلام حق لا يرتاب فيه عاقل فضلا عن فاضل وقايد

هذا

هذا كله كافر بالاجماع على كفر متعلق بالاجماع من لم يكفر احدا من النصارى واليهود
كما ذكره الجاحظ ولم يكفر كل من فارق دين المسلمين كارباب الملل من المجوس وغيرهم
ومفارقته بمخالفته لهم قولا وفعلا او وقف في تكفيرهم اي احجم عنه وتركه
نفيا واثباتا او شك فيه بجوز وجوده وعدمه وفي نسخة توقف وقيل الوقوف
والتوقف كالتردد بحيث لا يرجح احد الجانبين والشك ان يجوزه بحيث يرجحها
وكلاهما كفر لانه يقتضي التردد في دين الاسلام وهو كفر بلا شك قال القاضي ابو
بكر الباقلاني في بيان كونه كفرا لان التوقيف في كفرهم والحال ان الاجماع منعقد
على كفرهم فيه خبر مقدر تقديره لا يصح بدليل قوله فمن وقف في ذلك اي في كفر
اليهود وامثالهم فقد كذب النص الوارد من الله ورسوله بكفرهم من الايات ع صح
الناطقة به وقيل ان قوله على كفرهم ظرف مستقر خبر ان لا لغو متعلق بالاجماع وكذب
التوقيف او شك فيه وهو ظاهر والتكذيب لما ذكر والشك فيه لا يقع الا
من كافر لانه امر مشهور معلوم من الدين بالضرورة ولا يرد عليه انه ليس كل توقف
فيما جاء به نص يقتضي الكفر وفي عبارته ركاكة واغلاق يندفع بالتامل

فصل في بيان ما هو

من المقالات كفر جمع مقالة بمعنى قول مصدر ميمي وما يتوقف في كونه
كفرا ام لا او يختلف فيه اقوال العلما وما ليس بكفر من غير توقف واختلاف
اعلم ايها الواقف على ما سياتي من كل من يصلح للخطاب ان تحقيق هذا الفصل
اي الوقوف على ما هو الحق فيه وكشف اللبس فيه اي ازالة ما يلتبس على سامعه
شبهه بغطا يكشف مورده الشرع اي ما يطلب ويعلم منه انما هو الشرع
والشرع ما شرعه الله لعباده وبينه من الاعتقاد والعمل والمورد محل
الورود وهو ماخذ الماء للشرب فشبهه بما يشفي الظما وشبه ما يعيله بموضعه
استعارة مكنية مخيلة ولا مجال اي سعة ولا فسحة محل للجولان والحركة للعقل
فيه اي العقل بانفراده لا يكفي فيه بل لا بد من تلقيه من الشارع والفصل
اي الفاصل المميز له عن غيره البين اي الظاهر الذي لا اشكال فيه ولا مجال
لرده في هذا الامر الذي نحن بصدده ان كل مقالة اي قول صدر عن احد صرحت
بنفي الربوبية اي دلت دلالة ظاهرة على ذلك وان الله غير موجود او صرحت بنفي
الوحدانية هي توحده وانفراده من غير شريك في الوهيته وصفاته وهي على
خلاف القياس وقد اثبتها في الاساس وفي الحديث من شر امتي الوحداني اي
المفارق للجماعة او صرحت بعبادة غير الله تعالى وحده او صرحت بعبادة احد
كعيسى والكواكب مع الله فهي اي هذه المقالة كفر اي تقتضي كفر من قالها
كمقالة الدهرية بفتح الدال النسبة للدهر وهو الزمان كما يشير اليه بقوله

الدهر ابلى سملي بسعدي ۞ لزمان يلم بالاحسان

ويقال للمسن او الحاذق او الحسن دهري بضم الدال على خلاف القياس وكثيرا
ما يقع التغيير في النسب كما ذكره النحاة والدهرية طايفة من الملحدين

المعطلين ينسبون الامور للدهر كالطبايعية وفي العرب منهم كثيرون فلذا تراهم
في اشعارهم كثيرا ما يشكون منه ويذمونه ولذا قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الدهر فان الدهر هو الله وروي فان الله هو الدهر اي لا تسبوا الصانع فانه هو
الله الخالق للخير والشر وقال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل لست ارى اصحاب
هذه المقالة ينكر الصانع وانما هو تخييل سبب وجود العالم على الاتفاق
احترازا عن التعليل ولذا لم اقم برهانا على بطلان مقالته لان الفطرة
السليمة شاهدة بوجود صانعهما وساير فرق اصحاب الاثنين القايلين بالهين
اثنين كالمانوية القايلين بالنور والظلمة وان خالق الخير غير خالق الشر
وكالفلاسفة القايلين بان الواحد بالذات لا يصدر عنه الا الواحد ونحوهم
من الفرق الضالة فالظاهر ان المراد بالاثنين مطلق التعدد كقوله ثم ارجع
البصر كرتين والديصانية بكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وصاد
مهملة بعدها الف ونون ويا نسبة اسم رجل من المجوس نسب له هذا المذهب
من القول بالنور والظلمة وخالق الخير والشر الا انه يقول ان الظلمة ميت والنور
حي وهم قوم من المانوية وهم اصحاب ماني الحكيم الذي ظهر في زمن شابور بن
اردشير بعد عيسى وقتله بهرام بن هرمز زعم ان موجد العالم اثنان النور
خالق الخير والظلمة خالق الشر وانهما ازليان حيان دراكان ونحوه من الخرافات
وفي نسخة المانية والصحيح الاول قال المتنبي

وكم لظلام الليل عندي من يد ... تخبر ان المانوية تكذب

واشباههم من اصحاب الملل الباطلة من الصابئين وفي نسخة الصابئة وهو
من صبا يهمز ولا يهمز والصابي كل من خرج من دين الى آخر ثم خص بطايفة عبدوا
الملايكة او عبدوا الكواكب وهو المراد هنا وتطلق على فرقة من النصارى وهم
اتباع المسيح ودينهم معروف والكلام على فرقهم واعتقادهم مشهور وقد
افرده ابن تيمية بكتاب ضخم فيه فوايد جليلة وكذا الامام القرطبي له كتاب
في بيان فرقهم والرد عليهم فلا حاجة لنا هنا بايراد ما قيل فيهم والمجوس
عبدة النار والقايلون بالهين يزدان واهرمن اي النور والظلمة الخالقين
للخير والشر والذين اشركوا اي اثبتوا لله شريكا بعبادة الاوثان جمع وثن وهو
الصنم وحجارة تعبد وهو من قولهم وثنته اذا اجزلت عطيته وقيل الفرق
بينهما ان الوثن ما له جثة من جنس الارض او من خشب او من حجارة بصورة
الادمي والصنم ومنهم من لم يفرق بينهما واول من اتى بها مكة عمرو بن لحي
فصارت العرب في ذلك اصنافا او الملايكة جمع ملك وقد تقدم الكلام عليهم
وقد عبدها قوم من اوايل العرب وسموها بنات الله قال تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الاية او الشياطين وهم مردة
الجن جمع شيطان وهم قوم عبدوها حقيقة او عبدوا الاصنام التي
حل فيها الشياطين او هم سولوا لهم عبادتها فكانهم عبدوها كما قال
الخليل عليه الصلاة والسلام يا ابت لا تعبد الشيطان فهم وان عبدوا

الاصنام

الاصنام فانما عبادتهم انما هي للشياطين او الشمس او القمر او النجوم عبدها قوم من الاوايل
واثبتوا لها عقولا وارواحا وجعلوا لها هياكل عندهم زعموا انها تقربهم لها كما في الملل
والنحل والنار وهم طايفة من المجوس ببلاد الهند لاعتقادهم ان النور سلطان الله
الاعظم وان ذاته نور لبس كالانوار فكل نار شرارة من نوره وقد بنوا لها كنايس عظيمة
بالهند يحجونها حتى ان بعضهم يختار احراقه بالنار ليصل لربه وهي معقود اصلها
باريها او من اشرك بعبادة احد اي مخلوق اتخذه معبودا غير الله من مشركي العرب جمع
مشرك سقطت نونه للاضافة وهو من اضافة الصفة للموصوف وهم عبدة الاصنام
منهم واهل الهند والصين وهما اقليمان مشهوران اكثر اهل الاقاليم وفيهم ملل
مختلفة كالبراهمة وغيرهم والسودان جمع اسود وهم قوم واجناس لا يحصون
من اولاد سام بن نوح عليه الصلاة والسلام تغلب عليهم الكفر والجهل وهم من
يعبد الشجر ومنهم من يعبد الماء ومنهم قوم مسلمون وغيرهم اي غير من ذكر
من اهل الملل ممن لا يرجع الى كتاب هو كناية عن الدين الباطل لان من له دين
حق لا بد له من شرع وكتاب يعمل به فهو يرجع براي الى احكامه وكذلك اي مثل
من مثلنا منهم كذا القرامطة وهم الاسماعيلية المثبتون لامامة اسماعيل بن جعفر
الصادق وغرضهم ابطال الشرع لانهم في الاصل يهود او مجوس لما ظهر الاسلام
اشتد عليهم ذلك وضعفوا عن دفعه فذهبوا الى تاويلات وجعلوها على
منعها العقول واراد وابها هدم قواعد الاسلام وراسهم حمدان بن قرمط
من قرية من قرى واسط فلذا سموا قرامطة من بنوا الهم دعاة يدعون لخرافات
زينوها وكان ظهوره في سنة سبعين ومايتين بقرية من سواد الكوفة
وكان احمر البشرة والعينين فسمي كرمية بالكاف العجمية ومعناه بالفارسية
السفلة فخففوه وحرفوه وقالوا قرمط وقيل انه عربي من قرمط البعير
اذا تقارب خطوه فزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر به واظهر زهدا
وصلاحا فاجتمع عليه خلق كثير وقال انه الامام المنتظر فابتدع مقالات
في كتاب فقال انه الكلمة والمهدي وجعل الصلاة ركعتين في الصبح
وركعتين في المغرب والصوم يومين يوم المهرجان والنوروز ورد القبلة
لبيت المقدس وبعث دعاة وخلفا فكان لهم حروب عظيمة مذكورة في
التواريخ فظهر منهم سليمان بن الحسن في البلاد حتى اتى مكة يوم
التروية فاخذ كسوة الكعبة وقلع بابها وقتل الحجاج ورماهم بزمزم
وذلك في سنة سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر واخذ الحجر الاسود
فبقي عندهم اثنان وعشرون سنة فبذل لهم خمسون الف دينار ليردوه
فابوا ثم ردوه مكسورا فوضع في مكانه وتغلبوا على مصر والشام وكانت
مدة دولتهم نيفا وثمانين سنة ثم اباد هم الله واهلكهم واصحاب
الحلول من النصارى والباطنية وبعض جهلة المتصوفة يقولون
ان الله حل في بعض الاجسام وهو امر لا يعقل والتناسخ وهم القايلون
بان الارواح اذا فارقت الابدان تحل في غيرها وهو مذهب بعض الحكماء

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والكلام عليه وعلى بطلانه مفصل في كتب الحكمة من الباطنية هم قوم من الملاحدة
ذهبوا الى ان القرآن له ظاهر وباطن هو المراد منه وان للشريعة مقاصد غير ما يفهمه
الناس والطيارة من الروافض وفي نسخة الطيارية بيا النسبة كذا في بعض النسخ
ومنهم الجناحية وهم قوم من الغلاة نسبوا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن
جعفر الطيار ذي الجناحين لقب بذلك لانه لما اخذ الراية بمؤتة قطعت يداه واستشهد
فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ابدله بهما جناحين يطير
بهما في الجنة والبيانية نسبة لبيان بن سمعان التميمي يقولون روح الله حلت في علي
كرم الله وجهه ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في ابنه هاشم ثم في بيان وكذا الطيارة
والجناحية يقولون روح الله حلت في الانبيا نبيا بعد نبي ولم تزل تنتقل حتى
حلت لعلي واولاده رضي الله عنهم والغرابية قوم يقولون ان جبريل عليه
الصلاة والسلام نزل بالرسالة من عند الله لعلي فاعطاها لمحمد غلطا منه
لانه يشبهه كما يشبه الغراب الغراب كما ذكره المص فيما ياتي وفي التبصرة
لابي المظفر انهم قوم يقال لهم المفوضة قالوا فوض خلق العالم لمحمد وهم من
النصارى والفرق كثيرة افردت بالتاليف ولا حاجة لنا بايرادها فانهم وكذلك
اي مثل هؤلاء الذين حكم بكفرهم كل من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيته اي
قال انه اله متوحد في ذاته وصفاته ولكنه اعتقد انه عز وجل غير حي الحياة
في غير الله الا عند ال[illegible] او قوة توجب الحس والحركة وفي حقه تعالى صفة
توجب صحة العلم والقدرة وهي ثابتة له بالاجماع عقلا ونقلا فمن نفاها فقد
كفر او غير قديم القديم هو الذي لا اول لوجوده ولا اخر لوجوب وجوده
وسرمديته ووجوده ذاتي لا يقبل العدم اجماعا وخلافه كفر وهذه المقالة
لعمر بن عباد السلمي نقل عنه انه انكر القول بانه تعالى قديم لانه بمعنى
التقادم وهو يشعر بتقدم زماني والله منزه عنه كذا قيل وعلى هذا الكفر
فيه لانه انما يتحاشى عن اطلاق هذا اللفظ لايهامه الحدوث كالوجود القديم
ولذا قال الراغب رحمه الله ورد في وصف الله يا قديم والمتكلمون يستعملونه
ويصفونه به واكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان انتهى وانه محدث
بصيغة المفعول تفسير لقوله غير قديم وانما ذكره لانه لو لم يقصد هذا
لم يكن كفرا كما بيناه وليس تنبيها على مذهب الفلاسفة في القدما كما قيل او مصور
اسم مفعول اي جسم ذو صورة كما ذهب اليه الهشامية اصحاب هشام بن الحكم
الذين ذهبوا الى ان له طولا وعرضا واعضاء على صورة انسان الا انه مصمت لا لحم
له ولا دم تعالى وتقدس سبحانه عما قالوه او ادعى له ولدا او صاحبة اي زوجة
كالنصارى او والدا هذا لم يقله بشر او انه متولد من شيء او كاين عنه عطف
تفسير لان المتولد هنا ليس بمعنى الولادة وانما هو بمعنى التكون عن شيء
اخر كتولد الطبايع الناشي عنها وهو كفر بلا شك الا ان هذه المقالة لا يعرف
لها قايل ويقرب منه قول بعض النصارى ان عيسى له انقلبت الكلمة
فيه لحما ودما او ادعى انا معه في الازل شيا قديما غيره اي غير ذاته

وصفاته

وصفاته اشارة الى ما ذهب اليه الفلاسفة من قدم العالم والعقول والارواح والقدم
وانه لم يزل او ان ثم يفنح ونسديد اي في الوجود صانعا للعالم سواه كالمشركين وهو بعض
الثنوية القايلين بالنور والظلمة والفلاسفة الذين يقولون بان الواحد بالذات
لا يصدر عنه الا واحد كما هو مقرر في كتاب التهافت او مدبرا غيره سبحانه وتعالى
والتدبير امتلاك الامور مع العلم بها والمراد بها هنا خلق ما يصلحها لا مجرد ايصاله
والارشاد له فانه لا مانع من ثبوته لغيره كالملائكة قال تعالى فالمدبرات امرا
فذلك المذكور والمدعي كله كافر معتقده كافر لما مر باجماع المسلمين كقول الالهيين
من الفلاسفة الفلسفة لفظة يونانية معناه محبة الحكمة والقايم به هو الفيلسوف
والحكمة عندهم اقسام الهي وطبيعي ورياضي فالالهي ما يبحث فيه عن المجردات
وذات واجب الوجود على ما تبين واشتهر عندهم والمنجمين الباحثين عن النجوم
واحكامها القايلين بانها مؤثرة في الكون اما القايلون بانها علامات الهية جعلها
الله بحكمته وبتبيها لبعض خليقته والمؤثر هو الله فلا يجد ومن فيه ضد اهل
الشرع كما صرحوا به وقد قال الغزالي انها علمت بوحي من الله لبعض انبيائه عليهم
الصلاة والسلام والطبايعيين القايلين بان الطبيعة هي المؤثرة في الايجاد
والتدبير وكذلك من ادعى مجالسة الله فانه مجسم مجازف وهذا لم يذهب
اليه احد او العروج اليه اي الصعود والذهاب للعلو وفوق ومكالمته في الدنيا
ممن لا يليق به او ادعى حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة يعني هؤلاء كلهم ذهبوا الى ان الله يحل في غيره
اما النصارى والقرامطة فقوم ملحدون ادعوا الحلول واولوا القرآن
تاويلات فاسدة لا حاجة لذكرها واما المتصوفة فقد نسب لبعضهم امورا
وعبارات تقتضي في بادي النظر ذلك وهي مؤولة بما يوافق الحق واجلة
مشايخهم بريئون مما نسب اليهم فان ما هم عليه من الزهد والعبادة وما
يظهر منهم من الكرامات يقتضي انهم على قدم النبوة فما نقل عنهم امادسيسة
من بعض الملاحدة او كلام على اصطلاح لهم يعرفه اهله وهذا هو الذي نعتقده
فيهم نفعنا الله ببركاتهم وكفاك ما في قصة الخضر شاهدا له فلذا اعرضنا
عما في الشروح هنا وكذلك يقطع بكفر وفي بعض النسخ على كفر بتضمينه معنى
يتفق او يعزم ونحوه مما يتعدى بعلى من قال بقدم العالم من الحكما
والمراد الزماني بمعنى عدم سبق العدم لا القدم الذاتي فانه مخصوص بالله
او بقائه يعني انه باق ابدا لا يقبل الفنا والمراد قدم نوعه وبقاوه لما
يشاهد فيه من تغيير بعض اجزائه وعدمها او شك في ذلك اي البقا والقدم
على مذهب بعض الفلاسفة ومنهم من ذهب لغيره وادلتهم مع الجواب عنها
مذكورة في كتب الكلام والحكمة وقد كفرهم اهل الشرع بهذا لما فيه من تكذيب
الله ورسله وكتبه والدهرية الذين اسندوا الحوادث كلها للدهر وقالوا
ما يهلكنا الا الدهر وهم كفرة لانكارهم الحشر والنشر والاخرة او قال
بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص اي تخرج من بدن لاخر

عرضيه

ابنه اقيرس

من جنسه او غيره لان النسخ معناه الازالة والنقل قال الراغب الابد مدة الزمان
الممتد الذي لا يتجزي ويقال ابد آبد وابيد اي دايم وحقه ان لا يثني ولا يجمع ولكنه
جمع هنا لانه اريد به بعض ما يتناوله وقيل اباد مولد ليس من كلام العرب وزعم هولا
المتناسخة ان تعذيبها وتنعيمها فيها اي في الاشخاص التي تنتقل اليها بحسب
اي مقدار كانها اي طيبها وطهارتها او خبثها اي كونها خبيثة غير طيبة مزكاة
يعني انها ان كانت طيبة تنتقل لصورة حسنة مجملة منعمة وان كانت خبيثة
تنتقل لصورة كريهة معذبة كصورة الكلب او حمار او ثور حراثة وهذا كله
في الدنيا وكذلك يكفر من اعترف بالالهية والوحدانية فاقر بان له اله منفرد
عما سواه في ذاته وصفاته ولكنه يجحد النبوة اي نفاها وانكرها من اصلها اي لم
يقل بوجودها عموما فلم يقل بنبوة نبي من الانبيا او قال بها ولكنه انكر نبوة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا مع قوله بنبوة غيره كاهل الكتاب
او انكر نبوة واحد من الانبيا اي نبي كان كانكار اليهود نبوة عيسى عليه الصلاة
والسلام الذين نص الله عليهم في كتابه الكريم كاولي العزم فمن انكر واحدا
منهم كان مكذبا لله ولرسوله بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب اما اذا لم يعلم
فهو معذور لجهله كالبراهمة هم قوم من الكفرة ذهبوا الي ابطال وجود
النبوات عقلا لعدم عقلهم فقالوا لان ما يجيء به النبي اما ان يقبله العقلا ولا
والاول النقل يدل عليه فما الحاجة لغيره والثاني مردود باطل وهو المدعي
ورد بانه وان كان يقبله العقل لكنه قد يخفي فيحتاج الي المرشد فان ظهر بانه يؤيده
وسلم عما ينافيه وغيرهم من العقلا النقل يدل علي الخفا لا بد منها والبراهمة
نسبة الي رجل يقال له برهام وهو مؤسس فسادهم ومذهبهم لا الي ابراهيم
النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل لانكارهم النبوات الا ان يقال ان منهم
طايفة تنكر غير نبوة ابراهيم ثم سموا به مطلقا ومعظم اليهود اي اكثرهم
لان منهم من قال بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكنه خصه بالعرب
والاروسية بفتح الهمزة وراء مهملة مضمومة وواو وسين مهملة وياء
نسبة وهم فرقة من النصارى قيل هم رهط هرقل وقيل منسوبون
لرجل اسمه اريس فغيرا واريس ومعناه ملك او عشار او صاحب لزراعة او
اشكلة اريوس معرب وغيره وهو صاحب مذهب في النصرانية لانهم على فرق
مختلفة قيل انه زعم ان الله روحا اكبر من سائر الارواح واسطة بين الاب
والابن تؤدي الوحي وان المسيح ابتدي جوهرا لطيفا روحانيا خالصا غير
مركب ولا ممزوج بالطبايع وقوله الغرابية من الروافض تقدم بيانه واليه
اشار بقوله الزاعمين ان عليا كرم الله وجهه كان هو المبعوث اليه جبريل
عليه الصلاة والسلام ارسله الله اليه برسالته فغلط وبلغها محمدا
صلى الله عليه وسلم لشبهه به كما يشبه الغراب وكالمعطلة الذين جحدوا
الالوهية والرسالة والاحكام والقرامطة تقدم بيانهم ايضا وانهم سعوا
في ابطال الشريعة محللوا المحرمات واباحوا الفروج والخمور والاسماعيلية

هم

هم قوم من الملاحدة المعطلة وهم باطنية يأولون النصوص ويقولون لها معني غير
ظاهرها والعنبرية من الرافضة وهم اتباع عبد الله بن الحسن العنبري منسوب لبني
العنبر قبيلة وفي نسخة العبيدية تصغير عبد وهم اتباع عبيد الله المعروف من
بني عبيد بن بنت القداح الذين ملكوا مصر والكلام في نسبهم معروف في نسب الفاطميين
من الشيعة الذين فضلوا عليا وهم بحسب الظاهر شيعة وفي الباطن باطنية وان
كان هولا الطوايف المذكورة قد اشركوا وفي نسخة قد اشركوا بتنا المجهول في كفر آخر
مع من قبلهم من الطوايف المذكورة وكذلك اي مثل من ذكر في تكفيرهم من دان اي
اعتقد واتخذ دينا وقيل من اقر وخضع بالوحدانية اي بالله الواحد الاحد وصحة
النبوة اي بوجودها وتحقيقها واقر ايضا بصحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ولكن جوز علي الانبيا كلهم الكذب فيما اتوا به اي فيما بلغوه عن الله سوا ادعي في
ذلك اي في الكذب الذي صدر عنهم المصلحة بزعمه اي زعم ان كذبهم كان لمصلحة
اقتضته ام لم يدعها اي لم يدع ان في ذلك الكذب مصلحة فهو كافر بنسبة الكذب
لرسل الله عليهم الصلاة والسلام وهم منزهون عن مثله باجماع من علما الدين
المقتدي بهم وان قيل فيه مصلحة بزعمه كالمتفلسفين اي اصحاب علم الفلسفة وبعض
الباطنية الذين زعموا ان لنصوص الشريعة باطنا غير ظاهرها والروافض وهم طايفة
رفضوا اهل السنة فسموا رافضة وهم فرق مختلفة مذكورة في المطولات وغلاة
المتصوفة اي الذين لهم غلو في اعتقاداتهم واصحاب الاباحة اي الذين ذهبوا
لاباحة المحرمات وان من كمل نفسه ووصل لمرتبة لا تضره المعاصي ثم بين مراده
بالكذب الذي جوزه هولا فانه ليس المقصود به ظاهره فقال فان هولا الفرق
المذكورة زعموا ان ظواهر الشرع اي ما يدل عليه صريح نصوصهم مما يتعلق بالمعاد
وغيره واكثر ما جاءت به الرسل مما اوحي به اليهم من الاخبار عما كان في الامم السالفة
والازمان الماضية وما يكون في المستقبل من امور الاخرة المبينة بقوله ومن الحشر
اي جمع الناس بعد اخراجهم من القبور والقيامة اي مقام من حشر ليقضي بينهم
ويحاسبون والجنة والنار اي دار النعيم والعذاب فذكر الحال واريد المحل
ليس منها شي على مقتضي ظاهر من لفظها الذي بلغه الرسل عليهم الصلاة والسلام
لاممهم ومفهوم خطابها اي ما يدل عليه من معناها المتبادر منها بحسب
الوضع وليس المراد بالمفهوم ما اصطلح عليه اهل الاصول وانما خاطبوا اي خاطب
الرسل اممهم بما اتوا به بها اي بالامور التي اتوا بها عن الله الخلق الذين
ارسلوا اليهم على جهة المصلحة لهم ليتبعوهم ويكفوا عما لا يليق بهم
مما يكمل النفس البشرية اذ لم يمكنهم اي رسل الله التصريح بكشف حقيقة
الحال لهم لقصور افهامهم اي قصور افهام الخلق عن ادراك حقيقة
ما يريدونه وهذا الذي ادعاه هولا الفلاسفة باطل فمضمن بضم الميم
الاولي وفتح الضاد المعجمة وفتح الميم الثانية المشددة اسم مفعول اي
ما دل عليه مضمون مقالاتهم هذه التي زعموا انهم لم يريدوا بكلامهم ظاهره
الدال عليه صراحة ابطال الشرايع التي جا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لان ظاهرها غير مراد لهم وتعطيل الاوامر والنواهي اي جعل امرهم ونهيهم معطلا
غير لازم امتثاله قال القرافي في شرح المحصول فمن كلام الاصوليين ان الامر بمعنى
القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل والبيان يجمع على امور ولم يوافقهم
عليه من اهل اللغة احد الا الجوهري واما الازهري فقال الامر ضد النهي يجمع على
امور وكذا قال ابن سيده في المحكم ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي
شرح البرهان ان قول الجوهري غير معروف وان الاوامر انما جمع امر بزنة اسم
الفاعل بمعنى الامر مجازا وجمع على فواعل لانه اسم او صفة لما لا يعقل ويأباه
قولهم انه جمع امر او جمع آمرة مجازا عن الصيغة لان الامر الشخص نفسه او قصده
كالعافية او هو جمع الجمع مجمع على افعل كاكلب ثم على فواعل ورد بانه ليس
فاعل بل فواعل وقال الاصفهاني انه لا يتم في النواهي لان كونه جمع ناهية مجازا
او مشاكلة تكلف اذ لم يسمع ناهية وقد تقدم هذا مرارا ولان ماله تكذيب الرسل
اي تكذيب رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم لان ما تواتر به لا يطابق الواقع
لانهم لم يريدوا ظاهره وليس بكذب حقيقي لتاوله عندهم والارتياب اي الشك
والتردد فيما اتوا به هل المراد به ظاهر ما اتوا به ام لا لتاويله بغير ظاهره
وكذلك اي مثل ما ذكر في انه كفر من اضاف الى نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم تعمد الكذب اي قصده وذكره عن قصد منه فيما بلغه صلى الله عليه وسلم
عن الله من وحيه واخبر به عن ربه او شك في صدقه للاجماع على انه صلى الله
عليه وسلم معصوم عن الكذب فيما طريقه البلاغ وكذا سائر الانبيا او سبه فانه
يكفر وذكره هنا وان تقدم لان تكذيبه سبب له او قال انه لم يبلغ ما اوحى اليه
وكتمه وحذف المفعول اختصارا للعلم به لانه افترا عليه لقوله تعالى يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك
من الناس وقد تقدم الكلام عليه ان عائشة رضي الله عنها قالت لو كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما اوحي اليه لكتم قوله تعالى واذ تقول
للذي انعم الله عليه الاية النازلة في قصة زيد او استخف به اي استهزا به
وذكر ما فيه ازرا لقدره او بقدر احد من الانبيا غيره صلى الله عليه وسلم اجمعين
او ازرى عليهما لان ازرا الاحتقار اي ذكر ما فيه تحقيرا واهانة لهم او اذاهم
اي ذكر ما فيه اذية لهم في حياتهم او مماتهم كاذية بعض ذريته واقاربه صلى
الله عليه وسلم ولا خلاف في تكفير او قتل نبيا من الانبيا كما وقع
لبني اسرائيل او حاربه اي بارزه بحرب ومقاتلة كما وقع لقريش وغيرهم
فهو كافر باجماع من المسلمين بل من علما الملل كلهم وليس من هذا ما وقع من
بعض الصحابة في بعض معارضتهم له صلى الله عليه وسلم في بعض الامور
كما وقع في امارة اسامة وفي قصة الحديبية وكتابة الكتاب الذي اراد
ان يكتبه في مرض موته كما مر فان ذلك لخلوص قلوبهم ومحبتهم لله ورسوله
كما قيل ۞ ما ناصحتك خبايا الود من رجل ۞ ما لم ينلك بمكروه من العذل ۞
وكذلك اي مثل ما تقدم في تكفير من ذكر تكفير من ذهب مذهب بعض القدما

يكتبه

من

من الفلاسفة والحكما الخارجين عن ملة الاسلام فيما اعتقدوه وذهبوا اليه
من ان في كل جنس من الحيوانات غير بني ادم نذيرا اي رسولا ارسل اليهم من نوعهم
لانذارهم او نبيا ارسله الله اليهم ونوعه امته من القردة والخنازير والدواب
جمع دابة وهي كل ذي روح دب اي تحرك باختياره ثم خص في العرف اي عرف اللغة
بذوات الاربعة والدود وغيره كذا مما يمشي على بطنه ويزحف من ذوات البر والبحر
ويحتج اي يستدل هذا القائل بان في كل جنس نبي بقوله تعالى وان من امة
الا خلا اي مضى وتقدم فيها نذير اي رسول من جنسها يعقدها والامة الجماعة
فحملها على العموم لسائر الحيوانات كقوله الا امم امثالكم وجعلها امة دعوة
وقال الراغب الامة كل جماعة يجمعها امر واحد اما دين واحد او زمان واحد
او مكان واحد سوا كان الامر الجامع تسخيرا او اختيارا فان كل نوع منها على طريقة
قد سخرها عليهم بالطبع فهي بين ناسجة كالعنكبوت وبانية كالسرفة ومدخرة
كالنمل ومعتمدة على قوت وقت وقت كالعصفور والحمام الى غير ذلك من الطبايع
التي يختص بها نوع نوع انتهى وذلك اي القول بان للحيوان رسل وانبيا يودي
اي يستلزم واصل معناه يوصل الى ان توصف انبيا هذه الاجناس من الحيوانات
وفي نسخة الاشيا بصفاتهم المذمومة اي القبيحة من الصورة والافعال المستكرهة
وهو ظاهر لم يقل بصفاتها لوصفهم بما حقه ان يصدر عن العقلا كقوله والشمس
والقمر رايتهم لي ساجدين وفيه اي فيما ذكر من صفاتهم القبيحة من الازرا اي التحقير
والاهانة على هذا المنصب اي المقام المنيف اي العالي الشريف وهو مقام النبوة
والمنصب تقدم بيانه ما فيه اي امر ظاهر فيه من التحقير والاهانة فما موصوفة
او موصولة لنسبة امور غير لائقة بالانبيا لمن زعموا انهم انبيا مع اجماع المسلمين
بل العقلا على خلافه اي خلاف ما ادعوه وتكذيب قائله الذاهب اليه فان كل احد
يعلم انه لا فائدة في تكليف غير العقلا واما الجن فقيل انهم مكلفون ولكن
اختلفوا هل بعث لهم منهم رسول ام لا وفي الايجاز لابي الحسن الاشعري مسئلة
ثم ان تكليف الله انما يجب على العقلا خلافا لاهل التناسخ حيث قالوا ان فرايض تجب
على جميع الحيوانات فان جميع الحيوانات مكلفون لفرايضه وانه بعث لكل جنس
رسولا منهم وخلافا لمن قال منهم ان جميع ما خلق الله من الاجسام حتى الجماد
مكلف بالفرايض وقد حكى اجماع الصحابة والتابعين وغيرهم قبل ان يظهر المخالف
على ان البهايم والجماد غير مكلفين انتهى ومنه تعلم ان هذا المذهب مبني على التناسخ
وان ارواح المكلفين لما انتقلت لغيرهم بقيت على تكليفها واعلم ان الشيخ الشعراوي
قال في كتابه ارشاد الطالبين ان بعض اهل الكشف ذهب الى ان لجميع الحيوانات تكليف
الهي برسول منهم لا يشعر به الا بعض الاوليا فانه تعالى له الحجة على جميع خلقه
فلا يعذب احدا الا بجزايه وتطهيره وهذا من الاسرار قال تعالى وان من امة
الا خلا فيها نذير وكل جنس موجود امة وما من دابة في الارض ولا طاير يطير
بجناحيه الا امم امثالكم وورد في الحديث الكلاب والنمل امة فعمت الرسالة
الالهية جميع الامم ودخلوا تحت الخطاب على لسان نذير بعث لها حتى الدودة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قلت الجمهور على خلافه وانه يكفر من زعمه واعلم انه في الملل والنحل لابن حزم ان صاحب
هذا المذهب احمد بن حابط البصري تلميذ النظام واحمد بن مانوس واتباعه يقال لهم
الحابطية ومذهبه كفر لما فيه من الطعن في النبوة وله اراء فاسدة واهية واستدل
بماذكر من الايتين السابقتين ولا دليل في ذلك لان الامة القبيلة والجماعة
من الناس واما تسبيح الحصا وكلام الحجارة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه
لانه من المعجزات الخارقة للعادة كحنين الجذع وكلام الهدهد والنملة وقوله
وان من شيء الا يسبح بحمده الاية معناه انها بما فيها من بديع الصنعة تدل على
صانع قدير ولذا قال ولكن لا تفقهون دون تسمعون ومن الغريب ما ذهب اليه ابن
خويز منداد من المالكية ان من الحجارة ما له ادراك وتمييز ومما قلته في ابن
حابط هذا واتباعه

قل لابن حابط الحمار ومن غدا ۞ اشقى الورى اذ مع كما ينقول
اخشى الاله فكم نبي مرسل ۞ من قمل في كل حين يقتل
والسفيه متجنب لما هو سفيهه ۞ فلذاك الخسران انت تفضل

وكذا اي مثل تكفير من تقدم يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما
لقوله بما تقدم اي اعترف بالالوهية والوحدانية واعترف بنبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم ولكن قال في وصفه صلى الله عليه وسلم وخلقه انه
كان اسود اللون والمتواتر من حليته انه كان ابيض مشربا بحمرة كما تقدم
او مات صغيرا وقبل ان يلتحي اي قبل ان تنبت له لحية او قال ان نبينا صلى الله
عليه وسلم ليس الذي كان بمكة اي نشا بها وقبل هجرته الى المدينة وليس الذي
كان بالحجاز هو ارض معروفة من الحجاز وهو المنع والفصل سمي به لكونه حاجزا
بين نجد وتهامة او قال ليس بقرشي اي ليس من قريش وهم ولد النضر بن كنانة
وفي وجه تسميتهم بذلك وجوه مشهورة تقدمت فكل هذا كفر لانه وصفه
صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة سلبا واثباتا فقوله اي لوجوده
لا لوصفه وتكذيب به اي تكذيب لما اثبته وعلم وجوده وكذلك يكفر من ادعى
نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم اي في زمنه كمسيلمة الكذاب له
والاسود العنسي او ادعى نبوة احد بعده فانه خاتم النبيين بنص القران
والحديث فهذا تكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كالعيسوية
وهم طائفة من اليهود نسبوا لعيسى بن اسحاق بن يعقوب الاصبهاني اليهودي
وقيل في اسمه غير ذلك وكان في زمن بني مروان وادعى النبوة في زمن
مروان الحمار وتبعه كثير من اليهود وكان مذهبه نحو من جحود النبوة
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك ما ادعاها القايلين بتخصيص
رسالته اي رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم الى العرب فهو مع تجويزه
نبوة نبينا بعده منكر لعموم رسالته وخالف دين موسى عليه الصلاة
والسلام في امور كثيرة وادعى اتباعه له معجزات ثم انه قتل في اول
الدولة العباسية وقيل مات حتف انفه وكالخرمية اختلفوا في ضبط

لفظ

لفظ هذه الكلمة فقيل انه بجيم مفتوحة وراء مهملة وميم ويا نسبة وهم فرق من اهل
الكفر القايلين بتواتر الرسل اي تتابعهما وتكررها وانها لا تنقطع وانه يحدث في
كل زمان رسول يوحى اليه وهذا الضبط لم يرتضه البرهان الحلبي وارتضى انهم
الخرمية بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة المشددة وميم نسبة لرأس ضلالهم
ومعناه بالفارسية الفرح والسرور وهم على فرق مزدكية وبابكية ومازياريه
وكلهم يستحلون المحرمات ويبيحون الفروج وظهروا في دولة بني العباس بنواحي
اذربيجان نحو عشرين سنة في جموع وعساكر كثيرة جدا حتى اسر بابك وصلب
بسر من رأى في ايام المعتصم وقيل ان الجرمية بجيم مكسورة وراء ساكنة مهملتين وهم
نوع من القرامطة سموا به لانهم اباحوا المحرمات وزعموا ان النبوة تدرك بالرياضة
وتصفية الباطن وترك الشهوات المعبر عنه باكتساب النبوة الاتي وان النور
القدسي انتقل من ادم للانبيا الى ان وصل لمحمد وعلي واولاده ثم تم النور
المحمدي فيهم وانتقلت شريعته لغيره وقال التلمساني انه يقال لهم الخرمية
بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وفتحها مشدده والخرمان الكذب بخفيف وتشديد
وكاكثر الرافضة القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبعده وكذلك يقولون ويعتقدون كل امام اي خليفة قرشي عند هولا
الفرقة من الرافضة يقوم مقامه في النبوة فتنتقل النبوة بعده لغيره عند
هولا ومن الحجة على الخلق بتبليغ الاحكام وهولا من غلاة الرافضة ولهم
مقالات في الكفر والضلال ولا حاجة لذكرها كما في المثل يكفيك من شر سماعه
والحق ابلج وكالبزيعية والبيانية منهم القايلين بنبوة بزيع وبيان هولا
طائفتان من غلاة الرافضة يزعمون ان النبوة بل الالهية تحل في بعض ايمتهم
وتنتقل اليهم وهم اكفر من النصارى واشد ضررا منهم لانهم بحسب الصورة
يسلمون ويلتبس امرهم على العوام لكن في ضبط اسمائهم اختلاف فقال البرهان
الحلبي ان بزيع بموحدة مفتوحة وزاي معجمة مكسورة ومثناة تحتية
وعين معجمة علم شخص نسبوا اليه وبيان بموحدة وقيل انه بموحدة وزاي
معجمة ومثناة وعين مهملة وقيل فيه غير ذلك وبيان بموحدة مفتوحة
وتحتية مثناة والف ونون وقيل انما هو بنونين وهو بيان ابن اسمعيل
النهدي وهو يزعم ان الله حل في علي واولاده ويقولون بنبوة بعض
ايمتهم وقيل ان الثاني غلط والصواب انه بيان بن سمعان النهدي وقيل
غير ذلك واشباه هولا من اهل الضلال او من ادعى النبوة لنفسه بعد
نبينا صلى الله عليه وسلم كالمختار بن ابي عبيد الثقفي وغيره قال ابن حجر
ونظيرهم كفر من طلبت منه معجزة لانه بطلبه منه مجوز لصدقه مع استحالة
المعلومة من الدين بالضرورة نعم ان اراد بذلك تسفيهه وبيان كذبه
فلا كفر به انتهى او جوز اكتسابها ممن يقولون ان النبوة صفة تكتسب
بالرياضة والزهد وتصفية الباطن واهل الحق يقولون انها وهبية لمن
اصطفاه الله من عباده كما قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته والبلوغ

حاشية

تلمساني

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بصفا القلب اي بتصفيته من الكدورات البشرية بالرياضة الى مرتبتهما كالفلاسفة
وقدما الحكما وغلاة المتصوفة جمع غال وهو المبالغ المتجاوز للحد لكن لم يزعم
ذهب الى هذا من المتصوفة والذي نقل فيه انما هو عن الفلاسفة وقدما الحكما
كما علم وكذلك من ادعى منهم اي من الفلاسفة والغلاة انه يوحى اليه اي
باتيه الملك من الله ببعض الاوامر الالهية مما تزينه له الشياطين وان لم يدع
النبوة فلا يقول مع ذلك انا نبي او ادعى انه يصعد الى السما ويدخل الجنة
بجسده يقظة وهو حي وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين التي في الجنة
معدة للمؤمنين فيما قال ابن حجر والظاهر ان زعمه دخول الجنة ماضيا او حالا
او مستقبلا قبل موته مرة او اكثر سواء ضم الى ذلك الاكل والمعانقة المذكورين
ام لا يكون كفرا وان كان ربما يتوهم من كلام المص خلاف ذلك وفي الانوار ويكفر
من قال انه يرى الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها او ان الله يحل في الصور الحسان
او قال ان الحق يطعمه ويسقيه واسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام وانه ياكل
من الغيب وياخذ منه او قال دع الصلاة والزكاة والصوم والقران قال ابن حجر
ولا يشترط في كفر من زعم انه يرى الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها اجتماع هذين خلافا
لما توهمه عبارة الانوار بل يكفر زاعم احدهما ثم رايت الكواشي صرح في تفسيره
بكفر معتقد الرؤية بالعين وهو صريح فيما ذكرته لكن عندي في اطلاق ذلك
نظر والذي يتجه حمله على رؤية او كلام مقتض للاحاطة بذلك تعالى لما مر
ان الاصح انا لا نكفر الجهوية ولا المجسمة الا ان صرحوا باعتقادهم للوازم قولهم
كالحدوث او ما هو نقص فيه كاللون والتركيب والاحتياج ثم قال ابن حجر وكذا
يكفر زاعم اسقاط التمييز عنه بين الحلال والحرام او ان الله يطعمه ويسقيه
او انه ياكل من الغيب وياخذ منه ولا يشترط اجتماع هذه الثلاثة خلافا لما
يوهمه كلام الانوار ايضا وكذا يقال في نفيه كلامه هؤلا المذكورون كلهم كفار
محكوم بكفرهم لانهم مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لادعائهم خلاف ما قاله
لانه صلى الله عليه وسلم اخبر انه خاتم النبيين كما اعلمه الله به فيما اوحاه
اليه واخبر ايضا انه لا نبي بعده وما روي عنه في ذلك من الاحاديث الصحيحة
ذكر ما يخالفها تكذيب له معنى واما ما روي عنه من انه قال لا نبي بعدي
الا ما شا الله فقال ابن الجوزي في كشف المشكل ان هذه الزيادة لا اصل لها
ورد على ابن عبد البر في قوله ان المراد بها الرؤيا الصالحة لانها جزء من النبوة وانكر
عليه ذلك كما فصلته فلا يغرنك من ذكره لعدم وقوفه عليه ومر انه لا يرد
عليه عيسى عليه الصلاة والسلام حين ينزل لانه لم ينبا بعده ولانه يكون
من امته وعلى شريعته ولا الخضر ايضا لانه اختلف في نبوته كما تقدم واخبر
صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انه خاتم النبيين في قوله تعالى ولكن
رسول الله وخاتم النبيين واخبر ايضا عن الله انه ارسل صلى الله عليه وسلم
كافة للناس اي الى الناس كلهم بل والى الملائكة كلهم بل والى الجن وهذا مما
خصه الله به ولا يرد عليه ادم ونوح كما تقدم قال تعالى وما ارسلناك الا

كافة

كافة للناس اي برسالة عامة محيطة بهم تكف عن ان يخرج منها احد وقال الزجاج معناه
جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف والتاء للمبالغة كعلامة لا حالا
من المجرور لامتناع تقدمه عليه وفيه تفصيل في العربية وخص الناس لانهم محل
النزاع وقيل ان الناس يطلق على جميع من ذكر كما ذهب اليه بعضهم في الكلام على
المؤذنين وارتضاه السبكي واجمعت الامة اي امته صلى الله عليه وسلم على ان
هذا الكلام المذكور من الاية والحديث وانه ارسل لجميع الناس على ظاهره من نفي
النبوة بعده وعموم الرسالة وان مفهومه اي مدلوله الذي يفهم منه المراد منه
صفة مفهومه دون تاويل اي لم يأول بما يصرفه عن ظاهره ولا تخصيص لبعض افراده
فلا شك عند من يعتد به من الامة في كفر هؤلا الطوايف كلها الذاهبين لما يخالف
اجماع المسلمين قطعا اي جزما من غير تردد فيه اجماعا اي بالاجماع وسمعا من الله
ورسوله وكتابه وسنته فلا عبرة بمن خالفه من الفرق الضالة ولا بمن نازع في
حجية الاجماع كما سياتي وكذلك وقع الاجماع من علما الدين على تكفير كل من دافع نص
الكتاب اي منع ونازع فيما جا صريحا في القران كبعض الباطنية الذين يدعون لها
معان اخر غير ظاهرها وكبعض جهلة المتصوفة واما ما يروى عن بعض كبار المشايخ فليس
تفسيرا له وانما هو اشارة لبعض نكت يلوح لها لا انها معناه وضعا كما قاله العز
ابن عبد السلام او خص حديثا عاما منطوقه مجمعا على نقله عن ثقات الرواة مقطوعا
به في دلالته على صريحه مجمعا من العلما والفقها على حمله على ظاهره من غير تاويل
ولا تخصيص ولا نسخ فانه تلاعب مؤد للفساد وكتكفير الخوارج تقدم بيانهم
بابطال الرجم للزاني والزانية المحصنين فانه مجمع عليه صار معلوما من الدين
بالضرورة ولهذا اي للقول بكفر من خالف ظاهر النصوص والمجمع عليه يكفر من لم
يكفر من دان بغير ملة الاسلام اي اتخذ دينا من اهل الملل جمع ملة وهي الدين
وبينهما فرق بحسب المفهوم او وقف فيهم اي توقف وتردد في تكفيرهم او شك
في كفرهم او صحح مذهبهم اي اعتقد صحته كما تقدم عن بعضهم ان الايمان انما
هو عدم جحد وحدانية الله وقد تقدم بيانه وابطاله والفرق بين التوقف
والشك ان التوقف ان لا يميل لشيء من الطرفين والشك الميل مع الترجيح
للمخالف وان اظهر الاسلام باعتقاده والتزام احكامه واعتقده بقلبه واعتقد
ابطال كل مذهب سواه اي غير الاسلام بان يقول انه منسوخ باطل في الواقع غير
مقبول عند الله ولكن يزعم ان من اقر بالالوهية والتوحيد غير كافر كما تقدم
من مذهب الجاحظ وقيل قول المص وان اظهر الخ لا بد له من تاويل لتضمنه
الانقلاع عن التصحيح ظاهرا وباطنا فما معنى الحكم عليه بالكفر مع اظهار التصحيح
ويكون مع ذلك اظهاره الاسلام واعتقاده ابطال ما سواه رجوعا والا يلزم
ان لا يكون معتقد الاسلام مجردا كافرا وهو قول من لم يصل الى العنقود
بعد اي من لم يكفر وما بعده كافر باطنا بما اظهر من خلاف ذلك اي ما يخالف
الاسلام لانه طعن في الدين وتكذيب لما ورد عنه من خلافه وكذلك اي كتكفير
هؤلاء يقطع ويجزم بتكفير كل من قال قولا لا يصدر عنه يتوصل به الى تضليل الامة

مع ذلك التوقف او الشك او التصحيح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي كونهم في ضلال عن الدين والصراط المستقيم ويودي الى تكفير جميع الصحابة كقول
الطايفة الكميلية سياتي بيانهم وانهم قوم من غلاة الرافضة بتكفير جميع الامة
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لانهم قالوا بالتناسخ والحلول وان النبوة
نور ينتقل من رجل لاخر وانه حق علي كرم الله وجهه وان الصحابة كفروا لما بايعوا
ابا بكر وعلي كفر لما ترك حقه ولم يقاتل والنبي كذلك لما نص على امامة علي
وقد كفر بعده ومثله من الخرافات ولا شك في كفرهم الا انه قيل الصواب ان
يقول المهم الكاملية لانهم اتباع ابي كامل ثم يشبه المؤتبس لكفرهم كما نص
عليه الامام الرازي ووفق بينهما بانهم صغر واما ملا على كميل ونسب اليه على
خلاف القياس تصغير تحقير فهو تتميم اقواله وقيل انه بفتحها نسبة لكميل بزنة
قتيل بمعنى كامل وهو بعيد ثم بين مقالتهم وسبب كفرهم وتكفيرهم الصحابة
بقوله اذ لم تتقدم رتبا فوقية اي الامة وفي نسخة اذ لم يتقدموا عليا اي يجعلوه
خليفة وكفرت هذه الطايفة عليا ايضا اذ لم يتقدم بنفسه على ابي بكر رضي الله
عنهما ويطلب حقه من الامة في التقديم على ابي بكر فهولا الطايفة الكميلية
قد كفروا من وجوه لانهم بما قالوه ابطلوا الشريعة اي شريعة الاسلام باسرها
اي جميع احكامها اذ لزم من قولهم بكفر الصحابة انه قد انقطع نقلها لانه لم ينقلها
الا الصحابة رضي الله عنهم وهم عندهم بزعمهم كفرة والكافر لا يقبل نقله ونقل
القران لانه لم ينقله الا الصحابة اذ ناقلوه وهم الصحابة كفرة على زعمهم الفاسد
والزعم مثلث الزاي القول الباطل كما مر والكافر لا يقبل قوله والى هذا القول
بتكفير هولا وامثالهم والله اعلم بما اراد اشار الامام مالك في احد قوليه
المرويين عنه بقتل من كفر الصحابة اي كلهم او واحدا منهم لان من كفر مسلما
بغير حق فقد كفر فما بالك بالصحابة رضي الله عنهم اساس الاسلام وعماده
ثم كفروا اي هولا اصحاب هذه المقالة الشنيعة من وجه اخر غير المتقدم
بما لزم مقالتهم هذه بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم
وزعمهم اي ما يستلزمه قولهم هذا لانه عهد الى علي رضي الله عنه اي اوصى له
بالخلافة بعده على زعمهم وهو يعلم انه يكفر بعده بترك طلب حقه وانه
لا يكون خليفة فيكون ما عهده كذب وهذا اشد بكفر من قاله على قولهم
بالعهد وكفر وهو مقالة متناقضة باطلة وكفر من وجوه لعنة الله عليهم
اجمعين الى يوم الدين وصلى الله وسلم على رسوله وعلى اله وصحبه وشرفهم
وكرمهم عما يقول الكافرون وكذلك اي كما كفرنا هولا نكفر بثبوت الجماعة
وبنا المفعول او بالتحتية وبنا المجهول بكل فعل فعله شخص مسلم اجمع المسلمون
على انه اي ذلك الفعل لا يصدر الا من كافر حقيقة لانه من جنس افعالهم
وان كان صاحبه اي من صدر منه مسلما مصرحا بالاسلام حقيقة او حكما
لشهادة ظاهر حاله مع فعله ذلك الفعل الذي هو من افعال الكفرة كالسجود
للصنم وهو الوثن وهو ما يتخذ الها يعبد او الصنم المجسم والوثن الصورة
كما تقدم الكلام عليه وكالسجود للشمس والقمر باتخاذهما كالمعبود حقيقة

والصليب

والصليب واصله الخشبة التي يصلب عليها ثم نقل الى ما يجعله النصارى على صورة الخشبة
والمصلوب بعود معترض على اخر لزعمهم انه هيئة ما صلب عليه عيسى عليه الصلاة
والسلام فيعظمونه بالسجود له وكالسجود للنار التي يسجد لها المجوس سوا كان في
دار الحرب ام دار الاسلام بشرط ان تقوم قرينة على عدم استهزائه او عذره وما في الحلية
عن القاضي عن النص ان المسلم لو سجد للصنم في دار الحرب لم يحكم بردته ضعيف ووضح
انه الكلام في المختار واستشكل الفرق بين السجود للصنم وبين ما لو سجد الولد للوالد
على جهة التعظيم حيث لا يكفر مع انه كما يقصد به التقرب الى الله قد يقصد بالسجود
للصنم ولا يمكن ان يقال ان الله شرع ذلك للعلما والاباد دون الاصنام واجيب بان
الوالد وردت الشريعة بتعظيمه بل ورد شرع غيرنا بالسجود له فهذا الجنس ثبت
له السجود ولو في زمن من الازمان وشريعة من الشرايع فكان شبهة دارية لكفر
فاعله بخلاف السجود لنحو الصنم او الشمس فانه لم يرد هو ولا ما يشابهه في التعظيم
في شريعة من الشرايع فلم يكن لفاعل ذلك شبهة لا ضعيفة ولا قوية فكان كافرا
ولا نظر لقصد التقرب فيما لم ترد الشريعة بتعظيمه بخلاف من وردت بتعظيمه
وما تقرر من ان العلما كالوالد في ذلك هو ما دل عليه كلام النووي في الروضة
اخر سجود التلاوة وعبارته وسوا في هذا الخلاف وفي تحريم السجود ما يفعل بعد
صلاة وغيرها وليس من هذا ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي
المشايخ فان ذلك حرام قطعا بكل حال سوا كان للقبلة او لغيرها وسوا قصد
السجود لله او غفل وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر عافانا الله من ذلك
انتهى فافهم انه قد يكون كفرا بان قصد به عبادة مخلوق او التقرب اليه وقد يكون
حراما بان قصد به تعظيمه او اطلق وكذا يقال في الوالد لا يقال ما ذكر في الوالد
لا ياتي في العلما لانه لم ينقل صورة السجود لهم لانا نقول بل ياتي فيهم لان تعظيمهم
ورد به الشرع على انه ثبت لجنسهم السجود في قوله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس وادم عليه الصلاة والسلام كان بالنسبة للملايكة هو
العالم الاكبر فثبت لجنس العلما السجود فكان شبهة وكالسعي اي الذهاب الى
الكنايس جمع كنيسة والبيع بكسر الموحدة وفتح المثناة التحتية قبل عين مهملة
جمع بيعة بكسر فيسكون مع اهلها متعلق بالسعي اي يسعى معهم لمعابدهم وهو
يقتضي موافقتهم في كفرهم وهو كالتصريح بالكفر فهو كفر وقيده بقوله مع
اهلها لان المراد به انه يذهب معهم في وقت ذهابهم للعبادة فيها كما يسعى
المسلمون للصلاة في المساجد اذا نودي للصلاة على هيئة تدل على موافقتهم
والا فمجرد الذهاب لكنيسة والدخول لها ليس بكفر وانما هو مكروه ان كان لغير
غرض صحيح وقيل لا يجوز اذا كان ثم صور ونحوه مما لا يعترفون على اظهاره
والكنيسة والبيعة يقالان لمعبد اليهود والنصارى وقيل الاول لليهود
والثاني للنصارى وقيل الاول عام والثاني مخصوص بالنصارى وهو
المشهور وهما معربان وقيل الثاني عربي قال الراغب فان كان عربيا في الاصل
فهو كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم اي كانهم يبيعون انفسهم لمعبودهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والتزيي بزيهم وفي نسخة والزي بزيهم وهو بكسر الزاي المعجمة وياء مثناة تحتية مشددة اي التحلي بحليتهم والتلبس بها وهو من زوي بمعنى جمع في الاصل وفي الاساس انه ياتي والزي الهيئة الظاهرة بلباس ونحوه وفي نسخة بهيئتهم وتبييته بقوله من شد اي ربط الزنانير جمع زنار او زنارة بضم اوله وهو حزام للنصارى يشدونه في اوساطهم وقيل انه بكسر اوله والمعروف الاول وهو كالعيار كما ذكره الفقهاء وهو امر يختص بهم ويشترط عليهم ليتميزوا به عن المسلمين وقد كان ذلك معروفا في الصدر الاول فحيث لبس زي الكفار سواء دخل دار الحرب اولا بنية الرضا بدينهم او الميل اليه او تهاونا بالاسلام كفر والا فلا واعترض ما ذكر في مسئلة زي الكفار بما نقل عن الشافعي رضي الله عنه انه لو سجد لصنم في دار الحرب لم يحكم بردته وان لبس زي الكفار في دار الاسلام حكم بردته واجيب بحمل هذا الاطلاق على التفصيل المذكور واختلفوا فيمن وضع قلنسوة المجوس على راسه والصحيح انه يكفر ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال هذا زنار مثلا فالاكثرون على انه يكفر ولو شد على وسطه زنارا ودخل دار الحرب للتجارة كفر وان دخل لتخليص الاسرى لم يكفر قال الاوزاعي واعلم ان اكثر العامة يسمون ما يشد به الانسان وسطه من حبل ونحوه زنارا ولا يحتمل في اطلاق هذا منهم كفر انتهى وفحص رؤسهم بفتح الفا وحا مهملة ساكنة فيل صاد مهملة من فحص الارض اذا كشفها اي حلق اوساطها وتركها كفاحص القطا هيئتها وهو من شعارهم المعروفة في ذلك الزمان وفي الخبر ستلقون اقواما في رؤسهم مفاحص فاقرعوها بالسيوف اي طيروها وهو عبارة عن ذلك وفيه مبالغة وبلاغة عظيمة وتلميح لقول العرب فرخ الشيطان وعشش في قلبه وهو زي عبادهم فالتشبه بهم فيه كفر وهي رهبانية ابتدعوها كما حكاه الله عنهم فقد اجمع المسلمون قاطبة على ان هذا الفعل وهو التلبس بهيئة مخصوصة بالكفرة لا يوجد ويصدر فعله الا من كافر حقيقة او حكما وان هذه الافعال علامة على الكفر المضمر في قلوبهم وان صرح فاعلها بالاسلام لانه لاعب بالدين لكنه ان كان مخلصا بقلبه نفعه ذلك فيما بينه وبين الله فمن صدق ما جا به النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك سجد للشمس كان غير مؤمن بالاجماع لان سجوده لها يدل بظاهره على انه ليس بمصدق ونحن نحكم بالظاهر فلذلك حكمنا بعدم ايمانه لان عدم السجود لغير الله داخل في حقيقة الايمان حتى لو علم انه لم يسجد لها على سبيل التعظيم واعتقاد الالهية بل سجد لها وقلبه مطمئن بالتصديق لم يحكم بكفره فيما بينه وبين الله تعالى وان اجري عليه حكم الكافر في الظاهر وكذلك اي كما حكم بكفر هولا قد اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل اي قال انه حلال له او لغيره لمسلم ظلما او استحل شرب الخمر والزنا بزاي معجمة ونون ونحوه مما حرم الله ولا بد ان يكون استحلاله بعد علمه بتحريمه اي بان الله حرمه شرعا كاصحاب الاباحة من القرامطة الذين نقلنا بيانهم من الاباحة الذين يعتقدون حل ما حرمه الله وبعض غلاة المتصوفة

الذين يزعمون ان الواصل الى الله يرفع عنه التكليف ولم يواخذه بما يرتكبه من المحرمات ثم ما ذكر في استحلال الحرام استبعده امام الحرمين بانا لا نكفر من رد اصل الاجماع ثم قال ما ذكروه بما اذا صدق المجمعين على ان التحريم ثابت في الشرع ثم حلله فانه يكون رد الشرع قال الرافعي وهذا ان صح فليجر مثله في ساير ما حصل الاجماع على افتراضه او تحريمه فنفاه واجاب عنه ابو القاسم الزنجاني بان ملحظ التكفير ليس مخالفة الاجماع بل استباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة وسياتي لهذا تتمة عند ذكر المصنف له وكذلك يقطع جزما بلا تردد بتكفير كل من كذب ايات الله او سنة رسوله المعلومة او انكر قاعدة من قواعد الشريعة وفي نسخة الشرع والمراد بالقواعد ما بني عليه الاسلام كاقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج فليس المراد بالقاعدة مصطلح اصحاب المعقول فلذا فسره بقوله وما عرف يقينا بالنقل المتواتر الذي يمتنع كذب قايله من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم او كان منهيا عنه كحل البيع مثلا قيل ان المصنف اطلق هذا وهو مقيد بان يكون مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة لانه يصير كانه جاحد مكذب للرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى علمه بالضرورة استوا العامة والخاصة في معرفته حتى يصير كالضروري والمشهور في حكمه على الصحيح عندهم فلو كان لا يعلمه كل احد ككون بنت الابن سهمها كذا فيعذر منكره واحترز بقوله يقينا عن حكم الاجماع الظني وقد يقال ان قوله ووقع الاجماع الخ مغني له فلا حاجة لما ذكر وقوله المتصل اي الذي لم يتخلله عدم اجماع يقطعه وقوله عليه متعلق بالاجماع كمن انكر وجوب الصلوات الخمس من حيث هي او انكر عدد ركعاتها وسجداتها فيكفر بانكار ما اجمعوا عليه يقينا ويقول في وجه انكاره انما اوجب الله في كتابه العزيز الصلاة على الجملة اي اجمالا من غير بيان عدد وقوله ذلك حكاية لصورة الحال الماضية لاستغرابها وكونها جنسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه وعلل قوله المذكور بقوله اذ لم يرد به في القران نص جلي اي مفصل في غاية الظهور والجلا وانما ورد مجملا كقوله اقم الصلاة ونحوها من الايات واراد بالنص الجلي ضد الخفي وهو المتواتر ولما كان هذا مبينا بالسنة اشار لدفعه بقوله والخبر اي الحديث الوارد عن الرسول اي رسول الله صلى الله عليه وسلم به اي ببيان اجماله باظهاره وتجليته خبر واحد لا متواتر فلا يفيد القطع واليقين وقد اجيب عنه بانه متواتر معنى وقد اوجب علينا العمل به اجماعا لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره الاية وفي الانوار انه لو انكر السنن الراتبة او صلاة العيدين كفر قال ابن حجر والذي يتجه كفر من انكر سنة راتبة مجمعا عليها معلومة من الدين بالضرورة كما يدل له قوله او صلاة العيدين لكن انكار احدهما كذلك خلافا لما يوهمه قوله السنن الراتبة وقوله العيدين بل يكفي في الكفر انكار سنة واحدة بالشروط المذكورة وكذلك اجمع اي اجمع المسلمون على كفر من قال من الخوارج ان الصلاة الواجبة طرفي النهار فقط والمراد بطرفي النهار اوله واخره فكانوا يجمعون الصلاة في وقتين من غير عذر وهذا لا يجوز عند احد من فقها المذاهب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاربعة وفي صحيح مسلم وسنن ابي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بغير عذر
ولا مطر بالمدينة في غير خوف وقال ابن عباس اراد ان لا يحرج امته وحمله بعضهم
على المرض واخذه من نفي الحرج وعلى كل حال ففيه نظر قال بعضهم ومن قال
الكفر خير مما يفعل ان اراد به ان في الكفر خيرا ولو بوجه مما كان كافرا والا فلا ومن قال
الميتة حلال ان لا اصلي الظاهر انه يكفر به لانه جعل ترك الصلاة من حيث هي من
الحلال بل الطيبة وهذا كفر بلا نزاع لان فيه انكار وجوب الصلاة الشاملة للجميع
وذلك كفر واجمعوا ايضا على تكفير الباطنية وهم الاسماعيلية والقرامطة
القايلون بان للنصوص باطنا غير ظاهرها الذي يفهمه الناس وهو معنى قوله
في قولهم ان الفرايض كالصلاة وغيرها مما جاءت به النصوص من القطعية اسما
رجال امروا بولايتهم بكسر الواو وفتحها مصدر كالدلالة والدلالة اي نصرتهم
واتباعهم فيقولون الصلاة الرسول والوضوء موالاة الامام ونحو ذلك من الخرافات
التي فصلها النويري في تاريخه وفسروا الخبايث والمحارم جمع محرمة ومحرمة
وهي الحرمة فالمراد بها المحرمات اسما رجال امروا بالبراءة منهم اي بالتبري منهم
والبعد عنهم بعدا وبغضهم ومحالفتهم وقول بعض الملاحدة من المتصوفة الذين
يظهرون الزهد والصلاح ان العبادة كالصوم والصلاة وطول المجاهدة اي
مخالفة النفس وملازمة الطاعة فانه الجهاد الاكبر اذا صفت بتشديد الفا
نفوسهم اي نفوس اصحابها اي خلصت من الكدورات الشهوانية افضت بهواء
او صلت نفوسهم واصله الادخال في فضا واسع الى اسقاطها اي اسقاط
الفرايض والتكاليف عنهم واباحة كل شيء من المحرمات لهم ورفع عهدة الشرايع
عنهم اي ما عهده الله من التكاليف واما ذهب الى هذا بعض الزنادقة
وقال انه ورد اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب وهذا لم يقله احد ولو صح
فهو مأول بان يحفظه عن ارتكاب الذنوب فمعنى لا يضره الذنب انه لا يفعل ذنبا
حتى يضره كما ان معنى قول بعضهم رفع عنه التكاليف انه يلتذ بها حتى لا يعدها
تكليفا وانه يغلب عليه محبة الله حتى يخرج عن العقل فيصير مجنونا غير
مكلف فهو من عقلاء المجانين كما نشاهد في بعض المجاذيب فان ادعى رفع التكليف
عمن لم يخرج من دايرة العقل فهو كافر بالاتفاق وكذلك يحكم بكفر من انكر مكة
او البيت وهو الكعبة والبنية المعروفة او المسجد الحرام وهو مسجد مكة
او انكر صفة الحج التي ذكرها الفقهاء من واجباته واركانه ونحوها او قال الحج
واجب في القرآن لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا ونحوه واستقبال القبلة كذلك اي واجب في القرآن بقوله فول
وجهك شطر المسجد الحرام الاية ولكن كونه اي المذكور من الحج والاستقبال
على هذه الهيئة المتعارفة شرعا عند ساير الناس وان البقعة المعروفة
هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري واعلم هل هي تلك او بقعة وارض
غيرها وقال ايضا لعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها

ويفهمها

ويفهمها للناس بهذه التفاسير المعلومة غلطوا في نقلها ووهموا اي وقع في اوهامهم
ما ليس كذلك فهذا القايل ما ذكر ومثله ممن يشكك في معاني النصوص المتواترة لا مرية
بكسر الميم وقد تضم اي لا شك في تكفيره اي الحكم بكفره لانكاره ما علم من الدين بالضرورة
وابطاله الشرع وتكذيبه لله ورسوله ان كان ممن يظن به علم ذلك وذكر الظن لان
العلم يعلم بالطريق الاولى وكان ممن يخالط المسلمين في دار الاسلام وامتدت
صحبته لهم اي للمسلمين بين اظهرهم في ديارهم الا ان يكون ذلك القايل حديث عهد
اي قريب عهد بتلبسه بالاسلام بان اسلم بعد كفره في غير دار الاسلام فيشق
معذور لجهله بما ذكر كمن نشأ في بادية او جزيرة ولم يسمع احكام الاسلام
فيقال تعليما له ارشادك وسبيلك اي طريقك الذي يجب عليك سلوكه ان تسأل
من الناس عن هذا الذي لم تعلمه مما ذكر كله بعد ظرف مبني على الضم اي بعد
ما كنت الى الان كافة المسلمين مفعول تسال اي جميعهم فلا تجد بينهم خلافا
اي لا تجد منهم من يخالف في تحقيق ما ذكر لعلمه له بمشاهدة او تواتر كافة
عن كافة اي تعرفه جميع اهل عصر تلقوه عن جميع اهل عصر قبلهم بحيث لا يخفى
ذلك على احد منهم وفي دخول الجار على كافة مع قول النحاة انها تلزم النصب
على الحالية تفصيل بيناه في شرح الدرة وعن بعضي بعد كما يقال كابرا عن كابر
اي جميع القرون قرنا بعد قرن حتى ينتهي الى معاصري الرسول صلى الله عليه
وسلم اي من كان في عصره وزمنه ان هذه الامور التي سألت عنها كما قيل لك
اي على هذه الهيئة التي ذكروها لك وعلموها لك وان تلك البقعة المعينة
بسماتها هي مكة بلد الله الامين والبيت الذي هو مبني فيها هو الكعبة سميت
بها لعلوها وارتفاعها او لكونها مكعبة اي مربعة والقبلة التي يستقبلها
الناس بوجوههم

فكانما هو معناطيس لانفسنا فحيثما كان دارت نحوه الصور

التي صلى اليها النبي صلى الله عليه وسلم وصلى اليها المسلمون كلهم بعد ما
حولت القبلة عن بيت المقدس من ساير نواحي الارض وحجوا اليها اي قصدوها
من كل فج عميق وطافوا بها تعبدا كما امرهم الله وان الافعال التي نفعلها للحج
من الاحرام والطواف والسعي والحلق ورمي الجمار وغيره هي صفات عبادة
الحج المأمور بها وانها هي ايضا المراد به في النصوص المنقولة لنا وهي اي تلك
الافعال المذكورة التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وفعلها المسلمون
بعده قرنا بعد قرن هي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد
الله بذلك اي بين المراد منها بفعله ليقتدى به وبان نأخذوها اي عرفنا
حقيقتها واوقاتها الموقتة لادائها فيقع لك يسوالك عما لم تعلمه العلم
بما ذكر وصفته كما وقع لهم العلم بذلك ولا ترتاب بعد ذلك اي لا يقع لك
فيها شك وتردد بعد بالبناء على الضم اي بعد ما علمته بسؤالك منهم
وهذا حال من يعذر بجهله والمرتاب في ذلك المعلوم من الدين بالضرورة
والمنكر لذلك بعد البحث عنه ومعرفته بالسؤال عنه وصحبة المسلمين كافر

وان صفات الصلاة المذكورة المشروعة المنصوص عليها في القرآن م

بالاتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري المراد بذلك ولا يصدق فيه اي في قوله لا ادري
بل ظاهره التستر باطنا رجحله عن التكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فيما نقل عنه اذ لا يمكن انه لا يدري ذلك مع تواتره وثبوت صفاته وقد قيل
عليه ان ظاهره متناقض لانه قال اولا انه القايل ما ذكر كافرا لا ان يكون قريب
عهد بالاسلام وقال هنا انه لا يعذر وليس بشي لانه لا يكفر اذا كان حديث عهد
قبل نقله وهنا انه يكفر بعد التعليم كما يكفر غيره وايضا فانه اي المنكر اذا
جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ذلك المذكور من امور الحج والصلاة واجمعوا على انه قول الرسول صلى
الله عليه وسلم المروي عنه برواية صحيحة وفعله الذي فعله ليقتدي
به وتفسيره صلى الله عليه وسلم لما جاء عن الله اي واجمعوا ايضا على ان
فعله لهذا التفسير وبيان مراد الله تعالى به اي بما دل عليه ما اجمعوا على
انه قول الرسول الذي بلغه عن ربه من الصلاة والحج فبين بفعله صفة ادائه
ووجوبه وغير ذلك مما امر بقوله هذا مع علمه او بعد نقله ادخل الاسترابة ه
استفعال من الريبة وهي الشك وهو جواب اذا اي اوقعها في جميع احكام الشريعة
لانها انما تعلم بنقل الامة فاذا طعن فيهم في بعضها سرى ذلك لجميعها
اذهم الناقلون لها وللقران برواياتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا وقعت ريبة في نقلهم انحلت عرى الدين جمع عروة وهي ما يتمسك به
من الحبل وقد استعير الحبل للدين والقران فانه يتوصل به الى التبحر في
الادلة التي فيه فانحلالها سقوط الاستدلال بها ففيه استعارة اخرى تمثيلية
او تخييلية والعروة في الاصل ما له اصل ثابت من الكلاء والدواب ترعاه اذا
لم تجد غيره فاستعمل لكل ما يعتصم به وقوله كرة هي في الاصل مصدر من الكر
وهو العطف على الشي بالذات او بالفعل ويقال للحبل المفتول كر كما قاله
الراغب اي دفعة واحدة وجملة ومن موصول مبتدا صلته قال هذا اي
انكار ما اجمعوا عليه كافر بانكاره المجمع عليه وكذلك اي كما كفرنا هذا نكفر
من انكر القران كله او انكر حرفا منه او كلمة او غير شيا منه بابدال او بزيادة
او نقص فيه او زاد فيه كلاما ليس منه والمراد ان ما زاد او نقص ولم يكن
برواية صحيحة ونقل معتمد فلا تدخل القراات كقراة تجري تحتها الانهار
مع قراة من تحتها وكالبسملة في الفاتحة عند الشافعي وغيره ولظهوره
لم يقيده المص كلامه هنا فلا معنى للاعتراض به فان سياقه صريح فيه
لمن عنده ادنى بصيرة كقول الباطنية والاسماعيلية هم فرقة واحدة
سموا تارة باطنية لزعمهم ان للنصوص ظاهرا هو تكليف ومشقة وباطن
بخلافه هو رحمة والاول قشر للانعام والثاني لب لخواص الانام وفسروا
به قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من
قبله العذاب وسموا اسماعيلية لانتسابهم لاسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر
وقالوا هو الامام المعصوم المنصوص على امامته بعد رسول الله صلى

الله عليه

عرضي

ابن افترس

الله عليه وسلم ولهم خرافات ومجازفات قصدهم بها ابطال الشريعة لالحادهم لا حاجة
لنا بها فانه بطلانها غير محتاج لدليل ومنهم القرامطة كما مر او زعم انه اي القران
ليس بحجة اي لا يحتج به لما فيه من الاحكام لان ظاهره غير مراد منه فلا حجة فيه للنبي
صلى الله عليه وسلم او زعم انه ليس فيه حجة لاثبات حكم او نفيه ولا هو ايضا
معجزة دالة على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه ينكر اعجاز القران ويزعم ان البشر
لهم قدرة على مثله والى هذا ذهب بعض غلاة الرافضة كالمدارية وهو مكابرة تكفل
الحق بابطالها وقال ابن حجر بعد كلام المص يحتمل ان يريد به ما يشمل ما ليس بمعجز
بذاته فمن قال ليس بمعجز بذاته وانما هو لكون الله صرف القوى عن معارضته
كفر والتصريح بكفره مشى عليه الحنابلة وكلام المص هذا الذي اقره عليه النووي
قد يؤيده والذي يظهر لي عدم كفره لان هذا لا يترتب عليه طعن في الدين ولا تكذيب
لما ورد من نص ومن ثم بان انه بخلاف منكر الاعجاز من اصله ثم رايت بعض المتكلمين على
الشفا حكى ذلك قولا في معنى الاعجاز وحينئذ فتكفير قايل ذلك بعيد وجزم ابن
عقيل بان من امتهن القران او غمصه او طلب تناقضه او ادعى انه مختلف فيه
او مختلق او مقدور على مثله ولكن الله منع قدرتهم كفر بل هو معجز بنفسه
والعجز شمل الخلق انتهى كقول هشام الفوطي قال في التبصرة هشام بن عمرو الفوطي
من القدرية وزاد في مذهبهما مورا باطلة وقال لجهله ان الله لا يسمى الله الوكيل
ولم يعرف انه بمعنى الكافي والحفيظ وانكر المعجزات وهو بضم الفا وقيل البا
الموحدة وسكون الواو وطا مهملة قبل يا النسبة ومعمر بميمين مفتوحتين
بينهما عين مهملة ساكنة وهو من المعتزلة الصيمري بفتح الصاد المهملة
ومثناة تحتية ساكنة وفتح الميم وراء مهملة منسوب لصيمر موضع او بلدة وفي نسخة
الضمري بفتح الضاد المعجمة منسوب لضمرة قبيلة كما قاله التلمساني وفي التبصرة
معمر بن عباد تنسب له المعمرية وتنسب له خرافات يملها السمع انه اي القران
لا يدل على الله وانما كفر بذلك لانه انكر الكلام واثباته لله وقال بعدم الحجة
القران ولا حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم لانكاره اعجاز القران ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حلال ولا حرام لانه يقول انه ليس لله كلام وان الامر والنهي
كما في التبصرة ولا حكم فيه لله ولا محالة في كفرهما اي لا بد من تكفيرهما بذلك القول
الذي قالاه كما سمعته انفا وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي
صلى الله عليه وسلم حجة له اي معجزة تصدقه في دعواه او بانكارهما ان يكون
في خلق السموات والارض دليل على الله لدلالة مصنوعاته سبحانه وتعالى عليه
من غير شك وفي كل شي له اية تدل على انه واحد لانه كما في التبصرة قال ان
الله لم يخلق شيا من الاعراض وان الاجسام تفعلها بطبايعها الى غير ذلك مما
ينبغي تطهير الالسنة عن مثله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم باحتجاجه المتعلق بالمتواتر والضمير له صلى الله عليه وسلم
بهذا كله اي القران والمعجزات وخلق السموات والارض دليل على وجودها
وعلى رسالته فانها حجج قاطعة وتصريح القران به اي بكونه ما ذكر حجة ومعجزة

نعها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كقوله فاتوا بسورة من مثله وكقوله اقتربت الساعة وانشق القمر ولين سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وانما الله اله واحد ونحو ذلك وكذلك يحكم بكفر من انكر شيا
مما نص القران فيه كالقيامة وفي نسخة مما نص في القران بعد علمه انه من القران
حتى لا يعذر بجهله الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين يقرؤ في كل زمان ولم
يكن جاهلا به تاكيد لما قبله ولا قريب عهد بالاسلام حتى يجهل ذلك واحتج لانكاره
شيا من القران اما ان يحتج بانه لا يصح النقل اي نقل القران الينا عنده اي في اعتقاده
ولا بلغه اي وصل اليه العلم به او اما لتجويزه الوهم اي الخطا على ناقليه فيكفر بالتخفيف
وبنا الفاعل او بالتشديد وبنا المجهول اي يحكم بكفر هذا القايل لما ذكر بالطريقين
المتقدمين اي مخالفة الاجماع والنقل الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم لانه
مكذب للقران بانكاره او انكار ما نص عليه فيه ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم
بانكار معجزته التي جا بها لكنه يستتر بدعواه التي لا يعذر بها وكذلك نكفر من
انكر الجنة او النار نفسهما او محلهما وهو جهنم مثلا اي انكر ايجادهما يوم القيامة
واما من انكر وجودهما الان كبعض المعتزلة فانه خطا ايضا لكنه قيل انه لا يكفر
به لاقراره بهما وان كانت النصوص دالة على بطلان ما قال كما بين في كتب الاصول
او البعث اي وكذلك نكفر من انكر البعث اي احيا الله الموتى وبعثهم اي اخراجهم
من قبورهم او انكر الحساب اي كون الله يحاسب عباده وينبيهم عن اعمالهم يوم
القيامة لاقامة الحجة عليهم واظهار حالهم وان كان الله عالما بذلك او انكر
القيامة اي قيامهم في الحشر بين يديه سبحانه وتعالى بعد احيايهم واخراجهم
من القبور فهو كافر بالاجماع للنص عليه في القران كقوله تعالى ونفخ في الصور
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ويوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونضع الموازين القسط ليوم القيامة يوم
يقوم الحساب وغيره من النصوص وحديث الشفاعة العظمى شاهد له والاجماع
الامة اي ائمة الاجابة المسلمين على صحة نقله اي النص به متواترا بحيث لا يمكن
النزاع فيه وكذلك نكفر من اعترف بذلك اي الجنة والنار والبعث والحساب
والقيامة ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر اي جمع الناس في الموقف والنشر
اي خروجهم من القبور منتشرين والمراد بالثواب والعقاب المذكور في القران
والنصوص معنى غير ظاهرها المتبادر منها وانها اي الامور المذكورة كلها للذات
والالام فهي اكتفار روحانية بضم الرا وفتحها نسبة الى الروح وهو ما به
الحياة ويزاد الالف والنون فيه سماعا على خلاف القياس وتطلق الروحانيون
على الملايكة والمراد هنا امر متعلق بالروح من اللذة والالم والروحاني يكون
بمعنى الطيب ومعاني تدرك بالعقل دون الحس باطنة غير محسوسة كقول
النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة الذاهبين الى ان الحشر
غير جسماني بل روحاني وزعمهم الفاسد في تاويلهم النصوص فقالوا ان
معنى القيامة الموت الذي هو ضد الحياة او فنا محض اي عدم محض خالص
وانتقاض نظام بالجملة اي تغيير هيئة الافلاك التي هي عليها الان وتحليل

العالم

العالم عناصره وتحليله اي حل تركيبه وابانة بعضه من بعض كقول بعض
الفلاسفة المنكرين للقيامة والبعث وما ذكره المؤلف عن بعض المتصوفة مراده بهم
الزنادقة الملحدون المتسمون بسمتهم واما مشايخ الصوفية فحاشاهم من مثله ولا ينبغي
تسميتهم متصوفة بل هم صوفية حقيقة وكذلك كما كفرنا هؤلا نقطع بتكفير غلاة
الرافضة جمع غال وهو المتجاوز حده في الغلو والمبالغة في امره في قولهم ان الايمة
هم عندهم علي واولاده رضي الله عنهم الذين يقولون بان الامامة حقهم افضل من
الانبيا كما قدمناه في هذا الباب وهولا الطايفة تسمى نصيرية ينسبون في اعتقادهم
بزعمهم الباطل حتى ادعى بعضهم انهم الهة وهولا اشد كفرا من النصارى فاما من
انكر من هولا ما عرف بالتواتر من الاخبار المنقولة عن الصحابة جمع خبر والسير
بزنة عنب جمع سيرة وهو ما يتعلق بغزواتهم واسفارهم وانكار البلاد البعيدة
كخراسان والعراق التي لا يرجع انكارها الى ابطال شريعة مما شرعه الله لعباده
ولا يفضي اي يوصل الى انكار قاعدة من قواعد الدين لعدم تعلقه به كانكار غزوة
تبوك او غزوة موتة اما تبوك فاسم عين ما وسمي به موضعها وهو من ارض الشام
بقرب مدين وهي ماخوذة من باك الحمار الاتان اذا نزى عليها او من باكت الناقة
اذا سمنت بها لانه صلى الله عليه وسلم غزاها في رجب سنة تسع فصالح اهلها
على الجزية من غير قتال فاستمسكت الناقة السمينة في خبرها وقيل لان رجلين سبقا
وماوها ينض لقلته فجعلا يدخلان فيها سهما ليكثر ماوها فقال لهما صلى الله
عليه وسلم ما زلتما تبوكانها منذ اليوم وموتة بضم الميم وهمزة ساكنة وتبدل
واوا وتاء مثناة فوقية قرية من ارض البلقا بطرف الشام قريبة من الكرك على
مرحلتين من القدس كانت بها تلك الغزوة لانهم قتلوا رسولا ارسله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجهز اليهم جيشا في سنة ثمان وقيل سبع فقتل بها جماعة من
المسلمين ثم فتحها خالد بن الوليد وقصتها مفصلة في السير وتقدم في ذلك ما فيه
الكفاية وانما لم يكفر منكرهما لانه لا يترتب على انكاره امر ديني او كما لا يكفر من انكر
وجود ابي بكر الصديق رضي الله عنه او وجود عمر بن الخطاب او انكر قتل عثمان
في قصة الدار المتواترة او انكر خلافة علي بن ابي طالب ونحوه مما علم وجوده
بالنقل ضرورة لان التواتر يحصل به علم ضروري يقيني لا يشك فيه وليس في
انكاره لذلك جحد شريعة اي لا امر شرعي متعلق بالدين فلا سبيل الى تكفيره
اي المنكر لما ذكر بجحد ذلك ونفي وجوده وانكاره وقوع العلم له اي ان
يكون عنده علم به اذ ليس في ذلك الا الانكار والجحد امر يقبح اكثر من المباهتة
هي مفاعلة من البهتان وهو الافترا والكذب ومثله لا يعد كفرا وهي
المفاجاة بالتكذيب حتى يبهته ويحيره قال فبهت الذي كفر اي سكت لحيرته
وهذا كله ظاهر فما قيل من انه يلزمه تكذيب نقلة الحديث في الغزوات
لا وجه له لانه لا يعد كفرا وكذا ما قيل من ان انكار وجود ابي بكر فيه
تكذيب للقران في قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار الاية لان انكار
ذاته ليس بكفر من حيث هو فان عرفه وانكر صحبته التي في القران فهو كفر واما

ابن امترس

دلجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انكار صحبة غيره فصرح كلامهم انه لا يكون كفرا لكن اختار بعضهم ان انكار صحبة غيره
المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة كفر ويجاب بان شرط انكار المجمع عليه الضروري
ان يرجع الى تكذيب امر يتعلق بالشرع بخلاف ما لا يتعلق بذلك وان انكار صحبة ابي
بكر لا يتعلق بذلك بخلاف انكار صحبته لان فيها تكذيب القران فتدبر كانكار هشام
الفوطي الذي تقدم انه من غلاة الرافضة وعباد الصيمري الذي تقدم ايضا وقعة
التي كانت بالبصرة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فخرجت عائشة ام المؤمنين رضي
الله عنها على جمل لها لتصلح بين الفئتين فكان ما كان من ذلك الحرب العظيم ولذا سميت
وقعة الجمل ونسبة انكار هذه الوقعة لابن حزم كما قاله مغلطاي غلط وكانت
الوقعة سنة ست وثلاثين ووقعة صفين سنة سبع وثلاثين فكانت عائشة على
جمل يسمى عسكر وفيها قتل جماعة من الصحابة والقصة مشهورة في التواريخ والكلام
محاربة علي رضي الله عنه من خالفه من الخوارج الذين كانوا اتباعه اولا ثم لما جرى
امر التحكيم انكروه وقالوا لا حكم الا لله وهي كلمة حق اريد بها باطل وتفرقوا فرقا
ولهم اعتقادات مخالفة لاهل السنة فكانت بينهم حروب عظيمة قد اشتهرت حتى
افردت بالتاليف وفرقهم واعتقاداتهم مفصلة في كتاب التبصرة لا يمكن ذكرها هنا
فاما ان ضعف المنكر لما ذكر مع تواتره وضعف مسند مبني للفاعل او للمفعول
ذلك المتواتر من اجل الاخبار التي لا تفيد الامر شرعي من اجل تهمة الناقلين اي
لاجل اتهامهم بالكذب وهم ما من مسند معطوف على ضعفه او مصدر بزنته مرفوع
معطوف على تهمة المسلمين اجمع اي قال ان جميع المسلمين مخطئون في نقلهم فنكفره
بذلك الذي اخطاه من خطا جميع المسلمين واتفاقهم على الكذب لسريانه اي افضائه
وتعديه الى ابطال الشريعة المحمدية لانها انما تعلم بنقل المسلمين فاذا جوز اتفاقهم
على الكذب لم يوثق بنقلهم في شيء اصلا وتكفيره لانكاره اجماع المسلمين وهو كفر
فاما من انكر الاجماع اي اجماع المسلمين المجرد وفسر المجرد بقوله الذي ليس طريقه
اي ما يستند اليه النقل المتواتر عن الشارع المراد بالمتواتر ما من شانه التواتر
وقيل المراد بالمجرد ما تجرد عن القرائن التي تجعله قطعيا فاكثر المتكلمين المراد بهم هنا
العلماء ولذا بينهم بقوله من الفقهاء والنظار جمع ناظر في هذا الباب اي في هذه
المسائل المتعلقة بالتكفير قالوا اي اعتقدوا وجزموا بتكفير كل من خالف الاجماع
الصحيح اي المستجمع لشروطه المذكورة في كتب الاصول كما بينه بقوله الجامع لشروط
الاجماع المتفق عليه عموما في كل اجماع واعلم ان حقيقة الاجماع العزم قال
تعالى فاجمعوا امركم ثم شاع في الاتفاق وهو من الجمع وهو حقيقة في الاجماع
مجاز مشهور في المعاني ومعناه اتفاق مجتهدي هذه الامة وقال البغوي
هو نوعان عام كاجماع الامة على الصلاة وعدد ركعاتها مما يعرفه العامة
والخاصة وانكاره كفر الا ان يكون منكره حديث عهد باسلام وخاص وهو
ما يعرفه الخاصة كبطلان نكاح المتعة ولا يكفر جاحده وانما يحكم بخطائه
وكذا كل اجماع لا يعرفه الا العلماء كحرمة نكاح المراة على عمتها والاجماع واقع
ويمكن الاطلاع عليه على الصحيح وحجة واختلفوا في حجيته هل هي

قطعية

قطعية او ظنية عقلية او سمعية او مركبة منهما ولم يخالف في حجيته الا من لا يعتد
به كالنظام وبعض الشيعة كما يأتي وحجتهم التي استند لها قوله تعالى ومن
يشاقق الرسول اي يخالفه ويعاديه فيكون في شق والرسول في شق اخر من
بعد ما تبين له الهدى وتمامها ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وساءت مصيرا وسبيل المؤمنين طريقهم التي اتفقوا عليها اوعيده عليه
يقتضي انه دخل طريقا غير طريق المسلمين وهو الكفر وحجتهم من السنة قوله
صلى الله عليه وسلم كما رواه ابو داود في سننه وصححه من فارق الجماعة
اي المسلمين واهل الحق وروي من فارق الجماعة بترك السنة واتباع الحمق واتباع
البدعة والبغاة والمحاربين قيد شبر بكسر الفاء وسكون الثناة التحتية
ودال مهملة والقيد والقاد بمعنى القدر وشبر بكسر الشين المعجمة وسكون
الموحدة وراء مهملة ما بين طرف الخنصر والابهام مفرجا اذا قيس به وهو
كناية عن القلة فقد خلع ربقة بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وقاف
وهي حبل يقاد به وقد تقدم اي نزع عقد الاسلام من عنقه وهو كناية عن مفارقة
الاسلام وتركه بالكلية تشبيها له بحيوان يقاد بحبل فترك الحبل وهرب من قائده
وفيه اشارة الى انه كالانعام بل اضل والربقة في الاصل عروة تجعل في يد البهيمة
او عنقها تمسك بها فشبه الاسلام بمنع المجاورة لما لا ينبغي لها واشار اليه
على طريق التشبيه المؤكد اي خلع الاسلام المانع له كالعروة المانعة لها من الضياع
او شبه ما يلزمه من احكام حدوده واوامره ونواهيه المانعة له بالربقة لها
على طريق الاستعارة التحقيقية واثبت لها الخلع ترشيحا وحكوا اي الفقهاء
والنظار في ذلك الاجماع على تكفير من خالف الاجماع لما في الاية المذكورة من
الوعيد لمن لم يتبع سبيل المؤمنين وهو الاجماع ومثله يكون للكفر وحكاية
المص في تكفير من جحده الاجماع مناف لما ذكره بعده من التوقف فيه بقوله
وذهب اخرون من اهل الاصول الى الوقوف اي التوقف فيه من غير قطع
بتكفيره وعدمه وقد وقع في نسخة التوقف عن القطع اي الجزم بتكفير
من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء فلم يقطعوا بتكفيره ولا عدمه
وقيده بعضهم بما يخرج الاجماع فيما يتعلق بالصانع لكنه يدخل فيه اجماع اهل
العربية وفيه كلام في شرح المغني ظاهره انه غير معتد به ومثله في خصائص
ابن جني ولنا فيه بحث ذكرناه في السوانح وذهب قوم اخرون من العلماء الى
التوقف اي عدم الجزم في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كالقياس
الحاصل باجتهاد لا بد له من مستند كتكفير النظام بفتح النون وتشديد
الظاء المعجمة وهو ابو ابراهيم بن سيار او ابن شيبان بمعجمة وموحدة بعد
الياء المثناة التحتية والف ونون ابو اسحاق مولى بني الحارث قيس بن ثعلبة
احد فرسان المتكلمين من المعتزلة وله احاطة بالعلوم العقلية
وله شعر رقيق كان في دولة المعتصم بانكار الاجماع كما انكر القياس
وحجيتهما لانه يقول هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به اي بالاجماع

الجمل

دجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خارق للاجماع اي مخالف للاجماع منهم ومن غيرهم والخرق كما قال الراغب القطع على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق الذي هو فعل بتقدير ورفق وباعتبار القطع قيل خرق الثوب وخرق المفازة ومنه الخرق والمخرقة كما فصله في مفرداته فعبر في الاجماع بالخرق لانه قطع له من غير تدبر وحكم بخلافه قال تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم تنبيه قال شيخ والدي رحمه الله الشيخ احمد بن حجر الهيتمي في الفتاوى والاعلام قال ابن دقيق العيد مسائل الاجماع ان صحبها التواتر كالصلاة كفر منكرها لمخالفة المتواتر لا لمخالفة الاجماع وان لم يصحبها التواتر فلا يكفر نافيها وفرق الزركشي بين تكفير منكر المجمع عليه وعدم تكفير منكر اصل الاجماع بان منكر الحكم متوافق على كون الاجماع حجة ثم انكر اثره المترتب عليه فكفرناه بخلاف منكر الاصل فانه لم يتوافق على شيء البتة وفي فرقه نظر لاقتضائه ان منكر الحكم لا بد ان يسبق منه اعتراف بحجية الاجماع وهو مخالف لاطلاقهم فالذي يتجه ان ملحظ التكفير انكار الضروري سوا سبق اعترافه بحجية الاجماع ام لا فان قلت هل بقي فرق بين انكار اصل الاجماع حيث لم يكن كفرا وانكار الحكم المجمع عليه الضروري حيث كان كفرا قلنا نعم وتقدم قبله مقدمة وهي ان النظام وغيره انما انكروا كون الاجماع حجة زعما منهم انه لا يستحيل الخطا على اهل الاجماع وانه لا دليل على عصمتهم قطعا اذ ما استدل به على ذلك يحتمل التاويل فالاجماع الذي انكروه هو تطابق العلما مع تفرقهم وكثرتهم على راي نظري وهذا ليس كانكار الضروري الذي هو تطابقهم على الاخبار عن محسوس على نقل التواتر وذلك قطعي لحصول العلم الضروري به والقطع فيه يسري الى ابطال الشريعة من اصلها فتطابق العلما على راي واحد نظري لا يوجب العلم القطعي لا من جهة الشرع فلم يكن انكار كونه من اصله حجة ولا انكار افادته القطع مع الاعتراف بحجيته مكفرا على الاصح بخلاف انكار الضروري فانه يجر الى انكار الشريعة بل الشرائع كلها فمن ثم كان كفرا كما تقرر فاتضح الفرق بين انكار اصل الاجماع او كونه حجة قطعية وبين انكار الضروري وبما قررته يعلم رد تنظير الغزالي في كفر جاحد المجمع عليه بان النظام انكر كون الاجماع حجة فيصير مختلفا فيه ووجه رده ان النظام لا ينكر الحكم كما مر وعلى التنزل فهو بهذا الانكار مبتدع مناد فلا نظر لاتباعه ولا لخلافه فان قلت نافي حكم الاجماع اخف حالا من المجمع عليه لان الاول ليس معه اعتقاد مخالف بخلاف الثاني فان الجحد يقتضي سبق الاعتراف والاعتقاد قلت اذا تاملت ما سبق من التقرير علمت ان الملحظ في التكفير انما هو انكار الضروري المستلزم لانكار الاجماع بخلاف انكار الاجماع من اصله او حجيته او المجمع عليه الغير الضروري فانه لا يكون كفرا خلافا لما يوهمه كلام بعض المتاخرين فاذا تدبرت هذا الذي قررته واستحضرت قواعدهم ظهر لك انه احق بالاعتماد والتصويب مما ذكره بعض المتاخرين هنا انتهى ملخصا وقال القاضي ابو بكر الباقلاني

القول

القول المعتمد عندي ان الكفر بالله تعالى حقيقة معناه شرعا الجهل بوجوده عز وجل وان الايمان الذي هو ضد الكفر بالله تعالى معناه العلم بوجوده وانه اي الشان لا يكفر احد بقول يقوله ولا راي يعتقده الا ان يكون ذلك المذكور من قول او راي هو الجهل بالله تعالى فنكفره بعدم العلم به او انكار وجوده وهذا القول نقله عنه في سراج العقول وتقدم ايضا وذلك اما حقيقة الجهل او ما يستلزمه كما اشار اليه بقوله فان عصى الله ورسوله بقول او فعل نص الله تعالى ورسوله اي ذكره صريحا في كتاب او سنة او اجمع المسلمون على انه لا يوجد بالجسم اي لا يصدر ولا يقع الا من كافر كانكار الشرع او رسالة محمد صلى الله عليه وسلم او يقوم دليل على ذلك اي على انه لا يوجد الا من كافر فقد كفر وليس كفره والحكم به لاجل قوله او فعله الذي لا يصدر الا من كافر لكن يكفر لما علم بمقارنته باستلزامه له من الكفر بالجهل بالله ثم فصله بقوله فالكفر بالله تعالى لا يكون اي يوجد ويتحقق الا بثلاثة امور احدها اي الامور الثلاثة الجهل بالله تعالى ووجوده الثاني ان ياتي ويفعل فعلا لا يصدر عنه او يقول قولا يخبر الله ويخبر رسوله صلى الله عليه وسلم اي اخبر او عبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية او يجمع المسلمون على ان ذلك لا يكون الا من كافر وقد تنازع في قوله ان ذلك يخبر ويجمع كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس اي معابد النصارى واليهود كما تقدم فالمشي لذهاب معهم على هيئاتهم بالتزام الزنار وهو ما يشد بالوسط على هيئة مخصوصة بالكفرة مع اصحابها اي اصحاب الكنايس والزنانير في اعيادهم المعروفة بينهم وهما حالان مترادفتان او يكون ذلك القول الذي قاله او الفعل الذي فعله لا يمكن معه اي مع ذلك القول او الفعل العلم بالله تعالى قال ابو بكر الباقلاني فهذان الضربان اي الجهل بالله واتيان فعل او قول لا يكون الا من كافر وان لم يكونا جهلا بالله تعالى اي ان لم يقتض قوله وفعله المذكوران جهلا بالله تعالى فهما علم يقتضيني اي علامة وامارة على ان فاعلهما كافر منسلخ خارج من الايمان بالله تعالى لان الايمان عند الاشاعرة تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه به ضرورة ومما جا به الاقرار بالله ورسوله وكتبه فالكفر حينئذ جحد ذلك وقد جعل الشرع بعض الامور علامة على ذلك واما سجود الملائكة لادم وسجود اخوة يوسف له فليس على طريق العبادة لانه كان تحية جائزة عندهم ثم نسخ ذلك وابدل بالسلام فانه تحية الاسلام وقال ابن الهمام الايمان نقل شرعا من معناه اللغوي وهو التصديق الى مجموع امور اعتبرت في وضعه شرعا والتصديق جزء منها وهو عند الباقلاني ثلاثة ثم فصلها كما فصل المص ثم قال فاما من نفى من صفات الله تعالى الذاتية القديمة الثبوتية بان قال انه لا يتصف بها او جحدها اي انكرها مع العلم بها والنفي المراد به ان يعتقد عدم ثبوتها له وهو مغاير للجحود ولذا عطف باو مستبصرا اي على بصيرة في ذلك دون سهو او سبق لسانه فهو قيد للنفي والجحود لا للجحود فقط وتفسيره حينئذ بمتيقنا غير متوجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكذا تفسيره الجحد بمطلق الانكار لا وجه له مع عطفه باو كما قيل كقوله ليس بعالم
ولا قادر ولا متكلم وشبه ذلك نحو ليس سميعا ولا بصيرا ونحوه من صفات الكمال الواجبة
له عز وجل فقد نص ائمتنا اي صرح به علما المالكية على الاجماع اي اتفاق المالكية
على كفر من نفي عنه تعالى الوصف بها واعراه اي جعل ذاته عارية عنه غير متصفة
به عنها اي عن الصفات الذاتية وهذا مذهب بعض الفلاسفة ولا يدخل في
هذا المعتزلة الذين قالوا لا صفات له زايدة على ذاته وانما هو عين ذاته
ولا يدخل فيه ايضا بعض الصفات التي فيها اختلاف بين الاشاعرة والماتريدية
وهذا القول المذكور حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر
لانكاره صفة ثابتة بالنص كقوله تعالى حتى يسمع كلام الله ونحوه وهو اي سحنون
لا يكفر المتاولين اي الذين يتاولون النصوص ومن جملتهم المعتزلة النافون
للكلام فانهم يقولون معنى كلم الله موسى انه خلق كلاما في الشجر اسمعه موسى
لان الكلام اصوات وحروف حادثة لا تقوم بذاته فخالف كلامه هنا قاعدته
كما قدمناه في عدم تكفيره لمن باول فاما من جهل صفة من هذه الصفات الذاتية
كالعلم والقدرة ولم ينفها مستبصرا اي مستندا لدليل ولا جحدها عنادا
فاختلف العلما هاهنا اي في تكفيره وعدمه لعذره بجهله فكفره بعضهم
ولم يجعل الجهل عذرا له لوجوب النظر عليه وحكى ذلك اي تكفيره عن
ابي جعفر محمد بن جرير الطبري العلامة المفسر كما تقدم في ترجمته وغيره
من العلما وقال به اي ذهب الي مثل رايه في التكفير ابو الحسن الاشعري
امام اهل السنة وفي قوله مرة اشارة الي انه احد قولين له في هذه المسئلة
وذهبت طايفة من اهل السنة الي ان هذا اي جهله بصفة من صفات الله
تعالى الذاتية لا يخرجه عن اسم الايمان يعني انه مومن غير كافر فيطلق عليه
اسم ماخوذ من الايمان او اسم مفخم هنا كقوله الي الحلول ثم اسم السلام عليكما
واليه اي الي هذا القول بعدم تكفيره رجع الاشعري عن قوله الاول لترجحه
عنده وقيام الدليل عليه قال الاشعري انما لم نكفره لانه اي النافي لصفة
جهلها لم يعتقد ذلك اي انتفا تلك الصفة الذاتية اعتقادا يقطع بصوابه
لغيا مرد ليله عنده كالفلاسفة وانما قاله لجهله فهو معذور ومراده
دينا وشرعا اي يعتقده برايه كذلك وانما قاله توهما وجهلا وانما
يكفر من اعتقد ان مقاله وفي نسخة ما قاله اي قوله حق صواب موافق
للبرهان ومطابق للواقع واحتج هولا الذاهبون لعدم تكفيره بحديث
المراة والجارية السودا الذي رواه ابو داود في سننه وهو ان رجلا من الانصار
من زوجته ولزمه عتق رقبة فاتي بجارية نوبية وقال يا رسول الله
اعتق هذه فقال لا تجزيك الا ان تكون مومنة فقال سلها يا رسول
الله فقال لها اين الله فاشارت الي السما وقال لها من انا فقالت انت رسول الله
فقال له اعتقها فانها مومنة وكون هذا العتق كفارة ظهار قاله
التلمساني والذي في سنن ابي داود ان معاوية بن الحكم السلمي قال

باب والله

يا رسول الله لي جارية صككتها فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له افلا
اعتقها قال ايتني بها فجيت بها فقال لها اين الله الخ فعتقها انما هو كفارة لمن لطمها
واما كون الكفارة لا يجزي فيها الا رقبة مومنة فمختلف فيه فعند الشافعي ومالك
والاوزاعي اشتراط الايمان فيها وعند ابي حنيفة انه يجزيه غير المومنة الا في كفارة
القتل قيل وفيه اشكال لقوله اين الله واقرار الرسول لقولها في السما واشارتها
وليس كقوله تعالى وهو الذي في السما اله ولم يجب عنه وقد اجاب عنه ابن فورك
في كتاب كشف المشكل فقال اين موضوعة للسوال عن المكان وتوسعوا فيها فقالوا
اين فلان من فلان لبعد الرتبة المعنوية فقوله اين الله استعلام عن منزلته في
قلبها فاشارت الي السما اي هو رفيع الشان وعظيم المقدار كما يقال هو في السما
لعلو الرتبة وكانت خرسا فلذا اكتفي باشارتها ومن اصحابنا من قال ان قول القايل
الله في السما يريد به انه فوق السما من طريق الصفة لا من طريق الجهة على حد قوله
اامنتم من في السما ينكر عليه ذلك واما قوله انها مومنة فيحتمل انه صلى الله عليه
وسلم علمه بوحي وجعل اشارتها علامة ايمانها او سماها مومنة نظرا لظاهر حالها
لانه يكفي في المطلوب وقال ابن اللبان في كتاب المتشابه كلاته تعالى باسمايه
وصفاته محيطة بذواتي السموات والارض وفي تصرفها وسايط سفلية وعلوية
هي مظاهر تجلياته فتقرير الجارية انه في السما ووصفها بالايمان لم يعتبر فيه
ظاهر لفظها فانه لا يفيد التوحيد مع القول بالجهة وعدمه اما الثاني فظاهر
واما الاول فلانهم موافقون على عبادة الملايكة والكواكب وليس في اللفظ
ما يخرجها فيقتضي الايمان فالاقرب ان الجارية اشرق عليها نور التوحيد في
الافاق السماوية لقوله سنريهم اياتنا في الافاق فقولها في السما اي ظهر نور
توحيده فيها فقال انها مومنة دون مسلمة لان الايمان من القلب انتهى وقال
الشيخ الاكبر في الفتوحات ثبت في لسان الشارع اطلاق الاينية على الله ولا
يتعدي ما ورد منها ولا يقاس عليه كما في حديث السودا في قبول اشارتها
وقوله انها مومنة واعتقها والسايل بالاينية اعلم الناس وتاويل ذلك
وقبوله منها بانه لكون الالهة المعبودة في الارض وهو تاويل جاهل فان من
العرب من عبد الشعري انتهى وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها
اي من السودا النوبية التوحيد فاكتفي باشارتها الدالة على معرفة ذات الله
ولم يكلفها بشي من الصفات فدل على ان الجهل بالصفات لا ينافي الايمان
لعذرها بالخرس والجهل وكونها خرسا وقع في بعض الروايات ما يخالفه
وقوله لا غير مبني على الضم لحذف المضاف وتقديره وقال ابن هشام تبعا
للسيرافي غير تلزم الاضافة وتقطع عنها وتبني ان تقدمت عليها كلمة ليس
وقولهم لا غير لحن ورد بانه سمع من كلام العرب في قوله
جوابا به تنجو اعتمد فوربنا ❊ لعن عمل اسلفت لا غير تسال
وقد استعمله المصنف في مواضع عديدة وفيه كلام في شرح الكتاب
وحديث القايل الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذا

القايل كان نباشا الا انه لم يذكر كراسه وكان اوصى لبنيه فقال احرقوني وانظروا يوما
شديد الريح فذروني فيه فوالله لين قدر الله علي بتخفيفها لدالها من القدرة ه
وتشديدها بمعنى ضيق علي في الحساب والعقاب على ما ياتي وفي رواية رواها ابن
ابي حاتم عن الشعبي في تفسيره لعلي اضل الله مضارع بفتح اوله وكسر ثانيه من قولهم
ضلني فلان فلم اقدر عليه اي لم اجده وخفي علي لذهابه عني وفي النهاية لعلي
اضل الله اي افوته ويخفى عليه مكاني وقيل معناه لعلي اغيب عن عذابه يقال
اضللت الشي وضللته اذا لم تدر في اي مكان هو واضللته اذا ضيعته وضل
الناسي للشي اذا غاب عنه حفظه ويقال اضللته اذا وجدته ضالا لا كاحمدته
اذا وجدته محمودا انتهى وفيه كلام لابن فورك وهذا موذن بنفي القدرة عليه
وهو محل الشاهد لانه صفة من صفات الله والحديث عن حذيفة بن اليمان قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا حضره الموت فلما ييس من
الحياة اوصى اهله اذا انا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا واوقدوا فيه نارا حتى اذا اكلت
لحمي وخلصت الى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوما راحا فاذروه
في اليم ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال له لم فعلت ذلك فقال من خشيتك
ثم قال فغفر الله عز وجل له وروي من طرق اخر فيها اختلاف وهذا انما قاله على
سبيل الجزع وشدة الخوف والا فالله لا يخفى عليه شي وقيل هذا يدل على ان
القايل كان مسلما وفيه ما لا يخفى وفي الشرح الجديد قال ابن عقيل الحنبلي
هذا اخبار عما سيقع له يوم القيامة لا انه خاطب ووجه لانه لا يناسب قوله في
الحديث فجمعه الله بعد ما تفرق فانه انما هو في الجسد والرجل المذكور غلب
على طبعه الامور العادية بمقتضى طبعه وصار شعارا له مع انه مومن بان الله
قادر على كل شي فظن انه يعجز الله عنه وما ذكره ابن عقيل من انه اخبار
عما سيقع له يوم القيامة عدول عن الظاهر من غير مانع له في الدنيا فانظره
فانه كلام يحتاج الى التنقيح وراي الرجال المهذب قالوا اي ائمة الدين
ولو بوحث مجهول باحث بموحدة وحا مهملة ومثلثة اي فتش اكثر الناس
المسلمين عما يعملون ويعتقدون اي عن معرفتهم الصفات اي صفات الله
وكوشفوا عنها اي طلب كشف ما في قلوبهم باظهاره فانه قبل اظهاره كالشي
المستور فان القلوب صناديق مقفلة لما وجد جواب لو من يعلمها الا
القليل وفي نسخة الا قل وهم الخواص وغيرهم من الجهلة المقلدين
غافلون عنها وقد اجاب الفريق الاخر الذاهب الى التكفير من نفى صفة من صفات
الله ولو جاهلا عن هذا الحديث اي حديث القايل لين قدر الله علي الخ
بوجوه منها ان قدر بالتخفيف في رواية بمعنى قدر بالتشديد من
تقدير الله لا من القدرة ولا يكون شكه في القدرة على احيائه ليجازيه على
عمله اي على هذا التقدير لا يشك في قدرة الله بل في نفس البعث اي
احيا الموتى وحشرهم الذي لا يعلم كغيره من امور الاخرة التي لا تعلم
الا بالشرع بوحيه الله لرسله ولعله اي البعث لم يرد في زمن الرجل القايل

لذلك

لذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر عن احوال الامم السالفة بوحي من
الله فلم يكن ورد عندهم به شرع يقطع به عليه اي يقتضي علما يقينيا قطعيا فيكون
الشك فيه اي في البعث حينئذ اي قبل ورود الشرع لهم به كفرا اي يقتضي كفر الشاك فيه
وانما ما لم يرد به شرع فهو اي البعث من مجوزات بضم الميم وفتح الجيم والواو المشددة
اي ما هو جايز عقلا من غير سماع له من صاحب شريعة يجب اتباعه بل هو مما تجوزه
العقول جمع عقل وهو القوة المدركة وهذا بنا على ما ياتي انه من اهل الفترة او هو
من قوم لم تبلغهم دعوة النبي بنا على ما عليه المحققون من انهم غير مكلفين لقوله
عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والكلام فيه مفصل في محله من التفاسير
والاصلين او يكون قدر مخففا بمعنى ضيق كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه
ويكون ما فعله هذا الرجل بنفسه من توصية بنيه باحراقه وامرهم بتذريته
في الهوا اذا صار رمادا ازرا عليها اي تنقيصا وتحقيرا واهانة لها وغضبا
على نفسه العاصية لله لعصيانها بكثرة الفسق والمعاصي لا شكا في قدرة الله
على عادة ما نعرف من اجزائه فلا يحكم بكفره لذلك وقيل في الجواب ايضا انه انما
قال ما قاله مما وصى به بنيه وهو غير عاقل لكلامه اي وقد اختبل عقله فهو
غير مكلف ولا ضابط للفظه اي لا يعرف ما يلفظ به لانه هذيان منه ككلام النايم
والساهي مما استولى اي غلب عليه من الجزع من الموت على هذه الحالة والخشية
اي شدة الخوف من الله وعقابه التي اذهلت لبه اي عقله فلم يواخذ به
لانه غير مكلف وقيل كان هذا الصادر عنه هذا القول في زمن الفترة اي
انقطاع الوحي وطول الزمان الذي اندرست فيه الشرايع وحيث ينفع في
الاخرة بنجاة صاحبه من النار مجرد التوحيد اي معرفة ذات الله دون غيرها
من امور الشرايع فانهم معذورون بجهلهم وهذا يقتضي ان الجواب الذي
سبق بتقدير انهم ليسوا من اهل الفترة فيشكل حينئذ فتدبر وهذا يقتضي
ان اهل الفترة كانوا مكلفين بالتوحيد وهي مسئلة اصولية قال الامام
الرازي في المحصل وجوب النظر سمعي خلافا للمعتزلة ولبعض الفقها من
الشافعية والحنفية لنا قوله تعالى وما كنا معذبين الاية ولان فايدة
الوجوب الثواب والعقاب ولم يقبح منه تعالى شي من افعاله فلا يمكن
القطع بالثواب والعقاب من جهة العقل بالوجوب احتجوا بانه لو لم يثبت
الوجوب الذي لا يعلم صحته الا بالنظر فللمخاطب ان يقول لا انظر حتى اعرف
كون السمع صدقا وذلك يقتضي افحام الانبيا الجواب هذا لازم ايضا لان
وجوب النظر وان كان عندكم عقليا لكنه غير معلوم بضرورة العقل لما
ان العلم بوجوب النظر عند المعتزلة يتوقف على العلم بوجوب معرفة الله
تعالى والنظر طريق اليها لا طريق لها سواه وما لا يتم الواجب الا به واجب
وكل هذه المقدمات نظرية والموقوف على النظري نظري فكان العلم بالو
عندهم نظري فللمخاطب ان يقول لا انظر حتى اعرف وجوب النظر ثم
الجواب لا يتوقف على العلم بالوجوب والا لزم الدور بل يكفي الامكان

وهو حاصل في الجملة انتهى والكلام عليه مفصل في شروحه وانما اوردناه ليعلم
ان لو قف لبعض الشراح هنا في كلام المص لا وجه له وقيل ليست هذه الاجوبة مرضية
بل هذا اي قوله لين قدر الله علي من مجاز كلام العرب المراد بالمجاز هنا ليس معناه ابن افترس
الاصطلاحي بل المراد انه من طرق تهم في الكلام التي يتوسعون فيها ويجوز ارادة
حقيقته عند اهل المعاني ويناسبه ظاهر قوله الذي هو منزه عن الشك فهو عبارة
عما يظهر من فحواه ومعناه التحقيق اي امر اخر محقق عنده وهو اي هذا النوع
من الكلام يسمى عند اهل المعاني تجاهل العارف وهو نوع من البديع سياق
فيه المعلوم مساق المجهول لنكتة فقوله

ايا شجر الخابور ما لك مورقا • كانك لم تجزع على ابن طريف

وكره بعضهم تسميته بهذا وسماه مساق المعلوم مساق غيره لانه وقع في كلام
الله عز وجل ولا يليق ان يقال في حقه التجاهل والمجرى على متعارفهم فيه ابن افترس
وتسميته به انما هو في كلام الناس واليه اشار بعضهم بقوله وقد يسمى فان
قد يسور الجزئية وله امثلة في كلامهم فاذن وقع في كلام الله كقوله عز وجل
لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
ويعرفه بانه ان يسال العارف عما يعلمه فيه قصور لعدم صدقه على الاثنين دجي
فالصواب ان يعرف بما قدمناه وله في كل مقام نكتة يدركها حذاق المعاني
فالنكتة في البيت اظهار شدة الحزن بالمصاب الذي ينبغي ان يجزع منه كل شي
حتى الجماد وفي الاية انه ان قلنا ان لعل للترجي من الله لا للتعليل ولا للترجي
من موسى وهارون مع علم الله بان فرعون لا يتذكر ولا يخشى ولكنه اراد
اقامة حجر الملامة بعد معذرته وعلى الوجهين الاخرين ليس مما نحن
فيه فمن مشى عليه لم يات بشي وقوله وانا او اياكم الح الهم فيه الفريق عمي
المهتدي مع انه علم من سياق الاية ان المومنين هم المهتدون فان قوله
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا
في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ثم قال قل من
يرزقكم من السموات والارض يعلم منه ان خالق هذه المخلوقات العظيمة
الرازق لمن فيهما هو الحقيق بالعبادة والوحدانية وان من يعبده هو
المهتدي فابهامه انما هو لاقامة الحجة عليهم وهو كقول حسان
رضي الله عنه

اتهجوه ولست له بكفؤ • فشركما لخيركما الفداء

فليس في كلامه تهاون بالادب كما توهم فاما من اثبت الوصف اي وصف الله دجي
بصفاته الذاتية ونفي الصفة القايمة بذاته وهم المعتزلة وبعض الفلاسفة
القايلين بان صفاته عين ذاته لئلا يلزم تعدد القدما او قيام الحادث بذاته
واهل السنة اثبتوها وقالوا لا محذور في ذلك لانه انما يمتنع تعدد ذوات
قدما لا ذات وصفات كما تقدم والكلام عليه مفروغ منه في علم التوحيد الكلام
واشهر من قفا نبك والفرق بين الوصف والصفة ان الوصف معنى مصدري

قايم

قايم بالواصف والصفة معنى قايم بالموصوف كالكسر والانكسار وهما في الاصل بمعنى
واحد وقد يستعمل كل منهما استعمال الاخر فقال اقول ان الله عز وجل عالم بكل شي
من الكليات والجزئيات ولكن لا علم له زايد على ذاته كعلم البشر فعلمه عين ذاته لما تقدم ب
ومتكلم بكلام نفسي او بكلام حقيقي ولكن لا كلام له خارج عن ذاته وهكذا يقول المعتز
ومن وافقه على هذا القول في ساير الصفات فيقول مريد بلا ارادة وقادر بلا
قدرة زايدة على ذاته بل هي عنده عين ذاته على مذهب المعتزلة في نفيهم الصفات دون
الوصف بها ولذا لم يكفروا لانهم مثبتون لها في الجملة وهذا ان نظرنا الظاهر كلام
من قال من اهل السنة بالمال اي بما يول ويرجع اليه كلام المعتزلة والمراد لازم
مذهبهم وكلامهم الذي قالوه لما يوديه اليه فقوله انه عالم بغير علم وقادر بغير
قدرة ومتكلم بغير كلام ويسوقه اليه مذهبه من انه يلزم من نفي الصفة نفي الموصوف
بطريق برهاني قطعي عنده كفر اي كفر القايل بهذا المقال لما يلزمه وهذا مبني
على ان لازم المذهب مذهب وفيه خلاف في كتب اصول الفقه لانه اذا انتفى العلم
اي صفة العلم الزايد على الذات انتفى بحسب الظاهر وصف عالم لان معنى عالم من
قام به صفة العلم وهم ينفونها اذ لا يوصف بلفظ عالم الا من ثبت له علم اي
صفة غير ذاته هي العلم للزوم نفي الوصف المشتق بانتفا المشتق منه اذ لا
معنى له حقيقة غير ثبوته له فكانهم اي المعتزلة النافين للصفة المستلزمة
لنفي الوصف بعالم ونحوه صرحوا عنده اي عند المكفر لهم بما ادى اي اوصل
اللزوم له فادى اليه قولهم وهكذا عند هذا المكفر لان لازم المذهب عنده
مذهب فيكفر ساير فرق اهل التاويل من المشبهة المثبتين لله صفات تشبه
صفات عباده كما تقدم والقدرية بالمعنى الذي بيناه وغيرهم من الفرق
الضالة المبتدعة ومن لم ير اي يعتقد اخذهم اي مواخذتهم بما لو قولهم
ولازم مذهبهم وفي نسخة ومن لم يواخذهم الح ولا الزمهم موجب مذهبهم
الدال عليه فحوى ما ذهبوا اليه مما لا يليق بربه العزة لم ير اكفارهم ولم يحكم
بكفرهم لسقوط معنى الايمان لهم بحسب الظاهر وقال لانهم اي اصحاب هذا
المقال اذا وقفوا على هذا اي اطلعوا على ما الزم مذهبهم فوقفوا مبني للمعلوم
مخففا او مبني للمجهول مشددا اي اطلعهم من كفرهم على ما كفرهم به وفي نسخة
اذا ووقفوا بالواو قالوا مجيبين له نحن لا نقول لله انه ليس بعالم بل نبريه
مما فهموه من السلب لعطل الله عن العلم بل هو عالم بعلم هو عين ذاته
وهكذا ساير الصفات عند ابي الهذيل العلاف ونحن معاشر المعتزلة وانتم
اهل السنة نتفق فنتعالى من النفي ممن معنى نتبرا ولذا اسنده للعقلا
والانتفا صفة المعنى من القول بالمال الذي الزمتموه لنا معاشر المعتزلة
والفلاسفة ونعتقد نحن وانتم انه كفر ان حمل على ظاهره وما يعلم من فحواه
من نفي العلم عنه عز وجل بل نقول قولا اسلم من هذا انه قولنا الذي اشتهر
عن مقالتنا هذه لا يؤول اليه اي الى ما قلتم ان كلامنا يؤدي اليه على ما
اصلناه بتشديد الصاد المهملة اي اتخذناه اصلا وقاعدة بنينا عليها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعنى فانه لا محذور فيه اذ المحذور في القول بانه لا علم له ولكن لا نقول به بل نقول
يعلم بعلم هو عين ذاته وهكذا سائر الصفات والمشبهة عندنا هم المجسمة الذين
يأخذون بظواهر النصوص المتشابهة وغيرهم من اهل السنة يقولون نؤمن بظاهرها
ونفوض علم باطنها الى الله اذ لم يكلف بمعرفتها والمعتزلة يقولون لاهل السنة مشبهة
كما قال الزمخشري عفا الله عنه

وجماعة سموا هواهم سنة ۞ فهم لعمري كالحمير الموكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ۞ شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وهما فيما قال كما تقدم وعلى هذين المأخذين من النظر لمآل كلامهم والنظر لما اولوه
من تأويلهم اختلف الناس من علماء الملة واهل السنة في اكفار اهل التأويل بلازم
مذهبهم وعدمه بالنظر لمرادهم واذا فهمته اي فهمت المذكور من منشأ الخلاف
في تكفيرهم وعدمه اتضح وظهر لك الموجب اسم فاعل بمعنى المقتضي لاختلاف
الناس في ذلك التكفير وعدمه والصواب عند المحققين من الفقهاء واهل
الكلام ترك اكفارهم اي ترك الحكم بكفرهم والاعراض عن الحتم بحاء مهملة ومثناة
فوقية بمعنى القطع والجزم عليهم بالخسران اي بانهم خسروا والسبب كونهم
فانه هو الخسران العظيم واجراء حكم الاسلام عليهم في الدنيا لاعتقادنا انهم
مسلمون لهم ما لنا وعليهم ما علينا في قصاصهم اي القصاص لهم ومنهم
كسائر المسلمين وورثانهم ومناكحاتهم وديّاتهم والصلاة عليهم ودفنهم
في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم من المبايعة والاكل ذبائحهم وغير ذلك
التي بيّنها بقوله وراثتهم وما بعده من غير فرق بيننا وبينهم لصدق اسم
الايمان والاسلام عليهم لكنهم يغلظ عليهم بزجرهم وتعزيرهم بتوجيع
الادب من القيد والضرب والحبس وتشديد الزجر بنهرهم وقهرهم والهجر
اي ترك مجالستهم ومعاشرتهم ونحوه مما يشق عليهم من انواع الاهانة
حتى يرجعوا او يتركوا متباعدين عن بدعهم المخالفة لاهل السنة ويتفاوت ذلك
منعقا وفوقنظر الحالهم مما هم عليه وهذا ليس على اطلاقه كما يعلم مما
تقدم فان فيهم من حكموا بكفره وليس الكلام ۞ فيه وهذه الامور المذكورة
كانت سيرة اي الطريقة التي كان عليها الصدر الاول المراد بهم اهل العصر
الاول من الصحابة والتابعين ومن قرب منهم وهو مستعار من صدر الشيء
بمعنى اعلاه واوله فيهم اي في معاملتهم والحكم عليهم بما ذكر فقد كان
نشأ اي وجد وظهر على زمان الصحابة وبعدهم في التابعين على بمعنى في
من قال بهذه الاقوال المذكورة من القدر اي الاعتزال كواصل بن عطاء وعمرو
ابن عبيد ومعبد الجهني واضرابهم ورأي الخوارج الذين خرجوا على علي
وجرى بينه وبينهم ما جرى وهم فرق مختلفة لهم اعتقادات باطلة
واحوالهم ومذاهبهم مفصلة في المطولات واصحاب الاعتزال ومذاهبهم
مذكورة في كتب الكلام فما ازاحوا بزاي معجمة وحاء مهملة اي ازالوا لهم
قبرا في الصدر الاول ولا قطعوا اي منعوا لاحد منهم ميراثا بل ورثوه من

بيزهم

غيرهم او يرثه غيرهم منهم كسائر مواريث المسلمين لكنهم هجروهم بترك مخالطتهم وادبوهم
بالضرب والنفي تعزيرا لهم باخراجهم من ديارهم والقتل هذا على رأي من يجوّز التعزير
بالقتل برأي الامام لا قتل من استحق القتل منهم بسبب آخر كما قيد فانه لا يناسب قوله
على قدر احوالهم الموجبة لتاديبهم لانهم بسبب بدعهم فساق كغيرهم من الفسقة غير الكفرة
ضلال اهل ضلال وبدع عصاة اصحاب كبائر عطف بيان مفسر لما قبله عند المحققين
الذين لا يكفرون احدا من اهل القبلة واهل السنة عطف تفسير ممن لم يحكم بكفرهم
منهم اي لم يحكم بكفر اصحاب الآراء الباطلة لتاويلهم خلافا لمن رأى غير ذلك من تكفيرهم
ولم يكتف بتاديبهم بما تقدم وبما ذكرناه علم ان من قال المراد بالقتل التاديب
لا ازهاق الروح لم يصب وكذا قول من قال انه يدخل في كلامه القرامطة ونحوهم
ممن حكم بكفره فالاحسن ان يعبر باهل القبلة في كلام المصنف لف ونشر فان مذهب القدرية
والخوارج كان في زمن الصحابة والاعتزال انما فشا في زمن التابعين وذكر من
التاديب انواعا منها الهجر وقد ورد في الحديث النهي عن هجر المسلم فوق ثلاث الا
انه محمول على غير المبتدع والمتجاهر بالظلم والفسق او المحذور يعذر به شرعا
وعليه يحمل ما رواه ابن الصلاح من ان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه هجر عمار
ابن ياسر حتى مات وكذا عائشة هجرت حفصة وعثمان رضي الله عنه هجر عبد الرحمن
ابن عوف وكذا ما وقع لغيرهم واما الضرب فهو مفصل في باب التعزير من كتب
الفقه والنفي تعزير عندنا ويكون حدا عند الشافعي في الزنا على كلام وهل
يكون دون الحول او هو مفوض لرأي الامام فيه واما القتل فيكون تعزيرا
عند مالك دون غيره وقال ابن تيمية انه ذهب له غيره ايضا وسموه سياسة
وقيل وفي بعض النسخ القتل بقاف ومثناة فوقية فتأمله والله الموفق للصواب
منه الخطأ قال القاضي ابو بكر الباقلاني واما مسائل الوعد والوعيد وانه
لا يجوز تخلفه عند المعتزلة لقولهم بانه يجب على الله تعذيب العاصي واثابة
الطائع على ما قرروه في قواعدهم ومن فسر الوعد والوعيد بسؤال القبر وعذابه
لم يصب والرؤية اي انكار المعتزلة لرؤية الله في الآخرة والمخلوق اي قول المعتزلة
ان العبد يخلق افعاله لا قول المفوضة ان الله فوض الخلق لمحمد صلى الله عليه
وسلم كما قيل فانه كفر ليس مما نحن فيه وخلق الافعال اي قول المعتزلة
ان افعال العباد مخلوقة لهم كما ذهب اليه الجبائي واتباعه فهو كالتفسير لما
قبله وبقاء الاعراض وهي جمع عرض بفتحتين وهو ما لا يقوم بنفسه كالالوان
وهذا على مذهب الاشعري من ان الاعراض لا تبقى وهو مما ذهب الى خلافه
كثير من اهل السنة حتى قال السعد في شرح المقاصد انه مكابرة في المحسوس
واعجب منه ما قاله الشيخ الاكبر في الفصوص من ان الاجسام لا تبقى زمانين
ايضا واستدل بقوله تعالى بل هم في لبس من خلق جديد وهو مما خفي على كثير
من المحققين وقد افردت بيانه بتعليقة وتحقيقه انا نقول ان ما سوى
الله وصفاته فان كالا عند ارباب الكشف وهو معنى قوله كل شيء هالك
الا وجهه كما اشار اليه البيضاوي في تفسيره لا انها من ابتدا خلقها الى ظهور

ابن اقبرس

موضي

عرضي

دلجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونايها في تبدل وتغير الا انه لنقصه نقصانا في غاية لا يدركه الحس الا اذا اجتمع منه مقدار
يدرك الا ترى الشمعة التي تذهب اجزاؤها لا يحس نقصها في كل آن حتى يفني مقدار منها
له قدر كثير وهو امر محسوس الا انه كان على المصنف ان لا يذكره لخفائه والتوليد الذي
ذهب اليه المعتزلة والحكما كتوليد العلم من الدليل وحصوله عقبه كحركة المفتاح
بحركة اليد وهذا ايضا مما ينبغي تركه هنا وشبههما من الدقايق الفلسفية التي
ادخلها المعتزلة في الكلام فالمنع في اكفار المتاولين فيهما اوضح من القول باكفارهم لانها
لا يترتب عليها امر ديني اذ ليس في الجهل بشي منها جهل بالله حتى يكفر الذاهب اليها
ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيا منها كما تقدم في تفسير الكفر عنده وقد
قدمنا في الفصل الذي ذكر فيه من الكلام وصورة الخلاف ومعناه الذي فيه فقرة
في هذا النوع ما اغني عن اعادته لظهوره وقرب العهد به بحول الله تعالى وحكاية
عن مخالفة الحق فيه وفي غيره وبقية اعتقادات المعتزلة مذكورة في الكلام فلا
حاجة لتكثير السواد بها هنا كما في بعض الشروح

فصل هذا

اشارة لما ذكر سابقا حكم المسلم الساب لله تعالى وما يعد سبا وغيره مما
فصله قبل هذا وسمى ما قدمه من الفاظ الكفر سبا اما لانها مثله في ذكر
ما لا يليق بجلال الله او لانها تستلزم تكذيبه وهو سب وتسمية الساب
مسلما باعتبار ظاهر حاله وما كان عليه فلا اشكال فيه واما الذمي الكافر الذي
له ذمة وامان فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولم يذكر احد هنا
من رواه عنه في ذمي تناول من حرمة الله تعالى اي تكلم في حق الله بما لا يجوز
واصل التناول الاخذ باليد فتجوز به عما ذكر والحرمة ما يجب احترامه
وترك الخوض فيه غير ما هو عليه اي ما استقر عليه بما كفر من دينه اي مما
اعتاده او اعتقد انه دين له فانه يسمى دينا كما قال تعالى لكم دينكم ولي دين
وحاج فيه وجادل فيه وخاصم او اقام ما هو حجة بزعمه فخرج ابن عمر رضي الله
عنهما من داخل بيته عليه بالسيف يريد قتله فكانه سمعه يتكلم خارج بيته
فطلبه اي قصده ليضربه بسيفه فهرب منه لخوفه على نفسه وقال مالك فيما رواه
عنه في كتاب ابن حبيب اسمه عبد الملك كما تقدم وفي المبسوطة اسم كتاب
وابن القاسم في المبسوط كتاب ايضا وكتاب محمد بن سحنون رحمه الله تعالى
في فقه مذهب مالك من شتم الله تعالى عز وجل من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذي به كفروا كادعا الولد والشريك كما ياتي قتل ولم يستتب اي لم
يطلب التوبة ولم تطلب منه وقال ابن القاسم انه يقتل من غير استتابة
الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا باختياره من غير اكراه فان اسلام المكره غير
مقبول وفي صحته خلاف للفقها وفرق بعض الشافعية بين الحربي والذمي
فيصح من الاول دون الثاني قال اصبغ تقدم انه ابن الفرج لان الوجه اي
الامر من قول او فعل الذي به اي بسببه كفروا هو دينهم اي عادتهم ومعتقدهم

نبعا لابن الفرس

ولعله منهم ومشاهد نه سمي وجها وعوهدوا عليه اي اخذت عليهم العهود مع استقرارهم
عليه لا انهم اخذ عليهم العهد به في نفسه فانا لا نرضاه او هو متضمن معنى الاقرار فاندفع
ما قيل من انه كان ينبغي ان يقول تركوا عليه لقوله صلى الله عليه وسلم اتركوهم
وما يدينون لان العهد يكون على ما شرط عليهم وقوله اكره ان اقول اقررناهم
وانما اقول تركناهم غير مسلم من دعوى الصاحبة والشريك والولد بيان لما كفروا
به واما غيرها من الفرية اي الكذب والاختلاق على الله في غير ما كفروا به والشتم
كما قال تعالى فيسبوا الله عدوا بغير علم فلم يعاهدوا عليه اي لم يقروا عليه
هو نقض للعهد الذي عاهد الامام عليه اهل الذمة ومن انتقض عهده منهم
يخير فيه الامام بين القتل والرق والمن عليه وعند بعضهم يتعين القتل
قال ابن القاسم في كتاب محمد بن سحنون وقيل هو محمد بن ابراهيم بن المواز وقيل
انه نسبة للموز وهو ولد في رجب سنة ثمانين ومائة ومات سنة احدى وثمانين
ومائتين وقيل سنة سبع ومائتين بدمشق واختلف في لقاءه لابن القاسم
والصحيح انه روى عنه بواسطة ومن شتم الله تعالى من غير اهل الاديان
اي غير المسلمين بدليل قوله بعده بغير الوجه الذي ذكر في كتابه فانه صريح في
انه من اهل الكتاب ولا بد ان يراد بقوله في كتابه كتابه الذي حرف فان الكتب
الالهية ليس فيها كفر فهو على زعمهم او المراد كتب احكامهم التي وضعوها باتفاقهم
كما وقع لهم في زمن قسطنطين من اجتماعهم على ما اراد وتبوها كما فصل في الملل
والنحل وهذا ابنا على ان الكفر ليس ملة واحدة ولذا اجمع الاديان او المراد بالكتاب
ما كتبوه من عند انفسهم او اتفقوا عليه تسمحا فعلم الجواب عما قيل ان في عبارته
تناقضا وان قوله من اهل الاديان يقتضي انه لا كتاب وقوله في كتابه يخالفه
والكفر كله ملة واحدة قتل الا ان يسلم فلا يقتل فان الاسلام يجب ما قبله
وهذا كله مذهب مالك رحمه الله وقد ذهب الشافعي والحنفية فيه ما يخالفه
وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل من سب
الله حتى يستتاب اي تعرض عليه التوبة مسلما كان الذي سب او كافرا فان
تاب ورجع عما صدر منه قبل ذلك والا قتل لنقض عهده وقال مطرف بن عبد الله
كما تقدم وعبد الملك هو ابن الماجشون مثل قول مالك وقال الشيخ ابو محمد
ابن ابي زيد صاحب الرسالة وقد تقدم ولا يخفى ان هذا الخلاف ما تقدم
عنه فهو قول اخر من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان
يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل هذا وقد تقدم ان ابن الجلاب
هو البغدادي لمن رواه بفتح الجيم واللام المشددة واخره موحدة
وذكرنا قول عبيد الله بن يحيى وابن لبابة بضم اللام كما تقدم وشيوخ
الاندلسيين من علما المالكية في المراة النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها
بالوجه الذي كفرت به لتصريحها بما لا تقر عليه مثله لله متعلق بسبها
الا ان تسلم وتنبيه عليه اشار اليه ان في المسيلة غير الذي ذكره وفتياهم
بقتل الساب للنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم اي فقها الاندلس

ابن الفرس
غيره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على ذلك اي قتل من سب بما كفر به وهو اي هذا القول الذي اجمعوا عليه نحو
القول الاخر في هذه المسئلة فيمن سب منهم اي من اهل الذمة النبي صلى الله
عليه وسلم بالوجه الذي كفر به كانكار نبوته فيقتل الا ان يسلم طوعا ولا فرق في
ذلك اي قتله بما كفر به من سب الله سبحانه وتعالى وسب نبيه صلى الله عليه
وسلم لانا عاهدناهم حين عقدت لهم الذمة على ان لا يظهروا لنا شيا من كفرهم
ونتركهم على ما هم عليه فيما بينهم وان لا يسمعونا شيا من ذلك الكفر الذي
كفروا به باي طريق كان فمتى فعلوا شيا منه من ذلك فهو نقض منهم لعهدهم
لمخالفته لعهدهم وهذا كله اشارة الى ما في العهود العمرية التي وقعت حين
فتح المسلمين لبلادهم فكل ما شرط الامام مخالفته نقض عهده موجب للقتل
واختلف العلما من السلف في الذمي اذا تزندق بظهور علامات تدل على انه
مبطن لما يخالف دينه ويخالف دين الاسلام فلا يبقى على دين اصلا فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر يعني الزندقة وقال
عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد يعني من المسلمين
فاذا قتل به المسلم فغيره بالطريق الاولى وتسميته دينا تسامح فانه لا دين له
ولا يؤخذ عليه جزية كمن انتقل من اليهودية للنصرانية مثلا وقد
شذ في قوله هذا كما قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره اذ لم يقله احد من
المالكية ودليله في غاية الضعف وعند الشافعي انه لا يقر عليه والصحيح
عنده انه لا يقبل منه الا الاسلام وقيل يقبل منه كل دين يساوي دينه واذا
انتقل الذمي لدين اخر فيه خلاف عنده مبني على ان الكفر ملة واحدة
او ملل متعددة

فصل

المذكور في الفصل الذي قدمه حكم من صرح بسبه عز وجل
واضافة اي نسبة اليه ما لا يليق بجلاله اي عظمته والاهيته اي كونه
الها والاضافة ضم شي الى شي فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى
والافترا تعمد الكذب فهو اخص منه بادعا الالهية اي انه اله كفرعون
لعنه الله والرسالة كمسيلمة الكذاب او النافي ان يكون الله خالقه او
نفي ان يكون الله ربه بل رب غيره او قال ليس لي رب بانكار انه خلقه
وهو في معنى ما تقدم لكنه افاد تعديد الفاظ الكفر او المتكلم بما لا يعقل
بالبنا للمجهول من ذلك من ادعا الالوهية او الرسالة او نفي الخالقية او
الربوبية في حال سكره وغيبة عقله او غمرة جنونه اي شدة اذهبت
عقله وهي بفتح الغين المعجمة وسكون الميم فرا مهملة من غمره الما
اذا غطاه ثم استعير لكل شدة يقال غمرة الموت وغمرة الفتنة فلا
خلاف في كفر قائل ذلك اي شي منه ومدعيه اي الذي يقوله ويدعي حقيقته
مع سلامة عقله لافترايه الكذب على الله قال تعالى انما يفتري الكذب

الذين

الذين لا يؤمنون بايات الله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وسياتي
حكم من زال عقله كما قدمناه اي القول بكفره وبيان وجهه لكنه تقبل توبته على القول
المشهور وتنفعه انابته اي رجوعه الى الله وهي عبارة عن التوبة وعبر بها تفننا
وتنجيه من النجاة مضارع بضم اوله اي تخلصه من القتل فيئته بفتح فا فتحتية
مثناة ساكنة وهمزة مفتوحة وتا موحدة مصدر فا بمعنى رجع وكله تفنن وذكر
هذه الفقرات اشارة الى انه بعد انابته لا يبقى عليه عهدة في الدنيا ولا في الاخرة
لا للاعتنا به ولذا قال لكنه لا يسلم في الدنيا من عظيم النكال اي العقوبة من النكل
وهو القيد ولا يرفه اي ينفس عنه ويخفف وهو بضم اوله وتشديد فايه عن
شديد العقاب ليكون ذلك النكال والعقاب زجرا اي ردعا مانعا لمثله ممن يتوقع
منه قول مثل قوله من قوله اي مثل فعله ذلك المفتري على الله وزجرا له اي لذلك
القايل او لا عن العودة لما تاب عنه لكفره بما قاله افترا على الله تعالى مع علمه بما
فيه من الجحد او جهله لسفاهة منه لتفوهه انه امر واقع الا من تكرر اي وقع
ذلك الافترا منه مرارا وعرف استهانته اي عدم هيبته واهانته لعدم مبالاته
به بما اتى به بما كفر به فهو دليل على سو طويته اي ما اخفاه من سو الاعتقاد
وسمي المضمر طوية تشبيها بما طوي في داخل غطا يغطيه ودليل على كذب توبته
وانه انما تاب خوفا من العقوبة وصار بما ذكر كالزنديق الذي يظهر الاسلام
ويخفي الكفر الذي لا نامن مع ما ذكر باطنه مما اخفاه من كفره فقد ينم منه شيا
من ذلك ولا يقبل رجوعه لما علم من سو عقيدته وما اخفاه مما اذا وجد
فرصة عاد اليه وحكم السكران في عقوبته وتكفيره حكم الصاحي في مؤاخذته
بما صدر منه لتعديه بسكره فيغلظ عليه والسكر غيبة العقل بما تعاطاه من
اثم وللفقها فيه حدود كلها ترجع للعرف والعادة وهو يختلف باختلاف المزاج
لتغريف ولذة كما لا فاوله نشاة وفرح واوسطه فوق ذلك فهو تراخ في
الاعضا واخره زوال العقل وسقوط الحركة ولذا اختلفوا فيه هل هو مكلف
ام لا على اقوال ثلاثة ثالثها ان تعدي بسكره يجري عليه احكام التكليف من طلاقه
وضمانه وكفره واسلامه فان لم يتعد كان اكل او شرب لغذا او واضطر لاساغة
لقمة او شدة عطش لم يكلف ونزل عليه قول المص حكمه حكم الصاحي واما المجنون
وهو الذي زال عقله بالكلية وهو معلوم والمعتوه من العته وهو
اختلال في العقل دون الجنون بحيث يكثر ذهوله ونسيانه ويخلط كلامه
احيانا حتى يشبه المجنون لكنه يتنبه بتنبيه غيره له ويختل افعال
معاشه فما علم انه قاله من ذلك السب ونحوه في حال غمرته بغين معجمة
مفتوحة وميم ساكنة اي ذهاب عقله بالكلية وقد سمعت تحقيق معنى الغمرة
قريبا وذهاب ميزه بفتح الميم وسكون المثناة التحتية وزاي معجمة
اي تمييزه وادراكه بالكلية بحيث لا يعقل اصلا ولا يفهم شيا فلا ينظر فيه
اي لا يتعرض له ولا يحكم عليه بكفر ولا غيره لانه غير مكلف فلا يؤاخذ بما
يصدر منه وما فعله من ذلك السب ونحوه في حال ميزه اي تمييزه لما

عقله

بعيدا زمنه وهو من جنونه منقطع غير مطبق وقوله وان لم يكن معه عقله اما ان يريد به لم يكن عقله مستمرا لتقطع جنونه او يريد عقله الكامل بان يدرك امرا دون امر والايتنا فيض كلامه لان من لا عقل له لا تمييز له ويسقط تكليفه لجنونه وان كان له تمييز ما ادب مبني للمجهول اي بضرب ونحوه على ذلك العقوق وزجر عنه اي منع بنهيه وتخويفه كما نرى بعض المجانين يخاف من الضرب والزجر وفي نسخة لينزجر عنه كما يؤدب على قبايح الافعال غير ذلك اذا اصدر عنه ويوالى مبني للمجهول اي يكرر ادبه مرارا لان التكرار له شدة تاثير حتى في البهايم وغيرها كما قال

اما ترى الحبل بتكراره • في الصخرة الصماء قد اثرا

كما تؤدب البهيمة التي لا تعقل كالفرس والحمار على سوء الخلق كحران ورفس وغير ذلك حتى تراض اي تنقاد وتستقيم افعالها من الرياضة في الامور وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى الالهية له بان قال له انت الله اي احرقه بالنار لكفره وهو كما في تاريخ الصفدي نصير مولى علي رضي الله عنه لما قال له انت الله فحرقه بالنار فقال وهو يحترق لو لم تكن الها لم تعذب بالنار واليه تنسب الفرقة النصيرية وهم فرق منهم ادعوا ان في علي جزءا وولده جزءا من الالهية وقالوا بظهور الروحاني بالجسماني امر معقول كظهور جبريل في صورة البشر الى اخر ما حكاه عنهم وقول التلمساني هو عبد الله بن سبا وانباعه قالوا له انت اله حقا فنفاه الى المداين كلام متناقض الا ان يريد نفي اتباعه ولا قرينة تدل على هذا وقد سبق قلم من ان التحريق بالنار لا يجوز لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه لا يعذب بالنار الا خالقها وكان امر بتحريق ناس ثم نهى عنه منسوخ فان كان قتلهم ثم احرقهم تمثيلا بهم فهو مذهب له لان الصحابة مجتهدون ومن احرق رجلا فعلى القصاص بمثل فعله عن مالك روايتان وما روي عن بعض الصحابة من التحريق فيه كلام ليس هذا محله فالصحيح المنع منه وقد قتل عبد الملك بن مروان هو احد الملوك من بني مروان وترجمته معروفة مشهورة في التواريخ الحارث المتنبي وصلبه اي الذي ادعى النبوة وهو الحارث بن سعيد الكذاب وله ترجمة في الميزان وتاريخ الذهبي وعبد الملك ليس ممن يستدل باقواله وافعاله فلعله استانس به لانه في عصر السلف ولم ينكروا عليه ذلك كما يشير اليه قوله وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم ممن قال مثل قولهم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم اي تصويبه او هو من اضافة الصفة للموصوف وذلك لكذبهم على الله بادعاهم وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في انه خاتم الرسل وانه لا نبي بعده واجمعوا ايضا على ان المخالف في ذلك اي تكفيرهم بما ادعوه من كفرهم هو مفقود المخالف اي من خالف منكم في تكفيرهم فقال لا يكفرون كافر لانه رضي كفرهم وتكذيبهم لله ورسوله واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر بالله ابو الفضل جعفر بن المعتضد

بالله

ابي العباس احمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد الخليفة العباسي من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد على قتل الحلاج الحسين بن منصور المشهور ويأتي ترجمته وسمي حلاجا لانه جلس يوما على حانوت حلاج واستقضاه حاجة فقال له الحلاج انا اشتغل بالحلج فقال له امض لحاجتي حتى نحلج لك فمضى الحلاج في حاجته فلما عاد وجد قطنه كله محلوجا وكان لا يحلجه عشرة رجال في ايام متعددة فمن ثم قيل له الحلاج وصلبه اي صلب الحلاج بعد قتله لينزجر امثاله واتباعه لدعواه الالهية اي قوله انا الله كما هو مشهور عنه ودعواه الحلول اي ان الله يحل في بعض الناس ويظهر بصورته كما ظهر جبريل عليه الصلاة والسلام بصورة دحية رضي الله عنه او يسري فيه سريان الماء في العود الاخضر كما قاله بعض الملحدين وهو امر باطل زينه لهم الشياطين وليس هذا وحدة الوجود التي ذهب اليها الصوفية كما بينه السيد الشريف في شرح التجريد وقوله اي الحلاج انا الحق يريد انا الله لان الحق من اسمائه تعالى مع تمسكه في الظاهر من احواله وامور بالشريعة ولم يقبلوا توبته لتكرر ذلك منه واعلم ان الحارث المتقدم قيل انه ابن عبد الرحمن مولى ابي الجلاس العبدري نزل دمشق واظهر الزهد والعبادة ثم خلي به وزين له الشيطان اعمالا لا اضل الناس بها فكان ياتي المسجد وينقر رخامة به فتسبح ابلغ تسبيح حتى يصيح الحاضرون فياخذ عليهم العهود وان يكتموا امره ويطعم اصحابه في الشتاء فاكهة الصيف وفي الصيف فاكهة الشتاء ويري الناس اشباحا على خيول ويقول هم الملايكة وادعى النبوة وكثر اتباعه وشاع امره فطلبه عبد الملك فاختفى وذهب الى القدس فركب اليها الخليفة واتى برجل ممن يجتمع به فاعلمه اين هو فارسل معه طايفة من الجند وكتب لنايبه بالقدس ان يطيع امره فياخذ معه جماعة معهم شموع وقال اذا امرتكم اوقدوها في الطرق ثم اتى داره ليلا وقال لبوابه استاذن لي على نبي الله فقال ليس هذا وقت اذن فصاح على من معه حتى اوقدوا الشموع وصار الليل كالنهار فهجم عليه فنزل سردابا اعده واختفى فيه فقال اصحابه انه رفع للسماء فهيهات ان تصلوا اليه فدخل سردابه واخرجه وسلمه للجند فاخذوه وقيدوه وشدوه في سلاسل فكانت تسقط وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فلما اتوا به عبد الملك صلبه ومثل هذه القصة قصة المقنع وغيره مما ظهر في صدر الاسلام واما المقتدر فهو كما علمت ابو الفضل جعفر ابن المعتضد العباسي توفي مقتولا في شوال سنة عشرين وثلاثمائة واما ابو عمر قاضي القضاة في زمن المقتدر فهو محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسمعيل كما مر الازدي البغدادي كان من خيار القضاة جلالة وعلما وعقلا وذكا وصلاحا وروي عنه وهو من الثقات توفي سنة عشرين وثلاثمائة في رمضان واما الحلاج فهو كما علمت الحسين بن منصور وقيل كان ابوه من مجوس فارس والحلاج في اول امره صحب الجنيد والثوري والمشايخ مع الزهد ولزوم العبادة

الناشية ببغداد واختلف في امره فقيل انه ذهب في سياحته للهند وخراسان وتعلم
السحر واظهره في صورة الكرامات واستمال به الناس وسكن بغداد وبنى بها دارا له
واتخذ بها املاكا كثيرة وصار يدعو الناس حتى شاع امره فوقع بينه وبين الشبلي
وداود الظاهري والوزير علي بن عيسى لما شاع عنه من الاخبار بالمغيبات واظهار
الامور الخارقة فقيل انه شاخرذ وشعبذة ومخرقة وله معرفة بالطب والكيميا
وغير ذلك من علوم الحكما فقيل انه ادعى الالوهية واظهر الزندقة وكتب
عليه محضر بذلك فقتل واحرقت جثته في يوم الثلاثا السبع بقين من ذي القعدة
سنة سبع وثلاثمائة بامر المقتدر بالله وحكي انه طلع المؤذن يؤذن فسمعه فقال
للمؤذن كذبت فاستفتي عليه فقالوا يرمى عنقه ويحرق فقال لاخته اذا انا
رمي عنقي وصلبت فخذيني بعد الحرق فالقي من رمادي على الدجلة ببغداد ثم
انها فعلت ما قال لها فاشرفت بغداد على الغرق ولما ان رمي عنقه صارت
راسه تنط وتقول الله الله الله والناس ينظرون اليها وقيل انه قبل ذلك
وضع بالسجن فصور في حايط الحبس صورة مركب وقال للمحبوسين قوموا اذكروا
الله تعالى ثم الهمهم فعلوا ذلك حتى غابوا عن الحس فاذا هو وهم دخلوا في
المركب المصورة ونجوا جميعا وقيل انه حفر حفرة واوقد فيها بالنار ووضع
فيها هاون ثم انه بقي كالجمر وقال لاهل المدينة وللاولياء كل من كان صادقا بالله
فليتقدم ويقف على الهاون داخل النار فلم يتقدم احد ثم انه تقدم ووقف
عليه فذاب تحت اقدامه حتى صار كالما وذهب كثير من المشايخ الى انه من اولياء
الله منهم الغزالي واعتذر عما صدر منه في كتاب مشكاة الانوار واورد ابن
الجوزي ترجمته بتاليف مستقل وصح عن الشبلي انه قال كنت انا والحلاج
شيا واحدا الا انه اظهر وكتمت وقد شهد بولايته كثير من كبار المشايخ وقالوا انه
عالم رباني منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني وقال عثر الحلاج ولم يكن له من
ياخذ بيده ولو ادركت زمانه لاخذت بيده وقال ان قوله انا الحق انما قاله
لما غلب عليه شوقه وسكر من كاس محبته حتى غاب قدرته في كل شي فكل شي
راه ظنه قدحا وكل شخص راه ظنه الساقي وهو مقام الجمع عندهم لكن اهل
الشرع حفظوا حمى الشريعة ولذا اسكت عن حالة بعضهم وقال تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والاعتقاد خير من الانتقاد والكف اسلم
قال الشاذلي اضطجعت في المسجد الاقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير
افواجا فقلت ما هذا الجمع قالوا جمع الانبيا والرسل قد حضروا ليشفعوا
في حسين الحلاج عند محمد عليه الصلاة والسلام في اساة ادبه ووقعت منه
فنظرت الى التخت فاذا نبينا عليه الصلاة والسلام جالس عليه بانفراده
وجميع الانبيا على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح
فوقفت انظر واسمع كلامهم فخاطب موسى محمدا فقال له انك قلت علما امتي
كانبيا بني اسرائيل فارني منهم واحدا فقال هذا واشار الى الغزالي فساله
موسى سوالا فاجابه بعشرة اجوبة فاعترض عليه موسى بان السوال ينبغي ان

وفاته

يطابق

يطابق الجواب والسوال واحد والجواب عشرة فقال له الغزالي هذا الاعتراض وارد عليك
ايضا حين سيلت وما تلك بيمينك يا موسى وكان الجواب هي عصاي فعددت لها اصنافا
كثيرة قال فبينا انا متفكر في جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالسا على التخت
بانفراده والبقية على الارض اذ رفسني شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت فاذا القيم
يشعل قناديل الاقصى فقال لا تعجب فان الكل خلقوا من نوره فخررت مغشيا
فلما اقاموا الصلاة افقت وطلبت القيم فلم اجده الى يومي هذا ومن هنا قال صاحب
البردة وانسب الى ذاته ما شيت من شرف وانسب الى قدره ما شيت من عظم كذا في
المحاضرات وكذلك اي كما حكموا في الحلاج حكموا في ابن ابي العزاقير هو في بعض
النسخ بعين معجمة ورا مهملة والف بعدها قاف وياء مثناة تحتية ودال مهملة
وروي بزاي معجمة بدل الرا وبيا مثناة وبدونها وقيل انه اصوب وقال
البرهان انه قيل ان صوابه ابن ابي العواقر والصواب الاول والنجم عزاقر
او عزاقر ومنه بقيع العرقد وهي مقبرة المدينة والعرقد شجر معروف والمذكور
هو محمد بن علي بن ابي العزاقير وكان شاع امره ببغداد وادعى الالوهية وانه
يحيي الموتى وادعى التناسخ والحلول فشاع وكثر اتباعه وضل به ناس كثير
فطلبه الراضي فهرب وغاب سنين ثم عاد فهجم عليه ابن مقلة وامسكه
فاثبت كفره وكتب عليه القضاة وافتوا بقتله فقتل واحرقت جثته في سنة
اثنين وعشرين وثلثمائة وتبعه على حاله المذكور ابن ابي عون صاحب كتاب
التشبيه فقتل معه وكان ابن ابي العزاقير على نحو مذهب الحلاج فيما
ادعاه مما نسب اليه وقد علمت ما فيه بعد هذا اي قتل الحلاج وصلبه
ايام الراضي بالله بن المقتدر بالله وله ترجمة تقدم لبعض منها قريبا
وقاضي قضاة بغداد اذ ذاك يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي بن
يوسف بن يعقوب الازدي الذي تقدم ذكره قريبا وقال محمد بن عبد
الله بن عبد الحكم في المبسوط من تنبا بهمزة تبدل الفا في الاكثر اي ادعى
النبوة قتل لما تقدم كما تقدم وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد
اي تعمد الكذب ونفى ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب خلقني فهو مرتد
فله حكم المرتد المشهور في كتب الفقه وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب المعروف
عند المالكية وفي كتاب محمد وفي العتبية ومحمد هو ابن سحنون او ابن المواز
فيمن تنبا وادعى النبوة يستتاب تطلب توبته سوا اسر ذلك اي اخفاه او اعلنه
اي اظهره وهو كالمرتد في احكامه وقاله سحنون وغيره وقاله اصبغ في حق رجل
يهودي تنبا وادعى انه رسول من الله ارسله الينا ان كان معلنا بذلك اي
مظهرا لما قاله استتيب فان تاب فذاك والا قتل لانه اظهر امرا غير
ما كفر به وقال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة المشهورة من
لعن باريه بهمزة تبدل يا من برا الخلق اذا وجدهم لعيب مثالا وادعى
ان لسانه زل اي اخطا ولم يرد ان يقول ذلك وانما اراد ان يقول لعن
الشيطان فلا يمكن بل يقتل بكفره ولا يقبل عذره بقوله انه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لساني زل خطا لما علم من كذب اليهود وحيلهم وهذا على القول الاخر من احد القولين في
مذهب مالك من انه لا تقبل توبته وفيما ذكره عن ابن الجوزي يدمن ان الخطا وسبق
اللسان لا يقبل نظيرها في مسلم ان رجلا اراد ان يقول اللهم انت ربي وانا عبدك
فقال انت عبدي وانا ربك لدهشته وسبق لسانه اليه ولم يؤاخذ به ولا
شك ان مثله معفو فلعله لم تقم قرينة على تعمده او لظهوره لم يحتج لبيانه فلا
يرد عليه اعتراض كما توهم فانه اجل من ان يخفى عليه مثله وقد تقدمت
هذه المسئلة في كلامه ولذا اختص القايل بانه يهودي اذ المسلم لا يؤاخذ بمثله
وقال ابو الحسن القابسي الذي تقدمت ترجمته في سكران قال في حال سكره
انا الله انا الله فتكراره يدل على تعمده فيما قاله ان تاب عن مقاله وادعى عدم
قصده ادب بالبنا للمجهول بضربه وزجره ونحوه مما يراه ولسكره وغيبة عقله
ومبادرته لم يقتل فلا وجه لما قيل انه مخالف لما قيل في الحلاج واضرابه كما
يخفى فان عاد الى مثل قوله انا الله مكررا طولب مطالبة الزنديق لانا لا نامن
باطنه وخبث طويته لان هذا العود وتكراره كفر ككفر المتلاعبين بالدين
المستخفين المتهاونين كما هو داب الزنادقة الذين لا يدينون بدين اصلا
وهذا ابنا على ما تقدم من انه يعامل معاملة الصاحي كما تقدم وهذا مذهب
مالك وعند غيره فيه خلاف مبسوط في كتب الفقه

فصل وامّا

من تكلم لشيء من سقط القول السقط بفتحتين الخطا والامر الذي
لا يعتد به حتى يستحق ان يسقط ويطرح وبمعنى الفضيحة والوهم في
الكلام وسخف اللفظ السخف بضم فسكون بسين مهملة وخا معجمة وقلة
قلة العقل والمراد به ما ينشا منه من الالفاظ السخيفة الركيكة من لم يضبط
كلامه واهمل لسانه اي اطلقه في الكلام فتكلم من غير تدبر وفكر فشبهه بدابة
تهمل ولا تربط والاصل في الضبط انه بمعنى الامساك باليد والمراد به
انه لم يتبين ولم يحفظ لسانه وهو من الكناية بما يقتضي الاستخفاف اي
الاهانة والتحقير من غير مبالاة واصله عد الشي خفيفا وغير به عما ذكر
وهو متعلق بتكلم او باهمل بمعنى اطلق بعظمة ربه والشي العظيم لا يكون
خفيفا متوهنا في موقع حسن اي ما قدر الله حق قدره حيث استخف بمن
هو اعظم من كل عظيم فهو سخف وحماقة وجلالة مولاه اي سيده والعبد
الذليل اذا استخف بسيده الجليل حقيق بكل تذليل او تمثل مضارع مثل
المشدد لبعض مفعوله وفي نسخة تمثل بمثناة ما من الاشيا اي الامور
غير ذات الله وصفاته ببعض ما عظم الله من ملكوته تقدم ان الملكوت
مبالغة في الملك ويراد به عالم الامر وهو ما كان مغيبا عنا من الملايكة
والسموات والعرش ونحوه اي جعله مثله كان يشبه محمد وحاله بجبريل
او عد واله بملك الموت ونحوه مما يدل على سخافة عقله ودينه او تقول

فص

بم الملك كعبة يطوف بها او نزع بنون وزاي معجمة مفتوحة وعين مهملة اي اخذ
وذهب في وصفه من الكلام لمخلوق مما لا يليق اي لا يحق وينايب الا في حق خالقه
كان يقول يا ذا الجلال والاكرام ونحوه كفر وجل غير قاصد بما قاله للكفر والاستخفاف
اي الاهانة ولا عامد اي متعمد للالحاد اي الميل عن الحق او الشرك بالله فانه
احد معانيه كما في العربين واصل معناه الميل فان ما صدر عنه لجهالة وسخافة
عقله فان تكرر هذا القول منه وعرف به اي اشتهر بين الناس قوله لمثله دل
تكرر صدوره منه على تلاعبه بدينه اي عدم مبالاته به كاللعب واللهو فان
من تقيد بدينه لا يقدم على مثله واستخفافه بحرمة ربه اي ما يلزمه احترامه
وصيانته ودل ايضا على جهله بعظيم عزته وكبريائه هو بالمد بمعنى غاية
العظمة في شانه سبحانه وتعالى اي تنزه وعلا جناب عزته عن مخلوقاته وهذا
المذكور كفر لا مرية فيه اي لا شك في كونه كفرا وتقدم ان ميمه مكسورة وتضم
وكذلك يكفر ان كان ما اورده مما صدر عنه يوجب وفي نسخة يقتضي الاستخفاف
والاهانة ويجربه اي يحمله على عظيم عزته والتنقص لربه اي التنقيص
لكماله باهانته وقد افتى عبد الملك بن حبيب وقد تقدمت ترجمته واصبغ
ابن خليل ابو القاسم من فقها قرطبة ذكره الذهبي في الميزان وقال انه كان
يتهم بالكذب توفي في سنة ثلاث وسبعين وقيل سنة ست وخمسين ومايتين
بقتل الرجل المعروف بابن اخي عجب ويروى اخت عجب بفتحتين علم زوجة عبد
الرحمن الاموي امير قرطبة ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث المعنوي
وهي عمة الرجل المذكور كما يانجي وكان هذا الرجل خرج يوما من منزله
فاخذه المطر اي وقع عليه فبله حتى كان اخذه وعاقه عن مقصده
فقال بدا بهمزة اخره اي شرع وابتدأ الخراز بفتح الخا المعجمة وتشديد
الرا المهملة والف وزاي معجمة من الخرز وهو ثقب الجلود للخياطة
كالخفاف والقرب وهي تبل ويرش عليها الما عند خرزها لتلين يرش
جلوده جمع جلد وهو معروف ويرش مضارع غايب من رشه يرشه اذا
بله بالما ويروى يرش بالجر فشبه اديم السما بجلد واه يخاط حتى يمسك
الما فكان المطر نزل عليه من قربه بالية تنزقع وفيه سخافة لا تخفى فاراد
بالخراز فيوم السموات او ملايكته وعلى كل حال فهو تلاعب وكان بعض الفقها
بها اي بقرطبة في ذلك الزمن ابو زيد صاحب الثمانية بوزن العدد
المعروف وقيل انه ضبط بضم المثلثة وميم والف ولون مكسورة بعدها
يا مشددة ولم يعثر فيه وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا
اي لم يحكموا او احجموا عن سفك دمه اي قتله لعدم ما يقتضيه لانه
لم يصرح باسم الله وانما شبه السحاب بشي بال ومثله لا يعد كفرا واشاروا
اي قالوا برايهم فيه الى انه اي ما قاله عبث من القول اي كلام لا معنى
له يعتد به كهزل من اعتاد الهزل والعبث مما لا يعتد به يكفي فيه الادب
اي التاديب والتعزير دون القتل وافتى بمثله اي انه عبث يؤدب قايله

القاضي حينئذ اي حين اذ وقعت هذه القصة وهو موسى بن زياد قاضي قرطبة
فقال ابن حبيب دمه في عنقي اي انا احكم بقتله واراقة دمه فان كان فيه
وزر فقتلته وعلي وزره وجزاؤه في الدنيا والاخرة والعنق عضو معروف
ويقال اثم كذا في عنقه اذا لزمه كما قال تعالى الزمناه طائره في عنقه وهو
كناية او استعارة ايشتم ببنا المجهول من باب فاعله وجعله شتما بنا على انه
اراد بالجار الله عز وجل عبدناه كناية عن عظمته وانه اهل للعبادة
والخضوع فكيف يشتم ثم لا ننتصر له اي نغار لما يخالف حقه وما يجب له انا
اذن اي اذا لم ننتصر لعبيد سوء اذ لم يقوموا بحق سيدهم ومن لهم وما كنا
له بعابدين لم نحق عبادته لرضانا بما قيل فيه وبكى لغيرته وخوفه من الله
ورفع المجلس اي ذكر واعلم بهذه الواقعة اي خبره وما وقع فيه فاطلق عليه
كقوله واسئل نجدك يا كليب المجلس الى الامير بالاندلس وحاكمها عبد
الرحمن بن عبد الحكم الاموي بضم الهمزة وفتحها نسبة لامية وهو اي عبد الرحمن
ابن الحكم بن هشام صاحب الاندلس وكان عادلا منقبا مجاهدا توفي في سنة ثمان
وثلاثين ومائتين وعمره ستون وذكروا ان عبد الملك مفتي الاندلس وعالمها
صاحب الواضحة في مذهب مالك توفي في تلك السنة ايضا وكان اخذ عن اصحاب
مالك وكانت عجب اي المراة المذكورة عمة هذا الرجل المطلوب بما قاله وقيل
خالته من حظاياه اي من زوجات عبد الرحمن امير الاندلس جمع حظية
كهدية وهي المراة التي تحظى عنده وجها اي تقرب وتكرم لشدة محبته لها
وذكره اشارة الى شدة دين الامير ومن وحبته اذ لم يسامح الاقربا والتابع لها
مع شدة محبته لها وقرب الرجل منها واعلم الامير وهو مبني للمجهول باختلاف
الفقهاء في قتله فخرج الاذن لشرطته وتغاوبه بالاخذ بقول ابن حبيب في قتله
وصاحبه اصبغ بن خليل فقتل وصلب بحضرة الفقيهين ابن حبيب واصبغ
ابن خليل وعزل القاضي موسى بن زياد الذي قال يؤدب لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة المذكورة اي المسامحة في حدود الله لقرب الرجل من حظية
الامير مع انه قول وتقدم انه يستتاب في قول آخر رجحه بعض الشراح
هنا وتم الفرق بين المداهنة والمداراة فان الاولى مذمومة والثانية
ممدوحة ان المداهنة استحسان ما لا يحسن لغرض فاسد والمداراة معاملة
بعض الناس بلين ورفق حتى يدفع به الضرر او يحصل به نفع ديني باعتبار
وان كان الظاهر يخالفه ووبخ بقية الفقها وسبهم لعدم حكمهم بقتله
وهذا حكم من عرف بذلك وتكرر وقوعه منه واما من صدرت عنه من
ذلك القول الدال على الاستخفاف اي وجدت ووقعت منه الهنة الواحدة
اي قباحة وقعت منه نادرا يقال فيه هنة وهناه وهنوات خصال سوء
قال لبيد

اكرمت عرضي ان ينال بنخوة ❊ ان البري من الهنات سعيد

كذا في الاساس وفيه كلام في كتب اللغة والنحو وقد تقدم الكلام على شيء

منه

منه في اول الباب الاول من القسم الرابع والفلتة هي الامر الذي يقع بغتة من غير تدبر
وتاؤه تقدم وتفتح والثاني اعلى واصح الشاردة من شردت البهيمة اذا ندت من
صاحبها فاستعارها للزلة الصادرة بغتة والنادرة المفردة التي لا تتكرر فكانها شاردة
وليس معناها السائرة من قولهم قافية شاردة اي سائرة في البلاد لانها اذا سارت
اشتهرت وانتشرت ما لم تكن تنقصا او ازدرا اي اهانة وتنقيصا فيعاقب عليها
ويؤدب بزجر وتعزير دون قتل بقدر مقتضاها اي بحسب ما تقتضيه وشنعة
اي قباحة معناها وصورة حال قائلها بحسب ما يليق بحاله وشرح سببها فانه
بمعرفة سببها الباعث عليها يعلم مراد من صدرت عنه ومقاربها من احوال قائلها
المدونة بانه يستحق مقدارا من تاديب او ضرب وحبس او حبس مديد لانه تعزير
تتفاوت مراتبه بحسب ما جنيه بخلاف الحدود كما بينه الفقها وقد سئل ابن القاسم
رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه نحو يا زيد ويا عمرو فاجابه بقوله لبيك اللهم
لبيك فقوله اللهم بمعنى يا الله في جواب من ناداه باسمه ومعنى لبيك المثنى
اجابة بعد اجابة من لب والب بمعنى اقام بمكان وتفصيله مشهور يغني عن ذكره
هنا فقال ابن القاسم ان كان جاهلا بمعناه او قاله على وجه سفه اي خفة وطيش
من غير تامل وفكر فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف في تفسيره
وشرح قوله لا شيء عليه معناه انه لا قتل يترتب عليه فيما صدر منه من تعزير بما
يستحقه اذ المراد تغليظ فعال والجاهل يزجر حتى ينتهي عما قاله ويعلم ما جهله
والسفيه الذي لا يضبط لسانه لخفته يؤدب بضرب وحبس ونحوه واعلم ان
المراد بالسفيه هنا من في عقله خفة ونقص لا الذي عرفه الفقها بالمبذر
ولو قالها اي قال لبيك اللهم لبيك لمن ناداه باسمه على اعتقاد انزاله اي
مناديه منزلة ربه تعالى بجعله الها لكفر ووجهه ظاهر هذا الذي فصله
مقتضى قوله اي قول ابن القاسم في هذه المسألة وهذا هو الحكم في ما ذكر عند
المالكية وغيرهم خلافهم فيها وقال لا يبعد ذا الاقرب عهد باسلام او صغو كذا
قيل وقد يترك عليه كلام المصنف فتدبر وقد اسرف كثيرا اي تجاوز الحد في
قباحته وترك ادبه وهو مستعار هنا من اسراف المال لا اسراف المعالي من
سخفا الشعرا اي من سخف عقله وقل دينه كالمعري في ديوانه الكبير كما يعرفه
من رآه ومنهم من هو متهم وهو من اتهم بالزندقة والالحاد كابن عوف
في هذا الباب اي ذكر رب العزة بما لا يليق به واستخفوا اعظم هذه الحرمة
اي احترام الله واجلاله اي عدوه خفيفا هينا لا يبالى به فاتوا في اشعارهم
من ذلك النوع بما ننزه اي نصون كتابنا هذا عنه فانه ذا لا اسفاله ه
ولساننا واقلامنا عن ذكره وكتابته فنغيبه اكتفا وذلك لقبحه فلا يسود
به وجه قرطاس ثم اجاب عن ذكره لبعض الالفاظ التي فيها سب لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال ولولا ان قصدنا نص مسائل حكيناها
عن الائمة في كتبهم ودنس بالمونه وفي نسخة قص بالقاف والاولى احسن
لما ذكرنا شيئا مما يثقل بالمثلثة ذكره علينا اي يعد ثقيلا للسان قباحته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لما فيه من الازرا بمقام الربوبية والنبوة مما حكيناه في هذه الفصول التي تقدمت
واما ما ورد في مثل هذا الامر الثقيل من اهل الجهالة اي جهلة الاعراب واهل البادية الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفته ولا يعرفون امور الدين والشريعة لعدم مخالطة اهل الاسلام لجفاهم وغلظ طباعهم واغلاظ اللسان اي الذين اعتادت انفسهم الغلظ في وصفهم لله ورسوله وهو جمع اغلوطة كاعجوبة وهو الغلط الفاحش الذي ينفر عنه الطباع السليمة كقول بعض الاعراب جمع اعرابي وهو من يسكن البادية من العرب وكان قاله في سنة مجدبة

رب العباد ما لنا وما لكا • قد كنت تسقينا فما بدا لكا

انزل علينا الغيث لا ابا لكا • في اشباه لهذا من كلام الجهال رب العباد منادي مضاف منصوب اي يا رب العباد وحرف النداء محذوف وهو جائز كثير والعباد جمع عبد كالعبيد وقيل ان الاول في القران للمؤمنين والثاني للكفار بالاستقرا والعباد دايما لله والعبيد له ولغيره ولا يختص بغيره كما قيل وقوله ما لنا وما لكا استفهام والف لكا اطلاق بزيادة مطردة في الشعر اي اي شيء كان لك واي شان من شؤونك اقتضى منع ما دعوتنا من احسانك وبين هذا بقوله قد كنت تسقينا الخ اي عودتنا بانعامك وانزال المطر فما سبب تغير الحال وتسقينا بفتح تا المضارعة وضمها يقال سقاه واسقاه بمعنى وقيل سقاه اعطاه الما واسقاه دل عليه وقوله فما بدا لك بمعنى ما ظهر لك منا حتى غضبت علينا ومنعت عوايد فضلك يقال هذا في السؤال ثم جعل عبارة عن تغير الراي والرجوع عنه والندامة عليه كقوله

ولو انني استرضيت في القلب توبة • وابصرت هذا في المنام بدا لي

ومنه البدا الذي قاله اليهود وهو لا يجوز على الله فان كان قصد هذا وكان الاستفهام فيه وفيما قبله انكاري فهو تجهل منه والسؤال من اصله منكر فانه تعالى لا يسال عما يفعل وما لي وما لك تستعمله الناس في التبري ويقوله القوي للضعيف وانزل امر والمراد به الدعا والغيث المطر الا ان الاول يختص بالخير لانه يغاث به الناس وقوله لا ابا لك جا في كلامهم كثيرا للمدح والذم واصله دعا وهو على خلاف القياس لاعرابه بالحرف وشرطه وقياسه لا اب لك وقد سمع منه لا اباك ولا اب لك ايضا وخرج الاول على ان اللام مقحمة بين المضاف والمضاف اليه فاذا مدح به فمعناه انت شريف بنفسك من غير حاجة لانتساب وقد روي ان سليمان بن عبد الملك لما سمع هذا حمله على محمل حسن فقال اشهد ان الله لا اب له ولا صاحبة ولا والد ولا ولد وهذا الذي قاله الاعرابي على عادتهم في مخاطباتهم ولم يقصد ظاهره ان كان مسلما فان لم يعرف حاله وقريب منه قول ابن رواحة رضي الله عنه فاغفر فدا لك ما اقتفينا

فان

فان العبد لا يستعمل في حق الله والكلام تم عند الغيث وهذا خطاب لمن معه كما يدل في كلام ابن رواحة ويقال لا ابا لك للتعجب كما يقال للمدح والذم وفيه كلام في كتب النحو وقيل انه مبني على الفتح والفه اشباع اجرا للوصل مجرى الوقف وليس هذا محل تفصيله والحاصل انه خاطب الله بما لا يليق به مما هو بحسب ظاهره كفر لكنه ناش من غلظ طبعه وجاهليته ان كان مسلما فان كان كافرا فحاله معلوم وجهال جمع جاهل ومن كلام من لم يقومه اي يجعله مستقيما ثقاف بكسر المثلثة وقاف والف وفا والثقاف في الاصل تقويم الرماح والخشب العوج بالنار ونحوها يقال رمح مثقف ثم استعمل في غيره مجازا كقوله

عززت من الليالي الى صعدة • لم يقوم رداها غير الثقاف

واستغير لما يقومها ولما يقيم الانسان من تاديب الشريعة والعلم اي تاديبه بتعليمه وارشاده لما يجب عليه ومنه قول عايشة في ابيها رضي الله عنهما اقام اوده ثقافه اي اصلح امور المسلمين تدبيره في هذا الباب اي باب السخافة والتهاون في الامور المتعلقة بالله والاول السب بقوله فقد ما يصدر من هذا الكلام السخيف الا من جاهل بمقام الربوبية وقل ما فيهما كافة وقل اذا دخلت على الفعل وهي على اصلها او بمعنى النفي وفيه كلام مشهور فيعذر بجهله لقرب عهده بالاسلام وكونه من اهل البوادي الذين لم يخالطوا المسلمين فيجب تعليمه ما يجب عليه وزجره والاغلاظ له بتوبيخه اشد توبيخ عن العود لمثله اي لينتهي عنه فان لم ينته بعد التعليم قتل قال ابو سليمان الخطابي وهذا الكلام الصادر عن السخفا تهور من القول المتهور مجاوزة الحد بالوقوع من غير مبالاة في منكر عظيم من قولهم هار البنا اذا سقط وانهار قال تعالى فانهار به في نار جهنم والله جل جلاله منزه عن هذه الامور السخيفة التي تقدم ذكرها وقد روينا عن عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه المحدث التابعي توفي في حدود العشرين ومائة انه قال ليعظم بلام الامر المكسورة احدكم ربه فينزهه عن ان يذكر اسمه في كل شيء يذكره مقترنا به حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به اي بالكلب كذا من قتل ونحوه فان اقتران اسمه بمثل المحقرات لا يليق وان كان ذلك بحسب المعنى صحيحا وكذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم كقول العامة ذلك في بيع امور حقيرة كما نبه عليه بعض الفقها قال وكان عادة بعض من ادركنا من مشايخنا المالكية بالمغرب قلما يذكر اسم الله تعالى في شيء من الاشيا التي لم يذكرها الا فيما يتصل بطاعته من امور الدين والشريعة والعبا ولذا لم يضيفوا اليه الشر والقبايح وخلق المحقرات تادبا وان كان خالقا لكل فلا يقال خالق الكلاب والقاذورات كما صرحوا به وكان الشبلي ينشد اذا سيل عن هذا او ينشد • ويقبح من سواك الفعل عندي • وتفعله فيحسن منك ذاكا
وكان بعض مشايخه يقول للانسان اذا دعا له جزيت بنا المجهول خيرا دون جزاك الله خيرا صونا لاسم الله عن الابتذال كما بين ذلك بقوله وقلما يقول جزاك الله خيرا مصرحا باسم الله تعالى اعظاما لاسمه تعالى عن ذكره في غير طاعة كالصلاة والاوراد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والذكر ان يمتهن افتعال من المهانة وهي الابتذال والحقارة وعد كثير ذكره حقارة وغير
قربة اي في غير ما يتقرب به الى الله من عباداته كما تقدم والدعا للمسلمين وان كان عبادة
لكنه ليس من الطاعات التي فيها تعظيم لله وتعظيم لذكره وقربة اسمه الغفور في الدعا
يكفي في وجوده وكونه عبادة فلا يرد عليه ما قيل ان الدعا للمؤمن على خير فعله
طاعة مندوبة لقوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان والقربة اخص من الطاعة
فذكر الله في الدعا وان كان فيه تعظيم له ايضا الا ان ذكره في الصلاة ونحوها اكثر
تعظيما الا انه لا يخلو من شي ولذا قيل انه مخالف للسنة الماثورة من التصريح
باسمه تعالى في الدعا وفي الايمان وقوله في الشروع في الافعال وعقب الطعام
والشراب الحمد لله فكيف يستدل لفعل بعض مشايخه على ما يخالف السنة وقد بر
وحدثنا الثقة اي الموثوق به وهذا توثيق لمجهول فلا فايدة فيه وقيل ان
تعريفه للعهد وانظر للامام ابي بكر بن العربي وسيبويه في كتابه يقول قال
لي الثقة يعني ابا زيد وما ذكره عن ابي ليس حديثا نبويا يقدح فيه جهل
راويه وتقدم في استعمال لفظ الثقة تفصيل للشافعي رضي الله عنه
ان الامام ابا بكر الشاشي هو وحيد دهره الامام ابو بكر محمد بن علي بن اسمعيل
القفال الشاشي نسبة لشاش مدينة فيما ورا النهر وهو امام عظيم له
تاليفات جليلة وهو عمدة في مذهبه واختلف في وفاته فقيل سنة ست
وستين وثلاثماية وقيل سنة ست وثلاثين وقيل انه كان في اول امره
معتزليا ثم رجع عن الاعتزال كان يعيب على اهل الكلام وهو علم اصول
الدين كثرة خوضهم فيه تعالى اي في البحث عن ذات الله تعالى اي يعد
عيبا اي ينهى عنه ومر ان اصل معنى الخوض الشروع في دخول الماء ثم
استعير للشروع في الامور ويقال تخاوضوا في الحديث اذا تفاوضوا فيه
واكثر ما ورد في القران فيما يذم شرعا وفي ذكر صفاته اي ذكر حقيقة
صفات الله تعالى والبحث عنها اخلا لا لاسمه تعالى ويقول هولا الباحثون
عن ذات الله وصفاته يتمندلون بالله عز وجل تفعل من المنديل
وهو خرقة يمسح بها الايدي وجمعه مناديل ومنه اشتق فعل فيقال
تمدل وتمندل وانكر بعضهم الثانية وقال انها مولدة غير فصيحة
وهو هنا استعارة للابتذال والامتهان وقد يقال ان مراده ذكر ما لا
حاجة اليه من المباحث الكلامية والا فكيف ينكر علم الكلام وقد قال
صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي ثلاثا وسبعين فرقة
فهذه الفرقة الضالة لها اعتقادات باطلة قد ينظمونها
ويذكرون لها ادلة فمقابلتهم وابطال ادلتهم واجب فكيف يمنع
منه مطلقا فكلام المصنف ليس على اطلاقه وقد يقال ان في قوله
يتمندلون لون التقييد له فافهمه وبين الكلام في هذا الباب الذي
وقع فيه مثل ما تقدم في حق الله عز وجل تنزيله في باب ساب
النبي صلى الله عليه وسلم فيجعل احكام هذا كاحكامه على الوجه

السابعة

السابعة في المسائل التي قصدناها في هذا الكتاب كما تقدم والله الموفق للصواب

فصل وحكم

من سب سائر انبيا الله تعالى عز وجل وملايكته او استخف بهم اي ذكر ما فيه
تحقير واهانة لهم او كذبهم اي نسبهم الى الكذب فيما اتوا به عن الله من وحيه
او انكرهم اي اعتقد عدم وجودهم او انكر وجود النبوة والرسالة او جحدهم اي
انكر وجودهم عنادا مع علمه به كبعض اليهود والنصارى حكم من سب نبينا صلى الله
عليه وسلم وقد تقدم تفصيله وحكم الاول مبتدا وهذا خبره على ما قاله اي على
الحكم الذي سقناه على تفصيل ما قدمناه عن ايمة الدين في هذا الكتاب كما سمعته
ثم استدل على ان حكم سائر الانبيا كحكم نبينا فقال قال الله تعالى عز وجل في كتابه
الكريم ان الذين يكفرون بالله ورسله من رسل البشر ورسل الملايكة ويريدون ان
يفرقوا بين الله ورسله ايمانا وكفرا لقوله ويقولون نؤمن ببعض منهم ونكفر
ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد والانجيل والقران والنصارى كفروا بمحمد
والقران الاية اي اذكر الاية او اقراها الى اخرها يعني ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فهذه الاية وما بعدها تدل على
ان الايمان لا يكون ايمانا مخلصا من الخلود في النار الا اذا امنوا بالله عز وجل
وبجميع رسله وكتبه وما جاءهم من الوحي من عند الله فمن امن ببعض وكفر
ببعض كمن لم يؤمن بشي اصلا وقال تعالى عز وجل قولوا امنا بالله
وما انزل الينا من القران وغيره من الاحكام وما انزل الى ابراهيم من الصحف
وغيرها الاية من قوله واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي
موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وقال كل
امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله فهذه الاية صريحة
فيما قاله قال مالك في كتاب عبد الملك بن حبيب ومحمد بن سحنون وقال ابن
القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون تقدمت تراجم
هولا فيمن شتم الانبيا او احدا منهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
او تنقصه اي نسب احدا منهم لشي من النقص بما لا يليق به قتل ولم
يستتب فان تاب لم تنفعه توبته لان حده القتل ومن سبهم اي الانبيا
او احدا منهم من اهل الذمة كاليهود والنصارى قتل الا ان يسلم فلا يقتل
لان الاسلام يجب ما قبله وفيه تالف لغيره وروى سحنون عن ابن القاسم من
سب الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذي به كفر ككونه المسيح بن الله والعزير بن الله ضربت عنقه ولا
يستتاب لانه لم يعاهد عليه الا ان يسلم طوعا منه كما قيده به في المبسوطة
وقد تقدم الخلاف بين ايمة الدين في هذا الاصل اي من سب الله بغير الوجه
الذي به كفر هل يستتاب ام لا وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان
في بعض اجوبته عن هذه المسالة من سب الله تعالى عز وجل وملايكته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قتل لجرأته على الله وملايكته وقال سحنون من شتم ملكا من الملايكة فعليه القتل
لانهم عباد مكرمون بررة مبرؤون من النقايص وفي كتاب النوادر لابن ابي زيد
رحمه الله عن مالك بن انس فيمن قال ان جبريل عليه الصلاة والسلام
اخطا بالوحي الذي اتى به لمحمد صلى الله عليه وسلم فوضعه في غير محله وقال
انما النبي الذي امر جبريل عليه الصلاة والسلام بانزال الوحي عليه علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه لا محمد صلى الله عليه وسلم استتيب اي عرضت عليه
التوبة عما قاله فان تاب لم يقتل والا اي ان لم يتب قتل لكذبه على جبريل
ونسبته للخطا وهو لا يفعل الا ما يومر به ونحوه عن سحنون اي مثل ما في النوادر
روي عن سحنون وهذا اي نسبة الخطا لجبريل قول الغرابية هم طايفة من
الرافضة قالوا علي اشبه لمحمد من الغراب بالغراب كما بينه بقوله من الروافض
سموا بذلك اي بالغرابية لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم اشبه بعلي
اي اشد شبها من الغراب بالغراب والذباب بالذباب فلذا اغلط جبريل عليه الصلاة
والسلام في تبليغ رسالة علي الى محمد صلى الله عليه وسلم ويسمون جبريل
ذا الريش قيل وهذا مقيد بغير اليهود فانهم صرحوا بعداوة جبريل كما رواه
الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان اليهود قالوا له لكل نبي من الانبيا ملك
ياتيه برسالة ربه فمن صاحبك حتى نتبعك قال جبريل فقالوا هو ينزل بالحروب
والقتال وهو عدونا فلو قلت ميكايل الذي ياتي بالقطر والرحمة اتبعناك
فانزل الله قل من كان عدوا لجبريل الاية وقال ابو حنيفة واصحابه ممن
هو على مذهبه كمحمد وغيره بناء على اصلهم اي قاعدة مذهبهم من كذب باحد
من الانبيا اي قال بانه كذب لا اصل له وجحده او تنقص احدا منهم اي نسب
له ما فيه نقص له او برئ منه اي من محبته والايمان به او شك في شيء من ذلك
فقال لا احققه فهو مرتد حكمه حكم المرتد في مذهبه وقد تقدم وقال
ابو الحسن القابسي الذي قدمنا ترجمته في الرجل الذي قال لاخر ممن يكرهه
كانه اي كان وجهه وجه مالك خازن النار الغضبان الذي يظهر الغضب
والعبوس وانما تشبيهه به في لزوم الغضب وهذا تخيل فاسد والا فهو
منشرح للقيام بما امره الله به وقيل انه اطلق اسم البعض على الكل مبالغة
لو عرف من حال القايل انه قصد ذم الملك فقتل فان لم يعلم ذلك لم يقتل
لتصوره ان غضبه امتثالا لامر به في معاملة اهل جهنم بذلك كالسجان
المشدد على من في سجنه بامر الملك وهذا مذهب مالك وابي حنيفة
واما عند الشافعي ففيه خلاف في كتبهم قال القاضي ابو الفضل عياض
مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه وهذا كله اي ما ذكر في هذه المسايل
فيمن تكلم فيهما اي في الانبيا والملايكة بما قلناه مما تقدم ذكره على
جملة الملايكة والنبيين اي مجتمعهم لا جميعهم او تكلم بما قلناه على واحد
معين منهم ممن حققنا اي بينا واثبتنا فيما تقدم كونه من الملايكة
والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه بذكره باسمه صريحا في القران او حققنا

عليه

علمه بانه منهم بالخبر المتواتر الذي لا يقبل الكذب والاجماع القاطع بوجوده والخبر
المشهور المتفق عليه ممن يعتد به من رواة الحديث وعلما الدين وفي نسخة المشهور وهو
ما رواه جمع كثير لم يبلغوا حد التواتر كجبريل وميكاييل هما من رسل الملايكة وايل اسم
من اسما الله بالعبرانية ومعنى جبريل عبد الله فجبريل موكل بالوحي وتبليغ اسراره
الملكوت وميكاييل موكل بالامطار والارزاق كما مر واحوال الملايكة فصلها السيوطي
في كتاب مستقل سماه الحبايك في اخبار الملايك وهو كتاب جليل ومالك اسم الملك
الموكل بالنار وهو ثابت بالتواتر وخزنة الجنة كحافظ وحفظة وزنا ومعنى وهم الملايكة
الموكلون بحفظ الجنة واهلها وخزنة جهنم والزبانية وحملة العرش وهذا اما علم
بنص القران والتواتر اما جبريل وميكاييل فملكان عظيمان مشهوران وفي حديث رواه
الحاكم وزيري من اهل السما جبريل وميكاييل ومن اهل الارض ابو بكر وعمر ومالك
خازن النار ذكره الله في قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وخزنة الجنة ورد
ذكرهم في احاديث كثيرة وخزنة جهنم ذكرهم الله تعالى في قوله عليها ملايكة
غلاظ شداد وهم تسعة عشر قال تعالى عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب
النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وقال القرطبي التسعة عشر
رؤساهم وعدة الخزنة لا يعلمها الا الله وجهنم علم لدار العذاب ممنوع من
الصرف للعلمية والتانيث والزبانية ملايكة العذاب ورد في الحديث راس احدهم
في السما ورجله في الارض وهم اعظم الناس خلقا واشدهم من زبنه اذا دفعه لانهم
يدفعون الكفار بارجلهم وواحدهم زبنية كعفرية او زباني كجني وقال قتادة
هم الشرط في كلام العرب وحملة العرش جمع حامل كخزنة وهم ثمانية قال تعالى
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وورد في صفتهم وتسبيحهم احاديث
كثيرة ولم يسم منهم غير اسرافيل المذكورين باسمايهم في القران من الملايكة الذين
تقدم ذكرهم وذكر الايات التي فيها اسما الملايكة وفيه ملايكة كثيرة ذكروا باسمايهم
دون اعلامهم ومن سمي فيه اي في القران من الانبيا كادم ونوح وابراهيم وغيرهم
وكعزرايل وهو ملك الموت ولم يذكر في القران باسمه وذكر فيه ملك الموت واسرافيل
لم يصرح باسمه في القران وذكر صفته ورضوان بكسر الرا وضمها وبهما قري في القران
ومنه نقل علم خازن الجنة سمي به لانه خازن محل الرضوان وروى ابن عساكر
وغيره في اسباب النزول ان المشركين لما عيروا النبي صلى الله عليه وسلم بالفاقة
وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل عليه جبريل
وقال ربك يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فبينما هو ومعه اذا ذاب من خوفه
فقال فتح باب من ابواب السما لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال له ابشر هذا
رضوان خازن الجنان فسلم رضوان عليه ومعه سفط من نور يتلالا فقال
يا محمد ربك يقريك السلام ويقول لك هذه مفاتيح خزاين الدنيا ان شيت
خذها ولا ينقص لك مما قدر مقدار جناح بعوضة فنظر لجبريل كالمستشير له
فقال له تواضع لله فقال يا رضوان لا حاجة لي بها فقال له اصبت اصاب الله بك

ويروون ان رضوان نزل بهذه الآية تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا وفيه ان من الآيات ما نزل به غير جبريل من الملائكة وهي فائدة غريبة والحفظة بزنة كتبة جمع حافظ وهم الكرام الكاتبون قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وآيات اخر وهما ملكان احدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات وروي انه وكل بالانسان خمسة ملكان بالليل وملكان بالنهار والآخر لا يفارقه ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر فيسألهم الله كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون واخرج الطبراني من طريق كنانة العدوي ان عثمان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملائكة الموكلين بالآدمي فقال لكل آدمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه وآخر عن شماله واثنان من بين يديه ومن خلفه واثنان على جنبيه وآخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر وضعه واثنان على شفتيه ليس يحفظان عليه الا الصلاة على محمد والعاشر يحرسه من الحية ان تدخل فاه يعني اذا نام والاحاديث في ذلك كثيرة استوفاها الجلال السيوطي في كتبه فجزاه الله خيرا ومنكر بضم الميم وفتح الكاف وكسرها خطا ونكير بفتح النون وكسر الكاف وهما ملكا السؤال اللذان يأتيان الميت ليسألاه في قبره كما ورد في الصحيح حديث وقال السيوطي ان حديث ملكي السؤال متواتر وذكر من رواه وطرقه وذكر بعضهم ان اللذين يأتيان المؤمن يسميان مبشرا وبشيرا وذكر القرطبي انه روي ان السائل ملك وان السؤال قبل انصراف الناس وهو معارض لما روي انهما ملكان وسؤالهما بعد انصراف الناس وجمع بينهما بانه باعتبار الاشخاص فمنهم من يأتيه اثنان ومنهم من يأتيه واحد ومنهم من يسأل والناس عند قبره ثم لا يستوحش ومنهم من هو بخلافه او هما اثنان والسائل له احدهما قال السيوطي وهو الصواب فان ذكر الملكين هو الوارد في غالب الاحاديث وله في هذين الملكين تأليف مستقل فيه فوائد جمة لا يستغني عنها طالب علم ذلك من الملائكة المتفق بين المحدثين على قبول الخبر بهما مما ورد في كتب السنة المعتمد عليها فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه باسمه معينا ولا وقع الاجماع من الامة على كونه من الملائكة او لم يقع الاجماع على كونه من الانبياء والمرسلين كهاروت وماروت في الملائكة وهما علمان اعجميان وقيل انهما مشتقان من الهرت والمرت وهو المغارة والاول اصح لمنع الصرف واختلف هل هما ملكان بفتح اللام او بكسرها سميا ملكين لحسن صورتهما وسيرتهما فلا تنافي بين القرائتين والجمع بغيره اقرب وفي الحديث اشرفت الملائكة على الارض فرأوا بني آدم يعصون فقالوا ما اجهل هؤلاء بعظمتك يا رب فقال الله لهم لو كنتم مثلهم عصيتم فقالوا كيف هذا ونحن لا نفتر عن عبادتك فقال اختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت فركب فيهما شهوة بني آدم واهبطهما الى الارض ومثلت لهما الزهرة امرأة حسناء فعشقاها ولم يزالا حتى واقعاها فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانقطاعه وهما الذكوران وانكر بعضهم هذا الحديث لعصمة الملائكة وقال الحافظ ابن حجر والسيوطي

كما تقدم انه روي من طرق اكثر من عشرين فبلغ الحديث مرتبة الحسن وقد افردوه بالتأ فلا وجه لانكاره وتبعهما ابن حجر الهيتمي فقال في الاعلام بعد سياق كلام المصنف برمته وهو ظاهر جلي وبه يعلم خطأ من قال ان ما يحكيه المفسرون في قصة هاروت وماروت في آيتهما في سورة البقرة كفر وليس كما زعم ولقد وقع بذلك في ورطة عظيمة وان كان جليلا فقد حكى هذه القصة اكابر من المفسرين كابن جرير الطبري والامام البغوي وغيرهما ومن ثم انتصر لهم بعض المتأخرين من المحدثين وخرج هذه القصة باسانيد صحيحة ورد على من خالفه في ذلك فجزاه الله على ذلك خيرا انتهى واما عصمة الملائكة فذهب بعض الاصول كما مر الى ان المعصوم منهم انما هو رسلهم لا غيرهم كرسل البشر وعليه حمل قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ولك ان تقول انه لا يرد ولو قلنا بعصمة الجميع لانه بتركيب الشهوة فيهما انسلخا من الملكية الى البشرية فصار حكمهما حكمهم في التكليف وغلبة الشهوة البشرية ولا مانع في قدرة الله تعالى ان يصير نوع الى نوع آخر وفي الانبياء كالخضر تقدم الكلام عليه تفصيلا ولقمان الحكيم لا لقمان بن عاد وهو من اهل ايلة ولد بعد عشر خلت من ملك داود وفي اسم ابيه خلاف فقيل باعورا وقيل عنقاء وكان اسود اللون نزع له عرق من امهاته ولم يكن عبدا وقيل كان عبدا حبشيا او نوبيا لرجل قصار من بني اسرائيل اشتراه وقيل كان نجارا واختلفوا هل كان نبيا او رجلا صالحا غير نبي وقال سعيد بن المسيب كان نبيا خياطا والاكثر على خلافه وقال حذيفة بن اليمان من الله عليه بالحكمة وخزن عنه النبوة وله كلمات كثيرة في الحكمة ذكرها في مرآة الزمان وذي القرنين كان في زمن الخليل عليه الصلاة والسلام من ولد يافث بن نوح وقيل من ولد مسلم بن سام ولقي الخليل صلى الله عليه وسلم فاوصاه بوصايا واختلفوا في اسمه على اقوال فقيل عبد الله وقيل اسكندر وقيل وهب وقيل الصعب واختلف فيه هل كان نبيا ام لا والاكثر انه رجل صالح على دين ابراهيم وفي تسميته بذي القرنين عشرة اقوال فقيل لانه ضربه قومه على جانبي رأسه وهما يسميان قرنين فهلك وقيل لانه سار الى قرني الارض وهما المغرب والمشرق وقيل لان جانبي رأسه كالنحاس وقيل لانه رأى في منامه انه اخذ بقرني الشمس فقصه على قومه فسموه به وقيل لانه كانت له ضفيرتا شعر في رأسه والضفيرة تسمى قرنا وقيل غير ذلك وقصته مفصلة في مرآة الزمان وقيل انه ملك بفتح اللام والاصح انه رجل صالح ومريم ابنة عمران التي قص الله قصتها في القرآن واختلف في نبوتها والمشهور ان النبي لا يكون الا رجلا ذكرا ورجح بعض علماء المغاربة انها كانت نبية وان الذكورة انما تشترط في الرسول دون النبي لانه قد لا يؤمر بالتبليغ ورجحه القرطبي وابن السيد البطليوسي وليس ببعيد والذي ذهب لنبوتها استدل بكلام الملائكة لها وهو غير مسلم ومريم علم عبراني وقيل انه عربي واختلف في وزنه هل هو فعيل او فعلل وآسية بالمد فسين مهملة ومثناة تحتية وهي امرأة فرعون وكانت امرأة مؤمنة صالحة ولم تكن نبية على الصحيح وخالد بن سنان المذكور في التواريخ وبعض التفاسير انه نبي اهل الرس كان هو وقومه يسكنون عدن فخرجت بها نار

كيف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عظيمة اهلكت الضرع والزرع فالتجا اليه قومه في دفعها فاخذ عصاه وطردها حتى ادخلها
مغارة واطفاها وامر قومه ان يدعوه ثلاثة ايام بالمغارة فانهم ان نادوه قبلها يخرج اليهم
ويموت وان تركوه يخرج اليهم ويكشف لهم احوال البرزخ وكان اوحي اليه انه سيطلعه
عليها ان مكث بالمغارة ثلاثة ايام فاستزلهم الشيطان حتى نادوه قبلها وصاحوا فخرج
اليهم وراسه متالمة من صياحهم وقال لهم اضعتموني اذ لم تعملوا بوصيتي واخبرهم
بموته وامرهم ان يتركوه اربعين يوما حتى يروا قطيع غنم يؤمها اجماء ابتر الذنب
اي مقطوعه فاذا راوا ذلك نبشوا قبره ليخرج اليهم ويخبرهم باحوال البرزخ فلما تم
ميقاته راوا القطيع فارادوا نبش قبره ليخبرهم بالبرزخ فابى اولاده نبش قبره
مخافة ان تعيرهم العرب بذلك وتسميهم اولاد المنبوش فضيعوا وصيته لغيرة
جاهلية منهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته ابنته واخبرته
بانها ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه وهو من بني عبس وقد اختلف
في قصته هذه فذكرها الراغب وابن عربي في فصوصه وغير واحد من المحدثين
وقيل انه لا اصل لها واستدل بما رواه البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم
قال انا اولى الناس بعيسى بن مريم والانبيا اولاد علات وليس بيني وبينه نبي فهذا
الحديث الصحيح ينافيه وهو ارجح منه الا ان ابن حجر قال ان حديث خالد رواه الحاكم
في مستدركه وله طرق اخر يقتضي انه غير موضوع كما قيل وجمع بينهما بان قوله
لا نبي بيني وبينه المراد به نبي صاحب شريعة واقرب منه ان يقال انه كان وعد
بالنبوة لو تم امره الذي وصى به قومه ولم يتم فلم يكن نبيا كما اشير اليه قوله في
الحديث ضيعه قومه فان قلت فما فائدة هذا الوعد حينئذ قلت فائدته اعلامهم
بحقيقة امر البرزخ والارهاص ببعثة نبينا الذي كشف لبعض احواله والرس براء
مفتوحة وسين مشددة مهملتين وهي بير لم تطو اي لم تبن بالحجارة وعن كعب
الاحبار ان نبي اهل الرس هو المذكور في سورة يس القايل ياليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وان قومه قتلوه وطرحوه في بير يقال لها الرس بانطاكية وهو
حبيب النجار على القول بنبوته وعن علي كرم الله وجهه انهم قوم كانوا يعبدون
شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم وكان من اولاد يهودا فيبست الشجرة فقتلوه
ورسوه في بير فاظلتهم سحابة سوداء احرقتهم وقيل انه كان بادية بيجان وفي
اصحاب الرس اقوال اخر في التفاسير ومثل الكلام في خالد بن سنان الكلام في
حنظلة بن صفوان وزرادشت الذي تدعي المجوس وبعض المؤرخين نبوته قال
البرهان زرادشت بزاي معجمة مفتوحة وراء مهملة والف ودال مهملة
مفتوحة وشين معجمة ساكنة وتاء مثناة فوقية هو صاحب كتاب المجوس
هذا هو المحفوظ وقيل الزاي المعجمة في اوله مضمومة انتهى وقيل الدال
ذاله معجمة وقيل الفا معجمة وقيل انه كان نبيا حقا فوا اسفي تعينه والحق
ترع انه نبي وهم قوم من الكفار الذين قالوا بالنور والظلمة ومنهم المانوية
ولهم اصول فاسدة وكان زرادشت حكيما ظهر في زمن كشتاسف بن مهراسف
واختلف في المجوس هل لهم شريعة وكتاب املا والكلام فيهم وفي اخذ الجزية منهم

مفصل

مفصل في كتب الفقه تنبيه قال نجم الدين الطوفي الحنبلي في تفسيره بعد ما ذكر كلام
المص زرادشت متفق على عدم نبوته وهو من طبقة ماني ومزدك فلا شي في نسبته ولعنه
لهذا اما وهم من القاضي او راي غريب جدا انتهى اقول قال الشهرستاني في الملل
والنحل زرادشت حكيم مجوسي ظهر في زمن موسى عليه الصلاة والسلام من اذربيجان
وهو كما تزعم الصابئة نبي مرسل دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والخبايث وقال النور والظلمة اصلان متضادان يزدان واهرمن
وهما مبدا موجودات العالم وحدثت التراكيب من امتزاجهما والباري خلق النور
والظلمة وانما حدثت الشرور والخبايث من امتزاجهما وهو اي مزجهما الحكمة وهو
واحد لا شريك له وله كتاب سماه زند اوستا صنفه وقيل انه انزل عليه انتهى
ومنه تعلم انه من قوم من الصابئة لكنه اقرب الى الحق من بقيتهم وترك سبه
اولى لانه موحد ولعل المجوس حرفوا ما نقلوه عنه وفي كلام المص ايما لهذا
ثم رايت ما ذكره القاضي في كتب سادتنا الشافعية وانه كان انزل عليه كتاب
ثم رفع ومنه يعلم صحة ما في الشفا وان ما قاله الطوفي غير مسلم وما كل داء
يعالجه الطبيب فاعرفه فليس الحكم في سابهم اي من سب هولا المختلف في نبوتهم
وملكيتهم والكافر بهم اي من انكرهم او انكر نبوتهم وملكيتهم كالحكم فيمن قدمناه
ممن اتفق على انه نبي او ملك اذ لم يثبت لهم اي لهولا المختلف فيهم تلك الحرمة
اي الاحترام لرفعة مقامهم ووجوب تعظيمهم وتوقيرهم ولكن يزجر اي يمنع بزجر
وتغليظ المقال له من تنقصهم اي من ذكر ما فيه ذم ونقص لهم واذاهم اي ذكر ما فيه
اذية لهم ويؤدب اي يعزر بما يليق به من ضرب وحبس ونحوهما من انواع الاهانة بقدر
حال المقول فيهم على قدر مراتبهم في الشرف يكون مقدار الزجر والتاديب مفوضا الى
الحاكم لا سيما اي احق بذلك واولى بذلك من تكلم في حق من عرفت صديقيته
والكلام على سيما تقدم وصديقية بكسر الصاد وتشديد
الدال المهملتين وياء تحتية ساكنة وقاف تليها ياء نسبة وهي صيغة مبالغة من الصدق
ضد الكذب وهو معروف قال الراغب الصديق من كثر منه الصدق وقيل هو من
صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله قال تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة
والسلام انه كان صديقا نبيا وقال تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين فهم قوم دون الانبيا في الفضيلة انتهى اي من عرف بعظم تصديقه بالله
واياته وشرايعه ومن عرف فضله منهم اي ممن ذكر انفا وان لم تثبت نبوته اي
كونه نبيا بنص معلوم لكنه علم فضله وصديقيته فانها ثابتة في لزوم توقيره
كمريم واسية واما انكار نبوتهم اي نبوة من لم يتفقوا على انه نبي او انكار
كون الاخر من الملايكة المتفق على ملكيتهم كجبريل مثلا وفي هذا تفصيل فان كان
المتكلم في ذلك المتقول في حقهم ما تقدم من تنقيصهم وانكار من اهل العلم العالمين
بما قاله علما السلف الثقات فلا حرج اي لا اثم عليه ولا تضييق عليه لعله بما يقوله
نقلا عنهم لاختلاف العلما المجتهدين والمولفين المعول عليهم في ذلك المذكور من كونهم
انبيا او ملايكة او لا وان كان الذي ذكرهم بما تقدم من انكار ونحوه من عوام الناس الذين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لم يتعلموا ذلك ولم يتلقوه عن اهله زجر وردع بمنعه عن الخوض في مثل هذا اي التكلم
والمجادلة به واصله المشي في الماء الغير العميق فاستعير للتلبس بالامر والتصرف فيه اي
نهي ومنع عنه وعن المجادلة فيه والتكلم فيما لا يعنيه وهو الامر الذي فيه خلاف من غير
علم به لانه ليس اهلا له فقد يقع في ورطة تجره لما يصعب عليه الخلاص منه ولذا
استعار له الخوض الذي هو المشي في الماء على سبيل الكناية والتخييل فان الخائض في
الماء لا يرى ما يمشي عليه من الارض فربما صادف ما عميقا فيغرق ولذا اختصت هذه
الاستعارة بما لا يحمد من الكلام كما مر فان عاد للتكلم ولم ينته بالزجر ادب بضرب
ونحوه لان اصراره على التكلم في مثله دليل على انه متهاون بما لا يليق به الا تعظيمه
ويكون تاديبه بحسب المقول فيه كما مر اذ ليس لهم اي للعوام الكلام في مثل هذا
لعدم اهليتهم واحتياج الناس لكلامهم وقد كره السلف اي من تقدم من ايمة الدين
الاعلام الكلام في مثل هذا الامر الذي اختلف فيه مما ليس تحته اي في معناه او ما يدل
عليه فكانه امر تحت عمل من اعمال العبادة والطاعة فتركه لا يفوت به شيء
وذكره لا يترتب عليه امر من الطاعة لاهل العلم متعلق بقوله كره فكيف بالعامة
الذين لا علم عندهم فهم احق بالكراهة والمنع من الخوض في مثله والتكلم فيه فمن حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولذا قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ من قال لا اله
الا الله محمد رسول الله صادقا حرمه الله على النار فقال معاذ أفلا أبشر الناس بهذا فقال
لا اذن يتكلوا اي يتركوا العمل والعبادة لامنهم من العذاب فليس للوعاظ
والعلما الاكثار من الترغيبات في العفو ومنه الحكمة المسكوت عنها التي ذكرها الشارح

فصل اعلم ان

من استخف بالقران اي تهاون بتعظيمه وتوقيره او المصحف بضم الميم
وكسرها ونقل فيه التثليث وهو بمعنى الصحف من اصحف اذا جمع وهو مخصوص
بالقران او استخف بشيء منه كبعض جزايه قال ابن حجر ومن الاستخفاف به القاوه
في القاذورات لغير عذر ولا قرينة تدل على عدم الاستهزا وان ضعفت والمراد
النجاسات مطلقا بل والقذر الطاهر ايضا كما صرح به بعضهم وكالقا المصحف ونحوه
بالقذر تلطيخ الكعبة وغيرها من المساجد بنجس ولو قيل ان تلطيخ الكعبة
بالقذر الطاهر كذلك لم يبعد الان كلامهم ربما ياباه والقا المصحف في المكان القذر
كالقايه في القاذورات انتهى ملخصا او سبهما اي سب القران او شيئا منه والمراد به
الفاظه والمراد بالمصحف صور الفاظه المرسومة وما كتبت فيه او كذب به اي كذب
القران بتكذيب ما فيه اي انكره تعنتا وعنادا والفرق بين التكذيب والجحد ان
الاول مطلق الانكار والثاني الانكار لما يعلم حقيقته عنادا او جحد منه اي كذب
او جحد جزا من القران كانكار سورة منه او اية اي انكر اية منه ومثله لا ترد
الزيادة او النقص الواقع في القراات فانه وقع زيادة لبعض حروف وكلمات فيها
بل ايات كالبسملة في الفاتحة فانه ليس زيادة ونقصا من القاري لتواتره فان
ما بين دفتي المصحف متواترا او كذب به اي بحرف منه ملفوظ او مكتوب او كذب بشيء

احتمل

منه

منه اي مما تضمنه من الاحكام وغيرها او كذب بشيء مما صرح به كبعض الرسل المصرح بهم فيه
من حكم من احكامه الشرعية كالصلاة والزكاة والحج والعمرة او خبر مما اخبر به كاباء ابليس السجود
لادم عليه الصلاة والسلام وغيره او اثبت ما نفاه القران او نفى ما اثبته كنفي بعض
الخوارج سورة يوسف وقولهم انها ليست قرانا على علم منه بذلك المذكور من النفي
والاثبات بخلاف ما اثبته او نفاه على غير علم او شك في شيء من ذلك المذكور كله فهو كافر
بسبب ما صدر منه عند اهل العلم باجماع من اهل العلم المعتد بهم ثم استدل
على ما ذكر فقال قال الله تعالى وانه اي القران المذكور في قوله ان الذين كفروا بالذكر
لما جاءهم لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد هو مثل ضربه الله لنفي
تعلق الابطال به وانه لا يتوصل اليه فلا يجد طاعن اليه سبيلا لانه في غاية
الاحكام والرصانة فلا يتطرق الباطل له من جهة من الجهات فقوله من بين يديه ولا من
خلفه كناية عن ساير الجهات كما في الكشاف وتحقيقه في شروحه والباطل فسر هنا بالشيطان
والتحريف اختصار الحدثنا وقد يكتفي برسم نا كما بين في مصطلح الحديث وهو اشهر من
ان يذكر الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد تقدم ترجمته قال حدثنا ابو علي الحافظ
الغساني الثقة وقد تقدم قال حدثنا ابن عبد البر النمري الحافظ امام اهل المغرب
بل الدنيا كما تقدم قال حدثنا ابن عبد المومن هو عبد الله بن محمد بن عبد المومن القرطبي
وله ترجمة مفصلة في الميزان قال حدثنا ابن داسة بمهملتين مفتوحتين الامام ابو
بكر راوي سنن ابي داود عنه كما تقدم تفصيله قال حدثنا ابو داود سليمان
ابن الاشعث السجستاني صاحب السنن وقد قدمنا ترجمته قال حدثنا احمد بن
حنبل امام اهل السنة كما تقدم قال حدثنا يزيد بن هارون ابو خالد السهمي
الواسطي احد الاعلام كما تقدم قال حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة بن ابي وقاص الليثي
اخرج له الشيخان وغيرهما توفي سنة مائة واربعين عن ابي سلمة احد الفقها
السبعة عند بعضهم وفي اسمه اختلاف تقدم في ترجمته عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه ابو داود واحمد في مسنده
قال صلى الله عليه وسلم المرا بكسر الميم وراء مهملة وقبل مد مصدر ماراه يماريه
مرا من المرية قال الراغب هي التردد في الامر وهي اخص من الشك قال تعالى فلا
تك في مرية من لقايه والامترا والمماراة المحاجة فيما فيه مرية قال تعالى فما كانوا
فيه يمترون وقال تعالى فلا تمار فيهم الا مرا ظاهرا واصله من مريت الناقة اذا
مسحت ضرعها للحلب انتهى في القران كفر وفي رواية ابي داود لا تماروا في القران
فان مرا فيه كفر تاولا بضم المثناة الفوقية والهمزة وبدوا ومشددة ولام مجهول
تاوله اي فسره بعضهم بمعنى الشك وفسره اخرون بمعنى الجدال والشك معلوم
والجدال من الجدل وهو النزاع والمغالبة من جدلت الحبل اذا احكمت فتله
كان كل واحد يفتل صاحبه عن رايه اي يصرفه وقيل اصله الصراع لاسقاط
كل انسان صاحبه على الجدالة وهي الارض الصلبة قال تعالى قالوا يا نوح
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ونحوه قاله الراغب وفي نهاية ابن الاثير تبعا للهروي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المرا الجدال والتماري والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مماراة لان كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع وقال ابو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التاويل بل على الاختلاف في اللفظ وهو ان يقرا شخص على حرف فيقول له الاخر ليس هو هكذا لكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء به فاذا جحد كل واحد قراءة صاحبه لم يؤمن ان يكون ذلك اخرجه الى الكفر لانه نفى حرفا انزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وتنكير لفظ مرا في رواية ابي داود ايذانا بان شيا ما منه كفر فضلا عما زاد عليه وقيل انما جا هذا في الجدال والمرا في الايات التي فيها ذكر القدر ونحوه مما هو على مذهب اهل الكلام والاهوا والارا دون ما تضمن الاحكام من الحلال والحرام فانه مما جرى بين الصحابة والعلما من بعدهم والغرض الباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز انتهى وقيل الاظهر ان المراد بالمرا الاختلاف في القراءات المتواترة كما في البخاري عرض

ولا يخفى انه القول الاول بعينه فلا وجه لعده وجها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جحد اي انكر اية من كتاب الله من المسلمين الذين لم يعرف عهد اسلامهم فقد حل ضرب عنقه اي قتله لتكذيبه لله ولرسوله وكذلك اي مثل من جحد اية من القران فاوجب ذلك قتله ان جحد التوراة والانجيل وساير كتب الله المنزلة بجملتها اجمالا او كفر بها بانكار نزول الوحي على الرسل او لعنها او سبها بكل ما ينقصها او استخف بها اي اهانها وحقرها فهو كافر لانها كلها كلام الله سوا قلنا بالكلام النفسي وبقدم الالفاظ على مذهب السلف والشهرستاني صاحب الملل والنحل على ما نقله عنه في المواقف وارتضاه المحققون وقد اجمع المسلمون على ان القران المتلو اي المقرو بالسنتنا في جميع اقطار الارض اي نواحيها وجهاتها المعمورة جمع قطر بضم فسكون بمعنى ناحية وجانب المكتوب في المصحف وفي نسخة في المصاحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان مثنى دفة بفتح الدال المهملة وضمها وهو جانب الشي الذي يغلفه من جلد وخشب ونحوه ومنه دفة السفينة لشكلها و[illegible] وفي نسخة الدفات بالجمع مكان التثنية من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس اي من اول هذه السورة فانه علم لها بالغلبة يقال قرات الحمد لله اي هذه السورة فهو شامل لمن قال ان البسملة اية منها ولمن قال بخلافه على الخلاف المشهور فيها وهذا كما قيل في حديث كانوا يفتتحون القراة بالحمد لله رب العالمين انه اسم من اسما سورة الفاتحة اي كانوا يفتتحون السورة المسماة بالحمد لله الخ فلا حجة فيه على ان البسملة ليست اية منها ومثله عبارة المتن فلا وجه لما قيل من انه بنا على مذهب مالك من ان البسملة ليست اية منها فان العبارة جارية على المذهبين ويجوز في قوله الحمد لله رب الجر والرفع على الحكاية وكذا النصب على حكاية قراة شاذة فيه قيل ويجوز كون كسر الدال اتباعا للام انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل به جبريل عليه الصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق اي ثابت لا ريب فيه لفظا ومعنى من امر ونهي وخبر ومواعظ وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك

فان

فان لم ينقصه لنسيان ونحوه فلا حرج فيه او بدل حرفا اخر مكانه هو كناية عن انه اسقط ذلك واثبت هذا او زاد فيه حرفا لم يقرا به مما لم يشتمل عليه المصحف العثماني المسمى بالامام الذي وقع الاجماع من الصحابة عليه واجمع بالبنا للمجهول وقيل اجمع مبني للفاعل بمعنى قصد وعزم على انه ليس من القران اي ما زاده فيه ولو حرفا عامدا بالقصد لكل هذا انه كافر فان قلت ما بين الدفتين يشمل البسملة في اول كل سورة فانها ثابتة في المصحف العثماني ولها قرا بعض القرا السبعة فصلا ووصلا فيلزم تكفير من قال انها ليست قرانا في اوايل السور قلت المراد بما بين الدفتين ما اثبت فيه متفقا على قرانيته وهذا ليس كذلك فهو كاسما السور وهذا معلوم من قوله الذي وقع الاجماع عليه فخرج ما ذكر والمراد بتبديل القران بغيره تبديله مع اعتقاد انه قران فلا يدخل فيه من يترجم القران بالفارسية ويصلي به لعجزه عن التكلم بالعربية كما في رواية عن ابي حنيفة فان المترجم لا يقول ان كلامه قران وكلام الله وهذا مع ظهوره خفي ابن اقبرس

على بعض الشراح حتى اجاب بان ابا حنيفة رجع عن هذا القول وهو مما يقضى منه العجب ولو كان كذلك كان حكما بكفر قايله قبل الرجوع فتدبر ولهذا اي لاجل ان جميع ما في المصحف حق وان من زاد فيه او نقص كافر راى الامام مالك ان من سب عايشة ام المومنين رضي الله عنها بالفرية بكسر الفا مصدر راي الافترا والكذب عليها بما قاله المنافقون في قصة الافك المشهورة ولتعريف الفرية للعهد لانه خالف القران الذي اثبت فيه براتها من تلك الفرية ومن خالف القران عمدا قتل اي لانه كذب بما فيه فكذب الله ورسوله مع انها مما ينقص مقام النبوة كما لا يخفى وقد اعترض على هذا المنقول عن مالك في حق عايشة فانه لا يتم مدعى ودليلا بانه اراد بتكذيب القران فيه انه كذبه حيث قذف عايشة فلا نص فيه على ذلك لان خصوص السبب غير معتبر في تخصيص الحكم وان اراد انه مخالفة القران بارتكاب ما صرح به فيه من النهي فيلزم تكفير كل من ارتكب كبيرة وورد في القران النهي عنها وليس كذلك الا ان ابن اقبرس

يستحل ما ارتكبه بعد العلم به مع انه قد صرح في الاية بانه يخلد على انه لو سلم انه كفر يكون حكمه حكم المرتد فانه اسلم لا يقتل وجوابه ان هذا مخصوص بعايشة عند مالك قال القرطبي من سب عايشة رضي الله عنها مطلقا كفر لقوله عز وجل يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين لان فيه اذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهتك عرض زوجاته فهو كفر قال هشام بن عمار سمعت هذا من مالك وقال ابو بكر بن عربي قال اصحاب الشافعي من سب عايشة ادب كساير المومنات وقوله ان كنتم مومنين لا يقتضي كونه كفرا حقيقة لحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وقلنا ان اهل الافك رموا عايشة المطهرة بفاحشة براها الله منها ومن سب من براه الله بما براه منه فقد كذبه ومن كذب الله فهو كافر وهذا طريق قول مالك وقيل عليه ان ما نقله ابن عربي عن مالك فيه عرض

ليس كذلك فانه صرح في شرح الروض بخلافه وان مذهبهم كمذهب مالك في خصوص عايشة وقال في الكافي ايضا ولو قذف عايشة بالزنا صار كافرا بخلاف غيرها من الزوجات لان القران العظيم نزل ببراتها وسياتي ايضا حكم قذف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

غيرها في كلام المص نقلا عن ابن شعبان وقال ابن القاسم من ايمة المالكية من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما يقتل لانه كذب الله في قوله وكلم الله موسى تكليما واتى بالمصدر
المؤكد تلميحا للاية وايما الى انه نص فيه ما يمنع عن تاويله وحمله على المجاز فيه
وهذه المسئلة تقدمت في نفي صفات الله ولا تكرار في كلامه وقاله اي ما ذكر
من نفي تكليم الله لموسى عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ابو سعيد البصري
اللولوي الحافظ احد الاعلام في الحديث قال ابن المديني كان اعلم الناس
بالحديث ولد في ثلاث وستين سنة ومائة وتوفي في سنة ثمان وتسعين ومائة واخرج
له الستة وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان بكسر الواو والمشددة وهما
سورة قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس سميتا با ولهما ليستا اي
السورتان من كتاب الله اي القران يضرب عنقه اي يقتل الا ان يتوب فيرجع عما
قاله وهذا اشارة الى ما اشتهر عن ابن مسعود من ان المعوذتين ليستا من
القران وانهما دعا ان كان يتعوذ بهما النبي صلى الله عليه وسلم كقوله اعوذ
بكلمات الله التامة من كل هامة ولامة وقد قال ابن حزم انه افترا عليه
وكيف يتوهم في مثله من اهل اللسان من عدم الفرق بين الكلام المعجز وغيره
وسبب الغلط انه لم يكتبهما في مصحفه اكتفا بحفظه او انه كتب مصحفه قبل
نزولهما وكان لكل احد من كبار الصحابة مصحف بخطه فلما كتب المصحف العثماني
بمعرفة الصحابة تركت تلك المصاحف كلها وفي الانوار من كتب الشافعية وانه
لو قال ليست المعوذتان من القران اختلف في كفره وقال بعضهم انه كان عاميا
كفر او عالما فلا قال ابن حجر في الاعلام والوجه كفر منكر المعوذتين اذا كان
مخالطا للمسلمين لان ذلك لا يخفى على احد منهم وقال في فتاويه وكذا يكفر
من انكر اية او حرفا من القران مجمع عليه كالمعوذتين بخلاف البسملة فان قلت
قد انكر ابن مسعود كون المعوذتين قرانا قلت قال النووي نسبة انه كذب
عليه فان قلت هل من جواب على تقدير الصحة التي انتصر لها شيخ الاسلام
ابن حجر وبين انه جا من طرق صحيحة قلت الجواب عنه انه لم يستقر الاجماع
عند انكاره على كونهما قرانا اما الان فقرانيتهما معلومة من الدين بالضرورة
يكفر منكرهما على ان ما روي من انكاره انما هو انكار رسمهما في مصحفه لا لكونهما
قرانا كما قاله الباقلاني وغيره لانه لم يثبت في المصحف الذي عنده الا ما امر
النبي صلى الله عليه وسلم باثباته وهو لم يجده مكتوبا عنده ولا سمع امره
به انتهى وكذلك كل من كذب بحرف منه اي يضرب عنقه الا ان يتوب قال سحنون
وكذلك اي يقتل ان لم يتب ان شهد شاهد على اي على من قال ان الله تعالى لم
يكلم موسى تكليما كما مر وشهد اخر عليه اي على من قال ذلك القول انه قال انما
ان الله تعالى ما اتخذ ابرهيم خليلا يقتل لانه يجعل ما اثبته الله فهو تكذيب
لله ورسوله لانهما اي الشاهدين اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم
فيما جا به من الوحي من ورود تكليمه واتخاذه خليلا في القران مصرحا به
وفي هذا اشارة الى مسئلة ذكرها الفقها وهي تلفيق الشهادة بان يشهد

كل

كل منهما على شيء غير ما شهد عليه الاخر بحسب العبارة لكن المعنى المقصود منهما واحد
فهل يبطل للاول فلا تقبل الشهادة او للثاني فتقبل كان شهد شاهد على انه وكله في
امور وشهد اخر على انه جعله وصيا له في حياته او وكله في بيع هذه الجارية واخر
انه وكله في بيعها وبيع عبد اخر معها وتسمى تلفيقا وتوارد اعند الفقها وله نظاير
كثيرة وللفقها فيه خلاف مفصل في كتب الفقه وقال ابو عثمان بن الحداد القاضي
المغربي الشافعي الكناني صاحب التاليف البديعة والاثار العجيبة توفي سنة اربع
واربعين وثلثماية وترجمته في التواريخ تغنيه عن الاعادة كذا في بعض الشروح
وليس على ثقة منه جميع من ينتحل التوحيد اي ادعاه وانتسب اليه ويستعمل
كثيرا بمعنى النزع والنحلة والعطية والهبة ايضا وهو تحامهمله كناية هنا عن
اهل الاسلام الموحدين وما قيل من انه عبر به هنا لانه تصديق وكيفية نفسانية
يخلقها الله عز وجل من غير دخل للعبد فيها وانما هو يدعيها النفسه
وينسبت بها تكلف ركيك متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل اي
القران المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم كفر وعداه بالبا وهو متعد
بنفسه لواحد ولاثنين او باللام كما وقع في بعض النسخ للتقوية لتضمنه للكفر
لقوله بعده كفر وكان ابو العالية تقدم في ترجمته ان ابا العالية اثنان ولا تدري
المراد به هنا منهما اذا قرا عنده رجل بقراة غير التي قراها لم يقل له اي لمن
قرا عنده انه ليس كما قرات لئلا ينكر شيا من القران ويقول للقارى اما انا
فاقرا كذا تفاديا عن الانكار صريحا فبلغ ذلك اي قوله ابي العالية ابراهيم
الظاهر انه النخعي لشهرته كما تقدم في ترجمته ويحتمل انه التيمي فقال ابراهيم
اراه نضم الهمزة اي اظنه ويجوز فتحها سمع انه من كفر من الصحابي ان من كفر
بحرف منه فقد كفر بكله اي القران وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
فيما رواه عبد الرزاق عنه من كفر باية من القران فقد كفر به كله لانه تكذيب
لقايلها عز وجل وقال اصبغ بن الفرج بالجيم المصري من كذب بالتشديد
ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر
بالله سبحانه وتعالى وقد سئل ابو الحسن القابسي الحافظ وقد قدمنا ترجمته
عمن خاصم يهوديا فحلف اليهودي له بالتوراة وقال الاخر الذي خاصمه
لعن الله التوراة فشهد عليه شاهد واحد بذلك الذي قاله ثم شهد اخر
انه ساله عن القضية التي جرت بينهما فقال اللاعن انما لعنت توراة اليهود
المحرفة التي يفرقونها بينهم فقال ابو الحسن القابسي المسول منه الشاهد الواحد
لا يوجب القتل لعدم تمام نصاب الشهادة عليه والشاهد الثاني علق الامر
الذي شهد به بصفة هي توراة اليهود التي يتداولونها بينهم وتلك الصفة
التي تحتمل التاويل في كلام اللاعن لان توراة اليهود تحتمل التي نزلت على
نبيهم وتحتمل التي حرفوها وانها توراتهم لا توراة نبيهم وكلام الله
اذ لعله اي القايل لعن الله التوراة لا يرى اي لا يعتقد ان اليهود متمسكين
بشيء من عند الله مما اوحي به لموسى صلى الله عليه وسلم لتبديلهم وتحريفهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للتوراة التي اتى بها موسى عليه الصلاة والسلام بتبديل بعض الفاظها وتاويل
بعض بما لم يرده الله ولو اتفق الشاهدان في شهادتهما على لعن التوراة لعنا مجردا عما
قاله ثانيا من تعليقه بامر وتقييده بصفة تحتمل اضافتها لليهود لمنافاة التاويل
عن صرفه عن ظاهره لامر آخر ونقل ابن حزم ان بعضهم انكر تحريف التوراة وقال
انها وصلت اليهم تواترا وانما اخطاوا في تفسيرها وهذا لا ينبغي لمسلم ان يعتقده
بعد قوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه والقران والاحاديث شاهدة بخلافه
فلا حاجة لنا بالاشتغال بمثله وبعل التاويل فتعريف التوراة في كلامه للعهد اي انها
المحرفة المبدلة وقد اتفق فقهاء بغداد المدينة المعروفة وهي فارسية معربة وفيها
لغات فدالها تهمل وتعجم وتبدل الاخيرة نونا على استتابة ابن شنبوذ اي على انه
طلب منه التوبة معاصر زمنه مما سياتي المقري اسم فاعل من اقرا مكرم تهمون
الاخر وهو العالم بعلم القراات ووجوهها من كيفية الادا المعروفة وابن شنبوذ
هو ابو الحسن محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ بفتح الشين المعجمة
وسكون النون وضم البا الموحدة وواو ساكنة وذال معجمة علم اعجمي بمعنى
شاذ وهو مما لم يتواتر ممنوع من الصرف وقول التلمساني انه يجري ولا يجري اي
يصرف ويمنع من الصرف لا وجه له وهو احد ائمة المقربين المتصدرين للاقرا
بها اي ببغداد مع ابن مجاهد احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الاستاذ
ابو بكر البغدادي ورئيس القرا وهو اول من جمع القراات ولد سنة خمس واربعين
ومايتين فابن شنبوذ من مشاهير علما القراات من اقران ابن مجاهد وكان بينهما منافسة
ومخاصمة وكان من الاعيان العلما الروسا مع غفلة فيه ولما تصدر للاقرا في
القراات انكروها عليه وعقد له مجلس واثبت عليه ذلك فاغلظ عليه القول
وضرب بالسياط وخشي من علو الناس عليه فاخرج للمداين او للبصرة ثم عاد لبغداد
وكتب عليه محضر بعد استتابته ان لا يقري بما كان يقرا به في الصلاة وغيرها من
الشواذ كما قال المصنف لقراته واقرايه شواذ جمع شاذ وهو ما لم يتواتر من
الحروف جمع حرف بمعنى الوجه واللغة وهو احد الوجوه في حديث انزل القران
على سبعة احرف كلها كاف شاف والمصدر ان شاز عا فوله شواذ مما ليس في
المصحف لغريبة للعهد والمراد به مصحف عثمان بن عفان المسمى بالامام والذي
ذكره ابن الانباري في طبقات النحاة انه كان يرى القراة بالراي فيما وافق العربية
والهيه تمثلا كلام الزمخشري والرضي والذي شدد عليه النكير الوزير ابن مقلة
الذي ذكره فدعا عليه ابن شنبوذ ان يقطع الله يده ويشتت شمله فاستجاب
الله دعاه فيه وتوفي في سنة ثمان وعشرين وثلاثماية يوم الاثنين لثلاث خلون
من صفر وكان مجاب الدعوة وفي القاموس انه احمد بن احمد بن شنبوذ وهو مخالف
لما في التواريخ وعقدوا عليه العقد اصل معناه الربط مقابل الحل والمراد
به ما يعني من عبر بزد دفيه والعهد ايضا بالرجوع عنه اي عما كان يذهب اليه
من الاقرا بما ليس في المصحف العثماني مما تقدم والتوبة منه باعترافه بخطابه
وندمه مع العزم على عدم الرجوع اليه سجلا بكسر السين والجيم وتشديد اللام

وهو

وهو في الاصل اسم لما يكتب فيه قال تعالى كطي السجل اي كطيه لما كتب فيه حفظا له
ثم اختص في العرف بما يكتب فيه حجة شرعية ووثيقة وهو المراد هنا اشهد فيه بينا
الفاعل اي رضي بشهادة من حضر بذلك اي برجوعه وتوبته على نفسه في مجلس الوزير
اي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
والسلام والوزير الكاتب المشهور استوزره الخليفة المقتدر بالله سنة عشر وثلاثماية
ثم قبض عليه سنة ثمان عشرة وصادره ونفاه لفارس ثم استوزره القاهر بالله واتهمه
بامر فاستعفاه من الوزارة فلما تولى الراضي بالله سنة اثنين وعشرين استوزره ثم
غضب عليه وقطع يده وسجنه فقال وهو مسجون

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها * فلسنا من الاحيا فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا * اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا

ومن الحكمة السجن قبر الاحيا والوزير وكيل السلطان في نص فانه واختلف في
اشتقاقه هل هو من الوزر بالكسر اي الثقل او التحريك او من الازر بالهمز لكونه يشد ازره
او يحمل ثقله واوزاره واليه اشار المعري بقوله

هو الوزير ولا ازر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ما

وكان فيمن افتى عليه بذلك اي بما لزمه ابو بكر الابهري المالكي احد فقها بغداد
المشهورين بها والابهري بفتح الهمزة والبا الموحدة وسكون الها قبل را مهملة مدينة
مشهورة وقيل باؤه ساكنة وهاؤه مفتوحة وكذا غيره من العلما الجلة وافتى
الشيخ ابو محمد بن ابي زيد القيرواني وقد قدمنا ترجمته بالادب اي بالتاديب
والتعزير بما يليق به فيمن قال لصبي يتعلم القران لعن الله معلمك النبي علمك
القران واقراك وما علمك اي ولعن ما علمك وهذا هو الذي يخشى عليه منه
لان النبي عليه معلوم ولا يجوز الاستخفاف به فضلا عن لعنه ونحو بحث الطاهر
منكر نجد افانا اوله وقال اللاعن اردت بما المذكورة الصادقة على المقرئ وصفته
التي وقع عليهما وهو سوء الادب في حال قراته وعدم تعظيم ما قراه ووقوعه
على حال غير مستحسنة فان للقارئ ادابا ذكروها من خالفها ساء ادبه ولم ارد بما
في كلامي القران الذي تعلمه قال ابو محمد بن ابي زيد واما من لعن المصحف وفي
نسخة من لعن القران فانه يقتل لجراته على الله تعالى وعلى كلامه ولعنته عائدة
عليه والمراد انه يكفر فيستحق القتل

فصل وسب

آل بيته وازواجه امهات المومنين واصحابه صلى الله وسلم عليه وعليهم
اجمعين السب الشتم كما مر وآل النبي صلى الله عليه وسلم للفقها فيهم
اختلاف مذكور في كتب الفروع فذهب الشافعي الى انهم علي وفاطمة وولدهما
والعباس وجعفر والعقيل والهم وهم من لا تحل لهم الزكاة من بني عبد
المطلب لحديث نحن وبنو المطلب شيء واحد لم نفترق في جاهلية ولا اسلام

فلسنا من الموتى فيها ولا الاحيا لاجل القافية وهو الاصح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وشبك بين اصابعه وبقية الكلام عليه مفصل في محله وازواجه جمع زوج او زوجة
وهي المنكوحة والاصحاب جمع صاحب وهو من لقيه صلى الله عليه وسلم مسلما وتنقصهم
حرام شرعا لكرامتهم عنده رضي الله عنهم وثنا الله عليهم في كتابه العزيز في ايات عديدة
ملعون مطرود مبعد من رحمة الله فاعله ومن يبعده منه فقد اثم وصحه بحديث
صحيح رواه الترمذي فقال حدثنا القاضي الشهيد ابو علي هو الحسين بن محمد بن
فرة الصدفي المعروف بابن سكرة كما تقدم قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي تقدم ايضا
وابو الفضل العدل هو احمد بن الحسين بن خيرون الحافظ كما تقدم قالا حدثنا
ابو يعلى احمد بن عبد الواحد المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم قال حدثنا ابو علي السنجي
احمد بن محمد المروزي كما تقدم قال حدثنا ابن محبوب قال حدثنا الترمذي صاحب
السنن وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس
ابو عبد الله الذهلي توفي في سنة خمس وخمسين ومايتين قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم
ابن سعد قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهري توفي سنة مايتين وثمان
واخرج له الستة كما تقدم قال حدثنا عبيدة بن ابي رايطة بفتح العين المهملة
تليها موحدة مكسورة عند الحفاظ كما قاله ابن ماكولا والذهبي وضم عينه كما في
بعض النسخ خطا من الناسخ كما قاله السبكي وتبعه البرهان الحلبي وهو ثقة اخرج
له اصحاب السنن عن عبد الرحمن بن زياد اخو عبيد الله بن زياد وهو غير معروف
عن عبد الله بن مغفل بزنة اسم المفعول مفتوح الغين المعجمة مشدد الفا قال
ابن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي تحذيرا
وكرره ووضع الظاهر موضع الضمير مبالغة في التحذير وتاكيدا في تفخيم شانهم
وتوقيرهم اي اتقوا الله في حق اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي اي بعد موتي
فانهم في حياته صلى الله عليه وسلم لم يصبهم ما يخصهم من ضرر وفيه اخبار
بالغيب فانهم بعد موته صلى الله عليه وسلم حل بهم امور عظيمة كفتنة الدار
وصفين وقتل الفاروق وتقدم ان الغرض هو الهدف الذي ينصب ليرمى بالسهام
فشبه به من يذم ويطعن فيه ويلزمه تشبيه كلامه بالسهام التي ترمى كقوله

سهم اصاب وراميه بذي سلم • من بالعراق لقد ابعدت مرماك

وعليه قول العارف ابن الفارض نفعنا الله به • عرضت نفسك للبلا فاستهدف
وهو هنا استعارة وقيل انه تشبيه بليغ وليس هذا محل تفصيله والعامل هنا
مقدر يجوز اظهاره وقيل انه لا يجوز اظهاره اذا تكرر لان الثاني قايم مقام
الاول وقيل اظهاره ايضا جايز مع قبحه كما تقدم عن الجزولي والكلام عليه
مفصل في كتب النحو قال ابن حجر في الزواجر اكد التحذير من ذلك بقوله الله الله
اي احذروا الله على حد قوله ويحذركم الله نفسه كما تقول لمن تراه مشرفا
على وقوعه في نار عظيمة النار النار فمن احبهم فبحبي اي بسبب حبي لهم على
منازلهم عندي احبهم لا لغرض اخر من امور الدنيا ومن ابغضهم فببغضي
اي بسبب عداوتي كعداوة المشركين ابغضهم لا لشيء اخر قال ابن حجر بعد ما
تقدم فتامل عظيم فضايلهم ومناقبهم التي نوه بها حيث جعل محبتهم محبة

له

له وناهيك بذلك جلالا وشرفا فحبهم وبغضهم عنوان محبته وبغضه ومن ثمة كان
حب الانصار من الايمان وبغضهم من النفاق لبذلهم الاموال والانفس في محبته ونصرته
ومن اذاهم فقد اذاني لان المحب المخلص يسوءه ما يسوء حبيبه ويسره ما يسره وتاخير
الاذية عن البغض في محله لترتبها عليها ومن اذاني حقيقة لفعل ما يسوءه في نفسه
واتباعه فقد اذى الله تقدم ان الاذية ايصال الضرر وهي هنا مجاز عن مخالفة امره
ونهيه اذ لا يتصور الاذية في حقه عز وجل ومن اذى الله عصاه يوشك بزنة يكرم
اي يقرب من ان ياخذه اي يهلكه يقال وشك واوشك ان يخرج اي قرب اسراعه
للخروج قال

وصار على الادنين كلا واوشكت • صلات ذوي القربى له ان تنكرا

والاخذ كما قال الراغب حوز الشيء وتحصيله وذلك تارة يكون بالتناول
نحو معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده وتارة بالقهر كقوله تعالى لا تا
سنة ولا نوم والمواخذة المجازاة انتهى وقد تقدم هذا ايضا فاخذه هنا
اما بمعنى عقوبته او مجازيه على اذيته وفي هذا الحديث اشارة الى شدة قربهم
منه صلى الله عليه وسلم وتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذيتهم اذية له واوقعه
عليه ثم اظهر ذلك على وجه اكده بقوله فقد اذى الله اذ لا يضر الله شيء فهو ايما
لشدة قربه صلى الله عليه وسلم من الله فهو مجاز بهذا الاعتبار المجازي ايضا
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة
الله والملايكة والناس اجمعين تاكيد للعموم لا يقبل الله منه صرفا اي توبة او
طاعة فيصرف وجهه لجانب الله ولا عدلا اي فدية او فريضة وقد تقدم الكلام
على هذا الحديث فتذكره وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجي
قوم اي ناس من المسلمين وضمير انه ضمير شان في اخر الزمان يسبونهم اي يسبون
الاصحاب فلا تصلوا عليهم بعد موتهم ولا تصلوا معهم اي لا تقتدوا بهم
والنهي كما قيل تنزيهي لجواز الاقتدا بالمبتدع والصلاة خلف كل بر وفاجر
ولا تناكحوهم اي لا تزوجوهم ولا تتزوجوا منهم ولا تجالسوهم اي لا تعاشروهم
ولا تخالطوهم وان مرضوا وانقطعوا في بيوتهم لمرض اصابهم فلا تعودوهم
اي لا تذهبوا لعيادتهم وهو مبالغة في اهانتهم وتركهم بالكلية وزجرا لهم
باظهار عداوتهم وهذا كله مما خرج مخرج التغليظ عليهم وقيل انه يحتمل
انه كشف له صلى الله عليه وسلم عن سرايرهم وانهم كفرة باطنا ولا يخفى
انه غير صحيح فانه في قوم غير معينين والحكم بالامر الباطني لا يجوز لانه
كما تقدم فكيف يامر به غيره وظاهر هذا الحديث ان سب الصحابة كفر مطلقا
وليس كذلك فان فيه تفصيلا ياتي فاما ان يحمل على المبالغة والتغليظ
في الزجر او يقال انه من معجزاته صلى الله عليه وسلم بان يكون من الاخبار
عن المغيبات فاخبر عن بعض من وقع منه ما هو كفر كبعض الرافضة
كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث كالحديث الذي رواه البيهقي في
دلايل النبوة بسند حسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج قبل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قيام الساعة قوم يقال لهم الرافضة يرفضون الاسلام فاقتلوهم فانهم مشركون
ولذلك اشار الصرصري في قصيدته النونية في قوله

وكذاك اخبر ان سب صحابه * ما للمصر عليه من غفران
علما بقوم يجهرون بسبهم * من كل غمر فاحش لعان

وقد قيل من ابغض الصحابة من حيث هم صحابته فقد ابغضه صلى الله عليه وسلم واذاه
وايضا منهم قوم صرحوا بما هو كفر وهم كثرة تستتروا بالرفض وحب اهل البيت
فما في الحديث صريح في كفرهم من ترك الصلاة عليهم ومناكحتهم ومجالستهم وهم يرون
ترك الجمعة والجماعة وغير ذلك مما هو كفر وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث احد
من سب اصحابي فاضربوه تعزيرا له واهانة ليرتدع هو وامثاله وفي الحديث ايضا من
سب اصحابي فاجلدوه كما يأتي وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
من عظيم الكبائر على الخاص يؤذيه وايذا النبي صلى الله عليه وسلم حرام بالاتفاق
وايذا ممتد راداه وقوله في القاموس لا تقل ايذا غلط فانه متعد رباعي وقد
سمع ايضا وقد مر التنبيه على ذلك ايضا وفي نسخة واذى فقال لا تؤذوني في اصحابي
ومن اذاهم فقد اذاني وقد تقدم ما فيه وفي الانوار لو استحل ايذا احد من الصحابة
كفر وفي الاعلام واستحلال ايذا غير الصحابة مكفر ايضا كما هو ظاهر ومحل تكفير المستحل
ايذا اصحابي ما لم يكن عن تاويل ولو خطا لانه ظني فله شبهة مما تمنع الكفر تنبيه
الحديث الذي تقدم رواه الترمذي وقال انه صحيح حسن لا تسبوا اصحابي فوالذي
نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه فيه
سؤال مشهور وهو ان المخاطب به الصحابة والحديث هنا يقتضي خلافه واجيب
بان مراده باصحابي من اسلم قبل الفتح من السابقين الاولين والمخاطب من اسلم
بعده ويشير اليه قوله مثل احد لقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل
الفتح الاية فالمراد بالخطاب غيرهم وان شملت الصحبة الجميع قاله السبكي وقال سمعت
ابن عطا الله يقول في وعظه للنبي صلى الله عليه وسلم تجليات يرى فيها من بعده
ويخاطبه ومنه خطابه هذا وهو منزع صوفي وعليه فالحديث شامل لجميع الصحابة
وعلى غيره مخصوص بالمتقدمين ويدخل من بعدهم في حكمهم وعليهما الحرمة ثابتة
للجميع والكلام في سب بعضهم معينا او غير معين اما سب الجميع فقيل انه كفر بلا
شك كسب الصحابي من حيث انه صحابي فانه تعريض بسب النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه حمل قول الطحاوي بعضهم كفر فان سب صحابيا لا من حيث كونه صحابيا وكان
ممن تحققت فضيلته بان كان ممن اسلم قبل الفتح كالروافض الذين يسبون
الشيخين وهما السمع والبصر منه صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث ففيه
وجهان فانه قد يكون لامر اخر دنيوي غير الصحبة وليس بكفر لانه لتقديم على
واعتقادهم لجهلهم انهما ظلماه وهما بريئان من ذلك وفي كتب الحنفية
ان سبهما وانكار امامتهما كفر وفي صحة الصلاة خلفهم خلاف مبني على هذا زبدة
ما قاله السبكي في فتاويه ونقلته من خط البقاعي وقد سئل عن هذا الحديث
فاجاب بانه جا في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ياتي على الناس زمان

للعامل

للعامل فيه اجر خمسين فقالت الصحابة رضي الله عنهم اجمعين منهم فقال بل منكم فيحمل الاول
على الاتفاق خاصة والثاني على كلمة الحق الان لهذا لانه على كمال الايمان لتوقع الضرر بقتل
ويكون لغلبة اهل الفساد والطغيان وعدم الانصار والاعوان وها هنا دقيقة وهي ان
قوله تعالى لا يستوي منكم الاية نص في ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من جميع الصحابة
فالخلافة حقه بلا شبهة وفي الانوار ان من انكر خلافة الصديق مبتدع لا كافر ومن سب
الصحابة او عايشة من غير استحلال فاسق واختلفوا فيمن سب ابا بكر وعمر قال غيره وفي كفر
من سب الختنين وجهان وقال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر لا تؤذوني في عايشة
الظاهر انه مخصوص بها رضي الله عنها ويحتمل انه شامل لجميع امهات المؤمنين رضي الله
عنهن ويدل للظاهر الاول ما روي عن ابن عباس انها قالت اعطيت عشر خصال لم
يعطهن ذات خمار قبلي صورت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اتزوج في رحم
امي ولم يتزوج بكرا غيري وكان ينزل عليه الوحي وكان بين سحري ونحري ونزل تبراتي
من السما في سبع ايات وكنت احب النسا اليه واني احب الرجال اليه وخيرهم وخير رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو بين حاقنتي وذاقنتي وتوفي في بيتي ودفن في بيتي
قال ابن المنير ومن خصايص عايشة انها ولدت مسلمة باسلام ابيها قبل ولادتها
قال وهذا لازم لاهل السير والتواريخ فما ينقلوه ولم ار احدا انتزعه قبل ذلك
وفضايلها لا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم في حق فاطمة الزهرا رضي الله عنها
هي بضعة مني قال في مختصر النهاية البضعة بالفتح القطعة اللحم وقد تكسر وفاطمة
بضعة مني اي جزء مني كما ان البضعة قطعة من اللحم انتهى والكسر فيه اشهر على
الالسنة لانها متكونة من مائه صلى الله عليه وسلم الذي هو جزء منه وفيه فضيلة
لها لا لابنيها ولها على غيرها وبهذا الاعتبار تجوز تفضيلها على من سواها لان التفضيل قد
يكون من وجه وهو لا ينافي تفضيل غيره عليه من وجه فلا تعارض في مثله لمن له بصيرة
يؤذيني ما اذاها فيه من احكام البلاغة مرتبة عليه فان الجسد كله يتالم بما يتالم
به بعضه فمن ضر بتبدده تالم بالمها البدن كله فكونها بضعة علة لما بعده فتدبر
وحديث فاطمة في الصحيحين وقد اختلف العلما في هذا اي فيما يستحقه من صدر
عنه مثله فمشهور مذهب مالك في ذلك النكال الذي يستحقه الاجتهاد للحاكم ونفوض
لرايه وما يقتضيه والادب الموجع بضرب ونحوه قال مالك رحمه الله من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم قتل احدا او كل كما تقدم ومن شتم اصحابه ادب بما يستحقه
من تعزير وقد فكفيره وقال ايضا مالك رحمه الله من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ابا بكر او عمر او عليا او معاوية او عمرو بن العاص بن وايل السهمي فان قال
كانوا على ضلال او كفر قتل ولم يأوله بان قال ارتدت قبل اسلامهم فان فيه تكذيبا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع الامة وهذا مذهب مالك ولم يذكر
استتابته هنا وان شتمهم اي شتم الصحابة بغير هذا المذكور من الضلال والكفر
بل شتمهم بما هو من جنس مشاتمة الناس بعضهم لبعض فيما يجري بينهم نكل
اي عوقب نكالا شديدا بما يوجعه من ضرب مولم ونحوه وقال ابن حبيب المالكي من
غلا اي بالغ في غلوه من الشيعة المفرطين في محبة علي واعتقاد افضليته وان الخلافة

حقه وهو فرق مشهورة ولهم مذاهب وانتهى في غلوه الى عثمان بن عفان رضي الله عنه بالوقوع في حقه والبراءة منه وان لم يكن خليفة بحق وعلى بحق ادب ادبا شديدا حتى ينزجر هو وامثاله بضرب ونحوه ومن زاد في ذلك اي في غلوه في حق الصحابة رضي الله عنهم الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد لزيادة حرمته ويكرر ضربه ويطال سجنه بفتح السين ويجوز كسرها كما مر حتى يموت في السجن ليستغنا به غيره ولا يبلغ به في عقوبته القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما من الصحابة رضي الله عنهم يوجع ضربا وهذا المذكور عن مذهب مالك مخالف لما تقدم عن مالك من ان من قال انهم كانوا على ضلال وكفر قتل ولذا عقبه بقوله وحكى الشيخ ابو محمد ابن ابي زيد عن سحنون فيمن قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم كانوا على ضلال وكفر قتل كما تقدم عن مالك وذكره لما فيه من تردد قوله ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا ابتسبيهم للضلال والكفر نكل اي عوقب النكال الشديد بلا قتل للفرق بين كبار الصحابة وغيرهم وروي عن مالك في قول آخر له من سب ابا بكر جلد تعزيرا له ونكالا ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل اي سئل مالك عن وجه العلة فيما قاله فقيل له لم قلت هذا قال من رماها اي سبها وافترى عليها بما براها الله منه والرمي يستعار لما ذكر لتشبيهه له بالرجم قاله

رماني بامر كنت منه ووالدي * بريا ومن اجل الطوي رماني

فقد خالف القرآن لان الله براها فيه من كل عيب في قصة الافك وقال ابن شعبان تقدمت ترجمته عنه اي عن مالك في رواية عنه لان الله يقول في القائلين في حق عائشة رضي الله عنها يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر لقوله ان كنتم مؤمنين فمن عاد ليس بمؤمن كما يدل عليه ذلك المفهوم لتذكيره لهم بما يخلو به الايمان المانع لهم من العود عما صدر عنهم من القبائح تهييجا للعزم الحاملة لهم على الاتعاظ وقد قيل على ذلك ان فيه بحثا لان السب اعم من الرمي ومطلق مخالفة القرآن لا تقتضي الكفر كما تقدم الا انه ضم الى المخالفة مفهوم الشرط في قوله ان كنتم مؤمنين الخ كما بينه ابن شعبان وخطاب المشافهة في الآية مختص باصحاب الافك وحكم غيرهم استفيد مما تقدم وقوله ان تعودوا لمثله يعني في عائشة بعينها او هي ومن في مرتبتها من امهات المؤمنين لما فيه من اذية النبي صلى الله عليه وسلم في عرضه واهله وقوله روي بينا المجهول راويه هشام ابن عمار فانه نقل عنه انه قال سمعت مالكا الخ وساق ما ذكر منه انتهى وليس بشيء اما قوله السب عام فمسلم ولكنه مخصوص هنا بقرينة المقام وقوله مخالفة القرآن لا تقتضي الكفر هو كذلك لو بقي على اطلاقه اما اذا انضم اليه انه تكذيب لله ورسوله فهو كفر كما بينه ابن شعبان وتقدم عن ابن العربي المالكي قريبا انه قال ان اصحاب الشافعي قالوا ان من سب عائشة ادب كما في سائر المؤمنين وقوله ان كنتم مؤمنين لا يقتضي انه كفر لانه تغليظ في الزجر كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وانه اجاب بان مالكا سئل عمن رمى عائشة

بالافك

بالافك فقال ليس هو كرمي غيرها لان الله براها مما قالوه فرامها مكذب لله فيما اخبر به من براءتها وهو ملحظ اخر لا تعلق له بمفهوم الشرط وتقدم ما فيه ويؤيده قول ابن عباس من اذنب ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في الافك وفي كون النبي صلى الله عليه وسلم حد اصحاب الافك ام لا روايتان ذكرهما الماوردي والكلام عليه مذكور في التفاسير والسير والكلام السابق في سب ابي بكر رضي الله عنه مقيد بغير انكار صحبته اما هو فانه كفر عند الشافعية وبعض الفقهاء فانه ثابت بالنص ومجمع عليه كما مر بسطه وحكى ابو الحسن الصقلي نسبة الى صقلية بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وكسر اللام المشددة وهي جزيرة من جزائر المغرب معروفة هذا هو المشهور على الالسنة قال بعض شعرائها

ذكرت صقلية والاسى * فنبهت دمعي بانهارها

وذكر البرهان الحلبي ان صادها مكسورة وقيل صادها وقافها وكذا رايته في نسخة المجمع للصغاني الا انه ضبط قلم لا يعول عليه ان القاضي ابا بكر بن الطيب هو الامام الباقلاني كما تقدم في ترجمته قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح اي نزه وبرأ نفسه اي ذاته المقدسة بنفسه اي قاله ابتداء من غير اسناده لغيره كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون نزلت في خزاعة اذ قالوا الملائكة عليهم الصلاة والسلام بنات الله في آي بالمد جمع آية واسم جنس جمعي كثير ونحوه اي هذا امر كثير في القرآن في آيات اخر كثيرة كقوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وذكر تعالى في القرآن ما نسبه المنافقون الى عائشة رضي الله عنها في قصة الافك فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا اي لا يجوز ولا يصح لانه ما كان ولا ينبغي ورد في القرآن لعادتها منها هذا كما مر ولولا بمعنى هلا وقدم الظرف لانه هو الاهم بالانكار على سماع مثله ان نتكلم بهذا اي نتلفظ به فضلا عن اشاعته واعتقاده سبحانك منصوب على المصدرية والاصل فيه التعجب من صنعه ثم شاع في مطلق التعجب وهو مصدر كالغفران وتقدم الكلام عليه مفصلا هذا بهتان عظيم اي افتراء عظيم لا يليق بعاقل التكلم به لانه كيف تكون زوجته صلى الله عليه وسلم منسوبة لمثله والبهتان في الاصل كذب يبهت سامعه تحيرا من افترا مثله فكانه قال تعجبوا ايها السامعون منه وتحق ان يكون على اصله بان نزه الله بان يوجد مثل هذا السوء ويعز عليه اكرم خلقه عليه الصلاة والسلام واليه اشار بقوله سبح نفسه اي براها ونزهها مبالغة في تعظيمها اي تنزيه عائشة وفي نسخة تبريتها من السوء اي الامر السيء القبيح كما سبح نفسه في تبرئة اي تنزيها الله لذاته وفي نسخة لتبرئته من السوء وضع الظاهر موضع الضمير تفخيما لشأنه وتلويحا لوجوب التنزيه منه وفيه تنويه بقدرها وترفعه لمقامها حيث جعل ما لا يليق بالله لا يليق بها رضي الله عنها وهو في غاية الظهور وهذا الذي ذكره الباقلاني من تنزيهها عما نزه الله عنه ذاته تشهد اي يدل دلالة ظاهرة كانها مشاهدة لقول مالك المذكور انفا في قتل من سب عائشة رضي الله عنها لتنويهه وجعله كسب الله بطريق التلويح والاشارة النص المعلومة من عرف الاستعمال لان العبارة فلا وجه لما اورد عليه من المعارضة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لمطلق التعجب كما وقع في الحديث سبحان الله ان المومن لا ينجس واليه اشار في الكشاف وانما
نشا هذا من عدم التنبه بما اراده ولذا وضحه بقوله ومعنى هذا الذي قاله الباقلاني
بقيل الاشارة لقول مالك انه يقتل من سبهما ان الله تعالى لما عظم سبهما اي جعله عظيما
في قبحه كما عظم سبه باستعماله فيه ما استعمله في حق نفسه من التنزيه تنويها بقدرها
كما تقدم وكان سبهما بما نسب لها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم لان نسبة اهله لمثل
ذلك يشين عرضه ويوذيه كما لا يخفى والله عز وجل قرن سب نبيه صلى الله عليه
وسلم واذاه باذاه تعالى اي اذى الله في نفسه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وكان حكم موذيه تعالى شرعا القتل كان
حكم موذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك اي القتل للتسوية بينهما وجعلهما
في قرن واحد كما قدمنا في هذا الكتاب مرارا في حكم سب الله واورد عليه انه على
ما قاله ليس قتله لسب عايشة رضي الله عنها بل للازمه من سبه النبي صلى الله عليه
وسلم وايضا لو سلم هذا لزم قتل اصحاب الافك ولم يقع وايضا فقد تقدم الفرق بين
سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم على اقوال تقدمت وايضا يلزمه ذلك
في سب الصحابة مطلقا لانه يوذيه صلى الله عليه وسلم وليس بشي لما علمته
من ان المراد به اذية عظيمة لما فيه من الشين الذي لا يرضاه احد في نسبة اهله للزنا
والرضا به واما عدم قتل اهل الافك المنافقين في حياته صلى الله عليه وسلم فلحكمة
اقتضته من اثارة الفتن وصد من ضعف اسلامه عنه باشاعة انه يقتل اصحابه كما
تقدم وشتم رجل عايشة كرمها الله بالكوفة هذا الرجل غير معروف وقوله كرمها
الله اي جعلها مكرمة منزهة عن النقايص فقد صادف محزه والكوفة احد
المصرين المعروفين بانها محط رحال الفضلا ويقال لها كوفة الجند اي مجتمعهم سميت
بذلك لان سعدا رضي الله عنه لما اراد ان يبنيها قال لهم تكوفوا بهذا المكان اي
اجتمعوا فيه فسميت كوفة لذلك ولزمته اللام او الاضافة لانه علم بالغلبة وقيل
كان اسمها قديما كوفان فقدم الى موسى بن عيسى العباسي منسوب الى العباس بن
عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم والذي في التواريخ انه عيسى بن
موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس واول من ولي الخلافة من بني العباس
السفاح وجعل ولي العهد بعده اخاه المنصور ولعله عيسى بن موسى حين خلع
نفسه كرها وقيل عوضه عشرة الاف درهم وجعل ابنه المهدي بعده وبعده
عيسى بن موسى فمات قبل المهدي سنة ثمان وستين ومائة ومات المهدي
بعده بسنة فقال عيسى بن موسى لما ادعي عليه بما صدر منه من حضر هذا الرجل
لما قال ذلك الشتم او من سمع هذا الكلام منه فقال ابن ابي ليلى انا كنت حاضرا
سامعا المقالة وابن ابي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن الانصاري الفقيه المشهور
كان صاحب قران وعنه اخذ حمزة احد القرا السبعة وكان افقه اهل عصره واعلم
بالسنة حتى وصل لرتبة الاجتهاد والشتم المراد به هنا القذف وكانه يذكر قصة
الافك بدليل قوله فجلده ثمانين لانه حد القذف ولعله شهد معه شهود
اخر واقتصر على ذكر ابن ابي ليلى لجلالة قدره ولو كان الرجل اقر لم يحتج للسوال

عن

من سمع منه ذلك وحلق راسه لان هذا كان تعزيرا في العصر الاول لان العرب كانت لا تحلق
الروس الا في نسك وكان الاسير اذا حلق راسه عدوه عارا عليه وورد في الحديث ان الحوا
شعارهم حلق الروس وجمع له بين الحد والتعزير لانه يجوز الجمع بينهما عندنا في
مسايل ذكروها وللامام او نايبه استيفا حد القذف عن ميتة لا وارث له معروف
وعايشة رضي الله عنها لم يكن لها وارث حاضر في هذه القصة ويحتمل ان لها وارثا نايبه
والمتمم اقتصر من القصة على محل الشاهد منها فلا اشكال في كلام المتمم كما قيل واسلمه
للحجامين لتسليمه لهم اما للحبس عندهم او ليخرجوا منه دما يضعفه او ليكون معهم
في خلطتهم وتوبيخ له او هوانا واهانة له ليسقط قبول شهادته برذالة صنعته وهذا
الظهر وروى ابو ذر الغفاري المشهور رضي الله عنه وهذا انما نقله الخطيب وابن
عساكر في التاريخ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد
الله نجم العين ابن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود الصحابي المشهور رضي الله عنه والمراد
بالنذر هنا الزام نفسه جزما بفعله لا النذر الشرعي او هو نذر شرعي لانه علق
على شي لقصد المنع وتسميه الفقها نذر اللجاج والغضب وهو مخير فيه بين الفعل
وكفارة اليمين والنذر على اقسام ذكرها الفقها فكلم بالبنا للمجهول في ذلك اي كلمه
الناس بالشفاعة فيه والعفو عنه فقال عمر رضي الله عنه لمن كلمه في شانه دعوني
اقطع لسانه اي اتركوني افعل ذلك ولا تمنعوني منه حتى لا يشتم احد من الناس
بعد مبني على الضم اي بعد هذا اصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعبيد
الله بن عمر بن الخطاب بالتصغير كما علمت وله اخ من ابويه اسمه زيد الاصغر وامهما
مليكة ابنت جرول وتكنى ام كلثوم وهي بنت لعلي بن ابي طالب من فاطمة رضي الله عنها
مات هو وامه في وقت واحد فلم يورث احدهما من الاخر وقيل بل هي بجرح في حرب بني حنيفة
فمات والمقداد رباه يتيما الاسود وهو عبد حبشي وتبناه فنسب له وابوه عمرو بن
العنبي بن ثعلبة البهراني او الحضرمي قال بعضهم ان ابن هنا وامثاله يكتب بالالف لانه
ليس واقعا بين علمين ورد بان القاعدة انه اذا وصف العلم بابن متصل كتب في حذف
الالف من ابن خطا سوا كان العلم الذي اضيف اليه ابن علما لابيه الاول حقيقة
ام لا كما اقتضاه اطلاقهم وكون الابوة حقيقة لم يتعرضوا لاشتراطه الا انه قد
يقال الاب حقيقة في ابي الولادة فيحمل اطلاقهم عليه لانه الاصل والتبني لا يدفع
صورة الواقع من كون الابن وقع بين علمين وشهد المقداد بدرا وما قدمنا
وما بعدها ومات ببلده بقرب المدينة ودفن بها وصلى عليه عثمان سنة ثلاث
وثلاثين وهو ابن سبعين وقطع اللسان من المذكور تعزير له لا حد فانه لا تجوز
الشفاعة فيه بخلاف التعزير وللامام ان يغلظ في الحد بما اراد فلا يقال
ان قطع اللسان لم يرد في الشرع ثم ان التعزير فيه حق لله للامام ان يستوفيه
لغير طلب والمقداد كان من كبار الصحابة رضي الله عنهم فلذا اغضب ذلك عمر
رضي الله عنه وروى ابو ذر الهروي هو عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد
الله الهروي الحافظ كما تقدم ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي يهجو الانصار
فقال لولا ان له صحبة اي لو لم يكن من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لكفيتكموه الخطاب لمن عنده من الانصار او لمن حضره او لقتلته وكفيتكم شره وهجوه
ولكن لشرف صحبته عفي عنه وهذا المركي يبلغ مرتبة حد القذف وهو ان هذا بنا
على ان الامام له ان يبلغ باجتهاده في التعزير للقتل وهو الذي يسميه الفقها سياسة
وهذا رواه ابن قدامة عن ابي سعيد الخدري بسند رجاله ثقات وقال الامام
مالك وفي نسخة وقال مالك في رواية عنه من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم اي ذكرهم بما فيه نقص لهم فليس له في هذا الفي حق وسهم منه
ان لا نصيب له في مال يؤخذ فيا من الكفار واستدل عليه بقوله قد قسم الله الفي
في ثلاثة اصناف من المسلمين فقال في قسم منه للفقرا من المسلمين المهاجرين الاية اي
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله
اولئك هم الصادقون اي الذين هاجروا من ديارهم للمدينة لنصرة نبيه صلى الله عليه
وسلم وابتغا فضل الله ورضوانه ثم قال في القسم الثاني والذين تبوءوا الدار والايمان
الاية من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وهولا هم الانصار الذين اووا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونصروه ثم قال في القسم الثالث والذين جاوا للاسلام من بعد
المهاجرين والانصار من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الاية ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك روف رحيم فهولا يدعون لهم ويستغفرون
لهم ويعظمونهم لسبقهم للسعادة في الدارين فمن تنقصهم فلا حق له في حق
المسلمين لخروجه عن الاصناف الثلاثة وهذا بنا على ان قوله للفقرا الخ بدل من قوله
لذي القربى وما بعده والمبدل منه في حكم الطرح لا متعلقا بمحذوف اي اعجبوا لهم في
تركهم اموالهم واهلهم وديارهم لرجا فضل الله ونصرة دينه ومدح الله لهم بالصدق
في ذلك والذين تبوءوا الدار لايثارهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة والذين جاوا من بعدهم
داعين للسابقين وهو على مذهبه من ان الفي لا يخمس كالغنيمة وعند بعضهم يخمس والكلام
فيه مفصل في كتب الفقه والتفسير والفي ما اخذ من الكفار من غير قتال فيدخل فيه
الخراج والعشر والغنيمة وفيه خلاف هل يخمس ام لا والخمس الذي كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يصرفه في مصالحه اختلف فيه بعد موته على ما فصله الفقها وفي كتاب
ابن شعبان من قال في واحد منهم اي الصحابة رضي الله عنهم انه ابن زانية وامه مسلمة
حد عند بعض اصحابنا حد القذف حدين حدا له وحدا لامه وقيل فيه تغليب والمراد
انه يحد لامه لان الحد حق لها وعزر له وفيه نظر لان قوله ولا اجعله كقاذف
الجماعة في كلمة يأباه لفضل هذا على غيره اي لزيادة جرمه فالفضل بمعناه اللغوي
ومن قذف جماعة بكلمة واحدة حد حدا واحدا عند الاكثر وللشافعي فيه خلاف
ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه قال ابن شعبان ومن
قذف ام واحد منهم وهي كافرة حد حد الفرية اي الكذب لا القذف فانه
يشترط في وجوبه الاسلام لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي الذي
سبه حيا وقد مات ابوه قام مقام ابيه بما يجب له اي يطلب حقه الواجب بسببه
لانه وارثه في ماله وحقوقه فليس لغيره حق في هذه الدعوى والا اي وان لم يكن له

ولد

ولدٍ حي فمن قام به اي بطلب حقه ودعواه من المسلمين لان لهم طلب مثله كان واجبا على
الامام او نايبه قبول قيامه باستماع دعواه والحكم بمقتضاه معاونة ونصرة له قال ابن
شعبان وليس هذا اي استحقاق غير الولد من المسلمين للدعوى بالحد والتعزير كحقوق
غير الصحابة فانه لا يستحقها غير الوارث لحرمة هولا اي الصحابة بنبيهم صلى الله عليه
وسلم وفيه حق من حقوق الله يستحقه كل احد من هذه الامة ولو سمعه اي سمع قوله
الامام او نايبه واشهد عليه كان الامام او نايبه ولي القيام به اي كان يتولى الحد
واستيفاه قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان
احدهما يقتل كما يقتل من سب عايشة لانه يسب زوجة ام المومنين سب النبي صلى
الله عليه وسلم لتعدي عاره له لسبه حليلته اي زوجته وهي من الحلال الحليلة
من الحلول لانها لا تحل حيث حل والقول الاخر في غير عايشة انه اي سب غيرها
كساير الصحابة فيلزمه ان يجلد جلد المفتري بنا على ان سبهم فيه ذلك وقتل ساب عايشة
لتكذيبه لله ورسوله وللقران كما مر قال ابن شعبان وبالقول الاول وهو القتل
اقول لاختياري له وقوة دليله عنده وروى ابو مصعب احمد بن ابي بكر القاسم بن
الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن الزهري المدني القاضي قاضي المدينة كما
تقدم عن مالك في حق من انتسب الى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بتوابه او
ولا قبل او صحبة يضرب ضربا وجيعا نكالا له وردعا لامثاله منهم ويشهر بالتحقيق
اي يطاف به في الاسواق ليعلم الناس حاله ويشتهر ضلاله لئلا يقتدي به غيره
ويحبس حبسا طويلا مدته حتى تظهر توبته واذا ظهرت اطلق لانه اي ما فعله
استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب عقوبته لذلك وحاصل قوله
من انتسب الى هنا ان من ادعى انه من اهل البيت وهو ليس منهم وانتسب له انتسابا
لهم يستحق النكال والتشهير وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ايما
رجل ادعى الى غير ابيه فقد كفر وهذا يدل على عظم هذا وانه يشدد فيه وقد كثر
هذا في زماننا هذا وتساهل الناس فيه ودخلوا في هذا النسب الطاهر وادعاه
كثير من الاشرار وتسارع القضاة بذلك الى اثبات الانساب وجعلوا لهم علامة
كما قيل

جعلوا لابنا الرسول علامة ● ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ● يغني الشريف عن الطراز الاخضر

واقتى ابو المطرف بضم الميم وفتح الطا وكسر الرا المشددة المهملتين وفا الشعبي
بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وبا موحدة ويا نسبة مشددة فقيه
مالقة بزنة فاعلة اسم فاعل بلدة مشهورة بالمغرب بيد النصارى الان اعادها
الله للاسلام في رجل انكر على بعض القضاة تحليف امراة مخدرة ادعى عليها بحق
شرعي فامرها ان تحلف عنده بالليل سترا لها وقال من انكر تحليفها ليلا لو كانت
المراة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ما حلفت الا بالنهار حتى يسوي بينها
وبين غيرها وصوب ما ضر مشدد الوا واي عد قوله هذا صوابا وهو انكار
تحليف النسا المخدرات ليلا بعض المتفقهين اي المتصفين بمعرفة الفقه فقال

بيان
وبينهم بالتحقيق

ابو المطرف وفيه مبالغة ذكر هذا المنكر تحليف السائل ليلا لابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
في مثل هذا الامر الذي يستوي بها غيرها من النسا يوجب عليه شرعا التعزير البليغ
والضرب الشديد والسجن الطويل لجراته على بنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وام المؤمنين فان المتبادر منها عند الاطلاق عائشة رضي الله عنها وان كان له غيرها
والعقبة الذي صوب قوله في الانكار المذكور هو احق واولى باسم الفسق اي وصفه
بانه فاسق وجعل فقهه الذي ادعاه فسقا احق بالقبول من اطلاق اسم الفقيه عليه
فيتقدم اليه اي يبرز لمخالفته وتفسيقه بما قاله في ذلك المقال الذي قاله ويزجر
ويوبخ على ما قاله ولا تقبل فتواه التي افتى بها ولا شهادته بتفسيق ما قاله ذلك
الفاسق الذي ظنوا فسقه فقها وهي اي فتواه لتصويبه لمقالته هذه جرحة فعلة
بالضم من الجرح القابل للتعديل اي فقوله هذا جارح له مسقط له من العدالة فلا يقبل
ما قاله ثابتة فيه مسجلة عليه للجرح وعدم العدالة ويبغض مضارع بزنة يكرم
المجهول لبغض وضاد معجمتين معطوف على قوله يتقدم اي يظهر بغضه وعداوته
في الله تعالى عز وجل اهانة له وتركا لمقالته وهذا اخر كلام ابي المطرف كما نقله عنه
السبكي في فتاويه وقال الغرض من هذا كله انه فاسق مرتكب لكبيرة عظيمة لا تخلص له
منها بسبيل الى العدالة ومن كان بهذه الصفة لا تقبل شهادته قطعا ومن تخيل ان القول
ساب الصحابة وجها وتاويلا فليعلم ان هذا وان كان فاسقا فالشيخان خارجان عن
ذلك اذ تاويلهما انما هو فيمن خاض الفتن ولابس قتل عثمان وقاتل عليا والشيخان
بريئان من ذلك قطعا ولذا اجري الخلاف في تكفير سابهما وساب عثمان وعلي دون غيرهم
من الصحابة انتهى واذا عرفت ان ما ذكره المص عن ابي المطرف فالمقصود منه ان السلف
كانوا يحافظون على مقام الصحابة ويمنعون الجراة عليهم ولذا نقله السبكي ولم
يتعقبه فما قيل عليه من انه غير مسلم لان انكار التحليف ليلا له وجه لان اليمين
قد يقصد تغليظها ومن تغليظها اظهارها بين الناس حتى قيل قد تغلظ بعد
عصر الجمعة فالاختفاء لم يعهد شرعا وايضا قوله لو كانت بنت ابي بكر ليس فيه ذكر
لعائشة فلعله بنت اخرى وهي اسما ولو سلم تبادرها فليس فيه تحقير لها بل هو تعظيم
لها لادعائه انها في اعظم مراتب الشرف حتى لو كانت هذه بمرتبتها لم تحلف والعرف
قاض بهذا وبه افتى بعض الفقها كالسبكي وابن ابي شريف فقال السبكي وغيره
لو قال لو جاني بهذا الامر جبريل او رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلته انه
تغليظ فيه تعظيم للمشبه به وان له مرتبة لا يصل اليها احد ولو وصل لها هذا احكم
عليه ايضا لان الاحكام لا تختلف لشريف ولا وضيع ومثله ما ورد في الحديث لو سرقت
فاطمة بنت محمد لقطعتها قد علمت الجواب عنه وكون مثله للتعظيم يعلم من السياق
واذا كان كذلك فقد يوخذ من السياق غيره ولذا قال المص وقال ابو عمران في رجل
قال لو شهد علي ابو بكر حد في الجواب لظهوره وعدم العصمة له هنا انه اي السائل
او القول المذكور اذ كان مراده ان شهادته في مثل هذا لا تجوز ولا تكفي وحدها
لهذا الشاهد الواحد لان شهادة رجل واحد لا تقبل مطلقا وما في قصة خزيمة
ما اول كما تقدم فلا شي عليه من تعزير وغيره لانه لا يشعر باهانة ولا تنقيص

عرضي

وان

وان اراد غير هذا انما يقتضي الاهانة بقرينة سوق الكلام فيضرب ضربا بليغا يبلغ به
الموت اي يوصله ذلك الضرب الى مرتبة الموت لذكره من هو افضل الخلق بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مقام لا يليق به فهذا اشعر بان مثل هذه العبارة قد يكون
فيها نوع من الاهانة والحقارة وذكروها رواية وكون الشاهد الواحد لا يقبل في
على الملاقة فقد ذكر الفقها مسائل تقبل فيها شهادة واحد ليس محل تفصيلها هنا
كما وقع في بعض الشروح فانه تكثير للسواد ليس في محله تنبيه في الخصائص
الكبرى للسيوطي اخرج الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم قال اربعة
يؤتون اجرهم مرتين ازواجه امهات المؤمنين فقيل في الاخرة وقيل احدهما في الدنيا
والاخر في الاخرة واختلف في مضاعفة عذابهن فقيل عذاب في الدنيا وعذاب في الاخرة
وغيرهن اذا عوقبت في الدنيا لا يعاقب في الاخرة لان الحدود كفارات وقال مقاتل هذا في
الدنيا وقال ابن جبير وكذا عذاب من قذفهن مضاعف في الدنيا فيجلد مائة وستين
وفي الشفا انه خاص بغير عائشة لانه فيها يقتل وقيل يقتل من قذف واحدة من
سائرهن وقال في التلخيص قال تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وعمل غيره انما يحبط بالموت
على الكفر انتهى وقد تقدم الكلام عليه وعلى ما في كلام ابي عمران وكذا يعطى اجره مرتين
من توضا مرتين ومن يقرا القران وهو عليه شاق والمجتهد اذا اصاب والمتصدق على
قريبه والمراة غارت وشجها ومن عمر جانب المسجد الايسر لقلة اهله والغني الشاكر ومن مرضته
حسنة ومن صلى بالتيمم ثم وجد الما فاعاد والجان ومن اشترى امة فادبها فاحسن
تاديبها ثم اعتقها وتزوجها وكتابي امن بنبيه ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن صلى
في الصف الثاني او الثالث مخافة ان يوذي مسلما والامام والموذن ومن طلب علما فادركه
ومن اسبغ الوضو في البرد الشديد ومن دنى من الخطيب فاستمع وانصت ومن غسل يوم
الجمعة واغتسل ومن قتله اهل الكتاب وشهيد البحر ومن حافظ على صلاة العصر ومن
استمع لقراة القران وسرية خرجت للغزو فرجعت وقد اخفقت اي رجعت ولم تغنم
ومن قتله سلاحه ومن توضا بعد الطعام ومن يعمل العمل سرا فاذا اطلع عليه اعجبه قال
الترمذي فسره بعض اهل العلم بان يعجبه ثنا الناس عليه بالخير لقوله صلى الله عليه وسلم
انتم شهدا الله في الارض لا للاكرام والتعظيم وقال بعضهم اذا اطلع عليه فاعجبه رجا ان
يعمل بعمله فيكون له مثل اجورهم ومن كان موقفا في وقت الفساد ومن تصدق في يوم
جمعة ومن عمل فيه خيرا مطلقا ومن اتى الى الجمعة ماشيا ومن تبع الجنازة ماشيا ومن
صلى على جنازة وتبعها حتى من اهلها فيحصل له اجر صلاته على اخيه واجر صلته للحي ومن
يقرا في المصحف ومن قرا القران فاعربه والمراد باعرابه معرفة معاني الفاظه وليس المراد به ذكر
المصطلح عليه في النحو وهو ما يقابل اللحن لان القراة مع فقده ليست قراة ولا ثواب فيها
ومن يسارع الى خير ماشيا حافيا ثم ختم المص رحمه الله كتابه بقوله قال ابو الفضل عياض
مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه هنا انتهى اي تم وبلغ نهايته القول بنا اي القول المتعلق
بنا فيما قصدناه من هذا التاليف فيما حررناه اي كتبناه محررا مهذبا من الباعث
على هذا التاليف وانجزنا اي تممنا من انجاز الوعد الذي وعد باتمامه في اول الكتاب
وفي نسخة انتجزا فتعال من النجاز وهو التمام الغرض منه مجتمعين اي المطلوب الذي

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انتحيناه بحاء مهملة اي قصدناه في تأليفنا هذا في ذكر حقوق المصطفى كما تقدم في
التراجم واتى بصيغة التفعل لزيادة فضله والغرض اصله كما تقدم الذي يرى له
التهمم لم يعبر به عن كل مقصود وتبيينه وبين الغاية عموم وخصوص مطلق ووجه
لخصوصه وجهي فتنفرد الغاية في ثمرات افعال الله تبارك وتعالى اذ لا تسمى غرضا
وينفرد الغرض فيما لو قصد بامر ما لا يترتب عليه خطا واجتماعهما ظاهر غني عن البيان
واستوفي اي كمل واتى به وافيا الشرط الذي شرطناه فيما بيناه اول الكتاب
واستوفي مبنيا للفاعل ويجوز كونه للمفعول والضمير لما تما ارتجوا اي اومل
من الرجا بمعنى الامل ويكون في غير هذا المحل بمعنى الخوف ايضا مع النفي كقوله
لا ترجون لله وقارا انه يكون كل قسم منه اي مما حررته للمريد الطالب لهذه المقاصد
مقنع مفعل بالفتح من القناعة اي كفاية وهو اسم مكان او مصدر ميمي والمراد
بالمريد من يطلب الوقوف على معرفة مقدار النبوة وحقوقها وعبر بالمقنع اشارة
الى انه لا يمكن الوصول الى حقيقتها الغيبية والا فالطالب يقنع بمقدار منها
فلله دره وفي كل باب من ابوابه اي كل جملة ونوع من انواعه وهو في العرف جملة
من المسائل يرتبط بعضها ببعض بحيث تعد امرا واحدا منهج هو كالمنهاج الطريق
الواضح الى بغيته بكسر البا وضمها وغين معجمة وهي المطلوب ومنزع بفتح الميم
والزاي المعجمة بينهما نون ساكنة محل النزع او النزاع فهو اما بمعنى مخرج
يخرج اليه او محل احبابه الذي يشتاق اليه من نزع الى اهله ووطنه اذا اشتاق او
من نزع السهم اذا جذبه ليرميه فالمقصود انه يجد ما يهمه طلبه فيه وقد سفرت
فيه اي كشفت وبينت في هذا الكتاب بما حررته وجمعته فيه وازلت الحجاب عن
نكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق المستخرج بالفكر تستغرب اي تعد غريبة نادرة
وتستبدع اي تعد بديعة غير مسبوقة بالمثل في جنسها ولو اقتصر على قوله
تستغرب لكان ربما يتوهم ان غرابتها لعدم الف الطباع لها اذ ليس كل مستغرب مستبدع
فلله دره وكرعت اي اختصصت بدخولها وشرعت فيها في مشارب مطالب ومقاصد
من التحقيق اي بيان الحق المتقن الثابت لم يورد بثنا الجمهور اي بذكرها قبلها
قبل هذا الكتاب في اكثر التصانيف التي صنفت في هذا الكتاب مشرع اي محل استقا
منه مثلها هذا هو المراد وتحقيقه ان الكرع في الاصل شرب الدواب بفيها من الما
لانها تدخل اكارعها فيه والورود الذهاب للشرب من القصد والمشرع محل
الما المورود كالمنهل والمورد والشريعة النهر ونحوه فالكل هنا اما استعارة
تمثيلية بتشبيه المسائل المطلوبة بما ينتفع به العطاش وتشبيههم
ثانيا بسيل لهم حاجة له وتشبيه الصحف بموارد الانهار تحط عندها الرحال
وهذا ابلغ من جعلها استعارات تصريحية او مكنية مخيلة مرشحة ولكل
وجهة فتدبره واودعته اي جعلته فيه كانه وديعة غير ما قدمت اي نصوص
كثيرة وما مزيدة لتاكيد الكثرة وددت اي تمنيت من الود وهو المحبة والصداقة
ثم استعير للتمني وهو المراد كقوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين لو وجدت
من بسط اي بين وشرح من غير اختصار فيه فتلى الكلام فيه اي في بيانه مستوفى او

وجدت

وجدت مقتدى اي احدا من ايمة العلما المتقدمين وفي نسخة مفيدا بالفا من الفايدة
يفيدنيه اي استفيده منه اما عن كتابه الذي صنفه في هذا الغرض وفيه اي اسمعه
من تقريبي اليه بعينه لا اكتفي بما ارويه عما ادريه ارويه الاول مضارع بفتح الهمزة
وسكون الرا المهملة وكسر الوا والمخففة ثم يا مثناة تحتية وفاعله ضمير مستتر
للتكلم والثاني بضم الهمزة وكسر الوا والمشددة بعد را مهملة مفتوحة اي اروي
ما سمعته منه فيه او اخذه من كتابه ومعنى الثاني احمل عنه على وابيه عني اي اكتفي
بالاول عن الثاني وفيه تجنيس بديع وقوله يفيدنيه باتصال الضميرين جائز
وظاهر كلام سيبويه ان الانفصال في مثله لازم واختار ابن مالك الاول كما في كتب
النحو يعني ان بيان حق المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له امر واجب لم ار من
وفاه حقه فوجب علي بيانه ولله دره رحمه الله فانه قام بامر عظيم لم يقم به غيره
وفسر بعضهم اروي وفيه المشدد بافكر فيه واعمل بري فيه من رويت في كذا او تروية
اذا اعملت النظر والفكر فيه وما ذكرناه هو الروي ويجوز بعضهم في ارويه الثاني
ضم الهمزة وسكون الرا المهملة من اروا الزيد وهو بمعنى حمله على الرواية ايضا
والى الله تعالى وحده لا الى غيره كما يفيده تقديم الجار على متعلقه جزيل الضراعة
الضراعة بمعنى التذلل والخضوع والجزيل الكثير العزيز وهو صفة معنى اي
الضراعة الجزيلة وهو دعا في المنة اي الانعام والاحسان بقبول ما حصل منه
بفضله وكرمه لوجهه الكريم اي ما فعله خالصا لله لا ريا للناس كما اشار اليه
بقوله والعفو معطوف على المنة اي وفي العفو عما تخلله اي وقع في خلال كلامه
وبين اجزايه في اثنا فصوله التي ذكرها في كتابه هذا من تزين اي اظهار ما فيه زينة
وحلية وتصنع اي تكلف صنعة في كلامه كالسجع والالفاظ التي قصد تحسينها
مما يخشى ان يكون ذلك ريا منه بقصد التبجح بقدرته على الكلام البليغ لغيره
اي لغير الله بل لاجل من يمدحه من الناس وهو دعا طلب به من الله ان يرزقه
الاخلاص في تاليف هذا الكتاب وان يميزه عن الريا فيما حسنه من كلامه وزينه
من عباراته وان يهب لنا ذلك اي ما وقع فيه التزين والتصنع مما فيه شايبة
ريا وهبته تجاوزه عن المواخذة به لئلا يحبط ما صنعه بجميل كرمه
وعفوه عنه ان وقع ريا لغيره لما اودعناه اي عفوه عما ذكر لاجل ما اورده
في كتابه هذا من شرف مصطفاه اي رسوله الذي اختاره لرسالته وتبليغ
امانته وامينه وحبيبه الذي ايتمنه على تبليغه لخلقه فان الحسنات يذهبن
السيات وحاصله انه يخشى من ان يخالط عمله ريا يحبطه فرجا من الله ان يعفو
عنه ان كان والريا اذا خالط العمل هل يحبطه ام لا فيه خلاف وصحح بعضهم
انه ينظر فيه للباعث عليه والاغلب فيه فان غلب اخلاصه وكان هو الباعث
له لم يحبط شي من عمله والاحبط وهذا هو الذي عليه المحققون وله تفصيل
في كتب القرافي والعز بن عبد السلام هذا محصله وان يغض لنا ذلك لاجل ما قاسينا
في تحصيله وتاليفه واسهرنا به اي تركنا النوم والراحة فلم تغمض جفوننا جمع
جفن وهو غطا العين اضاف له السهر لتوقفه عليه لتتبع فضايله التتبع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التبعية اريد به التفتيش والبحث عن فضايل المصطفى صلى الله عليه وسلم من كتب العلوم واعمال الفكر فيهما واعملنا اي شغلنا واتعبنا فيه خواطرنا جمع خاطر وهو كما في الاساس ما يتحرك في القلب من راي او معنى يقال خطر على بالي وببالي من ابرازه اي اظهار خصايصه اي ما خصه الله به دون غيره مما يجب او يباح او يحرم ووسايله اي ما يتوسل به الى الله مما قربه اليه او مما اكرمه به يوم القيامة كالشفاعة العظمى والحوض ولوا الحمد وغيره مما تقدم تفصيله والكلام عليه فيحمي اي يصون اعراضنا جمع عرض بكسر فسكون وضاد معجمة والمراد به ابداننا فان العرض يطلق على هذا وعلى ما يصونه ويحميه من صفاته وادعى بعض اهل اللغة انه حقيقة في الاول دون الثاني وفيه كلام في كتب اللغة عن نار الموقدة التي يعاقب بها من عصاه بحمايتنا اي صيانتنا كريم عرضه اي عرضه الكريم اي المكرم المحترم عند كل مسلم والعرض هنا بمعناه المعروف ويجعلنا ممن لا يذاد بضم المثناة التحتية وذال معجمة والف بعدها دال مهملة اي يطرد اذا ذيد مبني للمجهول بذال معجمة مكسورة ودال مهملة بينهما تحتية ساكنة اي طرد وصد المبدل اي الذي بدل دينه بردة ونحوها عن حوضه المورود يوم القيامة يوم الحسرة والندامة وهو تلميح واشارة لما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم ينادي بعض الناس في القيامة من القيامة فيمنعون عنه فيقول ما بالهم طردوا فيقال انك لا تدري ما فعلوا بعدك انهم بدلوا دينهم وبه استند بعض الرافضة على تكفيرهم لبعض الصحابة فطلب من الله ان يحميه مما يبدل دينه حتى لا يكون من المطرودين عن الحوض وهذا الحديث في صحيح مسلم وغيره ولفظ الذي في مسلم انه صلى الله عليه وسلم اغفى اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقال انزل علي انفا سورة وقرا انا اعطيناك الكوثر الخ وقال هل تدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال نهر اعطانيه ربي عليه خير كثير ترده امتي يوم القيامة فيختلج العبد منهم اي يجذبه الملايكة وتدفعه فاقول يا رب انه من امتي فيقال انك لا تدري ما احدث بعدك وفي رواية ما زالوا بعدك مرتدين على اعقابهم قال القرطبي رحمه الله قالوا كل من ارتد او احدث ما لا يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض واشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والظلمة واهل الجور فهذا اصرح في ان طردهم عن الحوض على ظاهره وقول ابن حجر رحمه الله تعالى انهم طردوا لم يرشد كل احد الى الحوض تنبيه ياباه ما صرح به في الروايات الاخرى وهذا غير مناف لما ورد من انه صلى الله عليه وسلم تعرض عليه اعمال امته في البرزخ لانه قد ينسى او يراد اظهار ما عملوا على رؤس الاشهاد ونحو ذلك ويجعله لنا يعني لنفسه ومن اخذ عنه ولمن يهمهم اي اعتنى وتقيد باكتتابه اي كتابته واكتسابه اي تحصيله باي طريق كان سببا اي وسيلة موصلة يصلنا باسبابه اي طرقها موصلا للامور الموصلة لقرب الله ورضاه وذخيرة اي امرا ندخره وعدة

نجدها

نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اي نجد اعمالها حاضرة عندها وهو تجوز عن حضور صحفها او ظهورها بشهادة الاعضاء ونحوها لان الاعمال اعراض لا تعاد وتحضر وذهب بعضهم الى ان الاعمال تتجسم حتى تشاهد واليه ذهب بعض العلماء والجلال السيوطي وفيه رسالة اقام فيها الادلة على ذلك والله على كل شيء قدير وعبر باسم المفعول لان الفاعل معلوم اذ لا يحضرها الا الله تحفنا بها اي نحظى بالاعمال الصالحة اذا احضرت رضاه وجزيل ثوابه كما وعد به من لا يخلف الميعاد ويحشرنا اي يجمعنا بما عملناه من العمل الصالح خصيصى زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته اي اتباعه من امته وحشر يتعدى بالبا وتدخل على الماخوذ كما هنا وعلى المتروك والكلام فيه مشهور والزمرة والجماعة متقاربان وخصيصى بكسر الخاء المعجمة وكسر الصاد المهملة المشددة ثم مثناة تحتية وصاد مهملة والف مقصورة وتمد كما في القاموس وغيره وهو مصدر بمعنى الاختصاص وهو الذي جزم به السيوطي وقيل انه مثنى خصيص بوزن صديق واليه ذهب السخاوي وغيره وفسره بابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولما قراه بالتثنية الشيخ برهان الدين النعماني في الدرس بين يدي المحيوي الكافيجي بالشيخونية والجلال حاضر رده وقال انه خطا فلم يقبله وقال انه هو الصواب فكتب اليه بعد ذلك ما صورته بعد البسملة الحمد لله الذي محن العلماء والاشراف بمعاندة الجهال والاطراف والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اولي الفضل والانصاف وبعد فقد قرا بعض العوام في اخر كتاب الشفا قوله وتحشرنا خصيصى الخ بسكون اليا بصيغة التثنية المحذوفة النون فقلنا له انما هي خصيصى بالف التانيث المقصورة واقمنا له العذر في ذلك بكونه راها مرسومة باليا فظن انها يا وادعى انها رواية وكذب في ذلك وادعى ان ذلك هو الصواب وان المراد بالخصيصين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما واقول ما ادعاه باطل رواية ولغة ومعنى اما الرواية فان الذي تلقيناه من المعتبرين وضبطه من يرجع اليه في النقل انه بالالف لا غير كما نبه عليه الحافظ البرهان الحلبي في شرحه للشفا وشيخنا الامام تقي الدين الشمني في حاشيته عليه وكذلك قراناه عليه وسمعناه من غيره واما اللغة فقال في الصحاح والقاموس والمجمل خصه بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية بالفتح وخصيصى وتمد هولا ايمة اللغة قالوا خصيصى بالالف المقصورة ممدود رخصه ولم يقل احد منهم انه خصيص سمع مصدرا ولا صفة واصرح منه ما في ديوان الادب للفارابي في باب فعيل انه سمع منه خمسة الفاظ سكير صاحب شرب وفسيق ورجل ضليل ضال جدا وتنين ضرب من الحيات ورجل عنين ثم ذكر خصيصى واخواته ولم يذكر خصيص وبابه سماعي لا يقاس عليه كما هو مقرر عند اهل العربية واما بطلانه معنى فلان المقصود من الكلام المصدر لا الوصف والمراد ان يحشرنا بجعل الخصوصية وهو ان يكون من جملة الجماعة المنسوبين الى النبي صلى الله عليه وسلم والزمرة الداخلين تحت لوايه وليس المراد الاختصاص بالذات وهذا مما لا يخفى الا على جاهل بليد وايضا لو كان خصيصي مثنى مضاف وجب ان يضاف الى اثنين متقاربين وليس بعده الا زمرة وهي جماعة بمعنى واحد وما فسره به كلامه غلط صراح يضحك منه السامع ويفرح به العدو ويغتم منه الصديق واي معنى لقوله

وتخصيصنا بابي بكر وعمر والاختصاص انما يكون بالمعنى لا باللفظ وانت فليتامل المنصف لهذا
الكلام فانه لا يساوي مثقال ذرة والله اعلم انتهى ما قاله السيوطي ملخصا وارسله لعلما
عصره واستفتاهم وطلب منهم بيان الصواب فقال السخاوي في فتاويه في الحديث
انه ممن استفتاه العلامة الامينى الاقصراي فكتب بتصويب ما قاله البرهان وقال
ان انكاره بغير موجب ومعناه صحيح فلا وجه لانكاره وكتب الشمس البامي ان الذي نعاه
من مشايخنا قديما وحديثا وقرى عليهم ان هذه اللفظة مثناة والمعنى عليها
فلا يحل لاحد انكارها فمن انكرها وصوب غيرها في الحقيقة مسيء على القاضي
عياض فيؤدب على اسائته على العلما وكتب الغزي عثمان الديمي مثله وكذا الشيخ
قاسم الحنفي وقال ان التثنية لا تمتنع رواية ودراية اما الرواية فلانها
الثابتة في الاصل المعتمد المقابل مع الحافظ الذي صححه عبد الحميد اليمني
في حاشيته عليه وقرى ذلك على ابن حجر وناهيك به فمن نسبه قايله الى الكذب
فهو كذاب يستحق التاديب كذا قال السخاوي في فتاويه ثم قال انه سئل عنه
مرة اخرى فاجاب بان التثنية تثبت دون غيرها كما قاله التاج اليمني وشهد
له تاج الدين السبكي بانه الذي يروي ويروي كل ظمآن ويبدي فوايد بتحرير
الايمان وهو الثابت في الاصول المعتمد عليها ومما يتعجب منه انه استدل بما في ديوان
الادب لاقتصاره في فعيل على خمسة الفاظ مع وجود الفاظ غيرها واذا تقرر
هذا فالتثنية في كلام القاضي بالنظر لشيئين وهما الزمرة الشاملة لجميع من
اتبع النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة وغيرهم الى يوم القيامة والجماعة
الذين هم الصحابة خصهم لبعد دخولهم في العموم لسبقهم فكانه سال الله
ان يخصه باقتفاء طريقة الخواص من اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ومن سائر امته
وهو كقول القايل هب لنا ما وهبته لاوليائك واحبابك ويجوز ان يكون سال ان
يخص بخصيصي هذه الامة وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما حسبما ورد في حديث
ضعيف رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان لكل نبي خاصة من اصحابه وان خاصتي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما اخرجه
البيهقي في الفضايل ولا يكون من خواصهما الا بسلوك طريقهما واقتفا
سنتهما وعلى تقديرا لتنزل في كون الزمرة والجماعة واحدا فليس يمتنع الاتيان
بلفظ التثنية مع اضافة لفظ الواحد نحو زيد وعمرو وحال البلد انتهى
باختصار لما اطال به مكررا لحذف ما منه ما لا حاجة لنا به وانا اقول ان السخاوي
رحمه الله اطال لسانه على السيوطي رحمه الله وادعى ان علما عصره كلهم وافقوه
وكتبوا خطوطهم بنصرته ولم ار ما قاله في كتاب غير فتاواه والحق احق
بالقبول فان الذي يقبله الطبع ما قاله السيوطي وهو ان خصيصا مصدر
فان النقل والعقل شاهدان له اما الاول فلان الموجود في كتب اللغة كلها
ذكر خصيصي وقول السخاوي انه لا حصر في كلامهم مسلم لكنه لا يفيد اثبات
كلمة لم تذكرها اهل اللغة ولم يسمع في كلام احد من العرب واما الثاني
فان معناه في غاية الظهور وكونه مثنى مرادا به العمرين لم يدل عليه سياق

ولا

ولا سياق الا ان قول الجلال انه لا يناسف الا الى اثنين لا وجه له كما قاله السخاوي
وحشرنا اي يجمعنا في الحشر في الرعيل الاول الرعيل والرعل القطعة من الخيل وجماعة
منها والرعيل الاول السابقون من الفرسان ثم كني به عن كل سابق للخير والفعل الحسن
يمدح به كما قال حسان رضي الله عنه ٭ نحن الانوف من الرعيل الاول ٭ فالمراد به هنا من
يبادر لفعل الخير ممن يكرمه الله بدخول الجنة قبل غيره وهم بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام
العلما العاملون واهل الباب الايمن اي اصحاب اليمين المباركة وجوههم من يؤتى كتابه بيمينه
من اهل شفاعته ونقدم الكلام على ذلك ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه اي جمع ما فيه
مما يتعلق بغرضه والهم الالهام القاء الخير في القلب وفتح البصيرة اي قوة العقل المدركة
في الباطن بمنزلة البصر في الظاهر وجعلها كالعين تخييلا قال لدرك بفتح فسكون اي
ادراك حقايق ما اودعناه وفهم ونستعيذه اي نلتجا اليه جل اسمه وعز ذاته من دعا
لا يسمع اي لا يجاب ولا يقبل كقوله سمع الله لمن حمده ولا ينفع لعدم العمل به والاخلاص
فيه وعمل لا يرفع اي لا يقبل ولا يعتد به قال تعالى والعمل الصالح يرفعه وقال ان
كتاب الابرار لفي عليين فهو الجواد بتخفيف الواو بمعنى الكريم الكثير الجود اي الاعطا
وهو من اسما الله تعالى كما ذكره ابن حجر وقد ثبت في حديث صحيح وذكره النووي كالترمذي
في جامعه والبيهقي في الاسما والصفات واعتضد بمسند وبالاجماع خلافا لمن انكره
الذي لا يخيب من امله يخيب بوزن يزيد اي لا يحرم من قصده وتجوز تشديده
فان الكريم لا يخيب من قصده ولا ينتصر من خذله الخذل لا ان ضد النصر ومن خذله
الله لا يقدر احد ان ينصره ولا هادي لمن اضله ولا يرد دعوة القاصدين لسواله
الراغبين لما عنده وفي الحديث ان الله يستحيي ان يرد يد عبده صفرا اذا رفعها ولا
يصلح عمل المفسدين فيمحقه ويبطله وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا ولما تم بفضل الله وتوفيقه
هذا الشرح المبارك قلت مؤرخا له وراجيا قبوله وعود بركته علي وعلى احبابي
وجميع المسلمين امين

بجاه النبي الكريم الاجل ٭ ومن قد كسى المجد اسنى الحلل
توسلت لله ربي الذي ٭ به لا يخيب من قد سال
فان الشفا وما فيه من ٭ مثافيه للاماني كفل
وقد تم شرح به ارتجي ٭ بان يشرح الله صدر العمل
ببرء السقام ومحو الذي ٭ جناه الصبا من عظيم الزلل
فيا سيد الرسل يا من نرى ٭ مواطئه اثمد للمقل
تقبل هدية الشفا ٭ هدية عبد لمولى اجل
فامال فالي فدا رجته ٭ تتم الشفا وصح الامل
فصلى وسلم ربي على ٭ مقام به نور ما افل
فلا زال مطلع شمس الهدى ٭ ونور وصنته قبلة للقبل

قال مؤلفه وتم يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الثاني سنة ثمان
وخمسين بعد الالف على يد اضعف العباد احمد شهاب الدين الخفاجي المصري وكان

علم حو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفراغ من تعليقه من خط مبيضة مؤلفه المذكور على يد الراجي عبد القادر
ابن الربيع حسن الشاذلي الحسني البسيوني بلدا
ومنشا المالكي مذهبا غفر الله له ولوالديه
بكسر الدال ولمن دعا له ومن قرا فيه
ورأى خطأ فاصلحه يارب
العالمين وذلك يوم الأحد
المبارك ٢٤ من شهر محرم
سنة خمس ومائة
بعد الالف
وحسبنا الله
ونعم
الوكيل

وقف شيخ الاسلام
فيض الله افندي عفي عنهما ولوالديه بشرط
ان لا يخرج من المدرسة التي
انشاها بالقسطنطينية
١١١٢